مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	للطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	بخارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الأول — القاهرة : المحرم سنة ١٣٧٨ — يوليو (تموز) سنة ١٩٥٨ — المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

فى عامنا الجديد

ونسميه «عاما» تبعا لما اصطلح الناس عليه من قياس أعمار الأمم بدورات الفلك ، ولو أنصفنا العهد الذى نعيش فيه من ستة أعوام ، معتبرين السنة بما تنطوى عليه من أحداث ، وما تقطعه الأمة فيها من مفاوز نحو الهدف الأعظم ، لاعتبرنا العام الماضى عصرا كاملا . وكم من أمة تتمنى لو تقدمت نحو أهدافها العظمى فى عصر كامل بمقدار ما تقدمنا نحن نحو هدفنا الأعظم فى العام الهجرى الذى ودعناه ، لنستقبل أخاه التالى احتفلنا بمولده ، وبذكرى هجرة قدوتنا الأعلى صلوات الله وسلامه عليه .

تواترت علينا نعم الله وآلاؤه فى العام المنصرم كالعين الثرة الدافقة بالحياة والبركة والقوة ، وكان من أبرك هذه النعم امتداد يد الشام ليد مصر — بصدق وإخلاص وإيمان — للاتحاد والتعاون على تحقيق رسالة العروبة والإسلام والتعايش الكريم . وكان المتمردون على الله من صنائع الاستعمار فى العراق يريدون أن يظهروا العراق بمظهر المعوق لتلك الرسالة الإلهية ، فقصم الله ظهورهم ، وجعلهم عبرة ونكالا لكل متمرد جبار . وها قد امتدت يد العراق الأصيلة ، للتعاون مع يد مصر والشام ، على توجيه القافلة فى صراط الله المستقيم ، فكان لنا من نعم الله السابغة فى يوم واحد ، ما كنا نرجو أن يكون فى أعوام طويلة ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ...

وفى فاتحة العام الجديد نضرع إلى الله سبحانه أن يديم علينا آلاءه متوالية نامية ، وليذكر بعضنا بعضا بأن النعم تدوم بالشكر عليها ، وأصدق أساليب الشكر على النعم حسن استعمالها ، والتقرب إلى الله بطاعته والتماس مرضاته . وإلى اللقاء على هذه الصفحة فى العام الآتى إن شاء الله .

« المجلة »

صاحب ذكرى الهجرة

فى بعض ما امتاز به على جميع رسل الله

امتازت الرسالة المحمدية ، على جميع ما تقدمها من رسالات الله إلى الناس ؛ بامتيازات لا تزال العقول تقف منها على الشئ بعد الشئ ، ما تعاقب التفكير ، وما تجددت ذكريات صدر الإسلام ، وما تحرى البشر حقائق الأشياء معترفين بها ومغتبطين .

وقد سبق لى فى مقال « الجيل المثالى [١] » أن استعرضت شعوب التاريخ ، وتلاميذ الأنبياء والحكماء والمصلحين : من موسى ، إلى كونغ فوتس (الذى يسميه الإفرنج كونفوشيوس) ، إلى حواريى المسيح ، فانتهت المقارنة بين تلك الأجيال والجيل المحمدى إلى أن الإنسانية ـ من أقدم أزمانها ، وفى مختلف أوطانها ـ لم تشهد « الجيل المثالى » إلا مرة واحدة حين فوجئت بإقبال تلاميذ محمد عليها من صحارى أرض العرب ، يدعون إلى الحق والخير ، بالقوة والرحمة ـ قوة الأخلاق وهى من عناصر إيمانها ، ودعوة الرحمة وهى روح ذلك الإيمان ـ فكانت المفاجأة عجيبة بمصدرها ، وكيفيتها ، وأطوارها . ثم كانت عجيبة العجائب بنتائجها التى لا تزال إلى اليوم من معجزات التاريخ . وإن الإنسانية وقد وقفت يومئذ تتساءل ، ولا تزال إلى اليوم تتساءل : أين كان هؤلاء ، وكيف تكوّنوا على حين غفلة من الأمم ؟ وما هذه الرسالة التى يحملونها ، وكيف نجحت ، وما هى وسائل نجاحها ؟ سلسلة من الأسئلة ، لا يكاد الناس يتساءلون بأوّلها ، حتى يفاجئوا بما ينسيهم تاليه أوّله . . .

إن تلاميذ صاحب هذه الهجرة وحدهم ـ دون غيرهم من أهل الكتب السماوية فى رسالات الله ـ قد حفظوا للانسانية كتابهم الإلهى كما أوحى به إلى رسولهم ، فكانوا يذخرونه فى صدورهم : الآية مع الآية ، والسورة بعد السورة ، ويكتبون ذلك فى الرقاع والعسب واللخاف ، ثم يجمعونه ويرتبون آياته فى سورها كما كان يعلمهم الهادى الأعظم .

---

[١] مجلة الأزهر ، جزء جادى الآخرة سنة ١٣٧٣ : ص ٦٤١ — ٦٥٠ .

فكان للانسانية مصحف التنزيل الإلهى بمخارج حروفه يومئذ ونبراتها ، وإمالاتها ومدودها ، وغنتها وإشمامها وإدغامها ، بدقة وأمانة لم يسبق لها نظير فى أمة من الأمم . ثم تناقلوا ذلك بالتلقى والتلقين ؛ حافظا عن حافظ ، من الفم إلى الفم ، كما لا نزال نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا إلى زماننا هذا ، وسيبقى ذلك ما دام فى الأرض بشر ، حتى لقد اعترف أشنأ الشانئين ـ فضلا عن جماهير المسلمين ـ بأنه لم يحفظ « نص » على تعاقب الأجيال ، من آدم إلى الآن ، كما حفظ هذا القرآن الحكيم . ولا تستطيع ملة من الملل التى كانت قبل الإسلام أن تدعى لكتابها مثل هذه المزية ، ولا قريبا منها ، ولا أدنى من ذلك ؛ ما دامت للتاريخ مقاييس ، وللعقول أنظمة وقواعد ، وللعلوم سنن وضوابط .

وكما كانت للقرآن هذه العناية الدقيقة من نفوس الجيل المحمدى ، كذلك كان لهم الشغف العظيم بحفظ كل ما يتصل برسالة الهادى الأعظم من سيرته وأحواله وأقواله وأفعاله وتوجيهاته وتصرفاته . وإن سيرته ـ صلوات الله عليه ـ وأحواله ، وأقواله ، وتوجيهاته ، وتصرفاته خزينة وثائق ونصوص كان من أعظم الخير للانسانية أن تحفظ ، وأن يتواصى الناس بالعمل بها . وقد بلغ من اهتمام (غير المسلمين) بهذه الخزانة الثمينة من وثائق الإنسانية أن عمدوا إلى كل لفظة من ألفاظها بجعلوا لمجموعها معجما مفهرسا سيكون بأضعاف حجم (النهاية) لأبى السعادات بن الأثير ، لا ليذكروا معانى الغريب من ألفاظ السنة ، بل ليدلوا على مكان كل لفظ من ألفاظها بالجزء والصفحة ، أو بالكتاب والباب ، من صحيحى البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد . فاذا كشف الباحث عن أى لفظة من أى حديث فسيجد فى هذا المعجم مكان استعمالها فى هذه الأمهات العظيمة من كتب السنة المعتبرة . وقد بدأ بتأليف هذا المعجم المفهرس أ . ى . ونسنك الهولندى إلى أن مات ، فقام على المضىّ فيه صديقه وتلميذه ى . پ . منسنك إلى أن مات ، فواصل عملهما من بعدهما ك . أدريانسى و و . پ . دى هاس و ى . ب . فن ، ويساعدهم على إكمال طبعه بالإعانات المالية المجامع العلمية البريطانية والدنيمركية والسويدية واليونسكو والهيئة الهولندية للبحث العلمى البحت والاتحاد الأممى للمجامع العلمية . وآخر ما علمت قد طبع منه بمطبعة بريل فى ليدن بهولاندا سنة ١٩٥٦ الجزء الثالث والعشرون إلى حرف العين (مادة : عدو) ، وهذا المعجم شهادة عملية من الإنسانية على أهمية هذا التراث المخلد فى تاريخ العلم والتشريع والتوجيه الإنسانى .

إن كتاب الله المنزل على خاتم رسله ، والذخيرة الإنسانية التي ادخرها تلاميذ محمد لأجيال المسلمين من أقوال الهادى الأعظم وأفعاله وتوجيهاته ، تتألف منهما رسالة الإسلام . ولتحقيق هذه الرسالة وتعميمها وتخليدها ، هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى دار الهجرة والنصرة ، وسنرى في اللمحات الآتية – وهي لمحات موجزة خاطفة بقدر ما يحتمله المقام – كيف عني الصحابة بحفظ السنة المحمدية وتحميل أماناتها لتلاميذهم من التابعين ، إلى أن تولى رجال التدوين تسجيلها في أصح ما يمكن للبشر أن يدونوه من تراث الإنسانية التاريخي والأدبي .

روى أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه (كتاب المظالم ٤٦ ، الباب ٢٥) عن عبد الله بن عباس أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال له : « كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالى المدينة – نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم ، فينزل هو يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره ، وإذا نزل فعل مثله » .

وقال البراء بن عازب الأوسى : « ما كل حديث سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين برعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون مافاتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعونه من أقرانهم وممن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من كانوا يسمعون منه » .

وكان من حرص الصحابة على حفظ السنة المحمدية والتثبت منها وتعميم العلم بها ، أن الواحد منهم لا يقتصر على ما سمعه بنفسه ، بل ينشر ما حدثه به إخوانه . وقد رأيت كيف كان عمر يتناوب مع جاره الأنصاري النزول من عوالى المدينة إلى مجالس الرسول صلوات الله عليه ، ورأيت قول البراء بن عازب إن الصحابة كانوا يطلبون ما فاتهم سماعه من رسول الله فيسمعونه من أقرانهم وممن هو أحفظ منهم ويشددون على من كانوا يسمعون منه . وأورد الحافظ ابن حجر في ترجمة عبد الله بن أنيس من كتاب الإصابة عن الإمامين أحمد والبخاري وغيرهما أن الصحابي ابن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال : بلغني حديث في القصاص وصاحبه بغزة ، فرحلت إليه مسيرة شهر .

وروى الإمام النووي شارح صحيح مسلم في كتابه (بستان العارفين) ص ٤٣ بسنده إلى جابر بن عبد الله أنه خرج على بعير له يجوب الآفاق في البحث عن صحابي بلغه أنه سمع

من النبي صلى الله عليه وسلم حديث « من ستر على أخيه المؤمن فكأنما أحياه » ولما دخل البلد الذى قيل له إن ذلك الصحابى مقيم فيه أرشده بعضهم إلى منزل أحد الصحابة ، فلما سأله عن الحديث قال له : لست أنا ذاك ، ولكن ذاك رجل يقال له شهاب ، فخطر على بال جابر أن يسأل حاكم البلد ـ واسمه مسلمة ـ عن شهاب هذا ، فأتى بيت الحاكم وقال للبواب : قل للأمير ينزل إلىّ . فدخل البواب على الأمير وهو يبتسم ، فقال له الأمير : ما شأنك ؟ قال : رجل على بعير قال « قل للأمير ينزل إلىّ » . فقال الأمير : ألا سألته من هو ؟ فرجع البواب فسأله ، فقال له : أنا جابر بن عبد الله الأنصارى . فرجع إلى الأمير وأخبره . فوثب الأمير من مجلسه فأشرف عليه وقال : اصعد . فقال جابر : ما أريد أن أصعد ، ولكن حدثنى أين منزل شهاب ؟ قال : اصعد فأرسل إليه فيقضى حاجتك . قال : لا أريد أن يأتيه رسولك ، فان رسول الأمير إذا جاء رجلا راعه ذلك ، وأنا أكره أن يروع رجل من المسلمين بسببى . فنزل الأمير يمشى مع جابر بن عبد الله حتى أتى شهابا فسمع منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على أخيه فكأنما أحياه » .

هذه صورة من عناية أصحاب رسول الله فى حفظ أمانة السنة ، والسفر فى الصحارى وقطع المفاوز لتلقى الحديث الواحد من فم الذى سمعه مباشرة من رسول الله . ومثل هذه الجهود للحصول على الحديث الواحد قبل أن يضيع بوفاة صاحبه ، دليل على عظيم عناية الصحابة بالنصوص الصادرة عن نبيهم صلوات الله عليه ، وبذل الجهد فى نشرها وتعميمها .

قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى (٣٢١ ـ ٤٠٥) فى كتابه (المدخل إلى كتاب الإكليل فى أصول الحديث ص ٧ ـ ٨) وقد ألف قبل أكثر من ألف سنة : « روى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة : بمكة قبل الهجرة ، ثم بالمدينة بعد الهجرة ، حفظوا عنه أقواله وأفعاله ، ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وقيامه وقعوده ، واجتهاده ، وعبادته ، وسيرته ، وسراياه ، ومغازيه ، ومزاحه وزجره ، وخطبته ، وأكله وشربه ، ومشيه ، وسكونه ، وملاعبته أهله ، وتأديبه فرسه ، وكتبه إلى المسلمين والمشركين ، وعهوده ومواثيقه ، وألحاظه ، وأنفاسه ، وصفاته . هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة ، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام ، أو تحاكموا فيه إليه » .

وفى عصرنا هذا ، ألقى علامة مسلمى الهند السيد سليمان الندوى رحمه الله ثمانى محاضرات على الجامعيين من جميع الأديان فى جامعة مدراس الهندية ، قارن فيها بين الرسالة المحمدية ورسالات جميع الأنبياء والمصلحين ، وأعلن أن محمدا وحده هو (الإنسان

التاريخي) الذى عرف الناس دخائله ومظاهره وجميع أحواله ، وحفظوا عنه ما لم تحفظه أمة عن أحد غيره من الأنبياء والقادة . ومما قاله (الرسالة المحمدية ص ٧٧ - ٧٨) : « إن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لأصحابه ولمن يحضر مجالسه أن يبلغوا عنه لمن غاب عنها ، وهذا الإذن عام لما يكون عنه فى بيته وبين أهله وعياله ، أو ما يصدر عنه فى حلقته مع أصحابه ، أو ما يقفون عليه من أعماله وأقواله ، عند تعبده فى مسجده ، أو قيامه على منبره خطيبا ، أو جهاده فى ساحة الحرب تجاه أعدائه وهو يسوّى صفوف المجاهدين فى سبيل الله ، أو إذا خلا إلى ربه فى حجرة منعزلة فى بيته يعبد الله ويتضرع إليه ، فكان أزواجه وأصحابه يتحدثون جميعا بكل ما يصدر عنه من قول أو عمل . ثم إنه كان تجاه مسجده صفة يأوى إليها فقراء الصحابة ، ولم يكن لسائرهم عمل غير صحبة النبي ولزوم مجالسه ليحفظوا عنه ما يقول وما يعمل ، ثم يروونه للناس بعناية وأمانة . وقد بلغ عدد أهل الصفة هؤلاء سبعين رجلا كان منهم أبو هريرة الذى لم يكن صحابى أكثر منه حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء السبعون كانوا كأنهم جواسيس الحكومة وعيونها فى نشاطهم وإخلاصهم لما يسرهم الله له من حفظ كل ما يستطيعون حفظه مما يدخل فى موضوع الحديث النبوى . وإذا ارتحل الرسول عن المدينة فى غزوة أو حج كانوا معه ، وكذلك غيرهم من الصحابة ، حتى لم تخف عنهم خافية من أمره . ولما كان فتح مكة كان معه من أصحابه عشرة آلاف ، ولما سار إلى تبوك كان فى معسكره ثلاثون ألفا ، ولما حج حجة الوداع حج معه فى تلك السنة مائة ألف مسلم ينطبق عليهم عنوان « الصحابة » . وما منهم إلا من يحرص على الوقوف على شيء من هداية نبيه صلى الله عليه وسلم أو أى أمر من أموره فيتحدث عنه . بل هو الذى أمرهم أن يبلغوا عنه ما يسمعون منه أو يرون من تصرفاته . فما ظنكم به بعد ذلك ، هل يخفى عن التاريخ وجه من وجوه حياته أو ناحية من نواحيها ؟ هذا من جهة أصحابه ، وأما أعداؤه فإنهم أفرغوا جهدهم واستنفدوا سعيهم ليقفوا على دخيلة من دخائله وليؤاخذوه بحقيقة يعلمونها عنه ، فلم يستطع أحد منهم أن يجد له ناحية ضعف . وأقصى ما استطاع أعداؤه فى كل زمان أن يقولوه : إنه سل سيفه للقتال ، وإنه كان كثير الأزواج ، وقد تبين لهم أن حياته الطاهرة هى العصمة من كل نقص » .

إن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الوحيد من أنبياء الله الذى كانت حياته كلها مكشوفة للتاريخ : فى منزله ، وفى المجتمع . ويقول المؤرخ الانجليزى جيبون إن محمدا كان من حياته فى امتحان نجح فيه النجاح الأعلى دون غيره من عظماء الأرض . والمنصفون من غير المسلمين قالوا فى نبينا مثل هذا وأكثر منه . وقد كان من رسالته صلوات الله عليه أن يبين القرآن للناس ، فالسنة والحديث مجال هذا البيان ، ومن كمال هذا البيان

الوضوح البليغ فى عرضه وتبليغه . روى الإمام أحمد عن وكيع عن سفيان عن أسامة عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : « كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلا ، يفهمه كل أحد ، ولم يكن يسرد سردا » . ورواه أبو داود عن أبى شيبة عن وكيع . وكان ذلك ليحسنوا وعيه منه ، وتبليغه للناس ، وقد كانت أوامره قطعية فى حجة الوداع : « ليبلغ الشاهد الغائب ، فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه » ، « فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

من هنا نشأ الحديث النبوى ، فيما بين صاحب الرسالة والذين أرسله الله إليهم . ومن هنا كان لصاحب هـذه الهجرة الامتياز على جميع رسـل الله فى حفظ تراثه العظيم الذى لو اعتبرناه مادة من مواد التاريخ لمـا رأينا فى مواد التاريخ الأخرى ما يدانيه فى الصحة وتحرى الأمانة فى نقله من جيل إلى جيل . وإذا كان الذين يطيلون ألسنتهم بالتشكيك فيما صح عند المسلمين من حديث نبيهم يحابون مواد التاريخ الأخرى ، فلا يلمزونها بما يلمزون به الحديث النبوى ، فلا شك أن ذلك منهم إما عن جهل بما امتاز به تمحيص الحديث النبوى على كل حـديث غيره ، والجـاهل لا ينبغى له أن يتعرض لمـا هو جاهل به . أو لأنهم مدفوعون إلى ذلك بإحنة أو سخيمة ينطوون عليها للاسـلام وصاحب رسالته وجـهود أمته ، فهم إذن أعداء ، والعدو لا يقبل قوله فيمن يعاديه . أما المدسوس فعلا على رسالة الإسـلام من الأحاديث الموضوعة والواهية ، فعلماء هـذا الشأن من أسلافنا وأئمتنا هم الذين فضحوه وأعلنوا سقوطه وألفوا الـكتب فيه وفى الذين اجترءوا على وضعه من أعداء أو جهلاء ، فالتذرع بالموضوعات والأحاديث الواهية للتشكيك فى الأحاديث الصحيحة والحسنة لا يجوز صدوره عن رجل يحترم التاريخ ، لأن حظ الحـــديث النبوى والسنة المحمدية من التمحيص والتحرى أسمى من حـظ كل ما يحترمه الناس ويعتمدون عليه من مراجع التاريخ فى جميع أمم الأرض . والفضل فى تمحيص الحديث ، وتمييز الطيب منه عن الخبيث يرجع إلى أئمتنا وعلماء حـديث نبينا ، وإنهم قـد أحاطوا بذلك واستقصوه ولم يتركوا بعدهم مقالا لقائل ، من عالم أو جاهل .

ومـا لغطوا به ولاكته ألسنتهم من أساليب التشـكيك أن الحديث نقل من جيل الصحابة إلى تلاميذهم من التابعين بالحفظ والتلق والتلقين ، لا بالـكتابة والتدوين . وهل اختار الله لحفظ القرآن إلا طريقة التلق والتلقين قبل الـكتابة والتدوين ؟ وليخجل هؤلاء من مصدقى صادق الرافعى وهو يقول لهم : كانت العرب أمة أمية لا يقرءون إلا ما تحفظه

الطبيعة ، ولا يكتبون إلا ما يلقنون من معانيها . فيأخذون عنها بالحس ، ويكتبون باللسان فى لوح الحافظة ، فكان كل عربى - على قدر وعيه وحفظه - كتابا أو جزءا من كتاب . وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمنى فى إحصاء الأخبار والآثار . ولو أن الكتابة كانت فاشية فيهم ما عدلوا إليها ، ولا استغنوا بها عن الحفظ . لأن سبيل تلك المعانى الطبيعية أن تجئ من أداة طبيعية أيضا ، حتى تكون عند الخاطر إذا خطر ، والهاجس إذا بدر . وليس لذلك غير اللسان .

وقال أبو عمر بن عبد البر فى جامع بيان العلم (١ : ٦٩) بعد أن استعرض أقوال الذين كانوا يمنعون من كتابة الحديث فى الصدر الأول : ومن ذكرنا قوله فى هذا الباب فانما ذهب فى ذلك مذهب العرب ، لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ ، مخصوصين فى ذلك . والذين كرهوا الكتابة - كابن عباس والشعبى وابن شهاب والنخعى وقتادة ومن ذهب مذهبهم ، وجبل جبلتهم - كانوا قد طبعوا على الحفظ ، فكان أحدهم يجتزىء بالسمعة (أى يحفظ من السماع مرة واحدة . وبعد أن ضرب المثل على ذلك قال) : وهؤلاء كلهم عرب ، وقال : النبى صلى الله عليه وسلم : « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » . وهذا مشهور أن العرب قد خصت بالحفظ : كان أحدهم يحفظ أشعار بعض من سمعة واحدة . ومن أقوالهم « حرف فى تامورك خير من عشرة فى كتبك » . والتامور : علقة القلب .

وروى أبو حاتم عن الأصمعى أن يونس بن حبيب سمع رجلا ينشد :

استودع العلم قرطاسا فضيعه ‍ ‍ ‍ ‍ وبئس مستودع العلم القراطيسا

فقال يونس : قاتله الله ما أشد صيانته للعلم إن علمك من روحك ، وإن مالك من بدنك ، فصن علمك صيانتك روحك ، وصن مالك صيانتك بدنك .

وانشد عمر بن أبى ربيعة المخزومى عبد الله بن عباس قصيدته :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ‍ ‍ ‍ ‍ غداة غد ، أم رائح فمهجر ؟

وهى تقرب من سبعين بيتا ، وكان نافع بن الأزرق الخارجى يسمع ، فلما انتهى عمر بن أبى ربيعة من إنشاد قصيدته قال ابن الأزرق : لله أنت يا ابن عباس ، أيضرب الناس إليك أكباد الإبل يسألونك عن الدين . ويأتيك غلام من قريش ينشدك سفها

فتسمعه ؟ قال ابن عباس : تالله ما سمعت سفها . قال ابن الأزرق : أما أنشدك :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى ، وأما بالعشى فيخسر ؟

قال ابن عباس : ما هكذا قال ، إنما قال « ... فيضحى ، وأما بالعشى فيخصر »

فقال ابن الأزرق : وتحفظ الذى قال ؟ قال ابن عباس : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردها لرددتها . قال نافع : فارددها . فأنشده ابن عباس القصيدة وهى سبعون بيتا . قال الحافظ بن عبد البر : وليس أحد اليوم على هذا ، ولولا الكتابة لضاع كثير من العلم .

وهكذا لما كان الصحابة ومن لهم مزية الحفظ من تلاميذهم يكتفون بالحفظ ، كان من مصلحة السنة والحديث النبوى أن يتلق الراوى عمن يثق به وبأخلاقه من الحافظين ، وأن يلقن الأستاذ من يثق بأمانته ووعيه من المتعلمين . فلما ضعف الحفظ حل محله التدوين والكتابة ومع ذلك فإنه فى الدور الذى امتاز أهله بالحفظ كانت توجد الكتابة ، وفى الدور الذى غلبت فيه الكتابة بقى كثيرون من الممتازين بالحفظ إلى زماننا هذا ، ولولا أن يتسع بنا القول لضربنا الأمثال والشواهد التاريخية على ذلك .

أما الكتابة فى العصر النبوى فالشواهد عليها كثيرة ، منها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده (٢ : ١٩٢ الطبعة الأولى) ومثله فى ١٦٢ ، وأبو داود فى سننه (٢ : ٢٢) والحافظ ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١ : ٧١) عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش عن ذلك وقالوا : تكتب ورسول الله يقول فى الغضب والرضا ؟ فأمسكت حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اكتب ، فو الذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق » وأومأ بإصبعه إلى فيه .

وكان ابن فاتح مصر يسمى ما كتبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصادقة) ، انظر طبقات ابن سعد (٢ : ١٢٥ القسم الثانى طبعة ليدن) وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٩٣) وجامع بيان العلم لابن عبد البر (١ : ٧٢) . ومن الصادقة كان يروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . والذين يرون الحفظ أثبت من الكتابة كانوا يرون أحاديث عمرو بن شعيب دون المحفوظ .

وكان عبد الله بن مسعود يكتب . أخرج الحافظ ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١ : ٧٢)

عن مسعر عن معن قال : أخرج لى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لى أنه بخط أبيه بيده . وكان لسعد بن عبادة كتاب أو كتب . روى الإمام أحمد فى المسند (٥ : ٢٨٥ الطبعة الأولى) عن اسماعيل بن عمرو بن قيس بن سعد بن عبادة عن أبيه (عمرو بن قيس بن سعد) أنهم وجدوا فى كتب - أو فى كتاب - سعد بن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد . وفى ترجمة عبد الله بن عباس من كتاب الإصابة للحافظ ابن حجر : روى محمد بن هارون الرويانى فى مسنده عن عبيد الله بن على ابن أبى رافع قال : كان ابن عباس يأتى أبا رافع فيقول : ما صنع النبى صلى الله عليه وسلم يوم كذا ؟ ومع ابن عباس من يكتب ما يقوله أبو رافع . وفى طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦ طبعة ليدن) عن موسى بن عقبة (صاحب المغازى، المتوفى سنة ١٤١) قال : وضع عندنا ابن كريب مولى ابن عباس حمل بعير من كتب ابن عباس . قال : فكان على بن عبد الله ابن عباس إذا أراد الكتاب بعث إليه : ابعث إلى بصحيفة كذا . والصحيفة عندهم الكتاب المحتوى على كراريس . وفى كتاب الأدب المفرد للبخارى (رقم ١١٣١ طبع السلفية) صورة كتاب من زيد بن ثابت إلى معاوية فى خلافته عن ميراث الجد والجدة ، أورده البخارى لبيان آداب المراسلة بين الصحابة رضوان الله عليهم . وتاريخ كتاب زيد ابن ثابت إلى معاوية يوم الخميس لثنتى عشرة بقيت من رمضان سنة ٤٢ . وفى (توجيه النظر) لشيخنا الشيخ طاهر الجزائرى رحمه الله (ص ٨) أن زيد بن ثابت ألف كتابا فى علم الفرائض . ولجابر بن عبدالله منسك صغير أورده مسلم فى كتاب الحج من صحيحه مطولا . وله صحيفة (كتاب) ذكرها ابن سعد (٥ : ٣٤٤ طبع ليدن) فى ترجمة مجاهد ، وذكر أنه كان يحدث عنها . وفى جامع بيان العلم لابن عبد البر عن الربيع بن سعد قال : رأيت جابرا يكتب عند ابن سابط فى ألواح . ونقل ابن القيم فى كتاب القياس فى الشرع الإسلامى (آخر ص ٨١ طبع السلفية سنة ١٣٧٥) عن الترمذى أن قتادة كان يحدث عن صحيفة سليمان اليشكرى التى كتبها عن جابر بن عبد الله . وأبو هريرة صار يكتب ما حفظه قبل أن ينساه ، وكان قبل ذلك لا يكتب حتى أنه قال « لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا منى ، إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كتب ولم أكتب » (جامع بيان العلم ١ : ٧٠) . فلما صار أبو هريرة يكتب بعد ذلك جعل يعتمد على كتابته . قال الفضل بن حسن بن عمرو الضمرى : تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت له : إنى سمعته منك ، فقال : إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى . فأخذ بيدى إلى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

قد أخبرتك أني إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي . والذين يشككون أمة محمد صلى الله عليه وسلم بما حفظه عنه أبو هريرة من الحديث النبوي يتجاهلون أن الذين رووا عن أبي هريرة كان فيهم أقطاب التابعين وأعلام الإسلام كسعيد بن المسيب والحسن البصري ومحمد بن سيرين وهذه الطبقة ، وهؤلاء ممن خالطوا أبا هريرة وعرفوه في السراء والضراء ، وكانوا أحرص على حديث نبيهم وشريعته من أن يستقوها إلا من أصفى وأطهر ينابيعها ، وهم ـ بمعاصرتهم وواسع علمهم بالسنة المحمدية ، وصدق أمانتهم للاسلام ـ أعرف بصدق أبي هريرة من كل من يعصى الله ـ بعد أربعة عشر قرنا ـ بالبغي على هذا الصحابي الحافظ الصادق الذي يريد منا هؤلاء أن نعطل ما حفظه رضي الله عنه من سنة نبينا وأحكام شريعتنا ، فالله حسبهم ... ورأينا من يطعن في أحاديث أبي هريرة يتابع أهواء مؤلف يسيء القول في من هو أعظم من أبي هريرة ، فهل يريد مقلده أن يلقى الله بمقالة السوء في أبي هريرة وحده ، أم بمن هو أعظم منه أيضا ؟

إن صاحب ذكرى الهجرة صلوات الله عليه إنما عاش ما عاش بمكة ، ثم تجشم ما تجشم للهجرة بأصحابه منها إلى المدينة ، ليحفظ للانسانية أمانة القرآن الحكيم ، وأمانة بيانه بالسنة المطهرة والحديث النبوي . وقد كان الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان يبذلون من مهجهم وجهودهم لحفظ هاتين الأمانتين كما كانوا يبذلون منهما في مواقف الجهاد ، ولا نعرف في كل ما نعرفه من محفوظ الخلف عن السلف ـ في تاريخ أو أدب أو علم أو سياسة ـ شيئا حيط بالصيانة والعناية كما حاط بهما علماء الإسلام هذه الشريعة المطهرة ونصوصها الأولى . وهذه الميزة من أهم ما امتاز به صاحب ذكرى الهجرة على جميع أنبياء الله ، ومن أهم ما امتاز به الجيل الذي تولى تربيته هذا الرسول الكريم . وإذا شك أحد في صحة ما صح عند أئمتنا من حديث نبينا فأجدر به أن يشك في صحة كل ما نقلته الأمم من تاريخها وحكمتها وتراثها الإنساني ، ولا يجرؤ على ذلك إلا معتوه ، أو عدو لا يستحي .

محب الدين الخطيب

العـــام الهجرى

فى آخر لحظة من شهر ذى الحجة ، وأول لحظة من شهر المحرم ، يطوى سجل خاص لعام من أعوام التاريخ الهجرى ويفتح سجل آخر ، هـذا السجل الذى طوى قد حوى أحداثا للأمة العربية يقرؤها منهم المبصر والكفيف ويطالعها الأمى والقارئ ، ويتأمل فيها العالم والجاهل ، وقد صار هذا السجل الخاص جزءا من ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين جزءا من السجل العام للتاريخ الهجرى ولن تمتد إلى هذا السجل يد المحو والإثبات لا من الخالق القوى القادر ولا من المخلوق الضعيف العاجز ، فهو أشبه باللوح المحفوظ عند الله وكل ما يستطيعه المخلوق أن يعتبر بما فيه خاصة العقلاء المطلعين عليه ، فان رأوا الفساد والشر فيما فات ، أمكن أن يمنعوا حصوله فيما هو آت ، وتلك حكمة الحكماء والأثر الصحيح لتفكير العقلاء ، يستعرضون الأحداث ، ويبحثون بتدقيق ما دعا إليها وما نتج عنها وما يعود عليهم وعلى شعوبهم من بقائها ، كما يبحثون أنجع السبل لملاقاة ما قد يكون لها من أخطار ويسارعون لوضع الخطط الكفيلة للتخلص من شرورها ويعملون على تجنيب البشر ويلاتها ، وبمقدار حظ الأمة من هؤلاء العقلاء يكون حظها من الخير والرقى والفلاح ، ولنا أعظم الرجاء عند الله أن يكون للمسلمين عامة وللعرب خاصة من هؤلاء الأخيار العدد الوفير ، وأن يوفقهم الله ويوفق الأمة معهم لبلوغ أعلى الدرجات فى العلم والقوة وإسداء الخير للمسلمين والناس أجمعين .

ويجدر بنا قبل أن نستعرض بعض ما قد سطر فى سجل العام الذى انقضى من أحداث ، أن نذكر الناس بحدثى الهجرة والتاريخ الهجرى فنقول :

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أول نبوته ثلاث سنين يدعو إلى الإسلام سرا ثم أعلن الدعوة فى الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافى موسم الحج كل عام ومواسم عكاظ ومجنة وذى المجاز ، يدعو الناس إلى الإيمان بالله ، وأن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، ويعرض نفسه على القبائل فلم يجد من ينصره ، وكان الأوس والخزرج يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث فى هذا الزمان وسيخرج فنتبعه . فلما قدموا للحج ورأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الله عز وجل وتأملوا أحواله قال بعضهم لبعض والله إن هـذا للذى توعدكم به يهود المدينة فلا يسبقنكم إليه فلقيهم النبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة فى الموسم وكانوا ستة من الخزرج فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا ، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام فيها حتى لم يبق

بها دار إلا كان فيها ذكر للاسلام ، وفى العام التالى أقبل منهم اثنا عشر رجلا فبايعوا رسول الله على السمع والطاعة وأن ينصروه إذا قدم عليهم ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولهم الجنة . وفى العام الثالث قدم منهم سبعون أو خمسة وسبعون فبايعوا رسول الله على مثل ما تقدم بيعة العقبة الكبرى ، وأمر رسول الله بعدها المسلمين بالهجرة إلى المدينة ومكث ينتظر الإذن له ، وأذن له بالهجرة وأن يستصحب معه أبا بكر رضى الله عنه وكانت المدة التى أقامها بمكة بعد الرسالة ثلاثة عشر عاما .

فخرج من مكة لهلال ربيع الأول ووصل المدينة لاثنتى عشرة خلت منه ، فتلقاه الأنصار بسلاحهم وكبروا فرحا بقدومه وأحدقوا به فى مسيره حتى نزل بقباء ، فأقام أربع عشرة ليلة أسس فيها مسجد قباء ، ثم ركب إلى المدينة ، ولم تزل ناقته سائرة لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه فى النزول عليهم وأمسكوا بخطام الناقة فيقول دعوها فإنها مأمورة حتى وصلت إلى موضع مسجده وبركت ، ولم ينزل عنها فنهضت وسارت قليلا ثم التفتت فرجعت وبركت فى موضعها الأول فنزل عنها وكان سرور الأنصار بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحيط به الوصف وفى ذلك يقول قائلهم :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لا يلقى حبيبا مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى ... وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى ظلامة ظالم ... بعيد ولا يخشى من الناس باغيا
بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم ... جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره ... وإن كتاب الله أصبح هاديا

ويفيض المؤرخون فى حديثهم عن الهجرة ، والباعث عليها ، وما كان لها من آثار سياسية وغير سياسية .

وإنما الذى يعنينا كرجال دين أن نبين أن هجرة رسول الله وأصحابه ما كانت فرارا بالدين فما كان محمد وخيرة أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من النخبة الطاهرة يخشون أن يفتنوا فى دينهم أو أن تزيغ قلوبهم بالاضطهاد والعذاب بعد إذ هداهم الله للاسلام فيفروا بدينهم فرقا وفزعا ، أجل ما كان محمد والمصطفون الأخيار من صحابته قد هاجروا فرارا بدينهم ولكنهم هاجروا ليكونوا فى موضع المهاجم بدعوة الإسلام حتى تكتسح أرض الجزيرة العربية ، ثم تنتفض فتعبر البحار والمحيطات إلى ما شاء الله من الأقطار

والآفاق ، وكان محمد وأصحابه يرون بنور الله فهو أعينهم التى بها يبصرون وآذانهم التى بها يسمعون وأطرافهم التى بها يبطشون و يمشون ، وقد حقق الله كل ما كانوا يرجون فبعد أن كان يدخل الإسلام الفرد أو الاثنان والمتخفى الخائف أو الظاهر المستجير بدل الله كل ذلك وجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وانتشر نور الإسلام مع نور الشمس فأضاء العامر والخراب ، وانبسط سلطان التوحيد حتى على معابد الأوثان وبيوت النيران وتبخر الشرك فى الهواء ونضب معين الضلال فى الأرض وزلزل المضلون والجاحدون وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وقالوا آمنا برب العالمين .

ذلك حدث الهجرة ـ أما حدث التاريخ الهجرى فنجمله فيما يأتى : ـ

روى الثقات من المؤرخين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفع إليه صك محله (أى وقت حلوله) شعبان فقال عمر أى شعبان هو ـ الذى مضى أم الذى هو آت أم الذى نحن فيه ، ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ضعوا للناس شيئا يعرفونه (أى يعرفون به التاريخ) فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم فقيل إنه يطول فإنهم يكتبون من عهد ذى القرنين وقال قائل اكتبوا على تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه نكتب منذ خرج النبى صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك فاجتمع رأيهم رضوان الله عليهم على هذا مع اختيار اللفظ الجزل المختصر : من الهجرة : ثم نظروا كم أقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فوجدوه قد أقام بها عشر سنين فكتب أول التاريخ على هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافة عمر رضى الله عنه ، وكانت مدة خلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، فيكون أصحاب رسول الله قد بدءوا التاريخ الهجرى بعد الهجرة بمدة أربعة عشر عاما وتسعة أشهر وعشر ليال .

والتاريخ الهجرى المنسوب إلى الهجرة لا يبدأ من الهجرة وإنما يبدأ من عامها لأن الهجرة كانت فى ربيع الأول كما قدمنا ، ومبدأ العام هو المحرم .

ويجدر بنا بعد أن ذكرنا حدثى الهجرة ، والتاريخ الهجرى أن نذكر بعض أحداث العام الماضى لنأخذ منها العظة والعبرة ، ونسترشد بها فى العام الآتى وما بعد الآتى فنقول :

أخطر أحداث العام الماضى وأعظمها الوحدة بين مصر وسوريا وما أفاء الله عليهما من نعمة الاستظلال بعلم واحد والاندماج فى جمهورية إسلامية واحدة تتآزر على النهوض بالإسلام والعروبة وتبذل النفس والنفيس لتحقيق كرامتها وعزتها ، وإنا لعلى يقين بأن الشعب السورى عريق التدين قوى الإيمان شديد الحفاظ على الأعراض يعطى الأسرة

حقها من العناية والرعاية ، كما يمنح المتجرو المصنع كل ما يحتاجان من مجهود ونصب ، وهو مع هذا عزيز الجانب قوى الشكيمة لا يرضى بالضيم كما لا يرتضى الجور ، فهو بحق شعب للدنيا والدين .

وكم حمدنا الله على التوفيق لهذه الوحدة ودعوناه مخلصين أن تكون خيرا ويمنا للشعبين العظيمين ومبعث عز وكرامة للاسلام والعروبة ، وتباشير الصباح الصبوح قد ظهرت لذى عينين .

ولنا هنا رغبات نسأل الله أن يوفقنا فيها وأن يمنح أولى الأمر التوفيق لتحقيقها ولكن قبل أن نذكرها يجدر بنا أن نذكر ماصرح به الرئيس العاهل الحازم جمال عبد الناصر أن الثورة لا تدعى العصمة بالنسبة لجميع ما باشرته من أعمال وأن علينا أن نصحح ما قد يكون من أخطاء ويكفى الثورة ورجالها أنه خطأ كذلك نذكر ما أعلنه السيد أنور السادات فى المؤتمر الشعبي بقنا أن الرئيس : جمال عبد الناصر يطلب من كل مواطن أن يبلغه عن الخطأ ويقترح طريق الإصلاح وعلل ذلك بقوله لأن الرئيس ورفاقه فى الحكم لا يمكنهم الإحاطة بكل شيء .

وقد رأينا رجال الدولة فى مصر وسوريا يبذلون الجهود فى سبيل توحيد القوانين ولو على سبيل التدرج ، وتوحيد القوانين بين القطرين اللذين أصبحا يكونان جسما واحدا هو الجمهورية العربية المتحدة أمر طبعى وسنن سياسى ممتاز ، ولكن هل المراد بتوحيد القوانين أن تسرى قوانين مصر على سوريا أم قوانين سوريا على مصر . المنطق والعقل والحزم فى السياسة أن يبحث ذوو البصيرة والنور والعرفان فى القانون فما كان خيرا من غيره اتبع فى القطرين سواء أكان مصريا أم سوريا بل من الحزم أنه إذا ظهر فى القانون المختار بعض النقص أن يعدل بما يتلافى ذلك النقص .

ولهذا نرجو ورائدنا الإخلاص لله وللدين والوطن أن يعاد النظر فى قانون توحيد القضاء الذى هو فى الواقع إلغاء للمحاكم الشرعية وتحويل للفصل فى الأحوال الشخصية إلى جهة غير جهة رجال الدين وقطع لصلة الأزهر بهذا الفرع من القضاء وهو به أجدر .

وقد امتلأت المجالس بالاعتراف بأنه لا يحسن القضاء فى الأحوال الشخصية غير رجال كلية الشريعة من الأزهر ولهذا جرى العمل فى وزارة العدل على أن القضاء المنفرد فى المحاكم الجزئية لا يباشره إلا القاضى الشرعى وفى القضاء الكلى والعالى يباشره القاضى

الشرعى بجوار القاضى الوطنى مع الاستعانة بمذكرات عضو النيابة الذى يجب أن يكون من رجال القضاء الشرعى ، وهذا يعطى صورة قوية الوضوح للشعور بضعف القاضى الوطنى فى ناحية الأحوال الشخصية وإن رجال القضاء الشرعى كأنما يقومون الآن بدور الأستاذ لتعليم القاضى الوطنى هذا الفرع من القضاء - ولكن الواقع من ناحية أخرى أن هذا الدرس فى المحكمة لا يخرج القاضى الذى يجب أن يكون فى مستوى القاضى الذى درس هذه الناحية فى التعليم الابتدائى والثانوى والعالى وفى تخصص القضاء فى مدة خمسة عشر عاما .

وإنا لنهيب بلجنة التنظيم للقضاء وعلى رأسها رئيس محكمة النقض وهو رجل عليم بالقوانين محنك فى القضاء دقيق فى البحث والتحرى عن أحكم السبل الموصلة للعدالة أن تختار القاضى ذا القدرة البارزة على الفصل فيما يرفع إليه من قضايا الناس فى الأحوال الشخصية ، ونحن مطمئنون إلى أنها لن تجد ذلك القاضى إلا فى كلية الشريعة بالأزهر أو كلية الشريعة بسوريا .

ونعود من ناحية أخرى فنقول : إن الأزهر يرحب بكل إصلاح وتنظيم يرفع من شأن هذا القضاء ويدعم أركانه ويفسح المجال للعدالة .

وإذا كان للجنايات دائرة وللجنح دائرة وللأحوال المدنية دائرة وللأحوال التجارية دائرة ، فلماذا لا يكون للأحوال الشخصية دائرة يباشر الفصل فيها القضاة من كلية الشريعة ليسجلوا كما سجل أسلافهم من الأزهر تاريخا قضائيا مجيدا وليظهروا كما أظهر أسلافهم أفكارا متزنة نيرة تعتبر نبرا سا فى العدل والإنصاف وقديما قيل أعط القوس باريها .

على أنه إذا كان أولو الأمر قد ارتاحوا إلى الوضع الحالى الذى يسير على أن يباشر هذا الفرع من القضاء القاضى الشرعى وحده فى القضاء المنفرد ويباشره مع غيره فى القضاء المشترك فلا مانع من بقاء هذا النظام واستمراره وذلك إنما يكون ببقاء تخصيص القضاء بكلية الشريعة .

ولا يصح الاكتفاء بهذا النظام على أن ينتهى بانتهاء مدة الخدمة لرجال القضاء الشرعى الحاليين ثم ينفرد بالقضاء بعدهم القضاة من خريجى كلية الحقوق فان فى ذلك هدم صرح شامخ من العلم والفقه الإسلامى يقدره حق قدره علماء القانون وفى مقدمتهم رئيس لجنة تنظيم القضاء ، كما أن فى ذلك تعريض العدالة لخطر وشيك الوقوع .

ورئيس لجنة تنظيم القضاء الذى يرى تخصيص القاضى بناحية فى جميع مراحل القضاء لاشك أنه يرى أن من مصلحة العدالة تخصيص قاض بالأحوال الشخصية وأنه لا يصح

أن يملأ ذلك المركز إلا من مارس الأحوال الشخصية فى الدراسة خمسة عشر عاما ثم فى الكتابة بالمحاكم ثم فى عمل الموظف القضائى .

بهذا نتوجه إلى رجال الثورة وإلى الضمائر الحرة لرجال تنسيق القضاء بين مصر وسوريا ، وإلى كل ذى رأى حر والله الغيور على دينه وعلى العدالة نسأله أن يلهم الجميع الصواب ويوفقهم لإعلان كلمة الحق إنه سميع مجيب .

ومن أهم أحداث العام الماضى وأخطرها زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لجمهوريات الاتحاد السوفيتى تلك الزيارة التى زادت أواصر الصداقة بين الجمهورية العربية وجمهوريات الاتحاد السوفيتى توثقا وقوة ، وأعلن فيها كل منهما لصاحبه الحب وبادله الود والإخلاص ، ووقعت بينهما اتفاقات تجارة وتصنيع ، وبدأت فعلا ترد إلى مصر آلات المصانع وتتلاحق ، ويفد الخبراء والفنيون على الجمهورية العربية وفى تقدير رجال المال والأعمال أنه لا تمضى فترة وجيزة إلا وتكون الجمهورية العربية قد شغلت المركز اللائق بها فى التصنيع والتجارة والزراعة ، وتصبح من الدول الكبرى فى الشرق ، وهذه بعض آثار تلك الصداقة هذا إلى مساندة روسيا التى تعتبر الدولة الأولى فى العالم لجمهوريتنا فى ميادين السياسة وفى مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وفى ميادين الحرب الباردة وفى كل موطن تحتاج فيه الجمهورية العربية بشطريها إلى سند قوى ومعين مخلص يساعدها فى درء قوى الشر والعدوان عنها .

وليست هذه الزيارة الكريمة تستدعى التجرد عن مبادئنا وخلع ديننا والتقمص بالمبادئ الشيوعية بل ولا تستدعى الصداقة بيننا وبينهم ذلك ولكن آثارها كما قلنا مبادلة الحب والإخلاص ، ولكل مبادئه وعقيدته بل ولكل سياسته ، ولهذا ما ترك الرئيس جمال عبد الناصر فرصة تمر إلا أعلن فيها سياسته الحيادية ورفع صوته جهوريا فى خطبه باستمساكه الشديد بسياسة الحياد الإيجابى على رءوس الأشهاد وعلى العالم أجمع ، تحت سمع وبصر أصدقائه الروسيين ، وقد عظم بذلك فى نظر ساستهم وقدروه حق قدره بشخصيته الفذة المستقلة ، فهو والحق يقال ، سافر الى روسيا وقلبه يفيض بالإيمان بربه والتمسك بدينه ومذهبه فى سياسة الحياد الإيجابى والحرية التامة فى الرأى والاستقلال فى السياسة ، ثم عاد كما ذهب وقلبه مطمئن بالإيمان ومذهبه السياسى أقوى وأوثق وصلاته برجال السياسة فى العالم أوسع وأشمل .

فلله الحمد أعظم الحمد على هذه النتيجة الباهرة السعيدة ، فقل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالنا بروسيا ، اطمئنوا فالرئيس الحازم ورفاقه من رجال الثورة أقوياء الإيمان بربهم وثيقو التمسك بدينهم ويحتفظون لجميع الأديان السماوية بحقها ، ويمنحون الحرية لمن يدين بها كما يسمح بذلك الإسلام ، قل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالنا

بروسيا اطمئنوا على دينكم ودولتكم ، فما دام الأزهر قويا يؤدى رسالته ، وما دام الأزهر عزيزا الجانب فلا خوف على الجمهورية العربية بشطريها ولا على سائر بلاد العروبة من الشيوعية والمذاهب الهدامة وإنى أسأل الله من أعماق قلبي أن يديم الأزهر فى مصر قويا عالى المكانة وضاءا يشع نوره على جميع الأقطار الإسلامية والعربية إن ربى لسميع الدعاء.

وآخر الأحداث الخطيرة فى العام الهجرى المنقضى حدث الثورة العراقية فهو بحق مسك الختام لحوادث هذا العام .

ففى الساعة الثالثة صباحا من يوم الاثنين المبارك السادس والعشرين من ذى الحجة سنه ١٣٧٧ هـ (١٤ يولية سنة ١٩٥٨ م) بدأ زحف الجيش العراقى الباسل بقيادة فريق من الضباط الأحرار يتقدمهم الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ولم تمض أكثر من ساعة حتى كانت الثورة قد سيطرت على جميع المرافق الهامة .

وفى الساعة الرابعة أعلن مذيع محطة بغداد ما يأتى :

فى ليلة ١٤ يولية سنة ١٩٥٨م بدأ الزحف المقدس ــ الجيش العراقى الباسل نفض عبء الاستعمار عن كاهله ــ أفاق العرب من نومهم ــ سطعت أنوار الحرية ــ عمت الابتسامات أبناء الشعب ــ كان تحرير العراق حلما أصبح الآن حقيقة .

ثم أعلنت إذاعة بغداد أن الجيش قرر انتهاء عهد الملكية وبدء الحكم الجمهورى ــ وتأليف مجلس سيادة برياسة الفريق الركن نجيب الربيعى ويتمتع هذا المجلس بسلطات الجمهورية ويقوم بانتخاب الرئيس ــ وتألف مجلس وزراء برياسة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم .

واستمرت الثورة تمتد إلى بلاد العراق وتستولى على المرافق ودور الحكومة وثكنات الجيش وما أن انتصف النهار حتى كانت جميع بلاد العراق قد بسطت الثورة يدها على جميع ما فيها واستقرت فيها الحال وتبادل الناس التهانى وبدأ سيل التهانى من هيئات الشعب وأفراده من جميع الطبقات ينساب على قائد الثورة ومجلس السيادة ، وباركت الشعوب العربية كلها ثورة العراق وعمها السرور بتأييد الله لها ونجاحها لأن فى نجاحها انتصارا رائعا للقومية العربية .

ولكن دول الاستعمار أذهلها النبأ وكانت تظن أنها سحقت فى العراق حركة التحرر الوطنى وخيل إليها أن السكون الذى ساد العراق هو سكون الخضوع والاستسلام ولكن خاب ظنهم فقد كان هذا السكون سكون التحفز والانتفاض لإزالة الحكام الذين وضعهم الاستعمار لحكم الشعب لمصلحته فى سبيل المنافع الشخصية والذين جهدوا لإخراج الشعب العراقى من محيط القومية العربية المتحدة فدالت دولة عملاء الاستعمار فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » .

أجل إن هذا الحادث من أخطر أحداث هذا العام ، وهو منها كما قد قدمنا مسك الختام إذ تألق فى تاج القومية العربية نجم جديد، ورجاؤنا فى فضل الله أن يتلوه نجم بعد نجم للدول العربية حتى تتم وحدتها و يرتفع علمها الموحد مرصعا بالنجوم لكل دولة منها نجم يتألق فى الأفق وكما بدأ الإسلام غريبا حيث قام على أفراد قلائل ثم أخذ يزداد شأنه إلى أن انبسط سلطانه فى مدة وجيزة على كثير من آفاق المعمورة كذلك تعود جدته و يقوى شأنه ثانيا شيئا فشيئا ولا تزال دويلاته ودوله تتحرر وتقوى وتتجمع وتتحد حتى يعود فى مدة وجيزة سلطانه و ينبسط على ما كان ينبسط فى المعمورة أو يزيد و يضىء نوره فى الآفاق على ما كان يضىء أو يزيد وتتحقق بذلك غرابة الإسلام فى عودته كما تحققت فى مبدئه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ .

وبعد : فإن مجلة الأزهر تفتتح باسم الله عامها الثلاثين فى الدعوة إلى الله ودرء الشبهات عن الدين وهدم ما يشيده الملحدون حتى يظهر وجه الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، كما خلقه الله صبوحا وضاء يجذب قلوب العالمين و يهديهم الصراط المستقيم ، وذلك أول واجبات مجلة الأزهر لتطمئن إلى دخول الناس فى الإسلام أفواجا إذ هو الدين عند الله ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه .

وكذلك تحرص مجلة الأزهر فى أداء الواجب المقدس نحو هداية الناس إلى الدين على إرشادهم للتخلق بالخلق الإسلامى الكريم ، وبذل المستطاع فى تهذيب النفوس وتكميلها بالفضائل وتطهيرها من الرذائل حتى يتحقق بعد توحيد الله المقصد الأسمى الذى صرح به صاحب الرسالة فى قوله (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وكما تؤدى ذلك مجلة الأزهر ، تؤدى معه بدقة واجبها نحو اللغة العربية لغة الكتاب والسنة ، ومفتاح كنوز الدين .

ولا تدخر جهدا فى القصص الحق عن رجال التاريخ الإسلامى ونشر كل ما ترى فى نشره مصلحة تعود على الإسلام والمسلمين .

ونحمد الله جزيل الحمد على توفيق مجلة الأزهر لأداء واجبها كاملا ، ونرجوه أن يديم لها التوفيق فى المستقبل من أيامها ، وأن يمدها بعونه حتى نرى صورتها أتم وأكمل وأبهج وأجمل .

ونزجى جزيل الشكر لمن وفقهم الله لمساعدة المجلة على أداء رسالتها بأقلامهم وعلمهم وثقافتهم ، ونرجو الله أن يوفقهم فى المستقبل للمشاركة فى حمل ألوية الدعوة إلى دين الله ، والله المستعان .

عبد الرحمن عيسى
مدير المجلة

نفحات القرآن

– ٦١ –

موقف الحق من الباطل

الحاضر أشبه بالماضى

« وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناما آلهة ؟ إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » .

إبراهيم الخليل كان فى الطبقة العاشرة من أحفاد نوح عليهما السلام .

وبعد الطوفان بفترة غير وجيزة ، عمرت الأرض ثانيا بذرية كاثرة لمن كانوا مع نوح فى سفينته الناجية من الغرق ، وظهر عمرانها كذلك بكائنات أخرى من حيوان وأطيار ، كانت مع نوح فى السفينة ، ثم عاشت برعاية الله بعد ذلك ، تغدو وتروح فى فجاج الأرض وسمائها .

وقد شاء الله لخليله إبراهيم ، أن يكون كالدوحة اليانعة ، تنفح الناس بنسماتها فى الجو الهجير .

بعث الله إبراهيم ليجدد الحياة الروحية فى معشره ، ولينشر من ضوء المعرفة ما يبدد جهالة قائمة وقاتمة فيهم ، وليجتاح وثنية ناجمة فيهم .

والدعوة إلى الحق لا يسهل ترويجها ، ولا تستغنى أبداً عن جهود شاقة فى سبيلها ، ولا عن مصابرة للغواة الذين يخاصمونها ، ويتبجحون فى مقاومتها ، ويؤثرون أن يرتعوا دائما فى وادى الباطل .

وإذا كانت الأنفس غير مطبوعة من أول أمرها على المعرفة ، ولا جانحة إلى الزهادة فى شهواتها ، فلا عذر لها فى العكوف على الغى بعد أن يجيئها الناصح الأمين يستنهضها إلى الخير ، دون أجر على هذا ، ويصابرها فى التوجيه والإرشاد دون حرج عليها : إلا أنه تهذيب لهم ، وتطهير لدخائلهم ، وتقويم لحياتهم فى ضوء المعالم التى يحملها من عند الله .

وهذا إبراهيم عليه السلام - يرى من قومه ومن أبيه - آزر - شركا بالله ، وعبادة للكواكب أو الأصنام فى إصرار على ذلك .

فيوجه إلى أبيه كما وجه إلى غيره ، ويخص أباه بشىء من الإقناع ليكون فى ذلك استدراجاً للآخرين إذا لحظوا أن تقبيح الوثنية أمر يشملهم كما يشمل أبا إبراهيم أو لحظوا أن وراء الدعوة خيراً يريده لهم كما أراده لأبيه « آزر » .

دعا إبراهيم أباه إلى توحيد الله ، وساجله الحديث غير مرة حتى داخله اليأس من مطاوعته ، ولمس منه الزهادة فيما نصح به ، اشتد عليه فى الجدل وأغلظ فى الإنكار ، وقال له : « أتتخذ أصناما آلهة ؟ » وكأنه سمع جواباً غير حميد ، وصادف نقاشاً غير لين ، فقال له : « إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » .

ومن سنن الأنبياء والمصلحين أن يترفقوا بالناس فى دعوتهم ، ليتألفوهم ، ويهونوا عليهم ترك ما اعتادوا ، والأخذ بما لم يعهدوا ، ولكن إذا لقيت الدعوة مكابرة ، وصادفت جموداً ، واقتضى الحال أن يصارح الداعى أهل الباطل بباطلهم فى أعنف ما يكون من القول فحينذاك لا يقال : إن الداعى أغلظ فى دعوته ، أو قسا فى لهجته ، فإن الداء الدفين يحتاج إلى استئصال ، ولا يقتلعه غير العلاج الحاسم بعد أن يكون الرفق غير مجد فيه .

وهنا لا يكون إبراهيم إلا داعياً رفيقاً بأبيه حينما صارحه بقوله : « إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » ! ! والرفق فى الدعوة ، مع الأخذ بجانب من الشدة حين الحاجة إليها هو المنهج المشروع فى تبليغ الرسالات ، وهو المنهج المفروض على كل ذى دعوة يواجه الناس فى شأن دينى أو دنيوى .

وهو المنهج الذى يلائم الفطرة ؛ لأن الإنسان إذا نشأ على نزعة ، أو شب على عادة فهى أحب إليه من سواها حتى يردعه عنها رادع فى لين أو قسوة ، وذلك مفروغ منه . . .

هذا : وقد كانت محاولة إبراهيم أن يجارى قومه فى تقديس الكواكب ، حتى يبدو من شأنها ما لا يتفق مع صفات الألوهية المزعومة عاد بالإنكار على قومه فيما اعتقدوا من باطل نحو هذه الكواكب : رأى بالليل كوكبا واضحا ، فقال هذا ربى ، فما لبث الكوكب أن أفل ، وخبا نوره فسارع إبراهيم وقال على مسمع من القوم « لا أحب الآفلين » يعنى لا يصلح هذا أن يكون ربا ، .

ثم رأى القمر ساطع النور فقال « هذا ربى » فما لبث القمر أن تضاءل . وأفل ، فأعلن إبراهيم أنه بحاجة إلى الهداية للحق وأن القمر لا يصلح أن يكون ربا .

وقال « لئن لم يهدنى ربى ، لأكونن من القوم الضالين » وفى هذا الندم إشعار للناس بما هم عليه من باطل واستدراج إلى الصواب الذى يغيب عنهم فى زحمة الخواطر الفاسدة .

ثم يرى إبراهيم الشمس بازغة فى ضوئها وبهجتها فيقول : « هذا ربى . هذا أكبر » ولكنها أفلت آخر النهار ، كما هو شأنها ، وكما يعلم القوم ، وحينذاك نهضت حجته وصارحهم بالبراءة من معتقدهم ، ومن شركهم ، وقال فى رفق « يا قوم ! ! إنى برىء مما تشركون » .

ثم اتجه إلى تعريفهم بالله الذى خلق تلك الكواكب ، بقدرته ، وسخرها بحكمته ، وأخضعها لأمره وإرادته « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، حنيفا - مائلا عن الباطل - وما أنا من المشركين » .

يعنى أنه لا يتابع قومه فى تركهم ، وأنه يتجه بقلبه فى إيمانه ، ويتجه بقلبه فى عبادته إلى الله حالة كونه حنيفا آخذا بالحق فيما هو عليه مائلا عن الباطل كله .

وبهذا وصل إبراهيم فى جدال أبيه وقومه إلى دحض مفترياتهم ، وإقامة الحجة عليهم فى بيان الحق ، فمن كانت وجهته الاهتداء فقد وضحت سبيله ، ومن كانت وجهته العناد فليس بعد الحق إلا الضلال .

هذه شرعة إبرهيم فيما علمه ربه ، وهى شرعة النبيين من بعده وشرعة الإسلام فى الدعوة إلى الخير كله .

وإبراهيم هو الشجرة المورقة التى تفرعت عنها النبوة من بعده فى إسماعيل ومحمد ، وفى إسحاق وبنيه من أنبياء بنى إسرائيل عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

والقصص عن إبراهيم وغيره من الأنبياء قصص حق لا مرية فيه . . وقد لا يراه البعض جديداً ، ولا حديثا ذا بال .

ولكن التوجيه الدينى الذى يساق لأجله القصص يرسم لنا طريق العبرة ويضع لنا تعاليم الهداية .

وما دمنا نعيش فى دنيانا ، ونختلط فى مجتمعنا أو نستقبل أزمنة متجددة ، أو أحداثاً طارئة ، وتطالعنا الحياة فى ألوان متعاقبة ونستهدف لأوضاع ، وشئون نحتاج فيها إلى أسباب

السلامة من المكاره ، والاستظلال بظلال النعيم والطمأنينة ، فلا يعتبر القصص الذى نتلوه وتسمعه حديثا معادا ، ولا تعليا مفروغا منه .

بل هو جديد دائما ، بتجدد الحياة ، مخافة أن تستبد بنا الحياة الدنيا ، وتشغلنا عن الأخذ بما رسمت لنا سياسة السماء ، فتنقطع الصلة بين الناس وربهم .

والله تعالى قد أقام دنيانا على مقتضى علمه وحكمته ، وتعهدنا فيها بالإرشاد ، ونبهنا إلى أن ذلك الإرشاد ضرورى لنا كأناس لهم قدر عند ربهم ، ولهم ميزة على سواهم ممن خلق ، وفى هذا يقول سبحانه « أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ ؟ » « ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين » ـ طريق الخير وطريق الشر ـ « ولقد كرمنا بنى آدم . . وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وهل يعتبر القصص لمجرد التذكير بما سلف ، دون أن يكون له واقع بيننا ، فنأخذ من ماضينا لحاضرنا ، وننتقل فى ضوئه من حاضرنا إلى مستقبلنا ؟ ؟ .

ربما ظن بعض الأغرار أن القصص تاريخ محض لا صلة له بحياتنا ، ولكن نظرة يسيرة تكشف عن قرب الشبه بيننا وبين أولئك الأسلاف القدامى .

وربما وجدت كثرة مثقفة تقف من القصص هذا الموقف عينه فهم تعلموا ،ولم يتعلموا . .

تعلموا هوس الملاحدة ، وتبجح بعض المتفلسفة وطربوا لما هناك من نزعات طائشة هدامة ، ولم يتعلموا شيئاً مما يكفل سعادة ، أو يهذب روحاً ، أو يربى ضميراً .

تركوا الأدب المشروع ، والثقافة الخالدة ، واتجهوا نحو الأدب الموضوع ، وأدخلوا فيه كل موبقة ، وحسبوا منه المجاهرة بالإباحية التى تأباها الفطرة حتى فطرة الحيوان الأعجم .

كان الانحراف قديماً أثراً من آثار الجهالة التى حاربها الأنبياء ثم أصبح فى عهودنا هذه أثرا من آثار التعليم المدنى الذى اقتاد الناس إلى العدوان على مقومات الإنسانية باسم الفلسفة وباسم الحرية ونحو هذا مما لا يصح أن يدخل فى نطاق التربية ، ولا يجوز أن يحمل اسم العلم إطلاقا ، وإلا كان هذا استهتاراً بالعلم ووضعا من قدره .

فليت نفحة من نفحات الله ترطب تلك العقول التى ألهبتها وساوس الشياطين ، وتقف بتلك الأفكار عند حـــد الاعتدال ، فتكون الدعوة إلى الصواب مقبولة عند أولئك المعاصرين الذين يعارضون الحق بالباطل ، وتكون دعوة المصلحين منهجاً يأخذون به ، ويؤازرونه فى التوجيه . والله يهدينا ويهدى الجميع ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

الهجرة الميمونة

لقد دار الفلك دورته ، وأعاد العام الهجرى سابغ نعمته وسيرته . وأظلنا عام هجرى جديد . رائحته ذكية ، وشذاه يملأ جميع البقاع الإسلامية ، يحمل معه أمجاد الإسلام الخالدة ، ومفاخره السامقة . التى لها أصل ثابت وفرع فى السماء . وهو حادث يذكرنا بما أفاء الله على خاتم رسله من الخير لسائر الأنام ؛ رحمة وذكرى لأولى العقول والأحلام ! وإنا لنضرع إلى الله مخلصين فى الدعاء أن يهل علينا هذا العام الجديد حاملا بين طياته الأمن والطمأنينة لبنى الإنسان ، فى كل بقعة من بقاع الأرض وفى كل مكان ، كما نسأله أن يتم على الأمم المستعمرة نعمة الحرية والكرامة والعزة ، وأن يرفع عن أعناقها نير العبودية ، ويعزها بفخر الحرية ، وأن يجنب العالم ويلات الدمار والفناء ، ويجمع قلوب البشر على شرعة من المساواة والإخاء والعدل والسلام .

ولئن عدت الحوادث الجسام التى هزت الإنسانية فى تاريخها الطويل منذ وجدت ، لجاء حادث الهجرة فى الصدارة وفى الذروة منها ، فهو الحادث الذى غير وجه التاريخ ، وأنقذ العالم من ظلمات الجهل والفوضى والاضطراب ، وطهره من فساد العقيدة ، ووصل به إلى نور العلم والاستقرار ، وسلامة العقيدة التى أنارت القلوب وطهرت النفوس ، فأحكمت سير الجوارح وأقامتها على الطريق القويم ، والصراط المستقيم ، صراط من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

فحادث الهجرة يبعث فى النفوس ذكريات البطولة والعظمة ، بطولة فى أجلى مظاهرها ، وعظمة فى أعز سلطانها ، كما يبعث ذكرى الصبر فى أكمل معانيه ، والتضحية فى مثلها العليا ، والإيثار فى أوضح صوره ، وإنكار الذات فى أرفع مثله ، وعزة النفس فى بليغ ثقتها . فقد ظل الرسول عليه السلام بمكة ثلاثة عشر عاما يبشر وينذر ، ويدعو قومه سراً وجهراً ، فما لانت لهم قناة ولا رق لأكثرهم قلب ، ولا انشرح لدعوته صدر ؛ لأن الحفاظ على القديم والاعتصام بالوثنية التى وجدوا عليها آباءهم لم تزدهم إلا عناداً لهذا الدين الجديد ، ولم تبلغ بهم إلا فرارا واستكبارا ، وكلما أمعن الداعى فى تبليغ رسالته أمعنوا فى المكر به ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فالهجرة أمر محتوم استدعته الظروف والملابسات ، لأن الموقف أصبح محصوراً فى أمرين إما نزول الداعى عن دعوته والرجوع عن التبشير بهذا الدين الجديد ، أو الخروج إلى مكان يطمئن فيه إلى نشر دعوته ، وأداء رسالته ، فى بلد طيب يتقبل أهله هذه الدعوة بالقبول الحسن. وكيف يكون النزول عن الدعوة من مصلح ، بله رسول صمم على القيام بواجبه والجهاد فى سبيل دعوته ، وهو الذى صور دعوته أروع تصوير حينما دعاه عمه أبو طالب للكف عما هو سائر عليه من تبليغ الرسالة ، فقال عليه السلام قولة ملأت سمع الدنيا « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وإذا ما أردنا الانتفاع بعظات الهجرة وجب علينا أن نتعلم منها كيف يكون الحفاظ على العقيدة ، وكيف يكون البذل فى القيام بواجبها ، فصاحب العقيدة الحقة يجب عليه ألا يتقيد بزمان ولا بمكان ، بل بقاع الأرض كلها ميدان له يركض أنى استطاع أن يركض ، ويوجف حيث استطاع الإيجاف ، فسيره يتكيف تبعاً للظروف والأحوال ، فأنت ترى النبى عليه السلام حينما أمر بالجهر بالدعوة بعد أن نزل عليه قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » يشعر بعظم الأمر ويقول لزوجه خديجة رضى الله عنها : (ياخديجة قد انقضى زمن النوم والراحة ، فقد أمرنى جبريل أن أنذر الناس ، وأن أدعوهم إلى الله تعالى وإلى عبادته ، فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب لى ؟) . فهذه المقالة تدل على كل ما جال بخاطره عليه السلام مما تستلزمه دعوته من جد وعمل مع من أرسل إليهم من عباد الأصنام والأوثان ، وما هم عليه من فوضى واضطراب فى العقيدة الباطلة التى ورثوها ، وأصبحت طبيعة لهم لا يتزحزحون عنها ، وإن أروع مثال للتضحية فى سبيل المبدأ والعقيدة ما قام به فى عرض دعوته على ثقيف بالطائف ، ورجوعه منها بشر جواب ، إذا أغروا به سفهاءهم يضربونه ويسبونه ، فلجأ إلى بستان لعقبة وشيبة ابنى ربيعة فاحتمى به من شر هؤلاء السفهاء ، وتحمل ذلك الإيذاء بصبر وجلد ، وجعل تلك الهزيمة وسيلة لمضاعفة الجهد ومضاء العزيمة .

وإن محاصرة محمد ومن تبعه فى شعب أبى طالب ، وقطع موارد التموين عنهم حتى يموتوا جوعا أو يرجعوا إلى دين آبائهم وأسلافهم ، تلك المحاصرة التى استمرت ثلاث سنوات ، قاطع فيها المشركون محمداً وصحبه فلم تلن لهم قناه ، ولم تضعف لهم عزيمة ، ولم تتزعزع لهم عقيدة ، رغماً من أكلهم أوراق الشجر ، فلم تزدهم الشدة إلا صلابة ولم يزدهم التعذيب إلا ثباتاً . فى الهجرة وفى مقدماتها وفى آثارها عظات تبنى عليها دعائم أقوى الأمم وأعز الشعوب ، ومن الهجرة يجب أن نتعلم واجب الجندى مع قائده ، فالجندى يفتدى قائده بماله وروحه ، ولنا فى الحديث عن أبى بكر

رضى الله عنه وعما أداه للجندية من وفاء وإخلاص أعظم عبرة ، فهو الذى ترك ماله بمكة ليفر بدينه ، ويكون بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتدياً له بائعاً نفسه بيع السماح : فقد وصل الرسول عليه السلام وأبو بكر إلى الغار ، فدخل أبو بكر يفتش الغار مخافة أن يكون فيه ما يؤذى من الحشرات، فقال له الرسول: مالك يا أبا بكر؟ فقال بأبى أنت وأمى! الغيران مأوى السباع والهوام ، فإن كان فيه شىء من الأذى كان على لا عليك ، وقد وضع عقبه على جحر فى الغار خشية أن يخرج منه ما يؤذى الرسول عليه السلام . وفى الإيثار الذى ظهر من الأنصار فى المدينة عظة وأى عظة ! فهؤلاء الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهم الذين قال لهم النبى إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم ، وقسمت لكم من الفىء كما قسمت لهم، وإن شئتم كان لهم القسمة ولكم دياركم وأموالكم . فقالوا: لا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالفىء ولا نشاركهم فيه ، فأى سخاء يعلو على هذا السخاء ! وأى جود يصل إلى هذا الجود ! وليس عجيباً أن يكون الأنصار على هذا السمو الخلقى ، وهم الذين ارتضعوا من ثدى التعاليم الإسلامية وأشرقت قلوبهم بنورها ، ومعلمهم الرسول الأكرم ! الذى كان أجود بالخير من الريح المرسلة! فقد عمل الإخاء الإسلامى الذى وضع الرسول أساسه بين المهاجرين والأنصار ، ما لا تعمله وسائل القهر والاضطهاد ؛ لأن الإخاء النابع من القلوب ينبت أطيب الثمار من المودة والألفة والمحبة ، فإذا سمينا عيد الهجرة عيد الحرية والنصر ، فذلك قول الصدق وكلمة الحق قال تعالى: « إلا تنصروه فقد نصره الله، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

ولقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده . ففى العام التاسع من الهجرة خفقت راية الإسلام على أكثر بلاد العرب ، وأمن أهلها على أنفسهم ، وخرج النبى عليه السلام إلى غزوة تبوك يقود جيشاً عدته ثلاثون ألفاً ، وصالح أهلها على الجزية ، وقد كانت هذه البقاع تابعة للروم ، وفى السنة العاشرة حج النبى مع أصحابه حجة الوداع ، وخطب خطبته الجامعة التى ضمنها من التعاليم ما يكفل للمسلمين نظاما ثابتاً لدينهم ودنياهم ، فيها الخير والرشد وقد نزل عليه فى يوم الحج الأكبر قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا) ولم يكن خاتم الرسل عليه السلام أول من هاجر فراراً بدينه ودعوته من بيئة الظلم والشرك والاضطهاد والأذى ، فالقرآن الكريم يحدثنا عن كثير من الرسل

هاجروا بعد أن أبلوا وجاهدوا فى دعوة قومهم وأهلهم إلى الإيمان بأقوم حجة ، وأفصح منطق ، وأبلغ قول . وكلهم كانت هجرته تخلصا من الأمكنة التى عميت أبصار أهلها عن رؤية الحق ، وصمت آذانهم عن سماع دعوة الصدق ، وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب . وأى تضحية تصل إلى تضحية على وأبى بكر رضى الله عنهما لنجاح هذه الهجرة ، فكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على تبليغ دعوته ورسالته ، كان على وأبو بكر حريصين على حياة الرسول وسلامته مهما لقيا فى سبيل ذلك من الشدائد والمخاطر ؛ فقد نام على رضى الله عنه فى موضع يعلم المشركون أن النبى عليه السلام ينام فيه ، وكان على يعتقد أن المشركين لا يغفلون طرفة عين عن محاصرة الرسول وعدم تمكينه من الخروج من مكة ، ومع ذلك فقد استعد للتضحية والفداء ، وأدى هذه المهمة التى تحيطها الأخطار والأهوال .

ولقد كان أبو بكر يتقدم الرسول أحيانا فى السير ، ويتأخر عنه أحيانا أخرى . فقال له النبى لم تفعل ذلك يا أبا بكر؟ فقال أتذكر الرصد الذى أمامك فأتقدم عليك دفعا لمكروه يلحقك ، وأتذكر الطالبين لك فأتأخر عنك مواجهة للأخطار قبل أن تصل اليك . فقصة الهجرة رهيبة فى بدايتها ، جليلة فى نهايتها . فقد كانت الدعامة القوية فى بناء الدعوة الإسلامية .

ولقد أدرك أمير المؤمنين الفاروق عمر رضى الله عنه بثاقب حكمته - وهو الملهم بشهادة الرسول عليه السلام - أدرك رضى الله عنه ما للهجرة من فضل وخير على الإسلام والمسلمين . فاختار الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى ؛ لأنها أروع حوادث الإسلام ، وأحفلها بجلائل الأعمال . ولما نزل النبى عليه السلام يثرب سرعان ما ألف بين قلوب أهلها من الأوس والخزرج وكانوا متباغضين فأصبحوا بنعمة الله إخوانا . ثم آخى بين الأنصار والمهاجرين أخوة فى الدين ربطت الأرواح ، وجمعت القلوب ، وكانت السبيل إلى إعلاء كلمة الإسلام . ولم تطل الأيام التى قضاها الرسول عليه السلام بالمدينة ، فقد كانت ما يقرب من عشر سنوات ، عاد المسلمون فى أواخرها إلى فتح مكة ؛ ليطهروها من الشرك ، ويزيحوا عنها دنس الأصنام ، وليرفعوا كلمة الله فى بيت الله . والمشركون لا يطيقون لهم رداً ولا دفعاً ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا : ودخل الرسول عليه السلام مكة ظافراً قاهراً ، مع أنه خرج منها قبل ذلك فاراً بدينه ، ولقد جمع خصومه المشركين من أهل مكة وسألهم ما يظنون أنه يفعل بهم؟ فقالوا . خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . فعفا عنهم وقال لهم : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) : وإن الحفاظ على العروبة والإسلام فى هذه المحنة الحاضرة لهو أنجع علاج لهذه الشرور وتلك المخاطر . فقد عمل الاستعمار على

البقية بالصفحة التالية

نحن والصيف

لقد مضى الربيع وأقبل الصيف « يقلب الله الليل والنهار » ، « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » . . . وإذا كان الربيع يذكر الإنسان بموسم الورود والرياحين ، واعتدال الجو ولطف النسيم ، فإن الصيف يذكره بفترة من فترات الاختبار والابتلاء ؛ لما فى الصيف من شدة وعنف . ولقد كان الصيف يمر على أجدادنا فيرحبون به ويفرحون فيه ، ويتخذونه فرصة من فرص التدريب للعزائم على الثبات ، والتمرين للنفوس على الاحتمال ، فكانوا يحبون الصوم فيه راضين بما يذوقونه خلاله من شدة وظمأ ، ولذلك نسبوا إلى الإمام على رضى الله عنه أن من أحب الأشياء إليه أن يصوم فى الصيف . . . وكانوا يرحبون بالجهاد فيه ، ويرون فى العرق المتصبب من جباههم أثناء كفاحهم طهوراً يذهب ذنوبهم وضراءهم ، ويحقق سعادتهم وسراءهم ، وهذه غزوة تبوك تأتى فى وقت الحر والفقر والجوع معاً ، فيسارع إليها أبناء الإيمان مستخفين بالتعب والنصب معرضين عن الراحة والهدوء ، ويخرجون فى الظمأ واللظى ليؤدبوا أعداء الله وأعداء الإسلام .

وكان المنافقون يحرضون المسلمين حينئذ على عدم النفير فى الحر ، ويغرونهم بالبقاء فى الظلال والرياش ، فلا يصغون إليهم ، ولا يسمعون منهم ؛ لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن عقاب الله على التفريط والتقاعس أشد وأنكى : « وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون » .

تفريق الدول الإسلامية بعضها عن بعض ؛ ليقوى سلطانه ويشتد نفوذه ، ويسيطر على ميزان القوى فى جميع البلاد العربية والإسلامية . وإنا لنرجو للمخلصين فى هذه البلاد توفيقاً وعوناً من الشعوب التى استيقظت بعد سبات طويل ، وانتفضت انتفاضة قوية بعد رقاد ؛ بتخدير المستعمرين . فليس أطيب لنفس المستعمر من جهل الأمم المغلوبة وضعفها وذلها ، لأنه بمقدار ضعفها وذلها يزداد عزه وقوته وسلطانه فيها . وكلما رأى المستعمر يقظة من الشعوب المستعبدة خفق قلبه واصطكت أسنانه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فكر مكراً بهذه الأمم ليفوت عليها فرص اغتنام حريتها وعزتها وسلطانها . وإن فى الحركات القوية المتعددة فى الشعوب المستعمرة لتباشير قوية ، تؤذن بانبثاق فجر جديد بعد ليل طويل اشتدت ظلمته ، حتى كادت النفوس أن تيأس من انتهائه ، وليس على الله بعزيز أن يبدل عز المستعمر ذلا ، وسلطانه ضعفا ، إنه على ما يشاء قدير .

عبد الله مصطفى المراغى

وهذا هو الصحابى « أبو خيثمة » يتأخر قليلا عن الخروج مع رسول الله عليه صلوات الله فى غزوة تبوك ، ويعود أبو خيثمة إلى بيته فيجد امرأتين له فى عريشين بداخل حديقته وكل منهما قد رشت عريشها ، وبردت له ماء ، وهيأت طعاما ، والجو حار ، والرحلة عسيرة فنظر أبو خيثمة إلى امرأتيه وما صنعتا ثم قال : « رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح (الشمس) والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ! ! ما هذا بالنصف (الإنصاف) والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيئا لى زادا » . وخرج حتى لحق بالرسول الذى قال له : أولى لك يا أبا خيثمة ! ولما قص عليه أبو خيثمة أمره . قال له الرسول خيرا ودعا له بخير . . .

* * *

نعم جاء الصيف وفيه ترتفع درجة الحرارة ، وتتمدد الأشياء ، فتتحرك الجراثيم من مراقدها ، وتكثر الحشرات والهوام ، مما يستلزم الحيطة والحذر ، ويدعو إلى النظافة والوقاية والحرص على التطهر والنقاء . . . وبجوار هذه الحشرات والقاذورات الحسية الحقيرة تنطلق فى الصيف جراثيم بشرية وحشرات أخرى من الخلق ، لها خبثها ونجسها ، ولها شرها وضررها ؛ فمن هذه الحشرات طوائف من النساء ينتهزون موسم الصيف للتعرى من الثياب والحياء معا ، ويتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ويبدين من الزينة والأطراف والعورات ما يثير ويفتن ، ويلبسن تلك الملابس المحزقة ، الضيقة الملصقة ، التى يعجب الناس منها ويتساءلون عنها : كيف استطاعت هذه المرأة المتبرجة أن تحشر جسمها حشرا فى ذلك الثوب الشفيف الضيق ؟ ولأى غرض أبدت من جسمها ما أبدت ، وضغطت ما ضغطت وحددت ما حددت ؟ . . . إنما فعلت ذلك لتزيد العيون الجائعة نهما وشراهة ، وتغرى الذئاب المترصدة بالهجوم والاعتداء ، وتثير فتنة جنسية ليست دواعيها قليلة . . . والأزواج ساكتون ، والآباء غافلون ، والأمهات لاهيات ، وولاة الأمور لا يتدخلون ، وليكن ما يكون ! ! . . .

وإذا وجهت اللوم أو النقد إلى فريق من هؤلاء أجابوك بقولهم : « إن للصيف حكمه » . فلا كان هذا الصيف الذى يفتح علينا أبواب البلاء بهذه الصورة ، ولا كان هؤلاء الذين يسيئون استغلال الصيف ، ، فيجعلونه موسم تحلل وفجور ، لا موسم راحة وهدوء ! . . .

* * *

ويقبل علينا الصيف فتقبل معه مأساة المصايف على الشواطئ ، حيث يفتح الشيطان

اللعين عند كل شاطئ ملعبا خطيرا خبيثا من ملاعب الإثم والفتنة ، يعرض فيه لحوم النساء المسلوخة من صيانتها وعفتها أمام أنظار الرجال المتجردين من ثيابهم وغيرتهم ، وهناك يكون ما يكون مما أصبح الحديث عنه موصوفا بالتكرار والسأم والملل ، وإن كان الواجب على دعاة الخير ألا يسأموا من معاودة النصح وتكرار التذكير ، وخصوصا أن البلاء يزداد عاما بعد عام . . . ففي الماضي كان الناس يقصدون المصايف على خجل واستحياء ، ويخلعون ثيابهم في نوع من التستر والمواراة ، وأما اليوم فلا خجل ولا حياء .

وبالأمس كان هناك من علماء الإسلام من يقاومون وباء المصايف ، ويناهضون ما فيها من فجور ، وكان هؤلاء العلماء يلقون التقدير والإعجاب من الكثيرين ، وأما من يفكر اليوم في مقاومة المصايف وفجورها فإنه يكون موضع السخرية والاستهزاء ، وهكذا أصبح الحق غريبا مهضوما في دنيا الباطل العريض الأثيم . . . وبالأمس كانوا يخصصون في الشواطئ أماكن أو أوقاتا للنساء ، فأصبح النساء اليوم حريصات على ترك أوقاتهن وأماكنهن ليمتزجن بكتل الرجال العراة ، وانقلب بعض الرجال إلى تيوس ، حتى سمعنا بمن حمل زوجته حملا على التجرد من ثيابها لتنزل البحر مع مجموعة من أصدقائه ، ولما تمنعت بحكم حيائها الموروث وصفها بأنها لا تصلح لحياته الراقية ما دامت متأخرة بهذه الصورة !! . . .

ليت الذين يهرعون إلى المصايف في اختلاط فاحش ، وتحلل واضح ، وفجور وقح ، يستمعون إلى القصيدة المنثورة التي صاغها الرافعي وفيها يخاطب النساء على الشاطىء فيقول فيما يقول :

« يا لحوم البحر ، سلخك جزار من ثيابك .. جزار لا يذبح بألم ولكن بلذة ، ولا يحز بالسكين ولكن بالعاطفة ، ولا يميت الحي إلا موتاً أدبياً . . . إلى الهيجاء يا أبطال معركة الرجال والنساء ، فهنا تلتحم نواميس الطبيعة ، ونواميس الأخلاق ؛ للطبيعة أسلحة العرى والمخالطة والنظر والأنس والتضاحك ، ونزوع المعنى إلى المعنى ، وللأخلاق المهزومة سلاح من الدين قد صدئ ، وسلاح من الحياء مكسور .. يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار . الشاطىء كبير كبير يسع الآلاف والآلاف ، ولكنه للرجل والمرأة صغير صغير حتى لا يكون إلا خلوة ، وتقضى الفتاة سنتها تتعلم ، ثم تأتي هنا تتذكر جهلها وتعرف ما هو ؛ وتمضى المرأة عامها كريمة ، ثم تجيء لتجد هنا مادة اللؤم الطبيعي ... لو كانت حجاجة صوامة للعنتها الكعبة لوجودها في (استانلي) ... الفتاة ترى في الرجال العريانين أشباح أحلامها ، وهذا معنى من السقوط ... والمرأة تسارقهم النظر تنويعاً لرجلها الواحد وهذا معنى من المواخير ... أين

تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانين ؟ . . . يا لحـــوم البحر سلخك من ثيابك جزار . . . !

هناك التربية وهنا إعلان الإغفال والطيش، وهناك الدين، وهنا أسباب الإغراء والزلل ؛ هناك تكلف الأخلاق ، وهنا طبيعة الحرية منها ، وهناك العزيمة بالقهر يوماً بعد يوم ، وهنا إفسادها بالترخص يوماً بعد يوم ، والبحر يعلم اللائى والذين يسبحون فيه كيف يغرقون فى البر ... لو درى هؤلاء وهؤلاء معرة اغتسالهم معاً فى البحر لاغتسلوا من البحر ، فقطرة الماء التى نجستها الشهوات قد انسكبت فى دمائهم ، وذرة الرمل النجسة فى الشاطئ ستكبر حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم ... يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار ...

يجيئون للشمس التى تقوى بها صفات الجسم ، ليجد كل من الجنسين شمسه التى تضعف بها صفات القلب ؛ يجيئون للهواء الذى تتجدد به عناصر الدم ، ليجدوا الهواء الآخر الذى تفسد به معانى الدم . . يجيئون للبحر الذى يأخذون منه القوة والعافية ، ليأخذوا عنه أيضاً شريعته الطبيعية : سمكة تطارد سمكة ؛ ويقولون : ليس على المصيف حرج ؛ أى لأنه أعمى الأدب ، وليس على الأعمى حرج ! . . يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار » ! ! .

إن فوضى الاختلاط بين الرجال والنساء ـ وبخاصة فى الشواطئ والحمامات ـ يجب أن يوضع لها حد ، وأن تعالج بما يحفظ الحرمات والأعراض ، فبالأمس كان فى الناس خجل وحياء ، فيستحى الرجل من المرأة ، وتستحى المرأة من الرجل ، وأما اليوم فيصل الأمر إلى أن رواد أحد الحمامات فى فندق كبير مشهور يحتجون على صاحب الفندق ويشاجرونه ، لأنهم يريدون سيدات لتدليكهم أثناء الاستحمام فى الحمام ؛ ولما أحضر لهم صاحب الفندق رجالا أمثالهم ليقوموا بهذا التدليك رفضوا وتشاجروا مع صاحب الفندق وتضاربوا ، وانتهى الجميع إلى دار الشرطة ، ونشرت الصحف القصة المخزية المخجلة على الناس . .

وليس ببعيد أن نسمع أن النساء فى الحمامات النسائية يتشاجرون ؛ لأنهن يطالبن برجال ليقوموا بتدليكهن فى هذه الحمامات ! ! .

إن بعض مراجع الحديث تنسب إلى رسول الله عليه صلوات الله حديثا يصور ـ برغم ما فيه من مقال ـ ما بلغته الحال من سوء المآل ، فيقول : « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم ، وفسق شبانكم ، وتركتم ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذى

نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفا ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : يقول الله تعالى : بى حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » !! ...

وأحب أن أسأل : هل بقى حليم عاقل ولم يشعر بمرارة الحيرة والحسرة مما صار إليه أمر الأمة الإسلامية من خروج على قواعد العفة والخجل والحياء ! ؟ .

وأين حالنا اليوم فى هذا المجال من حال أسلافنا ؟ . . وهذا مثلا هو الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يتزوج فاطمة بنت عبد الملك ربيبة القصور والترف ، وبنت الخلفاء العظام ، ومع ذلك يحملها على منهج الصيانة والعفاف والبعد عن الشبهات وعن الاختلاط فلا تعارض ولا تقاوم ، ويأخذ أولاده وبناته بالحزم والعزم ، فلا تبرج ولا تحلل ولا اختلاط ولا اظهار لما حرم الله أن يظهر ; وكان عمر فى هذا المنهج قويا صارما ، حتى تريد إحدى بناته أن تتجمل فترسل إليه لؤلؤة ليرسل إليها بأختها حتى تجعلهما قرطا ، فيضع بين يديها جمرتين من النار ويقول لها : إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت إليك بأخت لها ! ! . . وكأنما كان يريد أن يبعد بيته عن كل ريبة حتى يصير مثلا أعلى لبيوت المسلمين ! .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ... إن الله تبارك وتعالى قد هيأ لنا أثناء الصيف أشياء يمكننا التنعم بها والتمتع بخيراتها فى طهارة وصفاء ... هيأ لنا البحار والأنهار ، والأشجار والأزهار ، والهواء الرقيق والنسيم العليل فى الأصائل والأمسيات ، ومن الممكن للمسلم أن يأخذ من كل هذه الأشياء نصيبه الملائم فى اعتدال واستقامة وعائشة الصديقة بنت الصديق رضوان الله عليهما تخبرنا بأنه ما تمتع الأشرار بشىء إلا تمتع به الأخيار وزادوا عليه رضا الله ... فلنقف على أبواب الصيف متدبرين مفكرين ، متذكرين أن لنا دينا ، وأن لنا أخلاقا ، وأن لنا حرمات ، وأن كلا منا راع ، وكل راع مسئول عن رعيته ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

الاسلام والطب الحديث

على هامش المؤتمر الطبي للسرطان

يتقدم العلم كل يوم خطوات تكشف من أسرار الكون ما يبهر ويدهش، وتفتح من مغاليق الغيب ونواميس الوجود ما يسوق النفوس إلى الإيمان بوحدة الديان.

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وفى كثير مما يكشفه العلم من الحقائق والأسرار ما يطابق ما قرره الإسلام وكان محجبا بالأستار حتى فض العلم خاتمه وأوضح مبهمه.

وهذه الحقائق جديرة أن يتدبرها المنصفون وبخاصة الماديين الذين أخلدوا إلى الأرض ودانوا بالحسيات، فلا يؤمنون إلا بما يرون ويسمعون، وتخبطوا فى ظلمات الشك وتشعبت بهم مسالك الضلال.

لقد نهج الإسلام بالبشرية مناهج تحوطها بالرعاية والعناية، وقرر لها أحكاما ظهرت الحكمة فى كثير منها وخفيت علينا فى بعضها، وكان ذلك الخفاء مثار تشكك وجدل من مدخولى الإيمان وذوى الأغراض والأهواء والمفتونين ببعض المعارف. ولطالما نادى المؤمنون هؤلاء المغرورين أن يقتصدوا فى الحكم، ويلتزموا جانب الحيطة والحذر والأدب فيما لا يفقهون من علل الأحكام، حتى توافيهم آيات الله وتستبين لهم مقاصدها وحكمها، ولكن سائق الغرور كان يلهب ظهورهم فيمعنون فى الغى ثم لا يقصرون.

لقد جاء الإسلام بتعاليم تتصل بالطب، التقت فى غاياتها بما قرره الطب وأثبت فائدته، فلم تعد مجالا للمناقشة والجدال، وكان يكفى فى تقدير الإنصاف أن يقاس عليه ما لم تستبن فائدته، فيقتنع المنصف بما فيه من خير، وما يدعو إليه من رشاد، مادام المصدر واحدا ومبعث النور والهدى واحدا. لقد حرم الإسلام الميتة والدم والخمر ولحم الخنزير، وظل الناس أحقابا يجهلون البواعث على ذلك والسر فيه حتى جلاها العلم، وكشف عن وجه الأذى فيها، فازداد المؤمنون بها إيمانا، وأقصر من فى قلوبهم مرض عن التشكك فى جدواها والمكابرة فى مزاياها، ومنع الإسلام من تلويث المياه بالفضلات، وظللنا نجهل السبب فى ذلك أيضاً حتى كشف العلم من مقدار الخطر فيها، وأن الماء الملوث مباءة الجراثيم لأمراض البلهارسيا والإنكلستوما

وغيرهما ، فكان ذلك التوافق مبعث الدهش والإعجاب من العلماء والأطباء ، وممن يصدعون بالحق ولا يعاندون الحقائق .

وفى تعاليم الإسلام مما يتصل بالطب ما لم يصل العلماء بعد إلى تبيان وجـــه المصلحة فى تقريره ، وما زال العلم يواصل الخطى فيه ، ويأتى كل يوم بجديد يثلج النفس ، ويشرح الصدر ، ويقرر وجه الإعجاز فى تعاليم أتى بها نبى أمى لم يتل من قبلها من كتاب ولم يدرس فى جامعة ولا كتاب .

لقد انعقد فى القاهرة فى شهر مايو من هذه السنة المؤتمر الأول للجمعية العلمية للسرطان ؛ للبحث فى شئون مرض السرطان وما يتعلق به من وقاية وعلاج ، وهذا المرض ـ ونسأل الله العافية ـ من الأمراض المستعصية،التى لم يتوصل العلم والعلماء رغم الجهاد المتواصل إلى كشف حاسم فى علاجهولا إلىالأسباب التى تحدثه وكشف المؤتمر فى هذا الصدد عن حقائق خطيرة تتلاقى مع نظر الإسلام فى بعض تعاليمه،وإنها لحقائق ما كانت تدور فى خاطر الأطباء ورجال الدينوعلماء النفس من قبللولا هذه الصدف العلمية الموفقة ، وكثيراً ما كانت الصدف خيراً، على الإنسانية،فأفادت منها وجنت من ثمارها .

لقد كشف هذا المؤتمر عن وجـه الحكمة فى امتداد إرضاع الطفل حولين كاملين ، فقرر « أن فى هذا الامتدادوقاية فى كثيرمن الأحيان منسرطان الثدى فىالنساء ، لكثرةامتصاص الطفل لثدى أمه ، وأنه لهـذا يرى أن من أكبر الخطأ أن تضن الأم على طفلها بالإرضاع ، وهى بهذا تعرض نفسها لهذا المرض الخطير ، وقد ثبت من الإحصاء فى اليابان أن اليابانيات من أقل نساء العالم المتحضر إصابة بهذا النوع من السرطان ؛ لأن الأم اليابانية ترضع ابنها حولين كاملين ، ولعل فى هذا ما يعلل ازدياد حالات سرطان الثدى فى بلادنا ـ مصر ـ لضن الأمهات الملحوظ فى العصر الحديث على أولادهن بالرضاعة الطبيعية أو تعجلهن بالفطام » .

وقد التقى المؤتمر فى هـذه الحقيقة بمـا قرره الإسلام من جعل مدة الرضاع عامين حيث جاء فى الكتاب الكريم : « ووصينا الإنسان بوالديه ؛ حملته أمـه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين » . ومما كشفه المؤتمر فى هذا الصدد « أن ختان الصبيان واق من سرطان القلفة وهى الجلدة التى تزال بالختان ، فقد اتضح أن الفضول التى تتجمع فى هذه القلفة بها مادة لذاعة قادرة على إحداث السرطان » .

وأدعى من ذلك إلى التأمل أن وجود القلفة بما فيها من الفضول يزيد من احتمال إصابة الزوجة بسرطان عنق الرحم من تأثير هذه الفضول» . وقد التقى المؤتمر فى هذه الحقائق بما سنه الإسلام من الختان دفعا لما أسفر عنه الكشف العلمى من الأضرار ، وقد أخرس المؤتمر بما قرره ألسنة الذين كانوا يجادلون فى جدوى هذه السنة ، تأثرا بما جرت به العادة فى بعض الأمم وفى بعض الأديان ، حتى كابر بعضهم فزعم أن فى تلك الشعيرة أضرارا صحية ينبغى لها الإقلاع عنها .

ومما كشفه المؤتمر أيضا « أن عامل النظافة للجهاز التناسلى فى المرأة يقلل كثيرا من احتمال تعرضها لسرطان عنق الرحم » . وقد تلاقى فى هـــذا مع تعاليم الإسلام التى شرعت الاستنجاء للمرأة والرجل كمقدمة للصلاة .

هـذه بعض الحقائق الطبية التى كشف عنها مؤتمر السرطان ، قرأناها مبهورين مأخوذين بما تلاقت فيه مع تعاليم الإسلام ، ويلاحظ أنه مؤتمر خاص فى فرع من فروع الطب ، كشف ما كشف من هذه الحقائق الخطيرة . فكيف إذا تظاهرت مؤتمرات لعرض ما تمخضت عنه عقول العلماء فى سائر نواحى الكون ، ونواحى النفس الإنسانية ، وما يعرض لها من شئون نظمتها تعاليم الإسلام مرشدة مرة ، وآمرة أخرى ، وناهية مرة ثالثة ، إنها إذن بما تكشف عنه مما يتفق وتعاليم الإسلام ستأخذ بيد الحيارى ممن يؤمنون بالعلم ، ويجافون دعوة الدين إلى النهج المستقيم ، وتطامن من غرورهم ، وتجديفهم فى الحقائق التى أسدلت حجبها دون أهل المعرفة الحقة ، وتدعوهم إلى التسليم فيما لا يعرفون إلى من يعرفون ، وخاصة فى حقائق الأديان التى ثبتت ثبوتا قاطعا بما كشفه العلم وحققته التجربة .

إننا إذ نرحب بالمكتشفات التى أسفر عنها مؤتمر السرطان ، لا نعنى بذلك أن نلتمس منها الأدلة على صحة ما جاء به الإسلام من تعاليم ، وحاشانا ذلك فهو دين الله الذى ارتضاه ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وإنما نرحب بها لنضعها أمام الحائرين وذوى القلوب المريضة، تجلية لمصالح البشر فى بعض ما شرع الإسلام ، عسى أن يكون ذلك داعيا إلى تعديل مناهجهم فى البحث العلمى، والتحلى بشيم العلماء ، والوقوف دون ما لا يعرفون ، وتسليمه إلى أهل الذكر ممن يعلمون .

أبو الوفا المراغى

حصوننا مهددة من داخلها

فى الجامعة العربية

– ٤ –

كنت فى الجزء الماضى من هذه المجلة على موعد مع قرائها بتقديم الأمثلة على الدعوة الهدامة فى كتاب (مختارات من إمرسون) الذى ترجمته جامعة الدول العربية بمشورة السفارة الأمريكية ، و (قصة الحضارة) الذى أوصت به اليونسكو .

يقول إمرسون مخاطبا قراءه (وإنى أنصحكم قبل كل شىء أن تسيروا وحدكم وأن ترفضوا النماذج الطيبة ، حتى تلك التى يقدسها الناس فى خيالهم . وتشجعوا على محبة الله بغير وسيط أو حجاب . وسوف تجدون من الأصدقاء من يكفى لأن يطلعكم على أمثال وزلى وأوبراين والقديسين والأنبياء — وتأمل أين يضع هذا الملحد الهدام الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه — لكى تقتدوا بهم . اشكروا الله على هؤلاء الرجال الأخيار ، ولكن ليقل كل منكم « أنا كذلك إنسان » . . . إن التقليد لا يمكن أن يرتفع فوق النموذج . . . كل منكم منشد من منشدى الروح القدس ولد حديثا . فلينبذ وراءه كل تقليد وليعرف الناس مباشرة بالله — ص ٨٥) . وواضح من هذا الكلام أن ذلك المفسد المضل يريد أن يجعل كل الناس أنبياء ، معتمدا على ضعف المغرورين والمفتونين ، الذين يريد أن يخيل إليهم أنهم لا يثبتون وجودهم إلا عن طريق نبذ الدين ، ويزعم لهم أنهم جميعا على صلة صحيحة وثيقة بالله - سبحانه وتعالى - تمكنهم من معرفته ومن تعريف الناس به .

ومن أمثلة هذه الآراء الهدامة التى تستتر وراء الدعوة الخلابة إلى التحرر الفكرى كذلك قوله : (من أراد أن يكون رجلا ينبغى أن ينشق على السائد المألوف . ومن أراد أن يجمع ثمر النخيل الخالد ينبغى أن لا يعوقه ما يسميه الناس خيرا . بل يجب عليه أن يكتشف إن كان ذلك خيرا حقا . لا شىء فى النهاية مقدس سوى نزاهة عقلك . حرر

نفسك لنفسك يؤيدك العالم . . . الخير والشر اسمان يمكن فى سهولة شديدة أن ينتقلا إلى هذا أو ذاك ، والشيء الوحيد الصحيح هو ما يتبع تكوينى ، والشيء الوحيد الخطأ هو ما يقاومه ص ١٣٢) .

ومن سفسطة ذلك المفسد الهدام قوله (إن الثبات على رأى واحد هو غول العقول الصغيرة الذى يقدسه صغار السياسيين والفلاسفة ورجال الدين . أما الروح العظيمة فليس لها ألبتة شأن بهذا الثبات ، وإلا فإنها تأبه لظلها فوق الحائط . انطق بما تفكر فيه الآن فى ألفاظ قوية . وانطق بما تفكر فيه غدا فى ألفاظ قوية كذلك ، حتى إن ناقض ما قلته اليوم . وإذن فثق أنك سوف يساء فهمك . وهل من شر الأمور أن يساء فهمك ؟ لقد أسيء فهم فيثاغورس وكذلك سقراط ويسوع وكوپرنكس وغاليلو ونيوتن وكل روح طاهرة عاقلة تجسدت . لكى تكون عظيما لابد أن يساء فهمك ـ ص ١٣٩) .

فلينظر القارئ أى دعوة هذه إلى التخبط والغرور ، وإغراء ضعاف العقول بما يجرئهم على خوض كل مجهول ، وتناول كل مغيب مستور ، وهتك كل مقدس مصون والخبط فى كل تيه واعتساف كل طريق ، بما يفسد عليهم وعلى الناس الحياة ويحولها إلى جحيم لا سكن فيه ولا قرار ، يتنابذ أهلها ويتدابرون ويعتركون ولا يتفقون على رأى ولا يسكنون ولا يطمئنون ، حتى لكأنهم أهل جهنم (كلما دخلت أمة لعنت أختها) .

على مثل هذا الغرور الشديد الفاسد المفسد فى تقدير الفرد يقوم الكتاب كله . ويبلغ هذا الفساد وهذا الغرور حد الكفر المجنون فى بعض الأحيان . وذلك فى مثل قوله (إن من ينبذ الدوافع العامة الإنسانية ويجرؤ على الثقة العامة فيما تمليه عليه نفسه لابد أن يتميز ببعض صفات الآلهة ص ـ ١٥٤) .

فهل تعرف خرفا وراء هذا الخرف ؟ ومع ذلك فقد يظن بعض صغار العقول وضعاف النفوس هذا الجنون ضربا من ضروب الفلسفة ، لأنهم لا ينسبون عجزهم عن فهمه إلى فساده ، ولكنهم ينسبونه إلى ضعف عقولهم عن إدراكه . وهذا الكاتب وأمثاله يعتمدون على أن الأذكياء سوف يجدون فى كلامه ما يرضى غرورهم .

أما الأغبياء فسوف يقفون أمامه مشدوهين كأنهم أمام معجزة . أما الشباب فسوف يجدون فيما يتضمنه من الثورة التي تحطم ولا تبقي ولا تذر مجالا للتنفيس عن نشاطهم ونزوعهم إلى إثبات وجودهم من كل وجه .

ويتعقب ذلك الصهيوني الهدام شعائر الدين كلها بالتسفيه والسخرية اللاذعة . فالصلاة عنده وهم ليس فيه من الشجاعة أو الرجولة بمقدار ما فيه من القداسة (ص١٥٦) . والتوبة والندم نوع آخر من الصلاة الزائفة ونقص في الاعتماد على النفس وعجز في الإرادة ، والرحمة والعطف لا تقل عن الندم وضاعة (ص ١٥٧) ، و (العقائد الدينية الشائعة قد تفوقت على الخرافات التي حلت محلها في الظاهر فقط لا في المبدأ - ص ١٧٣) . ألا ترى من ذلك كله أن هـــذا المفسد يريد ثورة تقلب موازين الدين والخلق وكل شيء ؟ بلى . وهو نفسه يعرف ذلك ، فهو يفسد ويعلم أنه يفسد ، أي أنه هدام محترف يفسد عن وعي منه وقصد ، والدليل على ذلك قوله (نريد رجالا ونساء يجددون الحياة ويجددون حالتنا الاجتماعية . ولكننا نجد أن أكثر المطابع منلمسة - ص ١٥٤) وقوله (إن تدبيرنا المنزلي ضعيف ، وفنوننا ، وأعمالنا ، وزواجنا ، وديننا ، لم نختره لأنفسنا . وإنما نحن جنود في غرفة الاستقبال ، تتحاشى معركة القدر الحامية التي تتولد فيها القوة - ص ١٥٥) . وقوله (ومن اليسير أن نرى أن مزيداً من الثقة بالنفس لا بد أن يحدث انقلابا في جميع وظائف الناس وعلاقاتهم ودياناتهم ، وفي تربيتهم ، وفي أهدافهم وأساليب عيشهم واجتماعهم وفي امتلاكهم وفي آرائهم التي يتدبرون - ص ١٥٦) .

ذلك هو لب الكتاب الذي أوحت به السفارة الأمريكية لطه حسين ، فترجمه بأموال العرب ، وأهداه إلى شبابهم ومفكريهم . ولعنة الله على شياطين الجن والإنس « يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

وقد يبدو في بعض مقالات الكتاب - كما هي العادة في كل نشرات الهدامين - صورة خداعة للإيمان ، في مثل مقالات (الحب) و (الصداقة) . ولكن هذا الإيمان الزائف ليس إلا الشرك الخداع الذي يجذب الأغرار ، إذ يوهم القارىء أن الرجل صادق الإيمان ، وأن ضلالاته وإلحاده ليست إلا ضربا من التصوف ، وأن سخطه على الأديان وطقوسها

هو ضرب من السمو الروحى الذى يستهدف إصلاحها وتنقيتها من الشوائب كما يزعم كل أمثاله من الهدامين .

أما (قصة الحضارة) لول ديورانت (Will durant) فقد أصدرت منه اللجنة الثقافية حتى الآن ستة عشر جزءاً ، ويكفى أن نراجع من هذه الأجزاء العديدة الجزءين اللذين تناولا حياة سيدنا عيسى وحياة سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام لنتبين أن اختيار هذا الكتاب للترجمة جريمة دبرتها الصهيونية الهدامة المتخفية فى زوايا اليونسكو ونفذتها بيد طه حسين وأمثاله فى جامعة الدول العربية .

يتساءل مؤلف الكتاب إن كان المسيح عليه السلام قد وجد حقاً (١١ : ٢٠٢ - ٢٠٥) ويثير حول الأناجيل مختلف الشبهات (١١ : ٢٠٦ - ٢١١) ، ويشكك فى نسبه وفى أنه ولد من عذراء (ص ٢١٤) . وينكر كل معجزاته فينسبها جميعاً إلى الكذب والتلفيق ، أو يردها إلى خداع الحواس والوهم أو ما سماه « العلاج النفسى » (ص ٢٢١-٢٢٢) ويتناول شخص المسيح عليه السلام وكلماته وروايات الأناجيل بالسخرية ، فيقول مثلا (إن الإنسان ليجد فى الأناجيل فقرات قاسية مريرة لا تواثم قط ما يقال لنا عن المسيح فى مواضع أخرى منها ، ويبدو أنه قبل دون بحث وتمحيص أقسى ما كان يؤمن به معاصروه عن جهنم السرمدية التى يعذب فيها من لا يتوبون من الكفار والمذنبين بالنار التى لا تنطفىء أبداً والديدان التى لا تشبع من نهش أجسامهم .

وهو يقول دون أن يحتج عليه أحد إن رجلا فقيراً فى الجنة لم يسمح له بأن يترك نقطة واحدة من الماء تسقط على لسان غنى فى الجحيم . . . ويلعن شجرة التين التى لم تكن تحمل ثمرا ، ولعله كان قاسيا بعض القسوة على أمه ، وكان يتصف بحماسة النبى العبرانى المتزمت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذى يمتاز به الحكيم اليونانى - ص ٢١٩) . وأكثر هذه المفتريات التى حشدها ذلك الصهيونى الهدام فى كتابه ، مروية عن المؤرخ اليهودى يوسيفوس .

وبمثل هذا الأسلوب الإلحادى الهدام عالج المؤلف حياة نبينا عليه الصلاة والسلام فى الجزء الثالث عشر . ففى هذا الجزء من الكتاب أخبث أساليب الكيد والدس للإسلام . والمؤلف

لا يلجأ هنا إلى الهجوم البذىء الصريح كما فعل مع شخص المسيح الكريم عليه السلام . ولكنه يتظاهر هنا بالإنصاف ، بل يبدو فى بعض الأحيان كأنه معجب بشخص النبى عليه الصلاة والسلام . فيقول مثلا (وكان محمد ، كما كان كل داع ناجح فى دعوته ، الناطق بلسان أهل زمانه والمعبر عن حاجاتهم وآمالهم - ص ٢٤) . ويقول فى موضع آخر (ذلك أن النبى كان ينشئ حكومة مدنية فى المدينة . واضطر بحكم الظروف أن يخصص جزءا متزايدا من وقته للمشاكل العملية المتصلة بالتنظيم الاجتماعى والأخلاق والعلاقات السياسية بين القبائل ص ٣٣) ويقول (وحتى شئون الحياة العادية كانت أوامره فيها تعرض فى بعض الأحيان كأنها موحى بها من عند الله) .

وكان اضطراره إلى تكييف هذه الوسيلة السامية بحيث تتفق مع الشئون الدنيوية مما أفقد أسلوبه بعض ما كان يتصف به من بلاغة وشاعرية . ولكن لعله كان يشعر بأنه بهذه التضحية القليلة جعل كل تشريعاته تصطبغ بالصبغة الدينية الرهيبة - ص ٤٢) . وهو فى هذه المواضع كلها يتحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثه عن أى مصلح سياسى تصدر دعوته عن حاجات عصره وتشكلها ظروفه . ومع ذلك فإن كلامه هذا قد يخدع ضعاف المسلمين وأغرارهم حين يرون الكاتب - وهو غير مسلم - يبدى ميلا مصطنعا إلى إنصاف نبى لا يدين هو بدينه . فهذا الكلام المشبع فى ظاهره بروح المودة يخدع كثيرا من المسلمين فيتقبلونه بقبول حسن . وينتهى بهم ذلك إلى اعتبار نبيهم واحدا من الزعماء والفلاسفة والمفكرين والمصلحين الذين يزخر بهم تاريخ الشرق والغرب فى العصور القديمة والحديثة ، فيخرجهم ذلك عن إسلامهم لا شك ، لأنهم لا يسلمون حتى يعتقدوا اعتقادا خالصا لا يدخله ريب أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانت بوحى يلاحقه ويقوده ويصحح كل أعماله . ولست أبالغ ولا أدعى غير الحق حين أقول إن هذه الروح اللادينية - مع شديد الأسف - قد أصبحت هى التى تسود دراسات التاريخ الإسلامى فى الجامعات . وذلك شىء يلمسه كل من تخرج فى كليات الآداب أو اتصل بها عن قريب . ومالى أذهب بعيدا وهذا هو محمد بدران - مترجم هذا الجزء - يقدم لى الدليل نفسه على صدق ما أقول ، حين يقرر فى مقدمته أن (المؤلف قد أنصف الحضارة الإسلامية فشاد بفضلها) .

يقرر المترجم المسلم ذلك فى سذاجة تبلغ حد الغفلة والبله ، مع أن ذلك الصهيونى الخبيث لا يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا الغرائب التى يخلعها من سياقها وظروفها حتى تبدو

لغير الخبير بالتاريخ الإسلامى فى صورة تثير السخط وتدعو إلى الاشمئزاز ، كالذى يصف المجرم وهو يساق إلى القتل ويعلق فى الحبل ، ويخفى ما اجترح من مفاسد وما أزهق من أرواح بريئة . تجد ذلك فى مثل كلامه عن قتله صلى الله عليه وسلم امرأة ، وعن قتله شيخا ناهز المائة ، لأنهما هجواه (ص ٣٥) . وهو يسوق ذلك فى أسلوب هادئ رزين كأنه يسوق خبرا من الأخبار العادية دون أن يعلق عليه أو يحتفل به ، فلا يكاد القارئ المسلم يتنبه إلى غرضه الخبيث الذى هو فى حقيقة الأمر التشنيع بالنبى عليه الصلاة والسلام عند المخدوعين بما تزوره الصهيونية الهدامة من كلمات براقة ، حين تدعو إلى (حرية الهدم) وإلى (حرية الإفساد) وتسمى ذلك (حرية الرأى) ، وليوهم أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن يرعى حرمة للنساء ولا للشيوخ . ومثل ذلك أيضا قوله (وضمت صفية ـ وهى فتاة يهودية فى السابعة عشرة من عمرها كانت مخطوبة لكنانة ـ إلى نساء النبى ـ ص ٣٩) .

فمثل هذه الألغام التى يدسها الرجل فى ثنايا سطورة تترك أسوأ الأثر فى نفوس القراء من الغربيين ومن ضعاف الإيمان من المسلمين ، والمنتحلين منهم للحضارة الغربية المتخلقين بها خاصة . شيخ جاوز الخمسين يتزوج فتاة فى السابعة عشرة ! وليس هذا فحسب . بل إنها كانت مخطوبة لرجل يهودى من بنى جنسها فأضافها إلى نسائه العديدات ! هل هذا تاريخ ؟ أم أنه تشنيع فى أخطر صوره ، لأن صاحبه يتصنع الهدوء ويتظاهر بالاتزان والإنصاف ، ويخدع الناس بمثل كلامه عن براعة النبى فى القيادة وفى شئون الحكم وفى التنظيم الاجتماعى .

ومن أمثلة هذا الأسلوب الخبيث وصفه النبى صلوات الله وسلامه عليه بأنه كان (يعنى بمظهره الشخصى ويقضى فى تلك العناية كثيرا من الوقت . فكان يتعطر ويكتحل ويصبغ شعره ويلبس خاتما نقش عليه « محمد رسول الله » . وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل . وكان صوته موسيقيا حلوا يأسر القلوب . وكان مرهف الحس إلى أقصى حد ، لا يطيق الروائح الكريهة ولا صلصلة الأجراس والأصوات العالية . . . وكان قلقا عصبى المزاج ، يرى أحيانا كاسف البال ، ثم ينقلب فجأة مرحا كثير الحديث ـ ص ٤٥) . فهذا الأسلوب المسموم فى التصوير إنما يريد أن يصور النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة المتصابى وفى صورة العصبى المزاج المريض الأعصاب المصاب بالصرع . ويؤكد هذا الصهيونى الهدام تلك الصورة المفتراة بعد ذلك بقوله (وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب . ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره . وظن

أن يهود خيبر قد دسوا له السم فى اللحم قبل عام من ذلك الوقت [١] ، فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة . وتقول عائشة إنه كان يخرج من بيته فى ظلام الليل ، ويزور القبور ، ويطلب المغفرة للأموات ، ويدعو الله لهم جهرة ، ويهنئهم على أنهم موتى . ولما بلغ الثالثة والستين من عمره اشتدت عليه الحميات ـ ص ٤٦) .

وجاء فى هذا الجزء من الكتاب أيضا (وهاجرت إلى المدينة مائتا أسرة من مكة فنشأت فيها من جراء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفى أهلها من الطعام . وحل محمد هذه المشكلة كما يحلها كل الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أنى وجد . ومن ذلك أنه أمر أتباعه بالإغارة على القوافل المارة بالمدينة ـ ص ٣٤) . ويحاول المؤلف أن يلبس هذه الأكاذيب وهذا التشنيع المفترى ثوب العلم فيقول (واجتمعت أسباب عدة عملت كلها على اتساع ملك العرب . فمن الأسباب الاقتصادية أن ضعف الحكومة النظامية فى القرن السابق لظهور النبى قد أدى إلى انهيار نظم الرى فى جزيرة العرب فضعفت من جراء ذلك غلات الأرض الزراعية وحاقت بالسكان المتزايدين أشد الأخطار . ولهذا فقد تكون الحاجة إلى أرض صالحة للزرع والرعى من العوامل التى دفعت جيوش المسلمين إلى الفتح والغزو ـ ص ٧١ ، ٧٢) .

أترى إلى هذا الكلام المسموم الذى يصور المسلمين الأولين ـ وعلى رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى صورة عصابات اللصوص وقطاع الطرق ، والذى ينزل بدوافع الفتح النبيلة إلى أغراض مادية ، فينقلب ذلك النفر الكريم من المجاهدين الأولين فى نشر كلمة الله ، الذين لم يكونوا يبالون بحياتهم الدنيا فى سبيل ما أعده الله لهم من ثواب الجهاد فى نشر دينه ، ينقلب ذلك النفر الكريم إلى جماعة من اللصوص وقطاع الطرق . لماذا تؤذى جامعة الدول العربية المسلمين والعرب بإذاعه ؟ لماذا تنفق على نقله إليهم من أموالهم ، كأن مهمتها هى إسماعهم ما يكرهون وإحصاء ما قيل فيهم من الشتائم وإذاعته على الناس ؟ إن الحكومات تمنع شعوبها من الاستماع إلى الدعايات التى تفترى عليهم والتى تثبط عزائمهم وتفرق كلمتهم ، وتنفق فى مقاومة مثل هذه الإذاعات الآلاف والملايين فى بعض الأحيان . فهل دين الناس أقل قداسة وأهون مقاما ؟ .

لا يكفى فى دفع ضرر هذا الكتاب وأمثاله أن تكلف الإدارة الثقافية الدكتور الشيخ محمد يوسف موسى بالتعليق على ما يراه مستحقاً للتعليق ، فيعلق على بعض ويهمل بعضا ،

---

١ ـ تأمل حرص هذا الصهيونى على تبرئة اليهود من التهمة المفتراة إذ يقول « وظن أن يهود خيبر » .

لأن السذج والغافلين وقليلي الخبرة بتاريخ المسلمين ـ وليست لدينا وسيلة لمنع وصول الكتاب إلى أيديهم ـ إن قرءوا ما فى هذه الحواشى واقتنعوا به مرة فقد يهملونها وقد تستغويهم أباطيل الكتاب مرات. فما هى حاجتنا أصلا إلى ترجمة مثل هذه المفتريات؟ أى فائدة تعود على العرب من نقل مثل هذا الكلام، حتى يغضوا الطرف عما فيه من الأذى؟ هل هذا مما يزيد العرب تماسكا؟ أم هو مما يعينهم على النهوض؟ لماذا تنقل إلى لغتنا هذه الكتب التى تتكلم عن نبينا عليه الصلاة والسلام بوصفه مصلحا لا نبيا، وقد كان من آثار مثل هذه الدعايات ـ ولا أقول البحوث ـ أن افتتن بها جماعة من المسلمين فاتخذوها نموذجا لبحوثهم الإسلامية، وظنوا أن تجردهم من إسلامهم شرط لسلامة البحث وعلميته، كما زعم لهم طه حسين فى كتابه (الشعر الجاهلى) الذى سيق بسببه إلى المحاكمة. وقد أصبح التاريخ الإسلامى، بل الدراسات الإسلامية فى كل فروعها، لا تدرس فى الجامعات العربية الآن على اختلافها إلا على هذا النمط الفاسد المفسد الهدام. إن طه حسين الذى بدأ حياته العلمية متهما فى دينه، يتسلق إلى الشهرة بمخالفة كل مقدس مصون وكل مقرر ثابت، حين كان الإلحاد بدع العصر يجاهر به الملحدون ويتظاهر به صغار النفوس والعقول من الأدعياء، هذا الرجل نفسه هو الذى يشرف على اختيار مثل هذه الكتب لتترجم على نفقة العرب، وليثقف بها ناشئتهم ويشد بها أزر جامعتهم. وأى جامعة قد بقيت للعرب، ولجنتهم الثقافية تؤذى إيمان المؤمنين مسلمهم ومسيحيهم؟ تؤذى المسيحيين مرة وتؤذى المسلمين مرتين، تؤذيهم فى نبيهم عليه الصلاة والسلام مرة وتؤذيهم فى شخص المسيح الكريم عليه السلام مرة أخرى، ثم تعتذر لهم عن جرأة المؤلف على الإسلام وافترائه على نبيه الكريم بجرأته على اليهودية والمسيحية وافترائه على رسوليهما الكريمين (ص ٢١). فهل سمع الناس عذراً أقبح من هذا العذر الذى لا يصدر إلا عن جهول؟ هل يعتذر عن رجل سب أبى بأنه لم يسب أبى وحده، ولكنه سب آبائى كلهم أجمعين؟!

وبعد فإنى أستغفر الله سبحانه وتعالى لنفسى ولقارئ هذه المفتريات، فإنما قصدت أن أضع بين يديه جسم الجريمة، ليرى رأى العين طه حسين يحمل أوزاره فوق ظهره، وليطالب الناس المسئولين بكف أذاه إن كان فيهم بقية من غيرة على إسلامهم وعلى شخص نبيهم الطاهر الكريم؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

صلات مصر الثقافية
بلاد آسيا وغيرها

ادخر الله ـ جلت قدرته ، وسمت حكمته ـ مصر لتكون معقلا لدين الإسلام ومنارة للهدى والعرفان ، منها تشع أضواء التوحيد ، وتنتشر تعاليم الشريعة السمحة إلى ربوع الأرض فى كل مكان ، كما حملت فى القديم مشعل الحضارة ، والعلم للإنسانية جمعاء . ففيها الأزهر . تلك الجامعة العتيقة ، تأذن الله أن يجعلها نبع العلوم والمعارف ، وحصن الإسلام الخالد ، ومعقل لغة الضاد من قديم الزمن ، وعلماؤه قدوة الشرق والغرب ، وهم الهداة الذين لا يشق لهم غبار ، وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الدكتور عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر ، الذى لا يألو جهدا فى العمل على رفع شأن الأزهر والإسلام ، والدعوة إلى السلام ، لإسعاد الإنسانية .

والذى يعنينا فى هذه الكلمة هو أن نبين حاجة العالم الإسلامى إلى هذا المعهد العظيم ، وأثره فى حياة الأمم الإسلامية عموما ، والآسيوية خصوصا ، وعناية رجاله بأحوال هذه الأمم .

فإذا كانت مكة المكرمة بكعبتها المباركة ، مهوى أفئدة المسلمين للعبادة والنسك ، فيها المثابة والأمن ، فكذلك أضحت مصر بأزهرها محط الرحال ، وقبلة رواد العلوم والمعارف ، ومركزاً للثقافة الفكرية والإسلامية ، بعد أن قضى التتار على التراث الإسلامى فى بغداد .

لذلك اتجه العالم الإسلامى على اختلاف ألسنته وألوانه ، منذ قرون عديدة ، فأخذ يرسل فلذات أكباده إلى الأزهر ، إذعانا لقوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

ذلك الأزهر الذى قام على حفظ اللغة والدين آمادا طويلة ، ونيف على الألف عام وهو يؤدى رسالته الخطيرة إلى الإنسانية فى الشرق والغرب ، رغم ما يتعرض له فى كثير من الأحيان ، من عواصف وأحداث على مر الزمن . وفى كلمة اللورد كرومر حين عاد إلى « بريطانيا » : « ما دام الأزهر فى مصر فلن يثبت قدم الاستعمار فى بلاد الشرق » ما يدل على ذلك .

والأزهر لم يخلق لمصر وحدها ، بل هو الدعامة الكبرى التي ترتكز عليها الحياة الروحية والخلقية للعالم الإسلامي ، فلقد عني أشد العناية بخدمة هـــذا الجانب من الحياة الإنسانية في آسيا وفي غيرها .

فأنشأ لذلك « مراقبة البحوث والثقافة » التي تقوم بإرسال المصاحف والمؤلفات العلمية إلى المكتبات في كثير من الدول ، وترسل مناهج الدراسة إلى المؤسسات العلمية وتقوم بالفصل في كثير من المشاكل الدينية والثقافية الدراسية ، التي تتعلق بحياة الناس التعبدية والعملية ، وتقوم باستقبال وفود الزائرين من كبار الشخصيات الإسلامية وبعثات المعاهد العلمية من سائر الأقطار ، وتقوم بالإشراف على المعاهدالدينيه في البلاد الإسلامية : بإرسال المبعوثين إليها ، مثل معهد الكويت وغيره .

وأنشأ الأزهر « مراقبة البعوث الإسلامية » وتقوم بالإشراف الإداري على الطلاب الوافدين على الأزهر ، وترعاهم من الناحية النظامية والمادية ، وتسهر على راحتهم .

كما أنشأت مشيخة الأزهر « مجلة » تحمل رسالة تلك الجامعة إلى بلاد الإسلام المختلفة لتكون حلقة اتصال فكري وثقافي ، بين الأزهر وتلك البلاد التي تدين بدين الإسلام ، ومرآة صافية يرى فيها المسلمون أسرار دينهم ، ومحاسن تشريعهم ، ومدى اتساع أفق هذا الدين لكل ما يجد في الكون من المستحدثات ، التي تعود بالخير والصلاح على الإنسانية ، ولتحمل ما تنتجه قرائح أعلام العلماء ، وحفاظ الشريعة من الأحكام والآراء ، في مختلف شئون الحياة ، مما ينصب للناس معالم الهداية ، ويرسم لهم طريق الخير والشر .

كما تعنى « مجلة الأزهر » بدفع الشبه والمفتريات والأفكار الهـــدامة ، التي تدسها أقلام الملاحدة ، وذوو الأهواء والبدع ، باسم حرية الفكر تارة ، وباسم التجديد والإصلاح تارة أخرى ، مما يفسد على الناس عقائدهم ، ويشككهم في دينهم .

وتعتبر المجلة معينا صافيا ، يتخطف منه العلماء والكتاب شذرات لترجمتها ، ونشرها في أمهات الصحف والمجلات .

وأنشأ الأزهر « لجنة للفتوى » مكونة من جهابذة العلماء على المذاهب الأربعة وغيرها ، تقوم بالإجابة على الاســـتفتاءات الكثيرة المتنوعة ، بفتاوى مستفيضة على جانب كبير من الأهمية ، يتلقى المسلمون حكمها في إذعان وتسليم ، لثقتهم العظيمة في رجال الأزهر .

وفى شهر رمضان من كل عام ، يقوم الأزهر بإرسال أفاضل الهداة والمرشدين إلى مختلف البلاد الإسلامية ، الآسيوية وغيرها ، لإحياء ليالى هذا الشهر المبارك ، بالمحاضرات التى تدعم الحياة الروحية ، وتزكى الجوانب الخلقية فى نفوس المسلمين .

والأزهر يستقبل الوافدين من الطلاب ، من مختلف بلدان العالم ، وقد بلغ عددهم خمسة آلاف طالب من بلدان آسيا وغيرها ، ولكل جماعة من عنصر واحد رواق يعين له شيخ منهم يرعى مصالحهم ، وعدد الأروقة ٢٢ رواقا ، تمثل البلاد الإسلامية المتعددة ، كأندونيسيا والصين والفليبين والملايو والهند وسيلان ومالديف وأفغانستان ، وغيرها من البلاد العربية والإسلامية ، وقد أنشأت حكومة الثورة لهم مدينة ، تعتبر أضخم مدينة لطلاب العلم .

وقد تخرج من هؤلاء الطلاب فى ربع القرن الأخير ما يقرب من ألف متخرج من آسيا وحدها ، وكثير منهم يشغلون مناصب خطيرة ، فى بلادهم وغيرها ، فمنهم الوزراء والسفراء ومديرو الجامعات ، وعمداء الكليات ، والمستشارون والمفتون ، والقضاة والأساتذة فى الجامعات ، وغير ذلك من المناصب الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية ، ويضيق المجال عن ذكر أسمائهم وبلادهم .

هذا ولم يكتف الأزهر بتلقى البعثات الوافدة ، والقيام بتعليمها ، بل أوفد كذلك بعثات من خيرة أساتذته إلى بلاد آسيا وغيرها منذ سنوات عدة ، تشاركه فى ذلك وزارة التربية والتعليم ، والجامعات المصرية .

فأوفد بعثة إلى الصين عام ١٩٣٣ م ، مكثت هناك أربع سنوات ، قامت فيها بأعمال جليلة فأنشأت مكتبة بكين الإسلامية الكبرى ، وأوفد بعثة إلى اليابان عام ١٩٣٦ م ، وأوفد بعثة إلى الهند عام ١٩٣٦ م لدراسة أحوال المسلمين هناك ، والتوفيق بين طوائفهم . ويقوم الآن بإرسال مبعوثيه إلى معظم البلاد الإسلامية ، ولا سيما الآسيوية لمثل هذه المهمة .

هذا هو الأزهر بثقافاته ، وعلومه ومعارفه وجهوده ، يلم شعث المسلمين ، ويوجههم إلى خير الدنيا والآخرة .

ومن العجب أنه مع هذا كله يدور فى أذهان بعض دعاة الاستعمار ، فكرة يريدون بها انتزاع الزعامة الدينية ، والثقافة الفكرية والإسلامية من مصر . وأنى لهم ذلك ! فقد توفر للأزهر العتيق ما لم يتوفر لغيره ، فهو جامعة مصر الكبرى ، التى تزعمت العالم فى القديم بحضارتها التاريخية الخالدة ، وفى الحديث بثقافتها الإسلامية المتمثلة فى الأزهر .

وأنى لغير مصر بحفظ القرآن عن ظهر قلب ، وأدائه فى طلاقة وفصاحة ، من مئات الألوف على هذه الصورة من الجلال والجمال ، التى ينتظرها ملايين المسلمين فى الصباح والمساء من إذاعة مصر ، والقرآن هو المحور الذى تدور عليه زعامة الإسلام .

ولا غرو فقد حبا الله مصر موقعاً جغرافيا يعتبر فى قلب الدنيا ، ومناخا طيبا جميلا يناسب جميع الوافدين من مختلف الأقطار ، لم يتوفر لبلد غير مصر .

وإزاء تلك الخدمات التى أدتها مصر عن طريق الأزهر للعالم الإسلامى قروناً عديدة ، كان الواجب على هؤلاء الدعاة أن يعملوا على تدعيم الأزهر ، وعلى مساندة مصر فى شخص الأزهر ، وليعلموا أن زعامة مصر للعالم الإسلامى وراثية ، ورثتها جيلا بعد جيل وفيها الخير كل الخير للإسلام والمسلمين ، وسجلتها الوقائع التاريخية ، فقد سجلها صلاح الدين برد الصليبيين عن بلاد العروبة والإسلام ، كما سجلها من بعده الملك المظفر سيف الدين قطز ، والظاهر بيبرس بصد جحافل المغول والتتار كذلك ، والتاريخ حافل بمواقف كثيرة لمصر فى الذود عن بيضة الإسلام ضد أعدائه فى كثير من البلاد الإسلامية .

وقد تأكدت هذه الزعامة بإنشاء المؤتمر الإسلامى ، لمؤازرة الأزهر فى القيام برسالته ، فى صيانة العقيدة الإسلامية ، ودفع خطر الاستعمار السياسى والدينى واحتضان البعوث الإسلامية ، الوافدة على مصر من أربع وخمسين دولة .

وقد تجلت مظاهر هذه الزعامة فى التفاف المسلمين ، ومؤازرتهم لمصر إبان الهجوم الثلاثى الغادر عليها . وقد ازدادت تبعات هذه الزعامة بعد أن استكملت مصر أسباب القوة ، وظلت حفيظة على مقدسات الإسلام مذ زوت ثقافته من جميع البلاد ، واحتضنتها مصر ، وصانها الأزهر هذه الحقبة الطويلة .

فمصر تعتبر بحق أستاذ العالم الإسلامى ، منذ أنشئ الأزهر ، وعمرت حلقاته بدروس الدين والفكر واللغة .

وإن على حكومة الثورة فى عهدها الزاهر ، وعلى رأسها محرر مصر وحامى القومية العربية « الرئيس جمال عبد الناصر » .

أن تؤكد هذه الزعامة ، وتعمل على إبقائها بما تتطلبه تلك الزعامة من تدعيم للأزهر ومساندة له فيما يريد من إصلاح ، والله ولى التوفيق ؟

محمد حسن درويش

شيخ معهد البعوث الإسلامية بالأزهر

حرية الفكر
كما قررها الاسلام

لقد أتى على جماهير الناس حين من الدهر ، كان مبلغهم من العلم بالدين أنه مجموعة من العقائد والأعمال التى لا مجال فيها للعقل ، ولا متسع فيها للبحث والنظر ؛ لأن القادة الدينيين الذين استمدوا قيادتهم من وحى الأهواء وطغيان الشهوات ، كانوا يقولون لمن يلقنونه هذه العقائد والأعمال ، « أطفىء مصباح عقلك ثم اعتقد وأنت أعمى » فلا يباح له أن ينظر فيها بعقله وفكره ، وإنما عليه أن يتلقاها بالتسليم المطلق والتقليد الأعمى ، وبذلك سيطروا على عقولهم وأفهامهم ، وسلبوهم حريه الفكر واستقلال الإرادة ، وفرضوا عليهم ماشاءوا من العقائد التى اختلقوها بأهوائهم ، والشرائع التى ابتدعوها بجهلهم وضلالهم ، وبقى هذا الضلال شائعا فى عقائدهم وأعمالهم ، حتى جاءهم الإسلام فى جلال الحق وصفاء النبع ، ليضع عنهم تلك الأغلال التى كانت جاثمة على عقولهم وأفكارهم ، ويزيل هذه الأكنة التى كانت مضروبة على قلوبهم وأبصارهم ، فنادى بصوت ملأ الخافقين وأسمع الثقلين ، أنه الدين الذى يساير الفطرة والوجدان ، ويحكم الحجة والبرهان ، ويطالب العقلاء بالبحث والنظر ، وتحكيم العقول ومراجعة الضمائر ، والاهتداء بنور العلم والمعرفة ، وأقام صرح هذه الدعوة التحريرية على الدعائم الآتية : —

الدعامة الأولى : تحرير الإنسان من الحجر العقلى والكبت الفكرى ؛ لكى يكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره ، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته ، فإن كمال العقل هو الدعامة الأولى لصحة العقائد وكمال الأخلاق وصلاح الأعمال ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غداً فى الدرجات الزلفى عند ربهم على قدر عقولهم » ، « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله » .

ولقد عنى القرآن ببناء هذه الدعامة عناية كبرى ، فاستنهض العقول والأفهام ، وأيقظ

الحواس ونبه المشاعر، وطالب العقلاء بالنظر فى ملكوت السموات والأرض، والتعرف على أسرار العوالم الكونية ونواميسها، وما فيها من الدلائل على وجود الله ووحدانيته فى ألوهيته وربوبيته، كما قال جل شأنه «أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء»، «افلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور»، «وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون» وأكثر من ذكر الآيات الكونية ومطالبة العقول بالنظر فيها، كما يتجلى ذلك فى التعقيب عليها بمثل قوله جل جلاله «لقوم يعقلون»، «لقوم يتفكرون» «أفلا تعقلون»، «أفلا تبصرون» وذم الغافلين ونعى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن دلائل هذه الآيات، كما فى قوله تعالى «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لايفقهون بها، ولهم أعين لايبصرون بها، ولهم آذان لايسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون»، «وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون» وبشر الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ومدحهم وأثنى عليهم، كما قال تعالى «فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب».

الدعامة الثانية: تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمى، وتربيته على حرية الفكر واستقلال الإرادة، واحتقار التقليد والتبعية العمياء؛ فإن التقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات، فإنه هو السبب الأول فى الجمود على الأباطيل الموروثة، وإهمال مواهب الفكر والنظر، وعدم التمييز بين الحق والباطل، وفى ذلك جناية على الحق وتدسية للنفس، وقتل للمواهب وامتهان للعقول؛ وهو الباعث القوى على الوقوف فى طريق الإصلاح والمصلحين، وقيام التعصب الجماعى لحماية المعتقدات والعادات الموروثة، ومحاربة كل جديد يكشف عن زيغها وباطلها؛ لأن العقائد والمذاهب إذا قامت على أساس الوراثة وتقليد الآباء والأجداد، فإن ذلك يضفى عليها قداسة تستحوذ على عواطف الوارثين لها، وتصرفهم عن التفكير فى مدى صحتها أو بطلانها، وتحملهم على التعصب الجماعى لحمايتها والإبقاء عليها ومعارضة كل جديد يخالفها أو ينتقص من قداستها، ولو كان ذلك الجديد أهدى منها سبيلا وأقوم طريقا، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة فى آيات كثيرة، كقوله تعالى: «وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم

مقتدون ، قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون » « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ، أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد » فانظر كيف يفعل التعصب الجماعى بأهله ، فقد كانت صناديد قريش يعرفون رسولهم كل المعرفة ويعلمون صدقه وأمانته حق العلم ، ولكن التعصب القائم على تقديس ما وجدوا عليه آباءهم ، هو الذى حملهم على التنكر لنبوته ورسالته ، ورميه بأنه ساحر كذاب ، ووصف التوحيد الذى جاءهم به بأنه شيء عجاب ، والتواصى بالصبر والثبات على شركهم وضلالهم ، ولو أنهم سلكوا طريق التحرر من سلطان التعصب الجماعى ، الذى أرشدهم إليه القرآن بقوله « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ، ما بصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » وقاموا لله مثنى وفرادى ، وخلا كل منهم بصاحبه أو بنفسه ، يستطلع رأيه ويستكشف سره ، ويستوحى عقله ويستفتى قلبه ، لزالت تلك الغشاوة التى عقدها التعصب على القلوب والأبصار ، ولعلموا أن صاحبهم صلوات الله وسلامه عليه ، ليس به من جنة كما يفترون ، وما هو إلا نذير لهم بين يديه عذاب شديد .

ومن هنا يتجلى لنا السر فى تمسك الأمم بالعقائد والمذاهب الموروثة ، وإن كانت لا تقوم على أساس من الحق ، ولا تعتمد على نظر صحيح ، ولا تتفق مع ما بلغته من الرقى العقلى والتقدم العلمى ، وفى أن التقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات كما قلنا ، ولهذا كان لابد للإسلام وهو يقيم دعائم التحرير ويبنى قواعد الإصلاح ، أن يحمل حملة قوية على التقليد والمقلدين ، فعاب على المقلدين إعراضهم عن الحق ، وجمودهم على متابعة ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال والانحراف ، ونعى عليهم جهلهم وافتراءهم على الله الكذب ، كما قال تعالى « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون » وسجل عليهم ما يقع منهم فى الدار الآخرة ، من الاعتراف بما جنته عليهم الطاعة العمياء لسادتهم وكبرائهم ، كما قال تعالى « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » .

وهكذا كشف الإسلام عن مدى جناية التبعية العمياء على الأتباع والمتبوعين ، وقضى على سلطة المتألهين من ذوى القيادة الضالة والزعامة الزائفة ، وخلع عنهم رداء القداسة التى انتحلوها لأنفسهم ، والتى جعلتهم فى نظر المخدوعين فيهم أربابا من دون الله تعالى ، وأهاب بأسرى التقليد والتبعية العمياء ، أن يحرروا أنفسهم من هذه العبودية التى أهدرت كرامتهم وإنسانيتهم ، وأن يعلموا أن الإشقاء والإسعاد ، وربوبية التشريع والعبادة ، أمور خالصة لله ملكا واستحقاقا ، وأن أساس الإيمان الصادق والدين الخالص ، هو التسليم الكلى لشرع الله الذى أنزله على رسوله ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » « أفحكم الجاهلية يبغون . ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

الدعامة الثالثة : تحرير الإنسان من عبادة الأهواء والخضوع لسلطانها ، فإن الهوى مضلة للعقل ، ومضيعة للحق ، لا يستقيم لصاحبه رأى ، ولا يعتدل له قصد ، ولا تسلم له طوية ، ولا يخضع لحق ليس فى جانبه ، ولهذا عنى القرآن بتحرير الإنسان من عبودية الأهواء عناية كبرى ، فندد بالعاكفين على تأليه الأهواء وعبادتها ، كما قال تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » « فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » ونعى عليهم أخلاقهم وسوء طوياتهم ، كما فى قوله تعالى « وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفى قلوبهم مرض ، أم ارتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون » هذه هى أخلاقهم فى الماضى وفى الحاضر ، يستفتونك فى الأمر وصدورهم منطوية على رأى دفين ، فإن أفتيتهم بما فى أنفسهم فرحوا ورضوا ، وإن أفتيتهم بغيره سخطوا وأعرضوا ، وسخروا منك ما شاءوا وشاءت أخلاقهم ، وإذا دعوتهم إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلتهم بالتى هى أحسن ، ركبوا رءوسهم ولجوا فى عتو ونفور ، وخاضوا فى جدال عنيف ونقاش عقيم ؛ لأنهم ليسوا طلاب حق وهدى ، وإنما هم أصحاب غرض وهوى ، لأن طالب الحق يطلب ما يطلب من حكم ورأى وهو مجرد عن كل هوى يطاوعه أو غرض

يتابعه ، ومستعد لقبول الحق والتسليم به متى ظهر له ، وذلك هو منطق العقل وطريق الوصول إلى الحق ، أما أن يضع المستفتى نصب عينيه رأيا معينا ، ويطوى نفسه على هوى دفين ، ويأبى إلا أن يكون الحق تابعا لرأيه وهواه ، فذلك هو منطق القلوب المريضة ، ومسلك النفوس العليلة ، ووحى الأهواء المؤلهة ، « ولو اتبع الحق أهواءهم ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » .

الدعامة الرابعة : تحرير الإنسان من مرض الجهل وظلمته ، فإن الجهل يطفئ نور القلب ، ويقتل مواهب الفكر ، ويميت فى الأمم عناصر الحياة والقوة ، ويفقدها قوة الإرادة وصدق العزيمة ، وقد عنى الإسلام بهذه الدعامة عناية كبرى ، فرفع شأن العلم وحث على طلبه ، وعظم شأن العلماء وأعلى منزلتهم ، وجعلهم رواد الحق ودلائل الهدى ، كما فى قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب » « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » . « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها ، ولا يضره من أى وعاء خرجت » .

وأنحى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام ، ويجادلون فى الله بغير علم ، كما قال عز وجل « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » وبذلك فتح الإسلام لأهله طريق المعرفة وأعد قلوبهم للحياة بنور العلم ، ووجه عقولهم للبحث والنظر ، وأرشدهم إلى أن العلم هو سبيل سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، فإن الإسلام إذ يمتدح العلم ويرفع من شأنه ، ويحث المسلمين على طلبه والاهتداء بنوره ، إنما يريد به العلم الذى يوضح لهم معالم السعادة فى المعاش وفى المعاد ، ويكشف لهم عن أسرار الكائنات ، ويعد لهم وسائل الحياة والقوة ، ويبنى لهم قواعد السيادة والمجد ، ولقد عمل المسلمون الأولون بهذا التوجيه الإسلامى ، فكانوا رسل الهداية وقادة الإصلاح وأساتذة العالم بلا منازع .

هذه هى الدعائم التى رفع الإسلام قواعدها ، وفتح بها للإنسان طريق التحرر الفكرى والاستقلال الإرادى ، وبوأه المنزلة اللائقة بكرامته ، وعرفه أن الله لم يخلقه عبدا يقاد كما تقاد الأنعام ، ولم يجعل لأحد حق السيطرة على عقله وقلبه ، وإنما خلقه حرا مالكا

لأمره ، يفكر بعقله ويعمل بإرادته ، ويستمع إلى دعوة الحق ، ويهتدى بنور العلم ، ويسترشد بدلائل الكائنات ، ويعتبر بما يجرى فيها من الحادثات ،

« وبعد » فقد تبين لنا من كل ما تقدم .

(١) أن التقليد الذى ذمه الإسلام وشدد النكير على أهله ، إنما هو التقليد الذى يقوم على العصبية الوراثية والنعرة الطائفية ، والذى لا يميز بين الحق الذى أنزله الله على رسوله ، والباطل الذى أوحت به الشياطين إلى أوليائهم ، ولا يفرق بين التقليد فى الخير والتقليد فى الشر ، وأما تقليد الأئمة الذين استنارت قلوبهم بهدى الكتاب والسنة ، وامتلأت نفوسهم رهبة الخوف من القول فى دين الله بغير حجة ، فليس من قبيل التقليد والتبعية العمياء ، وإنما هو من قبيل القدوة الصالحة المستبصرة ، والأسوة الحسنة الواعية ، ومتابعة غير العالم لأهل العلم والمعرفة ، لقوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث العرباض بن سارية « فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » فالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ، والسير على سنن الخلفاء الراشدين والأئمة الراسخين فى العلم ، هما سبيل النجاة من شرور الفتن والاختلاف ، وطريق العصمة من ضلال الرأى وطغيان الهوى .

(٢) أن حرية الفكر التى قررها الإسلام وجعلها حقا للإنسان ، هى التى تنبثق من نضوج العقل ونور العلم واستقامة التفكير ، وتقوم على قضايا الحق والمنطق ، وتحكيم الحجة والبرهان ، واحترام النصوص الشرعية وتقديسها ، والتزام قواعد الاستدلال التى جرى عليها أئمة المسلمين فى فهمها والاستنباط منها ، اذ لو وكل أمر الدين إلى الناس يحكمون فيه أهواءهم وأفهامهم كما يشاءون ، ويقبلون ويردون منه كما يشتهون ، لصار أمر الدين فوضى لا ضوابط له ولا حدود ، واختلت موازين الحق والباطل ، فإن العقول والأفهام متفاوتة ، والنوازع والأهواء متحكمة ، والكملة من أهل الحق فى كل زمان ومكان قليلون ، وبالجملة هى الحرية التى تصلح العقائد ولا تفسدها ، وتبنى المجتمعات الصالحة ولا تهدمها ، وتجعل من أهل الرأى قادة مصلحين لا قادة مضللين .

أما الحرية الفكرية التى لا تتقيد بقضايا الحق والمنطق ، ولا تلتزم قواعد النظر والاستدلال ، ولا تعبأ بحرمة النصوص الشرعية وقداستها ، ولا تبالى بالخروج على الأصول

الإسلامية المقررة ، ولا تعتمد إلا على الجهل والسفسطة ، والغرور والغطرسة ، إذ ليس لها رائد من الحق تلتزم طريقه ، ولا هدف من الإصلاح تسلك سبيله ، وإنما رائدها مرض القلوب وطاعة الأهواء ، وهدفها الإفساد والهدم والإغراق فى الفجور والتحلل ، فتلك حرية متحللة فاجرة ، لا يبيحها الإسلام ولا يرضاها لأهله ، لأنها سبة للعقل وعار على العلم ، وضلال فى التفكير وفساد فى الأرض .

فيامن أوسعتم لحرية الرأى مجالا غير محدود ، واصطنعتم لها معنى غير معقول ، وأطلقتم ألسنتكم وأقلامكم تهجم على قدسية الدين وتعاليمه ، وتشكك الناس فى أصوله ومصادره ، وتهدم صروح الفضائل باسم الإصلاح والتجديد ، راجعوا عقولكم وضمائركم فيما تصنعون ، فما هكذا تكون حرية الفكر وقيادة الرأى ، وما هكذا يكون الإصلاح والتجديد ، واتقوا الله فى أنفسكم وأمتكم وأوطانكم ، فإنّ الدنيا متاع قليل وإن جل فى أعينكم ، والرحيل عنها قريب وإن بعد فى أمانيكم ، وساعة الحساب آتية لا ريب فيها ، ولا مفر من الحساب ولا مهرب من الجزاء ، « يأيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .؟

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

من وحى الهجرة

هجـــرة كان بها أسمى الظفر   لك يامن رمت تحرير البشر
جمعت كل عظات وعـــبر   تمـــلأ النفس بأنوار اليقين

من قصيدة للأستاذ
عبد الرحمن نجا

في الميزان :

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

في رمضان من عام ١٣٦٤ أغسطس عام ١٩٤٥ نشر الأستاذ محمود أبو رية مقالا بالرسالة العدد « ٦٣٣ » تحت عنوان « الحديث المحمدي » ضمنه آراءه في بعض مباحث الحديث وذكر أنها خلاصة كتاب سينشر ، فلما قرأته وجدت فيه عزوفا عن الحق والصواب في بعض ما كتب ، فأخذت بالقلم وكتبت ردا أرسلت به إلى « الرسالة » فنشر بالعدد « ٦٤٢ » وقلت في ختام الرد « وحيث أن المقال خلاصة كتاب سينشر ، فإني لأهيب بالأستاذ أن يراجع نفسه في بعض هذه الحقائق التي تكشفت له ، وليكر على الكتاب من جديد بالتمحيص والتدقيق ، وعلم الحديث ليس بالأمر الهين ، والبحث فيه يحتاج إلى صبر وأناة وتمحيص وتدقيق » وقد أبى الكاتب أن يسلم بكل ما أخذته عليه فكتب ردا على ردي نشر بالرسالة العدد « ٦٥٤ » وذكر في مقدمة رده أن مقالي « ينزع إلى الحق ويطلبه ، وأنه يستحق العناية ويستأهل الرد » ، ثم تريث الأستاذ في نشر ما عن له من فصول هذا الكتاب فقلت : لعله راجع نفسه .

وفي عامنا هذا « ١٣٧٧ — ١٩٥٨ » طلع علينا الأستاذ أبو رية بكتاب تحت عنوان « أضواء على السنة المحمدية » فقرأت الكتاب قراءة باحث متثبت مستبصر فإذا هو صورة مكبرة لما أوجز في مقاله القديم ، وإذا بالمؤلف لم يغير من أفكاره إلا في القليل النادر ، فعزمت على الرد عليه ردا مسهبا ، ولا سيما وأن الكتاب أحدث بلبلة في الأفكار عند من لم يتعمقوا في دراسة السنة ، وقوى عزمي على الرد رغبات الكثيرين من الفضلاء ، الذين لا يزالون يذكرون ردي الموجز القديم وحسن ظنهم بي .

وقد رأيت أن أنشر هذه الردود على صفحات مجلة الأزهر « الزهراء » وأي مجلة أحق بمثل هذه البحوث من مجلة الأزهر ؟ وهي لسان الأزهر وحاملة لواء الإسلام والتعريف به والذب عنه ، وإليها يسكن المسلمون في جميع أقطار الأرض ، وقد آثرت أن أقدم بين يدي

النقد التفصيلي للكتاب صورة موجزة ، وإن شئت فقل خطوطا عريضة تعطينا فكرة عن الكتاب وطريقة مؤلفه ومنهجه فى البحث ، وإليك البيان :

(١) إن المؤلف يدعى دعاوى عريضة ولا يدلل عليها ، أو يحاول أن يدلل عليها ، فيعوزه الدليل ، أو يستدل فيأتى الدليل قاصرا عن الدعوى . . . وذلك مثل ما ذكره فى ص ٥ من (أن علماء الحديث قد بذلوا أقصى جهدهم فى دراسة علم الحديث من حيث روايته . . . على حين أهملوا جميعا أمرا خطيرا كان يجب أن يعرف قبل النظر فى هذا العلم ودرس كتبه ـ ذلك هو البحث عن حقيقة النص الصحيح لما تحدث به النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وهل أمر بكتابة هذا النص بلفظه عند إلقائه أو تركه ونهى عن كتابته ؟ وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه ؟

وهل ما روى منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق به النبي ـ لفظا ومعنى ـ أو كان مخالفا له ؟ ... ويعلم الله والراسخون فى العلم أن كل ما ادعى أنهم أهملوه جميعا قد قتلوه بحثا وبذلوا فيه غاية الوسع ومثل ما ذكره فى ص ٧ من (أنه وجد أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث كلها بما سموه صحيحا أو حسنا ـ حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه . .) ومثل قوله فى ص ١٣ « ولما كان هذا البحث لم يعن به أحد من قبل . . رأيت أن أسوى منه كتابا مبوبا جامعا أذيعه على الناس حتى يكونوا على بينة من أمر الحديث المحمدى ، وفى الحق أنه ما من بحث عرض له إلا قد أشبع العلماء فيه القول ، ولندع التدليل إلى مقام التفصيل . . .

(٢) إن المؤلف اعتمد فى التدليل على بعض ما ذهب إليه على كلام المستشرقين ! ! ! أى والله المستشرقين ، وذلك كما فعل فى ص ٨١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، وكيف خفى على المؤلف الحصيف أن المستشرقين ـ إلا القليل منهم ـ يحملون الضغن للإسلام والمسلمين ، وأنهم نفثوا سمومهم فى بحوث ادعوا أنها حرة نزيهة ؟ ـ وما هى من النزاهة فى شىء ـ وأن من مقاصدهم تقويض صرح الإسلام الشامخ ، وذلك بتقويض دعامتيه ـ القرآن والسنة ؟ ـ وأنهم لما عز عليهم التشكيك فى القرآن ـ على كثرة ما حاولوا ـ ركزوا معظم جهودهم فى السنة بحجة عدم تواترها فى تفصيلها ؟ فلبسوا الأمر على بعض الناس حتى كان من أثر ذلك ما يطلع علينا به بعض الباحثين فى الأحاديث النبوية بين الحين والحين ومنهم الأستاذ المؤلف من

آراء مبتسرة جائرة ، ويشهد الله أنها مصنوعة فى معامل المستشرقين ثم استوردها هؤلاء فيما استوردوا من أفكار وادعوها لأنفسهم زورا وبهتانا .

(٣) إن المؤلف أفاض فى بعض المباحث وأكثر من النقول وذلك لكى يرتب عليها ما يريد من نتائج هى أبعد ما تكون مترتبة عليها ، وذلك كما صنع فى مبحثى الرواية بالمعنى وضررها الدينى واللغوى والأدبى ، بينما أوجز إيجازا مخـــلا فى بعضها كما فعل فى مبحثى العدالة والضبط !! وهل تعلم أن هذين المبحثين اللذين يقوم عليهما علم الرواية ونقد المرويات فى الإسلام لم يحظيا من الكتاب إلا ببضعة أسطر ؟ والذى يظهر لى أنه أمر مقصود من المؤلف ، ذلك أنه لو ذكر شروط العدالة والضبط على ما أصلها وقعدها أئمـــة الحديث وصيارفته ، لعاد ذلك بالنقض على كثير ممـا ذكره المؤلف فى كتابه من استنتاجات لا تسلم له . ولا أكون مغاليا أو متعصبا إذا قلت : إن الأصول التى وضعها علماء أصول الحديث لنقد المرويات ، هى أرقى وأدق ما وصل إليه العقل البشرى فى القديم والحديث وسأفيض فى بيان ذلك عند النقد الموضوعى إن شاء الله .

(٤) من عجيب أمر هذا المؤلف أنه يستشهد بأحاديث موضوعة ما دامت تساعده على ما يريد ويهوى من آراء .

وذلك مثل ما فعل فى ص ٢٩ من استشهاده بمـا روى أن عمر حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء فى المدينة على الإكثار من الحديث فإنه خبر ظاهر الكذب والتوليد ـ كما قال ابن حزم ـ ونسبته روايته إلى ابن حزم ليس من الأمانة العلمية فى النقل . ومثل حديث عرض السنة على القرآن فهو موضوع باتفاق الأئمة على حين حاول أن يشكك فى أحاديث صحيحة ثابتة مثل حديث « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » فقد نقده من ناحية متنه موهما اختلاقه ص ٢٥٢ . وطعن فى حديث الإسراء والمعراج وحمل موسى محمداً عليهم الصلاة والسلام على مراجعة ربه ، واعتبر ذلك من الإسرائيليات ص ١٢٣ . كما اعتبر ذكر المسجد الأقصى فى حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . » من الإسرائيليات ص ١٢٩ . والإمام ابن تيمية وهو من أئمة المنقول والمعقول وينقل عنه المؤلف كثيراً فى كتابه ، احتج بهذا الحديث ولم يبد عليه أى مأخذ من المآخذ ، وهو من الأحاديث التى اتفق عليها الشيخان البخارى ومسلم إلى غير ذلك ممـا ستعلم الكثير منه عند ما نتعرض للنقد التفصيلى ، ولا أكاد أعلم للمؤلف سلفاً فى الطعن فى هذه الأحاديث من الأئمة اللهم إلا أن يكون

السادة المستشرقون وهى شنشنة نعرفها من أخزم ؛ ولعل مما يؤسف ويدهش أنه اعتبر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذى رواه البخارى وغيره « إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن » خرافة من خرافات كعب الأحبار امتدت إلى تلميذه عبد الله بن عمرو (ص ١١٤) . ولا أدرى كيف يتفق هذا وقول الحق تبارك وتعالى « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل الآية » الأعراف ١٥٧ .

٥ — جارى المؤلف المستشرقين حينما تكلم عن العصبية المذهبية والسياسية فى فصل الوضع لحكم على كل ما يدل على فضيلة لصحابى أو يشهد لفكرة أو رأى بأنه موضوع وهو تصرف لا يرتضيه المنصفون المتثبتون ، ولا ترتضيه قواعد البحث النزيه المستقيم ، فمن ثم طعن فى كثير من الأحاديث الصحيحة فى الفضائل ، وغير معقول ألا يكون لصحابة النبى الذين مثلهم فى التوراة والإنجيل ـ فضائل فى جملتهم وألا يكون لبعضهم من الفضيلة والمزية ما ليس للآخر . فادعاء أن كل ماورد فى الفضائل أو كل ما يشهد لفكرة أو رأى موضوع ـ إفراط وإسراف فى الحكم بغير دليل . وكذلك ادعاء أن كل ما ورد فى الفضائل ونحوها صحيح ، تفريط وتقصير فى البحث ، فلم يبق إلا الطريق الوسط العدل وهو الطريق الذى يهتدى فيه الباحث بصحيح النقد وصريح العقل إلى التمييز بين الصحيح وغير الصحيح ، وبيان المقبول من المردود ، وهذا هو ما صنعه جهابذة الحديث وأئمة النقد فى موقفهم من أحاديث الفضائل ونحوها .

٦ — لقد تحامل المؤلف تحاملا لا يرتضيه المنصفون لذى دين وخلق ـ على صحابى من صحابة رسول الله وهو أبو هريرة رضى الله عنه ، ونحن لا ندعى العصمة لأحد من البشر حاشا الأنبياء ، ولكننا نريد أن ننزل الناس منازلهم فى الفضل والعلم ؛ ولانحجر على العقول فلكل باحث أن ينتقد ويبدى ما يشاء من آراء فى حدود قواعد النقد الصحيحة ، ولكننا نحب للناقد أن يأخذ نفسه بأدب النقد ، وأن يراعى النصفة ، وأن يكون عفيف القول ، كريم التعبير مترفعاً عن الإسفاف ، كما هو الشأن فى العلماء ، وقد كان سلفنا الصالح يختلفون ويتجادلون ، ولكنهم كانوا يحلقون فى سماوات من العفة والترفع عن الهجر من القول ، والإنصاف وعدم التجنى .

ولا أدرى كيف استباح المؤلف لقلمه فضلا عن أدبه أن يرمى أبا هريرة بكل جارحة

من القول تعليقاً على كلمـــة لسيدنا أبي هريرة قالها تحدثا بنعمة الله عليه [١] . قال المؤلف ما نصه ص ١٨٧ « ولقد استخفه أشره وزهوه - يعني أبا هريرة - ونم عليه أصله ونحيزته فخرج عن حدود الأدب والوقار ! مع هذه السيدة الكريمة ، فكان يقول بعد هذا الزواج الذي ما كان يحلم به : إني كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني ، فكنت إذا ركبوا سقت بهم وإذا نزلوا خدمتهم والآن تزوجتها ، فأنا الآن أركب فإذا نزلت خدمتني .. الخ .

ومما أخرجه ابن سعد أنه قال : أكريت نفسي من ابنة غزوان على طعام بطني وعقبة رجلي ، فكانت تكلفني أن أركب قائما وأورد حافيا ، فلما كان بعد ذلك زوجنيها الله ، فكلفتها أن تركب قائمة وأن تورد حافية .

ويعلق الباحث الأديب على هـــذه العبارة ، فيقول بالهامش ما نصه : انظر إلى هذا الكلام الذي تعرى عن كل مروءة وكرم ، واتسم بكل دناءة ولؤم ، فتجده يباهي بامتهان زوجه والتشفي منها ، وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق [٢] ! . وبحسبي أن أضع هـذه العبارات ، التي نضحت بها نفس المؤلف الأديب بين يدي القراء ، وسأدع الحكم عليـــه ، لمحكمة الأدب السامي ، والضمير الإنساني ، وسيكون الحكم - ولا ريب - قاسيا .

هذا إلى ما جاء في تضاعيف كتابه من رمي المنتصرين للسنة المخالفين له في آرائه بالحشوية حينا ، وبالمقلدة والجامدين حينا آخر ، إلى غير ذلك مما ينبغي أن ينزه التأليف والنقد عنه .

هذا وليطمئن المؤلف أبو رية ، أني لن أتعرض لعقيدته ومذهبه ونشأته ، ولا لكرم أصله أو عدم كرمه ، ولا لمروءته أو عدم مروءته ، إلى غير ذلك مما تناول به السيد الجليل أبا هريرة ؛ فقد أخذت نفسي منذ أمسكت بالقلم أن أترفع عن مثل هـذه السفاسف ... ! والسباب والشتم إنما هما بضاعة العاجز الذي لا يسعفه المنطق السليم والحجة الدامغة ، ولن يرى مني إلا النقد الموضوعي للكتاب . ومن الله أستمد العون والتوفيق . فاللهم أعن وسدد ؟

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] في الاصابة عن مضارب قال كنت أسير من الليل فاذا رجل يكبر فقلت ما هذا قال : كثر شكر الله على أن كنت أجيرا لبسرة بنت غزوان ثم ذكر القصة .

٢ هذا ما قاله أبو رية في السيد أبي هريرة . وقال الامام ابن إسحق فيه « كان وسيطا في دوس » فانظر فرق ما بين المقالتين !

زين العابدين

على بن الحسين

٣٨ — ٩٤ هـ

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد. ولعمر الله العظيم لقد كان المسلمون الصادقون يتوارثون حب النبى صلى الله عليه وسلم وقرابته وتكريمهم، والنظر إليهم نظرة التقدير لأنهم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضيه ما يرضيهم، ويؤذيه ما يؤذيهم فمن آذى واحدا منهم فقد آذى الله ورسوله إلا أن يكون بحق الإسلام.

لجدير بكل مسلم أن يعرف لهؤلاء حقهم وأن يقدرهم قدرهم.

يروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقول! ارقبوا محمدا فى أهل بيته، وكان يقول والذى نفسى بيده لقرابة محمد صلى الله عليه وسلم أحب إلى من قرابتى.

ويقال: إن الخليفة المهدى عمر بن عبد العزيز لما وفد عليه عبد الله بن حسن بن على فى حاجة قال له: إذا كانت لك حاجة فأرسل إلى أحضر أو اكتب إلى فانى أستحى من الله أن يراك على بابى.

وما لا مجال لتحقيقه فى هذا المقام ولا داعى للخوض فى تفصيله أنهم كانوا يظفرون بهذه المنزلة الكريمة فى نفوس الصديقين ومن خلصت نفوسهم من الشوائب والأغراض لأنهم متمسكون بسنة جدهم النبى صلوات الله عليه معتصمون بدينه محتفظون بمزاياه التى خص بها الله سبحانه هذا البيت الكريم من التعرف إلى الله والاعتزاز به واللجوء إلى حماه والمروءة والكرم والفداء والتضحية وما إلى ذلك من معانى الإسلام التى اختارها الله للصفوة من عباده.

ومما لا مجال لتحقيقه أيضاً والخوض فى تفاصيله أننا لا ننشد لهم بذلك تعظيما لم يأذن به الله، مما يتشبث به كثير من العامة الذين يفرط كثير منهم فى أصول الإسلام وأسسه، فلا يقيم صلاة ولا يؤدى زكاة ولا يتورع عن الخوض فى أعراض الناس ومظالمهم، ثم يزعم أنه يحب آل البيت، وحسبه من ذلك أن يطوف حول قبر أو يمسك بحلقة مقصورة أو يدعو أحداً منهم بما خص الله سبحانه به نفسه.

كل هذا هراء وباطل وانحراف عن الجادة وسبيل محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأكرمين.

وبعد فقد كان على زين العابدين وذو الثفنات الزكى الأمين[1] صفوة هذ البيت الكريم بعد آبائه، وانحصرت فيه ذرية السبط الكريم حسين بن على رضى الله عنهم أجمعين.

ومن حديث هذه الذرية الكريمة أن الحسين رضى الله عنه كان له ستة أولاد على بن الحسين الأصغر وهو هذا الذى نتحدث عنه اليوم وأمه شاه زنان بنت يزدجرد بن كسرى أنوشروان ملك الفرس.

وقد تربى فى حجر أبيه الحسين بن على يأخذ عنه ما ورث عن أبيه وجده من آيات الله والحكمة ويحاكيه فى أدبه وسخائه وكرمه وحلمه حتى كان مضرب المثل والمورد العذب

وما زال هذا الإمام العابد الزاهد يأخذ نفسه بما تركه أبوه عليه من المعارف والمكارم فهو عالم فقيه ومحدث جليل وزاهد مبذال ورع.

وقد عده الحافظ الذهبى من الطبقة الوسطى من التابعين فى رجال الحديث وقال إنه روى عن أبيه وعمه الحسن وعائشة وأبى هريرة وابن عباس والمسور وبن عمر وغيرهم.

وأخذ عنه بنوه أبو جعفر محمد بن على وزيد وعمر وزيد أسلم وعاصم بن عمر والزهرى ويحيى بن سعيد وأبو الزناد وآخرون.

---

(١) هذه الأربعة ألقاب كان يدعى بها.

وذو الثفنات على التشبيه بثفنة البعير وهى ركبته وذلك أن مساجده كانت كثفنة البعير من كثرة صلاته ذكره شارح القاموس.

قال الزهري : ما رأيت أفقه من علي بن الحسين إلا أنه كان قليل الحديث وكان من أفضل أهل بيته وأعظمهم طاعة وأحبهم إلى عبد الملك وفي حب عبد الملك إياه ما يدل على أنه كان يؤثر التقية ويتجنب الخلاف إبقاء على جماعة المسلمين كعمه الحسن رضي الله عنه ولأنه يرى فيما هو فيه من الصلة بالله والتوجيه الصالح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ما يشغله عن ذلك الخلاف الذي يرى أن الله سبحانه يفصل فيه بعدله ، ويقضي فيه بحكمه ، على أنه كان مهيبا شجاعا لا يبالي ما يواجهه في الحق .

ويروى الذهبي عن مالك أنه قال : بلغني أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة إلى أن مات . وقد يكون في ذلك شيء من المبالغة على أنه يلقي ضوءا على ما كان فيه من طول القنوت والإنابة إلى دار الخلود .

وكان يسمى زين العابدين لعبادته .

وكانت وفاة علي بن الحسين سنة ٩٤ هـ ودفن بالبقيع في خلافة الوليد بن عبد الملك في قبر عمه الحسن رضي الله عنه في القبة التي فوق قبر العباس رضي الله عنه كما رواه ابن خلكان في وفياته .

وقد نصت جميع الكتب التي رأيت في تاريخ الإمام علي بن الحسين أن وفاته كانت في سنة ٩٤ هـ منها تواريخ ابن خلكان والذهبي والشبلنجي في كتابه نور الأبصار ومعنى ذلك أنه توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك كما رأيت .

وإذا كان ذلك فلا صحة لما يشاع في كتب الأدب وبعض الكتب التي لا تحقيق في رواياتها من أنه حج مع هشام بن عبد الملك وأن هشاما جهد أن يصل إلى الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام وأن الناس تنحوا لزين العابدين حين رأوه وأن هشاما سئل عنه فادعى أنه لا يعرفه وأن الفرزدق كان حاضرا فقال أنا أعرفه وأنشد :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ونحن لا ننكر أن يكون ابن الحسين جديرا بهذا الشعر ولا بما هو أروع منه ، وإنما نذكره للتحقيق التاريخي . فإن سياق القصة يدل على أن هشاما يومها كان خليفة ، ونحن نعلم

أن خلافته تبتدئ منذ سنة ١٠٥ للهجرة أي بعد وفاة السيد زين العابدين بما يجاوز عشر سنوات .

فإن تكن الحادثة صحيحة أولها أصل فلعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء ، أو مع غير زين العابدين من آل البيت ، أو بينهما في غير خلافة هشام .

وإليك بعض صفات زين العابدين وأخباره وطرفا مما نقل من أقواله مما له دلالة على مبلغ بصره ومعرفته ومزاياه الكريمة .

١ — كان علي بن الحسين رضي الله عنه يخاف الله ويخشاه خشية من أيقن بالموت ، ورأى الدار الآخرة . وعرف الله حق المعرفة ، وورث صفات النبوة فكان مصليا صواما ، معرضاً عن الفضول مشتغلا بما يعنيه وحده ، وقد رأيت ما نقل عن مالك رحمه الله من أنه كان يصلي ألف ركعة ، وذلك عمل من لا يجد فراغا لغير الله . ولا يعرف وجهة سواه .

وروى أن رجلا لقيه فسبه فقال : يا هذا ؛ بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالي ما قلت ، وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول . وروى أنه كان إذا حضرت الصلاة اصفر لونه فيقال : ما هذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء فيقول : أما تدرون بين يدي من أقف . . !

ولعلك أيها القارئ الكريم تعرف من هذا وأمثاله كيف كان هؤلاء الصديقون من أهل بيت النبوة ؟ وأنهم لم يغتروا يوما بالصلة بالله ورسوله ، ولكنهم كانوا أشد الناس خوفا من الله ، وإشفاقا من غضبه ، واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في معرفة حق الله وهضم نفوسهم وتهذيبها .

٢ — كان علي بن الحسين يعرف حق الله والإنسانية في السائل والمحروم ، والعاثر والمكدود فيتعهد الفقير وينفق مما آتاه الله سبحانه بالليل والنهار سراً وعلانية ، ويجهد نفسه ويعنيها في تحمل أعباء الناس . عن ابن عائشة قال : سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين .

وعن محمد بن اسحق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم . فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم . وكان يحمل

جراب الخبز على ظهره يتصدق به ، فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد فى ظهره فقيل : ما هذا ؟ قالوا : كان يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

وعن سفيان قال : أراد على بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينة ألف درهم ، فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين .

وهكذا يتجلى الإسلام على حقيقته فى آل البيت النبوى الكريم ، والإسلام بذل وتضحية وإيثار وجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس ، وبذل لكل ما عند المرء فى سبيل الإنسانية طاعة لله وليس مجرد صلاة وصوم ودعاء وذكر .

٣ — كان زين العابدين أديبا مهذبا عف اللسان حليما متواضعا متسامحا ، يتصدق بعرضه على المسلمين ، كما يتصدق بماله على المعوزين .

وقد مر بك ما كان من إعراضه عن مجاراة من سبه ومجازاته وعن سفيان قال : جاء رجل إلى على بن الحسين فقال : إن فلانا وقع فيك بحضورى فانطلق إليه معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه ، فلما أتاه قال : يا هذا إن كان ما قلته حقا فأنا أسأل الله أن يغفر لى ، وإن كان باطلا فالله تعالى يغفره لك ثم ولى عنه .

وهكذا كان الأدب والحكمة فى العلماء الراسخين من هذه الأمة الكريمة ، فلم يكن فراغ نفوسهم يدفعهم إلى الكبرياء ويوقعهم فى الحماقة الرعناء ، ليكثروا خصومهم فى الناس وليضاعفوا مشاكلهم فى الحياة . وما أجمل البساطة وسلامة الصدر ونسيان السيئات ! والصفح عن الزلات تحقيقا لمعنى الأخوة ، وحرصا على إشاعة السلام ! وفى الحديث الشريف : والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا .

٤ — على أن زين العابدين لم يكن جبانا فى الحق ولا ضعيفا أمام الجبابرة من الأمراء والمسلطين .

وكانت تعرض له مشاكل منذ حداثته يطير فيها فؤاد النكس ويخشع لها قلب الصنديد ، فما يبالى ما يصيبه إذا قال الحق وشفى نفسه لله .

روى فى عدة مصادر أن ملك الروم ، كتب إلى عبد الملك بن مروان يهدده ، فرأى أن يهدد على بن الحسين ليرى ما يقول فيبعث به إلى ملك الروم فكتب إلى الحجاج أن توعد على بن الحسين واكتب إلى بما يقول :

فكتب الحجاج إليه يتوعده .

وكان جواب على بن الحسين أن قال :

إن لله عز وجل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ليس منها لحظة إلا يحيى ويميت ويعز ويذل . ويفعل ما يشاء ، وإنى لأرجو أن يكفلك منها بلحظة واحدة . فأرسله الحجاج إلى عبد الملك ، ثم كتب به عبد الملك إلى ملك الروم رداً على تهديده ، فلما قرأه ملك الروم قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة .

فانظر كيف كان ثبات زين العابدين، ثم تأمل كيف احتاج كل من عبد الملك والحجاج - مع غزير علمهما ووافر ثقافتهما وفصاحتهما - إلى الانتفاع بما يكتب زين العابدين فى موقف الإثارة .

٥ — أما علمه ومعرفته ، وأما إحاطته بشئون الدين ، فقد كان إماما ومرجعا يفىء الناس إلى ظله ، ويتداوون به من الجهل ، ويشعون به ظلمات الحرمان ، وقـــد بالغ فيه بعض الصوفية ، فادعوا أن لديه من علوم الكشف وما لا يطلع عليه الناس الشىء العجيب .

٦ — ولكن حسبنا أن ننقل إليك بعض فقرات من كلامه لترى فيها صورا من علمه وأدبه إلى صور من بيانه وبلاغته .

روى أنه كان يقول لابنه: يا بنى إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ، ورضينى لك فحذرنى منك ، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له ، وكان يقول له يا بنى اصبر على النوائب ، ولا تتعرض للحتوف ، ولا تجب أخاك من الأمر إلى ما مضرته عليك أكثر من منفعته لك .

ومن كلامه : إذا نصح العبد لله تعالى فى سره أطلعه الله على مساوىء عمله فتشاغل بذنوبه عن معايب الناس . عبادة الأحرار لا تكون إلا شكراً لله لا خوفا ولا رغبة . عجبت لمن يحتمى من الطعام لمضرته ، ولا يحتمى من الذنب لمعرته . أربع عزهن ذل : البنت ولو مريم ، والدين ولو درهم ، والغربة ولو ليلة ، والسؤال ولو أين الطريق .

وفى الفصول المهمة أن جماعة من البادية دخلوا عليه ، فقالوا فى أبى بكر وعمر وعثمان فقال لهم : ألا تخبرونى من أنتم ؟ ، أأنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم

وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ؟ ، قالوا : لا ، قال : فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ قالوا : لا ، قال : أما أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ؟ ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا » اخرجوا عنى فعل الله بكم وصنع .

رحم الله زين العابدين وجعل فيه مثلا للصالحين ؟

محمود النواوى

« حنين »

سما بى شوق للحجاز شديد فإنى محب ، والمحب مريد ! !
أحب رسول الله حبا إخاله حنينا ، وهل بعد الحنين مزيد ؟!
وأهفو إلى البيت الحرام وزمزم وطيبة ، والمولى على شهيد !
مواطن حفت بالجلال وهيبة ومجد لنا فى العالمين تليد !
بنفسى أفديها ، ونفسى عزيزة وكل محب بالعزيز يجود !!
لقد طال شوقى للحبيب محمد وطال انتظارى والحبيب بعيد !
إليك رسول الله أشكو تخلفا كأنى به عبر الزمان طريد !!
أحاول أن أسعى ولكن حالتى تعوقنى عما لديك أريد !
وفى كل عام للحجيج قوافل تزور ، وإنى دونها لقعيد !
وتلك - لعمرى - حالة لا أطيقها يروعنى منها أسى ، وجمود !!
فجد لى بقرب منك يا سيد الورى فأشعر أنى فى الرحاب سعيد !

محمود طيره
رئيس بعثة الأزهر بالصومال

الاسلام فى غانا

على الساحل الشرقى للمحيط الأطلسى ، وفى جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية ، تقع دولة صغيرة تبلغ مساحتها حوالى ٩٢ ألف ميل مربع ، كانت تعرف فى المصورات الجغرافية باسم « ساحل الذهب » ، ثم عرفت بعد استقلالها فى ٦ من مارس سنة ١٩٥٧ م باسم « غانا » ، وهو الاسم الجغرافى للمناطق الساحلية فى غربى إفريقية ، والاسم التاريخى لمملكة قديمة كانت قائمة بين أعالى نهر النيجر ونهر السنغال منذ ٨٠٠ سنة . وظهرت هذه الدولة ، رغم حداثة استقلالها ، على مسرح الحياة السياسية بشكل بارز ، واشتركت فى المؤتمرات التى عقدت لصالح الشعوب الإفريقية والآسيوية ، وتوطيد أركان السلام العالمى .

وبمناسبة زيارة رئيس وزرائها الدكتور كوامى نكرومه Kwame Nkrumah لمصر ، وإعجابه بالدور الكبير الذى يقوم به الأزهر فى توثيق الروابط بين مصر والعالم الإسلامى ، أود أن أعرض لقراء مجلة الأزهر الغراء صورة مبسطة ، توضح لنا بعض معالم هذه البلاد ، وتكشف لنا بها أحوال المسلمين هناك ، قياما بواجب التعارف بين الجماعة الإسلامية ، ولنكون على بينة من الأمر فيما نقدمه من خدمات لإخواننا فى هذه المناطق التى باعد بيننا وبينها المستعمرون .

عرف العرب والمسلمون هذه البلاد منذ القرن الأول للهجرة ، فبعد أن وطدوا دعائم الحكم الإسلامى فى شمالى إفريقية ـ اتجهت قوافلهم نحو الجنوب ، واخترقت صحراء فزان والواحات ، ووصلت قبيلة « بنى حسن » إحدى قبائل « بنى هلال » إلى داخل بلاد السودان حاملة معها رسالة الإسلام مع ما يحملون من تجارة . ومن الشمال الغربى توجه المرابطون إلى داخل القارة لنشر الدعوة الإسلامية ، وغزوا مملكة « غانا » التى كانت قائمة بين أعالى نهر النيجر ونهر السنغال ، وأسس هناك أبو بكر بن عمر اللتونى مملكة « السونغاى » ، وأصبحت مدينة « تمبكتو » التى اختطها الطوارق سنة ١٠٧٧ م ملتقى الوافدين من الشمال والشرق والغرب ، وصارت مركز الدعوة الإسلامية فى هذه الجهات . ولم يمت أبو بكر ابن عمر سنة ١١٢٠ م إلا بعد أن وصلت قبائل الديولا حاملة رسالة الإسلام إلى ساحل

الذهب « غانا » وساحل العاج وسيراليون والمناطق الساحلية الأخرى . ثم جاء رجال الطرق الصوفية الكبرى : الجيلانية والشاذلية والتيجانية ، وتابعوا نشر الدعوة حتى وصلوا بها إلى حدود الكونغو .

ولم يعرف الغربيون ساحل الذهب « غانا » إلا بعد منتصف القرن الخامس عشر ، عندما قام الأسبانيون والبرتغاليون يثأرون من العرب الذين حكموهم عدة قرون ، فطاردوهم وتتبعوا بلادهم فاتحين ، وتحركت أساطيلهم بزعامة الأمير هنرى ابن الملك جوان الأول ، متتبعة ساحل إفريقية الغربى حتى وصلت سيراليون ، وتابعت سيرها بعد وفاة الأمير حتى وصلت حدود الكونغو .

وكان نزول البرتغاليين إلى ساحل الذهب سنة ١٤٧١ م . فاشتغلوا هناك بالتجارة ، التى أسالت لعاب بقية الأوربيين ، فوفدوا إليها جماعات من كل منطقة ، وتنافسوا فى تجارة الرقيق إلى جانب التجارة فى منتجات البلاد المعدنية والنباتية ، ثم انسحب هؤلاء جميعا ، ولم يبق إلا البريطانيون الذين بسطوا سلطانهم على البلاد ، وتم لهم إخضاعها سنة ١٩٠٠ م بعد حروب دامية استمرت سنين عديدة ، وظلت البلاد ترزح تحت نير الحكم البريطانى ، يطبق فيها سياسته الاستعمارية التقليدية ، القائمة على الاستغلال والاستئثار بخيرات البلاد ، وإهمال شئونها وإحباط كل مجهود يرمى إلى النهوض ، وكبت الحريات والقضاء على كل حركة تحررية ، حتى كانت الانتفاضات الأخيرة التى اشترك فيها الدكتور نكروماه بعد عودته سنة ١٩٤٧م من امريكا وانجلترا ، حيث كان يكمل تعليمه هناك ، وبعد جهاد عنيف حصلت البلاد على استقلالها فى ٦ من مارس سنة ١٩٥٧م ضمن الممتلكات البريطانية وسيكون الحكم فيها ديموقراطيا جمهوريا فى هذا العام .

* * *

تتكون « غانا » الآن من أربع مناطق : منطقة الساحل حيث توجد عاصمة البلاد « أكرا » ومنطقة « أشانتى » شماليها ، ثم المناطق الشمالية بعد ذلك ، وأخيراً الجزء الانجليزى من « توجولاند » الألمانية القديمة . ويبلغ السكان حوالى خمسة ملايين ، معظمهم من الزنوج ، ليس فيهم إلا نحو مائة ألف أوروبى ونحو عشرة آلاف عربى من سوريا ولبنان. وهم خليط من عدة قبائل ، أشهرها : الأشانتى والفانتى ، وكل قبيلة لها لغتها الخاصة

التى تتفرع إلى عدة لهجات تبلغ جملتها نحو ٥٠ ، واللغات الرئيسية أربع ، تسود كل منها فى منطقة من مناطق الدولة .

وغالب السكان يدينون بدين الآباء والأجداد وهو الوثنية ، ونسبتهم أكثر من ٦٠ ./. ويوجد هناك مسيحيون تنصروا على يد الإرساليات التبشيرية التى وفدت مع الفاتحين والمكتشفين الغربيين ، ويبلغون حوالى ٣٠ ./. كما تتولى نشراتهم الدينية الرسمية ، ويبدو أن هذا التقدير مبالغ فيه ، يراد به إبراز نشاط المبشرين للجهات التى يعملون لحسابها حتى تقوى بذلك مراكزهم ، كما أكد ذلك كثير من المراقبين للشئون الدينية . أما المسلمون فقد اضطربت الأقوال فى تقديرهم ، نظراً لعدم وجود إحصاءات دقيقة للسكان . وتزعم المصادر الأجنبية أنهم لا يتجاوزون ٤ ./. من السكان ولكن يؤكد أحد كبار المسلمين الذين تخرجوا فى الأزهر وله مكان محترم فى الأوساط الرسمية هناك أن عددهم لا يقل عن مليون نسمة . وأن المستعمرين والمبشرين الذين يعملون لحسابهم يحاولون جهدهم أن يقللوا من شأن المسلمين تنفيذاً لخطة مرسومة . ويكثر المسلمون فى المناطق الشمالية ، ومظهر الإسلام هناك واضح جداً ، إذ يفوق عدد المسلمين هناك كل الطوائف الأخرى . ثم يقل عددهم فى أشانتى وغيرها .

وأكثر المسلمين غرباء وفدوا من غرب إفريقية وشرقيها والمناطق المجاورة ، للعمل فى الزراعة والمناجم والتجارة ، وتعتبر مدينة « كوماسى » عاصمة إقليم أشانتى ، ومدينة « أكرا » عاصمة البلاد ، من أكبر المراكز لاستقبال هؤلاء العمال الوافدين . ويلاحظ أنه لا تخلو أية مدينة كبيرة من وجود حى إسلامى فيها ، كما لا تخلو أية قرية من القرى من وجود أحد التجار المسلمين ، وكل جماعة من المسلمين لهم زعيم يرعى شئونهم ، والزعيم الأكبر مقره مدينة « كوماسى » ، وتكاد تنحصر الزعامة فى أسرة « بريماه » التى يرجع أصلها إلى قبيلة جاويوروبا ، وثلاثة أرباع المسلمين من أهل السنة والجماعة ، ويوجد نحو اثنين وعشرين ألفاً ينتحلون نحلة القديانية ، ولهم نشاط بارز فى كافة النواحى ، ومدارسهم ناجحة بالرغم من أن تلاميذها لا يدينون جميعاً بمذهبهم . ومذهب أهل السنة مالكى ، نظراً لأن الوافدين قديماً وحديثاً هم من شمالى إفريقية وشرقيها وغربيها حيث يسود المذهب المالكى هناك . كما أن أكثر المسلمين ينتمون إلى الطريقة الصوفية التيجانية ، التى أسسها بالمغرب أحمد بن محمد التيجانى المتوفى سنة ١٧٨٢ م .

والخرافات منتشرة فى البلاد بشكل واضح ، والعادات الوثنية القديمة راسخة فى نفوسهم مسيطرة على تصرفاتهم ، والسحر والشعوذة والاعتقاد فى الأرواح الخفية والأسرار والألغاز يكاد يكون قــدراً مشتركا بين المواطنين جميعاً ، والسحرة هناك لهم مكانتهم واحترامهم ، ويخشى الناس بأسهم فيتوددون إليهم بإقامة الحفلات وتقديم القرابين ، لأنهم يوهمونهم أن لهم صلة قوية بالله ، أطلقت أيديهم فى الكون تتصرف كما تشاء .

ومستوى التعليم فى البلاد ضعيف جدا ، فكانت نسبة الأمية قبل خمس سنوات ٨٥ ٪ ولم يبدأ النشاط العلمى إلا بعد سنة ١٩٥١م ، فأنشئت المدارس الابتدائية والثانوية ومعاهد لتخريج المعلمين وبعض مدارس فنية ، وتوجد الآن كليتان جامعيتان ، إحداهما قرب أكرا ، وهى تؤهل الطلاب للحصول على الدرجات العلميــة والأدبية من جامعــة لندن ، والأخرى فى كوماسى وهى للتكنولوجيا والعـلوم والآداب . غير أن حظ المسلمين من التعليم ضئيل ، وأكثرهم مهتم بالناحية المادية مشغول بالزراعة والتجارة ، والكتاتيب التى تعلم القرآن ومبادئ الدين لا تكفى لتثقيف المسلم تثقيفاً صحيحا ، فالقائمون على أمرها تنقصهم الكفاية العلمية ، كما أن الموارد المالية ضئيلة .

وكانت مصر بفضل الأزهر أسبق الدول إلى تقــديم الخدمات للمسلمين فى غانا ، فنى كل عام يفد إليها كثير من الطلاب يتلقون العــلم فى الأزهر ، فى معهد أنشئ للطلاب الوافدين من أطراف العالم ، ويلقون فى رحابه كل عناية ورعاية ، وقد عاد كثير من هؤلاء الطلاب إلى بلادهم رسل هداية وثقافة ، وألسنة خير تشيد بمصر والأزهر كعبة العلم ، ومنبع الثقافة الإسلامية ، ومركز الإشعاع الدينى والروحى للمسلمين فى كافة أنحاء العالم .

* * *

هذا والمسلمون هناك يعيشون فى وفاق مع باقى المواطنين ، ويشاركون فى كل نشاط ، وكل حركة إصلاحية فى البلد ، وهم يسعون جاهدين لتحسين أحوالهم . وقد أنشئوا لهم اتحادا فى أوائل القرن العشرين ، يشرف عليه كبار المسلمين من كل أنحاء البلاد ، الغرض منه رعاية مصالحهم وتحسين وضعهم ، والقضاء على فوارق الجنس واللون والمذهب بينهم ، وقد أفاد هــذا الاتحاد فى توحيد جميع العناصر الإسلامية ، وإيقاظ قبائل غانا للعمل والنشاط والاشتراك فى المؤسسات المختلفة ، وقد تحول أخيرا إلى حزب سياسى ، مع الأحزاب الستة الأخرى ، وخاض المسلمون غمار المعارك الانتخابية . ولهم ممثلون فى المجالس البلدية ، وعضو فى برلمان غانا .

والواجب أن توجه عناية كبيرة إلى المسلمين فى هذه البلاد ، فهم فى حاجة ماسة إلى من يبصرهم بواجبهم فى وسط هذا العراك ، وإلى من يعطف قلوبهم نحو الشرق ويربطهم بالعرب ، ويقرب بينهم وبين إخوانهم فى الأقطار الإسلامية ، وذلك قبل أن توقعهم فى شراكها امريكا ، التى تبذل جهدها لسد الفراغ فى هـذه المناطق التى تقلص عنها نفوذ الانجليز ، ويكفى أن نعلم أن امريكا تستورد ٣٩ ./. من محصول الكاكاو فى غانا ، وفى حاجة ماسة إلى المنجنيز والمعادن التى تكثر بها . كما أن بجامعاتها ١٤٠ طالبا يصنعون هناك صناعة خاصة ، لها أثرها بعد عودتهم إلى بلادهم وتقلدهم المناصب الكبيرة .

والغربيون عموما حريصون على أن يربطوا هذه البلاد بعجلتهم ، والمبشرون وهم دعاة الاستعمار يخشون تزايد عدد المسلمين لأن باب الهجرة الذى جاهدوا لإغلاقه ما زال مفتوحا ، وسيكون مشروع توليد الكهرباء من نهر الفلتا وما يتبعه من التقدم الصناعى ، مدعاة لجلب عدد كبير من المسلمين المهاجرين فيزداد بذلك نفوذ المسلمين . وهناك عبارات شائعة متوارثة : الإسلام دين السود ، وعند ما يرحل البيض فإن المسلمين هم الذين سيحكمون البلاد . وهم يخشون جميعا ضعف النظام الاجتماعى الذى يؤازره نفوذ الزعماء الوثنيين فى المجالس البلدية ، لأن هذا النفوذ آخذ فى الضعف ، وبالتالى سينهار النظام الاجتماعى ، وهنا تكون الفرصة سانحة لتدخل الإسلام وبسط نفوذه بين الوثنيين كنظام اجتماعى يتناسب وطبيعة البلاد وعقلية السكان ، وتكون الطامة الكبرى على التبشير والمبشرين وعلى الاستعمار والمستعمرين .

يجدر بالمسلمين شعوبا وحكومات ألا يدعوا هذه الفرصة تفلت من أيديهم ، وأن يكونوا على حذر ويقظة وسط هذه الدوامات والتيارات السياسية التى يثيرها ويوجهها قوم يكيدون للشرق ، ويتربصون الدوائر بالمسلمين .

فلينزلوا إلى الميدان مسلحين بأسلحة العصر ، وليثبتوا وجودهم كأمة لها كيانها واعتبارها ، ولها مجدها الغابر وطاقاتها الحية القوية التى تغالب الزمان ، وتقهر أعظم قوة فى الوجود . إن أحسنوا استغلالها واعتصموا بها ، والله سبحانه ناصر عباده المؤمنين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

عطية صقر

المدير الصحفى لمكتب شيخ الأزهر

آمال متواضعة

هل تتحقق خلال العام الجديد ؟؟

وندع الآمال الكبرى من تحقيق الاستقلال التام والوحدة الكاملة لبلاد العرب ، إلى قيام التعاون والتضامن بين ديار الإسلام . . . ندع هذه الآمال الكبرى فهى محل الإجماع ، وهى مما يتطلب اليقظة الدائمة ، والعمل الدائب الذى لا يقف عند سنة واحدة من السنين ، بل ولا يقف عند جيل بعينه من الأجيال .

ندع هـــذه الآمال الكبرى التى يلتقى عليها العرب والمسلمون ، ونتناول تخطيط آمال محدودة فى نواح جزئية متواضعة ، يمكن أن تتحقق بدايتها وتوضع أسسها فى خلال عام ، ثم لا تزال تؤتى أكلها بعد ذلك كل حين بإذن ربها .

ولن نتناول من هذه الآمال القريبة إلا ما يتعلق بالفكر والثقافة ، وهو مجال حيوى له أثره وخطره فى السلوك والأخلاق والتقاليد ، وفى العمل والإنتاج والنشاط .

* * *

ونبدأ بآمالنا فى أزهرنا العتيد ...

نريد أن نرى الأزهر مقبلا على الشطر الثقافى من رسالته العلمية ، لا يقصر نشاطه على الشطر التعليمى وحده .

ففى الأزهر مراقبة للبحوث والثقافة ، لا بد أن تكون لها خطتها السنوية فى الترجمة والتأليف ، ولا بد أن تكون لها نشراتها ومطبوعاتها وإنتاجها..

هذه كلها أمور مفهومة بداهة من وجود مراقبة للبحوث والثقافة ، والذى أؤمله اليوم أن يتضمن نشاط هذه المراقبة إنشاء قسم خاص « لنشر المخطوطات وإحياء التراث العربى » وهذا القسم له دور أساسى فى أى تخطيط يتناول ثقافتنا الإسلامية .

والمواد الخام لهذا القسم موجودة كلها : وأولها أن مكتبة الأزهر نفسها عامرة بالمخطوطات التى منها ما تنفرد به ، والتى منها ما لم يحقق وينشر بعد . . فضلا عن المخطوطات الموجودة بدور الكتب الأخرى والجامعات .

والأساتذة الذين يباشرون تحقيق هذه المخطوطات موجودون فى الأزهر ، وبعضهم يحقق فعلا بعض المخطوطات لحساب دور النشر المختلفة ، وبعض خريجى الأزهر الذين يعملون فى جهات أخرى لهم مثل هذا النشاط المحمود ، على أنه لا حرج بعد ذلك فى أن يتعاون الأزهر ـ فى هذا العمل العلمى الضخم ـ مع المشتغلين بالتأليف والتحقيق أيا كانوا .

وأنا طبعاً لا أريد أن توقف الجهود الفردية ، ويكون هذا النشاط العلمى مقصوراً على الجهات الرسمية ، فإن هذا يؤدى إلى التعويق والتجميد بل ينبغى ألا نحول بين الأفراد ودور النشر وبين بذل الجهود الممكنة فى هذا الميدان ، بل ينبغى أن نشجع مثل هذه الجهود بكل قوة ، وفى الوقت نفسه نتولى تجميع وتنسيق قوانا كلها ، فيا تقصر عنه جهود الأفراد والمؤسسات الخاصة ، وما يحتاج إلى جهود وأموال الدولة ذاتها . ويكون البدء بأن يتخصص مجلس معين من قبل الأزهر لهذا العمل ، ويتفرع إلى لجان ، بعضها للعقائد ، وبعضها للفقه ، وبعضها للتاريخ ، وبعضها للغة والأدب ، وتتولى هذه اللجان حصر المخطوطات الموجودة وتحديد خطة نشرها .

فهل هذا أمل عزيز على التحقيق ؟ ؟

إنه ممكن جداً ، ولن يحتاج لكثير من المال فى أول مراحل المشروع ؛ فإن المجلس بلجانه سيقضى فترة فى الحصر والدراسة ، والاختيار والتوزيع .

وفى مراحل التنفيذ العملى يكفى البدء بكتاب واحد فى كل فرع من الفروع ، وبالتدريج تتزايد القوى المرصودة لتحقيق المشروع .

إن تكوين المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وتخصيص وزارة للثقافة والإرشاد ، يذكرنا بواجب الأزهر فى هذا السبيل . وعلى رأس الأزهر اليوم شيخ له دراساته وتآليفه ، ووكيل له دراساته وتآليفه ، وجماعة من كبار العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس والتأليف ، وأساتذة جمعوا إلى ثقافتهم الأزهرية أرقى الدرجات العلمية من الجامعات الغربية . فهلا يقرب هذا كله تحقيق أملنا المتواضع ؟ ؟

* * *

وثانى الآمال القريبة ، التى نعقدها على أزهرنا العتيد ، أن يقوم ـ تحقيقاً للجانب الثقافى من رسالته العلمية ـ بإصدار مجلة (أكاديمية) ضخمة ، تصدر كل ثلاثة شهور مثلا . . بجانب المجلة الحالية التى تصدر للقراء عموما من الجمهور .

إن هيئات الاستشراق الغربية لها مجلاتها ومطبوعاتها . . . والمجمع العلمى فى دمشق، وزميله فى بغداد لهما مطبوعاتهما الدورية وغير الدورية ذات الطابع العلمى العميق . وليس فى مصر أولى من الأزهر بإصدار مثل هذه المجلة (الأكاديمية) التى تتخصص فى الدراسات الإسلامية ، والتى تفسح فى صفحاتها مجالا لأساتذة التاريخ الإسلامى والفلسفة الإسلامية والأدب العربى فى الجامعات ، ولغيرهم من المتخصصين فى أمثال هذه الدراسات ، ثم تراسل العلماء الشرقيين والمستشرقين ، لتستكتبهم أبحاثاً فى مختلف الموضوعات . ومثل هذه المجلة تكون رابطة بين هؤلاء العلماء والباحثين ، وتكون نوراً تكشف عن أهم المخطوطات والمطبوعات المتناثرة بين مكتبات العالم والتى تتناول جوانب الثقافة الإسلامية المتعددة المتنوعة . فهل هذا مطلب بعيد ؟ ؟

لا أظنه كذلك . . فإن تزويد مجلة كل ثلاثة شهور بالمواد اللازمة ليس مما يعز على الأزهر والأزهريين وغيرهم من العلماء المتخصصين ، وأما تكاليف الورق والطباعة ، فما أزهدها إذا قيست بالنفع المتحقق من وراء هذا الأمل القريب .

* * *

ونحن نؤمل فى قسم (نشر التراث القديم) بإدارة الثقافة ، الذى كان تابعاً لوزارة التربية وأظنه ألحق بوزارة الثقافة والإرشاد فى تصميمها الجديد - نؤمل فى هذا القسم القائم ، أو فى زميله بالأزهر إذا أنشئ ، أو فى مجلس الفنون والآداب ، أو فى الجامعة العربية . . نؤمل فى أحد هؤلاء ، أو فى هؤلاء معاً متعاونين - أن يخرجوا لنا الموسوعة الأمينة فى تاريخنا الإسلامى ، التى ما فتئ المخلصون يلحون فى الاهتمام بها والارتكاز عليها ، ونعنى (تاريخ الأمم والملوك) لابن جرير الطبرى .

هذا الكتاب يحتاج إلى جهود من نوع جديد ، غير الجهود التى بذلت فى طبعة ليدن تحت إشراف المستشرق الهولندى دى غويه ... الجهود المرتقبة لا يفهمها ولا يهضمها غير العرب والمسلمين ، فهم الذين يعرفون مهمة الرواية والإسناد فى نقل تراثنا من السلف إلى الخلف ، ويعرفون قيمة التعديل والتجريح ، ويستطيعون أن يلحقوا تحقيق كتاب الطبرى بتعريف بالرجال الذين نقلت خلالهم الروايات ، ثم يوازنون بين الروايات المختلفة فى الكتب التاريخية الأخرى الأصيلة - مثل ابن عبد الحكم فى فتح مصر ، أو ابن عذارى فى فتح المغرب - فى إشارات مجملة ، وهكذا .

هذا الجهد أساس وهام بالنسبة للتاريخ الإسلامى بل بالنسبة للثقافة الإسلامية عموما ... وهو إذا بذل فى كتاب كتاريخ الطبرى فإنما ليكون نموذجا ودليلا ، للسير على هديه فى تحقيق ونشر سائر المخطوطات العربية ... وأمامى تجربة نشر (تاريخ ابن عساكر) الذى تولاه المجمع العلمى فى دمشق ، يمكن أن نستلهم منها الخطة . ومن أهم ما ظهر لنا من دروس فى هذه التجربة ، أن مثل هذه التواريخ الموسوعية الضخمة ينوء بأعباء نشرها عالم واحد مهما كان علمه وفضله . فتاريخ ابن عساكر لم يظهر منه إلا مجلدتان خلال سنوات، والكتاب كله فى ثمانين مجلدة ... فهل يتسع عمر فرد لظهور هذه المجلدات الضخام ؟؟

إن من الواجب أن تتعاون لجنة من العلماء فى هذا المضمار فهذا أعون على إحكام الخطة وتبادل الرأى وتوزيع العمل ، وإذا كثر العدد استطاع العلماء أن يتجاوزوا التحقيق البحت فيضيفوا إلى ذلك شيئا من التعليق اللازم ، فقد رأيت فى (تاريخ ابن عساكر) أن التعليق - وفقا للخطة التى وضعها مجمع دمشق - تحصره حدود ضيقة ، فى حين أن بعض الكتب - خاصة الكتب الأمهات - تحتاج إلى التوسع فى التعليقات ، فإن طالت التعليقات ألحقت بالكتاب فى صورة ذيول وملاحق .

إن هذه الجواهر النفائس من تاريخنا ، بيننا وبينها زمان طويل ، ولكى نفهمها حق الفهم لابد من أن يراعى فى نشرها أن تسلط عليها الأضواء ، وأن تنشر فى صحبة طائفة من الدراسات والشروح والتوضيحات تعين على فهم المقصود .

وإن لمصر دورها التاريخى بالنسبة لتاريخ الإسلام ... وينبغى أن تصون مصر الحاضرة بالعلم ، ما حققته مصر الماضية بالعرق والدم . فدور مصر فى صد الصليبيين والتتار دور حاسم ، ولكن معظم المؤلفات التى تدور حول هذا الدور من أقلام الأوربيين . ونحن نحتاج إلى تحقيق ونشر ما لدينا من تراث تلك الحقبة ، ونحتاج كذلك إلى إصدار الدراسات العميقة الجادة من المتخصصين فى هذه الموضوعات .

* * *

بقى فى الصدر أمل آخر ، ننشد تحقيقه فى العام الجديد ...

إن القرآن والسنة ، والمغازى والفتوح ، تحتاج إلى عرض جغرافى يقدم البيئة التى أشارت بها النصوص ، ويوضح طبيعتها ويكشف عن سكانها .

والدراسات الغربية حافلة بالكتابات المستفيضة عن جغرافية الكتاب المقدس وبخاصة

التوراة وهذه الدراسات تقدم شرحا لجغرافية فلسطين الطبيعية ، ولجغرافيتها التاريخية والجنسية والاجتماعية ، حتى يطالع القارئ الكتاب المقدس وهو مغمور بالنور . فلا يكاد يمر بذكر مكان من الأرض أو قوم من البشر حتى يعرف ما يستبين به ما ذكر فى كتابه المقدس .

فعل الغربيون هذا وهم فى بيئة غير البيئة التى نزل فيها الكتاب ، وهم يعيشون فى حضارة مادية ما أبعدها فى الكثير عن روح الدين . ولعل مما أثر فى هذا المضمار العروق اليهودية فى العقل الأوربى والأمريكى ، فانها دفعت إلى الاهتمام بهذا التراث (السامى) بين الآريين ، وهذ الأصل (الدينى) بين الماديين !!

ونحن فى الشرق العربى نعيش فى بيئة النبي والصحابة ، وفى أيدينا الكثير من مواقع الأرض وسلالة القوم الذين كانوا أعلام التاريخ ، فأين جهودنا العلميه الأصيلة فى شرح ماجاء فى آيات القرآن عن البيئة العربية ، وعن رحلة الشتاء والصيف ، وعن رحلة ذى القرنين ، وقصة أهل الكهف ، وعن رحلة الرسول فى هجرته ومواقع مغازيه ، وعن قبائل العرب وهجراتها ومسالكها وعلاقاتها فى أرجاء العالم العربى منذ زمن الفتوح بل منذ ما قبل الفتوح .

إن بين يدى القارئ العربى نموذجا لمثل هذه الدراسة عن (شمال الحجاز) قد كتبه المستشرق موسل وترجمه الدكتور عبد المحسن الحسينى (اسكندرية ١٩٥٢ م) ، والمؤلف وإن كان تناول مراجعه بصفة عامة بما فيها المراجع الإسلامية إلا أن اهتمامه بالتوراة أظهر وأبرز ومعلوماته عنها أدق وأوضح ، وقد طالعت مع المطالعين كتاب الأستاذ مظفر الندوى عن (التاريخ الجغرافى للقرآن) الذى ترجمه الدكتو عبد الشافى غنيم ضمن مطبوعات (الألف كتاب) والذى أثير حوله ما أثير ، والكتاب عموما لا يعد إلا بداية يسيرة . ولن يستطيع التعريف (بالجغرافيا الإسلامية) على وجهها إلا من يهضم العربية ، ويحسن الرجوع إلى شعر العرب فيما تحدثوا به عن الديار والأطلال جاهلية وإسلاما . أنا أعلم أن الدكتور عبد العزيز كامل مدرس الجغرفيا بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ، لديه مشروع كتاب أعد مسوداته فى هذا الموضوع ، وأعرف عن الدكتور دأبه العلمى ومثابرته على التحقيق ، ولعله بكتابه يشجع غيره على ارتياد هذا السبيل .

هذه آمالى ... لم أسرف فيها ولم أغتر ، فاللهم حقق الآمال ؟

فتحى عثمان

حق الجـوار

فى تقـدير الشريعة الإسلامية

لقد وضع الإسلام نظاما للاجتماع يجعل من الأمة الإسلامية جمعاء أسرة واحـــدة مترابطة الآحاد ، ترابطا لا تنفصم له عروة ، ولا تنحل له لحمة . فشرع شرعة التعـاون فى الحياة لتذليل عقباتها ، وقطع مفازاتها ، وجعل ذلك أساسا لمدنيته الفاضلة فقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . ثم لم يدع فضيلة من الفضائل التى تحقق معنى هـذا التعاون إلا دعا إليها وحث عليها ، ولا مشاحة فى أن مراعاة حقوق الجوار من أمهات تلك الفضائل ، بل لو تحققت هى وحدها لجعلت الأمة كالبنـاء المرصوص يشد بعضه بعضا ، لا يجـد التداعى سبيلا إليه بحال من الأحوال ـ لذلك جاء فى وجوب مراعاة هذه الحقوق من الأوامر ما يتفق وعظم خطره . فأول حجر وضعه النبى صلى الله عليه وسلم فى بناء صرح حقوق الجوار قوله بين رهط من صحابته فى مسجد يثرب « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن . قال قائل منهم : من هو يا رسول الله ؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه » رواه مسلم فى صحيحه . والمراد أنه لا يتم له إيمان ولا تنمو له عقيدة حتى يتحقق هـذا الشرط ، وهو الحفاظ على مبدأ الجوار ومميزاته وشرائطه ، فإن الإيمان غاية كل متدين وعليه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة . فإذا كان اكتمال هذا الإيمان يتوقف على أن يأمن جار المؤمن أذاه ، فإنه لا شك منصرف بكليته للقيام بهذا الشرط ضناً بنفسه وطلباً لنجاتها .

والجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق . فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم . والذى له حقان : الجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام . والذى له حق واحد : الجار المشرك » . حقاً إن هذا سمو فى الآداب الاجتماعية ليس وراءه مذهب ، فإن ثبوت حقوق الجوار حتى للمشركين لم يقل بها قبل الإسلام مصلح فى الأرض . ويفهم من هذا أن الإسلام

إنما يراعى فى الآداب الاجتماعية ما يشمل الإنسانية كلها ، وهذا غاية ما يرمى إليه أعلى نمط من أنماط الإنسانية الفاضلة . فالإنسان لا يخلو وهو يعيش فى الحواضر أو البوادى أن يكون له جيران من ذوى نحل مختلفة يبادلهم التعامل ، فهل أبيحت للمسلم معاملتهم أو حرمت عليه مجاملتهم ؟ كلا كلا ، بل أوجب عليهم الإسلام أن يسوى بينهم وبين إخوانه المسلمين فيها ، وقد حث النبى على مبادلة أهل الكتاب الزيارة وحضور أعراسهم ومآتمهم ومؤاكلتهم حتى الإصهار إليهم . وقد وجد أصحاب الأديان الأخرى من مجاورة المسلمين ما تلقاه القلة من العطف وحسن المعاملة فى وسط كثرة قائمة على أحكم أصول المدنية ، وأقدم سبل الإنسانية .

قال مجاهد : كنت ذات يوم عند عبد الله بن عمر وله غلام يسلخ شاة فقال : يا غلام ، إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مراراً . فقال الغلام : كم تقول هذا ؟ فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أن يورثه . فانظر كيف اعتبر ابن عمر اليهودى جاراً ولم يفرق بينه وبين إخوانه فى الدين ، بل انظر كيف أمر خادمه أن يبدأ به قبلهم . لا شك فى أنه فعل ذلك حتى لا يسبق إلى ذهن خادمه أن ليس له شىء من حقوق الجوار ليهوديته ، فأمره أن يبدأ به ثم ذكر للخادم ما ورد عن النبى من التشديد فى وجوب مراعاة هذه الآداب الاجتماعية .

وفى السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت إليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه ، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله » .

إن هذا الأثر جامع فى حقوق الجوار لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فلعل من الناس من يخيل إليه قياساً على حالة أهل المدنية اليوم أن هذه الحقوق لا تتفق والحياة الاجتماعية الراهنة ، وهو وهم باطل ، فإن هذه الحقوق طبيعية يؤدى إليها العقل لو ترك وشأنه ، وتقضى بها الإنسانية لو تجردت من شبح الحيوانية وأثرة البهيمية .

وكما بين الإسلام ما يجب للجار من الإحسان والعطف على جاره على أتم وجه كما رأيت، حرم إيذاء الجيران أشد تحريم وأبلغه، حتى جعل هذا الإيذاء مبطلا للأعمال الصالحة. فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال عليه السلام: هى فى النار. ومن أبلغ ما يؤثر من الزجر عن إيذاء الجار قول النبي صلى الله عليه وسلم «إن أنت رميت كلب جارك فقد آذيته»، فأخذ المسلمون بهذا الأدب وجروا على سنته، فكانوا يتحرجون حتى من مقابلة أذى جيرانهم بمثله.

روى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له: إن لى جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق على. فقال له: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه. ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه، فإن التغاضى عن أذى الجار ربما أداه للندم والاعتذار مصداقا لقوله تعالى: «ادفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم». ولكن لو قابل جاره بالمثل كان ذلك صدعا فى بناء المجتمع لا يلبث أن يتوسع بانضمام بعض الجيران إلى أحدهما والبعض الآخر إلى الثانى، فحسما لمادة هذا التصدع رأى ابن مسعود أن يحصر الشر فى أصغر دائرة فينصح المجنى عليه بالصبر، وقد اقتدى المسلمون فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد روى أنه جاءه رجل يشكو جاره فقال له النبي: اصبر، فجاءه ثانية وثالثة فكان يأمره بالصبر، فلما جاءه الرابعة قال له: أخرج متاعك فى الطريق. ففعل الرجل ما أمره به، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عما نابه، فيقال لهم: له جار يؤذيه، فكانوا يقولون: لعنة الله! فأثر ذلك فى قلب جاره المشاكس فأتى صاحبه وقال له: رد متاعك فوالله لا أعود!

وفى تاريخ المسلمين أغرب الحوادث وأدعاها للاعتبار فى مراعاة حقوق الجوار، فقد روى أنه بلغ ابن المقفع أن جاراً له يبيع داره فى دين ركبه، وكان يجلس هو فى ظل داره فقال: ما قمت إذن بحرمة ظل داره إن باعها معدما، ودفع إليه ابن المقفع ثمن الدار قائلا له: لا تبعها.

روى العلامة السيد عبد المغنى الضرير الأندلسى المشهور صاحب كتاب «زهر الآداب» هذه القصة الطريفة فقال «كان للإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان جار ملاصق وكان الإمام يقوم هزيعا من الليل للتهجد والإسحار فيسمع جاره يقول:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

استمر هذا الرجل ينشد هذا البيت من الشعر ويسمعه الإمام بضع ليال ثم اختفى هذا الصوت فجأة ، فلما أصبح الصباح سأل الإمام عن هذا الرجل الذى كان ينشد هذا البيت ، فقيل له إن هذا الرجل كان مديناً لأحد الناس فشكاه الدائن للوالى ، فأمر الوالى بحبسه حتى يقضى دينه ، وما أسرع أن امتطى الإمام بغلته ثم ذهب إلى الوالى فبعد أن حياه الوالى وأكرم مثواه سأل الإمام ما حاجتك؟ فقال أبو حنيفة لنا جار ملاصق كنت أسمعه ينشد هذا البيت :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

واليوم أفتقده فلا أجده ، فقيل لى إنكم حبستموه لدين عليه ، فضحك الوالى حتى بدت نواجذه فقال : يا مولاى الإمام سأرسل إلى دائنه ليسامحه فى دينه ، وكان عشرين ديناراً ، فلم يقبل الإمام هذا العرض فدفع من خالص ماله دين الدائن ، وما أسرع أن أحضر إليه المدين من السجن وأخذه معه ، ثم أردفه على بغلته وهو يردد « والله يا فتى ما أضعناك ، ولن نضيعك إن شاء الله » .

هذا بعض ما يقال فى حقوق الجوار فى الإسلام وحرمته ، فلعل القارئ يلقى عليه نظرة فاحصة ثم يقارن بين ذاك العهد الدابر وعهده الحاضر ليتبين الفرق الشاسع بين عهدين عهد كانت أواصر الجوار فيه قائمة ، وعهد ازوت فيه حرمة الجار ، بل برزت فيه مساوئه ومعايبه ، ولعل سواد المعاصرين فى عهدنا الحاضر يساكن منهم أسر أسراً أخرى فى مبنى واحد ، فلا يحدث بينهم تعارف ولا توادد ، وتنقطع علائق الجوار انقطاعا لا هوادة فيه ، وذلك مجاف لروح الشريعة الغراء ، ومناف لأبسط قواعد الحنيفية البيضاء :

إن دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

عباس طه المحامى

« مسئولية الإنسان »

جاوز بطرفك عالم الإنسان ، ثم ارجع البصر كرتين مصعدا منحدرا ، فيما شئت من العوالم التى تشاهدها فى السماء والأرض ، وانظر هل ترى من بينها مسئولا واحدا عن حاله فضلا عن حال غيره ؟ أما الإنسان ذو العقل والإرادة والاقتدار ، فهو الذى رشحته فطرته لهذه الأعباء فأصبح ذا مسئولية ، وموضع أمانة .

الدكتور محمد عبد الله دراز

صوت من وراء الدنيا :

أبو هريرة

حافظ الصحابة ، وأكثرهم رواية عن رسول الله

في صباح يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧ انتقل إلى رحمة الله العلامة الكبير الشيخ أحمد شاكر أعلم علماء السنة المحمدية بمصر في هذا العصر ، وأوسعهم إحاطة بأطرافها ، وتحقيقاً لمتونها ، ووقوفا على دخائل رجالها وتراجم رواتها ، حتى كأنه كان يعيش معهم . وقد رأينا أن ننشر من علمه الغزير هذا الفصل عن حافظ الصحابة أبي هريرة رضي الله عنه ، لمناسبة ما وقع أخيراً من التشويه الذميم لجهود هذا الصحابي الجليل ، والتشكيك في مروياته . قال رحمه الله يتحدث عن أعداء السنة بحديثه العذب بعد أن صار في العالم الآخر :

لهج أعداء السنة ، أعداء الإسلام ، في عصرنا ، وشغفوا بالطعن في أبي هريرة وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته . وما إلى ذلك أرادوا ، وإنما أرادوا أن يصلوا – زعموا – إلى تشكيك الناس في الإسلام ، تبعا لسادتهم المبشرين ، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاقتصار على الأخذ بالقرآن ، أو الأخذ بما صح من الحديث في رأيهم . وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم ، وما يتبعون من شعائر أوربة وشرائعها . ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن ، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن ، ليوافق تأويلهم هواهم وما إليه يقصدون !

وما كانوا بأول من حارب الإسلام في هذا الباب ، ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديما . والإسلام يسير في طريقه قدما ، وهم يصيحون ما شاءوا ، لا يكاد الإسلام يسمعهم ، بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم ، وإما يدمرهم تدميرا ،

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون ، يكاد يرجع فى أصوله ومعناه إلى ما قاله أولئك الأقدمون ! بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين ـ زائغين كانوا أم ملحدين ـ كانوا علماء مطلعين ، أكثرهم ممن أضله الله على علم .

أما هؤلاء المعاصرون ، فليس إلا الجهل والجرأة ، وامتضاغ ألفاظ لا يحسنونها ، يقلدون فى الكفر ، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم !

ولقد رأيت الحاكم أبا عبد الله ـ المتوفى سنة ٤٠٥ ـ حكى فى كتابه المستدرك (٣:٥١٣) كلام شيخ شيوخه إمام الأئمة أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ المتوفى سنة ٣١١ ـ فى الرد على من تكلم فى أبى هريرة فكأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء . وهذا نص كلامه :

« وإنما يتكلم فى أبى هريرة ـ لدفع أخباره ـ من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معانى الأخبار :

إما معطل جهمى ، يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم ـ الذى هو كفر ـ فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويها على الرعاء والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة !

وإما خارجى ، يرى السيف على أمة محمد ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذى هو ضلال لم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الوقيعة فى أبى هريرة !

أو قدرى اعتزل الإسلام وأهله ، وكفر أهل الاسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التى قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبى هريرة التى قد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى إثبات القدر ، لم يجد حجة تؤيد صحة مقالته التى هى كفر وشرك كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبى هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبى هريرة فيما يخالف مذهب من اجتبى مذهبه واختاره ، تقليدا بلا حجة ولا برهان ، تكلم فى أبى هريرة ، ودفع أخباره التى تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره على مخالفيه ، إذ كانت أخباره موافقة لمذهبه !

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبى هريرة أخبارا لم يفهموا معناها ، أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله عز وجل ... الخ »

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعليقا على حديث الذباب :

وهذا الحديث مما لعب به بعض معاصرينا ، ممن علم وأخطأ ، وممن علم وعمد إلى عداء السنة ، وممن جهل وتجرأ :

فمنهم من حمل على أبى هريرة ، وطعن فى رواياته وحفظه ، بل منهم من جرؤ على الطعن فى صدقه فيما يروى ! حتى غلا بعضهم فزعم أن فى الصحيحين أحاديث غير صحيحة ، إن لم يزعم أنها لا أصل لها ! بما رأوا من شبهات فى نقد بعض الأئمة لأسانيد قليلة فيهما ، فلم يفهموا أغراض أولئك المتقدمين الذين أرادوا بنقدهم أن بعض أسانيدهما خارجة عن الدرجة العليا من الصحة التى التزمها الشيخان ، لم يريدوا أنها أحاديث ضعيفة قط ،

ومن الغريب أن هذا الحديث بعينه ـ حديث الذباب ـ لم يكن مما استدركه أحد من أئمة الحديث على البخارى . بل هو عندهم جميعاً مما جاء على شرطه فى أعلى درجات الصحة .

ومن الغريب أيضاً أن هؤلاء الذين حملوا على أبى هريرة ـ على علم كثير منهم بالسنة ، وسعة اطلاعهم رحمهم الله ـ غفلوا أو تغافلوا عن أن أبا هريرة رضى الله عنه لم ينفرد بروايته ، بل رواه أبو سعيد الخدرى أيضاً عن النبى صلى الله عليه وسلم عند أحمد فى المسند (١١٢٠٧ ، ١١٦٦٦) ، والنسائى (٢ : ١٩٣) ، وابن ماجه (٢ : ١٨٥) ، والبيهقى (١ : ٢٥٣) بأسانيد صحاح . ورواه أنس بن مالك أيضاً ، كما ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥ : ٣٨) وقال : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبرانى فى الأوسط » . ورواه الحافظ فى الفتح (١٠ : ٢١٣) وقال : « أخرجه البزار ورجاله ثقات » .

فأبو هريرة لم ينفرد برواية هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه انفرد بالحمل عليه منهم ، بما غفلوا أنه رواه اثنان غيره من الصحابة .

والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث لما وقر فى نفوسهم من أنه ينافى المكتشفات الحديثة من المكروبات ونحوها . وعصمهم إيمانهم عن أن يجرءوا على المقام الأسمى فاستضعفوا أبا هريرة .

والحق أيضاً أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ، ولكنهم لا يصرحون ! ثم اختطوا لأنفسهم خطة عجيبة : أن يقدموها على كل شىء ، وأن يؤولوا

القرآن بما يخرجه عن معنى الكلام العربى ، إذا خالف ما يسمونه « الحقائق العلمية » ! وأن يردوا من السنة الصحيحة ، ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه ! افتراء على الله ، وحباً فى التجديد !

بل إن منهم لمن يؤمن ببعض خرافات الأوربيين وينكر حقائق الإسلام أو يتأولها . فمنهم من يؤمن بخرافات استحضار الأرواح ، وينكر وجـــود الملائكة والجن بالتأول العصرى الحديث . ومنهم من يؤمن بأساطير القدماء ، وما ينسب إلى القديسين والقديسات ، ثم ينكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، ويتأول ما ورد فى الكتاب والسنة من معجزات الأنبياء السابقين ، يخرجونها عن معنى الإعجاز كله ، وهكذا وهكذا . . .

وفى عصرنا هذا صديق لنا . . . كنا نعجب بقلبه وعلمه واطلاعه ، ثم بدت منه هنات وهنات على صفحات الجرائد والمجلات ، فى الطعن على السنة ، والإزراء برواتها ، من الصحابة فمن بعـــدهم . يستمسك بكلمات للمتقدمين فى أسانيد معينة ، يجعلها - كما يصنع المستشرقون - قواعد عامة ، يوسع من مداها ، ويخرج بها عن حدها الذى أراده قائلوها . وكانت بيننا فى ذلك مساجلات شفوية ، ومكاتبات خاصة ، حرصاً منى على دينه وعلى عقيدته .

ثم كتب فى إحدى المجلات كلمة على طريقته التى ازداد فيها إمعاناً وغلواً ، فكتبت له كتاباً طويلا فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ ، كان مما قلت له فيه ، من غير أن أسميه هنا أو أسمى المجلة التى كتب فيها ، قلت له :

« . . . وقد قرأت لك كلمة فى مجلة . . . لم تدع فيها ما وقر فى قلبك من الطعن فى روايات الحديث الصحيحة . ولست أزعم أنى أستطيع إقناعك ، أو أرضى إحراجك بالإقلاع عما أنت فيه .

وليتك درست علوم الحديث وطرق روايته دراسة وافية ، غير متأثر بسخافات فلان رحمه الله وأمثاله ممن قلدهم وممن قلدوه ، فأنت تبحث وتنقب على ضوء شىء استقر فى قلبك من قبل ، لا باحثاً حراً خاليا من الهوى .

وثق أنى لك ناصح مخلص أمين . لايهمنى ولا يغضبنى أن تقول فى السـنة ماتشاء . فقد قرأت من مثل كلامك أضعاف ماقرأت . ولكنك تضرب الكلام بعضه ببعض .

وثق أن المستشرقين فعلوا مثل ذلك فى السنة ، فقلت مثل قولهم ، وأعجبك رأيهم ، إذ صادف منك هوى . ولكنك نسيت أنهم فعلوا مثل ذلك وأكثر منه فى القرآن نفسه . فما ضار القرآن ولا السنة شيء مما فعلوا .

وقبلهم قام المعتزلة وكثير من أهل الرأى والأهواء ، ففعلوا بعض هذا أو كله ، فما زادت السنة إلا ثبوتا كثبوت الجبال ، وأتعب هؤلاء رءوسهم وحدها وأوهوها !

بل لم نر فيمن تقدمنا من أهل العلم من اجترأ على ادعاء أن فى الصحيحين أحاديث موضوعة ، فضلا عن الإيهام والتشنيع الذى يطويه كلامك ، فيوهم الأغرار أن أكثر ما فى السنة موضوع ! هذا كلام المستشرقين ...

غاية ماتكلم فيه العلماء أحاديث فيهما بأعيانهما ، لا بادعاء وضعها والعياذ بالله ، ولا بادعاء ضعفها . إنما نقدوا عليهما أحاديث ظنوا أنها لاتبلغ فى الصحة الذروة العليا التى التزمها كل منهما . وهذا مما أخطأ فيه كثير من الناس ، ومنهم أستاذنا السيد رشيد رضا رحمه الله ، على علمه بالسنة وفقهه ، ولم يستطع قط أن يقيم حجته على مايرى . وأفلتت منه كلمات يسمو على علمه أن يقع فيها . ولكنه كان متأثراً أشد الأثر بفلان وفلان وهما لايعرفان فى الحديث شيئا . بل كان هو ـ بعد ذلك ـ أعلم منهما وأعلى قدما وأثبت رأيا ، لولا الأثر الباقى فى دخيلة نفسه ، والله يغفر لنا وله .

وما أفضت لك فى هذا إلا خشية عليك من حساب الله . أما الناس فى هذا العصر فلا حساب لهم ، ولا يقدمون فى ذلك ولا يؤخرون . فإن التربية الإفرنجية الملعونة جعلتهم لايرضون القرآن إلا على مضض ، فمنهم من يصرح ، ومنهم من يتأول القرآن أو السنة ، ليرضى عقله الملتوى ، لا ليحفظهما من طعن الطاعنين . فهم على الحقيقة لايؤمنون . ويخشون أن يصرحوا فيلتوون ، وهكذا حتى يأتى الله بأمره ... فاحذر لنفسك من حساب الله يوم القيامة ، وقد نصحتك وما ألوت . والحمد لله » .

وأما الجاهلون الأجرياء فهم كثر فى هذا العصر . ومن أعجب ما رأيت من سخافاتهم وجرأتهم أن يكتب طبيب فى إحدى المجلات الطبية فلا يرى إلا أن هذا الحديث لم يعجبه ، وأنه ينافى علمه ، وأنه رواه مؤلف اسمه البخارى ، فلا يجد مجالا إلا الطعن فى هذا البخارى ،

ورميه بالافتراء والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو لايعرف عن البخارى هذا شيئاً ، بل لا أظنه يعرف اسمه ولا عصره ولا كتابه إلا أنه روى شيئاً يراه هو - بعلمه الواسع - غير صحيح ! فافترى عليه ماشاء ، مما سيحاسب عليه بين يدى الله حساباً عسيرا .

ولم يكن هؤلاء المعترضون المجترئون أول من تكلم فى هذا ، بل سبقهم من أمثالهم الأقدمون ، ولكن أولئك كانوا أكثر أدباً من هؤلاء . فقد قال الخطابى فى معالم السنن (رقم ٣٦٩٥ من تهذيب السنن) : « وقد تكلم فى هذا الحديث بعض من لاخلاق له وقال : كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء فى جناحى الذبابة ؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أربها فى ذلك ؟ قلت - القائل الخطابى - : وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، وإن الذى يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وهى أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت ، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التى بها بقاؤها وصلاحها ، لجدير أن لاينكر اجتماع الداء والشفاء فى جزءين من حيوان واحد ، وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعسل فيه ، وألهم الذرة (أى النملة) أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه ، هو الذى خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا ، لما أراد الله من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد ، والامتحان الذى هو مضمار التكليف وفى كل شىء عبرة وحكمة ، وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وأما المعنى الطبى ، فقال ابن القيم - فى شأن الطب القديم - فى زاد المعاد (٣ : ٢١٠-٢١١)

« واعلم أن فى الذباب قوة سمية ، يدل عليها الورم والحكة العارضة من لسعه ، وهى بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه . فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله فى جناحه الآخر من الشفاء فيغمس كله فيقابل المادة السمية بالمادة النافعة فيزول ضررها . وهذا طب لايهتدى اليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة . ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الاطلاق ، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوى البشرية » .

قال الشيخ أحمد شاكر : وأقول - فى شأن الطب الحديث - إن الناس كانوا ولا يزالون تقذر أنفسهم الذباب وتنفر مما وقع فيه من طعام أو شراب . ولا يكادون يرضون قربانه . وفى هذا من الإسراف - إذا غلا الناس فيه - شىء كثير . ولا يزال الذباب يلح على الناس فى طعامهم وشرابهم ، وفى نومهم ويقظتهم ، وفى شأنهم كله . وقد كشف الأطباء والباحثون عن المكروبات الضارة والنافعة ، وغلوا غلواً شديداً فى بيان مايحمل الذباب من مكروبات ضارة ، حتى لقد كادوا يفسدون على الناس حياتهم لو أطاعوهم طاعة حرفية تامة . وإنا لنرى بالعيان أن أكثر الناس تأكل مما سقط عليه الذباب وتشرب ، فلا يصيبهم شىء إلا فى القليل النادر .

ومن كابر فى هذا فإنما يخدع الناس ويخدع نفسه . وإنا لنرى أيضا أن ضرر الذباب شديد حين يقع الوباء العام ، لا يمارى فى ذلك أحد . فهناك إذن حالان ظاهرتان بينهما فروق كبيرة : أما حال الوباء فما لاشك فيه أن الاحتياط فيها يدعو إلى التحرز من الذباب وأضرابه مما ينقل المكروب أشد التحرز . وأما إذا عدم الوباء ، وكانت الحياة تجرى على سننها فلا معنى لهذا التحرز . والمشاهدة تنفى ما غلا فيه الغلاة من إفساد كل طعام أو شراب وقع عليه الذباب . ومن كابر فى هذا فإنما يجادل بالقول لا بالعمل ، ويطيع داعى الترف والتأنق ، وما أظنه يطبق ما يدعو اليه تطبيقا دقيقا ، وكثير منهم يقولون ما لا يفعلون .

أحمد محمد شاكر

أمريكا فى لبنان

قالت مجله (نيوستيتسمان) الانجليزية : يستطيع أيزنهاور أن يزعم أن لديه من الحجج القانونية ما يبرر استجابته لنداء شمعون ، ولكن هذا ليس فى الواقع إلا نفاقا لا يخفى أن جريمة قد ارتكبت . ولهذا فإنه يتعذر على الإنسان أن يعرف سببا حقيقيا يبرر تدخل أمريكا فى لبنان وخاصة بعد أن طلبت أمريكا من الأمم المتحدة أن تحقق فى الأزمة اللبنانية ، وبعد أن أكدت الأمم المتحدة أن هذه الأزمة داخلية بحتة ، وبعد أن ترك تقرير الأمم المتحدة أثرا طيبا فى بيروت ، إذ كان الثوار قد بدءوا يبحثون مع رجال الحكومة عن حل وسط لإنهاء هذه الأزمة ، ولكن أيزنهاور لم يعبأ بذلك لأن الذعر استولى عليه بمجرد أن علم بثورة بغداد ، فمزق تقرير الأمم المتحدة ، ولم يكترث لرأى همرشلد فى المسألة ، وضرب ضربته التى جددت أزمة لبنان بعد أن كانت فى نزعها الأخير .

لغويات

ساهم فى عمل البر

كثرت هذه الصيغة صيغة المساهمة وما تصرف منها فى معنى المشاركة ، وقد أنكرها الناس أن تكون موافقة لما جاء فى اللغة ، وجعلوا لها صيغة الإسهام ؛ فيقولون : أسهم فلان فى هذا الأمر . وأسهم فى الأصل : أعطى سهما أى نصيبا ، تقول : أسهمت لمحمد من مالى ، وفى الأم للشافعى ـ رضى الله عنه ٧ / ٣١١ : « وقال الأوزاعى : أسهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للنساء بخيبر » والمراد : أعطاهن من السهمان . ومن اشترك فى عمل يحتاج إلى مال فقد بذل سهما من ماله فى قيام العمل ، ثم توسع فيه فأريد المشاركة فى الأمر وإن لم يكن هناك بذل مال . وإذا قال القائل : أسهم فى شركة الحديد والصلب المصرية فالمراد أنه دفع من ماله نصيبا أو أكثر لقيام الشركة ، وإن كان المعروف أن يقال : أخذ سهما ، إذ يراد بالسهم الصك والوثيقة بما دفع من مال .

وقد رأيت فى عبارة الشافعى ـ رضى الله عنه ـ أسهم له بالتعدية باللام . وترى فى المقامة الخمسين (البصرية) من مقامات الحريرى فى الحديث عن أبى زيد السروجى : فحينئذ انكفأ بى إلى بيته ، وأسهمنى فى قرصه وزيته » أى أعطانى جزءا أو نصيبا فى ذلك ، وظاهر أن هذه التعدية جاءت من قبل تضمين الإسهام معنى الإعطاء أو الإشراك .

وإنكار القوم المساهمة وإيثار الإسهام لأن المساهمة : المقارعة ، أى الأخذ فى عمل القرعة عند التنازع على حق من الحقوق ، وأصل ذلك أنهم يقترعون بالسهام أى العيدان المبرية والنصال التى لم تهيأ لأن تكون سلاحا . ويقولون : ساهمته فسهمته أى قارعته فكانت القرعة لى وغلبته ، وساهمه فلم يظفر فى المساهمة ، ومنه ما جاء فى الكتاب العزيز فى سورة الصافات فى الحديث عن يونس عليه الصلاة والسلام : « فساهم فكان من المدحضين » وكان ذلك لما ركب ـ عليه الصلاة والسلام ـ السفينة فركدت وتحبست ، وقد قيل : إن من عادة

القوم حين ذاك إذا حدث مثل هذا أن يتساهم من فى السفينة بإلقاء سهامهم فى الماء فمن طفا سهمه ألقى فى الماء ومن رسب سهمه نجا ، وكان حظ سهم يونس أن طفا .

على أن المقارعة قد يعقبها المشاركة ، أو هى بسبيل من المشاركة والتنازع فيها . وهذا المعنى يسوغ استعمال المساهمة فى المشاركة وتصحيح ما جرى فى هذا الباب .

وللباحث أن يحتج فى هـــذا بما جاء فى اللآلئ للبكرى المطبوع مع السمط ١ / ٦٦ : « اختلف الناس فى الذى قال : يديرونى عن سالم وأديرهم . فقال قوم : أبو الأسود الدؤلى ، بقوله فى غلام له اسمه سالم :

يديرونني عن سالم وأديرهم　　وجلدة بين العين والأنف سالم
ولو بان من كنى لبت مسهدا　　ونبهان عما بى من الشجو نائم
أبا ثابت ساهمت فى الحزم أهله　　فرأيك محمود وعهـــدك دائم

. ونبهان بن عـــدى جار لأبى الأسود ، كان يديره على بيع سالم ، ويروم ذلك منه ، وأبو الأسود يأباه . ثم مات سالم فقال أبو الأسود هـــذا الشعر . وظاهر فيه أن قوله : ساهمت فى الحزم أهله : شاركت فى الحزم أهله ، وهو الاستعمال المشهور نفسه ، وفى معجم الشعراء للمرزبانى ٣٦٦ لمالك بن أعـــين الجهنى فى رثاء الإمام جعفر الصادق المتوفى فى سنة ١٤٨هـ .

فيا ليتنى ثم يا ليتنى　　شهدت وإن كنت لم أشهـد
فآسيت فى بثـــه جعفراً　　وساهمت فى لطف العـــود
ومن قبل نفسك قلت الغداء　　وكف المنية بالمرصد
عشية يدفن فيه الندى　　وغرة زهر بنى أحمـــد

فقوله : ساهمت فى لطف العود ، أى شاركت :

مصر تقع شمال السودان . واليمن تقع جنوب الحجاز

يجرى هـذا الاستعمال بين النـاس . وأرى أن الصـواب أن يقال : مصر تقع

شمالى السودان ، واليمن تقع جنوبى الحجاز . وهكذا أرى أن الصواب أن يقال : ليبية [١] غربى مصر ، وتقع تونس شرقى ليبية ، ولا يقال فى ذلك غرب وشرق .

وذلك أن الشمال والجنوب من الرياح لا من الجهات ، فإذا أريد المكان قيل شمالى أى المكان الذى تهب فيه الشمال ، وجنوبى أى المكان الذى تهب فيه الجنوب ، والجنوب هى الريح القبلية ، والشمال : التى تقابل الجنوب . والشرق : حيث تشرق الشمس ، والغرب : حيث تغرب ، فترى أنهما ينسبان إلى الشمس ولا ينسبان إلى شىء خاص ، فإذا أريد المكان الذى ينسب إلى شىء خاص قيل شرقى وغربى . ويقول سيبويه فى الكتاب ١ / ٢٠١ فى عد ظروف المكان : ومن ذلك أيضا : هو ناحية من الدار ، وهو ناحية الدار ، وهو ناحيتك ، وهو نحوك ، وهو مكانا صالحا ، وداره ذات اليمين وشرق كذا ؛ قال الشاعر - هو جرير - :

هبت جنوبا فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاة التى شرقى حورانا

انتهى كلام سيبويه . وحوران : إقليم من أعمال دمشق ، والصفاة : الحجرة العريضة الملساء . نعم يقال : مصر تقع جهة الجنوب من السودان أى الجهة التى تهب فيها الجنوب . وجاء فى كلام البيرونى - على ما نقله ياقوت فى معجم البلدان فى لوبية - : « كان اليونانيون يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعا لها . فما مال عنها وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبية ، ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوف أى البردى من جهة المشرق ، وهذا كله يسمى لوبية » .

وجاء فى القاموس فى مادة (نوب) فى الكلام على النوبة : « وبالضم : بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد » . فترى أنه جاء على الاستعمال المشهور . وعبارة ياقوت فى معجم البلدان : « النوبة بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر » فهذا جاء على الجادة .

وجاء فى اللسان (نصب) هذا البيت فى وصف الناقة :

كأن راكبها يهوى بمنخرق من الجنوب إذا ما ركبها نصبوا

---

[١] هكذا اشتهر الرسم فى عصرنا . وفى معجم ياقوت : « لوبية » .

نصبوا : جدوا فى السير أو ساروا يومهم ، فالجنوب هنا : الريح ومنخرقها حيث تهب ، فترى أن الجنوب بفتح الجيم .

وجاء فى شعر أمية بن أبى عائذ الهذلى :

أفاطم حييت بالأسعد متى عهدنا بك لاتبعدى
تصيفت نعمان واصيفت جنوب سهام إلى سردد

سهام وسردد : موضعان . وقد ضبط (جنوب) بفتح الجيم فى نسختى معجم البلدان المطبوعتين فى أوربة ومصر ، وهذا الضبط لا وجه له ، فإن الجنوب ـ كما عرفت ـ من الرياح ولا معنى لتصيفها ، وإنما (جنوب) بضم الجيم جمع جنب بمعنى الناحية ، وهذا الضبط فى اللسان وفى شرح السكرى لشعر الهذليين ، فهذا له معنى صحيح ، تقول : تصيفت جنب إسكندرية أى ناحيتها . وهكذا ماجاء فى معجم البلدان فى الكلام على زخة موضع فى بلاد طيء لبهكنة الفزارى يخاطب عامر بن الطفيل :

أحسبت أن طعان مرة بالقنا حلب الغزيرة من بنات الغيهب
عصبا دفعن من الأبارق من قنا لجنوب زخة فالرقاق فينقب

جنوب زخة بضم الجيم : نواحيها وجهاتها .

محمد على النجار

مع جمال عبد الناصر

على مائدة خروشوف فى موسكو

أراد رئيس الخدم أن يقدم لخروشوف من خمر الفودكا ، فمنعه خروشوف والتفت إلى الرئيس جمال عبد الناصر وقال له : ـ حينما تكون معى ، فأنا لا أشرب أبدا . أنا أعلم أنك مسلم متدين ، وأنا أحترم عقيدتك . والتفت إلى وزير خارجيتنا الدكتور محمود فوزى وقال :

ـ إنهم يعتبرون أن المعركة كلها هى شخص هذا « الشاب » ، إنهم يعلمون أنه أصبح رمزاً لكفاح العرب ، ولسوف يدفعون نصف عمرهم فى فرصة تمكنهم منه . (وهز رأسه وقال) : ولكنهم لن ينالوا هذه الفرصة ، وسينتصر هذا الكفاح .

وأخذ قدحا من الماء المعدنى ووقف يقول :

إننى أشرب نخب (كفاح الشعوب العربية) نخب قائد العرب ، نخب انتصار العرب .

وجلس وهو يقول : أنا لا أتكلم عن الغيب ، ولكنى أؤمن بمنطق التاريخ .

تعليقات

يتسع الخرق على الراقع

كانت محاولات المرشدين قديماً تتجه نحو الجهلاء ، وتتعلق بإصلاح المعوج من أمرهم ، وتهذيب الشذوذ من أنفسهم وفى أخلاقهم .

فلما تفتحت أكمام الثقافة ، وانبعث ضوءها ، واتسعت رقعتها ، وكثر الناهلون من وردها ، حسبنا أن لذلك آثاراً إيجابية فى تقليل الجريمة ، ومؤازرة الفضيلة ، والنهوض بالخلق ، وصيانة المجتمع من شرور كانت تهدده ، وتجذبه إلى الوراء ، بعيداً عن المستوى الإنسانى الكريم .

حسبنا ذلك ، ولكنا فوجئنا ، ولا نزال نفاجأ من جانب الثقافات الحديثة بما هو شر من الجهل قديمه وحاضره .

توافر للإنسان فى حاضره نصيب كبير من التوجيه إلى جانب ما لديه من دين ، وتجارب ، غير أن العوامل السلبية تجد مرتعها خصيبا فى صدور المجددين من أبناء الثقافة المدنية المنقولة إلينا من منابع غير صافية ، إذ لم يعد للثقافة التى يرددونها بيننا غير مقاومة الحياء فى وجوه الخيرين ، ومحاربة القيم الروحية ، والطغيان على العقائد ، والتقاليد ، والنشاط فى اقتياد الشباب كله إلى مساقط الرذيلة فى غير اكتراث ولا حساب لما وراء هذا كله من هدم لكيان المجتمع الذى يطالبنا الدين وتقتضينا الوطنية أن نحرص على سلامته من كل آفة .

من كان يظن أن نسمع فى الأوساط الإسلامية مجاهرة بالتحلل من الحشمة ، وبالدعوة السافرة إلى حرية غير محدودة للمرأة ، وإلى إجازة للبنات أن يخالطن الأصدقاء من الشبان ، بل إلى استحسان البعض من الآباء أن يكون لبنته صديق أو أكثر ، تسايرهم فى الطرقات ، وتتردد معهم على كل مكان يروقهم ؟ ؟

من كان يظن أن يعلن أستاذ جامعى يقوم على تربية أبنائنا أنه يحبذ لبنته تلك الحرية ، وأنه ينكر على المتشائمين من هذه الفوضى غيرتهم ، وتنديدهم بهذه الميوعة ؟ ؟

أليست هذه إباحية تتجاوز إباحية كنا نسمعها أو نقرأ عنها فى الكتب عن بعض المغرقين فى الجهل يوم كانت الدنيا بحاجة قصوى إلى علم كثير ، ويوم كان الناس يستجيبون للفطرة فى التمييز بين الخير والشر ، وكانوا يترتثون فى ارتكاب النقيصة ؟ ؟

تجاوز الأمر قدره ، وأصبحت المجانة والدعارة ومحاربة النزعات الكريمة ، مذهبا يتمذهب به نفر من المثقفين فى عصر مفروض فيه أنه عصر حضارة وتقدم ، بل وصل الأمر إلى مغالبة الماجنين لأهل الكرامة ، ومحاولتهم أن يسكتوا أصحاب الدعوة الرشيدة ليكون صوت الشيطان وحـــده مدويا فى آذان القوم ، ولتكون الدنيا مرتعا للفساد والمفسدين .

إن المصلحين من رجال الأمة يجاهدون حقا للنهوض بها ، وجهادهم مشكور ، ولكنه بحاجة إلى مؤازرة من كل هيئة ، ومن كل فرد فليس من المستساغ أن نحملهم فوق ما يحملون ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

الدستور العراقى

أذاع الزعيم عبد الكريم قاسم فى فجر ٩ المحرم (٢٦ يوليو) دستور جمهورية العراق المؤقت وهو فى ٤ أبواب تنطوى على ٣٠ مادة . جاء فى مادته الأولى « العراق جمهورية مستقلة » وفى الثانية « العراق جزء من الأمة العربية » . وفى الثالثة « الكيان العراقى يقوم على أساس التعاون بين المواطنين ويعتبر العرب والأكراد شركاء فى هذا الوطن » . وفى الرابعة « الإسلام دين الدولة » . وفى الخامسة « بغداد عاصمة الجمهورية العراقية » وفى الباب الثانى « الأحكام تصدر وتنفذ باسم الشعب » وفى المادة ١٣ « الملكية الخاصة مصونة » وفى المادة ١٤ « الملكية الزراعية تحدد وتنظم بقانون » .

وسيتولى مجلس النواب العراقى الذى ينتخب انتخابا حرا إقرار الدستور العراقى فى صيغته النهائية .

كلمة

بمناسبة الذكرى العاشرة لاغتصاب فلسطين

فى كل عام نستقبل بهذا اليوم (يوم ١٥ مايو) ذكريات كنا نتمنى أن تكون ذكريات سرور وغبطة ، وموجبات فرح وبهجة ، وكنا نتمنى أن يكون هذا اليوم لفلسطين عيداستقلال وحرية ، إذ كان هو اليوم الذى انزاح فيه كابوس الانتداب الثقيل ، عن هذه البلاد فى سنة ١٩٤٨ ، وجلت فيه بريطانيا عن أرض هذا الوطن العربى العزيز ، الذى مكث يرزح تحت ضغط الاحتلال والاستعمار سنين عدة وأعواما طويلة .

نعم كان يمكن أن يكون يوم ١٥ مايو ، يوم عيد تنشر فيه الزينات ، وتعلن فيه مظاهر الفرح والابتهاج ، لو كان جلاء بريطانيا عن أرض فلسطين قد أريد به ترك البلاد خالصة لأصحابها ، ورد الأمانة سليمة إلى أهلها ، ولكنه كان جلاء مبنياً على تدبير سيء ، واتفاقات غادرة ، بين بريطانيا ومن مالأها من دول الاستعمار ، اتفاقات مكنت لإسرائيل أن تقيم دولة فى فلسطين ، لتكون دائماً عامل قلق واضطراب ، ومبعث شر وفتنة ، بين دول الشرق العربى جميعاً ، ولتكون أيضاً مخلب قط أو نقطة ارتكاز يستخدمها ويعتمد عليها المستعمرون ، كلما أرادوا أن يسيروا فى خطة عدوان على أهل هذا الشرق العربى أو غير العربى .

وإنه ما كان لليهود فى سنة ١٩٤٨ أن يكسبوا حرباً ، أو يستقر لهم أمر ، أو تقوم لهم دولة حتى مع ضعف الأسلحة التى كانت فى أيدى المجاهدين العرب أو فساد هذه الأسلحة ، وما كانوا ليكسبوا حرباً أو يستقر لهم أمر أو تقوم لهم دولة ، حتى مع تلك الخيانة التى افتضح أمرها ، واشتهرت بإضافتها إلى أسماء أصحابها ، كما اقترنت أيضاً باسم اللد والرملة .

نعم ما كان لإسرائيل أن تصل إلى ما وصلت إليه فى فلسطين حتى مع كل هذه الاعتبارات لولا اتفاقات الشر ، وتدبيرات الغدر التى بيتها المستعمرون لشعب فلسطين وكل من يحنو من العرب على شعب فلسطين .

ولكن هل هذه هى النهاية التى ليس بعدها نهاية ؟ وهل يمكن أن يبقى كذلك أهل فلسطين مشردين لاجئين إلى غير ملجأ ، هائمين إلى غير مستقر ؟ .

إنه قد مضت عشر سنوات على تلك النتيجة الظالمة الغاشمة ، تغيرت فيها الأوضاع فى البلاد العربية ، وقضى على أكثر عوامل الفساد ، التى كانت تئن منها البلاد ، وقد أخذ الشعب العربى دروسا قاسية من تجربة سنة ١٩٤٨ التى لا تزال آثارها المؤلمة ماثلة أمام أعيننا فى هؤلاء اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وفى هذه القلاقل والتحرشات التى تثيرها عصابات اليهود على حدود الدول العربية .

الآن وقد تغيرت الأوضاع ، وشعر العرب جميعاً حكومات وشعوباً بمرارة الواقع ، وبالحاجة إلى عمل جدى حاسم - يجب علينا أن نستأنف الجهاد من جديد لاستعادة أرضنا المغصوبة ، وأن تتابع الكفاح ونحن أشد قوة وأصلب عوداً ، وأقوى أملا ، ينبغى أن يقف كل فرد منا فى الميدان يجاهد بنفسه وسلاحه وماله ورأيه وجاهه وبكل ما يستطيع من قوة .

ونحن بحمد الله قد حققنا بعد جهادنا الطويل جزءاً من آمالنا فى جمع كلمة العرب وضم صفوفهم ، فقامت الجمهورية العربية المتحدة ، التى ضمت شعب مصر وسوريا على أساس من الشعور المنبعث من نفس الشعب ، لتحقيق أهداف يحس بضرورتها الشعب الذى يريد أن يحيا حياة عزيزة كريمة تقوم على أساس التعاون والتناصح والإخلاص المتين . والواجب يقتضينا أن نحمى هذه الوحدة ونضع فيها ثقتنا الكاملة ، وألا ندع للدخيل مجالا ينفث فيه سمومه ، وينصب شراكه ، وأن تكون عيوننا يقظة ساهرة لمكايد المستعمرين وعملائهم الذين يريدون أن يطيحوا بهذا الصرح الشامخ الذى بنيناه بدمائنا وأرواحنا ، وأوينا إليه بعد رحلة طويلة شاقة مليئة بالأشواك والآلام والعقبات .

جاهدوا فى الله أيها المواطنون حق الجهاد ، وخذوا من أبطالكم مثلا علياً فى التضحية وإنكار الذات ، واعلموا أيها اللاجئون أنكم بمشيئة الله عائدون عائدون ، وأن النصر قريب والله مع الصابرين .

عاشت الأمة العربية عزيزة كريمة ، وعاشت الوحدة قوية متينة ، ووقانا الله جميعا أسباب الفتنة ، ويسر لنا السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

ضـــيوف الأزهر

فى يوم الأحد ٢٠ من ذى القعدة ١٣٧٧هـ (٨ من يونيه ١٩٥٨م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر سيادة الأسقف مكاريوس الزعيم الدينى لقبرص. وقد دار الحديث حول واجب رجال الدين فى توجيه الشعوب وقيادتها إلى الخير، والاشتراك الفعلى فى العمل على رفع الظلم والوقوف صفا واحداً أمام الاستعمار، فهذا النشاط من رجال الدين هو من صميم واجبهم الذى كلفتهم به الديانات السماوية. فعملهم ليس قاصراً على المساجد والكنائس وبيوت العبادة، بل مجال نشاطهم واسع، وكل عمل مشروع يؤدى إلى الخير العام له منزلته وثوابه. والمستعمرون قد حاولوا أن يحصروا عمل رجال الدين فى دائرة ضيقة، ومنعوهم من التدخل فى الأمور السياسية، واضعين حداً فاصلا وحاجزاً منيعاً بين النشاط الدينى المحض فى بيوت العبادة، وبين النشاط خارج هذه البيوت.

وقد أشاد سيادة الأسقف بما وصلت إليه مصر والجمهورية العربية المتحدة من تقدم بفضل رجال الثورة الأحرار وزعماء العروبة المخلصين، وقال: لا أمان لهذه الجمهورية الناشئة ولا لقبرص إلا إذا حطم الاستعمار وتطهرت البلاد من هؤلاء الدخلاء.

وقد دعا سيادته فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة قبرص ومشاهدة شعور المواطنين هناك نحو العرب والجمهورية العربية المتحدة.

* * *

وفى يوم الاثنين ٢٨ من ذى القعدة ١٣٧٧هـ (١٦ من يونيه ١٩٥٨م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ مصطفى بن عبد العزيز خليل مفتى صوفيا ببلغاريا بمناسبة مروره بمصر لأداء فريضة الحج، وذكر أن ببلغاريا مايقرب من مليون مسلم، لهم ٢٢ مفتياً موزعون فى أنحاء البلاد ولهم مدارسهم الخاصة التى يتلقون فيها علوم الدين باللغة المحلية. وأن المسلمين هناك مقبلون على العبادة، ومساجدهم تضيق بالمصلين وتبدو فى مظهر رائع فى شهر رمضان، كما ذكر سيادته أن المسلمين هناك يحبون العرب كثيراً ويحرصون على سماع الإذاعات العربية. معجبين بنهضة مصر وزعماء الجمهورية العربية المتحدة.

وفى يوم الأحد ٥ من ذى الحجة ١٣٧٧هـ (٢٢ من يونيه ١٩٥٨م) استقبل فضيلته الدكتور كوامى نكروماه رئيس وزراء غانا وكان يصحبه السيد وزير التربية والتعليم وشخصيات أخرى ، وبعد التحدث عن نظم الدراسة فى الأزهر والدور الذى يقوم به فى ربط الشعوب الإسلامية عن طريق المبعوثين الموفدين والطلاب الوافدين من جميع الأقطار . زار الجامع الأزهر والمكتبة وقاعة المحاضرات الكبرى ثم انصرف شاكراً لفضيلته وللسادة العلماء والموظفين حسن استقبالهم وكريم شعورهم .

* * *

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٧٧ هـ (١٣ من يوليه سنه ١٩٥٨ م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتبه وفد الحجاج الصينيين برئاسة السيد / محمد على وكيل الجمعية الإسلامية الصينية ، ودار الحديث حول الشئون الدينية العامة وأحوال المسلمين فى الصين بصفة خاصة ، وأكد الوفد حب الصينيين العميق لمصر وللثقافة العربية ، وإعجابهم بدور الأزهر فى نشر الثقافة الإسلامية ، وتأكيد الروابط بين الشعوب .

وقد دعا الوفد فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الصين فوعد بذلك عند إتاحة الفرصة ، وبعد إهداء فضيلته إلى الوفد الكتب والرسائل ، انصرفوا جميعا شاكرين حسن الاستقبال متمنين للأزهر وللجمهورية العربية المتحدة دوام التوفيق فى خدمة قضية السلام .

تبرعات من الأزهر

بلغ مجموع ما تبرع به الأزهر بمناسبة أسبوع الجزائر لعام ١٣٧٧ هـ : م ٢٧٠و٢١٥١ ج سلمها فضيلة الأستاذ الأكبر على دفعات إلى الجهات المختصة .

كما بلغ مجموع ما تبرع به الأزهريون لمعونة الشتاء فى هذا العام ألف جنيه ، سلمت أيضاً للجهات المختصة .

وفضيلة الأستاذ الأكبر يشكر لجميع المساهمين فى هذه الأعمال الإنسانية الجليلة ، ويحيى فيهم روح الوطنية الصادقة ، آملا أن يكونوا دائما سباقين إلى الخير ، ومثلا أعلى فى كل عمل جليل .

فى عيد الأضحى المبارك

من البرقيات والرسائل التى تبودلت بين فضيله الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وأساتذة وطلاب الأزهر وكبار الشخصيات فى العالم العربى والإسلامى والبرقيات التالية:

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهوريه العربية المتحدة القاهرة

يسرنى أن أرسل إلى سيادتكم باسم الأزهر خالص التهنئة بعيد الأضحى المبارك وأطيب التمنيات لكم ولجميع العاملين المخلصين ، راجيا من الله سبحانه أن يسبغ عليكم نعمته ، ويديم توفيقكم للنهوض بالجمهورية العربية المتحدة وخدمة قضية العروبة وتوطيد أركان السلام ؟

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

السيد الرئيس شكرى القوتلى دمشق

بمناسبة عيد الأضحى المبارك يسرنى أن أبعث إلى سيادتكم بالتهانى الخالصة راجيا لكم موفور الصحة ودوام التوفيق لخدمة العروبة والإسلام ؟

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج القاهرة

إنى أهنئ فضيلتكم وجميع موظفى الأزهر بعيد الأضحى المبارك وأقدم إليكم جزيل شكرى وأسمى امتنانى لتفضلكم لعطفكم وعنايتكم فى الأزهر نسأل الله تعالى أن يكتب للشعب المصرى دوام الخير وأسعد الحياة فى ظل السلام ؟

(ضياء الدين بن إيشان بابا خان)
مفتى المسلمين
بطشقند

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر مصر

تلقيت بالامتنان برقيتكم المعبرين فيها باسمكم وباسم الأزهر عن كريم التهنئة وصادق الشعور بمناسبة عيد الأضحى المبارك وإنى لأبعث إليكم جميعا بموفور الشكر راجيا لكم الصحة والسعادة ومتمنيا للأمة العربية كل عز وسؤدد ؟

(جمال عبد الناصر)

سماحة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر القاهرة

أشكر لسماحتكم تهنئتكم الكريمة بعيد الأضحى المبارك راجيا البارى تعالى أن يعيده على العرب والمسلمين وقد تحققت أمانيهم فى الوحدة والحرية ؟

(شكرى القوتلى)

الشيخ ضياء الدين بن إيشان بابا خان مفتى المسلمين طشقند

لقد كان لتهنئتكم لنا بعيد الأضحى المبارك أثر عظيم فى نفسى ونفوس جميع علماء وموظفى الأزهر وإنى إذ أشكر لكم هذا الشعور الطيب أرجو الله أن يمتعكم بالصحة وأن يهب المسلمين فى آسيا الوسطى والعالم كله حياة طيبة فى ظل من الأمن والحرية والاستقرار .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عبد الرحمن تاج القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لمناسبة عيد الأضحى المبارك يسرنى أن أتقدم إليكم وإلينا وإلى جميع المسلمين بالخير واليمن والعافية والتوفيق فى كل الأمور .

ونسأل الله أن يمدكم فى أموركم وينسج عليكم ثوب العافية إنه على كل شىء قدير مع أطيب التحيات .

(قمر الدين صالح)
شيخ جامع موسكو

الحاج قمر الدين صالح شيخ جامع موسكو

أشكر لكم تهنئتكم بعيد الأضحى المبارك وتمنياتكم الطيبة لنا وأرجو الله لكم ولجميع المسلمين فى الاتحاد السوفييتى والعالم كله حياة طيبة ، وحرية شاملة ، وتوفيقاً مطرداً لخدمة قضية السلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

فضيلة شيخ الجامع الأزهر القاهرة الجمهورية العربية المتحدة

بمناسبة عيد الأضحى المبارك أتمنى لكم الصحة وطول البقاء ، والتوفيق فى جهودكم من أجل السلام .

(مؤسسة فيينا الدولية للسلام)

المؤسسة الدولية للسلام فيينا

أشكر لكم تهنئتكم بعيد الأضحى المبارك وأرجو الله للعالم أمناً واستقراراً ولجميع العاملين المخلصين توفيقاً دائماً لخدمة السلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

حمداً لك اللهم . . . !

فقد تردد نسيم الحرية فى رئة عزيزة من الجسم العربى ، بعد أن ظن الخونة المارقون أنها تعطلت تماماً ؛ لما بالغوا فيه من سد المنافذ وتسميم الجو . . . ! حمداً لك اللهم . . . ! فقد تحرر العراق الشقيق . . . !

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ينوب عن الأزهر فى التهنئة بنجاح الثورة العربية فى العراق .

السيد الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزارة العراقية بغداد

أحي فيكم روح الوطنية العالية وأهنئكم بنتيجة الثورة الباهرة ، وأرجو للجمهورية العربية العراقية كمال العزة والقوة والتمكين كما أرجو لجميع الشعوب العربية المكافحة فى سبيل تحريرها أن تنال استقلالها وتتمتع بثمار كفاحها وأن تقوى على طرد المستعمرين من ديارها والله ولى المؤمنين المخلصين .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

الأدب والعلوم

المستوى الاجتماعى للمدرسة

أوصى المؤتمر الأول للتخطيط الاجتماعى المدرسى بتنظيم دراسات لإعداد القادة والرواد واكتشاف الطلبة ذوى المواهب لإعدادهم قادة فى المدرسة ، وتشجيع الهوايات المدرسية الصالحة . ودعا المؤتمر إلى تقديم الخدمات النفسية والاجتماعية للتلاميذ غير القادرين على التكيف الاجتماعى ، ونوه بفائدة مجالس الآباء . وأوصى بأن يدخل فى الاعتبار - عند تقدير قيمة الأساتذة والمدرسين - مدى مساهمتهم فى تحقيق أهداف التربية الاجتماعية .

حصر القوى المتعلمة

تقوم وزارة التربية والتعليم بإعداد حصر شامل للقوى البشرية المتعلمة التى تلزم المرافق المختلفة فى إقليمى الجمهورية المتحدة خلال السنوات العشر القادمة .

مراكز بحوث لكل صناعة

تعنى وزارة الصناعة بإعداد مراكز بحوث علمية لكل صناعة من الصناعات القائمة فى الجمهورية العربية المتحدة ، بحيث تكون مختصة بجميع مرافق العلم من صناعية وهندسية وزراعية . وقد اقترح إقامة « معمل بحوث » لكل صناعة تساهم الشركات بتمويله باعتمادات سنوية فى ميزانياتها ،وستوزع مراكز البحوث على مناطق التصنيع ، والمقترح إقامة خمسة عشر معملا مركزيا لأبحاث الطاقة الذرية ،والبترول، والأسمدة الكيماوية ، والثروة المعدنية ، والصناعات الحديدية ، والصناعات الكيماوية ، وأبحاث الغزل والنسج والصباغة والطبع ، وأبحاث الخيوط الصناعية ، والزجاج ، والأسمنت ، والمستحضرات الطبية ، ومنتجات الألبان ، والورق ، والصناعات الغذائية ، وصناعات البلاستك .

وأهم مايعنى به لتحقيق ذلك تخريج جيل جديد من العلماء يتخصص كل فريق منهم فى أبحاث صناعة معينة لتعتمد عليهم الصناعات فى خطوات تقدمها فى المستقبل القريب .

ناجحو المدارس الثانوية

قرر المجلس الأعلى للجامعات المصرية قبول ٨٥٩٥ طالباً من الناجحين فى شهادة الثانوية العامة هذا العام ، منهم ٣٢١٥ لجامعة القاهرة ، و ٢٤٠٥ لجامعة الاسكندرية ،

و ٢٦٧٠ لجامعة عين شمس ، و ٣٠٥ لجامعة أسيوط . ومن المنتظر أن تزداد هذه الأعداد ١٠ ٪ بالنسبة للكليات النظرية و ٥ ٪ بالنسبة للكليات العملية . وباقى الناجحين فى امتحان الشهادة الثانوية العامة يوزعون على الكليات والمعاهد العليا التابعة لوزارة التربية والتعليم .

الأزهر فى باريس

تقدم المسلمون المقيمون فى باريس بطلب إلى مشيخة الأزهر لإيفاد أحد العلماء إلى العاصمة الفرنسية لتعليم أبناء الجالية الإسلامية فيها أحكام الشريعة . ولما كان أكثرهم من أبناء الأقطار الشقيقة فى شمال إفريقية وهم على مذهب الإمام مالك ، فستكون الأحكام الفقهية التى يتلقونها فى الفقه المالكى .

وقد رشح الأزهر أحد الأساتذة الوعاظ للقيام بهذه المهمة ، واتخذت الأسباب لتعجيل سفره لتسلم عمله .

الثقافة الإسلامية

فى كوبا وكولومبيا

بعث الأزهر بمجموعات من المصاحف والكتب الإسلامية والرسائل الثقافية والمجلات إلى اللجنة السياسية للجمهورية العربية المتحدة فى كوبا وكولومبيا من بلاد أمريكا اللاتينية ، وذلك لتمكين المسلمين هناك من أن يتزودوا من الثقافة الإسلامية والعربية .

جوائز للبحوث العلمية

قرر المجلس الأعلى للعلوم برياسة وزير التربية والتعليم اعتماد ١٦ جائزة تشجيعيه قيمة كل منها خمسمائة جنيه تمنح لأحسن البحوث العلمية التى لم يمض على نشرها أو تنفيذها أكثر من ثلاث سنوات ، توزع بين البحوث العلمية الزراعية والهندسية والطبية والكيمائية والجيولوجية ، والبيولوجية ، والرياضية ، والطبيعية .

معلومات عن العراق

مساحة العراق ١٧٥ ألف ميل مربع ، ويزيد عدد سكانه على خمسة ملايين ، وهو سادس دولة تنتج البترول ، وإيراد العراق منه أكثر من ٣٠٠ مليون دولار سنوياً . وجوه حار صيفاً ، بارد شتاء .

والإقليم الشمالى منه جبلى وفيه آبار البترول وأهم مدنه الموصل ، وأوسطه منطقة الرافدين (ما بين النهرين) وفيه العاصمة (بغداد) ، وفى الجنوب ملتقى النهرين ويسمى شط العرب وفيه مدينة البصرة .

والأمة العراقية تكاد تكون أمة عسكرية ، وسيكون لجيشها شأن بعد تحررها من الدمى التى كان الاستعمار يستعملها لأغراضه .

أنباء العالم الإسلامي

جمال عبد الناصر

بين يوغوسلافيا ومصر

فى مساء السبت ١١ ذى الحجة (٢٨ يونية) غادر الرئيس جمال عبد الناصر ميناء الاسكندرية على الباخرة المصرية (الحرية) فى طريقه إلى يوغوسلافيا بدعوة من رئيس جمهوريتها ، فودعته الجماهير وداعا رائعا ، وكان فى حراسة الباخرة (الحرية) المدمرتان المصريتان (الناصر) و (الظافر) . وفى يوم الأربعاء ١٥ ذى الحجة (٢ يوليو) وصل الرئيس إلى ميناء (دوبروفيتك) فاستقبله فيها الرئيس تيتو والشعب اليوغوسلافى .

وفى يوم الأحد ١٩ ذى الحجة (٦ يوليو) بدأت المحادثات الرسمية بين الرئيسين فى جزيرة (بريونى) ، وكانت مشاكل الشرق الأوسط وأزمة لبنان فى مقدمة هذه المحادثات التى تمت فى تفاهم كامل ، فاتفقوا على اتخاذ إجراء مشترك فى كل مشكلة دولية ، وعلى تدعيم العلاقات السياسية والثقافية والصناعية بين البلدين . وتحدث الرئيس جمال عبد الناصر من إذاعة راديو بلغراد فقال : إن القومية العربية كانت فكرة وأملا ، فأصبحت اليوم حقيقة . وعقب المحادثات العربية اليوغسلافية حضر وزير خارجية اليونان إلى يوغوسلافيا وتجددت محادثات بين الدول الثلاث على أساس المحادثات الأولى ولمثل أغراضها .

ولما أشرقت شمس يوم الأثنين ٢٧ ذى الحجة (١٤ يوليو) بدأت الأنباء تصل تباعا إلى الرئيس جمال عبد الناصر فى بريونى عن قيام ثورة العراق وسقوط التاج والعرش فى بغداد وإعلان الجمهورية العراقية ، وكان يوم غد (الثلاثاء) موعد سفر الرئيس جمال عائدا إلى مصر ، فقرر التعجيل بعودته حالا ، وعند غروب شمس الإثنين كانت الباخرة (الحرية) تشق بحر الادرياتيك بحراسة المدمرتين المصريتين ومدمرتين يوغوسلافيتين ، ومضت هذه القافلة البحرية تشق العباب بأقصى سرعتها ، وفيما هى على وشك الخروج من الادرياتيكى إلى البحر الأبيض وردت الأنباء بنزول القوات الأمريكية فى لبنان ، ثم تلقت إحدى المدمرتين اليوغوسلافيتين رسالة سرية عاجلة من المارشال تيتو باسم الرئيس جمال عبد الناصر

يقول فيها : « أناشدكم ألا تتقدموا فى البحر إلى أكثر من الحد الذى وصلتم إليه الآن . إن الخطر شديد بعد التطورات الأخيرة . أرجوكم العودة إلى أقرب ميناء يوغوسلافى ، أرجو أن يكون الرد بالموافقة » . فأجابه الرئيس جمال عبد الناصر بالموافقة . وفى صباح الثلاثاء وردت برقية أخرى من تيتو : « أقترح قدومكم إلى بريونى . أرجو للسرعة أن تنتقلوا إلى إحدى مدمراتكم لتصلوا إلينا بعد ثمانى ساعات . أتطلع بشوق إلى أن أراك مساء اليـــوم » .

ولما تقررت فكرة العودة إلى بريونى تشاور الرئيس جمال مع وزير خارجيته فى زيارة موسكو للتحدث مع خروشوف فى جميع احتمالات الموقف الدولى ، ومن المدمرة المصرية ، بعث الرئيس جمال رسالة إلى خروشوف عن موقف الشرق العربى بعد ثورة العراق يقول فيها « قررت قبل أن أعود إلى القاهرة أن أراك فى أى مكان يناسبك ، وأنا الآن فى طريقى إلى بريونى » . ومن المدمرة المصرية أبرق الرئيس جمال إلى نهرو وشواين لاى ، وسوكارنو ، ورئيس وزارة سيلان ، ونكروما ، ورئيس وزارة الأفغان يشرح لهم تطورات الموقف فى الشرق الأوسط ولا سيما العـــراق ، وبعث الدكتور محمود فوزى تعليمات إلى جميع سفراء الجمهـــورية العربية المتحدة ليتصل كل منهم بحكومة البلاد التى يعمل فيها ، ويطلب سرعة الاعتراف بالجمهورية العراقية .

ولما وصل جمال إلى بريونى وجد فى انتظاره برقية من خروشوف بأنه فى انتظاره فى موسكو أو أى مكان آخر يلائمه . وفى بريونى جمع تيتو أهم رجال دولته للاجتماع برئيس الجمهورية العربية ووزير خارجيتها للتحدث معا فى آخر تطورات الموقف الدولى ، وامتد الاجتماع إلى منتصف الليل . وفى فجر يوم الخميس ٣٠ ذى الحجة (١٧ يوليو) استقل الرئيس جمال ووزير خارجيته الطائرة الجبارة التى كانت فى انتظاره بمطار بولا متوجها إلى موسكو بسرعة ألف كيلو متر فى الساعة ، ونزل فى موسكو بقصر داتشا بالضواحى ، واجتمع بخروشوف مدة ثمانى ساعات .

وفى الصباح المبكر من يوم الجمعة غرة المحرم (١٨ يوليو) استقل الرئيس الطائرة الروسية T.U.104 من موسكو ، وهى تتسع لسبعين راكبا ، فسلكت فى طريقها الممر الهوائى التجارى العادى ، ولم يخطر ببال المشرفين على مطارات العالم أن هذه الطائرة هى طائرة جمال عبد الناصر . مرت فوق طهران ثم طارت فوق بغداد ، وفى جو بغداد دنت الطائرة من المبانى والمعالم ، حتى كان الرئيس يرى بنظارته سكان بغـــداد وهم يمشون فى الشوارع .

وبينما العالم ينتظر وصول الرئيس بحراً إلى مصر ، إذا به يفاجأ بهبوط طائرته فى مطار دمشق فى الساعة الواحدة بعد ظهر الجمعة ، فذهب إلى قصر الضيافة ، وعرف الوزراء بوصوله ، وذهلت مخابرات العالم وهى تسمع الخبر ، إنهم كانوا يظنونه عائداً إلى مصر بطريق البحر . ومن شرفة قصر الضيافة بدمشق مساء الجمعة خطب على مسامع سكان العاصمة السورية ، فكان الوطن العربى كله يسمع خطابه كلمة كلمة ، كانت كلماته كلها أقوى من المدافع . ومما قاله : كانت راية الحرية قد ارتفعت فى دمشق والقاهرة ، واليوم ترتفع فى بغداد ، وسترتفع غداً فى بيروت وعمان والجزائر . إننا انتصرنا فى بورسعيد ، وسننتصر فى جميع المعارك . إن القومية العربية لا يمثلها جمال عبدالناصر ولا أى شخص آخر . من كان يسمع عن عبد الكريم قاسم ، أو عبد السلام عارف ؟ إن شعلة القومية العربية ستبقى أبد الدهر عالية مرتفعة ، إن سياستنا أن نسالم من يسالمنا وأن نعادى من يعادينا . القومية العربية أقوى من القنابل الذرية ، لقد انتصرنا فى معركة ١٩٥٦ ، وسننتصر فى هذه المعركة ، وقلوبنا كلها مع العراق . إن أمريكا تحتل لبنان وتحملنا مسئولية حماية جنودها المحتلة ! هذا هو الاحتلال ، وهذا هو الاستعمار . أنا أقول لإخوانكم فى بغداد إننا معكم أيها الإخوان جميعاً ، إننا نحمل السلاح معكم أيها الإخوة جميعاً ، إن كل قطرة من دمائنا مع كل قطرة من دمائكم . والله يوفق الأمة العربية جمعاء .

وسمع قادة الجمهورية العراقية صوت جمال عبد الناصر من دمشق فوفد عليه منهم فى صباح يوم السبت ٢ المحرم (١٩ يوليو) وفد يرأسه العقيد الركن عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء ، ومعه محمد حبيب وزير المالية وصديق شنشل وزير الارشاد ، وعبدالجواد جومرد وزير الخارجية . وأراد شعب دمشق أن يمتع أنظاره بمشاهدة قوى العروبة ممثلة بأبطال مصر والعراق والشام ، فأشرف على الجماهير جمال عبدالناصر ، وشكرى القوتلى ، وعبد السلام عارف ، وعبد الجبار جومرد ، وصديق شنشل ، ومحمد حبيب ، وتداولوا إلقاء الخطب القوية . وفى ذلك اليوم عقد فى دمشق بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق هذا الاتفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة

والجمهورية العراقية

فى اليوم الثانى من شهر المحرم سنة ١٣٧٨ (١٩ من شهر تموز « يوليو » عام ١٩٥٨) اتفق وفدا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على :

أولا - تأكيد ما يربط البلدين من عهود ومواثيق ، وفى مقدمتها ميثاق الجامعة العربية وميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية .

ثانيا - تأكيد ما أعلنته حكومتا البلدين من ارتباط وثيق بينهما إزاء الموقف الدولى ، وأنهما مصممتان على الوقوف كبلد واحد فى الدفاع ضد أى عدوان عليهما أو على أى منهما ، والبدء حالا فى اتخاذ ما يقتضيه ذلك من خطوات عملية .

ثالثاً - التعاون الكامل فى المحيط الدولى للمحافظة على حقوق البلدين والمشاركة الفعالة فى تأييد ميثاق الأمم المتحدة وفى دعم السلام فى الشرق الأوسط وفى العالم .

رابعا - اتخاذ الخطوات العاجلة العملية لتنمية التعاون الاقتصادى والثقافى بين البلدين .

خامسا - الاتفاق والتشاور المستمرين بين البلدين فى كل الشئون التى تعنى كلا من البلدين .

وقد وقع هذا الاتفاق عن الجمهورية العربية المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر ، ووقعه عن الجمهورية العراقية العقيد عبد السلام محمد عارف نائب رئيس الوزراء .

وفى يوم الأحد ٣ المحرم (٢٠ يوليو) زار الرئيس خطوطنا الأمامية بالقرب من الحدود اللبنانية ، وناقش الضباط والجنود الذين يحمون هذه الخطوط فى مهماتهم . وكان استقباله فى خطوط الحدود أروع استقبال . والغرض من هذه الزيارة الاطمئنان على الخطة الدفاعية المرسومة للمحافظة على الإقليم الشمالى من الجمهورية ضد أى عدوان أو تدخل أجنبى .

وكان مع الرئيس فى زيارته بعض الوزراء واللواء جمال فيصل قائد الجيش الأول ومعاونه أمير الآلاى عبد المحسن أبو النور . وسر الرئيس بما رآه ، وعاد بالارتياح والاطمئنان التام .

وفى طريق عودته زار قبر الشهيد يوسف العظمة بميسلون ، ووضع على ضريحه باقة من الزهر تخليدا لنضاله فى سبيل الحرية والكرامة

وفى مساء الاثنين ٤ من المحرم عاد الرئيس إلى القاهرة ، واجتمع فور وصوله بالمشير عبد الحكيم عامر والسيد عبد اللطيف البغدادى نائبى رئيس الجمهورية ، والسيد على صبرى وزير شئون رياسة الجمهورية ، وبحث معهم مسائل عسكرية وسياسية هامة .

وفى مساء اليوم التالى (٥ المحرم - ٢٢ يوليو) ألقى الرئيس خطابه الخطير فى ميدان الجمهورية بالقاهرة ، وقد لخصناه فى مكان آخر من هذا الباب .

أسهم قناة السويس

تم فى جنيف يوم الأحد ٢٦ ذى الحجة (١٣ يوليو) توقيع الاتفاق النهائى الخاص بتعويض حملة أسهم قناة السويس السابقة ، وكان التوقيع فى المقر الأوربى للأمم المتحدة بجنيف . وتم التوقيع فى اجتماع أحيط بالكتمان ، حتى أن الصحفيين لم يعلموا بعقده إلا فى آخر لحظة ، فلم يحضر أحد منهم هذا الاجتماع . وقد بينا الأسس التى قام عليها هذا الاتفاق فى ص ٩٧٢ — ٩٧٣ بالجزء الأخير من السنة الماضية .

انتفاضة العراق

كان يوم الإثنين ٢٧ ذى الحجة (١٤ يوليو) موعداً لاجتماع حلف بغداد فى اسطنبول ، للنظر فى مساعدة كميل شمعون الموالى للغرب ، والتنكيل بالشعب اللبنانى الثائر على صنائع الاستعمار .

وبات ملك العراق ، وخاله عبد الإله ، ونورى السعيد وهم على أهبة السفر بالطائرة فى ذلك الصباح إلى اسطنبول للاشتراك فى ذلك الاجتماع . وكانت الترتيبات قد عملت ليشترك جيش العراق فى إخماد ثورة اللبنانيين على عملاء الاستعمار من حكامهم . وبالفعل خرج إلى مطار اسطنبول كبار حكام تركيا وأعضاء البعثات الأجانب وضباط وجنود حرس الشرف بموسيقاهم ليستقبلوا ملك العراق ومن معه .

ولكن القومية العربية التى تصبر ، ثم تثب وثباتها المفاجئة للتاريخ ، كانت فى ساعة الفجر من ذلك اليوم فى بغداد ، قد أعدت المفاجأة التى فاجأت بها الدنيا ، فصدرت الأوامر العسكرية من العقيد عبد الرحمن عارف (شقيق العقيد عبد السلام عارف) بتطويق قصر الرحاب قبل أن يفر الخونة الذين كانوا فيه ، وتقدمت وحدات الجيش للعمل وعلى رأسها اللواء العشرون بقيادة الزعيم عبدالكريم قاسم وكان نورى السعيد قد أمر هذا اللواء بالذهاب إلى حدود الأردن لمصلحة الاستعمار ، واشترك مع اللواء العشرين فى الثورة اللواء التاسع عشر وكتيبة الهندسة ، وكتيبة الدبابات ، وكان العقيد عبد السلام عارف فى قيادة إحدى فرق المدرعات التى طوقت القصر ، وذهب أخوه عبد الرحمن بنفسه للاشراف على تنفيذ الخطة المرسومة ، وكان أول عمل قاموا به بعد تطويق القصر قطع التيار الكهربائى والاتصال التليفونى ، واحتلوا دار الإذاعة ، ومناطق البترول ، ومطار البصرة ، وجميع المنشآت العسكرية ، والمؤسسات المدنية والمالية التى تحتاج إلى حماية وحاصروا القواعد الانجليزية بخطة رسمت بإحكام ، فأصبحت القواعد الانجليزية عاجزة عن أى إجراء نحو الثورة .

وفى قصر الرحاب لما رأى فيصل القوات المسلحة وأدرك موقفه قرر الاستسلام ، فبادره خاله عبد الإله بلطمة شديدة على وجهه ليثنيه عن ذلك ، وتناول من حرسه مدفعاً رشاشاً وأخذ يطلقه على جنود الثورة ، فقتل جنديين ورئيس عشرة ، وكان من المصلحة أن يقبض عليه هو والملك وهما على قيد الحياة ، لكنه تعمد أن تكون نهايته الموت لا الاعتقال ، فاضطر رجال الثورة إلى قتله ، وجر الشعب جثته فى الشوارع ، ثم صلب على باب وزارة الدفاع فى المكان الذى كان عبد الإله قد أمر أن يصلب فيه القائد المجاهد صلاح الدين الصباغ من قادة جيش العراق فى ثورة رشيد عالى الكيلانى أثناء الحرب العالمية الثانية . أما الملك فيصل فوجدت جثته مطروحة فى أرض القصر وكان المظنون أن خاله قتله ، لكن لم يوجد فى جسمه أثر للرصاص ، وكان هو مريضا بالربو ولعله مات متأثراً بالخوف والضعف . إن جبابرة الاستعمار فى الأرض لم تنقذ عبيد الكراسى من قضاء الله المبرم ، فويل لجبابرة الأرض من جبار السماوات .

إن أروع ما فى ثورة العراق قيامها على قوة الأخلاق ، فعجزت استعلامات الغرب وأذنابه عن أن تشعر ببوادر الثورة ، حتى فوجئت بصدمتها العنيفة التى أذهلت لندن وواشنطون وجميع أوكار الطغيان الاستعمارى الذى كان يعلق آماله فى خنق النهضة العربية على الأسرة الهاشمية التى أفسد الشيطان قلوب الأموات والأحياء من رجالها ونسائها ، ولا سيا صنيعتها المجرم الأول نورى السعيد ، وقد استطاع نورى السعيد أن يمضى الليلة الأولى بعد الثورة مختبئا فى حى الباب الشرقى إلى أن علمت الثورة بالجهة التى هو فيها ، وفى أثناء البحث عنه بدا له أن يغير مخبأه فخرج فى ملابس امرأة تصحبه امرأة أخرى فلفتت حركتهما أنظار الناس ، وظن نورى السعيد أن امره افتضح فاستل مسدسه وجعل يطلقه بغير وعى ، فهاجمه جندى وصرعه برصاصه ، وبعد سقوطه تبين أنه نورى السعيد فحملت جثته إلى وزارة الدفاع ، وبعد تشريحها دفنت فى منطقة أبى غريب على بعد ٢٠ كيلو مترا من بغداد .

وفى اليوم نفسه قبض على فاضل الجمالى وهو متنكر فى زى أعرابى يحاول الخروج من العراق بطريق البادية ، فاعتقل توطئة لمحاكمته مع أمثاله .

وكان أول مقررات الثورة العراقية فى صباح يومها الأول صدور مرسوم بإلغاء النظام الملكى فى العراق ، وإزالة شاراته وأسمائه عن الأوضاع والمرافق العسكرية والمدنية وغيرها .

ومرسوم بإعلان الجمهورية العراقية .

ومرسوم بتكوين (مجلس السيادة) ، واختيار الفريق الركن نجيب الربيعى رئيسا له .

وتولى رياسة الوزارة فى الجمهورية العراقية لأول مرة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ، الذى كان فى قيادة اللواء العشرين عند تحطيم الأصنام التى أقامها الاستعمار لاستعباد العراق .

وبعد دقائق من إعلان الجمهورية العراقية قررت الجمهورية العربية المتحدة الاعتراف بها والتعاون معها ، ثم أعلنت رسمياً أنها ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقاً لميثاق الضمان الجماعى العربى ، وأن كل عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة » . وهذا النص كتبه الرئيس جمال عبد الناصر بخطه وهو فى المدمرة (الناصر) فى بحر الادرياتيك وبعث به فى برقية مفتوحة ليذاع من القاهرة .

إن الشعب العراقى عن بكرة أبيه كان يدا واحدة مع الجيش فى تثبيت العهد الجديد والابتهاج به ، وعقد القلوب على حياطته بالأرواح والدماء والعزائم ، وقد أثبتت انتفاضة العراق لكل مكابر فى الأرض أن العروبة خرجت من القمقم ، وستستأنف رسالتها فى التاريخ .

يطلب الاحتلال للأردن

اجتمع حسين حفيد الملك عبد الله بكبار مستشاريه العسكريين والسياسيين يوم الأربعاء ١٦ يوليو ، وتم الاتفاق على الاستنجاد ببريطانيا وأمريكا لتحتلا بلاد الأردن ، فيحتفظ بالكرسى الذى تزلزل بثورة العراق ومصرع فيصل وعبد الاله ونورى السعيد . وقد وجه حسين نداء لبريطانيا وأمريكا كانت نتيجته أن بادرت بريطانيا بإرسال قوة كبيرة من جنود المظلات إلى عمان ، كما كان من نتيجته تمهيد الطريق لإرسال قوات أمريكية إلى الأردن . وقد تأكد أن القوات البريطانية التى وصلت إلى عمان مرت فوق إسرائيل بموافقة الحكومة الإسرائيلية .

مهزلة حراسة ملك الأردن

وجه النائب العمالى ايمرز هيوز سؤالا فى البرلمان البريطانى إلى مكميلان رئيس الوزارة : أليس من الأفضل لتأمين حراسة حسين ملك الأردن أن يقيم فى بريطانيا فى حماية البوليس الانجليزى ، بدلا من إرسال قوات بريطانية إلى الأردن لحمايته هناك ؟

فأجابه رئيس الوزارة : أعتقد أن الملك حسين يشعر بأنه يجب ألا يغادر بلاده فى الوقت الحاضر ، ولذلك فإنى لا أفكر الآن فى دعوته لزيارة بريطانيا . . .

لا توجد قوة

توقف قوة القومية العربية

قال زعيم حزب العمال البريطانى فى خطاب ألقاه على مؤتمر شعبى كبير بمدينة درهام : إننا نخدع أنفسنا إذا كنا نظن أن بريطانيا وأمريكا سوف تتمكنان من وقف قوة القومية العربية المتزايدة .

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن هناك حركة ضخمة ضد حكم الملك حسين، كذلك لا يمكننا أن ننكر أن قواتنا أجبرت على الانسحاب من الأردن قبل سنتين بسبب الشعور الشعبى الجارف المعارض لتحالف الأردن مع بريطانيا ويخطئ كل الخطأ من يظن أن هذا الشعور قد تبخر

خطبة جمال عبد الناصر

فى الذكرى السادسة للثورة

خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى مساء الثلاثاء ٥ المحرم (٢٢ يوليو) فى ميدان الجمهورية بالقاهرة .

حضر من بغداد وفد برياسة السيد مصطفى على وزير العدل للاشتراك فى هذه الذكرى . وبلغ عدد الذين احتشدوا لسماع الخطبة أكثر من ٧٥٠ ألف مواطن .

قال الرئيس إن هذا العيد عيدان: عيد ذكرى ثورتنا ، وعيد قيام الثورة العراقية . لقد وقعنا الاتفاق مع العراق فورا . ولم نكن فى حاجة إلى ميعاد لتوقيعه ، فإنه كان موقعا بيننا منذ الأزل .

طالب الرئيس من دول الأرض الاعتراف بحياد الشرق الأوسط العربى ، وأنه لا بد من احترام إرادة الشعوب . وأن العالم وصل إلى حافة الحرب بسبب الشرق الأوسط ، ولكن الأزمة مفروضة على الشرق الأوسط من خارجه ، ولو تركت شعوب الشرق الأوسط لنفسها لما اختارت إلا السلام .

إننا نريد صداقة الجميع ، ولكننا لا نريد أن نجعل فى بلادنا قواعد أجنبية تهدد غيرنا وتعرضنا للتهديد .

لقد عجزت مدافع الاستعمار عن حماية العملاء الذين لا يعيشون إلا فى ظلالها ، ولكن مدافع الاستعمار لم تعد أقوى المدافع فى الدنيا .

إن كفاح شعب الأردن انتكس بسبب انحراف ملك الأردن وتنكره لشعبه، ولكن كفاح الأردن سوف ينتصر ، لأن انحراف أى فرد لا يمكن أن يؤثر فى كفاح شعب .

إن حسينا يواصل الآن فى عمان الرسالة التى حملها جده عبد الله من قبله ، رسالة الخيانة فى فلسطين ، وإن حسينا هو سر جده ، والخيانة فى الأردن ستنتهى وينتهى معها الاحتلال . وسوف ينهزم الاستعمار الأمريكى فى لبنان ، ويلقى نفس المصير الذى سيلقاه الاستعمار البريطانى فى الأردن ، إنه نفس مصير الاستعمار فى العراق . لقد انتهى عهد العملاء ، وبدأت ثورة الأحرار من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى .

لماذا يخافون من القومية العربية ؟ هل

أغلقنا قناة السويس بعد تأميم شركتها كما كانوا يخشون ؟ هل سيمنع العراق بتروله بعد تحرره كما يتصورون ؟

لقد تركنا أعوان الاستعمار فى العراق لشعب العراق ، لقد رد شعب العراق عليهم . باسمكم فى هذا المكان ، باسم دمشق والقاهرة أرحب برجال بغداد الشقيقة العزيزة ، باسم الأمة العربية جميعا أرحب بوفد جمهورية العراق . إننا نعتمد أولا وأخيراً على الله ، وعلى قوة الشعب التى نعتبرها من قوة الله .

إن العالم اليوم أصبح إما أن يتجه إلى سلام ، أو أن يتجه إلى حرب . إما أن يتجه إلى بقاء ، أو أن يتجه إلى فناء . نحن نبذل كل جهدنا من أجل السلام ومن أجل البقاء . وفى نفس الوقت نحمل السلاح جميعا من أجل المحافظة على كياننا ، ومن أجل صد أى عدوان على أى جزء من الوطن العربى .

نحن فى هذا نؤمن بالله ، ونؤمن بالوطن ، ونؤمن بأنفسنا ونؤمن بكفاحنا . وبعون الله سترتفع دائماً أعلام النصر على كل جزء من أجزاء وطننا كما ارتفعت قبل ذلك فى القاهرة ، وكما ارتفعت فى دمشق ، وكما ارتفعت فى بغداد . والله يوفقكم . والسلام عليكم ».

جمال وحركة التحرر العربى

خطب خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فى حفل أقامته سفارة جمهورية بولونيا بموسكو ، فتحدث عن اجتماعه الأخير بالرئيس جمال عبدالناصر ، وقال عنه : « إنه قائد حركة التحرر فى العالم العربى وليس شيوعيا مثلى ، ومع ذلك التقينا فورا وفهم كل منا حقيقة الآخر ، وجمعنا العمل المشترك من أجل السلام . وقد اتفقنا على مواجهة مؤامرات الاستعمار بكل طاقتنا ، وعلى منعهم من إشعال الحرب فى الشرقين الأدنى والأوسط .

« إن الاستعمار لن يستطيع وقف حركة التحرر العربى . وإنى أرحب بجمهورية العراق وقادتها . ويجب سحب القوات الأمريكية والبريطانية من لبنان والأردن . ولن تستطيع الحراب الأجنبية أن تحول دون سقوط الحكام الذين يفقدون ثقة شعوبهم » .

وقال خروشوف يصف الزعيم الركن عبد الكريم قاسم : « إنه رجل شجاع ذو صفات رائعة ، لأنه لم يخف من الاستعماريين »

وقال عن حسين حفيد عبد الله « إن مصيره سيكون مصير قيصر روسيا » .

وقال عن شمعون « إنه معلق فى الفضاء ، لا يقف على أرض » .

الفهرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

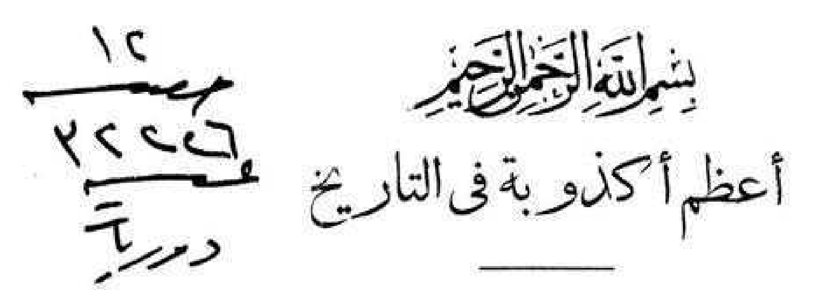
رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الثانى — القاهرة : صفر سنة ١٣٧٨ — أغسطس (آب) سنة ١٩٥٨ — المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم



أعظم أكذوبة فى التاريخ

هى الأكذوبة التى صدقناها ، واستقرت فى أذهاننا من عشرات السنين ، وتجتهد جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا فى تثبيتها وتقريرها ، وكنت أنا من ضحاياها لما كنت فى دراستى الابتدائية قبل نحو ستين عاما . . .

هذه الأكذوبة ، هى أن حضارة الغرب امتازت بالتسامح الدينى والجنسى ، وأن الغربيين لاينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم فى الأديان والمذاهب وأساليب الحياة فى المجتمع . . .

هذه الأكذوبة ، هى أن حضارة الغرب ، وسياسة الغرب ، ونظام الغرب الذى يريده للمجتمع الإنسانى ، يتسع لجميع الناس ، ولاينطوى على البغضاء للذين يريدون أن يكون لهم طريق فى الحياة غير طريقه ، أو اقتناع فى حقائق الأشياء غير اقتناعه ، أو أسلوب فى الحياد السلبى والتعايش الإنسانى غير الأسلوب الأنانى الذى يريد الغرب أن يفرضه على الأمم بأساليبه المعهودة من الإيحاء والتوجيه والإملاء والإيجاب . حتى لو كان من البدهيات

المكشوفة أن هذا الإيحاء والتوجيه والإملاء والإيجاب لا يحقق إلا مصالح الغرب وأهدافه، وحتى لو كان يخالف مصالح الذين يريد الغرب أن يملي عليهم إرادته ويفرضها فرضا . . .

لما قامت الثورة العربية فى مصر قبل ست سنوات كانت عنوان الكمال فيما توختـه من الحق والخـير، وفيما التزمته من الإحسان والإصلاح، وما أخذت به من مناهج التعمير وأسباب التقدم. وقد رأى العالم كيف مدت ثورتنا يدها إلى جميع الأمم والدول بالتعاون على ما فيه المصالح المشتركة، والمنافع المتبادلة. وكيف اعترفت بحق الاستمتاع المشروع لكل من اعترف لها بمثله. وقد كنت أنا - كإنسان فى هذا المجتمع الإنسانى - أراقب موقف الغرب من هذه الثورة العربية. وأرى من الحق لها على أمم الحضارة أن تستقبل أحداث مصر ولو بمثل ما استقبلت به أوربا وأمريكا الأحداث التى وقعت فى تركيا عند قيام الكماليين . . . ولكن شتان ما بين الموقفين . . . موقف الغرب من ثورة الكماليين فى تركيا، وموقفه من ثورة العرب فى مصر وشقيقاتها . . .

أنا لا أبنى أحكامى على تصرفات الساسة وأقطاب الدول ورجال الحكومات، بل أوسع دائرة هذا الحكم حتى تشمل قادة الفكر وأعلام العلم وأساتذة الجامعات ومؤلفى الكتب الممتازة التى لا تكاد تخرج من المطابع حتى تترجم بمختلف اللغات. هؤلاء الذين يتبجح المتبجحون منا نيزعمون لنا - منذ كنت أنا فى المدرسة الابتدائية قبل ستين سنة - بأنهم امتازوا بالتسامح الدينى والجنسى، وأنهم لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم فى العقائد والمذاهب وأساليب الحياة فى المجتمع الإنسانى . . .

إن الذى يتفرغ للمقارنة بين موقف قادة الفكر الغربى من ثورة الكماليين فى تركيا بالأمس، وموقفهم من ثورة العرب فى أوطانهم الآن، لا يلبث أن يجد نفسه أمام حقائق محزنة، أقل ما يقال فيها : إن ما كان - ولا يزال - يزعمه لنا صنائع الغرب من القائمين على جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا، ليوهمونا أن حضارة الغرب وثقافة الغرب امتازت بالتسامح الدينى والجنسى، وأن الغربيين لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم فى العقائد والمذاهب وأساليب الحياة فى المجتمع، أقل ما يقال فى هذه المزاعم إنها أعظم أكذوبة فى التاريخ .

نحن الآن ـ ويا للأسف ـ فى حرب مذهبية مع الغرب !

هذه حقيقة لا يكابر فيها إلا غافل أو صاحب غرض .

إن صحف الغرب نفسها ، تفلت منها بين الحين والحين ، كلمات صريحة بالحرب المذهبية التى أعلنها الغرب على الشرق العربى . وفى مقالة والتر ليبمان التى علق بها فى صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » على خطبة أيزنهاور يوم الثلاثاء ١٥ يوليو الماضى ، ولخصتها الأهرام يوم ٥٨/٧/٢٩ فى باب « العالم يفكر » ، اعتراف بأن أمريكا تحارب القومية العربية وجمال عبد الناصر « حربا مذهبية » ، ثم قال الكاتب الأمريكى عن موقف أمريكا فى لبنان : إن معنى هذا الوضع أن نظل فى معركة من « معارك الحرب المذهبية » مع القومية العربية إلى مالا نهاية ، فالواجب يقضى بإجراء مفاوضات لتسوية المشكلة على أساس الاعتراف بأن كلا من روسيا والجمهورية العربية المتحدة من الدول التى تقضى (المصلحة) بالتفاهم معهما ...

هكذا تقول جريدة نيويورك هيرالد تريبيون ، وهى تدعو إلى هذا الاعتراف والتفاهم باعتبار أنه من (مصلحة) أمريكا ، لا باعتبار أن الإصرار على موقفها العدائى عار وفضيحة ، ولا باعتبار أن أمريكا غارقة إلى آذانها فى « معارك الحرب المذهبية » مع القومية العربية التى تحاول أن تجدد كيانها وتستأنف حياتها فى خدمة الإنسانية .

الإصلاح والتعمير والتقدم الذى تم على يد الثورة العربية فى مصر - فى كل سنة من السنوات الست الماضية - يرجح على كل ما صنعه مصطفى كمال وخلفاؤه وتلاميذهم فى أكثر من ثلاثين سنة . ومع ذلك فإن قادة الفكر فى الغرب استقبلوا هذا العمل التافه فى تركيا بالثناء والتشجيع والابتهاج ... فلما قام العرب بثورتهم المجيدة ، التى هى معجزة من معجزات تاريخ العروبة والإسلام ، وقف منها الغرب هذا الموقف المخزى الذى اتسم أولا بالوجوم والانقباض والتشاؤم ، وسرعان ما تحول بعد ذلك إلى مكايد ومؤامرات ودسائس وألاعيب صبيانية يقف التاريخ منها الآن موقف الهازئ الساخر .

وإنما كان عمل الكماليين فى تركيا تافها لأنه تناول بالهدم ما كان ينبغى له أن يتناوله بالتنمية والإنعاش والإحياء ، وأهمل ما كان ينبغى أن يتفرغ له من النهوض بالصناعة

والعمران . وإن الأسواق التركية لا تزال عالة حتى على مصنوعات إسرائيل التى نطاردها نحن عن آفاق الشرق العربى ، ونواصل الليل بالنهار لإقامة مصانع فى ربوعنا تتفوق عليها وعلى ما هو أعظم منها . ومع ذلك فإن عمل تركيا الهزيل فى أكثر من ثلاثين سنة لا يزال موضع الثناء والابتهاج من الغرب ، وخطوات العرب الجبارة فى ست سنوات نحو الحضارة والتقدم والعمران لا تزال عرضة لكيد الغرب ومعاركه فى « الحرب المذهبية » ، على ما اعترف به الصحفى الأمريكى والتر ليبمان فى « نيويورك هيرالد تريبيون » .

لقد تساءل الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبته الكبرى التى ألقاها على سبعمائة وخمسين ألف مواطن فى ميدان الجمهورية بالقاهرة مساء ٥ المحرم لمناسبة الذكرى السادسة للثورة فقال :

ـ لماذا يخافون من القومية العربية ؟

هل أغلقنا قناة السويس بعد تأميم شركتها كما كانوا يخشون ؟

هل سيمنع العراق بتروله بعد تحرره كما يتصورون ؟

لا ، أيها الرئيس . إنهم لا يخشون أن نسد قناة السويس فى وجوههم ؛ لأنهم يعلمون أن من مصلحتنا ومصلحة الإنسانية أن تبقى قناة السويس مفتوحة لكل من يريد الخير لنفسه وللناس . وإنهم لا يتصورون أن العراق سيمنع بتروله عنهم بعد تحرره ؛ لأن بترول العراق من محصولات العراق ، وكل أمة تنشد لمحصولاتها المشترى المنصف . إنهم لا يخشون هذا ، ولا يتصورون ذاك ، لكنهم متعصبون تعصبا ذميا ، ولا يسرهم أن يستأنف العرب رسالتهم القدسية لينهضوا بها وتنهض بها الإنسانية معهم ، فهم يحاربوننا حربا مذهبية كما قال ذلك المفكر الأمريكى تعليقا على خطبة أيزنهاور يوم ١٥ يوليو ، ومن أقبح الغش والخداع ، ومن أعظم الكذب فى الدنيا ، ما يبثه فينا بعض المدرسين والصحفيين منذ ستين سنة إلى الآن من أن حضارة الغرب امتازت بالتسامح الدينى والجنسى ، وأن الغربيين لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم فى العقائد والمذاهب وأساليب الحياة فى المجتمع .

ولما بدأ أذكياء الشرق العربى يقتنعون بحقارة هذه الأكذوبة بالنسبة إلى أوربا ، ولا سيما دولها الاستعمارية ، انطلقت ألسنة المبشرين بالتفرنج من رجالنا تزعم للناس ، كما تزعم لطلبة الجامعات وتلاميذ المدارس وقراء الصحف ، بأن أمريكا غير استعمارية ، وأنها طاهرة

الذيل من الإساءة إلى شعوب الأرض ، وأن رئيسها « مونرو » سن لها قاعدة الاكتفاء الذاتى « أمريكا للأمريكيين » ، فهى لا تمكن أحدا من بلادها ، ولا تتعرض لبلاد أحد !

لقد راجت هذه الأكذوبة فى بلاد الشرق العربى ، وصدقها الناس فى الشام عقب خديعة مبادئ ولسون فى حق الأمم بأن تقرر مصيرها ، فرأى الناس هناك أن يدرأوا مصيبة الانتداب من فرنسا وإنجلترا بقبول أهون الشرين وهو انتداب أمريكا ، وزارهم فى دمشق مستر كراين أحد شيوخ أمريكا ، فازداد انخداعهم ببلاد العم سام التى استعبدها اليهود واتخذوها أداة لأهوائهم يستعملونها كيف شاءوا . فلما افتضحت أمريكا بعبوديتها لليهود ، انكشف الغطاء عن عيون العرب أجمعين ، ونزلت أمريكا فى المنزلة التى ارتضتها لنفسها ، وقديما قال أسلافنا : « المرء حيث يضع نفسه » .

أنا من مخضرمى أمتى ، رصدت نفسى لأن أكون شاهد عيان لكل ما يمس حيويتها بخير أو شر منذ أكثر من نصف قرن ، وقد شهدت بعينى كيف كانت أمريكا مرتفعة إلى الأوج فى نظر أمتى عقب الحرب العالمية الأولى ، وأنا أشهد الآن كيف انحدرت أمريكا إلى الحضيض لا فى أنظار العرب وحدهم بل فى نظر الحقيقة أيضا ، فهى على كبرها وغناها صارت أقل حرمة عند الناس من الدولة البلقانية التى كانت تسمى دولة الجبل الأسود ، وعلى نفسها جنت براقش !

إن الغرب لا يخشى من الشرق العربى أن يسد فى وجهه قناة السويس ، ولا أن يمنع عنه بترول العراق ، ولكنه يريد من الشرق العربى أن يتنكر لمعنوياته كما تنكرت تركيا لمعنوياتها فيشجعه على ذلك كما شجعها ، ليكون الشرق العربى بهذا التنكر قدوة لسائر أمم الشرق ، أعنى الشرق الإسلامى . أما أن يكون وفياً لمعنوياته كما يلوح للغرب مما كان ويكون فى الشرق العربى ، وأن ينهض بصناعاته فيستغنى بها يوما بعد يوم عن مصنوعات الغرب وربيبته إسرائيل ، فذلك ما يتشاءم منه الغرب ، ويقيم للعرب العقبات فى سبيله ، ويخشى أن تسرى عدوى الخير إلى سائر الأوطان العربية والإسلامية . وما كنا لنستنكر هذا الموقف من ساسة الغرب وأقطاب دوله لو اقتصر عليهم ، حتى لو بلغ فى أساليبه العصرية أساليب الحروب الصليبية ، كما وقع منذ عهد قريب فى مأساة البغى على منطقتى القناة والعريش ، وكما نشاهد الآن من المسرحيات العسكرية فى لبنان والأردن ، وما يقع فى إمامة عمان وجنوبى اليمن ومنطقة البريمى ، فضلا عن مجزرة الجزائر ، بعد مهزلة المهازل بإقامة دولة إسرائيل فى قلب الوطن العربى وصميمه .

هذا الكيد المنهي من ساسة الغرب وأقطاب دوله لم يقتصر عليهم بل اشترك فى مسئولية هذه الجرائم الإنسانية أمام الله والتاريخ الجمهور الأعظم من قادة الفكر الغربيين الذين يخادعنا دعاة منا ليوهمونا بأن أساتذهم فى واشنطون ولندن وباريس وروما وسائر مدن الغرب وجامعاته ومجامعه بريئون من هذه الوصمة ، وأنهم ممتازون بالتسامح الدينى والجنسى ، وأنهم لا ينطوون على حقد أوضغينة للذين يخالفونهم فى العقائد والمذاهب وأساليب الحياة فى المجتمع. هذه الأكذوبه الكبرى قد برهن على بطلانها الجمهور الأعظم من أعلام العلم والثقافة وقادة الفكر فى الغرب ، منذ استقبلوا نهضة العروبة باللؤم والضغينة والحقد ، وهم يرونها بأعينهم نهضة صادقة خيرة ، تطوى المراحل - بل المفاوز - نحو أهدافها الإنسانية بأسرع مما وقع للغرب فى بدء نهضته . وبعكس ذلك استقبلوا الانقلاب الكمالى قبل ثلاثين سنة بالرقص والتهريج ظانين أن الترك إذا تنكروا للاسلام واصطبغوا بصبغة أسيادهم المستعمرين ، فإن الإسلام لا يلبث أن ينهزم فى كل أفق ، ويزول من الأرض ، والله غالب على أمره ، ولكل نبأ مستقر ، ولسوف يعلمون .

ألا فليعلم صنائع الغرب ودعاته فى جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا أن من رسالة الثورة العربية القائمة الآن إحياء تراثها وثقافتها ومقوماتها ، وأن من يقف فى طريق هذا البعث سيجرفه تياره ، وأن خطر الاستعمار الثقافى الغربى لا يقل - فى نظر الثورة العربية - عن خطر الاستعمار العسكرى والسياسى والاقتصادى ، فالاستعمار يمشى على هذه العجلات الأربع وهو كل لا يتجزأ ، بل خطر الاستعمار الثقافى أشد وأعظم ضررا من خطر الاستعمار العسكرى والسياسى والاقتصادى ، وداعية الاستعمار الثقافى الأجنبى فى الأوطان العربية أعظم خيانة من دعاة الاستعمار الآخرين مهما اختلفت الألوان التى يظهرون بها للناس .

فى سنة ١٣٥٠ (١٩٣١) وقف حكيم مسلمى القارة الهندية محمد إقبال فى مدينة القدس - رد الله غربتها - فألقى خطبة على أعضاء المؤتمر الإسلامى المنعقد فيها يومئذ ، وقال :

« إن الإسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب : أولهما الإلحاد ، وثانيهما الاستعمار . وإن مستقبل الإسلام رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب . فإذا تمت وحدة العرب علا شأن المسلمين فى كل أنحاء الأرض » .

إن هذا الكلام كان إلهاما من الله . وقد نادى به محمد إقبال يوم كان الاستعمار جاثما على

صدر بلاده بجميع أثقاله ، ويوم كانت أسلحة الإنجليز تقعقع فى وادى النيل من ينابيعه إلى مصبه . وما قاله محمد إقبال عن العرب لم يكن فيه موضع تهمة ، ولا نطق به عن عصبية ، ولكنها الحقيقة التى سجلها التاريخ فى صدر الإسلام للمرة الأولى ، والتاريخ يعيد نفسه . وهذا ما يتشاءم منه الذين يحاربوننا حربا مذهبية من أقطاب الغرب وساسته الذين ما منهم إلا من كان مديرا لجامعة من جامعات الغرب ، أو أستاذا من أساتذتها ، ولا أزال أبدى وأعيد بأن أعلام الجامعات الغربية وعلماءها - كساسة الغرب وأقطابه - فى محاربتنا الحرب المذهبية . وقد روى سماحة الحاج أمين الحسينى فى مجلة الأزهر (ص ٦٠٦ م ٢٧ - جزء جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥) عن شخصية دبلوماسية غير عربية أن فى جامعة أكسفورد كرسيا خاصا لدراسة الوسائل المؤدية إلى هدم الإسلام ، وأن هذا الكرسى أسس فى تلك الجامعة منذ عشرات السنين ، ولا يزال . وفى اعتقادى أنا ، أن فى كل جامعة غربية من أوربا إلى أمريكا مثل هذا الكرسى أو ما يقوم مقامه . وإن الروح التى تصدر عن تلك الكراسى هى التى يتقمصها دعاة التفرنج والإلحاد فى جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا ، والله كفيل بالأخذ على أيديهم ، بيقظة رجال الثورة الذين قضوا على الاستعمار بعجلاته الثلاث - العسكرية والسياسية والاقتصادية - فلم يبق فى بلادنا للاستعمار غير عجلته الرابعة هذه ، وهى أعجز من أن تجرى وحدها إن شاء الله .

ومما يبشر بالخير أن وزير التربية والتعليم فى الجمهورية العربية المتحدة شعر بمواطن الضعف فى أداة التربية والتعليم عندنا ، فقال قبل أكثر من سنتين : « إن التعليم فى مصر موصل ردىء لروح الثورة » (انظر افتتاحية مجلة الأزهر فى جزء جمادى الآخرة ١٣٧٥) .

على أن استعمار الغرب الثقافى الذى يبشر به بعض رجالنا آيل - مع أصله - إلى الزوال بحول الله وقوته . يقول « ول ديورانت » فى مقدمة (قصة الحضارة) :

« إن السيادة الغربية تسرع الآن نحو الانهيار . وإن من أعظم أخطاء الغرب (تجاهله) فضل الشرق ، واندفاعه بالتعصب الإقليمى إلى غمط الشرق فى فضائله وحيويته وانتعاشه » . ثم ضرب « ول ديورانت » المثل لتعصب الغرب المذهبى - أو الإقليمى - بإصراره على كتابته التقليدية للتاريخ بأنه يبدأ قصة الحضارة من اليونان ، ويكتفى بالحديث عن آسيا كلها فى سطر واحد !

ومن الأمثلة كذلك على تعصب الغرب المذهبي ما أعلنه الأستاذ بيرن فى (المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية) الذى انعقد بمدينة أوسلو من بلاد النروج فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ وهو يتكلم عن « الفتوحات الإسلامية وبداية العصور الوسطى » فكرر دعوته ـ التى أعلنها فى المؤتمر الدولى الخامس ـ إلى اعتبار ظهور الإسلام هو خاتمة العصور القديمة وبداية إيقاظ الإنسانية فى أول عصورها المتوسطة ، لأن احتكاك الغرب بالإسلام هو الحد الفاصل بين شطرى التاريخ القديم والمتوسط ، وحينئذ بدأت أوربا الغربية تكون مدنية جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث ـ أى حادث ظهور الإسلام ـ هو نهاية القرون الأولى وظهور عصر جديد . ومما لا شك فيه أن أعضاء المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية كانوا يتغامزون ببلاهة الأستاذ بيرن وغفلته عن الحرب المذهبية بين الشرق والغرب التى كان ينبغى له ـ لو كان منتبها لها ـ أن لا يقف هذا الموقف العلمى النبيل من حادثة ظهور الإسلام ...

وعالم آخر من كرام العلماء فى الغرب ، وهو الأستاذ دوبرى ، كان له موقف مماثل فى ذلك المؤتمر ، فعده زملاؤه فيما بينهم جاهلا بتقاليد العلم الغربى فى حربه المذهبية على الشرق ، وذلك أن الأستاذ دوبرى تكلم عن « نشأة الاستكشافات الجغرافية والأسباب الباعثة عليها » فأعلن أن احتكاك الصليبيين بالمسلمين واستيلاء المسلمين على مفاتيح التجارة الشرقية هما السبب المباشر لبداية عصر الاستكشاف الذى يعتبر بداية العصر الحديث . فقوبل كلامه هذا من زملائه بالوجوم والإعراض ...

ولولا أن روح الحرب المذهبية هى المستولية على كيان العلم الغربى لكان لعلماء الغرب شأن آخر فى الاعتراف للشرق العربى والإسلامى بماله من سوابق الاكتشافات العلمية بتفصيل أوسع مما يضطرون إلى الاعتراف به مرغمين ، عند ما لا يكون لهم مناص من هذا الاعتراف . وقد كان فى الدولة العثمانية ـ عندما كنت أنا فى سن الطلب أستاذ كبير للكيمياء من نصارى العرب السوريين اسمه « واسيل نعوم » له فى الكيمياء كتاب باللغة التركية فى مجلدين كبيرين مقرر تدريسه فى كليات الطب والمدارس الثانوية ، ومن مزية هذا الكتاب وإنصاف مؤلفه أنه كلما بلغ إلى قضية من قضايا الكيمياء يكون فيها للعرب والمسلمين سابقة فضل يبادر إلى تسجيلها وإعلانها ، فيعتز الطلبة بذلك ويؤمنون بأن لأمتهم سلفا فى تقدم العلم ، ويشجعهم

ذلك على أن يكونوا خلفا لذلك السلف . وحبذا لو يكثر فى أساتذة جامعاتنا ومدارسنا من تكون لهم هذه الروح التى امتاز بها هذا النصرانى العربى الكريم وسيل نعوم .

وبعد فقد طال هـــذا المقال أكثر مما كنت أقدر له ، فأختمه بكلمة لمجلة (لايف) الأمريكية الصادرة فى مايو سنة ١٩٥٥ ، وهى :

« إن الإسلام أكثر من مجرد دين رسمى ؛ إنه مذهب فى الحياة ، إنه فلسفة ، إنه قوة دافعة لا مثيل لها فى العالم الغربى » .

ومما يؤسف له أن الغرب ـ حتى الآن ـ لا يريد أن يكون الإسلام أكثر من مجرد دين رسمى ، ولا يريد أن يكون مذهبا فى الحياة ، ويخشى الغرب كثيرا أن يكون الإسلام قوة دافعة لا مثيل لها فى العالم الغربى ، وهذا هو السر فى الموقف المتعارض الذى وقفه الغرب من ثورة الكماليين فى تركيا ، وثورة العرب فى مصر وشقيقاتها .

إنها الحرب المذهبية كما يسميها والتر ليبمان ، أو التعصب الإقليمى كما يسميه ول ديورانت ، وهى نقيصة لا تلبث أن تنحدر بأصحابها إلى الهاوية ، وأن ترفع من شأن الذين تقاتلهم ظلما ، فيأخذ الله بأيدى المظلومين ، ويمحق الظالمين ، أو يثوبوا إلى رشدهم ويسيروا مع الحق والخير إلى نهاية الشوط ، فالدنيا تتسع لهم وللناس أجمعين .

محب الدين الخطيب

أمريكا أمس واليوم

من أعجب ما تتوارد عليه الخواطر أننا بعد كتابة هذا المقال تلقينا من عين أعيان الحجاز الشيخ محمد نصيف رسالة يذكر فيها انخداع البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومبادىء رئيسها يومئذ ولسون ، وزيارات مستر كراين للبلاد العربية ورجوعه منها حاملا ثقة العرب بإنصاف الشعب الأمريكى . وكيف تنكرت أمريكا بعد ذلك لتلك المبادىء وتركت الشرق تحت رحمة بنى عمومتها المستعمرين عن تواطؤ منها معهم ، إلى أن تردت فى الهوة التى بلغتها الآن . واقترح علينا الشيخ محمد نصيف الكتابة فى هذا الموضوع . والعجيب أنه فى الوقت الذى كان يكتب فيه رسالته إلينا كنا نكتب هذا المقال تحت تأثير الموقف الذى اختارته أمريكا لنفسها ، واستحقت به مقت الناس جميعاً .

نفحات القرآن

— ٦٢ —

الخير من جانب الله وهو يدعو إليه
والشر من جانب الإنسان وهو متهافت عليه

« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ » .

يدرك العتمل فى غير جهد أن الله وحده ذو الفضل على عباده .

وأن الإسلام كان نعمة سابغة من عنده ، أفسح بها للناس مجال الخير بدءاً ونهاية ، فلم يعكف بهم على الجانب الروحى وحده حتى يحبسوا أنفسهم على رهبنة .

ولم يتركهم لجاذبية المال تستحوذ عليهم حتى يذلوا للمال ، ويعيشوا غلاة فى الاستثمار ، والجمع ، ويفقدوا الكثير من مقومات الإنسان .

ولم يدفع بهم دفعاً مطلقا إلى جانب القوة الآلية فى العتاد الحربى حتى يكونوا جبابرة عتاة ، وحكاما غاشمين يفسدون فى الأرض أكثر مما يصلحون .

وإنما اختار الإسلام لأهله أن يكونوا أهل دين معتدل ، وأهل مادة غير جشعة ، وأهل قوة رهيبة ورحيمة .

وبذلك يكون الإنسان روحانياً وماليا ، وشجاعا قوياً فى حدود الاعتدال من هذا كله .

وهذه الخصائص كانت جلية فيمن تلقوا دعوة الإسلام أولا ، وابتسمت عنهم الدنيا وفى أيديهم راية القرآن يلوحون بها للعالم كله أن يستجيب لدعوة الله على لسان عبده محمد صلوات الله عليه .

وإذ كانت هذه الدعوة جهيرة ، واضحة المعالم والأهداف ، لم يعد للناس عذر عن

تخلفهم ، ولا وجه فى ترددهم ، فضلا عن شتاقهم ، وتعنتهم وصار واضحاً من حق الله على عباده أن يمتن عليهم بما أبدى لهم من أساليب الهداية ، وإن لم يكونوا مهتدين جميعاً .

وفى كل امرئ من الناس عقل ، وله اختيار ، وحينئذ يكون اهتداؤه ربحا له ولا يعدوه ، ويكون عصيانه خسارة عليه دون سواه .

وفى هذا المقام يهتف النبى محمد بقوله عز شأنه : « قد جاءكم بصائر من ربكم » ، والبصائر جمع بصيرة ، وهى نور فى القلب يدرك به المؤمن ما ينقصه من خير ، ويكتشف به ما لم يكن يعلمه ، والمراد بالبصائر هنا الآيات القرآنية لما فيها من دلالات على الصواب ، فهى أسباب الهداية كما أن العين سبب الإبصار النظرى ، والقرآن يثير وعى الناس إلى ما توافر لهم من أسباب الهداية فى كلام الله وفى آياته الكونية ، حتى يدركون لدينهم ودنياهم ولأفرادهم ومجتمعهم كل ما يستطيعون تحصيله من نجاح فى هذه الجوانب كلها ، لا فى ناحية دون ناحية .

والتصريح بأن هذه البصائر جاءتنا من عند ربنا يفيد ـ أولا ـ أنها لم تكن ثم كانت ، ويفيد أنها ذات شأن كبير خطير ، لأنها نعمة من نعم الإله المتكفل بتربية خلقه ، وشمولهم بكل ما تقتضيه ربوبيته لهم .

ومقتضى هذا التذكير أن يستجيب العقل لدعوة الطاعة وأن يستقيم فى الاختيار لما هو أكرم ، وأنفع وأبقى .

وليس بعد هذا الإرشاد والتوجيه مطمع لمن أراد الإرشاد والتوجيه . . . فإذا لم يكن وعى ، ولا حسن اختيار وتبصر فلم يبق إلا الانحراف والخسران وهذا ظلم المرء لنفسه ، وجنايته على مجتمعه .

لذلك امتزج السياق التوجيهى بوعد كريم ـ فمن أبصر فلنفسه ـ وامتزج بوعيد رهيب ـ ومن عمى فعليها ـ .

يعنى من تبصر بالآيات فقد أحرز عملا طيباً لا يضيع هدراً ، ولا تعدوه ثمرته ، ومن عمى قلبه ولم تفطن بصيرته ، فإنه يتخبط فى مسلكه ويضل سعيه ، ويكون وباله عليه وحده وربك لا يظلم أحدا .

وليس لأحد على الله حجة بعد البيان والهدى ، وبعد الوعد والوعيد . . وكان من تمام النصح أن يصارحهم النبى صلوات الله وسلامه عليه ـ بأن وظيفته فيهم التبليغ فقط ، وأنه

لا يتكفل بهم ، بل يكلهم إلى ربهم يحصى عليهم أعمالهم ، ويتولى جزاءهم ، وليس بينهم وبين الله وسيط يعفيهم من سلطانه وهذا قول النبى لهم : « وما أنا عليكم بحفيظ » . ثم تنتقل بنا الآيات إلى توجيهين آخرين :

أحدهما : فى قول الله لرسوله ـ اتبع ما أوحى إليك من ربك ، لا إله إلا هو ، وأعرض عن المشركين ـ ففى هذا مؤازرة للرسول فى نهوضه بالدعوة دون اكتراث بالمعاندين ، ولا تأثر بما يكون منهم ، بل يكون إيجابياً معهم ، يعطيهم من نصحه ويفيدهم بهديه ، ولا يجاريهم فى سلبيتهم ، بل يعرض عن سفههم ، وليس منوطا بعد بحفظهم ، ولا موكلا بتدبيرهم ، وتعهد أحوالهم ... وكذلك الشأن فى كل ذى دعوة ناصحة من أمة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقتدى بنبيه ، ويكون عائذاً بحول الله وقوته ، صابرا على مناهضة الخصوم ، ومثابراً على ما هو بسبيله .

التوجيه الثانى : فى الآيات ـ وهو التوكيد لما تقدم ـ منع النبى والمسلمين جميعاً من الكفار وما يعبدونه ، حتى لا يكون هذا استفزازاً لخصومهم أن يسبوا الله أو رسوله ـ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدواً بغير علم ـ .

ويتبين من خلال هذا التوجيه أن القائم بالدعوة الإصلاحية جدير به أن يتسامى عن المهاترة ، ويترفع عن الإسفاف ليكون مسلكه تطبيقاً لدعوته ، وأمارة على صلاحيته لها ، لا أن تكون دعوته فى ناحية ومسلكه فى ناحية ؟ !

فإن اصطناع الدعوة مع الانحراف عن طابعها أسوأ ما يكون هدما للشخصية وتنفيراً من الثقة ، وضياعا للجهود .

وهذا ما نشهده بالتجربة فى كثير من الأدعياء الذين يتخذون الدعوة ـ وخاصه الدعوة الدينية ـ وسيله إلى المنفعة الشخصية ، ويحتالون على الناس بالتظاهر بسيما الصالحين الصادقين ، حتى تكشفهم الظروف فتكون جريمتهم قاضية على ثقة الناس فى دعوات الداعين الآخرين ، ولو كان هؤلاء من المثالية بمكان .

ومن ذلك التوجيه نفهم حكمة الله فى عصمة الأنبياء من الكذب ، ومن الخيانة ومن المعصية كيفما كان نوعها ! ! لأنهم مبعوثون من جانب الله برسالته إلى خلقه ، فهم فى المرتبة الأولى من الكمال الإنسانى ، والبراءة من كل شائبة تخدش سيرتهم .

وكيف تكون الدعوة مجدية إذا تبذل الداعى واستفز الناس إلى الغضب حينما يشتد الجدل ويسب غيره أو يسب معبوداتهم دون سبب يقتضى ذلك ؟ ؟

فى موقف الدعوة وفى كل مناسبة تتصل بها ينهج الإسلام منهج التفاهم والملاينة ، لا منهج السباب والمخاشنة ، إذ البادئ بالسباب والمناوشة هو الجانى الأول ، وهو المسىء إلى نفسه وإلى دينه .

وليس معنى هذا أن يرضخ المسلمون لمن يبادرهم بالإساءة ، أو يمعن فيها ، بل القصد أن يتريثوا ، ويجعلوا الحسنة مكان السيئة ، وأن يضعوا الدواء فى موضع الداء ، لا أن يثيروا الحزازات ، ويضرموا العداوة وهذا أروع منهج فى التربية ، وأقوم سبيل إلى النجاح وكسب الخصوم .

وأخيراً : فهذا نمط نهتدى به لو فقهناه .

ولا يضيرنا أن يتخلف البعض ، أو يزور بدعوتنا إلى الحق ، ويسفه علينا بالتجريح والجفوة فى القول ، فتلك أوضاع شاءها الله ، ولم يجعل مسئوليتها على غير أصحابها وقد قال سبحانه ـ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ـ والله يهدينا جميعاً ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

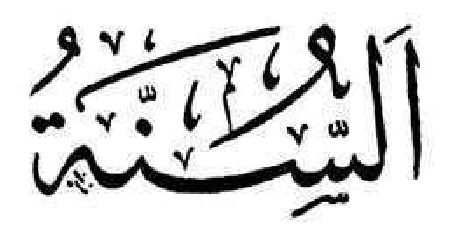
أعزوا العلم والدين فأعزهم الله

فى ترجمة أبى بكر عتيق السوسى ـ أحد أعلام المذهب المالكى فى المغرب فى القرن الخامس الهجرى ـ أن الأمير المعز بن باديس علم بمكانته من الدين والعلم وبأنه فقير لا مسكن له ، فبعث إليه بمال ليشترى به داراً ، فرده وقال للرسول :

ـ قل له يدفعه لأربابه ، فان لم يعلم أربابه تصدق به على الفقراء .

فأعلم الرسول المعز بذلك ، فبعث إليه كتبا جليلة كثيرة ـ مثل المدونة والنوادر والموازية وغيرها مما له قيمة كثيرة على رءوس الحالين . فلما وصل الرسول إليه أغلق بابه فى وجهه . فلاطفه الرسول وقال له : المعز يقول هذه الكتب فى خزائننا ضائعة ، وبقاؤها عندنا يزيدها ضياعا ، فأنت أولى بها .

فقال له : اكتب على كل جزء منها « إنها حبس (أى وقف) على طلبة العلم » فكتب ذلك .



صلة الرحم

معناها ـ كونها من أسباب سعة الرزق ، وامتداد العمر ـ دفع التعارض بين ذلك وبين تحديد الرزق والأجل ـ جواز حب التبسط فى الرزق ـ ومزاولة أسباب ذلك ـ كيف كانت الأسرة المسلمة فى سلف الأمة تصل الرحم ـ وكيف صارت الآن .

عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه .

ـ رواه البخارى ومسلم ـ

من سره أن يبسط له فى رزقه : الرزق ما خلقه الله لمنفعة العباد وقد جعل الله من فضله لكل عبد رزقا يخصه فلا يموت وقد بقى من رزقه شىء بل إذا انتهى أجله يكون قد استوفى جميع ما كان له من رزق ـ وبسط الرزق التوسعة فيه وكثرته .

وينسأ له فى أثره : ينسأ مضارع مبنى للمجهول من الإنساء وهو التأخير ـ والأثر ـ قال فى النهاية بعد ذكر هذا الحديث الأثر الأجل وسمى به لأنه يتبع العمر قال زهير :

والمرء ما عاش ممدود له أمل   لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

وأصله من أثر مشيه فى الأرض فإن مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه فى الأرض أثر . اهـ . ويقال أثر الإنسان لكل ما يحدثه بأى عمل من مشى أو غيره فكل حى له أثر من حركة أو سكون بمشى أو غير مشى فالأثر لازم للأجل فقد أطلق اللازم وأريد الملزوم .

فليصل رحمه : الرحم القرابة من النسب والمراد كل قريب محرما كان أم لا وارثا أم لا فيشمل الأولاد والآباء والأمهات والإخوة والعمومة والخئولة وأولاد كل . وصلة الرحم إيصال ما أمكن من الخير إلى القريب ودفع ما أمكن من الشرعنه بحسب الطاقة وتكون بالمال والجاه والمساعدة فى إنهاء مطلوب والمعاونة على دفع مكروه كما تكون بطلاقة الوجه والزيارة وعيادة المريض والدعاء وغير ذلك .

ومعنى الحديث ـ من كان يفرح بأن يبسط الله له فى رزقه ويمنحه التوسعة فيه ولا يكون ممن قدر عليه رزقه ويفرح بأن يؤخر الله له فى أجله وتمتد حياته ويبقى أثره على الأرض فليصل رحمه بما يستطيع من الخير ودفع الضر .

قال القاضى عياض لا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة وقطيعتها معصية كبيرة والأحاديث تشهد لهذا ولكن للصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام وتختلف باختلاف قدرة الواصل ومقدار حاجة الرحم فمنها واجب ومنها مستحب ولو وصل بعض الصلة ، ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا ولو قصر عما يقدر عليه وينبغى له لم يسم واصلا .

وظاهر هذا الحديث أن صلة الرحم يجزى الله عليها ببسط الرزق وتوسعته وتأخير الأجل وزيادة العمر وهذا يتعارض مع ماهو ثابت من أن الرزق والأجل مفروغ منهما وأنهما مقدران لكل إنسان ، وفى القرآن الكريم : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (وفى السماء رزقكم وما توعدون) وفى حديث البخارى بعد أن ذكر أطوار خلق الإنسان قال : ويؤمر الملك بكتابة أربعة رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد .

وقد أجيب عن ذلك :

أما عن بسط الرزق فالمراد به أن يكون الانتفاع بالرزق عظيما بحيث تتأدى به مصالح دينية ودنيوية لا تتأدى بمثله لشخص لا يصل رحمه مع هدوء النفس ورضاها به وسرورها بكل ما حولها ، وإذا لوحظ أن صلة الرحم نوع من الصدقة لم يستبعد ذلك كما قيل فى قوله تعالى : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) .

وهذا الجواب مبنى على أن المراد ببسط الرزق الزيادة المعنوية لا زيادة الكمية .

ويمكن أن يراد أيضا الزيادة فى الكمية بالأسباب الظاهرة وتكون صلة الرحم من تلك الأسباب . ولبيان كون صلة الرحم من الأسباب الظاهرة لزيادة الرزق نقول : لايخفى أن مركز التاجر والصانع ونجاح كل منهما فى عمله كما يتوقف على مهارته وحسن خلقه يتوقف أيضا على ثقة الناس به وهى غالية ودعامة هذه الثقة نشر فضائله وكثرة الحديث عن حسن معاملته وجودة بضاعته وإتقان صناعته فإذا كانت صلته برحمه مبنية على تشريكهم فى الخيرات ومساعدتهم فى الملمات كانوا ألسنة تنشر عنه مالا ينشر المذياع ودعاة لا يدخرون وسعا فى الدعاية له لأنه يقاسمهم السراء والضراء وبذلك تكون ثقة الناس ولعمرى إنها لرأس مال التاجر والصانع وسر النجاح ومصدر الخير .

كذلك لو كان زارعا وكان كما ذكرنا يقاسم رحمه السراء والضراء فإنه يكون بلا شك مطمئنا إليهم فيما لو ألمت به حادثة كأن فاض الماء وخاف على زرعه أو سقطت له ماشية فى بئر أو اتصلت ألسنة النيران بحقله أو غير ذلك من الأحداث المفاجئة فإن هؤلاء الأقارب يسارعون إلى درء الشر عنه ويتسابقون لنجدته والدفاع عنه بكل ما وهبهم الله من قوة ، ولا تهدأ نفوسهم إلا إذا هدأت نفسه واطمأن قلبه وبذلك تنجو زراعته وماشيته ومحاصيله .

فظهر أن صلة الرحم من الأسباب الظاهرة لسعة الرزق .

وأما الجواب عن زيادة الآجال ومعارضة هذا الحديث لقوله تعالى : (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) فيقال إن زيادة الأجل إنما هى زيادة معنوية بأن يكون وادعا فى حياته مطمئنا على نفسه وأفراد أسرته وأن ييسر الله له القيام بأعمال جليلة دينية ودنيوية ويمنحه التوفيق فيه فينتج ويثمر ما لا ينتج ويثمر من هو فى سنه ممن لا يصل رحمه .

وقد يجاب أيضاً بأن هناك أمورا تعتبر أسبابا ظاهرة للموت كالغرق والقتل والحرق وانفجار القنابل كما أن هناك أمورا تعتبر أسبابا ظاهرة لبقاء الحياة كالبعد عن الأمور السابقة وكتناول الغذاء وشرب الماء . وصلة الرحم تعتبر من الأسباب الظاهرة لبقاء الحياة . ويمكن تصوير ذلك بأنه إذا كان الشخص قــوى الصلة بأرحامه يشاركهم السراء والضراء

كما قدمنا فإنهم لا شك يحسون بإحساسه فيفرحون لفرحه ويشتد ألمهم لألمه فإذا فاجأته ملمة كانحدار فى نهر أو إحاطة اللصوص به أو غير ذلك من أسباب الهلاك التى تستدعى طلب النجدة فانهم يكونون أسبق الناس لإغاثته ودرء الشر عنه وبذل الروح عن طيب خاطر دفاعا عن حياته الغالية عندهم فينجو على أيديهم وبذلك يستفيد بقية من الحياة ما كان يتمتع بها لولا صلة الرحم .

وأجيب أيضاً بأن المراد بالأثر الذكر الحسن . وصلة الرحم من أسباب التوفيق لطاعة الله تعالى والثناء على صاحبها فى حياته وبعد مماته .

وعندى أن الأثر ما يحدثه الإنسان بمزاولة العمل وكل حى له أثر من العمل فإذا مات انقطع أثره من العمل فانقطع ثوابه وصله الرحم سبب لتأخر الأثر بعد الموت فيبقى له الثواب كما لو كان حيا وذلك إما بدعاء ذوى الأرحام أوصدقتهم عليه أو استمرار آثار إحسانه عليهم فكل ذلك يبقى له ثوابه بعد موته وذلك نظير قوله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله فيزاد على ذلك بهذا الحديث صـلة الرحم .

وقد يجاب عن المعارضة بالنسبة لزيادة الرزق وتأخير الأجل بأن ذلك إنما هو بالنظر إلى علم الملائكة بما فى الصحف التى عندهم أما بالنظر إلى ماعند الله فلا تغير فقد يكون فى صحيفة الملك الموكل به تحديد أجله ورزقه إلا أن يصل رحمه فيزاد أجله إلى كذا ويبسط فى رزقه إلى كذا وذلك هو القضاء المعلق وليس لنا أن نبحث عما فى علم الله لأنه غيب .

وقد استفيد من الحديث جواز حب البسط فى الرزق ومزاولة أسباب ذلك وقد كان كبار التجار فى عهد رسول الله بالمدينة من رءوس صحابته وخلصائه كأبى بكر وعثمان وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلون قوله اليد العليا خير من اليد السفلى نبراسا يستضيئون به فهم دائبون على تحصيل رزقهم وأسباب معايشهم إما بالتجارة أو الرعى أو العمل ولو بالاحتطاب إلا إذا دعا الداعى إلى الجهاد فى سبيل الله فإنهم يتسابقون إلى بذل دمائهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله ففازوا برضاه واستحقوا عنده أرقى الدرجات .

وهذا الحديث قد دعا إلى صلة الرحم وأخبر أنه يجزى عليها فى الدنيا ببسط الرزق وزيادة العمر فالدين يدعو إلى صلة الأرحام وأن تكون الأسرة متماسكة متشاركة فى الخير

والضر قال الله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى » وقال تعالى « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

والآيات والأحاديث فى الحث على صلة الرحم كثيرة وقد كان المسلمون الأولون شديدى الحرص على صله أرحامهم وتعهدهم بالإحسان إليهم وتعرف حاجاتهم ليبادروا بقضائها وتحين الفرص لمواساتهم والعطف عليهم ولهذا كان جميع أفرد الأسرة يتبادلون الحب والإخلاص ويفرح كل منهم لفرح أخيه ويتألم لألمه فكلهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ولهذا كانت حياتهم وادعة وعيشتهم راضية .

ولكن مع الأسف خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وانقطعت بينهم وبين ذوى قرباهم الصلات وكل منهم يتنكر لأخيه ولا يتورع عن تقديم الإساءة اليه بل قد تسمع أن الأخ قتل أخاه لأوهى الأسباب وابن الأخ قتل عمه لأتفه الأمور وأدهى من ذلك وأمر ما تكرر حدوثه من قتل الولد أمه أو أباه ليستولى على ما عندهما من مال وكأن القلوب قد نزع منها مع الإيمان الرحمة والعاطفة الإنسانية واستحوذ على العقول الشيطان حتى صارت لا تفرق بين الخير والشر ولا تميز بين المعصية والطاعة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وليس من صلة الرحم بالنسبة للوالدين طاعتهما فى معصية الله فالله تعالى يقول « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » وفى الحديث لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وقد أرسل الينا من يسأل : هل يحرم عليه ألا يحقق لأمه ما طلبت من طلاق زوجته مع علمه بأن زوجته لم تسئ إلى أمه ولم ترتكب معها ولا معه ما يستوجب طلاقها .

ونجيبه بما يأتى : إن مطالب والدتك إن لم تكن معصية لله وكانت لا تضرك ولا تؤذى غيرك وكانت بعيدة عن الظلم والجور فإجابتها واجبة ـ أما إذا كانت معصية لله

وكانت تضرك أو تضر زوجتك وقد تحريت ودققت فى التحرى وجزمت بأن والدتك ليست على حق فى طلبها فأنت فى حل من عدم إجابة طلبها بل يطلب منك رفض هذا الطلب ولا يكون ذلك عقوقا ولا قطيعة رحم ولكن ينبغى بعدهذا أن تجتهد فى إقناعها واسترضائها بقدر ما تستطيع .

وإنا لننصح الآباء والأمهات بتقوى الله ومراقبته فى أولادهم وزوجات أولادهم وألا يقفوا منهم موقف التعنت والانتقام لأوهام فى أنفسهم ، وليعلموا أنه كما أن للوالدين حقوقا على أولادهم وتقصير الأولاد فى بعض هذه الحقوق يعتبر قطيعة للرحم كذلك للأولاد على الوالدين حقوق وتقصير الوالدين فى بعض هذه الحقوق يعتبر قطيعة للرحم - فليحرصوا على تهيئة جو هادئ لأولادهم ليعيشوا فى دعة وهناءة حتى تقر بذلك أعينهم كما كانت تقر بمسراتهم فى طفولتهم والله سبحانه يحفظنا جميعا من الزلل ويهدينا الصراط المستقيم ؟

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

شهداء الشام

بنى البلد الشقيق عزاء جار ... أهاب بدمعه شجن فسالا
يعظم كل جهد عبقرى ... أكان السلم أم كان القتالا
وما زلنا إذا دهت الرزايا ... كأرحم ما يكون البيت آلا
سلوا الحرية الزهراء عنا ... وعنكم هل أذاقنا الوصالا
عرفتم مهرها فمهرتموها ... وما صبغ السباسب والدغالا
وقمتم دونها حتى خضبتم ... هوادجها الشريفة والحجالا
سأذكر ما حييت جدار قبر ... بظاهر جلق ركب الرمالا

شوقى

حول الآراء الدينية

الآراء الدينية فى الحوادث الجديدة تختلف أحيانا حسب اجتهاد المفتى وتشعب وجهة نظره فى مناط الحكم حيث لا نص فى الحادثة ولا إجماع ، وهذا معنى جليل ودقيق يخفى على العامة وقد يخفى أحيانا على بعض الخاصة فيتخذ بعض ذوى الأغراض ذلك الاختلاف دليلا على اضطراب الأحكام الدينية وعدم تثبت رجال الدين وتحققهم مما يقولون وهنا يكمن الخطر وهنا مجال واسع لذوى النيات الخبيثة والدعوات الضالة ينفذون منه إلى ما يريدون ، فقد يتذرعون بذلك الاختلاف إلى التشكك فى الدين والسخرية من رجاله . والتشكك فى الدين والسخرية من رجاله رسالة لبعض الناس وبعض الصحف فى هذه الأيام .

وواجب رجال الدين أن يتريثوا فى الفتاوى وألا يدعوهم الخوف من قالة السوء فيهم أن يسرعوا الى مايراد منهم حتى يستبينوا مقاصد المستفتين وحسن نياتهم ، وعليهم ألا يدلوا بآرائهم إلا حيث يكون الأمر جدا لا هزلا ، وحيث يكون الداعى إلى الفتوى خشية الله والوقوع فى حدوده ، وإلا حيث يشكل الأمر ويلتبس الحكم ، أما حيث يكون الداعى إلى ذلك إلهاء العامة وتسليتهم أو الترويج الصحفى أو نحو ذلك فان واجبهم أن يتريثوا ويتريثوا ، ولأن يقال فيهم : إنهم قصروا فى واجبهم وسكتوا عما يراد منهم خير من أن تتخذ آراؤهم وأحاديثهم مجالا للتندر والفكاهة من المتبطلين الفارغين أو الخبثاء المسخرين .

لقد كانت الصحف فى الأيام الأخيرة ميدانا لنشر بعض الآراء الدينية ومجالا للمناقشة والجدل فيها وقد نال غبار تلك المعركة بعض رجال الدين ، ولم تنته المناقشة إلى رأى واضح محدد يطمئن إليه المخلصون وينتهى إليه السائلون ، والله يعلم البواعث إلى إثارة بعض هذه المعارك إلا أننا نرى أن بعض هذه الموضوعات التى عرضت للاستفتاء ما كانت فى حاجة إلى استفتاء لوضوح الأمر فيها .

ونكتفى هنا بمثلين لنرى أكانت هذه الموضوعات فى حاجة حقا إلى مناقشة أو جدال بين رجال الدين أو رجال الدنيا ؟

لقد شغل رجال القضاء والنيابة والصحف ، وشغل معهم رجال الدين بموضوع تبادل الصور العارية بين الشبان والبحث فى جواز ذلك وعدم جوازه ، فهل كان فى ذلك الموضوع لبس أو إشكال يستدعى البحث وتكرار المقال ؟

إن العامى والجاهل فضلا عن المثقف والعالم يعلم من غير شك خطر ذلك على الشبان والمجتمع، فيعلم حكمه وهو المنع البات الجازم، ويعلم أن الحديث فى جواز تداول تلك الصور مكابرة لا تحسن من رجال الدين ولا رجال الدنيا ممن يحسنون القصد ويخلصون النية،

وهناك موضوع « مودة الشوال » التى شغلت الصحف أخيراً، فهل كانت تصح أن تكون موضع خلاف؟ لا أظن ذلك، وما كان الناس فى حاجة إلى معرفة آراء الفقهاء، والمفتين فيها. فكل شخص يعلم أن « مودة الشوال » كغيرها من المودات، إن سترت المرأة وأضفت عليها ظلال الوقار والحشمة فهى من غير شك حلال، وإن كشفت عن مفاتنها وأبرزتها فى صور من الخلاعة المزرية فهى حرام وحرام قطعا، ومكان التزين بها المنزل وللزوج خاصة لا الشوارع ولا الأندية والمنتديات.

وهنا أعود فأعجب وأتساءل هل كانت الصحف أو كان المستفتون جادين فى تعرف حكم الدين؟ وهل ملأت الخشية قلوبهم وملكت عليهم نفوسهم فاستعاذوا برجال الدين واستفتوا المفتين واحتكموا إلى الدين؟؟.

إننا رجال الدين — فى حيرة من أمرنا — وفيما نفعل أمام هذه الأحداث التى تسوقها إلينا المدنيات الغربية وتسلب بريقها عواطف كثير من الشبان والسيدات ويسرعون إلى تقليدها دون مراعاة لملاءمتها لأخلاقنا وعاداتنا ولديننا وتقاليدنا ودون تدبر لعواقب اصطناعها وتقليدها. إننا إن تكلمنا بكلمة الحق والدين سلقونا بألسنة حداد وأقلام شداد ونعتونا بنعوت استعاروا ألفاظها من كتاب الله والله أعلم بتقديرهم للدين ورجاله، وللحق وأنصاره. وقد تشترك بعض الصحف فى ذلك فتفيض علينا أنهارها بغثاء القول وسقط الكلام. وألفاظ التزمت والتعصب والجمود والرجعية أحدث ما يستعار من تلك الألفاظ، وفى غمار ذلك تعرض كرامات بعض الملحوظين من علمائنا للتشهير والتجريح، وتحرف كلامهم عن مواضعه وتمسخه بسوء الفهم ومعتسف التأويل إرضاء لشهوات فى نفوس كتابها وتحقيقاً لأغراض هم يعرفونها ويعملون لها لا يبالون فى سبيلها بخلق أو كرامة ولا يعنيهم التمييز بين المشروع منها وغير المشروع.

وإن أمسكنا عن القول. قالوا: قد استكان العلماء وقصروا فى واجبهم وتخلوا عن رسالتهم وشغلتهم الدنيا عن الدين وسكتوا عن بيان ضلال المضلين وإلحاد الملحدين.

نعم : إننا فى حيرة من أمرنا ولكننا لن نقف مكتوفى الأيدى وستحمل من الأذى ما يتحمل المصلحون ، وما جاهر مصلح قط إلا خوصم وعودى واضطهد وأوذى ، سلاحنا الحق ورائدنا الإصلاح للمجتمع وللأمة ، وستسير قافلتنا فى رعاية الله وبتوفيقه وتسديده ، ولن ندع الميدان لذوى الأغراض والأهواء ، وسيسير الأزهر على تقليده منذ أرسيت دعائمه فى الكنانة حاميا للأخلاق حفيا بالفضيلة ، حريصا على الإصلاح معتزا بمكانته فى نفوس المسلمين فى أقطار الأرض .

ولنا كلمة نود أن نوجهها إلى إخواننا الذين يتحدثون باسم الدين وقد أشرنا إليها فيما سبق ، وهى رجاؤنا أن يمحصوا الآراء والأحاديث ويزنوا المستفتين والسائلين حتى يستبينوا طالبى الحق من المتجرين بدين الله ، وألا تحملهم رغبة الظهور إلى المسارعة إلى الحديث قبـــل أن يتثبتوا ويميزوا المقاصد والأغراض .

كما أن لنا رجاء نتقدم به إلى المسئولين من رجال الأزهر ، وهو أن يحاولوا بما يرون من الوسائل - ومنها مشاورة أعيان العلماء - أن يوحدوا جبهة المتحدثين باسم الدين فى الوقائع المشكلة التى تحتاج إلى دراسة وبحث . وإلى تقص واستقراء وإلى اجتهاد واستنباط ، حتى لا يكون الاختلاف فى الحكم عليها سببا لبلبلة الرأى العام ومنفذا إلى النيل من الدين ورجاله من ذوى النفوس الضعيفة والأهواء الضالة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ؟

أبو الوفا المراغى

أذان الفجر

لما كان أمين الريحانى فى سفينة شراعية على ساحل جزيرة البحرين قاصداً ساحل الأحساء ، أثقل النسيم جفنه فنام قليلا ، ثم أيقظه صوت الملاحين وهم يقلبون الشراع طوعا للريح ويرددون كلمة « صل ع النبى » . قال الريحانى (فى كتابه « ملوك العرب » ص ٢ : ٣٢) يصف أثر ذلك فى نفسه :

« وربك أيها القارئ ، ما سمعت فى أنغام الليل على المياه أطرب منها ، إلا أن يكون صوت المؤذن فى الخليج العربى وهو يؤذن للفجر ، ليس فى صلوات الأمم كلها أدعى منه إلى الورع والخشوع ، وقل فيها ما هو أجمل وقعاً فى النفس من صلاة الملاح فى ظل الشراع » .

خطبة الجمعة

كتب بعض الناس ينتقد ويشكو من أن خطبة الجمعة فى كثير من المساجد تطول وتمتد حتى تبلغ نصف ساعة أو أكثر من ذلك ، واقترح بعضهم ألا تزيد خطبة الجمعة عن عشر دقائق أو اثنى عشرة دقيقة على الأكثر ، وقد حاول البعض أن يجعل من هذه المسألة مشكلة عويصة كأنها تشغل بال العالم الإسلامى ، أو يتعلق على علاجها صلاح المسلمين جميعاً ، ومن العجيب أن أكثر الذين يتحدثون فى هذا الموضوع - ناقدين أو ضائقين - ليسوا ممن يحرصون على شهود الجمع أو سماع خطبها . وليسوا ممن يعنيهم أمر الدين ، أو يشغل بالهم صلاح حال المسلمين ، وهذا مما يفتح الباب لسوء الظن بهذه الحملة ، ويرجح إدخالها فى سلسلة المحاولات الموصولة المرادة لتوهين سلطان الدين فى النفوس ، والتخلص من ألوان التعبد والتفقه لونا بعد لون .

ولسنا - علم الله - من دعاة التطويل الممل فى الخطب ، ولا من أنصار الإثقال بها على الناس ، أو استغلالها لغير ما أراد منها الحق جل جلاله ، ولكننا نحب أن نقول إن خطبة الجمعة هى العظة الأسبوعية العامة التى يتلاقى على سماعها أبناء الإسلام ، وإن شئت تعبير العصر فقل إنها الصحيفة الأسبوعية الإسلامية الناطقة ، التى يستمع فيها المسلمون إلى كلمة الله تبارك وتعالى فيما يهمهم من شئون الدين وشئون الدنيا .

وهذه الخطبة تأتى فى يوم الجمعة العظيم الجليل الذى ورد فى شأنه وفضله من الأحاديث والآثار ما ورد ، وحسبنا قول رسولنا صلوات الله عليه : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة » .

وقد سمى هذا اليوم بيوم الجمعة لأنه يجمع الناس ، إذ يجتمعون فيه للخطبة والصلاة ، ولتأكيد التعارف ، وتوطيد المحبة ، وإحياء القلوب ، ولذلك كان هذا هو العيد الأسبوعى للمسلمين .

وقد جعلت الخطبة كركعتين تضافان إلى ركعتى الجمعة ليكون المجموع كصلاة الظهر التى تنوب الجمعة عنها ، ولعل الخطبة تأتى قبل الصلاة لتكون إيقاظاً لمشاعر التدين فى النفوس ،

فتقبل على الصلاة عقبها فى خشوع واعتبار ، وليسمعها الناس فى هدوء وسكينة واصطبار لأن بعدها واجب الصلاة ، وقد ورد فى شأن حسن الاستماع إلى الخطبة ، والاندماج فيها والتأثر بها ، والتأدب معها ، ما لامزيد عليه ؛ حتى عدها فريق من الفقهاء كجزء من الصلاة ، والرسول هو الذى يقول معلما التزام الصمت الكامل أثناء إلقاء الخطبة : « إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب الجمعـــة : أنصت ، فقد لغوت » . ولا يكون هذا إلا لمكانة الخطبة وجلال شأنها .

ولا عجب فخطبة الجمعة يراد منها التفقيه فى الإسلام ، والحديث الشريف يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » . وهى تذكير بالله سبحانه ، وتحبيب فى ثوابه ، وتخويف من عقابه ، والله يقول : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » . ويقول : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » ، ويقول : « فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ، ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيا » . وهى محاولة لإيقاظ القلوب الغافية التى تظل طيلة الأسبوع راتعة أو جامحة ، فهى بحاجة إلى إحياء وتقوية ، وجلاء وتصفية ؛ وما أنفع الكلم الطيب فى الأفئدة السليمة والنفوس الكريمة : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » .

ولمكانة الاجتماع يوم الجمعة لسماع الخطبة وللصلاة حرض الإسلام المسلم على أن يذهب إلى هـــذا الاجتماع الجليل المشهود المجموع له الناس نظيفا مغتسلا متطهراً متطيبا بالطيب والعطور ، لابساً أحسن ثيابه ، مستعداً لكى يجلس مع إخوته فى الله هذه الجلسة المبسوطة المنفوحة بالبركة ، يتذاكرون ويتبادلون مشاعر الخير وعواطف البر ، وأمر الإسلام بأن يترك المسلم من أجل الخطبة والصلاة ما يشغله أو يستحوذ على اهتمامه وعنايته ، وها هو ذا القرآن المجيد يأمر المؤمنين بأن يتركوا ما يشغل الإنسان ويجذبه عادة وهو البيع والشراء ، فيقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » . أى أقبلوا على الجمعة بنياتكم وقلوبكم وهمتكم ، واتركوا من أجل ذلك ما يحلو لكم أو يعجبكم ، فلو كان الإسلام يريد منا أن نؤدى الخطبة والصلاة أداء آليا سريعا ، لا تأثر به ولا استغراق فيه ولا انسجام معه ، فلماذا يحرضنا على العناية بالسعى إليهما كل هذا التحريض ؟ ولماذا يؤكد علينا أن نقبل على اجتماع الجمعة بعزيمة واجتهاد ؟ ! .

ومما يتعلل به الداعون إلى أن تكون خطبة الجمعة عاجلة مبتورة ، آلية شكلية ، أن بعض من يسمعها يكون على سفر ، أو فى مرض ، أو نحو ذلك ، وكأن هؤلاء قد جهلوا أن الإسلام لم يوجب الجمعة على أصحاب الأعذار والضعفاء ، فلم يوجبها على المرضى ، أو الزمنى ، أو المسافرين ، أو الصبيان ، أو النساء ، أو المكفوفين الذين لا يجدون قائداً ، أو الخائفين من الجور ، حتى قال الفقهاء إن المشغول بجنازة صديق حميم لا يجد من ينوب عنه فيها تسقط عنه الجمعة ، ومن يؤذيه المطر والوحل تسقط عنه ، وهكذا .

ولكن هؤلاء لا يقصدون فى الواقع الرفق بأصحاب المعاذير ، أو التخفيف والتيسير على الجماهير ، وإنما يريدون أن تكون الخطبة عشر دقائق ، حتى يوهنوا عوامل التدين فى النفوس ، ويجعلوا الدين رسوما حائلة وأركانا مائلة ، وإلا فهل يصعب على الإنسان المسلم أن يستخلص من ساعات الأسبوع الكثيرة ساعة أو نحوها يقضيها فى بيت الله ، مجتمعا بإخوته فى الله ، متخففا من أوزار الحياة ، مقبلا على رحاب الله وحماه ، مناجيا له بما يحبه ويرضاه ؟ ! . . .

وإذا كان الفقهاء قد ذكروا الحد الأدنى الذى يصح أن يطلق عليه اسم الخطبة ، وهو أى كلام فيه حمد لله وذكر له وأمر بالتقوى وتبصير بالدين ، فإنهم قصدوا بذلك تحديد الأحكام وتفصيل الأحوال ، لا أن تكون الخطب بهذا الحد الأدنى . وهل تتحقق الثمرة المرجوة من الخطبة إذا اتسمت بهذه العجلة وهذا الاقتضاب ، ونحن فى زمن تعطلت فيه ينابيع الثقافة الدينية ، وزحمت الناس فيه ألوان من الثقافات الدخيلة والمعارف العليلة ؟ وأنت تجد المجلات الدينية أقل المجلات انتشارا ، وتجد إقبال الناس عليها ضعيفا ، ولقد تدخل البيت من بيوت المسلمين فتجده مزحوما بأنواع وألوان من المجلات المنحلة أو الماجنة ، ولكنك تبحث بين هذا الركام عن المجلات الدينية فلا تجدها . . . وتتناول الصحيفة اليومية فإذا فيها ما فيها من أخبار السياسة ومسائل الفن والقصص والفكاهات . . . فهل جعل هؤلاء للدين ركنا أو عمودا بين هذه الألوان من الكتابة ؟ . . . وهذه هى المجلات الأسبوعية والشهرية تذيع فى السوق وتشيع بين الناس ، وهى تحمل الكثير من الفضائح والقبائح ، فهل خففوا أحمالها وأثقالها بشعاع من الحديث عن الدين ؟ . وفى أغلب الأحيان تنشر الصحيفة قصصا غرامية مثيرة كل واحدة منها تستغرق صفحة كاملة ، وهى لا تخرج

عن تصوير العلاقات الجنسية ، ومع ذلك لم يشك من طولها أحـــد ، ولو وضعوا مكانها ما يعادل نصفها حديثا عن الدين لقال قائل : وما هذا التطويل ؟ ! . .

وهـــذه حفلات ماجنة أو مائعة ، تبدأ من صدر الليل وتستمر إلى مطلع الفجر ، وتذاكرها غالية الثمن ، والإقبال عليها شديد ، والقوم جلوس يسمعون ويستعيدون ويستزيدون ، لا يمر بهم ملل ولا سأم ، ولا ينالهم نوم أو تعب ، ولا يشكو واحد منهم طولا أو امتدادا ؛ وكيف وهو يسمع ما يخاطب الغرائز ، ويرى ما يثير الشهوات ؟ ! .

وأما لو كان المسموع حديثا جديا يخاطب العقول والقلوب والضمائر ويستحث الهمم والعزائم ، لضاقوا به من أول الطريق . .

وقد يظل الواحد منهم يستمع إلى حديث رجل يخافه ويرهبه ، أو يرجوه ويأمل فيه ، وقد يستطيل الحديث ويستطيل ، ثم يمتد ويمتد ، والسامع صابر لا يجرؤ على النقد أو الاعتراض ، وأما كلمة الإسلام فهي التي تتعرض - إن انبسطت قليلا - لحملات النقد والتجريح ، فليت هؤلاء يتذكرون قول خالقهم : « فلا تخافوهم وخافوني إن كنت مؤمنين » .

إنهم يشكون ويصرخون لأن بعض الخطب الدينية يستغرق نصف ساعة ولو كان الإسلام متمكنا من العقول والأفئدة لطالبنا بألا تقل هـذه الخطبة الأسبوعية عن نصف ساعة ، بشرط أن تأتي على وجهها السليم ، وفي الموضوع الملائم ، وبالأسلوب المشوق المؤثر ، إذ ليس بالكثير على الأمة المؤمنة المتعبدة أن تصبر كل أسبوع نصف ساعة على خطبة حية تفقهها في الدين وتصلها برب العالمين .

وإذا كان السلف في صدر هـذه الأمة المسلمة قد أوجزوا في خطبهم أحيانا ؛ فلأن الفقه بالدين كان شائعا ، ولأن الحرص على أوامر الله كان ذائعا ، ولأن صوت الإسلام كان مرتفعا ، لا يزاحمه فسوق أو إلحاد أو انحلال ؛ وأما اليوم فما أجدر الخطبة بأن تنبسط وتمتد قليلا أو طويلا بحسب الحاجة وعلى قدر الطاقة : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا » .

وما رأيكم أيها الناس في أن أهل الأديان الأخرى لم يشكوا ولم يبكوا من طول الأوضاع التعبدية عنـــدهم ، فهم يقضون أوقاتا طويلة في القيام بطقوسهم ورسومهم وترتيلاتهم وترنيماتهم وغير ذلك من تقاليدهم الدينية الواضحة أو المبهمة ، المفهومة أو الغامضة ، دون

شكوى أو صراخ ؟ ! . فما السر فى هذا ؟ . ألأنهم يعتزون بدينهم أكثر مما نعتز بديننا ، ويغارون على عبادتهم أكثر مما نغار على عبادتنا ؟ . أم ماذا يكون الجواب يا أولى الألباب ؟

لقد كان أجدادنا يقبلون على مواطن العظة والعبرة والادكار بأفئدة واعية وصدور حية وجلود مقشعرة ، وكانوا يجدون لذتهم الروحية والنفسية فى إطالة اللحظات التى يركنون فيها إلى تلاوة أو مناجاة أو حديث عن الله والإسلام ؛ وهـــذا هو الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يروى عنه أنه كان كثير الاستماع إلى العظات ؛ فكلما لقى رجلا أهـــلا لقول كلمة طيبة قال له : « عظنى » ؛ وكان كثير التلاوة والاعتبار بما يسمع أو يقرأ ، ويروى أنه صلى العشاء وجلس يتلو سورة الأنفال ، فما زال يرددها ، وكلما مر بآية عذاب تضرع ، أو بآية رحمـــة دعا ، فما زال كذلك حتى أذنوا للفجر ؛ وكان يجمع الفقهاء عنده كل ليلة يتذاكرون الموت والآخرة ، ثم يبكون كأن بين أيديهم جنازة ! .

* * *

قد يقال إن بعض الخطباء لا يحسنون الخطبة ، أو لا يطرقون موضوعات ملائمة ، أو لا يجيدون التعبير ؛ وليس هذا عيب الخطبة ولا عيب يوم الجمعة ، وإنما المسئول عن ذلك هم الذين اختاروا هؤلاء ، ومن الواجب أن نحسن اختيارهم ، وأن ندقق فيه مخلصين قاصدين وجه الله والإسلام ، لا المنفعة ولا الوساطة ولا الهوى .

ونحن نقرر مرة أخرى أننا لسنا من الدعاة إلى الإثقال على الناس فى الحديث ، ولسنا نرتضى من صاحب الخطبة أن يسىء عرضها ، أو يسىء استغلالها ، أو يخضعها للأهـــواء والأغراض ، أو يغفل عن الظروف والمناسبات ، فما يقال للمثقفين لا يقال لغـيرهم ، وما يقال لقوم مستقرين مستظلين غير ما يقال لقوم قلقين بسبب حر أو شمس أو مطر أو برد شديد أو نحو ذلك .

ولكننا نتحدث عن الأحوال العادية الغالبة ، ونحن نريد يقظة الوعى الدينى فى صدور الذين ينتسبون إلى الإسلام ، ثم يجهلون الكثير من تعاليم هـذا الإسلام ، ونريد أن نقطع الطريق على الذين يستخفون بالدين ، ويسخرون من التعبد ، ويكيدون للإسلام ، ويحاولون جعله أشكالا ورسوما لا روح فيها ولا حياة بها ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

دروس من العراق

ما كدت أعاود الكتابة فى مجلة الأزهر ، حتى كان أول ما كتبته فى عدد المحرم ١٣٧٦ هـ (أغسطس ١٩٥٦ م) مقالا عنوانه : « هجرة فى سياستنا الخارجية » قلت فى مفتتحه .

« فى شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤ م عقد السيد نورى السعيد مؤتمراً صحفياً بالسفارة العراقية فى وقت صلاة الجمعة فيما أذكر ـ وكشف عن مداولات اللجنة السياسية فى الجامعة العربية ١٩٤٩ م ، وما تجلى فيها من روح . . . فقد ألقيت حينئذ أسئلة ثلاثة :

١ ـــ هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الدول الشرقية (روسيا وتوابعها) ؟؟ فكان الجواب بالإجماع إن ذلك غير ممكن ما لم تصبح الدول العربية شيوعية .

٢ ـــ هل يمكن للدول العربية أن تقوم بسياسة الحياد فلا تقف مع الشرق ولا الغرب ؟ وكان الجواب إن الدول العربية ضعيفة .

٣ ـــ هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الغرب ؟؟ وجاء الجواب بالإجماع ، إن هذا التعاون مقبول على شرط أن تحل قضية مصر وقضية فلسطين . وقد انتهى الآن الخلاف بين مصر وبريطانيا ونأمل أن نسعى لحل قضية فلسطين بشكل يرضى العرب » ا.هـ ملخصاً .

ثم عقبت على ذلك قائلا :

« . . . أنا هنا أسجل الماضى لأبين سياستنا سنة ١٩٤٩ ثم سياستنا الآن . . لقد مرت علاقتنا مع انجلترا خلال تلك الفترة بتجارب دبلوماسية وكفاحية مريرة ، ومر نظامنا الداخلى فى الحكم بتغير وتطور . . . وأثبتت هـــذه الحقبة من التاريخ خطأ السياسة التى ارتسمت خطوطها فى مداولات اللجنة السياسية ، أو ـ على الأقل ـ فى أدمغة كثير من ساسة العرب ، أو ـ على أقل القليل ـ فى دماغ نورى السعيد نفسه !

* استوردنا الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا ، واعترفنا بالصين الشعبية ، واجتمعنا فى أرض يوغسلافيا . . . ولم نصر شيوعيين ! !

* ووقفنا تناصر سياسة الحياد فى باندونج ، وفى بريونى . . . دون أن نجد ما يلزمنا لأن نحرز القنبلة الذرية أو الهيدروجينية قبل أن نتكلم فى الحياد ! !

* وأردنا أن نحافظ على حسن صلاتنا مع الغرب . . . ولكن الغرب أصر على أن تكون التبعية هى ثمن التعاون !! . . وأظهر الغرب أنه يريد أن يعقد قضية مصر لا أن يحلها وأنه مصر على بقاء إسرائيل وحذف فلسطين من الخريطة إلى الأبد !!

إنها هجرة . . غيرنا بها معالم سياستنا الخارجية ، بل قلبناها رأساً على عقب ! » ا . هـ .

* * *

وكانت هذه الهجرة (المصرية) فى السياسة الخارجية العربية ، تأخذ طريقها إلى عقول الأمة العربية . . . ولم تخطئ طريقها فى مستقر نورى السعيد نفسه - فى أرض العراق !!

وكلما مرت الأيام تأكد فى أذهان الملايين من العرب صواب هذه (الهجرة السياسية) فلقد تتابعت دلائل نجاحها ، وخرجت من المحن والشدائد صامدة منتصرة .

وكلما خطا الغرب خطوة تعزز بضاعة المتشائمين ، تقدمت هجرتنا السياسية خطوات وخطوات . . .

أرعد الغرب وأبرق حين أعلنت مصر تأميم القناة ، وأقبلت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على الديار الوادعة الآمنة معتدية متهجمة ، فاذا بهذا (الغزو) المثلث يزيد فى تبلور القومية العربية ، وإذا بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لاتلبث أن تنسحب ... ولم يكن هذا وحده هو الانتصار العربى ...

لقد تضامنت معنا (سورية) الشقيقة فمنعت النفط عن المسيل عبر أراضيها إلى أوربا وذقنا قيمة التعاون العربى فازددنا اقترابا ، وكانت الوحدة مع سورية ...

وعلى العكس من ذلك كان موقف (حكومة) نورى السعيد وتلاميذه ، فلقد ذاع وشاع أن الطائرات البريطانية قد استخدمت قاعدة الحبانية فى الإغارة على مصر - وحكام العراق اليوم تحت أيديهم مفاتيح كثير من الأسرار - وازداد السخط وتزايد معه الكبت والقمع فكان الانفجار ، وهرع (العراق) شعباً وجيشاً يلحق بقافلة الأحرار . جزى الله الشدائد كل خـــير ...

إن حرب فلسطين وزرع إسرائيل فى قلب ديارنا كانا منحة فى محنة ، وإن الغدر البريطانى الفرنسى الإسرائيلى كان منحة فى محنة ... وخرجنا من هذا وذاك ، وقد تكشفت أمامنا العيوب والثغرات ، وتحددت الوجهة ، وتبلورت الوحدة ...

أما عدونا ، فما أبهظ الثمن الذى تكبده من جراء إسرائيل !!!

ولن ينفك الغرب يدفع الثمن الدامى من مصالحه وهيبته وسمعته ... ولعله يعقل آخر الدروس - درس العراق !

* * *

ولنترك الغرب فلعله يعقل الدروس أو لا يعقل ، ولنقرأ معاشر العرب دروسا فنحن أولى بالاعتبار وأوعى للعظات !!

إنه لدرس بليغ لكل حاكم يولى ظهره لشعبه ، ويلقى بوجهـــه للأجنبى يستمد منه العون والظهير ...

ماذا فعل الغرب لنورى السعيد وعبد الإله ؟؟ ... جنازة ومأتم ، وصلاة فى الكنيسة !

ماذا فعل الغرب لكميل شمعون ؟؟ ... أقبلت الجيوش والأساطيل ، وقدم المبعوث الأمريكى المختص بشئون الشرق الأوسط ، ليقنع شمعون بالتنحى ويدع الأمر الواقع يسير ، وجاء اللواء شهاب ، فما أطال الأمريكيون عمر شمعون ساعة من نهار !!

وحسين ؟؟ ... إنه يلح على أمريكا فى إرسال قواتها ، فلما تعب من الإلحاح على السفير الأمريكى فى عمان ، وعلى المستر مورفى مبعوث أيزنهاور فى لبنان ، أخذ يعقد المؤتمرات

الصحفية ويعلن أنه طلب نزول الأمريكان بعد الإنجليز ، وأخذ يحادث الصحفيين الأمريكان ويكرر الطلب ، فما استجاب الأمريكان للإلحاح والتوريط ، وفقد الرجل هيبته كملك متوج نسيب ! !

والإنجليز الذين أنزلوا رجالهم فى مطار عمان . . اقرأ صحفهم تراها تدعو إلى عدم الانقياد لنزوات الملك الأردنى ، ومنها ما يدعو إلى إجراء استفتاء فى الأردن تحت إشراف الأمم المتحدة لاختبار مدى ولاء الشعب لملكه !

وخضع حسين للضغط الغربى فأعلن تنازله عن دعواه فى رئاسة (الاتحاد العربى) و (تحرير العراق) ، ومن يدرى فقد يتنازل أيضاً عن تاج المملكة الأردنية الهاشمية ، وهو يندب خيانة الغرب لأمانيه ، ما دام لم يتعظ بما حدث لجده وسميه الأول مع وعود مكماهون !!

إننى أقولها صادقا : إننى أرثى لهذا الرجل . . أرثى له حين تترجم له قصاصات الصحف البريطانية ، فيعرف ما تقوله عنه صحف العمال والأحرار ، والصحف المستقلة المحايدة ، حتى بعض صحف المحافظين !!

وهكذا يطير فيصل ، ثم ترشح صحف الإنجليز حسينا لنفس المصير . . . ولو كان هذا وذاك فى حراسة الشعوب : لما امتدت يد إلى قلامة ظفر من أيهما !!

ومن أراد المزيد ، فليطالع ما كتبته وما تكتبه الديلى هرالد ، والمانشستر جارديان ، والنيوز كرونيكل ، والأوبزرفر ، والاسبكتاتور ، والإكونومست . . . الخ ، وما تكتبه بعض الصحف الأمريكية أيضاً فى نفس الاتجاه .

* * *

ودرس الدروس وعبرة العبر . . القومية العربية .

القومية العربية التى كانت خيالا ، أو آمالا ... القومية العربية التى ثار فى وجهها من سنوات قلائل الثائرون ، وقالوا مصر وكفى ، أو مصر والبحر المتوسط ، ولا شأن لنا

بالعرب ولا بالعروبة ... القومية العربيـة التى احتاجت من محب الدين الخطيب أن يدبج المقالات الطوال الغزار عن الأمة العربية والعروبة ، واحتاجت من ساطع الحصرى أن يتابع الكتابة فيها كتاباً بعد كتاب ، ويرد ويناقش ويدافع ...

هذه القومية العربية ، يعلن أيزنهاور اليوم أن أمريكا تعطف عليها ، ويعلن ماكميلان فى مجلس العموم أن بريطانيا هى التى أتاحت لهـا المجال ، أفليس المستر إيدن هو الذى أوحى بفكرة الجامعة العربية ؟ !

استمع إلى الإذاعات الأجنبية فلا تجـد حديث الشرق الأوسط إلا حديث القومية العربية ، واقرأ الصحف الأجنبية تجد العقلاء يلحون فى التفاهم مع القومية العربية .

كانت القومية العربية فلسفة عند بعض العلماء ، ومبدأ عند بعض الساسة ... لكنها لم تستهو أقلام الغربيين وألسنتهم إلا عند ما صارت حقيقة واقعة ... عند ما انكسر القفل وخرج مارد العراق من القمقم ...

كانت القومية العربية فى ظن الغربيين (ستاراً مصرياً لأطماع توسعية) ... فلما اتحدت سورية مع مصر : قالوا انخدع السوريون بالنغمات المرائية ... فلما ثارت العراق ، بطل السحر وظهر الحق ...

كتب ساطع الحصرى فى عام ١٩٥٦ م . فى كتابه (دفاع عن العروبة) .

« ... وأخذت فكرة القومية العربية تنتشر فى مصر بعـد قيام الثورة بسرعة كبيرة وتحقق بذلك ما كنت أتوقعه وأتمناه بكل جوانحى منذ عـدة عقود من السنين ... واشتد الوعى القومى فى جميع أنحاء المغرب العربى ...

ولكن مقابل ذلك تعرضت فكرة القومية العربية فى بعض الميادين إلى شىء من الفتور والاسترخاء ، وصل إلى حد التراجع والارتداد فى بعض الأحوال . فإن السياسة الدولية وجدت فى الأحوال الحاضرة فرصة مواتية للتأثير على بعض الدول العربية ، وقامت بمناورات عديدة انتهت إلى ربط إحدى الدول العربية (! ؟) إلى عجلة من العجلات العالمية ، وأخذت

تسعى إلى جر ما جاورها أيضاً إلى نفس الاتجاه . ونتج عن ذلك بلبلة خطيرة فى السياسة العربية كادت تؤدى إلى حدوث انشطار فى قلب العالم العربى وسرة حياته ... وقد فات هؤلاء أن المكانة التى يتمتع بها العالم العربى فى السياسة الدولية تستند – فى الدرجة الأولى – إلى وقوعه فى ملتقى القارتين وإلى سيطرته على هذا الملتقى بمخالب قوية وأجنحة واسعة تمتد إلى طرفيه إلى مسافات شاسعة ، وأن انشطار العالم العربى يفقده هذه المكانة الخطيرة ويذهب بكل ما له من أهمية سياسية واستراتيجية . ومن المعلوم أن السياسة الدولية – ولا سيما السياسة البريطانية – بذلت جهوداً متواصلة لإحداث هذا الانشطار منذ صدور وعد بلفور وذلك بدق الأسفين الذى أسموه فى بادئ الأمر باسم (الوطن القومى لليهود) والذى انتهوا إلى تسميته باسم (دولة إسرائيل) » اﻫ .

واليوم ...

يتعانق الإخوة ، ويبرأ الجو ، ويلتئم الشمل ... فلا يجد الغرب مناصاً من الإشارة إلى أنه صاحب حديث القوميات فى الغرب ، والعطوف الحدوب عليها فى الشرق ! !

ونسمع عن سياسة جديدة لأمريكا وبريطانيا ...

ولسنا ندرى كنه هذه السياسة ... لكن الذى ندريه أننا سنستمسك بسياستنا التى هاجرنا إليها ، وتجمعنا حولها ، وزادتنا الأيام اقتناعا بنفعها .

وتحية عاطرة إلى شعب العراق ... وشكراً جزيلا على هـــذه الدروس ، وقد أفلح من اعتبر ؟

فتحى عثمان

الجواسيس للدول الإسلامية

فى كتاب الروضتين لأبى شامة (٢ : ١٣١) أن صلاح الدين الأيوبى اتخذ امرأة البرنس الملك الصليبى على أنطاكية عينا له توافيه بأخبار زوجها .

وفى مرآة الزمان (٨ : ٤٢٦) أن المعظم عيسى بن العادل الأيوبى اعتنى باقامة جواسيس من نساء الإفرنج ليخبرنه بأخبارهم بطرق وعلامات .

نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية » «٢»

في المثال السابق نقدت الكتاب نقدا عاما ووعدت القراء بنقده نقدا تفصيليا ، وها أنذا أفي بما وعدت به .

قال في ص ٤ ، ٥ « وعلى أنه - أي الحديث - بهذه المكانة الجليلة . . . فإن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره لمن يسمون رجال الحديث ، يتداولونه فيما بينهم ويدرسونه على طريقتهم ، وطريقة هذه الفئة التي اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل ، فترى المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد قد حصروا عنايتهم في معرفة رواة الحديث ، والبحث على قدر الوسع في تاريخهم ، ولا عليهم إن كان ما يصدر من هؤلاء صحيحا في نفسه أو غير صحيح معقولا أو غير معقول . ثم جاء المتأخرون منهم فقعدوا وراء الحدود التي أقامها من سبقهم ، ووقف هؤلاء عند ظواهر الحديث كما أدت إليه الرواية . . . من غير بحث ولا تمحيص لها » الخ ما قال وقد تأثر المؤلف بالمستشرقين والمبشرين الذين لم يمكنهم أن يتحرروا من سلطان الهوى والتعصب في هذا البحث بل - والحق يقال - أسرف في الحكم على الأحاديث أكثر مما أسرفوا حتى جاء بحثه ضغثا على إبالة . وإليك الجواب كي يتضح الحق والصواب :

١ — لا أدري ماذا يريد المؤلف بقوله فإن أراد العلماء الفقه والتشريع فهاهم قد بذلوا في ذلك غاية الوسع ، وأولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وبحسبك أن تستعرض الكتب التي ألفت في أحاديث الأحكام وشروحها لترى في ذلك عشرات المجلدات والموسوعات . وإن أراد علماء الدراية بالأحاديث فقد أوفوا في بحث متون الأحاديث وشرحها وتحليلها على الغاية ولم يدعوا ناحية من نواحيه الخصبة حتى قتلوها بحثا . وما من كتاب من كتب الحديث المعتمدة إلا ووضعت له الشروح المتكاثرة . وبحسبك أن تتناول فهرسا من فهارس المكتبات العامة لترى إلى أي حد عنى العلماء المسلمون بالأحاديث النبوية عناية فائقة قد لا يربو عليها إلا عنايتهم بالقرآن الكريم ، وخلفوا لنا في ذلك ثروة ضخمة حتى أنها لقيمتها العلمية ونفاستها

جذبت فئة من العلماء غير المسلمين إلى البحث فيها وقضاء الأعمار فى العناية بها . وإن أراد علماء الأخلاق والمواعظ ، فقد جعلوا الأحاديث النبوية نبعا فياضا لما ألفوه من الكتب فيهما ، وكذلك علماء البلاغة والأدب فقد أكثروا من الاستشهاد بالأحاديث فى كتبهم وعنوا بها من حيث اختصاصهم ، وألف بعضهم فى ذلك كتبا تكشف عما فى الأحاديث من جمال فنى وأدبى كما فعل الإمام الشريف الرضى فى كتابه « المجازات النبوية » والمرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى كتابه « البلاغة النبوية » الذى جعله متمما لكتابه « إعجاز القرآن » .

ثم ماذا كان يريد المؤلف من العلماء غير المحدثين والأدباء ؟ أكان يريد منهم أن يجاوزوا طورهم - كما جاوز طوره - فيدسوا أنوفهم فيما ليس من صناعتهم ويميزوا بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود والغث والسمين ؟؟ .

إن علماء الأدب وأضرابهم ممن ليسوا من رجال الحديث وصيارفته أكرم على أنفسهم من أن يقفوا ما ليس لهم به علم وأن يزجوا بأنفسهم فى علوم ومعارف ليسوا أهلا لها .

٢ - محاولة المؤلف هنا وفى غير موضع من كتابه الإزراء بالمحدثين وغمزهم ولمزهم ورميهم بالجمود لن يقلل من أقدارهم ولن ترفع من شأنه ، بل هى عند الباحثين والعالمين مما يزرى بالنقد ويلحقه بالشتيمة والسباب ، وإن ما وضعه المحدثون من قواعد لنقد الراوى والمروى هى أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد فى القديم والحديث . والمتأخرون لم يأتوا فى ذلك بأمر جديد ذى خطر اللهم إلا فى الاستفادة بما جد من المعارف النفسية والتوسع فى التطبيق ، ولو أنصف المؤلف لعقد مقارنة بين قواعد المحدثين وقواعد غيرهم ممن يرتضيهم ، ثم خلص من ذلك إلى نتيجة صادقة ، أما وقد رمى بها قولة مجملة من غير برهان فيحسبنا فى الرد عليه هذا الإجمال ، وعند ما أتعرض لمبحثى العدالة والضبط سأفصل فيهما القول كى يتضح أن قواعد المحدثين ليست جامدة ولا قاصرة .

٣ - كيف سولت للمؤلف نفسه أن يزعم أن المحدثين حصروا عنايتهم فى السند دون المتن الخ ؟ ! وكيف يتفق هذا وما ذهبوا إليه من الحكم على متن الحديث بالشذوذ والنكارة والاضطراب والتعليل والوضع والاختلاق وما وضعوه من أمارات يستدل بها على الحديث بالوضع ؟ لقد جعلوا من أمارات الموضوع ركاكة اللفظ بحيث يشهد الخبير بالعربية أن هذا

لن يصدر من فصيح فضلا عن أفصح الفصحاء ، وركاكة المعنى كأن يكون مشتملا على محال ، واشتمال الحديث على مجازفات ومبالغات لا تصدر من عاقل حكيم ، والمخالفة للحس والمشاهدة والمخالفة لصريح القرآن أو السنة المتواترة أو المسلمة أو الإجماع مع تعذر التأويل المقبول فى كل ذلك أو يتضمن الحديث أمرا مستحدثا لم يوجد فى العهـــد النبوى إلى غير ذلك مما أفاضت فيه كتب تاريخ الوضع فى الحديث [١] قال الربيع بن خثيم، إن للحديث ضوءا كضوء النهار يعرفه ، وظلمة كظلمة الليل تنكره . وقال الإمام ابن الجوزى « ما أحسن قول القائل كل حديث رأيته تخالفه العقول وتناقضه الأصول وتباينه النقول فاعلم أنه موضوع » وللمحقق ابن القيم فى ذلك كلام قيم نقله على القارى فى موضوعاته ، ومن عجيب أمر المؤلف أنه ذكر نحوا من ذلك ص ١٠٤ ، ١٠٥ من كتابه ولا ندرى كيف يتفق قوله أولا هو وما ذكره عن المحققين آخرا ؟ !!!

ولكى تزداد يقينا فى هذا أسوق لك بعض نقود المحدثين للمتون . وستأكد أن دعوى حصر العناية بالنقد فى السند دون المتن دعوى مردودة ، قال ابن الجوزى فى الحديث الموضوع « شكوت إلى جبريل رمد عينى فقال لى انظر فى المصحف » قال ابن الجوزى : وأين كان فى العهد النبوى مصحف حتى ينظر فيه ؟ وقال الحافظ ابن حجر فى تزييف الحديث الموضوع « أتانى جبريل بسفرجلة فأكلتها ليلة أسرى بى فعلقت خديجة بفاطمة » قال الحافظ : الوضع عليه ظاهر ، فإن فاطمة ولدت قبل الإسراء بالإجماع وقال ابن القيم فى نقد الحديث الموضوع « إذا عطس الرجل عند الحديث فهو صدق » قال : هذا وإن صحح بعض الناس سنده فالحس يشهد بوضعه ، لأنا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله ، ولو عطس ألف رجل عند ذكر حديث يروى عن النبى لم يحكم بصحته بالعطاس . فانظر إلى مبلغ اعتماد أئمة الحديث على نقد المتن حتى وإن كان السند غير واه أو ساقط أو ضعيف .

ومثل حديث وضع الجزية على أهل خيبر الذى قرنه واضعه بشهادة سعد بن معاذ ، فقد قالوا فى نقده ، إن سعد بن معاذ توفى قبل ذلك فى غزوة الخندق ، وأيضاً الجزية لم تكن نزلت ولا يعرفها الصحابة ولا العرب ، وإنما نزلت بعد عام تبوك ، وفيه أنه وضع عنهم الكلفة (السخرة) مع أنه لم يكن فى زمنهم شىء من ذلك . إلى غير ذلك من النقود التى

[١] لقد ذكرت فى كتابى « الوضع فى الحديث » من أمارات الوضع أربع عشرة أمارة وجلها مما يرجع إلى المتن ، وسيطبع إن شاء الله .

أوصلها العلماء فى هذا الخبر إلى عشرة أوجه (١) ، وغير هذا كثير جداً يوجد فى تضاعيف الكتب المؤلفة فى الموضوعات والكشف عن أدوائها ومعايبها ، فهل بعد ما ذكرنا يقال إنهم حصروا عنايتهم فى نقد السند دون المتن ؟ ! ! !

٤ ــ نعم نحن لا ننكر أن المحدثين توسعوا فى نقد السند أكثر من توسعهم فى نقد المتن ، ولذلك سر نحب أن نجليه للقراء والباحثين ، وفى الحق أن علماء الحديث كانوا أبعد غوراً وأدق نظراً وأهدأ بالا حينما لم يجروا فى نقد المتن الأشواط البعيدة التى جروها فى نقد السند ، وذلك لاعتبار دينى دقيق لاحظوه فى السنة عند الاكتفاء بصلاح الراوى وتقواه وعدالته ظاهراً وباطناً وضبطه وحفظه وتوقيه الكذب على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى نص هو أصل ومرجع فى الدين ، فمتى توفرت العدالة بشروطها مع الضبط والحفظ والأمانة والتحرج من التزيد والتغيير كان احتمال الكذب والاختلاق بعيداً جداً إن لم يكن ممتنعاً ، وإذا فلم يبق بعد من حاجة للمبالغة فى نقد المتن وذلك لأن متن الحديث :

(١) قد يكون متشابها غير مفهوم العبارة فلا محل - مع هذا الاحتمال - لتحكيم النقد العقلى المجرد فى المتن ، إذ مثل هذا التشابه مما لا تستقل العقول بإدراكه ولا يدرك المراد منه إلا من الله أو عن رسوله المبلغ عنه ، والواجب إما الإيمان به كما ورد مع تفويض علم حقيقته إلى الله والتنزيه عن الظاهر المستحيل ، وإما التأويل بما يوافق العقل وما أحكم من النقل وذلك مثل أحاديث الصفات ونحوها .

(ب) وقد يكون متن الحديث ليس من قبيل الحقيقـــة بل من قبيل المجاز ، فرفضه باعتبار حمله على الحقيقة استناداً إلى أن العقل أو الحس والمشاهدة لا تقره مع إمكان حمله على المجاز المقبول لغة وشرعا تهجم وتنكر لقواعد البحث العلمى الصحيح ، وذلك مثل حديث ذهاب الشمس بعد غروبها وسجودها تحت العرش المروى فى الصحيح (٢) فلو حملناه

---

(١) موضوعات القارى ص ١١٩ .

(٢) روى البخارى فى صحيحه عن أبى ذر قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس « تدرى أين تذهب ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها ارجعى من حيث جئت ، فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى : « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

على حقيقته لأدى ذلك إلى البطلان ، على حين لو حمل على المجاز المستساغ لظهر ما فيه من سر وبلاغة ، فسجود الشمس المراد به خضوعها وسيرها طبق إرادته سبحانه وعدم تأبيها عن النظام الدقيق المحكم الذى فطرها الله عليه واستمرارها عليه من غير انقطاع ولا فتور . ومثل هذا الحديث يقصد به حث الخلق على الخضوع والإذعان لله رب العالمين ، فإذا كانت الشمس على عظمها فى غاية الخضوع لله فما أجدر الإنسان المخلوق الضعيف ـ وبخاصة عابديها ـ بالخضوع لله والإيمان به ومثل هذا الأسلوب سائغ شائع ، فها نحن نرى العرب يقولون :

شكا إلى جملى طول السرى   صبراً جميلى فكلانا مبتلى

ولا شكوى ولا كلام ، وإنما مجاز وتمثيل ، فانظر إلى الروعة فى التمثيل ، ولو جاء على غير هذه الطريقة لخلا من هذه الروعة . ومثل هذا التمثيل البديع قد جاء فى القرآن المتواتر الذى لا يتطرق إليه الشك مثل قوله سبحانه : « ويسبح الرعد بحمده » . فليس ببدع أن تجىء به الأحاديث .

(ج) وقد يكون متن الحديث من قبيل المغيبات كأحوال القيامة واليوم الآخر فردها تحكيما للعقل فيها وبناء على قياس الغائب على الشاهد ليس من الإنصاف ، وذلك كالأحاديث الواردة فى صفة الجنة ونعيمها والنار وعذابها ونحو ذلك .

(د) وقد يكون متن الحديث من الإخبار بالأسرار التى كشف العلم عن مساتيرها واعتبرت من المعجزات النبوية التى جاءت الأيام بتصديقها ، وذلك مثل الحديث الصحيح : « إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب » . فقد أثبت بعض الأطباء (١) أثر التراب الفعال فى قتل وإزالة الميكروب المتخلف عن سؤر الكلب ، على حين كان بعض المارقين يعتبرون مثل هذا مجازفة وتعنتاً فى التشريع ، وأما المؤمنون فكانوا يعتبرونه من قبيل التعبد حين خفيت عنهم الحكمة أرأيت أيها المنصف لو أن العلماء المحدثين تمسكوا بالنظر السطحى وتسرعوا فى الحكم ببطلان هذا الحديث وأمثاله مما خفى وجه الحكمة فيه ، ثم ظهرت بعد ذلك الحكمة واضحة ، ألا يكون ذلك جهالة فى البحث وقصوراً فى النظر وإجحافا بحق صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ؟ ؟ ثم ألا ترى معى أن المحدثين كانوا على حق فى المسلك الذى انتهجوه ؟ .

---

[١] الاسلام والطب للدكتور محمد وصفى ص ٢٨٦ .

٥ — ما زعمه فى ص ٦ : « من أن المحدثين جميعا أهملوا أمراً خطيراً كان يجب أن يعرف قبل النظر فى هذا العلم ودرس كتبه ، ذلك هو البحث عن حقيقة النص الصحيح لما تحدث به الرسول صلوات الله عليه . وهل أمر بكتابة هذا النص أو تركه ونهى عن كتابته ، وهل دون الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه ؟ وهل ما روى قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق به النبي لفظا ومعنى أو كان مخالفا له ؟ . . . ثم فى أى زمن دون ما حملته الرواية منه ؟ . . . وماذا كان موقف علماء الأمة منه الخ ما قال » ، زعم ليس له ما يؤيده ولا يخرج عن كونه إجحافا صارخا بحق أئمة الحديث فيما أفنوا أعمارهم فيه ، فهذه المباحث التى عرض لها وغيرها قد أكثر العلماء فيها البحث والتمحيص ووجدت فى عشرات من كتب أصول الحديث ، وبحسبك أن ترجع إلى « علوم الحديث » للحاكم أبى عبد الله والإمام ابن الصلاح و « ألفية الحديث » للحافظ العراقى و « التدريب » للإمام النووى و « الباعث الحثيث » للحافظ بن كثير و « نخبة الفكر » وشرحها للحافظ بن حجر « والتدريب » للحافظ السيوطى وعشرات الشروح التى وضعت لها و « ظفر الأمانى » للعلامة اللكنوى و « توجيه النظر » للشيخ طاهر الجزائرى وغير هذه الكتب كثير مما ألف فى القديم والحديث ، بحسبك - أيها الطالب للحقيقة - أن ترجع إلى أى كتاب منها وستعلم علم اليقين أن ما زعم صاحب الأضواء أنهم أهملوه قد عقدوا له الأبواب والبحوث المستفيضة ، وأنه تجنى على أئمة الحديث ما شاء له هواه أن يتجنى .

هذا ورجائى إلى القارئ أن يكون على ذكر مما ذكرته فى هذا المقال ، فإننا سنكتفى به فى رد بعض ما يرد فى أثناء هذا الكتاب إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

الرجـــولة

وما العشق إلا غـرة وطماعة ... يعرض قلب نفسه فيصاب
وغـير فؤادى للغوانى رمية ... وغير بنـانى للرخاخ ركاب
أعـز مكان فى الدنا سرج سابح ... وخير جليس فى الزمان كتاب

أبو الطيب

إحباط فتنة

تلحين القرآن

نشرت الأهرام فى ٧ أغسطس سنة ١٩٥٨ تحت عنوان « ٥ سور من القرآن تم تلحينها » ما يلى :

أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقا بالوزارة الذى بدأ فى تلحين القرآن ، خطابا يقول : فيه إن الوزارة تبارك المشروع ، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية لتسجيل السور التى تم تلحينها ، وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة ، وقد أبدى عبدالوهاب حمودة عضو لجنة الاستماع بالإذاعة إعجابه بالسور الملحنة ، بعد أن غناها له على « العود » صالح أمين .

وقد أتم صالح أمين تلحين ٥ سور هى : المدثر ، والإنسان ، والنور ، والفرقان ، والأنفال ، ويقوم الآن بكتابة نوتها الموسيقية ، وسيسبق كل سورة ، مقدمة موسيقية تصور المناسبة التى نزلت فيها السورة .

كتاب مشيخة الأزهر

إلى وزير التربية والتعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ وزير التربية والتعليم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   وبعد

فقد نشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ١٩٥٨/٨/٧ أن السيد وكيل وزارة التربية والتعليم أرسل إلى الأستاذ صالح أمين مفتش الموسيقا بالوزارة خطابا يبارك فيه مشروع

تلحين القرآن الذى بدأ فيه ، وأن الوزارة مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية لتسجيل السور التى تم تلحينها وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة .

وإذا صح هذا الخبر - ونأمل ألا يكون صحيحا - فالمرجو أن يصان كتاب الله عن التنزل به إلى المستوى الذى لا يليق به ، وألا يكون غرضا للملحنين والمغنين يتفننون فيه على اختلاف ميولهم وأهوائهم .

ونحن على يقين من أن غيرة سيادتكم على القرآن والدين ، وحرصكم على كرامة مصر وسمعتها فى العالم العربى والإسلامى سيحولان دون تنفيذ هذا المشروع ، الذى لسنا فى حاجة إليه ، والذى سيكون مثار فتنة نربأ ببلادنا العزيزة فى نهضتها المباركة وزعامتها الرشيدة أن تكون هى المشعلة لنارها ، خصوصاً فى هـــذه الفترة الحاسمة ، التى تستلزم جمع الكلمة وتوحيد الصفوف .

وفقكم الله وسدد خطاكم وأجرى الخير على يديكم إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . شيخ الجامع الأزهر

٢٣ من المحرم سنة ١٣٧٨ - ٩ من أغسطس سنة ١٩٥٨ .

جواب الوزير إلى المشيخة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وبعد ، فردا على كتاب فضيلتكم المؤرخ ٢٣ من المحرم سنة ١٣٧٨ هـ بشأن ما نشر بجريدة الأهرام بعددها الصادر فى ١٩٥٨/٨/٧ عن مشروع تلحين القرآن الكريم ، أرجو أن أنهى لفضيلتكم أنى أصدرت تعليماتى فور الاطلاع على ما نشر ، إلى المختصين بالوزارة لتحرى حقيقة الموضوع ، وقد اتضح لى أن ما نسب إلى السيد وكيل الوزارة وإلى الوزارة نفسها لا أساس له من الصحة ، وقد أعطيت التعليمات لتكذيبه وتم ذلك فعلا فى جميع الصحف .

وإنى لأرجو أن تطمئنوا إلى شديد حرصنا على كرامة القرآن ، والله خـــير حافظا .

والسلام عليكم ورحمة الله . وزير التربية والتعليم

١٩٥٨/٨/١٨ إمضاء

(كمال الدين حسين)

بلاغ وزارة التربية والتعليم إلى الصحف

نشرت صحف : الأهرام . الجمهورية . الأخبار . الشعب . المساء . القاهرة . فى ١٣ و ١٩٥٨/٨/١٤ البلاغ الرسمى الآتى :

(حول تلحين بعض سور القرآن)

جاءنا من إدارة الشئون العامة بوزارة التربية والتعليم ما يلى : نشرت إحدى الصحف الصباحية بعددها الصادر فى ١٩٥٨/٨/٧ خبرا بعنوان « خمس سور من القرآن تم تلحينها » نسبت فيه إلى الوزارة أنها تبارك هذا المشروع ، وعلى استعداد للإسهام فى نفقاته ... وهذا الخبر لا أساس له من الصحة ، وقد سبق للوزارة أن نفت خبرا كهذا . والوزارة حريصة كل الحرص فيما تقدم عليه من أعمال على أن تكون للدين مكانته وللقرآن المجيد قداسته . ولهذا تؤكد مرة ثانية نفيها القاطع لكل ما تضمنه هذا الخبر خاصا بها .

التلاوة المأثورة

لما توفى فى العام الماضى مفتى الشافعية فى القدس استقبل سماحة الحاج أمين الحسينى المعزين فى منزله بمصر الجديدة ، وتلا القارئ الكبير الشيخ الشعشاعى ما تيسر من كتاب الله عز وجل بطريقته المأثورة عن قراء السلف ، فلما انتهى كان حـــديث من حضر من أهل الفضل يدور حول استهجان عمل من خرج عن هذه الطريقة من القراء الذين صرفوا أذهان السامعين عن الاعتبار بمعانى كتاب الله إلى التلذذ بالأنغام الموسيقية مما لو حـــدث مثله فى الصدر الأول لعوقب مرتكبوه بأشد العقاب ، فجزى الله وزير التربية والتعليم خيراً على منعه هذه الفتنة ووقايته كتاب الله من أن يكون سبيلا إليها .

قراءة القرآن الكريم بلحون العرب
لا بلحون أهل الفسق

إن لقراءة القرآن أصولا وقواعد، ولترتيله سنناً وآدابا، وللترنم به شروطاً وواجبات قد نقلت عمن نزل عليه القرآن صلوات الله عليه، وتلقنت عمن حفظوه وتدارسوه منذ عهد نزوله وتلاوته، وقد أشارت الآيات الكريمة إلى ذلك فقال تعالى «ورتل القرآن ترتيلا»، وقال تعالى «فإذا قرأناه فاتبع قرآنه».

والترتيل القرآن فن يعرف بفن التجويد. روى عن ابن مسعود أنه قال: جودوا القرآن. قال القراء: التجويد حلية القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف. وإلى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم بقوله: (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، يعني ابن مسعود. وكان رضى الله عنه قد أعطى حظاً عظيما فى تجويد القرآن، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية. وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنا.

قال الزركشى فى البرهان: كمال الترتيل تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه، وأن لا يدغم حرف فى حرف، وأكمله أن يقرأه على منازله، فإن قرأ تهديداً لفظ به لفظ التهديد، أو تعظيما لفظ به على التعظيم.

وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، قال تعالى «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته».

ويسن تحسين الصوت بالقراءة، وقد حكى النووى الإجماع على ذلك، لكونه أوقع فى القلب وأشد تأثيراً وأرق لسامعه.

قال القسطلانى : ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النظم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك . وهذا إذا لم يخرج عن التجويد المعتبر عند أهل القراءات ، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء .

قال فى الروضة : وأما القراءة بالألحان فقال الشافعى هى مكروهة إذا أفرط فى المد ، وإشباع الحركات حتى تتولد من الفتحة ألف ، ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، أو يدغم فى غير موضع الإدغام ، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة .

قال النووى : إذا أفرط على الوجه المذكور فهو حرام يفسق به القارئ ، ويأثم به المستمع ، لأنه عدل به عن نهجه القويم .

قال القسطلانى : وقد علم أن ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان والموسيقا فى كلام الله من الألحان والتطريب والتغنى المستعمل فى الغناء بالغزل على إيقاعات مخصوصة ، وأوزان مخترعة أن ذلك من أشنع البدع وأسوأ ، وأنه يوجب على سامعهم النكير ، وعلى التالى التعزير . نعم إن كان التطريب والتغنى مما اقتضته طبيعة القارئ ، وسمحت به من غير تكلف ولم يخرج عن حد القراءة فهذا جائز ، ويشهد لذلك حديث أبى موسى الأشعرى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له (يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » ، أى فى حسن الصوت .

وروى أبو داود بسند صحيح من طريق أبى عثمان النهدى قال : دخلت دار أبى موسى الأشعرى فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناى أحسن من صوته (والصنج آلة تتخذ من نحاس كالطبقين يضرب بأحدهما على الآخر ، والبربط آلة كالعود والناى هو المزمار) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآن ممن أوتوا صوتاً حسناً كابن مسعود وأبى موسى الأشعرى . فقد روى ابن ماجة بإسناد جيد عن عائشة قالت : أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد . قالت فقام فقمت معه حتى استمع له ثم التفت إلى فقال : هذا سالم مولى أبى حذيفة ، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا .

قال ابن كثير فى كتابه « فضائل القرآن » : فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقى ، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ، ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين وسيجيء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم) .

قال القرطبي فى كتابه « التذكار فى أفضل الأذكار » عند شرح هذا الحديث : ويشبه هذا الذى يفعله قراء زماننا بين يدى الوعاظ وفى المجالس من اللحون الأعجمية التى يقرءون بها ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتحرم مصاحبة قراءة القرآن للعزف على العود وآلات اللهو والطرب مما هو شعار المسرفين فى الشهوات الغافلين عن ذكر الله . ولذلك حرم المتورعون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقا لما يصحبها من إثارة الشهوات والطمس على القلوب بالغفلة ، لأن من راعى الأنغام يغلب عليه ألا يراعى واجبات الأداء .

والمعنى الجامع هو أن قراءة القرآن بالنغم المحمود شرعا هى ما تكون به القراءة أشد تأثيراً فى النفس وخشوعا فى القلب واعتباراً فى العقل ، وأن المحظور منها التطريب المتكلف الذى يشغل السامع بلذة الصوت وحسن النغم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب ، وهو أشد خطراً إذا صحب القراءة التوقيع على العود أو النفخ بالناى ، فإن فى هذا امتهانا لكلام الله ، والنزول به منزلة أحاديث اللهو والمجون ، وحاشا أن يكون كذلك .

على أن للقرآن موسيقا خاصة به ، ووقفاً على أسلوبه تبرز بروزاً واضحاً فى فواصله واتزان مقاطعه ، بل فى كل كلمة من كلماته وفى كل جملة من جمله ، فهو فى غير حاجة إلى موسيقا خارجية أو أنغام أجنبية .

جاء فى الإتقان : وقد كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك . قال سيبويه : إن العرب إذا ترنموا يلحقون (الألف والياء والنون) لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا ، وجاء فى القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع .

وإذا كان المقام مقام إنذار ووعيد ، وزجر وتهديد ، وتذكير بمواطن العذاب ووصف لصارم العقاب ، ترى ألفاظه جزلة متينة ذات جلبة وضوضاء ، وصخب وضجيج ، ودوى وطنين ، أشبه شيء بصوت طبول الحرب وقصف الرعد ، فتصل الأسماع ، وتهز القلوب ، وتزلزل الأقدام ، وتوقظ الوجدان .

اقرأ إن شئت قوله تعالى فى سورة ابراهيم عند الرد على من هدد الرسل من الكفار بإخراجهم من أرضهم أو بعودتهم إلى ملتهم « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا ، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » إلى آخر الآيات . . !

فإذا ما انتقلت إلى وصف المتقين ، والحديث عن أهل الجنة ونعيمها ، وجدت ألفاظا رقيقة النغم ، حلوة الجرس ، ناعمة الصوت ، لينة الصدى ، أشبه شيء بصوت القيثارة أو عزف العود أو نحيب الناى .

اقرأ قوله تعالى « وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، فى جنة عالية ، لا تسمع فيها لاغية » .

ومن الموسيقا التى استخدمها القرآن الكريم نوع يعرف بالموسيقا الوصفية ، وهى التى تصور المعنى ، وتدل على الفكرة من طريق إيحاء النغم وتشابه الصوت للانسجام الذى يكون بين الموسيقا اللفظية والدلالات المعنوية . قال تعالى « فكبكبوا فيها هم والغاوون » ، فلما أراد الله تعالى أن يصور حركة سقوطهم فى النار وهويهم فيها مثل هذه الحركة وصور ذلك المعنى باختيار هذا الفعل (كبكبوا) فإن هذا الفعل يتكون موسيقياً من مقطعين متماثلين متكررين فى سرعة وتوان ، ليكون ذلك التمثيل أدل على تخيل المعنى ، وأحكم فى تصور الحالة ، وأبلغ فى تأثر النفس .

وبعد ، فالقرآن العظيم بحر لا تنقضى عجائبه ، ولا تحد أسراره ، ولا يبلغ غوره ، أو تنفد درره .

عبد الوهاب حموده

عناية الإسلام بالجانب الخلقى

للأخلاق النفسية أثر كبير فى سلوك الأفراد والجماعات ، فهى التى توجه سلوكهم على النحو الذى يتمشى مع حال الأخلاق من صلاح أو فساد ، فصلاح الأقوال والأفعال تابع لصلاح الأخلاق ، وفسادهما تابع لفسادها ، ولهذا عنى التشريع فى الإسلام بإصلاح الجانب الخلقى عناية كبرى ، إذ الأخلاق الكريمة هى التى تحقق فى الإنسان معنى الإنسانية الكاملة ، وتعده للقيام بأعباء الخلافة الأرضية على أحسن الوجوه وأكملها ، وما ذلك إلا لأنها الرباط الوثيق بين الحاكمين والمحكومين ، والحفاظ القوى للحقوق والواجبات ، والأساس المتين لإرساء قواعد الحق والعدل ، والسياج المنيع لروابط الألفة والإخاء ، ومرجع استقامة السلوك وصلاح الأمر كله .

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ولقد حدثنا تاريخ الشعوب والأمم ، أنه ما ارتفعت أمة إلا بقوة أخلاقها وسمو آدابها ، واستقامتها فى مسيرها وسلوكها ، واعتدالها فى تعقلها وتفكيرها ، وتقديسها للمعانى الروحية والقيم الخلقية ، وما سقطت أمة إلا بسبب ضعف النفوس وانحلال الأخلاق ، وموت الضمائر وفساد الذمم ، فإن الأمة إذا سادت فيها قوانين الأخلاق ، واستحكمت فى مجتمعاتها حلقات الآداب النفسية ، ارتفع شأنها وعز سلطانها ، وكانت فى تماسكها كالبنيان الذى لا تزعزعه العواصف ولا تنال منه الأحداث ، وكان لها من قوة أخلاقها وسمو آدابها حصون قوية منيعة ، تعتمد عليها فى حفظ كيانها والدفاع عن سيادتها ، وتحمى ظهرها فى مواقف الخطوب والشدائد ، وتدفعها دفعا حثيثا إلى الرقى والتقدم ، وتشق لها طريقا معبدا إلى السعادة والمجد ، وتجعل منها أمة عزيزة الجانب موفورة الكرامة ، شديدة البأس مرهوبة السلطان والقوة ، ولا تزال كذلك ما دامت معتصمة بقوة أخلاقها ، ومحتفظة بقوميتها وسلامة مجتمعها ، فإذا ما نكبت بضعف النفوس وانحلال الأخلاق ، والاستهانة بالقيم الخلقية والآداب النفسية ، وطغت عليها عوامل الفساد الخلق ، ضعفت قوتها وتداعى بنيانها ، وتوقفت عن السير إلى الأمام ، وتراجعت بها عوامل الضعف إلى الوراء ، واضطربت فى مجتمعاتها جوانب الحياة الفردية والجماعية ، فلا ترى فيها إلا أخلاقا جامحة ،

ونفوسا مضطربة ، وحرمات مستباحة ، وضعفا يميت عناصر الحياة والقوة ، ويذهب الكرامة والعزة ، ثم تجتاحها فى النهاية جوائح العدم ، وإن بقيت موجودة بالأشباح والصور.

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لأن الأمة إذا وصلت إلى هذا الحد من الفساد الذى لا يدع صالحة إلا قضى عليها ، ولا نافعة إلا عصف بها ، قضت عليها سنة الاجتماع البشرى وطبيعة الصراع الدولى ، أن تجتاحها أمة أشد منها بأساً وأقوى سلطانا ، لا للنهوض بها من كبوتها وإقالتها من عثرتها ، بل لسلب حريتها واحتلال أوطانها ، واستعباد أبنائها ، والاستيلاء على ثروتها ، والتحكم فى اقتصادياتها ، وبذلك تسقط فى هاوية الاستعباد ومذلته ، كما سقطت فى هاوية الفساد الخلقى ومضلته ، وتتضاعف عليها محن الاحتلال وويلاته ، بمن يلتفون من أبنائها حول المحتل ممن ضعفت نفوسهم وانحرفت أخلاقهم ، واستحوذ عليهم حب المال والجاه والسلطان، ليكونوا أعواناً له على تثبيت أقدامه ودعم سلطانه ، ومطايا لتحقيق أغراضه وأطماعه ، تنزل عليهم الأوامر والنواهى من بروج السادة المحتلين ، فيسارعون إلى التنفيذ والطاعة العمياء ، ليس لهم رأى ولا اختيار فيما يأمرون به وما ينفذون ؛ لأن رهبة المستعمرين ملأت نفوسهم الضعيفة ، فسلبتهم حرية الفكر واستقلال الإرادة ، وجعلتهم أشباحا لا تتحرك إلا بقوة الدفع ، ولا تعمل إلا بإرادة المحتل ووحى الاستعمار ، وحب المال والجاه والسلطان استحوذ على قلوبهم وأبصارهم ، فلا يتطلعون إلا لما ينتظرونه من المستعمرين لقاء خياناتهم لأوطانهم ، من مال حرام يقتطع من دماء المكافحين وعرق الكادحين ، وسلطان زائف يظهرهم أمام الشعب أعزة حاكمين ، ويجعلهم أمام سادتهم أذلة صاغرين ، ثم لا تقف نكبة الأوطان بهم عند هذا الحد ، بل كلما سمعوا دعوة الإصلاح الاجتماعى والتحرر السياسى ، جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم ، ووضعوا فى طريقها العوائق والعقبات ، وأشاعوا حولها الأقاويل والشائعات ، واستلانوا نعومة العيش الرخيص فى أغلال العبودية والاحتلال ، وآثروا الحياة الذليلة فى ظلال النعيم والترف ، على حياة الكفاح فى ميادين الكرامة والشرف ، وكيف يستجيبون لدعوة الإصلاح أو يتركونها تشق طريقها إلى قلوب الشعب ، ودعوة الإصلاح تقض عليهم مضاجعهم ؛ لأنها تقضى على ما يتمتعون به من سلطان زائف ومال مغتصب ، أم كيف تتفتح أعينهم على مشاعل الحرية

والعزة والكرامة ، ونور الحرية والاستقلال يعشى أبصارهم ، وريح العزة والكرامة يزكم أنوفهم ؛ لأنهم ألفوا الحياة فى ظلمة الاستعباد ، ونشأوا فى أحضان الذلة والهوان ، فهم كالأجعال يؤذيها أريج الورود والأزهار ، ولا يطيب لها العيش إلا فى الوحل والرغام .

وقد يبلغ الضعف الخلقى بالمخدوعين والمفتونين بأساليب المستعمرين ودعاياتهم ، إلى حد الاعتزاز بولايتهم وحمايتهم ، والاندماج فى لغتهم وأخلاقهم وعاداتهم ، كأنهم كانوا قبل ذلك قطيعاً من الهمج ، لا دين لهم يعتصمون بعقائده وأخلاقه وآدابه ، ولا قومية لهم يعتزون بلغتها ويعملون بوحيها ، ولا أمجاد لآبائهم يستلهمونها ويسيرون على هديها ، أو كأنهم لا يعلمون أن هذا الاعتزاز والاندماج ، من أخطر العوامل التى تهدم كيان الأمة وتقضى على قوميتها .

ولهذا أكبر الإسلام شأن الخلق الكريم ومدحه وأعظم أمره ، وجعله خير ما أعطى الإنسان فى الدنيا ، وارتفع بالأدب النفسى إلى القمة ، وسما بأهله إلى الذروة ، وجعلهم أقرب الناس فى درجات الكرامة يوم القيامة ، كما فى قوله عز وجل « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ، « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » ، « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين » ، وقوله تعالى لنبيه فى مقام المدح والثناء « وإنك لعلى خلق عظيم » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، « إن أقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون » ، « إن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفاسفها » ، « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » : « ثلاث من لم تكن فيه فليس منى ولا من الله : حلم يرد به جهل الجاهل ، وحسن خلق يعيش به فى الناس ، وورع يحجزه عن معاصى الله » ، « وسئل صلى الله عليه وسلم عن خير ما أعطى الإنسان ، فقال : خلق حسن » ، « وسئل عن البر والإثم ، فقال البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

ومن هنا يتضح الفرق بين المنهج الخلقى الإسلامى ، والمنهج الخلقى الوضعى ، الذى ابتدعته العقول البشرية ودانت به الحضارة المادية ، فإن المنهج الخلقى الإسلامى ، يقوم

كما رأينا على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر ، وما فيه من بعث وحساب وجزاء ، والإيمان بفضيلة الخلق الكريم ، من حيث هو كمال روحي للإنسان في الدنيا ، وموجب لسعادته في الآخرة ، فهو منهج روحي في حقيقته ومقاصده ؛ لأن قيامه على هذا الأساس ، من شأنه أنه يوجه الآخذين بآدابه ومبادئه إلى طلب الكمال النفسي والرقي الروحي ، ويمنعهم من الاتجاه به إلى طلب المنافع المادية وتحقيق المآرب الشخصية ، ويطبعهم على الإيمان بفضائل هذه الأخلاق والآداب في ذاتها ، وهم مكلفون بالتزامها والسير على منهاجها ، ومسئولون عن الانحراف عنها أمام الله يوم الحساب والجزاء . والتزامها هو طريق سعادتهم في الدنيا والآخرة ، هذا الإيمان يحملهم في أعمالهم ومعاملاتهم وصلاتهم بغيرهم ، على رعاية الأمانة وتحري الصدق ، والوفاء بالعهود والمواثيق ، واحترام الحقوق والواجبات والتزام قواعد الحق والعدل ، والإخلاص في القول والعمل ، والترفع عن النفاق والرياء ، ويبعثهم على تقديس القيم الخلقية ، والمثل العليا ، والتضحية بالمنافع المادية في سبيل المحافظة عليها ، إلى غير ذلك من الفضائل الخلقية والآداب النفسية ، التي تتمثل أصولها في طهارة القلب وسلامة الصدر ، وعفة اللسان واليد ، واستحياء النفس من فعل ما يوجب اللوم والتأنيب .

بخلاف المنهج الخلقي الوضعي ، فإنه يقوم على أساس أنه وضع بشري ، يقصد به تنظيم السلوك الذي يحقق للإنسان مطالبه الدنيوية ، ويكفل له وسائل النجاح في معترك الحياة المادية ؛ فهو منهج مادي في حقيقته وأهدافه ، بعيد عن المعاني الروحية والآداب النفسية ؛ لأن قيامه على هذا الأساس المادي البحت ، يطبع الآخذين بمبادئه على الاعتقاد بأن هذه المبادئ ، ليست فضائل إنسانية في ذاتها ، ولا مطلوبة من حيث هي فضائل تتصل بكمال النفس الإنسانية وكرامتها ، وإنما هي وسائل للنجاح في ميدان الصراع والغلب ، وتحقيق أهداف الحياة المادية ومطالبها ، وهذا الاعتقاد يحملهم في أعمالهم ومعاملاتهم وصلاتهم ، على أن يتظاهروا بالأمانة والصدق ، والوفاء والعدل ، واحترام الحقوق والواجبات ، وتقديس القيم الخلقية والمثل العليا ، ما دام هذا التظاهر محققاً لمنافعهم ومصالحهم ، ومتمشياً مع أغراضهم وأطماعهم ، أما إذا كان التزام هذه المبادئ الخلقية ، يفوت عليهم مغنماً مادياً أو يتعارض مع أطماعهم في السيطرة على الشعوب والأمم ؛ فإنهم يتنكرون لهذه المبادئ في أبشع صور التنكر ، ويتحللون منها بكل استخفاف واحتقار ، ويدوسون بأقدامهم كل

القيم الأخلاقيـــة التى لا تتمشى مع أطماعهم ونزواتهم ، فلا يتحرج أفرادهم وجماعاتهم فى معاملاتهم ، ولا حكوماتهم وزعماؤهم فى محالفاتهم ومعاهداتهم ، وحربهم وسلمهم ، من الاعتماد فى سبيل الوصول إلى أهدافهم ، على النفاق والرياء ، والتلون والالتواء ، والغش والتدليس ، والخديعة والغدر ، ونقض العهود والمواثيق ، وسفك الدماء وإزهاق الأرواح ، ولتذهب المبادئ الخلقية ، والمعانى الإنسانية إلى الهاوية ، ولتقف جيوشهم وقوادهم فى نشوة الغلب على أشلاء الضحايا وهى صرعى تحت أقدامهم ، شاهدين على أنفسهم بأنهم أبطال الغدر ومصاصو الدماء ، وليتخذوا من أنينها ألحانا يملئون بأنغامها الحزينة أسماعهم ، ومن مصارعها معارض يمتعون بها أنظارهم ، ما داموا قد حققوا أغراضهم وأطماعهم ، وغاب عنهم فى غمرة هذا الطغيان الذى ملك عليهم تفكيرهم ، أن هذه المطامع التى استحوذت على قلوبهم ، ضحوا من أجلها بكل المبادئ الأخلاقية والمعانى الإنسانية ، قد قلبت عليهم أوضاع الحياة رأساً على عقب ، وملأتها عليهم رعبا وفزعا ، وصيرتها جحيما وشقاء ، وقوضت دعائم الأمن والسلام ، وقضت على عوامل الطمأنينة والاستقرار .

ولو أنهم ساروا على المنهج الخلقى الذى قررته الأديان السماوية ، وجاء الإسلام فرفع قواعده ووضح معالمه ، ودعا الناس جميعا إلى السير على مبادئه وآدابه ، واستجابوا لدعوة السلام والإخاء الإنسانى ، التى نادى بها القرآن الكريم بقوله « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » لامتلأت آفاق العالم بالسلام والاستقرار ، والمحبة والإخاء ، ولعاش الناس إخوانا متحابين متعاونين ، يسعدون بالحياة وتسعد الحياة بهم ؟

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

السعادة فى الحديث النبوى

فى مسند الإمام أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا بأس بالغنى لمن اتقى الله عز وجل : والصحة لمن اتقى خير من الغنى ، وطيب النفس من النعيم » .

على هامش مؤتمر الأديان فى طوكيو :

الاسلام فى اليابان

أوفد الأزهر مندوبا عنه لحضور المؤتمر التاسع لتاريخ الأديان الذى عقد فى اليابان فى المدة من ١٢ إلى ٢٥ صفر (٢٧ من شهر أغسطس إلى ٩ من شهر سبتمبر) من العام الحالى ، وهو أول اجتماع للمؤتمر يعقد فى الشرق ليبحث موضوع « الدين فى البلاد الشرقية : ماضيه وحاضره » . وبه أربع لجان لمعالجة موضوعات الديانات البدائية والقديمة والديانات القائمة الآن ، ولبحث العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب ، ودور الديانات فى هذا المجال . وقد ذكرت النشرة التى كان يصدرها المجلس العلمى فى اليابان أكثر من مائة اسم لعلماء نيط بهم بحث أكثر من مائة موضوع ، لم أجد من بينها حظا للإسلام إلا فى موضوع « سيكولوجية العقيدة الإسلامية فى الله » للأستاذ Halepota A.W.J ، وموضوع « المسيح فى القرآن وفى الأدب العربى الحديث » للأستاذ حسينى ا . م . ، وحديث للمستشرق ماسينيون Massignon عن بعض النواحى الإسلامية .

ولا أريد فى هذه الكلمة أن أتحدث عن الغرض الدامغ لعقد هذه المؤتمرات التى تتبناها الدول الغربية وتشجعها أمريكا ، وترسم أسسها وتحدد أهدافها جماعة لها نفوذها القوى البالغ ، والتى تبذل أقصى ما تستطيع من جهد ، وتقدم أكبر ما يمكن من تضحية فى سبيل كسب المعركة ، وفرض سياستها على العالم كله .

لا أحب لنفسى الحديث فى هذه الناحية ، ولا أكلف نفسى عناء التكهن والاستنباط ، فقد كفانى ذلك كثيرون من الكتاب الغيورين على الفكرة الإسلامية ، والمهتمين بالقضايا الشرقية والعربية ، والذين سلطوا الأضواء الكاشفة على هذه الاجتماعات التى تعقد بين حين وآخر تحت عناوين مختلفة ، تجمعها كلها سياسة واحدة وهدف مشترك ، ليس فيهما على التأكيد خير للإسلام ولا للعرب ولا للشرق أجمع .

وإنما أحببت بكلمتى هذه أن أعطى المسلمين صورة مصغرة عن الإسلام فى هذا البلد الذى عقد فيه المؤتمر ، والذى يقع الآن تحت الاحتلال الأمريكى ، ويتحكم فيه النفوذ اليهودى ، وما يمكن أن تقدمه من خدمات للإسلام فى هذه المنطقة الهامة من العالم ، فأقول [١] .

يبلغ عدد سكان اليابان حوالى ٩٠ مليون نسمة ، يدينون بعدة ديانات ، أهمها : الشنتوئية Shintoism والطاوية Taoism والشامانية Shamanism والكونفوشية Confucianism والبوذية Buddhism والمسيحية ، وذلك إلى جانب عقائد أخرى تقوم على الأساطير التى أخذت تتلاشى أمام الغزو العلمى والوعى الثقافى والدعاية المنظمة للديانات الكبيرة .

ولا يوجد من بين هذه الملايين التسعين إلا نحو ٨٠٠ مسلم أغلبهم من الترك الذين هاجروا إلى اليابان قبل الحرب العالمية الأولى ، ومن التجار الوافدين من الهند والبلاد الآسيوية المجاورة ، والذين أقاموا هناك بيوتا تجارية كبيرة ، وأسسوا جالية إسلامية ، أشبه بالواحة الصغيرة وسط هذه الصحراء الواسعة القاحلة .

ويكثر المسلمون فى منطقتى طوكيو Tokyo وكوبى Kobe . وكانت هناك قلة منهم فى منطقة ناجويا Nagoya غير أنها تفرقت بعد ما تهدم مسجدهم على أثر غارة جوية فى الحرب العالمية الأخيرة .

وأول مسجد أنشئ باليابان هو مسجد كوبى الذى افتتح يوم الجمعة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٤ (١١ من أكتوبر سنه ١٩٣٥) ، وهو يسع جميع المسلمين فى منطقتى أوزاكا وكوبى . وكان الفضل فى إنشائه لداعية مسلم حضر من الهند سنة ١٣٤٦ (سنة ١٩٢٨) ، واستجاب المسلمون فى اليابان والبلاد الإسلامية الأخرى لندائه فأنشئ هذا المسجد الذى نجا من الغارات الجوية . وأقيمت بجواره مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ الدين لأطفال المسلمين ، وتدرس فيها اللغات العربية والتركية واليابانية . ويشرف عليها وعلى المسجد لجنة أغلب أعضائها من أصل تركى .

---

[١] بعض هذه الحقائق مترجم من مجلة العلم الأخضر اليابانية Green Flag عدد ديسمبر سنة ١٩٥٧ .

والمسجد الثانى هو مسجد طوكيو الذى افتتح فى ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ (مايو سنة ١٩٣٨) وهو من طابقين ، وتلحق به مدرسة على غرار المدرسة المذكورة فى طرازها الحديث وبرنامجها التعليمى . وخطبة الجمعة تلقى فى المسجدين باللغتين العربية والتركية .

والقرآن هناك مترجم إلى اليابانية ، ولكن عن أصل غير عربى ، والقائمون بالترجمة غير مسلمين ، ولا يعرفون اللغة العربية . وأول ترجمة ظهرت سنة ١٣٥٥ (سنة ١٩٣٦) نقلها الأستاذ ساكاموتو Sakamoto عن ترجمة سيل Sale الإنجليزية ، وظهرت ترجمة ثانية سنة ١٣٥٧ (سنة ١٩٣٨) لثلاثة غير مسلمين نقلوها عن ترجمات صينية وإنجليزية وفرنسية وألمانية . كما ظهرت ترجمة ثالثة سنة ١٣٧٠ (سنة ١٩٥٠) نقلها عن الألمانية الدكتور أوكاوا Ohkawa وأحدث ترجمة ظهرت هى ترجمة الأستاذ إيزوتسو Izutsu بجامعة كيو Keio غير أنها لا تخلو ، كغيرها من الترجمات . من الأخطاء ، ولا تجد قبولا لدى المسلمين .

وحظ اللغة العربية من الدراسة فى اليابان ضئيل جداً ، ولا تهتم جامعة طوكيو بدراستها اهتمامها باللغات الشرقية الأخرى . كما لا يوجد فى مكتبتها كتب عن الإسلام .

وكانت توجد فى سنة ١٣٢٩ (سنة ١٩١١) جمعية الأخوة الإسلامية التى أسسها الحاج عمر يامسكا والمدرسة الخيرية الإسلامية التى أنشئت فى طوكيو سنة ١٣٤١ (سنة ١٩٢٣) ، ولكن لا يوجد لها أثر الآن . كما كان يوجد فى الجامعة اليابانية معهد للبحوث والثقافة الإسلامية . غير أنه ألغى منذ عامين .

والمؤسسة الإسلامية الموجودة الآن ، والتى يعلق المسلمون عليها الآمال فى هذه البلاد هى « الاتحاد الإسلامى الدولى » الذى يشرف على معهد الدراسات الإسلامية ، ويصدر مجلة نصف شهرية اسمها « العلم الأخضر Greenflag » ، يحررها بالإنجليزية مسلم يابانى نشيط اسمه الياس ت . ساكوما aleyis T. Sakuma ، وقد ألف عدة كتب عن الإسلام ليسد بها بعض حاجات المسلمين هناك .

هذا ويلاحظ أن كثيراً من المسلمين الذين هم ليسوا من أصل يابانى قد غادروا اليابان ، ويخشى أن يفسح المجال تماما للديانات الأخرى ، وبخاصة اليهودية والمسيحية ، بما تعتمدان عليه من النفوذ السياسى والاستعمارى ، وإن كان الشعب اليابانى فى حيرته وقلقه الآن لا يرغب

فى الديانات الوافدة من الغرب ، أو التى يحميها المستعمرون الذين قضوا على آمالهم العريضة بالقنبلة الذرية ، التى تركت فيهم عقدة نفسية لن تزول أبداً ، مهما حاول المستعمرون أن يخفوها بطلائهم الخادع البراق .

والفرصة بهذا سانحة للإسلام فى هذا الجو المهيأ ، أن يبذر بذوره الأصيلة التى تتفق وطموح الأمم الاستقلالية الناهضة ، والأمة الإسلامية جمعاء والجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص يمكنها أن تفعل الشىء الكثير لهذا الشعب المتعطش للقيم الروحية الخالصة ، وهى أقدر على أداء هذه الأمانة بما لها من سمعة طيبة فى المحيط الدولى ، وإمكانيات متوافرة فى هذا المجال . والاتحاد الإسلامى هناك يشيد بالخدمات الجليلة التى يؤديها موظفو سفارتنا ، ويطالب فى إلحاح ، أن تنشئ مركزا إسلاميا يسد الفراغ ، ويزيل القلق النفسى الذى يعانيه اليابانيون .

ولا يفوتنى بهذه المناسبة أن أذكر أن الأزهر قد أوفد فى سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦) مبعوثا إلى اليابان يجيد اللغة التركية ، ومكث هناك حوالى عامين ، كان له فيهما أثر طيب ، وقبيل الحرب العالمية الأخيرة أعد الأزهر اثنين من علمائه المتخصصين فى الدعوة والإرشاد ، وهيأ لهما دراسة تكميلية خاصة ، غير أن عوامل قاهرة حالت دون سفرهما ، وفى سنة ١٣٧٠ (١٩٥١) طلبت الجمعية الإسلامية إيفاد علماء من الأزهر لنشر الدعوة الإسلامية ولتعليم المسلمين ما يهمهم ، واشتد الطلب فى هذا العام ، والأزهر الآن بصدد اختيار أحد خريجيه الذين يجيدون اللغة الإنجليزية ، وسيتم إيفاده قريبا إن شاء الله .

والمأمول أن يولى المسئولون فى الجمهورية العربية المتحدة هذا الموضوع عنايتهم ، ليكون صوتهم مسموعا بقوة فى الشرق الأقصى ، عن هذا الطريق السلمى الواضح البرىء ، ونحن نستطيع بحسن التوجيه ودوام الرعاية أن نكسب كثيرا ، وسط هذا الصراع العالمى ، فى تلك المنطقة الحيوية الخطيرة .

والأزهر على أتم الاستعداد لتقديم أكبر ما يمكن من خدمات فى هذا المجال ، متى توفرت لديه الإمكانيات اللازمة ، وذللت أمامه العقبات . خصوصا فى هذا الوقت الذى يرأس فيه جمهوريتنا الفتية قائد مؤمن محنك ، ويرأس جامعتنا الأزهرية العتيدة شيخ مؤمن بأهمية هذا العمل الجليل ؟

عطية صقر

المدير الصحفى لمكتب شيخ الأزهر

استخلاص الحق من الغاصب

أعلن الإسلام حقوق الإنسان . فى الحرية . . والأمن . . والحياة . . إلى ما هنالك من حقوق كرمه بها مولاه :

« ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (١) .

وتثبيتا لهذه الحقوق شرع الإسلام القتال . . فالحرب فى الإسلام لم تكن لشهوة الانتقام وإنما كانت لاستخلاص الحق من الغاصب : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٢) « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » (٣) .

هذا موقف الإسلام فى استخلاص الحق من الغاصب من الناحية المثالية أو من الناحية النظرية . . أما من حيث واقع الأمر فرسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم قاد الجيوش بنفسه لاستخلاص الحق من الغاصب . . وأمر ذلك مشهور مستفيض فى غزوات النبى وسراياه والصديق أبو بكر الخليفة الأول رضى الله عنه حارب مانعى الزكاة لاستخلاص حق الفقراء من مال الأغنياء . وله فى ذلك كلمته المشهورة : « إن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه » وفى هذا الموقف التاريخى المجيد . . يقول عبد الله بن مسعود : « لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه ، لولا أن الله من علينا بأبى بكر . . أجمعنا على ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ، وأن نأكل قرى عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبى بكر على قتالهم فو الله ما رضى منهم إلا بالخطة المجزية ، أو الحرب المجليه » [٤]

انضوى تحت لواء هذه المبادئ شتى القبائل العربية فأصبحت بذلك أمة واحدة . .

---

(١) الاسراء آية ٧٠ . (٢) البقرة آية ١٩٠ . (٣) البقرة آية ١٩٣ .
(٤) تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ١٦٥ الطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية .

وتدفق العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم يعلنون حقوق الإنسان . . ويستخلصونها من القوى الغاصب إلى الضعيف المترقب ، وكانت أسبق البلاد إلى الاستجابة لهذه الدعوة الكريمة : «سورية» «وفلسطين» و «العراق» و «مصر» وشمال إفريقية . . وفارس» . وبعد انقضاء القرن الأول على وفاة النبي صلوات الله عليه كان العرب قد وصلوا غربا إلى أسبانيا . . وشرقا إلى أن عبروا نهر السند ، . فما لبثوا أن أقاموا امبرطورية أعظم من امبرطوريه روما فى أوج عزها وقوتها . . حتى قال هارون الرشيد كلمته المأثورة . . وقد رأى فى السماء سحابة ممطرة «أمطرى حيث شئت فحيث تكونين يأتيني خراجك» .

لكن للأسف أتى زمن تصدعت فيه أركان هذه الامبراطورية العظيمة وتضعضعت قوة المسلمين السياسية وتمزقت الأمة دويلات تكاد تضل حين تعدها عدا : العراق . . مصر ، . سورية . . فلسطين . . لبنان . . تركيا . . المملكة العربية السعودية . . اليمن . . تونس . . المغرب . . الجزائر . . إلى ما هنالك من محميات وغير محميات ، الأمر الذى ينفطر له قلب الغيور على مجدنا وتراثنا القديم . وختمت المسألة بقيام المزموعة «إسرائيل» شوكة فى جنب العرب أو حربة موجهة إلى صدورنا أجمعين ، ورب ضارة نافعة . فقد تأثر من هذه الحال فتية آمنوا بربهم فباعوا أنفسهم لله وعقدوا العزم مع الشعب الحبيب المتحفز لاستخلاص حقوقنا من الغاصبين الظالمين : «وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم» .

هبت الأمة العربية فى كل مكان تستخلص حقها من الغاصب . فى مصر . فى الشام . فى العراق . فى الجزائر . فى كل مكان قامت تستخلص حقها ، وهى فى ذلك ليست معتدية . وليست متجنية . وليست ظالمة . وإنما تطلب حقا طبيعيا أعطته لها شريعة السماء . وأعطته لها القوانين والعرف . بل تفرضه المروءة بقطع النظر عن الدين والقانون والعرف فإن إباء الضيم مروءة . والاستسلام امتهان : امتهان للكرامة . إهدار للآدمية . وأد للحرية . وماذا يتبقى لإنسان أو لأمة تفقد كرامتها وآدميتها وحريتها ؟ .

كل شىء يفنى ، أما ذكريات الأيام الخالدة التى تستخلص فيها الأمه حريتها فإنها باقية ، لإنها ذكرى القوة والقدرة والشجاعة . وهل يمكن لخائف . أو ضعيف . أو متردد أن يستخلص حقاً من غاصب ؟ .

الإسلام دين دعوة . دعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة : «ادع إلى سبيل ربك

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن (١) » ، « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (٢) » ، « وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم (٣) » .

ودين رحمة وشفقه يجير المستجير : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (٤) » .

الإسلام يأمر باستخلاص الحق من الغاصب . ويخبرنا بأن الاستسلام للغاصب ليس فيه إلا الخسارة . ويقسم رب العزة جل جلاله على هذه الخسارة فيقول : « والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٥) » .

والتواصى بالحق والصبر ليس إلا أن نعمل بالحق . وأن نحافظ على الحق . وألا نيأس فى سبيله مهما ضحينا بالنفس والنفيس .

والإسلام يوعد بالشر كل ظالم . كما يوعد به كل من يرى مظلوما ويتأخر عن نصرته وهو قادر فيقول صلى الله عليه فى الحديث القدسى . يقول الله تبارك وتعالى : « وعزتى . وجلالى . لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله . ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل » .

آمنت بك ربى مذل الأقوياء وناصر الضعفاء . مذل الأقوياء الذين يعتمدون على قوتهم فيعتدون على حقوق الإنسان . وناصر الضعفاء الذين ليس لهم إلا أن يلجئوا إليك يا رب العالمين . وقد رأينا كيف كانت خسارة الأقوياء ماديا ومعنويا . رأيناها بأعيننا فى مصر . ورأيناها فى العراق . وسنراها فى كل مكان وفى كل زمان . فسنة الله فى خلقه أن ينصر المظلومين المؤمنين : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور » « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز (٦) » .

إن خير الأمم أمة يتأثر المجموع فيها للإهانة التى تلحق الفرد الواحد منها . على هذا نشأت الأمة ، أمة العرب ، خير أمة أخرجت للناس ، حتى لنرى زيد بن حارثة يخرج فى

---

(١) النحل آية ١٢٥ . (٢) آل عمران آية ١٠٤ . (٣) الحج آية ٦٨ .
(٤) التوبة آية ٦ . (٥) السورة رقم ١٠٣ . (٦) الحج آية ٣٨ ، ٤٠ .

خمسمائة رجل إلى « جذام » لماذا ؟ ... لأنهم قطعوا الطريق على « دحية الكلبي » يخرج إليهم فيؤدبهم على هذه الفعلة النكراء . وها هو ذا زيد بن رفاعة الجذامي يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قومه فيعتذر ويعتذر بل ويسلم ، فيبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأولادهم فيفعل .

هذا أدب الإسلام فما بالك إذا كانت الإهانة تلحق الأمة كلها لا الفرد الواحد منها . من غير شك تتأثر الأمة أكثر . . ومن هنا ترى أمة العرب الآن تتأثر بتلك الإهانات التي تلحقها من الغاصب . تأثرت لتلك الإهانة التي لحقتنا من الغاصب . حين اعتدى على قناة السويس . فقام بطل القومية العربية فاستخلصها منهم عدلا جهارا . وكانت قد أخذت منا ظلما جهارا . وهذا هو العدل بعينه .

وتأثرت للإهانة التي لحقتها في بغداد . فقيض الله لها من أبنائها البررة من استخلص لها حقها المغصوب وشرفها المسلوب . وتتأثر الأمة الآن أشد الأثر وأقواه لتلك الإهانة التي لحقتها من ذلك الطفل الكبير . أو حسين الصغير . حيث يناصر الغاصب الأثيم على حقوق العرب . ومن الغريب أنه يدعي القرابة لآل بيت رسول الله . وهم منه براء . فمن الامتهان للعقل البشري أن يقول هذا في الوقت الذي يعتدي فيه على القيم الأخلاقية وعلى المثل العليا التي أتى بها رسول الإنسانية محمد بن عبد الله . وتتأثر الآن أمة العرب أشد الأثر وأقواه لتلك الإهانة التي لحقتها من ذلك « الشمعون » الذي كفر بحقوق الإنسان . وبحقوق الجوار . وبحقوق العرب أجمعين . وتتأثر الآن أمة العرب أشد الأثر وأقواه لتلك الإهانات التي تلحقها في كل مكان : في الجزائر . في عدن . في المحميات . وغير المحميات . وتلك بادرة تبشر بالخير . فإذا كانت أمة العرب قد نامت على الظلم فإنها لم تخنع له . بل تتحين الفرص . وها هي ذي قد حانت . وتحين . حانت في مصر . وبغداد . وتحين في الأردن ولبنان ، وفي غير الأردن ولبنان ، لأن أمة العرب لا يمكن أن ترضى بأنفها بجدع « ولا بحميتها تهان » « ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون[1] » ومن الكبائر الفرار يوم الزحف . وها قد جاء الزحف المقدس لاستخلاص الحق من الغاصب .

---

(١) ابراهيم الآية ٢٥ .

وإذا كان لى – وأظنه لى ما دمت من علماء الأزهر – فإنى أرسلها مدوية من على منبر مجلته . وهى لسان حاله . أرسلها صرخة عالية بتهيئة النفوس لاستخلاص الحق من الغاصب . ونحن حين نتحفز لاستخلاص حقنا لسنا بمعتدين . ولا بظالمين . وإنما نريد أن نحيا أحرارا كما خلقنا الله . أو نموت كراما كما يأمرنا الله . وإنى أذكر أولئك الذين يناصرون الغاصب بسوء المنقلب : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »[1] أذكرهم بفعل الغاصب ذلك الذى امتص دماءنا ، واغتصب حقوقنا ، وأهان كرامتنا ، وأهدر آدميتنا ، ووأد حريتنا . أذكرهم بهذا ، وأذكرهم بأننا أبناء أمة واحدة ، ودين واحد وكتاب واحد ، وليس يصح فى عقل إلا أن تتكتل جميع شعوب العرب لمواجهة الغاصب المعتدى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »[2] .

وإذا كان لى من كلمة عتاب فإنى أعتب على الأمم الإسلامية التى تناصر الغاصب المعتدى على حقوق الإنسان . وفى أى سبيل تناصره ؟ . . . ألدنيا ؟ . كم تساوى هذه الدنيا بجوار الحق . . وصدق رسول الله « لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء » .

فتعاونوا أيها المسلمون فى جميع بقاع الأرض على استخلاص الحق من الغاصب . بهذا يأمرنا الدين . . والإنسانية ويأمرنا الحق . . والله هو الحق المبين ؟

منصور رجب

آيتان

قال الحكيم الألمانى (كانت) :

شيئان يملآن عقلى بما لا يغنى من عجب ورهبة ، كلما أمعنت التفكير فيهما : هذه القبة الزرقاء المليئة بالنجوم فوق ، وهذا الناموس الأدبى فى قرارة نفسى ! ! .

---

[١] الشعراء الآية ٢٢٧ . [٢] آل عمران ١٠٣ .

قـــوى
المسلمين الحربية
وأساطيلهم البحرية فى صدر الإسلام

يعجب المرء كل العجب ، منتهى العجب ، غاية العجب بالغ ما شئت فى عجبه إذا قيل : إن المسلمين اتخذوا أساطيل البحار : ولما يمض على انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى غير سنين قليلة ، فتحوا ثغوراً وجزائر متعددة فى البحر الأبيض المتوسط ، وقد عاش العرب أكثر حياتهم على اليابسة ، لم تنشط لهم همة ، ولم تتوثب لهم عزيمة إلى ركوب البحر والتطوح على السفن إلى بلاد يجهلونها بكل ما فيها .

لكنهم لما دخلوا أفق الإسلام سرت إليهم منه روح قوية وثابة لحتها التوسع لصالح المسلمين فى الدعوة إلى الله تحقيقاً لإعلاء كلمة الله فى كل بقعة من بقاع هذه الرقعة السوداء يمكن أن يصل إليها داع ، أو يسعى إلى ممارستها ساع .

فأول مابدا للمسلمين أن يشرعوا فى الغزو بحراً لإعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته كان سنة ست عشرة هجرية ، فقد أرسل والى عمان أسطولا لفتح الهند فاستولى على جزيرة تسمى جزيرة طناح ، وهى قريبة من مدينة بومباى ، وخرج من ناحية البحرين بجزيرة العرب فى جزيرة كامى على مدينة بارودا ، وأسطول ثالث خرج إلى مصب نهر السند فاستولى عليها .

وقد كان عبد الله بن عامر سنة ثلاث وعشرين فى خلافة عثمان بن عفان يغزو بلاد كرمان وسجستان فى شمال الهند ، وإذ ذاك حدثت بين جيوش كرمان والسند وقائع انتهت بفوز القائد عبد الرحمن بن سمرة عليها ، فاستولى على إقليم داور ومدينة بوست ، وتغلب بعد ذلك المهلب بن أبى صفرة على ملك أفغانستان وفرض عليه دفع الجزية ، وكان ذلك سنة أربع وستين فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وأرسل الحجاج بن يوسف الثقفى سنة تسع وتسعين محمد ابن قاسم فى السابعة عشرة من عمره إلى شاطىء نهر السند واستولى على مدائن دبيل وبيرون

وبهمن آباد وآلور واقترب من جبال هملايا فى شمال البلاد الهندية ، ولم يمض بعد ذلك غير قليل حتى كان قتيبة بن مسلم الذى ولاه الحجاج فتح آسيا الوسطى قد هزم التركان واستولى على خوارزم وما وراء نهر جيحون ومعظم المملكة التارية وأحرق أصنام مدن فرغانة وتخشب وبيكند وسمرقند ومدينة كشغر وأقصو وخوطان ، ولما انتهى إلى حدود الإمبراطورية الصينية أرسل إلى عاهلها وفداً مؤلفاً من اثنى عشر رجلا وصالحهم على دفع الجزية ، وبعد ذلك توجه قتيبة بأسطول على نهر السند إلى داخل البلاد الهندية فلحق به جيش برى فى أرض مكدان وانتشر فى سهول مدينة كشمير فثارت عليه مدن على شواطىء نهر السند فتغلب عليها ، وما زالت الجيوش الإسلامية تجوس خلال الديار الهندية حتى وصلت إلى نهر السكنج الذى يقدسه الهندوس ويحجون إليه كل عام .

وإنما استطردنا من ذكر الأساطيل الإسلامية التى بدأت تمخر عباب البحر من سنة ست عشرة هجرية للفتح ونشر كلمة الله فى العالم إلى ذكر الفتوح التى تمت فى الهند وفى داخلها ليرى القارئ صورة مصغرة لحركة التضافر بين جيوش المسلمين البحرية لإدخال تلك الممالك الواسعة الأرجاء فى حظيرة الإمبراطورية الإسلامية التى لم يشهد تاريخ الممالك ما يقرب منها فى الاتساع والعظمة الدولية .

وأعجب ما فى الأمر أن تتمكن دولة فتية كالدولة الإسلامية لا عهد لها بملك ولا حكومة من التبسط فى فتوحاتها واتساع رقعتها إلى هذا الحد ، وتستطيع مع ذلك أن تحتفظ بهذا الملك الرحيب أجيالا طوالا وآماداً بعيدة لا بوسائل الإعنات والإكراه كما يجرى عليه ناموس الفتح المنتشر فى الدول المسيحية الآن المعاصرة لنا ، ولكن بروح العدل والنصفة المطلقة والمثل العليا فى المساواة والإحسان والرحمة ، فكان أثر هذه السيرة الفاضلة الماثلة أن ذاعت اللغة العربية بآدابها وأسرارها ودقائقها وأساليبها الرصينة فى تلك البقاع ، فلم يمض عليها غير سنين معدودات حتى أصبحت أمنع معاقل الأرض ومقرحماة المسلمين وأعلامهم .

شهد الله أنه من أعجب ما يتفق للمرء البصير بحقائق الأشياء فى دنيا التاريخ الغابر أن يقرأه وأن يتمعن فى طرائق البحث والدراية ليرى أنه فى إجماله وتفصيله معجزة من المعجزات الخوالد لمحمد صلى الله عليه وسلم .

فأول من أمر بالغزو فى البحر الأبيض المتوسط معاوية بن أبى سفيان ، فأمر بإعداد

أسطول سنة سبع وعشرين هجرية ، فكان أول ماصادفه من جزره جزيرة قبرص ، فقاتل حاميتها وحطم حصونها وما زال بها حتى هزمها وأسقطها فى يده وفرض عليها الجزية . وفى سنة تسع وعشرين استولى على جزيرة إقريطش (كريد) وجزيرة كوس وجزيرة رودس . حدث كل هذا الفتح وهو والى للخلافة الراشدة على الشام فى دمشق ، فلما آلت إليه الخلافة أرسل أساطيله لسنة ست وثلاثين هجرية لحارب الروم الشرقيين ، وقد كانت قاعدة الحكم يومئذ مدينة القسطنطينية فأباد جزءاً كبيرا من أسطول إمبراطورهم قسطنطين الثانى بعد محاصرته فى خليج إيسالوق بسواحل إقليم ليسيا على سواحل الأناضول فى سفح جبل فينكس . ثم اتجهت رغبته إلى فتح القسطنطينية نفسها عاصمة الدولة الرومانية الشرقية وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين فأعد لذلك أسطولا قوياً ضخما ، فاقتحم مضيق الدردنيل حتى وصل إلى سواحل بحر مرمرة وأنزل جنوده غرب القسطنطينية ولبثوا يحاصرونها ست سنين ، غير أن إمبراطورها لجأ إلى وسيلة نكراء أحرق بها أساطيل المسلمين يومئذ فاضطرت جنودها إذ ذاك أن ترجع إلى الشام وقد سار جيش رومى يتتبع أثرهم حتى أمن منهم على العاصمة والأناضول ، غير أن هذه الموقعة بنتائجها وظروفها المحيطة بها قد أغرت جوستينيان الثانى بالاستيلاء على الشام ، وكان ذلك سنة سبع وستين هجرية ، وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان ، واتفق أن عبد الملك كان مشتغلا بأمر الخلافات والحزازات التى كان يثيرها مزاحموه ، فرأى أن يرد الروم بالحسنى بدون قتال ، فعاهدهم على نبذ العداوة بينهما فلما استتب له الأمر رأى أن يسترد ما كان قد استولى عليه الروم من الشام فقاتلهم وأوقع بهم وانتصر عليهم ورد إلى حظيرة الإسلام ما كان قد انفصل عنها من المدن والأقاليم .

ولما كانت سنة ثلاث وسبعين أرسل عبد الملك بن مروان بأساطيله لفتح جزيرة صقلية فانتصرت عدة مرات على المدافعين عنها .

ولما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة أخذ يرسل بالأساطيل لفتح القسطنطينية فكان الروم يحتالون على إحراق الأساطيل فتضطر الجيوش التى بها أن تعود برا ولكنها فى عودتها كانت تفتح مدنا وقلاعا ، فاستولوا على مدائن بسواحل بحر مرمرة ، وقد أثر إحراق الأساطيل فى نفوس المسلمين فرأوا أن يعاملوا خصومهم بالمثل فسار مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش لجب مغيراً به على آسيا الصغرى فاستولى على مدن كثيرة منها ، وما زال يتابع سيره حتى

وصلت جنوده إلى إسكوار على الخليج الذهبي وهى جزء من مدينة القسطنطينية ، فأحرقوا سفن الروم التى كانت بها وعادوا إلى معسكرهم .

وكانت ثمرة اتخاذ المسلمين للأساطيل أن فتحوا بها جميع جزر البحر الأبيض المتوسط ومدناً كثيرة من البلاد اليونانية وسواحل إيطاليا .

ثمرة هـــذه الفتوحات على المسلمين بل وعلى العالم كله :

إن ما وصل إليه المؤرخون حقائق لا تجحد ، وهى أن تبسط المسلمين فى فتوحاتهم لم يكن القصد منه اجتياح الأمم وسلب مذخوراتها ومقدراتها ، فقد عفوا عن المقهورين المغلوبين على أمرهم ، ولم يتناولوا منهم سوى الجزية ، وأنهم اقتبسوا فى أثناء فتوحاتهم كل ما صادفهم من علم نافع وصناعة ذات فائدة عملية فى البلاد التى فتحوها .

قال العلامة دريبر فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) المترجم للغة العربية : « إن المسلمين ما كانوا يتقاضـــون من مقهوريهم إلا شيئاً ضئيلا من المال لا يقارن بما كانت تتقاضاه منهم حكوماتهم الوطنية .

وقال العلامة سديو المؤرخ الفرنسى فى كتابه (خلاصة تاريخ العرب) فيما يتعلق باقتباس المسلمين للعلوم ما خلاصته : « لما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور سنه ١٣٥ هـ أظهر ميلا عظيما للعـــلوم الكونية ، فكان يستدعى العلماء من البلاد التى انضمت إلى الإمبرطوية الإسلامية ويطلب إليهم ترجمة الكتب اليونانية ويغدق عليهم الأموال الطائلة وقد سار خلفاؤه على سيرته فى نشر العلوم وترجمة كتبها من اليونانية وغيرها ، وخاصة حفيديه المهدى وهارون الرشيد ، فقد أقبلوا على علماء النصرانية المنتشرين ببلاد آسيا فاستقدموهم وأوعزوا إليهم بترجمة الكتب اليونانية والفارسية والسريانية إلى العربية ، فاشتهر فى عصرهما العالم الفلكى المسمى (ما شاء الله) فوضع دائرته النحاسية ، كما اشتهر أحمد بن محمد النهاوندى فكان أقدم علماء الأرصاد فى الدولة الإسلامية ، وترجم حجازى بن يوسف كتاب إقليدس إلى اللغة العربية فتقدمت فى هذا العصر العلوم الفلكية والميكانيكية ، وكفى بالساعة الدقاقة التى أهداها الرشيد إلى ملك أوربا شرلمان شاهداً على تقدم الفنون فى ذلك العصر ، فلما جاء المأمون وهو يشبه بأغسطس لدى الرومانيين أحاط نفسه بهالة من أعظم علماء الأرض ، وأدناهم

من بلاطه ، ثم جعل بينه وبين ملوك القسطنطينية روابط وثيقة العرى ابتغاء تمكينه من عيون الكتب اليونانيــة والموسوعات ، فأنفق أموالا طائلة على ترجمة مؤلفات علماء الإسكندرية فى عهد البطالسة وعلى ترجمة غيرها مما كان مدخراً فى المكتبات الأجنبية التى لم يكن لها مماثل فى مكتبة أثينا نفسها » .

والباحث المتعمق يرجع البصر إلى ماضى المسلمين فيرى مجدهم العظيم قد تفوق على كل مجد فى فتوحاتهم الإسلامية بين جيوشهم وأساطيلهم ، فيستصغر ما يقوم به الغرب اليوم نحو المسلمين فى الشرق الأوسط من العرب ، وأى فارق بين عهد المسلمين السابق وبين ما نراه من بغى الغرب على العرب المسلمين واحتلال بلادهم ظلماً وجوراً ، وإن يوم عز المسلمين لقريب إن شاء الله ؟

عباس طه

الآخرة

روت الآنسة مى فى مقالة لها بمجلة المقتطف (نوفمبر ١٩٢٧) أن الدكتور يعقوب صروف منشئ مجلة المقتطف ـ الذى يظنه أكثر الناس ماديا ـ كان يسخر من الملاحدة الذين حرموا نعمة الإيمان بالله ، وأوردت من كلماته بعد نقاهته من مرض أشفى فيه على الموت قوله :

« لو عاش الناس كلهم فى هذه الدنيا منتظرين الأخرى لاتقى أكثر ما فيها من الشرور والآلام ، وانكسرت شوكة الموت » .

لغويات

بين الرجلين تصاف وانسجام

يستعمل الناس الانسجام فى التوافق والالتئام . وهذا المعنى لا يعرف للانسجام فى اللغة . وإنما الانسجام : انصباب السائل ، يقال : انسجم الدمع إذا سال ، وانسجم المطر . وفى آخر بردة البوصيرى - رضى الله عنه :

وأذن لسحب صلاة منك دائمة   على النبى بمنهل ومنسجم

ويقول الباجورى فى شرح قوله : (بمنهل ومنسجم) : « والتقدير : بمطر منهل ومطر منسجم ، والمنهل : المنصب لشدته ، والمنسجم السائل لعدم شدته » ، وكأن هذا التقييد أخذه الباجورى من مقابلة المنسجم بالمنهل ، فجعل العطف عطف المباين . ويميل الشيخ خالد إلى أن العطف من عطف العام على الخاص ، فهو يقول ، « انهل المطر : سال بشدة ، وانسجم : سال بشدة وغيرها » ولا نرى فى اللغة هذا التقييد .

وليس من اليسير على الباحث أن يورد الصلة بين معنى الانسجام فى اللغة ، ومعناه المتعارف بين الناس ، وهو التوافق والالتئام .

ويرى بعض الباحثين أن انسجام الدمع وسيلانه يتضمن خيوطاً من الدمع على صفحتى الخد على السواء ، وهذه الخيوط روعى توافقها ، وفهم من انسجامها ، فكانت هذه الصلة بين الانسجام والتوافق ، ثم استعمل الانسجام فى كل توافق ، وهجر المعنى الأصلى ، وهو السيلان .

ويرى بعضهم أن الأصل أن يقال : انسجم الدمع أى جرى وسال . وقيل منه على سبيل المجاز والمثل : انسجم فلان فى هوى فلان أى جرى فى هواه ووافقه فى أمره ، كما يقال فى هذا المعنى : حط فى هواه وانحط فى هواه . وفى الأساس : « وحط فى هواه وانحط فيه . ويقال : أكل من حلوائهم ، فانحط فى أهوائهم » . وتصرف الناس فى الكلمة فقالوا : انسجم الرجلان أى توافقا .

واستعمال الانسجام فى التوافق على غير وجه الاستعمال فى اللغة قديم . فقد جاء فى صبح الأعشى ج ١٤ ص ٧١ : « وبالجملة فإنما ذكرت النسخ المذكورة ، على سخافة لفظها ، وعدم انسجام ترتيبها ، لاشتمالها على الفصول التى جرى فيها الاتفاق » .

استهتر فلان

فى هذه الصيغه خطأ شائع ، وهو استعمال الاستهتار فى استخفاف المرء بحق غيره ، فيقال : إن الأمم الغربية تستهتر بالأمم العربية أى تستخف بها ولا ترعى ما يجب لها . ويستعمل الناس فى هذا صيغة البناء للفاعل .

وإنما الوجه فى استعمال الاستهتار أن يرد مبنياً للمفعول ، فيقال استهتر فلان بأذى غيره ، أى أولع به وصار لا يبالى فيه لوما . وقد اشتهر أن الاستهتار لا يكون إلا بهذا المعنى معنى الولوع بالشىء ، وأنه لذلك لابد من ذكر صلته ، فلا ينبغى أن يقال : فلان مستهتر ، إلا أن يتبع بالصلة ، فيقال : مستهتر بكذا ، وعلى هذا فمن الخطأ أن يقال : فلان مستهتر .

والناظر فى كتب اللغة يجد أن (استهتر) بالبناء للمفعول يأتى على وجهين . فيقال : استهتر الرجل إذا كان ينحو نحو الباطل والشر ، ولا يبالى ما يقول الناس فيه . وهذا الوجه يستغنى فيه عن الصلة بعده ، كما ترى . ويقال : فلان مستهتر بالشر أى مولع به حريص عليه لا يبالى ما يقال فيه ، وهذا لابد من ذكر الصلة بعده ، وهذا الوجه يمت بصلة قريبة إلى الوجه الأول .

والوجه فى بناء الصيغة للمجهول أن معنى استهتر : أصيب بالهتر ، وهو الباطل والسوء والخرق ، فجاء على صيغة اسم المفعول ليدل على هذا المعنى ، كما قيل : جن الرجل أى أصيب بالجنون ، وكما يقال : جردت الأرض أى أصيبت بالجراد .

وفى اللسان : « ورجل مستهتر : لا يبالى ما قيل له ولا ما شتم به » . وفيه : « وفى حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : اللهم إنى أعوذ بك أن أكون من المستهترين . يقال استهتر فلان فهو مستهتر إذا كان كثير الأباطيل » وفى المصباح : « واستهتر : اتبع هواه فلا يبالى بما يفعل به » . وفى اللسان : « استهتر بأمر كذا وكذا أى أولع به ، لا يتحدث بغيره ،

ولا يفعل غيره » . فترى من هذه النصوص مجيء الاستهتار بالوجهين ، مقرونا بالصلة وعاريا عنها .

ويبدو أن من قصر استعمال الاستهتار على الصلة أخذه من الأساس ، ففيه : « ومن المجاز هو مهتر به ومستهتر به : مفتون به ذاهب العقل » فتراه اقتصر على الصلة . وكذلك جاء فى القاموس : « والمستهتر بالشيء : المولع به لا يبالى بما فعل فيه وشتم له ، والذى كثرت أباطيله . وقد استهتر بكذا على ما لم يسم فاعله » وإذا رجعنا إلى عبارة اللسان نجد أن الذى كثرت أباطيله يقال له مستهتر ، لا مستهتر بكذا ، فعبارة القاموس ليست على ما ينبغى ، وقد أتى صاحب القاموس من الرغبة فى الاختصار . وكان ينبغى أن يقول : المستهتر : الذى كثرت أباطيله ، والمستهتر بالشيء : المولع به . وقد اقتصر صاحب « إتحاف الفاضل ، فى المبنى لغير الفاعل » على الاستهتار مقرونا بالصلة فقال : « استهتر بكذا بالفوقية والهاء والفوقية والراء مبنى للمجهول ، كما فى القاموس . والمستهتر بالشيء : المولع به لا يبالى بما فعل » .

وجاء فى قصيدة مفضلية لعبدة بن الطبيب :

إن الحوادث يخترمن وإنما عمر الفتى فى أهله مستودع
يسعى ويجمع جاهداً مستهتراً جداً وليس بآكل ما يجمع

وفى شرح المفضليات لابن الأنبارى ٣٠٢ : « مستهتراً : مولعاً موكلا بذلك . . . مستهتراً : ذاهب العقل فيه من حرصه عليه ، وهو الولع بالشيء » ، وتراه فسر الاستهتار بالولوع بالشيء ، وكأنه يقدر صلة محذوفة فى البيت أى مستهتراً بجمع ماله ، ولا داعى لهذا ، فالوجه تفسير المستهتر بالذاهب العقل الأحمق ، ومن هذا أنه يسرف فى جمع المال من كل وجه .

ومما يذكر هنا أنه ورد فى شرح ابن الأنبارى ضبط (مستهتراً) بكسر التاء بالبناء للفاعل ، وهذا بضبط القلم ، وهذا يخالف ما أجمع عليه أصحاب المعاجم التى بأيدينا ، فإنهم نصوا على أنه لا يستعمل إلا مبنياً للمفعول ، فلا يعول عليه . ولا أرى فى هذا ما رآه شارحا المفضليات الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام هارون أن الكسر بناء على ضبط القلم فى شرح

ابن الأنباري لغـة صحيحة . وهما يقـولان في ذلك : « المستهتر : المولع بالشيء الذاهب العقل فيه من حرصه عليه . وضبط بكسر التاء على وزن اسم الفاعل في أصول المتن والشرح أربع مرات . والذي في المعاجم ضبط بفتحها بوزن اسم المفعول ، وضبط فعله (استهتر) بالبناء للمفعول . فما ثبت هنا لغة لم ينص عليها » .

استقل القائد الطائرة

هذا مما يشيع استعماله في هذه الأيام ، فيقال : استقل السيارة أو الطـائرة أي ركب فيها . وهذا الاستعمال لا يوافق الاستعمال اللغوي . فإنما يقال : استقل الشيء أي حمله ورفعه ، كما يقال في هذا : أقله . يقال : أقلت الأرض من عليها واستقلتهم أي حملتهم . ويأتي الاستقلال أيضاً لازما ، فيقال : استقل الطائر : ارتفع في طيرانه ، واستقل القوم : ارتحلوا . وفي اللسان : « يقال : أقل الشيء واستقله يستقله إذا رفعه وحمله . . . واستقل الطائر في طيرانه نهض للطيران وارتفع في الهواء ، واستقل النبات : أناف ، واستقـل القـوم : ذهبـوا واحتملوا سائرين وارتحلوا : قال الله ـ عز وجـل ـ حتى إذا أقلت سحابا ثقالا أي حملت ، واستقلت السماء : ارتفعت » وفي القاموس : « واستقله : حمله ورفعه كقله وأقله ، والطـائر في طيرانه : ارتفع ، والنبات : أناف ، والقوم : ذهبوا وارتحلوا ، والشيء : عده قليلا » .

ويستطيع الباحث أن يخرج هذا الاستعمال الشائع على القلب . فأصل (استقل الطائرة) استقلته الطائرة أي رفعته ، وقد نجم كثير من الأساليب والألفاظ عن القلب ، كما يقال خر في حفر . أو أن أصل استقل الطائرة : استقل في الطائرة أي ارتفع ، فحذف الحرف .

ولا ريب أن هذا لا يسوغ الخروج على الاستعمال الصحيح فيقال : استقلته الطائرة ؟

محمد على النجار

أسطورة عربية

تزعم العرب أن « الهديل » فرخ كان على عهد نوح ، فصاده جارح من جوارح الطير ، فليس من حمامة إلا وهي تبكي عليه . وذكر هـذه الأسطورة أبو وجرة السعدي في شعر له :

فقلت أتبـكي ذات طوق تذكرت ... هديلا وقد أودى وما كان تبع

رسالة الازهر - ٣

رسالة الأدب

من خير ما عرف به الأدب قول ابن خلدون فى مقدمته ـ : « هذا العلم لا موضوع له ينظر فى إثبات عوارضه أو نفيها . . وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته . . وهى الإجادة فى فنى المنثور والمنظوم على أساليب العرب ومناحيهم . . فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالى الطبقة وسجع متساو فى الإجادة ومسائل فى اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة . . يستقرى منها الناظر فى الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض أيام العرب . ليفهم به ما يقع فى أشعارهم منها . وكذلك ذكر المهم من الأنساب المشهورة والأخبار العامة . والمقصود بذلك كله ألا يخفى على الناظر فيه شىء من كلام العرب وأساليبهم ومناحى بلاغتهم . ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا : الأدب حفظ أخبار العرب وأشعارها والأخذ من كل علم بطرف » .

هذا التعريف بالأدب وفنونه من ابن خلدون هو من أقدم ما عرف به الأدب . . وقد سبقه إلى ذلك أبو بحر الجاحظ بمالا أرى داعيا إلى ذكره لأننى لست فى مقام درس فى أدب اللغة . وإنما خصصت بالقول تعريف ابن خلدون لأنه قد عاصر الأزهر بعد انقضاء الدولة الأيوبية . وكان ممن وقعت لهم العلاقات العلمية بالأزهر وأهله وإن لم يكن يوما من طلابه . فتعريفه للأدب هو الذى يقرب لنا ما كان عليه الأدب فى أيامه . لنقيس عليه مسافة ما كان للأزهر من هذا الأدب فى علومه وفى مواد الدراسة فيه .

لو شاء العبيديون ـ وهم بانو الأزهر ـ أن يكون للأدب فيه نصيب لاستطاعوا ذلك بأكثر وسائل الاستطاعة ، لأنهم أهل معرفة ولهم مكتبات كان يضرب بكثرة كتبها الأمثال . ولكنهم لم يريدوا ذلك لأنهم أسسوا الأزهر على دراسة مذهبهم الشيعى والتفقه فيه إلى أبعد الآفاق . ولذلك قصروا الدراسة فيه على هذه السبيل المذهبية ليغرسوا أصول مذهبهم فى مصر لا من طريق الشعر والأدب ولكن من طريق المدارسة الفقهية نفسها والتعمق فيها إلى أبعد الأغوار . وكذلك من طريق المؤلفات التى هى فى صميم مذهبهم

الشيعي . نعم كان لهم شعراء يتغنون بمذهبهم ولكنهم لم يكونوا من طلبة الأزهر وإنما كانوا من بيئات أخرى مثل الشاعر الكبير عمارة اليمنى الذى رحل إلى مصر فى مدة العبيديين . ثم كان شاعرهم المذهبي الأول . بل لقد كان إمام شعرائهم على نحو ما كان أبو الطيب المتنبى إمام شعراء سيف الدولة بن حمدان فى حلب .

* * *

انتهى هذا الدور العبيدى وجاء بعده الدور الأكبر فى ركود الأزهر . فلقد جاء بعد الدولة العبيدية ـ الدولة الأيوبية . وقد قسا السلطان صلاح الدين على حياة العبيديين وأزهرهم قسوة منبعثة من سنيته . فلقد كان سنيا بأكبر معانى الكلمة . ومن ذلك أنه شنق من شنق ومحق من محق . وأراد أن يلحق بالأزهر المحق الأبدى لأنه كان معهد المذهب الإسماعيلى فغلق أبوابه ومنع فيه خطبة الجمعة وصيره أثراً بعد عين . وظل الأزهر كذلك قرابة مائة عام تهدم فيها كثير من معالمه وانصرف الناس عن العبادة فيه . وأقام على أنقاضه مدارس لتدريس المذاهب الأربعة . وكان لصلاح الدين شعراء يؤيدون انتصاراته ومذهبه السنى كما كان للخلفاء العبيديين شعراء كذلك على نحو ما أسلفت . وهؤلاء الشعراء وهؤلاء لم يكونوا من البيئات الأدبية البحتة . وكان من شعراء صلاح الدين العماد الأصفهانى الذى يمتدح صلاح الدين بقوله .

شكا إليك بنو الإسلام يتمهم ... فقمت فيهم مقام الوالد الحدب
فى كل دار من الإفرنج نادبة ... بمادها هم فقد باتوا على ندب

دور البعث

بعث الأزهر من جديد فى عهد السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة . فقد تولى هذا السلطان ملك مصر سنة ٦٥٨ هجرية ، وأول ما عنى به بعث الأزهر من جديد ليكون معهدا . . واتجهت العناية حينئذ لإتقان تدريس العلوم الدينية ، التى هى المقصد الأسمى بعد بعث الأزهر . . ولا غنى لكل مقصد عن آلاته النافعة . . ومن آلات العلوم الدينية النحو والصرف والبلاغة . . وكان هذا الدور هو دور التأسيس لهذا المعهد العتيق الذى لا تزال آثار هذا التأسيس القوى ماثلة فيه للآن .

وفى هذا التأسيس القوى لم يدخل الفن الأدبى الأزهر ، وإنما كانت هناك

حواليه نهضة أدبية بارعة حمل لواءها الشعراء ، أمثال بهاء الدين زهير ، وابن مطروح ، وابن نباتة ، والشاب الظريف ، وصفى الدين الحلى ، وسراج الدين الوراق المصرى .. كما حمل لواء النثر الفنى فيها أمثال أبى العباس القلقشندى ، ومحي الدين بن عبدالظاهر ، وشهاب الدين الخفاجى .. كما حمل لواء النثر العلمى الشيخ كمال الدين الدميرى ، وعبد الرحمن بن خلدون ، وتقى الدين المقريزى ، وشمس الدين النواجى ، والشيخ شهاب الدين الأبشيهى .. على تفاوت بينهم فى الأزمنة التى يقترب بعضها من بعض ، اقترابا يصل أولها بآخرها .. وقد تأثر الأزهر بهذه الحركة الأدبية ، لأن من بين من أسلفنا من أعلام النثر الفنى ، والنثر العلمى ، من انتسب إلى الأزهر ، وكان من طلابه ، غير أنهم آثروا الاستقلال بالأدب والفن ، وراحوا يؤلفون ويدونون .. فملئوا الحياة بمؤلفاتهم الأدبية التاريخية ..

وأذكر بالذات عالما جليلا جمع بين الأدب وبين الاشتغال بالعلوم الدينية ، التى كان فيها إماما يشار إليه بالبنان .. ذلك هو الشيخ المعروف بابن دقيق العيد .. وله فى ترجمته الدينية لوامع قد لا يجاريه فيها الكثيرون من علماء وقته .. هذا الشيخ كان أديباً كبيراً ، ولو لم يدرس الأدب فى الأزهر ، لأن الأزهر كما أسلفت كان خلوا من مناهج الأدب كفن يدرس وكان الأديب من بين أبنائه إنما يكون أديباً برغبته فى قراءة الأدب من نفسه لا بتلقين ولا بدراسة .

ومن شعر الشيخ ابن دقيق العيد ، وهو شعر بالغ العذوبة والسمو . قوله يشكو الفقر .

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة ... وقعت بها فى حيرة وشتات
فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى ... وإن لم أبح بالصبر خفت مماتى
وأعظم به من نازل بملـــة ... يزيل حيائى أو يزيل حياتى

وقال يتمنى الجمع بين الشيب والشباب :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى ... وقرب منى فى صباى مزاره
فآخذ من عصر الشباب نشاطه ... وآخذ من عصر المشيب وقاره

وكان من بين هؤلاء الأفذاذ الأزهريين عالم العلماء الذى لا يجارى فى كثرة التآليف المفيدة .. الشيخ الجلال السيوطى فقد ألف - فيما ألف - كتابه الأشهر (المزهر فى علوم اللغة) وهو وإن لم يكن كتاباً أدبياً بحتاً إلا أنه مقدمة للأدب وجعبة للأديب الدارس

يغترف منه ما شاء له الأخذ عنه . . قال الشيخ فى مقدمته « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه . واخترعت تنويعه وتبويبه . وذلك فى علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها . . . وكان كثير ممن تقدموا يلم بأشياء من ذلك . ويعنى فى تمهيدها ببيان المسالك . غير أن المجموع لم يسبق إليه سابق ، ولا طرق سبيله غيرى طارق » .

* * *

جاء بعد هذا العهد عهد ركدت فيه اللغة العربية وآدابها ركود الطين فى الماء الآسن . ذلك هو عهد البكوات المماليك والأتراك . . وقد لحق اللغة وآدابها فيه التحطيم الكامل - إلى أن رأينا بريقاً فى جو الأدب لمع من عبقرية عالم أزهرى جليل هو شيخ الإسلام السادس الشيخ عبد الله الشبراوى قال فى بعض أسفاره متشوقا إلى مصر :

أعد ذكر مصر إن قلبى مولع ... بمصر ومن لى أن ترى مقلتى مصرا
وكرر على سمعى أحاديث نيلها ... فقد ردت الأمواج سائلة نهرا
بلاد بها مد السماح جناحه ... وأظهر فيها المجد آيته الكبرى
رويداً إذا حدثتنى عن ربوعها ... فتطويل أخبار الهوى لذة أخرى

وقفى على أثره الشيخ إسماعيل الخشاب قال متغزلا :

يا شقيق البدر نوراً وسنا ... وأخا الغصن إذا ما انعطفا
بأبى منك جبيناً مشرقا ... لو بدا للنيرين انكسفا
بغيتى منك رضاب ورضا ... وعلى الدنيا ومن فيها العفا

وجاء بعده شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار . قال يتغزل :

ألزمت نفسى الصبر فيك تأسياً ... والصبر أصعب ما يفاد نجيبه
وبليت منك بكل لاح لو تبد ... ى نحو طود أثقلته كروبه
أفلا رثيت لعاشق لعبت به ... أيدى المنون ونازعته خطوبه
أنت النعيم له ومن عجب تعذ ... به وتمرضه وأنت طبيبه

ثم من بعدهم الشيخ محمد شهاب ، وهو وإن لم تكن أزهريته معروفة للكثيرين إلا أنه أخذ ثقافته الأولى من الأزهر ، ثم انقطع إلى التحرير والأدب . . ومن شعره فى قصيدة له أنشأها لتكتب حول جامع القلعة .

عروس كنوز قد تحلت بعسجد مكللة تيجانها بالزبرجد
أم الجنة المبنى عالى قصورها بأبهج ياقوت وأبهى زمرد
ألا إن تجديد العجيب من البنا يؤكد تأسيس اقتدار المجدد
فلو عددت فى الكون بدء بدائع لكان به ختم لذاك التعدد
كأن الليالى الوالدات عجائبا أصبن بعقم بعد هذا التولد

* * *

وللشيخ محمد شهاب أيضا فى امتداح المفتى الشيخ محمد المهدى العباسى :

تب مفتى الهوى وتبت يداه ضل شرعى نهجه والسياسى
فدعيه يا عز - عز اصطبارى إن فتواه فتنة للناس
ولئن قلت أى فتوى البرايا حكمت بالنصوص دون التباس
وارتضاها الزمان قل لى وأرخ قلت فتوى مهديه العباسى

ومن شعراء هذا العهد الأزهرى الشيخ محمود العالم . وفى شعره طابع واضح لنظم كثيرين من العلماء فى مناحى تفكيرهم وأسلوب أدبهم فى هذه الحقبة . قال يهنىء الشيخ العروسى بمشيخة الأزهر سنة ١٢٨٥ هجرية :

إن شيخ الإسلام أيده اللـه تعالى بالنصر والتعزيز
العروسى أوحد الناس فى الفضـل وأين الأنهار فى الراموز [1]
فائق الناس فى العلوم بذهن يتلظى فيها وقلب جميز [2]
من أحاديثه تشم شذا المسـك وريا الكافور والشونيز !

وقبل أن أنتقل إلى أفق آخر من آفاق الحديث أذكر أن للشيخ الخشاب ديوان شعر صغير كان متداولا فى وقته بين أدباء عصره . وقد جمعه وطبعه بعد وفاة صاحبه - أصدق أوفيائه الشيخ حسن العطار . وكان لهذا الديوان رسالة أدبية عامة فى وقته : هى أن الكثيرين تأثروا به فى دراستهم الأدبية .

* * *

---

[١] الراموز : البحر . [٢] جميز : ذكى .

هذا فى الشعر ، أما فى النثر فلقد كان أوضح الناثرين شأناً - الشيخ حسن العطار وقد جمع منثوره بنفسه قبل مماته وأودعه المكتبة التى أنشأها محمد على الكبير وقد طبع هذا المجموع عام ١٢٧٨ هجرية بعد وفاة صاحبه . وهو مجموع يدل على اطلاع واسع على كتب الأدب وإتقان المعاملات الشرعية ، وقد قال صاحبه فى تقسيمه : « وهو منقسم إلى قسمين : كتابة الشروط والمعاملات . وإنشاء المراسلات والمخاطبات . . . » ، وكان وضع رسائل المعاملات بلغة الشيخ العطار الأدبية جديدا كل الجدة على كتابة أبواب المعاملات الشرعية وإليك مثالا منها بعنوان (القرض) .

« استقرض فلان من فلان كذا وكذا دينارا أودرهما من النقد الفلانى . فأقرضه ذلك وهما بحالة يصح فيها القرض والاستقراض الشرعيان . استقراضا وإقراضا شرعيين صحيحين ومن المفسدات والقوادح عريين . مشتملين على الإيجاب والقبول من الجانبين ، وصار المال المستقرض حقا وملكا لفلان المستقرض .. وله التصرف فيه على حسب مشيئته وإرادته . وعليه رد مثله إلى المقرض حين يطلبه عاجلا من غير مماطلة ومدافعة ... حسبما تراضيا على ذلك واتفقا ... »

أما رسائله الأدبية الإخوانية فكثيرة جدا . وإليك مثلا وجيزا منها .

« أعاد الله أيام التهانى وجدد ما اندرس من معالم المسرات . وجمع الشمل بأصحاب وأتراب . هم كواكب الفضل المشرقة مدى الدهور ... نخص من بينهم شمسهم المنيرة . الذى جمع من الفضل قليله وكثيره ... ولا زالت العلياء بوجوده باسمة الثغر . والأيام والليالى بمعاليه تعد غرة فى جبين الدهر ... » .

يصف الشيخ عبد الرحمن الجبرتى أدب الشيخين الخشاب والعطار بما أختم به مقال اليوم مرجئا بقية (رسالة الأزهر الأدبية إلى ما بعد) : قال الجبرتى .

« ... فكان كثيرا ما يبيتان معا . ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر . وألطف من اتساق نظم الدرر ، وكثيرا ما كانا يتنادمان بدارى . لما بينى وبينهما من الصحبة الأكيدة والمودة العتيدة . فكانا يرتاحان عندى . يتجاذبان أطراف الكلام .

فيجولان فى كل فن من الفنون الأدبية والتواريخ والمحاضرات ، فتارة يتشاكيان تغير الزمان ، وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان ... فكانت تجرى بينهما منادمات أرق من زهر الرياض . وأفتك بالعقول من الحدق المراض ... واستمرت صحبتهما . وتزايدت على طول الأيام مودتهما ... » .

مما سلف من البيان نعلم أنه كان بالأزهر فى هذه الحقبة نبعان : نبع كثير الطلاب ، يعنى بتحصيل الدروس المقروءة ليس غير من علوم قواعد اللغة والدين . ونبع قليل الطلاب ، اختيارى التناول . هو نبع الأدب والتاريخ الذى ارتوى منه من أسلفت من أصحاب رسالة الأزهر الأدبية . ومنهم من سيجىء ذكره فى الكلمات اللاحقة . هؤلاء وهؤلاء هم الذين نسجت منهم رسالة الأزهر الأدبية .

حسن الشيخه
المحرر الأدبى بجريدة الشعب
وعضو نقابة الصحفيين

الذين يأتون العلوم من ظهورها

جاء العلوم بيوتها من ظهرها وأخو الزكانة من أتى من بابها
فترفعت أن تستكين لفهمه فارتد لم يظفر بنشق ترابها
نبح الحقيقة ، والحقيقة لم تكن لتريم هذى الأرض خوف كلابها
وحقائق الأشياء ثابتة وإن أعيا على العميان خرق حجابها

محمد حسن النجمى

قـــــراءات

تختلف القراءة بالنسبة للأفراد ، فبينما يمر البعض على ما يقرأ مر الكرام ، لا يكاد يعى ما يقرأه ، بل وما يكاد يترك الكتاب حتى ينسى ما قرأ ، إذا بالبعض الآخر يقرأ قراءة واعية تهدف إلى تفهم وهضم المادة التى يقرأها .

وقد درجت فى قراءاتى على أن أضع « أرشيفا » لما أقرأ لأرجع إلى ما أريد عند الحاجة . ومن هذا الأرشيف استخرجت الفقرات التالية ، التى قد يجدها البعض بمجرد طرائف ، قد يبتسم عند قراءتها ، وقد يجد فيها البعض الآخر معلومات عامة أساسية تستحق منه بعض التمعن .

(١) بحيرة بلا ماء :

تقع جزيرة ترينيداد بقرب الساحل الشمالى لأمريكا الجنوبية ، اكتشفها كولمبس فى رحلته الثالثة سنة ٩٠٤هـ (١٤٩٨م) ، وتقلبت فى أحضان الاستعمار الأسبانى ثم الفرنسى ، ووقعت أخيراً فى براثن الإنجليز سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) .

فى جنوب غرب الجزيرة تقع « بحيرة » بيتش Pitch وهى ليست كغيرها من البحيرات إذ لا يملؤها الماء ، وإنما . . . الإسفلت . والإسفلت صلب على السطح حتى أنهم يحفرونه لاستخراجه ثم يذاب ويعبأ فى براميل تصدر إلى مختلف دول العالم ، ولا تلبث الحفرة أن تمتلىء ثانية بإسفلت يصعد إليها من القاع .

ولا شك أن معظم طرق الجزيرة (التى تبلغ مساحتها ١٨٠٠ ميل مربع ، وسكانها ٣٦٠٠٠٠ نسمة) طرق جيدة الرصف .

(ب) الرأس الأخضر :

بدأ الأسبان والبرتغاليون استكشافاتهم الجغرافية ، تدفعهم الرغبة للبحث عن طريق إلى الهند غير طريق مصر ، وتزعم هذه الحركة فى البرتغال أحد أمرائها « هنرى الملاح » ،

ووصلت بعثاته جزيرة ماديرا على الشاطئ الشمالى الغربى لإفريقية سنة ١٤١٨م، وتقدمت منها فى بطء نحو الجنوب. ولكنها كانت تسير بمحاذاة شواطئ الصحراء الكبرى القاحلة تهب منها رياح حارة لافحة محملة بالرمال.

وبعد لأى وصلت البعثات إلى أول أرض خضراء بعد الصحراء فأطلقوا عليها اسم «الرأس الأخضر Cape Verde» وحين نزلوا فيها وجدوا أن كل سكانها من الزنوج فأسموها أرض الزنوج Negro Land، وما زالت تحمل هذا الاسم حتى اليوم.

(ح) جبل الأسد:

واستمرت بعثات البرتغاليين تتقدم حتى بلغت شواطئ غينيا ومر المستكشفون فى طريقهم بتلال، كان صوت الرعد - فوقها - الذى يصاحب العواصف الممطرة فى الغسق يشبه زئير الأسود، وما زالت الأرض تحمل هـذا الاسم حتى اليوم: إننا نعرفها باسم سيرا ليون Sierra Leone.

(د) أرض الميلاد:

وقبل أن نترك قارة إفريقية، لنتحول إلى ساحلها الشرقى، فقد كان البحث قائما على قدم وساق عن طريق إلى الهند، وحمل فاسكو دى جاما هذا العبء منذ سنة ٩٠٣هـ (١٤٩٧م) وتخطى رأس الرجاء الصالح (الذى سبق أن وصله المستكشف دياز) وصعد فى البحر شمالا، ووجد ساحلا خصبا تكسوه الغابات، وكان وصوله إذ ذاك فى يوم الميلاد (الكريسماس) فأطلق على الأرض اسم «الميلاد».

إننا ننطق هذا الاسم بلفظه الأجنبى «ناتال».

(هـ) الأمازون:

ذكر الإغريق فى أساطيرهم أنه كانت توجد أمة من النساء تعيش فى القوقاز، كانت شديدة المراس، حتى أنها غزت آسيا الصغرى واليونان ومصر وغيرها من البلاد. وكانت تحكم هذه الأمة ملكة، ويلتقين كل عام مرة مع شعب مجاور من الرجال هم شعب «الجارجاريين» فتحمل النساء، وعند الولادة يحتفظن بالإناث، ويئدن الذكور أو يعطينهم للجارجاريين ويقال إنهن كن يقطعن الثدى الأيمن ليسهل عليهن استعمال السلاح.

ولن نطيل فى ذكر هذه الأمة التى كانت تسمى « الأمازون » ولكنا سننتقل إلى أمريكا الجنوبية فى بدء اكتشافها .

كان الأسبان يتسابقون لاحتلالها يجذبهم إليها بريق الذهب ، وعين الأسبان أحد قوادهم حاكما على الأرض التى نسميها اليوم إكوادور ، فرأى أن الوطنيين يأتون من جهة الشرق يشترون البضائع بمعدن الذهب . فسال لعابه ، ومن ثم قام بنفسه للاستكشاف ، وسارت حملته مسافات شاسعة ، ونفذ طعامهم ، فأرسل الحاكم أحد ضباطه : أوريللانا **Orellana** للبحث عن طعام . وتاه أوريللانا ورجاله بين الأدغال ، ووجدوا نهرا عظيما فساروا بجواره .

ووجد أوريللانا أثناء تجواله قبيلة كلها من النساء ضخام الأجسام أقوياء البنية . وتضاربت الأقوال حولهن فثمت من يقول إنهن كن يصحبن أزواجهن إلى الحروب ، وثمت من يقول إنه لم يكن لهن أزواج إطلاقا ، وإنهن كن يئدن أبناءهن الذكور .

ورأى أوريللانا الشبه كبيرا بين هذه القبيلة وبين نساء الأمازون التى ذكرها الإغريق . فأطلق على النهر الكبير الذى كان يسير بجواره اسم : الأمازون .

(و) مستيزو :

كان الأسبان يذهبون إلى أمريكا الجنوبية بدون نسائهم ، فكان من المحتم أن يتزاوج الأسبان من النساء الوطنيات ـ نساء الهنود ـ وكانت الثمرة جنسا مولدا أطلقوا عليه اسم « مستيزو **Mestizo** » وهم كثيرون إلى درجة أنهم يبلغون فى بعض دول أمريكا الجنوبية نحو نصف السكان .

وهذا لا يمنع من وجود الهنود الخلص فى بعض المناطق الوعرة أو التى تغطيها الغابات والتى لم يستطع الأسبان التسلل إليها .

وفى مناطق أخرى ، خاصة دول جبال الأنديز ، تقصر الوظائف المهمة والمهن العليا على الجنس الأبيض فحسب .

عمر طلعت زهران

أستاذ فى الآداب

تعليقات

وما آفة الأخبار إلا رواتها

نشرت إحدى الصحف أن جماعة من أرباب الطرق الصوفية أقامت حفلة ذكر على شاطىء الإسكندرية وهم يلبسون المايوه ...

وخبر كهذا لا يتسع العقل لتصديقه مهما فرضنا فى بعض أرباب الطرق من تهاون .

والغرابة فى الخبر ليست فى موضوعه فحسب ، وليست فى صياغته ، لقد تعودنا من بعض كتاب الصحف أن يثيروا اهتمام القراء بما ينشرونه ، وأن يتنافسوا فى الاختلاق والافتراء المسرف ، لاستفزاز القراء إلى التعليق على ما ينشر حتى يتسع المجال للنقاش ، ويكون الأمر التافه أو المكذوب مادة صحفية .

وإنما الغرابة فى الخبر أنه لون من ألوان الدس على رجال الطرق ومحاولة الغمز فى سمعتهم ، وتنفير الناس من الرضا عنهم .

وليس موقفنا موقف الدفاع عن أرباب الطرق ، ونفى ما نسب إليهم ، فذلك خبر مفروغ منه ، مقطوع بكذبه ، وإذا كان لرجال الطرق خصومة مع كتاب الصحف فهناك سبيل إلى التفاهم سوى الكذب والتشهير المختلق .

والذى يتجه إليه الرأى فى تعليل هـــذا اللون من الكذب هو أن دوائر الصحافة قد احتضنت أخيرا أفرادا من الكتاب أو من أشباه الكتاب لا يقدرون شأن الصحافة ، ولا يغارون على سمعتها وإنما يتسابقون فى نشاط مصطنع إلى جمع الأخبار من هنا وهناك ويتنافسون فى الابتداع ليصلوا إلى مآربهم المادية ، ومهما كلفهم ذلك من تهاون أو خرج بهم عن سمت الصحافة الكريمة ، فالأمر سهل عندهم .

أضف إلى هـذا أن وازع الدين مفقود عندهم ، بل فى نفس بعضهم نزعات منحرفة يجرهم إليها جهلهم بالدين وحبهم لتقليد الملاحدة المجددين ، فهم يغمزون فى كل من ينتمى إلى الدين أو رجاله .

ولم يبق عندهم إلا أن يزعموا ما زعموا من التشويش على رجال الطرق والمؤسف من شأن هؤلاء الكتاب المختلقين أنهم ضربوا بالكرامة عرض الحائط ، وأنهم يستهترون برسالة الصحافة إلى أقصى حد يستطاع ، فاذا بلغ الأمر بالكتاب هذا المبلغ ، وإذا ظلت الصحافة راضية عن هذا النوع من محاولات كتابها فماذا بقى لنا من ثقة فى رواة الأخبار وهم يسمون الصحافة صاحبة الجلالة ؟ ؟

كم كتبنا وكتب غيرنا فى هـذا الشأن ، وكم أبلغنا الصحافة اعتراضنا على مسلك نفر يستظلون بلوائها ، ولكن يبدو أن دعوتنا غير نافذة إلى قلوبهم ، وأنهم ألفوا هذا التلاعب بكرامة الصحافة وبسمعة الناس ، أو بترويج الأكاذيب .

هدانا وهداهم الله ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مراسلات المجـلة

المرجو من الذين يكتبون للمجلة أن يكون ما يتعلق من ذلك بالاشتراكات وشئون الإدارة بعنوان مدير المجلة . وما يتعلق منه بالمقالات وشئون التحرير بعنوان رئيس التحرير .



تفسير الطبرى

الجزءان ١٢و١٣ — ٦٣٣ + ٦٣٩ ص — دار المعارف بمصر

يبتدئ الجزء الثانى عشر من هذا التفسير العظيم بتأويل الآية المائة من سورة الأنعام : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » وينتهى بتأويل الآية المائة من سورة الأعراف : « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » .

والآثار فى الجزء الثانى عشر ١٢٢١ من رقم ١٣٦٨٠ إلى رقم ١٤٩٠٠ ، وبآخره تتمة التخريج بقلم العلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وقد بلغت ١٢ ملاحظة مملوءة علماً وفهما . يلى ذلك فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير ، وفهرس اللغة مرتبا على ترتيب المعاجم على أصل الاشتقاق وعلى آخر الأصل بابا وأوله فصلا ، وبعده فهرس لأعلام المترجمين فى التعليق ، ثم فهرس للمصطلحات . وفهرس للفرق ، وفهرس لمباحث العربية والنحو وغيرهما ، وبالآخر فهرس لهذا الجزء من التفسير .

ويبتدئ الجزء الثالث عشر بتأويل الآية ١٠١ من سورة الأعراف : « تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » وينتهى بتأويل الآية ٤٧ من سورة الأنفال : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط » .

والآثار فى الجزء الثالث عشر ١٢٨٢ من رقم ١٤٩٠١ إلى ١٦١٨٢ . وفيه من الفهارس مثل ما فى الأجزاء السابقة . وقد اتفق انتهاء هذا الجزء عند وفاة العلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، فصدره الأستاذ محمود شاكر بكلمة بليغة فى رثاء أخيه والتماس الرحمة له من الله عز وجل . والواقع أن الرزء بفقده لا يقدره إلا الذين يتابعون تعليقاته على مسند الإمام

أحمد وتحقيقاته فى تخريج آثار هذا التفسير وسائر ذلك من كتبه رحمه الله رحمة واسعة ورزق هذه الأمة من يملأ فراغه .

الجواب الباهر ، والرد على الاخنائى

كتابان لشيخ الإسلام ابن تيمية — ٩٠ + ٢٣٢ ص — المطبعة السلفية فى القاهرة

جحود فضل الصالحين ، والتقصير فى التأسى بهم والاهتداء بهديهم ، من العيوب المذمومة فى الأمم . كما أن الغلو فيهم إلى حد الخروج بهم عن منازل المخلوقات إلى ما فوقها هو الموطن الذى انزلق عنده المنحرفون عن جادة الهدى إلى مزالق الغى . ومن نعم الله على المسلمين أن نصوص الإسلام الأصيلة وسط بين هذا وهذا ، وكانت الوصاة بهذه المعانى من آخر ما صح صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأيام الأخيرة من حياته المباركة ، ولذلك ترى الإسلام قد أخذ بأيدى أهله إلى طريق التأسى بالأنبياء والصالحين والاهتداء بهديهم ، فبين لهم - بأجلى بيان وأوضحه - الحد الفارق بين المخلوق والخالق ، حتى لم يبق عذر لمعتذر عن الجهل بحكم الإسلام وطريقته فى هذا الأمر الخطير .

ولما كانت مصر والشام فى دولة واحدة أيام السلطان الملك الناصر فى أوائل القرن الثامن وقع الجدل العلمى فى مسألة زيارة القبور ، وما هو المشروع منها ، وهل الغرض منها العظة والاعتبار والدعاء لأصحابها ، أم دعاؤهم وأن يطلب منهم ما يطلب من الله . وهذا الموضوع لا يجوز تحديده إلا بالنصوص الشرعية ، ولذلك طلب السلطان الملك الناصر من شيخ الإسلام ابن تيمية أن يكتب له فيه تقريراً علميا محدداً قاطعا يتوصل فيه إلى الحكم الشرعى الذى لا يجوز لمسلم أن يحيد عنه إلى ما يخالفه . فكتب له الكتاب الأول من هذين الكتابين وهو (الجواب الباهر فى زوار المقابر) بناه على النصوص القاطعة التى عمل بها الصحابة والتابعون وأخذ بها الأئمة الأربعة جميعا بلا استثناء ولا سيما الإمام مالك إمام دار الهجرة الملازم للمسجد النبوى والمجاور للبقيع ومدافن أولياء الإسلام الأولين من الصحابة والتابعين .

وكان من الذين غلب عليهم الاشتغال بفروع الفقه ، ولم يتسع علمهم بالسنة ودواوين الحديث ، عالم من المعاصرين لابن تيمية هو قاضى المالكية بدمشق علم الدين بن شمس الدين الأخنائى (٦٦٤ - ٧٣٢) فألف ردا على ابن تيمية فى مسألة الزيارة وشد الرحال إلى غير

المساجد الثلاثة ، فأجاب عليه ابن تيمية بالكتاب الثانى من هذين الكتابين ، وفيه بيان أبسط وأوسع مما فى الجواب الباهر ، وقد بين فيه ابن تيمية لمعاصره الأخنائى - الذى كان يتولى القضاء على مذهب الإمام مالك - أنه قد خالف إمامه فى هذه المسألة ، وأورد له نصوص الإمام مالك وكبار علماء مذهبه فى موضوع الزيارة وشد الرحال إليها .

وكتاب (الجواب الباهر) طبع الآن للمرة الأولى عن مخطوطة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق فى المجموع رقم ١٢٩ ، علقها لنفسه عبـــد الله بن يعقوب الإسكندرى المتوفى سنة ٧٥٤ وله ترجمة فى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر .

والرد على الأخنائى سبق للمطبعة السلفية طبعه فى سنة ١٣٤٦ عن نسخة بخط الشيخ حسين بن حسن بن حسين بن على بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتبها سنة ١٣٠٣ ثم أعاد نشره الآن فى المطبعة السلفية - مع الجواب الباهر - فضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الملك ابن ابراهيم رئيس هيئات الأمر بالمعروف فى الحجاز ، وعين أعيان الحجاز ناشر علم السلف الشيخ محمد نصيف . وقام على تصحيح الكتابين الأستاذ الفاضل الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع . وتولى تخريج أحاديثهما العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى مدير مكتبة الحرم المكى الشريف ، أحسن الله إليهم جميعا وجزاهم أفضل الجزاء .

تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها

للسيد سليمان الندوى رحمه الله — ٥١ ص — المطبعة السلفية بالقاهرة

هذه دراسة علمية نفيسة قام بها كبير علماء مسلمى الهند السيد سليمان الندوى رحمه الله عند ما نجمت فى الهند قبل حوالى ثلاثين عاما فرقة زعمت أن قانون الإسلام هو القرآن وحده وأن السنة إنما كانت أحكاما مؤقتة لأهل العصر النبوى وهى الآن عديمة الجدوى ! وسمت هـذه الفرقة نفسها (أهل القرآن) ، فكتب السيد سليمان الندوى هذه الرسالة باللغة الأوردية يبين لهم فيها خطلهم ونشرها فى مجلته الهندية (معارف) وقام بترجمتها العالم الفاضل الشيخ عبد الوهاب الدهلوى ونشرت فى المجلد الـ ٣٠ من مجلة المنار . والآن قام مترجمها الأستاذ الدهلوى مع صديقه الكريم الشيخ محمد نصيف بطبعها مستقلة لمناسبة تجدد هـــذه الضلالة فى مصر ممن لم يدرس علم السنة دراسة علمية عن أهلها ، وإنما تلقف الشبهات والشكوك من هنا وهناك ، وفهم بعض النصوص على غير وجهها ، ونسب إلى العلماء نصوصا

أوردوها عن غـــيرهم ليردوا عليها ، أو أرادوا بها غير ما فهمه منها . فعمد مترجم الرسالة والأستاذ الشيخ محمد نصيف إلى تجديد نشرها دفعا لهذا الشر الجديد ، أجزل الله لهما المثوبة .

الخطاط البغدادى ابن البواب

بتحقيق العلامة السيد محمد بهجة الأثرى — متن ٣٥ ص + ٩ لوحات أثرية + تحقيقات وتعليقات ٩٣ ص

تراث الإسلام العظيم كنز واسع لا يحاط به ، ومن عناصره الفنية (الخط العربى) وأعلام رجاله فى مختلف القرون ، وما تقلب فيه من أطوار .

ومع أن الترك - من زمن الانقلاب الكمالى - آثروا قطع الصـــلة بينهم وبين تراث الإسلام العظيم وكنزه الواسع الذى لا يحاط به ، فإن خـزائن كتب القسطنطينية التى جمعها سلاطين آل عثمان ووزراؤهم ورجالهم من البلاد العربية وغـــيرها لا تزال إلى الآن تزخر بكنوز الإسلام . وقد قام أخيرا الدكتور سهيل أنور مـدير معهد تاريخ الطب فى جامعة استنبول بتأليف رسالة صغيرة عن الخطاط البغـدادى على بن هـلال المشهور بابن البواب (المتوفى سنة ٤١٣ وقيل سنة ٤٢٣) وزينها بنماذج من بقايا خطوط ابن البواب الموجودة هناك . وفى إبان زيارته بغداد منذ عهد قريب أهـدى إلى وزارة المعارف العراقية نسخة من هذه الرسالة المؤلفة عن خطاط بغدادى عظيم ، فأهدتها وزارة المعارف إلى المجمع العلمى العراقى فرأى المجمع أن يبادر بترجمتها ونشرها ، وعهـد بذلك إلى أكبر رجاله اضطلاعا بهذه التحقيقيات العلمية النفيسة وهو الأستاذ العلامة الـكبير السيد محمد بهجة الأثرى مـدير الأوقاف العـام فى الجمهورية العراقية ، فأبرزها فى أنفس حلة ، وأضاف إلى ترجمة الأصل تحقيقات وتعليقات قيمة جداً فى نحو ثلاثة أضعاف حجمها ، وطبعت فى مطبعة المجمع العلمى العراقى فى هذا العام ، فـكانت من أنفس آثاره .

الحيـاة الأدبية فى العصر الجاهلى

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى — الطبعة الثانية — ٥٠٣ ص — مكتبة النجاح فى النجف

سبق طبع هذا الـكتاب سنة ١٣٦٨ فى ٣٧٦ صفحة ، وأعيد طبعه الآن سنة ١٣٧٨ ، وقد مهد له المؤلف بفصل عن الأدب بين الذوق واللغة ، وكسره على ثلاثة أبواب : أولها عن المؤثرات فى الأدب الجاهلى ، وثانيها عن النثر الجاهلى ، والباب الثالث عن الشعر الجاهلى . وخاتمة الـكتاب عن الحياة الأدبية وما قيل فى الـكتاب .

توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب – للرمانى

بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى — ٤٠ + ٣٢٤ ص — مطبعة الجامعة السورية بدمشق

أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (٢٩٦ — ٣٨٤) من كبار شيوخ العربية فى القرن الرابع . أخذ العلم عن ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١) وابن السراج (وفاته ٣١٦) وأبى إسحاق الزجاج (٢٤١ - ٣١١) . ومن أقرانه أبو على الفارسى (٢٨٨ - ٣٧٧) . ومن تلاميذه أبو حيان التوحيدى (وفاته ٤١٤) وعلى بن المحسن التنوخى (٣٥٥ - ٤٤٧) وهذه الطبقة

وكتابه هذا من الكتب العزيزة النادرة منذ قرون كثيرة ، ولا تعرف الآن مخطوطة منه إلا التى اتخذها الناشر أساساً لتحقيق الكتاب ، وهى فى المكتبة الوطنية بباريس برقم ٣٣٠٣ كتبت سنة ٨٠٤ وكاتبها عامى جيد الخط .

ومحقق الكتاب صديقنا الألمعى سعيد الأفغانى أستاذ العربية فى الجامعة السورية بدمشق ، وقد نوهنا فى ص ٦٦٤ من السنة الماضية بتحقيقه كتابى (الإغراب فى جدل الإعراب) و (لمع الأدلة) كلاهما لابن الأنبارى . وأثر فضله فى هذا الكتاب أضعاف ما رأينا منه فى كتبه السابقة ، ولذلك وقع موقع التقدير من الجامعة السورية فقررت نشره وطبعه بمطبعتها .

وموضوع الكتاب أبيات المعانى ولا سيما الملغزة ، وأبيات المعانى هى التى لا يتضح معناها لغير العلماء بها لدلالتها على أحوال خاصة من عيش الجاهليين ومن إليهم فى البادية وغيرها ، فعبرت عن ذلك بما يألف العرب قديما من حياة حيوان وصفات متاع وأوضاع لغوية واستعارات ومجازات لم تنتقل إلى البيئات الحضرية فخفيت معانيها من حيث غرابة ما تصف عن أهل الحضر ، لا من حيث غرابة اللفظ . وكتاب الرمانى انطوى على تفسير ٢٥٦ بيتا هى أبيات معان وأبيات ألفاظ ونحو ثلثها أبيات ألغاز ، فمدار الإشكال فيها على اللفظ والإعراب وما هو أعقـــد من ذلك ، فالبيت فى رسمه لك يصور لك اللفظ تصويراً صحيحا يتزلزل معه الإعراب ، فما كان يظن أنه مرفوع إذا به فى حقيقته مجرور ، والكلمات المتجاورة قد يتضح لها معنى فى بادئ الرأى ، حتى إذا مضيت مع الرمانى فى توجيهه وضح لك المعنى وأيقنت بصحة اللفظ ورحت ترسم الشاهد بعد أن فهمت معناه رسما غير الرسم الذى قدم لك ، وإن كان لفظ الرسمين واحداً .

إن الأستاذ الأفغاني فيما بذله من عناية وبصيرة وبحث لرد أخطاء المخطوطة إلى الصواب الذى كانت عليه جدتها الأولى فى عصر المؤلف قد تعب أضعاف تعب المؤلف ، وماكان من ذلك بد ، وإلا كانت هذه المخطوطة كأنها معدومة . أما تعليقاته ومافيها من تراجم وتحقيقات وإحالات وفوائد فهى كتاب آخر نفيس . وقد ذيل الكتاب بأربع فهارس : أحدها مسرد للأعلام أفرادا وجماعات وأماكن. والثانى للكتب والمصادر. والثالث للقوافى. والرابع للطالب

نهنئ محقق كتاب الرمانى بجهوده ، والمكتبة العربية فى انتظار أمثال هذه النفائس .

حقائق عن قضية فلسطين

هى تصريحات وأحاديث للسيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا ، كشف بها الستار عن أسباب كارثة فلسطين وعلاقاتها بالمؤامرات الدولية اليهودية . وكانت قد نشرت بشكل مقالات وأجوبة فى إحدى الصحف اليومية . ثم طبعت مرتين فى كتاب مستقل سبق لنا التنويه به . وهذه الطبعة الثالثة قد أضيف إليها تعليقات على بعض الفصول ، وملحق بشأن تسليح الفلسطينيين وتجنيدهم ، والمساعى التى تقوم بها الهيئة العربية العليا لتشكيل جيش فلسطينى يشارك فى إنقاذ فلسطين . وفى هذه الطبعة بعض الخرائط والصور مما له علاقة ومشاركة فى موضوع الكتاب ، وفصل أخير لخص فيه أهم التطورات والحوادث . إن هذا الكتاب وثيقة عن القضية الفلسطينية والجهاد فى سبيلها ترجح على أكثر ما نشر فى موضوعها .

القرآن والحديث لنستمد منهما تشريعنا

للأستاذ عمر الطيبى — ١٤٠ ص — طبع دمشق

المؤلف من أفاضل كتاب دمشق ، ومن بيت علم إسلامى عريق فيها ، وهذا الكتاب جذوة غيرة وحماسة للبعث الإسلامى ، والرجوع إلى سنن الإسلام وأنظمته فى البيت والسوق والمجتمع . وكل صفحة فيه تنم عن مراقبة المؤلف للمحيط الإسلامى ، وما يحدث فيه أو يقال عنه مما له صلة بالخير أو الشر لتأييد ما فى ذلك من خير والتنبيه على مواطن الشر لاتقائه ، فنرجو الله أن ينفع به قارئيه .

الأدب والعلوم

بعثة علمية عربية

إلى الاتحاد السوفيتي

رشح المجلس الأعلى للعلوم برياسة وزير التربية والتعليم خمسين عالما وأستاذا للسفر بمهام علمية إلى الاتحاد السوفيتي، وقد تم اختيارهم من بين مرشحى الهيئات العلمية والوزارات، وروعى فى اختيارهم أن يكونوا ممن لهم مراكز فى القيادة والخبرة العلمية الممتازة فى موضوع التخصص. وسيلبثون فى روسيا عاما دراسياً على الأقل ويعودون مزودين بأحدث ما وصل إليه العلم فى موضوعات تخصصهم، وبدراسات عامة تشمل التنظيم العلمى لهذه الموضوعات وبرامجها وأدواتها، على أن يعودوا لمباشرة عملية التطور فى الجهات التى يعملون بها. وسيلحق بهم وفد آخر من الإقليم السورى من بين أساتذة جامعة دمشق.

تعريب مصطلحات البترول

قام المجمع العلمى لجمهورية العراق بمجهود قومى مشكور فى تعريب المصطلحات فى صناعات البترول، وقد تناول فى ذلك ١٣٩ مصطلحا خاصا بأعمال التنقيب، والحفر، والإنتاج، والتصفية. وأصدر بذلك كتيبا سيكون فى أيدى المهندسين والقائمين بشئون البترول، ليستعملوا المصطلحات العربية بدلا من المصطلحات الانجليزية.

العسكرية

مادة أساسية فى التعليم الثانوى

أصبحت التربية العسكرية مادة أساسية فى المدارس الثانوية العامة والفنية، سواء منها مدارس البنين ومدارس البنات. ويعدون فى الإسكندرية صفوف المدرسين الذين سيعهد إليهم بتعليم هذه المادة لطلبة المدارس الثانوية. وقد اتخذت مدرسة أبى قير الإعدادية معسكراً لهؤلاء المدرسين، وهم ضباط احتياطيون من المعلمين المدرسين أنفسهم، وسيتعلمون كل شىء عن العسكرية، وفى مدرسة معلمات الورديان بالإسكندرية فرقة من المدرسات ومفتشات التربية العسكرية يدرسن نفس البرنامج لتعليم الطالبات فى مدارس البنات الثانوية، وأهم شىء فى تعليم الطالبات تمرينهن على الإسعاف والتمريض.

المعسكر الكشفى فى الزبدانى

افتتح وزير التربية والتعليم - بصفته رئيس

المجلس الأعلى لرعاية الشباب فى الجمهورية العربية المتحدة - المعسكر العربى الكشفى الثالث فى منطقة الزبدانى من أعمال دمشق . وقد استعرض الوزير وكبار رجالات الإقليم السورى مئات الكشافين والمرشدات من مختلف البلاد العربية . ثم ألقى الوزير كلمة الافتتاح فحيا - باسم العروبة - المجتمعين من شتى أنحاء الوطن العربى وقال : إننا نحيى معكم إخواناً لنا من أقطار أخرى حالت الحوائل دون اشتراكهم فى هذا المعسكر العربى الجامع . ونحيى معكم الشباب العربى فى بقاع أخرى من الوطن العربى لهم مثل حرصكم على هذا الاجتماع فى أرض الشام الذى صارع الطغيان ، وعمل للحرية حتى نالها ، وللوحدة حتى تحققت فتحققت بذلك أول خطوة نحو الوحدة .

التوسع فى التعليم الابتدائى

كان المقرر أن يقبل فى السنة الأولى من المدارس الابتدائية - فى الإقليم المصرى هذا العام خمسمائة ألف تلميذ جدد ، ثم تبين أن هذا العدد أقل مما يقتضيه الإقبال على التعليم الابتدائى فتقرر أن يقبل مائة ألف تلميذ آخر ليصبح عدد الذين سيقبلون بالابتدائى ٦٠٠ ألف تلميذ . وتقرر افتتاح ١٩٤٠ فصلا جديدا للسنة الأولى فى مختلف أنحاء الإقليم المصرى . وسيعين لهذه الفصول ٢٣٢٨ مدرسا ومدرسة علاوة ٤٦٠٠ مدرسة أخرى كان قد تقرر تعيينهن من قبل .

الأزهر والعالم الإسلامى

فى يوم الخميس ١٣ من صفر سنة ١٣٧٨ (٢٨ من أغسطس سنة ١٩٥٨) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر : السيد قنصل الفيلبين وكان الحديث يدور حول التمهيد لقبول الطلاب الوافدين من جزر الفيلبين ، وزيادة عدد المقيدين منهم بالأزهر وأهمية التعليم الدينى الذى يتلقى فى الجمهورية العربية وأثره فى تقوية الوعى الدينى والوطنى فى تلك الجهات .

كما استقبل فضيلته فى نفس اليوم الشيخ عبد الله بن تركى مفتش العلوم الشرعية بقطر ، وتناول الحديث إيفاد مبعوثين من الأزهر للنهوض بالتعليم الدينى فى البلاد .

وفى يوم الاثنين ١٧ صفر (أول أغسطس) استقبل فضيلته سمو الأمير على عبد الكريم سلطان لحج ، ودار الحديث حول القضايا العربية وأهمية الاتحاد فى بلوغ الأهداف التى يسعى إليها العرب ، والدور الكبير الذى تقوم به الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الشأن .

أنباء العالم الإسلامي

المشروع العربي

لإنهاء أزمة الشرق الأوسط

هذه أول مرة يجمع فيها أعضاء الأمم المتحدة - الضالعون منهم مع الشرق أو مع الغرب أو المحايدون - على مشروع يعرض على الجمعية العامة . إن الدول العربية هي التي تولت بنفسها وضع المشروع الذي أنهى أزمة الشرق العربي . وكان الدكتور محمود فوزي قد اتصل تليفونيا من أمريكا بالرئيس جمال عبد الناصر بالقاهرة ، وبعد هذا الاتصال أعلنت الوفود العربية العشر اتفاقها بالإجماع على مشروعها لحل الأزمة ، وهذا نصه :

الجمعية العامة

بعد الاطلاع على البند الثاني من جدول الأعمال الذي يتعلق بالمسائل التي نوقشت في اجتماع مجلس الأمن يوم ٧ / ٨ / ١٩٥٨ ، وقد أخذت علما بأن ميثاق الأمم المتحدة يدعو الدول الأعضاء للتعاطف والعيش معاً في جيرة حسنة . كما أخذت علماً بأن الدول العربية قد وافقت في ميثاق جامعة الدول العربية على تقوية الروابط على أساس احترام استقلال وسيادة كل دولة ، وبذل الجهد في سبيل تحقيق الخير المشترك لجميع الدول العربية ورفع مستواها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها . ورغبة في إزالة التوتر الدولي .

« القسم الأول » :

أولا - نرحب بالتأكيدات المجددة التي قدمتها الدول العربية لمراعاة نص المادة الثامنة من ميثاق جامعة الدول العربية التي تقول : تحترم كل من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الأخرى وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول ، وتتعهد بألا تقوم بعمل يرمى إلى تغيير ذلك النظام فيها . . ثانياً - تدعو جميع الدول الأعضاء أن تراعي بدقة العمل طبقا لمبادئ الاحترام المتبادل بين الدول لسيادة كل دولة وسلامة أراضيها والامتناع التام عن التدخل في الشئون الداخلية من بعضها لبعض ، ومراعاة المصالح

المشتركة ، والتأكد من أن جميع تصرفاتها سواء بالقول أو بالعمل تتفق وهذه المبادئ» .

« القسم الثانى » . يطلب من السكرتير العام أن يقوم فى الحال بالتشاور مع الدول المعنية ، وطبقاً لميثاق الأمم المتحدة ، ومع الأخذ بعين الاعتبار ما جاء فى القسم الأول من هذا القرار - باتخاذ الترتيبات العملية التى تساعد على احترام أغراض ومبادئ الميثاق فيما يتعلق بلبنان والأردن فى الظروف الحالية ، وذلك لتيسير إمكان سحب القوات الأجنبية من هذين البلدين فى موعد مبكر .

« القسم الثالث » : تدعو السكرتير العام للاستمرار فى دراساته التى تجريها فى الوقت الحاضر ، وأن يقوم ضمن هذه الدراسات بالمشاورات التى يرى ضرورة لإجرائها مع البلاد العربية فى الشرق الأدنى بغرض استطلاع إمكانيات تقديم المعونة فيما يتعلق بإنشاء (مؤسسة عربية لتنمية اقتصاديات هذه الدول) .

« القسم الرابع » : أولا - تطلب مع الدول الأعضاء أن تتعاون تعاوناً تاما فى تنفيذ هذا القرار . ثانيا - تدعو السكرتير العام أن يقدم تقارير بمقتضى هذ القرار كلما تراءى له ذلك ، على أن يقدم أول تقرير فى موعد لا يتجاوز ٣٠ سبتمبر »

المؤسسة المالية

للتنمية الاقتصادية العربية

وافقت جامعة الدول العربية على مشروع المؤسسة المالية للتنمية الاقتصادية العربية الذى قام بوضعه الدكتور عبد الجليـــل العمرى محافظ البنك الأهلى ، وكانت الجامعة العربية قد وضعت مشروعا لقيام مثل هذه المؤسسة برأس مال قدره عشرون مليون جنيه ، لكى تتولى تمويل المشروعات الكبرى فى البلاد العربية وتقوم بدور كبير فى التنمية الإقليمية .

ولما كان القرار العربى الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع قد جاء فى فقرته الأخيرة : « إن الجمعية العامة تدعو السكرتير العام للاستمرار فى دراساته التى يجريها فى الوقت الحاضر ، وأن يقوم ضمن هذه الدراسات بالمشاورات التى يرى ضرورة لإجرائها مع البلاد العربية فى الشرق الأدنى بغرض استطلاع إمكانيات تقديم المعونة فيما يتعلق بإنشاء مؤسسة عربية لتنمية اقتصاديات الدول العربية ، فقد طلب مستر داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة صورة من المشروع العربى للمؤسسة المالية الذى أشرنا إليه .

وتحت يد همرشلد الآن ثلاثة مشروعات لهذه المؤسسة المالية للتنمية : أولها مشروع الجامعة العربية للمؤسسة برأس مال قدره

عشرون مليون جنيه تدفع على أساس نصيب كل دولة من الدول العربية المشتركة فى الجامعة ويتوم الجنيه فيها على أساس سعره بالذهب وتكون على ألفى سهم ثمن كل سهم منها عشرة آلاف جنيه .

ثانيها المشروع الأمريكى ، وهو لا يزال خطوطا عريضة أهم ما فيها أن تكون المؤسسة تحت إشراف الأمم المتحدة ، وأن تكون صلتها بالبنك الدولى مباشرة ، وتقدم الأمم المتحدة جزءاً من رأس مالها ، وأمريكا جزءاً آخر يقدرونه بمائة مليون دولار ، وتشترك الدول العربية فى الجزء الباقى منه .

ثالثها مشروع قدمته بعض شركات البترول المهتمة بالشرق الأوسط ، وهو ينص على أن تخصم نسبة ١٠٪ من الأرباح السنوية لعمليات البترول فى الشرق الأوسط يتألف منها رأس مال مصرف إنماء عربى يستطيع تمويل المشاريع العمرانية والصناعية فى العالم العربى ، ولا يقل رأس مال المصرف المقترح عن ٥٠ مليون جنيه سنويا .

والدول العربية تفضل أن يكون الأساس هو المشروع الذى أعده الدكتور عبدالجليل العمرى ، ووافقت عليها الدول العربية جميعها .

العراق فى الجامعة العربية

كانت العراق فى عهد صنائع الاستعمار قد تلكأت فى دفع حصتها من نفقات الجامعة العربية .

وفى ١٢ صفر (٢٧ أغسطس) أودعت حكومة الجمهورية العراقية مبلغ ١٣٥ ألف دينار عراقى فى البنك المركزى بالقاهرة لحساب الجامعة العربية ، وهو حصة العراق فى ميزانية الجامعة لهذا العام ، ويعادل هذا المبلغ ١٣١ ألف جنيه مصرى .

كما أودعت حكومة الجمهورية العراقية بالبنك نفسه مبلغ ٤٥ ألف دينار بجزء من المبالغ المتأخرة عليها للجامعة من زمن العهد البائد .

الانجليز فى الخليج العربى

كانت حجة الانجليز فى دسهم أصابعهم فى الخليج العربى قربه من الهند التى كانوا يعدونها درة فى تاج امبراطوريتهم التى لم تكن تغيب الشمس عنها ، ثم مجاورته للعراق التى كانت تحت انتدابهم ، فلما عادت الهند لأهلها ، وتقلص ظل الانجليز البغيض عن العراق وكثير من أقطار الشرق التى كانوا يقيمون على استعبادها بناء إمبراطوريتهم ، صاروا يشعرون بأنهم فى الخليج العربى غرباء

منقطعون ، وأن مصيرهم فيه سيكون كمصيرهم فى الهند وكمصيرهم فى العراق .

وأخيراً بعد أن فرضت الدول العربية والسودان (الحاجز الجوى) الذى يمنع الطائرات البريطانية من المرور فوق أراضيها إلا بإذن خاص ، ضعفت مقدرة بريطانيا على مواجهة الوعى القومى الجديد فى الخليج العربى ، وستضعف هذه المقدرة أكثر وأكثر إذا فرضت عقبات مماثلة فى طريق القوات البحرية .

ومن العقبات التى يتصور الانجليز إمكان قيامها فى طريقهم البحرى إلى الخليج العربى ، احتمال وضع ألغام فى مضيق عمان الذى يبلغ عرضه ٣٠ ميلا والذى يعتبر مدخل الخليج العربى .

لذلك رأينا الانجليز فى هذا الشهر يتخذون احتياطات لهذه الاحتمالات التى يتصورونها لإغلاق مداخل البحر المؤدى إلى الخليج ، وصرحت المصادر البحرية بلندن بأن مدمرات بريطانية ـ ثلاث منها قدمت من أزمير وواحدة من قبرص ـ مرت بقناة السويس لتعزيز القوات البحرية البريطانية فى منطقة الخليج العربى .

مسكين دافع الضرائب البريطانى ، إنه يتكبد جزءاً كبيراً من نتاج عمله وجهده لينفق على هذه القوات التى تذرع البحار احتفاظاً بالأوهام الاستعمارية التى انقضى عصرها ، ولو ثاب البريطانيون إلى رشدهم لأراحوا أنفسهم من هذه الأوهام وعادوا تجاراً شرفاء يعيشون مع الناس بمجهودهم التجارى والصناعى فى جزائرهم فإن عصر القرصنة قد انتهى ، والكسب الحرام من هذه القرصنة لا يجر على أصحابه إلا الوبال والخسار .

جبهة جهاد جزائرية

فى قلب فرنسا

انتقلت الحرب الجزائرية إلى فرنسا ، إلى قلب باريس والمدن الفرنسية الكبرى تسللت فرق من الوطنيين الجزائريين إلى فرنسا وقامت بعملية جهاد عسكرية من الطراز الأول . هاجمت إحدى الفرق مركز البوليس الفرنسى فى باريس بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ، قتل الجزائريون ٤ من الجنود الفرنسيين ونسفوا المركز ، وهاجموا جراج البوليس ، كما هاجموا محطات توليد القوى الكهربائية .

وقامت فرقة جزائرية أخرى بنسف عشرة مستودعات للبترول فى مرسيليا وتولوز وناربون اشتعلت النار فى المستودعات العشرة وامتدت

ألسنة اللهب إلى ارتفاع مائة متر فوق تولوز ، تمت هذه العمليات كلها فى فجر يوم ٢٥ / ٨ ، وخسر الاقتصاد الفرنسى آلاف الملايين من الفرنكات ، واستمرت حرائق مستودعات البترول إلى اليوم الثانى فاليوم الثالث ، وقد أثار نسف المستودعات وانفجاراتها الرعب فى نفوس سكان المناطق القريبة من أماكن الحريق ، والمعتقد أن أكثر من مليونى لتر من البترول قد احترق ، وكان هذا الحادث أعنف ما قامت به جبهة التحرير الوطنى الجزائرية منذ بدأت الثورة الجزائرية من نحو أربع سنوات ، وقد ألغيت جميع إجازات رجال البوليس فى باريس لمواجهة العنف الذى يقوم به الوطنيون الجزائريون فى العاصمة الفرنسية .

وبعد يومين (أى فى ٢٧ / ٨) نسف الجزائريون أربعة مستودعات أخرى للبترول فى جهة بنى كيفيلى ، وفى فجر اليوم التالى (٢٨ / ٨) نسفوا مستودعين آخرين بالجهة ذاتها ، وقد أطلق الفرنسيون الرصاص على الجزائريين الذين قاموا بالمغامرة الأخيرة فأصيب واحد منهم ونقل إلى المستشفى حيث توفى .

وقد أخذت السلطات الفرنسية فى فرنسا تنتقم من المسلمين الموجودين فى فرنسا من أبناء الجزائر وسائر شمال إفريقية فاعتقلت منهم أكثر من ألفين ، والبوليس يضايق الآخرين بالمراقبة والتفتيش والاعتقال .

بترول غرب غارب

تكللت بالنجاح حفريات البئر الجديدة فى منطقة غرب غارب ، فتدفق البترول منها بمعدل ٤٠٠ طن يوميا ، وبضغط مقداره ٧٥ رطلا على البوصة المربعة ، مما سيجعل البترول يتدفق بدون حاجة إلى مضخات . وتقوم الشركة التى تولت حفر هذه البئر بتحليل نماذج البترول الناتج منها لتحليل خواصه الطبيعية والكيماوية .

ومنطقة غرب غارب هذه تبعد ٣٠ كيلو مترا جنوبى حقل بكر للبترول الذى اكتشفته الشركة نفسها فى ربيع هذا العام .

لجان بترولية صناعية

تألفت فى الهيئة العامة للبترول ثلاث لجان صناعية : الأولى لبحث صنع المنظفات من مخلفات البترول ، والثانية لتصنيع الغازات المتصاعدة من آبار البترول والتى تضيع هباء ، وستبحث اللجنة الثالثة إنتاج البلاستك وبعض الكيماويات الأخرى من المخلفات .

النيـــــــل

بين شطرى الجنوب والشمال

أرسلت الجمهورية العربية المتحدة مذكرة إلى حكومة السودان يوم ٧/٩ بشأن خروج الرى السودانى على اتفاقية مياه النيل بالحجز على خزان سنار يوم ٢ يوليو دون مراعاة للشروط الواردة فى اتفاقية مياه النيل المعقودة بين البلدين سنة ١٩٢٩ ، فأجابت حكومة السودان على هذه المذكرة بمذكرة سلمتها إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى الخرطوم فى ٨/٢٠ وقالت فيها : إن حكومة جمهورية السودان لم تعترف بأن اتفاقية سنة ١٩٢٩ ملزمة لها ، فقد أبرمت تلك الاتفاقية بين بريطانيا ومصر بجزء من مساومة سياسية دون اعتبار لمصالح السودان .

وقد لفتت الصحف المصرية أنظار الحكومة السودانية إلى أن اتفاقية سنة ١٩٢٩ ترتب التزامات تمتد إلى منابع النيل حيث تتعهد الدول المشرفة على هذه المنابع بألا تقوم بأية أعمال إنشائية تتصل بمياه النيل إلا بعد موافقة مصر ، فاذا حاول السودان أن يتحلل من قيوده فى هذه الاتفاقية فان ذلك سيكون سابقة خطيرة تجد منها دول أخرى منفذا للإضرار بمصالح كل من مصر والسودان .

عيد استقلال الأفغان

احتفلت افغانستان بمرور ٤٠ عاما على استقلالها ، فأقيم عرض عسكرى كبير بهذه المناسبة شوهدت فيه الدبابات الروسية الحديثة والمدافع المضادة للطائرات ، والطائرات النفاثة من طراز ميج ، وأجهزة الرادار ، وعدد من المركبات المصفحة الروسية ، وقد اشتركت فى هذا العرض العسكرى وحدات من الجمهورية العربيه المتحدة ودول أخرى .

طريق الإسكندرية الصحراوى

تفجرت المياه الجوفية من بئرين من الآبار الجوفية التى تم حفرها على طريق الإسكندرية الصحراوى عند الكيلو ٨٤ والكيلو ٦٢ . وقد جلبت هاتان البئران مياها جوفية لم تنبثق منذ آلاف السنين . وسيباشر دق آبار جوفية على نقط أخرى من هذا الطريق ، ويبشر هذا النجاح المبدئى بإمكان زراعة مساحات كبيرة من الأرض على جانبى الطريق الصحراوى تقدر للمرحلة الأولى بعشرة آلاف فدان .

وقد استعمل فى أبحاث المياه الجوفية جهاز خاص استورد من روسيا يستطيع استخراج المياه من عمق يصل إلى ألف متر ، كما يستطيع تحليل هذه المياه تحليلا آليا لمعرفة صلاحية استعمالها فى الرى .

الفهرس

نداء وتوجيه

من فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع الأزهر

إلى أساتذة الأزهر وطلابه

قرار

يحتم دراسة اللغات الأوروبية الحية فى جميع مراحل التعليم بالأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

نداء وتوجيه

من محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر
إلى إخوانه وأبنائه أساتذة الأزهر وطلابه

إخواني ، أبنائي :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد .

فإني أبعث بتهنئتي وخالص تحياتي إليكم جميعاً بمناسبة افتتاح العام الدراسي لسنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ - ١٩٥٩ م) .

ومن المبشر بالخير لعامنا الدراسي هذا أن يقترن افتتاح الدراسة فيه بذكرى مولد الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وبذكرى رسالته وهي رسالتكم التي تحملون لواءها ، وتعملون على نشرها .

وهذا الاقتران سيدفعنا إلى تذكر القيم الإسلامية الرفيعة ، ويحملنا على أن نتمثلها في أنفسنا : في تصرفاتنا الخاصة ، وفي علاقة بعضنا ببعض ، وفي علاقة الأساتذة بأبنائهم الطلاب ، والطلاب بأساتذتهم وفي علاقتنا جميعاً - كحملة لهذه الرسالة - بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

ومن أخص هذه القيم التي يجب أن تتمثل في نفوسنا : أداء الواجب حباً في أدائه ، والإسهام في كل عمل من شأنه أن يؤدي إلى خير مجتمعنا الصغير في الأزهر ، ومجتمعنا الكبير في الوطن العزيز ، والإيمان بمسئوليتنا في الوطن العربي والإسلامي الكبير ، وما يقتضيه ذلك الإيمان من تسليح أنفسنا بالعلم والأخلاق ، وتحصينها ضد الأثرة والهوى ، والسمو بها إلى مراتب التضحية والإيثار ، وبيعها لله في سبيل طبع وطننا الكبير ، وعالمنا الإسلامي والعربي بطابع الثقافة الإسلامية الفاضلة ، وتحصينه ضد نفثات الاستعمار الوافدة إلينا ، الرامية إلى إفناء شخصيتنا العربية والإسلامية .

ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أوجه نظر رسل الأزهر من الأساتذة المبعوثين إلى الأقطار العربية الشقيقة والبلاد الإسلامية ، إلى أنه بجانب ما تقدم - يجدر بهم ، أن يحملوا فى أنفسهم وفى تصرفاتهم الخاصة والعامة وفى أداء واجبهم هناك ، رسالة الأزهر ، ورسالة الوطن العزيز الذى نشأ فيه الأزهر ، والذى يحمل قادته اليوم رسالة العلم والمعرفة والأخوة الصافية ، إلى البلاد العربية الشقيقة والبلاد الإسلامية ، وإذا ذكروا الوطن العزيز فى نفوسهم طوال إقامتهم لأداء واجبهم هناك فليذكروا معه تلك الرعاية التى توجهها حكومة الثورة إلى تمكين الأزهر من تأدية رسالته ، وإلى تلك الأهداف التى رسمتها فلسفة الرئيس جمال عبد الناصر لتمكين أواصر القربى بين البلاد العربية والإسلامية فى آسيا وإفريقيا .

إخوانى وأبنائى :

إن ٤٠٠ مليون مسلم ينظرون إليكم على أنكم خلفاء أنبياء ، وإلى الأزهر على أنه جامعة السماء إلى الأرض ، وإلى رسالتكم على أنها هداية الله للناس ، فسيروا فى إعداد أنفسكم ، والوصول إلى هدفكم فى صبر وإيمان ، والله يتولانا جميعا برعايته ، ويفيض علينا من هديه حتى نلتقى جميعا فى وحدة قوية شاملة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

تحريراً فى { ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ
٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٨ م }

محمود شلتوت
وكيل الجامع الأزهر

قــــــرار

رقم ١١٥ بتاريخ ٢٩ - ٩ - ١٩٥٨

شيخ الجامع الأزهر

بعد الاطلاع على مذكرة فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر المرفوعة إلى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية والخارجية بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٥٨ بخصوص اقتراح إدخال اللغات الأوربية فى مناهج التعليم بالأزهر وجعلها مادة أساسية .

وعلى مذكرة فضيلته المؤرخة فى ٢٥ / ٩ / ١٩٥٨ المتضمنة :

ولما كان الأزهر جامعة المسلمين الكبرى التى تحمل لهم رسالة الثقافة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها من يعرف منهم اللغة العربية ومن لا يعرفها . كما أنه قبلتهم التى يتجه إليها أكثر من ٤٠٠ مليون مسلم ليتعلموا منها ثقافتهم الإسلامية والعربية التى تغذى أرواحهم وعقولهم وقلوبهم وتبرز مقومات شخصيتهم .

ولما كانت غالبية المسلمين فى العالم لا يعرف اللغة العربية مما كان سببا فى إضعاف صلتهم بجامعتهم الإسلامية الكبرى ، وإضعاف صلتها بهم ، وفى تمكين الاستعمار من سلخ كثير منهم من شخصيتهم العربية والإسلامية .

ولما كانت الدول العربية والإسلامية قد نما فيها وعى الترابط والتساند والتحصين ضد الغزو الاستعمارى العقلى الذى يعمل على إفناء شخصيتها ، فقد اتجهت هذه الدول إلى الأزهر تطلب منه العون بإرسال العلماء والمدرسين والوعاظ من خريجى الأزهر الذين يعرفون اللغات الأجنبية إليهم لنشر الثقافة الإسلامية والعربية بينهم وتنشئة أبنائهم عليها ووقايتهم من التيارات الغريبة الوافدة إليهم .

ولما كان الأزهر بوضعه الحالى ـ نظراً لعدم توافر العلماء الذين يعرفون اللغات من أبنائه ـ غير قادر على تأدية رسالته على الوجه الأكمل فى هذه الدول وعلى الاستجابة إلى هذه الطلبات الكثيرة المتتابعة التى لا تجد رداً عليها من زمن بعيد سوى الصمت .

ولما كان سبب هذا القصور هو عدم دراسة اللغات الأجنبية بالمعاهد الدينية ، وقصر تدريسها على الكليات بصفة اختيارية مما لم يكن له أثر يذكر ، ولقد أصبح ذلك نقصا معيبا فى ثقافة أبناء أقدم جامعة فى العالم تحمل رسالة الإسلام والثقافة الإسلامية والعربية إلى جميع سكان الكرة الأرضية ولها تاريخها التليد فى حفظ هذه الثقافة ونشرها .

لهذا كان من الضرورى المسارعة إلى تدارك هذا النقص بإدخال اللغات الأجنبية فى الأزهر بصفة إجبارية وإصدار قرار بتكوين ثلاث لجان للنظر فيما يأتى :

١ — إدخال اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية فى مرحلتى التعليم بالمعاهد الدينية .

٢ — جعل هذه اللغات إجبارية فى المعاهد والكليات .

٣ — يخصص كل فريق من الطلبة بلغة معينة يوالى دراستها فى جميع مراحل التعليم .

٤ — بحث كل ما يلزم لإمكان تنفيذ ذلك ابتداء من هذا العام .

على أن تنتهى هذه اللجان من عملها قبل مضى خمسة عشر يوماً من تاريخه .

قرر

اعتبارا من صدور هذا القرار :

أولا : تؤلف اللجان الآتية :

(أ) لجنة اللغة الإنجليزية :

(١) الدكتور محمود حب الله عميد كلية أصول الدين .

(٢) الدكتور محمد البهى المراقب العام لمراقبة الثقافة الإسلامية بالأزهر .

(٣) الأستاذ أحمد خاكى عميد مفتشى اللغة الإنجليزية بوزارة التربية والتعليم .

(٤) « أحمد عبد الفتاح صقر المراقب العام للآداب بالأزهر .

(٥) « على الحفناوى رئيس قسم اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين .

(٦) « إبراهيم رهيبه مفتش أول اللغة الإنجليزية بالتعليم الثانوى .

(ب) لجنة اللغة الفرنسية :

(١) الدكتور محمد البهى المراقب العام لمراقبة الثقافة الإسلامية بالأزهر .
(٢) « محمد بن الفحام الأستاذ بكلية اللغة العربية .
(٣) الأستاذ عبد المنعم الصايغ المراقب المساعد للآداب بالأزهر .
(٤) « عمر على عزت مفتش أول اللغة الفرنسية بوزارة التربية والتعليم .
(٥) « حسن كامل أحمد مدرس اللغة الفرنسية بكلية المعلمين .

(ج) لجنة اللغة الألمانية .

(١) الدكتور محمد عبد الله ماضى الأستاذ بكلية أصول الدين .
(٢) الدكتور محمد البهى المراقب العام لمراقبة الثقافة الإسلامية بالأزهر .
(٣) الدكتور على حسن عبد القادر الأستاذ بكلية الشريعة الإسلامية ،
(٤) الدكتور محمود الدسوقى مدرس اللغة الألمانية بكلية الآداب .

ثانيا : تقوم هذه اللجان بالنظر والبحث فيما يأتى : —

(١) إدخال اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية فى مرحلتى التعليم بالمعاهد الدينية .
(٢) جعل هذه اللغات إجبارية فى المعاهد والكليات .
(٣) تخصيص كل فريق من الطلبة بلغة معينة يوالى دراستها فى جميع مراحل التعليم .
(٤) بحث كل ما يلزم لإمكان تنفيذ ذلك ابتداء من هذا العام .

ثالثاً : على هذه اللجان الانتهاء من عملها قبل مضى خمسة عشر يوما من تاريخ صدور هذا القرار .

رابعاً : على إدارة المستخدمين تنفيذه .

١٤ ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ
٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ م

القائم بأعمال
شيخ الجامع الأزهر
إمضاء
محمود شلتوت

الفهرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ في وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الثالث ـ القاهرة : ربيع الأول سنة ١٣٧٨ ـ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٥٨ ـ المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى مولود

وحياة رسالة

ولد فى عام الفيل ...

كانت العربية السعيدة ، البلاد التى أنجبت هوداً ويعرب وسبأ والحارث الرائش وبلقيس وشمر يرعش ، تلك البلاد العريقة بالبطولة والمجد والمواهب السامية والسؤدد ، كانت يومئذ محتلة بـ ... الحبشة !

وكانت الكعبة ، بنية ابراهيم وإسماعيل ، أول بيت أقيم فى الأرض لعبادة الله وتوحيده واحتقار الوثنية ، قد دنسها عمرو بن لحى الخزاعى منذ عهد قريب بما حمل إليها من وثنية الأردن ، فعوقب أهلها بالغزاة البغاة أصحاب الفيل ، إيقاظاً لهم وإنذاراً وتحذيراً ...

وكان تراث قصى فى مكة ، وأنظمته فى قريش البطاح وقريش الظواهر ، قد اعتراهما الوهن والتعطيل ، بما طرأ على أم القرى فى وقعة الفيل ...

بل كانت آفاق الشمال التى أنجبت صالحا وشعيبا وقرونا بين ذلك كثيرا ، قد قبعت بأهلها

بين الأودية والأطواد ، منزوية بعقولهم ومواهبهم ، لئلا تدنسها حضارة فارس والروم بما ابتليتا به من الكذب والسرف والرياء ، والهلع والشهوات والاستخذاء .

إن العروبة - من عدن وسواحل حضرموت إلى مشارف الشام ، ومن سيف الخليج العربى إلى شطآن القلزم - كانت فى سنة هذه الذكرى ، أى فى عام الفيل ، غارقة فى بداوتها ، وفى كل ما فى البداوة من فطرة وبساطة ، وتقشف وخشونة ، وحرية وأريحية ونبل . غير أن بداوة العروبة امتازت على كل بداوة أخرى عرفتها الإنسانية فى الأرض ، من أوغل دهور الإنسانية فى القدم إلى أن تقوم الساعة . لقد كانت الأمم الأخرى وهى فى طور بداوتها هزيلة المدارك ، ضئيلة العقول ، فقيرة فى لغاتها التى هى ترجمان المدارك ، فلم تكن لأمة من الأمم وهى فى بداوتها لغة يزيد عدد مفرداتها على المائة أو المئات ، أما هذه الأمة التى ظهر منها فى عام الفيل هذا المولود الممتاز - الذى تحتفل الدنيا الآن بذكرى ولادته - فانها امتازت فى بداوتها بسعة المدارك وألمعيتها ، ووفرة المواهب ونضوجها ، وسلامة الأخلاق وكرم معدنها ، وثراء لغتها الدقيقة الأنيقة التى هى مقياس الإنسانية ؛ لأن النطق صفة الإنسان ، وعراقته بعراقته ، وأصالته بأصالته ، وشرفه بشرفه .

من هذه الأمة الممتازة بألمعية العقل وبلاغة المنطق ، وأريحية الفطرة ونبلها وحريتها ، ظهر هذا المولود الممتاز بكل ما ميزه الله به على كل مولود غيره من بنى البشر . ثم ازدادت هذه الأمة - إلى شرف أنه منها - شرفا آخر ، وهو أنه لم يستوف أيام حياته فى الدنيا حتى كانت كلها له ولرسالته ، فاضطلعت بها ، وحملت أعباءها ، وزحفت بأماناتها شرقا وغربا إلى ما شاء الله لها أن تنشئ من مآذن لحى على الفلاح ، وقلاع للحق والخير ، فى مشارق الأرض ومغاربها .

وبلغة هذه الأمة نطق هذا المولود أول ما نطق ، فكانت لغة التنزيل التى اختارها الله لكتابه الحكيم ، ثم كانت - بكتابه الحكيم - لغة الإنسانية المشتركة بين جميع الأمم التى تشرفت بالإيمان المحمدى ، وكان منها أعلام العلم الإسلامى ، وكبار المحدثين والمؤلفين ، والدعاة والهداة والصالحين .

والذين يلاحظون حكمة الله فى كل ما يقع تحت أنظارهم ومداركهم من خلقه وأمره ، مطمئنة قلوبهم إلى أن اختيار هذا المختار لأكمل رسالات الله كان مقرونا باختيار أمته الأولى

لتحمل رسالته إلى آفاق الأرض . وكما أن الإسلام بنفسه كان معجزة من معجزات الله فى رسالاته ،فإن أصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان كانوا كذلك معجزة من معجزات الله فى أخلاقهم وسيرتهم ، وفى حفظهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وفتوحهم الخاطفة الخارقة لعادات التاريخ ، ونجاحهم فى تغيير أنظمة الدول والناس فى الممالك والمنازل والأسواق والنفوس ، وتعريبهم الألسنة والعقول والاتجاهات ، مما لم يسبق له نظير من غيرهم .

كان العرب قبل أن يتحملوا الرسالة المحمدية قد اعترى مواهبهم القومية الأصيلة شىء من الانحراف الطارىء ، ومنه وثنية عمرو بن لحى الخزاعى ، ولكن ما من عيب طارىء كان فى العرب فى زمن ولادة هـــذا المولود العظيم ، إلا كان ذلك العيب فى غيرهم أصيلا بأضعاف أضعاف ما نجده فى العرب ، وكان يقابل ذلك فى العرب فضائل وسجايا قلما يوجد بعضها فى أمة أخرى غيرهم . ومن الإنصاف الاعتراف بأنه ما كانت أمة من أمم الأرض لتستجيب للرسالة المحمدية كما استجاب لها العرب ، وما كانت أمة من أمم الأرض ـ بعد أن تستجيب لهذه الرسالة العليا ـ لتحفظها على أصلها فلا تشوبها بما هو غريب عنها كما حفظ العرب من الصحابة والتابعين هذه الرسالة على ما هى عليه فى أصلها ، ومنعوا أن تصل إليها أية شائبة .

فى هذه البيئة وبين عقول أهلها ومواهبهم وقابلياتهم شب هذا المولود الذى نحتفل بذكراه ولم يكن لمكة والحجاز ملك متوج ، ولا كان فيها شرطة ومحاكم وسجون ؛ وقلما كان الناس هناك يبغى بعضهم على بعض ، وإذا وفد عليهم الحجيج كان له فيهم وفادة ورفادة وإكرام ، وكان الحجاج يتموّنون من أسواقهم التى تجلب إليها البضائع والأرزاق من اليمن والشام فى رحلتى الشتاء والصيف ، وإذا نزلت بهم نازلة أو حزبهم أمر أو احتاجوا إلى الدخول فى حرب أو الرجوع إلى السلم فقد كانت لهم دار ندوة كان من نظام جدهم قصى الذى رسمه لهم أن يجتمع فيها ذوو الرأى والحجى والرآسة فيهم فيتشاورون فيما تقتضيه مصلحتهم . واتفق أن وقع مرة شىء من الضيم لحاج يمنى جاء بتجارة له ، فمطله حقه بعض الذين تعاملوا معه ، فاجتمع شباب قريش فى منزل عبد الله بن جدعان التيمى من رهط أبى بكر الصديق ، وكان المولود الذى نحتفل فى هذا الشهر بذكراه قد بلغ يومئذ سن الفتوة فكان أحد المجتمعين مع عمومته فى دار ابن جدعان ، وعقدوا بينهم حلف الفضول ، أن لا يعلوا بمظلوم أو بمطول الحق فى مكة إلا تعاونوا على رد مظلته واستخراج حقه من مطله . وقال صلوات الله عليه بعد أن بعثه

الله بالرسالة العظمى يذكر اغتباطه بذلك الحلف واشتراكه فيه : ولو دعيت اليــــوم إلى مثله لأجبت .

هكذا كان مولودنا سلام الله عليه - حين بلغ سن الشباب - يتلفت حوله ذات اليمين وذات اليسار ، فيتطلع إلى حقائق الأشياء من بين يديه ومن خلفه ، ويستجلى ما يقع عليه نظره من حق وخير فيغتبط بهما ، ويتأمل فيما يلحه من باطل وشر فيستنكرهما وينكرهما .

سافر مع عمه فى تجارة إلى الشام ، ثم سافر بأوسع من ذلك فى تجارة لخديجة ، فعامل الناس ، وشارك بعض الناس ، ومنهم السائب بن الحارث السهمى من رهط عمرو بن العاص الذى دخلت مصر فى الإسلام على يده ، قال السائب يصف معاملة شريكه صلوات الله عليه : كان خير شريك ، لا يشارى ولا يمارى ولا يدارى (١) .

وأراد أن يتجرد عن مؤثرات البيئة ومألوف الناس ، فكان يهيم على وجهه فى البادية وبين الجبال ينظر فى آفاق هذه الطبيعة وما خلق الله فيها من دقيق وجليل ، وشامخ وذلول ، وما تنبت أرضها ، وما يزدهر فى سمائها من كواكب ثابتة ومتنقلة تشرق وتزهر وتغيب فى الجانب الآخر من ملكوت الله الأعظم . وبلغ به السير إلى جبلى حراء وثبير فيما بين مكة وعرفات ، فكان يرتقى حراء فتنبسط بين يديه آفاق الأرض وجبالها فى مدى بصره ، ويرنو بمقلتيه إلى القبة الزرقاء فوقه ، فيكتشف فى نفسه عظمة الخالق ، بما يتأمل فيه من عظمة المخلوق .

فى هذه البيئة البعيدة عن الناس من أخيار وأشرار ، كان يخلو بنفسه ، فيتصل قلبه وعقله بالله سبحانه ، فيخلص الضراعة والعبادة له ، ويتحرى ما ينبغى أن يكون فيه رضاه ، إلى أن أوحى الله إليه برسالته العظمى التى إذا قارناها بجميع رسالات الأنبياء والرسل كانت بلا ريب أكمل رسالات الله ، وهى رسالة كل من يؤمن بها من بنى الإنسان إلى يوم القيامة .

إن سيرة هذا المولود العظيم فيما بين ولادته ورسالته كانت أمراً عظيما ، وسيرته فيما بين رسالته وهجرته كانت أمراً أعظم ، وجهاده فيما بين هجرته والسنة التى أكمل الله فيها للمسلمين دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، ورضى لهم الحنيفية السمحة دينا ، كانت أعظم وأعظم . هى أدوار

---

(١) المشاراة : اللجاج . ومنه استشرى إذا لج فى الأمر .

ثلاثة : دور الاستعداد والتكون ، ودور الدعوة بالإعداد والتكوين ، ودور بناء الأمة المثالية التي كان ينبغي للمسلمين في كل عصر من عصورهم وكل طبقة من طبقاتهم أن يختطوا بناء مجتمعهم على أساسها وعلى مثالها .

لو أن محمداً صلوات الله عليه لم يحرص فيما بين نشأته ورسالته على أن يسير في طريق الكمال لا يحيد عنه في دقيق أو جليل ، ولو أن الله عز وجل لم يسدد خطاه في ذلك الطريق فيما بين صباه وسن الأربعين ، لكان شأنه كشأن غيره من الناس ، ولما كان عظيم العظماء من زمنه إلى زمننا وما دامت الإنسانية باقية ، إلى أن يكون عظيم العظماء يوم البعث الأعظم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

إن هذا الدور الأول فيما بين زمن الصبا إلى سن الأربعين كان مدرسة هذا الأمي الذي تحرى الحق والخير في ظروفه كلها ، وكان الامتحان في غار حراء ، وكانت الشهادة العظمى له بالفوز والنجاح بالوحي والتنزيل ، ثم خاض غمرات البلاغ والتخيير ، كان يتخير الصخرات العظام التي سيبنى عليها قلعة الإسلام ، كان يضع الأساس الذي يقيم عليه الأمة المثالية ، وكان أمثال أبي بكر الصديق ، وما أقل أمثال أبي بكر الصديق في الدنيا ، هم الذين بنى عليهم صاحب الرسالة العظمى قلعة الإسلام ، وهم الذين أقام على عواتقهم الأمة المثالية .

لقد دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكانوا يستجيبون له لواذا بعضهم إثر بعض ، فمن أوائلهم استجابة للإسلام ـ بعد خديجة وعلي وأبي بكر وجعفر بن أبي طالب ـ : طلحة ابن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وعثمان بن عفان ، وسعد ابن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن مسعود ، وخباب بن الأرت التيمي ، وعتبة بن غزوان ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي وفي منزله كانت الدعوة والاستخفاء . وكم من عظيم تأخرت استجابته ثم كانت حياته بركة وخيراً على الدعوة ، كعمر بن الخطاب ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد . ومن عجيب أمر هذه الرسالة والأمة التي استجابت لها أن الذين ماتوا منهم على العداوة للإسلام والكفر به عدد قليل جداً لو شاء مؤرخ أن يحصيهم ويستقصيهم بأسمائهم ، لكانت منهم قائمة قصيرة لا تعد شذوذاً في مجموع الأمـــة العربية التي زحفت تحت رايات أبي بكر وعمر

وعثمان لنشر الدعوة فى الأقطار البعيدة . ولم ينتقل حامل هـــذه الرسالة العظمى إلى الرفيق الأعلى إلا وهو قرير العين بمن كان يصلى فى مسجده خلف أبى بكر من رجالات كان أستاذهم أعرف الناس برجولتهم وبطولتهم وصادق إخلاصهم لله ورسوله . ولا تعرف الإنسانية فى جميع تواريخها أمـــة مثالية خرجت للتاريخ من تحت يد رجل واحد ، تولى تربيتها وتكوينها وإعدادها لحمل رسالته ، كالأمة التى صحبت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وحملت رسالته .

وكانت الحقبة الأخيرة من حياة صاحب هذه الذكرى هى حقبة الوفود عليه من القبائل القاصية فى الشمال وفى الشرق إلى الخليج العربى ، ومن أعظمها بركة وفود الجنوب من أهل اليمن الذين لهم ماض عريق فى العظمة وأمجاد الفتوح ، فتجدد ظهور جوهرهم وكريم معدنهم تحت رايات الخلفاء بما تمت به المعجزة فى أعجب انقلاب اجتماعى وعقلى تكون به هذا العالم الإسلامى .

إن الإسلام ـ وتكوينه الأمة المثالية ـ كان يكون رهنا بحياة صاحب هذه الرسالة لو أن الرسالة بقيت بعده مجهولة ، فكان ينحصر قيام الدعوة وتكوين الأمة المثالية فى مدة حياته ثم يزول أثر ذلك بعده . أما والرسالة قد تولى الله حفظها ، والكتاب المنزل ببيان هذه الرسالة وبالدعوة إلى تكوين الأمة المثالية موجود الآن بنصه فى يد كل مسلم ، وألوف من المسلمين يحفظونه عن ظهر قلب فى كل جيل ويتلونه على مسامع الناس فى الغدو والآصال ، فإنه لا عذر لأى جيل من أجيال المسلمين فى أن يتخلف عن الانطباع بطابع الجيل المثالى المعاصر للسلم الأول ، معلم الناس الخير ، الذى نحتفل الآن بذكرى مولده ، صلوات الله وسلامه عليه .

كتاب هذه الرسالة الذى عمل به الجيل الأول فكان به جيلا مثالياً ، قد تولى الله حفظه لكل جيل ، ليكون حجة لله قائمة على الناس ليسعدوا به ويكونوا أمة صدق متينة الأخلاق قوية العزائم ، مقيمة للحق ، مغتبطة بالخير ، متعاونة عليه .

كل توجيه بذله مولودنا الأعظم صاحب هذه الذكرى عاملا به على تكوين الجيل المثالى الذى غير وجه المعمورة فى زمانه ، قد دونه علماء هذه الملة وأئمتها فى دواوين السنة ،

وهو معروض الآن على أنظار كل من يحب أن يسير بسيرة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وأبى عبيدة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابن مسعود وإخوانهم ومن جاء بعدهم . ولماذا لا يتخير كل مسلم قدوة له من الصحابة فيدرس سيرته ويحاول السير عليها والتزام ما فيها من حق وخير ؟

إن فى هذه الأمة من ينطوى قلبه على محبة أبى بكر أو محبة عمر أو محبة على أو محبة خالد بن الوليد ، فلماذا لا يتحرى من يحب منا واحداً من هؤلاء أن يدرس سيرته ويقتدى بها ويجدد حياة محبوبه بإظهارها للناس كما كان عليها ذلك الصحابى فى مدة حياته ؟

إن من يحيى سيرة صحابى لأنه كان محبوباً من رسول الله لا شك أن رسول الله سيحب الذى يحيى سيرة ذلك الصحابى كما كان يحب ذلك الصحابى . وإذا كثر الذين يفعلون ذلك منا أوشك أن يتجدد فى عصرنا هذا كل ما كان فى العصر النبوى من حق وخير .

وهذا ممكن ، ولا يحول بيننا وبينه إلا ضعف الهمة عن تحقيقه . بل نحن مأمورون بأن يكون لنا فى حياة رسول الله صلوات الله عليه أسوة حسنة ، فمحاولة كل محمدى أن يتأسى برسول الله ويتحرى سيرته ويعمل بها هى مفتاح التجديد العظيم فى حياة الإسلام ، وبها يكون البعث الجديد للإسلام على الأرض .

لقد نجم فى بعض عصور الإسلام الماضية ناس من الملاحدة والشعوبيين تظاهروا بالانتماء إليه ، وكانوا فى سرائرهم أعداء له ، فكان من أخبث ما دسوه فى الإسلام ليبطلوا العمل به تسوىء سمعة أصحاب رسول الله ، وتحريف سيرتهم ، وتأويل محاسنهم بما يوهم أنها سيئات ، فأفسدوا على المسلمين طريق الأسوة بهؤلاء الأكابر لئلا نجدد للإسلام شبابه الذى كان له فى زمن الجيل المثالى ، الجيل الذى رباه صاحب هذه الذكرى بيده ، وأعده لمواصلة المهمة التى جاء بها الإسلام . وهذه الدسائس التى دسها الشعوبيون والملاحدة فى تاريخ العصر الإسلامى الأول مكشوفة مفضوحة لكل من يحاول تصحيحها من النصوص المحفوظة فى كتب أئمة الحديث وأعلام الإسلام . وسيكون من ثمرات تصحيح التاريخ الإسلامى ورده إلى حقيقته الأولى أن تنعم بالحرمة والإجلال لذلك العصر ، وأن نتأسى بسجايا أهله ، وأن نعمل على تجديده .

الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاق ونظام اجتماعى ، ومن أعظم ما يغالط به المسلمون أنفسهم أن زعموا أن تجديد رسالة الإسلام من عمل الحكومة لا من عمل الأمة ،

إن الحكومة تقوم بواجبها ما أقامت العدل والأمن فى الناس ، وما أحسنت الدفاع عن حياض الأمة وحصنت الوطن الإسلامى بأسباب القوه . أما تجديد شباب الإسلام وبعثه فى عقائدنا وشعب إيماننا ، وطاعتنا لله فى أخلاقنا وسيرتنا ، فى بيوتنا وأسواقنا وأنا يتنا ومجتمعنا ، فهذا من واجب كل مسلم ومسلمة ، وهو الآن أوجب من كل وقت آخر بعد أن صار لنا فى المحيط الدولى هذا الصوت المرتفع ، والمكانة المحترمة ، والكلمة التى تحسب الدول حسابها . فإذا لم يكن لنا من وراء ذلك قلوب مؤمنة ، ونفوس مطيعة لله ورسوله ، وأخلاق إسلامية تتعامل بها فى بيوتنا وأسواقنا ومجامعنا وفى كل شئوننا ، فإن ذلك يعتبر تقصيراً منا فى التجاوب مع ولاة أمور بلادنا الذين عملوا من جانبهم فى أقصر مدة أقصى ما يمكن أن يعمله من كان فى مركزهم ، إنهم عملوا ويعملون من جانبهم ما يجب عليهم من أسباب القوة ، وأنا وأنت ، وزوجتى وزوجتك ، يجب علينا أن نعمل من جانبنا ما يجب علينا من هذه الأسباب ، وفى طليعتها الأخلاق التى هى من صميم رسالة الإسلام ، والتى بها بلغ المسلمون الأولون مستواهم الرفيع ، وبها وبالإيمان الصادق انتشر الإسلام واتسعت رقعة العالم الإسلامى .

خير ما نهديه إلى رسول الله فى ذكرى مولده ، وفى كل ذكرى من ذكريات حياته ، إحياء رسالته وتجديد شبابها . والأخلاق من رسالته ومن أسباب نجاح هذه الرسالة . وإذا كان فى الصحف المنتشرة والمجلات الماجنة ما يفسد على الناس أخلاقهم ، فإن فى يد الناس أن يكفوا عن قراءتها وعن إدخالها بيوتهم فتموت بلا رجعة ، وهل تعيش هذه الصحف إلا من القروش التى يمدها بها أناس نسمعهم يشكون منها ويتذمرون من سوء أثرها فى ذويهم ؟ بل إن هذه الصحف تتقرب إلى قرائها بالفحشاء استدراجا لقروشهم ، واعتقاداً منها بأن الفحشاء بضاعة رائجة ومطلوبة ، ولو أمسك الناس عن إمدادها بهذه القروش ، وتبين لأصحاب هذه الصحف أن التقرب إلى القراء وإلى قروشهم لا سبيل إليه إلا نشر الفضيلة ، لكانوا فى طليعة الناشرين للفضيلة والداعين إليها . . .

أيها المحتفلون بذكرى المولد المحمدى الكريم إن خير ما تحتفلون به لإحياء هذه الذكرى إحياء رسالة صاحبها ، فليعمل لذلك كل واحد منا ما يستطيعه من جانبه ، حتى نلتقى جميعا فى العام القادم فى ملتقى نحمده إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٦٣ —

إذا تمادى الإنسان فى أعمال الشر سمى شيطانا

« وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا : شياطين الإنس والجن ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

مما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى ذر صاحبه : ـ يا أبا ذر ! هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟ فقال أبو ذر : يارسول الله ! وهل للإنس من شياطين ؟ قال عليه السلام : نعم ، هم شر من شياطين الجن !

وقال مالك بن دينار : إن شيطان الإنس أشد على من شيطان الجن ، وذلك أنى إذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن ، وشيطان الإنس يجيئنى فيجرنى إلى المعاصى عيانا .

والقرآن الكريم يسبق هذه المأثورات ويؤيدها فى الآية التى معنا ، فيحدثنا أن الله جعل لكل نبي من أنبيائه عدواً من الشياطين ومن الإنس ، ويسمى الإنس المعادى لدينه ولأنبيائه ، شيطانا ، فهو سبحانه يجمع الفريقين تحت اسم واحد « الشياطين » لأنهم يقومون بعمل واحد فى الفساد ، والإفساد ، ومحاربة الدين ، ومعارضة الرسل . . .

والله سبحانه ـ يبين لرسوله محمد صلوات الله عليه ـ كيف كانت عداوة الشياطين من الفريقين ، فيذكر أن بعضهم يوحي إلى بعض زخرف القول : يعنى أن شيطان الجن يوسوس لشيطان الإنس فيطرح فى خياله وخواطره زخرفة الأقوال الباطلة التى يعارضون بها دعوة الرسل ، والتى يتحدثون بها إلى الناس فى ترويج المعاصى ، وتهوين المفاسد . وهذه الزخرفة والتحسين يروجان عند صغار العقول ، وعديمى الإيمان ، فينقادون لها وينشطون فى العمل بها ، ظانين أنها مستحسنة وصواب ، أو مستحسنين لها وهم على علم بمخالفتها للحق الذى ينادى به كتاب الله .

وبهذا يكون المفسدون من الناس قائمين بوظيفة الشياطين الذين عرفوا بنزغات الإنسان والوسوسة فى خواطره ، وكل ذلك من شأنه أن يكون خفيا ، لاجهرا ، ولهذا سمى وحيا كما فى قوله تعالى : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » .

والله تعالى يحدث نبيه بأن هذه سنة قديمة فى معاداة الشياطين من الفريقين للأنبياء منذ القدم ، وحكمة الله فى ذلك : أن يشجع رسوله على احتمال الأذى من أعدائه ، كما احتمله رسل سابقون ، وحكمته تعالى فى تسليط الشياطين من الفريقين على أناس آخرين أن يختبر عباده ، لا ليعلمهم ويعرف أمرهم فهو أعلم بهم من أنفسهم ، بل ليكشف لهم عن مقدار إيمانهم ، وعن استعدادهم للثبات على دينهم ، أو سرعة انحرافهم عند البلاء .

فقد يغتر الإنسان بنفسه ، ويظن أنه مطمئن الإيمان ، وأنه يساوى غيره من الصادقين المجاهدين الصابرين .

ولا يكاد يفهم درجة نفسه فى تدينه ، ولا مقام نفسه بين المؤمنين حقا إلا إذا عرضت له أسباب تكشف له ما خفى عليه من أمره . . . وعندئذ يحاول الكمال إن تبصر وأحسن الاختيار ، أو يدرك أن تفاوت المنازل بين العباد عند الله منوط بتفاوت الإيمان كمالا ونقصا فلا يكون لأحد عند الله حجة ، وهذا أقصى ما نستطيع تصوره من عدل الله تعالى مع خلقه .

ثم نعود فنقول : ماذا يقصد الشياطين من زخرفة القول ، وتحسين القبائح ؟ ! صرح الكتاب العزيز بذلك فى قوله « غرورا » يعنى لتغرير الناس ودفعهم إلى الباطل المزخرف .

وصرح به ثانيا فى قوله « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة . . . يعنى لتميل إلى هذا الباطل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فيتخذوه ديناً ومعتقداً لهم .

وصرح به ثالثا ، فى قوله « وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون » يعنى ليفرحوا به ويعكفوا عليه ، وليرتكبوا من المعاصى ماهم مرتكبون ، مستبيحين لهذا الباطل ، معرضين عن الحق الذى ينادى به الرسل ، وتحفل به الكتب ، وخاتمها القرآن الكريم .

وإنما فعل الله ذلك ببعض عباده لسابق علمه أن استعدادهم سيء ، وأن الهدى لا ينفع فيهم ، فترتب على ذلك معاملة الله لهم بما هم أهله .

وهنا مناقشة فلسفية يتطرق إليها الكلام : وهى هل قدر الله عليهم الانحراف أولا ثم وجد منهم سوء الاستعداد بسبب ما قدر عليهم ؟ ؟ وما ذنبهم فى هذا وقد قدر عليهم ؟ ؟

وللعلماء توجيهات لا نطيل فيها ، ويكفى أن نأخذ برأى مقبول ، وهو أن الله تعالى علم أزلا أن الكفار مثلا يسيئون الاختيار لسوء استعدادهم الفطرى وسوء الاختيار منهم فقدر عليهم ذلك الانحراف لما يعلمه من حالهم بعد ، : فهناك علم سابق بسوء اختيارهم ثم قضاء عليهم بالمخالفة والانحراف ، ثم وجدت منهم المخالفة تنفيذا للقضاء المبنى على سابق العلم

وكيفما كان فقد أرشد الله إلى التحفظ من وساوس الشيطان فقال سبحانه « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم » .

وواضح من هذا أن العبد إذا أحس بخواطر فاسدة تدور فى خياله وذهنه فليتنبه إلى أنها وساوس الشياطين ، وليسرع إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والاستعاذة بالله حصن يحتمى به العبد وينجو من مكايد الشيطان كما وعد الله بهذا فى قوله « إنه ليس له سلطان على الذين آمنو وعلى ربهم يتوكلون » .

وأما شيطان الإنس ، وهو رفيق السوء ، فسهل على المرء أن يتجنبه إذا عرف منه سوء الصحبة ، والأمر أمر يقظة وحسن تقدير ، فمن راعى جانب الله استطاع أن يتحفظ ، ومن غفل عن جانب الله زلت قدمه وساءت عاقبته ، ولن ينفعه صاحب ، ولا ولد ، ولا مال ولا ندم .

وبعد ـ فقد عرضت الآية الكريمة لذكر الإنسان والشيطان فى نمط واحد :

(أ) ونحن إذا وقفنا إزاء كلمة إنسان ، لنستوحى معناها ، وخصائصها ، وما لها عند الله من قدر ، وجدناها فى جانب علوى ، وفى إطار كريم من الجلال والرعاية .

(ب) وإذا وقفنا إزاء كلمة شيطان ، وما يحيط بها من شناعة ، وما اقترن بها من مهانة وجدناها فى مهبط سفلى ينحدر فى الخسة حتى لا ينتهى عند غاية سوى اللعنات اللاحقة به من الله ، وعلى كل لسان .

فإنسان : عنوان كريم يشعرنا بالأنس ، ويوحى بالطمأنينة ، ويثير عاطفة الإخاء والمحبة ، وإنسان : هو ذلك المخلوق الذى كرمه ربه ، وبجده لدى ملائكته ، وشغل الدنيا به ، وخلق ما فيها لأجله ، وهيأه بعقله ، ومواهبه للإيمان ، وكرر نداءه ، وأطمعه فى مرضاته ، والخلود

فى نعمائه ، وحذره من سخطه ، ولم يترك له من وسائل الهداية أمراً يتعلل بجهله ويعتذر به عن تخلفه .

وشيطان : عنوان بغيض ، يثير التشاؤم ، ويشعر بالغضاضة ، ويخيف من المكاره ، ويزعج من خطرها حتى كأنها قرينة لذكر اسمه ومحدقة بالمرء ولا مفر .

ويمكن أن نوجز هذه المقارنة فى اعتبار كلمة إنسان مرادفة لكلمة خير . . وفى اعتبار كلمة شيطان مرادفة لكلمة شر ، وبين اللفظين فى مدلولها بعد ما بين المشرق والمغرب . أو بعد ما بين العافية والبلاء .

فما الذى جمع بين مدلوليهما حتى دمجهما فى لفظ واحد ، وسمى الإنسان شيطاناً ؟ . . وما الذى هبط بالإنسان من عليائه ، وجرده من جلاله ، حتى أصبح رجيما ، لا كريماً ؟ ؟

جواب ذلك : أن الإنسان خرج من إطاره ، ونسى صلته بربه ، وتجاهل عداوة الشيطان له ولأبيه آدم من قبل ، ثم طرح جانباً ما أوصاه به ربه : من حذر ، وحيطة ، ومجانبة لإغواء هذا العدو المبين ، وأخذته وساوس الشيطان ، وراقت له مفاتنه فانحدر إليها ، وانغمس فيها ، بل تجاوز هذا إلى القيام بما يقوم به عدو الإنسان ، وأصغى إلى وحيه واستجاب لتنفيذه نحو أخيه الإنسان ، فكان هذا المفتون جندياً بل كان فى مسلكه شيطاناً حقاً ، ولو أن المرء ركن إلى ربه ، واستعاذ به من غواية الشيطان ، واستنهض عقله ومواهبه فى التحرز من الوساوس ، ومن زخرفة الأباطيل ، واحتفظ بمكانته عند ربه لكان فى مصاف الأخيار ، وفى عداد الأبرار . . وليس يحول بين المرء وهذا سوى غفلة وشهوة ، وجهالة ، وضلالة . . ومن خلال ما ذكرنا يتضح أن المرء مسئول عما اختاره لنفسه ، ومحاسب على صنيعه ، ولو عالج قصوره بالرجوع إلى ما جاء من عند الله ، وعالج تقصيره بالتوبة والإنابة لكان له من عفو الله نصيب ، وقد جعل الله بابه مفتوحا لكل قاصد ، وقبوله ، ورضوانه وإحسانه مرجوا لكل منيب .

فاللهم اجعلنا فى ديننا ودنيانا على خير ما دعوتنا وعودتنا الخير كله ، ولا تجعلنا من شياطين الإنس ، ولا من أتباع الشيطان فى شىء .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

الواصل والمكافئ

قدرت وقدر الله - رحم الدين ، ورحم القرابة - رحم الأخوة العظمى - سيد الواصلين فى قومه - القطع فى الله وصل - أصناف الناس فى المعاملة - الإحسان الحق - الواصلون حقا .

عن عبد الله بن عَمْرو رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمُه وَصَلَهَا .

رواه البخارى (*)

ودعت الكتابة فى السنة إلى أجل كنت قدرته عاماً أو عامين ، ولكن قدر الله ألا يزيد على شهرين . . . فإن يكن العود أحمد ، فالفضل لمن بيده الفضل سبحانه ، ثم لأسرة هذه المجلة وقرائها ، فما فتئوا يذكرونني أن أصل رحما ربطتها المجلة بيننا ، ثم جاءت السنة فشدت رباطها . . وكأن الرحمن جلت آلاؤه ، ألهم عبده السيد مدير المجلة ، أن يكتب حديث السنة السابق فى صلة الرحم ، تجديداً للتذكرة ، وتوكيداً لما بيننا من آصرة . . .

* * *

ذلك ، والرحم عامة وخاصة ، وكل ما أمر الله به أن يوصل ، فى غير محادة لله ورسوله :

فأما الرحم الخاصة ، فهى القرابة على اختلاف درجاتها ، فإذا اشتدت فإن قطيعتها لغير الله أعظم جرماً ، كما أن صلتها لله أكبر درجات وأكبر تفضيلا . .

---

[*] فى الصدارة من كتاب الأدب . والرواية بتشديد « لكن » ويجوز تخفيفها . وأكثر الروايات فى « قطعت » بفتحات ، وفى بعضها بضم القاف وكسر العين .

وتكون صلة الرحم العامة بالعدل والإنصاف، وتأدية الحقوق الواجبة ثم المستحبة.

وتمتاز صلة الرحم الخاصة بمزيد العناية والرعاية فى النفقة والمودة والتناصح والتسامح، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، والسعى فى مصالحهم، فى حدود الوسع والطاقة، ولا سيما أهل الصلاح منهم والاستقامة، فأما الكفار والفجار، فأهم صلتهم بذل الجهد فى إصلاحهم.. ثم إنذارهم بالقطيعة إن تمادوا فى غيهم.. مع إعلامهم بأن القطع فى الله تعالى هو عين الوصل، ومع الدعاء لهم بظهر الغيب أن يهديهم الله إليه صراطا مستقيما...

وقد نال سيد الواصلين صلى الله عليه وسلم من أذى قومه ما لم ينله أحد، فعف وعفا وقال: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون..

ووصى صلوات الله وسلامه عليه فشدد الوصية بأهل بيته خيراً، وقال فى بعض رحمه: إن آل أبى فلان ليسوا بأوليائى، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها.

ولما نزلت هذه الآية: «وأنذر عشيرتك الأقربين» دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا، فعم وخص فقال: يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذى نفسك من النار! فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها. رواه مسلم عن أبى هريره رضى الله عنه [1].

وجاءه رجل فقال يا رسول الله: إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلى، وأحلم عنهم ويجهلون على، فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك [2].

* * *

[1] روى البلال بالفتح والكسر مصدر بل كرد، ويجوز على الكسر أن يكون جمع بلل كجمل شبه قطيعة الرحم بالحرارة، وشبه صلتها بالماء الذى ينديها ثم يطفئها، وهو من بديع التشبيه، ومنه الحديث: «بلوا أرحامكم ولو بالسلام» وانظره فى الجامع الصغير.

[2] شبه ما يلحقهم من آثام القطيعة بما يلحق طاعم الرماد الحار من الغيظ والألم، وقد تكفل الله للواصل المطعم بالبر والمعونة والرعاية والكفاية.

والرحم الخاصة هذه هي موضوع حديثنا هذا والحديث السابق ، وهي التي تراد عند الإطلاق ، وقد أعظم الله شأنها ، ورفع مكانها ، حتى اشتق اسمها من اسمه ، وصفتها من صفته ، وأجابها وهي في مقام العائذ به من القطيعة : أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب ! قال فهو لك . . ثم قرنها بذكره ، في مقام تقواه ومراقبته ، فقال جل سلطانه : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » ولو لم يكن لها من عظيم الشأن عند الله إلا هذا لكفى .

وأما الرحم العامة ، فهي رحم الدين الحق . .

وقد تقوى هذه الرحم حتى تكون أعظم من الرحم الخاصة شأناً وأعلى مكاناً .

فإذا تعارضت الرحمان في رغبة قدمت رحم الدين على رحم القرابة ، فلا طاعة لمخلوق ـ كائناً من كان ـ في معصية الخالق ؛ والله ورسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن الوالدين والأقربين .

وهذه الرحم العامة شعب وضروب شتى :

فمنها رحم العلم ، ومنها رحم العمل ، ومنها رحم الجوار أفراداً وأمماً ، وممالك وشعوباً وأرفعها درجة وأعظمها قرباً ، ما اجتمعت فيه هذه المعاني كلها ، ثم هي بعد ذلك درجات لا تحصى عدداً .

وهذه الرحم العامة في حقيقة أمرها ، واختلاف شعبها ، تمثل الجانب الأعظم ، من رحم أعم وأشمل ، رحم الأخوة العظمى ، والإنسانية الكبرى ، التي خلقها الله من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء . . ثم جعلهم شعوباً وقبائل ، ليعرف بعضهم بعضاً ، فيصلوا أرحامهم ، ويتبينوا أنسابهم ، ويتعاونوا على البر والتقوى . .

* * *

وكما تختلف الأرحام قرباً وبعداً ، يختلف الواصلون كذلك ضيقاً ووسعاً ، وقدرة وعجزاً ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها « فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » .

* * *

ومهما يختلف الناس فى معاملتهم للأرحام فهم أصناف ثلاثة :

صنف قاطع ! وعياذاً بالله منه ومن القطيعة معاً ! وحسب هـذا وعيداً على عظيم إثمه وكبير جرمه ، قول الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه : « لا يدخل الجنة قاطع » رواه الشيخان عن جبير بن مطعم رضى الله عنه (١) .

وصنف مكافئ ، وهو الذى يصل من وصله ويقطع من قطعه ، فهو فى جملة أمره واصل ، وإن كان يقارض ويبادل ، فإن فى المبادلة صلة ، وإن لم تكن كاملة .

وإنما ألغى صلوات الله وسلامه عليه صلة المكافئ ، ولم يعد صاحبها فى الواصلين حقاً لأن الصلة على سبل المبادلة فقط ، ليست من تمام المكارم التى بعث لها صلوات الله عليه ؛ ولأن صاحبها ليس من الراشدين الكاملين ، الذين يعدهم المربى الأعظم صلى الله عليه وسلم ، لأن يكونوا سادة وقادة فى خير أمة أخرجت للناس .

ونفى الشيء أو إثباته مراداً منه جنسه الكامل ، من الأساليب المعروفة فى ألسنة المربين والبلغاء ، ومن ذلك قول بعض السلف : ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك فإن ذلك متاجرة ، وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك .

وأبلغ من هذا قول إمام المربين وأبلغ الناطقين صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب . ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس . ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف . . » روى الشيخان ثلاثتها عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وصنف واصل ، وهو المتفضل الكامل ، مراد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومقصوده الأعظم فى هذا الحديث .

ذلك الصنف الثالث أقل المتقين عدداً ، وأكثرهم إحساناً ورشداً ، ذلك هو الأتقى « الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى » ؟

طه محمد الساكت

---

(١) وتقدم شرحه وافياً فى مثل هذا الشهر من عام المجلة الأول .

حقائق فلسفية
فى ميلاد الرسول الأعظم
ورسالته الخالدة

ماذا طالعت الإنسانية قبل أربعة عشر قرناً من الزمن ، وماذا حملت إلى الناس بين أطوائها إلا ذلك الوليد اليتيم الذى ألقته الإنسانية بين أحضان والدته آمنة وأسمته محمداً .

ومن الذى يستطيع أن يتصور أن هذا الطفل اليتيم سيكون شغل العالم فى هذه المجموعة الشمسية بعد سنين معدودات ، ويبقى ذكره خالداً خلود الإنسانية ، وتعاليمه قائمة حية مع حياتها الأبدية .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم أعظم آية من آيات الله فى الخلق يزداد أثرها فى قلوب الناس ، ويشتد تأثيرها فى عقولهم ، كلما ارتقت المعارف الإنسانية والكمالات البشرية ، وأدرك الناس مبلغ قوة الفرد ، تلقاء الطبيعة والمجتمع ، وغاية ما تستطيع أن تحدثه قواه المحدودة فيهما .

نعم إن محمداً كان رسولا يعمل بوحى من الله ، ويعتمد فى ممارسة خصائصه على تأييده سبحانه ، وقد وعده الحق بالنصر المؤزر ومحمود العاقبة ، فمن حمل هذه العقيدة أيقن أن ما بلغه محمد فى أكناف هذه الرعاية الإلهية لم يكن عجبا ولا فريداً فى ناموس هذه الإنسانية ، ولكن الذى يعجب فى صورة التشكيك لما التبس عليهم من حقائق هذا الكون وأسراره أولئك الذين لا يعتقدون برسالته من الأمم ويعدونه عبقريا فحسب .

نعم هؤلاء هم الحيارى المترددون الخياليون الواهمون الذين يحق لهم أن يعجبوا وأن يحاروا فى تعيين المنزلة التى يضعون فيها محمداً بين المراتب الإنسانية الخالصة .

لا مرية فى أن تاريخ الانقلابات الاجتماعية أفصح برهان على أن جميع الأفراد من أعلام الرجال الذين قاموا بتلك الأحداث الخطيرة فى تاريخ البشرية أعلام ولدوا فى جماعات محكمة

الروابط مستحصدة العرى فدفعوا بها إلى ضروب من الحركات الانتقالية الجريئة الواعية ، عدوا معها - بغض النظر عن المظالم التى قارفوها - من أعلام التاريخ : فبختنصر البابلى ، وقيروش الفارسى ، والإسكندر المقدونى ، وجنكيز خان المغولى وغيرهم ، كل هؤلاء كانوا عياهل فى أقوامهم ، وقد ولدوا فى شعوب متماسكة الآحاد ولا يعوزها غير التوجيه إلى الغايات البعيدة مصحوبة بحنكة فى القيادة .

وكذلك الحكم فى الرسالات الدينية نفسها ، فموسى بن عمران عليه السلام الذى أرسل إلى بنى إسرائيل فى مصر استقبل منهم كمنقذ لهم مما هم فيه من صنوف الضلالة فلم يبذل فى استمالتهم إلى تعاليمه جهداً كبيراً ، واضطر أن يقف فى التيه ولم يزحف بنو إسرائيل إلى فلسطين إلا بعد وفاته . وعيسى عليه السلام نشأ فى أمة مستكملة شرائط الاجتماع ، ومع ذلك لم يؤت تعاليمه الحكيمة الرشيدة التى تطلبها أتباعه إلا بعد أن اختمرت فى مدى نحو أربعة قرون .

ولكن محمداً الذى كان أكبر آيات الله فى الخلق ولد فى أمة كانت على الحالة القبلية فلم يجد معيناً له حتى من القبيلة التى هو منها ودفع لأن يلتمس المعونة على أداء مهمته من جماعة ينشئها إنشاء ، فتم له ذلك فى بنى الأوس وبنى الخزرج سكان يثرب .

لقد كانت هذه عجيبة وكل ما حدث بعدها سلسلة من العجائب التى تلا بعضها بعضاً ، اتسعت لها الأيام القليلة اتساعاً محيراً للعقل البشرى حتى تم له فى ثلاث وعشرين سنة من تعاليمه الدينية وإرشاداته الخلقية وقضاياه الإنسانية فى مختلف آفاق الدنيا مستقصية الحياتين حياة الزاد وحياة المعاد ، بل حياة الابتلاء وحياة الجزاء ، مالا يعقل أن يستكمل وينمو إلا فى عديد من القرون .

فلما آنس صلى الله عليه وسلم خذلان القبائل كلها حنقاً عليه وتبرماً به وتنكراً لعظم شأن رسالته حسبما تبين له من عرض رسالته عليها فى كل موسم من مواسم الحج شرع يلقى بهم فى زوايا الإهمال ويبتنى لنفسه أمة فتية جديدة ، نعم أمة جديدة !

ابتنى محمد صلى الله عليه وسلم للوجود كله أمة عالية فى أهدافها وسمو مطالبها فلا تقوم مثلا على وحدة الجنس ، ولا على وحدة اللغة ، ولا على الحاجات الجثمانية الملحة ، ولكن

على ما يصلح أن يكون ملاكا للبشرية الفاضلة كافة من الأصول الأدبية السامية والمبادئ الإنسانية الخالدة الكاملة .

فإن تعجب لذلك فأعجب منه أن يتم تأليف هذه الأمة فيصبح فيها الصناديد من قريش وخزاعة ، واللهاميم من تميم وأسد وهوازن ، وبعدهم الفرس والديلم والروم والسود والحبشان ومن لم يعرف له ضئضئ من جاليات الجماعات المختلفة فى مستوى واحد من الحقوق والواجبات الاجتماعية .

أو تتوم مثل هذه الأمة فى مثل تلك البيئة وقد عجز الفلاسفة والمصلحون والقادة فى العصور الأخيرة عن تأليف أمة عالمية ، وهى مما لا يمترى اثنان فى أنها المثل الأعلى للاجتماع ؟ .

وإن تعجب فأعجب منه أنها قامت فى تلك البيئة ، وآتت من الثمرات ما لم تؤته أمة فى الأرض من أول عهد البشر إلى اليوم وفى مدى لا يذكر إلى جانب أعمار الأمم .

وغنى عن البيان أن محمداً غير ديانة القبائل العربية قاطبة ، وأبدلها منها دينا لا نسب بينه وبين تلك الوثنية التى كانت سائدة قبل هذه البعثة ، والدين أعلق الأشياء بالنفوس وأقواها سلطانا على القلوب . فأحال أخلاقها من جفوة البداوة وظلمة الجاهلية ، إلى لطافة الحضارة ورقة الطبائع ، وشيوع الدينية الفاضلة المهذبة فى مختلف آفاقها ، وقلب مبادئها من تأليه الأقوياء وتسخير الضعفاء والتقلب مع الأهواء إلى الأخذ بمبدأ المساواة وتقرير الحق لصاحبه ، بغض النظر عن جميع الاتجاهات ، مع الثبات على إقامة الأصول مهما اعتورت المكاف بإقامتها المصانعات وتجاذبته المسولات ، ولا يسيغ عقل عاقل عند كل مفترض أن يكون ذلك قد استكمل عناصره بواسطة الحديد والنار .

فهل سمعت فيما سمعت أنه أرسل الجيوش الجرارة حيث سار ، أو بالجلاوزة تلقى كل من يعصيه فى النار ؟ ألم تحط علماً أنه صلى الله عليه وسلم بعث وليس له قوة من الأرض ولا ناصر ، حتى اضطر أن يدعو إلى دينه سراً ، فلما أعلن الدعوة عودى وأوذى ، واضطر من آمنوا به إلى الهجرة إلى الحبشة دفعتين ، ثم اضطر هو نفسه - وقد تحالف قومه على قتله - أن يهاجر إلى المدينة فى جنح الظلام ، فلما أشرق الصبح وهو فى الطريق ، اضطر هو وصاحبه أن يتواريا فى الغار ؟ .

فلو أن الأمر قد اطمأن إليه بطريق الإعنات والإكراه ، لما بقيت رسالته خالدة ما بقى الفرقدان ، وإلا فهل سمعت أن طرائق تفرض على قوم فرضاً دون أن يقتنعوا بها ولا أن يعرفوا لها مورداً ولا مأتاة ، تبقى بعد وفاة من جاء بها يمارسها الخلف عن السلف ويتلقاها جيل عن جيل ، وتتوارثها أمة عن أمة ، حتى يكسف القمران ، وتسكن هذه الأرض من دوران . اللهم لا .

إنى أشفق على الذين يدعون أن ما عمله محمد أثر من آثار العبقرية وأرثى لعقولهم أبلغ الرثاء ، ويحز فى نفس أن الذى يسند إلى محمد وصف العبقرية يجهل معناها أعمق الجهل فيظن أنها بمدلولها تعنى درجة رفيعة من الذكاء الخارق . والحقيقة التى لا شية فيها أن العبقرية فى مدلولها الصحيح إلهام يتنزل على صاحبه لا يعرف له مصدرا ولا وازعا فيندفع لعمل من الأعمال فيجىء مثلا أعلى لا يمكن تقليده . فإن كان محمد عبقرياً ، فهل يندرج تحت محيط العقل أن يكون مع عبقريته غير صادق يدعى بين الناس أنه رسول قد أوحى اليه من عند الله ، وهو يقول جل علاه « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال أوحى إلى ولم يوح اليه شىء » .

بقى أن فريقا من المتقولين يدعون أنه كان ذكيا أبلغ الذكاء ولم يكن رسولا ، وهؤلاء الفرق كانت من المعاندين فى أول دعوته والمكابرين يوم جاءهم يطالبهم بالتزام هذه الدعوة وهم مشركو القبائل وصناديدها فى الكفر والإلحاد الذين كانوا ينفسون على محمد رسالته ودعوته ، وإلا فما هو قول المتعنتين الخارجين على رسالته فى قول سبحانه « من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ » أو لم يقل « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » أو لم يقل أيضاً « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » أو لم يقل أيضاً « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ، إن الله قوى عزيز » وأيضاً يقول « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء » .

إنى لأرثى لهؤلاء المكابرين الذين كابروا الحق إعراضا وعنادا وهم يعرفون فى دخائل نفوسهم أن الأنبياء إنما أرسلوا إلى أممهم حججاً قواطع وبراهين سواطع حتى لا تكون لهم حجة على الله وإلى ذلك يشير الله بقوله « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » . فمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ونبوته خاتم النبوات وإعجازه فى القرآن ومعجزاته فى الأكوان شاهدة على صدق دعواه أصدق شهادة وأبلغ برهان وما أصدق قول العلامة البرعى الكبير : —

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البركان البر أندى من البحر

وما أصدق قول البوصيرى : —

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

حتى آدم أبو البشرية لأن محمدا أبو الروحية والبشرية معراج إلى الروحية .

ولذلك يقولون عن رسول الله بلسان الحال لا بلسان المقال .

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

عباس طه
المحامى

سيادة الحق

نشر التوحيد طه فى الوجود مخلصا لله فيما قد فعل
لم يكن يطلب إلا أن تسود دعوة الحق ويعلو من عدل
ولذا ساد وذو الحق يسود بجهاد واعتزام للأمل
فاذكروا شهور ربيع والعهود نبهوا من نام منا أو غفل
نحن إن لم نسهر الليل فما كتب الله لنا أن نرتقى

محمود رمزى نظيم

من وحى المولد النبوى

إن الحديث عن المولد النبوي الشريف حديث، متشعب الأطراف ، يتجه الفكر فيه إلى نواح مختلفة ، تتصل بالرسول الأعظم ، صلوات الله وسلامه عليه ، ففي شهر ربيع الأول ، ومنذ أكثر من أربعة عشر قرنا طواها التاريخ ، تشرف العالم أجمع بإمام المصلحين وخاتم النبيين والمرسلين ، ورحمة الله تعالى للناس أجمعين ، سيدنا ومولانا « محمد » بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، وظهر نوره بمكة فلمع في الخافقين ، ورأى الناس لمولده المبارك الآيات البينات ، وشاءت الحكمة الإلهية أن يولد يتيما ، حتى يتولاه الله تعالى بالعناية والرعاية منذ نعومة أظفاره ، وأن يعده للنبوة والرسالة خير إعداد ، وشب وترعرع بعيداً عن الأصنام والأوثان ، وعما غرق فيه الجاهليون إلى آذانهم ، وتجمل بحميد الخلال، حتى عرف بين قومه بالصادق الأمين .

ويتصل حديث المولد النبوى بما كان عليه العالم قبل الدعوة الإسلامية ، فقبل هذه الدعوة الغراء اضطربت الأحوال الاجتماعية والخلقية ، على ظهر البسيطة ، اضطرابا لم يعهد له مثيل ، وانحطت الأمم إلى مهاوى الرذيلة والفساد ، وعبثت يد الإنسان بما جاء به الأنبياء والرسل السابقون ، فأصاب الكتب السماوية ما أصابها من التحريف والتبديل ، وحجبت كلمات الله سبحانه عن العقول البشرية ، وحورب العلم فى كل مكان ، وانقلبت الفضائل بين الناس رذائل اتصفوا بها وأقبلوا عليها ، وحل الشقاق بين الأفراد والجماعات محل الألفة والوئام ، وشبت الحروب لأوهى الأسباب ، حتى ذهبت بقوة الغالب والمغلوب ، وعبدت الأصنام ، وقطعت الأرحام ، ووئدت البنات ، واعتدى القوى على الضعيف ، وإذا لم يجد الظالم من يناصبه العداء ، حارب أخاه الوادع المسالم ، وها هو القطامى الشاعر الجاهلى ، يحدثنا عن الحالة عندهم ، وما رآه كمن سمع ، فيقول :

ومن تكن الحضارة أعجبته ... فأى رجال بادية ترانا ؟
ومن ركب الخيول فإن فينا ... قنى سلباً وأفراساً حسانا
وكن إذا أغرن على قبيل ... فأعوزهن رهط حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال وضبة ، إنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

ويتصل حديث المولد النبوى بالدين الإسلامى العظيم ، الذى رضيه الله تعالى ديناً لجميع الناس ، والذى يكفل لهذا العالم نظاما ، يجعل الكون كله أسرة ، والناس جميعهم متوادين متحابين ، ترى فيهم الغنى ولا ترى المحروم ، وتجد بينهم الضعيف ولا تجد المظلوم ، لأن الإسلام أنشأ بين الغنى والفقير سبباً هو البر ، وأوجد بين القوى والضعيف نسبا هو الرحمة . وله من ديمقراطيته الأصيلة ، واشتراكيته المعتدلة ، وأخوته الشاملة مناعة من كل سوء ، وأمنة لكل جنس ، ومودة لكل دين . وسيمحو نوره المتخلف من نور غيره كما يمحو لسان الصبح المنير المتخلف من جيوش الظلام .

ويتصل حديث المولد النبوى بالقرآن العظيم ، الذى أنزله الله على أشرف الورى من فوق سبع سموات ، يهدى به العلى القدير من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وقد ضمن الله لهذا الكتاب الكريم الحفظ والبقاء ، لأنه ينمو من نفسه كما ينمو الحى ، ويضىء من ذاته كما تضىء الشمس ، ويتجدد من طبعه كما يتجدد الربيع ، ولم تستطع الإنسانية إلى الآن ، على ماجربت من تجارب ، وبلغت من حضارة ورقى ، وعرفت من فنون الحكم وألوان الحكومات ، أن تنشىء نظاما سياسياً يتجلى فيه العدل بأروع صوره كما فى القرآن الحكيم ، ولقد ذهبت الإنسانية فى الحكم مذاهبها المختلفة ، فاستظلت بحكم الملوك ، وسعدت به قليلا ، وشقيت به كثيراً ، ثم عرفت النظام الديمقراطى ، الذى يرد إلى الشعب أمور الشعب ، فنالت به قسطا من العدل ولم تنل به العدل كله .

وسلكت الإنسانية فى سبيل الوصول إلى الحكم الصالح جميع الطرق فلم تنته إلى غاية ، وما زالت هذه الإنسانية تشكو الظلم ، وتبحث عن النظام القويم الذى يضمن للناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، الحرية والعدل ، والإخاء والمساواة ، وهذا النظام القويم هو الذى نادت به آيات التنزيل الحكيم ، ورفع لواءه إمام المرسلين ، وعز به المسلمون فى فجر الإسلام وضحاه ، وظهره وعصره ، فنبتوا فى رياض الإسلام أعزة كراما ، وعاشوا فى رحابه أعزة كراما ، وواجهوا الدنيا أعزة كراما ، لم ينهزم لهم جيش ، ولم ينكس لهم علم ، بل فتحوا فتوح الجبارين ، ودونوا تاريخهم بمداد من الفخر على صفحات من نور .

ويتصل حديث المولد النبوى بالأمة الإسلامية وهى خير أمة أخرجت للناس ، وقد حملت مصباح النور حين عم الكون الظلام ، وأرشدت العالم إلى بر السلامة وشاطىء النجاة ، حين تاه فى عباب الجهل ، حتى أمسى تاريخها تاريخ الكمال الإنسانى على وجه الأرض ، وقد كانت من قبل أمة بدوية ، ثم نهضت بفضل الرسول الأعظم نهضة الأسد ، وهب المسلمون يحملون فى يمناهم نور القرآن العظيم ، يضيئون به للشعوب طريق العزة فى الدنيا ، والسعادة فى العقبى ، وفى يسراهم السيف يردون به الضالين إلى طريق الحق والرشاد ، فامتلأت الأفئدة خوفا منهم ، وثلوا العروش ، ونهاوت أمامهم التيجان ، وحسب لهم ألف حساب وحساب .

وإذا كان على المسلمين فى المشارق والمغارب ، أن يحتفلوا بذكرى المولد النبوى الشريف ، ويعدوها مصدر عزهم ، ومنبع مجدهم ورفاهيتهم ، فإن على العالم أجمع أن يطرب لهذه الذكرى الكريمة ، ويقابلها بما تستحق من إجلال وإعظام ، لأن الحياة طابت حقاً برسالة النبى العربى ، وغدا الإنسان إنسانا يشعر بكرامته ، فى قلبه طمأنينة ، وفى نفسه رضا ، وفى روحه شعور جديد بالكون وخالقه ، وإمام الأنبياء ، وحاكمها العادل ، وسيدها المطاع ، ورئيسها الأمين المأمون ، ورحمة الله للناس أجمعين .

هكذا تكون الذكريات العاطرات ، وهكذا تتجدد على مر السنين والأعوام والشهور والأيام ، وستبقى ذكرى الرسول الأعظم قوية كالبحر ، ودائمة دوام السموات والأرض ، فقد ولدت بمولده الطاهر مبادىء ونظريات ، وفلسفات وحضارات ، لم ير لها العالم مثيلا من قبل ، ولن ير لها مثيلا من بعد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كشف الغطاء عن أعين الشعوب العربية ، فلم تعد تطيق اليوم ما كانت تحتمله بالأمس ، من ذل واستعباد ، وأدركت ما جنته من وراء التفرق والاختلاف ، والبعد عن سنة الله وهدى رسوله ، وتطلعت إلى ما كان لأسلافها ، من مجد باذخ ، لحنت إليه ، وتوثبت لإحيائه ، وفى الجو بارقة من الأمل ، وحسبنا ما نراه اليوم من جهود رجال الثورة الأبطال ، وعقلاء الأمة فى كل مكان ، فى توحيد كلمة العرب ، وجمع صفوفهم ، ورفعة شأنهم ، وما شاهدناه اليوم - ولا نزال نشاهده - من صراع بين الشرق والغرب ، وما قررته الجمعية العامة للأمم المتحدة من الموافقة الإجماعية على مشروع الدول العربية ،

وما قام به أهل العراق الأحرار ، وجيشهم الباسل لاستعادة مجد البلاد المسلوب ، وتطهيرها من الاستعمار وأعوانه ، وما نعرفه من موقف اليمن المشرف ، وأهل محميات عدن ، وثورة أبطال الجزائر المغاوير ، كل ذلك يجعلنا نوقن بأن الفلك قد استدار ، وأن الطريق قد استبصر ، وأن الفجر قد لاح ، وأن العقل قد اهتدى ، وأن دين الإسلام الأغر الميمون ، الذى أنقذ الخليقة منذ قرون ، من ضلال كسرى ، وغى قيصر ، حرى أن يخلصها اليوم ، من مطامع الصهيونيين وبغى المستعمرين .

وأضرع إلى الله عز شأنه أن يكتب لهذا الدين العظيم الذيوع والانتشار ، وللشعوب العربية نصراً مؤزراً ، وللمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها عزاً ومجداً ، وسعادة ورفاهية ، وللعالم أجمع سلاما شاملا ، أساسه العدل ، وقوامه الرحمة .

أحمد على منصور
أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

بناء المجد

نبى البر بينه سبيلا … وسن خلاله وهدى الشعابا
تفرق بين عيسى الناس فيه … فلما جاء كان لهم متابا
وكان بيانه للهدى سبلا … وكانت خيله للحق غابا
وعلمنا بناء المجد حتى … أخذنا إمرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى … ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال … إذا الإقدام كان لهم ركابا

شوقى

ميلاد الخير للانسانية

من نظر إلى العالم كله نظرة فاحصة مدققة شاملة ، قبيل ميلاد محمد عليه السلام وقبل بعثته رأى أحواله مضطربة غاية الاضطراب ، وأنظمته مختلة أشد اختلال ، وقواعده منهارة انهياراً عظيما يؤذن تبعاً لسنة الحياة بمغيب شمس عصر مظلم دامس ، وطلوع فجر مشرق وضاء الجبين ، ينير للناس سبيل حياتهم ، ويحفظ عليهم أنظمتهم .

فنظرة إلى العقائد والملل والنحل المنحلة والعادات المنكرة وعبادة الأوثان الشائعة المتكاثرة ، فقد عبد الشجر والحجر واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وتناحرت النصرانية واليهودية وانطمست معالمهما وأصابهما تحريف وتبديل على أيدى رجال الدين الذين اتخذوا العقيدة وسيلة لإرضاء الشهوات والأطماع والنزوات ، حتى لقد بلغ بالبعض منهم الصلف والكبرياء والعظمة أن جعل نفسه حارساً على أبواب الجنة يدخل من شاء فيها ويحرم من شاء .

وعلى هذا النحو من الضعف فى العقيدة وفى نظام الاجتماع وفى الأخلاق كانت الإنسانية قبل ميلاد محمد عليه السلام. واشتكى الوجود إلى ربه طالبا منه أن يخرج العالم من الظلمات إلى النور ، فأجيبت دعوته ، وبعث الله فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين .

وهكذا جرت الحكمة الإلهية فى تنظيم هذا الوجود وعمارة هذا الكون على أن لا يترك الناس سدى يهيمون على وجوههم بدون مرشد ، بل لا بد أن يرسل للناس الفينة بعد الفينة رسولا يبين الطريق المستقيم والصراط السوى ، لذلك اصطفى الله من بين عباده رسلا مبشرين ومنذرين يرسلهم الواحد يقفو الآخر سراجاً منيراً ونذيراً وبشيرا .

وما كانت البشرية فى تاريخها الطويل المديد أشد احتياجاً إلى الرسول مثل ما كانت قبيل مبعث محمد عليه السلام ، ومن سنة الله تعالى أن يختار رسله ممن طهرت نفوسهم وصلبت أعوادهم وكانوا أهل كفاح وجلد ومصابرة واحتمال ، وأهل جد وعمل .

ولقد اختار محمداً عليه السلام من أشرف أنساب العرب وأرفع قبائلها ، فقد قال عليه السلام « بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذى كنت فيه » ، ويقول عليه السلام « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدى لواء الحمد ولا فخر » وفوق هـذا يقول عليه السلام « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

ولا فخر يعلو فخر من كانت أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فقبيلتها شامة من شامات العرب ، ومن كان أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذى عرف حجيج مكة فضله وما كان يقوم به من خدمة للحجيج وإطعامهم وإسقائهم ، وأى نسب فى العرب يعلو هذا النسب أو يدانيه ، والصادق الصدوق خاتم الرسل يقول « ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح » .

ولقد كانت كل حقبة من حياة محمد عليه السلام ممتازة بعمل جليل خطير غير عادى ولا مألوف فى حياة الناس ، فقد سارع اليتم إليه وهو جنين فى بطن أمه قبل أن تدب فيه الحياة أو تنفخ فيه الروح . إذ أن والده بعد أن تزوج آمنة وحملت به سافر بعد حمله بقليل إلى الشام فى تجارة له فأدركته الوفاة بالمدينة أثناء رجوعه فدفن بها عند أخواله بنى عدى ابن النجار ، وكان ذلك بعد شهرين من حمل أمه به عليه السلام ، وإذا ما تركنا هذه المأساة الموجعة الأليمة التى أصابت هذا الجنين وانتقلنا إلى أيام إرضاعه بعد الولادة رأينا الأمور الغريبة والأحوال العجيبة التى أحاطت به ، رأينا المراضع يأتين من البادية ليأخذن أطفال أشراف العرب يرضعنهم فى البادية ذات الهواء الطلق والآفاق الفسيحة؛ ليتربوا على النجابة والشهامة وقوة العزيمة والبنية القوية والأخلاق الطاهرة ، ولم يرق لواحدة منهن أن تأخذ هذا اليتيم لشدة فاقة أهله وما هم عليه من خفض العيش ورقة الحال ، وبعد تردد من حليمة بنت أبى ذؤيب وخوفها من الرجوع بدون طفل ترضعه تراودت مع زوجها أبى كبشة فى أخذه ، وأخيراً أخذته مكرهة تحت ضغط الملابسات التى ألمت بها ورجعت به إلى البادية ، وقد أرسل الله عليها وعلى زوجها الخير مدراراً وجاءتهما البركة فى الضرع تسعى ، وبعد انتقاله من دور الرضاعة إلى دور الصبا لم تطل متعته بحنان الأمومة الذى بقى له ، ولم تمهله الأيام طويلا بل ضاعفت عليه اليتم وضاعفت عليه الرزء وهو لا يزال عاجزا عن كسب قوته ، فلم تمض على ولادته سوى سنوات ست حتى حرم من عطف الأمومة كما حرم

قبل ذلك من رعاية الأبوة وفى مألوف العادة وسنة الحياة الواقعية أن يكون اليتم المبكر المزدوج سببا من أسباب الضعف والانحلال والإهمال لليتيم ، ولكن محمداً عليه السلام قد كان على عكس ذلك وعلى خلاف تلك السنة والعادة ، فقد كان يتمه سببا فى نجابته وفى نبوغه وفى قوته وحزمه وعزمه فقد حفظته العناية الإلهية وأمدته بألطاف خفية وأعدته لحمل رسالة للإنسانية : فيها الرحمة وفيها الرأفة ، فهاهو ينتقل بعد موت أمه إلى كفالة جده عبد المطلب ، ثم إلى كفالة عمه أبى طالب دراكا وتظهر عليه مخايل الذكاء المبكر والعبقرية النادرة الفذة فهو يسافر للتجارة مع عمه أبى طالب إلى الشام وسنه فى الثانية عشرة ، فيكتسب من تلك السفرة خبرة واسعة فى التجارة تمكن له من أن يسافر بعد ذلك للتجارة فى مال خديجة بنت خويلد التى صارت زوجا له فيما بعد .

وقد أصبح محمد عليه السلام بين أهل مكة علما خفاقا معروفا بين قومه وعشيرته بسداد الرأى والحكمة والعفاف والصدق والأمانة ، واكتملت رجولته ونضج عقله وبلغ أشده فى سن مبكرة لم يعرف العرب لها ضريبا من قبل ، فاستدعى ذلك أنظارهم واستلب تفكيرهم واسترعى انتباههم ، فها هم يرتضونه حكما فيما بينهم يخضعون لرأيه ويذعنون لمشيئته عند المشورة وعند النصح ، فحينما اختلفت قريش فى وضع الحجر الأسود فى موضعه عند تجديد بناء الكعبة قبل الإسلام اتفق رأيهم على تحكيم أول قادم من باب الصفا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارتاحوا له جميعا لما يعهدونه من أمانته وحكمته وصدقه وإخلاصه للحق وقالوا : هذا هو الأمين رضيناه ، هذا محمد فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر بسط رداءه وتناول الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال : ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى وصلوا به إلى موضعه فوضعه فيه بيده ، وبذلك انحسم النزاع الذى كاد يؤدى إلى حرب شعواء تأكل الأخضر واليابس وتفنى من العرب أبطالا وصناديد كثيرة .

ولما بلغ عليه السلام سن الأربعين نزل عليه جبريل الأمين يبلغه رسالة ربه ، فقام بالدعوة سراً ثلاث سنوات ، اتبع دعوته فيها السابقون الأولون إلى الإسلام الذين استنارت بصائرهم وأشرقت فى قلوبهم دعوة التوحيد ، ثم نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » فجهر بالدعوة واستعد لملاقاة الخطوب والأهوال ، ولقد عبر عن

ذلك أصدق تعبير إذ قالت له زوجه خديجة فى وقت من الأوقات : نم قليلا ، فقال لها « قد انقضى زمن النوم يا خديجة » حقا لم يبق إلا الجد والعمل والمجالدة والنزال بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين عبادة الأوثان وعبادة الواحد الديان ، وما زال عليه السلام يجد ويجتهد فى الدعوة إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة الأوثان ونبذ ما عليه أهل الجاهلية .

وظل ينافح ويكافح ويجاهد ويجالد حتى أتم رسالته بعد أن لاقى العـــذاب ألوانا والمعارضة والمكابرة والعناد من أهل مكة وأهل الطائف على السواء ، ولقد كانت شجاعته عليه السلام فوق ما كانت عليه الشجاعة العادية إذ وصفه أحد أصحابه فقال « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » وما لنا نذهب بعيداً والواقع يملى علينا براهين قاطعة وحججا دامغة ، فها هى رباعيته تكسر وها هو المغفر تدخل حلقاته فى وجنتى الرسول عليه السلام ولا يفت ذلك فى عضده ، فينهض محرضا للمسلمين على القتال والوقوف فى وجه العدو ، دون وهن أو ضعف أو خور فكان يجعل من مواقف الهزيمة انتصاراً له وظفرا بعدوه ، فأنت تراه فى غزوة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة بعد أن خالف الرماة فيها أمر النبى عليه السلام وتركوا الموضع الذى وضعهم فيه فوق الجبل لحماية ظهر الجيش وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم نصرنا أو هزمنا ، فلما رأوا فرار المشركين ترك أكثرهم مكانه متأولا أمر الرسول عليه السلام بأن الغاية منه العمل على نصر المسلمين وقـــد تم النصر بفرار المشركين ، فكر المشركون عليهم وكادت الدائرة تدور على المسلمين إبادة وإفناءاً لهم لولا حكمة الرســـول عليه السلام وبراعته الحربية الفذة التى جعلت العاقبة للمسلمين فيما بعد : نصرا لهم واستردادا لهيبتهم وعزتهم ، وأشد من ذلك عجبا ما صنعه الرسول عليه السلام فى غزوة الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة التى انتهت صلحا على أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين أربع سنوات ، ومن جاء من المسلمين إلى قريش كافرا قبلوه ومن جاء من قريش إلى المسلمين مؤمنا ردوه ، وأن يرجع الرسول فى عامه هذا بدون عمرة ثم يأتى فى العام القابل لأدائها ، ومن أراد أن يدخل فى حلف قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى حلف محمد دخل فيه .

ولقد اعترض كثير من الصحابة على بعض هذه المبادئ فقالوا : كيف نرد إلى قريش من جاءنا مسلما وهم لا يردون من جاءهم منا كافرا ؟ فقال الرسول عليه السلام قول الحكمة

والإحاطة ببواطن الأمور - أما من ذهب إليهم كافرا فقد أبعده الله ، ومن جاءنا مسلما فسوف يجعل الله له فرجاً ، وهكذا كان صلح الحديبية فتحا مبينا للإسلام .

ولئن كان ميلاد محمد عليه السلام باعثا للذكرى العزيزة الحبيبة إلى قلوب من يعرفون الحق ويعرفون العدل ، فالجدير بنا أن نحرص كل الحرص على اتباع القواعد والأسس التي تركها فينا وجاء بها ، فقد دعا إلى العدل وبدأ بتنفيذه على نفسه وأهله ثم على القريب والبعيد والعدو والصديق إذ يقول لمن أراد أن يشفع فى حد من حدود الله « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم يقول « لقد أهلك من كان قبلكم من الأمم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد » ويكفينا أن ندلل على أن العدل ركيزة لإصلاح الحياة فنذكر قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ولقد طلب محمد عليه السلام من المؤمنين المساواة إذ يقول « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب » فليت الذكريات الإسلامية وذكرى ميلاد محمد عليه السلام وهجرته تبعث فينا روح الاقتداء والاهتداء بهديه والسير على سنته والتخلق بأخلاقه حتى نحقق فينا قول الله تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

وإنا لنرفع أكف الضراعة إلى المولى القدير أن يعيد علينا هذه الذكرى العزيزة الحبيبة والمسلمون والعرب أشد وحدة وأصلب قناة وأقوى عوداً مما هم عليه الآن ؛ حتى يدركوا مايدبره لهم المستعمر من مكر وخديعة ويعملوا على تقويض أركان الاستعمار إنه قوى عزيز .

عبد الله مصطفى المراغى

مولد الهادى

تجلى مولد الهادى وعمت ... بشائره البوادى والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهب ... يـداً بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجا منيرا ... كما تلد السماوات الشهابا
فقام على سماء البيت نورا ... يضىء جبال مكة والشعابا

شوقى

مفتاح الشقاء

أذاعت «روتر» شركة الأنباء المعروفة خبرا لعل الكثيرين لم يتنبهوا عنده ولم يحفلوا به، مع أن له قيمته ودلالته، وهو أن سكان قرية هندية تسمى «كودولى» وضعوا قانونا للقضاء على الخمر، وهو يقضى على شارب الخمر بأن يحلق له أهل القرية نصف شاربه، ثم يركبوه حمارا ويطوفوا به فى أزقة القرية وحاراتها، لإعلان فضيحته والسخرية به، ثم يغرموه خمس عشرة روبية بعد هذه الفضيحة. ومنذ قليل نشرت صحيفة «برافدا» الروسية أن غرامة ستوقع على كل من يضبط مخمورا أو مقامرا ... ومنذ حين نشرت الصحف أن أكثر من ستين فى المائة من الطيارين الأمريكيين يشكون اضطرابات عصبية، بسبب الإفراط فى المسكرات، والإسراف فى لعب القمار، وبسبب الانحرافات الجنسية !! ...

ذكرتنا هذه الأنباء بعلة مستعصية من عللنا، وهى علة انتشار الخمور فى بلادنا، واعتياد الكثيرين من المتحللين والمترفين لتناولها جهرا أو سرا، وتلطخ الكثير من الحفلات والسهرات فى الأفراح والملاهى والأندية الليلة الخبيثة بالخمر على اختلاف الأنواع والألوان؛ وهناك مع الأسف من يصرح بأن المخدرات كالحشيش والأفيون هى التى يجب أن تقاوم وتحارب، وتبذل فى محاربتها الجهود وتجند الجنود؛ وأما الخمر فلا خوف منها ولا خطورة بل هناك من يقترح محاربة المخدرات بنشر شرب الخمر، أو شرب نوع منها، ولسنا ندرى ماذا نصنع لو أخذنا بهذا الاقتراح العجيب ... إننا ندلل للناس على حرمة هذه المخدرات بأنها تشبه الخمر فى أنها تسكر أو تفتر، فكيف ندلل لهم على هذه الحرمة إذا صارت الخمر وهى أم التحريم فى الباب مباحة منشورة ؟ ! ...

ومن أعجب العجب أن بعض هؤلاء يفترون على الله الكذب وهم يعلمون، فيقولون: إن القرآن لم يصرح بتحريم الخمر؛ مع أن ربكم وخالقكم هو الذى يقول: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين».

والخمور بمختلف أنواعها المسكرة المذهبة للرشد والعقل - حرام حرام بنص القرآن والسنة والإجماع ، ولو لم يحرمها الدين لحرمها العقل ؛ وإنما حرم الإسلام الخمر لما فيها من أخطار وأضرار ، وقد أراد من وراء تحريمها حفظ الأموال لأنها تتبدد فى الخمر بسفه وجنون ، وحفظ الأجسام لأن الخمر تهدمها وتقوضها وتصيبها بوبيل الأمراض والعلل كضغط الدم والشلل وتحلل الأعصاب وفقد الوعى وتلف الكبد ، وحفظ العقول لأن الخمر تذهب بها وتسبب لمدمنها الخبال والضلال ، وحفظ الأعراض لأن من سكر انفلت منه القياد فكان حيوانا أو كالحيوان ، ولقد رووا أن عجوزا من الأعراب جلست إلى فتيان يشربون نبيذا لهم فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً ثانيا فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثا فقالت : خبرونى عن نسائكم ، أيشربن من هذا الشراب ؟ . قالوا لها : نعم . فقالت : زنين ورب الكعبة ! . . .

ومن لؤم الذين يشربون الخمر جهاراً أو من وراء ستار أنهم يخادعون الله وهو خادعهم ، فيوهمون الناس أن الأصناف التى يشربونها اليوم ليست هى الأصناف التى حرمها الإسلام ، لأن الإسلام لم يذكر تحريم « الويسكى والكونياك والشمبانيا » وأشباهها من الأسماء التى لم تكن موجودة فى صدر الإسلام ؛ ولكن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يحدثنا عن هذا الاحتيال الذى وقع بعد عهده بأجيال فيقول : « ليشربن أناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها » . ثم وضع لنا قاعدة التحريم فى هذا الباب ، فقال فى الحديث الصحيح : « كل شراب أسكر فهو حرام » ، وقال : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » . وقال عمر بن الخطاب من فوق منبر الرسول صلوات الله عليه : « الخمر ما خامر العقل » أى غطاه وستره ، فيدخل فيه جميع أنواع الخمر بمختلف أسمائها وألوانها وأشكالها . . .

ومن لؤمهم كذلك أن يقولوا : إن « النبيذ » حلال ، وقد أباحه بعض الفقهاء . وهذا تضليل وتحريف ؛ لأن النبيذ المذكور فى كتب السيرة الإسلامية هو نقيع التمر والزبيب الذى لا إسكار فيه ، فهو يشبه « الخشاف » المعروف اليوم . وعن أنس رضى الله عنه قال : سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحى هذا الشراب كله : العسل والنبيذ والماء واللبن . . . فهل يعقل أن يشرب نبى الطاهرين المطهرين شراباً مسكراً أو فيه شبهة إسكار ؟! . . .

وهـذا هو الحاكم العادل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يرى أن طائفة من المنحرفين يشربون نوعا من الخمر يسمونه « الطلاء » والطلاء جنس من الشراب كأنه ثخن حتى صار كالقطران الذى تطلى به الإبل، لحارب عمر ذلك الانحراف محاربة صارمة، وكتب إلى ولاته وعماله كتابا مطولا جاء فيه قوله : « ثم إن الطلاء لا خير فيه للمسلمين ، إنما هو الخمر يكنى باسم الطلاء . قد جعل الله عنه مندوحة وأشربة كثيرة طيبة ، وقد علمت أن ناسا يقولون : قد أحله عمر رضى الله عنه ، وشربه ناس ممن مضى من خيارنا ؛ وإن عمر إنما أتى منه بشراب طبخ حتى خثر (أى استرخى) فقال حين أتى به أطلاء هذا ؟ . يعنى به طلاء الإبل ؛ فلما ذاقه قال : لا بأس بهذا . فأدخل الناس فيه بعد عمر . . . أما من شربه من صالحيكم فإنهم شربوه قبل أن يتخذ مسكراً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرام كل مسكر على كل مؤمن ، فلا أرى أن يتخذ الفاجر البار دلسة (أى خداعا وتضليلا) ونرى أن يتنزه المسلمون عنه عامة ، وأن يحرموه ، فإنه من أجمع الأبواب للخطايا . وأخوفها عندى أن تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم » ! . . .

ويكتب عمر إلى أيوب بن شرحبيل واليه على مصر خطابا فى الخمر منه قوله : « ثم إنه قدكان من أمر هذا الشراب أمر سامت فيه رعة (أى ملاحظة) كثير من الناس ، وجمعوا مما يغشون به مما حرم الله فيه حراما كثيراً نهوا عنه عند سفه أحلامهم وذهاب عقولهم ؛ حتى استحل فى ذلك الدم الحرام ، وأكل المال الحرام ، والفرج الحرام ، وقد أصبح كل من يصيب من ذلك الشراب إنما علتهم فيه يقولون : الطلاء لا بأس علينا فى شربه ، ولعمرى إن ما قرب إلى الخمر فى مطعم أو مشرب أو غير ذلك ليتقى ، وما يشرب أولئك شرابهم الذى يستحلون إلا من تحت أيدى النهار الذين يهون عليهم زيغ المسلمين فى دينهم ، ودخولهم فيما لا يحل لهم ، مع الذى يجمع نفاق سلعهم ، ويسارة المئونة عليهم ؛ وما لأحد من المسلمين عذر أن يشرب ما أشبه ما لا خير فيه من الشراب ، فإن الله جعل عنه غنى وسعة من الماء الفرات ، ومن الأشربة التى ليس فى الأنفس منها حاجة من العسل واللبن والسويق والنبيذ والزبيب والتمر » .

ثم يقول عمر : « فإنا من نجده يشرب منه شيئاً بعد تقدمنا إليه فيه نوجعه عقوبة فى ماله ونفسه ، ونجعله نكالا لغيره ، ومن يستخف بذلك منا فإن الله أشد عقوبة ، وأشد بأساً ، وأشد تنكيلا » .

ثم يختم الكتاب بقوله : « أسأل الله أن يغنينا وإياكم بما أحل عما حرم ، وأن يزيد من كان فينا مهتدياً هدى ورشداً ، وأن يراجع بالمسىء التوبة فى عافية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ومن لؤمهم أيضاً أنهم يتعللون فى شربها بأنها دواء لمرض أو علاج لعلة . وهذا مكر يمكرونه بين الناس ، لأنهم يشربونها للسكر والإدمان ، ولمآربهم الخسيسة الأخرى ؛ وعلماء الطب لم يدعوا حالة من حالات المرض يستعمل فيها دواء مسكر إلا جعلوا مكانه دواء ليس مسكراً ، وفوق هذا سئل الرسول صلوات الله عليه عن التداوى بالخمر فأجاب : إنها داء وليست بدواء ! ! ...

ولما كانت الخمر بهذه الخطورة الخبيثة حذر الرسول منها أبلغ التحذير فقال فيما ينسب إليه : « اجتنبوا الخمر فإنه والله لايجتمع (١) والإيمان أبداً إلا يوشك أحدهما أن يخرج صاحبه » . ولا عجب فالخمر أم الخبائث ومفتاح الشرور وباب البلايا ؛ ولقد قص علينا بعض كتب السنة قصة فيها عظة وبلاغ ، وخلاصتها أن رجلا استدرجته امرأة فاجرة ، وغلقت عليه الأبواب ، وكأنها أرهبته حين خيرته بين أمور ثلاثة : أن يشرب كأساً من خمر كان عندها ، أو يقتل غلاما كان معها ، أو يزنى بها . . . وكأنما أراد الرجل أن يختار فى ظنه أخف الأمور ، فشرب من الخمر ، فلما دارت برأسه زين له الشيطان أن يواقع المرأة فأقدم على ذلك ، وكأنما خاف من الغلام أو ضاق به فقتله ؛ فكانت الخمر سبباً فى شر عظيم وبلاء مستطير . . .

ولذلك لايشرب الخمر إلا من ضل ضلاله وساء حاله ؛ وكأن هذا بعض السبب فى أن السنة المطهرة تخبرنا بأن شارب الخمر كان يجلد أربعين ، وكان الجلد بالنعال فى كثير من الأحيان ... نعم بالنعال ، لأن المرء الذى أهدر آدميته وأذهب عقله لايستحق إلا الحذاء يصفع به ويجلد ليتأدب ويرتدع ، وشتان بين إنسان يحافظ على عقله وكرامته وبين حشرة تأبى إلا إهلاك نفسها أو سواها :

إن عادت العقرب عدنا لها ... بالنعل ، والنعل لها أنسب !

---

(١) فى كتب اللغة أن الخمر قد تذكر .

وهناك من يرى أن مقاومة الخمر ومهاجمتها الآن لون من الرجعية والجمود ، لأن الخمر قد ذاعت وانتشرت ، وأصبح من العبث الوقوف فى وجهها ، وهذا منطق غريب ! مقتضاه أن النار إذا زادت فى الاشتعال تركناها حتى تأتى على الأخضر واليابس ! . . . وما هكذا كان المصلحون ، ولا الذين يغارون على الفضائل والأخلاق ، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه نراه حينما شاهد أن عدد الذين ينحرفون فيشربون الخمر قد زاد عما كان عليه فى عهد النبوة يضاعف حد الشارب ، فيزيده من أربعين جلدة إلى ثمانين ، لأن التوسع فى الجرم يستلزم التشديد فى الجزاء والعقاب .

إن الله جل جلاله قد خلق لنا الحلو اللذيذالطيب الحلال الطاهر من ألوان الشراب ، فخلق اللبن الذى يخرجه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، وخلق العسل الذى يخرجه من بطون النحل شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس ، وخلق الماء العذب الفرات الذى يروى ويمتع ، وخلق عصير الفواكه وما أكثرها وأكثر منافعها وخصائصها . .

ولقد كان النبي صلوات الله عليه يدخل بستان « بيرحاء » لأبى طلحة بجوار المسجد النبوى ، ويشرب من ماء فيه طيب كأنه يحبه ويتلذذ به ، وكان الماء العذب يجلب للنبى من عين تسمى « بيوت السقيا » على يومين من المدينة ، وقيل إنها قرية بين مكة والمدينة ، فأين هذا الهدى النبوى القويم من ولوع الإنسان اليوم بإفساد الصالح وتعويج المستقيم وتعقيد السهل ؟ ... كان الطعام لسد الجوعة فجعله للتخمة والبطنة ، فتعددت ألوان الأكل ، فكثرت الأمراض وتعددت العلل ، وكان الشراب للرى ودفع الظمأ ، فاصطنع الإنسان ألوانا منه لقتل العقل وإثارة الشهوة ، وكانت الثياب لستر العورة فجعلها الرجل للزينة الزائدة والفخر الكاذب ، وجعلتها المرأة كمصايد للشيطان . . . فأى شقاء جره الإنسان على نفسه بسبب هذا الانحراف وذلك الإسراف ؟ ! . . .

إن واجبنا أن نقطع الطريق على أم الخبائث ، وأن نبعدها عن مجتمعنا وعن ذرياتنا التى تتوزعها مناكب الحياة ، وأن نأخذ بهدى الإسلام فلا نقربها ولا نرضى بها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

حصوننا مهددة من داخلها

فى الجامعة العربية

— ٤ —

بقى مما وعدت بالكلام عنه من النشاط الثقافى لجامعة الدول العربية الكلام عن المؤتمرات التى أعدت لها الإدارة الثقافية وأشرفت عليها أو شاركت فيها . وحديث المؤتمرات فى هذه الإدارة حديث يثير العجب . فلو عرض القارئ ما سجلته هذه الإدارة من نشاط المؤتمرات تحت عنوان (التعاون بين الإدارة الثقافية واليونسكو والهيئات الثقافية الدولية ـ ص ٤٥ ـ ٥٣ من النشرة الثقافية ١٩٤٦ - ١٩٥٦) لخيل إليه أن هذه الإدارة فرع من اليونسكو يعمل تحت سيطرته وتوجيهه . وسيطرة أمريكا ـ واليهود خاصة ـ على اليونسكو شىء لا أحتاج إلى أن أنبه له فهو مشهور معروف ، يؤكده ما أثبته النشرة الثقافية لجامعة الدولة العربية فى بيانها العام عن هذه المؤتمرات . فهى تستهدف السيطرة على توجيه الثقافة والتعليم فى البلاد العربية ، والترويج لآراء اجتماعية ومذاهب سياسية لا تخدم إلا مشاريع اليهود والغرب . فمن ذلك مؤتمر تبادل المدرسين بين البلاد العربية الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٥٦ بدعوة من اليونسكو (ص ٤٦) . ومؤتمر التعليم الثانوى فى مصر الذى انعقد فى مصر سنة ١٩٥٥ واشتركت فى الدعوة إليه الجامعة الأمريكية بالقاهرة (ص ٤٩) والحلقة التربوية التى دعت إليها الجامعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٩٥٤ وكان موضوعها « فلسفة تربوية متحدة فى عالم عربى متحد » (ص ٥٠) . وحلقة دراسات التربية للتفاهم العالمى التى انعقدت فى قصر اليونسكو ببيروت سنة ١٩٥٥ ورأسها عبد العزيز القوصى (ص ٥٠) فمثل هذه المؤتمرات لا يقصد بها إلا السيطرة على التعليم فى العالم العربى ، وتوجيهه وجهة لا دينية تؤدى إلى ضياع الجيل القائم والجيل القادم ضياعا لا تقوم معه نهضة فى هذه المنطقة ! مما يمكن لليهود ولشيعتهم الذين يتولونهم من دول الاستعباد الغربى والأمريكان منهم خاصة ، وذلك بترويج بعض الآراء والأساليب التربوية والنفسية المنحرفة الفاسدة . ومن هذه المؤتمرات ما يروج لأساليب أمريكية من التنظيم الاجتماعى تخفى فى ثناياها مذاهب فكرية هدامة باسم العلم الحديث من ورائها اليهودية العالمية ، مثل مؤتمر العلوم الاجتماعية الذى انعقد فى دمشق سنة ١٩٥٤ بدعوة من اليونسكو لدراسة الشئون الاجتماعية بالشرق الأوسط

(ص ٤٨) . فقد عنى هذا المؤتمر عناية شديدة بالترويج لما يسمونه (علم الاجتماع) ووضع تعاليمه وأوهامه فى مكان التقديس الذى كان يحظى به الدين ، وإسلام المجتمع برمته إلى نفر من الناس لا يمت للثقافة الإسلامية أو العربية بسبب ، يقدس تلك الأوهام التى تشيع فيها سموم اليهودية العالمية الهدامة ويتخذها دستوراً ، ولا يعرف أصولا يصدر عنها فى تفكيره وتشريعه سوى دعاواها . فحث على تأليف الكتب المدرسية فيها وروج لأصحاب هذه الثقافات التى يتسع فيها المجال أمام ذوى الأغراض والهدامين ، بالدعوة إلى (تأمين العمل للإخصائيين فى الشئون الاجتماعية ، وضمان مستقبلهم المادى والأدبى) . كما عمل على حماية الهدم والهدامين من كل صوت يرتفع للحد من نشاطهم الهدام باسم الدين فى دعوته إلى (تأمين حرية الدرس والبحث والتفكير والتأليف فى الشئون الاجتماعية) . ومن هذه المؤتمرات ما يتستر تحت اسم العلم والبحث ، ولكنه لا يبحث المسائل فى حقيقة الأمر إلا من زاوية تخدم اليهود خاصة ، مثل الكلام عن (موقف الإسلام من العنصرية ـ ص ٤٥) . ومنها ما يدعم مشروعات الغرب السياسية مثل مؤتمر التضامن الثقافى والاقتصادى بين دول البحر الأبيض المتوسط الذى انعقد فى باليرمو سنة ١٩٥٤ . فالهدف الحقيقى من ورائه هو إقرار النفوذ الغربى فى حوض هذا البحر ، وربط دوله العربية بدول الاستعباد الغربية . فكل الذين يتحدثون عن رابطة البحر الأبيض وثقافة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض ـ من طه حسين فنازلا ـ كانوا يروجون لمشاريع فرنسا التى تعتبر شمال إفريقية جزءاً لا يتجزأ منها . وقد زاحمتها إيطاليا وأسبانيا حينا ، ثم ورثتهم أمريكا جميعاً . فالكلام فى هذا لا يقصد به إلا صرف العرب عن جامعتهم العربية وصبغتهم الإسلامية . وأى رابطة بين فرنسا والمغرب سوى الدم المسفوك ؟ وأى رابطة بين إيطاليا وطرابلس ، وبين أسبانيا وريف مراكش ، سوى ما يحفظه التاريخ من مظالمهم ومفاسدهم وما سفكوه من دماء الشهداء ؟ وهل نسى العرب عمر المختار الشهيد ؟ .

وأدع ذلك كله مما لا سبيل إلى الخوض فى تفاصيله ، لأنى لا أجد بين يدى نصوص ما دار فى هذه المؤتمرات من مناقشات ، لأنتقل إلى الكلام عن مؤتمر نشرت الجامعة العربية محاضر جلساته ، وهو مؤتمر يتوسم القارئ الخير فى عنوانه ولا يكاد يخطر له سوء الظن فيه ببال ، وذلك هو (المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية ـ دمشق ١٩٥٦) .

اجتمع فى هذا المؤتمر مندبون من المجامع اللغوية العلمية فى مختلف بلاد العرب : فشهده

وفد من مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ووفد من المجمع العلمى العراقى ، ووفد من المجمع العلمى العربى فى دمشق ، كما شهده مراقبون من الدول العربية التى لم يؤسس فيها مجامع وهى الأردن والسعودية ولبنان وليبيا وتونس . وشهده مع ذلك كله وفد يمثل الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، ومندوب يمثل هيئة اليونسكو (شفيق شماس) .

واللغة العربية التى بحث هذا المؤتمر شئونها هى أقوى ما تقوم عليه الوحدة العربية من الروابط ، وهى الرابطة التى ارتفعت حتى الآن فوق كل مراء : فقد مارى أعداء العروبة زمنا فى أن العرب ينتمون إلى جنس واحد ، فسمعنا أصوات المنكرين من الشعوبيين دعاة الجاهلية الأولى بين فرعونية وفينيقية وآشورية وبابلية . وماروا حينا فى ارتباط القومية العربية بالإسلام فسمعنا من يزعم أن هذه الصبغة تنفر غير المسلمين من العرب . وظلت رابطة اللغة بعد ذلك تسمو على كل مراء لا ينازع منازع فى أنها هى الرباط الأقوى بين العرب .

لذلك كان آخر ما يتوقعه القارئ فى الكتاب الذى جمع ما ألقى فى هذا المؤتمر من بحوث أن يجد فيه ما يعين على توهين هذه الرابطة ، أو تفريق المجتمعين عليها ، من مثل الدعوات المريبة الهدامة إلى مسخ اللغة الفصحى أو تبديل قواعدها وخطها .

ولكن واقع الأمر جاء مختلفا عما يتوقعه القارئ وما يرجوه ، فامتلأ الكتاب فى مواضع مختلفة بالدعوة إلى العامية ، وإلى تبديل الخط العربى ، وقواعد النحو والصرف والبلاغة . إذا أعوزك أن تجد ذلك سافرا صريحا فستجده مستورا خفيا يلبس زى الناصح الغيور ، فى مثل مقال أحمد حسن الزيات عضو مجمع القاهرة عن (مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ص ٨١ — ٨٨) ، ومقال على حسن عودة مندوب الأردن (بين اللغة العربية الفصحى والعامية : ١٨١ — ١٨٤) ، ومقال أحمد عبد السلام مندوب تونس (الفصحى والعامية : ٢٠٢ — ٢١١) ، ومحاضرة منير العجلانى عضو مجمع دمشق عن (أثر اللغة فى وحدة الأمة : ٢١٧ — ٢٢٧) ، واقتراح إبراهيم مصطفى فى (كتابة الهمزة والألف اللينة : ١٦٠ — ١٦٥) ، ومقاله عن (تيسير قواعد اللغة العربية : ١٦٦ — ١٧١) ، ومقال طه حسين مدير الإدارة الثقافية عن (تيسير القواعد فى اللغة : ٢٢٨ — ٢٤٠) . ولم يشذ عن هؤلاء إلا صوت واحد بدا وسط هؤلاء غريبا فى دعوته إلى التزام الفصحى فى المدارس وفى القضاء وفى الصحافة وفى المجالس النيابية ، منبها إلى أن هذا هو السبيل الوحيد

إلى علاج ما يسمونه « مشكلة الفصحى والعامية » . ذلك هو صوت الأستاذ عارف النكدى عضو وفد مجمع دمشق فى بحثه (اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ٨٩ - ١٠٤) .

وسأعرض نماذج مما جاء فى هذا الكتاب ليتأكد القارئ أنى لا أتزيد فى القول ولا أبالغ فى التصوير ولا أتجنى على أحد . ثم أعود بعد ذلك إلى مناقشة بعض هذه الدعاوى العريضة التى انخدع بها كثير من السذج الغافلين . وقبل أن أشرع فى ذلك أحب أن أبادر ببعث الطمأنينة إلى قلوب من أزعجتهم هذه المقدمة فأقول : إن المؤتمر قد رفض الأخذ بشىء من هذه الآراء المعوجة والدعوات السقيمة . ولكنى أحب أيضا أن أنبه إلى أن الداعين بهذه الدعوات قد استطاعوا أن ينفذوا إلى بعض قرارات المؤتمر ، ويتركوا فيها أثرا من سمومهم ومسحة من أمراضهم وأسقامهم تكشف عن الخطر الذى يتهدد حصوننا من داخلها .

يروى أحمد حسن الزيات قصة مجمع اللغة العربية فى القاهرة بين الفصحى والعامية ، فيقول : إن المحافظين من شيوخ الأدب قد سيطروا عليه فى أول نشأته ، ثم انتهى زمامه إلى الكتاب والصحفيين الذين نبهوا المجمع إلى أهمية العامية وإلى خطورة جمود اللغة بتخلفها عن مسايرة الزمن (ص ٨١ - ٨٢) . ويقدم مثالا من جهود هؤلاء (المجددين) بالبحث الذى ألقاه أحدهم فى دورة ٤٦ - ٤٧ عن (موقف اللغة العامية من اللغة الفصحى) فدعا فيه إلى التساهل فى بعض قواعد الإعراب وعدم التشدد فى قبول المستحدث من الألفاظ والأساليب التى تجرى على كل لسان لكى (يسهل علينا تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية) ، ودعا كذلك إلى أن نشرع فى دراسة عاميات الأقطار العربية المختلفة لإقرار ما هو مشترك منها سواء صح فى معاجم اللغة وكتبها (ص ٨٣ - ٨٤) . وذكر الزيات أنه ألقى بعد ذلك بحثا عن (الوضع اللغوى وحق المحدثين فيه) ذهب فيه إلى إباحة استعمال المولد ، وإزالة السد القائم بين الفصحى والعامية لكى ينتج (من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك - ص ٨٥) كما اقترح (لتقريب الخلاف بين العامية والفصحى أن يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه . . . وأن يرد الاعتبار على المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة ، وأن يطلق القياس فى الفصحى ليشمل ما قاسه العرب ، وما لم يقيسوه ،

وأن يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذى حرفة - ص ٨٥) . ويقول الزيات إن مجمع القاهرة قد أقر هذه المقترحات وأخذ فى تطبيقها [١] .

أما على حسن عودة مندوب حكومة الأردن فقد ظن أن هدف هذا المؤتمر هو (أن نقضى على اللغة العامية ونحل محلها لغة تعبير وتخاطب عربية فصيحة سهلة التناول يستعملها الكبير والصغير ، ويكون فيها الغناء فى الحياة الاجتماعية فى كافة مرافقها - ص١٨١). وتصور المسألة على هذا النحو خطأ كما سأبينه فيما بعد ، لأنه غير ممكن ولا ميسور ولا هو مطلوب ، ولأنه يخالف طبائع الأشياء .

ويكاد القارئ أن يطمئن إلى سلامة قصد الكاتب رغم خطأ تصوره حين يظن أن هدفنا هو القضاء على العامية . ولكنه لا يلبث أن يتبين أن هدفه فى حقيقة الأمر هو اختراع لغة عربية جديدة ونشرها بين الناس بكل وسائل النشر (فإن لدينا اليوم من الوسائل الحديثة ما يضمن النجاح لمجهود يبذل فى سبيل ترقية لغة التخاطب فى البلاد العربية ويضمن البقاء والتقدم أيضا لكل لغة عربية فصيحة يتواضع عليها ، تستوعب مصطلحات للمستجد من آثار العلوم والفنون - ص ١٨٢) . وهو يقترح تبسيط اللغة واختصارها ، كما يقترح على جامعة الدول العربية (أن تعنى بوضع معجم يسمى معجم العامة ، أو غير ذلك من الأسماء ، يكتفى فيه بالمفردات التى يحتاج إليها فى كافة مرافق الحياة ، وتحشد فيه أوضاع جديدة للدلالة على مستحدثات العصر الفنية المتداولة . ثم يلجأ فى تعميم هذه اللغة العربية الفصيحة العامة إلى كل الوسائل الكفيلة بتعميمها ابتداء من المدارس الليلية التى يحمل العمال والمشتغلون فى النهار على غشيانها ، وفى المدارس الابتدائية التى يتكفل القائمون فيها بتعليم الأطفال فى كتب خاصة تقيد مؤلفوها بألفاظ هذه اللغـــة ، وبتعويد هؤلاء الأطفال التحدث بالفصيح المقترح فضلا عن القراءة . ص ١٨٣ - ١٨٤) .

ومن الواضح أن هذا الرجل يريد أن يخترع لغة فصيحة جديدة ، ثم يدعو إلى تعميمها بتقييد مؤلفى الكتب المدرسية أن يكتبوا (بالفصيح المقترح) ، أى أنه يلزمهم أن لا يستعملوا

---

(١) اعترف منصور فهمى بذلك فى محاضراته التى ألقاها فى هـذا المؤتمر عن أهداف مجمع مصر فى خدمة اللغة العربية [ص ٢٤١ - ٢٥٦] .

« الفصحى القديمة » التى يدعو إلى اختصارها واستبعاد غير المألوف من مفرداتها وإضافة ما يرى إضافته إليها . ولست أدرى ما هو الحد الفاصل بين المألوف وغير المألوف فى اعتباره ؟ ومن هو الحكم فى التمييز بينهما ؟ هل هو الأمى الجاهل ، أم هو المثقف من غير محترفى الأدب ، أم هو الكاتب الممارس للكتابة فى الصحف اليومية ، أم هو الشاعر والناقد ، أم هو عالم اللغة ؟ أليس الأسهل تعميم الفصحى القائمة الموجودة الموروثة بدل التواضع على فصحى جديدة تتقيد بها الكتاب والمؤلفين ، مع وجود لغة متواضع عليها هى حقيقة قائمة ثابتة حية ماثلة فيما يتداول العرب جميعا من كتب ومن صحف يلتقون ويلتقى معهم المسلمون من غير العرب عند فهمها والتعبير بها ، وهى نفسها اللغة التى تفاهم بها العرب فى مؤتمرهم هذا والتى عبر بها صاحب هذا الاقتراح العجيب ففهمنا وفهم كل الناس عنه ؟ .

واقتراح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس قريب من اقتراح مندوب حكومة الأردن السابق حتى لكأن شيطانهما واحد : فهو يقترح على المجامع اللغوية (أن تؤلف لكل قطر معجما صغيراً لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بقيت مستعملة بمعناها الأصلى فى لغة ذلك القطر ، وأن يوصى معلمو الأحداث والعامة بالاقتصار عليها قدر المستطاع - ص ٢٠٨) . واقتراحه هذا ينتهى إلى إيجاد لغات عربية متعددة تمثلها هذه المعاجم المقترحة التى تحيي دارس اللهجات وميت اللغات بعد أن جمع الله العرب - بل المسلمين - على فصحى القرآن ويزيد فى توسيع الهوة بين هذه المعاجم أن صاحب هذا الاقتراح يوصى بالتوسع فى قبول الكلمات المولدة والدخيلة فيها كما يوصى (لزيادة الخبرة بعربيتنا وبمدى حيويتها ، أن يشتغل عدد من علمائنا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩) وهو يخفى حقيقة أهدافه وخطورة آرائه بالقناع الذى يتقنع به طه حسين وشيعته حين يتظاهرون بعدائهم للعامية ثم يزعمون للناس أن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تخضع لما يسعون إليه من تطور مزعوم !

والذى يفضح هؤلاء الناس ويكشف عن مصدر هذه الوساوس فى نفوسهم وحقيقة الذى ألقى هذه الأوهام فى رءوسهم وحرك بها ألسنتهم ودفعهم إلى ترويجها هو أنك تجد فريقاً منهم يفكرون بالإنجليزية أو بالفرنسية ثم يترجمون تفكيرهم إلى العربية . تجد ذلك فى محاضرات أنيس فريحة عن (اللهجات وأسلوب دراستها) التى نشرها معهد الدراسات

العربية العالية بجامعة الدول العربية ، حين يفكر للغة العربية باللغة الإنجليزية ويريد أن يلبس لغتنا أثوابا لم تمد على قدها ولم تجعل لها ، إذ يثبت الاصطلاح الإنجليزى ثم يصطنع لها اصطلاحا عربيا يقابله . وتجده كذلك فى محاضرة منير العجلانى التى ألقاها فى مؤتمرنا هذا عن (رابطة اللغة والأمة : ص ٢١٧ - ٢٢٧) ، حين يصب تفكيره فى قوالب فرنسية ، فلا يكاد يأخذ فى تعريف الدولة أو الحكومة أو الأمة أو الشعب أو أثر اللغة فى وحدة الأمة حتى يبنى كلامه على رأى لهربو أو رينان أو ما تسينى أو فلان وفلان من أصحاب المذاهب الغربية عموما والفرنسيه خاصة . ومنير العجلانى هذا لا يعترف بأن الإسلام رحم وصلة بين المسلمين [1] وأنه جامعة من أوثق الجامعات ، لأنه يجرى فى تعريف القومية العربية على قياسها بمقاييس أوروبا اللادينية التى روجها اليهود منذ الثورة الفرنسية اليهودية . يقول عند كلامه عن الدين بوصفه عنصرا من مقومات القومية . (كان الدين فى العصور الوسطى يجمع الشعوب ويفرقها ، ولكن أثره فى تكوين الأمم تضاءل فى الزمن الحاضر . وربما أسقطه غلاة القومية من حسابهم [2] - ص ٢٢٤) .

وترديد المحاضر لاصطلاح « العصور الوسطى » هو أثر من آثار الاستعباد الغربى الذى يخضع له تفكيره . فتعبير « العصور الوسطى » تعبير أوروبى يقترن فى أذهان أصحابه بالتخلف والهمجية ، لأنه يقترن بالظلم وبالنظام الإقطاعى وبالرق وباستبداد الكنيسة وطغيانها . والذين يفكرون برءوس أوروبية يستعملون هذا الاصطلاح بمعناه ذاك ، رغم الاختلاف الواضح بين ظروفنا وظروفهم . فالعصور الوسطى تقابل عندنا عصر الرسالة المحمدية وأزهى عصور الإسلام . فهى بالقياس إلى العربى وإلى المسلم عصر النور والمجد والعدل ، فى الوقت الذى يعتبرها الأوروبى فيه عصر الظلام والظلم والتخلف . أليس ذلك ضربا من ضروب الاستعباد الفكرى ، وهو شر ألوان الاستعباد ، بل هو أخطر ما خلفه الاستعباد الفرنسى والاستعباد الإنجليزى فى الشعوب الإسلامية التى استعبدها ،

---

(١) المجلة - مع أنه من بيت علم إسلامى عريق ، ولكن الثقافة الأجنبية فصلت الكثيرين عن بيوتهم .

(٢) المجلة - هذا فى الغرب ، أما فى الشرق العربى فالدين أوسع أفقا من مدلوله فى الغرب ، والعروبة أكثر تعاونا مع الإسلام فى ماضيهما وحاضرهما .

ذلك هو مجمل ما عرضه أصحاب ذلك المشكل الذى توهموه فابتدعوه ، وزعموه ثم أوجدوه ، بين العامية والفصحى .

أما الاقتراحات التى تدعو إلى مسخ قواعدنا فى اللغة وفى النحو وفى الإملاء والخط ، فقد جاءت على لسان طه حسين ، وصفيه إبراهيم مصطفى الذى صدع بوحيه حين ألف منذ عشرين عاما كتاباً ميتاً فى النحو سماه « إحياء النحو » . ألقى طه حسين محاضرة دعا فيها إلى العدول عن قواعد النحو الثابتة المتدارسة التى اجتمع عليها العرب والمسلمون زاعماً أنها لم تعد صالحة وأنها هى السبب فى ضعف الطلاب وتخلفهم (٢٢٨ - ٢٤٠) . وتقدم إبراهيم مصطفى باقتراحين ، أحدهما فى (كتابة الهمزة والألف اللينة : ص ١٦٠ - ١٦٥) دعا فيه إلى توحيد الصور الكتابية للهمزة ، والآخر فى (تيسير قواعد النحو : ص ١٦٦ - ١٧١) مهد به لاقتراحات (تيسير النحو والصرف : ص ١٧٢ - ١٨٠) المقدمة باسم مجمع القاهرة والتى تحمل طابع إبراهيم مصطفى المعروف فى (إحياء النحو) الذى دعا فيه إلى تبويب جديد للنحو من ابتكاره . وقد سحب إبراهيم مصطفى اقتراح الهمزة قبل أن ينظر فى جلسة المؤتمر العامة ، ويبدو أنه لم يجد الظرف مهيأ لقبوله فخشى أن يتخذ قرار برفضه وآثر أن يدع الباب مفتوحا حتى يستطيع هو أو آخر من عصابته العودة إلى ذلك فى فرصة أكثر ملاءمة . أما مقترحات تيسير النحو فقد قرر المؤتمر فى شأنها أنه (نظر فى مقترحات تيسير النحو التى أعدتها وزارة التربية والتعليم فى مصر فوجد بعد دراستها أنها تحتاج إلى زيادة فى البحث والتمحيص ، وقرر تأجيل النظر فيها إلى مؤتمر آخر : ص ٢٧٨) . وقد كنت أرجو أن يقضى فيها المؤتمر قضاء حاسما صريحا يقرر فيه فسادها وضررها ؛ لأن هذا القرار الذى يظهر فيه نفوذ دعاة الهدم والتبديل لم يمنع القائمين على برامج التدريس فى مصر من أن يضعوا هذه المقترحات الفاسدة موضع التنفيذ .

وبعد فقد شغل هؤلاء المحاضرون والمقترحون بمشاكلهم الوهمية ما يقرب من نصف وقت المؤتمر [١] . على أن أكثر ما جاء فى مقالاتهم بضاعة مزجاة بارت فى كل سوق ، وكلام معاد مكرور ليس فيه جديد . ولكن أصحاب هذه المذاهب المنحرفة يعتمدون فى أسلوبهم على أن الناس إذا تكرر سماعهم للباطل أوشكوا أن يصدقوه . لذلك فهم يكررون القول حيناً بعد حين ودفعة بعد فترة ، ولا ينضب لهم معين فى إلباس مقالهم أليق الأثواب بالمقام وعرضه من جوانب جديدة تقربه من نفوس الناس .

---

[١] استغرقت محاضراتهم واقتراحاتهم تسعا وتسعين صفحة من سجل المؤتمر الذى يزيد قليلا على مائتى صفحة .

وهم لا يسئمون من هذا التكرار ، لأنهم يعرفون أنهم يخاطبون فى كل مرة جيلا جديداً غير الذى سمعهم من قبل . وقد ينجحون فى إغواء بعض من ضاقت عنه حيلهم من قبل . وهم يعتمدون مع ذلك كله على أفراد عصابتهم ممن وصلوا إلى مراكز تسمح لهم بمديد العون فى ترويج هذه الدعاوى وفى وضعها موضع التنفيذ ، وفيهم من يشغل مراكز خطيرة تسمح لهم بالسيطرة على الصحافة والإذاعة ووزارات التعليم والجامعات . لذلك كان فرضاً لازماً على كل عارف بحيلهم أن لا يمل من تكرار الرد عليهم ركوناً إلى أنه قد أذاع الرد من قبل ، حتى لا تنفرد دعاياتهم المفسدة بالشباب فتستأثر به ثم لا يجد ما يصححها وينتشله من تيارها ويبطل فعل سمومها .

وأول ما يلفت النظر فى هذه الكلمات والمقترحات ما انحدرت إليه مجامع اللغة العربية - ومجمع القاهرة منها خاصة - من ترويج الدعوات المريبة إلى تطوير اللغة وقواعدها ورسمها . وهو تطوير يختلف أصحابه فى تسميته ، ولكنهم لا يختلفون فى حقيقته . يسمونه تارة تهذيبا وتارة تيسيرا وتارة إصلاحا وتارة تجديدا ، ولكنهم فى كل الأحوال وعلى اختلاف الأسماء يعنون شيئا واحدا هو التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشر قرنا أو يزيد ، فضمنت لجيلنا وللأجيال المقبلة أن تسرح بفكرها وتمرح فى معارض فنون القول وآثار العبقريات الفنية والعقلية لا تحس قيود الزمان ولا المكان ، فكأنما القرآن قد أنزل فينا اليوم ، وكأنما شعراء العربية وفقهاؤها وفلاسفتها وكتابها وأطباؤها ورياضيوها وطبيعيوها وكيميائيوها على اختلاف أزمانهم قد كتبوا ما كتبوا وألفوا ما ألفوا فى الأمس القريب ، وكأنما المتنبى أو البحترى يخاطب جيلنا لا تميز بينه وبين شاعر معاصر كالبارودى أو شوقى أو حافظ ، وكأنما الرصافى يكتب شعره للقاهريين ، وكأنما الشابى يكتب شعره للشاميين ، وكأنما شوقى يخاطب بشعره أهل المغرب ، وهذه ميزة من الله بها علينا ولم تحظ بمثلها أمة من الأمم . فإذا تحللنا من القوانين والأصول التى صانت لغتنا خلال هذه القرون المتطاولة تبلبلت الألسن وأضاف كل يوم جديد تطلع على الناس شمسه مسافة جديدة توسع الخلف بين المختلفين ، حتى يصبح بين الشآمى والمغربى مثل ما بين الإيطالى والأسبانى ، وتصبح عربية الغد شيئا آخر يختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الأول ، بل عربية اليوم والأمس القريب ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربى والإسلامى كله متعذرة على غير المتخصصين من دارسى الآثار ومفسرى الطلاسم ، وعند ذلك يصبح كل جهد

سياسى أو حربى أو أدبى مما يبذل اليوم فى جمع شمل العرب وتدعيم القومية العربية عبثا لا طائل تحته ، لأنه كالنفخ فى قربة مقطوعة أو بناء القلاع فوق الرمال أو الارتفاع بالأبراج التى تناطح السحاب على غير أساس .

وليس الخطر الكبير فى الدعوة إلى العامية ، ولا هو فى الدعوة إلى الحروف اللاتينية ، أو الدعوة إلى إبطال النحو وقواعد الإعراب أو إسقاط بعضها ، فالداعون بهذه الدعوات من صغار الهدامين ومغفليهم الذين ليس لهم خطر العتاة ممن يعرفون كيف يخدعون الصيد بإخفاء الشراك ، وكيف يستدرجون الناس بتزوير الكلام . إن الخطر الحقيقى هو فى الدعوات التى يتولاها خبثاء الهدامين ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها فى أحب الصور إلى الناس ، ولا يطمعون فى كسب عاجل ، ولا يطلبون انقلابا كاملا سريعا . الخطر الحقيق هو فى قبول مبدأ التطوير نفسه ؛ لأن التسليم به والأخذ فيه لا ينتهى إلى حد معين أو مدى معروف يقف عنده المطورون ؛ ولأن التزحزح عن الحق كالتفريط فى العرض ، فالذى يقبل التزحزج عن الحق قيد أنملة مرة واحدة يهون عليه أمثالها مرة ثم مرات حتى يسقط إلى الحضيض ، ومن اعتراه شك فى حقيقة ما يراد بقرآننا وبلغته وبإسلامنا وكل تراثه فليقرأ قول طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » : « وفى الأرض أمم متدينة كما يقولون ، وليست أقل منا إيثارا لدينها ولا احتفاظا به ولا حرصا عليه ، ولكنها تقبل فى غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التى تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها ، ولها فى الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة التى تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدى فيها صلواتها ، فاللاتينية مثلا هى اللغة الدينية لفريق من النصارى ، واليونانية هى اللغة الدينية لفريق آخر والقبطية هى اللغة الدينية لفريق ثالث ، والسريانية هى اللغة الدينية لفريق رابع (١) . . . وبين المسلمين أنفسهم أمم لا تتكلم العربية ولا تفهمها ولا تتخذها أداة للفهم والتفاهم ولغتها الدينية هى اللغة العربية ، ومن المحقق أنها ليست أقل منا إيمانا بالإسلام وإكبارا له وذيادا عنه وحرصا عليه ـ الفقرة ٣٦ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ من طبعة المعارف ١٩٤٤) . فإذا وعى

---

(١) ليس هذا الكلام من صنع طه حسين فهو ترديد لما قاله القاضى الإنجليزى ولمور I. Selden. willmore من قبل فى كتابه « عامية مصر » The spoken Arabic of Egypt ص ١٥ من طبعة لندن ١٩٠١ .

القارىء هذا القول وما وراءه تليق بكل ما سواه فى وجه صاحبه ، لأنه ضرب من النفاق ، وأسلوب فى التكيد .

على أن تقديس لغة القرآن والتزام أصولها وقواعدها وأساليبها لم يكن فى يوم من الأيام داعيا إلى تحجر اللغة ، وجمود مذاهب الفن فيها ، ووقوفها عند حد تعجز معه عن مسايرة الحياة ، كما يشنع به الهدامون ويخدعون به الأغرار وصغار العقول وقصار الهمم . فليس التطور نفسه هو المحظور ، ولكن المحظور هو أن يخرج هذا التطور عن الأساليب المقررة المرسومة . وذلك يشبه تقيد الناس فى حياتهم الاجتماعية بقوانين الدين والأخلاق . فليس يعنى ذلك أنهم قد استعبدوا لهذه القوانين ، وأنها قد أصبحت تحول بينهم وبين مسايرة الحياة أو الاستمتاع بخيراتها ولذائذها . ولكنه يعنى أنهم يستطيعون أن يغدوا وأن يروحوا كيف شاءوا ، وأن يستمتعوا بخيرات الدنيا وطيباتها ويتصرفوا فى مسالكها ويمشوا فى مناكبها ، كل ذلك فى حدود ما أحل الله ، وكل ذلك مع التزام الوقوف عند حدود الله . كذلك اللغة ، وضع اللغويون والنحاة والبلاغيون لها حدوداً طابقوا بها مذهب القرآن وكلام العرب ، وتركوا للناس من بعد أن يستحدثوا ماشاءوا من أساليب ، وأن يتصرفوا فيما أرادوا من أغراض ، وأن يجددوا ما أحبوا مما يشتهون ومما تتفتق عنه عبقرياتهم . ولكن كل ذلك لاينبغى أن يخرج بهم عن الحدود المرسومة . فماذا فى ذلك غير ضمان الاستقرار والحرص على جمع الشمل ؟ وهل عاق ذلك عرب بغداد وعرب الأندلس عن الافتنان فى القول وفى مذاهب الفن ؟ وهل ضاقت معه عربية البدو عن الاتساع لما تمثل العرب وما استحدثوا من معارف وعلوم ؟ .

أما ماجاء على لسان بعض المشتركين فى هذا فى المؤتمر مثل أحمد حسن الزيات (ص ٨١ - ٨٨) . ومنصور فهمى (ص ٢٤١ - ٢٥٦) فى تصوير انحراف مجمع اللغة العربية عن القصد فليس إلا قليل من كثير . ومن شاء فليرجع إلى مجلة المجمع ليرى صورة أوضح وأكثر تفصيلا لما يهدر من جهد فى الكلام عن العامية وعن مسخ الخط العربى وقواعد النحو . أليس ذلك عجباً من العجب ؟ وأعجب منه أن يصير إلى مركز القيادة فى ذلك الحصن رجل يشهد ماضيه الثابت المسجل فيما نشر على الناس من صحف أنه كان حربا على الجامعة الإسلامية وعلى الجامعة العربيـة لايراهما إلا وهما من الأوهام ، وأنه كان أول من رفع صوته بالدعوة إلى تمصير اللغة العربيه . أمثل هذه الغاية يعمل مجمع القاهرة وقد دارت الأيام واستقام عوج الزمان ؟

أما ما زعمه على حسن عودة مندوب حكومة الأردن في المؤتمر - أو ماتخيله - من أن هدفنا هو توحيد العامية والفصحى وجعلهما لغة واحدة فهو خطأ أساسي في تصور الموضوع. فليس مطلوبا أن تصبح لغة الحديث والأسواق والتعامل بين الناس هي نفسها لغة الشعر والأدب والعلم والفلسفة، لأن التعامل يحتاج إلى لغة سريعة الوفاء بالغرض، ولكنه لايحتاج إلى لغة دقيقة كحاجة العلم إليها، ولا يحتاج إلى لغة جميلة مؤثرة كحاجة الشعر والأدب عموما إليها. إذ يكفي في لغة التعامل أن يفهم بعض الناس عن بعض من أقرب طريق وأخصره. وقد يستعين المتعاملون على إتمام ما في العامية من قصور بإشارات اليدين وبتلوين نغمة الكلام وتنويعها، وبالتعبير بقسمات الوجه. ومن الواضح أن لغة الأسواق لا تناسبها لغة راقية معقدة التركيب - ككل ما هو راق، فالبساطة تلازم الحالات الفطرية الساذجة - لأن قواعد اللغة الراقية تضيع وقت المتعاملين الذين لايحتاجون للدقة أو الجمال حاجتهم إلى السرعة. فاستعمالهم الفصحى في التعامل يشبه استعمال الموازين الدقيقة التي يوزن بها الذهب والأحجار الكريمة في وزن الخبز والملح، أو استعمال المقاييس الهندسية الدقيقة في قياس الأقمشة ومسح الطرقات، فهو إسراف في التأنق وبعثرة للجهد وتضييع للوقت، لايصبر عليه البائع ولا المشتري. ثم إن اللغة الراقية التي تنظمها القواعد لاتصلح لحاجات الحياة اليومية من وجه آخر. فقواعد اللغة الفصحى تجعل تطورها بطيئا وصعبا، بينما لغة التعامل والأسواق تسد حاجات متغيرة يطرأ عليها كل يوم جديد لم يكن بالأمس. أما لغة الأدب فهي سجل لحالات عقلية ونفسية ثابتة متصلة، من الخير أن نحرص فيها على صلة الخلف بالسلف إلى أبعد مدى ممكن، لكي ينتفع بتجاربه فيزداد بذلك علماً ودراية ومتعة وذوقا. فنحن نقرأ ما كتب في الأدب منذ آلاف السنين فنجد فيه صورة من تفكيرنا الراهن ومن أحاسيسنا الحية. ولذلك فالأدب محتاج إلى لغة أكثر استقراراً لتحقيق هذه الصلات بين القديم والجديد. وهو يحتاج إلى لغة مصفاة منتقاة، للكلمات فيها وللعبارات تاريخ وظلال تعوض بعض ما في اللغة من قصور في التعبير عن مكنونات النفس وخطرات الفكر. فاللغة محدودة بكلمات المعاجم، أما الأحاسيس والأفكار التي يموج بها عالم النفس والعقل فهي خفية متعددة متجددة لاتكاد تدخل تحت حصر في تنوعها وفي دقة الفوارق بين بعضها وبين البعض الآخر. لذلك كان لابد للأديب أن يستعين على إتمام قصور اللغة هذا باستغلال خصائص الكلمات الصوتية واستغلال ظلال الكلمات مفردة ومركبة. وإنما تنشأ ظلال

الكلمات مما ترتبط به فى تاريخها الطويل من استعمالات ومما فى طبيعة تركيبها الصوتى من أسرار . وذلك كله لا يتوافر إلا فى الكلمات التى صفاها طول الاستعمال فأثبت بقاؤها على تقلب الظروف والأحوال والأزمان صلاحيتها للبقاء ، والتى صقلتها ألسن القائلين وآذان السامعين وأذواق النقاد ، والتى شحنها وأغناها ما تراكم حولها من المعانى والأطياف التى تقلبت بينها فى تنقلها الطويل عبر التاريخ .

من ذلك كله يتضح أن لغة الأسواق شيء وأن لغة الأدب شيء آخر . وكل منهما صحيحة فى ميدانها . فهما كلباس المصنع أو المهنة ولباس المسجد أو المحافل ، يتخذهما العامل ويقتنيهما جميعا ، ولكنه يستعمل كلا منهما فى موضعه ، فلا يلبس للمصنع لباس المسجد والمحافل ، ولا يلبس للمساجد والمحافل لباس المصنع والمهنة . كذلك الشأن فى لغة التعامل اليومى وفى لغة الأدب ، تمتاز إحداهما من الأخرى حسب طبيعة كل منهما ووظيفتها . وهذه ظاهرة طبيعية مطردة التحقق واللزوم فى كل اللغات قديمها وحديثها ، شرقيها وغربيها . فقد كان للناس دائما لغة للأدب تختلف عن لغة الحديث والمساومة والتعامل منذ كان لهم أدب رفيع . لأن البدائيين وحدهم هم الذين يكتبون أدبهم بلغة الحديث ، فإذا تطور هذا الأدب وسما ارتفع عن لغة الحديث وخلف لغة الأسواق والتعامل وراءه . ولو اتخذت لغة الأسواق لغة للأدب على ما يريده الخادعون والمخدوعون ، فتطورت وارتقت ، لنشأ إلى جانبها حتما لغة أخرى للأسواق تتحرر من قواعد اللغة الأدبية وقيودها ، وتنزع عنها ما لا تحتاج إليه مما يفيد الدقة أو الجمال حتى تسعف البائع والمشترى والصانع والزارع والسائل والمسئول من ناحية ، ولكى تساير حاجات الحياة وشئونها المتجددة من ناحية أخرى . وإذن لا نكون قد قربنا بين اللغتين على ما يزعم أصحاب ذلك المذهب ، ولكن كل ما نبوء به عند ذلك هو قطع الصلات بيننا وبين الماضى كله بما فيه من دين ومن علم ومن أدب ومن تاريخ ومن تجارب إنسانية متعددة ، فهو بمثابة إعدام هذه السجلات الحافلة ، مما يجعل مهمة الأحياء والأجيال المقبلة صعبة إلى درجة التعذر فى تقصى حقائق الأشياء وتأريخها .

ومع ذلك كله فالأدب بطبعه متعة عقلية وروحية . وهو بهذا الاعتبار ليس هواية شعبية وليست المشكلة فيه هى مشكلة الألفاظ فحسب ، ولكنها مشكلة الأفكار والأخيلة التى تحتاج فى تذوقها إلى مستوى ثقافى معين . فمهما نعمل على تيسير الألفاظ وجعلها فى متناول عامة

الناس فلن يستطيعو إلا فهم ما يلائم عقولهم وثقافاتهم من الآداب السطحية التى لا تعبر عن أغوار الحقائق وأعماقها . ذلك هو المدلول الحقيق لكلمة (الادب الشعبى) . فالأدب الشعبى لا يتميز بلغته فحسب ، ولكنه يتميز أولا وقبل كل شئ بسطحيته فى التفكير وبساطته التى تلائم السذج من البدائيين ، ولكنها لا تشبع حاجات المثقفين وطلاب المعرفة من أصحاب الفكر الرفيع والذوق الرهيف والمزاج الصافى الصقيل .

زعم رئيف أبو اللمع الأمين العام المساعد للشئون الثقافية فى مقدمة الكتاب أن على اللغة (أن تساير المجارى المتدفقة المسرعة من تحوير وتبديل وتعديل وتجديد ، فإذا لم تتبع اللغة العربية سنة النشوء والارتقاء فقدت عناصر الحياة - ص ٢) . وزعم الزيات عضو مجمع القاهرة أن إزالة السد القائم بين الفصحى والعامية سيقضى على (مساوئ الفصحى أو عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشى المهجور من كل لغة - ص ٨٥) ، والواقع أن هذا التطور الذى يتحدث عنه الأمين على ثقافة العرب حادث فعلا ، وهو يحدث كل يوم ، ولكنه يحدث من تلقاء نفسه ولا تحشد له المؤتمرات لتصطنعه .

والتطور على كل حال ينبغى أن يكون بالقدر الذى لا يقطع صلتنا بالماضى ، وبالقدر الذى لا يخشى معه أن يتطور إلى قطع صلة الأجيال المقبلة بالجيل الماضى أيضاً ، بحيث يتحول قرآننا وحديث نبينا وفقه فقهائنا إلى طلسم لا يقرؤه إلا طلبة من الكهان يحتكرون تفسير الإسلام . هذا التطور واقع ؛ لأن حاجات الحياة تدفع إليه ، فالناس مضطرون إلى التعبير عن أنفسهم وعن الحياة فى مختلف نواحيها : فى أدبهم وفى صحفهم وفى إذاعاتهم التى تحكى ما يجرى فى الحرب والسلم ، وفى قصصهم وفى كتبهم العلمية التى تضطر إلى استحداث الألفاظ لما يستحدث من آلات أو أدوات أو متاع ، ومن كشوف جديدة أو حقائق أو نظريات . والمهم فى ذلك كله هو أن يحرص العرب على استعمال لغتهم العربية فى كل هذه الميادين ، كما دعا إلى ذلك بحق وإخلاص عارف النكدى عضو الوفد السورى (ص ٨٩ - ١٠٤) وكما انتهى إليه المؤتمر فى توصياته (ص ٢٧٨) ، فتحرص الإذاعات والصحف ومنابر العلم عامة والجامعات خاصة والقضاء والمؤتمرات على اللغة الفصحى . هذا هو السبيل الطبيعى للتطور ، وما عداه فهو وسائل صناعية لا تؤدى إلا إلى البلبلة ، وهى جعجعة بلا طحن . أما ما زعمه عضو مجمع القاهرة من موت الحوشى وتصفية اللغة وتنقيتها فهو لا يتوقف على تفاعل الفصحى مع العامية كما يزعمه . فالحوشى يموت بطبعه كما يذهب كل باطل وكل ثقيل

وكل مستهجن غير صالح ، لأن الأدباء والشعراء والعلماء ينفرون من استعماله . وهؤلاء هم فى الحقيقة - بما وهبوا من ذوق - صناع اللغة . وهم الذين يقومون بمهمة التصفية التى يتحدث عنها الكاتب ، ومن وراء هؤلاء الأدباء والشعراء والعلماء الذوق العربى العام الممثل فى جمهور القراء والرواة ، فهم الذين يحكمون على الصالح بالبقاء لأنهم يتناقلونه خلفا عن سلف ، وينشرونه فى الآفاق ، بينما يحكمون على الساقط والسخيف الركيك بالموت ، لأنهم يهملونه ولا يكترثون له . وهؤلاء هم المحكمة الصادقة التى لا تخضع للأهواء ، ولا يجوز عليها التزييف والتزوير .

وطه حسين ومن ذهب مذهبه مثل مندوب حكومة تونس فى هذا المؤتمر يوهمون الناس بأن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تخضع لما يريدونه من تطور (ص ٢٨٣ ، ٢٠٩) . ويبنى مندوب الحكومة التونسية على هذا الوهم أو الإيهام اقتراحا بأن (يشتغل عدد من علمائنا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩) كما يقترح على المجامع اللغوية (أن تؤلف لكل قطر معجما صغيرا - ص ٢٠٨ . والذى ينقض هذا الزعم الباطل من أساسه هو الواقع المشاهد فى القديم السالف وفى الحاضر الراهن ، الذى أثبت أن العربية قد عاشت جنبا إلى جنب مع هذه اللهجات المحلية أكثر من ألف عام حتى الآن .

فالخوف من إعراض أصحاب اللغة العربية عنها هو وهم اخترعه هؤلاء المغرضون ، أو اخترعه لهم سادتهم ثم قاموا هم بترويجه . وينقض هذا الوهم أو هذا الزعم أن العربية قد استطاعت أن تحيا خلال بيئات متفاوتة وعصور متطاولة ودرجات من الحضارة والمدنية أدناها البداوة وأعلاها ما وصلت إليه فى بغداد وفى الأندلس . استطاعت - وهى اللغة البدوية - أن تكفى حاجات ما جد من علوم ودراسات . وظلت مع ذلك كله هى هى . نقرأ القرآن بعد أربعة عشر قرنا من نزوله فكأنه أنزل اليوم ، ونقرأ الجاحظ والمتنبى بعد ألف سنة أو أكثر فكأنما نقرأ لكتاب ولشعراء معاصرين . وقد تجاورت لغة الأدب الرفيعة ولغة الحديث العامية طوال هذه القرون على اختلاف البيئات فلم تطغ إحداهما على الأخرى ، ولم تنفر إحداهما من مجاورة صاحبتها . ومع ذلك فإن هذا الخطر الموهوم المزعوم يكفى فى دفعه - إن كان - أن تحسن الدولة القيام على تعليم العربية فى مدارسها وأن تلزم باستعمالها فى المجالس النيابية ، وفى دور القضاء وفى الإذاعة وفى المحافل والمجامع على اختلافها . ولا أظننى محتاجا إلى أن أنبه للخطورة التى ينطوى عليها اقتراح مندوب تونس .

وما أظن أحدا سينخدع بما يبدو فى ظاهر قوله من البراءة حين يتظاهر - مثل طه حسين - بأنه معارض فى استعمال اللغة العامية للكتابة الأدبية ، وحين يشترط فى المعاجم المقترحة أن (لا تتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بقيت مستعملة بمعناها الأصلى فى لغة ذلك القطر - ص ٢٠٨) فالمهم فى الأمر هو أن معاجم اللغة العربية سوف تختلف باختلاف بلاد العرب وأقطارهم ، وأن المعجم التونسى والمعجم المصرى والمعجم العراقى والمعجم الشامى والمعجم الحجازى والمعجم اليمنى سوف تصبح بتنفيذ هذا الاقتراح حقيقة واقعة . وهذه المعاجم المقترحة نفسها سوف تصبح بدورها موضع تنقيح وتغيير وتعديل ، وسوف يأتى بها كل تنقيح جديد عن أصلها الأول ، حتى يتناكر المتعارف ويتفرق المجتمعون ثم لا يرجى لصدعهم رأب . ذلك هو المصير المظلم الذى يبدأ بدعوة خلابة براقة بريئة الظاهر إلى دراسة اللهجات والعناية بما يسمونه تمويها على الشعوب بالآداب الشعبية .

وقد اعتمد طه حسين على هذا الأسلوب نفسه فى الدعوة إلى تبديل النحو والخط حين قال (إن أبينا إلا أن نمضى كما كان النحو وكما كانت الكتابة فلا بد أن تنشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة كما نشأت الفرنسية والإيطالية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة - ص ٢٣٨) . ويخدع الناس عن حقيقة ما يدعوهم إليه حين يعقب ذلك بقوله (وبعد فلا أدعو أن تهجروا القديم مطلقا ، وعسى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمنا العربى ، ولا سيما فى الأدب واللغة . ولكن لم لا يكون النحو القديم والكتابة القديمة والبلاغة القديمة وكل هذه العلوم العربية التى أنشئت فى عصر غير هذا العصر الذى نعيش فيه . . . لم لا يكون هذا كله متطورا كما تطورت اللغة ؟ نحفظ قديمه لدرس المتخصصين فى الجامعات وفى المعاهد ونتيح للملايين البائسة من الصبية والشباب أن يتعلموا تعلما قريبا سهلا - ٢٣٨) .

والعجيب فى الأمر أن منصور فهمى يشيد بعد ذلك فيما أحصاه من محاسن مجمع القاهرة بجهوده فى (تيسير النحو والصرف والإملاء) و (ودراسة اللهجات العربية) و (وتيسير الكتابة والخط) . فهل أصبحت مهمة مجمع اللغة العربية فى القاهرة هى دراسة اللهجات العامية وتبديل قواعد النحو والصرف والإملاء والكتابة بحيث يصبح أى أثر من آثارنا طلسما من الطلاسم ، بل بحيث يكون هذا نفسه هو مصير كل أثر عربى معاصر لا يتبع مذهب مجمع القاهرة فى التغيير والتبديل ؛ وماذا يحدث إذا نهج مجمعنا فى تيسير النحو والصرف والبلاغة على غير منهج المجامع العربية الأخرى ؟ بل ماذا يحدث إذا اتفقت مجامع العرب على أشياء

ورفضها المسلمون ؟ لأن المسلمين إنما يدرسون هذه العلوم للاطلاع على مصادر دينهم ، وهى جميعا تستعمل اصطلاحات النحاة والبلاغيين التى يسمونها قديمة . وإذا انصرف الناس فى مصر عن دراسة كتب (النحو القديم) و (البلاغة القديمة) كما يسميها طه حسين وحزبه ، وجروا وراء كل ناعق يزعم أن القواعد القديمة معقدة ، وذهب كل منهم مذهبه فى استنباط قواعد جديدة ، وتسمية المسميات بأسماء مبتكرة فقدت الاصطلاحات قيمتها . فإنما ترجع قيمة الاصطلاح إلى تواضع الناس عليه ، فإذا اختلف الناس فيه لم يعد اصطلاحا . فإذا قال مثلا (هذا فاعل) لم يفهم عنه الذى يسمى الفاعل فاعلا لأنه قد ابتكر له اسماً جديداً فسماه (موضوعا) أو (أساسا) أو (مسنداً إليه) . وإذا قال أحدهما هـذا حال أو تمييز أو ظرف أو مفعول معه أو مفعول لأجله لم يفهم الآخر الذى لا يميز بين حالة من هذه الحالات لأنه يسميها جميعا (تكملة) . وقس على ذلك سائر قواعد النحو والبلاغة (١) .

والنحو العربى — ولا أقول « النحو القديم » كما يسمونه — ما عيبه ؟ وهل هو حقا كما يزعمون معقد صعب ؟ وهل ثبت فشله كما يزعمون فى تنشئة جيل عربى يقيم عربيته ويحسن تذوقها ؟ نحونا وبلاغتنا لا عيب فيهما . ومن الممكن تبسيطهما واختصار المطولات المؤلفة فيهما فى حدود القواعد والأقسام التى التزمها القدماء أنفسهم . فالواقع أن اجتماع الناس فى كل أمصار العرب - بل المسلمين - على قواعد موحدة ، دون أن تحملهم على ذلك قوة قاهرة أو تلزمهم به سلطة منفذة ، أو تقوم على نشره دعاية تروجه عصابات تسوق الناس إليه ، هذا الاجتماع على قواعد موحدة فى النحو والصرف والبلاغة بعد أن كانت مدارسها متعددة هـو وحده الدليل الحى الذى لا ينقض على صلاحية هذه القواعد ، وعلى أن هذه الدعوات إلى تغييرها بدعوى التيسير أو الإصلاح هى دعوات مفتعلة يروجها هدامون وينساق وراءها مغفلون. ولو كان القصد هو التيسير حقاً لقنعوا بصنيع لجنة (حفنى ناصف ، ودياب، وطموم ، ومحمود عمر ، وسلطان محمد) فى كتاب (قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية) الذى ظلت مدارسنا تتداوله سنين طويلة . فقد نجحت هـــذه اللجنة فى حصر قواعد النحو والصرف والبلاغة فى كتيب صغير لا يتجاوز مائة وأربعين صفحة ، خال من التعقيد ، يفى بحاجة التلاميذ والمتعلمين . وقد كان صنيع الجارم من بعد ذلك حسنا حين يسر هذه القواعد ومهد

(١) راجع مجلة مجمع اللغة العربية ٦ : ١٨٨ وراجع كذلك كتاب القواعد الذى تداوله طلبة السنة الأولى من المرحلة الإعدادية فى العام الدراسى المنصرم .

لها بالأمثلة الكثيرة ، وأعان على إقرارها بالتمرينات المتعددة، وكان ذلك كله فى حدود القواعد التى أثبتت ألف سنة صلاحيتها ، والتى استطاع العرب بفضلها وحدها - ولا شىء سواها - أن يخرجوا فى القرن الأخير هـذا الجيش الضخم من الشعراء والأدباء والنقاد الذين بلغ بعضهم مستوى أندادهم الأقدمين فى أزهى عصور الشعر والأدب العربى . وذلك من بعد أن أدرك الضعف العربية حتى كاد يدنيها من القبر . كيف وجد البارودى وشوقى ؟ وكيف نشأ محمد عبده وطبقته من الكتاب ؟ وكيف وجد الرافعى والمنفلوطى ؟ بل كيف وجد المنادون بهذه البدع أنفسهم مثل طه حسين وإبراهيم مصطفى ؟ كيف استقامت ألسنتهم وصحت أساليبهم ؟ وذلك من بعد الركاكة التى تتمثل فى كاتب كالجبرتى يعتبر من أحسن كتاب عصره ؟ هل أتقن هؤلاء العربية عن طريق آخر غير قواعد النحو والصرف والبلاغة التى يزعم الزاعمون اليوم أنها معقدة وغير صالحة ؟ فأيهما نصدق ؟ هل نصدق واقعا قائما ماثلا راسخا قديما أثبتته ألف سنة وأعادت إثباته وتأكيده تجربة القرن الأخير ؟ أم نصدق مزاعم لم نر من آثارها منـذ ظهرت إلا الشر وإلا التدهور والانحطاط فى مستوى تدريس العربية ؟ إن انحطاط مستوى الجيل الحاضر فى اللغة العربية أمر واقع ، ولكن سببه ليس هو صعوبة القواعد (القديمة) ، بل إن سببه هو زعم الزاعمين أنها معقدة ، لأنه قد صرف الناس عن إتقانها إلى التنقل بين تجارب فجة غير ناضجة ، وأعان على إقرار ما يتوهمه التلاميذ والمدرسون من صعوبتها ، بل اختلق هـذا الوهم نفسه بعد أن لم يكن . والدليل على ذلك أن الجيل السابق لهذا الجيل - وهو جيل لايزال كثير من أفراده أحياءا - أحسن إتقانا للعربية ، رغم أنه قد نشأ فى ظل الاستعباد الإنجليزى وبرامجه ، أو فى ظل سياسة التتريك التى جن بها دعاة الطورانيـة من الاتحاديين . وحسب الداعين بهذه الدعوة هزالا وفشلا ما اقترحوه على المدارس الإعدادية فى العام الماضى من قواعد بينة الضعف والفساد والهزال ، مما أرجو أن أعود للحديث عنه فى غير هذا المقال . لم يزالوا يطبلون ويزمرون ويطنطنون ويهولون ، فلما رأى الناس المولود الذى كانوا يبشرون به من قبل قالوا (تمخض الجبل فولد فاراً) .

ولكى ندرك خطر هذه الدعوات ونفهم حقيقة مغزاها لابد لنا أن نقرنها إلى أمثالها ، فننظر إليها فى ظل ما نسمعه من الدعوة إلى تطوير عاداتنا وتقاليدنا ، وتطوير أدبنا شعره ونثره شكلا وموضوعا وأسلوبا ، وتطوير ألحاننا وأغانينا ، وتطوير زينا نساء ورجالا ، وتطوير قيمنا ومثلنا الأخلاقية والاجتماعية ، وتطوير تشريعنا بل تطوير إسلامنا نفسه .

من أجال النظر فى هذا كله وقرن بعضه إلى بعض عرف أن أصل هذه الفروع واحد ، وأن روح الدعوة فيها جميعاً واحدة ، وأن أصحابها لا يقنعون إلا بقطع كل ما يربطنا بإسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا من وشائج وصلات . عند ذلك نفقد طابعنا الذى يميزنا بوصفنا جماعة أو قوما أو أمة . وإذا فقدنا طابعنا فقدنا كياننا ، وفقدنا القدرة على التكتل والتجمع ، وأصبح من اليسير على الشرق أو الغرب أو كائنا من كان من خلق الله أن يلحقنا به ويجعلنا تابعين له ندور فى فلكه ونسبح بحمده من دون الله .

والقائمون على ترويج هذه الدعوات كالجراثيم ، تكمن حين تأنس من الجسم مقاومة حتى يظن المريض أن الداء قد ذهب عنه ، ولكنها تتحصن فى واقع الأمر حتى تجد فرصة أخرى ملائمة للظهور فتثور . وقد نشط أصحاب هذه الدعوات فى السنوات الأخيرة ، لأنهم يعرفون أن الثورات هى أكثر الظروف ملاءمة لبث سمومهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ، ويندسون فى غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسبابا للحياة والقوة والبناء ، كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المظاهرات يحطمون المصابيح ويحرقون المنشآت ، فيقلدهم غيرهم فى صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه .

بقى بعد ذلك كله أن أشير إشارة موجزة إلى مصدر هذه الدعوة ، كيف بدأت ومن أين ثارت ، فقد يعين ذلك على تقديرها وعلى تصور ما تنطوى عليه من الصدق والإخلاص والبراءة من الهوى .

لم يسمع لداع بهذه الدعوة صوت قبل القرن الأخير . وكل ما كان قبل ذلك من إشارة إلى العامية أو ما كان يسميه قدماء المؤلفين (خطأ العوام) فقد كان المقصود به تقويم اللسان والتنبيه إلى الخطأ ، لا الاحتفاء بألفاظ العامة وأساليبهم وتسجيلها والدعوة إلى معارضة لغة القرآن بها . فالدعوة لم تنشأ إلا فى ظل استعباد الغرب لبلاد العرب والمسلمين وفى حمايته من ناحية ، وفى حضانة التبشير من ناحية أخرى . ويكفى أن أذكر فى ذلك على سبيل الاختصار أسماء سبتا Wilhelm Spitta وفولارز K. Vollers وباول A. Powell وفيلوت D. C. Phillott وبوريان M. Bouriant وماسبيرو M. Gaston Maspero

الذين قادوا هذه الدعوة فى مصر منذ سنة ١٨٨٠ فظهر صداها فى صحيفة المقتطف الشهرية أولا سنة ١٨٨٢ (١) ثم انتقل إلى بقية السماسرة .

جمع بعض هؤلاء المؤلفين أو الدعاة على الأصح - وكلهم ممن شغل وظائف عامة فى ظل الاحتلال الإنجليزى لمصر - طائفة من الحكايات المتداولة بين طبقات العمال والكادحين فى مصر ممن لم يصيبوا حظا من التعليم ، ونادوا باتخاذ اللهجة التى كتبت بها هذه الآثار لغة للتدوين والتأليف والأدب الرفيع . ووضع بعضهم الآخر كتباً استنبط فيها قواعد للهجة مصر العامية - وقد اقتصر معظمهم على لهجة القاهرة - محاولا إقناع المصريين بأن لهجتهم هذه لها كل مقومات اللغة الراقية . ولاك الناس كلامهم من بعد . فردده كل ببغاء وكل بوق وكل سمسار وكل فاسد العقيدة مزعزع الإيمان . وليس فى كلام هؤلاء جميعا على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم - من لطفى السيد وحزبه إلى طه حسين وشيعته - فكرة جديدة . فكل ماقالوه وما يقولونه ترديد لما قاله هؤلاء . حتى الذين أكثروا من الكلام فيما سموه (الأدب الشعبى) وادعوا أنهم جمعوا فيه ما جمعوا من آثار لم يكونوا إلا ناقلين مما جمعه أمثال ماسبيرو وبوريان ، بل لقد اعتمدوا عليهم فى تصنيف ما جمعوه وفى ترتيبه وتبويبه أيضاً . ولولا خشية الإطالة وضيق المقام لأوردت النصوص التى تثبت ما أقول .

وبعد ، فقد وعد الله سبحانه أن يحفظ قرآنه ، إذ قال وقوله الحق (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . وهل يكون حفظه إلا بحفظ لغته ؟ وإنى لأعرف أن الهدامين من الإنس والجن أضعف كيداً من أن ينقضوا ماقضاه الله سبحانه . وإنما أقول ما أقول إبراءاً للذمة ، واغتناما للأجر ، وخضوعا لسنة الله الذى يضرب الحق والباطل ، والذى ألزم أهل الإيمان محاربة أهل الكفر والضلال ومكافحتهم ليبلو بعض الناس ببعض . وإنما هو قضاء سبق فى علم الحكيم العليم وتقديره ، يشقى به المفسدون ومن تبعهم - وبعملهم يشقون - ويسعد به من هداهم الله للذود عن الحق والمنافحة عن الدين ، فى يوم يتبرأ فيه أئمة الشر ممن تبعوهم ، ويقول الذين اتبعوهم (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وما هم بخارجين من النار) .

محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

---

(١) صلة فارس نمر صاحب المقتطف بالاحتلال الإنجليزى مشهورة معروفة . وقد كان المستر سمارت مستشار السفارة الإنجليزية - أو دار المندوب السامى كما كانت تسمى وقتذاك - زوجا لابنته .

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

(٣)

ذكر المؤلف فى ص ٨ أنه بعد أن لبث زمنا طويلا يبحث وينقب بعد أن أخذ نفسه بالصبر والأناة ؟ انتهى إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة « ذلك أنى وجدت أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث (كلها) مما سموه صحيحا أو ما جعلوه حسنا ـ حديث ـ قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه كما نطق به الرسول ... وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها فى بعض الأحاديث القصيرة وذلك فى القلة والندرة ، وتبين لى أن ما يسمونه فى اصطلاحهم حديثا صحيحا إنما كانت صحته فى نظر رواته لا أنه صحيح فى ذاته » .

وقد بلغ المؤلف الغاية فى المجازفة فى الحكم ، ونحن لا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بألفاظها وكيف ؟ وقد ثبت أن القصة الواحدة أو الواقعة رويت بألفاظ مختلفة وإن كان المعنى واحدا ، ولا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بالمعنى ـ كما زعم ـ وكيف ؟ ومن الأحاديث ما اتفقت الروايات على لفظها ، أفلا يدل اتفاق الروايات على اللفظ أن هذا حقيقه اللفظ المسموع من الرسول ؟ ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق للبلاغة أنها من كلام أفصح العرب ، وأنها لن تخرج إلا من مشكاة النبوة ، ومن قبل أدرك أئمة فى اللغة والبيان هذه الحقيقة فألفوا الكتب فى البلاغة النبوية .

ومما ينبغى التنبه إليه أن أكثر ما ترد الرواية باللفظ فى الأحاديث القصيرة ، على أن ورود الرواية بالمعنى فى الأحاديث الطويلة إنما تكون فى الكلمة والكلمتين والثلاث ، وقلما تكون الرواية بمعنى فى جميع ألفاظ الحديث ، وهذا شيء نقوله عن دراسة واستقراء . وليس أدل على ذلك من أن حديث بدء الوحى المروى عن السيدة عائشة فى الصحيحين وغيرها ـ وهو من الأحاديث الطويلة ـ لا تكاد تجد الرواة اختلفوا فيه إلا فى بعض ألفاظ قليلة نادرة . وبحسبنا هذا الآن ، وعند مناقشته فى بحث الرواية بالمعنى الذى عقده فى كتابه سأفيض فى الرد عليه ، وسأبين أن بعض ما استدل به هو دليل عليه لا له ، وإليك ما قاله

فى هذا الشأن إمام من أئمة الحديث - غير مدافع - وهو الحافظ ابن حجر قال « ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية حديث عائشة « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » ، وحديث « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » متفق عليهما ، وحديث أبى هريرة « وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وحديث المقداد « ما ملأ ابن آدم وعاءا شرا من بطنه » الحديث أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم ، إلى غير ذلك مما (يكثر) بالتتبع ، وإنما يسلم ذلك فيما لم تتصرف الرواة فى ألفاظه ، والطريق إلى معرفة ذلك أن تقل مخارج الحديث وتتفق ألفاظه [1] » .

وأزيد على ما ذكره الحافظ حديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وحديث « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة » وحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وحديث « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم » الخ ، وحديث « وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم » ، وحديث « إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم » ، وحديث « الحياء من الإيمان » إلى غير ذلك من الأحاديث المتكاثرة التى جاءت على حقيقة لفظها ومحكم تركيبها .

أما ما ادعاه من أنه تبين له أن ما سموه صحيحا إنما هو فى نظر رواته لا أنه صحيح فى ذاته ، فشىء سبق به من ألف سنة أو تزيد فقد قال أئمة الحديث : أن الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن أو الضعف إنما هو بحسب ما ظهر للإمام المحدث من تحقق شروط الصحة أو الحسن أو عدم تحققها ، وليس المراد أنه صحيح أو حسن أو ضعيف فى الواقع ونفس الأمر ، إذ لا يعلم ذلك يقينا إلا علام الغيوب ، وأنه يجوز - عقلا - أن يكذب الصادق ويصدق الكذوب ، وهذا التجويز العقلى دعاهم إليه التعمق فى البحث والتأنى فى النظر والتثبت فى الحكم وبلوغ الغاية فى النصفة .

* * *

قال فى ص (١٠) : ولو أن الحديث دون فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن واتخذ له من وسائل التحرى والدقة ما اتخذ للقرآن لجاء كله (متواترا) كذلك ، ولما اختلف المسلمون فيه هذا الاختلاف الشديد الخ ما قال .

---

(١) فتح البارى ج ١٣ ص ٢١١ .

وكأن المؤلف منهم أن السبب فى تواتر القرآن كونه كتب فى العصر النبوى ، والحق خلاف ذلك . فالتواتر إنما جاء فى القرآن الكريم من جهة لفظه ونقله ، فقد تلقاه عن النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه الألف من الصحابة ، وعن هؤلاء أخذه الألوف المؤلفة من التابعين ، وهكذا تلقاه العدد الكثير الذى يثبت بهم التواتر عن العدد الكثير حتى وصل إلينا متواترا وسيستمر كذلك حتى يرث الله الأرض وما عليها ، فالمعول عليه فى تواتر القرآن هو الحفظ والتلقى الشفاهى لا الأخذ من الصحف ، أما الكتابة فقد كانت من دواعى الثبوت والحفظ ليجتمع للقرآن الوجودان : الوجود فى الصدور ، والوجود فى الصحائف والصدور ، كما كانت معتمد الجامعين للقرآن فى الصحف والمصاحف فى عهدى أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما ، فقد كانوا حريصين أن يكتبوه من عين ما كتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم . ولو أن السنة دونت فى العهد النبوى ولكن لم يحفظها من يتم بهم التواتر لما جاءت كلها متواترة - كما زعم - (١) فالعبرة فى التواتر وعدمه إنما هو رواية الكثيرين أو عدم روايتهم . ومع أن السنة لم تدون فى العصر النبوى فقد جاء بعضها متواترا ، وإن كان قليلا ، ولو أن المعول عليه فى التواتر الكتابة لكانت الكتب التى دونت وأحيطت بالعناية والدقة كلها متواترة وأنى هى ؟ .

* * *

ذكر فى ص (١٧) أنهم جعلوا السنة القولية فى الدرجة الثانية أو الدرجة الثالثة من الدين وأنها تلى القرآن فى المرتبة ، وبعد أسطر قال : وأما الذى هو فى الدرجة الثانية من الدين فهو السنة العملية ، ومفهومه أن السنة القولية ليست فى الدرجة الثانية . ولاندرى ما منشأ هذا الاضطراب وعدم الثبوت على رأى حتى خالف عجز كلامه صدره ؟ !! ثم ساق كلام الإمام الشاطبى فى الاعتصام وليس فى كلام الشاطبى ما يشهد للتفرقة بين السنة القولية والعملية ، بل دل كلام الشاطبى على أن المراد بالسنة القول والفعل والتقرير ، ثم نقل السيد رشيد رضا قوله « والعمدة فى الدين كتاب الله تعالى فى المرتبة الأولى والسنة العملية المتفق عليها فى المرتبة الثانية ، وما ثبت عن النبى وأحاديث الآحاد فيها رواية ودلالة فى الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجياً فى الآخرة مقربا عند الله تعالى وقد قرر ذلك الغزالى » .

---

(١) عرف العلماء المتواتر بأنه مارواه جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب ، وقالوا : إنه يفيد العلم اليقينى ، والآحاد ما ليس كذلك .

فها أنت ترى أن ما نقله ليس فيه مايشهد لمااضطرب فيه من كلامه ، والذى عليه المحققون أن السنة ـ قولا وعملا وتقريرا ـ هى الأصل الثانى ، والأصل الأول هو الكتاب ، على أن ما ذكره السيد رشيد وجعله فى المرتبة الثانية هو السنة العملية المتفق عليها لامطلق سنة عملية ومثل هذا كان فى حاجة إلى تحرير ، لا أن يدع القارئ فى مهمه من الشك والاضطراب .

فى ص (٢٩) تحت عنوان « الصحابة ورواية الحديث » قال : وفى رواية ابن حزم فى الأحكام أنه حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء فى المدينة على الإكثار من الحديث .

وقد تجنى المؤلف على الحقيقة ، وابن حزم ما تجنى . فقد أوهم القارئ أن ابن حزم رواه ، وليس من روايته قطعاً ، وإنما ذكره فى كتابه ، وفرق بين الذكر والرواية كما يعلم ذلك المبتدئون فى علم الحديث ، وأوهم القارئ أيضاً أنه ارتضاه ، وابن حزم برىء منه ، وإنما زيفه وبين بطلانه ، وإليك ما ذكره ابن حزم فى الأحكام : « وروى عن عمر أنه حبس ابن مسعود من أجل الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا الدرداء وأبا ذر » . فقد ذكره بصيغة « روى » الدالة على التضعيف ، ولو كان من روايته لقال : وروينا ؛ وقد طعن ابن حزم فى الرواية بالانقطاع لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روايه عن عمر لم يسمع منه ، والمنقطع من قبيل الضعيف لا يحتج به ؛ لجواز أن يكون البلاء فى الرواية من المحذوف وأنه هو الذى اختلقها . ثم قال ابن حزم [1] : « إنه ـ أى الخبر ـ فى نفسه ظاهر الكذب والتوليد ، لأنه لا يخلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة وفى هذا ما فيه ، أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ السنن وألزمهم كتمانها وجحدها وهذا خروج عن الإسلام ، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين لقد ظلمهم فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات المطعونة أى الطريقتين الخبيثتين شاء » . هذا ما قاله ابن حزم ، فهل بعد هذا يزعم المؤلف لنفسه الأمانة فى النقل ؟ ! ولو أن القارئ المتثبت تشكك فيما ينقله هذا الرجل عن العلماء ألا يكون معذورا ؟ ؟ ومن دواعى تزييف الرواية أن ابن مسعود كان يتبع

---

[١] الأحكام ج ٢ ص ١٣٩ .

مذهب عمر وطريقته ، وكان يقول : لو سلك الناس وادياً وشعباً وسلك عمر وادياً وشعبا لسلكت وادى عمر وشعبه . وقد أرسله عمر إلى الكوفة ليعلم أهلها ، وقال لهم : لقد آثرتكم بعبد الله على نفسى . فكيف يعقل أن يخالف عمر فى التقليل من الرواية ؟ وكيف يعقل من عمر أن يحبسه ؟ ؟

ثم كيف غفل المؤلف عن هذا النقد للمتن وهو الذى أنحى على المحدثين باللائمة لأنهم أغفلوا جميعاً نقد المتن ، وأنه هو الذى جاء ـ فى نقـــد المتون ـ بما لم يبلغه الأوائل عما زعمه نقداً ـ والله أعلم ـ أنه تهجم وتطاول ؟ ؟ ! ! !

بل كيف غفل المؤلف عما يناقض هذا وهو ما ذكره بعد صحيفة واحدة فى ص (٣١) عن عمر بن ميمون قال : اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنه فما سمعته فيها يحدث عن رسول الله ولا يقول : قال رسول الله . وانه حدث ذات يوم بحديث فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبينه ؟ وهل يليق به ـ وقد زعم أنه شيخ النقاد ـ أن يأتى بروايات تناقض أولها آخرها وآخرها أولها من غير أن يعرض لبيان مفصل الحق فيها ؟

السر فى هذا يا أخى القارى أن المؤلف يأخذ ما يشاء بهواه ، ويدع ما يشاء بهواه ، وأنه خطف هذا الكلام خطفا من كلام بعض المستشرقين [١] الذين يتتبعون شواذ الروايات ومنحو لها ، ونسبه إلى ابن حزم كى يضفى عليه شيئاً من القبول .

وفى ص ٢٧ عرض لحديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وذكر ما قاله الحافظ ابن حجر من ورود الحديث فى بعض رواياته بدون « متعمداً » ، وفى بعضها بذكرها فى الصحيحين وغيرهما ، ثم قال : ولكن من حقق النظر وأبعد النجعة فى مطارح البحث يجد أن الروايات الصحيحة التى جاءت عن كبار الصحابة ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين لم تكن فيه تلك الكلمة « متعمداً » ، وكل ذى لب يستبعد أن يكون النبى قد نطق بها . . ولعل هذه اللفظة قد تسللت إلى هذا الحديث من طريق الإدراج المعروف عند العلماء ليسوغ بها الذين يضعون الحديث على رسول الله حسبة ـ من غير عمد ـ أو يتكئ عليها

[١] أنظر كتاب « نظرة فى تاريخ الفقه الإسلامى » ص ٧١ لترى أنه خطف هـذه الرواية المدسوسة من غير تثبت وتحر .

الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم أو بسوء الفهم لكى لا يكون عليهم حرج فى ذلك ، لأن المخطئ غير مأثوم : وهكذا نجده لا يقتنع بما قاله الحافظ الكبير ابن حجر ليطلع علينا بهذه الفروض والتمحلات ! ! !

وإليك بيان مفصل الحق فى هذا :

١ — روى هذا الحديث من طرق متكاثرة عن كثير من الصحابة فى الصحيحين وغيرهما ، حتى قد أوصلها بعض المحدثين إلى المائة ما بين صحيح وحسن وضعيف ، والحق أن الحديث روى بهذا اللفظ من طرق تصل به إلى درجة المتواتر ، كما حقق ذلك الحافظ فى الفتح [١] . وأما وصول طرقه إلى هذا العـــدد الضخم فذلك فيما ورد فى مطلق ذم الكذب على النبى لا فى هذا اللفظ بعينه ولا فى خصوص هذا الوعيد ، ثم إنه لم يصح عن أحد من الخلفاء إلا عن على فى الصحيحين وعن عثمان فى غير الصحيحين ، لا عن ثلاثة من الخلفاء كما زعم المؤلف [٢] ، وقد جاءت كلمة « متعمداً » فى أغلب روايات الصحيحين [٣] وغيرهما من الكتب المعتمدة وطرق ذكرها أكثر من طرق تركها وأقوى ، فقد وردت فى الصحيحين عن أنس وأبى هريرة والمغيرة بن شعبه وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ولم ترد فى رواية على ولا الزبير بن العوام . والقاعدة عند نقاد الحديث وغيرهم أنه إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى ، وهنا ترجح روايات ذكر اللفظ ويحمل المطلق على المقيد . ومن دواعى ترجيح الزيادة أنها جاءت عن الزبير بن العوام فى مستخرج الإسماعيلى وفى سنن ابن ماجة [٤] ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، كما أن الزيادة جاءت فى رواية عبد الله ابن عمرو بن العاص وكان قارئاً كاتباً — كما فى الصحيح — فروايته أوثق من غيره .

٢ — ما زعمه من أن هذه الكلمة وضعت ليسوغ بها الخ غير معقول ، ولا أدرى — ولا أحد يدرى — كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد ؟ إن معنى الحسبة أن يقصد الواضع وجه الله وثوابه وخدمة الشريعة — على حسب زعمه — بالترغيب فى فعل الخير

---

[١] ج ١ ص ١٦٤ وما بعدها .

[٢] المرجع السابق فقد سرد فيه أسماء من روى عنهم من الصحابة بطريق صحيح أو حسن .

[٣] صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم ، صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١ ص ٦٥ — ٧٠ .

[٤] فتح البارى ، ج ١ ص ١٦٢ .

والفضائل ، وهم قوم من جهلة الصوفية والكرامية جوزوا الوضع فى الترغيب والترهيب ، فكيف يجامع قصد الوضع عـــدم التعمد ؟ ! ! وتفسير الحسبة بأنها عن غير عمد غير مقبول ولا مسلم .

وأما تجويزه أنها أدرجت ليتكئ عليها الرواة الخ فمردود ؛ ذلك أن رفع إثم الخطأ أو السهو ليس بهذه الكلمة وإنما ثبت بأدلة أخرى وقد تقرر فى الشريعة أنه لا إثم على المخطئ والناسى ما لم يكن بتقصير منه ، فذكر الكلمة لا يفيد هؤلاء الرواة شيئاً ما دام هذا أمرا مقررا ، والسر فى ذكرها أن الحديث لما رتب وعيداً شديداً على الكذب ، والمخطئ والساهى والناسى لا إثم عليهم ، كان من الدقة والحيطة فى التعبير التقييد بالعمد وذلك لرفع توهم الإثم على المخطئ والغالط والناسى ، قال الإمام النووى فى شرحه على مسلم (١) « وأما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا : الإخبار عن الشىء على خلاف ما هو عليه عمداً كان أو سهواً ، هذا مذهب أهل السنة . وقال المعتزلة : شرطه العمدية . ودليل خطاب هذه الأحاديث لنا فإنه قيده عليه السلام بالعمد لكونه قد يكون عمداً وقد يكون سهواً ، مع أن الإجماع والنصوص المشهورة فى الكتاب والسنة متظاهرة على أنه لا إثم على الناسى والغالط فلو أطلق عليه السلام الكذب لتوهم أنه يأثم الناسى أيضاً فقيده ، وأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيدة بالعمد والله أعلم » .

على أن أئمة الحديث وإن قالوا برفع الإثم عن الخاطئ والناسى والغالط ، فقد جعلوا ما ألحق بالحديث غلطا أو سهوا أو خطأ من قبيل الشبيه بالموضوع فى كونه كذبا فى نسبته إلى الرسول ، ولا تحل روايته إلا مقترنا ببيان أمره ، وإلى هذا ذهب الخليلى وابن الصلاح والعراقى وغيرهم (٢) ، وقد اعتبره بعض أئمة الجرح - كابن معين وابن أبى حاتم - من قبيل الموضوع المختلق ، وذهب بعض الأئمة إلى أنه من قبيل المدرج ، ومهما يكن من شىء فقد جعلوا هذا النوع من الغلط أو الوهم مما يطعن فى عدالة الراوى وضبطه .

٣ — من عجيب أمر هـــذا المؤلف أنه يتبع طريقة « لا تقربوا الصلاة » ويترك « وأنتم سكارى » ، وقد رأيت آنفا ما صنعه فيما نقله عن ابن حزم من حبس عمر رضى الله عنه لثلاثة من كبار الصحابة على التحديث ، وقد صنع هنا فى حديث (من كذب على معتمداً الخ)

---

[١] ج ١ ص ٦٩ .
[٢] مقدمة ابن الصلاح بشرح العراقى ص ١١٠ .

مثل ما صنع سابقا ، فقد نقل عن الحافظ ابن حجر أنه لايرى تواترحديث من كذب علىالخ حيث قال - فى ص ٤٢ - « ولأجل كثرة طرقه أطلق عليه (جماعة) أنه (متواتر) ونازع بعض مشايخنا فى ذلك ، لأن شرط المتواتر استواء طرفيه وما بينهما فى الكثرة ، وليست موجودة فى كل طريق منها » . واقتصر على هذا القدر ، وقد ترك ما ذكره الحافظ عقبهذا وهو ما نصه [١] بالحرف الواحد « وأجيب بأن المراد بإطلاق كونه متواترا رواية المجموع عن المجموع من ابتدائه إلى انتهائه فى كل عصر ، وهذا كاف فى إفادة العلم ، وأيضاً فطريق أنس وحدها قد رواها عنه العدد الكثير وتواترت عنهم ، نعم وحديث على رواه عنه ستة من مشاهير التابعين وثقاتهم .

وكذا حديث ابن مسعود وأبى هريرة وعبدالله بن عمر . فلو قيل فى كل منها : إنه متواتر عن صحابيه لكان صحيحا ، فإن العـــدد المعين لا يشترط فى المتواتر ، بل ما أفاد العلم كفى ، والصفات العلية فى الرواة تقوم مقام العدد أوتزيد عليه كما قررته فى نكت « علوم الحديث » وفى شرح « نخبة الفكر » وبينت هناك الرد على من ادعى أن مثال المتواتر لا يوجـــد إلا فى هذا الحديث ، وبينت أن أمثلته كثيرة منها حديث (من بنى لله مسجدا) والمسح على الخفين ، ورفع اليدين ، والشفاعة ، والحوض ، ورؤية الله فى الآخرة ، والأئمة من قريش وغير ذلك . والله المستعان » .

والظاهر أن قوله وأيضاً الخ ، من كلام الحافظ لا من نقله . فهل بعد هذا الكلام الصريح الذى تعمد المؤلف تركه يزعم أن الحافظ ابن حجر لا يقول بتواتره كما هو فحوى كلامه ؟ ! !

أما ما ذكره فى حاشية ص ٣٩ من أن أدعياء السنة وعبيد الأسانيد فى عصرنا لا يزالون يكابرون فى إثبات الزيادة وكأنهم أعلم بالحديث من ابن قتيبة والبخارى والنسائى والمنذرى والخطابى وابن حجر وابن القيم والسيوطى وغيرهم » فهراء لاأرد عليه ، ولكنى أقول له : ألا تستحى من ذكر البخارى وهو الذى خرج الزيادة فى أكثر رواياته ؟ بل ومن ذكر الحافظ ابن حجر الذى أفاض فى بيان ثبوتها ؟ وصدق النبى الحكيم حيث يقول : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء) ؟

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

---

[١] ج ١ ص١٦٤ ط الأزهرية .

هل من جديد

فى تأليف السيرة النبوية ؟؟

يحتفل المسلمون فى شتى أقطارهم بذكرى مولد رسولهم ، وهى ذكرى توجهنا إلى سيرة الرسول الكريم وحظها من الدراسة والعلم ، فضلا عن الاقتداء والاتباع .

وكتب السيرة التى بين أيدى الناس متعددة منها القديم والجديد ، ومن أشهر القديم مغازى الواقدى (المتوفى ٢٠٧ أو ٢٠٩ هـ) ، وسيرة ابن هشام (المتوفى ٢١٨ هـ) ، وطبقات ابن سعد (المتوفى ٢٣٠ هـ) وكل هذه الكتب من أقدم ما كتب فى السيرة ، وقد أعقبتها تآليف أخرى مثل جوامع السيرة لابن حزم (المتوفى ٤٥٦ هـ) وإمتاع الأسماع للقريزى (المتوفى ٨٤٥ هـ) . فضلا عما استهل به المؤرخون المسلمون تآليفهم فى التاريخ الإسلامى العام من فصول فى السيرة ، تقرأها فيما كتبه الطبرى وابن الأثير ... الخ ثم شهدت المكتبة الحديثة مؤلفات متعددة فى السيرة النبوية ، منها ما كتبه علماء المسلمين بالعربية وغيرها من اللغات الشرقية ، ومنها ما كتبه علماء المشرقيات من الأوربيين بلغاتهم .

* * *

وللسيرة النبوية مكانها الممتاز من الدراسات الإسلامية ، إذ لها أهميتها الشرعية « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ، ولها أهميتها التاريخية كنهج داعية ، وخطة دعوة ، وسياسة دولة .

ولقد تأثر التأليف فى السيرة النبوية منذ أقدم عهوده بظروف معينة ، تعرض لها تدوين التاريخ الإسلامى عموما ، من ذلك ارتباط التأليف التاريخى بمنهج الرواية فى الحديث التى تستدعى بصراً ثاقبا بالرواة والمرويات يؤهل للتعديل والتجريح ، ومن ذلك انصراف معظم الجهود للفصل فى إسناد (أحاديث الأحكام) التى يحتاج إليها المسلمون فى عباداتهم ومعاملاتهم

وترك حقل (الإخباريات) بكراً يتطلب الجهود فى تمحيص المادة الخام المتخلفة من عديد الروايات ، والاهتداء بعلم الرجال فى الحكم على ما نأخذه وما ندعه من الأخبار المتباينة .

لذلك يحتاج التاريخ الإسلامى عموما - والسيرة النبوية جزء منه - إلى مناقشة وعرض على الأسس العلمية التى اتبعها نقاد الحديث ، والغريب أن بعض المستشرقين قد انتبهوا إلى ذلك فى حين فات هذا كثيراً من المسلمين . والمستشرق الألمانى يوليوس فلهاوزن يقول فى مقدمة كتابه عن الدولة العربية الذى نشرت ترجمته مؤخراً فى مصر بين مطبوعات الألف كتاب - وتاريخ المقدمة يرجع إلى ١٩٠٢ م - « إن الروايات القديمة المتعلقة بعصر بنى أمية توجد حتى اليوم على أوثق ما تكون عليه عند الطبرى ... » ثم يناقش المؤلف رواة الطبرى ويقول عن أبى مخنف « ... وسلسلة الرواة الذين يذكرهم هى دائما قصيرة جداً ، وهى أخيرا تنكمش انكماشا تاماً نظراً إلى أن المسافة التى تفصل بينه وبين الأحداث التاريخية التى روى أخبارها كانت لا تزال تقصر شيئا فشيئا ، هذا إلى أن سلسلة الرواة تتنوع بحسب اختلاف الأحداث وتنوع الروايات الخاصة بها ، بحيث نجد أمامنا طائفة كبيرة جداً من أسماء رواة نجهلهم جهلا تاما ... وكيف كان يمكن أن يسلك أبو مخنف فيما كتب طريقا غير الذى سلكه ؟ فلم تقدم له المصادر المكتوبة مادة كبيرة يستطيع أن يعتمد عليها ، وهو قد انتفع بها ما كانت فى متناول يده ، ولكن من غير أن يجتهد فى البحث عنها وفى جعلها أساساً على نحو منظم ، وأهم ما صنع من حيث تقدير قيمة الروايات هو أنه جمع طائفة كبيرة من روايات متنوعة ومن أخبار عن الشىء الواحد مختلفة فى مصادرها ، بحيث يستطيع الإنسان أن يوازن بينها ويعرف الصحيح المؤكد منها من غيره ... » ا . ه

هذا كلام أجنبى عن لغة العرب وثقافتهم ، يلقى العنت فى فهمها وهضمها وتذوقها ، أما مؤلفونا العرب فما أكثر ما ينقلون دون أن يكلفوا خاطرهم تحقيق رواية أو تمحيص سند ، وكثير منهم قد لا يعرفون (حكاية الرواية والإسناد) على وجه الإطلاق . والذى يرى ما تكبده مستشرق مثل بروفنسال فى تحقيق كتب أنساب العرب - مثل كتابى ابن حزم وأبى عبد الله الزبيرى اللذين نشرتهما دار المعارف فى مصر - يتبين كم نحتاج من عزم وعلم وأمانة لتدبين تاريخ أسلافنا .

وتاريخ السيرة النبوية يرجع فى أقدم مصادره الموجودة إلى ابن إسحق (المتوفى حوالى سنة ١٥٢ هـ) وهو الذى أخذ عنه ابن هشام . كما يرجع إلى الواقدى الذى أخذ عنه كاتبه ابن سعد فى كتابه (الطبقات) .

والذى يقرأ ما تناقلته الآراء عن ابن إسحق والواقدى ، يجد أن منزلتهما بين الرواة ليست كمنزلة رجال الحديث ، ويجد أن (السيرة) ما زالت تحتاج إلى جهود كثيرة فى جمع المادة التاريخية من مصادرها الوثيقة ، فضلا عن تحليلها وتركيبها .

فتقول الروايات عن ابن إسحق « وقد عاداه فى المدينة عالمان كبيران : هشام بن عروة ابن الزبير ، ومالك بن أنس . وكان ابن شهاب الزهرى وغيره يثنون عليه ، وقد اتهم بالتشيع والقول فى القدر » .

ولما رحل إلى العراق اختلف العلماء فيه هناك كما اختلفوا فيه فى المدينة من مجرح ومعدل ، وقد عقد الخطيب البغدادى فصلا طويلا حكى فيه الأقوال التى قيلت له والتى قيلت عليه ، ولم يحكم بينها كعادته ، ووقف بعضهم فى ذلك موقفا وسطا فقالوا : إن سعة علمه لا تنكر ، وإنه لم يكن كاذبا ، ولكنه كان قدريا وكان يتشيع ، وكان لا يتقيد بالقيود الكثيرة التى لا يتقيد بها ثقات المحدثين ، فيقول فيه ابن حنبل « كان رجلا يشتهى الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها فى كتبه » والمحدثون لا يرضون هذا ويشترطون السماع ، و « كان يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل ذا من ذا » والمحدثون يكرهون ذلك ويشددون فى نسبة كل جزء من الحديث إلى قائله » . . . ونكتفى بهذه المآخذ العلمية التى أجملها صاحب (ضحى الإسلام) نقلا عن المراجع التاريخية .

وتقويم (ابن إسحق) كراوية أمر شديد الأهمية فى دراسة السيرة ، إذ هى منهل توارد عليه مؤرخو السيرة ، فسيرة ابن هشام - وهى مصدر له خطره فى هذا الباب - مستمدة مما رواه ابن إسحق ، وكذلك الحال فى سيرة ابن حزم . يقول محققا السيرة الأخيرة - الدكتوران إحسان عباس وناصر الدين الأسد - فى تقديم الكتاب « ويدلنا البناء العام لكتاب السيرة على أن ابن حزم يتكئ كثيراً على سيرة ابن إسحق وخاصة حين أخذ فى الحديث عن غزوات الرسول واحدة واحدة ، وعد فى كل غزوة أسماء من شهدها من

المسلمين والمشركين وأسماء من استشهد من المسلمين . حتى إن شدة اتباعه لرواية ابن اسحق فى هذه المواطن لتطلعنا على ظاهرة عجيبة ، فقد حافظ ابن حزم على النسب الكامل لأكثر من ذكرهم من الأشخاص ، وليس هذا مما يستغرب منه وهو صاحب (الجمهرة فى الأنساب) ، إنما الغريب حقا أنه فى السيرة اختار رواية ابن اسحق نفسه فى النسب بينا لم يأخذ بها فى الجمهرة ، فلعله ألف الكتابين فى فترتين متباعدتين ، أو لعل مصادره فى الجمهرة كانت كتبا أخرى . . . » .

وأما الواقدى فيجمل الآراء فيه صاحب الضحى فيقول : « وقد وقف فى الواقدى المحدثون موقفهم من ابن اسحق من معدل ومجرح ، وحكى أقوالهم أيضا على اختلافها الخطيب البغدادى . فكان يثق به مالك ولا يثق بابن اسحق ، وكان يثق به محمد بن الحسن من الحنفية ، ولقبه بعضهم بأمير المؤمنين فى الحديث ، ويثق به ابن عبيد القاسم بن سلام اللغوى الشافعى ، كما كان يطعن عليه على المدينى ويقول « عند الواقدى عشرون ألف حديث لم يسمع بها » ويقول يحيى بن معين « أغرب الواقدى على رسول الله عشرين ألف حديث » وقال أحمد ابن حنبل : « الواقدى يركب الأسانيد » وقال الشافعى « الواقدى وصل حديثين » أى لا يصح أن يوصلا . . . والظاهر أن مطعن المحدثين عليه كمطعنهم على ابن اسحق : أنه يأخذ من الصحف والكتب ، وأنه كان يجمع الأسانيد المختلفة ويجىء بالمتن واحدا ، مع أن جزءا من المتن لبعض الرواة وجزءا آخر لرواة آخرين . . . » .

والواقدى هو مصدر ابن سعد ، لكن الأخير حظى من الخطيب البغدادى بهذا التقدير « محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة ، وحديثه يدل على صدقه ، فإنه يتحرى فى كثير من رواياته » .

* * *

لست أريد أن أفصل فى قضية توثيق ابن اسحق أو الواقدى ، ففى الموضوع كلام كثير يستطيع من يتطلب هذا المقصد أن يراجعه فى كتب التاريخ والتراجم ، وفى الأبحاث التى عقدها بعض المحققين فى معرض تقديم طبعات حديثة من كتب السيرة القديمة ،

ولست أريد أن « أشوش » على قيمة المادة التاريخية الموجودة بيننا من سيرة الرسول ، بل إننى لأردد مع علامة الهند السيد سليمان الندوى « لقد شهدت الدنيا أصدق شهادة »

ثم ازداد ثبوتاً على الأيام بأن الإسلام لم يقتصر على حفظ سيرته صلى الله عليه وسلم ، بل توسع فى ذلك إلى ما يتعلق بها من كل النواحى وصان هذه الأمانة القدسية فلم تلمسها يد الضياع إلى درجة أن العالم كله يقف من ذلك موقف العجب والاستغراب ! » .

ما السبيل إذن إلى هذه الكنوز المذخورة ، ومؤرخو السيرة يقال عنهم ما يقال ؟ .

يجب أن يعرف كل دراس للإسلام حقيقتين مهمتين فى هذا الصدد :

الحقيقة الأولى : أن كتب السيرة ليست هى المصدر الفرد الذى تنحصر فيه مادة السيرة التاريخية ، بل وليست هى أول المصادر وأهمها . فالسيرة مبثوثة فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما من دواوين الإسلام المعتبرة .

الحقيقة الثانية : أن هناك فارقا بين تدوين السيرة ـ وما فيه من مآخذ ـ وتدوين الحديث وما فيه من قواعد ضابطة مضبوطة : والعلمان وإن كانا يتعلقان بشخصية الرسول الكريم إلا أن ظروف التأليف فيهما ليست واحدة .

ولقد بذل الأستاذ محمد عزة دروزة جهداً طيباً فى كتابة السيرة معتمداً على نصوص القرآن الكريم أساساً وينبغى أن تتعدد المحاولات فى هذا الباب ، كما ينبغى أن تبذل محاولات لكتابة السيرة بالاعتماد على ما ورد فى صحاح الأحاديث والسنن وهى المصدر الأول لها :

ولا يحسبن القارئ أن مادة السيرة التاريخية ستنضب مواردها إذا تركنا كتب السيرة المتداولة ـ وأنا لا أدعو إلى هذا الترك على كل حال ـ بل إننا سنجد ذخيرة موفورة فى كتب الحديث . ولو تأملنا كتابا للحديث كصحيح البخارى مثلا فإننا سنجد فيه كثيراً من الأبواب التى تتناول المادة التاريخية للسيرة النبوية من قريب أو بعيد مثل « بدء الوحى . فضائل المدينة . الجهاد والسير . المناقب . فضائل أصحاب النبى . مناقب الأنصار . المغازى . الفتن ، الأحكام . الخ » ، وسنجد المادة التاريخية مبثوثة فى تضاعيف بعض أبواب الأحكام نفسها فنى الصلاة والأذان والجمعة وصلاة الخوف وصلاة العيدين وقصر الصلاة والزكاة والحج والصوم والنكاح بيان لمناسبات فرض هذه الأحكام مما يتعلق بالسيرة النبوية على وجه من الوجوه .

وكى أزيد القارئ بيانا ويقيناً سأضع أمام عينيه نموذجا تطبيقيا . وضع الأستاذ فنسنك معجما للكشف عن الأحاديث النبوية ومواضعها فى الكتب المعتمدة ، فلو فتحنا

مادة (محمد صلى الله عليه وسلم) لوجدنا أحاديث صحيحة فى كتب السنة تدور حول كثير من موضوعات السيرة أقتطف منها ما يلى ليتبين القارئ غزارة المادة التى نصيبها لو اعتمدنا على كتب الحديث :

« نسبه ... لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله فيهم قرابة ... ولادته عام الفيل . الترتيب التاريخى للوقائع فى حياة الرسول ... ما حصل وقت ولادته ... رضاعه فى بنى سعد . شريك النبى فى الجاهلية فى التجارة . عنايته بشد إزاره وهو ينقل الحجارة مع عمه العباس . أشد ما لقى من قومه يوم عرض نفسه على ابن عبد ياليل . كيف ألقى سلى جزور على ظهره وهو ساجد ... الخ » .

ويطول بى الأمر لو أردت (عناوين) فقط استغرقت خمساً وعشرين صفحة من القطع الكبير ، وتحت هـذه العناوين إشارات لأحاديث متعددة وردت فى كتب السنة تتناول الموضوعات التى تعبر عنها هذه العناوين ، هذا فضلا عن إحالات لموضوعات بحثت فى مواد أخرى غير مادة (محمـد) التى نحن بصددها ، مثل (قريش ... الهجرة ... الشفاعة ... الحديبية ... فاطمة ... الخ) .

وعلماء السيرة يعرفون هذه الحقيقة البديهية ويوضحونها ، يقول علامة الهند سليمان الندوى فى محاضراته عن (الرسالة المحمدية) : « وأريد أن ألفت أنظاركم إلى المصادر التى أخذت عنها سيرة النبى وهديه ، وإن أهم ما فى سيرته وأوثقها هو ما اقتبس من القرآن الحكيم ، والمصدر الثانى كتب الحـديث ، وهى كتب حفظت لنا من أقوال النبى وأفعاله وأحواله ما يبلغ مائة ألف حديث ، ومن الكتب المصنفة فى الحديث الكتب الستة الصحاح التى محص العلماء كل ما ورد فيها وذكروا شواهده ومتابعاته ، حتى لم يتركوا فى النفوس منزع ظفر لمحقق منصف بل ولا لمدقق جائر ، ويتلو الكتب الستة كتب المسانيد ... » وقد ذكر بعد ذلك كتب المغازى والتاريخ والدلائل والشمائل .

وبالنسبة لوفرة المادة التاريخية فى كنوز السنة يذكر الأستاذ الندوى « . . أما المحدثون الكرام من علماء المسلمين فقد جمعوا كل ماله علاقة بالنبى صحيحا كان أو سقيما ، وجعلوا لنقده قواعد وأصلوا لتحقيقها أصولا ، وهم قد حفظوا شئون حياة النبى وأحواله وأخباره كلها

ولم يتركوا أمراً من أموره ولا شأناً من شئونه إلا ذكروه ، حتى لقد وصفوه فى قيامه وجلوسه ونهوضه من النوم ، وهيئته فى ضحكه وابتسامته ، وعبادته فى ليله ونهاره ، وكيف كان يفعل إذا اغتسل وإذا أكل ، وكيف كان يشرب ، وماذا كان يلبس ، وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقيهم ، وما كان يحب من الألوان ومن الطيب ، وما هى حليته وشمائله ، ووصفوا جسده الطاهر وصفاً كاملاً كأنك تراه ، ووصفوا حياته العائلية من معاشرة الرجل أهله وحليلته ، وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل . . . وأستعرض لكم فهرسة أقدم كتاب فى الشمائل للترمذى ، لتعلموا كيف ضبط المسلمون أحوال النبى وأحصوا أخباره جليلها ودقيقها . . . الخ » وذكر المؤلف قائمة تشمل ٥٢ موضوعاً وردت فى الشمائل للترمذى . وفى المكتبة الإسلامية نموذج من السيرة المعتمدة على السنة الصحيحة ، نقرؤها فى الكتاب النفيس « زاد المعاد فى هدى المعاد » للإمام ابن القيم . غير أن هذا الكتاب تمتزج فيه وقائع السيرة بأحكام الفقه ، بما لا يسد الحاجة لكتاب يتفرد لمعالجة السيرة على أساس من صحاح السنة .

وما مصير كتب السيرة المتداولة ؟؟ .

لست أدعو بحال لأن نطرح كتب ابن هشام أو الواقدى أو ابن سعد فى استخفاف وسذاجة ، وإنما أقول إن من شأن تحقيق وقائع السيرة على أساس من القرآن الكريم ، كما فعل الأستاذ دروزة فى كتابيه (عصر النبى قبل البعثة) و (سيرة الرسول) - ثم على أساس من السنة الصحيحة - كما نرجو أن يتم - فمن شأن هذا وذاك أن يقيم بين أيدينا ميزان الحق الذى نمحص به مرويات ابن إسحق والواقدى ومن أخذ عنهما إذا اضطربت أمامنا الروايات ، ولم نستطع القطع والترجيح . وليس الأمر مقصوراً على كتاب واحد فى هذا الاتجاه أو ذاك ، فكما أن للقرآن عدة تفاسير ، وللبخارى عدة شروح ، فلا حرج أن نقرأ عدة كتب تستقى السيرة النبوية من معين القرآن أو جداول الحديث ، ومن اجتهد فهو مأجور على كل حال .

وفقنا الله للإفادة من سيرة نبينا ورسالته ؟

فتحى عثمان

التفسير العلمى للقرآن

إن الذى يدفعنا إلى الخوض فى هذا البحث هو ما نراه بين ظهرانينا من الشغف المسرف فى تأويل آيات القرآن الكريم بتوافق النظريات الحديثة ، والتفنن فى استنباط كل اختراع وابتكار من نصوصه ، ظانين أن هذا فتح جديد فى التفسير ، وأسلوب مبتكر فى الفهم ، وهم يحسبون أنهم بعملهم هذا يحسنون صنعاً ويسدون يداً للإسلام .

إن التفسير العلمى هو الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى فهم آيات القرآن ، ويجتهد فى استخراج العلوم والآراء الفلسفية فيها بتحميل الألفاظ ما لم تعرفه العربية ولا يقره أسلوبها من قوانين طبيعية ونظريات كيميائية ورموز ومخترعات إلى غير ذلك من كل ما يمت بسبب إلى علم الطب والفلك وعلوم الحيوان والنبات .

انقسم العلماء بإزاء هذا النوع فريقين :

فريق أخذ بهذا الرأى واتسع فيه حتى جعل من القرآن إعجازاً علمياً باشتماله على كل المخترعات والمستحدثات من طيارات وغواصات وقنبلة ذرية وأجهزة للتدمير وآلات للتخريب ، ولو أدى ذلك إلى قطع الآية من أخواتها فى السياق وسلخها مما قبلها وما بعدها ، مستدلين فى ذلك بقوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

فانظر إليهم مثلا حيث يستدلون على حركة الأرض ودورانها بقوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » . ناسين موقع الآية وسياقها . ولو قرءوا ما قبلها وما بعدها لعلموا أن هذا الوصف خاص بيوم القيامة ، قال تعالى : « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » . أرأيت إلى جملة الوصف فهو مشهد من مشاهد يوم القيامة . وقد تكرر هذا فى وصف الجبال حيث قال تعالى : « يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً » ، « وإذا الجبال سيرت » ، « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا » إلى غير ذلك من الآيات .

وهنا نقرر مبدأ للتفسير الصحيح وهو استقراء الآيات وتتبعها وجمعها كلها ما دامت تتكلم عن موضوع واحد ، ثم النظر إليها جملة فإذا هي أشعة يلقى بعضها ضوءاً على بعض فيبرز المعنى واضحاً صحيحاً . وهذا هو معنى قول القدماء : إن خير نوع من التفسير أن يفسر القرآن بعضه بعضا ، وهو منهج قد بدأ به صلوات الله عليه عند تفسيره لكلمة (الظلم) فيما رواه الشيخان والترمذى : لما نزلت : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » قال بعض الصحابة يا رسول الله وأينا لم يلبس إيمانه الظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بذلك ، ألا تسمع إلى قول لقمان : « إن الشرك لظلم عظيم » .

مثال آخر من إسرافهم فى التأويل ، والشغف بإقحام الآيات وإخضاعها للنظريات الجديدة .

قال تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » فيحملون وصف الرياح باللواقح على أنها لواقح للزرع والشجر ، وهذا منهم إغفال للنصف الثانى من الآية وهو : « فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » إذ لو كان ما ذهبوا إليه هو المراد لترتب عليه إزكاء الزرع وإخراج الثمر للناس يأكلونه ، لا إنزال الماء من السماء للناس يشربونه ويخزنونه . ثم ما فائدة « الفاء » فى قوله تعالى : « فأنزلنا من السماء ماء » ، ثم « الفاء » فى قوله : « فأسقيناكموه » . فالملاقحة هنا هى بين قطيرات وقطيرات أو بين سحاب وسحاب لا بين زهر وزهر أو نبات ونبات .

فالآية الكريمة المذكورة هى مظهر من مظاهر الإعجاز المتجدد للقرآن لأن تلاقح السحاب وأثره فى نزول المطر أمر كان يجهله الإنسان حتى كشف عنه العلم الحديث . وفى هذا تطابق تام بين العلم والقرآن الكريم .

إلى غير ذلك من الأمثال مما لا حاجة فيه إلى كل هذا الإغراق فى الفهم والبعد فى التأويل . إذ لا يتوقف فهم هذه الآيات ومثيلاتها على مثل هذه التوجيهات والالتجاء إلى الحقائق العلمية والنظريات الطبيعية ، بل أسلم طريق فى ذلك هو السلوك فى فهمها مسلكا سهلا يتمشى مع ما تدل عليه الألفاظ دلالة لغوية ويتلاءم مع سياق الآيات تلاؤما طبيعياً فى غير ما توسع ولا إطلاق مما لم تعرفه اللغة ولم يستعمل فيها ومما لا حاجة بالتشريع والهداية إليه .

وأما ما استدلوا به من قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » فقد روى ابن عباس فى تفسير (الكتاب) هنا أنه اللوح المحفوظ - وهو خلق من عالم الغيب أثبت الله فيه مقادير الخلق ما كان منها وما يكون بحسب النظام المعبر عنه بالسنن الإلهية .

ومنهم من يفسر (الكتاب) بالعلم الإلهى المحيط بكل شىء شبه بالكتاب بكونه ثابتا لا ينسى .

وقال بعضهم أن المراد (بالكتاب) هنا القرآن ، والمراد بقوله (من شىء) الشىء الذى هو من موضوع الدين الذى يرسل به الرسل وينزل به الكتاب ، وهو الهداية ، لأن العموم فى كل شىء بحسبه . أى ما تركنا فى الكتاب شيئا من ضروب الهداية التى ترسل الرسل لأجلها إلا قد بيناه فيه .

وفريق آخر أنكر هذا النوع من التفسير - وهو التفسير العلمى - ولم يأخذ بمثل هذه التوجيهات ، مستدلين على مذهبهم :

أولا : بأن هذه الشريعة المباركة أمية لأن أهلها كذلك فلا يحتاج فى فهم كتابها وتعرف أوامرها ونواهيها ، إلى العلوم الكونية ، والرياضيات الهندسية وما إلى ذلك .

ثانيا : أن هذا القرآن موجه إلى من نزل فيهم من العرب وهم ليس لهم عهد بهذه العلوم التى لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آمادا فسيحة ، فإذا قصد القرآن إليها ، وآياته لا تفهم إلا بالوقوف عليها يكون حينئذ كلاما غير مطابق لمقتضى الحال ، وحاشاه أن يكون كذلك . فوجب إذن أن نقف بعباراته عند فهم العرب الخلص ، ولا نتجاوز ما ألفوه من علومهم ، وأدركوه من معارفهم .

ثالثا : أن النظريات العلمية ، والحقائق الطبيعية عرضة للتبديل والتغيير ، فإذا أخذنا بها فى هذا النوع من التفسير كان فهم الآيات أيضاً عرضة للتغيير والتبديل ، مما يبعث على الشك ، ويؤدى إلى الريبة والبلبلة والاضطراب .

والرأى الذى نميل إليه هو أننا فى حاجة شديدة إلى أضواء من العلم تكشف لنا عن حكم وأسرار جاءت بها الآيات الكريمة ، ولا ضرر من عدم قصر فهمه على ما عند العرب فى علمها ومألوف معارفها ، لأن القرآن أنزل للناس كافة يأخذ كل على قدر استعداده وحاجته ما دام ذلك لا يتنافى مع ما قصده القرآن من الهداية ، وما يهدف إليه من الإرشاد .

فكم من حكمة فيه إذا ما مستها يد العلم أسفرت أسرارها وظهرت أنوارها وأبانت عن سر إعجازها وسحر بيانها . وفى هذا نوع من الإعجاز العلمى فان للكلام — كما ذكر عالم من كبار علماء عصرنا عليه رحمة الله - غايتين متباعدتين عند الناس فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذى تخاطب به الأغبياء لنزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم فى الخطاب ، ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة التى تخاطب بها الأذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم . فلا غنى لك - إن أردت أن تعطى كلتا الطائفتين حظها كاملا من بيانك - أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ما تخاطب به الأخرى كما تخاطب الأطفال بغير ما تخاطب به الرجال . فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء وإلى الأذكياء والأغبياء وإلى العامة والخاصة فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك مالا تجده على أتمه إلا فى القرآن الكريم . فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوى على أفهامهم ، ولا يصعب على إدراكهم ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسر لكل من أراد (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ، (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) .

وقال الإمام الراغب الأصفانى فى مقدمة تفسيره : -

« أخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جلتها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ويفهم الخواص من أثنائها ما يوفى على ما أدركه فهم الحكماء . ومن هذا الوجه ، كل من كان حظه فى العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك إذا ذكر تعالى حجة إلى ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرة بإضافتها إلى أولى العقل ، ومرة إلى أولى العلم ، ومرة إلى السامعين ، ومرة إلى المفكرين ، ومرة إلى المتذكرين ، تنبيها على أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها » .

فالقرآن لا يصادم شيئا أثبته العلم الصحيح بل كثيرا ما يكون فيه إشارة إليها .

فمن ينكر أننا فى حاجة ملحة إلى علم الأجنة يحدثنا عن قوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب) .

وإلى علم الحياة يبين لنا أدوار الجنين فى قوله تعالى (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما) .

ومن ذا يحدثنا إذا لم يحدثنا علم الطب عن قوله تعالى « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى » فيبين لنا مبلغ هذا الأذى وهل هو جسمى أو عصبى أو مزاجى أو نفسى .

وإليك ما كتبه فى تفسير هذه الآية أحد الأطباء المعاصرين فى كتاب له (وحى وبيان من لب القرآن) .

نزلت هذه الآية تمنع الرجال من مباشرة نسائهم أثناء حدوث الحيض كمثل صادق ملزم بتحديد الأوقات المناسبة لمباشرة النساء التى يراعى فيها قبول المرأة كما يراعى شعور الرجل ، وهى فترة إجباريه على الرجال يعاملون نساءهم فيما يماثلها من فترات بأدب القرآن الذى شرعه فى هذه الآية .

والأذى فى هذه الآية لفظ عام يحتمل معنيين :

(أذى) بمعنى إيذاء وضرر ، و (أذى) بمعنى قذر ممجوج تعافه النفس ، والمواطأة أثناء فترة الحيض فيها ، وهـذان النوعان من الأذى لكل من المرأة والرجل ، إذ يتسبب عنها فى المرأة زيادة فى احتقان جهازها التناسلى بما قد ينشأ عن ذلك من آلام أو مضاعفات كنزف دموى أو اضطراب فى دورة الحيض أو التهابات بالأعضاء التناسلية . هـذا فضلا عن أن إحساس المرأة بالألم إذا ما بوشرت أثناء الحيض ، نظراً لما تعانيه من احتقان بأعضائها التناسلية يسبب لها إرهاقا عصبيا ، إذ أن أعصابها تكون حينذاك مرهقة غير طبيعية ، كما أن رغبتها للمباشرة الجنسية تكون خاملة راكدة فى هـذه الفترة بسبب حدوث شىء من الاضطراب فى إفراز الهرمونات الداخلية لبعض الغدد الصماء ، وهذا من شأنه أن يولد فى نفس المرأة حالة جفاء نفسى بالنسبة للرجـــل ، فترى فيه حيواناً نهماً لا يكترث بشعورها ، ولا يحس بألمها ، ولا يبالى بتهيئة أسباب الراحـــة اللازمة لها ، فى هذه الفترة العصبية .

وليس الأذى الذى يلحق بالرجل بأقل مما يلحق بالمرأة ، إذا ما أتاها فى أثناء المحيض إذ قد يصاب بالتهاب صديدى بمجرى البول نتيجة لاتصال بعض الجراثيم المتأقلمة فى جهاز المرأة التناسلى ، وناهيك بما ينتاب الرجل من شعور عميق بالاشمئزاز الذى قـد يسبب له عقدة نفسية تؤثر على قواه الجنسية .

لذلك كان لزاما أن يأمر الله المحيط العليم الحكيم باعتزال النساء فى المحيض والابتعاد عن غشيانهن حتى يطهرن بانقطاع دم الحيض والاغتسال ، أرأيت إلى ما اشتملت عليه كلمة (أذى) من أسرار وحكم ، وهذا هو معنى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم .

فالحق أن كل ما يساعد من العلوم على الكشف عن أسرار التشريعات الإسلامية ، والدلالة على قدرة الصانع الحكيم ، والإبانة عن مبلغ آياته ونعمه ، ولا يتعارض مع أسلوب اللغة ومألوف تعبيرها من غير إغراب ولا تكلف ولا إغراق فى التأويل وإسراف فى التجديد فهو مما يجوز أن يستخدم فى تفسير آيات القرآن الحكيم ، فهو لا تفنى عجائبه . ولا تحصى أسراره ؟

عبد الوهاب حموده

من وحى الثورة العراقية

واستيقظت (بغداد) تشهد مولد البعث الجديد
نفضت رداء الذل عنها ثم ضجت بالنشيد
ومضت تشق الصخر تحفر فيه آيات الخلود
عملاقة الخطوات تقتلع الحواجز والسدود
صخابة ، هدارة الأمواج تعصف بالقيود
بعروش من باعوا العروبة واستهانوا بالعهود
بالخائنين ، عبيد الاستعمار أذناب اليهود
(بغداد) حى ثورة الأحرار قد طلع الصباح
قد أشرقت شمس العروبة فى روابيك الفساح
وقد انقمت من الليالى السود مزقت الوشاح
وصرعت أقطاب الخيانة فى (الرحاب) المستباح
سيعيد (حطين) الرهيبة عند (بيروت) (صلاح)
ويسير زحف الشعب اعصارا يطوق بالرياح

أبو السعود الجهنى

عبر

عين الله لا تغفل ، ولكن خلق الإنسان عجولا ولو اعتصم المظلوم بالصبر لرأى فى الظالم يوما - قرب أو بعد - فكم من الأحداث ما يكاد ينسى الحليم حلمه ، ويذهب عن العاقل لبه ، ويبعث فى ضعاف النفوس القلق والشك ، ثم الضلال والإلحاد ، ثم يكون من تصاريف القدر ما يرد الدمع فى العين ، ويعيد الرضا إلى القلوب ، واليقين إلى النفوس . فكم من ظالم أسرف فى ظلمه ، وبالغ فى هذا الإسراف ، ونسى كل شىء إلا أنه قادر مسلط . وتذكر كل شىء إلا أن وراءه رقيباً شديد الحساب . وزاده طغيانا وجبروتا أن مد له القدر ، وأمهلته السماء ، ومكن له فى الأرض ، ثم تنزل به المحنة فيصبح ذليلا مهينا ، ولله تدبير لا تدركه عقولنا الضيقة ، ولا تصل إليه أفهامنا القاصرة ...

ومن رزقه الله العقل الحصيف ، والقلب السليم ، تفطن لعواقب الأمور ، وتنبه لمراتع الظلم ، وأدرك أنها مراتع وخيمة ، ومصاير أليمة « وما يذكر إلا أولو الألباب » .

ومن طمس الله على بصيرته ، وألقى على بصره غشاوة ، لم ينظر أبعد مما تحت قدميه ، ولم يتبصر فيما حواليه ، ولم يراجع أحداث التاريخ ، ثم يقرن بين المتشابهات ، ويوائم بين النظائر ، فيعرف بذلك سنة الله فى السكون ، ونواميسه فى الحياة .

وقد جرد الله أولئك الذين يمرون على أحداث التاريخ فلا يأخذون منها العظة ، جردهم من العقل ، حيث يخاطب مشركى العرب من أهل مكة ، ويلفت أنظارهم إلى ما نزل بقوم لوط ، وإنه لأمام أعينهم ، يرونه وافدين إلى الشام ، وراجعين منها ، مصبحين وممسين ، ولكنهم لا يعقلون : « ثم دمرنا الآخرين ، وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون » .

ودعا القرآن إلى التدبير ، والتفكير ، والنظر « أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم

وما كان لهم من الله من واق . ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا ، فأخذهم الله ، إنه قوى شديد العقاب » .

وقديما قيل : العاقل من اتعظ بغيره ، ولكننا نرى فى زماننا هذا ، كما قرأنا فى كل أدوار التاريخ ، الغافلين الذين لا يتعظون بمصاير الآخرين .

كان فى مصر حكم فاسد ، وملك مستبد ، سام الشعب ألوان العذاب ، وجر على البلاد أصناف الخراب ، وطغى وبغى ، ثم جاءه المصير المشئوم ، والحساب العادل ، فهوى عرشه وزال ملكه ، ولفظته البلاد ، ولعنه العباد ، فكان حريا بأمثاله أن يأخذوا من مصيره عبرة ، ومن يومه المشهود نذيرا ، ولكنهم استمروا فى غلوائهم ، وأسرفوا فى التنكيل بشعوبهم ، ولم تمض غير سنوات ست حتى شهدنا العبرة الأخرى ، وكانت هذه المرة على أرض الرافدين ، فتنفست الأمة العربية كلها الصعداء ، ومع ذلك لا نزال نرى رؤسا قائمة على أجسادها تسلك نفس السبيل الذى سلكه الطغاة الذاهبون ، وتمارس نفس الأعمال والمظالم التى كانوا يمارسونها ، (أفلا يعقلون) ؟!

والذى ينزل بالحاكمين الظالمين ، ينزل بكل من يقترف فى حق الشعوب أو الأفراد أى نوع من أنواع الظلم ، وربما عجل العقاب .

قرأت أخيرا أن الماجور كلود الذى أمر بإلقاء أول قنبلة ذرية على مدينة (هيروشيما) أصيب بالأرق ، فيتقفز فى نصف الليل ويعود كالذئب المسعور ، وقد توالت عليه نوبات الجنون ، ثم راح يرتكب سرقات أودع بسببها السجن .

ويحدثنا التاريخ الإسلامى أن الذين اشتركوا فى قتل الحسين بن على رضى الله عنه ، يوم كربلاء ، لقوا جميعاً جزاءهم العادل فى الدنيا ، وحسابهم يوم القيامة إلى الله . فالفارس الذى احتز رأس الحسين لم يطل به الأمد ، ذلك أنه كان حريصا على أن يكون أول مبشر للأمير لينال عنده يدا ، ومضى بالرأس بين الفخر والخيلاء ، والفرح والغبطة ، ويقف على عبيد الله بن زياد ، وهو - يومئذ - والى الكوفة ، وينشد :

أوقــر ركابى فضة وذهبا إنى قتلت الملــك المحجبا
قتلت خــير الناس أما وأبا وخــيرهم إذ ينسبون نسبا

فيغضب الأمير غضبته ، ويصيح فى الرجل : إذا كان خير الناس أما وأبا فلم قتلته؟ ثم يأمر بضرب عنقه .

وقد جاء فى كتب التاريخ القديمة أنه وجد فى عسكر الحسين طيب انتهب ، فما تطيبت به امرأة إلا ذهلت .

وكان خاتمة أمر قتلة الحسين أن سلط الله عليهم جبارا عنيدا هو المختار الثقفى ، فكان لا يعلم برجل اشترك فى قتل الحسين أو شهده إلا قتله ، أوهدم داره ، وربما حرقه تحريقا .

وعبيدالله بن زياد ، قتل ، بعد أن طرده أهل العراق ، وأرسل رأسه إلى على بن الحسين فوجده الرسول يتغدى ، فلما وضع الرأس بين يديه قال : سبحان الله ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله فى عنقه نعمة ، لقد جىء برأس أبى إلى ابن زياد وهو يتغدى .

وبعد ، فهل يرجع الضالون إلى عقولهم ، ويستضيئون بالأحداث التى وقعت للآخرين؟ وهل يكف كل ظالم عن ظلمه ، ويعلم علم اليقين أن لله عينا لا تنام ، وأن الله يمهل ولا يهمل وهل يجلس فى بيته مغمضا عينيه ، ويسبح بفكره فيرى العبر حواليه ، تملأ الفضاء ، وتفيض بها بطون الكتب ؟ .

عـبر كلها الليالى ، ولكن   أين من يفتح الكتاب ويقرأ ؟!

على العمارى
المدرس بالأزهر

فى مولد الهادى

رجعت لله أشدو فوق قيثارى   وأنشد الشعر للهادى بأشعارى
يامنقذ الناس من طغيان أنفسهم   لولاك صار جميع الناس فى النار
ذكرى وفيها عظات وهى مدرسة   للقانتين وآيات لأحرار
وأمة الضاد فى أفراحها لبست   لأجل عيدك هالات لأنوار

محمد فهمى توفيق

دعائم المنهج الخلقى الاسلامى

يقوم المنهج الخلق الإسلامى ، الذى أشرنا إلى مميزاته فى حديثنا السابق ، على الدعائم الخلقية الآتية :

الدعامة الأولى : قوة الشخصية وكمال الرجولة ، وهى صفة تبعث صاحبها على الاعتداد بالنفس ، والاعتزاز بالكرامة ، والوقوف بجانب الحق ولو على نفسه ، والانتصار له مهما احتمل فى سبيل ذلك من جهد ومشقة ، والترفع عن سفساف الأخلاق وذميم الأفعال ، فقد عنى الإسلام ببناء هذه الدعامة وتنميتها فى المجتمع الإسلامى ، وأظهر هذه العناية فى أساليب قوية رائعة ، تثير فى النفس الحماسة والشجاعة ، وتلهب فيها العواطف والمشاعر .

فأوجب على المسلمين أن يكونوا رجالا أقوياء فى دينهم ودنياهم ، أعزة كراما فى مجتمعاتهم وأوطانهم ، يدافعون عن عزتهم وكرامتهم ، وينتصرون ممن يبغى عليهم أو يعتدى على سيادتهم ، وجعل ذلك من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين ، كما فى قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا» ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ، « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » .

وحرم عليهم الضعف والاستكانة والاستسلام ، كما قال جل جلاله « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم» « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا » فالإسلام لا يبيح لأهله أن يقيموا على الضيم والهوان ، ولا أن يضعفوا أمام أعدائهم فى الدفاع عن دينهم ووطنهم ، ويدعوا إلى الصلح والمسالمة خوراً وتذللا لهم ، ولا يرضى لهم أن يكونوا أذلة مستضعفين ، ولا يقبل منهم الاعتذار

بأنهم كانوا مستضعفين فى الأرض ، لأن ذلك كله لا يتفق مع عزة الإسلام وكرامة المسلمين ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يتمدح بمظاهر الرجولة والقوة ، والاعتزاز بالإباء والكرامة ، ويعمل على تنمية هذه المظاهر فى المجتمع الإسلامى ، وكان يقول فى ذلك ، « يعجبنى الرجل إذا سيم خطة ضيم أن يقول لا بملء فيه » .

فليس من شأن المسلم أن يرضى بالضيم والهوان ، أو يستكين للبغى والعدوان ، وإنما شأنه أن يكون رجلا كاملا فى رجولته ، قوياً فى دينه وخلقه ، عزيزاً فى مجتمعه ووطنه ، شجاعا لا يهاب الإقدام ولا يخشى اللقاء ، إذ غاية ما يصيبه فى سبيل الاحتفاظ بعزته وكرامته والدفاع عن دينه ووطنه ، إنما هو الاستشهاد فى ساحة الكرامة والشرف ، وما الموت إلا نقلة من دار الفناء إلى دار البقاء ، وهو ميت يوماً ما لا محالة .

وإذا لم يكن من الموت بد   فمن العار أن تموت جبانا

وكيف لا يكون المسلم قوياً فى رجولته وخلقه ، عزيزاً فى مجتمعه ووطنه ، وكل تعاليم الإسلام تتمثل فيها الرجولة والقوة ، ، وتتجلى فيها مظاهر الكرامة والعزة ، وكيف يخاف الموت فى سبيل الدفاع عن دينه ووطنه ، وهو يؤمن بأن الموت نهاية كل حى ، وأن الأجل عند الله مكتوب ومحدود ، فحرص الحريص لا ينجيه ، وإقدام الشجاع لا يرديه ، وأن الآجال بيد الله يصرفها كيف شاء ، فلا يعرف أحد متى يحين حينه ، ولا بأى أرض توافيه منيته ، وكيف لا يؤمن بهذه الحقائق والسنن الإلهية ، وهو يتلو فى الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قول الله جل جلاله : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا » ، « وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير » .

هذه هى الشخصية الإسلامية كما قررها القرآن الكريم ، وقررها النبى صلى الله عليه وسلم تقريراً عملياً ، فقد تجلت هذه الشخصية القوية بأروع صورها وأكمل معانيها ، فى أخلاقه وأعماله ومواقفه الخالدة ، وتمثلت من أول يوم حمى فيه وطيس الجهاد العنيف والكفاح المرير ، فى كلمته الباقية على وجه الزمان ، والتى صاح بها فى وجه الإغراء والطغيان : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » فكانت هذه الصيحة القوية المدوية ، لساناً ناطقاً ، وتعبيراً صادقاً

عما انطوت عليه نفسه الشريفة من قوة الشخصية وكمال الرجولة ، ومثلا أعلى للثبات على الحق والوقوف بجانبه مهما كانت العاقبة ، والتضحية بالنفس والمال والسلطان فى سبيل المبدأ والعقيدة ، ورائدا المسلمين الأولين فى جهادهم وكفاحهم ، فكانوا مثلا عليا للجهاد والكفاح فى سبيل الدين والوطن .

فعلى المسلمين فى كل زمان ومكان ، أن يعلموا أن هذه الشخصية التى قررها الإسلام وطالب المسلمين أن يتخلقوا بها ، لا تختص بعصر دون عصر ، ولا بفريق من المسلمين دون فريق ، بل تعم كل عصر من عصور المسلمين ، وتشمل كل جانب من جوانب حياتهم ، ويطالب بها كل فرد من أفرادهم ، وكل طبقة من طبقاتهم ، وعليهم أن يعلموا أن هذه الرجولة التى ملأت قلوب الرعيل الأول من المسلمين ، واستولت على أحاسيسهم ومشاعرهم ، هى التى أتاحت لهم أن يقيموا لأمتهم دولة عزيزة الجانب مرهوبة السلطان .

الدعامة الثانية : الحياء ، وهو خلق يبعث فى النفس الشعور بكمال الفضيلة ونقص الرذيلة ، ويحملها على الترفع عن سفساف الأخلاق وذميم الخلال ، واجتناب كل مايوجب المذمة والملامة ، ولهذا عنى الإسلام بتنميته فى المجتمع الإسلامى عناية كبرى .

فامتدحه وحث على التخلق به ، وجعله مصدراً لكل خير وفضيلة ، وشعبة من شعب الإيمان وخصاله ، كما قال صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله » ، « الحياء لا يأتى إلا بخير » « الحياء شعبة من الإيمان » .

وأكبر من شأنه ورفع منزلته ، فجعله الخلق الخاص بالإسلام ، كما قال صلى الله عليه وسلم « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء » ولهذا لاترى مظاهر الحياء والاحتشام متجلية بأجلى معانيها ، إلا فى المجتمعات الإسلامية المحافظة على تقاليد الإسلام وآدابه .

والحياء جدير بهذه العناية وتلك المنزلة ؛ لأنه هو الذى يبعث صاحبه على كبح جماح الغرائز والشهوات ، والوقوف بها عند حدود التوسط والاعتدال ، ويحمله على مراعاة قوانين الأخلاق وآداب السلوك ، ويطبعه على التحرج من كل مايوجب تأنيب الضمائر الحية واستنكار النفوس الأبية ، وهو الظهير الذى يعتمد عليه قادة الإصلاح فى تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق ، وتنبيه الغافلين وإرشاد المنحرفين ، إذ لولا الحياء الكامن فى أعماق النفوس لما أثمر نصحهم وإرشادهم ؛ لأن الإنسان إذا نضب معين الحياء من وجهه ،

وأزال عنه حجاب التحفظ والاحتشام ، وارتدى رداء الفجور والتحلل ، وفقد الإحساس بكمال الفضيلة ونقص الرذيلة ، واختلت لديه موازين الحسن والقبح ، فإنه لا يفيد فيه وعظ ولا إرشاد ، ولا يجدى معه لوم ولا تقريع ، ولا يقتنع بحجة ولا دليل ، ولا يبالى بما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، كما يشير إلى ذلك الحديث النبوى ، « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » ، فالحياء هو عنوان الإنسانية الكاملة ، ورائد الكمال والفضيلة ، وعماد الأخلاق الكريمة ، ومبعث الأعمال الصالحة . والمنبت الطيب لبذر الهداية والإصلاح ، ومن لاحياء فيه لاخير فيه .

الدعامة الثالثة : الأمانة ، وهى من أجل أخلاق الإسلام ودعائمه العظام ، فقد أكبر الإسلام من شأنها وأعظم أمرها ، وطالب المسلمين برعايتها والمحافظة عليها ، فأمر بتأدية الأمانات إلى أهلها . كما قال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » وجعل رعايتها من صفات المؤمنين الموجبة لفلاحهم ، كما قال تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وقرن النهى عن خيانتها بالنهى عن خيانة الله ورسوله تعظيما لشأنها ، كما قال عز شأنه : « يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » وجعل انتفاء الأمانة مستتبعا لانتفاء الإيمان ، وعلامة من علامات النفاق « كما قال صلى الله عليه وسلم ، « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لاعهد له » ، « آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » ، وإنما تتحقق أمانة المؤمن بتحقق الجوانب الثلاثة الآتية : —

١ — أن يكون أمينا على دينه ، يؤمن بعقائده ويعقد عليها عقد اليقين والإذعان ، ويأتمر بأوامره وينتهى بنواهيه ، ويتخلق بأخلاقه ويتأدب بآدابه ، ويسير فى تعرف أصوله وفروعه وفهم نصوصه ، على هدى ماتوارثه المسلمون عن الرعيل الأول من أئمة المسلمين وعلمائهم وحفاظهم ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ، وأعمقها علما بشرائع الإسلام ومقاصده ، وأقلها تكلفا فى الاجتهاد والاستنباط ، وأقومها هديا واتباعا للكتاب والسنة ، فلا يسير فى فهمها وراء الظنون والأهواء ، فإن الهوى آفة الرأى ، ومضلة للعقل ، ومفسدة للقلب ، ولا يقول فى دين الله بغير علم ولا حجة ، ولا يدلس على الناس فى الدين ولا يضللهم ، فإن ذلك ضلال بعيد وفساد كبير .

٢ – أن يكون أميناً على الحقوق والواجبات ، والعقود والمعاملات ، إذا حكم فى حق حكم فيه بالعدل ، وإذا وجب عليه حق من حقوق الله أو حقوق العباد ، أداه كأحسن مايكون الأداء ، وإذا عاقد أحدا أو عامله ، وفى بالعقد وأحسن المعاملة .

٣ – أن يكون أميناً على الروابط والصلات ، والأعراض والكرامات ، فلا يتقول على الناس الأقاويل ، ولا يفترى عليهم الأكاذيب ، ولا يشيع عنهم مقالة السوء . ولا يتتبع عوراتهم ، ولا يهتك لأحد ستراً ، ولا ينتهك له حرمة ، ولا يخدش له كرامة ، ولا يثلم له عرضاً .

ومن هنا يتضح لنا أن الأمانة التى طالبنا الله برعايتها ، ليست خاصة بشأن خاص من شئون الحياة ، بل تعم جميع الشئون الدينية والدنيوية ، ويطالب بها كل فرد من أفراد المسلمين ، يطالب بها المتدينون فى تدينهم ، والمرشدون فى إرشادهم ، والعلماء فى بحوثهم ، والمعلمون فى أداء رسالتهم ، والحكام والرؤساء فى إدارتهم ، والجنود فى ميادينهم ، والصناع فى مصانعهم ، والتجار فى متاجرهم ، والزراع فى حقولهم ، وكل راع فى رعيته وولايته .

الدعامة الرابعة : الوفاء بالعهد ، فقد عنى به الإسلام عناية كبرى ، لما له من عظيم الخطر وجليل الأثر ، فأوجب على المسلمين الوفاء بعهودهم ومواثيقهم ، وحث على رعايتها والمحافظة عليها ، وحرم نقضها والغدر بها ، كما قال الله تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون » ، « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » ، وجعل الوفاء بها من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين كما قال تعالى فى وصف المؤمنين « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ، « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » ، كما جعل نقضها والغدر بها من لوازم النفاق وصفات المنافقين ، كما قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها ؛ إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » ، فالعهود التى طالبنا الله بالوفاء بها . تعم العهود الدينيه التى أوجبها الله على عباده وتعبدهم بها ، والعهود الدنيوية التى أذن الله لهم فيها وأرشدهم إليها ، وقضت بها حاجة الاجتماع والتعاون بين الأفراد والجماعات ، سواء كانت هذه العهود قائمة بين الأفراد أو بين الجماعات من المسلمين ، أو كانت قائمة بين المسلمين وغيرهم ، فعناية الإسلام بالعهود الدنيوية المصلحية ،

لا تقل عن عنايته بالعهود الدينية التعبدية ؛ لأن الوفاء بها من أهم دعائم التعاون بين الأفراد والجماعات ، واستقرار الثقة فى العقود والمعاملات ، واستتباب الأمن والسلام فى الجوار والصلات ، فإن أكثر ما يقع بين الأفراد من الخصومات الجامحة والأحداث الدامية ، التى تملأ الصدور بالحقد والضغينة ، وتبذر فيها بذور الفرقة والقطيعة ، وما يقع بين الأمم من حروب طاحنة ، تسفك الدماء المعصومة ، وتحصد الأرواح البريئة ، وتنشر الخراب والدمار ، يرجع فى بواعثه إلى عدم الوفاء بالعقود والعهود ، والاستهانة بحرمتها وقداستها ؛ وعدم قيامها على الصراحة والإخـــلاص وسلامة القصد ، كما يشاهد ذلك فى المعاهدات والمحالفات التى تعقدها دول الاستعمار ؛ فإنها تقوم على الغش والخديعة ، والتمويه وسوء القصد ، وعدم المبالاة بنقضها والغدر فيها ، متى كان ذلك محققا الأغراض الخفية التى عقدت لأجلها ؛ لأنها مستمدة من وحى الأهواء لا من وحى السماء ؟

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

تحية للجمهورية العراقية

فى ساعة الصفر وقت الفجر ناداه ... والنصر فى الأوج بعد الصبر وافاه
هبوا سراعا كأسد هاجها شبح ... واستيقظ الغرب ذعراً فاغراً فاه
يا أهل بغداد ما للغرب فى فزع ... هل جد أمر خلاف النصر آذاه
أم أنه الزحف لم يترك له أملا ... فى العيش بين شعوب خصها الله
ماكان للشك فيما كان من أثر ... فالقوم فى الشرق كل الشرق أشباه
منا جمال ومنكم قاسم وغداً ... من أهل عمان ماضى العزم تياه
صبر تضيق به الأيام إن قدرت ... والعزم حتى قساة الجن تهواه
ما كنت أرتاب فى أهلى وإن هدءوا ... فالمعدن الحر قد يغبر أعلاه
بل كنت أوقن أن الأمر تصفية ... تردى الخسيس وبئس النار مثواه

محمد كامل شلش

تعليقات

مسابقة العيون الجريئة

كانت فجيعة خلقية تثير الأسى عند كل ذى غيرة ، فما ظننا أن يبلغ الاستهتار والتبجح عند أناس أن يجتمع عدد من الفتيات (من أى طبقة كانت) على شاطئ البحر ثم يجعلن أنفسهن غرضاً للعيون الجريئة التى تسرف فى إمعان النظر إلى الفتيات ، ثم يكون لأكثر الفتيان وقاحة تقدير عند الفتيات ، وتمييز للراجح عن المرجوح .

لم تكن نظرة الناظر إلى امرأة من غير محارمه إلا ضرباً من المجون ، وقد سمى الله تلك العيون خائنة ، والخيانة أبشع ما يتصف به دنىء ، وما كانت النظرات الخائنة إلا سبيلا للخطيئة الجنسية التى اعتبرها القرآن قبل سواها من المآثم فاحشة ، ثم نهى عن الفاحشة بل عن قربان الفاحشة ، والقربان هو النظر وما يشبهه .

هذه النظرات الخائنة أصبحت عند فتيات من جيلنا الذى نعيش فيه نظرات مشروعة ، بل مطلوبة بالإغراء والألقاب المشجعة .

هذه مهزلة تقضى على الحياء وعلى الرجولة معاً ، فكان هناك فتيات تجردن من طبيعة الأنوثة فلم يعد لديهن حياء مما يزين الأنثى ، ويرفع شأنها ، وكان هناك فتيان فقدوا غيرة الرجولة واحتشام الأدب .

ولقد كان هؤلاء الفتيات والفتيان فى أغلب الظن من أوساط مهلهلة لا يردعهن أصل كريم ، ولا يبقين على سمعة طيبة يصونها عادة أبناء البيوتات . فالمسابقة بين الفريقين فى هذا الباب فجيعة لا يرضاها الحيوان فضلا عن أناس يظنون أنهم سبقوا فى المدنية والحرية .

وكان العلاج الناجع والرد الموفق على هذه المأساة ما صنعه المشير عبد الحكيم عامر فقد اقتاد الشبان إلى الجيش ليعلمهم الرجولة بدلا من التخنث ، ولينتفع بهم الوطن فى ميادين الكفاح والجد بدلاً من الميوعة والهزل .

نعم ما صنع القائد عبد الحكيم عامر ! وليته يتتبع هؤلاء الرقعاء فيزج بهم فى الجيش مع مراقبتهم بين الجنود ، أو عزلتهم عن الجمهرة منهم لئلا ينفثوا سمومهم فى نفوس الشبان هناك .

وبقيت مسألة الفتيات جديرة بعلاج لائق يسد هذا الباب الخطر ، ويحمى البيئة من جراثيم الإسفاف ، والرقاعة والتبذل .

والحق أن الأمر بحاجة إلى عين ساهرة ، ولكن ماذا نصنع وبيننا من ينشط فى تشجيع الرقص بين الفتاة والفتى ، ويحسب ذلك فنا جميلا يخدم به الحضارة الحديثة فى شعب شرقى متدين ، يأبى دينه وتقاليده أن يحاكى غيره فى هذه المهازل الخليعة ، ووالله إنها لتوجيهات ضارة وتركها واجب .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الإنسان الكامل

بأى لفظ أصوغ الدر تبيانا … وأسبك القول بين الناس عقيانا
وأمدح المصطفى جلت مواهبه … محمداً خير خلق الله إنسانا
أنى لمثلى يطريه ويمدحه … بعد الألى ذهبوا فى القول فرسانا
يا من طلعت على الأكوان أجمعها … بدراً منيراً أنار الكون أزماناً
غزوت لله لا دنيا تؤملها … وما أردت سوى إرضاء مولانا
مواقف كلها نبل ومفخرة … يمضى لها الدهر مبهوتاً وحيرانا
لقد تركت رياض العلم يانعة … تزكى جناها ثقافات وعرفانا

من قصيدة للأستاذ : إبراهيم أبو سعدة — واعظ القاهرة



المسح على الجوربين

للشيخ جمال الدين القاسمى - (٦٦ ص) - المطبعة السلفية بالقاهرة

عالم الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمى (١٢٨٣ - ١٣٣٢) شغل حياته بالعلم ، وزين علمه بالعمل ، ولو لم يكن له إلا تفسيره الكبير الذى يطبع الآن لكفاه فى تخليد فضله ، فكيف وقد عرف العالم الإسلامى فضله فى حياته قبل أن يعرف له هذا التفسير ، ثم عرف له بعد وفاته سنة ١٣٣٢ كتبا أخرى نشرت بعده ، ومنها هذه الرسالة فى المسح على الجوربين وأن ذلك كان مشهوراً عند الفقهاء من الصحابة والتابعين ورواة الحديث ، وقد أورد المؤلف الأحاديث الواردة فى ذلك ، ورد ما ورد عليها من شبه ، وذكر أسماء من أثر عنهم المسح على الجوربين من الصحابة والتابعين ، وبعد أن بين أن أقوال الصحابة وفتاويهم أولى بالأخذ من غيرها استعرض مذاهب الأئمة الأربعة فى ذلك .

وقد قدم له نقيد السنة والشريعة العلامة الشيخ أحمد شاكر مقدمة فى تصحيح الأحاديث التى استدل بها المؤلف ، واستوفى هذا الموضوع فى مقدمته .

المسح على الخفين لابن تيمية

ويلى رسالة المسح على الجوربين للقاسمى فصل من الفتاوى المصرية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية فى (المسح على الخفين) وهى دراسة دقيقة فى الفقه لا يجدها طلاب العلم بأوفى مما يصدر عن قلم ابن تيمية ، ومما اشتملت عليه هذه الدراسة بيان خطأ أهل الظاهر - ومنهم العلامة ابن حزم - فى عدم أخذهم بفحوى الخطاب . وهى فى ٣٢ صفحة (٦٧ — ١٠٨) نشرت عن نسخة خطية علق عليها وعارضها بالفتاوى المصرية الكبرى المطبوعة العالمان الفاضلان الشيخ عبد الرحمن المعلمى والشيخ سليمان الصنيع من علماء الحجاز .

الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس ـ للقاسمي

وقد ألحق بالرسالتين السالفتين هذا الكتيب من مؤلفات العلامة القاسمي ، فى موضوع الحلف بالطلاق الذى ابتلى به أكثر العامة فى اللغو من كلامهم والتافه من أمورهم. وقد أفاض المؤلف فى بيان آداب التطليق المستمدة من الكتاب والسنة ، وهى عشرة : منها رعاية المصلحة فى إيقاعه ، وأن لا يكون القصد من إيقاعه مضارة الزوجة ، وأن لا يكون فى حالة غضب ، وأن يكون الفراق منويا مقصودا ، وأن يكون مأذونا فيه من الشرع، وأن يكون بإحسان ، وأن لا يطلق ثلاثا دفعة واحدة . ولعل هذه الرسالة آخر مؤلفات العلامة القاسمي، فقد ذكر فى آخرها أنه ألفها وهو فى رحلته إلى حوران وطبريا وحيفا وعكا سنة ١٣٣٢ وهى سنة وفاته . وهذه الرسالة الثالثة فى ٥٩ صفحة (١٠٨ - ١٦٤) .

وقام بطبع هذه المجموعة نصير السنة والعامل فى الحجاز على نشر علم السلف الشيخ محمد نصيف حفظه الله وجزاه عن العلم خيرا .

مطابقة الاختراعات العصرية

لما أخبر به سيد البرية

لأحمد بن صديق الغمارى ـ ١٥١ ص ـ دار العهد الجديد للطباعة

هو كتاب زعم فيه مؤلفه أن فى الأحاديث النبوية ما يدل على المخترعات العصرية ، كالسكة الحديد والسيارات والطائرات والتليفون والراديو والمطابع والغواصات والسيرك والكلاب البوليسية وتأميم البترول والمطر الصناعى وآلة التصوير والبنكنوت والشيوعية ودولة اليهود والرد على نظرية داروين الخ ... والذى نعلمه أن السنة النبوية وردت لتوجيه الناس إلى ما فيه رضا الله وتحويلهم عما يوجب سخطه ، ولاحاجة بالحديث النبوى إلى الدلالة على هذه المخترعات بأعيانها بعــد أن أخبر الله عنها وعن غيرها بقوله سبحانه : « ويخلق ما لا تعلمون » . غير أن فى صفحة ٤٦ من الكتاب قذفا بمجاهد كريم يعاقب عليه القانون ، وحكمه فى الشريعة إقامة الحد على القاذف إن لم يأت بأربعة شهداء . وفى صفحة ١٣٢ قذف

آخر بالخيانة لذلك المجاهد ، واستيلائه بزعم المؤلف على الملايين من أسبانيا ثم من فرنسا ومن اليهود أيضاً ، مع أننا لا نعرف عن ذلك المجاهد إلا اضطهاد المستعمرين له واعتقاله وسجنه ومواصلة جهاده فيهم طول حياته ، وفى ص ١٠٩ عد من التلاعب تمسك العرب بعروبتهم ونصرهم اللغة العربية وبحثهم عن الدخيل منها وإبدال الكلمات الإفرنجية بما يؤدى معناها من العربية .

فإذا كان هذا تلاعبا فى نظر المؤلف ، فعلى العلم وعلى العروبة وعلى العربية وعلى التأليف السلام .

المصابيح المباركة

للأستاذ محمد المهدى محمود على - ٧٢ ص - مطابع دار الكتاب العربى

والمصابيح المباركة التى جعلها المؤلف عنواناً لرسالته هى : القرآن الكريم ، وشهر رمضان ، والأزهر الشريف .

ومن فصول الرسالة عن القرآن فصل عنوانه (نور من الله) نوه فيه بمؤلفات بعض أعلامنا عن كتاب الله كالسيوطى فى (الإتقان) ، والشيخ طاهر الجزائرى فى (التبيان) ، والرافعى فى (إعجاز القرآن) ، وعبد العظيم الزرقانى فى (مناهل العرفان) ، ومحمد عبد الله دراز فى (النبأ العظيم) . وبعده فصل بعنوان (الرسول والقرآن) .

ومما جاء فى الرسالة عن المصباح الثانى رمضان فصل عنوانه (المصطفى الكريم فى شهر رمضان) . وفصل عن (الصلة بين القرآن والصيام) . وفصل بعنوان (السلف الصالح) .

وثالث المصابيح هو الأزهر تكلم فيه عنه وعن القرآن والاستعمار ومخلفاته والأقلام الهدامة . ثم عن الأزهر والاستعمار بألوانه ، وقد لخص فيه محاضرة الدكتور محمد البهى عن المؤامرات على الأزهر من تلاميذ المدرسة الاستعمارية ، ثم عن الأزهر والثورة ، وصيحة الحق ، ورسالة الأزهر فى رمضان الخ .

وهى رسالة لطيفة نافعة إن شاء الله ؟

الأدب والعلوم

سياستنا فى التعليم

فى يوم السبت ٢٩ صفر (١٣ سبتمبر) توجهت ألوف الألوف من أبناء الجمهورية العربية المتحدة إلى المدارس ومعاهد التعليم . وقد وجه إليهم السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم كلمة فى يوم الجمعة قال فيها :

« غداً يبدأ عام دراسي جديد ، ينتظم فى معاهد التعليم أربعة ملايين من أبناء الإقليم المصرى ، ونصف مليون من أبناء الإقليم الشمالى ، فى مختلف المراحل : من المرحلة الابتدائية ، إلى الجامعة والدراسات العليا .

وسياستنا التى رسمنا خطوطها منذ الثورة تقوم على أساس إتاحة الفرصة المتكافئة فى التعليم لجميع المواطنين بتعميم التعليم الابتدائى ما أمكنت الفرصة لإرساء قواعد الديمقراطية الصحيحة ، ثم كفاية حاجة البلاد من ذوى الثقافة والخبرة الفنية والمهارات العليا والمتوسطة وأهل البحث الفنى ، وعلى هذه القواعد نسير . وباسم الله وعلى بركته نفتتح الموسم الدراسى الجديد ، وبالله التوفيق » .

توحيد المناهج مع العراق

إن اتفاقية الوحدة الثقافية مع العراق قد تمت بعد دراسة مشتركة قام بها مؤتمر من رجال التعليم فى الجمهوريتين ، افتتحه السيد كمال الدين حسين مساء السبت ٢٩ صفر (١٣ سبتمبر) ومثل فيه جمهورية العراق ١٧ عضواً كما مثل الجمهورية العربية المتحدة ١٥ عضواً من الإقليمين الشمالى والجنوبى . وقال السيد كمال الدين فى كلمة الافتتاح : إننا نأمل أن تكون هذه الاتفاقية فاتحة خير للأمة العربية بأجمعها ، وأن تعمل على تحقيق أهداف الأمة العربية فيتحرر كل شبر من أرض العرب .

وقال الدكتور محمد ناصر مدير معارف العراق ورئيس الوفد العراقى : إننا كنا ننظر إليكم فى الجمهورية العربية المتحدة كمثال للوطن المتحرر المستقل . وإننا نشكر للجمهورية العربية المتحدة ما قامت به من جهود جبارة فى سبيل المحافظة على روح القومية العربية ، ودعم ثورتنا فى العراق ، وكل العرب يعلقون الآمال على نتائج مباحثاتنا .

وقد ألفت ١٤ لجنة تضم الإخصائيين فى كل نوع من أنواع التعليم، وقامت هذه اللجان بمراجعة المواد الدراسية فى كل من الجمهوريتين توطئة لتوحيد المناهج فى الميثاق الذى انتهى المؤتمر إلى وضعه، ليكون ميثاقا مفتوحا للدول العربية جميعاً تدخل فيه فى أى وقت، ويكون بمثابة تضامن ثقافى عربى لتنشئة جيل عربى واحد لا تفرق بينه الحدود.

وحدتنا الثقافية مع العراق

وافق الرئيس جمال عبد الناصر على ميثاق الوحدة الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية.

وسيسافر السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم على رأس وفد إلى بغداد لتوقيع هذا الميثاق.

مكتبة قومية

ومكتبة عامة مركزية

يفكرون فى وزارة الثقافة والإرشاد فى إنشاء مكتبة عامة مركزية فى القاهرة، لتخفيف الضغط على دار الكتب، توطئة لتحويلها إلى (مكتبة قومية) تجمع التراث القومى والإنسانى، وتقتصر خدمتها - ككل المكتبات القومية - على خدمة العلماء.

دائرة المعارف العربية

قال وزير الثقافة والإرشاد القومى لمندوب الأهرام: تقرر تأليف لجنة من المختصين فى مختلف الوزارات والهيئات لوضع الخطوات التنفيذية لمشروع إنشاء (دائرة المعارف العربية)، وستتولى هذه اللجنة دراسة المشروعات التى أعدت فى هذا الشأن، وتقوم بتكوين اللجان الفرعية لمختلف الفنون والعلوم، وترشيح العدد اللازم من المترجمين والمؤلفين والمراجعين، وتعد المراجع العربية والأجنبية. وتقرر أن يشترك كبار رجال الفكر والأدب وأساتذة الجامعات ورجال الفنون بآرائهم وتوجيهاتهم، وستؤلف منهم هيئة استشارية تشرف على العمل فى تنفيذ المشروع.

القوصى فى اليونسكو

رشحت وزارة التربية والتعليم الدكتور عبد العزيز القوصى المستشار الفنى للوزارة ليشغل وظيفة نائب مدير قسم التربية فى منطقة اليونسكو.

ترى هل هذا الترشيح توطئة للتخلص من بعض رواسب احتلال الغرب الثقافى فى الشرق العربى؟ العبرة بالاتجاه العملى، والناس منتظرون ...

أنباء العالم الإسلامي

أول حكومة لجمهورية الجزائر

في يوم الجمعة المبارك خامس شهر ربيع الأول شهر المولد النبوى ، ولدت أول حكومة لجمهورية الجزائر الحرة ، وهى تتألف من ١٩ وزيراً يرأسهم السيد فرحات عباس ، الذى أعلن فى مؤتمر صحفى بالقاهرة عقب صلاة الجمعة ، أن تأليفها كان بقرار من لجنة التنسيق والتنفيذ ، بناء على السلطة المخولة لها من قبل المجلس الوطنى للثورة الجزائرية . وستكون هذه الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر مسئولة أمام المجلس الوطنى للثورة الجزائرية . وقد بدأ عملها رسميا فى الساعة الأولى بعد ظهر ذلك اليوم (الجمعة) .

وفى ساعة تأليف هذه الحكومة تلقت برقية تهنئة من الرئيس جمال عبد الناصر ، وتوالت الاعترافات بها من الجمهورية العراقية ، وليبيا ، واليمن ، وتونس ، والمغرب ، والعربية السعودية ، والأردن ، والسودان ، والصين الشعبية ، وأندونيسيا ، وفيتنام .

وصرح السيد عبد الحميد مهرى وزير شئون الشمال الإفريقى الجزائرى بأن حكومة الجمهورية الجزائرية تعتبر نفسها فى حالة حرب مع فرنسا ابتداء من يوم تأسيسها . وأضاف أن فرنسا تقع عليها مسئولية كل ما يترتب على هذا الوضع .

وستبحث الحكومة الجزائرية - فى أول اجتماع لها - مسألة طلب انضمامها إلى جامعة الدول العربية .

ويتكون العلم الجزائرى من اللونين الأخضر والأبيض متجاورين رأسيا ، ويتوسطهما هلال أحمر ونجمة حمراء .

جهاد الجزائريين

فى قلب فرنسا

انتشر الرعب فى جميع أنحاء فرنسا من بسالة المجاهدين الجزائريين ، وقد لوحظ أن حملاتهم تزداد عنفا كلما اقترب اليوم المحدد للاستفتاء على دستور ديجول ، لحمل المقيمين فى فرنسا على التصويت ضده أو الامتناع عن الاشتراك فى الاستفتاء . وفى يوم غرة ربيع الأول (١٦ سبتمبر) نسف المجاهدون الجزائريون معسكرا حربيا خارج مدينة مرسليا فقتل عامل مدنى وجرح ثلاثة جنود ومدنيان وقد حدث هذا الانفجار عقب محاولة المجاهدين

الجزائريين اغتيال جاك سوستيل وزير الاستعلامات الفرنسى فى قلب باريس ، وكان الهجوم على سوستيل منظما واشترك فيه عدد من المجاهدين تمكنوا من الاختفاء وسط الجمهور . وتوجه سوستيل فى اليوم التالى - بجبهته المضمدة - لمقابلة ديجول ثم قصد إلى مقر إدارة البوليس لمعاينة سيارته التى أصيبت أمس برصاص الجزائريين. وحاول الجزائريون نسف مصنع قريب من رصيف ميناء الهافر ولكن المتفجرات لم تنفجر كما يجب فأحدثت أضرارا طفيفة . وحوادث نشاط الجهاد الجزائرى فى فرنسا وإضرامهم الحرائق فى المرافق الحيوية أكثر من أن يتسع المجال لإحصائها .

رئيس لبنان الجديد

قبيل ظهر الثلاثاء ٢٣ / ٩ أدى رئيس الجمهورية اللبنانية الجديد السيد فؤاد شهاب ، اليمين الدستورية فى مجلس النواب ، ثم ألقى كلمة قال فيها : إن إقرار الأمور وحكم الدولة فى جميع المناطق اللبنانية يقتضى نزع السلاح من أيدى الجميع بلا هوادة ، وبناء ما تخرب من مرافق البلاد ومعالمها ، وإزالة التوتر فى العلاقات بين لبنان وبعض شقيقاته العربيات ، وفوق ذلك كله تحقيق انسحاب القوات الأجنبية عن أرض الوطن بأسرع وقت - وبعد أن أشار إلى ضرورة إعادة الوحدة بين العناصر اللبنانية عاهد الأمة وطالبها بالوفاء بعهدها للدستور غير المكتوب وهو الميثاق الوطنى فى تعاون لبنان - بصدق وإخلاص - مع شقيقاته الدول العربية إلى أقصى حدود التعاون لما فيه خيره وخيرها جميعا ، متمما علاقاته مع العالم أجمع على أساس الصداقة والكرامة والتعامل المتكافئ الحر .

وقال : وإذا كان ميثاق جامعة الدول العربية التى نغتبط جميعا بازدياد نشاطها ، وميثاق هيئة الأمم المتحدة ، هما الدعامتان القويتان لاستقلال لبنان ، فإن الدعامة الكبرى تبقى فى ميثاقنا الوطنى فى وحدة صفوفنا واجتماع قلوبنا .

ثم قال : إن ما يجرى فى المحيط العربى من نهضة فى جميع نواحى الحياة لا بد من أن يقابله فى هذا الوطن الذى كان دائما صاحب المبادرة فى كل نهضة عربية ، بروح جديدة للتحرر والتوثب .

ولما انتهى خطابه مع دوى التصفيق أطلقت المدافع ٢١ طلقة تحية له ، وانتقل مع رتل عظيم من سيارات الوزراء ورجال الجيش والنواب وأعضاء السلك السياسى إلى القصر الجمهورى فتسلم مفتاح القصر من كميل شمعون الذى خرج من قصر الجمهورية مواطنا عاديا .

وخرج شعب لبنان إلى الشوارع يعلن فرحته ، فانطلقت الأعيرة النارية من الشعب والجيش تحية للعهد الجديد ، وعلقت فى كل مكان صور الرئيس الجديد ، والبطريرك المعوشى ، وجمال عبد الناصر ، وشكرى القوتلى . وألقت الطائرات الحربية اللبنانية منشورات طالبت فيها المواطنين بالمحافظة على الوحدة والقيام بأعباء الوفاء للوطن وسعادته .

سامى الصلح فى تركيا

لفظ الوطن العربى ابنه الآبق سامى الصلح ، تحمله طائرة الأميرال جيمس هولواى الأمريكى تحت ستار الليل قبل فجر يوم السبت ٦ ربيع الأول (٢٠ سبتمبر) من منزله فى قرية المنصورية قرب مصيف برمانا الجبلى فى شمال بيروت إلى قاعدة حلف شمال الأطلنطى الجوية فى أضنة بكليكيا ، وأغلب الظن أنه سيقضى فيها بقية عمره كما أمضى فيها سنوات صباه ، لأن أباه كان مدير البريد والبرق فى تلك المدينة فى بداية هذا القرن ، ولعله ولد هناك . ولما توفى والده والتحق سامى الصلح بالمدرسة الثانوية التركية فى بيروت كان يؤثر الاختلاط بأبناء الأتراك أكثر مما يأنس بصحبة أبناء العرب ، وكان يحسن التركية أكثر مما يحسن العربية ، وكان معروفا يومئذ عند زملائه – ومنهم رئيس تحرير هذه المجلة – بأنه لا يصلح إلا للوظائف ، وأنه لن يرجى منه خير لقوميته العربية ، وهكذا عاد سامى الصلح إلى بيئته الأولى التى منها نشأ وفيها درج .

مؤامرات الخيانة والاستعمار

تبين من التحقيقات والمحاكمات والوثائق المكتشفة فى العراق أن سوريا كانت مطمح أنظار الاستعمار ، لسحق الحيوية العربية الكامنة فيها . وقد اشترك فى التآمر عليها ست دول : أمريكا ، وانجلترا ، وتركيا ، واسرائيل ورجال الحكم البائد فى العراق ، ورجال الحكم الآيل إلى الزوال فى الأردن . وكان دور أمريكا وبريطانيا فى المؤامرة المشاركة فى وضع الخطط وتقديم المساعدات المالية اللازمة ومد عناصر المؤامرت بالسلاح . وكان دور تركيا حشد قواتها على حدود الإقليم السورى عند بدء تنفيذ المؤامرة . أما دور إسرائيل فهو الاشتراك فى الهجوم على الحدود السورية . وكانت الأردن تشارك فى تكديس الأسلحة على حدود سوريا والعراق ، وتساهم فى توزيعها على العشائر البدوية ، وتهيئ قوات من الجنود البدو المسرحين من الجيش الأردنى ليتطوعوا فى عمليات الفتنة التى كانت الدول الست ترسم لها مختلف الخطط .

مشكلة اللاجئين العرب

نشرت صحيفة (تاج زايتونج) النمسوية حديثاً للجنرال بيرنز قائد قوة الطوارىء الدولية قال فيه : « إن الاضطرابات قد تشتعل من جديد فى الشرق الأوسط قبل مضى وقت طويل ، والسبب الرئيسى لذلك هو مشكلة اللاجئين العرب فى فلسطين ، إذ مادامت هذه المشكلة باقية بغير حل سيصبح من المستحيل إزالة المرارة التى يحس بها اللاجئون العرب »

تقرير نظام العراق

قال الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس [illegible] الجمهورية العراقية فى حديث له مع [illegible] كبار الشخصيات : إننا نجتاز الآن فترة انتقال وسوف نجرى استفتاء شعبيا بعد رفع مستوى الشعب ، حتى تتمكن الأمة من تقرير شكل الحكومة التى ترغبها .

وقال فى جمع من كبار رجال الدين المسلمين إننا سنعمل جاهدين على أن نتحد كأمة ، فإن الأجانب يحاولون إيجاد ثغرة فى صفوفنا لتحقيق مطامعهم فى التفرقة بيننا وتقسيمنا إلى شيع متقاتلة .

إننا لن ندع الأجانب وأذنابهم ينجحون فى إحداث صدع فى جبهتنا ، ولن نمكنهم من التدخل فى شئوننا الداخلية أو الخارجية . إن العراق يرغب فى أن يكون صديقا للجميع ولكننا نرفض أى اعتداء على سيادتنا .

وسأله أحد رجال الدين : ماهى الإجراءات التى تتخذها الحكومة لمكافحة الشيوعية والمبادىء الهدامة ؟ فأجابه : إن الاستعماريين دأبوا على اتهام كل حركة وطنية بأنها نشاط هدام ، ولكننا شعب له دينه وعقيدته وإيمانه بالله ، ولن ترهبنا المبادىء الشيوعية أو الأمريكية أو البريطانية .

اتحاد تعاونى عام

اتفق قادة الحركة التعاونية فى إقليمى الجمهورية العربية المتحدة على الاشتراك فى وضع القاعدة الأساسية للاتحاد التعاونى العام للمنطقة العربية من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى

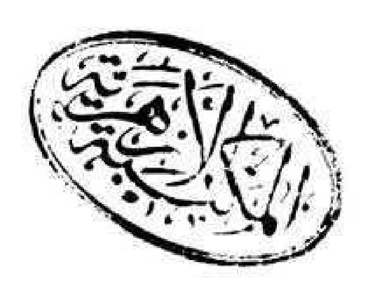
فقد استقر الرأى على توحيد النظام التعاونى فى الأقليمين ، وصدر بذلك قرار جمهورى يسمح بإقامة اتحاد عام للجمعيات التعاونية فى الجمهورية ، وستنص لائحة هذا الاتحاد على أن الباب مفتوح لانضمام كل اتحاد تعاونى فى جميع البلاد العربية .

عدد ممتاز

الجزءان (الرابع والخامس)

ربيع الآخر ، جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ

المجلد الثلاثون





زعيم العروبة والإسلام
الرئيس جمال عبد الناصر

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١٣٥٧ لسنة ١٩٥٨
بتعيين شيخ الجامع الأزهر

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنه ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له .

وعلى القرار الجمهورى رقم ١٠١١ لسنة ١٩٥٨ بتعيين ممثلى الجمهورية العربية المتحدة فى مجلس اتحاد الدول العربية .

قــــرر

(المادة الأولى)

عين الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر شيخاً للجامع المذكور بدلا من الشيخ عبد الرحمن تاج الذى عين عضوا فى مجلس اتحاد الدول العربية .

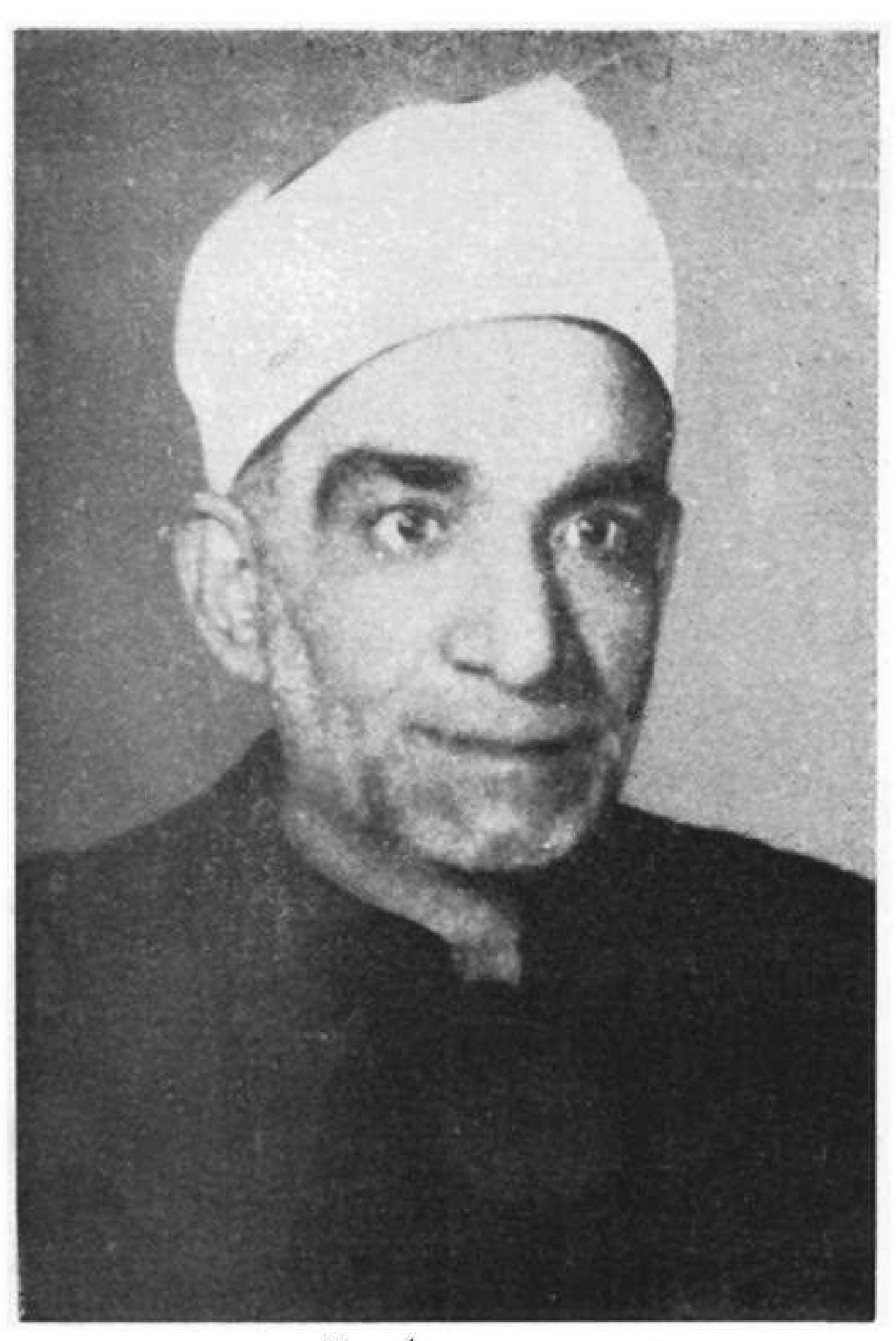
(المادة الثانية)

على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية فى ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٧٨ (٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٨)

(جمال عبد الناصر)

صورة مرسلة إلى مشيخة الجامع الأزهر



صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

إلى فضيلة الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر

لقد أدبك ربك وهذبك وعلمك ، وزادك بسطة فى العلم ونبوغا فى فهم كتابه ، وإدراك أسرار سنة نبيه ، ووجهك للاتصال بكل الهيئات ، وتعرف أحوال جميع الطبقات ، ومنحك عقلية فحول العلماء وذكاء الحكماء ، وآتاك كل مؤهلات الاستنباط والاجتهاد حتى صرت بحق إماما فى هذا العصر ، وحجة فى دين الإسلام لجميع المسلمين . ولقد أسبغ الله عليك النعمة بإسناد منصب مشيخة الأزهر إليك ، وهو منصب جد خطير ، ولكنك وأيم الله له أهل وبه جدير .

وكأن الله قد ادخرك لهذا المنصب فى هذا الوقت الذى تكاثرت فيه الفتن وأحداث الشر فى الدنيا والدين ، وأحيط بالأزهر فضعف وضعف وبلغ منه الضعف حتى افتقر فى الرجال أو أقفر ، وكاد يتهالك ويلفظ النفس الأخير ، ولكن عناية الحكيم العليم شملته ، ولطف اللطيف الخبير أدركه بتعيينك شيخاً له أحوج ما يكون إلى مشيختك ، وإماما للمسلمين أحوج ما يكونون إلى إمامتك . وكان ذلك على يد زعيم العروبة والإسلام : جمال عبد الناصر الذى يجزل له المسلمون الشكر على هذا الاختيار الموفق .

أى شيخ الأزهر :

أنت فذ فى عبقريتك ، مكين فى عقيدتك ، قوى فى دينك ، كريم فى خلقك ، شجاع فى الحق ، وقد آتاك الله سلطان الدين ، ووضع فى يدك راية الإسلام ، فارفعها فى الخافقين بمحاربة الإلحاد والضلال ، وبيان الحرام من المعاملات والحلال ، وإبلاغ دعوة الإسلام على وجهها الصحيح إلى الناس كافة ، ونشر الثقافة الدينية فى جميع بقاع الأرض حتى تعود للدين جدته وقوته ، وللأزهر عظمته ومكانته .

هذا يا فضيلة الأستاذ الأكبر مطلبى الوحيد منك وقد بلغت منتهى ما يصبو إليه رجل الدين ، وإن تحقيقه ليحتاج إلى مجهود جبار وعمل متواصل بالليل والنهار .

لهذا أضرع إلى الله الكريم الوهاب أن يمنحك السلامة والعافية ، ويتم لك الشفاء ، ويهبك كمال الصحة ، ويبعث فيك مزيداً من النشاط بعد أن قاسيت من المرض ما قاسيت ، وأن يجزيك عن هذا أجر الصابرين .

وإنى إذ أهنئك بمنصبك أو فى الحقيقة أهنئ بك المنصب الجديد ، أسأل الله أن يديم لك الرأى السديد ، ويمنحك المعونة والتأييد . ؟

عبد الرحمن عيسى
مدير المجلة

شيخ الجامع الأزهر

فضيلة الأستاذ محمود شلتوت فقيه واسع الأفق، بصير بالأحكام الشرعية الملائمة لحاجات للناس ومقتضيات العصر، ومفسر ملم بكتاب الله وسنن الكون، وعالم اجتماعي يعرف أمراض المجتمع ووسائل علاجها، حارب الجمود والعصبية المذهبية التي جعلت من المذاهب أديانا، وفرقت بين المسلمين. وندد بفكرة غلق باب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية واعتبره غلقا للعقول، وتعطيلا لكتاب الله، ومجافاة لنصوصه الداعية إلى البحث والنظر، وله مدرسة في كل ذلك دفعت قافلة الفكر الإسلامي إلى الأمام، وله آراؤه الإصلاحية في النهوض بالأزهر الذي كافح في سبيل إصلاحه منذ سنة ١٩٢٤م حتى الآن.

ولد في ٢٣ أبريل سنة ١٨٩٣ م، ببلدة منية بني منصور مركز إيتاي البارود مديرية البحيرة، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٠٦م. وكان أول فرقته في جميع سني الدراسة، وقد نال شهادة العالمية النظامية عام ١٩١٨ م، وكان ترتيبه أول الناجحين فيها.

وبعد تخرجه عين مدرساً بمعهد الإسكندرية الديني عام ١٩١٩ م، وقد تابع نشاطه العلمي في المعهد وفي الأوساط العلمية، وفي الصحافة فيما يتصل بعلوم اللغة والتفسير والحديث وسائر العلوم الدينية، ونادى بوجوب إصلاح الأزهر، واستقلاله عن الجهات التي يخضع لها.

وفي سنة ١٩٢٧ م نقل مدرساً بالقسم العالي في القاهرة.

ولما عين المرحوم الشيخ المراغي شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨م تجاوبت فكرته الإصلاحية مع فكرة الشيخ المراغي في إصلاح الأزهر، وأيد ذلك في عدة مقالات نشرت في صحيفة السياسة اليومية، وغيرها من الصحف.

ثم نقل مدرساً للفقه الإسلامي بأقسام التخصص في الأزهر، وفي سنة ١٩٣١م تعارضت آراؤه الإصلاحية مع المشرفين على سياسة الأزهر في ذلك الوقت، وانتهى الأمر بفصله في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣١ م مع بعض زملائه ممن يؤمنون بفكرته الإصلاحية.

شيخ الجامع الأزهر

وبعد فصله تابع فضيلته نقده لسياسة الأزهر ، ونشر أفكاره الإصلاحية بالصحف اليومية والمجلات ، واشتغل بالمحاماة ، والبحوث العلمية أثناء هذه الفترة إلى أن أعيد إلى الأزهر سنة ١٩٣٥ م وعين وكيلا لكلية الشريعة الإسلامية ، ثم مفتشاً بالمعاهد الدينية .

وفى سنة ١٩٣٧ م مثل الأزهر فى مؤتمر لاهاى الدولى للقانون المقارن ، وألقى بحوثا فى التشريع الإسلامى ، وكان من أثرها أن قرر المؤتمر أن الشريعة الإسلامية ، تشريع مستقل ، وقائم بذاته ، ويصلح مصدراً للتشريع فى كل زمان ومكان .

وفى سنة ١٩٤١ م قدم رسالة فى المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية ، نال بها عضوية جماعة كبار العلماء بالإجماع ، وكان أصغر الأعضاء سناً .

وفى سنة ١٩٤٢ م ألقى محاضرته الإصلاحية فى السياسة التوجيهية التعليمية بالأزهر .

وفى سنة ١٩٤٦ م اختير عضواً فى المجمع اللغوى .

وفى سنة ١٩٥٠ م عين مراقباً عاماً لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر ، ووضع أسساً لإصلاح المراقبة ، ولعلاقة مصر الثقافية مع العالمين العربى والإسلامى ، وغيرهما .

وفى سنة ١٩٥٧ م عين مستشاراً فى المؤتمر الإسلامى ، ثم وكيلا للجامع الأزهر ، وظل فى منصبه حتى صدر القرار الجمهورى باختياره شيخاً للأزهر .

وفضيلته فوق ذلك عضو فى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم ، وعضو بالمجلس الأعلى للإذاعة ، ورئيس للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية ، وعضو فى اللجنة العليا لمعونة الشتاء .

وله محاضرات فى تفسير القرآن الكريم بدار الحكمة ، ودور التعليم ، والجمعيات ، والهيئات .

كما يتابع فضيلته تفسيره فى مجلة رسالة الإسلام التى تصدرها دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ويتابع بحوثه الإسلامية ، والاجتماعية على صفحات الجرائد ، والمجلات وفى الإذاعة .

وله كتب ورسائل فى الدين ، والاجتماع ، والتشريع ، من بينها :

فقه القرآن والسنة . كتاب مقارنة المذاهب . كتاب يسألون ، الذى طبعته وزارة الثقافة والإرشاد ، وكتاب منهج القرآن فى بناء المجتمع الذى طبعته وزارة الأوقاف ، والمسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية ، والقرآن والقتال ، والقرآن والمرأة ، وتنظيم النسل ، وتنظيم العلاقات الدولية فى الإسلام ، والإسلام والوجود الدولى للمسلمين .

صدى تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر
الشيخ محمود شلتوت شيخا للأزهر

استقبل العالم الإسلامى والعربى قرار زعيم العروبة والإسلام السيد الرئيس جمال عبد الناصر بإسناد منصب مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بمظاهر الفرح والابتهاج والثناء والشكر للسيد الرئيس ، وبالآمال الكبار التى يعقدها المسلمون على رائد الفكر الإسلامى فى العصر الحديث الشيخ شلتوت فى النهوض بجامعتهم الإسلامية الكبرى لتؤدى رسالتها على الوجه الذى يقوى الروابط الروحية والثقافية بين جميع الدول العربية والإسلامية .

وقد وفد على مكتب فضيلته ومنزله كثير من الشخصيات الكبيرة للتهنئة . وكذلك ورد على رياسة الجهورية وعلى مكتب فضيلته ومنزله سيل غامر من البرقيات والرسائل من الجهورية العربية المتحدة وجميع الدول العربية والإسلامية التى بعث بها الأمراء والوزراء ووكلاء الوزارات ومديرو الجامعات وعمداء الكليات وأساتذتها وشيوخ المعاهد الدينية وأساتذتها وموظفوها وطلابها ومديرو ورؤساء وموظفو المصالح الحكومية ، وكبار رجال الدين على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم ورجال العلم والفكر والأدب والقانون والطب والاقتصاد وسائر الهيئات والجمعيات والأفراد من مختلف الطبقات من مسلمين وغيرهم .

وهذه البرقيات والرسائل من أبرز الظواهر التى تدل على رقى الوعى العربى والإسلامى ونضوجه وكلها تدور حول أمور ثلاثة على جانب عظيم من الأهمية والسمو والخطورة .

أولها : شكر زعيم العروبة والإسلام الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الاختيار الموفق .

ثانيها : تعلق المسلمين بجامعتهم الأزهرية وعظم مكانتها فى قلوبهم .

ثالثها : تقديرهم الكريم عن جدارة لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت وآمالهم العظيمة فيه ، بعد إسناد منصب مشيخة الأزهر إليه .

ونورد هنا بعض الكلمات الشعرية والنثرية التى اتسع لها المقام فى هذه المناسبة الكريمة ثم نتبعها ببعض مقتطفات من البرقيات معتذرين عن عـــدم نشر باقى الرسائل والبرقيات العديدة مع تقديرنا لشعور مرسليها وصدق عاطفتهم نحو الدين والأزهر وشيخه الجديد .

تهنئة وأمل

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الأزهر الجديد

هل أنت آس جراح الأزهر العانى ... وموقظ لعلاه كل وسنان ؟
وهل لليل الحيارى فى غياهبه ... فجر بعهدك يهدى كل حيران ؟
وهل تعيد له ما ضاع من ثقة ... وما تبدد من عز وسلطان ؟
وهل ترى ينهض العملاق منتفضاً ... حراً أبياً عزيز الشأو والشان ؟
يعنو له الدهر إجلالا ويرهب أن ... يغشى حماه وما يعنو لإنسان
محمود عذر القوافى فى تساؤلها ... فلست مهما جفا قولى بخوان
كم راح غيرك مزهوا بمنصبه ... والتهنئات ولم ينهض ببنيان
لكن مثلك لا يزهى بتهنئة ... إلا على عمل مجد وإحسان
لما تجاوبت البشرى حملت لها ... قيثارتى بعد ما طهرت ألحانى
تزاحمت فى فمى للحق واستبقت ... لظل روض من الآمال فينان
أقول : ياشعر هذا الروض فانش به ... على الوفاء شذا روح وريحان
حق عليك فكم أعلاك منزلة ... وطالما شرفتنى منه أذنان
من لو يجر على طرس يراعته ... ثناك تعثر فى إغضاء خزيان
الألمعى الذى تكفيك لمحته ... فطنه ويقين الناس سيان
ومرهف الحس لم تخطئ مشاعره ... مشى النمال على ملساء صفوان
هنئه ياشعر واهتف فى خمائله ... واصدح بعصماء يرويها الجديدان
إن المعالى للأكفاء مفخرة ... وللدعيين نقص أى نقصان
ما كل من نالها أهل لتهنئة ... فقد تعزى إذا ما نالها وان
إن العلا لعروس إن خطبت لها ... من ليس كفئاً تردت ثوب أحزان

تهنئة وأمل

في مهرجانك يا مولاي أبعثها عذراء تختال في وشي وألوان
هام الربيع بها حبا فألف من أشتاتها زهره في كل بستان
جاءتك بالأمل المرجو ناضرة فلا تدعها بلا ساق ولا حاني
أعد لأزهرنا قدسي منصبه فطالما اهتز من ذل وخذلان
وصد عنه تعلات يروجها مروج الزيف من زور وبهتان
ماذا جناه وقد أدى رسالته غير اصطبار على منع وحرمان
إنا لفي زمن الأحرار فامض به حراً شجاعاً يرجى عدل شجعان
وقل لهم إنه قومية جمعت شمل العروبة قدماً منذ أزمان
فكيف يهضم دون الجامعات له حق ويبخس في كيل وميزان ؟
اجعله جامعة معنى وتسمية فما نعلل عن حق بعنوان
أوعد به جامعاً تغنى قداسته عن الحطام حطام المظهر الفاني
وألق في مسمع الدنيا بصيحته حتى يردد مسراها السماكان
ولا تخيب رجاء فيك منعقداً فأنت أدرى بآلام وأشجان
لاحت مخايل إصلاح بدأت بها فأتم الخير تغنم كل شكران

حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

« من قصيدة للأستاذ محمد صالح الريدي المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم »

ومشيخة الإسلام ترفع بندها لمحمود شلتوت علياً وضافيا
لك الله عبد الناصر اخترت عالما إماما يفي للعلم هيمان صاديا
ومحمود شلتوت طوال حياته نراه إلى حفظ المنزل داعيا
وفي الأزهر المعمور جلجل صوته وأصبح في إقليمي القطر عاليا
هناء له والمسلمين بفضله عهدناه دوما جاهدا متفانيا

تحية لشيخ الأزهر

إنه لرأى عام ـ وليس هو بالرأى الخاص عندى ـ أن رسالة الجامع الأزهر فى المستقبل أهم وأعم من رسالته فى الماضى منذ نشأته .

كانت رسالته فيما مضى رسالة تسجيل وتعليم ، ولكنه اليوم لا تقنعنا منه رسالة دون رسالة الإنشاء والتوجيه .

وكان يحيط بالعلم كله إلى عهد غير بعيد ، أما اليوم فالعلم أوسع من أن يحاط به فى معهد واحد ، وألزم من أن يستغنى عنه بجزء منه .

وكان الجامع الأزهر يمضى فى رسالته والأديان مقبلة والزندقة مولية ، ولكنه اليوم يتولاها والأديان فى موقف دفاع ، بعضه أمام الخصوم المنكرين ، وبعضه أمام الأتباع والأشياع .

إنما ينهض برسالة الأزهر فى عصرنا هذا رجال على علم بالعلم المطلوب ، وفى طليعة هؤلاء الرجال من أبنائه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر « الشيخ محمود شلتوت » .

أعانه الله ، وحقق له ما يرجوه وما يرجى على يديه .

عباس محمود العقاد

تهنئة خالصة

مهداة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

العلم عوفى إذ عوفيت والأدب ... وزال عنك إلى أعدائك الوصب

وأنت من علماء الدين قائدهم ... سيان إن كتبوا فى الدين أو خطبوا

والمجد للدين والعرفان مرجعه ... وليس مرجعه مال ولا نشب

فالعلم يزكو على الإنفاق كوثره ... والمال يدركه إن ينفق العطب

ذكرتنا بالمراغى فى مجادته ... فإن مجدك موروث ومكتسب

وأزهر الدين قد مالت به عمد ... فالله يرسى بكم ما منه يضطرب

أحمد شفيع السيد

كلية اللغة العربية

صحيفة الجمهورية

الأزهر وشيخه الجديد

منصب شيخ الأزهر من أهم مناصب الدولة . فالأزهر حقيقة علمية دينية يحف بها تاريخ مهيب ، كان منذ إنشائه ملتقى للثقافات الإنسانية العالية على اختلافها . ومارس حرية الفكر والبحث قبل أن تمارسها أية جامعة من جامعات العالم . وعانى علماؤه الاضطهاد فى سبيل الرأى والإيمان . وضربوا أعظم الأمثلة على تحمل المكاره فى سبيل ما يعتقدون أنه حق وصواب . وقد ظل الأزهر أكثر من ألف سنة مركز الإشعاع الروحى والذهنى للعروبة والإسلام ، وكانت ساحاته ، وأروقته تحتشد بأبناء الشعوب الإسلامية فى المشرق والمغرب حتى ليمكن أن يقال إنه كان وحده جامعة عربية وقومية عربية وعنصر المقاومة الفعالة للاحتلال الفرنسى والاحتلال البريطانى ، ومن الأزهر انبعثت الثورات والانتفاضات القديمة ، وانبعث الثائرون والمنتفضون القدامى .

هـــذا الأزهر ذو التاريخ الحافل واتجاه العلمى والدينى يعد بالنسبة إلينا ثروة ضخمة لا ينبغى أن نبددها ، أو نجمدها ولكن يجب أن ننميها . يجب أن نعد المشروعات لكى ترد للأزهر مكانته كجامعة علمية كانت منذ ألف سنة تسير على أحدث النظم التى تسير عليها الجامعات العالية الآن ! يجب أن نوفر للأزهر الضمانات التى تحفظ عليه وقاره الدينى فلا نفتح أبوابه لمن لا يجد غير هذه الأبواب ، وإنما نفتح أبوابه لمن يصلون فى استعدادهم الذهنى والروحى إلى مستوى لا يصل إليه الناس العاديون .

وقد سرنى اختيار فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فهو أحد علمائنا الأزهريين الذين جمعوا بين التعمق فى فهم الدين والإيمان به ، والتعبير عنه .

وأعتقد أن الرسالة المطلوب من الأزهر أن يؤديها للدين ، هى الفهم الصحيح والإيمان الصحيح ، والتعبير الصحيح .

كامل الشناوى

إلى فضيلة الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر

بمثلك دين الله تقوى أواصره   وتزهى على مر السنين شعائره
فما أنت إلا عالم عز مثله . .   كما بين هذا الترب عزت جواهره
وكيف يطل الخطب فى أفق أزهر   وفى كفك البيضاء ، صارت مصائره
فلله در الشيخ لما أتى له . .   مضى يتباهى فى البرية حاضره
وقد عم نور البشر كل رحابه   وكبر للولى ، وقرت نواظره
فيارب ليل وجهه قلب كافر   لمقدم هذا النور ، ولت دياجره
وقد أصبحت فيه الفضائل تزدهى   وتزرى بأفلاك السماء مفاخره
وقد كان قبل اليوم يندب حظه   يكفكف دمع الحزن، إذ عز ناصره
فأنت له من رقدة الموت ناشر   كأنك إسرافيل ، والله آمره
هنيئا لنا بالفوز ، والمجد ، والعلا   وأهلا ، بمن كل القلوب تؤازره
فيا عالما مد الأنام بفيضه   لك القلب كنز ، أنت فيه ذخائره
أتتك المعالى وهى تخطو حثيثة   ومن غيركم تلك المعالى تصاهره ؟
فللناس بحث كل حين تزفه   تضوع بنشر المسك فيهم أزاهره
كبدر الدجى فى الأفق عم ضياؤه   على صفحات الشعب كم لاح خاطره
فكم مشكلات خضت فيها بحكمة   فكان لكم فيها من الرأى باتره
ففى الحق صولات وفى العلم مثلها   وكل عصى فى يديك سرائره
وأنت لطلاب المعارف مورد   يموج بنور ، أعجز الطرف آخره
لقد جندتك اليوم نفس أبية   فتم لظلام الجهل ، إنك قاهره
وأزهرنا المعمور فى عيد بهجة   ترف به الآمال ، ما انفض سامره
أطل منيعا منذ وليت أمره   وأمسى عزيز الركن من ذا يكابره ؟
فدام إمام العلم فى ثوب صحة . .   وحلت بناديه الأمانى تجاوره !

عبد الله أبو عيد

الأستاذ الأكبر

الأستاذ الأكبر محمود شلتوت، من ذوى الآفاق الطيبة المتعددة التى يتسع فيها القول . أتحدث اليوم بإيجاز فى تهنئته عن واحد منها فى هذه المناسبة الكريمة . بوضع ذلكم العظيم فى موضعه الكريم من مشيخة الأزهر هذا الوضع الذى أهنئ به العالم الإسلامى ، أجمع الذى كان متنظراً ذلك الجليل شيخاً للأزهر والإسلام . تاركا آفاق الإصلاح التى يرتجيها على يده إلى كلمات آتية إن شاء الله .

لعل أوضح خصائص النابهين من أعلام الإسلام مثل الأستاذ العظيم هو سعة تفكيرهم فى معانى القرآن الذى هو دستور الإسلام إلى يوم الدين ، هذه السعة التى أختصها بحديثى عن الشيخ اليوم ، هى التى ترجمها الشيخ الأكبر المراغى فى وصفه أستاذه الإمام محمد عبده من أفقه القرآنى ـ بقوله :

« أعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح لا نجد رجلا رزق فهما فى هداية القرآن ، ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الإمام محمد عبده . . . » .

لم ينقطع هذا الفيض القرآنى بعد عصر الإمام محمد عبده ، بل اتصل حاضره بماضيه وآخره بأوله ، فقد ربط الشيخ الأكبر محمود شلتوت بين عهده وبين عهد الإمام ، وبين طريقته وطريقته بعروة وثقى لا انفصام لها ، فكان طليعة وارثيه فى استقامته على طريقة الإصلاح بالقرآن للعقائد الدينية ، وللمجتمع الإنسانى .

درست ـ ولا أقول قرأت ـ « كتيبا » فى حجمه ، ولكنه سفر كبير فى معناه . وضعه الشيخ الأكبر شلتوت ، وسماه : « منهج القرآن فى بناء المجتمع » وما أصدق ما قالوا : الكتاب يقرأ من عنوانه .

فلقد استُبطن الشيخ أسرار القرآن وحكمه . وسار فى سبيله متوكئا على آيات الذكر الحكيم فى كل غدواته فى الكتاب وروحاته . وفى كل أحاديثه فيه ومحاضراته . وإذ بك أمام مجتمع جديد ، انتزع الشيخ صوره من كتاب الله فى قول حكيم ، وتوجيه سليم ، يتنقل بك من أساس القرآن فى رباط المجتمع . إلى التبتل فى نظر القرآن . إلى التكالب على الدنيا وعلاجه ، إلى الروحية والمادية المهذبتين . إلى أن الإسلام دين العقل والعلم . إلى فقه التضامن الاجتماعى وحقيقته . إلى المال ووظائفه فى الحياة ، وأساليب القرآن فى الدعوة إلى الإنفاق ، إلى التسول المهين وعلاجه ، إلى عناية الإسلام بالأيتام والضعفاء ، إلى معانى التفرقة وحقائق

الاتحاد وكيف يكون الاعتصام بحبل الله . إلى غير أولئك وأولئك مما وعاه صدر الشيخ من أسرار القرآن وبنى به مجتمعاً إنسانياً كريماً .

وبعد فلقد قال الإمام محمد عبده فى تفسير كتاب الله : « فهم القرآن متوقف على فهم العالم . . . فلا يمكن فهمه إلا بفهمهم أيضا » .

وعلى هذا الأساس كان يفسر القرآن . وهكذا رأيت الشيخ الأكبر شلتوت فى منهاجه القرآنى . إنه يفهم قومه ويفهم القرآن ، ولذلك استطاع أن يضع لهم دستور إصلاح قرآنى كريم ؟

حسن الشيخة

إلى الأستاذ الأكبر

الله أكبر عم النصر وادينا		بشراك يا قلب قد وافت أمانينا
وافت مع الشيخ شلتوت تهنئنا		باسم الشريعة وانجابت دياجينا
لما اعتلى المنصب المرموق مال به		تيها وأقبلت الدنيا تحيينا

* * *

يا حامى الدين تكريما وتهنئة		لك التهانى زففناها رياحينا
تعال محمود واشدد أزر نهضتنا		وألف القوم كى تحيا معانينا
جدد فإنا إلى التجديد فى شغف		وانظر لخريجه وانشر به الدينا

محمد أحمد الشال

مدرس بمدرسة الإيمان الإعدادية

بشبرا

مجلة المصور :

تقـــدير

أريد أن أهنئ المسلمين فى سائر أنحاء الأرض باختيار فضيلة الأستاذ الأكبر محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر .

إنه نبأ يستحق التهنئة حقاً ؛ لأن صدر شيخ الإسلام الجديد يحمل آفاقاً واسعة للإصلاح منذ زمن بعيد .

وأنا أعرف الشيخ شلتوت منذ سنوات طويلة . منذ كنت مراقباً للبرامج الثقافية بالإذاعة المصرية ، وكان فضيلته يقدم أحاديث الصباح الدينية .

وأشهد أن أحداً من محدثى الصباح لم يصب شيئاً من النجاح الكبير الذى أصابه الشيخ شلتوت فى تاريخ الإذاعة المصرية ، بصوته القوى المؤمن ، حتى لقد كان المستمعون يطالبون بأن تكون أحاديث الصباح وقفا عليه .

ولعل القراء يذكرون أن أستاذنا فكرى أباظه قد بدأ منذ عامين حملة إصلاحية على صفحات (المصور) بعنوان (إنى أتهم) وقد خص الأزهر بإحدى مقالات هذه الحملة .

ثم تابعتها أنا ، فكتبت أكثر من عشرين مرة أتهم الأزهر بالقصور فى أداء رسالته نحو المسلمين هنا وفى سائر أنحاء العالم .

وأذكر أن الشيخ شلتوت تفضل ذات مرة بزيارتى فى أثناء هذه الحملة ، مدافعا عن الأزهر وتحدثنا يومئذ حديثا طويلا لم يخف فيه الشيخ شلتوت أن فيه قصوراً فى أداء الرسالة ، وأن هناك أبوابا كثيرة يجب أن تطرق فى سبيل الإصلاح المنشود .

واليوم . . . آن أن تفتح هذه الأبواب ، فليستبشر المسلمون ؟

جودت

الحق أقول لكم

شيخ الأزهر :

يعرف فضيلة الأستاذ الأكبر ما تكنه له « المجلة » من إجلال ، وما يضمره رئيس تحريرها لفضيلته من إعجاب واحترام .

والمحبون للأزهر . هذه المنارة الرفيعة من منارات العرفان فى العالم ، يتوقعون الكثير من تولى فضيلة الشيخ محمود شلتوت لشئون جامعتنا الدينية الكبرى .

ويبدو أن الحادبين على الجامع الأزهر يختلفون بقدر عددهم على مناهج الإصلاح ، مع أن الأمر يجب أن يكون أيسر مما نتصور جميعاً .

فنحن لا نريد للأزهر أن يتحول إلى جامعة علمانية . ولا نطالبه بأكثر من أن يخرج علماء يعيشون فى زمانهم ، أى فى النصف الأخير من القرن العشرين ، يفهمونه بقدر ما يفهمون رسالتهم الإنسانية السامية ؛ لأن أداء هذه الرسالة يقتضيهم أن يعرفوا زمانهم تمام المعرفة وأن يكونوا خبيرين بكل مشكلاته الروحية والمادية ، وأن يتحكموا فى اللغات الأجنبية وفقهها تحكما يسمح لهم بالاتصال المباشر بالمسلمين وغير المسلمين فى أنحاء الأرض ممن يتحرك لسانهم بغير اللغة العربية .

ومعنى هذا تعديل شامل فى أساليب الدرس والتدريس ، وتغيير جوهرى فى المناهج ، وتوسيع لأفق الاطلاع يهيئ الطالب الأزهرى لتأدية رسالته على الوجه الذى يحقق حاجات الناس ، ويتمشى مع روح العصر ؟

دكتور

حسين فوزى

صحيفة الزمان الليبية :

تعيين شيخ للجامع الأزهر

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر مرسوما بتعيين فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر الشريف بدلا من الشيخ عبد الرحمن تاج الذى أسندت اليه وظيفة سامية فى الجامعة العربية .

والشيخ شلتوت يعتبر من كبار العلماء العاملين وله منزلة عظيمة فى جميع الأوساط الدينية والعلمية حيث يتمتع بتقدير الجميع ـ وقد كان لتعيينه أثر طيب فى أوساط الأزهر الشريف وكلياته .

وقد انهالت عليه التهانى من سائر الأقطار الإسلامية . وتعتقد الأوساط العلمية أن فضيلته سيدخل تحسينات جوهرية على أنظمة الكليات وغيرها من المرافق التابعة للأزهر .

تهنئة وتقدير

داعب البشر والرضى شفتيه　　شاكراً ربه على نعمتيه
ثائر الأمس زاده الله علما　　شع نور الجلال من عارضيه
واصطفاه الرئيس خير مثال　　تحتذيه الرجال فى أصغريه
بارك الله فى الرئيس دواما　　وجرى الخير دافقاً من يديه
أيها الثبت فى زمان تهاوى　　فيه رأى الحصيف من جانبيه
إنما الأزهر العتيد منار　　يقبس المشرقان من طرفيه
فاجعل الدرس صافياً فى وضوح　　كالذى كان يوم سرت إليه
مثل شلتوت لا يغر بمدح　　بارك الله فى مدى قوتيه

(من قصيدة للأستاذ)
محمد كامل شلش

العالم العربى والاسلامى

يشكر الرئيس ويهنئ ويعقد الآمال

(مقتطفـــات)

نورد هنا مقتطفات من بعض آلاف البرقيات والرسائل الواردة من سائر الأقطار والهيئات التى لم يعرف الأزهر فى تاريخه القديم والحديث شيخا قوبل بمثلها ، والتى تدل على اجتماع قلوب العرب والمسلمين ، وتلاقيها حول هذا القرار الحكيم ، وعلى إيمانهم برسالة الأزهر السامية فى العالمين العربى والإسلامى .

من برقيات الجمهورية العربية المتحدة :

الإقليم الجنوبى

كليات الأزهر ومعاهده :

- نشكر منقذ مصر والعروبة وحامل لواء الحرية والسلام فى العصر الحديث على رعايته للأزهر ورعاية مجده العظيم بإصدار القرار الجمهورى بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للأزهر .

* * *

- رعاك الله يا زعيم العروبة وحياك ومكن للأزهر فى كل ما يرجوه المسلمون منه فى أيامك الغر وحياتك المباركة .

* * *

- أدخلتم السرور على قلوب المسلمين وأثلجتم صدور الأزهريين بإسناد مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت .

* * *

- نرفع آيات الولاء والاعتراف بجميل عنايتكم بالأزهر بإسنادكم منصب رياسته للعالم الفاضل الشيخ شلتوت . . . وندعو الله جلت قدرته أن يديم عليكم نعمة التوفيق ويجزيكم عن الإسلام والأزهر خير الجزاء .

* * *

صدى تعيين الشيخ شلتوت

جبهة علماء الأزهر :

ـ توليكم مشيخة الأزهر إحياء لمجد الأزهر وإعزاز للإسلام واسترداد لحقوق الأزهر وهى نعمة من الله تستحق الشكر وتتم النعمة بدوام التوفيق إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وإن جبهة العلماء التى تعرف فيكم المثل العليا والتى طالما عقدت الآمال على أن يشغل هذا المنصب الخطير مثلكم علما وغيرة على الأزهر والإسلام لتنتظر الخير الكبير .

* * *

الوعظ :

ـ أصدق آيات الشكر على تفضل الرئيس باختيار صاحب الفضيلة الشيخ شلتوت شيخا للأزهر لما عرف عن فضيلته من جهوده الموفقة فى سبيل الدين والنهوض بالأزهر .

* * *

ـ إسناد رياسة الأزهر إلى فضيلتكم تحقيق لأمل العالم الإسلامى .

* * *

الجامعة ورجال التربية والتعليم :

ـ ماضيكم الحافل وتجاربكم الواسعة وذكاؤكم الوقاد ، وجهادكم الدائم وتوفر كل ما تحتاج إليه مهمة القيادة الدينية فى الوقت الحاضر فى شخصكم الجليل كل أولئك جعل اختياركم لمنصب مشيخة الأزهر اختيارا موفقا .

* * *

الشبان المسلمون :

ـ نرجو للأزهر فى عهدكم أن يجدد دين محمد ويعلم المسلمين معنى الجهاد فى الدين .

* * *

رجال القضاء :

ـ العالم الإسلامى ينظر إلى فضيلتكم نظرة المصلح فأعيدوا للأزهر مجده ونضارته والله معكم .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

اتحادات الأزهر بالأقاليم :

اجتمع رؤساء اتحادات خريجى الأزهر بالأقاليم فى دار الاتحاد العام بالقاهرة مساء الأربعاء ٥ / ١١ / ١٩٥٨ وقرر المجتمعون انتداب وفد منهم يقوم بتمثيلهم فى تهنئة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر .

كما قرروا ما يأتى :

١ — إرسال برقيات شكر للسيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة على ثقته الغالية بفضيلة الأستاذ الأكبر .

٢ — تجديد الثقة الغالية بالسيد رئيس الجمهورية والوقوف خلفه صفاً واحداً حتى يحقق للعرب آمالهم وللشرق أهدافه .

٣ — تسجيل أسمائهم بديوان التشريفات بسراى القبة للشكر على هذا التوفيق .

جمعية أنصار السنة المحمدية :

ـ نرفع لفضيلتكم أخلص التهنئة بتوليكم منصب مشيخة الأزهر الشريف ونشكر لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر كريم اختياره الموفق المشكور ، وإن مواقف فضيلتكم المشرقة فى إصلاح العقائد لتحملنا على اليقين بأن نور الكتاب والسنة سيمحو فى عهدكم المشرق البدع والخرافات ويعيد للدين جلاله وإشراقه .

* * *

رجال الدين المسيحيون واليهود :

ـ تهانينا لمنصبكم الهام وفقكم الله للسلام والمحبة لخير الإنسانية والوطن .

ـ تحقق ماكنت آمله ، وإنى أدعو الله مخلصا بأن يكلأكم بعينى رعايته ويمدكم بروح منه حتى يتم هذه الرسالة بما أوتيت من فضل وعلم وحكمة ، وأن ينفع بك الإسلام والمسلمين وتوحيد كلمة العرب .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

من الإقليم الشمالى

الوزراء :

- أطيب التمنيات للأزهر فى عهدكم .

* * *

رجال القضاء والإفتاء :

- تعيينكم لمشيخه الأزهر الشريف رجاء منتظر وحسنة لرئيسنا المحبوب تذكر فتشكر ، حقق الله الآمال .

- نهنئكم بما تفضل الله عليكم وعلى المسلمين بتوليكم مشيخة الأزهر ، راجين من الله أن يرفع بحسن توجيهكم ورعايتكم شأن الإسلام والمسلمين .

* * *

رجال الجامعة :

- مشيخة الجامع الأزهر مشيخة الإسلام ، وقد اكتملت فى فضيلتكم من الصفات والكفاءات ما جعلكم أهلا لتنعتوا بشيخ الإسلام . . . أبقاكم الله ذخراً للإسلام ، وعلماً فذاً من أعلامه العظام .

* * *

رجال التربية والتعليم :

- تعيين لاقى محله ، نهنئ الأمة العربية والإسلامية ، ونهنئ أنفسنا أبقاكم الله ذخراً للعرب والمسلمين .

* * *

رجال الإذاعة :

- أرجو من الله عز وجل أن يأخذ بيدكم إلى مافيه الخير والفلاح .

- بمثلكم يهنأ المنصب الخطير ، وقد ادخركم الله لعهد الثورة الناهضة ، فأحيوا الأمل وحققوا الرجاء ، سدد الله فى الإصلاح خطاكم .

من الأقطار العربية والإسلامية

العراق

- المكان بالمكين ، تسلمكم المنصب بعث لحياة الأزهر ، وازدهاره حقق الله بكم آمال المسلمين بلم الشعث وانطلاق دعوتهم الحقة .

* * *

الكويت

من الأمراء :

- يسرنا أن نقدم إليكم خالص التهانى بتسلمكم المنصب الخطير ، داعين لكم بالمزيد من التوفيق والسداد فى خدمة العروبة .

من رجال التعليم :

- نهنئ الأزهر بكم .
- ندعو لكم بدوام التوفيق اتصلوا بالأزهر إلى المكانة المرموقة .
- نرجو للأزهر الشريف على يديكم كل تقدم وازدهار ، وفقكم الله لما فيه صالح العروبة والإسلام .
- نبارك للأزهر والعالم الإسلامى .

* * *

قطر بالخليج الفارسى

- توليكم لمشيخة الأزهر رد الأمر لأهله ، فلا زلتم علم الإسلام وإمامه ولسانه .
- أخلص التهانى والدعاء بالتوفيق .

* * *

المملكة العربية السعودية

- نهنئ الأزهر بكم .

* * *

الطائف :

ـ تهنئتى القلبية وفقكم الله .

السودان

ـ الشيخ شلتوت هو الرجل الأول فى هذا الوقت بين علماء العالم الإسلامى فإسناد أمر الأزهر إليه ، وهو الرجل الواسع الأفق الشديد الغيرة ، الخبير بمواطن الضعف فى الأزهر خاصة ، وفى العالم الإسلامى عامة ، لا شك أنه خطوة واسعة ثابتة لتقدم الأزهر .

* * *

لبنـــان

مفتى الجمهورية

ـ نهنئ فضيلتكم بالمنصب الجليل ، راجين فى عهدكم المشرق وما نعهده فيكم من تجديد وإصلاح ، الخير العميم ، داعين لكم بالتوفيق والسداد .

قبيلة اللقلوق

ـ نشكر سيادة الرئيس ، ونهنئ الأزهر والمسلمين بكم والله يوفقكم .

رجال التربية والتعليم

ـ أهنئكم راجيا لكم التوفيق للقيام بأمر المشيخة العظمى .

* * *

المغرب العربى

ـ نهنئكم بمنصبكم العظيم ونتمنى للأزهر وللمسلمين عامة فى عهدكم ما يعيد للإسلام مجده وللدين قدسيته .

ـ إن سرورنا بإسناد المنصب الإسلامى الخطير لفضيلتكم ليتضاعف لما لكم فى النفوس من مكانة ، وما تتمتعون به من سمعة حميدة ، وما تعرفون به من تفقه فى الدين ، وسعة فى الاطلاع ، تجعلكم حجة وثقة ، ومرجعاً أميناً ، ورائداً حكيما .

ـ نهنئكم بثقة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ونشكره على اختياره غيوراً على حمى الإسلام ومناهجه الرشيدة وقيمه الخالدة .

- نرفع تهانى أبناء ليبيا .

- صادق التبريك بالثقة التى نلتموها عن جدارة .

- أبعث إليكم مهنئا متمنيا لكم التوفيق فى تأدية رسالتكم المقدسة بمشيخة الأزهر الشريف فتزيدونه شرفا وازدهارا .

- الله يوفقكم لما فيه خير الدين والدنيا للمسلمين .

فلسطين

- نضرع إلى الله أن يحقق على يديكم الخير للإسلام والمسلمين .

* * *

أثيوبيا - الصومال

- سعدنا وسعد معنا ملايين المسلمين فى مختلف أنحاء الأرض .

- الأزهر سيعود له مجده السالف على يديك .

- إن الإسلام سيصل إلى الدنيا كلها .

- إن الفكرة الإسلامية ستنجلى وتصبح بعيدة عن الخرافات .

* * *

أندونيسيا

- نتمنى لكم وللأزهر أن تكون يدكم هى الحفيظة عليه وعلى الدين لرقيه ورفعته .

- أسارع إلى إسداء أصدق التهانى وأخلصها على هذه الثقة التى حلت محلها والحق إنى أهنئ المنصب بكم ولا أشك فى أنكم دافعو الأزهر الشريف دفعاً إلى الخير ومساعدوه بكل قوتكم حتى يكون أهلا لأداء رسالة السماء إلى الأرض وتحقق الآمال الكبار المعلقة عليه والمرجوة منه ، وأدعو الله دعاءا حارا أن ييسر لفضيلتكم السبل ويمدكم بعونه وتأييده ويضع بين يديكم الوسائل الكفيلة بالنهوض بالأزهر تلك الجامعة الإسلامية العتيدة التى تتجه إليها أنظارنا وآمالنا جميعاً .

* * *

صدى تعيين الشيخ شلتوت

الهـــــند

ـ نرجو الله أن يحفظكم للإسلام والمسلمين ويحيي بكم الأزهر .

ـ فضيلة شيخ الجامع الأزهر :

تقبلوا التهانى وأطيب التمنيات من جماعة « دار العلوم » بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر .

دار العلوم الجديدة بديوبند فى الهند

* * *

من أوربا وأمريكا

لاهاى : محكمة العدل الدولية :

ـ أخلص التهنئة باختيار صادف أهله ، وإن تأخر موعده ، وإنى أدعو الله أن يطرد لكم التوفيق وأن يحفظ الدين والوطن بصائب إرشادكم وصادق هدايتكم .

جنيف :

ـ عهد مشيختكم الكريمة عهد ازدهار وسؤدد ومجد أثيل للدين الحنيف ، رسالتكم السامية نحن فى حاجة إليها .

المانيا ـ الوفد الدائم لجامعة الدول العربية :

ـ أتقدم بخالص التهانى وأحسن التمنيات ، وكم كنت أود أن يكون هذا منذ عشر سنوات.

لندن :

ـ يسعدنى ويملأ جوانحى غبطة هذا الاختيار الذى كان يجب أن يتم منذ وقت بعيد ، فأرجو أن تتقبلوا التهنئة من أبنكم البار بكم وبأبوتكم .

واشنطن :

ـ بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر يسرنى أن أعبر لكم عن خالص التهانى أمد الله فى عمركم وقادكم إلى خطوات النجاح والرفاهية فى منصبكم الرفيع ؟

زيـــارة

السيد رئيس وزراء أندونيسيا للأزهر

فى الساعة التاسعة والثلث من صباح يوم الاثنين ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م) ، وفد ركب السيد / جواندا رئيس وزراء أندونيسيا على إدارة الأزهر فاستقبلته اللجنة المؤلفة لاستقباله باسم السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وكان على رأسها السيدان ، صاحب الفضيلة السكرتير العام للأزهر الشيخ صالح شرف ، والمراقب العام للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر الدكتور محمد البهى ، وكان مندوبو الصحافة ووكالات الأنباء ، ودور السينما فى انتظار مقدمه ، وقد توجهوا جميعاً إلى مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر حيث رحب بهم الدكتور محمد البهى باسم فضيلته ، وتلا رسالة بعث بها الأستاذ الأكبر للسيد رئيس الوزراء الأندونيسى يرحب فيها بسيادته وبمرافقيه فى رحاب الأزهر ، وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامى الكبير ، ويهديه نسخة فاخرة من : « القرآن الكريم » باعتباره العروة الوثقى التى تلتقى عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التى لا تنفصم بين أبناء الأمة الإسلامية ، ودستور الله الذى اهتدت الإنسانية فى الماضى بهديه ، فخلق منها أمة الإسلام ، التى أرست قواعد العدل والأمن والسلام .

كما أهدى لسيادته كتاب « منهج القرآن فى بناء المجتمع » ، وهو أحدث مؤلفات فضيلته ، ويبحث فى نواحى هذا الدستور الإلهى : « القرآن » .

وعقب الدكتور البهى بذكر الروابط التى تربط شعبى الجمهورية العربية المتحدة ، وأندونيسيا ، وأن الأزهر هو مركز الإشعاع الروحى الذى يعم ضياؤه أرجاء المعمورة ، كما قال إنه من حسن الطالع ، أن تكون سيادتكم أول زائر رسمى للأزهر بعد تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فكان هذا استهلالا حسناً ، فى بدء عهد جديد مبارك فى تاريخ الأزهر برياسة شيخه الجديد الشيخ محمود شلتوت .

زيارة رئيس وزراء أندونيسيا

ثم رد السيد رئيس وزراء أندونيسيا شاكراً ، ومنوها بروابط الود الأخوى بين أبناء الأمة الإسلامية ، وأن الأزهر هو المعقل الذى يجمع بين القلوب ، ويحمل مشعل الهداية ، والنور ويدعو إلى السلام والمحبة .

ثم زار سيادته بعد ذلك المكتبة الأزهرية ، وشاهد ما فيها من نفائس الكتب والمخطوطات كما زار الأزهر واستمع إلى بعض الدروس فى الفقه والتفسير والنحو والبلاغة وقد نوه الدكتور البهى بأن الأزهر يحرص على بعض تقاليده القديمة فى التعليم بجانب النظم الحديثة التى يسير عليها أبناؤه فى كلياتهم ومعاهدهم حالياً ، وشأنه فى ذلك شأن الجامعات الأوربية العريقة ، ثم انصرف سيادته ورفاقه شاكرين هذه الحفاوة البالغة التى استقبلوا بها فى رحاب الأزهر العتيق ؟

خطاب الأستاذ الأكبر

السيد الدكتور جواندا كارتا ديجايا

رئيس وزراء أندونيسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعــد :

فيسرنى أن أرحب بكم وبمرافقيكم ، فى رحاب الأزهر الشريف وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامى الكبير .

ويسعدنى ، أن أهديكم هدية الله لعباده : « القرآن الكريم » وهو العروة الوثقى التى تلتقى عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التى لا تنفصم بين أبناء أمتنا العزيزة ، وإن تناءت بها الديار ، وباعد بينها الاستعمار . كما أنه دستور الله الذى اهتدت الإنسانية فى الماضى بهديه ، فخلق منها أمة الإسلام ، التى أرست قواعد العدل والأمن والسلام .

ويشرفنى أن أهديكم مؤلفا لى فى بحث ناحية من نواحى هذا الدستور الإلهى : كتاب « منهج القرآن فى بناء المجتمع » .

وأرجو لكم ، وللشعب الأندونيسى العظيم العزة والمجد ، ولأمتنا الإسلامية بعثا جديداً تؤدى به للإنسانية رسالتها فى الحاضر كما أدتها فى الماضى .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

حول تعليم اللغات الأجنبية فى الأزهر

قـرار

بتنفيذ دراسة اللغات الأجنبية بالأزهر

بعد الإطلاع على مذكرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر المؤرخة ١٤ من شعبان سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٥ من مارس سنة ١٩٥٨ م التى قدمها إلى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية فى إحدى جلساتها .

قـرر ما يأتى :

أولا : تدرس اللغات الأجنبية بالمعاهد الدينية .

ثانياً : تدرس فى هذا العام اللغة الإنجليزية بالسنة الأولى الثانوية بجميع المعاهد .

ثالثاً : يجوز أن تدرس فى معهد القاهرة اللغة الفرنسية والألمانية والروسية وأن تدرس فى معهد الإسكندرية اللغة الفرنسية .

رابعاً : لا يسمح للطالب أن يدرس بالمعهد إلا لغة واحدة .

خامساً : تكون خطة الدراسة أربع حصص أسبوعياً لكل لغة .

سادساً : يكون منهج الدراسة فى السنة الأولى الثانوية هذا العام هو منهاج السنة الأولى الإعدادية بمدارس وزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الإنجليزيه ، ومنهاج السنة الأولى الثانوية بوزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الفرنسية ، ويكون منهاج اللغات الأخرى من إعداد الأساتذة الذين ينتدبون لتدريسها .

سابعاً : تبدأ دراسة اللغات المذكورة يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨م .

٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ
١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م

شيخ الجامع الأزهر
(توقيع)

كتاب من فضيلة الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر

إلى أصحاب الفضيلة الأساتذة شيوخ المعاهد الدينية
بتنفيذ القرار الصادر بتعليم اللغات الأجنبية

سلام الله عليكم ورحمته – وبعد

فإن رسالة الأزهر هي الدعوة للإسلام ونشر الثقافة الإسلامية بين مختلف شعوب العالم . وهذا ولا شك يتطلب معرفة العلماء اللغات الأجنبية حتى يسهل عليهم تأديه الرسالة بين أقوام لا يتفاهمون إلا بهذه اللغات .

لذلك أصدرنا القرار المرافق رجاء تنفيذه مع مراعاة ما يأتي :

أولا : تسند دراسة مادة اللغة الإنجليزية إلى السادة أساتذة المواد الاجتماعية بالمعهد نظير مكافأة عن الحصص التي تزيد عن النصاب المقرر للمدرس .

ثانيا : تسند دراسة مادة اللغة الفرنسية إلى أساتذة هذه اللغة بوزارة التربية والتعليم بطريق الندب نظير المكافأة المقررة رسميا .

ثالثا : تسند دراسة باقي اللغات الأخرى إلى الأساتذة المتخصصين فيها وبمكافآت أيضا .

رابعا : يبدأ تنفيذ دراسة اللغات الأجنبية ابتداء من يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

شكر

السيد وزير التربية والتعليم المركزى

لفضيلة الشيخ محمود شلتوت على إدخاله

اللغات الأجنبية بالأزهر

أرسل السيد / الأستاذ محمد كامل النحاس وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد كتابا بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٨ م إلى السيد / فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر (شيخ الجامع الأزهر حاليا) جاء فيه ما يلى :

« قد أخبرنى السيد الوزير أنه يشعر معكم بأن هذه البداية الطيبة فى تخريج رجال الأزهر مزودين بعدد من اللغات الأجنبية سيساعد كثيرا على أن يؤدى الأزهر الشريف رسالته العظيمة فى نشر الثقافة الإسلامية والعربية فى الدول غير العربية سواء كانت إسلامية ، أم غير إسلامية ، عن طريق علماء ووعاظ يستطيعون أن يتصلوا بشعوب البلاد المختلفة فى العالم إذا ما أوفدوا إليها بواسطة إحدى اللغات الأجنبية التى يتقنونها بعد تخرجهم فى الأزهر ، كما يستطيع هؤلاء الخريجون أن يطلعوا على ما يكتب عن الإسلام باللغات الأجنبية وبذلك يمكنهم أن تفنيد الدعايات المغرضة التى تقوم بها بعض الدول الاستعمارية ، وتحصين الإسلام فى شعوب العالم : الإسلامية منها ، وغير الإسلامية ضد تلك الدعايات السيئة » .

« وقد أنابنى السيد الوزير فى أن أوجه لكم جزيل الشكر على هذا القرار الحكيم وأسأل الله تعالى أن يوفقكم لنصرة الإسلام ، واستعادة مجده التليد » .

الأزهر وتدريس اللغات

لعل أجرأ حدث فى الأزهر منذ إنشائه، هو القرار الجرىء الذى أصدره فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، قبل أن يلى هذا المنصب الدينى الخطير بأيام، بتدريس اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية فى الأزهر الشريف.

فلقد حقق فضيلته أمنية طالما تمناها قبله كثيرون ولم يستطيعوا تحقيقها بل إن المرحوم الشيخ الأحمدى الظواهرى الذى تولى مشيخة الأزهر منذ تسع وعشرين سنة لم يستطع هذا مع أنه دعا إليه فى كتابه «العلم والعلماء» الذى ألفه فى سنة ١٩٠٤.

فهذا القرار الحكيم الجرىء يدل على فهم دقيق لما يجب أن يكون عليه طلبة الدين من ثقافة غربية إلى جانب ثقافاتهم العربية وعلى أن الأستاذ الأكبر خير راع وحافظ لمستقبل أبنائه، وعلى أنه بصير بأمور الدين والدنيا معا.

محمد على رفاعى

فى حفل جامع بمعهد المنصورة ألقيت تهنئات لفضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة تعيينه شيخا للجامع الأزهر. ومنها هذه القصيدة العصماء للأستاذ محمد ابراهيم السقا المدرس بالتربية والتعليم.

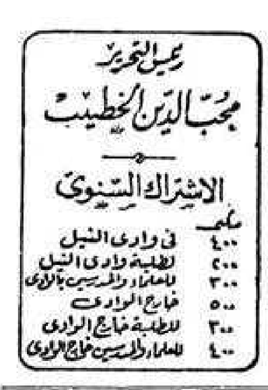
شبيبة الأزهر المعمور تهنئة ... من مسلم هزه الأمر الذى صدرا
تزودوا من لغات الغرب واغترفوا ... آدابها واقطفوا من روضها زهرا
لكم أوائل فاقوا فى تضلعهم ... أعلامها وقضوا فى حقها الوطرا
هذا رفاعة فى رهط عباقرة ... راد الحضارة فى باريس واعتصرا
وترجم الأمهات الخالدات لنا ... كنزا من العلم مأثورا ومدخرا
وكان رائد أجيـال ومدرسة ... أهدت إلى الشرق من أعلامها نفرا
وفى الإمام مثال خالد عطر ... إذا التمستم مثالا خالدا عطرا
أولئكم وسواهم من أوائلكم ... شقوا الطريق لجدوا واقتفوا الأثرا
رسالة الدعوة الغراء موكلة ... إليكمو فاحملوها واقدروا الخطرا
رودوا مجاهل للإسلام واغتربوا ... مبشرين وخلوا العجز والخورا
بها اللغات سلاح تفتحون به ... مغالق الفهم فى غزو إذا عسرا
فحصلوها بجد واكتسوا حللا ... من المحامد واجنوا العز والظفرا
وابنوا لمستقبل بالمجد مزدهر ... يحيى بكم أملا فى الدين مزدهرا
شبيبة الأزهر المعمور توجكم ... شلتوت شيخاً مهيبا طيب الأثرا
جاءته مشيخة الإسـلام ملزمة ... جهد الجبابر والإرهاق والسهرا
فالله نسأل تسديد الخطى وبه ... نستفتح العهد طلقا مشرقا نضرا

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى


رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ للطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الرابع - القاهرة : ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ - أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ذروة الحق

« الحق » من الله . . .

وهو أحد شطرى الإسلام الذى تتفرع عنه المجموعة الكبرى من أوامره ونواهيه ، وهى من شعب الإيمان به . وشطره الثانى الخير ، ويسمى بلغة الإسلام « الإحسان » ، وله فى مجال التطبيق مدلول أدق وأجمل وأوغل فى محيط الإخلاص مما يتبادر إلى الذهن فى بادى الرأى . . .

والحق وصية الله إلى الإنسانية فى كل نظام قامت به ، وفى كل ما يتعامل به الأفراد والجماعات : ما يتنازعون فيه ، أو يتعاونون عليه .

وما من رسول بعثه الله إلى الإنسانية لتوجيه أبنائها إلى الحق ، وتسديد خطاهم نحو الخير ، إلا كان الإيمان بالحق والإحسان فيه ، جوهر رسالته .

والإسلام نفسه دين الحق ، « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » .

لذلك اعترف الاسلام برسالات الله السابقة كلها ، واعتبر ما صح منها فى مجموعه إسلاما ، لأنها رسالات الحق ، والحق كل لا يتجزأ .

« وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .

والإنسان يسير فى طريق الكمال ما أحب الحق، وكان من أوليائه، ووطن نفسه على تحريه، والإذعان له - برضا وطمأنينة - فى السر والعلانية، والدعوة إلى إقامته، بشرط أن يكون حقا فى الواقع، واضح المعالم وضىء القسمات، و «إن الظن لا يغنى من الحق شيئا».

وذروة الحق، ومفتاح السعادة، الإيمان بالله ...

« ذلك بأن الله هو الحق ».

والطريق السليم إلى معرفة الله والإيمان به إطالة النظر فى بدائع خلقه، وعجائب صنعه، ودقائق أنظمته فى ملكوته « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ».

هذا هو طريق القرآن إلى ذروة الحق، إلى معرفة الله، إلى الإيمان به. وهو غير طريق الفلاسفة: الفلاسفة اليونانيين فى الدهر الأول، وفلاسفة الغرب فى أوربا وأمريكا فى العصور الأخيرة. وهو كذلك غير طريق الفلاسفة البرهميين والصوفيين، والمتأثرين بهم من قدماء ومحدثين. إن طريق الفلاسفة - من هؤلاء وأولئك - لا تؤدى إلا إلى هاوية الجحود، أو إلى الإيمان بوحدة الوجود. ولا معنى لوحدة الوجود إلا الإيمان بأن الكون هو المعبود، وأن الله غير موجود ...

هذا هو الجحود المقنع عن أهل العمى، والجحود السافر لذوى البصائر. والمصير بعده إلى جحيم من الأوهام تتيه فيها العقول، وتضيع الأعمار سدى بعد أن يكون أهله قد خسروا الدنيا والآخرة. وقديما قال أحد أعلام المنحرفين عن أساليب القرآن، إلى أساليب البراهمة واليونان، بعد أن أوغل فى هذا التيه عشرات السنين:

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها وسرحت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن، أو قارعاً سن نادم

أقول هذا وقد تلقيت فى هذا الشهر كتابا من أحد شباب الإسلام، شاب دمشقى تخرج بتفوق مرموق من الجامعة السورية، وقد كتب إلى يشكو قلقا فكريا انتابه فى المرحلة الأولى من طريق البحث عن البراهين الكلامية لوجود الله، قال: « ... وتركت دراستى، ومضيت وراء كتب العقائد، أقرأ البراهين .. فإذا رأيت البرهان الحق ذرفت الدمع سرورا ورحت أمضى فى القراءة والمناقشة حتى أصبح النقاش والجدل كل شىء فى حياتى ... »، قال: « ومع مرور الأيام وتتابع الليالى بدأت أشعر أن السفينة التى غادرت المرفأ وتاهت

فى الظلمات ، قـــد بدأت تعود شيئا فشيئا نحو الشاطىء » ، وذكر أسباب ذلك ثم قال : « وبين الفينة والفينة كنت أجد نفسى منساقة مع هواها للنقاش والجدل .. ولكن شتان ما بين الحالين . . غير أنى لا أكاد أصلى حتى أشك هل صليت ثلاثا أم أربعا ، وهل قرأت الفاتحة أم نسيتها . . . » .

إن الصراع بين الإيمان والجحود من أمراض التعليم المنحرف فى كل زمان ومكان . ولعله فى زماننا ، وفى التعليم الذى رسم لنا الغرب خطوطه فى المعاهد والجامعات التى تتلق عنها ثقافاتنا ومعارفنا ، أفظع مما كان فيما مضى . وما شكاه إلينا هذا الشاب الجامعى المسلم قد يكون كثيرون غيره من أبنائنا يشكونه كشكواه ، أو بألوان أخرى . وقد شعرت وأنا أقرأ كتابه بأنى أمام واجب إسلامى يحملنى على التحدث بهذا الموضوع ، لا لأنى أكثر علما بما ينبغى لى التحدث فيه ، بل لأنى فى سن اكتسبت فيها بعض التجربة مما مر على فى نفسى ، وفيمن لقيتهم واتصلت بهم فى عشرات السنين .

قبل نحو ربع قرن ، قضيت بعض ليلة من ليالى العشر الأخير من رمضان ـ وكان ذلك سنة ١٣٥٣ ـ فى حديقة تزدان بالورد والزهور ، فكنت أقلب وجهى فى الفلك الأعظم تارة ، وأراجع تاريخ حياة وردة كانت أمامى تارة أخرى . لقد رأيت فى تلك الليلة ـ من وراء بدائع صنع الله ـ بدائع فى نظام خلقه يكاد قليل مانعرفه من أسرارها يبهر عقول العقلاء منا ، فتخر الجباه خاشعة لبديع السماوات والأرض . . .

فكرت فى نسيج الوردة القائمة أمامى على غصنها تسبح بحمد الله خالق الأزل والأبد وما بينهما من ملايين الدهور ، ورحت أحلل فى ذهنى دقائق نسيجها ، وأتذكر ما كنت تعلمته فى المدرسة عن ملايين الذرات والخلايا التى تتألف منها أنسجة الوردة ، والحياة المستقلة والمتضامنة التى تحياها الخلايا فى غذائها ولقاحها وحملها وولادتها إلى أن تموت . ورجعت إلى تاريخ الوردة أستعرض سيرة أجدادها ، والصفات التى تتوارثها أمة الورد نسلا بعد نسل ، والمواهب التى تكتسبها بعض هذه الأنسال من بيئاتها ومصاهراتها ، وتأملت فى استعدادها للنمو والتوليد ، وفى تذكرها أصولها ، ورجوعها إلى سابق صفاتها وألوانها بعد طروء التطورات الجديدة عليها ، وكيف تسير فى ذلك كله على أنظمة هى غاية فى الدقة ، وأوضاع فى منتهى الحكمة ، فوقعت ساجداً ذليلا لعظمة البارىء الحكيم . . .

كانت ليلة مباركة خشعت فيها لمقدر أنظمة الوجود والفناء فى صنوف كائناته الأرضية : من أمم الجراثيم ، إلى عوالم النبات والشجر والثمر ، إلى طوائف الحيوان من زواحف ودواب وسابحات وطائرات ... هذا كله فى كوكبنا الأرضى ، وهو نجم صغير حقير فى كون واحد من ملايين الأكوان الدائرة فى أفلاكها بنظام دقيق ، ومقادير محددة ، وأبعاد معينة ، وحركات مؤقتة ومقننة . وكل هذه الأجرام الهائلة المخيفة الهاوية فى مداراتها ، والقاذفات بشررها ، والمسافرة أشعتها سفراً أسرع من البرق فى رحلات تستمر عشرات السنين بين مصدر تلك الأشعة ومواقع أضوائها وظلالها ، فكيف بالتدبير الإلهى لمجموع مخلوقاته !...

وتساءلت بعد ذلك عن الحياة ، وكيف وجدت فى كون كان سديما وغازاً ، ثم اشتعل السديم والغاز ملايين السنين فكان شموسا كشمسنا وهى جحيم متأجج ، ثم بردت الأجرام الصغيرة منه بصقيع الأجواء التى تتروح فيها فصارت جمادا . فكيف نشأت فى الجماد الحياة ، حياة الوردة ، وحياة الهرة ، وحياة النحلة ، وحياة الببغاء ، وحياة السمكة ذات الخراشيف اللامعة ؟ كيف تحولت تلك السدم والغازات والمواد المتأججة فكانت منها هـــذه الأحياء اللطيفة !

أليس هذا من تقدير البارىء العظيم ، القادر الحكيم ؟ .

جماد كان ناراً تتلظى ، ثم دبت فيه الحيـاة اللطيفة بعبق الورد والزهر وألوانهما ، وبحركات الهرة والنحلة والببغاء وأصواتها ، أيوجد هـذا كله بلا موجد ، ويخلق من غير خالق ؟ !

وهذه الجاذبية بين أجرام السماوات ، نحن نسميها جاذبية ، ونعلل بها وجود أجرام الأفلاك الهائلة معلقة بأثقالها ومعادنها وجبالها وبراكينها فى الفضاء تسبح بنظام دقيق ، وبينما سيارات العقلاء منا تصطدم وتتحطم بركابها فى ميادين القاهرة وشوارعها ، نرى سيارات السماء ـ وهى جماد لا يعقل ـ آمنة من أن تصطدم فى أفلاكها ومداراتها !

بربك أيهـــا الفلك المدار أحق ذا المسير أم اضطرار
مسيرك قل لنا فى أى شىء ففى أذهاننا منك انبهار

نحن نسميها جاذبية ولا نرى منها إلا آثارها . فهل وجدت بين الكواكب وكتل

الأجرام بأثر الصدفة والاتفاق ، أم هى خلقت نفسها ، أم أنها وجدت ورسمت لها أنظمتها بقدرة الله المشهودة التى نعمى عنها ونبحث فى كتب الفلاسفة والمتكلمين عن براهين جدلية لوجود الله وأدلة قدرته ؟ !

إن الذى لا يستدل على الخالق بالنملة والنحلة والوردة ، سيبقى أعمى عن الاستدلال عليه بأنظمة الفلك الأعظم ، وعن سبب وجود الحياة فى الأحياء على أرض هم يقولون إنها كانت جزءا من الشمس انفصلت عنه ، وإنها كانت حتى بعد انفصالها عن الشمس نارا ملتهبة ، ثم بردت ، ثم وجدت الحياة فيها ، حياة النبات والحيوان ، فهل هذه الحياة كانت كامنة فى مادة الأرض الملتهبة ، ومن ذا الذى جعلها كامنة فيها يوم كانت ناراً ؟ ومن ذا الذى أبرزها من النار فأحيا بها هذه الكائنات الحية ؟ .

لقد كان سلفنا الأول على صواب حين التزموا طريقة القرآن فى الاستدلال على الله ببدائع خلقه ، وكانوا يكرهون فلسفة اليونان النظرية العقيمة وما اقتبسه منها المعتزلة والإسماعيليون وسائر الفرق التائهة فى ظلمات الجدل والمراء والأوهام أيام دولة بنى العباس . وكنا نحن فى غنى عن هذه الفلسفة بما نشاهده فى ملكوت الله الأعظم وما نتلو فيه من آيات لله ظاهرة باهرة .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى فى كتاب العلم من إحياء علوم الدين ، فى معرض الكلام على « التوحيد » وما طرأ على هذا اللفظ من تحريف :

« وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة ، وإثارة الشبهات ، وتأليف الإلزامات ... مع أن جميع ماهو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شىء فى العصر الأول ، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة . فأما مايشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التى تسبق الأذهان إلى قبولها فى أول السماع ، فلقد كان ذلك معلوماً للكل ، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله ، وكان « التوحيد » عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به » .

ومن العجيب أن أبا الحسن الأشعرى رحمه الله ، بعد ما اضطر إلى مجادلة المعتزلة بأقيستهم وقواعدهم ، عدل عن ذلك فيما بعد ، وختم الله له حياته المباركة بالرجوع إلى طريقة القرآن

فى كتابيه : (مقالات الإسلاميين) و (الإبانة) وهما من آخر ما ألفه فى الدور الثالث من حياته بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد[١] ، فرجع هو عن طريقة الفلاسفة والمتكلمين ، ولا يزال المنتسبون إليه متمسكين بما عدل هو عنه مع زوال الضرورة التى حملته على طريقته الأولى ، وقد أدى هذا اللون من الجدل ومناقضة الخصوم ـ غير الموجودين الآن ـ إلى اضطراب الأفكار ، كالذى وقع للشاب الفاضل الذى أفضى إلينا بشكواه .

وعجيبة أخرى أن أحد شيوخ الأزهر السابقين قال فى كتابه (العلم والعلماء ونظام التعليم) ص ١٤٠ - ١٤٤ وهو يتكلم عن تعليم علم التوحيد : « إن أكثر الخلافات لا حقائق لها ، وإن حقيقة الأمر فى الدين الإسلامى أسهل وأبسط من هذه التحقيقات والتدقيقات ، ولا تحتاج إلى مثل هذه المشاغبات والخلافات التى قد يكون موضوع أكثرها مما لا يضاد الدين الاعتقاد فيه بإيجاب أو سلب ، أو عدم اعتقاد أحدهما ، أو مما لا يجوز الخوض فيه ، ولا تكليف العقل معرفته » إلى أن قال : « وحسبنا دليلا أنه غير معهود فى زمن الرسول ، بل وفى القرآن . والغرض إنما هو حصول الاعتقاد الجازم من وجهة ثابتة مقدورة للناس » .

وموضع العجب فى ذلك أن مقرر هذه الحقائق لما تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك مدداً طويلة لم يحاول العمل بها ، وتعديل مناهج التدريس على ضوئها ، ولو فعل لقطعنا شوطا طويلا فى الرجوع إلى طريقة القرآن فى هذا الأمر العظيم الذى هو ذروة الحق .

كنت فى طفولتى أسمع من والدى رحمه الله كلمة حكيمة وهى : تفكروا فى خلق الله ، وفى آلاء الله ، ولا تتفكروا فى ذات الله ، ثم رأيت من يذكر أن هذا حديث ، لكن سنده ضعيف ، على أن معناه صحيح ، فإن التفكير فى ذات الله من صميم الغيب ، وعلم الغيب لا ينال بالفكر ولا بالعقل ، بل بالنص عن المعصوم ، وإقحام العقل فى غير ما دل عليه النص خروج به عن دائرة عمله ، وما أحسن قول إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى فى هذا الموقف وهو جد خبير به :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية آراء الرجال ضلال

---

[١] انظر لتحقيق ذلك مقالة « الأشعرى ومراحل تطوره الفكرى » فى ص ٢٩ ـ ٣٠ من هذه المجلة م ٢٦ سنة ١٣٧٤ ، ومقالة « آخر مراحل الأشعرى » فى ص ٣١ ـ ٣٣ من تلك السنة ، وانظر أيضاً ص ١٠٩٤ ـ ١٠٩٦ من هذه المجلة م ٢٥ سنة ١٣٧٣ .

وعلى ذكر إمام الحرمين والموضوع الذى نحن فيه كنت قرأت فى شذرات الذهب نقلا عن المناوى فى شرحه على الجامع الصغير أن أبا جعفر محمد بن الحسن الهمدانى سمع أبا المعالى - يعنى إمام الحرمين - يقول : قرأت خمسين ألفاً فى خمسين ألفاً ، ثم حلبت أهل الإسلام ، وركبت البحر الخضم ، وغصت فى الذى نهى أهل الإسلام عنه - لعله يعنى التأويل والفلسفة وعلم الكلام - كل ذلك فى طلب الحق ... والآن رجعت إلى كلمة الحق : عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطفه وأموت على دين العجائز وتختم عاقبة أمرى على الحق وكلمة الإخلاص ، وإلا فالويل لابن الجوينى .

أعظم ما أضر المسلمين فى دينهم ، وحولهم عن أساليب القرآن إلى أساليب اليونان هو علم الكلام الذى كان من علم المعتزلة ، وجاراهم فيه علماؤنا ليردوا عليهم بأساليبهم وأقيستهم ، وكان ذلك ضرورة تقدر بقدرها ، وقد زالت الآن هذه الضرورة وتحولت إلى ضرر كالذى وصفه لنا عن نفسه كاتب الرسالة التى أشرنا إليها . ونصيحتى إلى كل مسلم أن يأخذ إيمانه واعتقاده من نصوص كتاب الله وسنة رسوله ، وما يتعلق من ذلك بالغيب يؤمن به على مايليق بكمال الله عز وجل ويمره كما ورد : لاينقص منه ، ولا يزيد فيه ، متبعا طريقة القرآن فى الاستدلال على الخالق ببدائع خلقه .

والذى ضربت به الأمثال آنفا من بدائع خلق الله ينطوى على حق هو من الله ، ويدل على عظمة الله وجلال كماله . فهذا الحق الثابت إذا اعتاد العقل السليم الاعتماد عليه فى تكوين العقيدة كان قلعة حصينة من قلاع الإيمان الإسلامى . وأنا ما تفكرت مرة فى مكانة المخلوق من الخالق إلا سارع فكرى إلى « الحياة » وأنها من أهم ما تدل به المخلوقات على خالقها . وسارع كذلك إلى ما نسميه « الجاذبية » وأنها الدليل العلمى الصارخ بقدرة الله على إطلاق هذه الإجرام السماوية الهائلة تسبح فى الفضاء غير محمولة على شىء وهى تجرى فى نظام دقيق رهيب : «فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا » ، « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » ، « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل » ، « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار » .

وأسماء الله وصفاته نؤمن بها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل . وهذه الأسماء والصفات تدل على معانى يجب على المسلم أن يتعبد بالإيمان بها ،

وبالعبودية لله من ناحية المعنى الذى يدور عليه كل اسم من أسمائه عز وجل ، وكل صفة من صفاته .

فالواحد منا ينبغى له أن يتأثر بصفات الله العليا فيجعل من عبادته لله المتصف بها احترامها والتعامل بها مع الناس ، فإذا تصور اسم « الرحمن » و « الرحيم » كان من عبادته لله الرحمن الرحيم طلب رحمته بالقيام لخلقه بما يستطيعه من رحمة للإنسان ورفق بالحيوان .

وإذا تصور اسم « الحكيم » كان من عبادته لله الحكيم أن يتدبر حكمته الإلهية فى مخلوقاته ويحاول الوصول إلى علم ما يمكن علمه منها . ولو تحرى المثقفون والمشتغلون بالعلوم الطبيعية والكيماوية الوقوف على سرائر حكمة الله فى الأشياء ، واعتبروا ذلك من ألوان عبادة الله الحكيم ، لسبقوا الأمم إلى إدراك مصادر القوى وكنوز الخير بما يبلغون به وتبلغ به أمتهم سعادتى الدنيا والآخرة .

وإذا تصور الواحد منا اسم « الحى » المأخوذ من قول رسول الله صلوات الله عليه « إن الله حى يستحى من عبده إذا مد يده إليه أن يردهما صفرا » كان من عبادته لله الحى أن يتطبع ما أمكنه بهذا الخلق العظيم ، فإن الحياء من الإيمان ، والتعامل بين الناس بالحياء من أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية .

وإذا تصور اسم « الحليم » كان من عبادته لله الحليم أن يمرن نفسه على الحلم وسعة الصدر وعلى التعامل مع الناس بهذا الخلق الكريم ، حتى يتأثر به كل من يتأسى به من ولده وأهله وزملائه ومواطنيه ، فتسرى عدوى ذلك فى الأمة ، ويكون للحلم أثره فى سعادة المجتمع .

وإذا تصور اسم « الصبور » كان من عبادته لله المتصف بهذه الصفة العليا احترامها ، والتعامل بها ، وتوطين النفس عليها . وقد نص كتاب الله على أن التواصى بالصبر عديل التواصى بالحق ، وذلك من بواعث النهوض بالمستوى الاجتماعى إلى المراتب العليا .

وإذا أحصى المسلم أسماء الله الحسنى وصفاته العليا على هذا الوجه ، وأصبح ذلك خلقاً فيه ، وديدنا له ، وسنة يتبعها فى معاملته للناس ، صحت فينا البشارة الكريمة : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » . وما أوسع أبواب الجنة لمن يعرف الطريق إليها ، وهذا النوع من المعرفة من أعلى أنواع المعارف التى يجمل بالمسلم الحكيم أن يتحلى بها ، وأن ينتهز كل فرصة لتعميم العلم بها بين الجماهير ، وإن لذلك ما بعده إذا شاء الله . . .

محب الدين الخطيب



— ٦٤ —

خير ما يوصف به الحديث أنه صدق ، وعدل
وكلام الله فى الأوج الرفيع من ذلك .

(ا) وتمت كلمة ربك: صدقا . وعدلا ، لامبدل لكلماته، وهو السميع العليم .
(ب) وأن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله .
(ج) إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون .

إذا وضح الكمال فى شىء فهو جدير بالقبول ، وشأنه الإجلال ، والانتفاع به فى كل ما يتعرض له ، فإذا كان الشىء على كماله ، ولم يصادفه ما هو جدير به من حسن التقدير ، فالعيب عيبنا . والنقص فى مداركنا ، ولا يضير ذلك الشىء الكامل أن نصدف عنه ، فإن الحق ناهض بطبيعته ، والباطل زهوق لخسته .

ومثل هذا واضح فى القرآن الكريم ، وموقف الناس منه .

فقد جاء القرآن فى روعته ، وقوته فوق متناول البشر جميعاً .. ومع هذا لقى من المعارضة ، وعنف الخصومة كل ما استطاعه خصومه النافرون منه ، والمنفرون عنه .

وظلت قوة القرآن بسلطانه الروحى تشق طريقها فى بيئات معادية له ، وتركز دعوته على أنقاض المناوئين له ، وهم كثيرون فى كل زمن ـ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ـ

وفى صدر الآية الأولى أربع كلمات تكفى للإقناع بأن القرآن بلغ المبلغ الأعلى من القداسة .

وكان جديراً بالناس أن يجنحوا إليه ، لولا أن العقول فى لوثة من التقاليد الباطلة ، فجاءت الآية الثانية للتنصيص على أن زهادة الزاهدين فى القرآن ليست لعيب فيه ، بل لإسفافهم فى الاختيار ، وقصورهم عن التميز ، وسيرهم وراء الظنون ، والشبه التى تسد منافذ الصواب أمام المدارك والمواهب .

فنى الآية الأولى يقول تعالى : (١ ـ وتمت كلمة ربك ـ ٢ ـ صدقا ـ ٣ ـ وعدلا ـ ٤ ـ لامبدل لكلماته) وكلمة ربك : هى القرآن ، ويقرؤها البعض ـ كلمات ربك ـ نقد وصفت بالتمام ، وأضيفت إلى لفظ الرب ، وفى هذا مقطع الشكوك ، ومثار الإيمان لمن أنصف نفسه .

وحيث كان التمام فى كلمات الله فهى وافية بكل غرض ، وسامية عن كل باطل ونقص ، وكفيلة بكل خير ، وهى أرقى من أن تعلق بها الشبه التى يحاولها المتنكرون للقرآن .

ثم يأتى وصف ثان وثالث بأنها صدق وعدل .

وذلك إفصاح بما تضمنه الوصف بالتمام ، وإعلام لنا بأن قداسة القرآن ليست فى مجرد نسبته إلى الله ، فإن الخصوم لايعترفون بذلك .

بل قداسته ذاتية كذلك ، لما وضح فيه من صدق وعدل ، فكله حق ، وتشريعه رفق ، وهو فى جملته وتفصيله ، رحمة بالناس ، وتيسير عليهم ، وتوجيه لهم ، يذلل ماتعقد ويبصرهم بما خفى ، ويرافقهم طول الحياة ، وفى السراء ، وفى الضراء ـ لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ـ لأنه ـ تنزيل من حكيم حميد ـ وهذه صفات يعهدها المخالفون ، فقديما عاندوا ، وأسرفوا فى التحدى ، وحاولوا ما استطاعوا أن يخدشوا كماله ولم يظفروا بحجة ناهضة ، ولا معذرة مقبولة .

فالقرآن موصوف بصفات مستقرة فى نفوسهم ، وإن لم تكن على ألسنتهم . ثم جاء الوصف الرابع ـ لامبدل لكلماته ـ ليسجل عليهم العجز عن مقاومته ، وليقرر أنه غير قابل للتبديل أو التحريف ، كما ابتليت بذلك كتب سابقة مع ماكان لها من قداسة .

ولكن هذا هو الكتاب الأخير ، وهو منهج الناس فى حياتهم ، حتى يتجاوزوها إلى الحياة الآخرة . فحرامه وحلاله وكل مافيه من وعد ووعيد غير قابل للتبديل .

وكيف وقد استقر على تمامه فى الكمال ؟ ؟ .

وغير خاف أن خصوم القرآن يئسوا من العبث به ، ويئسوا من المساس بنصوصه ومعانيه وإذا كانت شبه المارقين ، وتخلفات الغافلين باقية ، وواقعة ، وسارية فى أوساط عدة فليس ذلك كما قلنا عيباً فى القرآن ، بل هـذا تحقيق لخبر القرآن نفسه فى الآية الثانية .

(ب) وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله .

فالناس فى عماية عن أخبار الغيب ، وفى عماية عن أخبار عالم الشهادة ، وهم يسمعون وينسون ، ويشاهدون ويتعامون ، وهم عند النوازل يفيقون ويتذكرون ، ثم يعودون إلى ما ألفوا ، ويأخذون فيما تعودوا .

والذكرى لا تنفع الجميع ، وإنما تنفع المؤمنين المستجيبين للدعوة .

وكان خصوم القرآن يطمعون أحيانا فى مطاوعة النبى لهم ، والسير فى مزاعمهم ويجهلون أن الله عاصمه من باطلهم .

ولذلك جاءت الآية الثانية كما جاءت آيات أخرى تنبه إلى رعاية الله لنبيه من كيدهم ، وتنبه إلى أن أكثر الناس فى ضلالة وجهالة - وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - وانظر تجد أن المؤمنين فى الدنيا قلة بجانب كثرة غير مؤمنة ، ولكنها قلة راشدة ناجحة ، وتلك كثرة خاطئة خاسرة .

وهذا شأننا فى كل محيط نزل به ، وكل فئة نقلب النظر فيها ، وكأن الله تعالى يسوق إلينا هذه المقابلات بين فريق هداهم ، وفريق أضلهم لنحمده على ما تفضل به من الإيمان ، ولنطمئن إلى أن كتابه محفوظ وإن تألبت عليه الأمم المعادية له .

وكفانا ثقة فى وعده أنه القادر على كل شىء ، وسيظل الكتاب العزيز خفاق الراية ، وارف الظلال فى حراسة الله الذى أنزله ، وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » وقال : « لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم » .

وبعد : فقد يمر بالخاطر أن الناس فى شغل شاغل عن متابعة دينهم ، وأن بعضهم أو أكثرهم لا يرون للتدين أثراً فى أعمال الدنيا ، ولا يدركون حكمة للحض على الاتصال بالدين والاهتداء بتوجيهاته .

وهذه خواطر قوية ، تساور أصحاب القلوب الحية ، فهم يأسفون لانحراف الكثرة من الناس عن حوزة الدين ، واشتغالهم بالتنافس فى المجال المادى .

وكان النبى - صلوات الله عليه وسلامه - أشد الناس حدباً على أمته ، وحرصا على هدايتها ، حتى كان شغفه باجتذابها إلى الطاعة ينال من نفسه ، ويذهب براحته .

فكان ينزل عليه القرآن ليخفف عنه وطأة الأسف ، ويصرف عنه مشغلة الهم الذى يساوره ويقول له : « إنك لا تهدى من أحببت - إنما أنت منذر - إن عليك إلا البلاغ - فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

ومن هذا يتضح أن الله تعالى بين للناس على لسان رسوله ما بين حتى لم يدع لهم معذرة يلتمسونها لأنفسهم ، ولا حجة يتشبثون بها عن مخالفتهم .

وتركهم لعقولهم ، واختيارهم ، ثم هو محاسبهم بعد ذلك على مثقال الذرة من الخير والشر ، ولكن الناس ظلوا فى دنياهم مدفوعين إلى اجتلاب ما يجتلبونه من كسب وادخار للحياة الدنيا ، وفقدوا إحساسهم بحاجة الروح والقلب إلى التهذيب والتربية والاستعداد للحياة الآخرة ، وهم فى هذا الاتجاه الملتوى عن الرشد يتعلقون بظنون واهية والظن لا يغنى من الحق شيئا .

فمنهم من يسير فى تقديره للدين وراء حدس وتخمين ، ويحسبون أن الله غير معذبهم لأنهم على حق فيما ركنوا إليه كما ركن إليه آباؤهم من قبل ، وهؤلاء هم الكافرون الأولون .

ومن الناس من يعتقد أن الله غفور رحيم ، وأنه ما دام كذلك فسوف لا يحاسب ولا يعذب . ومنهم من يسرف ويعصى ثم يأمل أنه سيتوب فيما بعد ، وينجو من الحساب بسبب توبته ، وكأنه واثق أنه يعيش ، وأن التوبة فى متناوله فى أى وقت ، وأن الموت لن يباغته يوماً ، وتلك كلها ظنون باطلة ، وتقديرات وهمية ، وآمال ذاهبة أدراج الرياح . وهناك حق لا ينبغى العدول عنه ، وهو أن يستجيبوا ، ويعملوا ويحتاطوا وأن يقدروا ما يخشونه من موت مفاجئ ، وحساب عسير ، ولكنهم لم يفعلوا ، ومن أجل ذلك سجل الله عليهم هذه الغفلة بقوله فى شأن الجميع .

« إن يتبعون إلا الظن وإنهم إلا يخرصون » .

فهذا تشنيع على المتعلقين بالظنون والمبالغين فى الخرص ، وهو التخمين والتغرير بالنفس وإهمال مافى الآيات من العظات .

والله نرجو أن يهبنا رشدا ، وتوفيقا ، وأن يجنبنا الظن الخاطئ .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



العين حق

من اللطائف النبوية ـ المقياس الرشيد فى عالم الغيب ـ رواية الثقات شافيـــة ـ الطب مادى وروحى ـ أثر العين الحاسدة ـ الرقية المشروعة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : العينُ حقٌّ . ونَهَى عن الوشم . « رواه البخارى »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : العينُ حقٌّ ، ولو كان شىء سابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْه العينُ ، وإذا اُسْتُغْسِلْتُم فاغْسِلوا . « رواه مسلم » [١]

* * *

اتفق الشيخان على الشطر الأول من الحديثين ؛ وانفرد الإمام أبو عبد الله البخارى بما ضم إليه من النهى عن الوشم ، وإن كانا متفقين على حديث لعن الواشمة والمستوشمة . وحسبك ما فى اللعن من الوعيد وبليغ النهى ! وانفرد الإمام أبو الحسين مسلم بما ضم إليه من توكيد الإصابة بالعين ، ومن بعض علاجها المادى . وفى رواية للإمام أحمد : العين حق ، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم . ولأبى نعيم : العين حق ، تدخل الجمل القدر والرجل القبر !

وجلى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه تحدث بهذا الشطر فى مناسبات شتى ، بين فيها

---

(١) فى كتاب السلام « باب الطب والمرضى والرقى » وذكره صاحب « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » فى حرف العين ، تسامحاً ؛ فإنما اتفقا على الشطر الأول كما رأيت وأما الحديث الأول فرواه البخارى فى « باب العين حق » من كتاب الطب ، وفى « باب الوشمة » من كتاب اللباس .

كلها أن الإصابة بالعين حق لا شك فيه . ويعلم المؤمنون بالرسول وما أنزل إليه من ربه أنه « ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم » .

ثم نهى فى بعض المناسبات عن الوشم ، وهو غرز إبرة أو نحوها فى الجلد حتى يسيل الدم ! ثم يذر عليه كحل أو نحوه ليخضر ، وهو تغيير لخلق الله وفطرته ، ومن هنا لعن الله فاعله والداعى إليه ! ففى كل من الإبرة والعين وخز من الشيطان يغضب الرحمن عز وجل ، وإن كان أحدهما وخزاً حسياً والآخر وخزاً مادياً ! ذلك إلى أن من البواعث على الوشم دفع العين أو اتقاء ضررها بما لم يعتمد على عقل ولا نقل ، فكان من اللطائف النبوية النهى عن الدواء الذى لم يأذن به الله ، إلى الدواء الذى أذن به . . .

وفى بعض المناسبات قرن النبى صلى الله عليه وسلم إصابة العين بالقدر وإن كانت منه بلا ريب ، توكيداً لنفاذ سهمها ، وشدة تأثيرها فيمن تصيب بإذن القائم على كل نفس بما كسبت ، وكأنه يقول صلوات الله عليه لو صح أن يغالب القدر شيء ويسابقه فى إفناء شيء أو الإضرار به قبل أجله المضروب له ، لسبقت العين ، فهو توكيد بليغ من طريق الفرض ومثله فى كلام البلغاء والمربين ذائع شائع لا نطيل القول به . . .

* * *

وفى هذا التوكيد النبوى الذى يكاد يبلغ مبلغ التواتر فى إصابة العين ، تنبيه على دقة الأمر وعلى أنه من عالم الروح والغيب ، الذى يشق على كثير من الناس تصديقه ، ولاسيما الذين يقفون عند ظواهر الأمور ، ولا يؤمنون إلا بما يقع فى دائرة الحس والهوى .

لا جرم أن الأباطيل والخرافات ، سممت كثيرا من الأفكار والأخبار ، وسيطرت على كثير من الجهال وأنصاف المتعلمين ، وشككت غير قليل من الباحثين الحائرين ، ولكن الحس والهوى ما كانا ولن يكونا أبدا مقياسا للتصديق أو التكذيب ، فالهوى يعمى ويصم إلا هوى تابعا لما جاء به المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والحس مقياس أبتر أعوج ، تكرر خطؤه ونقصه وقصره فى المحسات ، فضلا عن المغيبات ، بشهادة الذين لا يؤمنون بالغيب...

والمقياس الرشيد فى عالم الغيب والشهادة ، هو التصديق بكل ما صدقه الله ورسوله ، والتكذيب بكل ما كذبه الله ورسوله ، والسكوت عما سكت عنه الله ورسوله وجاز عقلا وشرعا أن يكون وألا يكون . وقد قال العلماء إن كل شيء ليس محالا فى نفسه ، ولا يؤدى إلى

قلب حقيقة ولا إفساد دليل فهو مما يجيزه العقل ، فإذا أخبر به المعصوم كان إنكاره مكابرة، وصحة الخبر برواية الثقات كافية وإن لم تكن متواترة . . . وإلا جحدنا كثيرا من أخبار الصادق المصدوق بعد ما ظهر الدليل ووضح السبيل .

* * *

وأما قوله صلوات الله وسلامه عليه : « وإذا استغسلتم فاغسلوا » فهو بيان للطب المادى من إصابة العين ، يأمر العائن أن يغتسل إذا طلب منه الغسل ، وفيه إشارة إلى أن الاغتسال كان معروفا عندهم ، فأمرهم ألا يمتنعوا منه إذا أريد منهم ، وأدنى مافيه الطمأنينة لهم ورفع الوهم عنهم ، وظاهر أن هذا الاغتسال رخصة فينبغى الاقتصار على ماجاء فيها دون التوسع فيما ابتدع المبتدعون وتزيدوا وكذبوا على الله ورسوله ! ونفروا كثيرا من ذوى الفطرة البريئة من الأحاديث الصحيحة ! .

وقد روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين . وفى هذا الاغتسال ـ كما قال العلماء ـ مناسبة لا تأباها العقول السليمة ، فهذا ترياق سم الحية يؤخذ من لحمها ، وهذا علاج النفس الغضبية ، توضع اليد على بدن الغضبان فيسكن فكأن أثر العين الحاسدة كشعلة من نار وقعت على جسد المحسود ، فى اغتساله إطفاء لتلك الشعلة .

* * *

وأعظم من هذا الطب المادى وأنسب ، ذلك الطب الروحى النبوى ، بالرقى والمعوذات التى جاءت عن الله ورسوله ، وقاية وعلاجاً ، ومنهما ما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أبا كما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . والشيطان هنا شيطان الإنس والجن ، والهامة واحدة الهوام ـ بتشديد الميم ـ ذوات السموم والعين اللامة : النازلة التى تصيب بسوء ، من أعين الإنس والجن . وقد روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى النبي صلى الله عليه وسلم أو أمر أن نسترقى من العين ، وثبت فى صحيح مسلم أن جبريل عليه السلام رقى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأفاض علماء

السنة والاجماع ـ وفى مقدمتهم ابن خلدون ـ فى العين وإصابتها وتأثيرها بإذن الله تعالى وعلاجها بالرقية المشروعة :[١] .

وأكبر العلم أن أجمع العلماء بيانا فى ذلك كله صاحب « زاد المعاد » فى الطب النبوى ، كفى وشفى ولم يدع زيادة لمستزيد ولا قولا لقائل ، ولقد هممت أن ألخص هنا بيانه ، ولكنى آثرت الإشارة على العبارة ، والقصد على الإطالة : فليسعنا فى العين والرقية منها ما وسع الراسخين فى العلم ، ولنغض الطرف عن الزائغين والمجادلين فى الحق بعد ما تبين .

« والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ؟

طه محمد الساكت

من التوجيه المحمدى

« إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام : كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

« ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » .

« ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

هذا الحديث النبوى من جوامع الكلم المحمدية الكبرى ، ومن الأحاديث التى تدور عليها قواعد الإسلام ، فالمسلم الموفق لا يفوته حفظ هـذا الحديث ، واتخاذه إماما فى جميع تصرفاته .

---

(١) فى م ١١ ج ٩ شرح الشيخ الجزيرى رحمه الله حديث أبى سعيد رضى الله عنه ، فى الرقية . . .

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

(٤)

١ ــ من دأب هذا المؤلف فى كتابه أنه إذا استولت عليه فكرة ، أو غلب عليه هوى ، جعل البحث تابعا لما يرى أو يهوى . وفى سبيل هذا يركب الصعب والذلول ، ولا عليه فى هذا السبيل أن يحرف الكلم عن مواضعه ، ويحمل الألفاظ ما لم تتحمل ، وأن ينقل نقولا بتراء ، وأن يقع فى أعراض بعض العلماء والأئمة المتثبتين .

ومن دأبه أيضاً التهويل والمبالغة عند عرض فكرة أو رأى له ، وأنه يجعل الفرع أصلا والأصل فرعا ، وهذا هو ما صنعه عند ما عرض لبحث « رواية الحديث » فى ص (٥٤) وما بعدها ، فقد جعل رواية الأحاديث بالمعنى هو الأصل والقاعدة ، ومجيئها على اللفظ أمراً شاذاً نادراً ، بل وأنحى باللائمة والتجهيل للذين يحسبون « أن أحاديث الرسول التى يقرءونها فى الكتب أو يسمعونها ممن يتحدثون بها قد جاءت صحيحة المبنى محكمة التأليف ، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق بها النبى بلا تحريف ولا تبديل ، وأن الصحابة ومن جاء بعدهم ممن حملوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل ، وأن الرواة للأحاديث كانوا صنفا خاصاً فى جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة » إلى أن قال « ولقد كان ـ ولا جرم ـ لهذا الفهم أثر بالغ فى أفكار شيوخ الدين ـ إلا من عصم ربك ـ فاعتقدوا أن هذه الأحاديث فى منزلة آيات الكتاب العزيز من وجوب التسليم بها ، وفرض الإذعان لأحكامها ، بحيث يأثم أو يرتد أو يفسق من خالفها ، ويستتاب من أنكرها أوشك فيها » .

والقارئ لهذا الكلام ـ إذا لم يكن من أهل العلم والمعرفة بالحديث النبوى ـ يخيل إليه أن السنة لم يأت فيها حديث على محكم لفظه ، وأنها دخلها الكثير من التغيير والتحريف ، مع أن الأصل فى الرواية أن تكون باللفظ المسموع من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأما الرواية بالمعنى فهى رخصة يترخص فيها بقدر الحاجة إليها إذا غاب اللفظ عن الذهن

أو لم يتأكد منه ، ومما لا ينبغى أن يخفى على باحث فى الحديث النبوى أن يعلم أن بعض العلماء والرواة قد منعوا الرواية بالمعنى مطلقاً وألزموا أنفسهم وغيرهم بأداء اللفظ كما سمع ، وأن من أجاز من العلماء والرواة الرواية بالمعنى إنما أجازها بشروط فيها غاية التحوط والأمن من التزيد والتغيير والتبديل فقالوا : لا تجوز الرواية بالمعنى إلا لعالم عارف بالألفاظ ومقاصدها ، خبير بما يحيل معانيها ، بصير بمقدار التفاوت بينها . كما قالوا : إن هذا فيما يروى قبل أن يدون ، أما ما دون فى الكتب فلا يجوز تغييره بمرادفه ولا التصرف فى لفظه بحال من الأحوال [1] . والعجيب أن المؤلف نقل نحواً من هذا عن كتاب « توجيه النظر » للعلامة الشيخ طاهر الجزائرى ، ولا أدرى كيف ينقل شيئاً ولا يقتنع به ؟ ! وكيف غاب عن ذهن المؤلف أن التدوين بدأ بصفة عامة ورسمية فى نهاية القرن الأول ، ولم يكد ينتهى القرن الثالث حتى كانت السنة كلها مدونة فى الكتب من صحاح وسنن ومسانيد ؟ وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث فى القرن الأول ولا سيما بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم [2] ؟ فكيف تتفق هذه الحقائق وما رمى به من أحكام جائرة ظالمة ؟ وهل على أحد من حرج بعد هذا لو وصم هذا المؤلف بخبث الطوية وسوء القصد ومحاولة هدم الأصل الثانى من أصول التشريع ؟ ؟.

وماذا يبتغى أعداء الإسلام أكثر مما يقوم به أبو ريه وأمثاله من تقويض إحدى دعامتى الدين بهذه المحاولات الفاشلة الهازلة ؟ وليعلم أبو ريه أن شيوخ الدين - أعزهم الله - حينما يعرفون للسنة مكانتها من الدين . ويحلونها من أنفسهم المحل اللائق بها ، ويرون التزامها علما وعملا وسلوكا ، ويذبون عن ساحتها كل دعى زنيم ، ويفسقون أو يؤثمون من يرد ما ثبت من السنة ، ويحاول جاهداً إبطالها والكيد لها أو الاستهزاء والاستخفاف بها ، لا يستحقون منه كل هذا الغمز واللمز ، لأنهم يصدرون فى هذا عن دين قويم ورأى مستنير وعلم أصيل .

٢ — إن هذه الأحكام الجائرة إنما تصدر عمن غفل عن العوامل الدينية والنفسية والخلقية التى اتصف بها الرواة من الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم . . . من أهل القرون الفاضلة بشهادة المعصوم صلى الله عليه وسلم وشهادة الواقع التاريخى ، فهم ذوو الدين

---

(١) مقدمة ابن الصلاح بشرحها ص ١١٠ ط الشام .

(٢) مفتاح السنة ص ١٨ .

الكامل والخلق العالى والتقوى والمروءة ، وهم يعلمون حق العلم أنهم يروون نصا يعتبر مرجعا فى الدين وأصلا من أصوله ، وأن أى تزيد فيه أو تحريف وتبديل يؤدى بهم إلى أن يتبوءوا مقاعدهم فى النـــار ، وهم إلى ذلك ذوو حوافظ قوية وأذهان سيالة ووجدان حي وقلوب عاقلة واعية ، وإنكار هذه الخصائص أو بعضها إنكار للحق الثابت والواقع الملموس .

٣ – حينما نقل من أدلة المجوزين للرواية بالمعنى حديث عبد الله بن سليمان الليثى قال : قلت يارسول الله إنى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمعه منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا ، فقال : « إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » ؛ فذكر هذا للحسن فقال : لولا هـذا ما حدثنا . قال فى الهامش ص (٥٧) : هذا الحديث يناقض ولا ريب حديث « نضر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها » . ولكن لابد لكل فئة من أن تؤيد رأيها بحديث ، يريد الطعن فيه بالوضع والاختلاق ، وإنى أقول له : إن هـذا الحديث رواه ابن منده فى معرفة الصحابة ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، والخطيب فى كتبه وغيرهم ، ونقله أئمة الحديث وأطباؤه فى كتبهم ولم يحكم عليه أحد منهم بالوضع ، وكنت أحب من المؤلف لو أراد البحث النزيه المستقيم أن ينقده نقداً صحيحاً من جهة سنده أو متنه ، ويبين موضع الدخل فيه ، ولكنه لم يفعل . أما ماتخيله من مناقضة بين الحديثين فغير صحيح ، فحديث « نضر الله امرءاً ... » للترغيب فى المحافظة على اللفظ المسموع والحث عليه ، وليس من شك فى أن المجوزين للرواية بالمعنى يرون أن الأفضل والأحسن رواية الحديث بلفظه . وأما الحديث الثانى فهو لبيان جواز الرواية بالمعنى بشروطها . ثم ألا يقال لمن روى كلاما بمعناه مع التحوط البالغ أنه أداه كما سمعه ؟ بلى .

٤ – ولكى يدلل المؤلف على ماجازف به من آراء فائلة ذكر أمثلة للرواية بالمعنى ، فعرض لما ورد فى صيغ التشهد من أحاديث ، ولما ورد فى حديث الإسلام والإيمان ، وحديث زوجتكها بما معك من القرآن ، وحديث الصلاة فى بنى قريظة ، وقد استغرق ذلك من كتابه من ص ٦٠ – ٧٤ والغرض الذى قصده من وراء هذا أن يخلص إلى ضرر الرواية بالمعنى من الناحية الدينية وقد شاء الحق سبحانه أن يسقطه بسبب ماعرض له سقطات لا لعى له منها ، وقد أسفرت عن ضحولة المؤلف فى البحث ومبلغ علمه بالحديث ، وسأبين وجه الحق فيما عرض له مع الإيجاز .

(١) عرض المؤلف لما روى فى التشهد فى الصلاة من صيغ ، فذكر تشهد ابن مسعود وابن عباس وعمر وغيرهم ، ثم قال : هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة ، وقد اختلفت ألفاظها ، ولو أنها كانت من الأحاديث القولية التى رويت بالمعنى لقلنا عنى ، ولكنها من الأعمال المتواترة التى كان يرددها كل صحابى مرات كثيرة كل يوم . . .

وردى عليه من أين لك أن هذه التشهدات قيلت فى قصة واحدة حتى تدلل بها على ضرر الرواية بالمعنى ؟ إن الطالب المبتدئ فى الحديث ليدرك بادئ الرأى أنها وقائع متفرقة ، وأن النبى قال كل ذلك فى أوقات متفاوتة بهذه الألفاظ المتغايرة ليبين للأمة أن التشهد بأى منها جائز ، فابن مسعود وهو من السابقين إلى الإسلام سمع أولا ، وابن عباس وهو من مهاجرة الفتح سمع بعد ذلك وهكذا ، قال ابن قدامة الحنبلى « فصل وبأى تشهد تشهد مما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم جائز ، نص عليه أحمد فقال : تشهد عبد الله أعجب إلى ، وإن تشهد بغيره فهو جائز ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما علمه الصحابة مختلفاً دل على جواز الجمع كالقراءات المختلفة التى اشتمل عليها المصحف [١] » وقد اختلفت أنظار الأئمة فى ترجيح بعضها على بعض من غير طعن فى المرجوح ولا رد له ، فالجمهور ومنهم الحنفية والحنابلة أخذوا بتشهد ابن مسعود ، وأخذ الشافعية بتشهد ابن عباس ، والمالكية بتشهد عمر ، ولهم فى اختياراتهم مرجحات وأدلة تدل على رحابة الصدر فى البحث وعمق الغور وشفوف النظر (٢) ، قال الترمذى : « حديث ابن مسعود روى من غير وجه وهو أصح حديث فى التشهد ، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . . . » .

ولكى ترى الفرق بين العلماء والأدعياء أذكر لك ما روى عن الإمام الشافعى ، وقد سئل عن اختياره تشهد ابن عباس قال : « لما رأيته واسعاً وسمعته عن ابن عباس صحيحاً كان عندى أجمع وأكثر لفظاً من غيره ، وأخذت به غير معنف لمن يأخذ بغيره مما صح » . ولو سلمنا ـ جدلا ـ أن هذه الروايات فى قصة واحدة فالخلاف بينها هين يسير لا يستأهل كل هذا التهويل ، فتشهد ابن مسعود بلفظ : « التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك

---

(١) المغنى والشرح الكبير . ج ١ ص ٥٧٩ .

(٢) لكى تقف على هذا ارجع إلى فتح البارى ج ٢ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، والمغنى والشرح الكبير الموضع السابق .

أيها النبي الخ ، وتشهد ابن عباس بلفظ : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » وباقيه كتشهد ابن مسعود ، وتشهد عمر بلفظ : « التحيات لله ، الزاكيات لله ، الصلوات لله ، الطيبات لله » وسائره كتشهد ابن مسعود ، وبقية صيغ التشهد الواردة لا تخرج عن هذه الصيغ بزيادة كلمة من صدر التشهد أو نقصان أخرى ، وذكر لفظ « لله » عقب كل كلمة منها ، أو فى أولاها أو أخراها ، وكل ذلك أمر جائز وله وجه فى العربية ، وأما زيادة البسملة قبل التشهد ، فلم تصح كما قال الحافظ فى الفتح ، فعلام كل هذه الضجة المفتعلة التى لا يقصد من ورائها إلا التشويش على السنة والأحاديث ؛ ثم من قال أيها المؤلف البحاثة : إن التشهد من قبيل الأفعال المتواترة وليس من قبيل الأقوال ؟ ! إن الطالب المبتدئ يعلم أن الصلاة أقوال وأفعال والتشهد من الأقوال لا محالة .

(ب) أما ما عرض له من حديث (كذا)[١] الإسلام والإيمان ، وزعمه أن الروايات التى ذكرها فى قصة واحدة فما يقضى منه العجب ، ومن ذا الذى يجهل أن حديث جبريل المشهور هو غير حديث طلحة بن عبيد الله فى قصة الرجل الذى جاء من أهل نجد ثائر الرأس يسأل عن شرائع الإسلام ؟ بل من ذا الذى يشك فى أن حديث جبريل غير حديث أبى أيوب الأنصارى فى قصة الرجل الذى جاء إلى النبى فقال : دلنى على عمل يدنينى من الجنة ويباعدنى من النار ؟ وحديث أبى هريرة الذى فيه : أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة - الحديث ؟ نعم قد قيل إن حديث أبى أيوب وحديث أبى هريرة فى قصة واحدة ، وقيل إنهما قصتان ، وهو الذى مال إليه الحافظ فى الفتح [٢] .

ولعل منشأ الشبهة عنده أنه وجد الإمام مسلما ذكرها فى صحيحه فى مكان واحد فظن أنها فى قصة واحدة ، أو لعل منشأ الشبهة عنده سوء فهمه لعبارة الإمام النووى التى ساقها فى ص ٦٧ من كتابه ، والإمام النووى أجل من أن يظن أن حديث جبريل وحديث الرجل الثائر الرأس وحديث أبى أيوب وحديث أبى هريرة كلها فى قصة واحدة ، ولو أن المؤلف رجع إلى كتاب

---

[١] هكذا سمى المؤلف الأحاديث حديثاً بناء على زعمه أنها روايات فى قصة واحدة والحق خلاف ذلك.

[٢] فتح البارى ج ٣ ص ٢٠٤ .

« فتح البارى » لعمدة المحققين فى هذا الفن وأمير المحدثين الحافظ ابن حجر لوقف على مفصل الحق ، ولما وقع فى هذا الخلط الشنيع .

(ح) فى ص (٦٨) استشهد على ضرر الرواية بالمعنى فى الدين بحديث المرأة التى جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأرادت أن تهب نفسها له فأعرض عنها النبى ، فتقدم رجل فقال: يا رسول الله أنكحنيها - ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن - فقال النبى « أنكحتكها بما معك من القرآن » ، وفى رواية زوجتكها بما معك » ... وفى رواية ثالثة « زوجتكها على مامعك ..» وفى رواية رابعة « قد ملكتكها بما معك» وفى رواية خامسة « قدأملكتكها بما معك الخ » إلى أن قال : فهذه اختلافات ثمانية فى لفظة واحدة . ولكى يؤيد ما يريد نقل عن ابن دقيق العيد والعلائى نقلين وبترهما لحاجة فى نفسه كما ستعلم عن كثب ، ومع إمكان احتمال أن تكون القصص والوقائع متعددة إلا أن الأظهر أنها فى قصة واحدة ، وعليه فنحن لاننكر أن هذا الحديث وغيره ورد بألفاظ متغايرة إلا أنها لا تحيل المعنى ، فهى متقاربة ويفسر بعضها بعضا ، فمثلا فى الحديث الذى ذكره نرى أن زوجتكها وأنكحتكها بمعنى وكذلك لافرق بين « بما معك» و« على مامعك» فمؤدى العبارتين واحد ، ورواية أملكتكها وملكتكها بمعنى أيضا وتمليك رقبة حرة غير معقول عقلا ولا شرعاً فلم يبق إلا أن يكون المراد تملك حق الاستمتاع بها وهو معنى الزواج ، فهذه خمس روايات ليس بينها تضاد أو تناقض، وباقى الروايات الثمانية بعضها بلفظ « أنكحتكها على أن تقرئها وتعلمها » وبعضها بلفظ . أمكناكها بما معك الخ» وبعضها بلفظ « خذها بما معك » وهكذا يتبين لك جليا أن الروايات الثمانية ليس بينها كبير فرق يسوغ للمؤلف أن يرمى السنة بمنكر من القول فيزعم أنها وصلتنا مغيرة مبدلة ! .

على أن طريقة العلماء المحققين فى هذا الحديث وأمثاله هو الترجيح وبذل الجهد فى التحرى والبحث عن حقيقة اللفظ الذى صدر من الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ولعلماء الحديث وجهابذته - وراء قواعد النقد الظاهرة - ملكة خاصة وحاسة دقيقة بهما ينفذون إلى معرفة اللفظ الذى هو أليق بالصدور عن الرسول ، وهذا هو ما فعله الأئمة تجاه الروايات فى هذا ، قال ابن دقيق العيد : « هذه لفظة واحدة فى قصة واحدة واختلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث فالصواب فى مثل هذا النظر إلى الترجيح ، وقد نقل عن الدارقطنى أن الصواب من روى زوجتكها وأنهم أكثر وأحفظ ... » . ولما نقل المؤلف كلام ابن دقيق العيد وقف عند

« مخرج الحديث » وترك الباقي . وغير خفي على القارئ الفطن البر في تركه لعجز الكلام ؛ لأنه يهدم ما يريد أن يصل إليه ، وكذلك لما نقل كلام العلائي ترك من آخره قوله « ولكن القلب إلى ترجيح رواية التزويج أميل ، لكونها رواية الأكثرين ؛ ولقرينة قول الرجل الخاطب زوجنيها يارسول الله » فلماذا تركت هذا أيها المؤلف الأمين ؟ ! ! وقال الحافظ ابن حجر « نعم الذي تحرر مما قدمته أن الذين رووا بلفظ التزويج أكثر عددا ممن رواه بغير لفظ التزويج ولا سيما وفيهم من الحفاظ مثل مالك ، ورواية سفيان بن عيينة « أنكحتكها » مساوية لروايتهم ومثلها رواية زائدة (١) .

وهكذا يتبين لنا أن لاضرر دينيا بسبب الرواية بالمعنى كما يريد أن يصوره المؤلف مادامت الألفاظ متوافقة أو متقاربة وما دام طريق الترجيح بين الروايات يؤدي بالمجتهد إلى الوصول إلى الحق والصواب .

(د) ذكر حديث البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب « لايصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » الحديث ، ومقالة الحافظ ابن حجر في شرح الحديث « كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري ، ووقع في جميع النسخ عند مسلم « الظهر » مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد ، وقد وافق مسلما أبو يعلى وآخرون وكذلك أخرجه ابن سعد .. وأما أصحاب المغازي فاتفقوا على أنها العصر » وإلى هنا اقتصر المؤلف من كلام الحافظ ، وتتمة كلام ابن حجر « وكذلك وافق البخاري الطبراني والبيهقي في الدلائل ، وهذا كله يؤيد البخاري ، وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها ، فقيل لمن لم يصلها « لايصلين أحد الظهر » ولمن صلاه « لا يصلين أحد العصر » وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة ، فقيل للطائفة الأولى الظهر وللطائفة الثانية العصر ، وكلاهما جمع لا بأس به ... إلى أن قال : ثم تأكد عندي أن الاختلاف في اللفظ من حفظ بعض رواته ... أو أن البخاري كتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه في تجويز ذلك ، بخلاف مسلم فإنه يحافظ على اللفظ كثيرا . . . لكن موافقة أبي حفص السلمي له ـ أي البخاري ـ تؤيد الاحتمال الأول وهـذا كله من حديث ابن عمر ، أما بالنظر إلى حديث غيره فالاحتمالان المتقدمان في كونه قال الظهر لطائفة والعصر لطائفة متجه . . . » .

---

(١) فتح الباري ج ٩ ص ١٧٦ .

فها نحن نرى أن الحافظ ابن حجر ردد الوهم فى رواية البخارى بين أن يكون من أحد الرواة أو من البخارى نفسه مع ترجيح الاحتمال ، فجاء المؤلف فنقل من كلام الحافظ الاحتمال الثانى مقتضبا عما قبله وعما بعده ، وترك من كلام الحافظ ما قاله العلماء فى التوفيق بين الروايتين ، ولا يخفى على القارئ الفطن ما يريده المؤلف من هذا الاقتضاب المخل والذى يبغى من ورائه إظهار أئمة الحديث ـ ولاسيما أميرهم البخارى ـ بمظهر غير الضابطين المتثبتين.

ولو سلمنا أن إحدى الروايتين من قبيل الوهم فهل يؤدى هذا إلى تغيير الحكم المستفاد من الحديث ؟ اللهم لا .

وبعد أن سرد مازعم أنه يؤيده خلص إلى هذه النتيجة الخاطئة : فقال فى ص ٧٠ : لما كانت أحاديثه صلى الله عليه وسلم قد جاء نقلها بالمعنى ـ كما بينا من قبل ـ وأنهم قد أباحوا لرواتها أن يزيدوا فيها ويختصروا منها ، وأن يقدموا ويؤخروا فى ألفاظها ـ بله ما سوغوه من قبول الملحون منها ـ لما كان الأمر قد جرى على ذلك ، فقد نشأ من أثر ذلك كله ـ ولا جرم وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى ـ ضرر عظيم » وبحسبنا ما قدمت فى رد هذا التجنى على المحدثين .

٥ ــ من ص ٧٥ ـ ٧٩ عرض للحن والخطأ فى الحديث ، والتقديم والتأخير فيه ، والزيادة والنقص منه ، ورواية بعض الحديث واختصاره بأسلوب تهكمى ، وطريقته فى سرد الأقوال تظهر المحدثين بمظهر المتساهلين ، ثم ذكر عنوانا بالخط العريض فقال : « تساهلهم ـ أى المحدثين ـ فيما يروى فى الفضائل وضرر ذلك » وهو يوهم من لا يعلم أن المحدثين جميعا على هذا ، مع أن كثيراً من الأئمة كالبخارى ومسلم وابن خزيمة قد جردوا كتبهم للصحاح ، وتحروا غاية التحرى فى ذكر أحاديث الفضائل ، وأيضا فالمحدثون لم يأخذوا بالأحاديث الضعيفة فى باب الفضائل إلا بشروط فصلها أهل الفن والتحقيق ، فإرسال القول على عواهنه ـ كما صنع المؤلف ـ ليس من الأمانة العلمية فى عرض الآراء . وهو إلى التدليس والتلبيس أقرب منه إلى التوضيح والتبيين . وبحسبك أيها القارئ الطالب للحقيقة أن تراجع هذه المباحث التى استعرضها بغير أمانة فى كتب أصول الحديث لترى إلى أى حد حاول المؤلف التشنيع والتشهير بالمحدثين ، وأقرب هذه الكتب وأحدثها كتاب « توجيه النظر » للعلامة الشيخ طاهر الجزائرى .

« وبعد» : فلكى تزداد أيها الطالب للحقيقة علما بوصول السنن والأحاديث الثابتة من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان أضع بين يديك هذه المقدمات والحقائق المستخلصة مما قدمنا .

١ — أن الرواية بالمعنى قد منعها الكثيرون من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من رواة الحديث والتزموا أداء الأحاديث بألفاظها .

٢ — أن الرواية بالمعنى قد أجازها العلماء لمن كان عالما عارفا بالألفاظ والأساليب خبيرا بمدلولاتها والفروق الدقيقة بينها .

٣ — أن الذين أجازوها إنما أجازوها على أنها رخصة تتقدر بقدر الحاجة إليها ، لا على أنها أصل يتبع ويلتزم فى الرواية .

٤ — أن التدوين للأحاديث بدأ بصفة عامة ورسمية على رأس المائة الأولى وبلغ منتهاه فى نهاية القرن الثالث وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث فى القرن الأول الهجرى ولا سيما بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

٥ — أن الروايه بالمعنى إنما ترخص فيها من ترخص فى غير الكتب المدونة ، أما فيها فلا كما قدمنا .

٦ — أن الرواية بالمعنى ممنوعة باتفاق فى الأحاديث المتعبد بلفظها كالأذكار والأدعية وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم .

٧ — أن الذين نقلوا الأحاديث من الصحابة ومن بعدهم من ثقات الرواة كان لهم من الخصائص الدينية والنفسية والخلقية والخلقية ما يعصمهم من التغيير والتبديل والتساهل فى الرواية ، وإنكار ذلك مكابرة .

٨ — أن القواعد التى أخذ جامعو الأحاديث بها أنفسهم عند تدوينها هى أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد فى تمييز المقبول من المردود من المرويات والحق من الباطل والخطأ من الصواب .

هذه المقدمات والحقائق تسلمنا إلى نتيجة صادقة وهى : أن الكثير من الأحاديث النبوية وصلت إلينا بمحكم لفظها ، وأن بعض الأحاديث قد رويت بالمعنى مع التحرز البالغ من التغيير المخل بالمعنى الأصلى ، وأن ماعسى أن يكون قد دخل الأحاديث بسبب الرواية بالمعنى شىء يسير قد تنبه له العلماء وبينوه ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث يقول « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ؟

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

عين فى سبيل الله

فى الحديث النبوى الصحيح - كما يذكر السيوطى فى الجامع الصغير - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرمت النار على عين بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله ، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله ، أو عين فقئت فى سبيل الله » .

والمطالع لسيرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ينفحه عبير عاطر لسيرة صحابى فاضل ، من سادات الأوائل فى الإسلام ، الذين توزعت أنباؤهم وتفرقت أخبارهم هنا وهناك فى مصادر التاريخ ومراجع السيرة ، ولكنهم ظلوا برغم هذا كواكب تضىء وشموساً تنير ؛ وهذا الصحابى الجليل فقد عينه فى سبيل الله فرضى ذلك ، بل وفرح به واغتبط له ، فكانت سيرته باهرة ، وكانت خاتمته زاهرة ، ولقى ربه عظيما كريماً مرضياً عنه .

ذلك هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحى الصحابى رضى الله عنه . كان من السباقين إلى الإسلام ، فتروى السيرة أنه وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة بن الجراح وأبا سلمة أتوا رسول الله فأسلموا فى ساعة واحدة ، وكان ذلك فى أول الإسلام ، قبل دخول الرسول دار الأرقم بن أبى الأرقم ، ولا عجب فى سبق عثمان بن مظعون إلى الإسلام بهذه الصورة ، فقد كان من القلائل أصحاب القلوب النيرة والعقول المفكرة ، حتى قبل الإسلام ، فقد حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وقال قولته البليغة العميقة : « لا أشرب شيئاً يذهب عقلى ، ويضحك بى من هو أدنى منى ، ويحملنى على أن أنكح كريمتى » ! .

أسلم عثمان مبكراً ، وتحمل مع إخوانه المسلمين الأوائل ما تحملوا من مشقة وعذاب فى سبيل الله ، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ، وكان أميراً للمهاجرين إليها ، كما هاجر إلى المدينة مع ابنه السائب ، ومع أخويه قدامة وعبد الله ابنى مظعون ، وآخى الرسول بينه وبين أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى ، وشهد غزوة بدر .

وكان لعثمان مكانته فى التقوى والتجمل بمكارم الأخلاق ، ولقد روى أن الرسول صلوات الله عليه قال فيه : « إن عثمان بن مظعون لحي ستير » . ويصفه الحافظ أبو نعيم الأصبهانى فى الحلية على طريقته فيقول : « المتقشف المحزون ، الممتحن فى عينه المطعون ، ذو الهجرتين عثمان بن مظعون . كان إلى الاستجابة لله سابقا ، وبمعالى الأمور لاحقا ، وفى العبادة ناسكا ، وفى المحاربة فاتكا ، لم تنقصه الدنيا ، ولم تحطه عن العليا ، تعجل إلى المحبوب ، فتسلى عن المكروب » .

وكان عثمان من أشد الناس اجتهاداً فى العبادة ، فهو يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويتجنب الشهوات ، ويعتزل النساء ، ولا يبالى ماذا يلبس أو ماذا يأكل ، وأورثه ذلك لوناً واضحاً من الزهد والتقشف ، ولقد دخل المسجد يوما وعليه نمرة (وهى شمـــلة مخططة من مآزر الأعراب ، كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض) قد تقطعت ، فرقعها بقطعة من فروة ، فرق النبى وأصحابه لشأنه ، ثم قال النبى - كما يروى أبو نعيم - : « كيف أنتم يوم يغدو أحدكم فى حلة ، ويروح فى أخرى ، وتوضع بين يديه قصعة ، وترفع أخرى ، وسترتم البيوت كما تستر الكعبة » ؟ . قالوا : وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله ، فأصبنا الرخاء والعيش . فقال النبى : « فإن ذلك لكائن ، وأنتم اليوم خير من أولئك » ! . .

ويظهر أن اعتزال عثمان لامرأته ترك فى نفسها شيئاً فأعرضت عن الزينة والتطيب ، ولقد دخلت على نساء النبى فى هيئة سيئة وملابس ممزقة ، فقلن لها : مالك ؟ فقالت تشير إلى حال زوجها وزهده : أما الليل فقائم ، وأما النهار فصائم ! . . فبلغ الخبر الرسول فلقى عثمان فلامه قائلا : أما لك بى أسوة ؟ . فقال عثمان : بلى ، جعلنى الله فداك ، بأبى أنت وأمى ، فما ذاك ؟ قال النبى له : تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال : إنى أفعل ذلك . فقال النبى : « إن لعينك عليك حقاً ، وإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فصل ونم ، وصم وأفطر » ! . . .

واستجاب عثمان بن مظعون لهدى الرسول ، فخفف من شدته على نفسه ، فيروى أن امرأته جاءت بعد ذلك حسنة الهيئة طيبة الريح ! ! .

وأما قصة عينه التى فقدها فى سبيل الله فهى أنه لما هاجر مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بقى هناك حتى نزلت سورة « النجم » ، فرجع أكثر المسلمين ، وكان عثمان وأصحابه

من رجع ، ولكنه لم يستطع دخول مكة إلا بجوار من أحد أهلها ، فأجاره الوليد بن المغيرة من مشركى قريش ، فكان يذهب ويجىء فى مكة لا يناله أحد بسوء ، بينما غيره من المسلمين يسامون العذاب والاضطهاد ، ولما رأى عثمان ما يعانيه الصحابة من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان قال لنفسه : والله إن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبنى ، لنقص كبير فى نفسى ! . .

وذهب إلى الوليد وقال له : يا أبا عبد شمس ، وفت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك . فقال الوليد : لم يا ابن أخى ؟ لعله آذاك أحد من قومى ؟ قال عثمان : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره ! ! ...

فقال الوليد لعثمان : فانطلق معى إلى المسجد فاردد على جوارى علانية ، كما أجرتك علانية ! . . . ورافق عثمان ، وصحبه إلى المسجد ، وهناك قال الوليد للناس : هذا عثمان ابن مظعون قد جاء يرد على جوارى . فقال عثمان : قد صدق الوليد ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره .

وجلس عثمان عقب ذلك مع جماعة من المشركين ينشدهم أحدهم ـ وهو لبيد ـ شعرا له ، فقال فيه : « ألا كل شىء ما خلا الله باطل » . فقال له عثمان : صدقت . ثم أنشد الشاعر عقب ذلك : « وكل نعيم لامحالة زائل » ، فقال له عثمان : كذبت ، نعيم أهل الجنة لايزول !.

فتألم لبيد وقال لمن حوله : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال له أحدهم : إن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا ، فلا تجد فى نفسك من قوله . فرد عثمان عليه بما يناسبه ، فقام هذا الرجل ولطم عثمان على عينه فأطفأها ! .

وكان الوليد بن المغيرة قريبا منهما ، ورأى ما حدث لعثمان ، فقال له شامتا فيه : أما والله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد كنت فى ذمة منيعة ! . . . فقال عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها فى الله ، وإنى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس !! .

ثم قال عثمان بن مظعون فى عينه :

فإن تك عينى فى رضا الرب نالها ... يدا ملحد فى الدين ليس بمهتد

فقد عوض الرحمن منها ثوابه ... ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد
فإنى - وإن قلتم غوى مضلل ... سفيه - على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله والحق ديننا ... على رغم من يبغى علينا ويعتدى

ويروى أن الإمام على بن أبى طالب قال فى ذلك أيضا هذه الأبيات :

أمن تذكر دهر غير مأمون ... أصبحت مكتئبا تبكى كمحزون
أمن تذكر أقوام ذوى سفه ... يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
لا ينتهون عن الفحشاء ما سلموا ... والغدر فيهم سبيل غير مأمون
ألا ترون - أقل الله خيرهم - ... أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يلطمون - ولا يخشون - مقلته ... طعنا دراكا ، وضربا غير مأفون (١)
فسوف يجزيهم - إن لم يمت عجلا - ... كيلا بكيل ، جزاء غير مغبون !

وختم الله حياة عثمان بن مظعون خاتمة محفوفة بما يدل على الخير والبركة ، فقد توفى بعد أن شهد بدراً ، وأهل بدر هم الذين قال لهم ربهم : « اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم » ، وتوفى وهو محافظ على دينه ويقينه وعبادته ، وكانت وفاته فى شعبان بعد سنتين ونصف من الهجرة ، ودخل عليه الرسول حين مات ، فانكب عليه ورفع رأسه ، ثم حنى الثانية ثم رفع رأسه ، ثم حنى الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق ، فعرف القوم أن النبى يبكى فبكوا ، فقال النبى : « أستغفر الله ، أستغفر الله ، اذهب عنها أبا السائب ، فقد خرجت منها ولم تلبس منها بشىء » ! ! . .

ويروى أنه أكب عليه يقبله وهو ميت ، وقال : « رحمك الله يا عثمان ، ما أصبت من الدنيا ، ولا أصابت منك » . وقالت امرأة عثمان للنبى مشيرة إلى زوجها : « يا رسول الله ، فارسك وصاحبك » .

وصلى النبى عليه الصلاة والسلام على عثمان ، ودفن بالبقيع ، وهو أول من دفن فيه ، وأول من توفى بالمدينة من المهاجرين ، وقال عنه النبى : هذا فرطنا . ووقف على شفير قبره ، ووضع عند رأسه حجراً ، وقالت زوجة عثمان : هنيئاً لك يا أبا السائب الجنة ! . .

[١] غير مأفون : غير قليل .

فقال لها النبي : وما علمك بذلك ؟ ! . قالت : كان - يا رسول الله - يصوم النهار ويصلى الليل . فقال النبي : (بحسبك لو قلت : كان يحب الله ورسوله) ! ..

وقالت زوجة عثمان فى رثائه :

يا عين جودى بدمع غير ممنون (١) على رزية عثمان بن مظعون
على امرئ بات فى رضوان خالقه طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيع له سكنى وغرقده وأشرقت أرضه من بعد تفتين [٢]
وأورث القلب حزنا لا انقطاع له حتى الممات فما ترقى له شونى [٣]

وفى الحديث الشريف أن النبي صلوات الله عليه وسلامه لما توفيت بنته رقية قال : « الحقى سلفنا الصالح عثمان بن مظعون » . وفى رواية : « الحقى بسلفنا الخير عثمان ابن مظعون » .

وفى صحيح البخارى أن أم العلاء الأنصارية قالت بعد موت عثمان - وكان قد توفى فى دارها - : رأيت فى النوم لعثمان بن مظعون عينا تجرى ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، فقال النبي : ذاك عمله ! ! . .

رضوان الله تبارك وتعالى على ابن مظعون ، وجزاه خيرا بقدر ما ضحى فى سبيله وفقد من أجله ، وسلام عليه فى الخالدين ! ! . . ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

[١] غير ممنون : غير مقطوع .

[٢] تفتين : سواد ، كأن الأرض محرقة ، وغرقده : أسبل الستر عليه .

[٣] شونى : مخففة من : شئونى ، وهى مجارى دمع العين .

تخطيط عريض

للمجتمع السعيد

ليس هناك مصلح واحد فى تاريخ العـالم أحدث تغييراً شاملا فى حياة أمة بأكملها فى فترة تقل عن ربع قرن من الزمان كما أحدث نبى البر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

كان العرب قبل الإسلام يخرون للأذقان غرقا فى الوثنية والشرك فنقلهم صلى الله عليه وسلم ـ بفضل الله وتأييده ـ إلى التوحيد وإفراده تبارك وتعالى بالعبادة والتقديس .

وكان العرب قبل الإسلام يخرون للأذقان غرقا فى شن الغارات لأوهى الأسباب . . . وفى التنابذ بالألقاب .. والإثم .. والبغى .. واختلاف الكلمة .. فنقلهم صلوات الله عليه ـ بفضل الله وتوفيقه ـ إلى السلم . . والإخاء .. والعدل .. وترك الفواحش ماظهر منها وما بطن .. فما سبب هذا الانتقال العجيب ؟ ...

سببه أن العرب قد انفعلت نفوسهم بما رسم النبى صلى الله عليه وسلم من تخطيط للمجتمع السعيد . . وأن العرب قد احترموا ما التزمت به ذممهم من عهود . . وعقود . . ومواثيق .. وهكذا نقل الإسلام العرب من حال إلى حال مادياً . . وعقلياً . . وروحياً . . حتى اجتمعت قواهم على مركز واحد وتشكلت فى دولة ذات نظام وآداب سمت بهم إلى أعلى الآفاق .. رغم أنف تلك الدعايات المضادة المضلة المغرضة التى كان ينفث سمومها أعداء دعوة الحق .. وإذا رجعنا إلى تلك الآداب التى أحدثت بين العرب ذلك الانقلاب فإنا نرى عبادة بن الصامت ذلك الصحابى الجليل يروى لنا منها فيقول :

« بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره . . وعلى أثرة علينا . . وعلى أن لاننازع الأمر أهله . . وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف فى الله لومة لائم » أخرجه البخارى .. ومسلم .. والموطأ .. والنسائى .

تخطيط عريض للمجتمع السعيد .. أو أمور أربعة .. فى هذه المبايعة .. دارت عليها رحى ذلك الانتقال العجيب الذى لم يشهد له التاريخ مثالا .. وتدور عليها عجلة التقدم والرقى إلى أن تقوم الساعة .

الأمر الأول : السمع والطاعة .. السمع والطاعة خط عريض فى تخطيط المجتمع السعيد فهل كان يمكن أن ينتقل العرب ذلك الانتقال لولا السمع والطاعة ؟ ... كان العرب يسمعون ما يأمرهم به صلى الله عليه وسلم .. يسمعونه فيصدقونه ويجزمون به .. ثم هم بعد ذلك لايسمحون لأنفسهم أن يخالفوا مايؤمرون به سواء كان ذلك فى العسر - أى فى الشدة والضيق - أو فى اليسر .. وذلك من باب أولى وإنما ذكر من باب ذكر الشىء بذكر مقابله .. والمنشط - أى الأمر الذى ينشط له - والمكره - أى الأمر الذى تكرهه النفوس .. هذا هو الأمر الأول .. أو الخط الأول « السمع والطاعة » والقرآن الكريم يخبرنا أن من يسمع ويطيع يستره الله ويغفر له إذ يقول : « وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ذلك أنه لايمكن لدولاب عمل أن يسير من غير السمع والطاعة .

الأمر الثانى من هذه المبايعة .. أو الخط الثانى فى هذا التخطيط « الإيثار » وعبر عنه بقوله : « وعلى أثرة علينا » والإيثار أن تقدم أخاك على نفسك كما يقول تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. » والإيثار : خلق رضى نبيل يدل على كمال الشخص وقوة إيمانه ..

الأمر الثالث فى هذه المبايعة .. أو هذه المعاهدة .. أو هذا العقد .. أو هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد هذا الأمر الثالث عبر عنه بقوله : « وعلى أن لاننازع الأمر أهله » فمنازعة ولاة الأمور فى ولايتهم والتعرض لهم فى جميع أعمالهم سبب لفتح باب الفتن « وطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر » والمنازعة قد تكون بطريق مباشر أو غير مباشر إذا شجع الإنسان من ينازع .. واذا كانت المنازعة سبباً لفتح باب الفتن فإن عدم المنازعة صفة الخلص من الناس الذين يعملون على أن تسير سفينة الحياة فى أمن وهدوء بعيدة عن العقبات والعراقيل .. وليس معنى هذا أن نكون مع ولاة الأمور سلبيين .. كلا .. ليس هذا هو المراد مطلقاً وإنما المراد أن يعنى كل بدائرة عمله واختصاصه وأن يصرف كل عنايته فى عمله المحدود له .

الأمر الرابع والأخير فى هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد عبر عنه بقوله : « وعلى أن نقول بالحق أينما كنا . . فالمسلم الكامل الإيمان لا يتكلم إلا صدقا ولا ينطق إلا حقاً ولو على نفسه فهو لا يتفوه بغير الحق أينما كان .. سواء كان فى المخاوف والضيق .. أو الأمن والسعة .. ومهما ترتب على القول الحق من التشديد والتضييق فقوة الإيمان تجعل الإنسان لايبالى بنقد منتقد .. ولا يراعى فى كلامه إلا الله وحده .. فهو وحده المطلع على الضمائر والسرائر .. وهو وحده المجازى المؤاخذ .. ولذا قال : « لانخاف فى الله لومة لائم » أى لاتخشى انتقاد أحد مادمت فى جانب الحق .. ومهما كان هناك من اللوم فلا تبالى بهم ولا تعول عليهم . . ويرحم الله عمر بن الخطاب فقد كان يقول : « يا حق . . ماتركت لى حبيباً » . . .

هذا هو التخطيط العريض للمجتمع السعيد :

١ ــ السمع والطاعة .

٢ ــ الإيثـــار .

٣ ــ تجنب المنازعة .

٤ ــ التزام قول الصدق مهما كان الأمر .

بهذه الأمور الأربعة نقل رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم العرب من حال إلى حال فى فترة تقل عن ربع قرن من الزمان .. وبهذه الأمور الأربعة يسير دولاب أى عمل إلى الرقى والتقدم والنجاح .

ونحن إذ نذكر فىهذه الأيام المباركة ميلاد المصطفى صلوات الله عليه راسم هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد . . إذ نذكر العرب والمسلمين اليوم فى كل مكان . . إذ نذكرهم بهذه الآداب التى قامت عليها دولة الإسلام فإنما نشكر الله الذى أقدر العرب على وأد الخلافات التى ذقنا منها الويلات . . ونطمع فى الوقت نفسه بمزيد من التماسك . . والتضامن . . والتضافر .. فلم تؤت أمة .. ولم يقوض عرش .. ولم يهتز كرسى .. أو تتزلزل مصلحة إلا من طغيان المصالح الشخصيـة . . والأطماع الذاتية . . وإلا من المنازعة . . والرياء . . والانحراف عن الحق . .

إن سنة الله فى خلقه أن لا يتم انقلاب أساسى فى أخلاق أمة أو طائفة إلا على يد رئيس تجرد من المصالح الشخصية والأطماع الذاتية وسار بقومه على هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد .. ولا ريب أن النجاح الذى لقيه ويلقاه العرب الآن إنما يدل على إخلاص القائمين عليه . . والإخـــلاص عنصر أساسى ، بل هو العنصر الوحيد فى بلوغ الهـدف والغاية « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » .

وهـدفنا النهائى إنما يتركز فى إعادة مجد العرب . . وعزهم . . وجمع شملهم . . ولقـد خطونا فى سبيل ذلك خطوات طيبة مباركة ، وستتلوها إن شاء الله خطوات وخطوات ما دمنا لمن يبث بيننا الفرقة بالمرصاد . . وهـذا ما نفتح الآن عليه أعيننا جيدا باتباع أدب نبى البر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

وإننى إذ أؤذن بهـذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد من على منبر الأزهر فى مجلته ، فإنما أبرئ ذمته من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . وإننى إذ أقول هـذا ألح على ولاة الأمور بوجوب العناية بالناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية . هـذه الناحية يجب أن تأخـذ العناية كل العناية وبخاصة من الأزهر القائم على أمر الدين واللغة أو المفروض فيه ذلك . . ولعل الأزهر فى عهده القـادم الجديد السعيد يعنى بهـذه المسألة العناية كلها « الناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية » .

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله » ؟

منصور رجب

التقـــوى

الفخر فى التقوى إذا رمت أن ... تفخـــر لا فى نسب أو رتب
ما رفع القـــربى أبا طـالب ... ولم يضع سلمان بعد النسب

عبد الله البيتوشى
من أعلام القرن الثانى عشر الهجرى

الوحدة العربية

فى شمال إفريقيا

لقد أضحت الوحدة العربية اليوم حقيقة واقعة تأخذ مجراها الطبيعى فى سبيل التنفيذ، بعد أن رسخت دعائمها فى العصر الراهن مع توافر مقوماتها التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

والمفهوم أن العالم العربى الذى يتجه اليوم نحو الوحدة والاندماج يتألف من مجموعة كبيرة من البلدان المتجاورة والممتدة فى قارتى إفريقيا وآسيا معاً ، ولا شك أن مما يساعد هذا الاتجاه نحو الوحدة والاندماج على الوصول به إلى غايته المنشودة أن يتوافر بوضوح فى كل بلد من هذه البلدان أو فى كل مجموعة متقاربة منها ، ونحن يهمنا هنا أن نتعرف إلى أى مدى وصل هذا الاتجاه فى بلدان شمال إفريقيا وهى تكون الجناح الغربى للعالم العربى أو بالأحرى الجناح الغربى للوحدة العربية .

والواقع أن الاتجاه نحو الوحدة العربية فى المغرب العربى هو اتجاه قوى واضح يزيد يوماً بعد يوم [1] ، ومن أهم مظاهره ذلك المؤتمر الذى عقد فى طنجة فى المدة من ٢٧ إلى ٣٠ من شهر أبريل سنة ١٩٥٨ وأطلق عليه اسم (مؤتمر وحدة المغرب العربى) وضم مندوبين عن حزب الاستقلال المغربى وجبهة التحرير الوطنى الجزائرية ، والحزب الحر الدستورى التونسى .

ومن أهم قرارات هذا المؤتمر القرار الذى أصدره حول توحيد المغرب العربى ، والذى جاء فيه أن المؤتمر وهو يشعر أنه يعبر عن إرادة إجماع شعوب المغرب العربى فى توحيد مصيرها فى دائرة التضامن المتين لصالحها ، ومقتنع فى الوقت نفسه بأن الوقت قد حان لتجسيم

---

(١) كان من أهم المقترحات المغربية فى مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الذى انعقد فى « أكرا » فى شهر أبريل سنة ١٩٥٨ تحقيق وحدة شمال إفريقيا بعد استتباب السلم فى الجزائر ؛ كما تضمن برنامج الحكومة المغربية الجديدة فى بند السياسية الخارجية بذل المسائل اللازمة حتى تتحرر الجزائر وتتحقق وحدة شمال إفريقيا .

هذه الإرادة فى الوحدة عن طريق مؤسسات مشتركة تمكن هذه الشعوب من القيام بدورها بين الأمم ، يقرر أن يعمل على تحقيق هذه الوحدة ويعتبر أن الشكل الفيدرالى أكثر ملاءمة للواقع فى البلاد المشتركة فى هذا المؤتمر .

ولهذا الغرض اقترح المؤتمر أن يشكل فى المرحلة الانتقالية مجلس استشارى المغرب العربى منبثق عن المجالس الوطنية المحلية فى تونس والمغرب وعن المجلس الوطنى للثورة الجزائرية ، ومهمته درس القضايا ذات المصلحة المشتركة وتقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية .

وأوصى المؤتمر بضرورة الاتصالات الدورية وكلما اقتضت الظروف ذلك بين المسئولين المحليين للأقطار الثلاثة من أجل التشاور حول قضايا المغرب العربى ولدراسة تنفيذ التوصيات التى يصدرها المجلس الاستشارى للمغرب العربى ، كما أوصى حكومات بلاد المغرب العربى بألا ترتبط منفردة مصير شمال إفريقيا فى ميدان العلاقات الخارجية والدفاع إلى أن يتم إقامة المؤسسات الفيدرالية .

وقد قرر المؤتمر كذلك تأسيس كتابة دائمة للسهر على تنفيذ مقرراته ، وتؤلف هذه الكتابة من ستة أعضاء بنسبة مندوبين عن كل حركة ممثلة فى المؤتمر ، وتنقسم الكتابة إلى مكتبين أحدهما بالرباط والثانى بتونس ، وتجتمع الكتابة دوريا فى إحدى العاصمتين بالتناوب ويعقد أول اجتماع خلال شهر مايو سنة ١٩٥٨ .

وعقد بعد ذلك بتونس فى المدة من ١٧ إلى ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ مؤتمر هام جمع المسئولين فى الحكومتين التونسية والمغربية ووفدا عن لجنة التحرير الجزائرية ، وتم فيه الاتفاق كخطوة أمامية محتمة فى سبيل تحقيق وحدة المغرب العربى بكامل معناها بين كل من الجانبين التونسى والمغربى على تبادل التعاون والتنسيق فى الميدان الدبلوماسى بين البلدين ، والاستعانة بالاستشارة قصد تحديد الخطط والمواقف فى الهيئات والمؤتمرات الدولية وتوحيد التمثيل الدبلوماسى فى بعض البلاد الأجنبية .

ويمكن أن يعتبر هذا المؤتمر بداية مرحلة جديدة تجعل مقررات مؤتمر طنجة المشار إليه فى حيز التنفيذ كما يعتبر خطوة مباركة كللت بتبادل وثائق المصادقة على معاهدة الأخوة والتضامن المبرمة فى الرباط بتاريخ ٣٠ من شهر مارس سنة ١٩٥٧ .

وصدر في ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ بلاغ ثلاثي بين المغرب وتونس والجزائر أعلن فيه إخلاص المؤتمر المذكور للمبادئ التي وافق عليها مؤتمر طنجة، وجاء فيه أن الأمانة الدائمة لمؤتمر طنجة ستتكون من ستة أشخاص اثنين من المغرب واثنين من تونس واثنين من الجزائر، وأن اللجنة الاستشارية للمغرب العربي ستتكون من ثلاثين عضوا . عشرة عن كل من المغرب وتونس والجزائر .

هذا وقد عقد أخيرا بالرباط عاصمة المملكة المغربية (مؤتمر موريطانيا والصحراء العربية) في المدة من ٣ إلى ٥ من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، وجاء من بين قراراته أن ممثلي موريطانيا والصحراء في هذا المؤتمر يؤكدون تأييدهم لما جاء في مقررات طنجة السالف الذكر بخصوص وحدة المغرب العربي .

ومن مجموع هذه المؤتمرات والقرارات التي أصدرتها يمكن أن نتبين مدى قوة الاتجاه نحو الوحدة والاندماج في بلاد شمال إفريقيا (تونس والجزائر والمملكة المغربية) ومدى اهتمام أبناء هذه البلاد بتأكيد رغبتهم في الوحدة واتخاذ مختلف الوسائل لتحقيقها وتدعيمها .

ومن المؤكد أن هذا الاتجاه والاهتمام بتأكيده والوصول به إلى غايته، له الأثر الكبير في حل المشكلات الكبرى القائمة في هذا الجزء الهام من الوطن العربي، وأهم هذه المشكلات تلك الخاصة بالاستعمار الفرنسي في الجزائر، خاصة وأن المؤتمرات السالفة الذكر قد أجمعت كلها على أن تحرير الجزائر هو واجب مفروض على كل فرد ليس في الجزائر فحسب وإنما في تونس والمغرب كذلك، وأن توحيد المغرب العربي إنما يعني أولا استقلال الجزائر وتحريرها واتحادها مع شقيقتيها تونس ومراكش، وهو الاتحاد الذي تمليه طبيعة الصلات العربية المعنوية والمادية التي تربط منطقة المغرب العربي بعضها ببعض، بدل ذلك الاتحاد المزعوم بين الجزائر وهي الدولة العربية في شمال إفريقيا بفرنسا وهي الدولة الغربية الأجنبية في أوربا .

على أن الوحدة في شمال إفريقيا لا تقتصر على هذه البلاد الثلاثة تونس والجزائر والمغرب فالوحدة بين هذه البلاد هي الخطوة الأولى في هذا السبيل ؛ إذ من المعروف ان بشمال إفريقيا كذلك دولتين هامتين إلى جوار هذه البلاد الثلاثة، وهما المملكة الليبية المتحدة والجمهورية العربية المتحدة، وإذا ما تبلورت هذه الخطوة الأولى واتضحت معالمها من الناحيتين السياسية والاقتصادية كان طبيعيا أن تؤدي الى إتمام الوحدة العربية الشاملة مع باقي البلاد العربية بما فيها تلك الكائنة بشمال إفريقيا، وسوف يتحقق ذلك في القريب إن شاء الله؟

أحمد طه السنوسي

التوكل والتواكل

صفتان من الصفات الخلقية : أولاهما محمودة ، وثانيتهما مذمومة . ومعنى كل واحدة منهما محدد متميز . وقد اشتبه أمرهما عند الجاهلين واختلط عند المعادين ، وأولاهما يقرها الإسلام ويرضى عنها وتدور حولها تعاليمه وتصرفات المنتمين إليه على بصيرة ، وثانيتهما لا يقرها الإسلام ولا ترضى عنها تعاليمه ولم يسلكها المؤمنون ولا يشهد لها تصرف من تصرفاتهم ؛ لأنها رمز الكسل والخمول والإهمال والفوضى ، ومع هذا فقد ألصقها أعداء الإسلام بتعاليمه ، وهو منها براء كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ، ومنشأ هذا الزعم عندهم - فيما يبدو - ربما كانت أعمال بعض الجاهلين المنتمين إلى الدين الإسلامى الذين لم يشربوا فى قلوبهم تعاليمه ، ولا تلقوها عن مرشد بصير محيط بالمبادئ السامية التى دعا إليها الإسلام ، وهى عمارة الأرض التى استخلف الله فيها الإنسان ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا . وليس الذنب واقعا على أعداء الإسلام أكثر مما يقع على المسلمين أنفسهم ، فهم قد قصروا فيما يجب عليهم من إجلاء تعاليم الإسلام وتوضيحها مشرقة تجذب إليها القلوب وتسترعى إليها الأنظار .

وإنا إذ نعود إلى بيان حقيقة التوكل والتواكل فى الإسلام نستوحى معنى كل منهما من كتاب الله الكريم ، ومن سنة نبيه الصحيحة ، ومن سلوك صاحب الرسالة وسلوك أتباعه الذين أشرقت قلوبهم بنور الإسلام ، وصفت أرواحهم بتعاليمه فالتوكل على الله صفة محمودة وطريقة مطلوبة أمر بها الدين وسلكها الأنبياء والمرسلون ، بعد أن علموا أن الله قد جعل لكل شىء سبباً يتبعه القاصدون للخير المبتغون الفضل من ربهم ، فهم قد أعملوا عقولهم ونظروا فى الكتاب المقروء وهو القرآن الكريم ، وفى الكتاب غير المقروء باللسان بل تقرأه العقول والأفهام وهو الكون كله علويه وسفليه جباله وبحاره ووهاده وكل ما خلق من شىء فى الأرض أو فى السماء . ولم يجعلوا على قلوبهم أكنة عن فهمهما ولا أغلفة عن تدبرهما ، بل تمتعوا فيهما ولم يكونوا من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعميانا ، بل عكفوا على دراستها ودأبوا على تفهمها وأحاطوا علماً بمثل قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

فالرزق من الأرض والحصول على خيراتها لا يأتى إلا لمن أجهد نفسه وقام بكل ما يتطلبه النبات من رعاية وعناية مع خبرة تامة وحصافة وآتى حقه كاملا غير منقوص .

وإذا ما نظرنا بعد القرآن الكريم وآياته الواضحة البينة ، وما أفصحت عنه من بيان الوسائل والطرق المؤدية لكل ثمرة من الثمرات التى يحتاج إليها الإنسان ، إذا ما تركنا كل هذا وأجلنا الفكر فى سنة خير المرسلين ، رأيناه يقول (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) فالحديث الشريف يوحى بأن الأسباب لابد من سلوكها للوصول إلى الغايات التى عليها تتوقف الحياة الصحيحة . فهو يهدينا إلى الوسيلة التى يسلكها الطير ليحصل على قوته وقوت عياله ، فالطير تغدو جياعا ساعية ناصبة عاملة على أن تحصل ما يحفظ حياتها وحياة أولادها ، والإنسان مكلف بالسعى والكد والنصب ليوفر وسائل العيش الرغيد ، وتقوى سواعده على أن يساهم فى بناء صرح العمران ، ويكون عضواً عاملا فى مجتمعه ، لا كلا عليه أينما يوجه لايأت بخير ، فمثل هذا شر على مجتمعه ، وشر على دينه ووصمة عار فى جبين وطنه ؛ فهو الذى يجعل أعداء الإسلام يخوضون فيه ويلصقون به الكسل والخمول والتقاعد ، فعباد الرحمن المتوكلون عليه حق توكله هم الذين يمشون على الأرض هوناً ويسعون إلى تحقيق رسالة المؤمنين ، يجلبون لأنفسهم وقومهم خيرا ويدفعون عنهم شراً وضراً ، ويعلمون أن مشيئة الله قد سبقت وإرادته قضت بربط الأسباب بمسبباتها والوسائل بغاياتها ربطا لا يتحول ولا يتغير . قال الله تعالى : « ولن تجدَ لسنة الله تحويلا » فهو يأمرهم عقب انتهاء الصلاة بالسعى والكد والعمل إذ يقول تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وهو الذى ألهم أضعف مخلوقاته السعى فى طلب القوت فألهم النحلة أن تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ثم تأكل من كل الثمرات فتخرج من بطونها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وما أروع التوكل إذا كان بعد أخذ العدة وإعداد الوسائل . فهاهو القرآن الكريم يقص علينا مثلين من أروع الأمثال فى الثقة بالله والتوكل عليه ، فهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابتهم جراح فى غزوة أحد ، ثم دعاهم الرسول لغزوة أخرى فاستجابوا لله والرسول واثقين من نصر الله ومعونته معتمدين على تأييده وقوته ، ولم يأبهوا بتعويق المعوقين ولا بتثبيط المثبطين ، ولم يوهن من عزيمتهم قول المخذلين إن خصومكم قد جمعوا لكم فاخشوهم ، بل زادهم ذلك يقينا وإيمانا وشجاعة وإقداما وقالوا « حسبنا الله ونعم الوكيل » فكان عاقبتهم

الفوز والنصر والغلبة والغنم ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . وقد قص القرآن الكريم ذلك فى قوله « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » وفى غزوة الأحزاب التى جمعت قريش لها عدتها وجيشها وجيش حلفائها من أحزاب المشركين ليقضوا على الإسلام والمسلمين فما وهنوا وما استكانوا ، بل قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ولقد صدقهم الله وعده ، فأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وها هو القرآن الكريم يقص علينا ذلك إذ يقول : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً » فهذا توكل بصير ناشىء عن عقيدة حقة ويقين صادق ، وهو الذى يأمر به الله تعالى فى قوله : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » .

وقد رسم لنا الرسول الكريم طريق التوكل على الله فيما رواه عنه ابن عباس رضى الله عنهما قال « كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال : ياغلام ، إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » فهذه حقيقة التوكل التى يفرضها الإيمان على أتباعه ، وهى أن يتخذ المسلم من سعيه وعمله وتفكيره وتدبيره وسيلة إلى تحقيق مطالبه ، وأن يأتى البيوت من أبوابها ولا يكون أحمق جاهلا يأتى البيوت من ظهورها ، بل يتلمس الغايات من أسبابها مع تيقن أنه لا رازق إلا الله ، ولا مطعم إلا الله ، ولا محيى ولا مميت إلا الله ، وأنه قادر على كل شىء ، وأن علمه محيط بكل شىء . ومن أجل العمل والسعى فضل الرسول عليه السلام المؤمن القوى على غيره إذ يقول « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير : احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

وفى سيرة الرسول الكريم المنهج الواضح للسلوك القويم الذى يحقق المصلحة العامة ، فها هو الرسول الكريم يبدأ دعوته سراً مستخفياً عن أعين المعاندين لأن هذه الطريقة هى

الوسيلة التي كان يستطيعها في ذلك الوقت وتلك الحقبة من أطوار رسالته . ثم جهر بعد ذلك بدعوته حيث تهيأت له الأسباب واستقامت له الأمور وسنحت له الفرصة وفي كلا الأمرين كان معتمدا على ربه ، مفوضا إليه أمره مخلصا إليه وجهه « ألا إلى الله تصير الأمور » . ثم تطورت دعوته واشتد كيد المعاندين له حتى ضاقت عليه وعلى أصحابه الأرض بما رحبت وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فأعدوا العدة وسارعوا إلى الهجرة من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم وانتصاراً لعقيدتهم ، ولم يحملهم توكلهم على الله على البقاء في مكة أذلاء مضطهدين ، بل اتبعوا هدى رب العالمين إذ يقول : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ . » فالمؤمن الحق صاحب عقيدة الصدق لا يسلم نفسه إلى الهوان ويترك أسباب العزة والسلطان ، فإن تركه للأسباب إعراض عن تعاليم الدين وتباعد عن سنة خير المرسلين ، فالرسول عليه السلام جرت عليه سنة الله في خلقه وأصابه ما أصاب إخوانه الأنبياء من قبل من أذى المعارضين وطغيان المشركين ، فشج وجهه في بعض الغزوات ودخلت حلقتا المغفر في وجنتيه وسال دمه الزكي متدفقا لم يمنعه إلا وضع الرماد عليه .

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتخذ للوقاية من الأمراض الوسيلة الناجعة التي يوحي بها الإسلام ، وإليك ماصنعه للوقاية من الأمراض ، فإن الصحابة رضي الله عنهم لما قصدوا الشام وانتهوا في طريقهم إلى مكان يعرف بالجابية بلغهم الخبر أن بها طاعونا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين : فقال بعضهم لا ندخل على الوباء والطاعون فنلق بأيدينا إلى التهلكة ، وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل على الله ولا نهرب من قدره ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله فيهم « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه فقال : نرجع ولا ندخل على الوباء والطاعون ، فقال المخالفون لرأيه : أنفر من قدر الله تعالى ؟ قال : عمر الملهم صاحب الفراسة الصادقة والنظر الثاقب والرأي السديد : نعم نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله ، ثم ضرب لهم مثلا فقال : « أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فهبط بها واديا له شعبتان وناحيتان إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة أليس إن رعى المخصبة رعاها بقدر الله ، وإن رعى المجدبة رعاها بقدر الله ؟ فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه إذ كان غائبا ، فلما أصبح جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال : عندي فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، فقال عمر : الله أكبر . فقال عبد الرحمن : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه سنة خير المرسلين ، ورجع من الجابية بالناس .

هـــذا هو التوكل الذى أمر به الدين ، وفهمه الصحابة الراشدون فأفلحوا فى جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم . وها هو خاتم المرسلين قبل بعثته يرحل للتجارة ويسافر إلى الشام متاجراً فى مال خديجة رضى الله عنها ، وقد جاءه يوما رجل من الأنصار تبدو عليه الحاجة ويتعرض للسؤال فقال له : أما فى بيتك شىء ؟ فأجابه الأنصارى : إن فى بيتى فراشا تنام عليه وإناء نشرب به فيأمره بإحضارها فيأخذهما منه ويبيعهما بدرهمين ثم يقول له : اشتر بأحدهما طعاما لأهلك وبالآخر قدوما واذهب به فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما . ففعل ، فجاء بعد ذلك وقد اكتسب من عمله عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها فراشا وببعضها طعاماً . فلما علم الرسول بذلك قال له « هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة » . فالرسول عليه السلام يحض على العمل بكل وسيلة ، ويحفز الناس عليه بكل طريق ، خوفاً من ذل السؤال الذى يأتى يوم القيامة وصمة عار رمزا للكسل والخمول . فعلى العاقل أن يسلك فى حياته السبيل القويم ؟

عبد الله مصطفى المراغى

« حوالات السودان »

المرجو من مشتركى مجلة الأزهر فى السودان ، ومن كل من يرسل حوالات مالية إلى هذه المجلة ، أن تكون على « مكتب بريد الأزهر » تيسيرا للعمل ، وإلا اضطرت إدارة المجلة إلى إعادتها لمرسلها .

لغويات

أخلص فى طلب العلم ، لقيت جزاء عليه أم لا

هذا الأسلوب فاش بين الناس إذا أرادوا مثل هذا التعميم . والمتأمل فى الأسلوب يرى أن (أم) لامكان لها هنا . فهى إنما تقع بعد همزة التسوية أو همزة يطلب بها وبأم التعيين ، كما هو مقرر فى كتب النحو ، وقد تقع للإضراب بمعنى بل مع الهمزة ودونها .

والصواب أن يؤتى بالحرف (أو) بدل (أم) فيقال : لقيت جزاء عليه أو لا وبما جاء على هذا السنن قول الشاعر :

كن للخليل نصيرا جار أو عدلا ولا تشح عليه جاد أو بخلا

وهذه الجملة « لقيت جزاء عليه ... » جملة حالية . ويذكرها النحويون فى الجمل الحالية التى لايجوز أن يكون رابطها الواو . ويمثلون لذلك بقوله : لأضربنه ذهب أو مكث ؛ لا يصح أن يقال : وذهب أو مكث . ويقول الصبان فى تعليل هذا الحكم : « لأنه فى تقدير فعل الشرط ؛ إذ المعنى : إن ذهب وإن مكث ؛ وفعل الشرط لا يقرن بالواو ، فكذا المقدر به » . واستفادة الشرط من الأسلوب والسياق ؛ كما ترى . وينسب ابن هشام فهم الشرط إلى (أو) فهو يقول فى المغنى فى تعداد معانى أو : « الحادى عشر : الشرطية ؛ نحو لأضربنه عاش أو مات ، أى إن عاش بعد الضرب وإن مات . ومثله : لآتينك ، أعطيتنى أو حرمتنى . قاله ابن الشجرى » .

وقد نبا البحترى عن هذا المنهج فى قوله ــ على رواية طيف الخيال ــ :

أهــلا بذاكم الخيال المقبــل فعل الذى نهواه أم لم تفعل

وقد يقال فى تسويغ هذا : إنه بناه على تقدير سواء . أى سواء أفعل الذى نهواه أم لم تفعل ، ولكن هذا التخريج يستلزم حذف سواء أو الهمزة ، ولم يعهد مثل هـذا ولم يأت فى كلام عربى يحتج به .

على أن مبعث هذا الخطأ تقارب أم وأو ، حتى إن ابن كيسان يزعم أن أم أصلها أو ،

أبدلت الواو فيها ميما ، ويرد عليه النحويون هذا الزعم ، ومن أراد هذا فليرجع إلى همع الهوامع للسيوطى . ومن آثار هذا التقارب أن (أو) تأتى فى مكان (أم) فى قولهم : ما أدرى أسلم أو ودع ، فالذى يأتى بعد (ما أدرى) هو أم المعادلة للهمزة . ولكن جاء عنهم هذا الكلام والنحويون يجعلون الحرف (أو) فيه للتقريب . ويقول الدسوقى فى كتابته على المغنى فى تعليل هذه التسمية فى هذا المثال : « أى لأنها قربت الوداع من السلام . وهذا المثال يقال لمن قال لمحبه : السلام عليكم ، ثم ودعه وانصرف ، وهو متعلق به . فالذى يدل على قرب الوداع من السلام أو . » . ومثل هذا المثال الذى جاءت فيه أو بدل أم قولهم : ما أدرى أأذن أو أقام إذا أسرع بالأذان والإقامة . ويقول ابن جنى فى الخصائص ٢ / ١٦٩ فى تعليل هذا : « فهو أنه لم يعتد أذانه أذانا ولا إقامته إقامة ، لأنه لم يوف ذلك حقه . فلما ونى فيه لم يثبت شيئا منه » . وكأنه يريد أن المعادلة بأم تقتضى أمرين تامين عودل بينهما ، ولما كان الأذان والإقامة هنا للإسراع فيهما ناقصين لم يكن المقام لأم ، وأتى بأو . وهذا يرجع إلى التقريب الذى ذكره ابن هشام ، فإن الإسراع بهما يقضى بتقاربهما . فالأمر فيه كالأمر فى قولهم : ما أدرى أسلم أو ودع .

هدف ، أهدف ، استهدف

يكثر فى هذه الأيام استعمال هدف واستهدف . يقال : إن أولى الأمر يهدفون إلى إصلاح المجتمع ورفع الحيف والجور ، وإنهم يستهدفون خير الناس .

والأصل فى هذا المعنى الهدف . وهو ما ينصب غرضا يرميه الرامى بالقوس ونحوها ليصيبه . وللنضر بن شميل تفصيل حسن فى هذا ، فهو يقول ـ على ما جاء فى اللسان ـ : « الهدف : ما رفع وبنى من الأرض للنضال . والقرطاس : ما وضع فى الهدف ليرمى . والغرض : ما ينصب شبه غربال أو حلقة » .

وقد قال العرب من الهدف : أهدف الشىء واستهدف أى انتصب كالهدف . يقال : أهدف لك الصيد فارمه ، واستهدف لك البلد إذا شخص لك وظهر حين تدنو منه .

ويرى القارئ أن أهدف واستهدف لازمان لا متعديان ، وأنهما ينسبان للشىء ليرى لا للرائى ، فلا يقال أهدفت للصيد ولا استهدفت له . وإذا أريد التوسع فيما جاء عن العرب تقول : استهدف لى صلاح أخى إذا ظهر لك صلاحه ، واستهدف لى الخصب فى هذا العام ،

وهكذا أهدف . فليس من سبيل إلى أن يقال : استهدفت صلاح أخى ، فهذا يجافى ما جاء عن العرب من قبل تعديته ، ولم يرد هذا عن العرب ، ومن قبل الإسناد ، فالاستهداف فى هذا المثال لصلاح الأخ لا للتكلم ، فحرى بالأدباء ترك استهدف فيما يستعملونه فيه .

على أن فى أهدف ذروا من القول وبقية من حديث . فقد ورد فى بعض ما أثر من الكلام متعديا . وذلك فى قول حمدان بن أبان اللاحق من المحدثين :

أليس من الكبائر أن وغدا   لآل معذل يهجو سدوسا
هجا عرضاً لهم غضاً جديدا   وأهدف عرض والده اللبيسا

ـ اللبيس : الثوب يكثر لبسه فيبلى . أراد عرض والده يتناوله الناس باللهجاء والقدح حتى صار كالثوب اللبيس ـ فقوله : أهدف عرض والده أى جعله هدفا وغرضا للرمى بالمسبة والعاب ، فقد جاء به متعديا على خلاف ماجاء عن العرب . ويقول المرصفى فى شرح الكامل ٦ / ٢١٨ عند إيراد المبرد هذا الشعر : « (وأهدف عرض والده) يريد : جعله هدفا يرمى . ولم أجد ذلك الفعل فى اللغة » . وفى سيرة دحلان المطبوعة على هامش السيرة الحلبية عند الكلام على عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل فى الحديث عن مقابلته / وفد كندة . « قال قائل : أنهدف نحورنا للعرب دونك » . وأياما كان الأمر فالعصريون لا يستعملون أهدف ، وإنما ذكرت ما يتعلق به توفية للمقام .

فأما هدف فلا ترد فى اللغة للمعنى الذى تقال فيه اليوم ، ولا تتصل بالهدف ، وإنما يقال : هدف إلى الشىء : دخل فيه وهدف للخمسين من سنيه أى قاربها . ويقال أيضا : هدف إذا أسرع . ويصح تخريج المعنى العصرى بضرب من المجاز ، فهدف تستعمل اليوم فى معنى قصد وتوخى ، والقصد إلى الشىء يكون سبباً فى الدخول فيه ، وفى مقاربته ، وقد يكون سبباً فى الإسراع إليه ، فيكون هذا من إطلاق المسبب على السبب ، وهذا كثير جار فى اللغة. وقد نص اللغويون على أن مضارع هدف فى معنى أسرع مكسور العين أى من باب ضرب . وأهمل صاحب القاموس مضارع هدف فى معنى دخل وقارب وإذا عملنا باصطلاحه يكون هذا الفعل من باب نصر . فقد وضع أنه إذا أتى بفعل ولم يأت بمضارعه فهو من هذا الباب وضم الدال فى يهدف هو ما نسمعه فى الإذاعة فى هذه الأيام .

القناقن والقناء

كثر فى هذا العصر استنباط المياه الأرضية (الجوفية) ، واستنباط النفط (البترول) . وقد اخترعت آلات دقيقة لتعرف النفط أو الماء فى أعماق الأرض البعيدة ، يقوم بها مهندسون وخبراء تخصصوا بها . وهم يأتون فى هذا الباب بما يلتحق بالعجائب . إذ يفجرون الماء من الصخر الصلد ، والنفط فى البلد المحل والحجر الأصم .

وقد كان العرب من همهم تعرف الماء تحت الأرض فى حفر الآبار ، ويبدو أنه كان فيهم خبراء بصراء بهذا الأمر ، وقد جاء عنهم دعاء البصير بهذا بالقناقن والقناء ؛ حتى ليصح القول بأنه كان فيهم مهندسون لهذا الغرض.

فقد جاء فى اللغة أن القناقن : البصير بالماء تحت الأرض ، وفى عبارة بعض اللغويين أنه المهندس الذى يعرف الماء تحت الأرض ، ويقول بعضهم : إنه هو الذى يتسمع فيعرف مقدار الماء فى البئر قريبا أو بعيدا .

ومن علم العرب أن الهدهد يبصر الماء تحت الأرض . وجاء فى سورة النمل فى حديث سليمان عليه الصلاة والسلام أنه تفقد الطير فلم ير الهدهد فسأل عنه حتى جاءه الهدهد بخبر الملكة ذات العرش العظيم .

وقد سئل ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : لم تفقد سليمان الهدهد بين الطير ؟ فقال : لأنه كان قناقنا يعرف مواضع الماء تحت الأرض . وفى القاموس : « الهدهد قناء الأرض ومقننها أى عالم بمواضع الماء منها » .

وإنى أرى أنه يحسن تسمية مهندس استنباط الماء أو النفط بالآلات الحديثة بالقناقن أو القناء .

نيل المعدن

يذكر الفقهاء فى مبحث إحياء الموات نيل المعدن لما يخرج منه . والنيل فى الأصل العطاء ، فكأن ما يخرج من المعدن عطية يجود بها على معالجيه ، ويذكرون من المعدن النفط والكبريت . ويعبر العصريون عن هذا المعنى بالإيراد ، فيقال : إيراد بئر النفط كذا ، والأولى الرجوع إلى النيل ، فيقال : نيل البئر كذا إحياء لهذه الكلمة ، وهكذا يقال فيما جرى هذا المجرى .

محمد على النجار

دعائم المنهج الخلقى الاسلامى

— ٢ —

الدعامة الخامسة : طهارة القلوب وصفاء النفوس ، فقد عنى الإسلام بتطهير القلوب من كوامن الحقد والضغينة ، وسوء القصد وخبث الطوية ، وتصفية النفوس من شوائب الرياء وأوضار النفاق .

فأمر المسلمين بالمسالمة والتوادد ، والتآخى والتآلف ، وحثهم على التعاطف والتراحم ، كما فى قول الله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ، « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ، « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » ، وقوله صلى الله عليه وسلم (لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، (المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) ، (ومثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وبذلك جمع الإسلام بين المسلمين برباط روحى وثيق ، يجمع قلوبهم ويوحد صفوفهم ، ويمهد لهم سبيل التعاون والتناصر فى دينهم ودنياهم .

ورغبهم فى العفو والصفح ، وكظم الغيظ والتسامح ، والتجاوز عما يقع بينهم من الهفوات والعثرات ، والأخذ بالأيسر من الأمور فى المعاملة والمعاشرة ، إبقاء على ما بينهم من الروابط والصلات ، كما فى قوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين : الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا » ، « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وقوله صلى الله عليه وسلم للأشج حين وفد عليه « إن فيك يا أشج خلتين يحبهما الله ورسوله ، قال ماهما بأبى أنت وأمى يا رسول الله ؟ قال : الحلم والأناة » .

فكظم الغيظ عندما تغلى مراجل الغضب فى القلب ، وعدم إنفاذه مع القـدرة على الانتقام والتشفى ، ودفع السيئة بالتى هى أحسن ، كدفع الغضب بالصبر ، والجهل بالحلم ، والإساءة بالعفو . والترفق والتأنى فى تدبير الأمور وتصريفها ، هى المواقف التى تتجلى فيها الإرادة القوية والصبر الجميل ، والسيطرة على أهواء النفس ونزغات الشيطان ، وهى المظاهر الخلقية التى تدل على صفاء النفوس وطهارة القلوب ، والتى لا يوفق إليها إلا الذين صبروا ، ولا ينال فضلها إلا ذو حظ عظيم .

فالواجب على المسلم أن يكون سمح الطبع كريم النفس ، لين العريكة نبيل العاطفة ، مالكا لقياد نفسه وهواه ، يقبل معاذير أهل الهفوات والعثرات ، ويعفو عمن نبا به اللسان أو زلت به القدم ، ويؤثر ما عند الله من حسن الجزاء وعظيم الأجر ، على الانتقام والتشفى من غيظه ، فما عند الله خير وأبقى ، وأمرنا بإصلاح البواطن والسرائر ، والإخلاص لله فى القول والعمل ، وحذرنا من انطواء الصدور على الحقد والضغينة وسوء الطوية ، كما فى قوله تعالى : « واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه » ، « وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون » ، « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، وذم النفاق وأهله ، وأنذرهم بأن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ويحصى عليهم أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » « أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون » وهددهم بأشد أنواع الوعيد والتهديد ، وجعلهم فى الدرك الأسفل من منازل الجحيم ، كما قال جل جلاله « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » ، « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » وكشف لنا عن أخلاقهم وخبث طوياتهم ، وتلونهم فى سلوكهم ومعاملاتهم ، لنأخذ حذرنا من عدوى أخلاقهم والوقوع فى شرورهم ومفاسدهم ، فبين أن من أخص أخلاقهم وخلالهم ، أنهم يخادعون ويراءون فى أقوالهم وأعمالهم ، ويظهرون من الأقوال والأعمال خلاف مايبطنون . كما قال تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ، مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » وأنهم يستخفون من الناس فى تدبير خياناتهم ومؤامراتهم فى الخفاء ، ولا يستخفون من الله الذى يعلم سرهم ونجواهم ، ويرى ويسمع حركاتهم وسكناتهم ، كما قال عز شأنه : « يستخفون من الناس

ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، وأنهم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، كما قال تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » ، وأنهم إذا حدثوا كذبوا فى حديثهم ، وإذا عاهدوا غدروا بعهدهم ، وإذا وعدوا أخلفوا وعدهم ، وإذا خاصموا فجروا فى خصومتهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » .

ومن هنا يتضح لنا أن المؤمن الصادق فى إيمانه ، هو الذى لا ينافق ولا يتلون فى قوله وعمله ، ولا يدبر للناس بليل ، ولا يكيد لهم فى الخفاء ، ولا يطعن فى ظهور الغافلين عن خيانته وغدره ، ولا يكذب إذا حدث ، ولا يغدر إذا عاهد ، ولا يخلف إذا وعد ، ولا يفجر إذا خاصم ، ولا يخون إذا اؤتمن ؛ لأنه يؤمن بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه تعالى يحصى على العباد كل مايقولون ويعملون ، ويحاسبهم بما يبدون وما يخفون ، هذه هى الشخصية التى تتمثل فيها روح الإيمان وأخلاق الإسلام ، وإنما عنى الإسلام بشأن النفاق كل هــذه العناية ، لأن النفاق هو الداء الدفين الذى تتفشى جراثيمه فى كل مجتمع ، والخديعة التى تدخل على الناس فى ألوان مختلفة وبأسماء مزيفة ، فيدخل عليهم تارة باسم الدهاء وسعة الحيلة ، وتارة باسم المهارة والسياسة ، وتارة باسم مجاراة الظروف ومسايرة الأحوال ، وهكذا تتعدد الألوان والأسماء ، ولكن الحقيقة واحدة وهى النفاق .

وهو الذى يقلب الحقائق والأوضاع ، ويوجب اختلال موازين الحكم على الأقوال والأفعال ، ويطمس معالم الفوارق بين المصلحين والمفسدين ، ويصور أهله الناس على غير حقيقتهم ، فتراهم يلبسون لباس الأخيار وهم الفجار ، ويظهرون بمظهر الأحرار الأعزة وهم العبيد الأذلة ، ويزعمون أنهم المصلحون وهم المفسدون ، ويدعون أنهم دعاة المبادئ وقادة الإصلاح ، وهم فى حقيقة أمرهم لا مبدأ لهم ولا عقيدة ، ولا عهد لهم ولا ذمة ، وإنما هم يسيرون فى ركاب كل سائر ، ويستمعون لكل هامس ، ويستجيبون لكل ناعق ، ويطيرون مع كل عاصفة ، وينحازون إلى كل طاغية ، إذ ليس لهم رائد من الحق يلتزمون طريقه ، ولا هدف من الإصلاح يسلكون سبيله ، وإنما رائدهم مرض القلوب وطاعة الأهواء ، وهدفهم تحقيق المآرب الشخصية ولو كان ذلك على حساب المبادئ والأخلاق .

الدعامة السادسة : عفة اللسان والمنطق ، وهى كف اللسان عن فضول الكلام ولغوه ،

والخوض فى أعراض الناس وأسرارهم ، وصونه عن كل ما يكدر صفو الروابط الإسلامية والصلات الإنسانية ، فقد خصها الإسلام بنصيب كبير من العناية والرعاية :

فأمر بالصدق وحث على التخلق به ، ونهى عن الكذب وحذر من سوء عاقبته ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

وحرم الغيبة والنميمة ، والسباب والفحش ، كما فى قوله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم » وقوله تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم » وقوله صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ، « إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، من تركه الناس اتقاء شره ، وفى رواية اتقاء فحشه » .

والهماز هو العياب المغتاب ، والمشاء هو النمام الذى يسعى بين الناس بالكلام بقصد الإفساد والوقيعة .

ونهانا عن السخرية والتنابز بالألقاب ، وتحقير الناس وازدرائهم ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » وقوله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » ، « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

ويين لنا أن استقامة اللسان هى سبيل النجاة والسلامة ، وأن انحرافه طريق الهلكة والندامة ، كما جاء فى حديث عقبة بن عامر ، قال قلت : يارسول الله ما النجاة ، قال : (أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك) وكما فى قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل (ألا أخبرك بمـــلاك الأمر كله ، قال بلى ، قال : كف عليك لسانك ، قال : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال ثكلتك أمك يامعاذ ، وهل يكب الناس فى النار

على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم !) وقال : على كرم الله وجهه فيما يروى عنه « والله ما أدرى عبدا يتق تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه ، وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإن قلب المنافق من وراء لسانه، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره فى نفسه ، فإن كان خيرا أبداه ، وإن كان شرا وراه ، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه ، لا يدرى ماذا له وماذا عليه، ولقد قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

الدعامة السابعة : الصبر ، وهو من أجل الدعائم منزلة وأعظمها أثراً ، بل هو ملاك الدعائم وقوامها ، ولهذا عنى الإسلام بشأنه عناية كبرى ، وتحدث عنه القرآن فى نيف وسبعين موضعا .

فأمر به وأكبر من شأنه ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، « وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ، « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » .

ومدح الصابرين وأجزل لهم العطاء والأجر ، كما قال عز وجل : « ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » ، « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » ، « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، وهكذا جمع الله للصبر من درجات الفضل والكرامة ما لم يجمعه لغيره ؛ لأن الصبر هو قوام أمر الدين والدنيا ، فهو عدة الإنسان فى الكفاح والنضال ، وحمل أعباء الحياة وتكاليفها ، ومغالبة الشدائد والأحداث ، واجتياز العوائق والعقبات ، والعاصم الذى يعصمه من الاستسلام لليأس والجزع ، والملاذ الذى يلوذ به فى حمل النفس على الرضا بأحكام القضاء وتصاريف القدر ، والظهير الذى يستعين به على القيام بحقوق الله وحقوق العباد ، والمعتصم الذى يعتصم به فى كبح جماح الغرائز والشهوات ، وكظم الغيظ والسيطرة على نوازع الشر والغضب ، وترويض النفس على التخلق بمكارم الأخلاق والترفع عن سفسافها ، وهو الوسيلة لاستنزال المدد الغيبى والنصر الإلهى ، والسبيل إلى بلوغ الغايات وتحقيق الآمال .؟

يس سويلم طه

المفتش بالأزهر

برامج ومناهج

لم يعد دعاة الشر يقنعون بالكلام فى هذه الأيام ، ولم يعد شرهم مقصوراً على محاولة نشر سمومهم بالدعاية لها . فقد انتقلوا الآن من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل ، بعد أن نجحوا فى التسلل إلى مناصب تمكنهم من أن يدسوا برامجهم ومناهجهم على المسئولين من رؤسائهم وينفذوها فى صمت . ودعاة الشر هؤلاء يعملون فى ميادين كثيرة لا يكاد يخلو منهم ميدان . ولكن أخطر ما يكون إفسادهم إذا تسلل إلى ميدان التعليم . لذلك رأيت أن أكشف فى هذا المقال عن بعض أساليبهم فى هذا الباب .

كان الناس يناقشون الاختلاط ، هل هو جائز أو غير جائز ، وهل هو مفيد أو ضار . وكانت تثيرهم فوضى الجنس التى يروجها القوصى فى مطبوعات فرانكلين تحت ستار الدراسات النفسية . فإذا هذا الاختلاط يصبح حقيقة واقعة بطريق ملتو خفى لم يكد يتنبه إليه أحد ، بعد أن طالت المرحلة الابتدائية إلى ست سنوات يتجاور فيها الذكور والإناث . ومن المعروف أن الإناث فى بلادنا يدخلن سن المراهقة فى وقت مبكر لا يتجاوز السنة الحادية عشرة فى كثير من الأحيان . بل لقد أصبحنا أمام بعض المدارس المختلطة فى مرحلة التعليم الإعدادى ، بعد أن تكشفت تجربة الاختلاط فى الجامعة عن مآسى لا يستطيع تجاهلها إلا مكابر أو مدلس . وأصبح هذا النظام ضرباً من ضروب الإلزام لا يستطيع والد أن يفر منه أو يتفاداه ، لأن عليه أن يختار بين أن يبعث بابنه وبابنته إلى هذا الوسط وبين أن يحرمهم من التعليم ويحجبهم فى ظلمات الجهل . بل إنه لا يستطيع اختيار الطريق الثانى ـ على ظلمه وظلامه ـ لأن قوانين الدولة تجبره على أن يعلم أولاده حتى نهاية هذه المرحلة الأولى على الأقل .

وكان الشعوبيون يروجون للهجات السوقية المحلية التى يسمونها العامية بمختلف الأساليب وكان أعداء العروبة والإسلام يتحايلون فى انتزاع الدراسات العربية من حضانة الدين والقرآن ، حتى قال قائلهم : « فالذين يزعمون لنا أننا نتعلم العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب ، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من النتائج العلمية والعملية إنما يخدعون الناس ،

وليس ينبغى أن تقوم حياة الأمم على الخداع ؛ فإن اللغة العربية ليست ملكا لرجال الدين يؤمنون وحدهم بها ، ويقومون وحدهم من دونها ، ويتصرفون وحدهم فيها . لكنها ملك للذين يتكلمونها جميعاً من الأمم والأجيال . وكل فرد من هؤلاء الناس حر فى أن يتصرف فى هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التى تبيح له هذا التصرف . وإذا فمن السخف أن يظن أن تعليم اللغة العربية وقف على الأزهر الشريف والأزهريين ، وعلى المدارس والمعاهد التى تتصل بينها وبين الأزهر والأزهريين أسباب طوال أو قصار . هذا سخف لأن الأزهر لا يستطيع أن يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية جميعاً وفيهم المسلم وغير المسلم (١) » والغرض الذى يرمى إليه صاحب هذا الكلام من قطع الصلات التى تربط الدراسات العربية بالدراسات الإسلامية هو أن ينزع عن العربية قداستها ويحرمها من حماية الدين وحضانته ليكشفها أمام أعدائها ويعينهم على الإجهاز عليها بعد أن يفردها من كل نصير أو معين . ولم يستح صاحب هذا الكلام وشيعته أن يتخذوا مجمع اللغة العربية فى القاهرة ومكاتب جامعة الدول العربية ومؤتمراتها ميدانا لنشاطهم ، فدعا أحدهم فى المؤتمر الأول لمجامع اللغة العربية بدمشق إلى تأليف معاجم محلية لا يثبت فيها إلا ما بقى من لهجات العرب حيا فى عامية كل إقليم . ودعا آخر إلى إعادة النظر فى تبويب النحو وتدوينه من جديد . وكان ذلك كله كلاما فى كلام . فإذا بنا الآن أمام هذه المشاريع جميعاً منفذة فى كتب القوصى وشركاه المشهورة بكتب « شرشر » أو « جلا جلا » ، وفى كتب النحو الجديد التى يتولى إبراهيم مصطفى توجيهها . ولم يثنهم عن عزمهم ما قرره مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول فى دمشق من أن مشاريعهم تحتاج إلى مزيد من الدرس والمراجعة والتمحيص ، بل لقد استصدر قسم للغة العربية فى إحدى كليات الآداب منذ ثلاث سنوات قراراً بإنشاء شعبة سماها « شعبة الدراسات العربية الحديثة » ، أخلى الدراسة فيها من النحو والصرف والبلاغة ومن الشعر العربى ونصوص الفصحى ومن الأدب العربى والتاريخ الإسلامى ومن القرآن والحديث ، وجعل مكان ذلك كله « دراسات لغوية حديثة » و « التطور اللغوى العربى فى العصر الحديث » و « واللهجات العربية الحديثة » و « الأدب

---

(١) الفقرة ٣٦ من كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » لطه حسين ص ٢٣٠ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤ .

الشعبي » و « المذاهب الكبرى فى الآداب الأوروبية » و « مدارس القصة » و « تطور الفكر الإسلامى فى العصر الحديث » .

وكان أعداء الإسلام من عمال الاستعباد والتبشير وسماسرة الصهيونية الهدامة يشنعون بجمود علماء الشريعة الإسلامية أو من يسمونهم خطأ (رجال الدين الإسلامى) ، ويندون بتخلف الأزهر عن ركب الحياة بزعمهم . فإذا بنا نفاجأ بأحد أعضاء (لجنة التربية الدينية) بوزارة التربية والتعليم يقترح إنشاء شعبة للدراسات الإسلامية فى كليات الآداب لتخريج مدرس الدين الإسلامى المرن الذى يستطيع أن يساير الزمن .

هذه بعض أمثلة تصور الأسلوب الجديد الذى يعتمد على (الغزو من الداخل) - إن جاز لى أن أستعير تعبير المستر دالاس - الذى لم يعد أصحابه يقنعون بالدعاية وباجتذاب الأنصار والاستكثار منهم عن طريق الإقناع أو الإغراء أو الإرهاب . إنهم يعتمدون فى أسلوبهم الجديد على أفراد عصاباتهم الذين نجحوا فى التسلل إلى مراكز القيادة ، فأصبح فى استطاعتهم أن يجعلوا من أوهامهم التى لم ينجحوا فى إقناع الناس بها حقيقة واقعة بقرار أو بجرة قلم كما يقولون . ولأوضح قليلا بعض ما فى كلامى السابق من إجمال .

كتب (القراءة الجديدة) المتداولة فى الإقليم المصرى ، التى وضعتها لجنة تعمل بتوجيه عبد العزيز القوصى وسعيد العريان تعتمد على أسلوب جديد لا يمكن أن نصفه بأنه عربى مهما اجتهد أصحابه فى تبريره ، بما يزعمونه من أن كلماته التى تبدو من عامية مصر يمكن أن تجد سنداً من معاجم اللغة يصلها بإحدى لهجات العرب . هذه الكتب لا تتجنب الفصيح الذى أجمع عليه العرب والمسلمون لغرابته أو لثقله ، ولكنها تتعمد إهماله لأنها تريد أن تهمله وأن تجعل استعمال لهجة الأسواق فى الكتب المدرسية أمراً واقعاً مقرراً . وهم يعلمون حق العلم أن هذه الكلمات الملتقطة من أسواق مصر وطرقاتها - مهما جاءوا بأشجار للأنساب تثبت عروبتها - ليست عامة فى بلاد العرب جميعاً . فهى مجهولة فى بعضها ، وهى مستعملة بمعنى آخر فى بعض آخر ، لأن الفصحى التى تجمع العرب بل المسلمين اليوم هى فصحى قريش خاصة التى نزل بها القرآن والتى دون بها الحديث والفقه والأدب وكل ما أثمرته الحضارة العربية من علوم وفنون ، وهى أفصح لهجات العرب وأسلها دون نزاع ، فرضتها صلاحيتها ونشرتها قبل أن ينزل بها القرآن ، فكان العرب على اختلاف قبائلهم يكتبون شعرهم بها .

ولا يستعملون لهجات قبائلهم إلا فى ضرب من ضروب الأدب المحلى المسف الذى يقرب مما يسميه بعض الناس اليوم الأدب الشعبي ، وهو الرجز . فهذه الكتب الجديدة التى يراد بها تقرير لغة جديدة للتدوين ، وإحقاق باطل فشل أصحابه فى إقناع الناس به رغم ما بذلوا له من دعاية طوال نصف قرن أو يزيد ، تريد فى ضحى القومية العربية أن ترد العرب إلى ما قبل الجاهلية .

على أن الكلمات السوقية (الملتقطة من أسواق مصر وطرقاتها) التى يصر القوصى والعريان وشركاؤهما على استعمالها لها ما يقابلها من الفصيح المستعمل المأنوس . بل إنهم يعدلون فى أكثر الأحيان عن الفصيح السمح الجميل إلى السوقى السمج الثقيل . فى مثل : (العسكرى ، حلق عليه ج ٢ ص ٢٩) (حطت اللحم فى الحلة ٢ : ٢٧) (مبسوط ٢ : ٤٠) (شاف ٢ : ٥٠) (زيطة ١ : ٦٠) (استغرب ٢ : ٧٢) (زعلان ٣ : ١٠) (ابن الحلال ٣ : ١١) (بص ٣ : ١٤) (حطها فى القفص ٣ : ٤٣) (ينظرون إلى القمر فيتهيأ لهم أشكال غريبة ٤ : ٦٥) (المخدة ٤ : ٨٩) (زاحنى فى البحر ٤ : ٩١) (يتزحلق ٤ : ٩٢) . فمقابل هذه الكلمات من الفصيح مشهور خفيف شائع ، وهو ـ على الترتيب السابق : الشرطى ـ اعترضه أو وقف فى وجهه (أو فى طريقه) ـ وضعت اللحم فى القدر ـ مسرور ـ رأى ـ ضوضاء أو ضجيج أو لغط ـ دهش أو عجب ـ غضبان ـ ابن الكرام ـ نظر ـ وضعها فى القفص ـ يتخيلون (أو يتوهمون) أشكالا غريبة ـ الوسادة ـ دفعنى إلى البحر ـ ينزلق .

هل يرى القارئ مبرراً لإهمال هذه الكلمات الفصحى التى هى قدر مشترك بين سائر العرب وأصحاب الثقافات العربية من المسلمين ؟ أليست هذه الكتب هى التنفيذ العملى لاقتراح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس ـ ولا أقول مندوب تونس ـ فى مؤتمر مجامع اللغة العربية الذى دعا فيه إلى (ان نؤلف لكل قطر معجما صغيراً لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بقيت مستعملة بمعناها الأصلى فى لغة ذلك القطر ، وأن يوصى معاهد الأحداث والعامة بالاقتصار عليها قدر المستطاع) ؟ .

وإنى لأتساءل : كيف السبيل إلى إخراج هذه الكلمات من عقول الصغار بعد أن تنقش نقشاً فى حافظتهم الغضة الحساسة ؟ ثم إنى أتساءل : أين يتعلم صبية العرب وشبابهم فصحاهم الجامعة لشملهم إذا لم يتعلموها فى المدارس ؟ ثم إنى أتعجب لما تحويه هذه الكتب ـ وكتب

المطالعة فى عمومها - من تفاهات غثة تبدد أعمار التلاميذ فى سخافات لا تفيد أسلوبا ولا ثقافة ولا خلقا . فهى لا ترتفع فى معظم محتوياتها عن تسجيل الواقع المسف ، المنافى للدين والخلق المهذب فى كثير من الأحيان ، من مثل وصف (الحاوى) وسائس القرود ، وعادات الناس - وجهالهم خاصة - فى زيارات الأضرحـــة وفى الأذكار ، ووصف مجتمعاتهم فى الموالد وفى المناسبات وفى الأسواق ، وتسجيل أساليب الباعة المتجولين فى ترويج بضائعهم ولفت المشترين إليها . لماذا نفوت على التلميذ فرصة التحصيل المثمر أنشط ما تكون حافظته وأحد ما تكون ذاكرته قدرة على الاستيعاب السريع العميق ؟ كنا نشب على جملة من نصوص رائعة لأعلام الشعر والأدب فى مختلف العصور ومن شتى بلاد العرب ، وكنا نروض أذواقنا وأخلاقنا على طائفة من قصص نافعة تمجد ضروبا من البطولة العربية والإسلامية ، فاستبدلوا بذلك كله هـــذه السخافات الغثة ، التى لا تعين على تكوين الملكة العربية أو الذوق العربى .

وحجة أصحاب هـذه المناهج تنحصر فى أنهم لا يقدمون للنشء إلا ما يلائم عقولهم وتفكيرهم ، وأنهم يتجنبون تكليفهم حفظ ما لا يستطيعون تدبره وفهمه ، ومن المسلم به أن الصبى لا يعى كل ما يحفظه وعيا كاملا ، ولكن لا ينبغى أن يفوتنا أنه يختزنه إلى أن ينضج عقله فيستخرج هذا المدخر آنا فآنا ليتدبره ، ولو سلمنا باستبعاد كل ما لا يستطيع الصبى أن يتدبره فى صباه لا نبنى على ذلك استبعاد تعليمه أن الأرض كرة وأنها تدور ، واستبعاد تعليمه أن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ولما كان هناك محل لحفظ القرآن أو تعليم الدين والعبادات - وإن كان ذلك هو فعلا مذهب بعض التربويين الذين نقعوا أدمغتهم فى الثقافة اللادينية - والحقيقة التى ينبغى أن يقوم عليها تصورنا لهذه الأمور - بقطع النظر عن كل ما يستورده التربويون من قواعد عرجاء لا يعرف أحد مصدرها ولا الأغراض التى صنعت من أجلها - هو أن الصبا زمن نشاط الذاكرة وحدتها وما أصدق ما كان يردده آباؤنا من أن (التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر) .

فيجب أن تستغل هذه الحدة إلى أبعد حدود الطاقة وبقدر ما يسع الجهد ، ثم يجىء وقت ينمو فيه التفكير وتضعف الذاكرة فى الوقت نفسه ، وعند ذلك يتدبر الرجل ما حفظ فى صباه ، ويصبح لكثير مما كان يردده من غير وعى معنى جديد ، والإنسان من هذه الناحية

يشبه فى تفكيره الحيوان المجتر فى طعامه ، يختزن مادة التفكير حين تتاح له فرصة الاختزان ثم يعيد استخراجها فى وقت متأخر لكى يهضمها ويتدبرها ، ولو أنه ترك فى صباه حفظ ما لا يدرك كل معناه ، لما أمكنه أن يحفظه عند نضج تفكيره ، لأن التفكير ينمو على حساب الذاكرة .

وهناك حقيقة ينبغى أن لا نغفل عنها أو نهملها ، وهى أن الشخصية العربية هى القاعدة التى تستند إليها القومية العربية . والشخصية العربية تقوم على تشابه أذواق العرب وملكاتهم . وهذا التشابه يرتبط ارتباطا وثيقا بتراثنا الثقافى العريق وبعمالقة الشعر والأدب خاصة ، الذين سجلوا مثلنا العليا إيجابا وسلبا فى شعر الحماسة والأدب والرثاء والهجاء ، وفى الخطب وفى الرسائل بمختلف صنوفها ، بين ديوانية وإخوانية ووصفية ووعظية وأخلاقية . فإهمال أدبنا القديم وتوجيه أكثر العناية إلى الأدب الحديث ، بل التافه منه فى الأعم الأغلب ، وتجنب ما كان منه على منوال القديم جزالة وروعة وفخامة أسلوب واحتفالا بالمعانى الكبار ، خليق أن يعين على تدعيم ما يدبره بعض المفسدين فيسلكون إليه مختلف المسالك ويعالجونه بشتى الأساليب ، حين يسعون إلى فصل حياتنا الراهنة والمستقبلة عن مصادرها القديمة حتى تتفرق جماعتنا ويتشتت شملنا ، وحتى لا تكون أخلاقنا امتدادا لخلق آبائنا ، ولا تكون أذواقنا امتداداً لأذواقهم ، ولا تكون لغتنا وأساليبنا امتداداً للغتهم وأساليبهم ، وحتى لا تكون مذاهبنا فى الفن والأدب امتداداً لفنونهم وآدابهم ، بل لا يكون إسلامنا امتداداً لإسلامهم . فإذا نجحت هذه العصابة فى أن يجعلوا (المجتمع الجديد) الذى يتحدثون عنه مقطوع الصلة بماضينا فى الدين وفى اللغة وفى العادات وفى الذوق الفنى وفى المزاج وفى التمثين الخلق . فأى جامعة يمكن أن تجمعنا عند ذاك ؟ وأى طابع يمكن أن يميزنا عن غيرنا من سائر خلق الله ويجعل لنا الحق فى أن نقول إننا قوم ، إننا عرب ؟ ما أيسر أن نكون عند ذلك تبعا لسادة الشرق أو الغرب وذيلا لكائن من كان ممن يريد أن يستلحقنا كما كان السادة يستلحقون العبيد فى عصور الرق .

أقول ذلك وأنا أعلم أن هذه الأساليب الفاسدة كلها حائلة زائلة إن شاء الله ، وأنها لن تقوى على مقاومة مد القومية العربية الذى لا يزال يعلو ويرتفع . وبوادر ذلك وطلائعه واضحة فى كثير من كتب هذا العام الدراسى التى خضعت برامجها للاتفاقية الثقافية .

ولكنى انتهزت الفرصة لأنبه فى هذا المقام إلى أساليب يعتمد مروجوها أكثر مايعتمدون على غفلة الناس عنهم وجهلهم حقائق مايهدفون إليه ، ولألقى الضوء على بعض ما يدبره المفسدون فى الظلام .

وأصحاب النحو الجديد ، أو مايسمونه (تيسير النحو) ، شعبة من تلك الفرقة الموكلة بهدم تراثنا وقطع كل صلة تربطنا به . فهم لايهدمون لأن الهدم هو وسيلتهم إلى البناء من جديد كما يزعمون ، ولكنهم يهدمون فى حقيقة الأمر لأن الهدم هو هدفهم وغايتهم . وهم بهذا الهدم يمهدون الأرض ويسوونها لبناء جديد ولكنه للأجنبى لا لنا ، ويمحون كل ما فى صحفنا لتصبح صحفا بيضاء يسطرون فيها أو يسطر فيها الذين يسخرونهم لما يعملون ، من بعد مايشاءون . نعم أصحاب القواعد الجديدة شعبة من هذه الفرقة . وقواعدهم الجديدة ليست إلا أسلوبا فى الهدم .

زعم أصحاب القواعد الجديدة أن قواعد النحو التى صنعها اثنا عشر قرنا سخيفة معقدة . وزعم لهم صاحبهم أنه سيلخص لهم هذه القواعد فى كلمات ، فقسم الكلام إلى مسند ومسند إليه وتكملة ، وسمى كلامه هذا تيسيراً . والوصف الصحيح له أنه تعقيد ، لأن الاصطلاحات المتداولة ــ ولا أقول القديمة ــ أدنى إلى عقل الناشئ وتصوره . ومن الذى يخطئ فى فهم مدلول كلمة « فعل » و « فاعل » . إن الأمى الجاهل والساذج الذى لاحظ له من الثقافة النحوية يستعمل هذه الكلمات بمدلولاتها النحوية فى حديثه اليومى المألوف . الخفير والشرطى يسأل : من (الفاعل) ؟ ويقول : قبض على (الفاعل) ، ويقول : (الفاعل معلوم) أو (الفاعل مجهول) . والفلاح فى حقله يقول : ذا (فعل) الكرام وذا (فعل) اللئام ، ويسأل : ما (الخبر) ؟ هذه هى المصطلحات التى استبدلوا بها (المسند) و (المسند إليه) ، فسموا الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ مسنداً إليه ، وسموا الفعل والخبر مسنداً . وإدراك معنى هاتين الكلمتين يحتاج إلى تصور الإسناد ، وهو فكرة عقلية لايمكن بحال أن توصف بأنها أقرب إلى أفهام الصبية من المصطلحات الجارية المتداولة . فإذا كان المقصود هو التبسيط والتيسير حقا كما يزعمون فلا شك أن الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أقرب إلى عقول الصبية فى هذه السن وأيسر تصوراً وأسلس نطقا وأخف وقعا فى الألسن وفى الآذان من المسند والمسند إليه .

على أن أصحاب التيسير المزعوم قد احتاجوا بعد ذلك إلى تفصيل المنصوبات وتبيينها ، ولم يروا إطلاق اسم (التكملة) عليها جميعا وافياً بالغرض ، فتكلموا عن (التكملة بالزمان) و (التكملة بالمكان) و (التكملة بالحال) و (التكملة بالمفعول) . فما الذى بسطوه ؟ وأى شيء ضموه سوى أنهم أضافوا كلمة (التكملة) فعقدوا الاصطلاح وصعبوه وطولوه بدل أن ييسروه ويختصروه ؟ .

ثم إنهم بعد أن تحاشوا اصطلاح (الفعل) و (الفاعل) لغير سبب واضح أو مبرر معقول احتاجوا للكلام عن (المفعول) . ألم يكن بناء (المفعول) على (الفعل) و (الفاعل) أيسر فى العقل وأقوم فى الترتيب وأنسق فى التسلسل من بنائه على (المسند) و (المسند إليه) .

وقد يحتج أصحاب التيسير المزعوم لصنيعهم بأن البلاغيين ، وأصحاب علم المعانى على الخصوص ، قد اتخذوا هذا التقسيم واستعملوا بعض هذه المصطلحات . ومن المعروف المشهور أن الاصطلاحات تختلف باختلاف العلوم والفنون ، وأنها تتبع احتياجاتها وتصدر عن طبيعة كل منها وعما يهدف إليه وما يريد أن يؤديه من غرض . وطبيعة النحو وهدفه تختلف عن طبيعة علم المعانى وهدفه . فالنحو همه ضبط أواخر الكلمات وتفصيل ذلك على مايقوم فى ذهن المتكلم من تصور ، بحيث يكون هذا الضبط وسيلة لتصوير المعنى بحسب اصطلاح أصحاب هذه اللغة وما جرى عليه عرفهم . أما المعانى فهو يتناول الأسلوب، ولا شأن له بالمفردات . وهدفه هو أن يكون الكلام ترجمانا دقيقا صادقا فى نقل تصور المتكلم بكل ما يشتمل عليه وما يحف به من أحاسيس ومن ملابسات ومن ظلال إلى نفس السامع . فهو مرحلة تالية لمرحلة النحو الذى يتعلق غرضه بالصحة والفساد ، بينما يتعلق غرض المعانى بفرق ما بين الصحيح والبليغ ، والدقيق والأدق . لذلك كان اصطلاح البلاغيين على تقسيم الكلام إلى مسند ومسند إليه وفضلة لايجدى شيئاً فى إفادة ضبط أواخر الكلمات ومطابقته للمعنى بحسب ما جرى عليه عرف العرب . فالمسند إليه مثلا لايفيد الرفع على مايزعمه أصحاب التيسير . وهم يعرفون ذلك كما يعرفه الناس . ولذلك احتاجوا فى كتابهم الذى حير المعلمين والتلاميذ على السواء إلى أن يتكلموا عن كان وأخواتها وإن وأخواتها ، وعلى ذلك أصبح

كل من المسند والمسند إليه يقبل الرفع والنصب . ولم يستغنوا عن أن يقولوا إن المسند قد يكون فعلا وقد يكون اسما . ولم يستغنوا حين تكلموا عن المطابقة بين المسند والمسند إليه فى الإفراد والجمع عن أن يستثنوا من ذلك الجمل التى يكون المسند فيها فعلا متقدما . فهل هذا تيسير أم تعقيد ؟ .

هذه أمثلة مما أدركوه من وجوه النقص فى تقسيمهم . وبقى كثير مما لم يدركوه ، مما أشير إليه ولا أحصيه فى مثل (والقمر قدرناه منازل) الذى ينتصب فيه (القمر) مع أنه ليس اسما لإن أو إحدى أخواتها ، الذى زعموه استثناء وحيداً من رفع المسند إليه . وبقى أن نسأل أصحاب التيسير : كيف يصنع الناس بكتب التفسير والحديث والفقه وشروح دواوين الشعر التى تمتلىء صفحاتها باصطلاحات النحو المتداولة التى حكموا عليها بالإعدام ؛ لأنها لا تستغنى عنها حين تعوض لتوضيح المعنى أو بيان الفرق ما بين قراءة وقراءة ورواية ورواية . وبقى أن نسألهم أيضاً : هل استشرتم العرب جميعاً فيما صنعتموه ؟ بل هل استشرتم المسلمين الذين لا يستغنى فقهاؤهم عن تلك الكتب التى لا تستعمل غير اصطلاحات النحو الذى يريدون أن يلحقوه بكل ما يريدون إعدامه والقضاء عليه من (قديم) ؟ أم أنهم لا يعرفون أن هذه اللغة ليست ملكا لطه حسين وإبراهيم مصطفى ، والقوصى ومن شايعهم ممن يخافهم أو يرجوهم أو يضله شيطانهم . بل هى ليست ملكا للمصريين وحدهم . بل هى ليست ملكا للعرب وحدهم ولا للمسلمين وحدهم من أهل هذا الجيل . وإنما هى أمانة يتحتم علينا أن نحفظها للأجيال من بعدنا كما تلقيناها عمن قبلنا . أقول هذا وأنا أعلم ما سيرد هذا النفر به على . سيقولون : كلما حدثناكم فى شىء أقحمتم فيه الإسلام وقلتم القرآن القرآن ، لا حجة لكم إلا هذا ولا تعلة لكم سواه ! ونحن نقول : نعم . القرآن والإسلام فى تقديركم شىء هين يسير وهو فى تقديرنا كبير خطير . ونحن لا نبالى شيئا تزينونه وتزخرفونه إذا أبعدنا عن القرآن والإسلام . فإن كان القرآن والإسلام عندكم لوناً من الألوان ، وواحدا من اعتبارات كثار فهو عندنا كل شىء ، به نحيا وعليه نموت ، وذلك بأن الحياة عندكم نعيم وزخرف ومتاع ثم لاشىء بعد ذلك إلا الفناء ، فلا قيمة عندكم لشىء لا يتحول إلى لذة أو شهوة أو أرقام . أما نحن فالحياة عندنا معبر للآخرة وطريق إليها ، ومن أجل ذلك نبنى فيها ونعمل ونكافح ونجاهد . لذلك كان الأدب عندكم

لهواً ومتاعا ، وخرافات وأوهاما ، لذة للشذاذ والفارغين ، وكان عندنا أسمى من ذلك وظيفة وأعز مكانا . ومع ذلك كله فالقرآن والإسلام هو سبيلنا إلى العزة فى الدنيا التى تطلبونها ولا ترون سواها ، لأن الذى يفقدهما يفقد الضمير ومراقبة النفس ومحاسبتها فى الصغير والكبير ، ويفقد الدافع القوى الصادق إلى العمل المثمر النافع ، ويفقد الحصانة والمناعة التى تجعله يتماسك ولا ينهار أمام الشهوات والمغريات . ومن فقد ذلك كله فقد الدنيا ، لأنه لا يترك للهوه ولعبه كما كان يظنه ويشتهيه ، بل يسلط الله عليه من يستعبده ويشقيه ، فيصبح عبدا رقيقا فى مزارع السيد الجديد ، يزرع لغيره بعد أن كان يزرع لنفسه . خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

بقى كذلك أن نقول لأصحاب التيسير المزعوم : إن ما أطلقتموه من أسماء لما توهمتموه من أقسام لا تصبح (اصطلاحا) حتى يجمع عليها الناس . وقد عرفتم رأى العرب فيها ، سمعتموه فى مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول فى دمشق سنة ١٣٧٦ هـ ، وسمعتموه من قبل ذلك ومن بعده .

ومع ذلك كله فقد يبدو لى أن أصحاب التيسير كانوا يضعون أمام أعينهم التقسيم الغربى فى نحو بعض اللغات الأوروبية ، الذى يقسم الجملة إلى (Subject) و (Predicate) و (Complement) . والدليل على ذلك أن أصحاب التيسير آثروا استعمال (تكملة) وهى الترجمة الحرفية لكلمة Complement على اصطلاح البلاغيين المشهور وهو (فضلة) . وفات هؤلاء القرود أن اللغات الأوروبية التى نقلوا عنها هذا التقسيم كالانجليزية لا تحتاج لعلم يقابل علم النحو عندنا لأنها غير معربة . أما المعرب من لغاتهم مثل الألمانية ومثل (الفعل) فى الفرنسية فهو لا يزال يحتاج فى ضبطه إلى قواعد تفوق قواعد النحو العربى فى أقسامها وفروعها ، ومن شاء فليرجع إلى أى كتاب ابتدائى فى الألمانية ليرى إلى كم مجموعة يقسمون الأسماء ، وليرى ما يطرأ على كل مجموعة من تغير وإضافة فى حالات الإعراب المختلفة التى تبلغ ثمانى حالات إفراداً وجمعاً ، مما يختلف فى كل مجموعة عنه فى المجموعة الأخرى . وليرى كذلك أن علامة التعريف التى تقابل (ال) فى عربيتنا تتبع الاسم الذى تلحقه فى إعرابه ، وتختلف مع ذلك باختلاف نوعه بين مذكر ومؤنث وجماد ، مما لا سبيل إلى تمييز بعضه من

بعض بغير السماع ، وليرى أن الاسم النكرة تسبقه أيضا أداة تخضع لكل هذه التقلبات السابقة ، وهى أداة لا وجود لها فى عربيتنا ، إلى آخر ما هنالك مما اكتفى بالإشارة إليه ولا أحصيه .

ولست أظن أن طه حسين قد غفل عن شىء من ذلك ، أو هو على الأقل لم يغفل عما يقابل ما قدمته من أمثلة فى الفعل الفرنسى ، حين قدم تقريره المشهور إلى وزير المعارف سنة ١٩٣٥ م ، فألقاه الوزير فى سلة المهملات وطلب منه ألا يعيد الحديث فيه حين حاول أن يفاتحه فيه مرة من المرات ، وذلك حسب رواية طه حسين نفسه . ولا بأس من أن أنقل فقرة من هــذا التقرير ، ليعرف القارئ من أين جاء (التيسير) . زعم طه حسين فى تقريره ذاك أن : « الناس مجمعون على أن تعلم اللغة العربية وآدابها فى حاجة شديدة إلى الإصلاح » . ورد نفور الطلبة من الدراسات العربية إلى « أن اللغة العربية وما يتصل بها من العلوم والفنون ما زال قديما فى جوهره بأدق معانى هذه الكلمة ، فالنحو والصرف والأدب تعلم الآن كما كانت تعلم منذ ألف سنة . . . ولست أزعم أن الأمر يقضى بإحداث ثورة عنيفة على القديم ، وتغيير العلوم اللغوية والأدبية فجأة وفى شىء يشبه الطفرة ، وإنما أزعم أن قد آن الوقت الذى يجب فيه أن نؤمن بأن العلوم اللسانية ، كغيرها من العلوم ، يجب أن تتطور وتنمو وتلائم عقول المعلمين والمتعلمين وبيئتهم التى يعيشون فيها وحاجاتهم التى يدفعون إليها ، ومتى آمنا بذلك فإن التطور سيأتى وسيتحقق شيئاً فشيئا ، ولكن لا بد أن تمهد له الطريق . وهنا يظهر السبب الثانى الذى أشرت إليه آنفا ، وهو أن معلم اللغة العربية الذى يستطيع أن ينهض بتعليمها كما ينبغى لم يوجد بعد ، فإن القديم لا ينتج إلا قديما مثله ما دام التطور لم يمسه ـ الفقرة ٤٢ من كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ص ٢٨٨ - ٢٨٩ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤) .

ولم يمض على هذا التقرير الذى أسقطه الوزير يومذاك وأهمله سوى سنتين حتى صدر كتاب فى النحو نسقه ابراهيم مصطفى على ما تخيله طه حسين فى تقريره ذاك ، وقدم له طه حسين نفسه واقترح له اسما ضخما عريضا فيه كثير من التبجح والادعاء ، فسماه (إحياء النحو) . والمقول بأن إحياء النحو هو الحلقة الثانية فى سلسلة تيسير النحو ، وهو الصورة التنفيذية لمذكرة طه حسين . ولعل القارئ لا يذى ما تحدث به المذكرة من أن هذه الخطوة الأولى

ليست إلا تمهيداً لما يجيء بعد من التطور الذى « سيأتى وسيتحقق شيئاً فشيئاً » . فهى صريحة فصيحة فى الكشف عن نية صاحبها وعن أسلوبه فى استدراج الناس ، والبدء بالهين اليسير الذى لا يفاجئهم ، ليتدرج منه إلى الخطير . إنه لا يسقيهم السم الزعاف القاتل لساعته لأنه يلفت الأنظار ويثير الشكوك ، ولكنه يسقيهم سما بطيئا يصل به إلى غرضه دون أن يكشف عن الجريمة . فليعرف الناس إذن أن (تيسير النحو) ليس هو منتهى ما يريدون ، ولكنه أول طريق طويل يدفعون الناس فيه إلى قرار سحيق .

ومن أعجب العجب أن مؤلفى (تيسير النحو) رتبوا هذا الذى يزعمونه (تجديداً) على الثورة ، فقالوا فى مقدمة الكتاب « . . . . إلى أن جاءت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ومعها العزم الصادق على الإصلاح ، والرأى الماضى على تذليل الصعاب ، فهيئ السبيل للتنفيذ » . فما شأن الثورة والعلم ، وطبيعة العلم المحافظة والاتزان ، وهو أبعد شيء عن الثورة ، بل إن الثورة تفسده ؟ فهل هذا إلا ملق سخيف رخيص ؟ ! وهل جاءت الثورة للهدم أم للبناء ؟ وهل جاءت لتعز تراث العرب وتدعمه أم جاءت لتمحوه وتعفى عليه ؟ ألا ترى أن هذا هو نفسه ما تحدثت عنه فى مقال سابق ، حين قلت : إن أصحاب هذه الدعوات يعرفون أن الثورات هى أكثر الظروف ملاءمة لبث سمومهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ، ويندسون فى غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسبابا للحياة والقوة والبناء ، كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المظاهرات ، يحطمون المصابيح ويحرقون المنشآت ، فيقلدهم غيرهم فى صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه ، يخربون بيوتهم بأيديهم ويحسبون أنهم يطهرونها وأنهم يصلحون ! .

ذلك هو ما يفعله أحد شقى المقراض فيما يمارس مع النشء من المتعلمين . أما الكلام عن شق المقراض الآخر الذى يتناول إعداد مدرس اللغة العربية ومدرس الدين فذلك ما أرجئه إلى حديثى المقبل إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

التفسير النفسى للقرآن

نزل القرآن فى عهدين متمايزين : العهد المكى وهو ما قبل الهجرة ، والعهد المدنى وهو ما بعد الهجرة .

فكما أن هجرة الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة كانت حدا فاصلا فى تاريخ الإسلام بين عهدين ، كانت كذلك حدا فاصلا فى القرآن الكريم بين أسلوبين .

على أن القرآن كله مصوغ فى أسلوب بلاغى لا يضارع ، وفى فصاحة من النظم لا تبارى لأنه فى صياغته يتناسب مع موضوع الخطاب ، ويتلاءم مع نفسية المخاطبين ، متدرجا مع الأحداث ، متطابقاً مع الأحوال الاجتماعية والسياسة التشريعية .

فمن نظر فى القرآن الكريم نظرة شاملة جامعة وجده مرآة صادقة للأحداث التى مرت على الإسلام ، وسجلا محفوظا للأزمات التى صادفها الرسول فى نشر دعوته ، وصورة دقيقة للمنهج القويم الذى سلكه فى هداية قومه ، وللتدرج الحكيم الذى اتخذه فى تشريعه . بل هو ميدان فسيح للتحليل النفسى الذى يكشف عن سر بلاغة القرآن وسحر بيانه ومناط إعجازه .

لذلك كان على من يريد تفسير القرآن تفسيراً دقيقا أن يدرس نفسية المنزل عليه القرآن والمخاطبين به ، والظروف التى أحاطت بالموضوعات التى تناولها ، ليستطيع أن يدرك أسرار أسلوبه وخصائص تعبيره ودقائق نظمه .

ولقد فطن القدماء إلى ذلك فذكر السيوطى فى الإتقان عند الحديث على أخطاء المفسرين ومواطن زللهم ما يأتى : ـ

أكثر ما يقع الخطأ فى التفسير من وجهين :

أحدهما ـ قوم اعتقدوا معانى ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها .

والثانى ـ قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ فى لغة العرب من غير نظر إلى المنزل عليه القرآن وإلى المخاطبين به .

هذا ما فطن له الجلال السيوطى عليه رحمة الله .

ونحن نقول على ضوء ما قرره :

إن المخاطبين فى المدينة يختلفون عن المخاطبين فى مكة فصاحة وعقلية وخلقا وبيئة . والموضوعات التى تتناولها السور المدنية تختلف عن الموضوعات التى تتناولها السور المكية . ونفسية الرسول صلوات الله عليه فى المدينة غيرها فى مكة .

لهذا كله كان للقرآن المدنى أسلوب له خصائصه ومميزاته عن القرآن المكى الذى له أسلوبه وخصائصه ومميزاته ، وفى كل إعجاز وسحر بيان وجمال نظم يدل على أنه ليس فى طاقة البشر ، وإنما هو تنزيل من خالق القوى والقدر .

فأهل مكة كانوا يومذاك أهل شرك وعبادة أوثان ، وأهل رياسة وسيادة ، ديدنهم العناد وخلقهم الغطرسة والجفوة ، وعقولهم فى الدين مقفلة ، وطباعهم فى الجدل جافة ، جامدون فى تقليدهم ، واقفون عند كبريائهم وطغيانهم « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا » .

وكانت موضوعات السور المكية جلها فى أصول الإيمان الاعتقادية من الإلهيات والوحى والرسالة والبعث والجزاء ، ويلى ذلك فيها أصول التشريع الإجمالية العامة والآداب والفضائل الأساسية ، ويتخلل هذا وذاك محاجة المشركين ودعوتهم إلى الإيمان بتلك الأصول وإبطال ضلالاتهم ومحاربة خرافاتهم .

وكان الرسول صلوات الله عليه فى مكة حرجا صدره ، حزينة نفسه من طول المعارضة ، واستمرار العناد ، ومن توالى الأذى ، ولحرصه على نجاة قومه من انحرافهم وتخليصهم من عبادة أصنامهم ومهاوى شركهم.

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ، « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » ، « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » ، « قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك » .

لذا جاء القرآن المكى يخاطبهم صريحا واضحا سهلا فى أسلوب فطرى وجدانى ، ليصل إلى قلوبهم القاسية وعقولهم المغلقة .

فكانت السور المكية تارة تنذرهم فتذكرهم بيوم الفصل ، وبالصاخة تجيئهم وبالقارعة

تحل بهم ، ثم تصف لهم سقر وزبانيتها « سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولاتذر لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر » .

وتارة يصف الجنة ونعيمها وحدائقها وأنهارها ، فهو ينقلهم من الرهبة إلى الرغبة ومن الخوف إلى الرجاء حتى يسلس قيادهم وتهذب نفوسهم ويدك من عنادهم ويخفض من طغيانهم .

ومن هذا وذاك يجذب القرآن أنظارهم إلى ما ألفوه من مشاهد الطبيعة الدالة على قدرة الله ، وعظم آلائه ، وجليل آياته ، لتتدبر عقولهم وتشف نفوسهم فيصلوا من ذلك إلى ألوهيته ويدركوا حقيقة وحدانيته . يسوق القرآن كل ذلك فى أسلوب مسجوع قصير ، وموسيقا لفظية ساحرة ، وجمل متزنة مزدوجة ، فى صيغ مؤكدة بالقسم الذى درجوا عليه فى تعابيرهم ، وألفوه فى مخاطبتهم ؛ ليكون ذلك أبلغ أثراً فى نفوسهم ، وأعمق فعلا فى وجداناتهم .

ثم يضرب لهم الأمثال بالأمم الغابرة التى كانت أشد منهم قوة فأخذهم الله بذنوبهم ، وأهلكهم بظلمهم وعصيانهم خالقهم ، ليوقظ من وراء ذلك التهديد قلوبهم ، ويحيي بصارم هذا الوعيد ميت وجدانهم .

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك ، وما زادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد » .

لهذا كان أسلوب السور المكية غالباً جزلا متيناً وصارماً رصيناً ، يصخ الجنان ويصدع الوجدان ، ويفزع القلوب ، وينبه العقول .

« القارعة ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

« الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة . كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » .

« فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة » .

« وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إدا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » .

على أن القرآن المكى لم يخل أحياناً من لين ورقة ومحاسنة وملاينة إذا ما كان الخطاب موجهاً للمؤمنين ، أو إذا سلك مسلك الوعظ والتذكير ، أو وصف الجنة وظلالها ، أو إذا عمد إلى تسلية الرسول صلوات الله عليه والتسرية عن نفسه والتبديد من كربه : « فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون » .

وقد شاع فى أسلوب هذا العهد المكى ظواهر أسلوبية مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية مما سنتعرض لدراسته فى البحث الآتى . تلك الظواهر هى : التكرار ، والقسم ، والافتتاح بحروف التهجى ، والإيجاز .

ولنعجل بمثال يبين فضل الدراسة النفسية فى حل مشاكل فى التفسير خطيرة ـ من ذلك ما فى تفسير قوله تعالى فى سورة الشعراء « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » . فقد ثار حول هذه الآيات خلاف مس الأصول البعيدة ، والأسس الغائرة من الصرح القرآنى .

فهذا فريق يحتج بها على نزول القرآن بالمعنى لا باللفظ ، وأن اللفظ من عند الرسول عليه السلام ، إذ لا ينزل على القلب إلا المعانى . وهذه مزلقة إلى إنكار أن يكون لفظ القرآن معجزاً .

ومنكر هذا النزول المعنوى يضطر إلى تناول النزول على القلب ليبين معدن العقل هو القلب أو الدماغ ، وهو ما يعرض له الفخر الرازى فى تفسيره ويورد فى ذلك آراء القدماء والمحدثين ، والاستدلال لكل رأى .

إلا أن الزمخشرى يدركه التوفيق فيفطن من ذلك إلى خاطرة نفسية دقيقة يكشف بها غبار الموقف ، إذ يعلق قوله تعالى (بلسان عربى مبين) بالفعل (نزل) ويجعل المعنى هكذا : نزله باللسان العربى لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ، فيتعذر الإنذار به . وفى هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه ويفهمه قومك . ولو كان أعجمياً لكان نازلا على

سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها ، فقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات : فإذا كلم بلغته التي يتمنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يتعلق قلبه إلا بمعاني الكلام يتلقاها ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت ، وإن كلم بغير تلك اللغة - وإن كان ماهراً بمعرفتها - كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها . فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين .

فبذلك المنهج النفسي في فهم حال المتكلم بلغة الأم وحال المتكلم بغيرها كشف الزمخشرى ظلمة الموقف ، وهون الأمر حتى جعل الاحتجاج بالآية على النزول بالمعنى دون اللفظ يبدو واهناً ضعيفاً .

وليس يحتاج إلى فهم الجوانب النفسية بإزاء الآيات التي يثور حولها مثل هذا الخلاف فقط ، بل في الآية التي لا خلاف فيها مطلقاً قد ترفع الملاحظة النفسية إلى أفق باهر السناء ، خليق بذلك الإعجاز الذى أعجز الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

عبد الوهاب حمودة

إقامة الحق

بني الإسلام إقداما ... كفى دعة وإحجاما
هلموا نرفع الهاما ... أنقضي الدهر نواما ؟
على البيضاء فانطلقوا ... إلى العلياء فاستبقوا
لكم من دينكم طرق ... تبث النور أعلاما
سلوا القوم الأولى ذهبوا ... بأية قوة غلبوا
أقاموا الحق فانتدبوا ... لأهل الأرض حكاما

أحمد محرم

تحقيق أدبي :

مدحة على بن الحسين

بين الفرزدق والحزين الكنانى

— ١ —

كتب فضيلة الأستاذ العالم الفاضل الشيخ محمود النواوى فى مجلة الأزهر (عدد المحرم سنة ١٣٧٨ هـ مقالا عن على بن الحسين رضى الله عنهما ، أكد فيه أن على بن الحسين توفى سنة ٩٤ هـ على حسب ما نصت عليه الكتب التى اعتمد عليها الكاتب ، وخلص من ذلك إلى نفى القصة المشهورة التى جمعت بين هشام بن عبد الملك ـ وهو خليفة ـ وعلى بن الحسين ، والفرزدق ، إذ أن هشاما تولى الخلافة فى سنة ١٠٥ هـ ، وسياق القصة ـ على ما يقول الأستاذ النواوى ـ يدل على أن هشاما كان يومها خليفة ، ثم استطرد يقول : « فإن تكن الحادثة صحيحة أولها أصل ، فلعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء ، أو مع غير زين العابدين من آل البيت أو بينهما فى غير خلافة هشام » .

قلت : ولست أجد فى سياق القصة ما يرجح أن هشاما كان خليفة فى ذلك الوقت ، فإن كان لما فيها من حفاوة به ، والتفاف حوله ، فليس ذلك بكاف إذ أن أهل بيت الخلافة كبارهم وصغارهم يلقون من التجلة والإعظام ما هو معروف ، فى كل عصر ، ومصر .

على أن بعض الكتب كفانا مئونة الاستنباط والجدل ، فقد نص صاحب الأغانى [١] على أن القصة وقعت وهشام يحج بالناس فى خلافة أخيه الوليد ، وذكر جامع ديوان الفرزدق أن هشاما حج فى أيام أبيه ومعه جماعة من أعيان أهل الشام ، وأنه لم يستطع أن يستلم الحجر لكثرة الزحام ، فلما أقبل على بن الحسين وكان من أجمل الناس وجها ، وأطيبهم أرجا طاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر ، فقال رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام

---

[١] جـ ١٤ ص ٧٥ .

وكان الفرزدق حاضراً فقال أنا أعرفه ، فقال الشامى : من هو يا أبا فراس ؟ فقال الفرزدق قصيدته التى نحن بصدد تحقيق قائلها فى هذا البحث .

وذكر أصحاب الوسيط فى أدب اللغة أن هشاماً كان آنذاك ولياً للعهد ، وهو خطأ فهشام لم يكن ولياً للعهد إلا فى أيام يزيد بن عبد الملك ، وقد ولى يزيد الخلافة فى سنة ١٠١ هـ أى بعد وفاة زين العابدين بست سنوات ، وكان ولى عهد عبد الملك ابنه الوليد ، وولى عهد الوليد أخوه سليمان ، وولى عهد سليمان ابنه أيوب ، فلما مات أيوب فى حياة أبيه كان ولى العهد عمر بن عبد العزيز .

فإذا اعتمدنا رواية صاحب الأغانى أو رواية جامع الديوان خلصنا من الاعتراض الذى أثاره الأستاذ النواوى عن التعارض بين وقوع القصة مع هشام ووفاة على بن الحسين ، وبقى أن نمضى فى التحقيق لنرى من قائل هذه القصيدة ، وفيمن قيلت ، وما هى القصيدة ؟

ولأذكر - أولا - النصوص التى وقفت عليها ، ثم أصل إلى النتيجة من هذا التحقيق . قال أبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى فى ترجمة الحزين الكنانى (١) - مع شىء من الاختصار - « حج عبد الله بن عبد الملك ، فقال له أبوه سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان ، فإياك أن تحتجب عنه وأرضه ، فلما قدم عبد الله المدينة دخل عليه الحزين فقال : أيها الأمير إنى كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ، ورأيت جمالك وبهاءك أذهلنى عنه فأنسيت ما كنت قلته ، وقد قلت فى مقامى هذا بيتين فقال : ماهما ؟ قال :

فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها على بن الحسين رضى الله عنهما التى أولها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرام

وهو غلط ممن رواهما فيها . وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين رضى الله عنهما ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

---

(١) حـ ١٤ ص ٧٤ وما بعدها .

وأما الأبيات التى مدح بها الفرزدق على بن الحسين ، وخبره فيها فحدثنى . . . حدثنا ابن عائشة (ثم ذكر القصة التى أوردتها آنفا ، وذكر أبياتاً سبعة ابتدأها بالبيت السابق وذكر بعده) :

هــذا ابن خير عباد الله كلهم هــذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هــذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
أى الخــلائق ليست فى رقابهم لأوليــة هــذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أوليــة ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم

ثم ذكر قصة حبس الفرزدق وإخراجه ، وإجازة على بن الحسين له ، ثم قال : ومن الناس أيضاً من يروى هذه الأبيات لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه ، فمن رواها لداود بن سلم فى قثم ولخالد بن يزيد فيه فهى فى روايته :

كم صارخ بك من راج وراجية يرجوك يا قثم الخيرات يا قثم
أى العمائر ليست فى رقابهــم البيت . . . .

(فى كفه خيزران) . (يغضى حياء) البيتان.

ومن ذكر لنا ذلك الصولى عن العلائى عن مهدى بن سابق أن داود بن سلم قال هــذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول فى شعره فى على بن الحسين رضى الله عنه ، وذكر الرياشى عن الأصمعى أن رجلا من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال (يكاد يمسكه) (كم صارخ بك) البيتين . فأمر له بجائزة سنية ، والصحيح أنها للحزين فى عبد الله بن عبد الملك وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات » .

ثم ذكر أبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى ، متشابهة تنبئ عن نفسها ـ على حد تعبيره ـ وهى أحد عشر بيتا ، فيها البيتان المشهوران (فى كفه خيزران ـ يغضى حياء) وليس فيها البيتان (يكاد يمسكه ـ كم صارخ) كما أنه ليس بينها وبين قصيدة الفرزدق المثبتة فى ديوانه اتفاق بعد ذلك . ثم قال صاحب الأغانى : « ومن النــاس من يقول إن الحزين قالها فى عبد العزيز ابن مروان لذكره دمشق ومصر ، وقد كان ثم عبد الله بن عبد الملك أيضا فى مصر والحزين بها » .

ونص صاحب الأغانى حافل - كما ترى - وسنستخلص منه - على الرغم مما فيه من اضطراب - بعض الحقائق الهامة .

ونسب أبو تمام فى ديوان الحماسة أبياتاً للحزين الكنانى ، واختلفت النسخ المطبوعة فبعضها ذكر أن الممدوح بها على بن الحسين ، ومعناه أن هذا رأى أبى تمام ، وبعضها اقتصر على ذكر الشاعر ، والموجود فى ديوان الحماسة أبيات ستة كلها مذكورة فى مدحة الفرزدق - كما وردت فى ديوانه - ومنها البيتان اللذان ذكر صاحب الأغانى أنهما للحزين ، ونفى أن يكونا للفرزدق ، أو فى مدحة « على » بعامة ، أما الأبيات الأخرى فقد جاءت فى رواية الأغانى ، وفى رواية الديوان ، فيكون أبو تمام لفق المقطوعة ، ونسبها للكنانى ، وقد ذكر التبريزى فى شرح الحماسة اسم الحزين ونسبه ثم قال : ويقال إنها للفرزدق ، وذكر بعض شراح الحماسة أنها للحزين ، وردد كلام صاحب الأغانى .

وقال ابن رشيق فى العمدة : « وكذلك قول الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك ابن مروان ، وقد وفد عليه بمصر ، ويروى للفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وقيل بل قالها فيه اللعين المنقرى ، وقيل بل الأبيات لداود بن سلم فى قثم ابن العباس بن عبد الله بن العباس (فى كفه خيزران - يغضى حياء) .

وذكر ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » البيتين مثالا للضرب الأول من أضرب الشعر فى تقسيمه المشهور ، وهو الضرب الذى حسن لفظه وجاد معناه ، ولم ينسبهما ، وإن نسبهما بعض المعلقين على الكتاب للفرزدق ، أما ابن عبد ربه فقد ذكر فى كتابه العقد الفريد قال : (وقال ابن قتيبة لم يقل بيت أبدع من قول الشاعر فى بعض خلفاء بنى أمية « يغضى حياء . . . البيت » وأحسن منه عندى قولى :

فتى زاده عز المهابة ذلة فكل عزيز عنده متواضع

ونسب الشيخان الإسكندرى وعنانى فى كتابهما « الوسيط » القصيدة للفرزدق ، ونصا على أن أبياتاً منها تروى لغيره ، وهى فى اختيارهما عشرة أبيات ، ولعلهما يشيران إلى البيتين اللذين أكد صاحب الأغانى أنهما للحزين الكنانى ، وقد طال بنا نفس القول فلنرجئ النتائج الهامة التى يفضى إليها هذا البحث إلى حديث آخر ؟

على العمارى

المرأة فى ظلال الاسـلام

الإسلام هو الدين السماوى الوحيد ، الذى عنى بالمرأة العناية الكافية ، وأحلها المكانة اللائقة بها ، وأنزلها المنزلة التى تتناسب ورسالتها فى مضمار الحياة ، وضرب حولها سياجا منيعاً من الحفظ والحماية ، وأحاطها بسور متين من الصون والرعاية ، ومنحها كثيراً من الحقوق التى لم تكن لها لولاه . . .

ولو قلبنا صفحات التاريخ ، وألقينا ضوءاً كشافا على حالة المرأة قبل الإسلام ، لرأيناها قد عاشت قبله أجيالا طوالا ، منقوصة القدر ، مهيضة الجناح ، مسلوبة الحرية ، تختلف الأمم والقبائل فى معاملتها ، ولكنها تتفق فى ازدرائها وإهمال شأنها ؛ والنظر إليها كشىء من سقط المتاع ، فمنهم من كان يشتط فى القسوة عليها ، ويسرف فى استلاب حقوقها ، ويحرم عليها أن تبدى رأيا يخالف رأيه ، أو تعمل عملا بغير مشورته ، أو ترفض زوجا اختاره ، أو تنال حظاً من الميراث . ومنهم من كان يتصرف فيها كما يتصرف فى المواشى ، بالبيع والشراء ، والهبة والإجارة ، والإعارة وسواها ؛ ومنهم من كان يقعد عن العمل ، ويركن إلى الراحة والبطالة ، ويكلف المرأة مشقة السعى ، والإنفاق عليه ، وعلى أولاده ، وقد يكرهها أحيانا على الفجور ، وارتكاب الآثام ، ولا يرى فى ذلك ذنباً ولا عاراً !!!

ومن بين قبائل العرب فى الجاهلية من كان يمقت النساء ، ويئد البنات ، خوفا من العار ، وضنا بالإنفاق عليهن ، وقد صرح القرآن العظيم بذلك ، فى غير موضع منه ، قال الله عز وجل « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ؛ يتوارى من القوم من سوء مابشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه فى التراب ، ألا ساء مايحكمون[1] » ، وحتى لقد قال أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، ونضر تاريخه : والله كنا فى الجاهلية لانعد النساء شيئاً ، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ماقسم .

هذا شأن المرأة قديما ، وذلك بعض ماكانت تئن تحته من الأغلال والقيود ، وضروب الذل والبلاء والهوان ، فلما لاح فجر الإسلام الحنيف ، ونادى به رسول الإنسانية ، محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أنقذ المرأة مما كانت تعانيه ، ونهض بها إلى المستوى

---

(١) سورة النحل ٥٨ ، ٥٩ .

الملائم لها ، وأعطاها كثيراً من الحقوق التى أعطاها للرجل ، ولم يفرق بينهما إلا فى أمور يسيرة ، راعى فيها طبيعة كل منهما وفائدة المجتمع .

فسوى بينهما فى العقيدة ، والتكاليف الدينية ، وحرية الرأى والعمل ، وجعل لها نصيبا مفروضا فى الميراث .

نعم ، إن الإسلام جعلها فيه على النصف منه ، لحكمة سامية ، لأنه أوجب نفقتها على الرجال ، رحمة بها ، وإبعاداً لها عن مشاق السعى ، ومتاعب الحياة ، ولا يزال فريق من أرقى الممالك الأجنبية إلى يومنا هذا ، يحرم المرأة حقها فى الميراث ، ويجعله مقصوراً على أكبر الأولاد سناً ! ! !

فشتان بين حال المرأة فى ظلال الإسلام ، وحال المرأة غير المسلمة فى العصور القديمة والحديثة .

ولقد وجه الإسلام الأغر عناية كبرى للأسرة ، لأنها الخلية الأساسية التى يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع ، فشرع الزواج ، وأمر المتادين به ، حفظا للنوع الإنسانى ، وبعداً بالناس عن الوقوع فى أحضان الرذائل والمعاصى ، والأدواء والأمراض ، واحتراما للأنساب ، ومعاونة على الحياة ، وأظل الزوجين معا بظله الوارف ، وكانت عنايته بالمرأة وعطفه عليها أوضح وأظهر ، ضرورة أنها تحتمل من تبعات الزواج ونتائجه أكثر مما يحتمل الرجل . ولقد جاء أعرابى إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . وهو جالس بين أصحابه ، يعظهم ، ويبين لهم أحكام دينهم ودنياهم ، ويذكرهم بأيام الله . فقال الأعرابى : يارسول الله ـ من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ فقال : أمك ـ قال : ثم من ؟ قال : أمك ـ قال : ثم من ؟ قال : أمك ـ قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

وإذا كان الدين الإسلامى العظيم قد جعل شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، فذلك لأنها أقل منه خبرة ، ونظراً فى العواقب ، وأكثر خضوعا للعواطف وأسرع انفعالا وتأثراً . وقد أباح تعدد الزوجات لأغراض نبيلة ، زادتها حوادث الأيام وضوحا وجلاء ، واشترط على الزوج أن يعدل بينهن فى كل ما يمكن العدل فيه ، فإن آنس من نفسه عجزاً عن ذلك وجب عليه أن يقتصر على زوجة واحدة . وفى هذا يقول العلى القدير « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا [1] » .

---

(١) سورة النساء ٣ .

وقد تخفق الحياة الزوجية فى تهيئة أسباب السعادة للزوجين، أحدهما أو كليهما، فلا يكون بد من التفريق بينهما بالطلاق. حقا: إنه علاج قاس، ودواء مر، وأبغض الحلال إلى الله تعالى، ولكن لابد مما ليس منه بد. فماذا يصنع الرجل إذا كانت امرأته سيئة الخلق لاترعوى؟ أو كانت عجوزاً لاتلد؟ أو كانت مريضة لاتقوى على أعباء الحياة الزوجية؟ ولا ينتظر لها برء أو شفاء؟.

بل ماذا تفعل المرأة إذا غاب عنها زوجها غيبة طويلة منقطعة؟ أو كان شريراً يسىء معاملتها؟ أو يضربها ضربا مبرحا لاتحتمله؟ بل كيف السبيل إلى الخلاص إذا بات إصلاح الحال مستحيلا أو فى حكم المستحيل؟!!! لا علاج لهذا كله إلا بالطلاق، يوقعه الزوج أو القاضى أحيانا.

ولقد كان كثير من غير المسلمين يعيبون نظام الطلاق فى الشريعة الإسلامية السمحة، ولكن الأيام أظهرت لهم حكمته السامية، وكشفت لهم الحوادث عن سداده، وشدة الحاجة إليه، فأخذوا به، وصاروا يطلقون، ولا يرون فيه عيبا، بل ذهبوا إلى أن إباحته ضرورية لصلاح المجتمع، وهذا اعتراف منهم بفضل هذا الدين العظيم، وأنه الدين الوحيد الملائم للطباع الإنسانية، والنظم الاجتماعية، والصالح لكل زمان ومكان.

هذا قليل من كثير، من أيادى الإسلام البيضاء على المرأة، وعنايته بها، وحرصه على كرامتها، وإعلاء شأنها، وحسبنا فى هذا المقام أن نختم هذا المقال، بقول المشرع الأعظم - صلى الله عليه وسلم - حاثا على معاملة النسوة بالحسنى «إن النساء خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج مافى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً فإن أحسنكم أحسنكم معاملة لنسائه».

وحدثت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وعن والديها قالت: دخلت امرأة، ومعها بنتان لها تسأل شيئاً، فلم أجد غير تمرة، فأعطيتها لها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل شيئا، ثم قامت فخرجت، ودخل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته بخبرها، فقال عليه الصلاة والسلام «من ابتلى من هؤلاء البنات بشىء كن له سترا من النار».

أحمد على منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

رسالة الأزهر

(بقية رسالة الأدب)

- ٤ -

لى هنا وقفة ، هى وقفة الذاكر لا وقفة الحائر . فلقد عددت من رسالة الأزهر الأدبية ما كان من أدب مثل الشيخ ابن دقيق العيد ، والشيخ السيوطى ، ومن جاء بعدهما من أدباء المشايخ الأزهريين ، كالشيخ اسماعيل الخشاب والشيخ عبد الله الشبراوى والشيخ حسن العطار والشيخ محمود العالم . هذه الوقفة هى تساؤلى ، هل كان تأدب هؤلاء المشايخ ومن ماثلهم بالشعر والنثر - مدروسا فى أيامهم بالأزهر أم لا ؛ فإذا كان مدروسا فما أيسر أن تنسب إلى الأزهر من جوفه ومناهجه - دراسة أدبية انتهت لهؤلاء الشيوخ الأجلاء إلى أن يكونوا متأدبين شعرا ونثرا أو كليهما . وإذا لم يكن ذلك من مناهج الأزهر فما الذى جعل من هؤلاء السادة - أدباء فى الذروة من الأدب فى أزمنتهم وأيامهم ؟ الواقع أن دراسة كتب الأدب المعتبرة لم تكن من مناهج الأزهر الدراسية . مثل البيان والتبيين للجاحظ ، والأمالى لأبى على القالى ، والكامل للمبرد والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى[1] . وهى الكتب التى عدها مؤرخو الأدب - ولاسيما ابن خلدون - أمهات الأدب وأصول لغه العرب . وقد كانت الدراسة مقصورة فى الأزهر على كتبه المعروفة المتوارثة مثل الأشمونى ، والمطول والأطول ، وجامع الجوامع ، والرسالة العضدية . . . وهلم فما الذى صير من هؤلاء المشايخ الأجلاء أدباء ، كتابا وشعراء ؛ قد يكون لكل واحد منهم ظروف خاصة ساقته إلى الأدب ، أو ساقت الأدب إليه . مثل أن الشيخ حسن العطار قضى معظم أيام شبابه فى الترحال والانتقال . فازدادت معارفه ، وصقل أدبه . هذه الظروف الخاصة - التى لا أعلمها بالتفصيل عن كل من تأدب من الأزهريين - تلتقى عند سبب عام واحد هو حب الاطلاع على كتب الأدب ، والتلذذ بقراءة آثار الأدباء . والحب الذاتى يجنى صاحبه الثمرات فيما رغب فيه وأحبه ، فالمتأدبون من المشايخ كانوا يجمعون بين الدراسة الأصلية فى الأزهر ، وبين هواياتهم التى أحبوها : فكانوا بذلك علماء وأدباء معا . على أن

---

[١] المجلة - الأغانى لم يكونوا يعدونه الكتاب الرابع من هذه الكتب الأربعة ، بل الكتاب الرابع هو أدب الكاتب لابن قتيبة .

بعضهم كما سيجيء في موضعه ـ قد طغى حب الأدب فيه على كل دراسة في الأزهر، فأهملوا علوم الأزهر إهمالا، وعكفوا على الأدب فصاروا في الذروة والسنام: وأعطى هنا مثلا سريعا لواحد منهم. هو السيد مصطفى لطفى المنفلوطى الذى سيجيء ذكره فيما بعد.

لا أنسى في التحدث عن رسالة الأزهر الأدبية ـ الشيخ المؤرخ الأديب الفحل: عبد الرحمن الجبرتى: الذى حسبه الدكتور أحمد أمين أستاذ الشيخ حسن العطار ومنشئه على حب الأدب. ومع مخالفتى لهذا الرأى مخالفة قاطعة فإننى لا أعرف سبباً استند إليه أحمد أمين إلا أن الجبرتى روى في ترجمته للشيخ إسماعيل الخشاب أن هذا الشيخ (الخشاب) قد تآلفت روحه مع روح العطار بعد عودته من رحلاته وذكر شيئاً مما كان يجرى بينهما من المطارحات الشعرية. وكانت هذه المطارحات كثيرا ما تجرى في بيت الجبرتى. ومعنى ذلك أن هذا الثالوث قد كون أخوة أدبية صادقة كانت تقطع الوقت في الفكاهات والمنادرات ورواية الأشعار وهذا لا يفيد أن العطار أخذ أدبه عن الجبرتى. وإلا فلماذا لا نقول ذلك أيضاً في الخشاب؟ الواقع أن الجبرتى لم يتعرف بالعطار إلا بعد انتهاء رحلات الثانى واستقراره في وطنه. وقد عاد من هذه الرحلات مكتمل الأدب، فائقاً في زمانه نثراً وشعراً. على أن أسلوب العطار في نثره أقوى من أسلوب الجبرتى على وجه عام. فكيف يكون الأضعف أستاذا للأقوى. وأيضا فإن العطار كان شاعرا فحلا ولم يعرف عن الجبرتى من الناحية الشعرية أنه كان شاعراً وإنما كان راوية للشعر في تاريخه المعروف في المناسبات التى يرى فيها أن يروى شعرا لمن يترجم لهم. وله شعر قليل لا يضعه في صف العطار والخشاب إطلاقا.

إن الأستاذية التى لا ريب فيها هى أستاذية العطار للشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى لا يسهل على من يتحدث عن رسالة الأزهر الأدبية أن يغفل شأنه الكبير. فلقد كان الطهطاوى ملازما للعطار ملازمة أول المريدين لشيخه. وقد تتلمذ على العطار دراسة أزهرية وأدبا. ولذلك اختاره العطار ليكون إماما لبعثة مصرية إلى فرنسا لما وكل إليه أمر هذا الاختيار. وقد أوصاه قبل سفره أن يكتب رحلته من ابتداء قيام الباخرة التى تقله إلى منتهاها. ولا يكلف العطار الأديب تلميذاً له بذلك إلا إذا كان واثقا من أنه يعرف كيف يكتب. وكتابة الرحلات من أعوص ما تكتسب الأقلام. فالطهطاوى قد تأدب بأدب العطار من قبل أن يرتحل. وأقول بشجاعة إن إقامته في فرنسا لم تزده من حيث الأسلوب العربى شيئاً. ولكنها أفادته الخير الكثير فيما عدا أسلوبى الكتابة والشعر. فقد ازدادت

معارفه . ودرس بالفرنسية العلوم الحديثة . واطلع على عادات وبلاد وأوساط وسعت آفاق علومه ومعرفته بالحياة . ولذلك كان من أفذاذ حاملي لواء النهضة العلمية في بلاده لما أن عاد إليها - بالترجمة والتأليف وتوسيع أرحاب الثقافة العامة في مصر ، وتأسيسه مدرسة الألسن التي أخرجت لمصر من كنوز الرجال ذخائر لا تفنى آثارها العلمية . وقد انتفعنا بها انتفاعا كبيراً .

ومن نثر رفاعة الطهطاوي قوله في حب الوطن : « إن حب الوطن من الإيمان ، ومن طبع الأحرار الحنين إلى الأوطان ، ومولد الإنسان على الدوام محبوب ، ومنشؤه مألوف له ومرغوب ، ولأرضك حرمة وطنها ، كما لأمك حق لبنها ، والكريم لا يجفو أرضاً بها قوابله ، ولا ينسى داراً بها قبائله . . . » .

ومن شعره قوله وهو في باريس يحن إلى مصر :

ناح الحمام على غصون البان فأباح شيمة مغرم ولهان
هذا لعمري إن فيها سادة قد زينوا بالحسن والإحسان
ولئن حلفت بأن مصر لجنة وقطوفها للفائزين دوان
والنيل كوثرها الشهي شرابه لأبر كل البر في إيماني

* * *

ومن أدباء الأزهر الشيخ عبد الهادي نجا الإبياري المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ . وقد كثرت مؤلفاته ورسائله الأدبية إلى درجة كبرى . ومن هذه الرسائل ما عرفه الأدباء المطلعون جميعا مما دار بينه وبين الشيخ ابراهيم الأحدب الأديب اللبناني الكبير ، وقد طبعت هذه الرسائل على حدة باسم (الرسائل الأحدبية) وقد التزم الشيخ فيها طريقة السجع ولو كان متكلفا كما هو مذهب الأدباء في وقته . قال يصف ابتداء تعارفه بالشيخ إبراهيم الأحدب « بينما أنا جالس في بيتي إذ بشخص قدم على يقدمه من جمال الهيئة وكمال الهيبة نور جمال وجلال ، ويتبعه جماعة يخطو ويخطر كل منهم من اللطف والظرف في أبهج سربال ، فقمت فقابلتهم أجمل مقابلة ، وداخلني من الابتهاج بزيارة سيادتهم ما لبست به من الفرح والسرور خمائله ، فجلسوا برهة يالها من برهة ، كانت بما انتثر من حدائق حديثهم هي النزهة ، ثم قام حضرته وانصرف ، وقد أخذ بمجامع قلبي به الشغف . . . »

ومن شعره قوله يمدح الشيخ عبد الغنى الرافعى مفتى طرابلس الشام .

من آل رافع الذين عهدتهم   فى كل ورد قد حلا أو مشرع
قوم بناؤهم جليل صنائع   وبناء غيرهم جميل مصانع
أسنان مشط فى الفضائل لم يجد   ماضى الزمان لأمرهم بمضارع

ومن أدباء الأزهر الشيخ حسين المرصفى مدرس الأدب والعلوم العربية بدار العلوم ، وقد تخرج فى الأزهر ولكنه اشتغل بالأدب واتبحر فى كتبه وهو طالب أزهرى ضرير فكان فى وقته آية . ولذلك اختير للتدريس بدار العلوم حوالى سنة ١٣٠٠ هـ . ومن كلمة له فى ائتلاف والتواد .. . إن من المشاهد كون النوع الإنسانى محتاجا فى حسن تعيشه ، وتحصيل أغراضه إلى ألفة ومودة ، واتصاف بأن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه . فإذا خرج بعض الناس عن الجمعية ، وسعى فى الأرض بالفساد ، وجب على الناس تأديبه بما يعيده إلى الصلاح ... .

* * *

ومن أدباء الأزهر السيد على أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ . وكانت تربيته أزهرية بحتة غير أنه غلب عليه حب الأدب فصار شاعراً من شعراء عصره . ومن شعره فى وصف الطبيعة والجمال :

نور زاهى الروض أم نور الصباح   وابتسام الثغر أم زهر الأقاح
ونجوم تزدهى فى أفقها   بوميض البرق أم كاسات راح
لا ولا بل بدر تم ينجلى   للندامى فى اغتباق واصطباح
عجباً يزدرى شمس الضحى   فى معانى حسنه تعيا الفصاح

* * *

ومن أدباء الأزهر عظيم كبير الشأن هو عبد الله (باشا) . هذا الرجل لم يتعلم فى غير الأزهر ، ولكن تعلقه بالأدب وهو طالب أزهرى جعل منه ناثراً وشاعراً . وأجزم بأن هذا الأديب قد قرأ كثيراً للبديع الخوارزمى ، لأنه تأثره فى إنشائه بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . هذا الأزهرى الفحل من الذين نضج أدبهم إلى أبعد الغايات وإن كان مسجوعا . وله فى تقدير الأدب رسالة يرى فيها أن علوم اللغة العربية ليست مقصودة لذاتها

ولا تدرس لنفسها . وإنما هى للتوصل إلى الأدب الذى هو الثمرة المرجوة فى الحياة . والغصن الرطيب الذى هو الجوهر المقصود من تعليم علوم العربية . وهذا بعض من هذه الرسالة القيمة «. . . ياقوم . أهذا النحو وإعرابه ، والصرف وأبوابه ، والعروض وأوزانه وأبحره ، والمعانى وإنشاؤه وخبره ، والبيان وفرائده ، والبديع وشواهده ، وهذه العلوم الموضوعة ، والأسفار المحمولة ، والدروس المأهولة . . . لمجرد معرفة ضرب زيد لعمرو ، وقتال خالد لبكر ، وأن قال أصلها قول . . والبحر الطويل من فعولن مفاعيلن ، ثم لا يعرف كيف ينظم ، والفصل والوصل . . والحقيقة والمجاز . . والتورية والجناس . . إذاً والله تكون تلك الفنون من أفانين الجنون . . عملا حابطاً ، وشغلا ساقطا ، وهوسا عاطلا ، ووسواساً باطلا . . ويكون واضعوها أساءوا إلى الناس ، وبنوا على غير أساس ، كلا إنما وضعوا هذه القواعد ، ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت . . ويترجموا عن سرائر الضمائر كما ترجمت ، وينثروا وينظموا كما نثرت ونظمت ، وقد كانت العرب التى أودع الله الفصاحة لسانها ، تتكلم بهذه اللغة العلية على الفطرة الأصلية . . من غير هذه القواعد والأصول . . إلى أن خلف هذا الخلف ، فظنوا تلك الوسائل مقاصد ما ليس بعدها غاية لقاصد ، وحسبوا هذه الكتب تقصد لذاتها . . فوقفوا عندها . . واتخذوا الأدب وراءهم ظهريا ، وجعلوا النظم والنثر شيئا فريا » .

وأعتقد أنه لم يمل على هذا الأديب الكبير ـ هذا الكلام الحلو إلا أنه فقه معنى الأدب وفرق بين الوسائل وهى دراسة علوم اللغة ، وبين المقاصد وهى الإجادة فى فنى النظم والنثر .

أما شعره فنى درجة كبرى من الإجادة فى وقته . ومنه قوله يعتذر إلى السيد عبد الهادى نجا الإبيارى ـ المتقدم ذكره ـ يعتذر عن دعوة لم تصل إليه :

يا من بديع حلاه تزرى البديع وتنسى
وافت عقيلة نظم تتلو فصاحة قس
فمن بالعفو إنى منه على غير يأس
وإن عتبت لحق وما أبرئ نفسى

حسن الشيخة

المحرر الأدبى بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين

رأى العلماء المؤرخين
فى الفتوحات الإسلامية وأهدافها

عرضنا فى بحث سابق لقوى المسلمين البحرية وفتوحاتهم فى كافة أرجاء المعمورة ، واليوم نقدم للقراء الأهداف التى خاض المسلمون من أجلها حروبهم وفتوحاتهم .

لقد حيرت الفتوح الإسلامية العلماء الاجتماعيين حيرة لم يجدوها حيال مسألة اجتماعية أخرى ، فقد بلغ ملك المسلمين فى ثمانين سنة حداً لم تبلغه جميع فتوحات الرومانيين فى ثمانمائة سنة ولم تصل أمة قبلهم ولا بعدهم إلى مثل ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من سعة الملك ، ونفاذ الكلمة ، ووحدة الأجزاء ، وارتياح الناس إلى حكومتها .

وقد افتنت العقول فى تعليل هذا التوفيق الباهر ، فقال بعضهم : إن سببه أن الأمم على عهد ظهور الإسلام كانوا فى شقاق بعيد ، وثورات طاحنة ، واختلافات دينية ، فدهمهم المسلمون وهم على تلك الحال فدوخوهم .

وقد رد على هذا التعليل بأن المسلمين لما ولوا وجوههم شطر الشام وفارس ومصر ، لم تكن دولتا الرومان والفرس فى حرب فيما بينهما ، ولا فى شقاق فى داخل بلاديهما ، فكان هرقل فى أوج عظمته وأبهة ملكه ، لا يزعجه مزاحم فى بلاده ولا عدو مغير من خارجها .

نعم كانت فارس مقطعة الأوصال تحت حكومة إقطاعية ، استقل فيها كل أمير بما تحت يده ، لكنهم لما آنسوا استفحال شأن العرب ، وحدوا كلمتهم ، وعدلوا صفوفهم ودانوا كلهم لملك اختاروه من أعرق أسرهم الملكية وهو يزدجر ، فلما واجه سعد بن أبى وقاص فارس واجه منها أمة متراصة الآحاد كالبنيان ، متحالفة الجماعات على الاستماتة فى الدفاع ؛ لأنهم كانوا يملكون عرباً كثيرين ، ويأنفون أن يكونوا محكومين بهم .

فانهار بذلك قول الذين يعللون الفتوحات الإسلامية ، بتخاذل الشعوب وتناحرها ،

ومهما كانت الشعوب متخاذلة فهل يعقل أن أمة واحدة تتحكم فى الأرض فلا تجد من يصدها عن أغراضها ، لا سيما وهى خارجة من بلاد طال عليها الثوى فيها ، بادية غير متحضرة ؟

ومن الناس من عللها بحب الكسب والمغانم ، فلما اطمأنوا إلى داعية منهم يقودهم إليها التفوا حوله وأيدوه ، وقاموا بما قاموا به مما ظاهره فتح وباطنه غنيمة . وهذا تعليل يحمل فى أطوائه عناصر فنائه ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أول من دعاهم إلى الخروج من تقاليدهم ، وترك موروثاتهم واتباع أحكام العقل فى عقائدهم ، وقد لبث فيهم سنين كثيرة يدعوهم إلى هذه الأصول ، حتى آمن به جمهور من الناس ، ولم يأمرهم بالقتال للدفاع عن أنفسهم إلا بعد أن انتقل إلى المدينة ، وهنالك اشتغل بنشر الإسلام بين القبائل ، ودعوته إليهم صريحة لا لبس فيها ، وليس منها وجوب مقاتلة الأمم طلباً للغنم منها . فأساس هذا الدين هو تصحيح الفطر ، وتقويم النفس ، وإصلاح القلب ، والسمو إلى أرفع ما يصل إليه جهد طالب الكمال ، أما ما تقتضيه الحياة الاجتماعية بعد ذلك من حماية الحوزة ، أو نشر الدعوة ، أو غير ذلك فقد سنت لها أحكام لم ير العالم أعدل منها ، كما سبق لنا بيانه فى مقالات سابقة . فمن أين يستدل أصحاب هذه الشبهة على مايقولون ، وليس له أثر فى كتاب ولا سنة ، ولا فى شرح من شروح الأئمة ؟ .

وذهب الحكيم الفرنسى مونتسكيو فى كتابه أصول الشرائع إلى رأى آخر فقال عند إلمامه بالإتاوات الحكومية : « إن هذه الإتاوات المفروضة كانت سبباً لهذه السهولة الغريبة التى صادفها المسلمون فى فتوحاتهم . فالشعوب رأت بدل أن تخضع لسلسلة لا تنتهى من المغارم ، أن تخضع لأداء جزية طفيفة ، يمكن توفيتها بسهولة وتسلمها بسهولة كذلك ، ووجدت نفسها سعيدة بأن تستخذى لأمة متبربرة تعاملها على هذه الصورة من أن تدين لحكومة فاسدة كانت تكابد تحت سلطانها كل ضروب الموانع دون حرية لم تنعم بها قط ، مضافا إليها كل ويلات عبودية عنيدة » .

لا مشاحة فى أن العالم الفرنسى لم يعرض فيما عرض من رأى إلى فتوحات المسلمين ، بل أظهر وأشاد بتسامحهم فى فتوحاتهم ، فأول فتوحات المسلمين كانت الشام تحت قيادة أبى عبيدة ابن الجراح ، ولم يكن العرب قد جروا من أمر الجزية فى شعب على سنة تسامعت بمزاياها الأمم الأخرى ، فالتحمت الجيوش الإسلامية بجيوش رومانية مدربة تفوقها عدداً وعدداً ،

فهزمتها وأجبرتها على ترك حصونها المنيعة وقلاعها التى لا ترام ، ولم تكف عنها حتى فتحت الشام كلها وغادرها إمبراطور الرومان وهو يقول : « أودعك أيتها البلاد الى الأبد ؟ ! » .

فأى سيرة استعمارية كانت قبل هذه فتت فى عضد الجيوش الرومانية وحسنت لها التسليم للعرب ؟ وأية علاقة بين الجيوش المحاربة وبين قلة الإتاوات أو كثرتها ؟ إن المحاربين كانوا هم الطبقة الثانية فى تلك الأمم بعد رجال الدين ، وكانوا متحكمين فى رقاب الدهماء يبتزون أموالهم ولا يدفعون للحكومة أموالا ، فالمعقول أنهم كانوا يقاتلون أعداءهم بكل ما أوتوا من قوة مادية ومعنوية ، لا أن يسلموا ليكونوا رعية لهم ، وليسوا هم بالذين تفتنهم قلة الإتاوات ، ولا الحرية المحبوبة ، فقد كانوا منها بالمكان الممتاز .

وفى الوقت الذى كانت فيه الجيوش الإسلامية تهزم جميع الرومانيين ، كانت جيوش أخرى لهم ترد جنود الفرس المعروفين بصلابة العود على أعقابهم فى ذات بلادهم ومثلهم كمثل الرومانيين فى الامتيازات المالية والأدبية ، ويسقطهم من مراتبهم تغلب جنود أجانب عليهم .

إن تعليل منتسكيو كان يؤخذ به لو أن العرب كانت لهم مستعمرات تنعم باليسر ، وكانت الجيوش المحاربة تعامل بالعسف ، وتئن تحت أثقال الضرائب ، أو لو كانت الأمم نفسها هى التى تحارب . وقد قلنا إن المسلمين إذ ذاك كانوا لا يزالون فى أول عهدهم ، ولم تبل الأمم من حكمهم ما يحببها فيهم .

على أن منتسكيو يصف المسلمين الأولين بالأمة المتبربرة ، فهل عهد فى تاريخ البشر أن أمة متبربرة تكون مثلا يضرب فى قناعتها ، وحسن معاملتها لمن تقهرها من الأمم ؟ إن المعروف بين الناس أجمع أن الأمم المتبربرة لا تقف نهمتها للمال عند حد ، فلا تزال بالمقهور حتى تبيد حضراءه ، ولا تدع له شيئاً . فمن أين جاء هذا الأدب العالى للمسلمين ، والمتبربرون فى نظر مونتسكيو ، على خلاف سنة العالمين قديماً وحديثاً ؟ .

إن منتسكيو قد زاد المسأله إشكالا ، ولا يحلها إلا افتراض واحد وهو الحق ، إن الأمة الإسلامية كانت على شريعة إلهية تمثل أعلى درجات العدل والإنصاف ، وان ما احتازته من الملك الذى لم ينبغ لأمة قبلها ولا بعدها ، لم يقو على إفساد قلوبها كما أفسد قلوب

الفاتحين قبلها ، وإن الله قد أيدها بروح من عنده ، وقذف بها في وجه العالم لترده عن الغي الذي كان فيه ، ولتحطم القيود والأغلال التي كانت في أعناق الأمم .

هذا هو التعليل الذي يتسق مع المنطق والعقل ، والله غالب على أمره .

إذن فنسق الفتح الإسلامي الذي انتهجه المسلمون في صدر الإسلام كان وحيداً فريداً يتسق كل الاتساق مع الأغراض التي يرمى إليها الإسلام في أخص صوره وأنبل مراميه .

أما الفتح الذي انتهجه المستعمرون ولا يراد به إلا امتصاص دماء الشعوب وقتل خواص الفضائل والمزايا في تلك الشعوب والقضاء على المعنويات التي تعتبر من أكبر مقومات الأمم وأسمى مقدراتها ، فذلك فتح آخر بعيد عن الإنسانية ، بعيد عن الأخلاق المثالية ، بعيد عن كل ما تصبو إليه رسالة الإنسان في كل عصر وجيل . ويقيننا أن هذا الليل وشيك الانصرام فلا بد أن تخرج المدرة من بين حب الحصيد ، ولا بد أن تنفرج لمة الظلام من جبين الصباح .

يا نائم الليل مغتراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

عباس طه

المحامي

باب وصف الكتب

ضاق هذا الجزء عن باب وصف الكتب ، وموعدنا به الجزء الآتي إن شاء الله .

تعليقات

معهد الرقص

نشرت الصحف أخيراً أن الوزير فتحى رضوان - يوم كان - سينشئ معهداً للرقص وأنه على وشك الظهور فى القاهرة . ونحن - إزاء مشروع كهذا - لا نستبيح السكوت عنه ، وإن كنا لا نملك وقفه مهما كنا على حق فى إنكاره .

وإذا كان لبعض الهواة جهود ونشاط فى الترويج للرقص ، والعناية بإنشاء معهد له ، فلن يستطيع امرؤ منا أن يعتبر هذا المشروع سائغاً من الوجهة الإسلامية ، أو يراه عملا أدبياً يتفق وتقاليدنا الشرقية ، أو يزعمه هدفاً من الأهداف المشكورة التى تتجه إليها الثورة الرشيدة فى عهدنا الجديد : عهد البناء ، والتطهير ، والإصلاح الشامل .

وهل الرقص الذى يتهافت عليه أنصاره إلا تشجيع على المخالطة ، وانتزاع للحياء من الوجوه حتى يهون على الفتاة والمرأة وإن كانت مسلمة أن تخاصر زوجها أو الأجنبى عنها ، وتراقصه على مشهد من النظارة فى ظل هذا التشريع ؟ ثم يكون له من الأثر فى ضيعة الأخلاق ما يكون ، والحوادث شاهدة بذلك كل يوم ، وآخرها حادث الإسكندرية الذى تحدثت عنه الصحف منذ أيام قريبة .

إذا كان للتحلل والميوعة ، والاندفاع فى التقليد للغير أثر واضح فى الانحراف الذى نشهده فى بعض البيئات ، وينكره المجتمع الأغلب فلسنا على صواب إذا رضينا عن نشاط المجددين فى ابتكار هذه العوامل الهدامة للأخلاق ، وزحزحة الأمة عن خصائصها الموروثة ودفعها إلى مسايرة الغير فى مجال الإباحية .

والأمر بحاجة إلى التريث فى هذه الاتجاهات ، وإلى استغلال الفرص والإمكانيات

فى دعم الآداب ، وصيانة القومية من التلون بلون أجنبي عنها ولا يتمشى مع الطابع الشرقى الذى نذود عنه بأرواحنا وقوانا .

على أن الشخصيات النبيلة التى تتولى قيادتنا فى معترك الحياة لا تجنح إلى مثل هذا التقليد ولم نعرف عن واحد منهم ـ والحمد لله ـ أنه راقص ، أو يستبيح الرقص لمن يعيشون فى ظله أو ينتمون إليه بسبب ، وهم قدوة لنا فى السير إلى الأمام .

قالوا فى ترويجهم للرقص ونحوه : إنها فنون جميلة ، وإن الفن هو حياة الشعوب ، ومظهر حضارتها ، فمعارضة الفن عندهم تعتبر جموداً وتخلفاً عن الإسهام فى الحضارة ، ونحن ـ رجال الدين ـ نبادر فنعلن إيماننا بالفن والترحيب به ، والدعوة إلى توسيع مجاله ، ولكنه الفن الإيجابى الذى ينفع ولا يضر ، ويبنى ولا يهدم ، ويشرف ولا يخزى ويخجل . نحن نؤمن بالفن الجدى لا بالفن الهزلى الذى يذهب بقيم الحياة .

وهل الفن إلا بهجة من بهجات الحياة ، وروعة من روعات الإبداع فى الصناعة ، وإبراز لما أودع الله فى الطبيعة من أسرار .

وهل الفن إلا عبقرية فى استخدام الطبيعة وتهذيبها وتجميلها حتى تكون مثار الإيمان بقدرة الله ، والاعتراف بنعمه ، والإقرار بأن الله صنع ما صنع فى ملكه ، ووهب الفنان عبقرية تكشف ما خفى على غيره من السمو والجمال ، وتتجه بالعقول إلى بارئ السموات والأرض الذى أبدع ما أبدع فى دنيانا ، لينعم الإنسان فى حياة هنيئة ، ويستجيب لدعوة الله التى تنبض بها تلك الحياة فى كل جانب من جوانب الكون ، وفى كل مظهر من مظاهر الكائنات ؟ ؟ .

والقرآن يحثنا على النشاط والإتقان ، ويدفع بنا دفعا قويا فى المجال العملى الفسيح : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها » « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » . « صنع الله الذى أتقن كل شىء » .

وهكذا نرى للفن شأنا فى نظر الدين ، ونسمع الدعوة إلى الفن فى أسلوب القرآن مما يطول بنا ذكره .

فغير صحيح أننا نعارض الفن فى ذاته ، بل نعارض الخطأ فى تطبيق الفن على كل ما يروقهم من ضروب الباطل ، ونعارض النشاط فى ترويج الرذائل ، وهى فى غير حاجـــة إلى الترويج والتشجيع .

فمن الخير أن نسيء الجهود كلها ، ونبذل النشاط كله فى نواحى الجد ، وأن نترك لغيرنا ما ألفوه من تقاليد مرذولة ، كما رسمت لنا الثورة وسارت بنا فى سبيلها الرشيدة .

وهذا هو ما نقف عنده وندعو إليه .

ولعلنا نسلم من غضبة عشاق الرقص ، ومن خصومه المسرفين فى تطوير الفنون بصفة الإطلاق والتعميم .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

المدنية الحديثة

قال جودا أستاذ الفلسفة الانجليزية فى كتابه (سخافات المدنية الحديثة) :

وإن المدنية الحديثة ليس فيها توازن بين القوة والأخلاق ، فالأخلاق متأخرة جدا عن العلم ، ومنذ النهضة ظل العلم فى ارتقاء ، والأخلاق فى انحطاط . حتى بعدت المسافة بينهما » وبينما يتراءى الجيل الجديد للناظر فتعجبه خوارقه الصناعية وتسخيره المادة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه ، إذا هو لا يمتاز فى أخلاقه ـ فى شرهه وطمعه . وفى طيشه ونزقه ، وفى قسوته وظلمه ـ عن غيره . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة . إذ هو لا يدرى كيف يعيش . وإن توالى الحروب العظيمة الهائلة دليل إفلاسه ، وأنه يربى نشأه ليموت ، وقد خولت له العلوم الطبيعية قوة قاهرة ، لكنه لم يحسن استعمالها ، فكان كطفل صغير أو سفيه أو مجنون » ، وقال : « إن فيلسوفا هنديا سمعنى أطرى حضارتنا بأن سائق سيارة قطع كذا ميلا فى الساعة ، وأن طائرة طارت من موسكو إلى نيويورك فى كذا ساعة فقال لى ذلك الفيلسوف الهندى : إنكم تستطيعون أن تطيروا فى الهواء كالطير ، وأن تسبحوا فى الماء كالسمك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض » .

الأدب والعلوم

المجلس الأعلى للعلوم

صدر قرار جمهورى بإعادة تأليف المجلس الأعلى للعلوم بالجمهورية العربيـــة المتحدة ، وهو يقضى بأن يكون رئيس المجلس من بين الوزراء ، ويضم وكلاء عشرة وزارات ، ومدير المركز القومى للبحوث ، وممثلا من كل جامعة ، وعضواً عن مؤسسة الطاقة الذرية ، واثنين عن مجلس إدارة الاتحاد العلمى ، وعشرة أعضاء من المتصلين بالبحث العلمى .

وسيمنح العضو المتفرغ بالمجلس مكافأة سنوية ١٨٠٠ جنيه ، وغير المتفرغ مكافأة حدها الأقصى ٦٠٠ جنيه .

تشجيع البحوث العلمية

سيوزع مركز البحوث القومى فى الجمهورية العربية المتحدة ثلاثين ألف جنيه فى هذا العام على طلبة البحوث العلمية ، فيمنح كل باحث مائتى جنيه فى السنة لإعانته على إتمام بحثه وتقديم نتائجه فى أقرب فرصة .

ويتم اختيار الباحثين من خريجى الكليات العلمية العربيـة وفقاً لمشروعات بحوثهم ، ومن أهم شروطها أن يخدم البحث الاقتصاد العربى ، ويعمل على زيادة الإنتاج القومى .

وقد تم حتى الآن ٨٥ بحثاً فى مختلف فروع العلم والصناعة والزراعة . وينتظر أن تنتهى لجان قبول البحوث من اختيار ٦٥ بحثاً جديداً من البحوث التى قدمت إلى المركز .

تشجيع التفوق فى المدارس

أصدر وزير التربية والتعليم قراراً بتقديم منح مالية للمتفوقين فى جميع مراحل التعليم ، تصرف لهم على أقساط شهرية ، وبمقادير تحقق لهم متابعة دراساتهم ، كل حسب تفوقه . المنحة الأولى ١٢٠ جنيهاً للمستجدين فى الكليات والمعاهد لمدة سنة إذا كانوا متفوقين فى الثانوية العـامة والثانوية الفنيـة وشهادات المعلمين والمعلمات أو فى امتحانات النقل بالكليات والمعاهد بتقدير «ممتاز» أو حاصلين على ٨٥ ٪ من المجموع ، وللخمسة الأول من الثانوية الصناعية والزراعية .

المنحة الثانية ٨٤ جنيهاً للمتفوقين فى الكليات والمعاهد إذا حصلوا على ٨٠ ٪ فأكثر ، وكذلك للناجحين فى امتحان النقل .

المنحة الثالثة ٤٨ جنيهاً للحاصلين على ٨٥ ٪ فأكثر فى امتحانات النقل بالكليات والمعاهد العـالية .

المنحة الرابعة ٣٦ جنيهاً للخمسة الأوائل فى الإعدادية بالأقليم المصرى، وللثلاثة الأوائل بالأقليم السورى . وللبنات حق استبدال المنحة بالالتحاق مجانا بالأقسام الداخلية بالمدارس الثانوية لمدة ٣ سنوات .

المنحة الخامسة الإعفاء من نفقات التعليم العالى ورسوم الكليات والمعاهد العالية لكل من حصل على ٧٥ ٪ فأكثر فى الشهادة الثانوية وما يعادلها .

اتفاقنا الثقافى مع العراق

وقع السيد كمال الدين حسين فى بغداد نيابة عن الجمهورية العربية المتحدة الميثاق الثقافى العربى مع الجمهورية العراقية . وقد مثل العراق السيد هديب الحاج حمود وزير المعارف بالنيابة . وقال كمال الدين حسين : إن هذا الاتفاق حلقة من سلسلة الانتصارات التى حققها أبطال العراق يوم ١٤ يوليو ، وفى ثناياه معنى آخر غير مكتوب يشير إلى أنه ميثاق يجمع الأمة العربية كلها . وقد نص الميثاق على تنظيم التعليم فى ٣ مراحل على ما سبق لنا تفصيله فى حينه .

أجهزة الطبيعة الذرية

وصلت إلى مصر أجهزة من ألمانيا تبلغ قيمتها ٣٠ ألف جنيه ، سيعمل عليها خمسة طلاب بحوث ، لإجراء التجارب الخاصة بالطبيعة الذرية فى المركز القومى للبحوث .

وسيشرف على هذه التجارب البروفسور الألمانى ستوفسكى ، الذى سيتقاضى مرتباً من هيئة اليونسكو يبلغ ٢٠٠ جنيه شهرياً .

دراسات عليا للبترول

أنشأت الهيئة العامة للبترول معهداً عالياً للدراسات العليا لشئون البترول ، وقررت أن يكون مقره معمل تكرير البترول فى السويس . ومدة الدراسة فى هذا المعهد سنتان ، وهى بالمجان لخريجى الجامعات ، وتشمل دراسة جيولوجيا البترول ، وهندسة إنتاجه ، وتكريره ، وكيمياء البترول ، والتشريعات البترولية .

الانتساب للجامعات

بلغ عدد المنتسبين من شعبتى الآداب والعلوم ٣٨٥٢ طالباً وطالبة ، فقد قبل من القسم العلمى جميع المتقدمين من الحاصلين على ٥٠ ٪ فأكثر فى المجموع الكلى للدرجات وعددهم ٢١١٤ ، وقبل من القسم الأدبى الحاصلون على ٤٤٫١ ٪ من المجموع الكلى للدرجات وعددهم ١٣٧٨ . فالتحقوا بكليات الآداب والحقوق والتجارة .

أنباء العالم الإسلامي

تنظيم الحكم

فى الجمهورية العربية المتحدة

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة التنظيم الجديد للحكم فى الجمهورية العربية المتحدة . وهـذا التنظيم يوزع المسئوليات على ثلاث وزارات : الوزارة المركزية ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم المصرى ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم السورى . وتتألف الوزارة المركزية - بعد رئيس الجمهورية - من اثنين وعشرين وزيراً فى طليعتهم نواب الرئيس الثلاثة : السيد عبد اللطيف البغدادى ويتولى وزارة التخطيط والمشير عبد الحكيم عامر ويتولى وزارة الحربية والقيادة العامة للقوات المسلحة ، والسيد أكرم الحورانى ويتولى وزارة العدل . وفى الوزارة المركزية ثمانية وزراء من الإقليم السورى و١٥ من الإقليم المصرى . والمجلس التنفيذى لوزارة الأقليم المصرى يتألف من ١٤ وزيرا ويرأسه السيد نور الدين طراف ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم السورى يتألف كذلك من ١٤ وزيرا ويرأسه السيد نور الدين كحالة ، وقد اختير فندق «هليوبوليس بالاس» فى مصر الجديدة ليكون مقراً للوزارة الاتحادية وهو يحوى ثلاثمائة غرفة ، وفيه عدد من القاعات التى تصلح للاجتماعات . ومن الصدف أن طراز بنائه عربى .

نظام اللامركزية الإدارية

تقرر العمل بنظام اللامركزية الإدارية ، حيث يؤلف مجلس قروى لكل ثلاثة آلاف من السكان ، ومجلس بلدى لكل ١٥ ألفا من سكان المدن ، ومجلس المديرية بأعضائه المنتخبين والمعينين هو المجلس الموكل بكل عمل وكل إصلاح فى لا مركزية مطلقة ، والمحافظ هو المسئول عن نشاط هـذا المجلس أمام رئيس الجمهورية مباشرة .

السد العالى

اتفق المشير عبد الحكيم عامر مع الرفيق خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى على أن يقدم الاتحاد السوفيتى إلى الجمهورية

العربية المتحدة ٤٠٠ مليون روبل للساهمة فى تمويل إنشاء السد العالى، وذلك على شكل قرض يبدأ سداده بعد أن ينتهى المشروع ويأتى بثمراته كاملة . وسيكون تقديم القرض معدات وآلات مما يحتاج إليه فى إقامة السد .

إن احتياجات الرى للماء تقدر فى الوقت الحاضر بحوالى ٥٢ ملياراً من الأمتار المكعبة سنويا لمصر ، وبنحو ٣ر٥ مليار للسودان . وإيراد النيل من المياه متذبذب : يرتفع فى أحد الأعوام إلى مايزيد عن الحاجة وينخفض فى معظم الأعوام إلى درجة تضر بالزراعة ، وفى الحالتين فإن كميات عظيمة من مياه النيل تذهب فى البحر كل عام . وقد سبق معالجة ذلك بطريقة « التخزين السنوى » بإقامة خزان أسوان وخزان جبل الأولياء ، فأفاد فائدة محصورة بالقدر المزروع الآن من الأراضى ولمدة السنة فقط . ويراد الآن من السد العالى الإفادة فى توسيع مساحة الأراضى الزراعية بما يتناسب مع زيادة السكان ، وأن يكون التخزين « تخزيناً دائما » ، فجعل تصميم السد العالى على أن يكون حجمه معادلا لحجم الهرم الأكبر ١٧ مرة ، ويبلغ حجم الهرم الأكبر ٥ر٢ مليون متر مكعب، فالسد العالى سيمكن مصر من توسيع أراضيها الزراعية ٢ مليون فدان، وسيضمن احتياجات الرى لجميع الأراضى المزرعة - الحالية والمستجدة - فى جميع السنين وسيحسن صرف جميع الأراضى الزراعية بما يزيد غلتها سنوياً بحوالى ٢٠ ٪ ، وسيضمن زراعة ٧٠٠ ألف فدان أرز سنوياً ، ويقى البلاد وقاية كاملة من غوائل الفيضانات العالية وسيحسن حالة الملاحة النيلية ، وستتحسن به اقتصاديات مشروع كهربة خزان أسوان الحالى بما يضاعف من الطاقة الكهربائية للمحطة ، وسينتج طاقة كهربائية تقدر بنحو ١٠ مليار كيلوات ساعة فى السنة (أى حوالى عشرة أمثال الطاقة التى تستغلها البلاد فى الوقت الحاضر) مما يساعد على إقامة صناعات جديدة وزيادة انتاج مصنع السماد ، ويوفر حوالى مليونى طن مازوت سنويا ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة بمبلغ ٢٢ مليون جنيه، كما يزيد الدخل القومى السنوى بمبلغ ٢٥٥ مليون ج وسيتمكن السودان من توسيع زراعته بضعف المساحة المنتفع بها فى الوقت الحاضر ويضمن احتياجات الرى لجميع الأراضى المزروعة ، وسيتوسع فى زراعة القطن طويل التيلة ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة والدخل القومى من الزراعة بحوالى ٢٠٠ ٪ ، وسينتفع بالسدود التى ستقوم الحكومة السودانية بإنشائها ، وسيمكن ملء الخزانات التى تقيمها حكومة السودان من المياه الزائدة نسبيا مما يطيل فى عمرها .

فى جامعة الدول العربية

فى يوم ١٧ ربيع الأول (أول أكتوبر) عقد مجلس الجامعة العربية أولى جلساته لإعلان انضمام المغرب وتونس إلى الجامعة ، وقيام جمهورية الجزائر ، وكانت من الجلسات المشهودة فى تاريخ الجامعة ، وبعد انتهاء رؤساء الوفود من إلقاء كلماتهم نهض رئيس وفد المغرب فهز المجلس بكلمة خطيرة قال فيها : كنا دولة محتلة فلم نتمكن من الالتقاء مع أشقائنا فى جامعتنا قلب الأمة العربية ، والآن أتيناكم لنضع مشاكلنا أمامكم . إنه لا تزال فى المغرب جحافل من جيوش المستعمرين الغاشمين : إن صحراء المغرب لم تتحرر بعد ، والحدود المغربية لم تعين معالمها ، ونحن مستعدون للوفاء بميثاق الجامعة ، وتحمل كل التبعات والالتزامات ، لنساهم جميعا فى حل مشاكل العرب التى هى وحدة قائمة لا انفصام لها ، وإن المغرب يعتبر استقلاله ناقصا ما دامت جيوش فرنسا تحتل الجزائر ، ولا نعتبر استقلال المغرب تاما إلا باستقلال الجزائر ، وسنعمل معكم لنصل إلى غايتنا الكبرى .

ولم يشترك وفد تونس فى هذه الجلسة ،

وتلقى أمين الجامعة برقية بعيدة الأهداف من ملك المغرب جوابا على برقية تهنئة بانضمام المغرب إلى الجامعة ، وأرسل السيد أحمد عبد السلام بلافريج رئيس حكومة المغرب برقية شكر على ما أبداه مجلس الجامعة العربية من عواطف كريمة نحو المملكة المغربية وشعبها .

وفى يوم ٢٧ ربيع الأول (١١ أكتوبر) انعقد مجلس الجامعة العربية للترحيب بانضمام تونس للجامعة ، ففوجئت وفود الدول العربية بهجوم مندوب تونس على الجمهورية العربية المتحدة مرددا الاتهامات التى يروجها أعداء العروبة من باريس ولندن ونيويورك فاضطر وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى الانسحاب من الجلسة احتجاجا ، وثارت جميع وفود الدول العربية على وفد تونس الذى عكر جو الجامعة العربية . ووجه رئيس مجلس الجامعة (وهو فى هذه الدورة رئيس الوفد السعودى) اللوم إلى مندوب تونس على موقفه وقال : إن هذه سابقة لم تحدث من قبل ، وبعد انسحاب وفد الجمهورية العربية المتحدة طلبت وفود الدول العربية من رئيس وفد تونس أن يعتذر ، فأجاب بأن ما صدر عنه كان بتعليمات وردت إليه من حكومته ، وأن نص خطابه أرسل إليه من بورقيبة .

وقد تبين أن الذى حمل بورقيبة على ارتكاب هذه الحماقة سبب شخصى وهو لجوء الزعيم التونسى السيد صالح بن يوسف إلى مصر

وكان نائب بورقيبة ثم اختلف معه فحكم عليه بالإعدام ، وسبب سياسى وهو أن بورقيبة يؤمن بالميول الغربية ، وهو مصمم على السير فى موكب السياسة الفرنسية والأمريكية ، وهكذا قطع بورقيبة أواصر العروبة بينه وبين جامعة الدول العربية والقومية العربية .

وفى شهر ربيع الأول (١٣ اكتوبر) عقد مجلس الجامعة العربية جلسة علنية حضرها جميع مندوبى الصحف ووكالات الأنباء ، واتخذ فيها - بالإجماع - قرار تاريخى باستنكار كلام وفد تونس وشطبه من محضر الجلسة التى ألقى فيها واعتباره كأن لم يكن ، وإبلاغ وفد الجمهورية العربية المتحدة هذا القرار ودعوته لاستئناف مشاركته فى جلسات المجلس وأعماله

وقد كان وفد المغرب من أشد الوفود العربية استنكارا لموقف تونس ، وألقى رئيسه كلمة رائعة كانت موضع الاستحسان من حكومته ، وأذاعتها محطة إذاعة الرباط ثلاث مرات فى يوم واحد .

ومن العجيب أن يحمل بورقيبة كل هذا الحنق على لجوء مواطن له من أكرم المواطنين التونسيين إلى مصر ، مع أن بورقيبة نفسه كان لاجئاً فى مصر مدة طويلة ، وقامت له مصر بالإكرام الذى تراه واجباً عليها لكل سياسى عربى يتخذها وطناً له كوطنه ، وان فرنسا نفسها على غطرستها كانت أقل من بورقيبة حنقا على مصر بسبب هذه السياسة الطيبة الكريمة .

انسحاب أمريكا من لبنان

فى يوم ١٥ ربيع الآخر (٢٥ أكتوبر) تم جلاء جميع القوات الأمريكية عن لبنان . وكان مقرراً أن يكون الانسحاب فى آخر أكتوبر فتم قبل موعده بستة أيام . وقد جرت عملية الانسحاب سراً فى الصباح المبكر على ست سفن بحرية وعدد من الطائرات تحمل آخر دفعة من جنود المظلات إلى ألمانيا الغربية . وعند الظهر غادر بيروت الجنرال أدامز القائد العام لتلك القوات يرافقه مساعدوه العشرة . ولم يعلم بإتمام الانسحاب قبل موعده المقرر سوى الرئيس اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية ، ولم يبق فى بيروت إلا عشرة ضباط لتصفية المسائل الإدارية على أن يرحلوا آخر الشهر المقبل .

الجلاء عن الاردن

فى ١٩ ربيع الآخر (٢٩ اكتوبر) تم انسحاب القوات البريطانية بأكملها من الأردن وقد تولى الجيش الأردنى إنزال علم بريطانيا من المطار فور جلاء آخر جندى انجليزى عن البلاد ، وكانت قوة جنود المظلات البريطانية مؤلفة من ثلاثة آلاف جندى بقيادة

البريجادير توم باسون الذى رحل على طائرة نقل من طراز فاليتا ، وقد ظلت عملية نقل هؤلاء الجنود بطريق الجو تجرى بصفة مستمرة مدة خمسة أيام ، وقامت طائرات النقل بتسعين رحلة إلى قبرص مارة فوق الأراضى السورية بإذن من الجمهورية العربية المتحدة .

تسليح إسرائيل

أعلن فى لندن رسمياً أن بريطانيا باعت لإسرائيل غواصتين حمولة كل منهما ٧١٥ طناً وهى فوق الماء و ١٠٠٠ طن وهى تحت الماء ، وقد صنعتا بين سنة ١٩٤٢ و ١٩٤٥ . وقد سلمت أولاهما لإسرائيل وأطلقت عليها اسم « تنين » أى « التمساح » ، والأخرى فى مالطة اسمها « سانجورين » . وقد حصلت إسرائيل من بريطانيا على أسلحة تقدر قيمتها بخمسين مليوناً من الجنيهات منذ قامت ثورة العراق فى يوليو هذا العام حتى الآن . وهذا غير ماحصلت عليه من أمريكا وفرنسا أخيراً ، ويقدر ماتسلحت به إسرائيل بين سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٧ بما يوازى ٧٠٠ مليون دولار .

وقد اعتبرت الدوائر المسئولة فى مصر هذه الخطوة الجديدة من بريطانيا على الخصوص عملا شديد الخطورة ضد القومية العربية ، وأنه لا يمكن السكوت عليه مهما كانت الأحوال ولابد من مواجهته برد فعل إيجابى .

وقد دلت مراقبة الحال فى إسرائيل على أنها تقوم بحشود وحركات عسكرية ترمى من ورائها إلى ضم القسم الغربى من الأردن عند سنوح أول فرصة ، بعد انسحاب القوات البريطانية من الأردن ، ولما كان ذلك مما يستحيل أن تقف القومية العربية تجاهه وقفة المتفرج فقد جرت مشاورات عربية مهمة وضعت فيها الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية سياسة مشتركة لمواجهة تحركات إسرائيل ، وإن أية محاولة من جانب إسرائيل لاحتلال الضفة الغربية من نهر الأردن ستدفع الجمهورية العربية للعمل فوراً . ولن يقف العراق موقفاً سلبياً من إسرائيل اليوم كما وقف أيام نورى السعيد عند وقوع العدوان الثلاثى على مصر . فالحالة الآن فى هذه البقعة من الشرق العربى رهن بما يصدر عن إسرائيل من اتجاه بعد أن غمرها الغرب بهذه المقادير من الأسلحة التى تعتبرها القومية العربية خطراً موجهاً إليها بالذات ، والمسئول عن ذلك أولئك الذين يقفون من وراء إسرائيل ويمدونها بما قد يفقدها العقل والبصيرة .

من نتائج العداء القائم

قال وزير المستعمرات البريطانى مستر لينوكس بويد ، فى خطاب ألقاه فى مؤتمر المحافظين يوم ٩ أكتوبر : إن عداء الجمهورية العربية المتحدة التى يرأسها الرئيس جمال عبد الناصر قد خلق حاجزاً جوياً فى الشرق الأوسط يمكن أن يؤثر فى مؤننا ومواصلاتنا إلى الشرق الأقصى .

انقلاب عسكرى فى باكستان

وقع فى يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول (٨ أكتوبر) انقلاب عسكرى فى باكستان ألغى فيه الدستور القائم، وأقيلت حكومة فيروزخان نون المركزية وباقى الحكومات الإقليمية، وحل المجلس التشريعى الوطنى والمجالس الإقليمية، وحلت الأحزاب السياسية ومنعت اجتماعاتها، وألغيت الانتخابات التى كان مقررا أن تجرى فى فبراير القادم.

وأظهر مافى هذا الانقلاب تولى الجنرال محمد أيوب خان - قائد الجيش الباكستانى - منصب الحاكم العسكرى العام. وقد أعلن أن الانقلاب موجه إلى السياسيين الذين اتخذوا من الحكم وسيلة للتجارة فى السوق السوداء، وكانوا يسيرون بالبلاد إلى الهاوية، وأنه ضد عملاء الاستعمار الذين كان غرضهم الأوحد إرضاء المستعمرين على حساب مصلحة البلاد، والعناصر التى تعمل على إيجاد سوء التفاهم بين باكستان ودول أخرى كالجمهورية العربية المتحدة والهند والصين والاتحاد السوفيتى، كما أعلن رغبة هذا الانقلاب فى إقامة علاقات ودية مع جميع الدول، والاستمرار فى تنفيذ التزامات باكستان الدولية.

وأذاع بياناً قال فيه: «إنه لابد من إعلان حالة الطوارى، لأن ساسة تافهين قد خلقوا فوضى إدارية واقتصادية وسياسية وأخلاقية شاملة».

وفى صباح الاثنين ١٤ ربيع الآخر (٢٧ أكتوبر) تنازل اسكندر ميرزا عن رياسة الجمهورية الباكستانية خدمة للمصلحة العليا فى البلاد، وسافر فورا بالطائرة إلى مدينة كويتا بالقرب من الحدود الأفغانية ثم إلى لندن. وباشر فى صباح اليوم التالى الجنرال محمد أيوب خان مهام منصبه الجديد رئيسا للجمهورية ورئيسا للوزارة ووزيراً للدفاع وحاكما عسكريا عاما، وكان أول قرار اتخذه بعد ذلك إخراج ثلاثة من كبار الموظفين المدنيين وتعيين ثلاثة من العسكريين بدلهم نوابا للحاكم العسكرى. وأعلن الحرب على الفساد والرشوة والاختلاس

وتقول اليونيتدپرس إن ما يقدر بملايين الروبيات من الأقمشة المهربة والحبوب الغذائية أعلن التجار وجودها خوفا من الإنذار الذى وجهته الحكومة لمن لا يبلغ عن هذه البضائع

والجنرال محمد أيوب مولود فى منطقة الحدود وتلقى دراسته فى جامعة عليكره الإسلامية، ثم تلقى دراسته العسكرية فى كلية ساندهرست الحربية بانجلترا. وقبل ثلاثين عاما عين ضابطا فى جيش بلاده، وتدرج فى مراتب القيادة إلى أن عين قائدا للقوات الباكستانية الشرقية وهو من عشر سنوات برتبة لواء. وهو أول قائد عام للجيش الباكستانى تولى وزارة الدفاع ولاشك أنه الآن فى أعظم امتحان تعرض له فى حياته، فإن أحسن النجاح فيه بحكمة وإخلاص أوشك أن يكون من رجال التاريخ.

الفهرس



قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١٥٣٣ لسنة ١٩٥٨ بتعيين وكيل للجامع الأزهر والمعاهد الدينية

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له

قـــرر

المادة الأولى : عين السيد الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن عضو جماعة كبار العلماء وكيلا للجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

المادة الثانية : على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة الجمهورية فى ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ — ٦ ديسمبر سنة ١٩٥٨

جمال عبد الناصر

تهنئة وأمـــل

« إلى فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر »

نشأت فى الأزهر فكان وطنك ومسجدك ومدرستك ، فاضت عليك منه الروح الوطنية والقومية العربية ، وأوذيت فى سبيل ذلك حينما كانت يد الاستعمار فى البلد ذات بطش شديد ، وجمعت إلى ذلك عبادة ربك وتبتلك إليه تبتيلا ، أما مدرسته فقد كان يشع منها نور على نور ، ولا يزال فى ازدياد بمزيد من جدك ونشاطك ، وسهرك فى التحصيل والدرس ، ولازمك التوفيق حتى لمع اسمك على رأس الناجحين ، وزها نجمك بين الخريجين فتحملت حينئذ نصيبك من المسئولية فى التعليم ، فكنت بحق آية فى علمك وتعليمك ، ونبراسا فى فهمك وتفهيمك ، ومثلا لأبنائك يحتذى فى الخلق الكريم .

وكان ولا يزال الدرس عملك بل أحب الأعمال إليك ؛ إلى أن سعى إليك وأنت فيه هذا المنصب الجليل ، وليس هو بالنسبة إليك بالمنصب الجديد فقد شغلته قرابة عامين ، ولكنك لما رأيت ظلم الظالمين أبيت إلا أن تضحى بمنصبك الغالى فى سبيل تمسكك بالمبدأ العالى ـ لا أظلم ولا أتعاون مع الظالمين ـ واستقلت محتفظا بكرامتك ومبادئك .

وكأن الله قد أظهرك على الغيب ؛ فطهرت نفسك وصنتها من أدران هذه الحقبة السوداء التى مرت بالأزهر فأحالت نهاره الأبيض ليلا فاحم السواد ، وأشاعت فيه الظلم والفساد ، وحسب هذه الحقبة أن أبعد فيها عن الأزهر أبناؤه الغر الميامين ، كل ذلك قد كان بعمل المسئولين فى الأزهر تارة وبعلمهم تارة أخرى ، إلى ما كان من ضياع العلم ، وضعف الدين فى سبيل المنصب الذى نبذهم واستحقوا على هوانه حرمانهم وجزاءهم (إن ربك لبالمرصاد)

أى وكيل الأزهر : لا جديد فى منصبك إلا أن الله قد هيأ لك معه اجتماعك مع صديقك الصدوق (الشيخ شلتوت) لتتحملا معا المسئولية فى الأزهر .

وكلا كما يقـــدر أخاه ، ويعلم حرصه على نشر العلم غزيرا ، وغيرته على رفعة الدين وعزته ، وتقديره للأزهر ومكانته ، وكلا كما قدير على تحمل أعباء ذلك ، فإلى

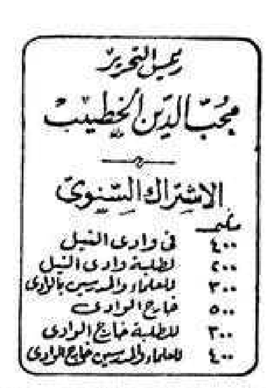
تهنئة وأمل

الأمام معا فى سبيل إنهاض الأزهر من كبوته . أدركوا به ركب الحضارة والعلم ، وسيروا به حثيثا حتى يكون فى الطليعة كما كان ، واعملوا على أن يخرج للناس عالما قديرا فى الدين والدنيا ، والله يجزيكم على ذلك خير جزاء العاملين المخلصين .

أخى وكيل الأزهر : هذه تهنئتى ، بثثت معها أملى ، وأعلنت عن أملى ، وإنى أسأل الله لكم المعونة التامة ، وسداد الرأى ، ودوام التوفيق . مستهدفين العمل على تحقيق الصالح العام لجمهوريتنا العربية مع ربطها بالجمهورية السودانية برباط وثيق من الدين والقومية ، إلى ذلك الرباط الربانى نهر النيل المبارك الذى وحد بين الشعبين منذ خلقهما الله ، مستمسكين بتوجيهات زعيم العروبة والإسلام الرئيس جمال عبد الناصر ، أدام الله له التأييد وحقق للعروبة على يديه كل ما يريد ؟

مدير المجلة

عبد الرحمن عيسى





مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء السادس ـ القاهرة : جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ ـ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٥٨ ـ المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

من إلهامات السد العالى :

العروبة تكبح جماح النيل

عشنا مع الترك العثمانيين ردحاً من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء العزيز من الوطن العربى : « الإيالة المصرية » ، وكانت الإيالة المصرية فى عهدهم مباءة الفقر والفوضى والحرمان ، ومسرحاً للأدب الناعس ، والعلم المتحجر ، والكدح العقيم .

ثم عشنا مع ربيبهم محمد على وسلالته الضالة ردحاً آخر من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء المغبون من الوطن العربى : « القطر المصرى » ، وكان القطر المصرى فى ظلال حكمهم حقلا لهم وللتآمرين معهم من الأغيار والانتهازيين ، يعمرونه على قدر حاجتهم إلى استغلاله فى شهواتهم ومآربهم ، ويوجهون أهله نحو الانسلاخ عن عروبتهم وسجاياها ، وعن إسلامهم وأخلاقه وحيويته ، بما يلقون إلى أبنائهم من فتات العلم الاستعمارى ، وبما يزينون لهم من مظاهر الحضارة الماجنة وأكاذيبها .

ثم بعث الله فينا هذا الرجل الموهوب من بنى قرة فى أرض الصعيد الطيب ، فهتف بمصر : إنك عربية ، لا شرقية ، ولا غربية . وهتف بالعروبة : إنك من معدن كريم للحق

والخير ؛ وقد كانت ثورة سلفك الأول لجة النور فى عصور الظلمات ، وبدعوتهم المباركة أشرقت الأرض بنور ربها ، وما كان لذلك النور أن يضعف إلا بأن تنامى ، وقد نصبت الشعوبية حبائل سحرها من كل نوع لتنامى ، فنمت عن رسالتك ألف سنة أو تزيد ، وآن لك اليوم أن تستيقظى ليبعث الله فيك حيويتك الممتازة ، وإشراقك المتألق ، ولتستأنفى القيام برسالتك العظمى كعهد التاريخ بها أول مرة ، فتتحول « الإيالة المصرية » ، ويتحول « القطر المصرى » ، ويتحول كل وطن للعروبة والإسلام ، إلى ينبوع من فيض الحق والخير تتحطم من حوله حواجز الأوهام التى أقامها الشعوبيون وأعداء العروبة - فى مئات السنين الماضية - ولا يزالون يقيمونها عبثاً بين مصر وسائر الناطقين بالضاد ، وسيعترفون بفشلهم الذريع كلما رأوا صورة هـذا الرجل الموهوب من بنى قرة تبتسم لإخوانه العرب والمسلمين فى كل مكان ، وكلما سمعوا صوته الجهورى يجلجل على موجات الأثير فى جميع آفاق الأرض بالثورة على الباطل والشر ، وهذه مصر تحتل بدعوته قلوب العرب والمسلمين جميعاً . مما لا عهد للتاريخ بمثله ، ومما لم تكن دول الأرض تتوقع حدوثه - إلى ما قبل سبع سنوات - ولا فى المنام . .

إن العروبة التى هتف بها هـذا الجندى العربى الموهوب ، قد تحول بها ما كنا نسميه « القطر المصرى » إلى ينبوع متدفق من قوة القلوب العربية فى آسيا وإفريقية ، يوشك أن يجعل من هذه القومية العربية العظيمة دولة عربية عظيمة ، تخفق قلوب أبنائها جميعا بالقوة والعزة والرحمة والخير من أدنى الأرض إلى أقصاها ، وتنبض ذرات أرضها بالثروة والبركة والرزق الحلال الطيب لكل من يبذل فى سبيله عمـــلا صالحا طيبا ، وتفيض آلاء الله فى أرجائها بكل ما تدره هذه الآلاء الإلهية من أسباب النعيم المقيم .

أكتب هذه الكلمة بعد حلم عميق سرحت فيه متفيئاً ظلال السد العالى ، وظلال ما يمكن أن يقوم - فى سيح مائه المدخر - من جنان وأفنان ، وبنيان وعمران ، فى عشرات السنين الآتية ، وقد لا يمتد بى العمر حتى أرى ذلك بنفسى ، فمن الله على بتصوره فى أحلامى كما لو كنت من شهود كماله وجماله ، مقارنا بينه وبين مصر الأمس يوم كانت تسمى « الإيالة المصرية » ، ومصر التى كانت بعدها أيام كانت تسمى « القطر المصرى » .

هـذه مصر الغد مجلوة أمام عينى كالعروس بكل محاسنها ، إنهـا تتمطى بصلبها عن يمين وشمـال : إن رمالها التى كانت تنبسط فى شرقها إلى بحر القلزم يوشك أن تتحول إلى مدائن

وثغور، وإلى طرق بينها معبدة تمتد فيها شرايين المواصلات بمصنوعات المصانع من كل نوع فى الأرض، وتقوم على سيف بحرها ثغور المصايف والمتاحف، ومدن السياحة والسباحة، ومرافئ المصايد وموانئ التصدير، تغشاها أساطيل السفن التجارية خفافا عيابها، وتبحر منها بحر الحقائب إلى سواحل باكستان والهند وأندونيسيا والصين وسائر الثغور الآسيوية شرقا، وإلى سواحل الصومال وأرتيريا والحبشة وسائر الثغور الإفريقية غربا. أما رمال مصر التى كانت تنبسط فى أعماق غربها إلى المحاريق والواحات وباريس المصرية؛ وإلى البويطى والفرافرة وعين دلة، وإلى وادى النطرون فالضبعة ومرسى مطروح، ثم إلى منخفض القطارة وسيوة؛ إن هذه الرمال التى تموج كالبحار وراء شطآن النيل والشريط الأخضر من منطقة نشاط مصلحة الرى شرقا وغربا، يوشك إذا قام السد العالى وأدى مهمته فى الرى والصرف أن تدب الحياة فى تلك الرمال إما بتوزيع المياه عليها بالعدل والقسطاس فى نظام الرى الجديد بعد السد العالى، أو باستنباط المياه الجوفية بالطرق الحديثة على ما يرجى اتباعه فى آفاق العريش، وحينئذ تزدان هذه القفار بما يشمخ فيها من المبانى والمصانع، وتعم أرجاءها الخضرة والحيوية والبهجة والخصب، وتترنح بنسيمها العليل عذبات الأغصان فى الغابات الكثيفة والحدائق الغناء فى كل مكان.

كل ذلك يرجى أن يكون يوم تنتهى العروبة من كبح جماح النيل، وتطويعه لمصلحة القومية العربية ونمائها وعظمتها وسعادتها.

إن فى إقامة السد العالى، والتمكن من ادخار الجامح من مياه النيل الضائعة، معنيين من المعانى الإسلامية: أحدهما الشكر العملى لله عز وجل على هذه النعمة، نعمة النيل، ومن شكر الله سبحانه على أية نعمة القيام بحفظها، وحسن استعمالها، فى كل ما يدنى الإنسانية من أهداف الخير وأسباب القوة والسعادة. والمعنى الإسلامى الثانى فى إقامة السد العالى التوبة إلى الله من التفريط السابق فى هذه الثروة، ووضع حد لما كان من التبذير والإسراف فى ترك هذه النعمة تذهب إلى البحر المالح سدى، مع إمكان الضن بها، وحفظها لاستعمالها فيما يزيد هذا الوطن الإسلامى قوة وثروة ونعمة ورزقا. وقد سبق لى التحدث إلى قراء هذه المجلة فى افتتاحية جزء صفر سنة ١٣٧٣ عن القوى الضائعة فى مصر، وأولها هذا النيل الأعظم، هبة الله الكبرى لهذا الوادى، وقلت يومئذ: إن من نظام الإسلام الاعتدال والاقتصاد وتجنب السرف والتبذير فى كل ما ينتفع به. ومما علمه الإسلام للمسلمين أن المتوضئ إذا كان

يتوضأ من النيل الأعظم ينبغي له ألا يسرف فى الماء ، لاخوفا على ماء النيل أن ينقص ، بل خوفا على المسلم أن يتعود التبذير والسرف ، وأن يكون بالتبذير من إخوان الشياطين . ومن العجيب أن يكون هذا تعليم الإسلام للمسلمين ثم نكون جميعاً مسرفين على أنفسنا فى كل شيء ، ونضيع مالو حفظناه وأحسنا القيام عليه لكنا من أقوى الأمم ، بل أقوى الأمم .

إذا وفقنا الله إلى إقامة السد العالى ، وبدأنا نجنى ثمرات هذا العمل العظيم فى عشرات السنين الآتية ، فإن ذلك سيكون حداً فاصلا بين مصر الصغيرة ومصر الكبرى . بين مصر التى كان تعداد سكانها فى عهد محمد على مليونين ، ثم صارت فى الحرب العالمية الأولى أربعة عشر مليونا ، ثم بلغت فى الحرب العالمية الثانية عشرين مليونا ؛ وبين مصر التى تستطيع فى نظام الرى بالسد العالى أن تعول أربعين مليونا إلى خمسين مليونا . هذا فى الإقليم الجنوبى من بلاد الجمهورية العربية المتحدة ، فكيف بنا إذا سلكنا هذه الطريق فى إقامة السدود واستنباط المياه وتنظيم الرى وتوسيع التصنيع فى الإقليم الشمالى ، ولا سيما فى مستقبله القريب عندما يتم للعروبة فقء الدمل الخبيث الذى أحدثه الاستعمار الأجنبى فى ناحية عزيزة مقدسة من جسم الوطن العربى العظيم والكيان الإسلامى الأكبر . . .

نحن على أبواب تطور ننتقل به ـ إن شاء الله ـ من كيان ضعيف مشتت ، إلى كيان عظيم متين تحترمه الدنيا وتهابه . وليس الذى أتحدث عنه وهماً ولا خيالا ولا من كواذب الأمانى ، ولكنها البوادر تلوح من وراء سجف الغيب ، بقدر ما يراها المؤمن ببصيرته حتى كأنه يلمسها ، أو كأنها تمشى مقبلة وهو يسمع وقع أقدامها ...

هذا الحد الفاصل بين كياننا الصغير الذى مضى ، وكياننا العظيم الذى يوشك أن يكون ، يهتف بنا بأمور أخرى بعد الهتاف الذى سمعته مصر وسمعته العروبة من صوت رجلنا الموهوب جمال عبد الناصر منذ نحو سبع سنوات إلى الآن .

إن الهاتف الذى يهتف بنا من وراء سجف الغيب لمناسبة هذا التطور الذى نتوقع به الانتقال من الكيان الصغير كيان « القطر المصرى » إلى الكيان الكبير « كيان القومية العربية » ، ينبغى لنا أن نصغى إليه بنفوس مؤمنة ، وقلوب طاهرة ؛ لأن الهاتف هاتف غيب ، والإصغاء إليه ضرب من ضروب العبادة ، وطهارة القلوب من أول شروطها .

الأخلاق التى كنا عليها يوم كنا سكان « القطر المصرى » لا تصلح لأن نبقى متخلقين بها يوم يتم الله علينا نعمته ببناء السد العالى . إن كياننا بعد انتهاء السد العالى سيكون أضخم وأعظم من أن نحمله بأخلاق سكان القطر المصرى .

إن إخلاص هذا الرجل الموهوب الذى يقودنا فى حركة الانتقال من الكيان الصغير إلى الكيان الكبير ، يرتب علينا واجباً له ولنا أن نكون مخلصين للمعانى العالية والتوفيقات الإلهية أكثر مما كنا عليه ونحن فى كياننا الصغير الماضى .

أرأيت لو كنت ساكنا شقة متواضعة فى حى متواضع ، ثم كبر أولادك وصارت لهم مناصب رفيعة أو ثروة تجارية أو صناعية كتب الله لهم فيها التوفيق والنجاح ، هل تبقى وأولادك فى شقتك المتواضعة ، من ذلك الحى ، أم تنتقلون إلى منزل أوسع فى صقع أكرم ؟ وهل تنتقلون إلى المنزل الجديد بالأثاث الرث الذى كان لكم فى الشقة البالية ، أم تجددون أثاث منزلكم الجديد بما يليق بكم وبه فى حياتكم الجديدة الكريمة ؟ .

لما سافر الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة ١٣٢١ وألقى فيها تفسيره لسورة العصر ، قال للذين حضروا ليودعوه : إنى ذاهب إلى الجزائر لأجدد نفسى . والذى يذهب إلى الحج وينخلع من ثياب الحضارة الكاذبة ويهتف بكلمة « لبيك اللهم لبيك » يعاهد بذلك ربه على التوبة مما سلف من كل عمل غير صالح ، ويجدد حسابه مع الله بحياة جديدة تليق بمن كتب على نفسه التوبة من كل ما سلف منه فى حياته السابقة . وهذا النوع من تجديد النفس يستشعر به صاحبه الراحة من أعباء معنوية كانت تثقل كاهله فيلقيها وراء ظهره ، ويبدأ بسيرة جديدة نظيفة تليق بحياته الجديدة النظيفة .

هذا المعنى فى تجديد النفس ، وبدء حياة جديدة عند الانتقال من طور فى الأمة عفى عليه القدم إلى طور آخر لها يختلف عن الطور السابق ، هو الذى كان يشعر به أصحاب رسول الله عند ما يدخلون فى دين الله ، وهذا التجديد العملى فى الحياة كان يؤهلهم ليكونوا عظماء فى كيانهم الجديد بما لم يكن يخطر على بالهم لما كانوا فى كيانهم القديم . لقد كانوا عند الانتقال من كيانهم الأدنى إلى كيانهم الأعلى يشعرون بما يترتب عليهم من أعباء جديدة للحياة الجديدة فيوطنون النفس عليها ويؤدون لها ما يشعرون به من ضريبة التضحية ، فيكافئهم الله عليها بعشرات أضعافها من ارتفاع مستواهم ، وارتقاء أخلاقهم وفضائلهم وسجاياهم ، إلى أن

يكونوا من عظماء الدنيا . مثال ذلك قبيلة مزينة التي كان منها زهير بن أبي سلمى وابناه بجير وكعب ، وحفيداه عقبة والعوام ، ومن نوابغهم معن بن أوس ، ثم كان منهم أذكى أذكياء الدنيا القاضي إياس بن معاوية . هذه القبيلة كانت منازلها في جنوب المدينة على جانبي الطريق إلى مكة ، فلما أراد الله لهم الخير عقب الهجرة المحمدية فوعوا مرامي الإسلام ، كان أول ما يترتب على دخولهم فيه أن يساهموا في حمل أعبائه بأموالهم وأنفسهم . إلا أن السماء كانت في ذلك العام ضنينة على منازل مزينة بالغيث والخصب ، فقدم رجال منهم على رسول الله يبذلون له أنفسهم ، ويعتذرون عن البذل من أموالهم ، لأنهم لا أموال لهم يومئذ يتصدقون من فضلها . إلا رجلا منهم هو النعمان بن مقرن المزني فإنه وحده كان يرى أن الجود لا يكفي أن يكون من الموجود ، بل يجب أن يكون بكل الموجود . فلما أراد هو وستة من إخوته أن يقدموا أنفسهم لله ورسوله خجلوا من الله ورسوله أن يأتوا المدينة بأيد فارغة ، فجمع النعمان ما كان حول خبائه وأخبية إخوته من غنيمات ، وساقها بين يدي رهط من قومه جاءوا المدينة ، ولقي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل فيه قول الله عز وجل من سورة التوبة : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم ، سيدخلهم الله في رحمته ، إن الله غفور رحيم » . إن هذه الغنيمات لا تكاد تنفع الدعوة الإسلامية بشيء ، غير أنها كل ما كان يملك النعمان ابن مقرن وإخوته الستة ، فلما اتخذوها قربات عند الله وصلوات الرسول كان ذلك دليلا على أنهم تقربوا قبلها بقلوبهم وجميع مواهبهم لله ، فكان ذلك في تاريخ الدعوة الإسلامية شيئا عظيما . قال عبد الله بن مسعود : « إن للإيمان بيوتا وللنفاق بيوتا ، وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان » . وفي يوم الخندق وهو من أيام الشدة في الإسلام ناط النبي بكل عشرة من الصحابة حفر أربعين ذراعا من الخندق ، وكان النعمان بن مقرن يحفر مع تسعة آخرين في البقعة التي ظهرت فيها صخرة بيضاء استعصت عليهم ، فأنجدهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة وأهوى على الصخرة فأزالها ، فكان للنعمان وصحبه شرف مشاركة الرسول لهم في أربعينهم . وفي فتح مكة كان النعمان صاحب راية مزينة ، وفي بداية فتنة الردة لما خرج الصديق بنفسه لقتال المرتدين حتى انهزموا واتبعهم أبو بكر إلى ذي القصة كان النعمان بن مقرن على ميمنة جيشه ، وأخوه عبد الله بن مقرن على ميسرة ذلك الجيش ، وأخوهما الثالث سويد ابن مقرن على الساقة ومعه الركاب . ثم خلف أبو بكر النعمان بن مقرن في ذي القصة وعاد إلى

المدينة . ولما استأنف أبو بكر القتال مع المرتدين فى ذى حسى وذى القصة كان بنو مقرن الثلاثة على مكانتهم من جيشه حتى نزل هذا الجيش على أهل الربذة بالأبرق . فكانت مواقف هؤلاء الإخوة المزنيين كلها مواقف صدق وعزم وإيمان . ولما فتحت جبهة الجهاد فى إيران فى خلافة الفاروق انتقل النعمان بن مقرن بقومه من مزينة عن منازلهم الأولى فى جنوب المدينة إلى الجانب الشرقى من مدينة الكوفة ليقوموا بالدفاع الحربى عن البلاد التى دخلت فى الإسلام ، ولينشروا الدعوة الإسلامية بالطريقة التى بينتها فى كتابى « مع الرعيل الأول » ، وليعربوا البلاد التى توطنوها أو التى سيصلون إليها . ومن ذلك المنزل فى شرق الكوفة زحف النعمان بن المقرن لقتال يزدجرد ، وكان من أبطال حرب القادسية ، ثم كانت له القيادة العليا فى معارك نهاوند سنة ١٩ . ولما نزل ليخوض هذه المعركة العظمى ، وكانوا يسمونها (فتح الفتوح) ، أمر بأن يضرب فسطاطه فتسابق أربعة عشر قائدا من أشراف القادة المجاهدين ، وأكثرهم من الصحابة كحذيفة بن اليمان فبنوا للنعمان فسطاطه بأيديهم ، فلم ير الناس بناة فسطاط أشرف من هؤلاء . وفى هذه الملحمة الرهيبة نال الشهادة العظمى ، وأخذ أخوه نعيم ابن مقرن الراية قبل أن تقع وذهب بها إلى حذيفة بن اليمان فقام فى مقام الشهيد الأعظم إلى أن نالوا النصر النهائى ، وذهب السائب بن الأقرع بالأخماس إلى أمير المؤمنين عمر فى المدينة ، فلما علم منه عمر بشهادة صاحب تلك الغنيمات ـ النعمان بن مقرن المزنى ـ المنتصر على دولة من أقوى وأعظم دول العالم يومئذ بكى عمر ونشج وجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

كل دعوة صالحة تحتاج إلى مؤمنين بها مخلصين لله فى أعمالهم . وهذه الثورة قامت فى وجه الاستعمار كله ، وهيأ الله لها أسباب نجاحها بإخلاص داعيتها وقائدها ، وهذا الإخلاص يجب أن يتجاوب مع إخلاص مثله من كل أفراد الأمة ، وإن من لوازم هذا الإخلاص التجرد من الأخلاق الصغيرة التى كانت لنا فى كياننا الصغير ، والانتقال إلى أخلاق أخرى كبيرة تليق بما نستقبله من كيان كبير . فالكيان الكبير بلا أخلاق لا يتم ، وإن تم لا يدوم . والأخلاق العالية ثمن الكيان العالى ، لا يتم ولا يدوم إلا بها .

إن ثورة العروبة التى تكبح الآن جماح النيل ، وتمنعه الإباق والضياع فى البحر المالح ، يجب أن تكبح كذلك جماح القوى الإنسانية والأخلاق الفردية فتجعل ذلك كله فى مصلحة القومية العربية ونمائها ورخائها وعظمتها وسعادتها . هذه أبواب العمل ستتفتح على مصاريعها

لكل من يعمل عملا صالحاً فينال ثمن عمله على مقدار عمله . ودواليب العمل إذا دارت فإن من مصلحة كل من يتصل بها أن يوجه عمله فى اتجاهاتها .

كلنا دواليب وآلات ومسامير فى الكيان العملى . فيجب أن يكون لكل فرد منا عمل إيجابى فى هذا الكيان ، لتكون القوى كلها مسايرة له وقائمة بنصيبها فى حركته وسيره واتجاهه ، ثم يكون كل واحد منا فى المستوى الذى يؤهله له عمله ، وإحسانه فى هذا العمل .

الدواليب دائرة ، وستدور ، ثم تدور . وحركتها ستكون أنظم وأعظم إذا كانت قطع الغيار والمسامير محكمة فى أماكنها ، مؤدية عملها . والإنسان المنحرف بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه ، لا يصلح أن يكون فى قافلة الأمة ، ولا أن يكون قطعة غيار فى كيانها . لأن انحرافه بأوضاعه وأخلاقه سيجعله طعمة للدواليب الماضية فى اتجاهها ، فيذهب غير مأسوف عليه . والإنسان المستقيم بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه أشبه بقطعة الغيار المحكمة فى موضعها من الكيان الأعظم ، فإن القائمين على الآلة يسهرون على تغذيته بالتزييت والتشحيم ، ويتعهدونه بالنظافة والإصلاح والتثبيت ، ويجددون حياته ما احتاجت حياته وحياة الآلة به إلى هذا التجديد .

إن المصنع الذى يخرج لكيان العروبة قطع الغيار من أبنائها هو المدرسة ، والمدرسة لا تزال متلكئة فى إخراج قطع الغيار الصالحة لكيان العروبة المنتظر ، لأن الأعوان على هذه المهمة من المعلمين ورجال وزارة التربية والتعليم لا يزال أكثرهم بعقلية « القطر المصرى » فى حياة ما قبل الثورة ، وكثير منهم متأثر بمناهج وضعت لغير زماننا ولعكس ما صرنا إليه : ومن مصلحة هؤلاء فى ذات أنفسهم ، ومن مصلحة كيان العروبة فى وضعه الجديد وأهدافه العظمى بعد السد العالى ، أن يعين هؤلاء على أنفسهم ، وأن يعدلوا وضعهم مع العروبة فى اتجاهاتها وتخريج المؤمنين بها . وكما آمنت مزينة بالرسالة الأولى ، وأعد هؤلاء الأعراب من أبنائها قلوبهم وعزائمهم وقواهم للقيام بأعبائها فبلغوا بذلك أعلى مناصب الدنيا ، حتى انتصروا على دولة من أقوى دول الأرض يومئذ ، فليكن لكل رجل منا أسوة حسنة بهؤلاء المجاهدين الأبرار فى إخلاصهم وصدقهم ، لتتجاوب القلوب كلها فى استقبال كيان العروبة الأكبر على ما يليق بنا وبه فى عشرات السنين الآتية ، وكل آت قريب ؟

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٦٥ —

المثالية الأدبية فى توجيهات القرآن ، لمن كان ذا سمع وفطنة

« ا » وذروا ظاهر الإثم وباطنه .
«ب» إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون .

دعوة القرآن تتجه بالناس دائما إلى الصعود نحو المشارف ، ليكونوا فى مقامهم من الإنسانية التى يناجيها ربها ، ويتعهدها بالتربية ويضفى عليها الكرامة التى ليست لسواها فى الأرض .

وأنت ترى القرآن ينهانا عن ظاهر الإثم وباطنه ، وهو بهذا الكلام الموجز يبعدنا بعداً شاسعاً عن كل نقيصة : من ظاهر الإثم الذى يبدر من الإنسان على مشهد أو مسمع من الغير . ومن باطن الإثم الذى يكون فى خلوة وخفاء ، عن الناس .

والظاهر والباطن من الإثم كما يتناول أعمال الجوارح يتناول أعمال القلب : مما يتصل بالعقيدة ، ويبدو فى المظهر والسلوك : كتصديق الباطل ، والارتياح إلى الشكوك ، وإلى الزهادة فى دعوة الدين ، والجنوح إلى المشاقة لله ورسوله ، بأى لون من ألوان المروق والتحلل .

بل الظاهر والباطن من الإثم لا يقفان عند الجانب الدينى البحت ، بل يتناولان آداب السلوك العام ، والمساس بأى حق من حقوق المجتمع ، والخروج على النظام الذى تكفلت به القوانين الوضعية الصحيحة .

وكل ما قامت عليه المصلحة الجدية يعتبر داخلا فى إطار الدعوة الدينية ، وإن لم تصرح به النصوص الدينية فى الكتاب أوفى السنة . فالنصوص لم تأت بتفصيل كل شىء ، بل جاءت فى أكثر منهجها كنماذج ، يقاس عليها ما تكشف عنه الحاجة ، وترشد إليه التجربة ، ويراه

ولاة الأمور خـــيراً للناس فى حياتهم ، وأمنا على حقوقهم ، وصيانة للنظام العام من عبث العابثين .

فحينئذ يكون هدى الدين كاشفاً عن المنفذ الذى يصل منه المشرعون إلى الهدف ، ويكون الدين متمشيا مع اتجاه الحياة فى خطاها المتتابعة « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » يعنى : تفصيلا وإجمالا .

وليس معنى هذا أن يتعرض الدين صريحاً للمخترعات ، وأدوات المصنع ، وإنتاج المعامل ! ! كما يشتهى بعض المتطلعين من أهل الجدل والشقشقة ، والفضول .

لا : بل نقصد أن كل ما تهتدى إليه العقول ويكون صالحا للحياة ومفيداً للناس وليس معارضاً لوجهة الدين ، ولا ناقضاً لمبدأ معروف فيه ، فهو أمر سائغ ، ومأذون فيه ضمنا إن لم يكن هو تطبيقاً مباشراً لنصوص الدين .

وهذا استطراد يرتبط بظاهر الإثم وباطنه ، وهو واضح ، بعد ان توسعنا فى مفهوم الإثم ، وتناولنا به كل ما يجلب على الناس ضرراً .

ويبدو من هذا أن عبارة الكتاب العزيز مع إيجازها فى اللفظ غاية الإيجاز وسعت كل ما يعتبر فساداً ، وكل ما ينافى الحياء ، وكل ما تعافه الفطرة .

وليس فى هذا التعميم تعسف ، بل هو قريب التناول إذا استأنسنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم « والإثم ما حاك فى صدرك منه شىء » .

فهذا خطاب لصحابى مسلم ، بل هو خطاب لكل مسلم ، والمفروض أن المسلم قوى المشاعر الدينية ، ومرهف الإحساس ، وصادق الإدراك ، شديد الحياء ، فهو بفطنته وفطرته قد يدرك المعابة ، ويحس بالمأخذ ، ويتردد فى الأمر الذى لا يتسع له صدره بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وملأه نوراً ، وخشية ، لا غرورا ، ولا وباء ، ولا رياء « والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم » .

وإذا كان النهى عن ظاهر الإثم وباطنه شاملا لكل ما يجافى الصواب : ديناً ، ودنيا ، فعقوبة المخالفة تكون خطيرة ، وتكون فى قوتها مؤازرة وموازية لقوة النهى الشامل ،

وهذا هو قوله تعالى « إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون » وقد اجتمع في هـــذا التهديد ما اجتمع من أساليب التأكيد لسوء الجزاء بسبب اقتراف المخالفين لما يقترفونه من ظاهر الإثم أو باطنه .

ثم تأتي آيات بعد هـذا النهي فيها تعريج على بعض أنواع الإثم الذي يقترفه الناس ، وكانوا يقترفونه قديما .

منها قوله تعالى « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين » .

وهذا أمر يأذن بأكل الذبائح التي يذكر اسم الله عليها عند ذبحها ، وفيه رد على كفار كانوا يتركون التسمية على الذبيحة ، بل كانوا يتركون الأكل مما ذكر عليه اسم الله : عناداً منهم ، وتشبثاً بالمخالفة .

وفي هذا الأمر امتنان على الناس بما أباح الله لهم من لحوم يجب أن يشكروه بذكر اسمه عليها حين ذبحها إن كانوا مؤمنين حقاً بآياته ، وذلك حكم قائم ، وللفقهاء تفصيل فيه بين العامد والناسي لذكر التسمية ، والأرجح عندهم أنها لا تسقط عمداً ، ولا تحل الذبيحة إذا تركت عليها التسمية عن قصد .

وتليها آية أخرى في هذا الصدد :

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » فهذا نهي صريح عن أكل الذبيحة التي تركت عليها التسمية ، وهو رد كذلك على من كانوا يستبيحون هذا ، ويأكلون ما ذكر عليه اسم الصنم أو أي اسم غير اسم الله المستحق وحـــده للشكر على ما خلق ، وعلى إباحته للأكل من تلك الذبائح المسموح بأكلها .

وقد سمى الله تعالى أكل ما لم تذكر عليه التسمية ـ فسقا ـ « وإنه لفسق » والفسق هو المعصية الكبيرة ، وقد يراد منه الكفر الصراح .

والتعرض للأكل وعدم الأكل هنا من باب التمثيل للإثم المنهي عن فعله . وهو يتناول أكثر من هذا ، غير أن أكثر ما يقع الإثم فيما يؤكل حراما ، فاختير ذكر الأكل لشيوعه وغلبته على سواه .

ثم تنتقل بنا الآيات إلى توجيه كريم نحو ظاهرة اجتماعية ، هي : أن العصاة في الجماعات والبلاد هم غالبا أكابرها .

وهذه سنة كونية صرح بها القرآن فى قوله تعالى « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ، ليمكروا فيها » . يراد فيما نفهم : أن أهل اليسار ، وأصحاب النفوذ ، وذوى المظاهر ، ونحوهم ـ وهم الأكابر فى كل قرية أو جماعة ـ هم ـ غالبا ـ الذين يخالفون ما أمر الله به إلى ما نهى الله عنه ، والمعروف أن أصحاب النعم كثيراً ما يغترون بها فتقسو قلوبهم ، وينال الغرور من نفوسهم ، ويستحوذ الشيطان عليهم فيلتوون عن الشكر الواجب ، إلى المتاع المحظور ، ويرون فى تبجحهم تعالياً عن مستوى الضعفاء ، والفقراء ، وتمنعا عن سماع النصح والخوف من التهديد والوعيد ، وأنهم أكبر من أن يخضعوا ، ويذلوا لأحد ، ولو كان ربهم ـ سبحانه ـ ونحن نشهد اطراد هـذا الانحراف إلى وقتنا ، وفى كل وسط من الأوساط بسبب ما لديهم من أسباب الزهو ، والمفاخرة ، بل ربما قلدهم ، وتابعهم على ذلك من ليس لديه شىء من هذا : حبا فى التظاهر ، واستخفافا بالمعصية .

وكذلك كانت قريش فى ماضيها : ما بين متبوع مستكبر ، وتابع مستضعف ، وفى القرآن قصص مبسوطة عن هؤلاء وما كانوا يعملونه ، وإخبار بما سيكون منهم يوم القيامة من ندم ، وتنصل من التبعة ، وإلقاء كل من الفريقين جريمته على الآخر ، حتى يلقى بهم جميعاً فى النار ، ويقف بين الفريقين هذا الجدل ، ثم يقرون جميعا بقولهم ـ إنا كل فيها ـ النار ـ إن الله قد حكم بين العباد .

وإن حديث القرآن عن الأكابر المجرمين فى كل قرية أو كل بيئة واضح فى التنديد عليهم والتذكير لهم ليعتبر منهم من يعتبر ، وليتنبه كل من كان مفتونا بنعمة إلى الإصلاح من شأن نفسه ، وعلاج حالته بما يفيده من توجيه القرآن نحو المثالية الأدبية الخلقية .

فهل لأدبائنا المعاصرين ، وكتابنا المجددين أن تكون لهم عظة ، وأن يتريثوا فى غرورهم ويقتصدوا فى باطلهم وتضليلهم ؟ ويعلموا أنهم يمكرون بأنفسهم ولا يشعرون ؟

اللهم وفقنا ووفق الجميع ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



عمل المرء لنفسه

> أبقى الأصحاب وأكرمهم ـ أشدهم خذلانا لصاحبه ! ـ دنيا الصحابة ـ أحق الناس بخلافة الأرض ـ حرص واجب ـ وجه يبشر بالخير ـ أكمل الهدى فى تشييع الميت.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقولُ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتبع الميِّتَ ثلاثةٌ . فيرجعُ اثنانِ ويبقى معه واحد : يتبعه أهلُه ومالُه وعملُه ، فيرجع أهلُه ومالُه ويبقى عملُه.

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى (*)

* * *

من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته ، ومن آثار رأفته بهم ورحمته ، أنه لا يألوهم نصحاً ، ولا يدخر عنهم وسعاً ، فى كل ما يسوق لهم نفعاً : أو يدفع عنهم ضراً ، أو يبقى لهم ذخراً ، فى هذه الحياة الدنيا وفى الحياة الأخرى . . .

وفى هذا الحديث الموجز الجامع ، يهيب بأمته صلوات الله وسلامه عليه ، ويدعو كل فرد منها أبلغ دعوة وأجمعها ، أن يصطفى أنيسه فى وحشته ، وجليسه فى وحدته ، وطائره فى عنقه ، يوم يقال له : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

لقد حذرنا صلوات الله عليه وسلامه الجليس السوء ، ورغبنا فى الجليس الصالح ، وأخبرنا أن المرء على دين خليله ؛ لينظر كل من يخالل ، وليس أحد منهم بالمقيم معنا

(*) ولا يختلف عن لفظ مسلم إلا فى زيادة « معه » وماضى المضارعين : تبع ـ كعلم ـ أو اتبع ، بتشديد التاء . رواه البخارى فى « باب سكرات الموت » من كتاب الرقاق ؛ ورواه مسلم فى أول كتاب الزهد .

أو الباقى فى دار الفناء . لا جرم أن دعوته صلى الله عليه وسلم ، إلى اختيار الصاحب الباقى فى دار البقاء أجل وألزم ، وهل للمرء صاحب أبقى له وأدوم ، وآنس وأكرم ، من العمل الصالح الذى ليس له فيه من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ؟ إن هذا العمل الخالص المصفى ، رائده فى حياته ، وبشيره بعد مماته ، ونوره الذى يمشى به فى الدنيا ، ويسعى به فى الآخرة .

* * *

ولا يكون العمل خالصا مصفى مبتغى به وجه الله عز وجل ، إلا إذا كان تابعا للعلم المأثور ، مصاحبا للإيمان الخالص ، بريئا من النفاق والغش . فأما العمل الصادر عن جهالة أو هوى أو عن رياء وسمعة فلا خير فى صحبته ، ولا وزن له عند من يضع الموازين القسط ليوم القيامة ، ويعلم السر وأخفى ، ومن هو أغنى الشركاء عن الشرك ؛ بل إن هذا العمل نكال لصاحبه ووبال عليه ، وأشد الأصحاب خذلانا له ! !

وأضل من هذا العمل ضلالا ، وأبعد منه وبالا ونكالا ، عمل من يفرقون بين الله ورسله ولا يؤمنون حق الايمان بخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم وبكل ما جاء به . ومحال أن يجزى الله فى اليوم الآخر من لا يؤمن باليوم الآخر ، ومن كذب بما أرسل به رسله ، وبما أنزل به كتبه ، إلا حميا وغساقا . جزاءً وفاقا . فأما ماقدموه من خير فى دنياهم فقد عجل لهم جزاءه فيها ، وأما أخراهم فلا مقال لأحد بعد قوله سبحانه : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

وربما ظن قريب النظر أن هذا الحديث يدعو إلى ترك الدنيا وعدم السعى فيها ، وإلى الزهد فى الطيبات وعدم التمتع بها ، وإلى الاشتغال بالعبادة والعكوف عليها ، وربما أيد ظنه هذا بأن الحديث مروى فى أبواب الزهد والرقائق . . ولكن ذلك نظر قاصر يحصر الحديث فى أضيق حدوده ، ويجافى هدى الرسول وصحابته ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه ينهى عن الرهبانية فى الإسلام ، ويأكل الطيبات ويجيب الدعوة إليها ، ويدعو إلى الشكر عليها ، ويقول فيما رواه الإمام أحمد نعم المال الصالح للرجل الصالح ، وكان أصحابه بعد أن فتح الله عليهم يملكون هذه الدنيا ولا يصدون عنها ؛ بل كان منهم فى عهد النبوة الأغنياء الأثرياء ، والتجار الأوفياء ، الذين قال الله فيهم « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام

الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، بيد أنهم كانوا يملكون الدنيا ولا تملكهم ، ويهبونها لله ولا تحزنهم ، ويتوسلون بها إلى الله ولا تفتنهم ، وأولئك سادة الزهاد ، وهداة العباد ، إلى عمارة الدنيا الصالحة . والتجارة الرابحة ، والملك الرشيد .

* * *

على أن من أعظم العبادات ، وأجل القربات ، تسخير هذه الدنيا واتخاذها وسيلة ، إلى الخير والبر ، وذخيرة من صالح الأعمال . وفى هذا التسخير على الوجه الذى يرضاه الله سبحانه ، شكر للشاكرين ، وتعليم للجاحدين ، بأن أحق الناس بخلافة الأرض وعمارتها والتمكين منها ، هم العاملون الصالحون . .

* * *

وإذا كان عمل العبد يصحبه ويبقى معه حتى يلقى ربه عز وجل ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، على حين يفارقه أهله وماله ، أشد ما يكون محتاجا إليهم فما أجدره إذاً أن يحرص على صاحبه الذى لا يغنى عنه أهل ولا مال ، حرصه على نفسه التى لا يجد منها بديلا ولا عوضا . .

ومن هنا يتبين أن الحديث لا يألو جهدافى الدعوة إلى العمل النقى الخالص ، الذى يتمثل لصاحبه فى القبر رجلا حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يأتى بالخير فيقول : أنا عملك الصالح . . فى حديث طويل رواه الإمام أحمد . . فلينظر المرء وهو فى سعة من أمره ، كيف يعد جليسه فى روضته إن شاء أو فى حفرته ؟ !

* * *

واتباع الأهل والمال للموتى أمر أغلبى ، فرب ميت لا مال له ولا أهل ، وقد يكون له أهل ولا يمكنون من اتباعه وتأدية حقه . . والاتباع هنا يشمل الحسى منه والمعنوى والمراد أن كلا من هؤلاء الثلاثة يتعلق بالميت على وجوه شتى ، ثم ينفض عنه المال والأهل ويلزمه العمل . .

ويشير الحديث إلى حق من حقوق الميت ، وهو تشييعه وتوديعه . .

والسنة لمن تبع الجنازة إن كان راكبا أن يكون وراء المشيعين جميعاً ، وإن كان ماشياً ان يكون قريبا منها . خلفها أو أمامها أو عن يمينها أو عن شمالها ، وأكمل الهدى وأفضله أن يشيع أخاه إلى قبره ماشيا أمامه ، لأنه بمنزلة الشفيع له . . وتلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين من بعده . . .

أما بعد ، فهذا حديث فى عمل المرء لنفسه وتقديمه لحياته قبل رمسه ، يتصل به حديث آخر فى عمل المرء لغيره ، رغبة فى نفعه وبره . وموعدنا الجزء القادم بمشيئة الله تعالى وتوفيقه ؟

طه محمد الساكت

الصحابة كلهم من أهل الجنة

قال شيخ الإسلام علم الأعلام الحافظ ابن حجر العسقلانى فى مقدمة كتابه (الإصابة) : اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ، ولم يخالف فى ذلك إلا شذوذ من المبتدعة .

ثم قال : والأحاديث الواردة فى تفضيل الصحابة كثيرة ، من أدلها على المقصود ما رواه الترمذى ، وابن حبان فى صحيحه ، من حديث عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضا . فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم . ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، فيوشك أن يأخذه » .

ثم قال : وقال أبو محمد بن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً ، قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » . وقال تعالى : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » . فثبت أن الجميع من أهل الجنة ، وأنه لا يدخل أحد منهم النار ، لأنهم المخاطبون بالآية السابقة .

التوريث فى الاسلام
ميراث المرأة

إن من الحق والإنصاف أن نقرر أن التشريع الإسلامى،فى كل ناحية من نواحيه ينبوع الحكمة ومصدر العدالة والحفيظ على الأواصر الاجتماعية ومقومات الأسر والشعوب .

ومن تشريعات الإسلام الحكيمة ، تشريع التوريث الذى بنى على نظام دقيق فى ترتيب طبقات الوارثين ، وتقدير نصيب كل وارث ، وحجب بعضهم حجب حرمان ، وبعضهم حجب نقصان بسبب لكل منهما ، ورعاية القوة والضعف فى القرابة ورعاية جانب المصاهرة بتوريث الزوجة وتقدير نصابها الملائم لوجود أولاد معها وعدم وجودهم ، وكذلك الزوج ، إلى غير ذلك مما سنذكر بعض أمثلة منه فيما يأتى ، وكل هذا يدل على أن تشريع التوريث فى الإسلام من ينابيع الحكمة ، وقد شرعه الله بنظام يكفل ربط الأسرة برباط وثيق ، ويجعل كل فرد من أفرادها راضياً بعدالة القسمة بينه وبين سائر الأفراد مقتنعاً بأن التوريث الإسلامى قد أعطى كل ذى حق حقه .

ومن عدالة التوريث فى الإسلام نظامه الحكيم فى توريث المرأة ، فلم يحرمها كما كان يحرمها العرب وغيرهم من كثير من الأمم ، ولم يعطها فوق ماينبغى لها ويتلاءم وحالها كما فعل القانون الرومانى الحديث والقانون الفرنسى ، وكما يطالب بذلك بعض أنصاف المتعلمين الذين يطلبون لها المساواة بالرجل فى الميراث ، ومع ذلك يدعون الإسلام والإسلام برىء منهم ، وكأن هذا فى نظرهم بعض الحقوق السياسية التى طالبت المرأة بمساواة الرجل فيها ، إذ لم يوجد كما لن يوجد على ظهر الأرض مسلم يمارى فى أن الله قد بين بياناً شافياً واضحاً بالنص الذى لا يحتمل التأويل نصيب المرأة والرجل فى الميراث « للذكر مثل حظ الأنثيين » وأن هذا الحكم معلوم من الدين بالضرورة ، فكل من يطالب بمساواة المرأة بالرجل فى الميراث خارج عن الإسلام كافر بإجماع المسلمين ، لا يشذ عن ذلك مسلم فضلا عن إمام مجتهد ، ولبيان عدالة التشريع الإسلامى فى توريث المرأة نذكر ماعليه التوريث عند غير المسلمين من العرب وغيرهم .

كان الميراث عند الأمم الشرقية القديمة منظوراً فيه إلى إقامة دعائم الأسرة فحسب بعد موت رئيسها ، ولهذا اشترطوا فيمن يخلف الميت فى أسرته ألا يكون من النساء والأطفال ، فيخلف الميت ابنه البكر إن كان بالغاً ، فإن لم يوجد فأرشد الذكور من الأولاد ، فإن لم يوجد فأرشد الإخوة ، ثم الأرشد من أبنائهم ، ثم الأعمام هكذا ، ثم الأصهار ، ثم الأرشد من العشيرة ، ويكون له بعد رئيس الأسرة مطلق التصرف فى شئونها ، وكانت الوصية عندهم نادرة ولا تصح إلا عند عدم وجود ذكر رشيد فى الأسرة ، وإنما كان اهتمامهم بالأسرة لأنهم كانوا أهل حل وترحال ، فدعاهم ذلك إلى التشدد فيمن يخلف الميت فى أسرته ليكون لكل أسرة رئيس مطلق التصرف فيها .

وعند قدماء اليونان والرومان الإرث مبنى على الوصية ولكل شخص الحق فى اختيار الوصى الذى يخلفه ولو كان أجنبياً وللوصى حق التصرف فى مال الأسرة وفى أفرادها كيف شاء ، فله أن يزوج من أراد ويمنع من الزواج من أراد ، وللأب أن يؤثر فى وصيته بعض أبنائه على بعض ولكن ليس له أن يحرم بعضهم من الميراث بالكلية ، وإذا لم يكن للميت وصية لبعض الأبناء تساوى جميع الأبناء فى الميراث ، وإذا لم يكن للرجل أبناء كان له أن يوصى بماله لمن يشاء فإن مات بلا وصية كان الميراث لإخوته ثم أبنائهم ثم الأعمام هكذا ثم الأخوال .

وليس عندهم للمرأة حق فى الميراث ، ولا خلاف بين قدماء اليونان والرومان إلا فى أن الوصية عند قدماء الرومان لا تصح إلا إذا وافقت عليها القبيلة ، فإن لم توافق عليها عينت من يصلح لذلك ، أما قدماء اليونان فيرون رفع الأمر للحاكم وتصح الوصية بعد صدور الحكم بصحتها ، ولكل شخص حق الطعن فى هذا الحكم إذا ظهر أن بالوصية ضرراً بمصلحة الأسرة أو الوطن ، كذلك كان عند قدماء الرومان أن حقوق الوصية تنتقل إلى الوصى من حين الوصية ، ولا يكون لرب الأسرة الحق فى معارضته فى تصرفاته ، ولا تنتقل حقوق الوصية للوصى عند قدماء اليونان إلا بعد موت الموصى .

واستمر هذا إلى أن تغير القانون الرومانى قبيل الإسلام ، فجعل سبب الإرث القرابة فيحصر الميراث فى فروع الميت فيرثه أولاده ذكوراً وإناثاً بالتساوى ، ثم أصوله ويشاركهم الإخوة الأشقاء ، ويقسم الميراث بينهم نصفين ويتساوى الذكور والإناث فى الأنصبة ، ثم

الإخوة لأب ثم الإخوة لأم ثم الأقرب فالأقرب للميت بالتساوى بين الذكر والأنثى، وليس للزوجة حق فى ميراث زوجها لانحصار سبب الإرث فى القرابة .

وقد أخذ القانون الفرنسى عن القانون الرومانى نظام المواريث فى الجملة ويرجع نظام التوريث فى القانون الفرنسى إلى ما يأتى :

الورثة على ثلاث درجات : فالأولى : الأولاد من النكاح الصحيح والأقارب ويطلق على هذه الدرجة الورثة الشرعيون ، والثانية : الأولاد من النكاح الفاسد والزنا (الأولاد غير الشرعيين) والثالثة: الزوج والزوجة ، ولا يرث أحد من الدرجة الثانية إلا عند فقد جميع أفراد الدرجة الأولى كذلك لا يرث أحد من الدرجة الثالثة إلا عند فقد جميع الدرجتين الأولى والثانية ، أما الأصول فالأب والأم لا يرثان إلا عند فقد الفروع ، وأما الأصول غير الأب والأم فلا يرثون إلا عند فقد الفروع والحواشى .

ولا ترث الزوجة ولا يرث الزوج والأولاد غير الشرعيين إلا بعد رفع الأمر إلى القضاء وصدور الحكم بتوريثهم .

وعند اليهود يرث الميت والده الذكر فإن تعدد الذكور من الأولاد كان للبكر نصيب اثنين منهم .

وليس للبنت نصيب فى الميراث إذا وجد معها الابن أو ابن الابن ، ولكن لها النفقة والتربية حتى تبلغ سن الثانية عشرة ، فإن لم يكن للميت ابن ولا ابن ابن ورثت البنت ثم أولادها وإذا لم يكن له حفدة فميراثه لأولاد حفدته الذكور ثم الإناث وهكذا ... ، وإذا لم يكن له أولاد ولا حفدة ولا فروع من الحفدة ورثه أبوه ثم أصول أبيه وإذا لم يكن له أصول من أبيه ورثه الأقارب من الحواشى الأقرب فالأقرب إلى الدرجة الخامسة مع تساوى أنصبة جميع الوارثين ما عدا الابن البكر كما قدمنا فإنه يأخذ نصيب اثنين عند تعدد الأولاد الذكور .

ولا ترث الزوجة شيئا من زوجها ، ويجب على الأخ إذا توفى أخوه وليس له ابن أن يتزوج امرأته وولده البكر منها يحمل اسم أخيه ويرثه .

وعند العرب فى الجاهلية الميراث حق للرجال الذين يركبون الخيل ويقاتلون الأعداء وليس للضعيفين من النساء والأطفال حق فى الميراث ولا فرق فى النساء بين البنات والأمهات

والأخوات والزوجات وغيرهن فكلهن محرومات من الميراث ، بل لقد كان للأخ أن يرث مع مال أخيه زوجته إن أراد، فيرث الميت ابنه الأكبر إن كان بالغا فإن لم يوجد له ابن كذلك فأخوه ثم ابن عمه ، وبقى ذلك إلى بدء عهد الإسلام حتى بعد الهجرة ثم أنزل الله تشريع الميراث فأبطل ما كان عليه الجاهلية .

عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الذكور الصغار فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابنا صغيرا فجاء أبنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبته فأخذا ميراثه كله فأتت امرأته رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ما ادرى ما أقول فنزلت « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، للنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » .

وعن عكرمة قال : نزلت فى أم كحة وابنتها كحة ، وثعلبة وأوس ابنا سويد وهم من الأنصار كان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت يا رسول الله توفى زوجى وتركنى وابنته فلم نورث فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكى عدوا نكسب عليها ولا تكسب ، فنزلت الآية .

ثم نزلت الآيات المبينة نصيب كل وارث فقد روى أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم (عن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك فى أحد شهيدا ، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ، ولا تنكحان إلا ولهما مال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى الله فى ذلك فنزلت آية الميراث (يوصيكم الله فى أولادكم) الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال اعط ابنتى سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقى فهو لك) .

قال العلماء وهذه أول تركة قسمت فى الإسلام ، أى على نظام التوريث الإسلامى .

وقد ظهر مما تقدم أن قدماء اليونان والرومان يعتمدون فى التوريث على الوصية وأن لكل شخص الحق فى اختيار الوصى ولو كان أجنبياً ، كما ظهر أن أكثر الأمم حتى الذين يقولون بالتوريث بدون الوصية ويبنون الميراث على القرابة يحرمون الإناث من الميراث

وأن البعض الذى يورثهن يحرم الزوجات من المـــيراث فى أزواجهن ، وعلى الجملة ظهر أن العدالة فى الميراث كانت مفقودة حتى فى التشريعات الحديثة .

لجاء الإسلام وحال المرأة فى الميراث بين إفراط فى حرمانها من الميراث بالكلية وتفريط بالمساواة بينها وبين الرجل فأبطل كل ذلك معلناً نصه الصريح « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » وبين بيانا مفصلا وافياً الأنصبة لجميع الورثة بقوله « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » الآيات فكان تقسيمه عادلا قضى على طرفى الإفراط والتفريط وأن كل من نظر إلى هذا التقسيم مجرداً عن العاطفة والغاية لايسعه إلا الإقرار بعدالته والاقتناع بجعله نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل ، فإن ذلك أمر تدفع اليه شئون الحياة ونظمها القاضية بأن يكون الرجل رب الأسرة والقائم بشئونها وتحصيل جميع مطالبها ، فى معاشها وتربية جميع أفرادها لافرق بين ذكورهم وإناثهم ، وهو أيضاً القائم بشئون الزوجية والمطالب بتقديم كل ماتحتاج اليه الزوجة فى الصحة والمرض فى المعسر والميسر ، على الموسر قدره وعلى المقتر قدره ، وعلى الجملة فالرجل هو المكلف بأن يكد ويكدح ليؤدى لكل واحد من أفراد الأسرة حتى الزوجة مايحتاج إليه وليست زوجته مطالبة حتى بالإنفاق على نفسها ، فهل من العدل والإنصاف أن تتساوى المرأة مع الرجل فى الميراث بعد كل ذلك ، لاشك أن هذه المساواة إفراط ومجاوزة للحد فى مقابلة التفريط الذى كان عند كثير من الأمم بحرمان المرأة من الميراث بالكلية .

أجل إن تشريع التوريث فى الإسلام قضى على ظلم الظالمين الذين حرموها من الميراث ولم يعطوها منه شيئاً ، وقدر لها نصيبا عادلا يتلاءم مع حالها بالنسبة للرجل ولا يجاوز ماتقتضيه شئون الحياة فلم يطغ على حق الرجل كما لم ينقص مما تستحق المرأة شيئاً ذلك تقدير الحكيم العليم .

وإلى القارئ بعض أمثلة للمقارنة بين التوريث فى الإسلام والتوريث عند غير المسلمين حتى يتبين الرشد من الغي .

١ — مات رجل وترك زوجة — وابنا صغيراً — وبنتاً — وأماً — وأخاً .

فالحكم عند العرب فى الجاهلية وعند الأمم الشرقية القديمة الميراث كله للأخ وليس للإناث ولا للابن الصغير شىء . وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية إن وجدت مع ملاحظة عدم حرمان الوصية للابن بالكلية ، وعند عدم الوصية الميراث كله للابن وليس للإناث شىء كما ليس للأخ شىء .

وعند اليهود الميراث كله للابن وليس للبنت ولا للأم شىء كما ليس للزوجة شىء وكذا الأخ ليس له شىء وعلى القانون الفرنسى الميراث كله للابن والبنت بالسوية وليس للأم شىء كما ليس للزوجة ولا للأخ شىء . وعلى التوريث الإسلامى للزوجة الثمن وللأم السدس والباقى للابن والبنت للذكر مثل حظ الأنثيين وليس للأخ شىء لوجود الابن .

٢ — رجل مات وترك بنتاً ـ وابن ابن ـ وزوجة ـ وأبا .

الحكم عند اليهود والعرب فى الجاهلية الميراث كله لابن الابن ولا شىء للبنت ولا للزوجة والأب وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية وعند عدم الوصية التركة لابن الابن .

وعلى القانون الفرنسى التركة كلها للبنت ولا شىء لابن الابن والأب ولا للزوجة .

وعلى التشريع الإسلامى للزوجة الثمن وللبنت النصف وللأب السدس والباقى لابن الابن .

٣ — مات رجل وترك زوجة ـ وبنتاً ـ وأختاً شقيقة ـ وعماً .

الحكم عند العرب فى الجاهلية التركة كلها للعم ولا شىء للإناث .

وعند قدماء اليونان والرومان إن كانت وصية اتبعت وإن لم توجد وصية فالتركة للعم .

وعند اليهود وعلى القانون الفرنسى التركة كلها للبنت .

وعلى التشريع الإسلامى للزوجة الثمن وللبنت النصف وللأخت الباقى ولا شىء للعم .

ألا ترى معى العدل والنور يلوحان من خلال التقسيم الإسلامى فى هذه الأمثلة لعمرى إن تشريع الميراث فى الإسلام لمن أكبر الأدلة على صدق محمد بن عبد الله وصحة رسالته ؛ إذ جاء إلى الناس بهذا التشريع فملأ الكون نوراً وهدى وأعطى كل ذى حق حقه والناس حينئذ مايزالون فى غياهب الجهل بالمواريث حتى ذوو العلم والعرفان بالقانون ، جاء محمد بهذا التشريع على هذا النظام الدقيق ، وهو الذى نشأ وعاش ولازم هؤلاء العرب فى جاهلية جهلاء تحرم الإناث ومن لم يبلغ مبلغ الرجال من الذكور من أن ينال شيئا من الميراث ، فكان هذا

التشريع العجيب الدقيق الحكيم على لسان النبى الأمى الذى نشأ هذه النشأة دليلا على أنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين .

وقد بدأ الله عزوجل الآيات التى بين فيها أنصبة الوارثين بقوله « يوصيكم الله فى أولادكم » وختمها بقوله : « وصية من الله والله عليم حليم » للإشارة إلى أن هذا التشريع يحبه الله ويريد منكم أن تسارعوا إلى تنفيذه والعمل به كما يحرص الموصى ويريد أن يسارع الوصى إلى تنفيذ وصيته وصرح الحكيم العليم أثناء بيان المواريث بأننا عاجزون عن السر الحقيق الذى عليه يكون تقدير أنصبة الورثة ، ولكن الله العليم بخفيات الأمور هو الذى قدرها وفرض عليكم الأخذ بها إذ يقول : « آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما » .

عالج الله ما كان عليه أهل الجاهلية من حرمان الإناث وصغار الذكور بما تقدم وبما أشار إليه ذلك النص « للذكر مثل حظ الأنثيين » حيث جعل نصيب الأنثى هو الأصل وحمل عليه نصيب الذكر فكأن نصيب الأنثى مقرر مفروغ منه ، وأن للذكر ضعفه وإلا لقال للأنثى نصف حظ الذكر ، وذلك كله كما قلنا علاج لحالة الجاهلية المستولية على قلوبهم المتأصلة فيها ، الدافعة إلى حرمان إناثهم وختم آيات الميراث بعد ذلك بقوله : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعدد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » . لعل الناس يتدبرون ويحذرون فيسارعوا إلى امتثال الأمر وتنفيذ الوصية ليفوزوا بالنعيم المقيم وينجوا من العذاب الأليم .

هذه العناية الفائقة من العليم الحكيم بهذا التشريع العظيم ليجتز من القلوب مبدأ الجاهلية ، ولكن مع الأسف الشديد لايزال كثير من الناس مطموسى القلوب بمبدأ الجاهلية ، ولا يزال كثير منهم ينشد ما أنشدوا :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فتغلب عليهم عاطفتهم فيحتالون لحرمان الإناث من الميراث بعد أن قرر الله حقهن فيه وقدره ، فيعطون أبناءهم فى حياتهم ما يشاءون من أموالهم ، إما بالهبة وإما بالبيع الصورى ،

زاعمين أن لهم فى حياتهم حق التصرف المطلق فى ملكهم والله يعلم أنهم لكاذبون ، فإن الله إنما جعل لكل مالك حق التصرف فيما يملك فى حدود الدين ، وتحت سلطان الشريعة الإسلامية ، والدين لا يقر هذا التصرف ولا يبيحه ، وإلا لكان هازلا ، أو كان كمن أعطى باليمين وسلب باليسار ، ولبيان أن الله لا يحل هذا التصرف ، نورد ما ورد من السنة النبوية فيه .

روى البخارى (عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنهما وهو على المنبر يقول أعطانى أبى عطية فقالت عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله ، قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، قال فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، قال فرجع فرد عطيته) .

وروى مسلم (عن الشعبى حدثنى النعمان بن بشير أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة ، ثم بدا له فقالت لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذى وهبت لابنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال نعم ، فقال : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فلا تشهدنى إذا فإنى لا أشهد على جور) .

وهذه الحادثة قد رويت عدة روايات ، وكلها تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقر بشيرا على هذا التصرف ، بل ورد فى بعض الروايات أنه غضب وصار يكرر قوله لبشير اذهب فأشهد على هذا غيرى ، ثم ختم كلامه بقوله : فإنى لا أشهد على جور . فهذا التصرف لم يحله أحد من العلماء ، بل حرمه أكثرهم وكرهه بعضهم ، ولكن الحديث صريح فى الحرمة ، حيث قال الرسول : فإنى لا أشهد على جور ، فقضى على أنه جور وظلم وهو حرام ، ولذلك رجع بشير فى عطيته لابنه النعمان ، وورد فى بعض الروايات ما يفيد أن ذلك التصرف يكون سببا فى عقوق الأبناء ، فلا شك إذاً فى حرمته لأنه يثير الفتنة بين الأولاد ، ويملأ قلوبهم حقداً على بعضهم البعض ، كما يملؤها حقدا على الوالد الجائر ، وكثيراً ما سمعنا عن الآثار السيئة لهذا التصرف ، ولا فرق فى التمييز بالعطاء بين الذكر والأنثى ، فإن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير ألك ولد يشملهما لأن الولد يشمل الابن والبنت ـ وكذلك قوله : (أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟) لفظ الولد يشمل الذكر والأنثى ، فلا يجوز التفرقة فى العطية بين الأولاد ذكورهم وإناثهم .

فليت الذين يرفعون الصوت مطالبين بالتسوية بين الذكر والأنثى فى الميراث وقفوا معهن بالتأييد عند حدود الشريعة الإسلامية وحافظوا على إيتائهن حقوقهن كاملة ، وعملوا على منع هـذا التصرف الذى هو فى الحقيقة والواقع احتيال لإبطال ما شرعه الله ، وظلم لحرمان الإناث من حقوقهن فى الميراث وقد أعطاهن الله .

ألا إنى أقترح أن تصدر الحكومة تشريعاً يمنع الآباء والأمهات من الهبـة أو البيع الصورى فى حال الحياة للأبناء مع وجود أخوات لهم ؛ فإن ذلك فى الحقيقة كما قدمنا تحايل لمنع الإناث من الميراث ، وإنى لكفيل بأن نساءنا سيرضين بهذا ، بل سيفرحن بما آتاهن العليم الحكيم فى المواريث « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . » ؟

عبد الرحمن عيسى
مدير المجلة

حفظ أبى هريرة

كانت موهبة الله لأبى هريرة فى الحفظ نعمة من نعم الله على الإسلام ، فحفظ من أحكامه وسننه ما كان يحتمل أن يضيع لولا ذلك . قال البخارى : روى عن أبى هريرة نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره . وقال الربيع قال الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره . وقال أبو الزعيزعة كاتب مروان وهو أمير المدينة : أرسل مروان إلى أبى هريرة فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به . حتى إذا كان فى رأس الحول أرسل إليه فسأله ، وأمرنى أنظر ، فما غير حرفاً عن حرف . وقال الحاكم صاحب المستدرك على الصحيحين : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وألزمهم له صحبة على شبع بطنه ، فكانت يده مع يده ، يدور معه حيث دار إلى أن مات ، ولذلك كثر حديثه : وأخرج البخارى فى صحيحه من طريق سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث » ، وحسب أبى هريرة هذه الشهادة النبوية له الثابتة فى صحيح البخارى ، ومن يسوءه ذلك فليمت بغيظه .

نقد كتاب

أضواء على السنة المحمدية

— ٥ —

فى ص ٨١ ، ٨٢ نقل المؤلف بالهامش كلاما عن دائرة المعارف الإسلامية فى وضع الأحاديث جاء فى آخره « وعلى هذا لا يمكن أن نعد للكثرة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبى ، بل هى على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ فى القرون الأولى بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ونسبت إليه عند ذلك فقط . ومعنى ذلك أن أكثر الأحاديث من آثار الوضع وقد مر على هذا الكلام دون أن يعلق عليه بكلمة ومعنى هذا أنه يرتضيه بل ما ذكره فى كتابه هو ترديد لهذا المعنى .

وإنى لأقول : إن هذا القول فيه إسراف وشطط فى الحكم فليست الكثرة من الأحاديث من آثار التطور فى الإسلام وأنها لا تمثل الواقع فى نسبتها إلى النبى صلوات الله وسلامه كما زعم كاتب هذه المادة فى دائرة المعارف الإسلامية ، بل الكثرة من الأحاديث المدونة ثابتة بطرق الإثبات الموثوق بها ، ومتلقاة عن النبى . وقد احتاط أئمة الحديث عند جمعه غاية الاحتياط ، وعنوا بنقد السند والمتن عناية فائقة ، كما وضحت ذلك فيما سبق بما لا يدع مجالا للشك فى هذا ، وميزوا المقبول من المردود ، وكان لهم إلى جانب ما وضعوا من أصول وقواعد لنقد المرويات ملكة خاصة يميزون بها بين الغث والسمين ، ونحن لا ننكر ما كان للخلافات السياسية والمذهبية والكلامية من أثر فى وضع الأحاديث ، ولكن الذى ننكره غاية الإنكار أن تكون الكثرة من الأحاديث المدونة من آثار الوضع والاختلاق .

* * *

وفى ص (٩١) ذكر فصلا عنوانه « معاوية والشام » ذكر فيه ما وضع فى فضائل معاوية رضى الله تعالى عنه وبلاد الشام ، وذكر فى حق هذا الصحابى الجليل أنه من الطلقاء ومن المؤلفة قلوبهم ، وقد غاب عنه أن الكاتبين فى تاريخ الصحابة ذكروا عن الواقدى

وابن سعد أنه أسلم بعد الحديبية قبل الفتح وأنه أخفى إسلامه مخافة أهله [١] وأنه كان فى عمرة القضاء مسلما ، وإذ كان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم فى رأى البعض ففى رأى الكثيرين أنه ليس من المؤلفة قلوبهم . قال أبو عمر بن عبد البر : معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم ذكره فى ذلك بعضهم » وهو يشعر بأن الكثيرين لا يريدون هذا الرأى ولذا نجد الحافظ المحقق ابن حجر لم يذكر فى ترجمته شيئا من هذا وإنما ذكر فى ترجمة أبيه أنه من المؤلفة قلوبهم ، ومهما يكن من شىء فقد أسلم وحسن إسلامه وكان أحد كتبة الوحى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وكان له جهاد مشكور فى نشر دعوة الإسلام ، وتوسيع فتوحاته . ولم تعرف عنه دخلة فى إيمانه ولا ريبة فى إخلاصة لإسلامه .

ونحن لا نشك أنه وضع فى فضائله أحاديث كثيرة وكيف وقد أحصى الأئمة كل ذلك ، ولكننا نجله عن أن يكون له دخل فيما وضع فى فضائله وفضائل الشام بل وعن الرضا به ، ولئن قال الإمام اسحق بن راهويه : إنه لم يصح فى فضائل معاوية شىء : فقد ذكر له الإمام الكبير البخارى بعض فضائله ، ولا يضيره كون الإمام البخارى آثر التعبير فى حقه بلفظ « باب ذكر معاوية رضى الله عنه » ولم يقل « باب فضل معاوية » كما صنع فى غالب الأبواب فقد صنع مثل هذا فى فضل العباس وابنه عبد الله رضى الله عنهما [٢] كما لا يضيره أن البخارى رحمه الله لم يخرج حديثا مرفوعا على شرطه فى فضله وأنه خرج فى صحيحه حديثين موقوفين عن ابن عباس رضى الله عنهما أحدهما يثبت الصحبة، والثانى الفقه فى الدين، وبحسب معاوية فضلا عند المنصفين أن يكون صحابيا وفقيها ، ثم إن عدم ثبوت حديث فى فضائله مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم على شرط البخارى لا ينفى ثبوت أحاديث فى فضائله خرجها غير البخارى من أصحاب الكتب المعتمدة . وقد ذكر المؤلف نفسه حديثين مرفوعين فى فضائله رواهما الترمذى وهما من أصح ما ورد فى فضائله ، وقد عرض لما ورد فى فضائله الحافظ الناقد ابن كثير فى « البداية والنهاية » [٣] وبين الموضوع من غيره ثم قال : « ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك فى فضل معاوية أضربنا عنها صفحاً واكتفينا بما أوردنا من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجادات عما سواها من الموضوعات والمنكرات »

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٥ على هامش الإصابة ، والإصابة ج ٣ ص ٤٣٣ ، وفتح البارى ج ٦ ص ٨٢ .
(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٦٢ ، ٨٠ . (٣) ج ٨ ص ١٢٠ وما بعدها .

وإذاً فليس من الإنصاف فى البحث أن نجعل كل ما ورد فى فضائله موضوعا وأن نجرده من كل خصيصة وفضل .

وأيضا فإننا لا ننكر ما وضع فى فضل الشام وغيرها من البلاد المشهورة ، وكذلك لا ننكر أن أحاديث الأبدال التى عرض لها مدسوسة على النبى صلى الله عليه وسلم كما نبه على ذلك نقاد الحديث وجهابذته ، وإن كان البعض قد أثبت بعضها ، ولكن الذى ننكره البتة أن يكون معاوية رضى الله عنه هو الذى أوحى بهذا الاختلاق ، وأن يكون له ضلع فيه وإليك غمزه ولمزه فى ص (٩٤) قال : وما كاد معاوية يذكر - يعنى فى خطبته التى خطبها لما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن سنة ٤١ هـ - أن الشام هى أرض الأبدال حتى ظهرت أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال ثم ذكرها : ومما يلقم المؤلف حجرا وينفى الظنة والتهمة عن معاوية رضى الله عنه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية من أن لفظ الأبدال لم يرد إلا فى حديث شامى منقطع الإسناد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن الأشبه أنه ليس من كلام النبى ، ومن العجيب حقا أن المؤلف نقل كلام ابن تيمية ضمن كلام نقله عن السيد رشيد رضا رحمه الله فى تزييف أحاديث الأبدال من ص ٩٥ - ٩٩ فلو أن هذا الحديث كان مرويا عن معاوية لقلنا معه : لعل وعسى : ولكن الأمر كما ترى ، وقد حاول السيد رشيد أن يبين أن الحديث المروى عن على رضى الله تعالى عنه على فرض ثبوته ليس المراد به الأبدال بالمعنى المعروف عند الصوفية ، ولكن المحرفين والمتزلفين هم الذين حملوه على هذا ، ومن أعجب العجب أيضا أن المؤلف ينقل نقولا يستجودها ، وهى فى الواقع ونفس الأمر ترد ما يعتنقه ويهواه من آراء مبتسرة ، وقد فعل ذلك فى مواضع كثيرة من كتابه .

وقصارى القول أن أئمة الحديث وصيارفته قتلوا المرويات بحثاً وأفنوا أعمارهم فيها ، ولم يدعوا رواية فى الفضائل وغير الفضائل إلا وبينوا مكانها من الصحة أو الحسن أو الضعف والاختلاق وبحسبك أن تستعرض الكتب التى ألفت فى الأحاديث الموضوعة وستتبين صدق ما أقول ، فهم لم يقصروا فى خدمة السنة وتزييف الزائف منها ، ولكن المتأخرين هم الذين قصرت بهم الهمم عن العلم بما دون فمن ثم وقعوا فى كثير من الأخطاء والأغلاط قال فى ص ١٠١ أن وضاع الحديث وضعوا أحاديث تسوغ لهم ما يضعون ثم قال : وأورد ابن حزم فى الأحكام عن أبى هريرة مرفوعا قال « إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أولم أحدث » وعنه أيضا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما بلغكم عنى من قول

حسن لم أقله فأنا قلته » ونحن لا نشك - ولا أي عاقل - في أن هذين الحديثين وما على شاكلتهما - تناقضا وتهافتا - موضوعان ، وأن نظرة فاحصة إلى المتن لتدلنا أن هذا لا يصدر عن معصوم فضلا عن عاقل فكيف يتأتى من أعقل العقلاء أن ما لم يقله ما دام حسنا فقد قاله ؟ ! ! ! بل كيف يأمر بالأخذ بحديث حدث به أو لم يحدث ؟ إن هذا لعجب عجاب !

ولو أن المؤلف اقتصر على ذكر الحديثين الموضوعين في الاستدلال لما قال ، لما كان لنا عليه أية مؤاخذة ولا ستقام كلامه ، ولكن الذي أؤاخذه عليه أن يأتي في الهامش بعد ذكر الحديثين فيقول ما نصه : يشبه هذين الحديثين حديث رواه أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أبشاركم ، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد ، فأنا أبعدكم منه » قال السيد رشيد إن إسناده جيد .

فإذا كان السيد رشيد رحمه الله الذي يعول عليه في كثير من نقوله ويعتبره من العلماء المحدثين . قال : إن إسناده جيد . فكيف سوغت له نفسه أن يلحقه بهذين الحديثين اللذين لا شك في وضعهما ونكارتهما كما قال حفاظ الحديث ونقاده ، والعجيب أن المؤلف يعتمد على كلام السيد محمد رشيد رضا في كثير مما ينقل ويأخذه قضية مسلمة أما هنا فقد خالفه ولم يأخذ بكلامه وصدف عن الحق إلى الباطل ، والذي يظهر لي أن المؤلف رجل هوى ومزاج فما وافق هواه أخذ به أو أخذ منه ، وما لم يوافق هواه طرحه دبر أذنيه ، ولعل السيد رشيد رحمه الله اعتمد في الحكم على الحديث بالجودة على ما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره (١) عقب ذكره : رواه أحمد بإسناد جيد ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب ، والحق أن لا شبه بين الحديثين وهذا الحديث لا في الثبوت ولا في المعنى فذانك موضوعان وهذا حسن ، وهذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد قريب في المعنى من حديث « استفت قلبك ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » فهو يشير إلى الاطمئنان القلبي أو عدم الاطمئنان عند سماع حديث من الأحاديث ، وهذا الوجدان القلبي إنما يحصل للمسلم الذي عمر قلبه بالإيمان واستضاء بهدى الشريعة ، ومعرفة قواعدها ، والذي يزاول السنة ، ويتعاهدها قراءة ودرساً

---

(١) ج ٣ ص ٥٦٩

وفهماً حتى تصير عنده ملكة يميز بها بين ما يكون من كلام النبي وما ليس كلامه وإلى هذه الملكة أشار الربيع بن خثيم حيث قال « إن للحديث ضوءا كضوء النهار تعرفه وظلمة كظلمة الليل تنكره » وقال ابن الجوزى « الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه فى الغالب » وهكذا يتبين لنا أن الحديث ثابت رواية وصحيح رواية ومعنى .

وقد ذكر المؤلف من ص ١٠٥ - ١٠٧ عن كتاب « قواعد التحديث » للعلامة القاسمى نقولا كثيرة عن بعض الأئمة كابن تيمية وابن القيم وابن دقيق العيد وابن عروة الحنبلى وكلها تدور حول الحديث عن الوجدان القلبى والملكة التى تحصل عند المحدث ويميز بها بين الصحيح والسقيم ، والمقبول والمردود .

* * *

فى ص ١٠٤ ذكر الوضع بالإدراج ، وجعل المدرج من قبيل الموضوع ، وإطلاق الموضوع على المدرج تساهل نعم إن بعض أئمة الحديث كابن الصلاح اعتبر الإدراج عن طريق الغلط بظن ما ليس بحديث حديثا - ملحقا بالوضع وشبيها به ، والأكثرون على عده إدراجا فحسب ، وكان على المؤلف أن يميز بين الإدراج الذى لا لبس فيه ولا إشكال ولا إيهام ، والإدراج الذى فيه لبس وإيهام أن ما ليس من الحديث هو منه ، فالإدراج الذى يكون لتفسير كلمة غامضة أو توضيح اسم مبهم فى السند ، والإدراج الذى يكون معه من القرائن اللفظية أو الحالية ما يدل على أنه مدرج من كلام الراوى أمره سهل هين ، ولا يخل بعدالة الراوى ، وهو أبعد ما يكون من الوضع ، وأما الإدراج الذى يكون فيه إيهام ولبس وهو الذى لا تصحبه قرائن فهو حرام كله إذا كان متعمدا ، ويخل بعدالة الراوى ، ويلحقه بالكذابين قال السمعانى : « من تعمد الإدراج فهو ساقط العدالة ، وممن يحرف الكلم عن مواضعه ، وهو ملحق بالكذابين » ، وهكذا يتبين لنا جليا تساهل المؤلف فى عد الإدراج كله وضعا ، وعلى قاعدة المؤلف يكون كثير من أئمة الحديث الذين يدرجون للتفسير أو توضيح المبهم موصوفين بالوضع ؛ فالزهرى لما روى حديث بدء الوحى فى الصحيحين فسر كلمة التحنث بالتعبد يكون وضاعا ، وراوى حديث النسائى « أنا زعيم » - والزعيم الحميل - يكون وضاعا وأبو هريرة لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « للعبد المملوك أجران ، والذى نفسى بيده

لولا الجهاد فى سبيل الله والحج وبر أمى لأحببت أن أموت وأنا مملوك » وهو فى الصحيح يكون قوله « والذى نفسى بيده . . . . . الخ » من قبيل الوضع ، وهذا المثال الأخير مما يتبين فيه الإدراج بداهة لاستحالة أن يقوله النبى صلى الله عليه وسلم لأن أمه ماتت وهو صغير ، ولأنه يمتنع منه أن يتمنى الرق وهو أفضل الخلق على الإطلاق ، فما ذهب إليه المؤلف لا يقره عليه أى باحث ولا خبير بالفن ! ! وبحسبنا هذا اليوم وإلى المقال التالى إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

الصحابة عدول ، بتعديل الله ورسوله لهم

عقد الخطيب البغدادى فصلا نفيسا فى (الكفاية) ص ٤٦ - ٤٩ عن عدالة الصحابة بتعديل الله لهم ، وثناء رسوله عليهم ، وبعد أن أورد الآيات والأحاديث المستفيضة فى ذلك قال : وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم - مع تعديل الله لهم ، المطلع على بواطنهم - إلى تعديل أحد من الخلق له . على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها القطع على عدالتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين يجيئون من بعدهم إلى أبد الآبدين .

ثم نقل قول الإمام الحافظ أبى ذرعة الرازى : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله فاعلم أنه زنديق ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن ، أصحاب رسول الله ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة . والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة » .

برامج ومنــــــــاهج

– ٢ –

حين كان شق المقراض يعمل عمله على هذا النحو فى أوساط الناشئة والمتعلمين، كان الشق الآخر يمارس ذلك العمل نفسه فى إعداد معلم اللغة العربية ومعلم الدين. والواقع أن المحاولات المبذولة فى أوساط المعلمين أسبق من نظيرتها المبذولة فى أوساط النشء والمتعلمين. فمن الممكن إرجاعها إلى إنشاء كلية الآداب، بل إن من الممكن إرجاعها إلى إنشاء «دار العلوم». ولقد عرف ذلك حق المعرفة أحد أبناء هذه الدار حين قال (ثم جاء حمزة فتح الله وحفنى ناصف والإسكندرى والعنانى والجارم وضيف من رجال دار العلوم، فألفوا فى الأدب والعلوم العربية مع الاقتباس من مناهج الغرب فى نظام التأليف. ويعتبر هؤلاء رجال المرحلة الوسطى التى مهدت لمرحلة الجامعة ورجالها)[1]. ومع ما أعلمه من أن بيان هذا الإجمال شديد الصلة بموضوعنا فإنى أخشى أن يتشعب بنا الحديث ويطول حتى ينسينا مانحن فيه. لذلك أدع تفصيل هذا الإجمال لموضع آخر قد أعود للحديث عنه مع غيره من الخطط والأساليب التى استهدف بها الإنجليز إضعاف (الأزهر) لأنه كان يصبغ التعليم بالصبغة الإسلامية فى مصر، بل فى البلاد الإسلامية عامة والعربية خاصة؛ وذلك بمحاصرته وعزله عن الحياة وسد أبواب الرزق أمام المتخرجين فيه وحصرها فى باب واحد هو خدمة المساجد.

فلندع إذن ذلك الحديث الطويل لفرصة أخرى، ولأكتف هنا بأن أبدأ بكتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» الذى كتبه طه حسين فى أعقاب معاهدة ١٩٣٦، والذى أصبح مكانه من كل حركات الهدم التى يسمونها إصلاحا مثل مكان الدستور من القوانين. ولأكتف من هذا الكتاب فى هذا المقام بفقرة واحدة منه هى الفقرة التاسعة والأربعون، التى أشار فيها إلى لونين من ألوان الدراسة اقترح إنشاءهما فى كلية الآداب، وسعى عند المسئولين

---

[١] الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٥٤٢ من مقال الأستاذ محمد خلف الله عن «القيم الإسلامية والحياة الأدبية فى مصر الحديثة».

فى وضع اقتراحه موضع التنفيذ ، فلم يحالفه النجاح فى أيهما . أما أحد المشروعين فهو يدعو إلى إنشاء معهد للأصوات لدراسة اللهجات قديمها وحديثها . وقد عارض وكيل المالية الذى كان ممثلا للدولة فى مجلس الجامعة وقتذاك فى منحه مايحتاج إليه من مال ؛ لأنه لم يستطع - على رواية المؤلف - أن يفهم قيمة هذا المعهد وحاجة المتعلمين إليه . أما المشروع الآخر فقد كان يدعو إلى إنشاء معهد للدراسات الإسلامية يلحق بكلية الآداب . ومهمة هذا المعهد كما تصورها طه حسين هى العناية بالدراسة الإسلامية (على نحو علمى صحيح) . والمبرر لإنشائه عنده هو أن (كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوربية . وهى تعرف جهود المستشرقين فى الدراسات الإسلامية . ومن الحق عليها أن تأخذ بنصيبها فى هذه الدراسات لتلائم بين جهود مصر التى ترى لنفسها زعامة البلاد الإسلامية وبين جهود الأمم الأوروبية) .

ومضى على هذين المشروعين الفاشلين زمن طويل حتى كاد الناس ينسون ما كان من أمرهما وأمر صاحبهما . ودارت الأيام دورتها فإذا المشروعان يظهران من جديد ، ينجح أحدهما فى اتخاذ طريقه إلى التنفيذ بإنشاء شعبة فى قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية تدعى (شعبة الدراسات العربية الحديثة) وهى شعبة لاتزال - لحسن الحظ - حبراً على ورق منذ أنشئت فى سنة ١٩٥٥ . وما أظن أن الطريق أمامها ميسر فى واقعنا العربى الراهن . أما المشروع الآخر فقد عاد للظهور فى صورة اقتراح مقدم من أحد أعضاء لجنة التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم . وكما كان صاحب الاقتراحين القديمين شخصاً واحداً هو طه حسين ، فقد كان صاحب الاقتراحين الجديدين شخصاً واحداً أيضاً هو الأستاذ محمد خلف الله . وقد اقترن المشروعان الجديدان بظروف وملابسات تدعو إلى التدبر والتأمل .

بدأت فكرة هذين المشروعين فى مؤتمر للثقافة الإسلامية عقد فى صيف سنة ١٩٥٣ بدعوة من جامعة برنستون الأمريكية ، ودعى إليه مندوبون من مختلف البلاد الإسلامية بين أندونيسيا شرقا والمغرب العربى غربا ، واشترك معهم عدد مساو من الأمريكيين ، بعضهم من رجال وزارة الخارجية وبعضهم من المبشرين الذين يسترون أهدافهم الهدامة تحت اسم البحث العلمى ، وفريق ثالث من موظفى شركات البترول .

أما مشروع (إنشاء قسم أو شعبة للدراسات الإسلامية فى كل كلية للآداب بالجامعات

المصرية) [1] فقد بناه صاحبه على أن الركن الأكبر فى نجاح التربية الدينية (هو المعلم الذى ينبغى أن يعاد النظر فى تكوينه وإعداده ، وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر - ص ١٦٤) . وبناه كذلك على (أن قيام مصر بنصيبها فى تقدم الإنسانية وفى حل مشكلات الحياة المعاصرة يتطلب من المصريين تعمقا فى دراسة دينهم ، وتبين موقفه من مختلف المذاهب والاتجاهات التى يجىء بها التطور الاجتماعى والفكرى - ص ١٦٥) . واقترح فيما اقترحه من الدراسات فى هذا القسم دراسة « سيكولوجية الدين » و « التاريخ الدينى والفكرى للبشرية قبل الإسلام » و « ما كان لمصر وعلمائها بين الأمم الإسلامية من آثار علمية خالدة » و « النظم الدينية والأخلاقية المقارنة » .

فالدراسة المقترحة تقوم على أساسين ، أولهما استبعاد الأزهر من القيام بوظيفة تعليم الدين لأن مناهجه لاتحقق للدارسين فيه (عمق الثقافة وحرية الفكر) ، وثانيهما هو الصبغة المصرية التى تبرز فى الإشارة إلى مهمة مصر القيادية فى حل مشكلات الحياة المعاصرة ومسايرة التطور الاجتماعى « وهو تطور غربى بالبداهة » ، كما تبرز فى إمداد الدارس بما يقوى فيه الاعتزاز بفقهاء الإسلام وعلمائه من المصريين خاصة ، مما يوجد لونا من الشعوبية الإسلامية يشبه الشعوبية السياسية .

والصلة واضحة بين هذا المشروع وبين مشروع طه حسين من ناحية ، وبينه وبين ما ألقى فى مؤتمر الثقافة الإسلامية السالف ذكره من ناحية أخرى . فهو قريب الصلة بما جاء فى كلام الإسماعيلى الهندى المتجلنز آصف على فيظى عن الإسلام الهندى الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية ، والذى أنشأت جامعة عليكرة « الكلية المحمدية الإنجليزية » لنشره وترويجه

---

[١] نشر هذا الاقتراح فى مجلة « الأسرة » التى يصدرها قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية فى العدد ٦ سنة ١٩٥٧ [ص ١٦٠ ـ ١٦٥] . وفى آخره إشارة إلى أن صاحب هذا الاقتراح قدم معه مذكرة تفسيرية مفصلة عن مواد الدراسة وعدد الدروس فى كل مادة بالنسبة لكل سنة من سنى الدراسة فى هذا القسم . ولم يتيسر لى الاطلاع على هذه المذكرة .

(ص ٨١ - ٨٢ من كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » نشر فرنكلين ١٩٥٦) كما يذكرنا بما زعمه من أن التصور الأساسى (لا تمكن المحافظة عليه سليما إلا بإعادة تفسيره وإعادة تقريره فى كل عصر وفى كل مرحلة من المدنية) ، وبدعوته إلى الاستفادة من الدراسات الحديثة فى علم النفس ومن الفكر الأوروبى والفكر البروتستنتى والتفكير المدرسى المسيحى والتفكير اليهودى (ص ٤١١) . ولعل له صلة مع ذلك كله بمقررات « اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامى المسيحى » التى شارك صاحب الاقتراح فى اجتماعيها فى بحمدون سنة ١٩٥٤ وفى الإسكندرية سنة ١٩٥٥ . أما ماجاء فى المشروع عما سماه صاحبه « سيكولوجية الدين » فهو شديد الشبه بكلام القسيس الأمريكى ميلربروز فى دعاواه الهدامة التى طالب فيها بوضع (تجربة الدين) و (تجربة النبوة) والمعجزات والصلاة والحياة الآخرة موضع البحث وإخضاعها لقواعد علم النفس الحديث (ص ٤٣ - ٤٩) . وهو من ناحية أخرى استجابة لدعوة القسيس الأمريكى الآخر هارولد سميث الذى قال « إن وجهتى فى هذا المقال هى أن أستعرض بعض الاتجاهات الحديثة ، وأن أقترح طرقا لدراسة النظرية الإسلامية المهمة فى الإنسان ... ولا شك أن القيام بهذه الدراسة على وجهها الكامل أمر متروك لعلماء المسلمين أنفسهم - ص ٥٩ » . وغير خاف ما تنطوى عليه (سيكولوجية الدين) من مفاهيم ، أولها وأبرزها أن الدين ظاهرة نفسية ليس لها وجود خارجى حقيقى ، لأن من المعروف أن هذه (السيكولوجيا) ترد كل التصرفات إلى مصدر مجهول فى أعماق النفس البشرية يسمونه (العقل الباطن) . ولا أدرى ولا يدرى أحد أين هو على وجه التحديد ، ولكنه فى داخل الإنسان على كل حال وليس خارجه ، ليس وحيا وليس تنزيلا . يقول المبشر ميلر بروز صاحب الاقتراح الأصيل إن (تجربة النبوة) يمكن « أن تلاحظ وتدرس بنفس الطريقة ، وإلى نفس الدرجة التى يمكن بها ملاحظة التأثيرات الذوقية والوجدانية ودراستها - ص ٤٣ » . ويقول « ويستطيع العالم أن يشير إلى أن التجارب الدينية - منظورا إليها فى ضوء الظواهر السيكولوجية - لا يمكن تمييزها من أوهام الحس - ص ٤٤ » . ويقول « إنه ليس للدين أن يتوقع أن معتقداته ستؤخذ قضايا مسلمة ، على أساس أنها جاءت من طريق الوحى ، وأن وراءها سلطة التقاليد القديمة . . . . أما العلم فإنه يرى فى روح البحث الحر جوهر الحياة . وإذا كان الدين يريد أن يضمن احترام العلماء فعليه أن يظهر استعداده لعرض قضاياه لضوء

العقل ، غير محتم بسلطة إلا سلطة الحقيقة نفسها - ص ٤٥ ، [١] . ولعل ذلك كله هو ماقصد إليه الأستاذ محمد خلف الله فى مذكرته من (عمق الثقافة وحرية الفكر) .

تلك هى قصة أحد المشروعين . أما المشروع الآخر فهو متصل بمناهج جديدة للدراسة فى قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية . وهو قسم لا يشتغل المتخرجون فيه بغير تعليم اللغة العربية فى بلاد العرب كما هو معروف . فلننظر : هل تعد هذه الدراسة ببرامجها الجديدة للقيام بهذه المهمة ؟ .

تقوم هذه البرامج - كما هو واضح من جداول الدراسة المذكورة فى تقويم كلية الآداب بجامعة الإسكندرية للعام الدراسى ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ص ٨٥ ، ٨٦ ، ومن المذكرة التفسيرية الخاصة بها ص ٩٥ - ٩٧ - على تفرقة أساسية بين مرحلتين من مراحل الأدب العربى ودراساته . فالمرحلة الأولى تشمل الأدب العربى والدراسات المتصلة به منذ عرفه التاريخ إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادى . أما المرحلة الثانية فهى تقتصر على ما يلى ذلك باعتباره مرحلة مستقلة تختلف موادها وأسلوب الدراسة فيها وأهدافها عن المرحلة السابقة . فالمنهج يسمى المرحلة الأولى (الدراسات العربية فى مرحلتها الكلاسيكية) تارة ، ويسميها (الدراسات العربية القديمة) تارة أخرى (ص ٩٥ من تقويم كلية الآداب السابق ذكره) بينما يعرف المرحلة الثانية ويصفها بقوله : (الآداب العربية فى نهضتها الحديثة منذ القرن التاسع عشر ، وما كان للفكر العربى من اتصال وتأثر بالثقافة الغربية) . وقبل أن يبدأ الطالب تخصصه فى إحدى هاتين المرحلتين يدرس فى سنتيه الأولى والثانية دراسة عامة يتعرف فيها (أركان الدراسات العربية فى مرحلتها الكلاسيكية) كما تقول المذكرة التفسيرية (ص ٩٥) يخير بعدها بين متابعة الدراسة فى (شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة) أو متابعتها فى (شعبة الدراسات العربية الحديثة) . ولأدع الشعبة الأولى ، على ما يشوب دراستها من

---

(١) الرد على كل هذه الدعاوى سهل يسير . وهو يتلخص فى أن العلم البشرى لا يصلح لأن يكون فيصلا إلا فى شئون المادة المحسوسة التى يجرى عليها تجاربه ، بل فى بعض شئون هذه المادة مما تيسر له الكشف عنه . أما ما وراء المادة من الغيب الذى لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى فالعلم عاجز عن إبداء رأى فيه . وكل ما يقال فى التشكيك فيما جاء به الدين ليس إلا ظنونا لا تتجاوز مرتبة [الفروض العلمية] . وذلك هو قول الله تبارك وتعالى فيما أنزل على نبيه « وما يتبع أكثرهم إلا ظناً . إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » وقوله سبحانه وتعالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » .

نقص ، وما تنطوى عليه من انحراف تصوره جداول الدراسة الغارقة فى مواد أجنبية تطغى على علوم العربية الأصيلة وتضيق عليها المجال ، ويكفى أن أقدم مثالا واحداً لذلك فى درس الأدب العربى الذى لا يتجاوز ساعتين كل أسبوع ، بينما يشغل درس اللغة العبرية وآدابها ، أو السريانية وآدابها ثلاث ساعات أسبوعية من وقت الطالب فى كل من السنتين الثالثة والرابعة . ومن شاء المزيد من الأمثلة فليرجع إلى المذكرة التفسيرية (ص ٩٦) ليرى ما تتضمنه محاضرات (الدراسات الإسلامية) و (النقد والبلاغة) من مفاهيم منحرفة تبدد الوقت الضئيل المحدد لها فى قشور تبعدها عن طبيعتها الإسلامية والعربية ولا تصل إلى أعماق المادة ولبها ، ومن شاء المزيد من الوضوح فليرجع إلى ما بين أيدى الطلاب من مذكرات ليعرف مبلغ ما يحصلونه ونوعه . أقول إنى لا أريد أن يتشعب بى الكلام فى هذه الشعبة (القديمة) ، وأريد أن أحصر كلامى فى الشعبة الأخرى (الحديثة) لأن البلية بها أكبر ، فهى تسقط من حسابها كل العلوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ونصوصها الفصحى شعراً ونثرا ، كأن ذلك كله ليس له وجود وليس له آثار وليست لنا به حاجة منذ القرن التاسع عشر الذى حصرت الشعبة دراساتها فيه وفيما يليه ، كما تشير إليه المذكرة التفسيرية ، وأكتفى فى هذا الموضع بأن أنبه القارئ إلى ما ذكرته من أمر المناهج التى تريد أن تفصل حاضرنا ومستقبلنا عن ماضينا ، لأستأنف إكمال الصورة التى نحن فى صددها بنقل ما جاء فى المذكرة التفسيرية عن مواد الدراسة فى هذه الشعبة بسنتيها :

« فى السنة الثالثة :

١ — تاريخ النهضة العربية الحديثة فى القرن التاسع عشر .

٢ — الأدب العربى الحديث فى مصر والبلاد العربية .

٣ — تاريخ النقد الأدبى الحديث ، مع العناية بنواحى الاتصال بينه وبين النقد الأدبى الأوروبى .

٤ — التطور اللغوى العربى فى العصر الحديث ، مع العناية بمشكلة الفصحى والعامية .

٥ — تيارات الفكر الإسلامى وحركات التجديد فى العصر الحديث [١] .

٦ — المذاهب الكبرى فى الآداب الغربية وتأثيرها فى الفكر العربى » .

---

[١] ذكرت هذه المادة فى جداول دراسة الشعبة الحديثة تحت اسم : « تطور الفكر الإسلامى فى العصر الحديث » ، وذلك فى مقابل « دراسات إسلامية » فى جداول الشعبة القديمة . فتأمل !

«فى السنة الرابعة :

١ — الحياة الثقافية والاجتماعية فى البلاد العربية وصلتها بالأدب .

٢ — مدارس الشعر العربى الحديث .

٣ — مدارس القصة .

٤ — فنون الأدب الشعبى .

٥ — اللهجات العربية الحديثة .

٦ — ويقوم الطالب بدراسات لغوية حديثة ، مع العناية بالنحو المقارن والأصوات اللغوية» .

هذه هى مواد الدراسة فى الشعبة (الحديثة) منقولة عن المذكرة التفسيرية الملحقة بالجداول حرفا بحرف (ص ٩٧ من تقويم الكلية السابق ذكره) ، وهى تخلو خلوا تاما — كما ترى — من درس واحد فى النحو أو الصرف أو البلاغة أو القرآن أو الدراسات الإسلامية أو الأدب العربى السابق على الحملة الفرنسية ، ويترتب على هذه الظاهرة الخطيرة أمران خطيران : أولهما عدم صلاحية المتخرج فى هذه الشعبة لتدريس اللغة العربية التى يجهل نحوها وصرفها وأدبها وبلاغتها . ليس هذا فحسب ، بل إنه سيكون حربا على العربية ومعول هدم يعمل فيها ؛ لأنه إذا سئل عن شىء مما يجهله غطى جهله بالتهكم بالعربية وقواعدها وأساليبها ، وسيكون من آثار ذلك أن ينشأ جيل من الناس لا يحترم العربية ولا يتذوقها . فإذا نعق ناعق من بعد بأن إعراب أواخر الكلمات لا داعى له ، وبأن عربية القرون الأولى لغة ميتة لا وجود لها فى الحياة ، فسوف يجد هذا الناعق لصوته صدى فى عقول ذلك الجيل من الضحايا الذين ألقاهم سوء حظهم بين أيدى هؤلاء المعلمين .

هذه واحدة ، أما الأخرى فهى أن هذه البرامج تهدد الدراسات العربية التى يريد المنهج أن يسميها (كلاسيكية) ، لأن بقاءها يصبح مرهونا بأهواء الشباب ، الذى قد تستهويه هذه البدعة ، فينصرف عن دراسة لغة القرآن ولغة الآباء والأجداد ولغة العرب الجامعة لشتاتهم إلى هذه الدراسات التى تحاول أن تربط حاضرنا ومستقبلنا الأدبى بالغرب فى الوقت

الذى تقترن فيه تراثنا الأدبى الحى العريق بالآداب السامية الميتة . آداب السريانية والعبرية ، إذ تجعلها جميعا فى شعبة واحدة هى (شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة) .

فإذا تركنا برامج الشعبة (الحديثة) إلى السنتين التمهيديتين اللتين يشترك فيهما طلبة الشعبتين ، وتزعم البرامج أنها تزود الطالب فيهما بأركان الدراسات العربية (فى مرحلتها الكلاسيكية) وجدنا أن الدراسات العربية لاتظفر فيهما بأكثر من نصف الوقت المحدد للدراسة ، وهو وقت قصير لايتجاوز مجموعه أربعة عشر درساً فى الأسبوع ، نصيب الدراسات العربية منه سبعة دروس أسبوعياً فى السنة الأولى وتسعة دروس أسبوعيا فى السنة الثانية . إن بعض هذه الدروس التى ضممتها فى إحصائى إلى الدراسات العربية يمكن إسقاطها من الحساب ، لأن مراجعة المذكرة التفسيرية تبين أن ما يدرس فيها ليس من صميم العلوم العربية ، بل هو فى بعض الأحيان بعيد عنها . فبين دروس السنة الأولى السبعة مثلا ثلاثة دروس باسم (اللغة العربية) تنص المذكرة التفسيرية على أنها دروس عامة يشترك فيها طلبة قسم اللغة العربية مع طلبة الأقسام الأخرى فى دراسة سطحية تلائم غير المتخصصين ، وبين دروس السنة الثانية التسعة ثلاثة دروس تحت اسم (دراسات لغوية) وضحت المذكرة التفسيرية ما يدرس فيها بقولها : « ويبدأ هنا كذلك دراسة علم اللغة العام General Linguistics فى تطوراته الحديثة مع الإلمام بالمناهج الحديثة فى دراسة الظواهر اللغوية ـ ص ٩٦ » .

ذلك هو ما تتضمنه دراسة الطالب الذى تمنحه الدولة فى نهاية هذه السنوات الأربع شهادة تسمى (ليسانس اللغة العربية وآدابها) تجعل لحاملها الحق فى مباشرة تعليم اللغة العربية للناشئة من أشبال العرب . فهل ترى أن هذه الدراسة تعده للقيام بهذه الوظيفة وحمل هذه الأمانة ؟ .

بقى بعد ذلك أن أعود لما بدأت به حديثى حين قلت إن فكرة هذه الشعبة (الحديثة) قد بدأت فى برنستون ، فأشير إشارة موجزة إلى مرحلتين سبقتا هذه البرامج تصوران نشأة هذا التوجيه وتطوره . أما المرحلة الأولى فهى تتمثل فى الكلمة التى ألقاها مقترح هذه البرامج فى مؤتمر الثقافة الإسلامية المعاصرة الذى انعقد بجامعة برنستون الأمريكية فى صيف سنة ١٩٥٣ ، وقد جاءت فى كتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) تحت عنوان (القيم الإسلامية والحياة الأدبية فى مصر الحديثة) بين صفحتى ٥٢٧ ، ٥٤٩ وهى كلمة لم يتضمنها تمدى لذلك الكتاب الذى نشر فى عددى شعبان ورمضان سنة ١٣٧٦ .

ذكر الأستاذ محمد خلف الله فى مقاله ذاك حين عرض لذكر الدراسات النقدية فى قسم اللغة العربية بالإسكندرية أنها قد « أثارت - فيما أثارته - معضلة لها نواحيها التطبيقية والتعليمية : تلك هى صلة علوم البلاغة العربية بالنقد الأدبى ، وهل تلك العلوم دراسات لزمن قد انقضى ويجب أن تخلى المكان للنقد الحديث - ص ٥٤٤ » . ثم عرض فى ذلك المقال لما سماه (مشكلات اللغة العربية) ، فذكر منها « الصلة بين الفصحى والعامية ، وأثر هذا الازدواج فى إضعاف المجهود الفكرى للأمة . وهل من المصلحة أن تعمم العامية بعد صقلها وترقيتها ، أو يحدث تقارب بين اللغتين ؟ وهل لطريقة الكتابة العربية التى تعبر عن مادة الكلمة لا صورتها أثر فى صعوبة اللغة نفسها على متعلميها ؟ وإذا كان ، فكيف السبيل إلى إصلاحها ؟ - ص ٥٤٦ » . وقال بعد ذلك فى صدد ما سماه مشكلة الخط العربى « ويبدو من المحتمل أن يقبل الرأى العام اقتراحا للإصلاح يقوم على الاحتفاظ بالطريقة العربية فى الكتابة مع إضافة أحرف جديدة للحركات القصيرة ، تدخل بها الحركات فى صلب الكلمة على نظام الكتابة الغربية - ص ٥٤٧ » . ووصف هذه المعضلة الموهومة بأنها مشكلة عالمية (؟ !) ، لأن حلها فى نظره « يهم العالم كله . ومن الخير أن يتولى بحثها مؤتمر إسلامى عام يشترك فيه الإخصائيون من علماء الغرب - ص ٥٤٧ » . أما ما سماه (مشكلة العامية والفصحى) فقد وصفها تارة بأنها (ازدواج - ص ٥٤٦) ووصفها تارة أخرى بأنها (ثنائية لغوية - ص ٥٤٩) . وزعم أنها « ظاهرة لها مضارها فى سير الفكر والتعبير - ص ٥٤٩ » . وكان من مضارها عنده صعوبة الاتصال المباشر بين الغربيين وشعوب العربية (وذلك لما اضطر إليه الغربيون من الاقتصار على تعلم الفصحى واستمداد أساليبها من الكتب - ص ٥٤٩) . ومن عجب أن يراقب صاحب المقال الغرب فى كل مقاله حتى يجعل لهذه المراقبة اعتبارا فى لغتنا التى هى أخص خصائصنا . ويحاول الكاتب فى ختام مقاله أن يلقى ستارا على رأيه الذى يبدو واضحا فى هذه المشاكل المزعومة ، فيقول إنه قد اقتنع منذ مدة « أن السبيل الوحيدة للبلاد العربية والإسلامية هى الحرص على اللغة الفصيحة وتعميمها - ص ٥٤٩ » . ولكن حقيقة أمره لا تلبث أن تتضح حين يتبين للقارئ أن اللغة الفصيحة التى يعنيها هى لغة أخرى معدلة متطورة فى رسمها وفى مادتها ، إذ يدعو إلى « استعمالها فى شئون الحياة والفكر ، وإصلاح رسمها بما يسهل ذلك الاستعمال ، وإغنائها بكثير من عناصر الحياة

التى تفيض بها اللغة العامية ، وإخضاعها لما لا يضيع خصائصها الجوهرية من أساليب التطور والتجديد - ص ٥٤٩) .

فهذا المقال يصور مولد الفكرة فى برنستون ، وهو المرحلة الأولى فى برامج قسم اللغة العربية . أما المرحلة الثانية التى توسطت بين نشأة الفكرة فى صيف سنة ٥٣ وبين تنفيذها فى البرامج الجديدة بقسم اللغة العربية فى العام الدراسى (٥٥ - ٥٦) فهى مسجلة فى مقال الأستاذ محمد خلف الله نشره فى (مجلة اتحاد كلية الآداب) عن العام الدراسى (٥٤ - ٥٥) ، وهو يصور اختمار الفكرة ، وقد جاء هذا المقال تحت عنوان (ثقافة الإسكندرية الحديثة - ص ١٢ إلى ١٤) ، وفيه يقول ، بعد أن أشار إلى عناية جامعة الإسكندرية بدراسة الفكر العربى الحديث : « وستشهد السنوات القليلة المقبلة مزيد عناية بهذه الدراسة وتوسعاً فى ميادينها ، حتى تشمل ظواهر التطور اللغوى والأدبى وتفرع اللهجات فى وادى النيل والبلاد العربية ، وسيزداد الاهتمام فى هذه الدراسة بالجانب التجريبى من بحوث اللغة ، فينشأ معمل لتسجيل الأصوات وقياسها - ص ١٤ » [١] ، وقد قسم كاتب المقال الفكر الإسلامى والعربى فى ختام مقاله هذا إلى (فكر عربى وإسلامى كلاسيكى) و (فكر عربى حديث) ، ودعا إلى « المحاضرة عنه فى المعاهد الأوروبية والأمريكية التى تعنى الآن بدراسة هذا الفكر وتعرف اتجاهاته » ، ولست أدرى إن كان قد سأل نفسه حين كتب هذا الكلام : ماهو سبب هذه العناية الجديدة من جانب أمريكا بتعرف اتجاهات الفكر الإسلامى الحديث ومحاولة توجيهه فى اتجاهات معينة ؟ ! .

ولا كتفى من المقال بهذا القدر ، ولا تجاوز عما جاء به من اقتراح إنشاء (معهد لدراسات البحر الأبيض) يصبح « كعبة للطلاب الغربيين الذين يفدون من أوروبا وأمريكا » ؛ لأن لذلك المعهد المقترح قصة أخرى غير ما نحن فيه ، ولأكتف هنا بأن أقول إن كل حديث عن رابطة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض ، وشعوب البحر الأبيض لا يراد به إلا صرف الناس عن رابطة العروبة ورابطة الإسلام ، وعند حكومة تونس الراهنة وحكومة لبنان الغابرة الخبر اليقين .

وبعد فلست أحب أن أختم مقالى هذا قبل أن أنبه القارئ إلى أن الخطر الذى تنطوى عليه كل هذه الاتجاهات المنحرفة خطر مزدوج . فهو يهدد بقطع ما بين العرب بعضهم والبعض

---

(١) وقد أنشئ هذا المعمل الذى ذكرت فى صدر المقال أن طه حسين قد فشل فى إنشائه .

الآخر فيتناكر المتعاصرون منهم ، ثم إنه يهدد من ناحية أخرى بقطع ما بين العرب ـ جملة وأفرادا ـ فى حاضرهم ومستقبلهم وبين قديمهم ، وبينهم وبين مصادر إسلامهم ، والخطران كلاهما ماثلان فى برامج هذه الشعب الحديثة فى الدراسات العربية والإسلامية .

وفى الوقت الذى أنشئت فيه هذه الدراسة فى إحدى كليات الآداب كان أنيس فريحة المدرس بالجامعة الأمريكية فى بيروت يلقى محاضرات فى الدعوة إلى دراسة اللهجات السوقية وآدابها والدفاع عنها من فوق منبر جامعة الدول العربية (١) ، وكان مجمع اللغة العربية فى القاهرة مشغولا بدراسة هذه اللهجات ، وكان دعاة العامية وأعداء العروبة يتجمعون وينشطون فى الترويج لدعوتهم ويملئون بها الصحف مستغلين اسم الثورة على ما هو معهود من أساليبهم فى التضليل وانتهاز الفرص ، لابسين ثوب الشعبية والدفاع عن لغة الشعب ، حتى أسفرت القومية العربية عن وجهها فأخرست كل ملجلج ، وكان بعض الأعضاء الذين شهدوا مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول فى دمشق يدعو إلى وضع معجم لغوى مستقل لكل إقليم عربى وإلى تبديل قواعد اللغة العربية وتغيير رسمها وإملائها ، وكانت هذه الاقتراحات فى الوقت نفسه تتخذ طريقها إلى التنفيذ فى كتب المطالعة والنحو التى يتداولها تلاميذ المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية فى مصر .

أى صدفة عجيبة تلك التى ألفت بين هذه الجهود وأصدرت إليها أمرا بالزحف العام فى وقت واحد ؟ يالها من صدفة حكيمة عاقلة !

الدكتور محمد محمد حسن
أستاذ الأدب العربى الحديث
بجامعة الإسكندرية

---

(١) راجع « محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها » لأنيس فريحة . نشر معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٥ .

ذكرى ثورة الجزائر

« الكلمة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف في الاحتفال الذي أقيم تحت إشرافه بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين يوم ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ (٣ نوفمبر سنة ١٩٥٨) وخطب فيه الأساتذة الشيخ البشير الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني والشيخ أحمد الشرباصي ومحمد مصطفى حمام ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه السائرين على سنته إلى يوم الدين .

(وبعد) ففي هذه الليلة الزهراء ، ومن هذا الحفل الرائع ، نبعث بأطيب التحيات والأماني إلى إخواننا المجاهدين في الجزائر ، وإلى قادة ثورتها المباركة ، ونحيي أبلغ تحية رجال حكومتها الأحرار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من العمل لتحطيم أغلال الاستعمار المشئوم في قطر الجزائر ، واستمرار الجهاد حتى تعود الجزائر إلى أهلها ، أرضا نقية طاهرة وبلادا عربية إسلامية يتمتع فيها شعبها بحياة حرة كريمة ، ويقيم بها على دعائم قوية من الاستقلال والحرية مجدا عالي الذرى وعزا بناوح السهى . ونهنئ الجزائر والعالم العربي والإسلامي بقيام هذه الحكومة الشرعية الحرة من خيرة أبناء الجزائر المجاهدين وزعمائها المخلصين ، تحمل الأعباء الجسام ، وتنهض بالمهام العظام . ونهنئ صديقنا العلامة الكبير والمجاهد العظيم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي شيخ علماء الجزائر ببشائر النجاح في تحرير الجزائر من ربقة الاستعمار .

إن الشعب الجزائري شعب أبي بفطرته ، باسل في حرابته . لا يرضى أن يقيم على هضيمة ولا أن يغضي على قذى . وله فوق ذلك من عزة دينه معتصم ، ومن قوة يقينه معتمد . نازل بهذه الأسلحة القوية وهذه القوى المتضافرة عدوا صلفا غشوما جثم على صدره في عقر داره وأذاقه على طول المدى بؤس الحياة ومرارة العيش .

عدا على الأرواح فأزهقها ، وعلى الأموال فاغتصبها . وعلى الحقوق فاستلبها ، وعلى الحريات فوأدها ، وعلى الكرامات فامتهنها . فكان من ذلك وقود نار ألهبت الشعور ، وتأججت فى الصدور ، فصمم هذا الشعب الأبى أن لا يعيش فى وطنه على هوان ، وأن لا يسمح لكرامته أن تذل وتهان ، وعزم أن يعيش عيشة الأحرار الأعزاء فى الوطن العزيز .

حاول بكل الوسائل السلمية أن ينال حقوقه المغصوبة ، فلم تجده نفعا ولم يجد من العدو الباغى إلا صلفا وكبرا وعنادا وبغيا ، فنازله فى الميدان .

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

نازل عدوه وهو أعزل من كل سلاح ، إلا من عقيدة الإيمان بالله وقوة الحق والقلوب الجياشة بالعزة الإسلامية والمعانى الوطنية السامية . وتلك أسلحة قوية لا تفل وقوى جبارة لا تقهر مهما طال المدى تهون بها الصعاب ، ويستعذب بها الأجاج ، ويقتحم من ادرع بها سعير الوغى لا يبالى لجب الجيوش ولا قصف المدافع ولا قذائف الطائرات .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين أمر بالجهاد لإعلاء الحق ومحو الظلم والبغى والقضاء على فتنة الشرك والمشركين - أعزل من كل سلاح وقوة إلا من هذه الأسلحة الماضية ، فجاهد فى الله حق جهاده حتى تم له النصر المبين والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وكذلك شعب الجزائر فى حربه ضد الطغاة الغاصبين ، سيكون له الغلب والفوز المبين بتوفيق الله تعالى والعاقبة للمتقين .

* * *

إخوانى :

إن الجزائر فى ثورتها إنما تحامى عن دينها ووطنها وتذود عن أرواحها وحرياتها وتجاهد لاسترداد حقوق مغتصبة ، وللدفاع عن أمانة فى عنقها للأجيال المقبلة وتلك فريضة ، فرضها الله عليها ، ولا تزال الحرب سجالا بينها وبين عدوها الباغى . ولن تلقى السلاح حتى تطهر وطنها من الاستعمار والمستعمرين وتعيش حرة فيه فلا حياة مع الذل والاستعباد .

أدت الجزائر واجبها وستؤديه كاملا وافيا بالدم الغالى مهما كلفها ذلك من الضحايا ، وليس أدل على ذلك من تصميمها على مواصلة الجهاد مع إفناء العدو نحو مليون من أبناء البلاد فيهم نساء وأطفال وشيوخ لا يد لهم فى القتال .

فما هو الواجب شرعا على المسلمين كافة حيال هؤلاء المجاهدين ؟ .

هذا سؤال أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوابه بمثل رائع بليغ فى معناه ، بعيد فى مرماه . ضربه تبيانا للناس وتبصرة فقال « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

هذا أثر الإيمان فى النفوس الحية وهذا شأن المؤمنين الأخيار فيما ينوب فرداً أو طائفة منهم من الأحداث والنوب فما بالكم بما ينوب أمة بأسرها فى دينها ووطنها وأرواحها وأموالها وحرماتها وكل عزيز لديها من عدولها فى دينها ودنياها ممن فى بغيه وفساده فى ماضيه وحاضره ومستقبله ؟ ؟ .

أليس التراحم والتعاضد والتعاون والنصرة أوجب وألزم ؟ .

وقد عقد الله تعالى بالإيمان بين أهله آصرة الأخوة الرحيمة فقال إنما المؤمنون إخوة . وناهيكم بآثارها بين الأخوين ، إنها عطف وتراحم وتعاون فى كل أمر دينى ودنيوى .

* * *

وانعقد إجماع المسلمين على أن بلاد الإسلام دار واحدة ، وأهلها جميعا إخوة فى الإسلام لا يفرق بينهم تنائى الديار ولا اختلاف الأجناس ولا الألوان ولا اللغات ، ما دام يجمعهم التوحيد والقرآن . فيجب على المسلمين كافة فى سائر الأقطار معاونة الجزائر فى ثورتها على عدوها الباغى . بكل ما فى الاستطاعة من المدد المادى والمعنوى ، حتى تضع الحرب أوزارها وينتصر الحق على الباطل ويشفى الله صدور قوم مؤمنين .

* * *

أيها المسلمون :

هذا حكم الإسلام حيال ثورة الجزائر ، وهو حكمه حيال المجاهدين لإنقاذ فلسطين من

بغى الصهيونية ، ولاسترداد هذا الوطن الغالى إلى حوزة الإسلام ، وإبقاء المسجد الأقصى فى دار إسلام لم يمسها رجس . فأدوا واجبكم حيال الجزائر وفلسطين بقدر ما فى استطاعتكم . والجهاد كما يكون بالنفس لمن استطاعه يكون بالمال للقادرين . فنى الحديث الصحيح من جهز غازيا فقد غزا ويكون بالإمداد بالسلاح الكافى ، وبالرأى وبالنصيحة ، وبالحث بوسائله الحاضرة ، ويكون بمقاطعة الأعداء وحصارهم بكل سبيل ، والقعود لهم بكل مرصد . فمن قصر فى ذلك أو خذل الناس عنه أو والى الأعداء موالاة تضر جماعة المسلمين أو غش أو خادع فهو آثم إثما عظيما ، وليس منا ولسنا منه فى دين الله .

ونحن نحمد الله تعالى أجل الحمد وأنماه ، إذ تيقظت الشعوب العربية والإسلامية من سباتها ، ونفضت عن أردانها غبار التقاطع والتدابر ، وعار الاستخذاء والذلة ، وموالاة الأعداء المضرة ، وأجمعت أن تناضل عن حقوقها وتطهر أوطانها من رجس الاستعمار ، وتعيش فى ديارها قوية عزيزة فى ظلال الإسلام والسلام والتعاون والإخاء .

وإننا نبتهل إلى الله تعالى أن يوفق قادة المسلمين عامة لما فيه الخير والصلاح ، وأن يجزى حكومة الجزائر الحرة عن وطنها وعن الإسلام والعرب خير الجزاء ، ويهبها من لدنه توفيقا وتسديدا فيما هى بسبيله من خير وجهاد مشكور . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية سابقا وعضو جماعة كبار العلماء

تصويب

وقع فى بعض نسخ هذا الجزء أخطاء مطبعية نرجو من القارئ تصويبها بالقلم :

فى صفحة ٤٠٧ السطر ١١ « كحنيفة » صوابها « كحذيفة » . « فسطاسه » صوابها « فسطاطه » .

فى صفحة ٤٢٥ السطر ١٨ « فأغير حرفا » صوابها « فما غير حرفا » .

فى صفحة ٤٣١ السطر ١٦ « أبى ذرعة » صوابها « أبى زرعة » .

فى صفحة ٤٣١ السطر ١٧ « صلى الله » صوابها « صلى الله عليه وسلم » .

القائد الأسود

نحن الآن نعيش فى القرن العشرين ، القرن الذى يسمونه قرن الحضارة والمدنية والنور ، ومع ذلك لا يزال الغربيون الذين يدعون أنهم أئمة هذه الحضارة يرتكبون من السيئات والمنكرات مالا يمكن أن يدخل تحت المعنى الصحيح للحضارة .

ولعل أقبح السيئات التى يأتيها أبناء الغرب فى مختلف بقاع الأرض هى تلك التفرقة اللونية والعنصرية التى يثيرون غبارها ويشعلون سعيرها بين البيض وغيرهم ، لا لشىء إلا لأن الله عز وجل قد خلق بعض الناس ببشرة بيضاء وبعضهم ببشرة سوداء . . .

ومن أجل هذا الاختلاف فى اللون نجد البيض الذين يزعمون التمدن والتحضر والرقى يذيقون السود ألوان العذاب ، ويسيمونهم أنواع الاضطهاد ، بما لا يتفق مع دين إلهى ، ولا أخوة إنسانية ، ولازمالة بشرية ، ولا عهد تنادى فيه بالعدالة والمساواة . . .

وهنا يشرق نور الإسلام زاهيا رائعا يفيض بآيات الحكمة وينابيع الرحمة ، فإنه لم يقم وزنا لاختلاف الألوان أو الأجناس أو الأنساب أو الأحساب ، بل جعل الناس أمة واحدة من ناحية القيمة الإنسانية والمكانة البشرية ، وجعلهم سواسية كأسنان المشط فى الاستواء ، فلا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض ، إلا بالتقوى ! ! . . .

وإذا كان الغربيون اليوم يضطهدون السود ويحتقرونهم ، ويطردونهم ويعذبونهم ، ويعتدون عليهم بشتى ألوان الاعتداء ، ويحرمونهم التمتع بالحقوق الطبيعية التى لا يكون الإنسان إنسانا صحيح الإنسانية إلا بها ، فإننا نجد التاريخ الإسلامى تتعطر صفحاته بسير رجال كان لونهم أسود ، ولكن الإسلام أعلى شأنهم وأعز مكانتهم ، وقدمهم على غيرهم بفضل جهادهم وعملهم الصالح . . .

ومن هؤلاء : الصحابى البدرى أحد النقباء أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصارى الخزرجى المدنى ، الذى شهد العقبة الأولى والثانية مع النبى صلوات الله عليه ،

وكان نقيبا فى ليلة العقبة على جماعة « القوافل » . وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختاره النبى ليكون عاملا على الصدقات ، كما أن عبادة رضى الله عنه كان يعلم أهل الصفة القـــرآن الكريم ، وآخى النبى بينه وبين أبى مرثد الغنوى .

ولما فتح المسلمون الشام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل عمر عبادة ومعاذا وأبا الدرداء إلى الشام ليعلموا الناس فيه ويفقهوهم ، وقد أقام عبادة من أجل ذلك زمناً فى « حمص » ، ثم سار بعد ذلك إلى فلسطين ، وقد ذكر الإمام الأوزاعى أن عبادة هو أول من ولى قضاء فلسطين .

وقد توفى عبادة فى بيت المقدس ـ وقيل فى الرملة ـ سنة أربع وثلاثين للهجرة عن اثنين وسبعين عاما ، وقيل توفى سنة خمس وأربعين ، ويرجح النووى القول الأول ويعبر عنه بأنه : أصح وأشهر . . .

وكان عبادة كما يصفه المؤرخون رجلا فاضلا خيرا ، وكان أسود اللون ، جميلا جسيما طويلا ، كان طوله عشرة أشبار بمقياس السابقين .

وقد روى عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأحدا وثمانين حديثا ، اتفق البخارى ومسلم منها على ستة ، وانفرد البخارى بحديثين ، ومسلم بآخرين .

وروى عنه أنس وجابر وأبو أمامة وفضالة ورفاعة بن رافع ومحمود بن الربيع ؛ ومن التابعين أولاده : الوليد وعبيد الله وداود بنو عبادة ، وخلائق غيرهم .

وقد جاء فى كتاب « غربة الإسلام » أن الإمام أحمد ذكر فى مسنده عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه : « يوشك إن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، ونزل عند منازله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز الحمار الميت » ! .

ومعنى يجوز : يسير . والمعنى أن منزلته تكون بين الناس ضائعة ! . . .

* * *

وعلى الرغم من سواد عبادة نراه يعلو فى مكانته ، ويرتفع فى منزلته بفضل دينه وخلقه وعمله ؛ ولقد اشترك عبادة مثلا فى الفتح الإسلامى لمصر ، وكان نجمه متألقاً فى هذا الفتح ، حتى قاد الوفد الإسلامى الذى توجه لمفاوضة المقوقس ، وفى هذه المفاوضة جرى حديث يتعلق بسواد لون عبادة يتضمن ما يستحق التأمل والتدبر ...

فى السنة العشرين كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ايتجه إلى مصر ليفتحها باسم الإسلام ، بعد أن طال إلحاح عمرو على الخليفة ليأذن له فى الفتح ؛ ومضى عمرو فى طريقه حريصاً على إتمام هذا الفتح بأسرع ما يمكن ، حتى بلغ مع الجيش حصن « بابليون » وهناك لقى مقاومة ، فاستعان بالخليفة فأمده ، ثم استعان به فأمده بأربعة آلاف جندى ، لهم أربعة قواد ، كل قائد منهم بألف رجل وهم : عبادة بن الصامت ، والزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، ومسلمة بن مخلد ، وقال الخليفة لعمرو : « اعلم أن معك اثنى عشر ألفا ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » !!..

وحدث أثناء الفتح أن كان عبادة بن الصامت يصلى وهو فى ناحية من معسكر المسلمين ، فهجم عليه جماعة من الروم ، فسلم من الصلاة ، ووثب على فرسه ، وهاجمهم ففروا أمامه ، فتبعهم ، فجعلوا يلقون فى طريقهم بأمتعتهم ونفائسهم ليشغلوه بها ، فما التفت إليها ، وما زال يطاردهم حتى اعتصموا منه بالحصن ، فعاد دون أن يلتقط شيئا من أمتعتهم ، ولما بلغ مكانه استأنف صلاته من جديد !!..

وقوى ساعد المسلمين بالمدد ، وخاف الذين فى مصر من العاقبة ، فأرسلوا إلى عمرو وفداً للمفاوضة ، فعرض عليهم عمرو واحدة من ثلاث : إما أن يدخلوا فى الإسلام ليكونوا إخوة للمسلمين ، لهم مالهم ، وعليهم ما عليهم . وإما أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولهم الأمان والدفاع عنهم بقوة المسلمين . وإما القتال حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بين الفريقين ، والله خير الحاكمين !...

وعاد الوفد إلى المقوقس فسألهم : كيف رأيتم المسلمين ؟ قالوا : رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة (أى ولوع) .

فأكد المقوقس لقومه أن مثل هؤلاء لو أرادوا إزالة الجبال لأزالوها ، وما يقوى على

قتالهم أحد ، وأشار عليهم بالاستمرار فى المفاوضة للصلح . وأرسل المقوقس إلى عمرو يطلب منه إرسال وفد من قبله للتفاوض معه ، فأرسل عمرو إلى المقوقس عشرة رجال من الجيش ، وعلى رأسهم القائد الأسود ، والبطل المسلم ، عبادة بن الصامت ، ووكل عمرو إلى عبادة أن يتكلم باسم الوفد ، وأن يكون زعيما له ، كما أمره ألا يقبل من المقوقس إلا واحدة من الثلاث التى سبق ذكرها .

وتوجه الوفد إلى المقوقس وفى طليعته عبادة بن الصامت ، فلما رآه المقوقس وشاهد سواده هابه وقال :

نحوا عنى هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمنى !! .

فرد عليه الوفد بأجمعه : إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره ، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله . . .

فتعجب المقوقس من ذلك كثيرا ، وقال لهم يسألهم :

كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإنما ينبغى أن يكون هو دونكم ؟! .

فأجابوه بلغة الإسلام الحنيف الذى يسوى بين الناس ، ويعرف لهم أقدارهم بما يقدمونه من عمل وجهاد ، فقالوا :

كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا ! .

ولم يجد المقوقس مناصاً من التسليم والرضى بالأمر فقال لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلمنى برفق ، فإننى أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك على ازددت لك هيبة ! ! .

واحتمل عبادة ما فى كلام الرجل من جفوة ، فغرضه الذى جاء من أجله أهم بكثير من شخصه ، فتقدم من المقوقس وقال له بثبات :

قد سمعت مقالتك ، وإن فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل كلهم مثلى ، وأشد سوادا منى ، وأفظع منظراً ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى ، وأنا قد وليت وأدبر شبابى ؛ وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعا ، وكذلك أصحابى .

وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا ممن حارب الله لرغبة فى الدنيا ، ولا حاجة للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا . وجعل ماغنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليله ونهاره ، وشملة يلتحفها ، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى ، واقتصر على هذا الذى بيده ويبلغه ما كان فى الدنيا ؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة .

بذلك أمرنا الله ، وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا فى الدنيا إلا ما يمسك جوعته ، ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضاء ربه ، وجهاد عدوه ! ! .

فلما سمع المقوقس منه ذلك ازداد هيبة له ورهبة منه ، فقال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندى من منظره ! . . .

وبعد أن نوه المقوقس بقوة المسلمين وغلبتهم التفت إلى عبادة وقال له :

أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده : قوم معروفون بالنجدة والشدة ، ممن لا يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ! . . .

ثم عرض على عبادة أن يأخذ لكل جندى دينارين ، وللأمير عمرو مائة دينار ، وللخليفة ألف دينار ، على أن ينصرفوا . فقال له عبادة :

يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك . أما ماتخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم ، فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ، ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه . إن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم ؛ لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه ، إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوان الله وجنته ؛ وما من شىء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك .

وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا .

وإن الله عز وجل قال لنا فى كتابه : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » ، وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا هم فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همنا ما أمامنا .

وأما قولك إنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذى تريده فبينه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيتها شئت ، ولا تطمع نفسك فى الباطل ، بذلك أمرنى الأمير ، وبه أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله إلينا :

إما إجابتكم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره ، وهو دين نبينا وأنبيائه ورسله وملائكته ـ صلوات الله عليهم ـ أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ، ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا فى دين الإسلام .

فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم ، وإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شىء نرضاه نحن وأنتم فى كل عام أبدا ما بقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم ، أو عرض لكم فى شىء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ، إذ كنتم فى ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا .

وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا ، أو نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم .

وبعد مفاوضات تم الصلح ، وفتحت مصر أبوابها لأضواء الإسلام ، بعد أن تألق نجم القائد الأسود عبادة بن الصامت فى هذا الفتح ، وبعد أن أوقع الهيبة والرهبة فى قلوب أعدائه، فسلام عليه فى المجاهدين ! ! . . .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

حقائق

ينبغي أن تعرف

أولع بعض الناس فى الأزهر وغيره بالنيل من كتبنا التى ندرسها فى الأزهر ، وأسرفوا فى ذلك وعمموا الحكم فلم يستثنوا شيئا ونعتوها بشتى النعوت ، ولم يقتصروا عليها بل تعدوها إلى مؤلفيها فاعتدوا عليهم ونالوا منهم ظالمين .

لقد رموا تلك الكتب بأنها سيئة الأساليب ، مضطربة العبارات ، نضحت عليها عجمة مؤلفيها فجاءت صوراً لأفكارهم المشوشة ، وعصورهم المظلمة ، تزهق دارسيها ومدرسيها وتعطى أكثر مما تأخذ من الجهد والوقت ، وتطرف أشخاص من هؤلاء فقالوا : إن تلك الكتب عوقت كثيراً من الألسنة والعقول كان يرجى لها أن تكون أكثر رشاداً وسدادا . وأخذ المتحدثون عن الأزهر والزاعمون الغيرة على إصلاحه يرددون هذا القول حتى صار سلوى الكاتبين .

إن التشكك فى جدوى تلك الكتب والتقليل من شأنها والدعوة إلى استبدال غيرها بها عما ألف فى العصور الإسلامية الأولى قبل أن يستعجم التأليف كما يقولون حديث قديم ، نشأ منذ نشأت الدعوة إلى إصلاح الأزهر : أى منذ أكثر من نصف قرن ، ولعل أبرز من أثاره الإمام محمد عبده ثم كان الحديث بعده تقليداً له وصدى لحديثه ، وقبل أن نحكم على ما فى هذه الدعوة من خطأ أو صواب ونبين مدى ما فيها من خير أو شر - يجب أن نذكر فى إجمال خصائص كل صنف من الكتب : أعنى الكتب التى ألفت فى العصور الإسلامية الأولى ، والكتب التى ألفت بعدها فى العصور المتأخرة ، والتى ندرس كثيراً منها فى الأزهر الآن .

إن الكتب التى وضعت فى العصور الأولى كتب قصد بها مؤلفوها جمع شتات العلوم ، وتقييد أوابدها ، لم يلاحظ فيها ترتيب ولا تبويب ، ولم تلاحظ فيها الموضوعية أعنى جمع مسائل الموضوع الواحد تحت عنوان خاص أو فى مكان خاص ، كما لم يلاحظ فيها الدقة المنطقية فى الحدود والرسوم ولا الدقة فى المصطلحات العلمية ، إلا أنها تمتاز بالأسلوب المرسل

الذى يخاله القارئ العادى سهلا ويراه الباحث الفاهم سهلا أيضاً ولكنه السهل الممتنع .

أما الكتب التى ألفت فى العصور المتأخرة والتى تدرس فى الأزهر فقد تداركت ذلك وعنيت بالترتيب العلمى وبتحديد القواعد وبالموضوعية فى التأليف على نحو ما فسرناها ، كما عنيت بضبط المصطلحات ، فأصبحت كتباً دراسية منهجية واضحة الصوى والمعالم يسير العالم والمتعلم فيها على هدى واستبصار ، ويستطيع المتعلم فوق ذلك تحصيل ما يريد منها واستذكاره لينتفع به عند الحاجة إليه فى مزالق الامتحان ، وإنا لنضرب الأمثال ببعض تلك الكتب ليرجع إليها من يشاء فى الموازنة والمقارنة ويتبين صدق ما قلناه ، إن أول ما ألف من كتب الأصول هو كتاب الرسالة للإمام الشافعى ، فإذا ما قورنت بكتب المتأخرين من الأصوليين التى تدرس فى الأزهر : كجمع الجوامع أو مسلم الثبوت أو الأسنوى وجدنا البون شاسعاً بين طريقتى التأليف فى ضبط القواعد وتحرير المصطلحات وجمع المناسبات وغير ذلك ، مما تمتاز به كتب المتأخرين ولا شك أن لذلك أثره فى تحصيل العلم واستذكاره وسهولة فهمه وتفهيمه . وكذلك الحال إذا ما قارنا بين أول ما ألف من الكتب فى البلاغة وهو دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر وبين ما ألف بعدهما من الكتب كالإيضاح وتلخيص المفتاح للقزوينى فإنا نجد الفروق التى ذكرناها واضحة ، فقواعد البلاغة فى كتابى عبد القاهر مشتتة لا يربطها نظام وليس لحدودها إحكام ويعسر على من يقرؤهما أن يظفر بمحصول بلاغى محدود ، ولقد مارسناهما دراسة وتدريسا فما استغنينا بهما ، وتطفلنا على موائد القزوينى فى كتابيه .

ولا تختلف الحال أيضاً فى كتب النحو إذا قارنا بين أول ما ألف من كتبه ككتاب سيبويه ، وما ألف بعده كألفية ابن مالك وشرحى ابن عقيل والأشمونى عليها فبين هذين النوعين من الكتب من الفروق ما يعلمه الدارس الممارس مما يستبين به فضل ابن مالك وشارحيه على النحو وجعله سهل التناول قريباً على الأفهام ، والأمر كذلك فى كثير من الفنون .

ولئن كان للمتقدمين فضلهم فى وضع العلوم وجمعها وحفظها فقد كان للمتأخرين فضلهم فى ضبطها وتحديدها وتقريبها .

وبهذا الضبط والترتيب أصبحت كتبهم دراسية منهجية تصلح للدراسات المحددة المناهج والأوقات ، والتى تحتم على الطالب استذكار معلومات مقررة عليه أن يعلقها حتى يجليها لوقتها

آخر العام الدراسى ، ولا تصلح كتب المتقدمين لهذه الغاية ، وإنما تصلح للدراسات الحرة التى لا يسأل فيها المدرس عمن يفهم وعمن لا يفهم وعمن ينجح وعمن لا ينجح ، أو تصلح للمراجعة عند البحث الرائث والوقت الفسيح .

إن الإمام محمد عبده دعا إلى استبدال تلك الكتب بعد أن نضج عقله واستوى تفكيره وحصل من العلوم فى كتب المتأخرين ما يستطيع به أن يتفهم كتب المتقدمين ، ويلخص ما شاع فيها من القواعد . ويلخص ما اشتبه من المسائل ، ولم يمارس التدريس فى الأزهر ممارسة خاضعة للنظم والبرامج بل كانت ممارسة طليقة ليس فيها مسئولية وليس عليها حساب ، ولم تكن النظم الدراسية قد استقرت على ما هى عليه الآن ، واقتضت ما اقتضته من تحصيل واستذكار ومراجعة وامتحان . أما وقد قضى التطور الإصلاحى فى الأزهر أن تكون نظم الدراسة كما هى الآن : فقد أصبح من الحتم أن نستمسك بالكتب الدراسية المقررة حاليا ، والتى ثبتت على التجارب والدراسات الواعية أزمانا طويلة ، وكل دعوة إلى استبدالها دعوة أقل ما يقال فيها إنها مجازفة غير مضمونة النتائج .

والدعوة إلى استبدال كتب حديثة بها دعوة تستحق النظر والتفكير العميق أيضا ، وقد يفضى ذلك إلى التنازل عنها أو تأجيلها إلى وقت طويل ، فقد جرب الأزهر بعض تلك الكتب ثم عدل عنها إلى ما كان مقرراً من قبل من الكتب القديمة ، قرر دراسة رسالة التوحيد ثم عدل عنها إلى كتاب الجوهرة ، وقرر صفوة صحيح البخارى فى الحديث ثم عدل عنها إلى شرح الشرقاوى ، كما عدل عن غيرهما لعدم ملاءمته لأذهان الطلاب وإعدادهم إعداداً منهجيا ، وقد عمد بعض المدرسين فى الكليات والمعاهد إلى تصنيف مذكرات فى بعض العلوم استجابة لدعوات إصلاح الكتب فكانت صورة مصغرة للكتب المقررة ، وما أغنت مذكراتهم وما حمدت مجهوداتهم ، وهم فى ذلك معذورون .

ذلك أن للعلوم أساليبها الخاصة ، ولمصطلحاتها طابعها الخاص ، ويرغمنا أن نقول إنه طابع الجمود والصلابة ، وكما أن لعلوم الطب والصيدلة والهندسة لغتها ومصطلحاتها ذات الشخصية القوية التى تأبى على التطوير وتظل كما هى على الزمن ، فلعلوم الأصول والمنطق والنحو لغتها ومصطلحاتها كذلك وإنها لتفرض وجودها فى كل تأليف وفى كل عصر ،

وليس على الأزهر من حرج فى أن يحتفظ بكتبه ذات الطابع العلمى الخاص ، كما أنه ليس على غيره من كليات الطب والهندسة وغيرهما أن تحتفظ بكتبها ذات الطابع الخاص أيضا .

إن الدعوة إلى نبذ الكتب الأزهرية واستبدال غيرها بها دعوة ينقصها التمحيص كما تنقصها التجربة والنظر الصحيح ، وعلى القائمين بها أن يتريثوا ويتدبروا ليفرقوا بين الممكن وغير الممكن ، ولقد مضى على تلك الدعوة أكثر من نصف قرن كما ذكرنا نبه فيه غير واحد من علماء الأزهر ، فكم من هؤلاء استطاع أن يؤلف فى علوم الأزهر ما يفضل الكتب التى تدارسها ويزحزحها عن مكانتها العلمية . لقد ألف الإمام محمد عبده رسالته فى التوحيد كما ألف فى التفسير فهل استطاع أن يحقق أحلام الكاتبين فى تبسيط هذين العلمين إلى الحد الذى يعفى الدارسين عن التفكير الفاحص والنظر الدقيق ؟ ؟ .

هذه حقائق ينبغى أن تعلم ولم يدفعنا إلى تسجيلها تعصب للقديم ونفور من الجديد ، ولكن أملتها علينا المصاحة القائمة على التجربة والملاحظة ، وليفهمها بروح الإنصاف من يشاء ، وليعتسف بها عن الجادة من يريد ، والله يعلم حسن القصد فيما كتبت وهو حسبى ؟

أبو الوفا المراغى

فرنسا فى الجزائر

سيرى بخائنة الضمائر واستعمرى شعب الجزائر
سيرى ، وتلك سجية المستعمرين وكل جائر
وتسابقى للموبقات بكل فاجرة وفاجر
وتغنى بالعالم الحر الذى سن الحرائر
لا بد من يوم أغر به يحاسب كل سادر

عبد الكريم الدجيلى

أسرار التكرير فى القرآن

ذكرنا فى المقال السابق أن هناك خصائص أسلوبية شاعت فى القرآن المكي مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية ، تلك الظواهر هى :

التكرير ، والقسم ، والإيجاز ، وافتتاح بعض السور بحروف من أحرف التهجى .

والآن نبدأ فى الكلام تفصيلا على كل ظاهرة من هذه الظواهر لنبين ما انطوت عليه من أسرار بلاغية ومحاسن بيانية . وهذا - ولاريب - وجه من أوجه الإعجاز القرآنى الذى عجز الجن والإنس - وقد تحداهم - أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ولنبدأ ببحث أسرار التكرير فنقول :

إن للتكرير فى القرآن الكريم مواطن شتى ومظاهر أسلوبية متعـــددة . ففى قصصه تكرير وفى أنبائه تكرير وفى آيات خاصة تكرير . وسنقصر بحثنا فى هذا المقال على ما جاء من تكرير آيات بذاتها وجمل بعينها كما جاء فى سورة الرحمن والمرسلات والقمر وسورة الشعراء ، وكلها سور نزلت فى العهد المكى ، وشيوع هذه الظاهرة إنما وجد فيها لما اقتضته غلظة قريش وإيغالهم فى الوثنية وإنكارهم على محمد صلوات الله عليه وشماسهم من دينه . فخاطبهم الله عز وجل بقوارع من الكلام كالصوارم وزواجر من الوعيد كالحمم ، وأن يكرر لهم هذا التقريع لتلين قناتهم ويسلس قيادهم ، وأن يردد لهم هذا الزجر ليذكرهم بفواصل الآيات ماتضمنته من العبر وما توحى به من العظات .

فإن التكرير من أهم العوامل لبث الفكر فى نفوس الجماعات وإقرارها فى قلوبهم إقرارا ينتهى إلى الإيمان بها وقيمة التوكيد بدوام تكرير ألفاظ بعينها يقول جوستاف لوبون فى كتابه « روح الاجتماع » « إذا تكرر الشىء رسخ فى الأذهان رسوخا ينتهى بقبوله حقيقة ناصعة »

ولقد شنع المستشرقون على هذا الضرب من الأسلوب وعدوه ضعفا وركة كما جاء فى مادة « قرآن » من دائرة المعارف البريطانية حيث ذكر كاتب المقال فقال :

« ليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة مبنية فى التكرير الذى لا لزوم له لنفس كلمات بعينها وجمل بذاتها » .

ولا غرابة فى أن تخفى على المستشرقين أسرار هذا التكرير فهم لم يألفوه فى لغاتهم ولو ألفوه لما أدركوه فى اللغة العربية ، لأن لكل لغة ذوقا خاصا لا يمنحه إلا أهلها ومن نشئوا على تذوقها .

فالتكرير من أساليب اللغة العربية التى شاع فيها منذ عهودها القديمة ، فجاء القرآن الكريم على نمط من أساليبهم إلا أنه فى صورة معجزة وبلاغة ساحرة .
من الأمثلة على ذلك النوع من التكرير ما جاء فى سورة (الرحمن) فقد تكرر فى هذه السورة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) إحدى وثلاثين مرة .

والسر فى ذلك هو أن الله تعالى قد عدد فى هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه وينبهم إلى قدرته ولطفه بخلقه ثم أتبع ذكر كل منة وصفها بهذه الآية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وجعلها وصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ويقررهم بها ، وهذا كقولك للرجل وقد أحسنت إليه دهرك وتابعت عنده أياديك وهو فى كل ذلك ينكرك ويكفر بنعمتك فتقول له :

ألم أبوئك منزلا وأنت طريد ، أفتنكر هذا ؟.
ألم أنقذك من هلاكك فى حادث الحريق أفتنكر هذا ؟.

ولكن ربما يقال : إذا كان هذا واضحا فى الآية التى تدل على النعم فى الدنيا كقوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان) ، (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) .

أو فى الآيات التى تدل على النعم فى الآخرة من وصف الجنة ونعيمها وفرشها وفواكهها (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان) ، (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) ، (كأنهن الياقوت والمرجان) . فأى نعمة فى قوله تعالى (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) بل أى نعمة فى قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) ، (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام) ، (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن) .

فللجواب عن ذلك فى الآية الأولى وهى (كل من عليها فان) نقول :

إن فى هذه الآية التسوية بين الصغير والكبير والمالك والمملوك والظالم والمظلوم فى

الفناء المؤدى إلى دار البقاء وبجازاة المحسن والمسىء بحقه من الجزاء ، فالمظلوم يؤخذ حقه من الظالم والظالم يجازى على ظلمه ، فلا نعمة إذن أكبر من هذا العدل المطمئن للنفوس المريح للقلوب . وفى هذا نوع من التسلية للمظلومين ، وإدخال العزاء على المهضومين ـ وما أكثرهم ـ وفيه نوع ردع للظالم وزجر للطاغية .

ألا ترى إلى قوله تعالى (قل لمن ما فى السموات والأرض ؟ قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) .

فقد أوجب الله على نفسه الرحمة بخلقه ، ومن مقتضى هذه الرحمة أن يجمعهم إلى يوم القيامة ، لأن هذا الجمع لأجل الحساب والجزاء رحمة بالعالم حيث يقضى على الفوضى والإهمال واستباحة الظلم ، والعلم بذلك رحمة أيضا لأنه وازع نفسى لا يتم تهذيب النفس بدونه . فهذا الوعد بالجمع يبعث الطمأنينة ويشيع السلام .

أما الجواب عن السؤال التالى ، وهو أى نعمة فى وصف جهنم وإنذار الثقلين وتخويفهما بشواظ من نار ونحاس ، فنقول :

إن الله تعالى منعم على عباده بنعمتين : نعمة الدنيا ، ونعمة الدين . وأعظمهما هى الأخرى ، واجتهاد الإنسان ورهبته مما ، يؤلم أكثر من اجتهاده ورغبته فيما ينعم به عليه ، فالإرهاب زجر على المعاصى وبعث على الطاعات وهو سبب النفع الدائم .

فأية نعمة أكبر إذن من التخويف بالضرر المؤدى إلى أشرف النعم ، فلما جاز عند ذكر الله ما أنعم به علينا فى الدنيا وعند ذكره ما أعده للمطيعين فى الأخرى أن يقول سبحانه فى هذين المقامين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) جاز أن يقول ذلك عند ذكر ما يخفونا به مما يصرفنا عن معصيته إلى طاعته التى تكسبنا نعيم جنته كذلك ، ففعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم ، لأن فى ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق من الثواب .

وهكذا الشأن فى جميع التكريرات فإن الباحث لها يجد أسرارا عجيبة وحكما بلاغية ساحرة تتعلق بموضوع السورة وأهدافها وبعجيب سياقها ومعجز نظمها .

قال الإمام بدر الدين الزركشى فى كتابه « البرهان » :

« جاء فى سورة المرسلات (ويل يومئذ للمكذبين) عشر مرات ، وذلك لأنه سبحانه ذكر قصصا مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل للمكذب بهذه القصة ، وكل قصة مخالفة لصاحبتها فأثبت الويل لمن كذب بها » .

والتكرير فى سورة (المرسلات) كالتكرير فى سورة (الرحمن) من حيث إنها تضمنت ذكر نعم مختلفة ، ونقم متعددة فكان إذا ذكرهم بنعمة أو خوفهم من نقمة ، أكد التذكير والتخويف بذكر الويل والهلاك المهيأ المكذبين الذين استخفوا بهذه النعمة ، أو تهاونوا بتلك النقمة ، فيكون ذلك رادعا للمخاطبين عن الغفلة وزاجرا لهم عن التمادى فى التكذيب وركوب الرأس فى العناد .

وفى هذا التكرير من هز السامع والتأثير فى نفسه ، ما لا يخفى على المتأدب المتذوق من لغة العرب ، وما فيها من كل معنى عجيب .

والمتتبع لأعاجيب القرآن الكريم ، وأساليبه التى فوق طاقة البشر سيجد لكل نمط من التعبير سراً ، ولكل ضرب من البيان حكمة ؟

عبد الوهاب حمودة

إذا لعن آخر هذه الأمه آخرها

ورد فى الأثر من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه : « إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى خطبة كتابه (منهاج السنة) تعليقاً على هذا الأثر :

« وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين : تصديقاً ، وعلما ، وعملا ، وتبليغاً . فالطعن فيهم طعن فى الدين ، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين » .

الزاهد القانت

« عامر بن قيس »

الزهد فى الدنيا معنى جليل ، لا يستقيم إلا لكل نفس كبيرة فهو خير معين على التفرغ للعظائم وأقوى محقق لمعانى القوة فى النفس والعقل والبدن ، وأكبر عامل على صفاء القلب ، وإعداده لتلقى الفيض وصونه مما يتورط فيه الجاهلون من الحقد والغل والحسد ، وأدعى شىء إلى العفاف ، والترفع عن السفساف والدنية ، وإلى عزة النفس والصدع بالحق ، ومقاومة الشر . وعلى الجملة هو كنز النفس العظيمة وميزة الخيرة الأبرار الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

فلهذا احتضنه دين الإسلام ـ وهو الدين المختار لله فى الأرض منذ بعث نبيه محمداً أميا ، مسعداً للناس فى دنياهم قبل آخرتهم ـ فهو يذم الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام . كما يمدح الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهو يذم المتفانى فى هواه ويعده عابدا له لا يقدس غيره (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) ! كما يشجع الذين يجاهدون أنفسهم فى سبيله : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) . ثم يدعو النبى صلى الله عليه وسلم بالتعاسة على المتفانى فى جمع الدنيا الحريص عليها الذى يعيش فى مشاكل مع الناس جميعاً ولو كانوا من أقرب الناس إليه من أجل الدنيا فيقول صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم . تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتقش » وجدير بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تجاب ، وبطلبته أن تتحقق ذلك أن الحريص على الدنيا يضيع دينه ومن ضاع دينه فقد خسر الخسران كله ، فقد طالما أذل الحرص الأعناق ، وقد طالما نكس الرءوس ، واستعبد النفوس ، وقد خلق الله الناس أحراراً لا عبادة إلا لله فأبى الشيطان إلا خسرهم ، فعاج بهم عن الصراط ، وحرضهم على التهالك على جمع الحطام ، من الحلال والحرام . فأوقع بعضهم فى بعض ، وحال بينهم وبين البر والخير ، وكان أدنى مراتب الطمع ذلك المعنى

الذى وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ! وهو الشح .

فالزهد إذاً فلسفة إسلامية رفيعة يضعها الإسلام فى الصف الأول من مبادئه الكريمة ، ويختص بها الصف الأول من هذه الأمة الوسط فى كل جيل وفى كل عصر .

والزهد إذاً ليس كما زعم بعض الجاهلين قبوعا فى كسر بيت ، وجموداً أمام كل نشاط أو تجديد أو إصلاح ، وتماوتاً عن كل جليل من الأعمال ، ولكنه أن تريح الناس من مضايقاتك ، وأن تريح نفسك من مضايقات الناس تأخذ الحياة عفواً ، وتجود بها فضلا ، تأخذها فى إجمال من الطلب ، وعدم انهماك مضن قاتل . تأخذها من غير احتيال يوقع فى المكروه ، ويحول دون سماحة للناس أو إحسان إلى من يستحق الإحسان ممن أمر الله به أن يوصل . تأخذها ثم تعطيها فتضعها فى أبواب الخير بعد أن تستوفى رغائبك المشروعة ، تصل القريب والجار والعشير والصاحب والإنسان أياً كان وأينما كان ، ما دمت تستطيع أن تمد إليه يداً ، وتقيل له عثرة ، وبذلك تحيا حياة مطمئنة ، وتعيش مهما تعش سعيداً محبوباً ذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس) . فأما حب الله إياك فلأنك تستطيع أن تعرف حقه ، وأن تؤدى واجبه . وأما حب الناس لك فلأنك تكف عنهم أذاك وتدعهم ، وما أعطاهم الله من فضله غير منافس ولا مشاكس .

فما عيب هذا الوصف - ليت شعرى - كما يزعم بعض الجاهلين وما جنايته على الإسلام كما يتوهم بعض الحاسدين أو الفارغين لا . إنه لمن محاسن الإسلام ومفاخره ، وإنه لمن أقوى الأدلة على أنه دين الإنسانية الخالد ، وأكبر واضع لمعانى العدل والإحسان والحب والإخاء . ومن حاول أن يبرئ الإسلام منه من أصدقائه الجاهلين ، فقد خاب وافترى وقال على الإسلام زوراً .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الزاهدين وهو خير منظم للإنسانية وأكبر واضع لدعائم العمران والحضارة .

وكانت مدرسته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، فلم يكن فيهم معنى أمثل من الزهد فى الدنيا والاتجاه صوب الحقائق وبذل

الهمة نحو كل نافع موجب لمرضاة الله وحب الناس ولن يكون ذلك إلا بهذا الزهد الإسلامى العظيم . والتاريخ يحدثنا عما كان للزاهدين من أثر عظيم فى إقامة صروح العدل وتحقيق خلافة الله فى الأرض فهذا عمر بن الخطاب وهذا على بن أبى طالب وهذا عمر بن عبد العزيز وهذا وذاك وغيرهم من المثل العليا لقد كانت أمثل صفاتهم الزهـــد فيما يتنافس عليه الآخرون .

فعامر بن قيس كان فيما يقال (١) أول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة وكان واحداً من ثمانية انتهى إليهم الزهد فى التابعين والسبعة الباقون هم : أويس القرنى (٢) وهرم بن حيان (٣) والربيع بن خثيم (٤) . ومسروق بن الأجدع (٥) والأسود بن يزيد (٦) وأبو مسلم الخولانى (٧) والحسن بن أبى الحسن البصرى (٨) .

وقد كان عامر بن قيس من تلامذة أبى موسى الأشعرى وممن أخذوا بطريقته وكان أبو موسى يتعهده وهو الذى لقنه القرآن وروى صاحب الحلية أنه كتب إليه فى يوم من الأيام : أما بعد فإنى عهدتك على أمر وبلغنى أنك تغيرت فاتق الله وعد !

وأبو موسى الأشعرى كان من خيرة الصحابة وممن تخيرهم عمر بن الخطاب ـ وهو البصير الناقد ـ فولاه الكوفة والبصرة ومن قبله استعمله النبى صلى الله عليه وسلم مع معاذ

---

١ — ذكره أبو نعيم فى الحلية ص ٩٤ ج ٢ .

٢ — كان سيد العباد والزهاد فى عصره وأمره مشتهر .

٣ — كان إماما كثير الوعظ والإرشاد للمسلمين وقد ولى لعمر بن الخطاب على الخيل ثم ترك العمل تورعا وزهدا ولم ينتظر الإذن من عمر .

٤ ـــ الإمام القدوة الكوفى روى عن ابن مسعود وأبى أيوب الأنصارى وروى عنه الشعبى والنخعى مات فى خلافة يزيد بن معاوية .

٥ — الإمام أبو عائشة الكوفى وهو ابن أخت عمر بن معد يكرب قال الذهبى كان أعلم بالفتوى من شريح توفى سنة ٦٣ .

٦ — الفقيه الزاهد العابد عالم الكوفة وابن أخى عالمها علقمة توفى سنة ٧٥ .

٧ — الفقيه العابد الزاهد ريحانة الشام توفى سنة ٦٢ تقريباً .

٨ — الإمام شيخ الإســـلام أبو سعيد البصرى نشأ بالمدينة فى خلافة عثمان فلزم الجهاد والعلم والعمل راجع ترجمته فى التراجم الإسلامية لكاتب المقال .

على اليمن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجب بقراءته ويقول إنه أوتى مزمارا من مزامير داود ، وقد ذكره الشعبي فى ستة يؤخذ عنهم العلم وهم : عمر وعلى وأبى وابن مسعود وزيد وأبو موسى ، وقال إنه أحد القضاة الاربعة وهم عمر وعلى وزيد وأبو موسى . وقيل إنه لم يكن يفتى فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم غير عمر وعلى ومعاذ وأبي موسى .

فلا بد أن يكون تلميذه ومريده عامر بن قيس موضوع الحديث اليوم ممن بلغوا فى الفقه مبلغا عظيما كريما . ولكن جانب العبادة والزهد غلب عليه ، ومثله ممن كانوا يؤثرون الخمول والعزلة إلا بمقدار مايوجبه الإسلام من إظهار العلم وعدم كتمانه من غير قصد ، يكتفى بقيام غيره بمهمة نشر العلم وإذاعته أما منزلته فى الزهد والعبادة فقد رأيت أنه أحد ثمانية عرفوا بذلك وفاقوا الناس فى عهد التابعين الأول فيه ، وقد حكيت عنه أخبار ورويت عنه أقوال تؤيد ذلك وتقرره .

فمن ذلك ما ذكره أبو نعيم من أنه كان يبيت قائما أو يظل صائما فإذا قيل له إن الجنة تدرك بدون ما تصنع وإن النار تتق بدون ما تضع .

قال : لا حتى لا ألوم نفسى ! ومن العجيب ما نقل عنه وهب بن منبه وغيره . قالوا : كان عامر بن قيس من أفضل التابعين وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائما إلى العصر ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول : يا نفس إنما خلقت للعبادة يا أمارة بالسوء ، فوالله لأعملن بك عملا حتى لا يأخذ الفراش منك نصيبا ! .

وعن أحمد بن حنبل بسنده إلى الحسن قال : بعث معاوية إلى عبد الله بن عامر أن انظر عامر بن قيس فأحسن إذنه وأكرمه ومره أن يخطب إلى من شاء وأمهر عنه من بيت المال فلما بلغه ذلك قال : أنا فى الخطبة دائب . قال : إلى من ؟ قال : إلى من يتبل منى الفلقة والتمرة ، ثم أقبل على جلسائه فقال : إنى سائلكم فأخبرونى ، هل منكم من أحد إلا ولأهله فى قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا . قال : هل منكم من أحد إلا لولده فى قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا ، قال : والذى نفسى بيده لأن تختلف الأسنة فى جوانحى أحب إلى من أن أكون هكذا ، أما والله لأجعلن الهم واحدا . فهكذا عاش عامر بلا زوجة ولا ولد تفرغا لله ، وحبا للرب وإيثارا لتوحيد الهم ، والتخلى من الهم ، حتى يعيش فى جوار الحب الخالص لمن هو أحق بالحب من كل محبوب ، ومن يجمع لحبيبه كل خير وسعادة ولا يتخلى عنه ساعة

مهما يتخل كل حبيب أو صديق ، ومن لا يتغير لصاحبه مهما اختلفت عليه الشئون ، ومن يحسن إلى صاحبه مهما أساء ، ومن لا ينتظر مثوبة على صالحة ويزيد من يركن إلى جانبه نعما وألطافاً وإن قصر فيما ينبغي له .

وهكذا عرف الدنيا وحقارتها ومصيرها وهكذا تكون الفلسفة . وهكذا يكون صفاء النفس ، وسلامة النظر . وهكذا تكون الهداية والتوفيق وانظر كيف وجهه الزهد فى الدنيا واحتقارها أن ينفذ تعاليم الإسلام ولا يبالى ما يصيبه فى الحق فهو يقول ما يراه وإن خالف أمر الخليفة أو الأمير قال فى حلية الأولياء بسنده إلى أحمد بن حنبل بسنده إلى من عاصر عامر بن قيس قال : مر عامر بن عبد الله برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذميا والذمى يستغيث به ، قال : فأقبل على الذمى فقال : أديت جزيتك قال : نعم . فأقبل عليه ، فقال : ما تريد منه ؟ قال : أذهب به يكسح دار الأمير ، قال : فأقبل عليه ، فقال : تطيب نفسك بهذا له ؟ قال : يشغلنى عن ضيعتى ، قال : دعه ، قال : لا أدعه . قال : فوضع كساءه ثم قال : لا تخفر ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنا حى ، ثم خلصه منه فكان ذلك سبب تسييره [1] .

وبعد فهذا هو الزاهد عامر وهذه حكاية يسيرة كانت فيها عدة أدلة عنه .

أولها : أنه كان فقيها دقيقا فهو يسأل الذمى هل أدى جزيته حتى يكون فى أمان الله وأمان الإسلام له ما لكل مسلم وعليه ما على كل مسلم، فهو لا يخدم أحدا ولا يعين إنسانا ما لم تطب نفسه بذلك كما أن كل مسلم كذلك لا يكره على خدمة ولا يعمل سخرة .

وثانيها : أنه يتحرى فى تطبيق الأحكام فيسأل كل واحد من الطرفين فى أناة وحلم وأدب كريم ثم انتهى الأمر إلى المقاومة ، قاوم المنكر .

ثالثها : أنه أمره أولا بالمعروف فلما لم يأتمر جاهده بيده كما هو الحكمة فى التصرف .

رابعها : أن الزهد كما قلنا لا ينافى التصريف فى الأرض ومداخلة الشئون بالإصلاح والخير فليس هو أن تقول : دع الخلق للخالق كما يزعم من لا يفهم ، ولا أن تقول مالى ولهذا الأمر لا يعنينى، فكل مسلم خليفة عن الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعين على الخير ويقاوم البغى . وليس الزهد إذا إلا خلافة صالحة عن الله فى الأرض ونشاطاً يزاول المرء به

(١) تسييره : إخراجه ونفيه .

كل معنى فاضل كريم . لقد أصيب عامر من جراء هذا الجهاد فأخرج من بلده وحيل بينه وبين وطنه وما بالى فى سبيل ذلك شيئا .

روى أنه سير إلى ظهر المربد فشيعه بعض إخوانه فقال : إنى داع فأمنوا . قالوا : هات فقد كنا نشتهى هذا منك . قال : اللهم من وشى بى وكذب على وأخرجنى من مصرى وفرق بينى وبين إخوانى . اللهم أكثر ماله وولده وأصح جسمه وأطل عمره . وإذا فهذا الذى يتمناه الناس اليوم لأنفسهم بلاء عند الزاهدين وشر كثير عند المقربين فالمال بلاء ، والولد بلاء ، والصحة بلاء ، وإذا طال العمر فى هذا البلاء فقد طال عمر المرء وساء عمله . فيالت عامراً رحم صاحبه ورثى له ولكن أنطقه الله الذى أنطق كل شىء . ولو شاء لهداكم أجمعين .

ولو أردنا أن نستقصى الكثير مما ورد فى أخباره وأقواله وما حفظ له من كرامات أكرمه الله سبحانه بها كما أكرم نفسه عن الدنايا لطال المدى ، ولكننا نؤثر أن نورد بعضاً من أقواله لتكون قياسا لكثير من النفوس المؤهلة ، ولا نرجو من وراء ذلك أن نحمل الناس على الزهد الأول ، ولكننا نحاول أن يكف بعض الناس أذاهم عن بعض ، وأن يجملوا فى طلب الدنيا ويأخذوها برفق ، ولا يأسوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم والله لا يحب كل مختال فخور .

فمن ذلك قوله : لو كانت الدنيا لى بحذافيرها ثم أمرنى الله تعالى بإخراجها لأخرجتها بطيب نفس . لا أبالى حين أحببت الله تعالى على أى حال أمسيت وأصبحت منذ عرفت الله لم أخف سواه .

ومما يؤثر عنه : من جهل العبد أن يخاف على الناس من ذنوبهم ويأمن هو من ذنوب نفسه .

وسأله رجل أن يدعو له فقال : إنك لتسأل من قد عجز عن نفسه ولكن أطع الله ثم ادعه يستجب لك .

ومن كلامه المنفعل العجيب : فى الدنيا الهموم والأحزان وفى الآخرة النار والحساب ، فأين الراحة والفرح ؟ . إلهى خلقتنى ولم تؤامرنى فى خلقى . وأسكنتنى بلايا الدنيا ثم قلت لى استمسك . فكيف أستمسك إذا لم تمسكنى ؟ إلهى ! إنك لتعلم أن لو كانت الدنيا بحذافيرها لى ثم سألتنيها لجعلتها لك فهب لى نفسى . وهذا كله ضراعة فى أدب لا خروج فيه ولكنه استدرار لرحمة الله وإحسانه كقول يوسف عليه السلام : « وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين » . اللهم عصمتك ورحمتك وتوفيقك وإحسانك ؟

محمود النواوى

الدين ... فى موقف الدفاع

فى ثنايا تحية موجهة إلى شيخ الأزهر الجديد ، ذكر الأستاذ عباس العقاد أن الدين يقف الآن موقف الدفاع ، وأعرب عن ثقته فى جدارة الأستاذ الأكبر بهذا المنصب ، فى هذا الموقف .

والحق أن الدين عموما ـ كما أبان الأستاذ العقاد ـ يقف فى حالة دفاعية : لقد أحدثت (الآلة) تغيراً جذرياً فى بناء النفوس والعقول والمجتمعات ، ورافق هذه التحولات الخطيرة الاتجاه الاستعمارى الذى جعل الدين فى البلاد الشرقية يتعرض لضغط التطور ودفع الغزو فى وقت واحد ، وشملت آثار العصر المادى الجديد الديانة المسيحية عند الغرب كما بلغت الإسلام فى الشرق . لكن المسيحية الغربية ـ بمنظماتها المختلفة ، وإمكانياتها الواسعة ـ قد تصلبت فى الدفاع فظهرت الكتابات المختلفة فى هذا الصدد ، وسمى هذا الاتجاه الدفاعى أو الاعتذارى Apologia ـ لأنه يعتذر لما يرفضه العقل الحديث فى شأن الدين هناك . ومن الكتابات الممتعة الموجزة فى هذا الاتجاه ما نشرته مؤسسة بليكان Pelican للقس البريطانى كاربنتر S. C. Carpenter عن المسيحية .

ولا يسوء المسلمين أن يقف دينهم موقف الدفاع ؛ لأنهم يعلمون أنهم يقفون على أرض ثابتة لا تميد ، ودينهم يعلمهم حرية النفوس والعقول وتناول القضايا بالمنطق والبرهان .

بل إن المسلمين يسرهم أن يروا دينهم فى موقف دفاع ، وهو مع ذلك حافظ لأصالته وجدارته . وإنها لضارة نافعة ، أن يضعف كيان المسلمين السياسى ، ويتعرض دينهم للهجوم الفكرى ؛ فإن الإسلام إذا ثبت فى هذه الجولة ـ وهو بهذا جدير ـ لكان فى هذا إيذان بتبدد ما شاع عن أن الإسلام إنما انتصر بالقوة وحدها ، وأنه إنما انتصر لأنه واجه أعداء ينخر فيهم الضعف وكتب عليهم الزوال .

ثم إن الإسلام حين ينتصر فكرياً بعد أربعة عشر قرنا من ظهوره ، يقدم بذلك أبلغ دليل على صلاحيته للخلود ، وشموله لمختلف الاحتياجات الإنسانية ومنها النزوع إلى الترقى المستمر ، فهو دين تطورى لا يضيق بزمان ولا مكان . ولنناقش ـ فى إيجاز ـ طابع عصرنا الذى نعيش فيه ، لنرى مدى مسايرة الإسلام لزماننا وبيئتنا .

أول طابع للقرون الأخيرة منذ عصر النهضة الاتجاه إلى التجربة والعكوف على معالجة المادة ، والانصراف عن الروحيات والغيبيات وما إلى ذلك .

غير أن هذه النزعة لم تسلم من رد فعل . . . فالنزعة الرومانتيكية تتجه إلى الخيال والتجريد ، والعلوم الطبيعية قد انتهت بعد النظرية النسبية والأبحاث الذرية إلى إنزال المادة من عليائها ، وهذا ما يشير إليه أبلغ إشارة الأستاذ راندال J. H. Randall فى كتابه « تكوين العقل الحديث » حيث يقول : « إذا أشرفنا على آخر القرن التاسع عشر وجدنا أن الذرة بما لها من كتلة ثابتة اعتبرت هى الجوهر الأول ، وأن الحركة التى يعبر عنها بمعادلات علم التحريك اعتبرت هى العملية الأولية . وبالنظر لما حل منذ ذلك الحين بالمفاهيم الأساسية لهذه النظرية الشديدة السبك ـ المادة والطاقة والأثير ـ فمن الضرورى أن ندرك أن طريقة التحليل الآلى ليست متقيدة بحدود هذه النظرة الآلية المادية القديمة . فقد اعتبر علم القرن التاسع عشر بأن حركة المادة هى العملية النهائية والشكل الأخير للطاقة أما الطاقة الدورية فإنها قد أصبحت فى هذه الأيام أكثر أساسية من (المادة) . وعلى ذلك فإن علمنا لم يعد اليوم علما (ماديا) إذا أردنا الدقة فى التعبير ، وليست لقوانين الحركة الآلية من الشمول بمثل ما لسلوك حقل الإشعاع ، بل قد لا تكون هذه القوانين سوى مجرد شكل خاص للسلوك » .

والإسلام لم يضق بالمادة ولا بالتجربة ولم يحتقر الحس والمشاهدة ، فهو الذى تدأب آيات كتابه على لفت النظر وإثارة الانتباه إلى مشاهد الكون وآيات الوجود : إلى الأرض والجبال والماء والنبات والحيوان ، وإلى الهواء والفضاء والكواكب والأفلاك ، وإلى الإنسان فى جسده وروحه وعقله ونفسه . والإسلام هو الذى حصر الغيبيات والسمعيات فى أضيق نطاق ، وكم شدد العلماء فى تمحيص الروايات التى تتعرض لهذه الأمور .

فالمسلمون لم يشغلهم التفكر فى الله عن الإفادة من نعمه ، والتبصر فى خلقه ، والعيش فى كونه ، والنظر فى نواميسه ، فهذه الدنيا على فنائها هى حقل نشاط المؤمن ، ومجال اختباره ومعبره للآخرة الذى لا بد منه ، وهو يعبد الله بالعلم بها والعمل فيها ، ومن هنا سجل التاريخ لعلماء المسلمين اتجاها تجريبيا يغاير اتجاه الإغريق ـ وقد حاول الأستاذ جب أن يلتمس لهذا سببا فى جذور العقلية العربية فرأى « أن انصباب الفكر العربى على الأحداث الإفرادية يوجه علماء المسلمين نحو طرق التجارب العلمية فيذهبون إلى أبعد مما ذهب إليه من سبقهم

من اليونان والإسكندرية ، ولا يعنينا التعليل هنا بقدر ما يعنينا التقرير . وهذا هو عملاق الفلسفة الرياضية برتراند رسل يقول فى (النظرة العلمية) : « كان العرب أميل إلى التجريب من الإغريق ـ وبخاصة فى الكيمياء ، فقد كانوا يأملون أن يحيلوا المعادن الرخيصة إلى ذهب وأن يكتشفوا حجر الفلاسفة وأن يركبوا إكسير الحياة ، وكان هذا من أسباب إقبالهم على البحوث الكيميائية ، وقد حمل العرب تقاليد المدنية طوال عصور الظلام ، وإليهم مرجع كثير من الفضل فى أن بعض المسيحيين أمثال روجر بيكون قد حصلوا كل المعارف العلمية التى تهيأت للشطر الأخير من العصور الوسطى » .

غير أن الإسلام له قضاياه التى لا يتم الوصول إليها إلا عن طريق العمليات العقلية العليا والمنطق الفكرى المجرد ، وهذه قد لا يستطيع التجريبيون الذين لا يسلمون بغير التجربة أن يسلموا بها ، لكن هؤلاء أيضا إذا كانوا راسخين فى العلم لن يستطيعوا أن يرفضوها . . وفرق بين عدم الاعتراف بالدين وبين الإلحاد ، وهو فارق دقيق يحسن التنبه إليه ، لأن الملحد لا يلحد عن تجربة محسوسة بل عن إيمان عكسى ، إيمان بالإلحاد يتدخل فيه القطع بأمور لا تدركها التجربة ويخالطه التحمس لما لا يقوم عليه دليل .

والاتجاه العلمى الآن لا يجثم على روحه المادة الكثيفة كما كان من قبل ، والتجربة نفسها صارت تمارس فى مجالات النفس كما كانت تزاول فى ميادين الطبيعة ، وكل ذلك يجعل موقف الدين ثابتا متينا فى موقف الدفاع . وهذا ما يعبر عنه الأستاذ العقاد حيث يقول : « إن المادة اليوم لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ، ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطا للحقيقة الثابتة ، فإن الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال ترتد إلى أصولها حتى تئول إلى عدد من الهزات فى ميدان مجهول هو ميدان الأثير وميدان الفضاء ، فالمادة فى القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته وأصبحت فى تقدير الثقات (عملية رياضية) أو نسبة من النسب التى تقاس بمعادلات الحساب . وقد جاز لعالم كبير كالسير جيمس جنتر أن يعتبرها كذلك وأن يقول « إن المعرفة الجديدة تضطرنا إلى تنقيح خواطرنا العجلى التى أوحت إلينا أننا وقعنا فى كون لا يحفل بالحياة أو لعله يعمل على مناصبتها العداء ، ويلوح لنا أن الثنائية العتيقة التى تقول بالعقل والمادة ويرجع إليها افتراض العداوة المزعومة آخذة فى الزوال ، لأن المادة الجوهرية تحيل نفسها إلى شىء من خلق العقل ومظهر من مظاهره ، ونحن نستكشف أن الكون يبدى الدليل

على قدرة مدبرة أو مسيطرة لديها العقل ، وجاز كذلك لعالم آخر كبير كالسير آرثر إدنجتون أن يقول : « إن نظرات المتصوفة لا تهمل وإن ملكات الإنسان التى يمازجها الشعور الدينى هى من وقائع الكون إذا كان الإنسان قد استبقاها بفعل الانتخاب الطبيعى وهو من أهم العوامل الكونية ، ومن هنا يحق لنا أن نطمئن إلى موقف الإسلام فى عصرنا .

إن هذا العصر الذى أعلى من قيمة العقل عموما وعكف على المادة والتجربة بصفة خاصة يفسح المجال لهذا الدين الذى وصفه البروفسور مونتيه بما ينقله عنه توماس أرنولد قائلا « الإسلام فى جوهره دين عقلى بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية ، فإن تعريف الأسلوب العقلى Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينيـة على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ـ ينطبق على الإسلام تمام الانطباق . والحق أن محمدا الذى كان متحمسا لدينه كما كان كذلك يمتلك غيرة الإيمان ونار الاقتناع ـ تلك الصفة القيمة التى بثها كثيراً من أتباعه ـ قد عرض حركته الإصلاحية على أنها وحى وإلهام ، على أن هذا النوع من الوحى ليس إلا صورة من العرض والتفسير ، وإن لدينه كل العلامات التى تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل .. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة فى الدين وفى نشاط الدعوة إلى الإسلام .

والطابع الثانى لعصرنا الذى نعيش فيه أنه عصر الديمقراطية والاشتراكية . وجوهر الديمقراطية والاشتراكية أن البشر متساوون متكافلون فى حقوق السلطة والمعاش ، لا يستعلى أحدهم على الآخر بحسب أو نسب ، بطبقة أو رتبة . والإسلام الذى قام على صلة العبد المباشرة بربه ، قد أقام المساواة بين الناس ، فهم جميعاً عباد الله ، لا يستعلى عليهم إلا العزيز القهار .

وكيف يضيق الفكر الإسلامى بالديمقراطية أو الاشتراكية ، وهو قد قام على أصول الحرية فى مناهجه الجدلية العقائدية والأصولية الفقهية . ولقد ركزت الأبصار وسلطت الأنوار على آيات القرآن « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ... وعرضت فى هذا الضوء أحاديث الرسول « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، « إنما الطاعة فى المعروف »[1] ،

---

[١] روايات مختلفة للبخارى ومسلم وأبى داود والنسائى وأحمد والحاكم فى المستدرك .

« المسلمون شركاء فى ثلاثة : فى الماء والكلأ والنار »(١)، « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليست له دابة فليتخذ دابة »(٢) ، « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته »(٣) . ومن هنا يقف الإسلام لا يتزلزل أمام صيحات العدالة الاجتماعية والسياسية ... ومن فقهائه من قرر فى وضوح أن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، وأن على المجتمع أن يكفل للفرد حاجته من القوت والملبس والمسكن الذى يقيه من الحر والبرد والمطر وعيون المارة ، وأن صاحب الأرض ينبغى أن يفلحها ويزرعها بجهده المباشر ، أما إن أعطاها لمن يستغلها فهى منحة ولا يجوز الإيجار . . . والذى قرر هذا عاش فى القرن الخامس الهجرى ، وهو الإمام الأندلسى المجتهد الحجة أبو محمد على بن حزم .

ثم إن عصرنا عصر (علم النفس) ـ هذا هو طابعه الثالث ، فقد أرهق الناس صراعهم من أجل القوت واحتشادهم فى المصانع والمجامع واضطرابهم أمام المطامع والمطامح وانفعالهم من أزمات المادة والروح وصداعهم من ضجيج الآلة واحتياجهم إلى تدعيم الأسرة وشغل الفراغ وتندية الروح ... وفى هذا القلق والألم والفزع ظهرت أبحاث النفس تحاول أن تسد الثغرة الروحية فى الحضارة المادية ولكن على أساس تجريبى .

والإسلام حين ربط الناس بالله لم يلههم عن النفس الإنسانية ومشكلاتها ... إنه دعاهم لعبادة الله لتطمئن نفوسهم هم لا ليتمجد الله بالتسبيح والحمد والثناء ، فما أغناه عن طاعة الطائعين « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، والإسلام جعل معرفة النفس من معرفة الرب « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

ولم يحتقر الإسلام دوافع الحياة النفسية ، ولم يعلن معركة بين الإيمان والواقع الحيوى . المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والطعام والشراب مطالب ضرورية ، والسعى فى طلب الرزق جهاد مبرور . ثم إن الحاجة الجنسية فطرة الله الذى خلق للناس من أنفسهم أزواجا ليسكنوا إليها وجعل بينهم مودة ورحمة ، وهى حاجة إنسانية ونعمة إلهية لا ينبغى أن تتعارض مع تسامى الواجبات الدينية « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ،

---

[١] أحمد وأبو داود ـ حسنه السيوطى . [٢] رواه أحمد .
[٣] أحمد والبخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه .

هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، وهل ينسى قراء الفقه الإسلامى ما يرد فيه من أحكام الطهارة التى تتعرض للإمناء والحيض ، وأحكام النكاح إلى غير ذلك من الأحكام ، يشرحها الفقهاء ، لأن المعرفة لا يحجبها الحياء ؟ ؟

وأخيراً فإن لعصرنا طابعا عملياً هو السرعة ... السرعة التى دفعتنا بها الآلة إلى الأمام تطوى لنا الزمن ، فلا نمضى الوقت فى التنقل من مكان إلى مكان ، أو فى صناعة أو عمل ، والآلة بطاقتها الرهيبة الجبارة سرعان ماتفعل هذا وذاك من الأعمال .

والآلة تغلغلت إلى البيت فى مطابخه ومرافقه ، وإلى الشارع والمدرسة ، وإلى الدكان والمصنع ... وأصبحت الحركة الوامضة الخاطفة هى طابع الحضارة الصناعية .

والإسلام الذى يدعو إلى العلم والعمل ، ويمجد الحركة والنشاط ، يبارك هذا الطابع ولا يضجر منه .

والإسلام لا يربك الناس بالطقوس والأوراد التى لاتدع وقتا لشىء ، أو لاتدع حضارتنا السريعة لها وقتا . إن شعائر الإسلام خمس صلوات خفيفة لطيفة ، لا تستغرق دقائق معدودات ، ويغنى فيها الجمع والقصر عند السفر ، ووضوءها نظافة ويغنى عنه التيمم عند وجود العذر . والصيام شهر فى العام ، الإمساك فيه من الشروق للغروب فحسب ، والتعجيل بالفطر وتأخير السحور فيه سنة ، ويعفى منه المسافر والمريض ، والحج رحلة مرة فى العمر . وكل هذه الشعائر طابعها التيسير ورفع الحرج .

إن الإسلام يفسح المجال للمسلم لكى يذكر الله فى أعماله كلها : فى البيت والشارع والمصنع والمنجم ، فى أجواز الفضاء وأغوار الماء ـ ولكنه ذكر يدعو إلى التعبد بالعمل ومراقبة الله فى معاملة الناس ، وابتغاء الآخرة فى طلب الدنيا . فورد المؤمن فى القلب ، وتدينه بتنفيذ هدى دينه فى سائر نشاطه اليومى ، والدنيا كلها معبده ومحرابه .

ديننا إذن فى موقف الدفاع .... وهو يستطيع الثبات فى موقفه ويستطيع أن يكرر معجزاته بأسلوب جديد .

والحضارة المادية الصناعية لم تستطع القضاء على جذور الدين فى أعماق النفس فى أى مكان من أمريكا أو أوربا ، وكل من يزور البلاد الغربية يعرف مكان الدين فى ضمير الفرد مهما انحسر مداه وضحل غوره .

والإسلام - من ناحية الواقع التطبيق - لم يفقد طاقته الانتشارية حتى بعد المحن والخطوب المتلاحقة .

يقول الصحفى الأمريكى جون جنتر Gunther فى كتابه (داخل إفريقيا) بعد أن عرض لبساطة العقيدة الإسلامية « ... هذا واحد من الأسباب التى تعلل : لماذا خط الإسلام مسالكه الكبرى فى قلب إفريقيا المعاصرة . فعدد المسلمين يكاد يتضمن ثلث مجموع سكان القارة اليوم ، وهم يزدادون عددا طوال الوقت .... وليس فى الإسلام تمييز عنصرى ، ومن ثم لا يقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزنوج إلى رحابه ، ولقد انتشر انتشاراً شاملا عميا بين عباد الأوثان والحيوان ، لأن شعائره مبسطة للغاية بقدر مافيه من جاذبية أصيلة راسخة . . . . ونقطة أخرى : إن الإسلام نظام اجتماعى كما هو دين - نظام اجتماعى يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة مع جميع المؤمنين الآخرين . وكثيراً مايوصف الإسلام بأنه الأكثر ديمقراطية بين ديانات العالم » .

ولقد صور الدكتور محمد البهى موقف الإسلام الدفاعى تصوير المؤمن العالم الواثق « .... الإسلام من حيث هو مبادئ لايتوقف اعتباره على مكان معين ولا على جيل من البشر . وكما ذكر (إقبال) الإسلام بما اشتمل عليه من مبدأ (الحركة) يعيش مع الإنسان المتحرك وفى العالم المتغير المتطور فهو لا يؤزم بالصليبية ولا بالماركسية إذ طالما كانت له طبيعة الموجود الخالد ، فلا يضار بالهجوم عليه من هنا أو هناك لأنه عندئذ لا يقبل الفناء . لخلود الإسلام فى رسالته ، ورسالته (التوازن) - التوازن فى قيادة الفرد لنفسه ، والتوازن فى علاقة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض . والتوازن فى علاقة الأفراد جميعاً مابين جار قريب وبعيد وما بين حاكم ومحكومين » .

ولكى تحول هذه الحقيقة الكامنة فى الإسلام إلى دعوة منطلقة متميزة واعية فى واقع المسلمين .... يحتاج - كما أشار الدكتور البهى - إلى جهود على رأسها جهود الأزهر حين يصير بجهود المخلصين « ذا رسالة إيجابية فى تهيئة المجال الحيوى لمصر فى إفريقيا الإسلامية ، وفى مقابلة الاستعمار الغربى ، وفى الإسهام فى حل مشاكل الشعوب الإسلامية : الاجتماعية والاقتصادية » . . . .

حقق الله الآمال ، وأعان على تبعات الحق شيخ الأزهر الجديد .

فتحى عثمان

الفرقان المنزل
وأثره فى الأدب العربى

مما لا مراء فيه أن عوارض الوهن والانحلال تأصلت أسبابها بادئ ذى بدء فى العقائد الدينية فى بلاد العرب زمن الجاهلية يوم كانوا على تخاذل وتناحر وافتراق ، وظهر ذلك بأجلى مظاهره فيما خلفوه من التراث الأدبى فى الشعر والنثر ، إلا فى مكة فقد كانت أبداً أهم المراكز الدينية ، ولم تتأثر قيمة الأماكن المقدسة ولا انطمست فيها المعالم الدينية ، غير أن سكان هذا البلد كان أكبر أمانيهم ما يجنونه من الربح من وراء إقامة الأحفل ، أى أن الناحية الدينية كانت فى تقديرهم فى المرتبة الثانية ، حتى ظهر محمد خاتم الأنبياء ، وجاءهم بوحى من الله فتآخوا بعد التخاذل ، وتآلفوا بعد التفرق ، فبث بينهم تعاليم رشيدة قيمة ألفت بين أغراضهم التى شبوا عليها وبين مرامى الحياة العليا الفاضلة ، فعرفوا لحياة الإنسان قيمتها على الوجه الأكمل ، الذى يعين على أن يجمع العربى المسلم بين حياتين : حياة الزاد وحياة المعاد ، بل بين حياتين : حياة عاجلة فاضلة وحياة آجلة مثالية كاملة .

لقد حث الفرقان المنزل بآياته المحكمات على القراءة والتعلم ، فقل شبح الأمية رويداً رويداً ، ومن هـــذه الناحية قصر مسافة الخلف بين العرب ومنحهم المزيد من تفاهمهم ، فانمحت آثار الجاهلية الخشناء ، وظهر أثر ذلك جلياً فى الأدب العربى فى ذلك العصر وما تلاه من عصور متعاقبة ، وظهر لهم على أثر ذلك أبحاث ممتعة وأفكار خالدة استضاء بنورها العالم طويلا ، ولا زالت حتى الآن ذخراً هاماً يرجع إليه فى كثير من العلوم والمعارف .

وقد عنى أبلغ العناية رهط كبير من جلة الصحابة باستظهار القرآن الكريم ، كما عمل خلفاء الرسول الأعظم على جمعه وترتيبه جمعاً كان له أبلغ الأثر فى الاحتفاظ بهذا التراث العظيم الذى بقى للمسلمين سراجاً وهاجاً ومصباحا مبينا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

يتبين مما تقدم أثر الفرقان فى الأدب العربى من ناحية روعته واتساقه وقوة بيانه وبلوغه أوج الكمال ، وأظهر ما ظهر فى ألفاظهم وتراكيبهم شعرهم الرصين وأدبهم القديم ، حسب القارئ أن يعلم مما عثرنا عليه فى آراء الفلاسفة من الإنكليز والألمان والفرنسيين مترجماً إلى اللغة العربية أن الأدب العربى لا يدانيه أدب فى أية لغة من لغات سكان هذه الرقعة السوداء .

كان صلى الله عليه وسلم ليست له نزعة إلى الشعر ، وكان لا يميل إلى الشعراء فى بادىء الأمر ، فلما استقر لرسول الله الأمر فى المدينة اتخذ له من الشعراء أعوانا للرد على شعراء وفود قبائل العرب الذين كانوا يفدون إليه مذعنين لحكمه الذى علا سلطانه فوق كل سلطان ، وأول من اتخذه رسول الله من الشعراء حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج ، وكان قد بدأ حياته بصناعة الشعر واتخذها مورداً لرزقه فى بلاط أمراء الحيرة (١) ودمشق ، فلما بلغه تألق نجم النبى فى يثرب ذهب اليه طيعا ونصب نفسه وموهبته الشعرية للدفاع عنه ، فأجزل له رسول الله الأعطيات ، وقد عمر طويلا بعد النبى وتوفى سنة ٥٤ هـ وقد بلغت أشعاره درجة عظيمة من السمو المعنوى وجزالة التراكيب ، وكانت عبارته اللغوية سهلة فى غير كلفة كما كانت سهلة الأداء على الأجيال المتأخرة ، وذلك ماحفزهم على الإشادة بفضله والتغنى بجليل آثاره .

واشتهر من الشعراء بعد حسان بن ثابت فى هذا العهد اثنان من فطاحل شعراء العرب ، هما الأعشى وكعب بن زهير ، ولكل منهما شعر بديع فى مدح النبى ، ولو أن أولهما مات ولم يدخل فى الإسلام .

ولكنه لم يعتنق المسيحية ، فلما بلغته دعوة النبى صلى الله عليه وسلم نظم قصيدة فى مدحه جمعت محاسن فنون اللغة وحازت إعجاب العلماء لعدة قرون ، ولو أنها لم تبلغ من الشهرة والذيوع مابلغته قصائد حسان بن ثابت .

وأما كعب بن زهير فهو سليل أسرة عرفت بالشعر منذ القدم من قبيلة مزينة ، وتجلت فيه الروح الشعرية القديمة بأجلى مظاهرها ، ففاق سابقيه فى الشعر من حيث الطلاوة والرونق ، وكان فى أول أمره لا يميل إلى الإسلام لتقييده حريات الجاهلية الجارفة ، فلما رأى أخاه بجيراً قد دخل فى الإسلام نظم فيه قصيدة ملؤها السخرية والتهكم الجارح ، فأغضب ذلك رسول الله فأهدر دمه ، فاضطهده المؤمنون فى كل ناحية إلا أنه تمكن أخيراً من الوصول إلى رسول الله وألقى بين يديه قصيدة عصماء مطلعها (بانت سعاد) جمع فيها أحسن أساليب الشعر معنى وأجزلها لفظا ، فرضى عنه الرسول وصفح عن زلته ، ودخل فى دين الله .

وأشهر شعراء العرب فى عهد النبى الأعظم هو بلا شك لبيد بن ربيعة فقد تمثلت فيه الروح العربية القديمة بشكلها النبيل ، فبرز بين شعراء عصره وامتاز عليهم جميعاً .

ولما استقر الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة وبلغته رسالته جاء على رأس

[١] المجلة : امتدح حسان آل جفنة ملوك غسان فى الشام .

وفد من قبيلته لإظهار خضوعهم ودخولهم فى الإسلام ، ثم مات أخوه بصاعقة ، فنظم فيه مرثيات هى آية الآيات فى الروعة والجمال ، وأقام أخيراً بالمدينة فلم يبرحها إلى الكوفة إلا فى عهد خلافة عمر ، وعاش طويلا ، قيل إنه مات فى أول خلافة معاوية بن أبى سفيان حوالى سنة ٤٠ هـ .

وكانت توضع منظوماته فى المكان الأول بين شعراء العرب وليس أدل على ذلك من أن إحدى قصائده وضعت ضمن المعلقات السبع .

وقد اشتهرت المراثى بين منظومات العرب منذ القدم شهرة عظيمة فوضع فيها أكثر شعراء العرب آيات خالدة غاية فى الجمال والروعة وامتاز عهد النبى فى هذا الضرب من الشعر بظهور اثنين من فطاحل الشعراء ولكل منهما مرثيات من أبدع ما نظمه العرب وهما متمم ابن نويرة والخنساء .

وظهر كذلك من الشعراء عدد غير قليل أثناء الغزوات والفتوحات الإسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، على أن هذا العصر كغيره من عصور الحروب على العموم لم يكن فى صالح الشعر والأدب العربى ، وأن أثره فى تاريخ العرب السياسى كبير إلى أبعد حد ، إذ تمكن العرب بدافع تحمسهم لدين الله فى وقت قصير من زلزلة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، وإخراجها من الشام ومن ممتلكاتها الإفريقية ، وتقويض المملكة الفارسية .

ومن شعراء عصر الغزوات الممتازين أبو محجن من قبيلة ثقيف ، وكان قد اشترك فى الدفاع عن مدينة الطائف ضد المسلمين الفاتحين ، ودخل هو وعشيرته بعد ذلك بزمن قصير فى الدين الإسلامى ، ولكنه بقى على كثير من عاداته القديمة فاستخدم موهبته الشعرية فى مدح الخمر التى حرمها الإسلام ، واشترك فى حروب الفتوحات الإسلامية فى الشمال ، وامتاز ببلائه فى موقعة القادسية ضد الفرس ، فغفرت له شجاعته وتوبته ما تقدم من ذنبه وتوفى سنة ١٦ للهجرة .

واشتهر بعده أبو ذؤيب ، وامتاز عنه بشخصيته البارزة ، وموهبته الشعرية القوية ، ويعد أشعر الشعراء الهذليين ، واشترك فى غزوات الفتوحات الإسلامية وجاء إلى إفريقية عام ٢٣ هـ فمات أولاده الخمسة فى مصر بمرض الطاعون ، فرثاهم بمرثية رائعة وتوفى وهو فى طريقه إلى المدينة بصحبة عبد الله بن الزبير وكانا يقصدان الخليفة ليخبراه بنبأ غزوة قرطاجنة .

وأما الشعر الهجائى فكان ذائعا فى العصور القديمة ، وكثيراً ما استخدم فى الجاهلية فى نزعات القبائل المختلفة إلى أن انحط وانقرض بعد ذلك تدريجيا ـ ولعل أشهر من عرف من

شعراء الهجاء فى هذا العهد الحطيئة ، وكان يجوب بلاد العرب متذعا الناس لإرهابهم والنيل منهم ، ولولا الحزازات بين قبائل العرب وتحامل بعضهم على بعض لما حفظ شىء من هذا الشعر .

هذه خلاصة مفيدة عن الشعراء الذين تأثروا بآداب القرآن الكريم ، ونسجوا على نهج رفيع من الأساليب العربية فى الشعر والنثر ، بعد أن خلع عليهم كتاب الله وفرقانه المنزل أبدع ماعرفت اللغات من أنواع الأساليب والمبتكرات ، وقد ظل القرآن الكريم تراثا للمسلمين يرثه الخلف عن السلف حتى يأتى أمر الله ويتحقق موعوده يوم الساعة : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ؟

عباس طه

المحامى

عجــلة الزمن

لعبد الفتاح أبو مدين

ضمن ما نشر فى هذا الباب نشرت مجلة الأضواء بجدة الكلمة الآتية :

الشيـخ شلتوت

ولى الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت مشيخة الجامع الأزهر . والشيخ شلتوت قمين بهذا المنصب الكبير وجدير بأن يتولى أمور هذه الجامعة الكبرى التى تؤدى رسالة العلم منذ قرون طويلة ، وقد خرجت كبار العلماء من بين أروقتها ، وهم الذين يؤدون رسالة العلم فى فسحات الأزهر ، وفضيلة الشيخ الجديد عالم ومن كبار العلماء المشرعين ، ومن الذين لا يتزمتون ، فهو عالم عصرى ، ومشرع كبير ، تلمس هذا فى أحاديثه التى يذيعها كل جمعة من إذاعة مصر : وفيما يكتبه فى الصحف ، وفى الفتوى التى يصدرها عن سؤال يوجه اليه فى شئون الدين ، وهو على تقدمه فى السن نشط يفيض حيوية وقوة ، ويرجع هذا على ما أعتقد إلى قوة إيمانه العميق ، وإخلاصه فى أداء رسالته ، وخدمته لدينه وللشعوب الإسلاميه بتشريعاته .

فتحية للرجل العالم الجليل وتهنئة بهذا المنصب السامق الذى يدين له الإسلام بفضل التشريع والهدى . تحية للأمجاد العاملين ؟

رسالة الأزهر

— ٥ —

(رسالة الأدب)

أقرر اليوم أمرين لا غنى لى عن ذكرهما فى هذا الحديث الذى أختتم به رسالة الأزهر الأدبية .

أولهما : أننى لم أعرض فى كلماتى السابقة لأديب من غير أدباء الأزهر . ورضيت أن أسير فى هذه السبيل الضيقة ـ سبيل قصر الحديث على أدباء الأزهر ـ ذلك لأن المعروف عند غير الباحثين أن الأزهر بطبيعة ما يدرس فيه من العلوم ـ بعيد عن أدب الدرس ، لأن الأدب ترف نفسى يعطل رسالة الأزهر الدينية وما تستلزمه من دراسة قواعد اللغة العربية بأنواعها ، والرسالة الدينية هى أساس الأزهر .

فأردت أن أنفى عن الأزهر فى تاريخه الطويل هذه المقالة بما أسلفت من كلمات . وما ذكرت فيها من أسماء أعلام فى الأدب إلى جانب أنهم أكبر من أعلام فى العلوم الدينية وما يدور حولها من علوم ، وبذلك يكونون قد جمعوا بين الحسنيين : العلم والأدب . وهم وإن كانوا قلة فى تاريخ الأزهر إلا أنهم قد حققوا له رسالة أدبية شاركوا فيها أدباء عصورهم منذ كان الأزهر أزهراً .

أما الأمر الثانى : فهو أن دراسة كتب الأدب إما أن تخرج كاتباً أو شاعراً مثلما رأى ابن خلدون من أن المقصود من درس الأدب هو ثمرته . وهى الإجادة فى فنى المنثور والمنظوم . وإما ألا تخرج واحداً منهما . وهذا التخريج عندى يرجع إلى التوفر على الملكة الأدبية أكثر مما يرجع إلى الإكثار من الاطلاع والدرس ، فصاحب الملكة الأدبية تواتيه ملكته بالشعر أو النثر بأيسر اطلاع وأقل دراسة ، وهذا النوع أسميه الأدباء الفعليين أما النوع الثانى : الذى قد يقضى أكثر حياته فى الدرس والقراءة بل والتأليف أيضا ـ ثم هو خلو من الملكة الأدبية . فهو غير ميسر لأيهما ـ فذلك هو العالم باللغة وفروعها ،

وإذا كان من النوع الأول أعلام فى التبيين والبيان . فإن من النوع الثانى أعـــلاماً فى العلم والعرفان .

* * *

ذكر لنا الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق فى محاضراته عن حياة الإمام محمد عبده نقلا عن أحد المستشرقين قوله - « وقد ذكر الطنطاوى الذى كان مدرساً بالأزهر حوالى سنة ١٨٢٧ م - قبل ذهابه إلى بطرس بورج - أنه كان يدرس مقامات الحريرى والمعلقات بشرح الزوزنى . وقال (الطنطاوى) إنه لا يعلم أن أحداً قبله درس هذه الفنون فى الأزهر » . وفحوى هذا القول أن الأزهر إلى سنة ١٨٢٧ م لم تكن قد دخلت فى مناهجه دراسة الأدب ، وأن هذا الشيخ الطنطاوى هو البادئ بالدراسة الأدبية فيه . ويؤيد هذه الرواية أن الأديب الشاعر صديق الأستاذ ابرهيم الدباغ أخبرنى بأنه حوالى سنة ١٨٩٠ م كان يذهب إلى رواق الحنفية بالأزهر مع أحد أصدقائه السوريين ليلتى صديقه هذا درساً فى الأدب على من يشاء من طلابه ، وكان هذا الدرس فى يومين فى الأسبوع ، فكان الطلبة يعدون ذلك « الأدب » غريباً عليهم كل الغرابة ، وكان كثير منهم - على قلتهم العددية - يحضر بعض دقائق ثم ينصرف . ثم إن للمرحوم على مبارك « باشا » المتوفى سنة ١٨٩٣ م رواية فى خططه التوفيقية هى فى دلالتها تؤيد هاتين الروايتين . فقد جاء فى الجزء الرابع من خططه عن مناهج الأزهر الدراسية قوله - « وليس لهم التفات نحو التاريخ والجغرافيا والفلسفة بل يرون ذلك بطالة وتضييعاً للوقت . . . . » .

إذن لى أن أقول بعد ذلك : إن الأدب لم يكن فى المناهج الأزهرية الدراسية ، وإنما الذى يميل إليه هو الذى يطلبه من كتبه ويديم فيها الاطلاع ، ولا يطلبه من درس منتظم فى الأزهر ، وبهذه الوسيلة الفردية أخرج لنا الأزهر أدباء كان منهم من حمل لواء العلم والعرفان فى علوم اللغة العربية جميعا .

* * *

يمكن فى هذه الكلمة الختامية فى رسالة الأدب أن أجمل تقسيم هذه الرسالة إلى أطوار عدة : بعضها مر الحديث عنه ، وبعضها الحديث عنه جديد .

الطور الأول : طور ابن دقيق العيد ، والجلال السيوطى ، وأبى العباس القلقشندى ، وشمس الدين النواجى ، وأمثالهم وقد مر التحدث عن هذا الطور .

الطور الثانى : طور الشبراوى واسماعيل الخشاب ، وحسن العطار ، والجبرتى ، ورفاعة الطهطاوى ، ومحمد شهاب ، ومحمود العالم وأمثالهم وقد مر الحديث عنه أيضاً .

الطور الثالث : هو الطور الأول لمحمد عبده قبيل الثورة العرابية . ويحدثنا هذا الشيخ العظيم عن رأيه فى الكتابة العربية فى هذا الحين . وكيف أصلح ما اعوج منها قال : « وكانت أساليب الكتابة فى مصر تنحصر فى نوعين ، كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب . الأول ما كان مستعملا فى مصالح الحكومة وما يشبهها . وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم : لا فى صورته ولا فى مادته والنوع الثانى ما كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر . وهو ما كان يراعى فيه السجع وإن كان بارداً . وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وإن كان رديئاً فى الذوق غير مؤد للمعنى المقصود ، ولا ينطبق على أدب اللغة العربية . . ولا يزال هذا النوع موجوداً فى أساليب المشايخ خاصة . ثم ورد علينا فى أخريات الأيام ضرب آخر من التعبير كان غريباً فى بابه وهو ما جاءنا من الأقطار السورية فى جريدتى الجنة والجنات بقلم المعلم بطرس البستانى الخ . . . » .

هذه الرداءة الشاملة فى أساليب الكتابة العربية هى التى شمر لها الشيخ عن ساعد جده ونشاطه فعالجها قدر المستطاع لما أن ولى تحرير جريدة الوقائع المصرية ، ورئاسة إدارة المطبوعات التى هيمن بها على لغة الصحف وعلى لغة الدواوين فى عهد الوزير الكبير رياض باشا ، فقد كان يأمر وينهى ويعاقب ويحاسب ويحذر وينذر ، ويشتد ويحتد وما زال كذلك إلى أن استطاع أن يحرر إلى حد ما أساليب الكتابة العربية فى مختلف ميادينها : من الدواوين إلى الصحافة إلى الأزهر ، وكان يعاونه فى عمله الكتابى أدباء وقتهم ، مثل سعد زغلول ، وإبراهيم الهلباوى ، وإبراهيم اللقانى ، وأبى الوفا القونى ، وعبد الكريم سلمان . وهذه أول حسنة من حسنات الأديب الكاتب الأزهرى الشيخ محمد عبده على أساليب الكتابة العربية .

الطور الرابع : هو طور هذا الشيخ الجليل أيضا بعد أن رجع من منفاه بعد الثورة العرابية وبعد أن عقد له فى وطنه لواء الإمامة بأوسع معانيها . وبعد تقلد منصب الإفتاء ، فقد أخذ فى هذا الدور يملأ وقته بالتدريس فى الرواق العباسى بالأزهر ، فطوراً يفسر كتاب الله ، وطوراً يقرأ الكتب العالية فى المنطق والفلسفة ، وثالثاً يقرأ أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ، وقد تخرج عليه فى هذه الحقبة أدباء وقتهم وأيامهم ، وبحسبى أن يكون من بينهم مثل الأديب الشيخ محمد المهدى زيكو الذى قال بعد حضوره أول درس للإمام فى أسرار البلاغة : إننا قد اكتشفنا فى هذه الليلة معنى علم البيان : مع أن الشيخ محمد المهدى هذا كان يدرس أيامئذ علم البيان فى المدرسة الخديوية الثانوية ، والكاتب الشاعر البارع السيد مصطفى لطفى المنفلوطى . والشيخ عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ على عبد الرازق ، والشيخ طه البشرى ، والشيخ عبد العزيز البشرى ، وأحمد تيمور باشا ، والشاعر الكاتب حفنى ناصف .

يتبع هذا الطور اتجاه هذا الإمام الأديب إلى إحياء الآداب العربية . فقد أسس فى سنة ١٣١٨ هـ جمعية برياسته سميت (جمعية إحياء العلوم العربية) . وقد افتتحت عهدها بطبع كتاب جليل الشأن هو (المخصص) لابن سيدة . وقد تولى الإمام تصحيحه بنفسه بمشاركة فقيه اللغة العربية الشيخ محمد محمود الشنقيطى . ثم طبعت الجمعية غير هذا الكتاب .

هذه الأطوار للإمام كانت نواه الأدب وإصلاح أساليب لغة العرب ، لا فى الأزهر وحده ، ولكنها شع نورها منه فأضاء كل ظلام خيم على لغة القرآن ، ولغة عدنان ، إلى أن كان عهد الشيخ سيد المرصفى مدرس الآداب بالأزهر الذى اتصل عهده عن قرب بعهد الإمام ، والشيخ سيد هذا هو شارح ديوان الحماسة لأبى تمام ، والكامل لأبى العباس المبرد ، وأشهد أن هذا العالم الأديب فى طليعة من رفعوا منار الآداب ، وخدموا أجل خدمة لغة العرب .

ولن تزال آثاره الأدبية من أقوى مراجع الأدب العربى ؟

حسن الشيخة

المحرر الأدبى بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين

تعليقات

كتاب مذبذبون

نقرأ لبعض الكتاب فنفهم مرة أنهم يخلصون للأمة ، ويغارون على الآداب ، وينادون بالكرامة ، فنفرح بهم ، ونود أن يكثر بيننا عددهم .

ونقرأ لهم مرة ثانية فنراهم يخادعون ويبثون في الناس الفجور وينادون جهارا بالإباحية .

نقرأ هذا وذاك فنقف من كتابنا هولاء مواقف الدهشة ، ونحارفيهم : أيسخرون من أنفسهم فيترددون بين الجد والهزل ، والكرامة والخساسة ؟ أم يسخرون من الجمهور القارئ فيكتبون له - يوما - ما يرضيه ، ويكتبون ثانيا ما يسوءه ، ويؤذيه ويخزيه ؟ .

كتبنا مرة أخيرة عن تبذل المرأة وتعرضها لمجامع الرجال فى لبسة الشوال فعلق أحد الكتاب المعروفين على ما كتبنا مؤيدا لنا ، واستهجن لبسة الشوال فى لهجة كريمة .

ثم رأينا ذلك الكاتب نفسه يطلع علينا بدعوة إلى التدين واحترام العقيدة ويضرب الأمثال بأمم أفادها التدين ، وأمم أخرى خسرت معنويتها بتسامحها فى دينها ، وكان فى حديثه ذاك يستثنى من الأديان الخرافة ، ولا يحبذ الأخذ بالخرافات على أنها دين .

ثم رأينا الكاتب يتلفت من حديثه هذا إلى دعوة المرأة الجميلة أن تلبس الشوال وغيره، وأن تبرز مفاتن جسمها فى كل ناد ، وواد .

وهنا موقف الحيرة والدهشة من أمثال هذا الكاتب ينكر الشيء ويستحسنه ، ويرى الإعراض عن الخرافات ثم ينادى المرأة أن تتبجح بالعرى والفتنة ، ونحن نحرم ما يحرم الله استنادا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وهما مصدرا تشريع لمن كان مؤمنا . فإلى أى مصدر يستند كتابنا فى إباحتهم للمرأة أن تفعل ما تفعل ؟ هذا تشريع الشيطان وهم جنوده ، فاللهم احفظ عبادك من ضلال المضللين ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر



تفسير الطبرى

الجزء الرابع – ٦٣٨ ص – دار المعارف بمصر

ظهر هذا الجزء ، وفيه تفسير سورة الأنفال من الآية ٤٨ إلى الآية ٧٥ وهى آخر السورة . يتلو ذلك تفسير سورة التوبة من أولها إلى الآية ١٢٩ « فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » وهى آخر السورة كذلك وستكون بداية الجزء الخامس عشر من سورة يونس .

وفى هذا الجزء الرابع عشر من الآثار ١٣٣٤ (من رقم ١٦١٨٣ إلى رقم ١٧٥١٧) . وفيه من الفهارس : فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير . ثم فهرس اللغة مرتباً على أصل الاشتقاق وعلى آخر الأصل باباً وأوله فصلا كاللسان والقاموس وأمثالها . ثم فهرس أعلام المترجمين فى التعليق ، يلى ذلك فهرس المصطلحات ، ثم فهرس مباحث العربية والنحو وغيرهما . وبعده فهرس التفسير .

وقد سبق لنا التنويه بالمجهود العظيم الذى يبذله الأستاذ محمود شاكر فى تحقيق متن التفسير والتعليق عليه بما يستغنى القارىء عن مراجعة غيره ، ومن ذلك تخريج الأحاديث والآثار . مضافا إلى ذلك جودة الطبع ، والإشارة فى جوانب الصفحات إلى أرقام الصفحات فى طبعة بولاق القديمة ليستفيد من ذلك من يحدون الإحالة على تلك الطبعة فى الكتب التى ألفت بعدها .

الظاهرة القرآنية

ألفه بالفرنسية مالك بن نبى (ترجمة عبد الصبور شاهين) – ٣٠٣ ص – مكتبة دار العروبة

مؤلف هذا الكتاب بالفرنسية من أفاضل إخواننا مفكرى الجزائر رد الله غربتها ، ومترجمه من شباب مصر الجامعيين الأوفياء الإسلام وهو الآن معيد بكلية دار العلوم . وقد كتب مقدمته الأستاذ السيد محمود محمد شاكر ، وهى من أبرع ما كتبه حتى الآن .

وعلى غلاف الكتاب تعريف بروح الظاهرة قيل فيه : « فى ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته ، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم فى تطورها . والدين على هذا يبدو كأنه مطبوع فى النظام الكونى ، قانوناً خاصاً بالفكر الذى يطوف

فى مدارات مختلفة ـ من الإسلام الموحد ، إلى أحط الوثنيات البدائية ـ حول مركز واحد يخطف سناه الأبصار ، وهو حافل بالأسرار ... إلى الأبد » .

والكتاب يستعرض أولا الظاهرة الدينية فى البشر من وجهة نظر المذهب المادى ومن وجهة نظر المذهب الغيبي ، ثم يتكلم على النبوة وخصائصها ، ثم عن أصول الإسلام ، والحياة المحمدية وكيفية الوحى ، ومقام الذات المحمدية فى ظاهرة الوحى ، ثم عن الرسالة ، فالخصائص الظاهرية للوحى والصورة الأدبية للقرآن ، وختمه بدراسة للمجاز القرآنى .

ويقول الأستاذ محمود شاكر فى تقديم الكتاب : ليس عدلا أن أقدم كتاباً هو يقدم نفسه إلى قارئه ، وإنه لعسير أن أقدم كتاباً هو نهج مستقل ، أحسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل ، وهو منهج متكامل يفسره تطبيق أصوله ... وكان طريقه إلى المذهب الصحيح هو ما ضمنه كتابه من بعض دلائل إعجاز القرآن ، وأنه كتاب منزل ، أنزله الذى يعلم الخبء فى السماوات والأرض ، وأن مبلغه إلى الناس رسول صادق قد بلغ عن ربه ما أمره بتبليغه ، وأن بين هذا الرسول الصادق وبين الكلام الذى بلغه حجازاً فاصلا ، وهذا الحجاز الفاصل بين القرآن وبين مبلغه حقيقة ظاهرة لا يخطئها من درس سيرة رسول الله فاحصاً متأملا ، ثم درس كتاب الله بعقل يقظ غير غافل .

ويقول الأستاذ محمود شاكر : إن اللغة التى نزل بها القرآن معجزاً ، قادرة ـ بطبيعتها هى ـ أن تحتمل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين : كلام هو الغاية فى البيان فيما تطيقه القوى ، وكلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كل الوجوه . وأن العرب الذين بعث إليهم النبى صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن قادرون على إدراك هذا الحجاز الفاصل بين الكلامين : وهذا إدراك دال على أنهم قد أوتوا من لطف تذوق البيان ، ومن العلم بأسراره ووجوهه ، قدرا وافراً يصح معه أن يتحداهم بهذا القرآن ، وأن يطالبهم بالشهادة عند سماعه أن تاليه عليهم نبى من الله مرسل . وأن البيان كان فى أنفسهم أجل من أن يخونوا الأمانة فيه أو يجوروا عن الانصاف فى الحكم عليه .

وهذه الصفات تفضى بنا إلى التماس ما ينبغى أن تكون عليه صفة كلامهم ـ إن كان بقى من كلامهم شىء ـ فالنظر المجرد أيضا يوجب أن يكون ما بقى من كلامهم شاهدا على بلوغ لغتهم غاية من التمام والكمال والاستواء حتى لا تعجزها الإبانة عن شىء مما يعتلج فى صدر كل مبين منهم . وأن تجتمع فيه ضروب مختلفة من البيان لا يجزئ أو تكون دالة على سعة لغتهم وتمامها ، بل على سماحتها أيضا ، حتى تلين لكل بيان تطيقه ألسنة البشر على اختلاف ألسنتهم .

إن مرجليوث يوم بث الأكذوبة الكبرى بأن الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا منحول لأصحابه وليس بأصيل ، أراد أن يتنعم الجاهلين بزوال الكلام الأصيل الشاهد على إعجاز القرآن عند مقارنة البيان الإلهي بالبيان العربي .

« وهذا المكر الخفي الذي مكره مرجليوث وشيعته وكهنته ، والذي ارتكبوا له من السفسطة والغش والكذب ما ارتكبوا - كما شهد بذلك رجل من جنسه هو آربري - كان يطوى تحت أدلته ومناهجه وحججه إدراكا لمنزلة الشعر الجاهلي في شأن إعجاز القرآن ، لا إدراكا صحيحاً مستبينا ، بل إدراكا خفيا مبهما ، تخالطه ضغينة مستكنة للعرب وللإسلام » .

إن خصائص البيان في القرآن فوق خصائص بيان البشر على اختلاف ألسنتهم ، وإن مخرج هذا غير مخرج هذا ، وإن الشعر الجاهلي إنما هو مادة الدراسة الأولى ، لأن القرآن نزل بلسان العرب ، والذين نزل عليهم ثم تحداهم وأعجزهم هم أصحاب هذا الشعر والمفتونون به وببيانه . وإنهم بتركهم معارضة القرآن بشعرهم وكلامهم ، قد أقروا إقراراً لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم . وإن شعرهم وكلامهم يحمل هو نفسه في نفسه أدلة صحته وثبوته ، بما فيه من قدرة خارقة على البيان ، فهو علم فريد منصوب لا في أدب العربية وحدها ، بل في آداب الأمم قبل الإسلام وبعد الإسلام . وهذا الانفراد المطلق ولا سيما انفراده بخصائصه عن كل شعر بعده من شعر العرب أنفسهم ، هو وحده دليل على صحته وثبوته . وإذا درسناه من هذه الناحية فمن الممكن القريب يومئذ أن نلتمس في القرآن الذي أعجزهم بيانه ، خصائص هذا البيان المفارق لبيان البشر .

القصص الحق لسيد الخلق

للأستاذ الشيخ محمد خليل الخطيب النبدى - ١٤٠ ص - مطبعة الشعراوى بطنطا

لما كان مؤلف هذا الكتاب قائماً بتأليف كتابه « الخطب النبوية » وجمع مواده من كتب الحديث والتاريخ والأدب ، كان يجد في تلك المظان والمراجع القصص التي قصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء الماضين ، والملوك المتقدمين ، والأولياء والصالحين والأشرار الطالحين ، وفي هذه القصص عبرة للمؤمنين وهدى وموعظة للمتقين ، فعنى فضيلته بجمعها وشرح تراكيبها في استنباط الحكم والأحكام منها مع عزوها إلى المصادر التي جمعها منها ومن هذه القصص قصة الثلاثة الذين سد عليهم الغار ، والتائب قاتل المائة ، وقصة الملك والساحر والغلام ، وقصة جريج الراهب ، وقصص الخضر ، وقصة آمر أولاده بحرقه بعد

موته ، وقصة أبي زرع وأم زرع ، وقصة إبراهيم وهاجر وسارة وإسماعيل ، وقصة العابد الذى أحبط عمله بكلمة، إلى أمثال ذلك مما بلغ خمسين قصة نبوية ، وقد جعلها المؤلف سلسلة أولى . ومع أن الأقدمين لم يتركوا باباً من أبواب السنة فى أى معنى من المعانى إلا طرقوه ، وأفردوه بالتأليف فأكبر ظننا أن هذا الكتاب هو الأول فى بابه ، فنرجو الله أن ينفع به .

ابن المعتز

وتراثه فى الأدب والنقد والبيان

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى – ٧٢٠ ص – دار العهد الجديد للطباعة

يقول المؤلف فى خاتمة هذا الكتاب إنه اشتمل على أربعة كتب من مؤلفاته : أولها الطبعة الأولى من كتاب « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان » ، وثانيها كتاب « التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى » (ص ٤١٦ – ٤٥٦) ، وثالثها نص كتاب « البديع لابن المعتز » وشروح المؤلف عليه » (ص ٥٩٦ – ٧١٤) ، ورابعها « رسائل ابن المعتز فى الأدب والنقد والأخلاق » (ص ٤٦٥ – ٥٠٠) ، هــذا كله إلى جانب ما اشتمل عليه الكتاب من شعر لابن المعتز وتحليل لجوانب شخصيته وأدبه وشعره وتراثه الفكرى والنقدى ، ومن ذلك قصيدته فى تاريخ الخليفة المعتضد وأرجوزته فى ذم الصبوح (١٣٥ – ٤٥٦) .

ويمتاز هذا الكتاب بالإحاطة والشمول لكل ما يتعلق بهذا الشاعر العباسى (٢٤٧-٢٩٦) ووصف العصر الذى عاش فيه ، والظروف التى أحاطت به ، وتوجيه الأضواء إلى المناسبات التى نظم فيها أهم تراثه الأدبى من منظوم ومنثور ، مع عزو كل شيء إلى مصادره ، فكان حظ ابن المعتز من هــذه الدراسة والإحاطة فوق حظوظ سائر الشعراء الذين يلهج الأدباء والمثقفون ببدائع تراثهم وروائع آثارهم فى حياتهم وأحكام الناقدين عليهم فى شتى العصور ، ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه المجموعة أنفس مؤلفات الأستاذ الخفاجى الكثيرة .

البيتوشى

للشيخ محمد الخال قاضى السليمانية — ٣٠٠ ص — مطبعة المعارف ببغداد

لما كان كاتب هــذه السطور عاكفاً قبل سبع سنوات على دراسة عصر داود باشا (١١٨٨ — ١٢٤٣) وأسلافه الأقربين من ولاة بغداد ، لتحقيق مختصر (مطالع السعود)

لعثمان بن سند البصري ، كان اسم البيتوشي يتردد فى أحداث تلك الحقبة ، ولاسيما فى استنجاده بالأمير سليمان بن شاوى الحميرى لنصرة أهل البصرة عند استيلاء متوحشة الأعجام عليها ، وكنت أتمنى يومئذ لو أظفر بمرجع أتعرف منه إلى أدب هذا الأديب الكبير والشاعر البليغ الذى يعد حلقة من السلسلة الذهبية فى أعلام الأكراد الذين كان لهم نصيب طيب فى حمل أعباء الإسلام فى جهاده وعلومه وآدابه ومفاخره ، وعلى رأس هذه السلسلة اسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين وذويه ، وفى أواسطها أضراب الحافظ العراقى ، حتى تبلغ إلى البيتوشي وتنتهى بأحمد تيمور باشا ومحمد كرد على وأمثال هؤلاء الأعلام . لذلك كان سرورى عظيما عند ما اطلعت على كتاب فضيلة قاضى السليمانية فى شمال العراق عن حياة الشيخ عبد الله ابن محمد البيتوشي وبيئته الأولى ، وعن علمه وثقافته وتحليل أدبه ، واستقصاء مؤلفاته وآثاره ، فكان إحياء لهذا العبقرى الكادح الصابر المنقطع للأدب ، والعلم فى القرن الثانى عشر الهجرى .

إن حياة البيتوشي مثال للحياة الطيبة فى الجامعة الإسلامية ، وكيف أن الإسلام قد جمع قلوب أهله على محبة العربية والعرب ، كما فتح قلوب العرب لمحبة إخوانهم فى الإسلام جميعاً ، ولعل ذلك مما حمل رجلا عظيما آخر من عظماء الكرد وهو الحافظ العراقى على تأليف رسالته الشهيرة فى فضل العرب وأكمل تبييضها فى المدينة المنورة فى رجب سنة ٧٩١ هـ . ومن هذه المحبة المتبادلة قيام يوسف ضياء الدين باشا الخالدى (١٢٥٥ - ١٣٢٤ هـ) من أعلام أعيان العرب فى بيت المقدس على تعلم اللغة الكردية بكتابه (الهدية الحميدية فى اللغة الكردية) وفيه زيادة على نحوها وقواعدها معجم وجيز لألفاظها مترجمة بالعربية ، وهو مطبوع فى القسطنطينية قبل ٦٨ سنة فى ٣٢٠ صفحة كبيرة . وقد اقتدى فى عمله هذا بأبى حيان الأندلسى (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) الذى كان أول واضع لنحو اللغة التركية بكتابه (الإدراك للسان الأتراك) المطبوع بالقسطنطينية أيضاً . إن هذا وأمثاله من شواهد الروابط العلمية بين المسلمين على اختلاف أصولهم وأجناسهم ، وكان الاستعمار حريصاً فى عشرات السنين الماضية على توهين هذه الأواصر . ولعل اليقظة الأخيرة لدسائس الاستعمار ترد على المسلمين سنة سلفهم فى توثيق الروابط الإسلامية كما كان يعمل لها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى والحافظ العراقى والشيخ عبد الله البيتوشي وأحمد تيمور باشا وأضرابهم من علماء المسلمين ، رحمهم الله وأعلى مقامهم فى دار الخلود .

سلسلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المكتب الفنى للنشر ، وقد اطلعنا منها على ثلاث حلقات :

الأولى (الوحدة الإسلامية) للأستاذ محمد أبو زهرة ، ويقول المؤلف : إن الوحدة التى نبتغيها لا تمس سلطان ذى سلطان يقوم بالحق والعدل فى المسلمين . ولا شكل الحكم فى الأقاليم الإسلامية ، فلكل إقليم أسلوب حكمه مادام يؤدى إلى إقامة الحق والعدل فيه ، ويحقق المبادئ الإسلامية السامية . وإنما معنى الوحدة الإسلامية أن نعتبر أنفسنا مرتبطين بروابط وثيقة تمتد جذورها فى أعماق أنفسنا ، فالإسلام دين الوحدة الجامعة الشاملة ، كما هو دين التوحيد الخالص.

وعنوان الحلقة الثانية (الديمقراطية الإسلامية) وهى بقلم الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . وهو يقول : إن التراث الإسلامى فى شأن الحكم حلقة أصيلة فى صميم سلسلة التطور التى مرت بها الفكرة الديمقراطية المجردة خلال القرون المتعاقبة ، والتجارب المتعددة لا تماس إحداها بالأخرى ، وإنما تنسب جميعها إلى ذات الفكرة التى تجمع بينها ، والمدلول اللفظى للديمقراطية هو أنها « حكومة الشعب » إلا أن الأفكار قد تشعبت فى فهم معنى حكومة الشعب ، وإن تجاوزنا عن الفوارق الجزئية وأخذنا فى الاعتبار الخطوط الرئيسية الكبرى وحدها أمكننا رد هذه الشعب إلى اتجاهين رئيسيين : الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية . . . والديمقراطية الإسلامية تراث جليل فى هذين المجالين ، وقد كانت ـ ولا ريب ـ أرحب ما يتصور الإنسان ، إذ امتد منذ أمد بعيد إلى شتى صور الديمقراطية التى عرفها الإنسان إلى اليوم .

والحلقة الثالثة من هذه السلسلة بقلم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وعنوانها (الإسلام والوجود الدولى للمسلمين) . ويقول المؤلف : « لقد كان للمسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث هى عناصر قوية فى بناء الوجود الدولى لهم ، وكان شأنهم فى تذكرها شأن كل مجتمع بشرى يتحسس مواضع الضعف فى سيره فيتقيها ، وعوامل القوة فينميها .

كانت الهجرة مبدأ الوجود الدولى للمسلمين الذين لم يكونوا قبلها إلا أفراداً مضطهدين مبعثرين صار لهم بها وحدة ، لها شعارها الخاص . ونظامها الخاص ، وهدفها الخاص ، إن المبادئ متى تركزت وآمنت بها القلوب وامتلأت بها النفوس كانت لدى أصحابها أعز من نفوسهم وأموالهم ومن كل ما يملكون . إن صاحب العقيدة العالمية ، والمبادئ الإنسانية العامة لا يقف بجهوده فى سبيل عقيدته أو مبدئه فى أماكن محدودة ، وإنما يسمو بعقيدته ومبدئه عن التقيد بالجنسيات والأقاليم ، والعالم كله ميدان لعمله ، فإذا ما نبا به مكان تحول إلى غيره حيث يجد التربة الخصبة للإنبات والإثمار » .

وسلسلة الثقافة الإسلامية اعتزمت الصدور مرة فى كل شهر ـ إلا فى شهرى الصيف ـ فيكون منها عشر رسائل فى السنة . نرجو الله أن يجعلها سديدة الخطا نافعة للناس .

الأدب والعلوم

تاريخ الأمة العربية

فى جامعاتنا

قرر وزير التربية والتعليم المركزى فى الجمهورية العربية المتحدة إنشاء كرسى فى كل جامعة من جامعاتنا لتاريخ الأمة العربية .

كانوا فى جامعاتنا ينظرون إلى تاريخ الأمة العربية ، وإلى التاريخ الإسلامى ، كما ينظرون إلى تاريخ اليابان ، أو تاريخ الأرجنتين ، فيعتبرون أنفسهم غرباء عنه ، وتصدر أحكامهم على أحداثه منظوراً اليها بعيون أعدائه فى بلاد الاستعمار المعاصرة ، أو فى البيئات الشعوبية فى مئات السنين الماضية .

وفى اعتقادنا أن إنشاء كرسى فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة لتاريخ الأمة العربية يقصد منه قبل كل شىء تمحيصه وتنقيته مما دس فيه لتشويه أمجاده ، ثم العناية بتكوين إيمان علمى فى نفوس رجال الغد بأن ماضيهم العربى والإسلامى هو الأساس الذى يقوم عليه مستقبل قوميتهم ، فيجب أن يكون هذا الأساس متينا سالما ،

الاستعمار الثقافى والفكرى

أعلنت حكومة السودان أنها قررت القضاء على الاستعمار الفكرى البريطانى فى السودان وتحرير الثقافة السودانية منه . قال اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات السودانى والمتحدث الرسمى باسم حكومة السودان : إننا مصممون على تحرير ثقافتنا ولغتنا من الاستعمار الانجليزى . لقد جعلت بريطانيا من نفسها - خلال الاستعمار - أكبر عميل لنا ، وطبعت ثقافتنا بطابع بريطانى بغيض ، حتى أصبح الشباب السودانى يتكلم بالإنجليزية بدلا من العربية ، ويعبر عما يريد بالإنجليزية عندما يعجز أو يتعثر فى التعبير عنه باللغة العربية ونحن مصممون على تحرير السودان من هذه الرابطة الواهنة ووضع حد لها .

تعبئة العلم لخدمة الوطن

اجتمع فى يوم ٨ نوفمبر مائة وخمسون عالماً من أبناء الجمهورية العربية المتحدة المتخصصين فى فروع العلم ، ليضعوا تقارير فنية وافية للمشروعات العمرانية الضخمة . عقد الاجتماع

فى مبنى المركز القومى للبحوث فى الدقى برياسة السيد كمال الدين حسين رئيس المجلس الأعلى للعلوم ، وحضر الاجتماع وزير التموين المركزى ووزير الزراعة التنفيذى . وخطب فيهم رئيس المجلس خطبة قال فيها : إن سلسلة الانتصارات التى أحرزها الوطن فى الميادين السياسية والاجتماعية والحربية تلقى على كواهلهم عبئاً آخر هو حماية هذه الانتصارات ودعمها وجعلها أساساً لانتصارات مستقبلة يأملها الوطن العربى كله . ثم بين لهم المهمة التى ستوكل إليهم ، وفروع العلوم التى يحتاج اليهـا فى تنفيذ المشروعات العمرانية .

وقد تكونت لجان للعلوم الجيولوجيـة والتعدين والعـلوم والصناعات الكيماوية والهندسية والزراعيـة والبيولوجية الخ ، وبدأت اللجان عملها عقب الاجتماع مباشرة . وقد وعدهم الرئيس بأن تكون كل الموارد العلمية فى البلاد تحت تصرفهم ، ومن ذلك الإحصائيات والمراجع والبيانات . ولن تقصر الدولة فى إرسال الإخصائيين منهم للمؤتمرات العلمية ، بشرط أن يكون هناك تخطيط لبرنامج على يفيد البلاد من تلك المؤتمرات .

إنقاذ آثار النوبة من الغرق

قال الأستاذ محرم كمال وكيل مصلحة الآثار : إن المصلحة خصصت فى ميزانية هـذا العام ١٠ آلاف جنيه لإجراء الحفائر فى منطقة « قسطل » و « البلانة » و « المحرقة » و « عمدا » ، وسيتضاعف هذا المبلغ فى ميزانيـة الأعوام القادمة لنتمكن من كسب الوقت وإنقاذ الآثار المصرية من الغرق قبل مشروع السد العالى . وقد سافرت بعثة مشتركة من جامعتى القاهرة والإسكندرية إلى النوبة على الباخرة « سرو » للانتقال بها والإقامة إلى جانب البعثات الأجنبية التى ستساعد فى هذا العمل ، وأولها بعثة جامعة ميلانو التى اختارت منطقة « المحرقة » فلما أغرقها الفيضان تحولت إلى التنقيب فى منطقة « أخمنـــدى » وقدمت تقريراً عن حفرياتها وعادت إلى بلادها .

وهناك بعثة ألمانية ستقوم بالحفر فى منطقة « عمدا » برياسة الأستاذ شتوك مدير المعهد الألمانى بالقاهرة . والبعثة البولندية ستقوم بالعمل برياسة الأستاذ ميخالوفسكى الذى قام برحلة استطلاعية . وتدور الحفائر الآن فى منطقة « قسطل » لإنقاذ آثارها المهمة إذ تحتوى على ٦١ كوما أثريا تم حفر ١٨ منها كما حفرت البعثة أكثر من ١٢٠ مقبرة صغيرة ترجع تواريخها إلى العصر العتيق والدولة الحديثة والعصر المروى . وينتظر أن تنتهى البعثة فى منطقة قسطل هذا العام للانتقال إلى منطقة البلانة . وتقوم البواخر بنقل الآثار المستخرجة حتى الحدود ثم تتولى قطارات السكة الحديد نقلها إلى القاهرة .

أنباء العالم الإسلامي

ميثاق الضمان العربي

بحثت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مع الممثلين العسكريين للجيوش العربية التعديلات المزمع إدخالها على (ميثاق الضمان العربي) ، وتجرى اتصالات مهمة مع دول الجامعة الأعضاء لهذا الغرض .

أرقام

قال جمال عبد الناصر في خطبته في المنيا :

كنا نستخدم في مصر ٤ في المائة فقط من أرض هذا الوطن ، واليوم قد صممنا على أن نستخدم هنا في مصر مائة في المائة من أرض الوطن .

لقد بدأنا في مشروع السنوات الخمس وهو يتكلف ٢٠٠ مليون جنيه .

لقد كان رأس المال في الاستثمار الصناعي عام ١٩٥٢ مليوني جنيه . وفي سنة ١٩٥٧ أصبح ٤٤ مليونا ، أي تضاعف ٢٢ مرة .

جميع أسواقنا تحفل بالمنتجات التي صنعت محليا ، لا يوجد في أسواق القاهرة وسائر الأقليم منسوجات أجنبية ، كل البضائع مصنوعة في بلادنا . وهذا نصر حلو .

قام الاستعمار بضغط اقتصادي علينا ، كان عندنا ٦٠ مليون جنيه ذهب احتياطي لم نصرف منه جنيها واحدا ، وانتصرنا في المعركة ، واستثمرنا في العام الماضي ٤٤ مليون جنيه في الصناعة ، و ٤٥ مليونا في البناء ، و ٣ ملايين في التجارة .

بدأنا معركة سنة ١٩٥٦ وعندنا ٤ ملايين جنيه من النقد الأجنبي . وكنا نشترى من الخارج بـ ١٨٠ مليون جنيه ، ورغم هذا سرنا ، وبنينا . وأنتجنا ، ووفرنا مالا ، هذه هي لذة الكفاح ولذة الانتصار .

الانقلاب في السودان

قام الفريق إبراهيم عبود ـ القائد العام للجيش السوداني ـ بانقلاب عسكري فجر يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى (١٧ نوفمبر) . استولى على الحكم ، وألف مجلسا أعلى للقيادة العسكرية مؤلفا من ١٣ ضابطا برياسته تولى السلطة في البلاد . أعلن تعطيل الدستور

المؤقت ، وحل الأحزاب السياسية والبرلمان ، أعفى جميع الوزراء من مناصبهم .

أذاع قائد الانقلاب بيانا قال فيه : إن الفوضى والفساد انتشرا فى أجهزة الدولة نتيجة الأزمات السياسية القائمة بين الأحزاب وجريها وراء الحكم إلى أن تدهورت حالة السودان فكاد يتردى إلى هاوية سحيقة .

وقال فى ختام بيانه : إننا سنعمل جاهدين لتحسين العلاقات مع شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة ، وحل المسائل المعلقة ، وإزالة الجفوة المفتعلة التى كانت تسود البلدين الشقيقين .

والفريق إبرهيم عبود ولد فى سنكات يوم الجمعة ٢ رجب ١٣١٨ (٢٦ أكتوبر ١٩٠٠) وتخرج فى ٢٠ رمضان ١٣٣٦ (أول يولية ١٩١٨) وعين ضابطا مهندسا برتبة ملازم . واشترك فى الحرب العالمية الثانية فى شمال إفريقية وأرتيريا والحبشة . وعين نائبا للقائد العام فى الجيش السودانى عام ١٣٧٤ (١٩٥٥) برتبة لواء ، وتولى قيادة الجيش فى شوال سنة ١٣٧٥ (مايو ١٩٥٦) ، ورقى إلى رتبة الفريق فى ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٦ (أول يناير ١٩٥٧) ، وقام بجولة فى دول أوربا بعد إعلان استقلال السودان .

وعقب هذا الانقلاب قام القائد بتشكيل وزارة ثورة مؤلفة من ١٢ وزيرا ٧ من ضباط المجلس الأعلى للقوات المسلحة و ٥ من المدنيين . وأصدر ثلاثة أوامر دستورية : (١) أن السودان جمهورية ديمقراطية ، السيادة فيها للشعب . (٢) أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة هو السلطة الدستورية العليا فى السودان. (٣) أن المجلس الأعلى يعطى رئيسه جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وقيادة القوات المسلحة .

وكان الفريق إبراهيم عبود قد حدد - فى اليوم الأول للثورة - إقامة وزراء حكومة عبد الله خليل السابقة والزعماء السياسيين ، ومنع الصحف كلها من الصدور . وفى اليوم التالى أمر بالإفراج عن الوزراء والزعماء ، وأباح صدور الصحف ، واستأنفت وكالات الأنباء برقياتها من الخرطوم .

ومما يذكر أن الفريق إبراهيم عبود ورجال النظام الجديد فى السودان أقسموا يمين الإخلاص للأمة وللوطن أمام مفتى السودان .

وعقب قيام النظام الجديد فى السودان بعث الرئيس جمال عبد الناصر برسالة شفوية إلى الفريق إبراهيم عبود ، فقام سفير الجمهورية العربية المتحدة فى الخرطوم بإبلاغها إلى الفريق إبراهيم عبود ، وفيها إعلان أن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لتنمية العلاقات وتوثيق

الروابط بين البلدين حكومة وشعبا . وقد أجاب الفريق إبراهيم عبود على ذلك بشكر الرئيس جمال عبد الناصر على رسالته الرقيقة، وشكره للجمهورية العربية المتحدة فى شخص سيادته لأنها أول دولة اعترفت بالنظام الجديد للجمهورية السودانية .

وبما قرر المجلس الأعلى للقوات المسلحة السودانية إلغاء ألقاب الباشوية والبكوية وأفندى من الجيش السودانى .

وقرر كذلك تغيير اسم شارع غوردون باسم (شارع الجامعة) وشارع كتشنر باسم (شارع النيل) كما قرر إزالة تمثال غوردون وكتشنر ، وترك للانجليز الخيار بين أن يتسلموا التمثالين وينقلوهما إلى بلادهم ، أو أن تحفظهما حكومة السودان فى أحد متاحفها . والظاهر أن الانجليز يرغبون فى تسلمهما وشحنهما إلى انجلترا .

جامعة الخرطوم

تنفصل عن جامعة لندن

أعلنت جامعة الخرطوم استقلالها عن جامعة لندن ، تم تنصيب الفريق ابراهيم عبود رئيسا فخريا للجامعة . أشاد الأستاذ سيد ناصر الحاج على ـ أول رئيس سودانى لجامعة الخرطوم ـ بأساتذة الجمهورية العربيه المتحدة وقال : إن الجامعة تعتمد عليهم فى وثباتها . استقبل الجمهور اسم الجمهورية العربية بالتصفيق الحار : نال السيد ابراهيم عبدالله من الخريجين جائزة الجمهورية العربية المتحدة فى الزراعة عن هذا العام ، وقد ندب الدكتور سعدالدين فوزى نائب مدير جامعة الخرطوم للسفر إلى القاهرة لاختيار ١٧ أستاذا مصريا يعملون فى جامعة السودان .

العراق يعمل

قرر مجلس الوزراء العراقى اعتبار المعاملات الاقتصادية بين العراق وفرنسا فى حكم المقطوعة ، وأصدر أمراً إلى جميع الدوائر والمؤسسات بالامتناع عن إقامة أية علاقات اقتصادية مع المؤسسات أو الشركات الفرنسية وعن استيراد أية مادة من فرنسا أو الاتفاق على استيرادها أو الارتباط بذلك .

وطلبت الحكومة العراقية من الحكومة البريطانية إغلاق قنصلياتها فى جميع أنحاء العراق عدا بغداد والبصرة ، وقال راديو لندن : إن العراق تقدمت بمذكرات إلى بريطانيا وأمريكا وتركيا لإغلاق قنصلياتها فى كركوك والموصل .

وأعلن وزير الاقتصاد العراق انتهاء امتياز شركة نفط خانقين ابتداء من يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ، وتقوم الحكومة بتسلم حقول البترول المشمولة بهذا الامتياز ، وكان سيمتد إلى سنة ١٩٩٦ لو لم تنهه الحكومة العراقية . ورأس مال هذه الشركة بريطانى ، وأصحابها من كبار الماليين البريطانيين .

إنذار إلى إسرائيل

من العراق

وجه العراق إلى إسرائيل إنذارا جاء فيه : إن إسرائيل إنما تحكم على نفسها بالموت ، وتحفر قبرها بأيديها ، إن هى هاجمت أية دولة عربية .

وقد جاء هذا الإنذار فى إذاعة لراديو بغداد الحكومى، وتضمن اتهاما للاستعماريين بقيادة الولايات المتحدة بأنهم يسلحون إسرائيل متذرعين بزعم كاذب هو المحافظة على ميزان القوى بين العرب وإسرائيل . وأضاف قائلا: إن الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية الشقيقتين تقفان الآن على أهبة الاستعداد ، والعراق مستعد تماما ، وهو يدرك تمام الإدراك أن سلامة الجمهورية العربية المتحدة تعنى سلامة العراق نفسه ، والعراقيون يقفون صفاً واحداً ضد أى عدوان إسرائيلى على الجمهوريه العربية المتحدة أو أية دولة عربية أخرى . وإن الوحدة بين أبناء العراق من عرب وأكراد هى خير ضمان للنصر .

مياه العراق الإقليمية

تعتزم جمهورية العراق إنشاء ميناء جديد على الخليج العربى جنوبى البصرة يتكلف ١٥ مليون جنيه ، لتواجه به الزيادة فى إنتاج البترول وتصديره من ٣٥ مليون طن إلى ٥٧ مليونا بعد ثلاث سنين . وعملا بالعرف الدولى الذى أخذت به دول كثيرة أعلنت العراق أن مياهها الإقليمية تمتد ١٢ ميلا أى نحو ٢٠ كيلو متراً . ولكن إيران - كعادتها فى الشغب والثرثرة فيما يتعلق بشئون الخليج العربى - أخذت تعارض العراق وتحاول الوقوف فى طريق إنشاء الميناء الجديد ، وتناقش فى حق العراق فى مياهه الإقليمية ومدها إلى ١٢ ميلا .

وكانت الأمم المتحدة قد قامت بجهود فى سبيل إقرار قاعدة قانونية فيما يتعلق بالمياه الإقليمية ، فأشارت لجنة القانون الدولى التابعة لها فى يولية سنة ١٩٥٥ إلى عدم وجود قاعدة ثابتة فى هذا الموضوع إلا أن القانون الدولى لايرى أن تزيد المياه الإقليمية عن اثنى عشر ميلا بحريا ، وهذا ماقررته العراق وتراه

من حقها وبه حماية مصالحها العمرانيـة ، ومعارضة ذلك تنافى تقدم العمران وتمتع الأمم بحقوقها الحيوية .

الخليج العربى

قررت حكومة الجمهورية العراقية حجز جميع الرسائل البريدية الصادرة من العراق والواردة إليه إذا كانت معنونة بكلمة (الخليج الفارسى) بدلا من (الخليج العربى)، وذلك تمهيداً لإعدام تلك الرسائل فيما بعد .

وقد انعقد الاجتماع فى جميع أنحاء الوطن العربى الأكبر على تصحيح هذا الخطأ الجغرافى الذى روج له الاستعمار فى المائة السنة الماضية وسيوضع حد له بعد الآن فيزول استعماله إلى الأبد .

القوات الأجنبية بالمغرب

لمناسبة الاحتفال بعيد الجلوس الحادى والثلاثين لملك المغرب ألقى الملك كلمة طالب فيها بسحب جميع القوات الأجنبية من بلاده وقال : إن جلاء هـذه القوات هو الهدف الرئيسى لسياسـة المغرب ، وأن ماتم من انسحاب بعضها لا يعتبر كافيا . كما طالب بإعادة المناطق المنتزعه من المغرب ، وأكد تمسك بلاده بارتباطاتها مع الجامعة العربية .

وقد استقبلت وزارة الخارجية الأمريكية بالاستياء الشديد خطاب الملك محمد الخامس ، وقال مسئول فى الوزارة : إن الحـد الأدنى للمـدة التى يمكن أن تجلو خلالها القوات الأمريكية عن القواعد الجوية فى المغرب هو خمس سنوات .

وعادت حكومة المغرب فكررت فى أواخر نوفمبر المطالبة ـ بلسان سفيرها فى واشنطن ـ بضرورة جلاء القوات الأجنبية عن أراضى المغرب ، وإغلاق القواعـد الأمريكية فيها بدون أية شروط ، وقال السفير المغربى فى برنامج تليفزيونى محلى : إن وجود القوات الأجنبية فى المغرب ، فرنسية كانت أو إسبانية أو أمريكية ، يتنافى مع معنى الاستقلال .

سياسة بريطانية
فى الشرق الأوسط

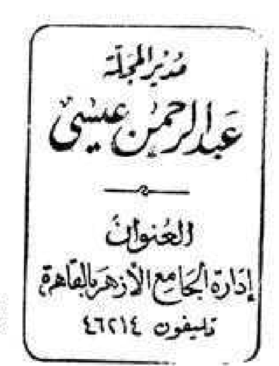
نشرت صحيفـة (سبكتاتور) الانجليزية يوم ٦ نوفمبر مقالا بقلم روى جنكينز النائب فى مجلس العموم البريطـانى قال فيه : إن سياسة إقامة الحكومات الموالية للغـرب فى الشرق الأوسط ، ومحاولة إقامة كتلة من الدول العربية ضد كتلة أخرى ، كانت حتى يوليو المـاضى ـ أى إلى قيام ثورة العراق ـ توصف بالقصور . أما بعد ذلك فلا بد أن توصف بالخلط والجنون .

الفهرس

تفسير الألوسى

سئلت لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم اقتناء كتاب روح المعانى للعلامة الألوسى فى التفسير ، فأجابت بفتواها المسجلة تحت رقم ٣١٠٣ :

« بأن تفسير العلامة الألوسى من التفاسير المعتمدة التى لا يصح أن يقوم بين الناس جدل حول اقتنائها وقراءتها والاستفادة منها . والله أعلم » .


مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤


مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	العلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء السابع ـ القاهرة : رجب سنة ١٣٧٨ ـ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥٩ ـ المجلد الثلاثون



بسم الله الرحمن الرحيم

لمناسبة أسبوع العيد الرابع للعلم :

سفينة التعليم تغير اتجاهها

العلم سلاح . . .

والأصل في السلاح أن يعد للدفاع عن النفس ، وأن يستعمل لحماية المقدسات والنفائس.

ومن السلاح ما يتخذ للزينة ، وقد لا تكون معه ذخيرة ، فيبقى معطلا عن الاستعمال عند الحاجة إلى استعماله .

ومن الناس من يستعمل السلاح في الانتحار ، أو في قتل أولاده أو والديه أو من أحسنوا إليه . وفي ركن أخبار الجرائم من الصحف اليومية أمثلة متواصلة لهذا النوع من استعمال الناس للسلاح .

وهكذا الثقافة والتعليم : منهما ما هو بمنزلة الدواء الشافي ، ومنهما ما هو مضيعة للوقت ، وقد يكون في بعض أنواعهما السم الزعاف .

لهذا كان الهادي الأعظم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يستعيذ بالله من علم لا ينفع ...

وإذا كان العلم الذى لا ينفع مما يستعاذ بالله منه ، فما بالك بالعلم الذى ابتكرته الشياطين ، لتواصل به كيدها لبنى آدم وبنات حواء !

والاستعمار من دأبه ، إذا احتل وطناً من أوطان الناس ، أن يجعل ثمرة التعليم والتثقيف فى مصلحته هو ، ولتحقيق أغراضه السياسية والمذهبية ، لا لمصلحة البلد المحتل ، ولا لخير المتعلمين من بنيه .

ومن بدائع حكيم مسلمى القارة الهندية محمد إقبال ـ رحمه الله ـ أبيات من الشعر يتهكم بها على فرعون موسى ، ويعيب عليه تفكيره فى إبادة بنى إسرائيل بقتل مواليدهم عقب ولادتهم ويقول له : هلا اهتديت بهدى الاستعمار فى عصرنا ، إذ سن لنا فى مدارسنا مناهج ثقافية يحول بها أبناءنا عن طريقنا إلى طريقه ، وعن مواصلة العمل بسنننا وسجايانا إلى الإيمان بسننه وسجاياه ، والعمل بهما حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، حتى لو دخل الاستعمار جحر ضب لدخلوه من ورائه .

إن هذا الأسلوب الغربى فى القتل والإبادة ، أنجح من أسلوب فرعون موسى فى قتل مواليد بنى إسرائيل . . .

لذلك كان مما ينبغى لأحرار كل وطن يسر الله لأهله سبيل الخلاص من أسر الاستعمار ، أن يعيدوا النظر فى أنظمة التعليم التى كان قد فرضها عليهم ، والأهداف الثقافية التى كان يوجههم إليها ، لأنها مظنة أن تكون فى مصلحته لا فى مصلحتهم ، ولعله كان يعتمد عليها وهو يزمع فراقهم ، مطمئناً إلى أنها ستكون خليفته فيهم ، وأن المتخرجين بها والمؤمنين بمناهجها ونتائجها سيواصلون العمل على الأساس الذى تركه لهم ، فإن فقدوا الإمام الذى تعودوا الائتمام به ، فلن يعودوا إلى ما قطع الاستعمار صلتهم به من خططهم الأصيلة ، وسيستمرون دائرين فى فلكه الذى رسمه لهم فى عشرات السنين من عهد إشرافه عليهم .

إن البلاء الذى خلفه الاستعمار فى مدارسنا ومعاهدنا بعد فراقه لنا إلى غير رجعة ، كان بلاء ذا ثلاث شعب :

ففى التربية حصر نشاطنا فى التربية البدنية ، وحال بيننا وبين التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية .

وفى الثقافة كان الاتجاه فى مدارسنا إلى ثقافة الغرب ، وإلى الأنس بأنظمته وأوضاعه وآدابه ، وإلى التعرف بعظمائه فى الحرب والسياسة والعلوم والآداب ، حتى لقد رأينا فى المتعلمين والجامعيين من يذكر للاحتلال البريطانى حسنات فى الرى والإدارة والعمران والحياة الاجتماعية ، وإذا سئل عن أثر الإسلام فى مصر لم يحر جوابا ، بل لعله لا يعرف عن عمرو بن العاص - رائد الإسلام الأول فى مصر - إلا أكذوبة التحكيم بالأسلوب الذى روجه الشعوبيون فى مئات السنين الماضية ، ولعلنا لا نزال نلقنه لأبنائنا فى مدارسنا إلى اليوم !

وثالثة الأثافى الاقتصار فى العلوم الكونية على النظريات ، بل على أن تكون الوظائف هى مطمح أنظار الذين يتعلمون هذه العلوم ، فلا يخطر ببالهم أن تكون لهم - مع علماء الأمم الأخرى - مساهمة فى البحوث العلمية التى يكون لها أثر فى التقدم العمرانى ، ولا أن يكون لهم نشاط فى تطبيق نظريات هذه العلوم على الطبيعة : من تعدين ، وتحليل ، واستنباط ، وتفنن فى الصناعة والاستثمار .

وكان ينبغى للطلبة المسلمين - على الخصوص - وهم يدرسون العلوم الكونية ، أن تكون دراستهم لها بدافع من هداية القرآن فى التعرف إلى سرائر الله فى الخلق ، والتأمل فى عظيم آياته وعجيب بدائعه فى الكون ، فيزدادوا بها إيمانا إلى إيمانهم . لكن الأسلوب الاستعمارى فى تلقين هذه العلوم كان يصرفهم عن الوجهة الإسلامية فى النظر إلى الكون وسرائره . وكم وكم من شبابنا المتوقدين ذكاء جرهم أسلوب التعليم الاستعمارى للعلوم الكونية إلى الإلحاد والجحود ، ودفعهم فى هوة الحرمان من سعادة الإيمان ، فانتصبوا - بعد تخرجهم - دعاة لهذه المحنة العقلية والشقاء الفكرى فى مدارسنا كلها ولا سيما فى الجامعات ، فلا هم أفادوا من دراسة هذه العلوم ثمرة عملية للوطن كما يفعل أمثالهم فى البلاد الأخرى ، ولا هم كفوا أذاهم عن تلاميذهم - أمل المستقبل - بعد أن تولوا التدريس ، فلم يتخذوا منه ذريعة لبث ما أصيبوا به من سموم الإلحاد .

والآن فإن علامات طيبة تبدو من جانب دفة القيادة ، مبشرة بأن اتجاه سفينة التعليم يوشك أن يتغير .

قد شعرنا بأن البلاد شبعت - إلى حد التخمة - من ضروب التعليم العقيم الذى لا ثمرة له ، كالفلسفة والدراسات النظرية والفروض الظنية ، لا سيما المجلوبة إلينا من الخارج ، فلم نعد فى حاجة إلى مواصلة الإرساليات إلى جامعات الغرب للاستزادة من خريجى هذه الدراسات ،

وسنستعيض عن ذلك برجال التخصص فيما نستعين به على توسيع إنتاجنا القومى، ومشروعاتنا العمرانية، ونهضتنا الصناعية والزراعية.

ستكون العناية موجهة بعد الآن إلى التعليم الذى له ثمرة فى ميادين العمل، وسيبذل المزيد من العناية فى الإكثار من المدارس والمعاهد الصناعية والزراعية، وستقوم الجمهورية العربية المتحدة بتعبئة العلم لخدمة الوطن وحمايته وتثبيت انتصاراته القومية فى مختلف اتجاهاتها العمرانية، ولذلك أعيد تأليف المجلس الأعلى للعلوم بمستوى عال، ورصد المركز القومى للبحوث عشرات الألوف من الجنيهات لتوزع على طلبة البحوث العلمية فيستعينوا بها على استيفاء بحوثهم وتقديم نتائجها، وتكونت لجان للعلوم الجيولوجية والتعدين وللعلوم والصناعات الكيماوية والهندسية والزراعية والبيولوجية، وخصصت وزارة التعليم منحا مالية للمتفوقين فى جميع مراحل التعليم. وفى أسبوع العيد الرابع للعلم الذى احتفلنا به فى هذا الشهر ظهرت لنا ـ بوضوح أكثر ـ آثار هذا الاتجاه الجديد إلى العلم العملى المثمر، ففتحت أبواب المعارض والمتاحف العلمية والفنية، ووزعت جوائز الدولة لثلاثة من العلماء ألف أحدهم فى «البنيان التعاونى»، وقام الثانى ببحوث فى «البترول والتركيب الجيولوجى للإقليم المصرى» كما قام الثالث ببحوث فى «تكنولوجيا الزجاج». ووزعت جوائز ومداليات لنحو ١٨٠ من أوائل الطلبة فى الشهادات والمسابقات العامة، وألقى الوزير السيد كمال الدين حسين خطبة تدل على اتجاه سفينة التعليم فقال:

«إننا نتحدث اليوم إلى الملايين الخمسين الذين سيتعلم أبناؤهم على (منهج الوحدة العربية) من شمال إفريقية الى الخليج العربى، بل التسعين مليونا من العرب فى الوطن العربى الكبير الذين آمنوا بالعلم، وسيبنون المستقبل لبلادهم. وإننا إذ نحتفل اليوم بالمتفوقين إنما ننظر إلى غدهم أكثر مما ننظر إلى ماضيهم، لأنهم قادة المستقبل الذين سيخطون للأمة العربية تاريخ غدها».

إذن نحن أمام تخطيط جديد لتعليم أبناء خمسين مليون عربى على (منهج الوحدة العربية) وقد تبين لنا من عناصر التخطيط الجديد لهذا التعليم أنه يتوخى من العلوم الكونية ـ وهى العلوم العالمية ـ ما يكون له أثر عملى فى نهضتنا القومية، وصناعاتنا الناشئة، والإفادة من هبات الله لنا فى تربتنا ومياهنا ومناجمنا وكنوز أوطاننا. ومن الإحسان إلى القومية العربية وأوطانها، وإلى أبنائها وهم فى مراحل التعليم، أن يعنى المدرسون والأساتذة بتثبيت

عقيدتهم بالله ، ولفت أنظارهم إلى آياته سبحانه فى خلقه ، وبدائع حكمته فى الجليل والدقيق من سرائر الكون ، فالإيمان قوة وعزيمة وأمل ، والجحود ضعف وقنوط وشلل ، والأمة التى تريد أن تستقبل مصيرا قويا يجب أن تتجهز بجميع أسلحة القوة وأولها الإيمان ، والمدرس الذى يعمل على تشكيك تلاميذه فى إيمانهم أضر على الأمة ومستقبلها من المدرس المصاب بالسل إذا كان حريصا على نقل عدواه إلى رجال الغد الذين سيقومون ببناء المستقبل. وينبغى لوزارة التربية والتعليم أن تعنى بمراقبة هـذا النوع من جراثيم الضعف التى يتعرض لها التلاميذ من بعض أساتذتهم ، كما تعنى بالكشف الصحى على موظفيها والعاملين فى معسكرها العظيم . إن الذى يبث الإلحاد فى هذا المعسكر يجب أن يطرد منه طرداً ، فلا يباح له الاتصال برجال المستقبل إلا إذا أبيح هذا الاتصال بهم للمصاب بالجذام أو السل .

وهنالك الثقافة وعلومها . وهى شىء آخر غير العلوم الكونية من طبيعية ورياضية . الثقافة شىء ، والعلوم شىء آخر. الثقافة فى كل أمة ثقافة قومية ، وأما العلوم فعالمية . العلوم تتعاون على تقدمها جميع أمم الأرض من أقدم العصور إلى الآن ، فهى ليست تراثا لأمة دون أمة ، فكما ساهم فيها اليونان فى العصور القديمة ساهمت فيها الصين والهند ومصر والعراق من قبلهم ، وساهم فيها العرب قبل أن يكون لأوربا وأمريكا يد فيها . عمل أسلافنا فى الجبر وغيره من العلوم الرياضية ، وفى الكيمياء ، وعلوم المعادن والطب ، وما من أمة إلا عملت — قليلا أو كثيرا — فى هذه العلوم ، قديما وحديثا ، لذلك كانت علوما عالمية تشترك الأمم كلها فى تكوينها وتقدمها والإفادة منها . أما الثقافة فشىء آخر بالمرة ، لكل أمـة ثقافتها ، ولنا نحن العرب ثقافتنا ، وكما وقع الاحتلال من المستعمرين على أوطاننا وانتزعناها ولا نزال ننتزعها منهم ، وقع كذلك التشويه فى ثقافتنا ، ولا سيما فى تاريخنا ، من الشعوبيين والشانئين للعرب فى القديم والحديث . وكما عملنا ولا نزال نعمل على إنقاذ أوطاننا وتطهيرها من الاستعمار ، ينبغى لنا كذلك أن نتطوع ونجاهد لتهذيب ثقافتنا وتنظيمها وإبراز محاسنها وحسن عرضها على الناس ، وعلى أبنائنا الطلبة بوجه خاص . وأعظم مظاهر ثقافتنا مفاخر تاريخنا ، فقد كانت ولا تزال معرضة لكثير من التشويه والتحريف . ويوم كان التعليم فى معاهدنا منحرفا عن طريقه السليم بتوجيه الاستعمار ، كان تاريخنا أكثر انحرافا وأقبح تشويها . وكما أخذنا الآن فى تصحيح (منهج الوحدة العربية) فى العلوم لتكون منتجة ونافعة ، ينبغى لنا — أكثر من ذلك — أن نبادر إلى تصحيح هـذا المنهج فى الثقافة العربية ، ولا سيما

فى التاريخ العربى ، ومن حسن الحظ أنه ليس لأمة تاريخ كتاريخنا حفظت لنا الأجيال مواد بنائه من جديد ، وليس لأمة من الأمم تاريخ تأخر القيام بتجديد بنائه كما تأخرنا نحن فى تجديد بناء تاريخنا . يقال إن هنالك مساعى لتأليف دائرة معارف عربية ، وأنا أقول من الآن : إن من العيب أن تدخل أخطاء تاريخنا وتشويهات الشعوبيين له فى أى مادة من مواد هذه الدائرة إن تم تأليفها وصدرت .

قلت : إن البلاء الذى خلفه الاستعمار فى مدارسنا ومعاهدنا بعد فراقه لنا إلى غير رجعة كان بلاء ذا ثلاث شعب ، وقد تحدثت حتى الآن عن شعبتين منها وهما العلوم العالمية ، والثقافة القومية . وبقيت الشعبة الثالثة وهى « التربية » ، وقد كنت صادقاً فى أن معاهد التعليم عندنا لا تعنى من التربية إلا بالتربية البدنية ، أما التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية فهى أشياء غريبة ويتيمة فى معاهد التعليم ، كما هى غريبة ويتيمة فى خارج تلك المعاهد .

دخل مفتش من مفتشى المعارف مدرسة للبنات فى منطقة اللاذقية من الاقليم الشمالى قبل اتحاده بالجمهورية العربية ، وبعد أن قام بالتفتيش لاحظ أن المدرسة لا يوجد فيها مصلى ، فاعتذرت ناظرة المدرسة بضيق مساحة المدرسة وقالت للمفتش : إننا لم نجد غرفة نضع فيها البيانو ، فاعذرنا إذا لم نجد غرفة نتخذها مصلى !

هذه هى العقلية التى كانت سائدة فى محيط التعليم ، البيانو أولى أن يتوفر له المكان من المصلى .

هذه الحال نتيجة توجيه استعمارى ، فعلى عهد التحرير أن يرسم الخطط بمقياس واسع للانتقال إلى البيئة اللائقة بأمة عربية مسلمة . والتربية بأنواعها عماد العهد الاستقلالى ، ولن يتجاوب الجيل الآتى مع ثورة التحرير إن لم نتداركه بالتربية : التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية ، والتربية البدنية . كل هذا من الضروريات لتحقيق التجاوب بين الثورة التى تريد أن تقيم للعرب دولة عظمى إلى جانب الدول العظمى ، وبين أمة العرب التى لن تقوم دولتها العظمى على أكتافها إلا بالأخلاق ، والاخلاق لا تتدلى من السماء بقفة من غير عناية بالتربية ، والتربية تصنع فى المدرسة والمعهد ، والمدرسة والمعهد إذا لم يصنعا التربية مع التعليم يكونان غريبين عن وزارة التربية والتعليم .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٦٦ —

الدعوة الدينية موجهة إلى الإنس والجن

فكيف يتهرب منها أناس ؟؟

ا ـ ويوم يحشرهم جميعاً : يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس !!
ب ـ وقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ،
حـ ـ قال : النار مثواكم ، خالدين فيها ، إلا ما شاء الله ، إن ربك حكيم عليم .

زعم البعض أن الجن غير مكلفين ، لأن الدعوة قاصرة على الإنس ، فالجن لا يثابون على طاعة ، ولا يعذبون على معصية ، فهم عند أولئك الزاعمين مهملون فى الدنيا وفى الآخرة .. وهذا من جزاف القول الذى يطرح على الأسماع دون أن يؤازره دليل ، أو يناصره وجه من الصواب .

ا ـ ونظرة فى الآيات التى سقناها تدل فى وضوح على مافى ذلك الزعم من خبط وخطأ ، وعلى ما يقترن به من غفلة عن آيات الله فى كتابه .

فالله تعالى يأمر نبيه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يتذكر ، ويذكر يوم الحشر للخلق جميعا وأن الله ـ سبحانه ـ ينادى معشر الجن ـ جماعتهم ، ويذكرهم فى تعنيف وقسوة بأنهم أسرفوا فى إغوائهم للكثير من الناس ، وأنهم يلجمون ، ويأخذهم العجز عن الجواب ، إذ يكون موقفهم موقف الحسرة والخجل ، وموقف الباطل المهزوم أمام الحق المنتصر ، وموقف المهانة والضعف أمام العزة والكبرياء ، وموقف اليقظة بعد الغفلة وقد ضاعت الفرصة فلا رجاء ولا مهرب .

ب ـ وهنا يلهج الأتباع الغواة من الإنس : فى ذلة وضراعة ، فيعترفون اعتراف المأخوذ بذنبه ، ويقولون قولة الحق على أنفسهم : « ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا » يعنى أن الجن استمتعوا بالسيطرة على الغواة ، وزخرفوا لهم الباطل ، وقادوهم

إلى المفاسد . . وأن هؤلاء العصاة استمتعوا بالجن ، فاستجابوا لوساوسهم ، واستمرءوا الشهوات ، وتابعوهم فى سبيل الغواية إلى نهايتها ، حتى انتهت بهم الحياة إلى العاقبة التى استهانوا بها ووقفوا بين يدى الله فى وعى يقظ .

وحيث كان ذلك معروفا من قبل ، وكانت دعوة الرسل واضحة ، وحاثة على التنبه لما وراء الدنيا من عذاب أليم ، أو نعيم مقيم ، فليس الموقف الآن موقف استعتاب ، وإنما هو قول فصل ، وما هو بالهزل ، وهو جزاء يقنعهم بصدق ما سمعوا من النذر ، ويبصرهم بالعدل الذى تجاهلوه فى معاملة الله للمحسنين والمسيئين من عباده ، ويؤكد لهم قول ربهم « كل امرئ بما كسب رهين » « وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم » .

ح ـ والجواب الحاسم الذى يسمعونه من جانب الله تعالى ـ بعد هذا اللوم وهذه الاستكانة ـ « النار مثواكم . . خالدين فيها . . إلا ماشاء الله .. إن ربك حكيم عليم » .

وهنا ينقطع الاستعطاف ، ويستقر الأمر على ما قضى الله من تخليد هؤلاء الأتباع مع متبوعيهم فى النار ، كما عاشوا على ولاء فى الجحود والعصيان .

وذكر المشيئة فى هذا السياق للإشعار بأن الأمر كله لله بدءا ، ونهاية . وأنه وحده يعلم مدى خلودهم فى العذاب ، ويقال إن الوقت المستثنى بالمشيئة هو الوقت السابق على دخولهم جهنم ، يعنى من حين المحاسبة فى الموقف . . ويرى بعض العلماء أن الاستثناء بالمشيئة يدل على أن للخلود نهاية ، ثم تفنى النار بكل ما فيها ، وهذا غير مرضى عند الجمهور .

ومما تقدم يتبين أن توجيه النداء إلى الجن ، وتوبيخهم على ما فعلوا بالناس من غواية ينقض زعم الزاعمين أن الجن غير مخاطبين بالدعوة الدينية ، وأنهم همل فى دنياهم وأخراهم ، فهم يفسدون ولا يحاسبون .

مع أن تخصيصهم بهذا النداء السالف يؤكد مسئوليتهم أكثر من غيرهم ؛ لأنهم هم الفاتنون لسواهم .

ثم يأتى نداء ثان يجمع بين الفريقين فى التعنيف واللائمة « يا معشر الجن والإنس !! ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ » .

وهذا تقرير ، وتوبيخ ، تناول الجن قبل الإنس ، لأنهم كما قررنا مصدر الفتنة ، وهو نداء يسجل أن الرسل كانوا يبعثون إليهم جميعا ، وأن الرسل كانوا من هذا المجموع : لا من جنس ثالث مغاير لهم ، ولئن كان الرسل فى واقع الأمر من الإنس ، فقد كان للجن من يسمع

ويبلغ سواه ، وبهذا تكون الدعوة واصلة إلى الجميع « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه ، قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا ! ! إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ، مصدقا لما بين يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا ! ! أجيبوا داعى الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك فى ضلال مبين » .

وليست بنا حاجة بعد هذه الإلمامة الواضحة وبعد تلك الآيات البينات إلى المزيد من القول فى بيان عموم الدعوة الدينية للثقلين من الجن والإنس ، فالجميع أمة دعوة والمؤمنون منهم هم أمة الإجابة ، وهذا أمر مفروغ منه فى جانب محمد بن عبدالله ، صلوات الله عليه وسلامه ، وإذا كان حديثنا فى هذا الصدد غير جديد فهو تصحيح للعقيدة ، وتذكير بالحذر من الشياطين وبوجوب البعد عن إخوان السوء ، فإنهم شياطين الإنس ، وأنت ترى غالبا فى كل مجتمع ، وفى كل بيئة من يمثل الشيطان فى مسلكه ، وسيرته ، ومعاملاته بالكذب ، والتدليس ، والمراوغة ، والرشوة ، والخيانة .

وترى لهؤلاء رءوسا مشرئبة نحو الفسوق ، ووجوهاً تبتسم لاستقبال الرذيلة ، وتسمع لهم نغمات جريئة فى التوجيه إلى الانحراف .

وكانت الرذيلة من قبل خانسة ، فتجهمت بيننا بتبجح المارقين .

وكانت الوجوه تتوارى حياء من النقيصة ، فأصبحت الوجوه غير كالحة ولا تخجل من سوء ، ولا تخزى من معرة .

حتى كثر فينا الوضعاء الذين لا يستريحون إلى نصح ، ولا يرضون بالبقاء على شىء من الأدب ، ولا يرون غير مسالك الدناءة ، وكأنهم يعافون أن يقال عنهم قول كريم ، أفليس هؤلاء من المستمتعين بالجن ، وأنهم سيواجهون بالموقف الذى تحدثنا عنه فى ضوء ما سلف من الآيات ؟ ؟ .

اللهم اهدنا واهدهم ، وأصلح لنا ولهم ديننا ودنيانا ، فأنت اللطيف بعبادك ؟

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

عود إلى علاج العين (*)

عناية المحدثين بالأمانة ـ الداء والدواء من قدر الله ـ من الهدى النبوى فى عيادة المرضى ـ من عجائب الطب النبوى ـ مكان الطب فى الشريعة العامة الخالدة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أو أمر ـ أن يُسْتَرْقَى من العين . وعن أم سَلَمَة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى بيتها جاريةً فى وجهها سَفْعَةٌ ، فقال : استرقوا لها ، فإن بها النظرة .

رواهما الشيخان ، واللفظ للبخارى

هذان حديثان جليلان ، من أصح الأحاديث الكثيرة ، التى كادت تكون متواترة ، فى شأن الإصابة بالعين والرقية منها . . . . وحسبك من درجات صحتها أن يتفق على روايتها الإمامان العظيمان : البخارى ومسلم ، وكفى بكل منهما حجة . . .

و ـ أو ـ فى الحديث الأول ، لشك الراوى : هل قالت أم المؤمنين رضى الله عنها : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإضافة الأمر إليها ، أو قالت : أمر . . من غير إضافة ؟ وهذا الشك ـ كما قلنا ـ فى مناسبات شتى ، من أعظم الأدلة : وأقواها على تحرى الرواة ، وبلوغهم فى ضبط الأحاديث والحرص على ألفاظها . فضلا عن معانيها ، مبلغ الذين ائتمنهم الله على دينه ، فأقاموا الدين لله خالصا ، وأدوا أمانة الله كاملة غير منقوصة .

(*) إجابة لرغبة مشكورة من قراء أفاضل ، لاحظوا إجمالا شديداً فى شرح الحديث الأسبق ، ولا سيما فى علاج العين . . . ومن أجل تلك الرغبة أجلنا الحديث فى « عمل المرء لغيره » للجزء القادم إن شاء الله .

على أن فى رواية أخرى من روايات الحديث « أمرنى » من غير شك ، وفى ثالثة « كان يأمرنى » ، وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها أمر نبوى صريح بالرقية من السفعة التى أصابت الجارية فى وجهها ، والسفعة - بفتح الفاء وقد تضم - بقعة ذات لون يخالف لون الوجه ، أصابتها بنظرة شريرة من عين إنسى أو جنى ، ولعيون الجنة ، نظرات أنفذ من الأسنة .

* * *

وكما أن العين حق ، والإصابة بها ثابتة بقدر الله تعالى ومشيئته ، وأنها من الأسباب العادية التى يربط الله بها مسبباتها ، فكذلك الرقية منها حق ، وهى من قدر الله وإرادته ، فهما من الداء والدواء ، وما أنزل الله داء ، إلا أنزل له شفاء ، فإذا أصاب الدواء موضع الداء برأ بإذن الله ، وفى المسند والسنن عن أبى خزامة قال : قلت يا رسول الله ، أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : هى من قدر الله[1] .

* * *

وأقل ما يقتضيه الأمر بالرقية أنها مشروعة مرخص فيها ، بل مستحبة مندوب إليها ، فى كل إصابة وشكوى ، ولا سيما العين واللدغة من ذوات السموم كلها . وفى صحيح مسلم عن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت ؟! قال نعم : فقال جبريل عليه السلام : باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ، ويسأله عن حاله ، ويضع يده على جبهته ، وربما وضعها على ثدييه ، وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه ، وكان إذا أتى مريضا أو أتى به إليه قال : اذهب الباس رب الناس ، أشف وأنت الشافى ، لاشفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما .

---

(١) السنن هنا هى سنن الترمذى كما فى تعليقات الأخوين الفاضلين : الأستاذين عبد الغنى عبد الخالق ، ومحمود فرج العقدة ، فى تعليقاتهما على «الطب النبوى» الذى طبع وحده أخيرا .

لا جرم أن الرقى بآيات الله تعالى وذكره وأسمائه ، وأن الفزع إليه فيما وقع وما يتوقع من القربات إليه والتحصن به .

* * *

وأما ما ورد النهى عنه من الرقى ، فهو المشتبه الذى لا يعرف ، أو المركب من حق وباطل ، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم ، والتعوذ بمردتهم ، لا جرم أن هذا الصنف من الرقى آفة الإيمان والعقائد ، ومفتاح الشرور والمفاسد ، بل هو السم الذى لا رقية له إلا توبة نصوح واقية ، أو بطشة شديدة قاضية . . .

* * *

ومن العلاج النبوى للعين : أن يدعو العائن لمن عانه بالبركة ، وأن يتوضأ العائن أو يغتسل ، ثم يغتسل من مائه المعين ، وليس المراد بالوضوء والغسل هنا كيفيتهما الشرعية بل الأمر فيهما متسع كما يؤخذ من الآثار . .

وبيان الغسل فى حديث أحمد والنسائى وابن حبان : أن يغسل العائن وجهه ويديه إلى المرفقين ، ومن سرته إلى أسفل جسمه ، ويوضع الماء فى قدح ويصب على رأس المعين وظهره ، فيبرأ بإذن الله . . .

والسر فى هذا الغسل من عجائب الطب النبوى التى تخفى على أكثر الناس ، ولاسيما الذين لا يؤمنون بأسرار الروح والغيب ، ومن أجل ذلك لا ينتفعون بهذا الطب ولا يبرءون به « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » .

* * *

وكأن أثر العين الحاسدة الشريرة شعلة من النار ، انبعثت منها إلى المحسود فاشتعل نارا فكان من الخير والحكمة أن تطفأ بالماء والدعاء فى العائن والمعين جميعا . .

والسر فى دعاء العائن لمن عانه ، أن الدعاء إحسان للمعين وطب له ، وتكفير للإساءة التى قدمها إليه بجحد نعمة الله عليه وانتقاصها منه ، ومن هنا أمر من رأى شيئاً فأعجبه ولو كان ملكا له أن يقول : « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » دفعا لأذى العين ووقاية من شرها ولا عجب أن يحسد المرء نفسه وولده وحبيبه ، وإن كان ذلك فى المتقين قليلا « وقليل من عبادى الشكور » .

ولا مخافة من عدوى المـاء المستعمل هنا ، فإنه استعمل فى إطفاء النار الثانية بعد أن أطفأ النار الأولى وقوة الإيمـان والعزيمـة تدفع ما عسى أن يحمل من أذى ، وقلما يـكون الأذى إذا كان العائن صحيحا سليما . . على أن هـذا الطب رخصة جائزة غير واجبة ، فليتركها من لا يؤمن بها ، ومن يخاف العـدوى منها ، وليكتف بالرقية الإلهيـة النبوية فى دفع العين والأذى ، إن كان من المؤمنين بما أوحى الله إلى رسوله . . .

* * *

ومما يجب أن نحذر منه العامة وأشباه العامة هنـا ، تغاليهم فى العين ونسبة كل أذى أو ضرر إليها ؛ فإن الأدواء وأشفيتها ، والأسباب ومسبباتها لا يحصيها إلا من أنزلهـا ، وما العين وطبها إلا قليل منها . . كما يجب أن ننبه هنا كذلك على أن الله جلت حكمته ، إنما أرسل رسوله هادياً وداعياً ومبشراً ونذيرا ، أرسله بطب الأرواح والقلوب ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه ، وليهديهم إليه صراطاً مستقيما . .

وأما طب الأبدان الذى صح عنه صلوات الله وسلامه عليه ، فليس إلا تكميلا لشريعته العـامة الخالدة ، التى لم تدع خيراً إلا دعت إليه ، ولا شراً إلا حذرت منه ، فى العاجـلة والآجلة ، إجمالا وتفصيلا [*] .

طه محمد الساكت

---

[*] من تأدية الأمانات إلى أهلها . ومن الاعتراف بالفضل لذويه ، أن ننبه على أن مرجعنا الأول فى شرح هذين الحديثين هو « الطب النبوى » لابن القيم ، وأن الذى أشار على بتفصيل ما أجملت فى الحديث الأسبق ، أخونا الواعظ الفاضل الأستاذ إبراهيم أبوسعدة ، وشيخنا الـكبير الأستاذ محمد عرفة . . غير أنى لا أزال أدعوهما والقراء الأفاضل إلى مزيد الإفادة من « الطب النبوى » ففيه الجواب الـكافى . . وفيه قرة العين . . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به .

شهر رجب

فضيلته ـ فرض الصلاة ـ زيارة النبي

من الأشهر الحرم التى كان يعظمها العرب قبل الإسلام شهر رجب ، وكانوا يلقبونه بالأصم لأن قعقة السيوف لا تسمع فيه ، ثم جاء الإسلام فعظم شأنه ، وأبقى عليه ضمن الأشهر الحرم المذكورة فى قول الله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشهر الحرم فى بعض خطبه : (عن ابن عمر قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى فى أوسط أيام التشريق فقال : يأيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، أولهن رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم) فكان القتال محرماً فى هذه الأشهر عند العرب قبل الإسلام حتى أن الرجل ليلقى فيها قاتل أبيه فلا يهيجه ، وكذلك حرم الإسلام القتال فيها على المسلمين إلا إن قوتلوا ، ثم نسخ ذلك فقد حاصر النبى صلى الله عليه وسلم الطائف وغزا هوازن فى غزوة حنين فى شوال وذى القعدة سنة ثمان من الهجرة .

وقد مضى السلف الصالح رضوان الله عليهم على تعظيم هذا الشهر لما حدث فيه من إكرام الله سبحانه وتعالى لنبيه بالإسراء والمعراج فيه ، وكان ذلك فى ليلة السابع والعشرين منه ، ولأن الله قد شرع للمسلمين فى تلك الليلة أعظم ما شرع من العبادات ، إذ أوجب فيها الصلوات الخمس فى اليوم والليلة .

فكانوا يكثرون فى هذا الشهر من الطاعات البدنية والمالية بالصلاة والصيام والصدقات ، كما يتنزهون فيه عن المعاصى واقتراف السيئات ، واستمر ذلك حتى عند الخلف فى العهود الأخيرة ، فقد أدركنا الأجداد والآباء يحرصون على أن يصوموا ثلاثة الأشهر : رجبا وشعبان ورمضان ويتبعونهن ستا من شوال ذلك لأن رجبا عندهم ابتداء مواسم الخير

والطاعة ، وكانوا يختصون ليلة السابع والعشرين من رجب بمزيد من أعمال البر والتعظيم ، لأن الله قد زادها تعظيما بتشريع الصلاة فيها ، وهى أفضل الأعمال عند الله كما صح ذلك عن رسول الله .

ونرى مع الرائين أن نظهر سرورنا ليلة السابع والعشرين من رجب ، ونكرم فيها الأهل بمزيد من السعة ، كما نكرم الفقراء والمحتاجين مع الإكثار من الطاعات والبعد عن المعاصى .

فالصلوات الخمس فرض عينى فى اليوم والليلة بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وأدلة فرضيتها متواترة مستفيضة ، وحكمها صار معروفا للخواص والعوام ، معلوما من الدين بالضرورة ، فمن جحد وجوب الصلوات الخمس كان كافرا مرتدا بإجماع المسلمين ، وتجرى عليه أحكام المرتدين .

أما من ترك الصلاة كسلا مع إقراره بوجوبها فهو آثم اتفاقا بين الأئمة ، ولكنهم اختلفوا هل يكون كافرا ؟ والصحيح الذى عليه الجمهور أنه لا يكون كافراً ولكنه عاص بهذا الترك ، وهل يقتل أم لا ؟ مذهب الشافعى ومالك وغيرهما أنه يقتل حداً بعد استتابته وإصراره على الترك ، ومذهب أبى حنيفة والنووى والمزنى أنه لا يقتل بل يعزر بالضرب والحبس حتى يصلى .

وإلى الرأى الأخير نذهب ، وإن كنا نرى خطرا عظيما يتهدد تارك الصلاة كسلا ، فليتنبه العاقل لذلك وليعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : أول ما يحاسب عليه المرء من عمله الصلاة . فهى بلا شك أخطر فرائض الإسلام .

وقد ورد : الصلاة عماد الدين من أضاعها فقد أضاع الدين ، وتوجيه ذلك أن الإسلام قد بنى على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت . والصلاة تجمع هذه الخمس ففيها الشهادتان فى التشهد ، وهى نفسها إقام الصلاة ، وكل ما أفطر الصائم أبطل الصلاة ، فما دام فى صلاة فهو فى صيام ، ولا بد فيها من استقبال القبلة ، ففيها قصد الكعبة بالنسك والعبادة ، ولا بد من ستر العورة ، وطهارة البدن من الحدث ، وطهارة البدن والثوب والمكان من النجس ، وتحصيل ذلك ببذل المال فهو إنفاق للمال فى سبيل أمر الله بالإنفاق فيها ، والزكاة إنفاق للمال فى سبيل أمر الله بالإنفاق فيها ، فجمعت الصلاة أركان الإسلام وصدق ما ورد أنها عماد الدين ومن أضاعها فقد أضاع الدين .

وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهى تنقى المسلم مما اقترفه من الخطايا شيئا فشيئا حتى لا يبقى منها شىء ، فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شىء ، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) .

وقد روى أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (خمس صلوات افترضهن الله ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن ، كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لا يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه) .

وهذا الذى ذكرنا من أن الله يمحو بالصلوات الخمس الخطايا إنما هو فى الخطايا المتعلقة بحقوق الله تعالى ، أما حقوق العباد فلابد من ردها إلى ذويها ، فإن تاب ولم يتمكن من ردها حتى مات فإن الله يرضى عنه أصحاب الحقوق بما شاء من العطاء ، لأنه أرضى الله بتوبته وصدق فى نيته .

ونبين هنا أن ستر العورة شرط لصحة الصلاة ، وتختلف العورة عند الرجل والمرأة :

فعورة الرجل فى الصلاة ما بين السرة والركبة عند الشافعية والحنفية والحنابلة ، وإن اختلفوا فى أن السرة والركبة منها ، وعورة المرأة عند الحنفية جميع بدنها ماعدا بطن الكفين وظهر القدمين ، وعند الحنابلة جميع بدنها ما عدا الوجه فقط ، وعند الشافعية جميع بدنها ماعدا الوجه والكفين ظهرا وبطنا ، أما المالكية فيقولون للرجل والمرأة فى الصلاة عورتان عورة مغلظة وعورة مخففة ، فعورة الرجل المغلظة السوأتان (القبل والدبر) والمخففة مازاد على ذلك مما بين السرة والركبة من الإمام والخلف - أما المرأة فإن وجهها وكفيها ليسا بعورة مطلقا ، وعورتها المخففة هى الرأس والعنق والذراعان والصدر وما حاذاه من الخلف ، ومن الركبة إلى آخر القدم ، وما عدا ذلك من بدنها فهو عورتها المغلظة .

فمن صلى مكشوف العورة المغلظة كلا أو بعضا بطلت صلاته ، ومن صلى مكشوف العورة المخففة كلا أو بعضا لاتبطل صلاته وإن كان كشفها حراما أو مكروها ، ويحرم نظر الأجنبى إليها كنظره إليها خارج الصلاة ، لأن عورة المرأة خارج الصلاة جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين .

مذهب المالكية : فيه فسحة للنساء وتشجيع لهن على الصلاة ، كما أن فيه أيضا فسحة للعمال فى المصانع والمعامل والمزارع ، فإلى هؤلاء جميعاً أوجه القول بالاعذر لهم فى ترك الصلاة : وأن الدين يسر ، ويستطيع الرجل أن يصلى حتى فى ملابس العمل التى تقصر عن الركبتين ، كما تستطيع المرأة أن تصلى حتى فى ملابس الزينة التى تكشف شيئا من الصدر ، والملابس القصيرة .

ويرى الحنابلة : أنه يباح جمع الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء لمن يخاف ضررا يلحقه فى معيشته إذا صلى كل صلاة من هذه الأربع فى وقتها ، وفى ذلك سعة على عمال المصانع وموظفيها ، وموظفى المعامل الذين لا يمكنهم ترك أعمالهم لأداء الصلاة فى وقتها تحت نظام العمل الذى هم فيه ، وكذلك الجنود وحراس الأمن الذى يكلفون أعمالا لا يمكنهم معها أداء الصلاة فى وقتها ، فهؤلاء جميعاً لهم أن يجمعوا بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء تقديماً بصلاتهما فى وقت الأولى ، وتأخيرا بصلاتهما فى وقت الثانية ، تبعا لما تسمح به ظروف العمل .

وذلك كله مبالغة فى الحرص على أداء الصلاة والمحافظة عليها ، تنفيذا لأمر الله العلى الكبير « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

قدمنا أن السلف وكثيراً من الخلف كانوا يعظمون شهر رجب لإكرام الله نبيه فيه بالإسراء والمعراج ، وتشريع الصلاة بكثرة الطاعات البدنية والمالية مع البعد عن المعاصى .

ومما يتقرب به كثير منهم فى هذا الشهر ، زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وفرحهم بهذه الزيارة الرجبية كما يطلقون عليها ، ولعمرى أن هذه الزيارة لمن أعظم القربات ، ومن أحب الأعمال إلى قلب المؤمن ، إذ يستجلى بها نور حبيبه المصطفى ، ويتشرف بها كأنما تشرف بزيارته فى حياته ، فقد روى الدارقطنى وابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال : (من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى) .

كذلك روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما من رجل يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام) . ولهذا درج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارته أن يقول الزائر منهم : السلام عليك يا رسول الله ـ السلام عليك يا أبا بكر ـ السلام عليك يا عمر ، وأجمع المسلمون على أن زيارة النبى صلى الله عليه وسلم بعد مماته لغير المسافر لها قربة وطاعة ، واختلفوا فى حكم

الزيارة لمن يحتاج إلى السفر لها ، فمنهم من يرى أنها قربة عملا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها) فالضمير المفعول به عام لجميع القبور ومنها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمر بالزيارة مطلق ، فتكون الزيارة مستحبة أو مباحة بدون السفر ومع السفر

كذلك حديث الدارقطني يدل على استحباب الزيارة ، حتى ينال الزائر بعد سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم شرف رد الرسول عليه وبركته ، سواء كان ذلك مع السفر أو بدون سفر .

ومن العلماء من يرى عدم إباحة السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت زيارته بدون السفر طاعة وقربة ، واستدلوا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا) ولا حجة لرأيهم فى هذا الحديث ، لأن تقديره هكذا : لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد ، ويؤول إلى أنه لا ينبغي ولا يستحب أن يشد الرحل إلى مسجد للعبادة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة المذكورة لفضيلتها ومنزلتها عند الله ، وإن قلنا إن الحديث خبر بمعنى النهى كما يقولون ، أى لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا المساجد الثلاثة ، كانت النتيجة كما قدمنا من أن الحديث لبيان فضيلة المساجد الثلاثة ، واستحباب أو إباحة شد الرحل إليها ، وليس للحديث صلة بحكم شد الرحل إلى غير المساجد ، فشد الرحل إلى غير المساجد ، كشده إلى بلد لطلب العلم ، أو للتجارة ، أو لصلة الرحم ، وشده لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون محظوراً .

على أنه إذا كانت الزيارة فى نفسها قربة وطاعة فكيف يحرم السفر لها ، بل إذا كان الترويض والترويح عن النفس مباحا أو مطلوبا فهل يحرم السفر لهذا ؟ لاشك أن هذا خطأ وربما جرهم إلى هذا الخطأ تقديرهم المستثنى منه المحذوف عاما ، أى لا تشد الرحال إلى شيء إلا إلى ثلاثة مساجد ، ولكن هذا التقدير خطأ أيضا ، إذ يؤدى إلى تحريم السفر لأى طاعة أو أمر مباح ، كالسفر لطلب العلم وصلة الرحم والتجارة وغير ذلك وهذا خطأ شنيع ، فالسفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم مباح أو مستحب ، لأنه يوصل للزيارة التى هى من أعظم القرب .

فإذا بلغ المسافر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عند دخوله بسم الله وسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك ، واحفظنى من الشيطان الرجيم ، ثم يقصد إلى الروضة الشريفة فيصلى ركعتين ، فإن كانت الروضة مزدحمة صلاهما فى أى موضع

من المسجد ، ثم يقصد إلى القبر الشريف فيسلم على النبي ويقف متواضعا ويصلى عليه ، ويثنى عليه صلى الله عليه وسلم بما يحضره ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم يسلم على عمر ويدعو لهما .

قال العلماء ومن وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقبله ولا يطيل الوقوف عنده ، وإن قصد بذلك التبرك ، لأن التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون باتباعه لا بالابتداع عنده .

وليكثر مدة إقامته بالمدينة النبوية من الصلاة فى الروضة وقراءة القرآن وذكر الله ، وليبذل فى المدينة مزيدا من الصدقات ، وليتخذ عند فقرائها أيادى بيضاء بكثرة العطاء .

وإذا عزم على السفر من المدينة جعل آخر عهده زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والوقوف بأدب وتواضع عند قبره والسلام عليه وعلى صاحبيه .

قال ابن القاسم المالكى رأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا إلى القبر مسلمين وذلك دأبى ،

ونرى أن هذا ينبغى أن يكون دأبنا ودأب غيرنا عند السفر إلى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم .

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

الإنسان عدو ما جهل

قال لبيب الرياشى - من أدباء نصارى الشام - فى كتابه (نفسية الرسول العربى) :

« ما ندمت على شيء فى حياتى ندما عصبيا ساحقا مثل ندمى على جهلى نفسية الرسول العربى والإمام الأعظم العالمى « محمد بن عبد الله » فى أيامى الماضيات وسنواتى الغابرات .

أما لو درست تلك الحياة وهاتيك النفسية وتفهمت جوهرها واستنرت بنورها ربع قرن ، لأمسى الحق معشوق عقلى ودمى وعصبى ، فبعث الحق فى شخصيتى الجسمية والنفسية قوة كونية عظيمة رضية حكيمة من هدى الرسول العربى العالمى ، ومن نورعقله ، ولكنت إذ ذاك رجلا غير هذا الرجل ، ومفكراً غير هذا المفكر » .

الله أكبر !!...

إن بعض الكلمات الجليلة قد تفقد معناها وتأثيرها فى نفوس الكثيرين من الناس . وإن كثر ترددها وتكرارها ، وذلك لقلة التدبر فيها أو التأمل لمعناها أو الاستجابة لمغزاها ومن بين هذه الكلمات كلمة : « الله أكبر » العظيمة الجليلة العميقة ، التى جعلها الإسلام رمز التكبير وعماده ...

ولقد كان التكبير أول ما كلف الله به رسوله حين أمره بإنذار الناس فقال له : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر » ، ويعلم الله رسوله أن يكثر من تكبيره بعد تقرير ألوهيته ووحدانيته فيقول له : « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل ، وكبره تكبيرا » . والأذان يتردد فى بلاد الإسلام كل يوم خمس مرات ، وألفاظه الأساسية قبل التكرار هى : « الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، لا إله إلا الله » ، فترى الأذان يبدأ بكلمة التكبير ، وينتهى بكلمة التوحيد ، وتتكرر كلمة « الله أكبر » فيه ست مرات ، بينما تتكرر جمله الأخرى مرتين !! ...

والصلاة تبدأ بالتكبير ، إذ يفتتحها المسلم بكلمة « الله أكبر » وتسمى حينئذ تكبيرة الإحرام ؛ لأنها جواز الدخول فى الصلاة ، وإذا دخلت بها فى الصلاة حرم عليك ما كنت فيه من اللهو واللعب وكلام الدنيا كل شىء إلا عمل الصلاة ، وروى الخمسة إلا النسائى أن الرسول صلوات الله عليه قال : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

والتكبير يتخلل حركات الصلاة ويتكرر فى كل ركعة عدة مرات ، وقد روى الخمسة إلا الترمذى عن عبد الله رضى الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم يكبر فى كل خفض ورفع (إلا عند الرفع من الركوع) وقيام وقعود ؛ وأبو بكر وعمر . . .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : بينما نحن نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا . فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : من القائل كلمة كذا وكذا ؟ . قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله . قال : عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء . قال ابن عمر : فما تركتهن منذ سمعت رسول الله يقول ذلك . روى ذلك مسلم والترمذى .

ويختم المسلم صلاته المفروضة بالتسبيح والتحميد والتكبير ، فقد أخرج الشيخان وأبو داود الحديث : « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ؛ غفرت خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر » .

ويأتى عيد الفطر فيجهر المسلمون بالتكبير من وقت الخروج إلى الصلاة حتى ابتداء الخطبة ، فيرددون : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولله الحمد » ؛ وإذا جاء عيد الأضحية كان أسبوعه حقيقا بأن يسمى « أسبوع التكبير » ، إذ يظل المسلمون فيه خمسة أيام يكبرون الله على ما هداهم ، ولعلهم يشكرون ، فهم يكبرون مختلف الأوقات وبخاصة فى أعقاب الصلوات من صبح يوم عرفات إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد ، وهو آخر الأيام التى تسمى « أيام التشريق » ! . . .

ويستفاد من هذا أن المسلمين يكررون كلمة « الله أكبر » كل يوم عشرات المرات على الأقل فى الصلوات وغير الصلوات ، ولكننا لو ذهبنا نبحث عن أثر هذه الكلمة الجليلة فى نفوس أكثرهم وتصرفاتهم لوجدناه قليلا ضئيلا ؛ مع أن الله تبارك وتعالى : قد شرع تكرار هذا الهتاف الإلهى فى مختلف المناسبات ـ وبخاصة فى الأذان والصلوات ـ ليكون أشبه بدقات الساعة التى تردد بين الفينة والفينة ، منبهة لعباد الله ، مذكرة بحقوق الله ، منادية بالرجوع إلى الله ، ليستيقظ الغافل ، ويهتدى الضال ، ويرتدع المسىء ، ويزداد المحسن إحسانا ؛ وكلما سمع أبناء القرآن هذا التكبير فى الأذان قابلوه بالتكبير ، فيتعلمون الاستجابة للحق ، والمسارعة إلى الخير ، والتلاقى على الذكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والمجاهدة للإثم والعدوان : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى ، فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

« الله أكبر » نداء السماء العلوى المنزل من حمى القدس ليتردد بين أهل الأرض ، مذكرا

إياهم بجلال الله وعظمته ، وسلطانه وقدرته ، فتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، فترى المؤمنين يرددون كلمة « الله أكبر » فى صدق وعزيمة ؛ وكأن لصوتها هديراً كهدير البحر المتلاطم ، أو أشد وقعا ؛ لأن معناها القوى البليغ قد أخذ يهدر فى قلوبهم ، ويتلاطم فى صدورهم ، فكأن هذا من ذاك ! . . .

وتتردد فى الآفاق كلمة « الله أكبر » فإذا هى نسمات السماء الطاهرة التى تمر على الأرض الهامدة فتحيى مواتها ، وتبعثها من رقادها ... وتتردد فإذا هى فيض الملأ الأعلى الذى يغسل أدران الحياة وأقذار البشر .

« الله أكبر » كلمة تتردد فى أذن السارق الناهب ، فترتجف يده ويهتز كيانه ، ويتذكر — إن كان من أهل الذكرى — أن هناك إلها أقوى منه ، وأكبر من حيلته واستخفائه ، ومن مكره وخديعته ، وأن أخذ هذا الإله أقوى من أخذ القانون والمحكمة والسجن والأشغال الشاقة المؤبدة ! ! . . « إن أخذه أليم شديد » ! . . .

« الله أكبر » كلمة تدوى فى أذن الفاسق الذى يهم بإثم أو معصية ، فيقشعر ويرتدع ، ويتذكر — إن بقيت فيه فضلة ذكرى — أن لله عينا لا تنام وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه يعلم سرهم ونجواهم ، وهو معكم أينما كنتم . . . « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟ ! ... « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ؟ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شىء عليم » .

« الله أكبر » كلمة يرددها — أو يسمعها — الغنى الكثير المال الواسع الثروة ، فيتذكر عند ذلك أن الله أغنى الأغنياء ، وأنه مصدر النعم والآلاء ، وأنه هو الذى يعطى ويمنع ، ويخفض ويرفع ، فلا يزدهى الغنى غناه ، ولا يبطره ماله وثراؤه ، بل يتدبر قول ربه عز من قائل : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » . وقوله : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » ، وقوله : « يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

« الله أكبر » كلمة يرددها أو يسمعها الفقير القليل المال ، فلا يذله الفقر ولا يهينه ، ولا يزلزله أو يبلبله ، بل يتذكر أن الله العلي الكبير أقوى وأغنى ، وأنه القادر بكبريائه ونعمائه أن يقهر هذا الفقر اللعين ، فلا ينال شيئا من المؤمن الفقير في ماله : « وإن خفتم عيلة (فقرا) فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » ، « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا (فقيرا) فأغنى » ؟ ! ...

« الله أكبر » يرددها أو يسمعها الصحيح السليم المعافى القوى البدن المفتول العضل ، فلا يغتر معها بصحته ، ولا ينخدع بقوته ، فإن الله الأكبر الذى وهب الصحة هو الذى يستطيع أن يسلبها ويضع مكانها العلة والمرض ، والذى أعطى القوة قادر على أن يحيلها ضعفا ، وليست قوة العضلات أو صحة الأبدان وحدها مفخرة لصاحبها ، فكم من حيوانات وبهائم توافرت لها قوة الأجسام ، ولم ترزق قوة العقل والجنان ، بل لعل أشد البهائم بأسا فى جسمها هى أقلها فى التعقل والتمييز ، والمهم هو قوة العقل وثبات القلب ، لا شدة الجسم ولا صلابة العضل ، والحديث يقول : « ليس الشديد بالصرعة (أى الذى يصرع غيره كثيرا لقوة جسمه) إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

ويردد الضعيف السقيم كلمة « الله أكبر » فإذا هى عنده بلسم ودواء ، وإذا هى عزاء وشفاء ، وإذا هى تذكره بأن الله الرحمن الرحيم هو أهل الرجاء ومعقد الأمل : « وإذا مرضت فهو يشفين » ، « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم ، رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » ! ...

« الله أكبر » يقولها أو يسمعها الكبير المسيطر الذى يهم بطغيان أو بهتان ، فيعلم ويتذكر أن هناك من هو أقوى منه وأعظم ، وهو الله الأكبر ذو البطش الشديد ، فيرهبه ويتواضع له ويتأدب أمامه ، ولا يبغى أو يطغى على أحد من عباده ، وإلا فالمنتقم جبار : « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام » ! ... والعامة تقول - وهى صادقة فيما تقول - : « الله أكبر على من طغى وتجبر » ! ... وهذا فرعون قد طغى وبغى « فقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » ... وهذا هو نداء الله لمن يحاول أن يقاسمه كبرياءه : ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ! ! ...

ويردد المظلوم المهضوم المستضعف كلمة « الله أكبر » فيقوى ويتماسك ، ويتذكر أن هناك إلها عادلا منصفا ، لا يرضى الظلم بحال ، فينهض ذلك المظلوم ، ويجاهد الضيم بكل ما استطاع ، مستعينا بجاه الله القوى العزيز : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » .

ويقول الرافعى عليه رحمة الله :

« بين الوقت والوقت من اليوم تدق ساعة الإسلام بهذا الرنين : الله أكبر ، الله أكبر كما تدق الساعة فى موضع ليتكلم الوقت برنينها . الله أكبر ! ... بين ساعات وساعات من اليوم ترسل الحياة فى هذه الكلمة نداءها تهتف : أيها المؤمن ، إن كنت أصبت فى الساعات التى مضت ، فاجتهد فى الساعات التى تتلو ، وإن كنت أخطأت فكفر وامح ساعة بساعة ، الزمن يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة باقية فى العمر هى أمل كبير فى رحمة الله ! ...

بين ساعات وساعات يتناول المؤمن ميزان نفسه حين يسمع : الله أكبر ، ليعرف الصحة والمرض من نيته ، كما يضع الطبيب لمريضه بين ساعات وساعات ميزان الحرارة .

اليوم الواحد فى طبيعة هذه الأرض عمر طويل للشر ، تكاد كل دقيقة بشرها تكون يوما مختوما بليل أسود ، فيجب أن تقسم الإنسانية يومها بعدد قارات الدنيا الخمس ، لأن يوم الأرض صورة من الأرض ، وعند كل قسم من الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء تصيح الإنسانية المؤمنة منبهة نفسها : الله أكبر الله أكبر ! ...

بين ساعات وساعات من اليوم يعرض كل مؤمن حسابه ، فيقوم بين يدى الله ويرفعه إليه ، وكيف يكون من لا يزال ينتظر طول عمره فيما بين ساعات وساعات : الله أكبر ..؟!

بين الوقت والوقت من النهار والليل تدوى كلمة الروح : الله أكبر ... ويجيبها الناس : الله أكبر ، ليعتاد الجماهير كيف يتقادون إلى الخير بسهولة ، وكيف يحققون فى الإنسانية معنى اجتماع أهل البيت الواحد ، فتكون الاستجابة إلى كل نداء اجتماعى مغروسة فى طبيعتهم بغير استكراه .

النفس أسمى من المادة الدنيئة ، وأقوى من الزمن المخرب ، ولا دين لمن لا تشمئز نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية ، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة .

لا تضطربوا ، هذا هو النظام ... لا تنحرفوا ، هذا هو النهج ... لا تراجعوا هذا هو النداء ... لن يكبر عليكم شيء ما دامت كلمتكم : « الله أكبر » ! . .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ... يا أبناء الإسلام . . يا أبناء العزة التي كتبها الله لنفسه ولرسوله وللمؤمنين ...

عاهدوا ربكم أن تقولوا كلمة « الله أكبر » بفهم وعزم ، وتدبر وتأثر ، حتى تثمر لكم ثمرتها التي أرادها الله منكم . . . إن حاول متكبر متجبر أن يستذلكم لغير الله فقولوا له صائحين في وجهه « الله أكبر » ، وإن خادعكم الشيطان ليصرفكم عن دينكم وفضائلكم مغريا بالمتاع والشهوات فقولوا « الله أكبر ! . . . . » ، وإن ألمت بكم غمرات أو أزمات فتماسكوا واصبروا وقولوا « الله أكبر ! » ، وإن جاءتكم خيرات ومسرات فلا تغتروا أو تتجبروا ، بل تواضعوا وقولوا : الله أكبر ! . . .

وليكن من دعائكم لربكم : اللهم جملنا بالتواضع لك ، والذلة أمام عزتك ؛ والاعتزاز أمام غيرك ، واحفظنا من التكبر والتجبر ، ولا تجعلنا من المفسدين في الأرض ؛ اللهم انصر المؤمنين المتواضعين لك ، انصرهم بجاهك وسلطانك ، واقصم ظهور المتجبرين الطاغين ، اقصمهم بصولتك وجبروتك ، فإنك عزيز ذو انتقام . . .

والله أعلى ، والله أكبر ! . . .

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

من إسلاميات محمد إقبال

يا أيها المسلم إن الأرض والسماء لك
ضياؤك القدسي أعلى من شرارات الفلك
ما جئت في الدنيا لتفنى وهي بالخلد تدوم
هل تصبح الشمس أقل قيمة من النجوم

نقـــد كتاب
« أضواء على السنة المحمدية »
– ٦ –

فى ص ١٠٨ ذكر عنوان « الإسرائيليات فى الحديث » وبين منشأها ثم عرض لكعب الأحبار ووهب بن منبه وأضرابهما من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا وقـــد نال أكثر ما نال من كعب واعتبره الصهيونى الأول وإليك رأيى فيما عرض له .

١ — كعب الأحبار من التابعين ، وعلماء الجرح والتعديل - وهم الذين لا تخفى عليهم حقيقة أى راو مهما تستر - لم يتهموه بالوضع والاختلاق ، والجمهور على توثيقه ولذا لا تجد له ذكرا فى كتب الضعفاء والمتروكين وقد ترجم له الذهبى ترجمة قصيرة فى تذكرة الحفاظ ، وتوسع ابن عساكر فى ترجمته فى تاريخ دمشق وأطال أبو نعيم فى الحلية فى أخباره وعظاته وتخويفه لعمر ، وترجم له ابن حجر فى الإصابة وتهذيب التهذيب وقد اتفقت كلمة النقاد على على توثيقه (١) ولكن يعكر على هذا ما ورد فى حقه فى الصحيح : روى البخارى بسنده عن معاوية وهو يحدث رهطا من قريش بالمدينة - يعنى لما حج فى خلافته - وذكر كعب الأحبار فقال : « إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » وفى رواية أخرى « لمن أصدق » وظاهر كلام معاوية رضى الله عنه يخدش كعبا فى بعض مروياته ، ولكنه لا يدل على ما ذهب إليه المؤلف وأمثاله من أنه كان وضاعا كذابا. وهذا الكلام من معاوية له وزنه فهو رجل داهية لا تخفى عليه الرجال ولا دسائسهم ، ومعاوية لا يخشى كعبا ولا يعقل أن يتملقه ، ولو يعلم فيه أكثر من ذلك لقاله ، وقد حسن العلماء الظن بكعب فحملوا هذه الكلمة على محل حسن قال ابن حبان فى الثقات : « أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا » . وقال ابن الجوزى : « المعنى أن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه كان يتعمد الكذب ، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار ، ومن قبيل ذلك قال ابن عباس فى كعب « بدل من قبله فوقع فى الكذب (١) » ولا يعزب عن بالنا أن ابن الجوزى صاحب ملكة فى النقد وكان حربا على الوضاعين وكتابه « الموضوعات »

---

[١] مقالات الكوثرى ص ٣١ .

أشهر الكتب وأحفلها وإن أخذوا عليه فيه أنه يتساهل فى الحكم بالوضع أحياناً ، فلو أنه كان يرى فى كعب ما رأى المؤلف وأمثاله من أنه كان وضاعا دساسا لما تردد فى تجريحه ولما حمل كلمة معاوية على هذا المحمل الحسن ولا سيما وقد كان لسانه حاداً على الوضاعين كما يتبين ذلك جليا لمن راجع مقدمة كتابه المذكور ، فمن ثم يتبين لنا بعد ما سمعنا من مقالة العلماء فى كعب أنه لم يكن وضاعا ولا متعمداً للكذب ، وأنه إن كانت وقعت فى بعض مروياته إسرائيليات مكذوبة أو خرافات ، فذلك إنما يرجع إلى من نقل عنهم من أهل الكتاب السابقين الذين بدلوا وحرفوا ، وإلى بعض الكتب القديمة التى ملئت بالخرافات والإسرائيليات ، ولو أنه تحرى الحق والصدق وميز بين الغث والسمين من هذه المنقولات لكان أولى به وأجمل ، وأما وهب بن منبه فهو من خيار التابعين وثقاتهم ، ولم نعلم أحداً طعن فيه بأنه وضاع ودساس إلا المؤلف ، والباحث المتثبت والناقد البصير لا ينكر أن الكثير من الإسرائيليات دخلت فى الإسلام عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأنهم نقلوها بحسن نية ، وكذلك لا ينكر أثرها السيىء فى كتب العلوم وأفكار العوام من المسلمين ، وما جرته على الإسلام من طعون أعدائه ظناً منهم أنها منه والإسلام منها براء ، ولكن الذى لا يسلم به الباحث أن يكون كعب ووهب وأضرابهما ممن أسلموا وحسن إسلامهم ، كان غرضهم الدس والاختلاق والإفساد فى الدين ، ولقد كان من لطف الله بالأمة الإسلامية أن هذه الإسرائيليات إنما كانت فى قصص الأنبياء والأمم السابقة ، وأحوال البدء والمعاد وأسرار الخليقة إلى غير ذلك مما لا يتعلق بالحلال والحرام والعقائد إلا بعضا منها مما ينافى عصمة الأنبياء فإنه يدرك كذبه وبطلانه بادىء الرأى . وابن خلدون لما عرض فى مقدمته لما دخل فى التفسير بالمأثور من الإسرائيليات لم يرم مسلمة أهل الكتاب بالدس والوضع ـ كما صنع المؤلف ـ وإنما جعلهم مصدراً لنقل هذه الإسرائيليات إلى العرب ، وهذا شأن الباحث المنصف لا الطاعن المتحامل .

ولقد كان لجهابذة الحديث ونقاده جهاد مشكور فى الكشف عن هذه الإسرائيليات وتمييز صحيحها من باطلها ، وغثها من سمينها ، وما من رواية من روايات كعب وغيره إلا ونقدوها نقداً علمياً نزيها ، ولولا هذا الجهاد الرائع من علماء المسلمين لكانت طامة على الإسلام والمسلمين ، ولقد بلغ من تحوط أئمة الحديث البالغ الغاية أنهم قالوا : إن قول

الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه إنما يكون له حكم الرفع إذا لم يكن معروفا بالأخذ عن علماء أهل الكتاب الذين أسلموا فأما إذا كان معروفا بالأخذ عنهم فلا ، لجواز أن يكون من الإسرائيليات وهو تحوط يدل على أصالة فى النقد وبعد نظر محمود من المحدثين ، وأحب أن يعلم القارئ الكريم أنى كتبت بحثا مستفيضا نشر على صفحات هذه المجلة الزهراء تحت عنوان « الدخيل وكتب التفسير » أمطت فيها اللثام عن كثير من الإسرائيليات والخرافات التى ألصقت بالإسلام (١) .

٢ — أن المؤلف جرى فى بحثه فى الإسرائيليات على أن كل ما روى عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما مختلق مكذوب ، وأن مروياتهم ليس فيها صدق ولا حق حتى ولو كان فى شريعتنا ما يؤيد هذا المروى ويصدقه ، وهو إسراف فى الحكم وتجن على الحق والواقع ، والعلماء المحققون المتثبتون على أن ما روى عن أهل الكتاب الذين أسلموا منه ما هو حق وصدق ، ومنه ما هو باطل وكذب ، ومنه ما هو محتمل لهما ، فهذا هو الإمام ابن تيمية ، وهو زعيم مدرسة جمعت إلى حفظ الحديث والبراعة فيه الفقاهة فى الدين وجودة الفهم وأصالة النقد يقسم أخبار مسلمة أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح ، والثانى : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه ، والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر دينى (٢) ومثل ذلك قال تلميذه ابن كثير فى تفسيره (٣) .

وإليك ما ذكره الحافظ الكبير ابن حجر فى الفتح (٤) عند شرح الحديث الذى رواه البخارى عن أبى هريرة قال : « كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد » قال : « أى إذا كان ما يخبرونكم به محتملا ، لئلا يكون فى نفس الأمر صدقا فتكذبوه أو كذبا

---

[١] مجلة الأزهر فى عامى ٧٢ ، ٧٤ هـ .

[٢] مقدمة التفسير ص ٢٤ ط السلفية .

[٣] ج ١ ص ٨ ط المنار . [٤] ج ٨ ص ١٣٨ .

فتصدقوه فتقعوا فى الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه . نبه على ذلك الشافعى رحمه الله » . وهكذا يتبين لنا أن الحكم على كل ما رووه بالصحة فيه تساهل وبعد عن الحق والصواب ، وأن الحكم على كل ما رووه بالكذب والبطلان فيه إسراف وتجن .

وقد تمخضت هذه الطريقة التى أخذ بها المؤلف نفسه عن جملة من الأخطاء والأغلاط ، فحكم على كثير من الأحاديث الصحيحة التى لا يتعلق بها الريب بأنها إسرائيليات وخرافات من خرافات أهل الكتاب ، ولا حجة له فى هذا إلا التظنن والحدس ، وقد بلغ به الشطط أنه زيف بعض الروايات التى نرى مصداقها فى كتاب الله وهو القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل وزيف بعض أحاديث ليس فى رواتها أحد من مسلمة أهل الكتاب ولا يحتمل أن تكون أخذت عنهم ، وسأعرض لهذه الأحاديث لترى طرائق للبحث عجيبة .

* * *

فى ص ١١٣ ، ١١٤ بعد أن ذكر ما روى عن كعب وابن سلام عن البشارة بالنبى وذكر أوصافه فى التوراة قال : وقد امتدت هذه الخرافة ـ يعنى البشارة بالنبى وذكر أوصافه ـ إلى أحد تلاميذ كعب : عبد الله بن عمرو بن العاص فقد روى البخارى عن عبد الله بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ! يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، بل يعفو ويغفر ولا يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وزاد ابن كثير قال ابن يسار : ثم لقيت كعبا الحبر فسألته فما اختلفا فى حرف وكيف ؟ وكعب هو الذى علمه » .

وإنها لحماقة حمقاء أن يطلق هذا المؤلف على البشارة بالنبى الأمى العربى فى الكتب السابقة أنها خرافة ولا أدرى أفقد المؤلف صوابه أم غاب عنه قول الحق تبارك وتعالى

« ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »(١) وهل هذا الحديث إلا مصداق لهذا القرآن الذى لا يتطرق إليه الشك ، وسواء أكان هذا الحديث قد حمله عبد الله بن عمرو عن كعب أو هو مما علمه من كتبهم ، لأنه كان قارئا كاتبا وعنده علم بكتب أهل الكتاب فقد صدقه القرآن المهيمن والشاهد على الكتب فهو حق وصدق ، والتصديق به واجب ، وإنى لأعجب للمؤلف كيف سولت له نفسه وسمح له ضميره أن يقول عن البشارة بالنبي وذكر أوصافه فى التوراة والإنجيل : إنها خرافة ألا فلتهللوا أيها المبشرون فقد وجد من يتسمى بأسماء المسلمين من يخدمكم ويشيع مقالتكم باسم البحث والمعرفة ! ! !.

* * *

فى ص ١١٨ عرض لحديث الاستسقاء وذكر أن كعبا انتهز الفرصة ليفسد على المسلمين عقائدهم ، وأنه هو الذى أوقع عمر رضى الله عنه فى الاستسقاء بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن ذكر أن عمر استسق بالعباس لم يلبث أن قال : إن عمر تنبه إلى المكيدة وفطن لها فلم يستسق بأحد حتى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، واقتصر على الاستغفار ولكى يؤيد زعمه هذا ذكر عن كتاب المغنى والشرح الكبير « أن عمر خرج يستسقى فلم يزد على الاستغفار .... » .

وللرد على ذلك أقول :

١ — إن حديث الاستسقاء بالعباس رضى الله عنه رواه البخارى فى صحيحه عن أنس: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون » ولأجل أن يدلل على ما ذهب إليه من أن الاستسقاء بالعباس دسيسة من كعب طعن

---

(١) الأعراف الآية ١٥٦ ، ١٥٧ .

فى حديث أنس واعتده مخالفا للروايات القوية التى جاءت بخلافها ، ثم أتدرى أيها القارئ ما هى الروايات القوية التى رجحها على رواية البخارى ؟ .

هى رواية ذكرت فى كتاب المطر لابن أبى الدنيا ، وكتاب المغنى والشرح الكبير ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ !!! ثم ما هى المخالفة بين حديث أنس وما ذكره ؟ أن الاستسقاء له حالات فمرة يكون بالصلاة والخطبة ، ومرة يكون فى خطبة الجمعة أو عقب صلاة مفروضة ، ومرة أخرى يكون بدعاء من غير صلاة ، وحينا كان على المنبر فى المسجد ، وحينا آخر كان خارج المسجد وكلها حالات ثابتة فى السنة الصحيحة (١) وعمر رضى الله عنه مرة استسق بالعباس ، ومرة أخرى اقتصر على الدعاء بطلب السقيا ، ومرة ثالثة اكتفى بالاستغفار ، لأنه مجلبة للغيث وعلى هذا فلا تعارض قط بين الروايات ، ولا سيما والرواية التى رجحها لا حصر فيها ، وكتاب المغنى والشرح الكبير الذى نقل عنه الرواية الثانية ، قال مؤلفاه بعد ذلك بصفحات ما نصه (٢) « ويستحب أن يستسقى بمن ظهر صلاحه لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء فإن عمر رضى الله عنه استسق بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم عام الرمادة » ثم ذكر استسقاء معاوية بيزيد بن الأسود والضحاك بن قيس به أيضا ، وهكذا يتبين لنا أن المؤلف « يدع ما يشاء ويأخذ ما يشاء » بحسب هواه وما يتراءى له كى يصل إلى ما يريد من أن الاستسقاء بالعباس دسيسة من كعب (٣) كى يفسد عقائد المسلمين .

٢ — ثم أى فساد فى العقيدة باستسقاء بالعباس رضى الله عنه ؟ إن المسلمين قاطبة مجمعون على التوسل بالأحياء ولم يقل أحد أن التوسل بالأحياء يفسد العقيدة ، وكيف خفى على المهاجرين والأنصار وفيهم عمر مخالفة الاستسقاء بالعباس للعقيدة حتى وقعوا فيما وقعوا فيه ؟ وكيف خفى على فقهاء الأمة ومحدثيها أن حديث أنس مدسوس فحكموا عليه بالصحة واستدلوا به ؟ إن هذا مما لا يقضى منه العجب !!!؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

(١) انظر شرح النووى على مسلم ج ٦ ص ١٨٨ وزاد المعاد ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) المغنى والشرح الكبير ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) لو أن كعبا كان أحد رواة حديث أنس أو كان أنس معروفا بالأخذ عن أهل الكتاب لجاز عقلا ما ذهب إليه المؤلف أما والحديث لا يمت إلى كعب من قرب أو من بعد فقد انسدت مسالك الاحتمال .

الروحية الحديثة

دعوة هدامة

من أعجب أساليب الهدم فى أيامنا هذه وأخبثها أسلوب يتزى بزى الروحية ، ويظهر بمظهر المحارب للإلحاد والمادية ، ويتخذ ـ بزعم أصحابه ـ أسلوب العلوم التجريبية فى استدعاء أرواح من مات ومناجاتهم واستفتائهم فى مشكلات الغيب ومعضلاته ، والاستعانة بهم فى علاج مرض الأبدان والنفوس ، وفى الإرشاد إلى المجرمين ، وفى الكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل .

وللهدامين أساليب فى الكيد وفى التسلل إلى قلوب الضعفاء وعقولهم تلائم كل عصر . وهذا العصر الذى نعيش فيه هو عصر العلوم التى كشفت تجاريبها فى القرن الأخير عن أعاجيب وأفانين لم تكن تخطر للخيال ، مما دعم سلطانها فى النفوس وأكد توقير الناس لها واحترامهم لكل ما يذهب مذهبها ويصطنع أسلوبها أو يحمل اسمها . وأصبح هذا الأسلوب بابا واسعا يدخل منه ذوو الأهواء والأغراض ، فلبست يد الهدم قفاز العلم واستطاعت من وراء هذا القفاز أن تصافح كثيراً من العقول وأن تتسلل إلى كثير من البيئات والأوساط ، دون أن يداخل الناس شك فى أمرها . فرأينا الدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية تسخر لهدم الدين والخلق وبث الفوضى والانحلال . ورأينا دراسات فى أصول الأجناس تسخر لتدعيم النزعات القومية المتطرفة التى هبت ريحها على العالم فى القرن الأخير من أوروبا وانتشرت فيه كما ينتشر الوباء ، ولا يزال يسرى متنقلا يقتل الأنفس ويجتاح الأرضين حتى بعد أن تتطهر منه الأرض التى نبت فيها وانبعث منها . وهى نزعات تستهدف سيطرة جنس من الناس على سائر خلق الله فى بعض الأحيان ، وترمى إلى بعث الفرقة والشقاق بين المؤتلفين المجتمعين فى أحيان أخرى . ورأينا الدراسات التاريخية تشكل وتلون بحيث تصبح ولا هم لها إلا تقديس زعامات ترد الناس إلى وثنية الجاهلية الأولى، وعبادة قطعة من الأرض قدستها الأطماع ، وحددتها الظروف والصدف تدعى « الوطن » .

وما وطن الإنسان لو قدر نفسه حق قدره إلا فكرة وعقيدة تتمثل فى دين وفى لغة ، لأن تقسيم الناس والتمييز بين أصنافهم وجماعاتهم بحسب الأرضين وبحسب المنافع المادية ينزل بهم إلى مرتبة العجماوات بل إلى منزلة النباتات . ورأينا هذه الدراسات كلها تسير فى ركاب المذاهب والمصالح فى بعض الأحيان ، فتتحول إلى لون من ألوان الدعاية للشيوعية أو اليهودية العالمية أو الرأسمالية أو الاستعباد أو التبشير ، وتشكل فى أحيان أخرى لكى تحقق بعض الخطوات المرسومة فى خطة من خطط هذه المذاهب والمصالح .

وبالجملة أصبحت المعارف الإنسانية فى شتى فروعها موجهة لخدمة المصالح والأهواء . حتى الدراسات الموضوعية الخالصة التى كان يظن أنها أبعد شىء عن عبث العابثين ، لم تسلم من اتخاذها آلة فى يد المغرضين والمفسدين . فرأينا بعض الفروض العلمية أو النتائج الأولى الفجة من ثمار الدراسات الرياضية والتجريبية التى لم تمحصها المراجعة ولم تسبر أغوارها وسائل المعرفة المحدودة المتاحة للبشر ، تتخذ سلاحا لمهاجمة الدين وتشكيك المؤمنين فيما يطمئنون إلى صحته من كتب الله المنزلة على رسله . وبالجملة أصبحت العلوم والمعارف فى شتى نواحيها وميادينها بعيدة عن النزاهة المطلقة التى ترفعها فوق مستوى الشبهات ، وصار واجبا علينا حين ترد علينا قضية من قضايا العلم أن نتريث فى قبولها حتى نستوثق من أن ثياب العلم لا تخفى تحتها باطلا من أباطيل المغرضين .

وليست التجارب والدراسات المقول بأنها روحية إلا واحدة من هذه الدعوات المغرضة التى تخفى سمومها وأباطيلها تحت اسم العلم ، وتعتمد فى خداع المخدوعين بها على ما يتمتع به الأسلوب التجريبى فى دراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية من تقدير واحترام فى هذه الأيام . وقد لقيت هذه المزاعم فوق ما يتوقعه أصحابها من رواج ، حتى تسابقت إلى تتبع أخبارها ونشر دعاواها صحف ومجلات لم تكن من قبل تنشط لشىء يمس الروح أو الحياة الآخرة ، ولم تكن فى يوم من الأيام داعية إلى الدين أو الإيمان بالله ، وكان كثير مما تنشره تلك الصحف والمجلات، فى هذا الباب أدنى إلى الدعاية منه إلى الخبر . فنشرت مجلة (صباح الخير) ـ وهى فيما أعلم ويعلم القراء أبعد شىء عن شئون الروح كلها ـ مقالا فى عددها الصادر فى ٤ سبتمبر عام ١٩٥٨ تحت عنوان : « مدرس بكلية العلوم يشتغل فى تحضير الأرواح » روت فيه عن الدكتور على راضى المدرس بكلية العلوم بجامعة عين شمس كلاما كله خلط

وتخريف وتزييف للحقائق الدينية وتلبيس لها فى أذهان الناس يؤدى إلى زعزعتها واضطراب مفاهيمها . فمن ذلك مثلا قوله إن « عطارد مهبط الأرواح الخاطئة ، تذهب فى أول الأمر لتكفر عن ذنوبها . فجهنم موجودة فى هذا الكوكب » [١] . ومن هذا الخلط والافتراء المضل المفسد مثلا ما رواه الدكتور راضى حين قال : « إن أكبر وسيط عالمى قد حضر إلى القاهرة منذ عدة أشهر . إنه أمريكى لا يزيد عمره عن ٢١ سنة . وتسميه بعض الصحف الأمريكية نبي القرن العشرين لكثرة ما أتى من المعجزات . . . كتبت ورقة لأمى أسألها عن حالها ، وأحضر الوسيط الرد كتابة باللغة العربية رغم أنه لا يعرف منها حرفا » . ويمضى فى سرد هذه الشعوذات حتى يلتى بفريته الكبرى حين يقول : « وأغرب ما حدث فى هذه الجلسة هو ما أعلنته الروح الكبرى (سوزان) ؟ ! . . . وفجأة أعلنت سوزان أن جبريل معنا [٢] . . ولم يعرف أحد من هو جبريل . فضحكت وقالت : ألا تعرفون جبريل الذى كان ينزل بالقرآن على محمد ؟ إنه يبارك هذا الاجتماع » . وأكثر من هذا جرأة وأوغل منه فى التدليس ما روته الصحيفة عقب هذا الخبر من أن الدكتور على راضى قد أبدى أسفه لأنه لم يكن يملك وقتذاك آلة لالتقاط الصور بالأشعة تحت الحمراء لكى يلتقط بها صورة سيدنا جبريل عليه السلام ؟ ! ويختم الدكتور على راضى حديثه ـ أو تختمه له المجلة بالدعاية لجمعيته الروحية الجديدة التى سماها (جمعية الأهرام الروحية) والتى تم تسجيلها فيما روت الصحيفة وقتذاك منذ أسابيع . وقد اختير هو رئيساً لها ، واختير حسن عبد الوهاب مدير السكرتارية والمحفوظات بوزارة الشئون البلدية والقروية سكرتيراً لها . وضمت إليها عدداً كبيراً من المثقفين فيما يروى رئيسها بين مهندس وطبيب وقاض وسفير ووزير سابق . وأحب أن ألفت النظر هنا إلى أن تسمية هذه الجمعية الروحية باسم (جمعية الأهرام) ليس إلا مظهراً من مظاهر العصبية الفرعونية التى تبشر بها هذه الجمعية . وهى تدعو كل ذى بصيرة إلى الاسترابة فى مصدرها وفى أهدافها . ثم إنا نتساءل إن كانت هذه العصبية الفرعونية لا تتعارض مع ما تتظاهر به الروحية من

---

[١] أحب أن ألفت النظر إلى اختلاف ما يروى عن الدوائر المختلفة المشتغلة بالروحية وتناقضه . فالزعم مثلا بأن عطارد هو جهنم ليس متفقاً عليه بينهم . فهو مجرد رواية ، كالذى يحدث فى الدراسات النفسية تماما ، مجرد فروض غير متفق عليها . بيد أن الأمر فيما يتعلق بالدراسات الروحية أخطر وأوغل فى الخداع والتمويه وأكثر جرأة فى الاختلاق .

[٢] عليه وعلى ملائكة الله ورسله السلام . ولعنة الله على الكاذبين .

الدعوة إلى التسامح وإلى العالمية التي لا تفرق بين دين ودين أو بين جنس وجنس على ما يزعم المضللون الذين اخترعوا هذه الأوهام ولفقوها ثم صدروها إلى بلادنا فوجدت رواجا بين كثير من السذج والغافلين حين لم يقبل عليها في بلاد أخرى إلا النساء والعوانس منهن خاصة ، كما يروى الدكتور راضى نفسه في وصف جمعية مارلبورن الروحية بانجلترا [١] . ثم إنا نتساءل هل الفرعونية الوثنية الملعونة في كتب اليهود ثم النصارى ثم المسلمين تستحق التمجيد عند من يزن الأعمال بميزان روحى تتضاءل أمامه الأهرام والمعابد والمسلات وكل ما خلفه الغرور الكافر من آثار ؟ .

ولم يكن هذا الذى نشرته تلك المجلة إلا مثالا مما تسابق صحف ومجلات أخرى إلى نشره ، مثل ما نشرته (آخر ساعة) عن مزاعم إحدى خريجات معهد الآثار التي تستعين بالأرواح في الكشف عن مواضع الآثار الفرعونية ، ومثل ما تنشره الصحف والمجلات المختلفة بين حين وآخر من أنباء البيوت المسكونة ، وفتاوى الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير وغيره من منتحلى الروحية فيها ، ومثل مانشره صاحب « ما قل ودل » في عددى ١٦/١٠/٥٨ و ٢٤/١٠/١٩٥٨ من صحيفة الأهرام ، مما انساق فيه وراء مزاعم أحد دعاة الروحية الأمريكيين عن الحياة الأخرى ، وهو مبنى على عقيدة التناسخ البوذية ، ومثل ماتجده في مجلة المصور (العدد ١٧٦٩ - ٢١ صفر ١٣٧٨ هـ / ٥ سبتمبر ١٩٥٨ م) تحت عنوان (نريد تفسيراً لهذه الظاهرة ـ مار جرجس يذبح الأرواح الشريرة ـ تحقيق صحفى بقلم فوميل لبيب) وهو مقال ملىء بالخرافات والأوهام التي تعيش بين رواد حفلات الزار مما زعم الكاتب أنه يحدث في كنيسة مار جرجس في قرية ميت دمسيس في عيد صاحبها السنوى الذى يبدأ في ٢٢ أغسطس من كل عام ويستمر أسبوعا كاملا ، ومثل ما نشرته هذه الصحيفة نفسها في عدد آخر تال (العدد ١٧٧٦ - ١١ ربيع الثانى ١٣٧٨هـ / ٢٤ أكتوبر ١٩٥٨ ص ٤٩) تحت عنوان (بديعة وروح شوقى) حيث روت قصة زعمت فيها راويتها المدعوة بديعة حرم الدكتور سلامة ميخائيل أن روح شوقى تملى عليها شعراً من نظمه ، بعد أن قال لها فيما تدعى : « إنى مشفق على مصير الشعر العربى اليوم . لذلك أود أن أغذيه من العالم الذى

---

[١] راجع العدد ١٢٠ من مجلة « عالم الروح » التي يصدرها الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير نقلا عن كتاب « مشاهداتى في جمعية لندن الروحية » للدكتور راضى .

أعيش فيه » . وعرضت نموذجا سخيفا تافها من هذا الشعر قالت إن عندها من أمثاله ثلاثة آلاف بيت قررت أن تطبعها فى ديوان .

وروت الصحيفة بعد ذلك أنها عرضت الأمر على (الدكتور على عبد الجليل راضى رئيس جمعية الأهرام الروحية الأستاذ بكلية العلوم) فصحبهم إلى زيارة السيدة بديعة ثم قرر أن الظاهرة صحيحة وسليمة . والعجب لصحيفة تحتاج لأن تستفتى مثل الدكتور على عبد الجليل راضى وعندها مثل الأستاذ صالح جودت وهو شاعر ذواقة محب لشوقى خبير بشعره لا يخفى عليه سخف هذا الشعر المزيف وغثاثته التى تدل على جهالة مزيفة منذ النظرة الأولى . وأحب أن أنبه القارئ إلى أن لهذه السيدة شعراً كثيراً جداً موزعا بين أعداد السنوات الثلاث الأخيرة من مجلة (عالم الروح) التى يصدرها الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير .

وهو شعر ركيك العبارة تافه المعنى لا تصح نسبته لأقل الناس حظا من الموهبة الشعرية ويكفى للكشف عن حقيقته أن يعرف القارئ أنه كان يدور حـــول تمجيد الفرعونية والفراعنة وتملقهم ، ثم تحول أخيراً إلى الاهتمام بالشئون العربية ، فظهر فى العدد ١٢٦ الصادر فى إبريل ١٩٥٨ قصيدة على لسان شوقى - المظلوم حيا وميتا رحمه الله - تحت عنوان (بين جميلة وأم خالد وأمل) تدور حول تمجيد جميلة الجزائرية ، وتنتهز فرصة الجفوة التى وقعت بين مصر والسعودية وقتذاك لتوسيع الخرق بالتنديد بأم خالد السعودية والشماتة بفسخ خطبة (أمل) السورية إلى ابنها (خالد) .

وأنا أترك للقارئ أن يتدبر ويقرر إن كان صاحب هذا الشعر محبا للعرب حريصا على جمع شملهم ورأب صدعهم أم أنه كائد لهم إذا رأى ناراً أوسعها حطبا بدل أن يطفئها بالماء . ولعل مجلة (المصور) قد حرفت الاسم الصحيح حين روته (سلامة ميخائيل) فمجلة (عالم الروح) تذكر هذه الوسيطة المزعومة دائما على أنها (حرم الدكتور سلامة روفائيل) . وهناك وسيط آخر للكتابة التلقائية أشار إليه الأستاذ أبو الخير فى مقدمة ترجمته لكتاب (ظواهر حجرة تحضير الأرواح - ص ٥٧) اسمه وديع ميخائيل .

ومن المفيد فى هذه المناسبة أن يعرف القارئ أن رئيس الجمعية المصرية للبحوث الروحية التى يتولى أمانتها العامة الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير كان هو الأستاذ وهيب دوس

المحامى . وقد نعته مجلة (عالم الروح) إلى قرائها فى عددها (١٣١) الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ .

ومن المفيد أيضاً أن يعرف أن من أعضائها الشاعر اللبنانى (حليم دموس) الملقب عند المجلة الروحية بشاعر الروح . وقد نشر له فيها سلسلة مقالات فى تمجيد دجال مشهور اسمه داهش كانت السلطات اللبنانية قد طردته سنة ١٩٤٤ ، أحاطه فيها بهالة من التقديس ترفعه إلى مرتبة النبوة ، وقد جعل كل مقالاته تحت عنوان (الرسالة الداهشية) .

ومن المفيد كذلك أن يعرف أن الدكتور صابر جبرة كبير صيادلة القصر العينى كان عضواً فى مجلس إدارة هذه الجمعية ، وكان فى الوقت نفسه أحد وسطائها . وقد نعته مجلتها (عالم الروح) فى العدد (١٢٢) الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ . والدكتور صابر جبرة هو أخو الأثرى الفرعونى المعروف الدكتور سامى جبرة الذى تردد اسمه منذ سنتين فى قضية سرقة الآثار التى قدم المتهم الأول فيها ـ وهو أمريكى ـ للمحاكمة . وللدكتور صابر جبرة مقالات كثيرة فى مجلة (عالم الروح) يتسم أكثرها بطابع فرعونى . ولمن شاء أن يتحقق من صدق نيته فيما كتبه عن الفرعونية وفيما كان يضفيه على نفسه وعلى أقواله من سمات الروحية التى تدعو إلى نبذ التعصب للأديان ، أن يرجع إلى مقال له عن (نصيب القبط فى تقدم العلوم) ص ٩٥ ـ ١٠٢ فى كتاب « صفحة من تاريخ القبط » ، وهو الرسالة الخامسة من مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية .

والواقع أن صانعى الروحية الحديثة ومروجيها لهم منطق خلاب جذاب فى تدعيم دعاواهم ولفت الأنظار إليها وجمع الأنصار والأصدقاء حولها . فهم يدعمون دعاواهم بنصوص مما جاء فى الكتب السماوية من المتشابه الذى يجازفون بتأويله حسب أهوائهم ، ومن الواضح الصريح الدلالة الذى يحرفونه عن مواضعه بعد أن يبتروه من سياقه ويقطعوه عن مناسبته ويخرجوا ألفاظه عن مدلولها جاهلين أو مدلسين . وهم يدعمون هذه الدعاوى أيضاً بنصوص من المأثور فى التاريخ عن السابقين الأولين من المجاهدين والحواريين والصالحين بعد أن يخضعوه لمفاهيمهم ويقيسوه إلى أشباه له مما ينسبونه لوسطائهم ، مما جرت نظائره ولا تزال تجرى على أيدى المشتغلين بالشعوذة والطلاسم . ولهم براعة فائقة فى تدعيم ذلك كله بالعلم التجريبى الحديث وربطه بقواعده وأصوله ، والاستعانة على ذلك

بأجهزة وآلات يضفى على أوكارهم ثوب الجد والوقار الذى ينبغى للبحث العلمى المنزه عن الأغراض والمحاط بالضمانات التى تدفع شبهة الغش والخداع . لذلك لم يكن عجيباً أن تجتذب دعاواهم كثيراً من الأسماء الضخمة الرنانة فى الشرق وفى الغرب . ولقد خدع بهم الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله فأوسع تفسيره نقلا عن مزاعمهم ودعاواهم مما أدخل الضعف والفساد على كتابه ذاك فى كثير من المواضع .

ولقد تسربت سمومها إلى هذه المجلة (مجلة الأزهر) فى الفترة التى رأس فيها تحريرها الأستاذ فريد وجدى . وإن عدواها لتسرى الآن فى (مجلة الإسلام والتصوف) ، فقد وقع فى يدى منذ أيام عددها السابع الصادر فى جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ فوجدته محشواً بضلالاتها الفاسدة المفسدة ، ولا سيما فى مقال إبراهيم الكواز عن « الوساطة الروحية والرسالة - ص ٣٥ - ٢٧ » . بل لقد خدعت أنا نفسى بدعاواهم ومزاعمهم منذ عشرين عاما ، وكنت وقتذاك فى غرارة الشباب حديث التخرج من الجامعة ، وسأبين ذلك بمقال آخر فى الجزء الآتى إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين

الأباطيل المدسوسة على السلف

قال قاضى قضاة الأندلس أبو بكر بن العربى وهو من أئمة المالكية : « الناس إذا لم يجدوا عيباً لأحد وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له ، أحدثوا عيوبا . فاقبلوا النصيحة ، ولا تلتفتوا إلا إلى ماصح من الأخبار . واجتنبوا أهل التواريخ فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة يسيرة ، ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل ، فيقذفوا فى قلوب الناس مالا يرضاه الله ، وليحتقروا السلف ، ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضى الله عن جميعهم .

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هـــذه الهتوك التى يختلقها أهل التواريخ فيدسونها فى قلوب الضعفاء .

عودة إلى بيان إمكان

توحيد بدء الشهر الشرعي

في جميع الحكومات الإسلامية شرعياً وفلكياً

أجملت الكلام سابقا على هذا الموضوع في بنود عشرة قد نشرت في الجزء الثالث لسنة ١٣٧٧ هـ من مجلة الأزهر وقد تبين لي بعد مناقشة بعض الأساتذة وورود كثير من الأسئلة أنه لابد من ذكر فقرات لشرح هذه البنود وإيضاح أدلتها الشرعية والفلكية وقد فصلتها في (١٢ فقرة) .

قلت في البند الأول : « ثبت بعد البحث والتحري أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من ثبوت الشهر الشرعي في أي حكومة إسلامية إذا نقل إليها بالإذاعة اللاسلكية الرسمية خبر ثبوته شرعا في حكومة إسلامية أخرى ، ولو كان بينهما اختلاف مطالع مع بقاء وحدة التاريخ واسم اليوم الأسبوعي » انتهى .

وقد أضفت إلى هذا البند فقرتين لشرحه :

حاصل الأولى : لما كان الغرض من هذا البند سلوك طريق متفق عليه من أئمة الفقه تجنبا لاختلافهم في نقل الشهادة بنفس الرؤية لإثبات الشهر في المطالع المختلفة ووجدت أن الطريق الأنسب بل المتعين هو نقل حكم القضاء الشرعي الصريح أو الضمني من مطلع إلى آخر ولو كانا مختلفين باتفاق أئمة الفقه وسيأتي بيانه في فقرة (٢) .

ومعناه بعبارة أخرى : « يجوز لسائر الحكومات الإسلامية في مطالع مختلفة أن تنفذ حكم القضاء الشرعي الصادر صراحة أو ضمنا في إحداها بثبوت الشهر إذا بلغ إليها بطريق مقطوع بصدقه كاللاسلكي الرسمي » .

وأصله : « يجوز شرعا لأي قاض شرعي في أي مطلع أن ينفذ حكم قاض شرعي آخر في مطلع آخر إذا وصل إليه خبره بطريق قطعي » ، وحينئذ يجب شرعا على جميع المسلمين في هذه المطالع المختلفة أن يعملوا بمقتضى أمر قاضيهم هذا من صيام أو إفطار أو غيرهما

عند إعلانه إليهم مع بيان وحدة التاريخ واسم اليوم الأسبوعى وعلى من لم يعلن إليهم هذا الأمر قبل الفجر أن يمسكوا ويقضوا يوما بعد مضى هذا الشهر .

وأما الفقرة الثانية فحاصلها : لا كلام فى أن مطالع الشمس والقمر تختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة وتتعدد بتعددها وأن هذه نظرية مبرهنة فى علم الفلك ومعروفة لدى الشرعيين من العهد الأول فى الإسلام .

ولا كلام فى أن « اختلاف مطالع الشمس معتبر شرعا بمعنى أن الأحكام الشرعية المتعلقة بمطالع الشمس تختلف باختلافها وتتعدد بتعدد أمكنتها وأزمنتها . وأن هذا أمر واقعى ومعمول بمقتضاه من عهد النبوة ولم يعهد فيه أى خلاف إلى الآن . . .

وإنما الكلام فى أن « اختلاف مطالع القمر » هل هـــو معتبر شرعا كمطالع الشمس أولا ؟ .

بمعنى أن الأحكام الشرعية المتعلقة بمطالع القمر هل تختلف باختلافها وتتعدد بتعدد أمكنتها وأزمنتها أولا ؟ .

وهذه مسألة فقهية تم بحثها بين أئمة الفقه فى أول عصور الإسلام بعد اتساع آفاقه وتعدد أقطاره إذ قال البعض باعتباره شرعا ، وقال البعض بعدم اعتباره ، ولكل وجهة . والقول بعدم اعتباره هو الراجح المعتمد عند الحنفية والصحيح عند الحنابلة .

ولما كان القول باعتبار اختلاف مطالع القمر شرعا ينحصر فى نقل شهادة الرؤية من مطلع إلى آخر دون « نقل حكم القضاء الشرعى بثبوت الشهر » إذ استثناه الشافعية والمالكية من هذا الاعتبار ، فقد قال العلامة « ابن حجر الهيثمى » الشافعى : إن اختلاف مطالع القمر معتبر شرعا عند الإمام الشافعى ، ما لم يحكم بوجوب الصيام حاكم يراه ، فإنه يلزم الجميع العمل بموجب ذلك الحكم ... انتهى .

وفى المختصر وشرحه للشيخ عبد الباقى المالكى : وعم الخطاب بالصوم سائر البلاد إن نقل ثبوته عند أهل بلد بعدلين وبالرؤية المستفيضة عنهما أى عن الحكم برؤية العدلين ، أو عن رؤية مستفيضة ... انتهى .

لما كان كذلك ، أعنى أن نقل الشهادة والحكم عند الحنفية والحنابلة ، وأن نقل الحكم عند الشافعية والمالكية لا يؤثر عليه اختلاف مطالع القمر ، اخترت أن تكون عملية توحيد إثبات الشهر إنما تكون بين الحكومات كمنطوق البند الأول ، ويكون موضوع المسئلة الفقهية البعيدة عن النزاع هكذا . . .

« حكم القضاء الشرعى ببدء الشهر صراحة أو ضمنا هل يختص بمطلع بلد هذا القضاء عند اختلاف مطالع القمر أو لا » ؟ ...

وقد تبينا إجماع الكل كما تقدم على أنه لا يجب اختصاص حكم القاضى الشرعى بمطلع بلده ، بل لقاضى المطلع الآخر أن ينفذ حكم قاضى المطلع الأول إذا نقل إليه بطريق مقطوع بصدقه ، ومتى أعلن القاضى الثانى أمره بالتنفيذ وجب على جميع المسلمين فى أفقه العمل بمقتضاه من صيام أو غيره ...

وأما توضيح البند الثانى فلكياً وشرعياً ففى فقرة واحدة حاصلها :

أعنى بمضمون هذا البند أن كل دول العالم قد اتفقت مدنياً على جعل « المبدأ الدورانى لليوم المدنى » عند خط الطول المقابل لجرينتش المار بالمحيط الهادى شرق آسيا المسمى : « خط تغيير التاريخ » بمعنى أنه إذا كان اليوم والتاريخ فى أمريكا شرق هذا الخط (الأحد ٢٢ مايو) مثلا يكون فى شرق آسيا غرب هذا الخط (الاثنين ٢٣ مايو) .

وليس فى الشريعة الإسلامية أى مانع من أن تتفق الحكومات الإسلامية أيضا على اعتبار « المبدأ الدورانى لليوم الشرعى عند هذا الخط » إذ أن الشارع إنما ترك تحديد هذا المبدأ لليوم الشرعى فى مبدأ الإسلام لاختيار المسلمين حسب ظروفهم بعد اتساع آفاقهم .

على أن هذا المبدأ الدورانى لليوم الشرعى منفذ بالفعل فى الجداول الفلكية والنتائج السنوية وغيرها ، إذ أن محرريها يعتبرون اليوم الشرعى سابقا على المدنى بربع يوم دائما فى المبدأ الزمانى ويلزمه المساواة بين اليومين المدنى والشرعى فى المبدأ المكانى الدورانى . . .

بحيث إذا تصورنا دوران نصف الليل الذى هو المبدأ الزمانى لليوم المدنى من خط تغيير التاريخ نحو الغرب منه أعنى إلى آسيا ثم إفريقيا وأوربا والأطلانطى ثم أمريكا وهكذا فكذلك نتصور دوران المغرب الذى هو المبدأ الزمانى لليوم الشرعى من هذا الخط على هذا الترتيب وكل بلد يمران به يتجدد فيه اسم اليوم والتاريخ مدنيا وشرعيا ...

ومن حيث إنه إذا مر « نصف الليل » على القاهرة مثلا ثم تركها نحو الغرب ساعة واحدة صح لنا أن نقول إن الساعة عندنا أى فى « القاهرة » الواحدة صباحا أى بعد نصف ليلنا من يوم (الاثنين ٢٣ مايو) بعد أن كان قبل هذه الساعة (الأحد ٢٢ مايو) بينما تكون الساعة لا زالت فى لندن (١١) من مساء الأحد (٢٢ مايو) وهكذا يمر نصف الليل بالبلد الشرقى قبل الغربى وبمروره يتجدد اسم اليوم والتاريخ من الشرق إلى الغرب بلدا بلدا على هذا الترتيب ...

فكذلك إذا مر (المغرب) بالقاهرة ثم تركها بساعة واحدة قلنا : إن الساعة عندنا الواحدة بعد المغرب من (يوم الاثنين ٣ رمضان) مثلا بالتوقيت والتاريخ العربى (الإسلامى) أو الساعة ٧ مساء من يوم (الأحد ٢٢ مايو) بالتوقيت والتاريخ المدنى (الإفرنكى) وهكذا ...

وبذلك يتبين أن عمل جميع الحكومات الإسلامية بل كل المسلمين فى بقاع الأرض برؤية أى بلد وحكم قضائها بثبوت الشهر ولو كانت أبعد الحكومات إلى الغرب كمراكش مثلا لا يلزم عليه أى خلاف أو تغيير فى التاريخ أو فى اسم اليوم الأسبوعى خلافا لما فهم البعض ..

وأما شرح البند الثالث ففى فقرة واحدة أيضا حاصلها :

أريد بهذا البند أن « الإعلام » بوجوب صيام هذا اليوم (السبت ٢٣ مايو مثلا) بعد أن مضى منه تسع ساعات بعد المغرب لا يقدح فى تسميته ولا فى تاريخه (٢٣ مايو) أو (٣ رمضان) ولا يلزم عليه أى مانع أو محرج فى صيامه أو فطره أو تعييده أو جعله أول شهر رمضان أو شوال أو ذى الحجة مثلا ، وليس هناك أى داع مدنى أو شرعى إلى نزع هذه الاعتبارات عن أى مكان فى هذه الدورة اليومية وإرجاء هذه الاعتبارات إلى الدورة التى بعدها فى هذا المكان مما يلزمه من المخالفات الاجتماعية مدنيا ودينيا وإحداث البلبلة والفوضى والاضطراب بين المسلمين فى أمور دينهم ودنياهم هنا وهناك ...

أقول هذا بعد أن رفع الحرج بإنشاء الإذاعة اللاسلكية . وعبرت الطائرات القارات والمحيطات واتصلت جميع أجزاء سطح الأرض بأنواع المواصلات . أعنى أن أساس إمكان

هـذا التوحيد فى زمننا هذا إنمـا هو آية اللاسلكى . ومن يدرى أن آية (التلفزيون) بعد إتقانها وتعميمها سيرى بها أهل القاهرة بل أهل أندونيسيا شخص الهلال وهو أفق مراكش بعد غروب الشمس هنالك وبذا يرتفع خلاف الفقهاء أيضا فى نقل نفس الرؤية : « سنريهم آياتنا فى الآفاق » صدق الله العظيم .

وأما شرح البند الرابع ففيه (٣ فقرات) حاصل الأولى :

أريد : « بنص الشارع » ظاهر اللفظ فى حديث (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا) إلخ وأما القـول بأن لفـظ الحـديث لا يفيد الحصر فى « الرؤية والإكمال» أو أن الحساب مراد فى رواية (فاقدروا) فلا يزحزحنا عن التمسك بهذا الظاهر ما دام لم يصح إسناد الثانى ولا دليل على الأول . . .

ولا غرابة فى أن نتمسك بهذا الظاهر إذ أنه رأى الجمهور . وبيانه أن من يستوعب كلام المحققين من علماء الفقه وشراح الحديث يجدهم لايخرجون فى تفسير « النصوص الشرعية » فى هذا الموضوع عن معنيين اثنين :

أولهما : حصر مناط إثبات الشهر فى « الرؤية والإكمال » كما قدمنا وقائله جمهور السلف والخلف فى الحجاز والعراق والشام ومصر وبلاد المغرب ومنهم الأئمة مالك وأبو حنيفة والشافعى والأوزاعى والثورى رضى الله عنهم ، وسندهم فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : « فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين » . وفى رواية : « فأكملوا العدة ثلاثين يوما » قالوا وهـذا تفسير لإجمال قوله صلى الله عليه وسلم : « فاقدروا له » من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وحمل المجمل على المفسر من قواعد الأصوليين التى لا خـلاف فيها إذ لا تعارض بين المجمل والمفصل عندهم ، قالوا : ولا يجوز أن يكون المراد « حساب الفلكيين » لأن الناس لو كلفوا به لضاق عليهم إذ لا يعرفه إلا أفراد ، والشرع إنمـا يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم ...

« وحاصل المعنى الثانى » عدم حصر المناط فى « الرؤية والإكمال » وفيه رأيان ، فأصحاب الرأى الأول يقولون : إن معنى التقدير فى قوله صلى الله عليه وسلم (فاقدروا له) التضييق والتنقيص إلى (٢٩ يوما) فى حالة الغيم وشبهه كقوله تعـالى : « ومن قدر عليه رزقـه »

أى ضيق ويكون المعنى قدروا الهلال تحت السحاب فيبق الشهر القديم ضيقاً ناقصا (٢٩ يوما) وتكون ليلة الغيم أول الشهر الجديد على عكس معنى قوله (فأكملوا) وقائله الإمام أحمد ابن حنبل وتبعه قوم إلا أن منهم من تأول (التقدير) بمعنى قدروا له زمانا يطلع فى مثله الهلال، أو يكون معناه فاعلموا من جهة الحكم أنه تحت الغيم كقوله تعالى: «إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين» أى علمناها . . .

«وحاصل الرأى الثانى» أن معنى التقدير فى الحديث: قدروه بالحساب والمنازل كقوله تعالى: «وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب» قاله مطرف بن عبد الله من التابعين وابن قتيبة من المحدثين وابن شريح من الشافعية وطائفة من المتأخرين. وتمام الكلام فى مقال آخر إن شاء الله ؟

محمد أبو العلا البنا
أستاذ الفلك بكلية الشريعة

تدريس الطب بالعربية

طالب الدكتور بشير العظمة وزير الصحة المركزى فى الإقليم الجنوبى بتدريس الطب باللغة العربية فى الجامعات المصرية الأربع، وقرر أن الإقليم الشمالى نجح فى عشرات السنين الماضية بتعليم الطب بالعربية .

وقال الدكتور أحمد عمار عميد كلية طب الدمرداش إنه يؤيد وزير الصحة المركزى فى هذا الطلب .

إلى الروحيـــــــة

غريب فى هذا العصر وفى هذا المصر أن يكتب كاتب ليدعو الناس إلى الاقتصاد فى فى العمل ، والإجمال فى الطلب ، والتخفيف من السعى للحياة ، والإقبال على الدين وما فيه من غذاء للنفوس والأرواح .

نعم ، دعوة غريبة فى وقت تجاوبت أصداء الخطباء على المنابر فى الندوات والجمعيات ، وتظاهرت أقلام الكتاب فى الصحف والمجلات ، تستنهض أبناء الوطن إلى العمل ، وتستحثهم إلى المجد والسعى ليواجهوا مطالب الحياة ، ويرتفعوا بمستواهم الاجتماعى ، ويعيشوا فى أوطانهم سادة قادة لا مجال بينهم لطامع ولا مستغل ولا غاصب .

لقد أثمرت الدعوات إلى العمل ثمراتها فى مصر وفى غيرها من أنحاء العالم ، فعمل الناس وعملوا ونافسوا الآلات فى جدها ونشاطها ، واستطاعوا أن يتجروا وينتجوا ، وأن يقتصدوا ويجمعوا ، واستطاعوا بنشاطهم العلمى والاقتصادى أن ينشئوا حضارة باهرة بارعة ، شملت البر والبحر والجو ، وتدخلت فى شئون حياتهم العامة والخاصة ، فى المنازل والشوارع والحقول والمصانع ، ولكن ذلك لم يملأ نفوسهم بالبهجة والغبطة ، ولم يحقق أمانيهم فى المتعة والرضا واستثمار اللذة ، واستولى على مشاعرهم القلق والخوف ، واليأس والقنوط ، وسارت حالهم عكسيا مع الحضارة والعمران ؛ فكلما تقدمت الحضارة ازداد السخط والتبرم بالحياة ، وازداد حنينهم إلى السكون والراحة النفسية ، ينشدونها فى الأشربة والملاهى ، وفى السياحة والرياضة ولا يحلون من ذلك بطائل .

وأكثر الجماعات قلقا وانزعاجا أرقاها ، وأشد أفرادها فى ذلك أغناها ، وكثير ممن يقتلن أنفسهن منتحرات هن ممثلات السينما اللواتى واتاهن الحظ المادى ، وتوافر لهن الترف الحسى . وكن محاط الأنظار فى الأمصار ، ومنهن من هرب من هذا القلق إلى الأديرة والمعابد ينشدن الهدوء النفسى والاستقرار الروحى الذى فشلت الحياة المادية بمالها وجاهها ورفاهيتها ونعائها فى أن تحققه لهن .

لا شك أن أكثر مجتمعات العالم يسودها القلق والسخط ، وأنها تعانى منه آلاما وأمراضاً نفسية ، وأن هناك إحساسا بذلك ، وأن ذلك الإحساس أخذ يشتد ويقوى حتى لفت أنظار العلماء فى المجتمعات الأوربية والأمريكية ، وأخذوا يتدارسون العلل والأسباب

ويفكرون فى الأدوية والعلاجات ، وأن فى هذه الدراسات ما ينبغى أن يكون موضع نظر لكثير من كتابنا والقائمين على دعوات الإصلاح فينا وربما دعاهم النظر إلى العدول عن كثير من مناهجهم فى دعوات الإصلاح ، وإن من حسن الحظ أن أتاحت الفرص الحاضرة لبعض كتابنا المنصفين أن يطوفوا بالعالم ويدرسوا بعض مظاهر الحياة فى شعوبه ومجتمعاته، وأن ينقلوا إلينا صورا من تلك الحياة التى تحياها وتعيش فيها مجتمعات العالم المتحضر الذى يروق لكتابنا أن يجعلوه القدوة والمنهج الصالح لحياة الشعوب والجماعات ، كما أن من حسن الحظ أن مجتمعاتنا لم تصل إلى الغاية التى وصلت إليها المجتمعات الغربية من القلق النفسى لعوامل كثيرة يطول شرحها، وأهمها سيطرة الروح الدينية على كثير من أفرادها، والحرص على تقاليدنا الشرقية الفاضلة ، فعلاجها أيسر من علاج المجتمعات الغربية .

إن مما ذكره الكتاب من أسباب الفساد فى المجتمعات الغربية التى تكشفت عنها الدراسة ما يأتى :

١ — إقفار النفوس من الوازع الدينى وإهمال التعاليم الدينية .

٢ — الحرية المطلقة التى منحت للمرأة وتحررها من سلطان الرجل ، واندفاعها العاطفى نحو ما تشتهى وما تحب .

٣ — اشتراكها الكامل مع الرجل فى التعليم والعمل وفى الحياة العامة .

٤ — تهافت الشباب على الملاهى وعلى الأفلام السينمائية التى تعالج مسائل الجنس وتعتمد على إثارة الغرائز الجنسية .

٥ — تهالك الناس على المال تهالكا لا يبالون فى طريقه بالمشروع من الوسائل وغير المشروع .

هذه بعض الأسباب التى وصل إليها علماء الغرب فى دراستهم لفساد المجتمعات الغربية وإنها لأسباب وجيهة وحقيقية ، وطالما رددناها فى كتابتنا كما رددها غيرنا ، وكانت تقابل بهز الأكتاف وإنغاض الرءوس .

لقد قلنا : إن امتلاء النفوس بالإيمان وبالوازع الدينى هو صمام الأمن فيها ، وهو الرقيب المسيطر على سلوكها وتصرفاتها ، يعصمها من الزلل ، وينير لها طريقها فى الحياة ، ويقدرها على التمييز بين المشروع وغير المشروع من الأعمال والعلاقات . وإن الدين دستور الحياة

الشريفة الراقية ، والأخلاق الواقية العاصمة . وقلنا : إن إلقاء الحبل على الغارب للمرأة طريق مخوف لا تؤمن عاقبته ، ولا تحمد مغبته . وإقحامها فى الأعمال كلها بلا تمييز بين ما يناسبها وما لا يناسبها خطر على الأسرة وعلى الأطفال وعلى المجتمع . وقلنا : إن الفوضى فى عرض الأفلام السينمائية وخصوصاً ما يعالج منها مسائل الجنس والحب والجرائم ، مفسدة لشبابنا ومجتمعاتنا ويعرضهم للمحاكاة والتقليد .

ومجمل العلاج فى نظرهم : إحياء الدعوة إلى الروحية ، أى العودة إلى الدين وإيقاظ النفوس لتقبل تعاليمه ، ومحاولة بثها بين الشباب فى المعاهد والمعابد ، وفى الصحف والمجلات ، حتى يستيقظ وعيهم الدينى ويكون له السيطرة على تصرفاتهم وسلوكهم ، والدعوة إلى عودة المرأة إلى مكانها الطبيعى فى بناء الأسرة ، وتدبير شئون المنزل ورعاية الأطفال رعاية صالحة ، فقد كان انصرافها عن المنزل إلى العمل عاملا من عوامل سوء التربية فى الأجيال التى نشأت فى ظل هذا النظام ، والدعوة إلى رقابة الأفلام السينمائية رقابة حازمة وحظر عرض ما يتناول مسائل الحب والجنس والجرائم البوليسية حتى لا تفسد وجدانات الشباب وسلوكهم بالتقليد والمحاكاة ، وإلهاب غرائزهم وعواطفهم دون أن يكون لهم القدرة على ضبطها وكبح جماحها .

هذا إجمال سريع لصور الحياة فى المجتمعات الغربية وما تعانيه من فساد ، وهذه دراسة علمائه فى أسباب ذلك وفى علاجه ، ومن العجيب أن هناك تشابهاً قوياً بين ما يشكونه وما شكوناه ، وبين ما يكتبونه وبين ما كتبناه ، وقد خوصمنا فى ذلك وهوجمنا واتهمنا بالجمود والرجعية ، ورأينا أن نترك هؤلاء المخاصمين للزمن يتولى إقناعهم ، وللتجربة تكشف أخطاءهم ، وهؤلاء هم علماء الغرب يتولون عن دراسة وتجربة ما قلناه ، ويلتقون معنا فى تشخيص العلل والأدواء . فهل يلتقى معنا بعض الكتاب الذين يهزءون بالروحية والعمل القاصد ، ويدعون إلى حرية المرأة حرية مطلقة دون سدود أو قيود . ويناصرون الأفلام الماجنة بدعوى الاستنارة والتثقيف ؟

نرجو ذلك . لنكون وإياهم قوة دافعة نافعة تصلح من شأن المجتمع وتدفع عنه ما يتهدده من الأخطار التى يعانيها غيرنا ويألم لآثارها ، ويسعى جاهداً لعلاجها ، إن الأمل فى ذلك كبير ، فقد قال الغرب كلمته ، وإذا قال الغرب فليسمع أولئك الكتاب وليسمع الزمن .

أبو الوفا المراغى

مختارات من الفتوى

رأت إدارة مجلة الأزهر أن تنشر من وقت لآخر بعض الفتاوى التى تصدرها لجنة الفتوى بالأزهر مما تكون الظروف داعية إلى نشره حسبما تسمح به إمكانيات المجلة .

بسم الله الرحمن الرحيم :

حكم الإجهاض

السؤال - من السيد / أستاذ قسم الطب الشرعى بجامعة القاهرة :

ما رأى الشريعة الغراء فى مسألة إجهاض المرأة الحامل ومتى يكون مباحا ومتى لا يباح . وهل يجوز إسقاط من حملت اغتصاباً ؟ ومن حملت سفاحاً ؟ ومن حملت من محرم ؟ ومن كثر ولدها ؟ وهل يجوز الإجهاض بقصد علاج أو مرض ناشئ عن الحمل ولو كان مرضاً نفسياً كحالة الحمل السفاح مثلا ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فنفيد بأن بعض المذاهب الفقهية يمنع الإجهاض مطلقاً (سواء أكان الجنين حياً فى الرحم أم لم تنفخ فيه الروح) لأن المادة مادة حية، وإزالها وأد لجنين وهو ممنوع شرعا، وذهب باقى الأئمة إلى جواز إسقاط الحمل ما دام لم تنفخ فيه الروح ، والزمن الذى يكون فيه الجنين غير ذى روح معروف للأطباء المختصين، وقد قدره الشرعيون بما دون أربعة أشهر . وعلى هذا القول لا يجوز الإجهاض إلا لضرورة معتبرة شرعا ، كما إذا كان بقاء الحمل مضراً ضرراً بليغاً بصحة الحامل أو مفضياً إلى موتها إذا ثقل حملها أو وضعت ، وفى غير حالات الضرورة لا يباح الإسقاط ، والضرورات تقدر بقدرها ، وليست محصورة فى عدد ، وإنما المناط فيها أن تكون ضرورة فى نظر الشارع .

والجنين فى نظر الشارع محترم يحافظ عليه ولو كان من زنا بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقم الحد على من زنت وكانت حاملا حتى وضعت . وفى رواية حتى مضى زمن بعد الوضع ترعى فيه الجنين ، فلا يكون بمجرد كونه من الزنا موجباً لإسقاطه . والله أعلم .

حسنين محمد مخلوف

رئيس لجنة الفتوى

الدين ... والانسان على الأرض

« السعادة : أنتركها وديعة بين يدى العالم الآخر ؟ . .

السعادة : فلنقتنصها على الأرض . .

أسرعوا ، نحن فى عجلة ، لا ضمان فى الغد ، ولا عبرة إلا بالحاضر . .

غافل من يقامر على المستقبل ، فلنضمن أولا رفاهية بشرية صرفة »

هكذا يصور بول هازار Paul Hozard « أزمة الضمير الأوربى ١٦٨٠ - ١٧١٥ م »

انتقلت الأزمة سريعا من أرجاء الأرض . . ووصلت بوادرها إلينا .

فما موقف الإسلام تجاه أزمة الإنسان ؟ ؟

* * *

يقولون إن عصر النهضة الأوربية هو الذى عرف للإنسان قدره ، وأنزله منزلته . . . نقل الاهتمام من (الإله) إلى (الإنسان) ، ونقل المعرفة من السماء إلى الأرض . . .

وأحدث هذا رد فعل عنيف : لقد تجرأ كوبر نيكوس وجاليليو أن يتكلما عن الفلك والطبيعة دون تقيد بما ورد فى التوراة والإنجيل ، وتجرأ العلم أن يتحدث عن عوالم هائلة لا تعد بجانبها (اللعبة الأرضية) التى يعيش عليها الإنسان شيئاً مذكوراً . . . كيف : والمفروض أن الكوكب الذى يعيش عليه الكائن الإنسانى ينبغى أن يكون أشرف ما فى الوجود ؟ ؟

واستمع الناس فى دهشة ووجل إلى بايل Rerre Bayle سنة ١٦٨٣ م يقول :

« كلما درسنا الإنسان أيقنا أن الخيلاء شهوته المتسلطة عليه ، وأنه يصطنع الكبر حتى فى خضم البؤس والكرب . تبا له ! فقد استطاع بما جبل عليه من ضعف وهوان أن يقنع نفسه بأنه لا يمكن أن يموت دون أن يزعج الطبيعة جمعاء ، ودون أن يجبر السماء

على تجشم نفقات جديدة لإنارة موكب جنازته ! فيا للخيلاء الباطلة الحمقاء ! لو أن لدينا فكره صحيحة عن الكون ، لفهمنا سراعا أن ولادة أمير أو وفاته مسألة من التفاهة بمكان بالنسبة لطبيعة الأشياء ، وحتى إنه لعبث أن تتحرك من أجلها السماء ! ولكننا نقول مع سنيكا : إن العناية الإلهية لا تغفل عنا وإننا نأخذ نصيبنا منها ، ولكن هدفها يفوق كل ما نتصوره عنها . وإنه وإن كانت حركات السماء تعود علينا بفوائد جلى ، فلا يعنى هذا أن هذه الأجرام الهائلة تتحرك محبة فى الأرض ! » .

وماذا عن المعلومات المقدسة المودعة فى سفر التكوين ؟ ؟

إن ريشار سيمون ينشر كتابه « تاريخ نقدى للعهد القديم » سنة ١٦٧٨ م « فترى أى تأثير يتركه فى القارئ إذا ما انتهى ؟ إن قصة الكتاب المقدس عن خلق الكون لا اتساق فيها ولا انسجام ، وإنها كتبت فى أزمان جد مختلفة وبأياد لم تؤت المهارة ولا الأهلية ، وإنها على الأقل اعتراها كثير من التبديل وفى غير حذق ، حتى أصبح من المستحيل أن نميز كاتبها الأصيل » ! !

كتب جون تولاند كتابه « المسيحية دون أسرار » Christ not Mysterious عام ١٦٩٦ « فالسر لفظ وثنى احتفظنا به كما احتفظنا بغيره من ألفاظ ، هو إما خرافة يجب أن نقضى عليها ، وإما صعوبة عارضة ينبغى أن نذللها ! ! إما أن المسيحية تتفق مع العقل ولا تمثل إلا مجرد ارتضاء للنظام الشامل متجردة عن كل ما يخرج عن هذا الارتضاء نفسه ـ كالتقاليد والمذاهب والشعائر ... إلخ ـ وإما أنه يستحيل عليها أن تعيش ! فما من شىء فى العالم يمكن أن يكون فوق العقل وما من شىء يمكن أن يتعارض مع العقل ! »

ولوك يتحدث عن « المسيحية . المعقولة » Christianisme raisonable : فيوجز العقيدة فى أصلين : الإيمان بالمسيح والتوبة ، ولا يشترط شيئا آخر لإنقاذ رسالة الأرواح ، قبول رسالة المسيح ، والتزام سلوك طيب ـ هذا يكفى جداً ! وكان يرفض الاعتقاد بأن كل سلالة آدم قد حكم عليها بعذاب أبدى لا نهائى من أجل خطيئة الرجل الأول الذى لم يسمع عنه قط ملايين من الناس ! ! !

هل تبينت ملامح النهضة الجديدة ؟ . . . وهل عرفت من أين أتى رد الفعل ضد الدين فى بلاد الغرب ؟ ؟ ؟

يقف الإسلام ثابتاً على أساس متين ، إزاء هذه الزلازل والبراكين ، عند الآخرين ...

فهو قد أوقف الإنسان من أول الأمر على حقيقة مركزه فى الكون ، دون تهوين أو تهويل ، وقد بصره بخلق الله الذى تدركه حواسه أولا تدركه ، وجلى له أن الكون الفسيح بأرض وسمائه وأفلاكه محكوم بسنن منضبطة لا تشذ ولا تخطىء :

« الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت . فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ ؟ » .

« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » .

« وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » .

« إنا كل شىء خلقناه بقدر» ، « وخلق كل شىء فقدره تقديرا » .

« فلن تجد لسنة الله تبديلا ... ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

والذين قالوا لرسول الإسلام: كسفت الشمس لوفاة ابنه إبراهيم ، رد عليهم الرد المفحم الحاسم :

« إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته . . . ولكنهما آيتان من آيات الله [1] » .

والقرآن قد تحدث عن معجزات ، ولرسول الإسلام معجزات ، ولكن معجزة الإسلام الكبرى كانت القرآن : لا يزال يعرض للذكر والتدبر ، ومجاله هو العقل قبل كل شىء . والقرآن ينعى على الجمود والتقليد ، ويطلق العقل ليفكر ويعمل ؛ ويأتمنه على الحكم فى أمر العقيدة ، فيقدم له الحجة والدليل ، ويرد على المنكرين .

وشعائر هذا الدين لم تحبس الإنسان عن الدنيا ، بل هى محدودة ميسورة : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

---

(١) البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه ـ صحيح .

ولا تدع هـــذه الشعائر مريضاً أو ضعيفاً أو مسافراً حتى تخفف عنه وترخص له وتيسر ما يسقط عنه الفرض بأقل جهد .

عن جابر قال : خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه فى رأسه ثم احتلم ، فسأل أصحابه : هل تجدون لى رخصة فى التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على رسول الله أخبر بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله ! ! ألا سألوا إذ لم يعلموا ، فإنما شفاء العى السؤال ، إنما يكفيه أن يتيمم ، ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده [1] » .

وشريعة هذا الدين تريد بالناس اليسر وترفع عنهم الحرج وتدفع المشقة وتتوقى عموم البلوى « . . . وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » ، « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » . وفى الحديث : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه [2] » .

* * *

ونظرة الإسلام للإنسان ... وللحياة الدنيا ، كلها إنصاف .

إنه يعرف قدر الإنسان « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » ، « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ولكنه لا يسلم الإنسان للأهواء « كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ، « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ـ أولئك هم الغافلون » ، « وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » ، « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » .

إن القرآن يضع تحت يد الإنسان كثيراً من مفاتيح القوى والطاقات التى أودعها هذا الوجود « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ... » ، ولكنه لا يتركه يطيش « . . . وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » ، « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون » ،

(١) أبو داود وابن ماجه والدارقطنى ـ صححه ابن السكن .

(٢) الطبرانى فى الكبير ـ صحيح .

« ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور . إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » ، « يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز » ، « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

والدين قد صان الطاقة الإنسانية حين حررها من الانقياد للآلهة الباطلة ، والأهواء المتبعة . . . وقد صان الطاقة الإنسانية حين وجهها لعبادة ترضى بها أشواقها الخفية دون أن تبيع بذلك كرامة العقل أو مصالح الدنيا ، لأن إلهنا المعبود يخاطب عقولنا بالبرهان ، وهو غنى كريم لا يخدعنا ولا يقهرنا بالباطل ، ولا يستخف بنا ولا يسلبنا : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » .

إن هذه الأعماق البعيدة فى التحرير النفسى من الداخل لا يصل إليها إلا الدين ... إنه يقتلع الجرائم التى يستنبتها ويستكثرها الطغاة والمستبدون ، ويسلم زمام النفس لرب العالمين ، الذى لن يستغل هذه الطاعة لصالح طبقة أو حزب أو جنس « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » .

وكلما حرص المؤمن على عقيدته بالله ، كلما برئ من الشرك وأعلن الكفر بمن عداه ..

والمؤمن إذ يتمتع بحريته فى أفسح مداها إنما ينتظر منه أن يصيب فى مزاولته الحرية وأن يخطئ ، والخطأ ضريبة بشرية ، والدين يقرر أن هذه طبيعة الناس ويتعامل معهم على هذا الأساس « كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » [١] .

أما الدنيا فهى فى الإسلام مزرعة الآخرة ، لا يصح الانصراف عنها ، بل يعبد الله بالعمل فى أرضه وابتغاء رزقه والإفادة من نعمه : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ،

---

(١) أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك ـ صحيح .

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ، وفى الحديث : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده »[١] .

الإسلام يكرم الإنسان لكنه لا يؤلهه بل يسلم أمره لله ، ويحل له طيبات الحياة الدنيا لكنه يذكره بمتاع خير وأبقى . . . والدين فى هذا يحفظ على الإنسان طاقته حتى لا تزل ولا تتبدد فى جحيم القلق دون قرار ، ويحقق له استمتاعه بإنسانيته ودنياه دون أن (يستهلكه) الدوار فى أفق ضيق لا ينشغل فيه بغير ذاته ومصالحه . . . إن سجن الأنانية والنفعية ليس أرحب من سجن الخرافات والتقاليد والاستبداد ومع ذلك ينبغى ألا يكون الداء فى الدواء ، فتكبت العقائد العقول وتحبس الطاقات وتغلل الأفراد والجماعات ! !

والإسلام لم يلغ الكيان الإنسانى باسم الدين ، ولم يقم الدار الآخرة لتصرف النظر عن دنيا يتفاقم فيها الحرمان والعجز والفساد .

إن ترقى الإنسان وازدهار الحضارة تسبيح لله العلى الأعلى ، وتمجيد للخالق الصانع العظيم .

* * *

والقرآن بعد ذلك كله . . . حافل بالصور الحية النابضة ذات المغزى الإنسانى الرفيع .

« فالرسول فى تصوير القرآن إنسان يمتلئ حياة وحركة ، وتزخر نفسه بالمشاعر والأحاسيس . . . إنسان حريص على نجاح دعوته بكل سبيل : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراضهم ، فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » .

« فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ، أو جاء معه ملك . . . إنما أنت نذير ، والله على كل شىء وكيل » .

---

[١] الترمذى والحاكم فى المستدرك ـ حسن .

إنه داعية فكرة يتشوق لانتصارها ، ويتطلع لمستقبلها ، ويقلق من أراجيف الخصوم ومكائدهم . . . وهذه النفس الإنسانية الحية صاحبها رسول مؤيد معصوم !

• والقرآن يعرض نماذج إنسانية حية لأفراد مؤمنين أخطأوا فتابوا - وهل حياة الإنسان إلا تردد بين الخطأ والصواب ؟ ؟ « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ، إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم » .

• والمجتمع الإسلامى كله ، مجتمع من البشر : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنون - هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً » ، « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية - يقولون : هل لنا من الأمر من شىء ؟ قل إن الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور » « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » . . .

كل هذه صور إنسانية للضعف البشرى ، يقدمها الدين للنفوس فيلمسها لمسات حانية رقيقة : إن الإسلام لايريد الناس ملائكة ، حسبهم أن يجتهدوا ولو أخطأوا ، وأن ينتووا الخير ولو لم يسعفهم تحقيقه ، وأن يتوبوا إذا خالفوا « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

فإن كانوا كذلك فهم قد اهتدوا إلى جوهر الإيمان وحقيقة النفس ، لقد تحرروا من التزمت والتحلل ، من الجمود والجحود ، ولا يضرهم بعد ذلك أن يترددوا بين الطاعة والمعصية ، بين النجاح والفشل ، بين النصر والهزيمة ، بين الكسب والخسارة - لأن هذه كلها عوارض

لا بد من اجتماعها وتتابعها بالنسبة للطبيعة الكونية والإنسانية : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

* هم إذا أخطأوا فليتحملوا نتيجة خطئهم ، دون أن ينتظروا قارعة زاجرة تأتيهم مباشرة مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ، إذ حصاد أيديهم وألسنتهم يكفيهم زاجرا وحده إن كانوا يزدجرون « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » ، « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا » .

* وإذا ناء المسلمون بأعباء الحق فلن تتدخل المعجزات لنصرهم ، ولكن فى صبرهم ومصابرتهم ومرابطتهم الحصن الحصين والملجأ الأمين « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض » .

* وسنن الكون أمام الجميع ، ينال الخير العاملون لا الخاملون ـ مهما كانت الملة أو الدين ، فلا محاباة فى عون الله لطائفة دون أخرى من عباد الله « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون » ، « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » .

ما أحوج الإنسان إلى دين الله ، فى عصر الإنسان .

« من كفر . . . ، فعليه كفره ، ومن عمل صالحاً . . . فلأنفسهم يمهدون » ؟

فتحى عثمان

مكانة المعلم

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

أرأيت أعظم أو أجل من الذى يبنى وينشئ أنفسا وعقولا ؟

« شوقى »

رسالة الأزهر

– ٦ –

رسالة العلم :

المعروف عن الأزهر إجمالا فى تاريخه العلمى أنه هو الذى حفظ المسلمين دينهم ولغتهم العربية : لغة القرآن الكريم .

إن رسالة الأزهر الإجمالية هذه لأضخم رسالة فى التاريخ العلمى الإسلامى . ولمن يريد التحدث عن هذه الرسالة بالتفصيل أن يلم فى بحثه بتاريخ العلم والمعرفة فى مصر منذ أن صارت إسلامية ، ومنذ أن كانت ملاذا للدين ولغته العربية الكريمة .

التعليم فى مصر قبل الأزهر :

المسجد الجامع أو مسجد عمرو بن العاص هو المدرسة الأولى التى تلقت بواكير العلم والتعليم فى مصر . حتى رووا فى تاريخه أنه فى بعض أزمنته كان به بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم : هكذا روى المقريزى عن بعض من استقامت له الرواية عنهم من المؤرخين قبله .

إن العناية الأولى للدراسة فى جميع أطوارها فى مساجد مصر كانت للدين وأصوله وفروعه أما دراسة العربية فقد كانت تابعة لدراسة الدين أينما كان . ومعنى ذلك أن دراسة الدين كانت هى الغاية ودراسة اللغة كانت هى الوسيلة . ولا ريب فى أن من لا يدرس الوسيلة حق دراستها لا يستطيع دراسة الغاية والدين أساسه القرآن فالحديث . وفهمهما لا يستقيم إلا لدارس اللغة وأصولها وفروعها .

أخذ جامع عمرو يدوى بالدروس الدينية تتبعها الدروس العربية فى مستهل القرن الثانى الهجرى . وكان أكبر الأساتذة فيه يومئذ عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن لهيعة ، والليث بن سعد ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، هؤلاء الأئمة هم الذين وضعوا بذرة التدريس العلمى فى المسجد الجامع ، وهم الذين كونوا فى مصر المدرسة الدينية والفقهية الأولى على نظام التحلق فى الدروس والاستماع إلى المدرس . ثم تابع العلماء المدرسون بعد هذه الطبقة إلى أن صار جامع عمرو هو مدرسة الدين الإسلامى ولغته العربية .

فى سنة ٢٦٣ هجرية بنى أحمد بن طولون مسجده المعروف ، وأول من درس فيه العلم أحمد بن الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعى فقد أخذ يملى فيه دروس الحديث ، وقد دفع إليه ابن طولون فى أول درس له كيسا به ألف دينار . وما زالت تحبو فيه الدراسة إلى أن استقرت وصار له شأن فيها ، فقد رتبت فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة .

لم يتعطل جامع عمرو من الدروس بقيام جامع ابن طولون ، وإنما ظل كما هو على حاله الأولى ، وقد صار للعلم معهدان : جامع عمرو وجامع ابن طولون .

بنى بعد هذين المسجدين الدراسيين الجامع الأزهر ، وقد بدئ فى بنائه فى جمادى الأولى سنة ٣٥٩ وأكمل بناؤه سنة ٣٦١ . ولم يعطل بناء الأزهر المسجدين السابقين عليه من التدريس ، لأن التدريس الدينى كان كأنه حسبة فى ذمة العلماء على قدرهم ، يؤدونه عن رضا وهم مغتبطون .

أسس الأزهر ليكون مدرسة للفاطميين ، يدرسون فيه مذهبهم الشيعى ، وبذلك اختلف مناهجه الدراسى عن منهاج جامع عمرو وجامع ابن طولون . لأنه لا يعرف عن هذين المسجدين أنه درس بهما ما يخرج عن مناهج أهل السنة والسلف الصالح . وبذلك تكون أول رسالة للأزهر هى الرسالة الشيعية الفاطمية التى جاء بها من المغرب هؤلاء العلويون . وقد اعتقدوا أن مصر من أكبر المراتع لنشر مذهبهم ، ولكن القيام على هذه الرسالة لم يعمر طويلا ، فقد أزال السلطان صلاح الدين كل ما أقامه الفاطميون من دعوات شيعية . وقد عطل الأزهر عن أداء رسالته حتى لا يبقى ظلا للفاطميين فى مصر . فماذا صنع بالعلم والدراسة بعد تعطيل الأزهر ؟ إنه بنى المدارس لتدريس الفقه الإسلامى وأصوله على مذهب أهل السنة والجماعة .

لى هنا وقفة أحلل فيها رأيى فيما صنعه صلاح الدين . هذا الرأى هو أن تأسيسه هذه المدارس لم يخرج بالأزهر عن رسالته العلمية المطلقة . فإن الجامع الأزهر هو بنية من حجر وكل بنية قابلة لكل ما تعمر به . لأن بناءه كمعهد قابل لكل ما يدرس فيه . فهو ظرف مكان لا أكثر ، وظرف المكان قابل للتغيير والتبديل فيما يحتويه ، فالقول بأن رسالة الأزهر العلمية قد عطلت لا شىء فيه للتحقيق . لأننا لا ندرى ماذا كان يصنع صلاح الدين فى العلم

والتعليم لو أنه لم يجد فى مصر أزهراً يؤدى رسالة علمية لم ترق هذا السلطان. وكل ما فى الأمر أن مناهج العلم قد تغيرت وبنى لها أمكنة غير الأزهر . فالأزهر هو الذى رسم الرسالة العلمية التى غير السلطان مناهجها . وهذه الرسالة الشيعية هى التى أوحت إلى صلاح الدين بأن يجد طريقاً جديداً للتعليم . أما تعطيله الأزهر جملة فذلك رأيه الخاص ولكن الأزهر (المعنوى) لا الحجر ولا البناء ، الذى جعله يتجه إلى ناحية جديدة فى تعليم الدين ، وهو الذى رسم له الطريق العلمى ، كما رسمت الجامعة الأزهرية طريقها حديثا فإننا نجد لها كليات شتى ، فى شرق القاهرة ، وفى غربها ، وفى شمالها . وفى جنوبها وكلها تجمعها كلمة (الجامعة) . فالمدارس التى أسسها صلاح الدين هى استمرار حقيقى - لا ظاهرى - فى أداء رسالة الأزهر العلمية وإن تغيرت السبل والمناهج . وإن لم يلتفت إلى هذه (الأزهرية المعنوية) أحد من المؤرخين . وأخيراً هل يقال إن الدراسات الأزهرية التى تفرقت فى الكليات الخارجة عن بنية الأزهر قد زحزحته عن رسالته ؟ . . . وأنه معطل الآن عن أداء هذه الرسالة ببناء هذه الكليات المنتشرة فى القاهرة ؟ ! إننى أترك القارىء بغير جواب منى ليجيب هو لنفسه من نفسه ؟

حسن الشيخة

الاختلاط بين الجنسين

عيبنا أننا نقلد الغرب تقليداً أعمى فى كل شىء ، حتى فى الأمور التى يقوم الدليل العلمى القاطع على فسادها ، والتى يظهر للغرب نفسه خطؤه فى السير عليها ، ويحاول أن يهدىء من اندفاعه فى سبيلها .

ويسعدنا أن نسجل أن مصر التى قطعت فى سبيل الاختلاط الجامعى شوطاً كبيراً قد فطنت الآن لهذه الحقائق ، وأخذت تتدارك بعض أخطائها ، فأنشأت كليات خاصة للبنات ملحقة بجامعة عين شمس .

الدكتور على عبد الواحد وافى

حقائق فلسفية
تحت شرعة الحرب فى تقدير الإسلام

لما استقر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأسس بها حكومته على ما يعرفه القراء ، كان مقصودا بالقتل والقتال من قريش ، وليس يعقل أن تغمض قريش جفنيها ، ومصلحتها الحيوية قائمة على زعامة الدين فى البلاد العربية ، عن قيام زعامة أخرى فى بلد كيثرب يصبح منافسا لأم القرى وربما بزها سلطانا على العقول ، وكر على قريش فأباد خضراءها وسلبها حقها الموروث ، ولا يسع الإسلام من جانبه مهما كانت ميوله سلمية (فاصفح عنهم وقل سلام) أن يستمر فى منع القائمين به عن الدفاع عن أنفسهم وعن الدين الذى أنزل للإنسانية كافة فى عالم يضيع الحق فيه إن لم تكن وراءه قوة تؤيده ، فكان لامناص من السماح للمسلمين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلاح الذى يشهره خصومهم فى وجوههم فأنزل الله قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

ولم يغفل الإسلام حتى فى هذا الموطن ، موطن الدفاع عن النفس والدين ، أن ينصح لأشياعه بعدم العدوان لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام وشفاء ثارات وهذا من مميزات الحكومات الإسلامية فإن القائم عليها يكون كالجراح يضع مبضعه حيث يوجد الداء لاستئصاله مع عدم المساس بالأعضاء السليمة ومقصده استيفاء حياة المريض لا قتله والعالم كله فى نظر الحكومة الإسلامية شخص مريض تعمل لاستدامة وجوده سليما قويا خالصا من الأمراض المستعصية ، والإسلام باعتبار أنه دين عام للناس كافة يعد العالم كله أمة واحدة غير معتد بما أحدثته البيئات والتقاسيم الجغرافية بينهم من الفروق فى الألوان واللغات بل والأديان .

لهذا السبب ولأن موجبه هو رب العالمين الذى وسعت رحمته كل شىء أحيطت جميع آيات الجهاد فيه بأوامر مشددة فى مراعاة العدل مع المحاربين وعدم الإسراف فى سفك دمائهم والاعتداد بالظاهر من أعذارهم مما يعد مثلا عليا لم تصل المدنية بعد ألوف من السنين إلى خيال منها ناهيك أنه يحرم على أهله أن يقتلوا خدم المحاربين الذين يمدونهم بالطعام والشراب . ويعينونهم على حمل عتادهم وخدمة دوابهم وهذا غير ما أمر به من احترام حياة شيوخهم وولدانهم ونسائهم ، ورجال أديانهم ، وعدم الإجهاز على جرحاهم وعدم تعقب مهزوميهم للفتك بهم من خلفهم قال الله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم (أى ولا يحملنكم بغضكم لقوم) أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

بهذه القيود الرحيمة وفى هذه الحدود العادلة أذن الله للمسلمين بعد نقض الكفار للعهد أن ينبذوا لهم على سواء وأن يقابلوا قوتهم بمثلها حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ويظهر دين الله على ما حاكته الأوهام من عقائد باطلة وخيالات عاطلة ، ولما كان القرشيون قد صارحوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحرب ، ولو تركهم وشأنهم بعد شخوصه إلى المدينة لما تركوه وشأنه ، فقد اعتبرهم فى حالة حرب ، وعاملهم على موجب هذا الاعتبار .

هنا لا بد لنا من نفى شبهة كثيراً ما أثارها خصوم الإسلام ضده إذ قالوا : إن الإسلام دين شرعت فيه الحرب ، والدين الحق يجب أن يتنزه عن ذلك فلا يدعو إلا إلى الإسلام لأن الحرب من بقايا الوحشية الأولى ولا يجوز أن يعتمد عليها دين إلهى أنزل لكى يكون رحمة للعالمين .

لا جرم أن الذين يدلون بهذه الشبهة لا يعرفون من طبيعة العالم الأرضى ولا من عوامل الاجتماع الإنسانى ولا من تاريخ الأديان السماوية ما يجب أن يعرف ليجىء حكمهم عادلا ورأيهم سديدا .

إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب وتنازع البقاء ليس فيما بين الناس فحسب ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم ، بل وفيما بين كل فرد والعوامل المتسلطة عليه

من نفسه ، ولا تشذ عن هذه القاعدة العامة الحيوانات ولا النباتات أيضا ، وقد بنى علماء النبات والحيوانات وعلماء الإنسان على هذا التدافع كل ترق طرأ على هذه العوالم الثلاثة ، ولا أظن أن قارئا من قرائنا يجهل الناموس الذى اكتشفه « داروين وروسل ولاس » ، ودعواه ناموس تنازع البقاء وبنيا عليه كل تطور أصاب الأنواع النباتية والحيوانية والإنسان أيضاً .

وقد أشار الله إلى خطر هذا الأصل العظيم بقوله تعالى فيما يتصل بالإنسان : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » . وإنما تفسد الأرض بتغلب الأشرار وتقاعس الأخيار عن التنكيل بهم ، وفضلا عن تغلغل الأشرار فى شرورهم فإنهم لا يدعون الأخيار أحراراً فى ممارسة فضائلهم ، وقد صرح الكتاب الكريم بهذا فى قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » . ألم تر كيف تصدى خصوم الدين النصرانى للمسيح وما كان يدعو إلا للصلاح والسلام حتى إنهم استصدروا أمراً بصلبه فنجاه الله منهم ، وما زالوا بالذين اتبعوه يضطهدونهم ويقتلونهم حتى مضت ثلاثة قرون وهم مشردون فى الأرض لا تجمعهم جامعة إلى أن حماهم من أعدائهم السيف على يد الأمبراطور قسطنطين الرومانى واتفق أنه كان يدين بالنصرانية ، فلما ولى الملك أعمل السيف فى الوثنيين وهدم هياكلهم وأجبرهم على قبول المسيحية دينا لهم . ومن ذلك العهد أمكن المسيحيين أن يجاهروا بدينهم وأن يتخذوا لهم زعامة دينية ، وأفادهم هذا الدرس القاسى فى ضرورة استخدام السيف لنشر الدعوة ولقمع الوثنيين حتى دانت لهم أوربا كلها ، ولا يمكن أن ينسى أحد ما حدث بين البروتستانتية والكاثوليكية من الحروب الماحقة حتى استقر كل فريق منهم فى الحيز الذى هو فيه .

أو لم تر أيضاً كيف تصدى الجاهليون لمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعوه عن نشر الدين الذى أوحاه الله إليه ، وانتهى أمرهم بالتألب عليه لقتله والفراغ من أمره ؟ ثم ما حدث منهم بعد أن هاجر إلى المدينة حيث قصدوه بها ، مؤلبين عليه القبائل الجاهلية لإبطال أمره والتعفية على أثره ؟

أفيريد مثيرو هذه الشبهة أن يقوم دين على غير السنن الطبيعية فى عالم مبنى على مبدأ التدافع والتنازع واستخدام القوة الحيوانية لطمس معالم الحق ودك صروح العدل ؟ يقول المعترضون : وماذا أعددتم من حجة حين تجمع الأمم على إبطال الحروب ، وحسم منازعاتها عن طريق التحكيم ، وهذا قرآنكم يدعوكم للجهاد ويحثكم على الاستبسال ؟ .

نقول أعددنا لهذا العهد قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » .

هذه كلمة بالغة من القرآن بل هذه معجزة من معجزاته الخوالد وهى أول دليل على أنه لم يشرع الحرب لذاتها ولكن لأنها من عوامل الاجتماع الذى لابد منها ما دام الإنسان فى عقليته ونفسيته المأثورتين عنه غير أنه لم ينف أن يحدث تطور عالمى متفق فيه على إبطال الحرب فصرح بهذا الحكم قبل حدوثه ليكون حجة لأهله من ناحية وليدل على أنه لا يريد الحرب لذاتها من ناحية أخرى .

ولو كان يريدها لذاتها لما نوه بهذا الحكم ، ولو كان ذكر له إمكان جنوح الأمم للسلم لكر على هذا القول بالدحض ولحض أهله على عدم الإصغاء إليه وعلى اعتباره من عوامل التثبيط لهم .

ومما يجب لفت النظر إليه أن الإسلام قد أشاد بذكر كلمة السلام بما لم يفعله مذهب اجتماعى قبله . ناهيك أن الله قد سمى نفسه السلام ، وجعل السلام تحية الإسلام يتبادلها المسلمون ملايين المرات ، ونوه القرآن فى آيات كثيرة بكلمة السلام ، ودعا الجنة التى وعد بها المؤمنين بدار السلام ، وذكر أن تحية أهلها فيها سلام ، فأجواء البلاد الإسلامية مشبعة بهذه الكلمة يتنفسها المسلمون ممتزجة بأوكسجين الهواء ، وليست هذه سيرة الأمم التى تجعل شعارها الحرب فى الحياة ، ولكنها سيرة الذين يحبون السلام ويعملون على رفع لوائه بين الناس .

ويزيد هذا الأمر اتضاحا أن الإسلام إنما سمح بالحرب لإيجاد السلام ، لا لتأييد مبدأ التناحر بين الأنام قال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . ومن العجيب أن الأمم المؤيدة للسلام هى فى مثل هذه الضرورة اليوم فقد تجردت لحرب طاحنة مكرهة عليها لا هم لها إلا إيجاد السلام ، فعلى من يتهم الإسلام بإقرار مذهب

التناحر أن يعتبر بما سبقت إليه الأمم الديمقراطية اليوم من مجزرة بشرية هائلة دفعت إليها دفعاً فى سبيل تحطيم مبدأ التناحر لا فى سبيل شىء آخر فإذا كانت هذه الأمم التى وصلت من المدنية إلى درجة رفيعة تضطر إلى الدخول فى مثل هذه الحرب الماحقة فى القرن العشرين أفلا تكون أمثال تلك الضرورة تنشأ فى الجماعات التى فى دور التكون لتحمى وجودها فى عالم كان كل ما فيه موجها إليها لحلها وملاشاة كل ما حملته من عوامل الهدم والبناء لتأسيس عهد جديد يخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور .

يتضح بما مر كله أن اعتراف الإسلام بالحرب كضرورة لا محيد عنها كان لحكمة بالغة لو أغفلت لكان تلاشى كل ما حمله الإسلام من عوامل إنهاض الأمم ووسائل نقلها من عهد كانت فيه ترزح تحت كسف من الضلالات وتنوء تحت آصار من الأوهام إلى عهد حرية التعقل والنظر والبحث والتدليل والمسئولية الشخصية وهى الثلاثة الأركان التى ابتنى عليها صرح التطور الأخير للإنسانية المتجهة إلى كمالها المنشود .

ومن نافلة القول أن اليهودية العالمية تحفز حفزا من الدول الكبرى المتحالفة معها إلى شن حرب بشقيها حرب الأعصاب وحرب الفتك والإبادة ضد العرب المسلمين القابعين فى أوطانهم لا يسألون الناس شراً ولا ضراً فهل اليهودية العالمية تصغى إلى واقع أمرها ووجودها بين الأقطار العربية الإسلامية فتعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله وبذلك تصان الحقوق ويرتفع عن الأمم الضعيفة الشر والتنكيل ؟ ذلك مأمولنا إن شاء الله ؟

عباس طه

المحامى

الذين نسوا تاريخهم

مثل القوم نسوا تاريخهم   كلقيط عى فى الناس انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة   يشتكى من صلة الماضى انقضابا

« شوقى »

علماء شاطبة

كلما جرى على اللسان أو طاف بالذاكرة اسم بلدة من بلاد الأندلس كقرطبة أو غرناطة تدافعت على المسلم ذكريات حافلة مجيدة وأمجاد خالدة رفيعة تهز النفس فخرا وإعجابا وسموا وكرامة بما حققه أبطالنا الأولون الفاتحون من انتصارات ساحقة خلدت على الزمن ولم يغير من روعتها تعاقب الأحداث وتوالى الخطوب ، فمن ذكر الأندلس لابد حتما أن يذكر طارق بن زياد فاتحها وقاهر حكامها ، وذلك عندما أنزل جنده على الساحل الأوروبى عند الصخرة التى تعرف الآن بجبل طارق ، ثم زحف بجيشه العظيم حتى لقى رودرك وجنوده فى واقعة شريش سنة اثنتين وتسعين هجرية وانتصر عليه انتصارا باهرا حاسما أزعج دول أوربا المجاورة للأندلس ، وكان من نتائج هذه المعركة قتل رودرك مما كان له أعظم الأثر فى نفوس الجيش الإسلامى ، بل وفى دمشق عاصمة الخلافة الأموية ، تلك هى حال الزهو والفخر ، وبجانب هذه الحال حالة أخرى تؤلم نفس المسلم وتضيق صدره وتذيب قلبه حسرة وأسفا وتفيض دمعه دما إذ نفض المسلمون بعد ذلك أيديهم من هذا الملك الضخم العتيد وأصبحوا صفر اليدين مستعبدين فى هذه الأرض تتخذ مساجدهم كنائس ومرافق أخرى لغير العبادة بعد أن كانوا فيها سادة وأمراء فتركوا مدينة الزهراء التى بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر والتى أبدع فى وصفها الكتاب والشعراء بما أوحت إليهم من سحرها ورونق جمالها الفتان كما تركوا قرطبة وما كان فيها من حضارة اقتبسها الأوربيون وأسسوا عليها دعائم رقيهم وأركان عمرانهم ، بعد أن خرجوا من قرونهم الوسطى المظلمة التى جثموا فيها ردحا طويلا من الزمان ، وإن فى رثاء أبى البقاء صالح بن شريف الرندى إذ رثى الأندلس فى نونيته ما يبعث الأسى فى نفس المسلم ويقض مضجعه إذ يقول فيها : —

وللحوادث سلوان يسهلها ... وما لما حل بالإسلام سلوان
وهى الجزيرة أمر لا عزاء له ... هوى له أحد وانهد ثهلان
فاسأل بلنسية ما شأو مرسية ... وأين شاطبة أم أين جيان ؟
وأين قرطبة دار العلوم ، فكم ... من عالم قد سما فيها له شان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها بعد طول الدهر نسيان

فني هذه القصيدة عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وإن التاريخ الصحيح ليثبت للأوروبيين أعظم جناية وحشية على العلم والمعرفة والثقافة تفوق جناياتهم البربرية على الأنفس والأرواح إذ أحرقوا ملايين الكتب التي صنفها علماء الأندلس في جميع العلوم والفنون والآداب بعد استيلائهم عليها ، ولقد أصبح لزاما علينا أن نكشف بعض جوانب المجهود العلمي الذي قام به علماء الأندلس .

فمن أشهر علماء شاطبة الذين سارت مؤلفاتهم مسير الشمس يعم ضياؤها جميع النواحي أبو محمد القاسم بن رفيره بن خلف بن أبي القاسم بن أحمد الرعيني الأندلسي المعروف بالشاطبي المولود ضريراً في شاطبة بالأندلس سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وقد درس في صباه وفي بلدته القراءات وأتقنها على يد أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفزي ، ثم رحل إلى بلنسية بلدة قريبة من شاطبة بعد أن حفظ المصنفات الجامعة لأصول القراءات وكان من بينها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني فعرضه من حفظه على الإمام أبي الحسن علي بن هذيل البلنسي ، ولقد وجد الشاطبي في بلنسية مرتعا علميا خصيبا وفرصة واسعة فاغتنمها ورتع فيها فتمكن من تلقي علم الحديث والأدب والنحو والتفسير عن أشهر العلماء المشهود لهم بالتبريز ، وكما عرض التيسير على ابن هذيل سمع منه الحديث أيضا كما سمع من غيره وأخذ كتاب سيبويه والكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وغيرها عن أبي عبد الله محمد بن حميد ، ثم رحل للحج فسمع من أبي طاهر بالإسكندرية ، ولما دخل مصر أكرمه القاضي الفاضل وعرف مقداره وأنزله بمدرسته وجعله شيخاً عليها وعظمه تعظيما كبيراً ، وأخذ يعلم القراءات لتلاميذه الذين تسابقوا على دروسه حتى صارت المدرسة الفاضلية كعبة يؤمها الظامئون إلى الارتواء من منابع العلم والفضل .

ولقد ترك لنا الشاطبي أثرين خالدين من مصنفاته أولها الشاطبية أو حرز الأماني .

ولقد أقبل الناس على دراسة الشاطبية وحفظها إقبالا منقطع النظير ، وعجز القراء البلغاء من بعده عن معارضتها ، ولا توجد منظومة في القراءات بلغت ما بلغت الشاطبية من الشهرة والقبول فلا يوجد قارئ للقرآن يعتد بنفسه إلا ويحفظ الشاطبية كما يحفظ القرآن ويعدها ركنا من أركان إجادة قراءته .

صيحة فى الهواء :

اتقوا الله فى الشباب

هى صيحة من صيحات الأزهر التى طالما انبعثت قوية مجلجلة : تصخ آذان الغافلين معلنة استنكارها لمأساة الاختلاط فى الجامعة والمعاهد العليا ، فكانت ترتد عن الآذان الفولاذية ، ثم تتبدد فى الهواء مع ضجيج الأصوات المنكرة التى تستعلن باسم التقدمية والتمدن . ثم يقال بعد ذلك إن الأزهر لا يؤدى رسالته ، وماذا يملك إلا أن يبرئ ذمته ويعلن كلمته ؟ فإذا استشرى الشر ، واتسع الخرق ، وظهر الحق لذى عينين ، كانت المكابرة التى تعمى عن الرجوع إلى صوابه ، وكانت الكبرياء الغاشمة التى تأنف من الاعتراف بالحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

إن رنين هذه الصيحات المؤمنة لا يزال فى أسماعنا وأذهاننا ، وإن آخر هذه الأصوات المستعلنة بالحق كان صوت أستاذنا الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى الذى كان نصيبه من ذلك الاتهام بالرجعية ، والاتسام بالتطفل على ما ليس من شأنه . وماذا يكون إذن شأن العالم إذا لم ينكر المنكر ويستهجن القبيح ويعلن ما اؤتمن عليه من حكم الله وشرعة الرسول ؟ .

وكما حظيت بالقبول الشاطبية حظيت أيضا أختها الرائية أو عقيلة أتراب القصائد فقد أقبل العلماء عليها حفظا وتحصيلا وشرحها بعضهم بشروح كثيرة لا تقل عن شروح الشاطبية .

وتوفى الشاطبى صاحب الرحلات العديدة فى طلب العلم بعد عصر يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من سفح جبل المقطم وقبره معروف ويزار الآن ، تغمده الله برحمته وأنزل عليه شآبيب رضوانه كفاء ما قدمه للعلم من مجهود وما يسره لطلاب علم القراءات .

عبد الله المراغى

لقد دارت هـذه المعانى فى نفسى وأنا فى الترام منذ أيام ، وكان يجلس بجانبي وأمامى ثلاثة من الشباب أحسبهم من طلبة إحدى الجامعات أو المعاهد العالية ؛ كانوا يتحدثون عن المحاضرات والمحاضرين ؛ وقال أحدهم للآخرين : أرأيتما كيف ضاعت محاضرة اليوم ؟ وفهمت من حديثهم أن الأستاذ المحاضر كان قد برم بعبث أحد الطلبة مع إحدى زميلاته أثناء المحاضرة فطلب منه الكف عن هذا العبث أو الانتقال إلى مكان آخر .

ولكن الطالب لم يشأ أن يصيخ للتوجيه ، وراح يثير بعض الأسئلة التى تتعلق بالاختلاط ، وكان مما قال : هل يجوز للطالب أن يرافق زميلته الطالبة إلى دار السينما باسم الزمالة ؟ وكان رد الأستاذ حازماً صارماً : لا يجوز ولو كانت خطيبته ، وأنا لا أعرف شيئاً اسمه اختلاط الزمالة أو الاختلاط البرىء بين شاب وشابة . وكأنما ألقى الهشيم على النار ، وهنا ويا للعار تنبعث صيحات الاعتراض ، ممن ؟ من الفتيات أنفسهن ؛ وتقول إحداهن فى غير تحرج ولا استحياء : وما الذى يمنع من ذلك أيها الأستاذ ؟ .

لقد كنا نتفكه بقول بعض الكاتبين : « إن الفتاة فى طريقها إلى حقها فى الحياة ، وسيأتى اليوم الذى تتحرر فيه من كل قيودها وتخرج من حجابها وحيائها ، حتى لنراها تتعرض للشبان فتدفعهم إلى الاستنجاد ببوليس الآداب » . وما كنا نقدر أن تتحقق هذه النبوءة هكذا بأسرع مما كان يقدر الكاتب ، وأن تنعكس الآية بتلك السرعة ، فتصبح الفتاة هى التى تدافع عن مآثم الاختلاط .

ومن عجيب المصادفة أن ألتقى فى ذلك اليوم بأستاذ أزهرى كبير كان يدرس فى إحدى الجامعات ثم تركها ، فسألته فى ذلك ، فقال : كرامتى . لقد كنت أشهد بعينى ما يخدش الحياء فأحاول أن أنحى الطالب بعيداً ، فتتصدى لى الطالبة قائلة : ماذا صنع ؟ .

وإنا لنذكر ذلك الاستفتاء الذى أجرته بعض الصحف اليومية حول جواز المراسلة بين الطلبة والطالبات ، فكانت الإجابات بالجواز أو الوجوب أكثر من ٩٠٪ .

وسمعت من بعض الماجنين الذين غمرهم تيار الوجودية والانحراف أنه كان فى ثلة من الشذاذ يؤلفون جماعة أسموها (جماعة التحلل الخلقى) من أعضائها بعض زميلاتهم فى الكلية ، وكانوا يلتقون فى كل مساء باسم التعاون فى مذاكرة الدروس ، فيتماجنون ويتعهرون ،

ثم ينصرفون آخر الليل أو وجه النهار ولم يذاكروا شيئا ، ولم يستفيدوا بشيء إلا العبث الفاضح والمجون المبتذل . وسألته : إذا لم يكن من الاختلاط بد فلم لا يكون باسم العلم وشرف العلم ؟ ولم يكون على حسابه وحساب الشرف ؟ فكان جوابه : وإذن فلا داعى للاختلاط ، لأن الحديث مع الفتاة فى مسائل العلم ينفرها ويصرفها عن زميلها إلى غيره ممن يديرون الحديث معها على مثل (الروك أندرول) مما يشوق ويروق ويعمل عمل السحر فى نفوس الفتيات .

لقد كنا نظن أن الاختلاط فى الدول الأخرى قد يكون مأمون العاقبة لأن طلاب الجامعات هناك يجدون المتنفس الفسيح خارج أسوار الجامعة ، حيث لا تحول ثمة تقاليد ولا تعصم عقيدة ، فتخلص الزمالة للعلم ، وتسلم الكرامة فى محاريبه ، ولكن هذا الظن قد تبدد بما تنقله الأنباء عن مآسى هذا الاختلاط .

فقد جاء فى جريدة الشعب بتاريخ ٢٦ / ٩ / ١٩٥٨ بعنوان (نقطة بوليس لكل مدرسة) ما يأتى :

« زادت موجة الانحلال الخلق فى أمريكا بصورة مفزعة . أصبحت المدارس والمعاهد مرتعا خصيبا للشذوذ الجنسى . تحول التلاميذ والتلميذات إلى مدمنى خمر وسفاكى دماء . علب السجاير وأقراص منع الحمل فى حقائب الطالبات ، لم يعد الأمر يحتمل السكوت ، لذلك قامت إحدى الهيئات القضائية ببحث جرائم الطلبة فى نيويورك ، وأوصت بتعيين رجل بوليس فى كل مدرسة ، وقد أبدت بعض الهيئات القضائية خوفها من أن يجرف التيار رجال البوليس أيضا » .

فإذا كانت هذه نتيجة الاختلاط فى بلاد ليس لها ما لبلادنا من محافظة وتقاليد ولطلابها فى الخارج متسع رحب ، فما بالك بنا ؟ .

إن الصحف لتطالعنا فى كل يوم بألوان فاضحة عن معارض الأزياء فى الجامعة ، ومناظر الفتيان والفتيات فى ساحة الرياضة وحمامات السباحة . فماذا يعصم الشباب وفى نفوسهم سعار الغريزة ، وبواعث الفتنة ، ودوافع الانزلاق ؟ .

إننا لا نخوض فى هذا الموضوع إشاعة للفاحشة ، أو ولوغا فى الشرف ، وإنما نحكم على مايقال ويشاع ، لنبرئ الذمة من هذه الوصمة ، وإن كان الاختلاط فى ذاته على هذه الصورة

وفى بلدنا هذا ليحمل على تصديق ما يروى ، وتحقيق ما يقال ، فما بالك إذا شهد شاهد من أهلها ، وحدثك بما يجرى ثقة صدوق ، وحسبك من شر سماعه ؟ .

إننا لا نمنع الفتاة من حقها فى العلم ، ونصيبها من المشاركة فى العمل والنهوض بما يلائمها فى خدمة الوطن . بل إننا لنطالبها بذلك ، ولكننا نطالب كذلك بأن يهيأ لها هذا فى حصانة وخياطة ، وفى حدود تقاليدنا وديننا ، وفى معزل عن الاختلاط الذى نرى ونسمع آثاره تلك السيئة .

هـــذه لمحات عارضة كرمز لما نشهد أو نسمع ، والله وحده يعلم ماخفى من المآسى والنكبات . فهل لا نزال بعد ذلك نصر على هـذه المحنة وندافع عنها وتتعصب لها ؟ وهل لايزال التقليد الأعمى يعصب عيوننا عن الخطر ويحجب قلوبنا عن الحق ؟ .

نحن أمة لها تقاليدها وطابعها ، ولها سماتها وشخصيتها ، ولها دينها وعقيدتها ، فهل تريد لتلك الشخصية أن تماع وتتحلل ، وأن تفقد عناصرها الأصيلة التى تنهض على الحفاظ والكرامة ، وأن تذوب فى شخصيات الدول الأخرى التى شاع فيها الانحلال ، وساغ التبذل والامتهان ؟ أم نستسلم للاستعمار الخلقى والفكرى الذى يبث سمومه ، وينفث أوضاره بعد أن تحررنا من الاستعمار السياسى ؟ .

أيها المشرفون على العلم . إن الشباب أمانة فى أعناقكم ، وهم عدة المستقبل ، ورجال الغد ، وعماد الوطن ، وأدوات التوجيه للمجتمع ، وحملة أمانة الأمة ، فإذا لم نحطهم بسياج من الشرف ، ونعصمهم بوازع من الدين ، ونوجههم إلى الكرامة والخير ، ونضىء فى نفوسهم مشاعل العلم الصحيح ، وننشئهم على الإيمان الحق ، والمعرفة النافعة ، والحفاظ على تقاليدهم السليمة ، فكيف إذن تحمل سواعدهم أعباء المستقبل وأفئدتهم هواء ؟ .

أيها المشرفون على العلم : اتقوا الله فى الشباب . . . ؟

حسن جاد
المدرس بكلية اللغة العربية

الأخلاق الاسلامية

وأثرها فى المسلمين الأولين

للأخلاق النفسية أثر كبير فى توجيه السلوك الفردى والجماعى ، وطبعه بالطابع الذى يتمشى فى صوره وبواعثه مع هذه الأخلاق ، لأن الأفعال التى يتمثل فيها السلوك الفردى والجماعى . لا تصدر إلا عن البواعث التى تبعث عليها . وهذه البواعث لا تتولد فى النفوس إلا عن مصدر يوحى بها ، وهذا المصدر هو العقائد القلبية والأخلاق النفسية .

وعلى هذه السنة التى يقوم عليها سلوك الأفراد والجماعات ، كان تأثير الأخلاق الإسلامية فى سلوك المسلمين الأولين ، الذين تلقوا هذه الأخلاق تلقيا روحيا عمليا ، فاستقرت فى أعماق قلوبهم وانفعلت بها أنفسهم . فكانوا بها خير أمة أخرجت للناس فى الدين والدنيا ، وأصبحوا مضرب الأمثال فى سمو الأخلاق واستقامة السلوك ، فقوة الشخصية وكمال الرجولة ، والاعتداد بالنفس والاعتزاز بالكرامة ، والحياء والاحتشام ، والشعور بكمال الفضيلة ونقص الرذيلة ، والأمانة فى الدين والتدين ، والحقوق والواجبات ، والصلات والمعاملات ، والوفاء بالعقود والعهود ، وطهارة القلوب وسلامة الصدور ، والتعاطف والتراحم ، والإخلاص فى القول والعمل ، وعفة اللسان وأدب النطق ، والصبر وقوة الاحتمال . هذه الأخلاق الإسلامية ، التى تغلغل سلطانها فى قلوبهم وانفعلت بها نفوسهم ، وأقاموا على قوانينها منهج حياتهم وسلوكهم ، هى التى حببت إليهم البطولة والتضحية ، وكرهت إليهم الضعف والهوان ، والاستكانة والاستسلام ، وفتحت أعينهم على آفاق الحياة العزيزة الكريمة ، وجعلت منهم حماة صادقين لدينهم ووطنهم ، وجنودا يعتزون برجولتهم وشخصيتهم ، ويؤمنون بأن الحياة فى كنف الهوان إهدار لرجولتهم وشرفهم ، وامتهان لعزة دينهم وكرامة وطنهم ، وأن عظمة الرجال وعز الحياة وكرامة الوجود ، ليست فى حيازة الأموال المتمنطرة وسكنى القصور الشاهقة ، وإنما هى فى حمل الدروع الموشاة بالنجيع والمهج ، والتضحية فى سبيل مجد الدين والوطن ، والعيش فى ظلال العزة والكرامة ، ولو سكنوا الأكواخ والخيام ، ولبسوا الأصواف والأسمال .

هذه الأخلاق الإسلامية ، هي التي جعلت من أبناء الصحراء قادة وأبطالا ، قهروا قادة الحروب وأرباب العلوم والفنون ، الذين أرادوا العدوان على رسالتهم ووطنهم ، وسحقوا جيوشهم على كثرة عددها وعددها ، ودراية قوادها بفنون الحرب والقتال ، وسجلوا في تاريخ حروبهم أروع ما عرف من صور البطولة والتضحية ، ويكفينا أن نذكر من هذا السجل الحافل بروائع البطولة الإسلامية ، تلك الصورة التي سجلها جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة التي دارت رحاها بين ثلاثة آلاف من المسلمين ومائتي ألف من الروم ، فقد تولى رضى الله عنه وأرضاه قيادة الجيش في المرحلة الثانية من مراحل هذه المعركة الرهيبة ، فحمل راية الجيش واندفع بها في صفوف الأعداء ، وأخذ يقاتل قتال الأبطال حتى أحاط العدو بفرسه فنزل عنها واندفع بنفسه بين جموع العدو ، وأخذ يضرب فيهم بسيفه كيفما وقع ، حتى قطعت يده التي يحمل بها راية الجيش ، فأخذها بيده الأخرى فقطعت ، فاحتضن الراية بعضديه حتى لا تسقط تحت أقدام العدو ، وهكذا بقيت راية الجيش مرفوعة عالية ، حتى تسلمها عبد الله ابن رواحة ، الذي تولى قيادة الجيش بعد أن استشهد جعفر في ميدان الشرف والكرامة ، فما أروع هذه البطولة ، وما أجمل هذه التضحية ، قائد الجيش يحيط به الأعداء من كل جانب ويعملون فيه طعنا بالرماح وضربا بالسيوف ، ويتعمدون قطع يديه لإسقاط راية القيادة وإشاعة الهزيمة في جيشه ، فتأبى عليه بطولته وقوة إيمانه ويقينه ، أن يدعها تسقط تحت أقدام العدو ، فيحتضنها بعضديه ويفتديها بروحه ، لتبقى مرفوعة فوق الهامات والرءوس ، لأنها رمز العزة والكرامة ، وراية الإسلام ، وعلم جيش المسلمين .

هذه الأخلاق الإسلامية ، التي استولت على أحاسيسهم ومشاعرهم ، هي التي طبعتهم على الوقار والاحتشام ، وحفظ الأعراض والكرامات ، وصيانة الآداب العامة وتعظيم شأنها ، والترفع عن سفساف الأخلاق وذميم الأفعال ، فلا فجور ولا مجون ، ولا إباحية ولا تحلل ، بل كانت مظاهر الحياء والاحتشام والتعفف من أخص صفات المجتمعات الإسلامية ومقوماتها .

وهي التي حفظت عليهم دينهم وتدينهم من الابتداع واتباع الهوى ، فلا زيغ ولا انحراف عن الحق ، ولا تضليل ولا تدليس في الدين ، وحببت إليهم المحافظة على تأدية الحقوق والواجبات ، والإحسان في المعاملات والصلات ، فلا تقصير ولا إهمال ، ولا غش ولا خيانة ، ولا اختلاس ولا استغلال .

وهى التى حاطت عقودهم وعهودهم بسياج من الثقة والطمأنينة ، والحفظ والوفاء ، ووجهتها إلى تحقيق مقاصدها وغاياتها النبيلة ، من جلب الخير وتبادل المنافع ، والتعاون على البر والتقوى ، وإصلاح ذات البين وحقن الدماء ، وتوطيد دعائم الأمن والاستقرار ، فلا مماطلة فيها ولا خيانة ، ولا غدر فيها ولا خديعة .

هذه الأخلاق الإسلامية التى طهرت صدورهم من شوائب الأحقاد والأضغان . وصانتها من أوضار الرياء والنفاق ، وملأتها بالحب والإخاء ، هى التى جمعت قلوبهم ووحدت صفوفهم ، وعبدت لهم طريق التآخى والتآلف ، ومهدت لهم سبيل التعاون فى السراء والضراء ، والتناصر على دفع البغى والعدوان ، وحببت إليهم الصراحة والإخلاص فى القول والعمل ، فلا أثرة ولا أنانية ، ولا فرقة ولا تقاطع ، ولا رياء ولا نفاق .

وهى التى سمت بألسنتهم وأقلامهم عن البهتان والكذب ، والافتراء والتقول ، والسباب والفحش ، والسعى بين الناس بالدس والوقيعة ، والإسفاف فى النقد والتجريح ، والخوض فى أعراض الناس والنيل من كراماتهم ، وكشف أسرارهم ونشر هفواتهم وعثراتهم وإشاعة الفاحشة فى بيئاتهم ومجتمعاتهم ، فكانت المجتمعات الإسلامية نظيفة نقية ، والأعراض مصونة مقدسة ، وقوانين الآداب مرعية ومرهوبة .

هذه الأخلاق التى امتزجت بمهجهم وأرواحهم ، هى التى جعلت الحكام وأولى الأمر منهم ، يؤمنون بأن مناصب الحكم والولاية والإدارة ليست وسائل لجمع المال واكتساب الجاه والسلطان ، وإنما هى أمانات وضعت فى أعناقهم لخدمة أممهم وأوطانهم ، وأنهم مسئولون أمام الله عن رعاية هذه الأمانات والمحافظة عليها ، فكانوا يرعونها حق رعايتها ، ويبذلون فى سبيل القيام بأعبائها كل ماوسعه الجهد والبذل ، فلا تنحرف بهم مغريات المال والجاه والسلطان ، ولا يقصرون ولا يهملون ، ولا يمنون على أمتهم بما يقدمون من جهود فى خدمتها ، لأنهم كانوا يعملون ذلك استجابة لوحى الضمائر الحية والأخلاق الكريمة ، ووفاء بحقوق الأمانات التى حملوها .

وهى التى حملت العلماء وقادة الرأى والفكر منهم ، على أداء رسالة العلم وقيادة الرأى بكل أمانة وإخلاص ، فلا يسلكون بها مسالك التمويه والتضليل ، ولا تميل بهم عن الطريق السوى مظاهر العجب والغرور ، ولا يتلاعبون بالألفاظ والحقائق ، ولا يتجرؤن على قدسية

الحق ، بل كانوا يراقبون الله فى بحثهم وتفكيرهم ، ويخشون حسابه فى قيادتهم وإرشادهم ، ويخضعون لسلطان الحجة فى جدلهم ومناظراتهم ، ويجعلون الحق غايتهم فى مذاهبهم وأقوالهم ويقصدون بعلمهم وقيادتهم خدمة دينهم وأمتهم ، فلا يجعلون قيادة الرأى سبيلا لتحقيق الأهواء والأغراض ، ولا وسيلة لإفساد العقائد وانحلال الأخلاق ، ولا يتخذون العلم تجارة لجمع المال وكنز الكنوز ، فكان ذلك أجدى عليهم فى دينهم ، وأدعى لحفظ كرامتهم ومهابتهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء ، وإن أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء » .

وهى التى حملت التجار والصناع منهم ، على أن يجعلوا الصدق والأمانة والقناعة ، شعارا لتجارتهم وصناعتهم ، فلا يجعلونها حبائل للطمع والجشع ، والغش والتدليس والكسب الخبيث ، واستنزاف الأموال وامتصاص الدماء .

هذا الإصلاح الخلقى الإسلامى ، الذى سادت قوانينه وآدابه فى مجتمعاتهم وبيئاتهم ، وساروا على مناهجه فى سلوكهم وأعمالهم هو الذى جعل منهم أمة قوية فى دينها ودنياها ، متحدة فى اتجاهاتها وغاياتها ، متماسكة كالبنيان المرصوص فى تعاونها وتساندها ، وأتاح لهم أن يقيموا لدينهم ودولتهم حصونا من القوة ومعاقل من المنعة ، وبوأهم من السلطان والسيادة منزلة لم تصل إليها أمة من قبلهم ، ولكن المسلمين بعد أن بلغوا هذه المنزلة من السيادة والسلطان ، نكبوا بقيادات ضالة ، وزعامات مضللة ، وحكومات جاهلة غاشمة ، استعبدهم حب المال والجاه والسلطان ، واستحكم فيهم ضعف الأخلاق وانحلال العزائم ، وتضاءلت فى نفوسهم معانى الرجولة والبطولة الإسلامية ، فقعد بهم الجبن عن حماية سلطانهم والدفاع عن أوطانهم ، وسهل عليهم الضعف النفسى احتمال الذلة والهوان :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وزين لهم الضعف الخلقى أن سعادة الحياة فى جمع المال واقتناء العقار ، ولو كان ذلك من طريق الكسب الخبيث والسحت الحرام ، وأن عظمة الرجال فى حمل الألقاب الضخمة والأوسمة الذهبية ، ولو كان ذلك عن طريق خيانة الأوطان والتفريط فى حقوق البلاد ، زين لهم الضعف الخلقى كل هذا ، فخضعت أعناقهم للهوان والذل ، وامتدت أيديهم للرشوة والاختلاس والكسب الخبيث ، واتسعت صدورهم للخيانة وموت الضمائر وفساد الذمم ،

فباعوا أوطانهم بالإقطاعيات الواسعة ، والمناصب والألقاب الخلابة ، والأوسمة والوشاحات البراقة ، ورضوا بأن يكونوا أعوانا للأعداء على احتلال بلادهم ، ومطايا ذللا لاستعباد أممهم واستذلالها ، والبطش بالأحرار العاملين من أبنائها ، فعاشوا عبيد الأهواء والشهوات وأعوان الظلم والاستعباد ، حتى طوتهم الأيام والليالى ، وذهبوا مشيعين بلعنة الشعوب التى ورثوها الفقر والجهل ، وأضاعوا ما كان لها من مجد وسلطان ، وتركوا ضياعهم وقصورهم لغيرهم ، وصدق عليهم قول الله تعالى فى المفتونين من قبلهم : « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » .

فعلى المسلمين أن يزنوا سلوكهم وما يجرى فى مجتمعاتهم وبيئاتهم ، بهذه الموازين الأخلاقية الإسلامية ، ليعرفوا مدى انطباقها على أخلاقهم وسلوكهم ، ومقدار ما بقى لهم من هذه الأخلاق التى ساد بها المسلمون الأولون ، و يتبينوا منازلهم من درجات الإيمان وصفات المؤمنين ، وعليهم أن ينظروا فى تاريخ سلفهم ويتعرفوا أسباب عزهم ومجدهم ، ليعلموا أنهم كانوا يستمدون قوتهم وسلطانهم ، من قوة عقائدهم وسمو أخلاقهم وصلاح أعمالهم ، لا من كثرة الأحزاب والطوائف ، ولا من تعدد القيادات والزعامات ، ولا من فلسفة المتفلسفين وثرثرة الثرثارين ، وأن ما أصاب المسلمين من ضعف وانحلال ، واستعباد واحتلال ، إنما كان نتيجة طبيعية لانحرافهم عن هذه الأخلاق الإسلامية ، واتباعهم لأهوائهم وشهواتهم ، وغفلتهم عن أسباب قوتهم وعوامل ضعفهم .

ألا فليعلم المسلمون إن كانوا لا يعلمون ، أنه لا سبيل إلى استعادة قوتهم وسلطانهم ، وإحياء عزهم ومجدهم وتحرير شعوبهم وأوطانهم ، إلا إذا عادوا إلى التخلق بهذه الأخلاق الإسلامية ، وأعادوا لقوانين الأخلاق والآداب سلطانها على النفوس وهيمنتها على السلوك ، وتعاونوا على تطهير بيئاتهم ومجتمعاتهم من عوامل الضعف والانحلال ، وليس ذلك بعزيز عليهم متى صدقت العزائم ، واستقامت العقول فى تطهرها وتفكيرها ، واتحدت الجهود فى اتجاهاتها وغاياتها ، فالله جل جلاله يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

هـذا هو طريق البعث والنهوض ، والإصلاح والبناء ، والحياة والقوة ، والعزة والكرامة . أما الدعوة إلى الإباحية والفجور ، والتهجم على قدسية الدين وتعاليمه ، والتطاول على أئمة المسلمين وعلمائهم ، والتشكيك فى علومهم وأماناتهم ، فإنما هى معاول هدم وإفساد ونذر شر وبلاء ، لا عوامل بعث ونهوض كما يضللون ، ولا وسائل إصلاح وبناء كما يموهون .

فعلى المسلمين أن يضعوا هذه الحقائق نصب أعينهم ، ويستحضروها فى عقولهم وأذهانهم ويضعوها موضع الاعتبار والتقـدير ، كلما أرادوا أن يتعرفوا أسباب ضعفهم ومحنتهم ، وعوامل بعثهم ونهوضهم ، وعليهم أن يعتصموا بالله ربهم فى جهادهم وكفاحهم ، فالله جل جلاله يقول : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .؟

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر الشريف

عمر بن الخطاب

عاهـل تعنو له فرس وروم   يطعم الناس ومن جوع يصوم
وجــد الدنيا متاعا لا يدوم   فاجتوى الدنيـا فراراً من سقر
وابتغى الفردوس مأوى الخالدين

ولى الأمر نزيها عن نزيه   وهـو لا يبغيه بل يزهـد فيه
ثم ولى ، لم يورثه بنيـه   إنما الحـكم عنـاء وسهر
لا متـاع وغنى للحـاكمين

راغب فى الله عف عن سواه   ما سبت عينيه زينات الحياة
لا ولا اغتر بسلطان وجاه   عمر الفـاروق حـدث عن عمر
موئل العـــدل إمام الزاهـدين

محمود غنيم

ذكرى عيد النصر

أعيدوا حديث النصر فى مسمع الدهر ... وهاتوا عقود الزهر من روضها النضر
وحيوا شهيداً لم يكن غـــير فاتك ... تلقى سهام الموت من ثلل عشر
وأرسى بناء المجد من قبل أن يرى ... ضفادع بحر « المانش » فى الحلل الحمر
وقولوا لأهل البغى قد ضل سعيكم ... وخاب بنو « التاميز » فى البر والبحر
قصدتم خيار الناس بالشر فانبرت ... ملائكة الرحمن تنهض بالأمر

* * *

أتيتم سكارى كالدمى وسط ملعب ... وبتم حيارى كالبراذين فى القفر
شراذم نهب لفقت بعـــد خدعها ... ومزيس كالمعتاد من حولها يجرى
تنادت وقالت إنها خـــير فرصة ... وسيقت إلى الهيجاء من حيث لا تدرى
فلما تراءى الموت للعـين أجفلت ... وغابت عن الأنظار فى غلس الفجر

* * *

تعالوا نصف الربح من بعد حمـــلة ... حشدتم لها المخبوء من عدد الشر
جلوتم بجدع الأنف لا شى غيره ... وما كان يجدى غير هـــذا مع الغدر
وعدتم بنصف الجيش ما بين أعرج ... وآخـــر مبتور الذراع إلى الصدر
نماذج لم تكسب من العطف نظرة ... ولكن رماها الناس بالنظر الشزر

* * *

ربحنا قلوب الناس من كل دولة ... تقدر معنى الغزو فى الوطن الحـــر
وكانوا كأن الحرب فى عقر دارهم ... وبان عريق الأصل فى زمن العسر
شربنا رحيق النصر من بعد غفوة ... عملتم عليها فى ضروب من المكر
وذقتم عذاب الخسر من بعد عزة ... يتوق إليها الحاسدون مـــدى العمر
صمدنا صمود الصخر لا عن تكلف ... ولكن بمعتاد التجلد والصـــبر
وفضل رئيس نابه الذكـــر حازم ... عليه جلال الصالحين بـــلا فخر
سلبت « جمال العصر » من عين حاسد ... وبلغت أقصى ما يرام من الأجر

محمد كامل حمزة شلش

مراقب بمعهد شبين الكوم الدينى

لغويات

بذل مجهودا فى هذه المسألة

أنكر بعض الباحثين هذا الاستعمال ، وأوجب أن يقال : بذل جهده . وهو يرى أن المجهود هو الذى يجهده العمل أو غيره من الهموم ويشق عليه ، وهو اسم مفعول من جهده الأمر إذا عناه وأكله وأنصبه . ومما احتج به أن المجهود بمعنى الجهد لم يرد فى القاموس فى مادة جهد .

وقد جاء المجهود بمعنى الجهد فى القاموس فى غير هذه المادة . ففى ترجمة (عجز) : « وركب فى الطلب أعجاز الإبل أى ركب الذل والمشقة والصبر ، وبذل المجهود فى طلبه » . وفى مادة (فرغ) : « واستفرغ : تقيأ ، ومجهوده بذل طاقته » .

وجاء فى اللسان فى (جهد) : « واجتهدت رأيى ونفسى حتى بلغت مجهودى » . وفيه : « والاجتهاد والتجاهد : بذل الوسع والمجهود » . وفى الأساس : « وبلغ جهده ومجهوده أى طاقته » . وفى إصلاح المنطق ٣٨٩ : والنثيلة والنبيثة : والنجيثة : ما أخرج من تراب البئر . ونجيثة الخبر : ما ظهر من قبيحه . ويقال : بلغت نكيثته أى أقصى مجهوده » .

ويبين مما أوردته أن المجهود فى معنى الجهد عربى صحيح ، وهذا كما جاء الميسور فى معنى اليسر ، والمعسور فى معنى العسر ، والمعقول فى معنى العقل ، فى ألفاظ أخر .

فعل ذلك رغم أنفه

يجرى هذا الاستعمال على أقلام الكتاب فى هذا العصر . والوارد فى العربية أن يقال : فعل ذلك على رغم أنفه ، وبالرغم منه أى على كره منه وإذلال له . وقد نسب الإذلال إلى الأنف لأنه موضع العزة والأنفة والشمم . ولم يعرف عن العرب حذف الحرف فى هذا الأسلوب . وإنما ورد فى كلام المولدين ، فقد جاء فى شعر للفضل بن الربيع وزير الرشيد

والأمين ، وكان مولى للخلفاء العباسيين ، وهو لذلك يفتخر بأنه من هاشم تبعاً لمواليه . وهو يقول :

إنى امرؤ من هاشم بفناء معمور النواحى
أهل الهدى وذوى التقى وبنى البسالة والسماح
أهل النبوة والخلا فة والمحاسن رغم لاحى
أهل المعالم والمكا رم فى المساء وفى الصباح
يتألمون من الصدو د ويصبرون على الجراح

جاء هذا الشعر فى معجم الشعراء للمرزبانى ٣١٣ . وقوله : « بفناء معمور النواحى » كأنه يريد الكعبة ، وهى البيت المعمور ، ولبنى هاشم صلة وثيقة بهذا البيت إذ كانوا أهله وساكنى حرمه . ويصف فى البيت الأخير رقتهم وتأثرهم بالهوى ، ونجدتهم وتحملهم لأهوال الحروب .

الحلق

يقول العامة للقرط : الحلق . والقرط : ما يعلق فى شحمة الأذن من حلى النساء ، ومجاز هذا فى لسان العامة أن القرط كان حلقة من الذهب أو غيره من الجواهر وكان يعلق بها درة أو حبة من جوهر نفيس . والقرط الآن قد لا يكون حلقة تنوس فيها حبة من الدر أو غيره . ويقال للقرط فى العربية : الخرص والرعثة . وجاء فى القاموس (خرص) : « الخرص ـ بالضم ويكسر ـ : حلقة الذهب والفضة ، أو حلقة القرط ، أو الحلقة الصغيرة من الحلى كهيئة القرط وغيرها . والجمع : الخرصان » . وفى إصلاح المنطق ١٤٠ : « والخرص : الحلقة . يقال : ما فى أذن الجارية خرص » . وفى المخصص ٤ / ٣ : ٤ « الخرص والخرص والخرصة : القرط بحبة واحدة . وقيل ، هى الحلقة من الذهب والفضة » . وفيه ص ٤٤ : الخرص : الحلقة التى تكون فى أذن الصبى أو الصبية أو المرأة ، فضة كانت أو ذهبا أو حديدا أو صفرا » .

وقد أخطأت العامة فى استعمال الحلق موضع الحلقة ، وإنما الحلق جمع الحلقة . وهذا كاستعمالهم المصران فى المعى الواحد ، وإنما المصران جمع المصير ، فتوهموا المصران

مفردا ، وجمعوه على مصارين ، وإنما مصارين جمع الجمع . ومن هذا القبيل أنهم يقولون : أسورة فى موضع السوار ، وإنما الأسورة جمع السوار ، وقد أخطئوا فى كسر الهمزة . ولما جعلوا أسورة مفردا جمعوه على أساور .

التناسب فى الرسم للشعر

يقع فى الشعر أن تختم الأبيات بألف ترسم بصورة الياء وأخرى ترسم ألفاً . والمتبع رسم كل ألف بما تستحقه ، وكذلك الحروف المتحركة فى القافية يكون منها ما حركته بعدها حرف من الكلمة ، وأخرى ما حركته لاحرف بعدها . وقد وقفت على نص فى هذا الشأن يبيح مراعاة التناسب فى الرسم كيفما كان . وإذا كان التناسب والازدواج يجيز تغيير الكلمة فى اللفظ فأولى أن يجوز لذلك التغيير فى الرسم ؛ كما قالوا : الغدايا والعشايا ، والغدايا جمع الغدوة ، ولا يكون ذلك إلا فى هذا الموطن ، وإلا فهى الغدوات . ويقولون : أخذه ما قدم وما حدث ، فيضمون الدال فى حدث مراعاة لقدم :

وأذكر أولا بعض الأمثلة لما نحن بصدده ، ثم أتبعها بالنص .

قال بشر بن أبى خازم ، من شعراء المفضليات :

ألا بان الخليط ولم يزاروا ... وقلبك فى الظعائن مستعار
تؤم بها الحداة مياه نخل ... وفيها عن أبانين ازورار
أسائل صاحبي ولقد أرانى ... بصيراً بالظعائن حيث ساروا

فعلى كتابة التناسب يكتب : مستعارو ، ازورارو ، سارو . ويستحسن عدم كتابة الألف بعد الواو فى ساروا ، مراعاة للتوافق ، وقد كان بعض القدماء يسقط الألف عامة بعد واو الجماعة .

وقال الشاعر ملغزا :

ولقد رأيت مطية معكوسة ... تمشى بكلكلها وتزجيها الصبا
ولقد رأيت سبية فى أرضها ... تسبي القلوب وماتنيب إلى هوى

يريد بالمطية المعكوسة السفينة . وعكسها أنها لا تعلف كالمطايا ، يقال : عكس الدابة إذا حبسها على غير علف . وقوله : سبية أصلها سبيئة نخفف الهمزة بإبدالها ياء ، وإدغامها .

والسبيئة : الخمر لأنها تسبأ أى تشترى . والسبية : المرأة يسبيها العدو فى الحرب . وقد رشح هذا المعنى بقوله : تسبي القلوب ، ولكنه أشار بقوله : ما تنيب إلى هوى أنها ليست المرأة . والكتابة على التناسب تبيح أن يكتب الهوى : الهوا بالألف .

وقال عروة بن أذينة :

قالت وأبثثتها وجدى فبحت به : قد كنت عندى تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها : غطى هواك وما ألقى على بصرى

والرسم على طريقة التناسب أن يكتب : فاستترى بالياء على صيغة أمر المؤنث ، ويؤمن من الإلباس أن الخطاب للذكر .

وهاك النص : « إذا قيل : ما الاختيار فى القوافى إذا كانت مقصورة وكان فيها بنات الواو والياء ؟ قيل : الاختيار أن تكتب كلها بالألف لتستوى القوافى وتشتبه صورتها فى الخط . نص عليه الشيخ الرئيس ابن الأحدب فى كتابه (شحذ القريحة فى علم القوافى) . ولم يحك خلافا . وذلك لأن بنات الواو والياء يجوز كتابتها بالألف على اللفظ ، ولا كذلك عكسها ، فلما احتجنا إلى التسوية فى القوافى فى الفعلين كتبناهما بالأمر الجامع بينهما وهو الألف . ولأهل الأدب فى الخط توسع مفرط . قال السيد : رأيت بخط عبد الملك العصامى رسم مثل البعد بياء بعد الدال بمناسبة يعدى فى القافية الثانية ، كما فى قول مهيار الديلمى :

وكنت ألوم العاشقين ولا أرى مزية ما بين الوصال إلى البعـــدى

فأهدى إلى الحب صحبـــة أهله وما كنت أدرى أن داء الهوى يعدى

فسألته عن ذلك فقال : مذهب المحققين من أهل الأدب أن كل ما اقتضته المناسبة يقضى به ، حتى إنهم قالوا : إذا ذكر القر ـ بضم أوله ـ مع الحر فإنه يفتح للتناسب . وحدث المفتوح يضم مع قدم [١] » .

محمد على النجار

---

[١] مواسم الأدب ١/١٩٩ .

كلمة الطب فى حديث الذباب

البحوث والمراجع العلمية تؤيد الحــديث الشريف : « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء »

تحقيق علمى للدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حسين

كثر التعرض لهذا الحديث وخصوصاً من جانب أطباء مكذبين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض ، ونحن نعلم أن من بين الأحاديث التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم ما هو صحيح وما هو مكذوب ، وكان على فقهاء الحديث أن يبينوا الصحيح ويستبعدوا المكذوب ، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الأعلام بصحة الحديث لاستناده لثقة من الرواة ، وتمسك بعض الأطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث ، وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

١ — عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث وكيف يستبعدون الأحاديث المكذوبة .

٢ — محاولة البحث العلمى بافتراض صحة الحديث للوصول إلى حقائق أنبأنا عنها النبى عليه الصلاة والسلام : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » - قرآن كريم .

٣ — عدم الخوض فى موضوع مادة الحديث قبل الرجوع إلى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات . لهذا وجدنا بعد قراءة الموضوع والمجادلات المتبادلة بين الفريقين فى الصحف والمجلات منذ مدة طويلة أن نحاول أن نرد الحق إلى نصابه . ذلك أن بعضنا بعد قراءة آراء فقهاء الحديث عن صحة الحديث لم يتردد فى تصديقه وحاول أن يرجع إلى المراجع العلمية التى تؤيد صحة الحديث .

وقد جاء فى المراجع العلمية أن الأستاذ الألمانى بريفيلد من جامعة هال بألمانيا وجد فى عام ١٨٧١ أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلى من جنس الفطريات سماها امبوزا موسكى من عائلة انتوموفترالى من تحت فصيلة سيجومايسيس من فصيلة فيكومايسيس ويقضى هذا الفطر حياته فى الطبقة الدهنية داخل بطن الذبابة على شكل خلايا خميرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية وفى هذه الحالة

يصبح خارج جسم الذبابة . وهذا الشكل يمثل الدور التناسلى لهذا الفطر وتجمع بذور الفطر فى داخل الخلية إلى قوة معينة تمكن الخلية من الانفجار وإطلاق البذور خارجها وهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور إلى مسافة حوالى ٢ سنتيمتر من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشاش .

ويوجد دائما حول الذبابة الميتة والمتروكة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر ، ورؤوس الخلية المستطيلة التى يخرج منها البذور موجودة حول القسم الثالث والأخير من الذبابة على بطنها وظهرها ، وهذا القسم الثالث أو الأخير دائما يكون مرتفعاً عندما تقف الذبابة على أى مسند لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران ، والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل الخلية المستطيلة إلى قوة معينة وهذا قد يكون مسببا من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة . وفى وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جزء من السيتو بلازم من الفطر كما ذكر الأستاذ لانجيرون (أكبر الأساتذة فى علم الفطريات) فى عام ١٩٤٥ أن هذه الفطريات كما ذكرنا تعيش فى شكل خميرة مستديرة داخل أنسجة الذبابة وهى تفرز أنزيمات قوية تحلل وتذيب أجزاء الحشرة الحاملة للمرض .

ومن جهة أخرى تم فى سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضادة للحيوية (بواسطة آرنشتين وكوك من انجلترا وروليوس من سويسرا فى سنة ١٩٥٠) تسمى جافاسين من فطر من نفس الفصيلة التى ذكرناها والتى تعيش فى الذبابة وهذه المادة المضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوسنتاريا والتيفويد وفى سنة ١٩٤٨ عزل بريان وكورتيس وهيمنج وجيفيريس وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحيوية تسمى كلوتيتزين من فطريات من نفس فصيلة الفطر الذى يعيش فى الذبابة وتؤثر على جراثيم السالبة لصبغة جرام من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد وفى سنة ١٩٤٩ عزل كوكس وفارمر من انجلترا وجرمان ورروث واتلنجر وبلاتنر من سويسرا مادة مضادة للحيوية تسمى انياتين من فطريات من نفس صنف الفطر الذى يعيش فى الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد والكوليرا . ولم تدخل هذه المواد المضادة للحيوية بعد الاستعمال الطبى ولكنها فقط من العجائب العلمية لسبب واحد وهو أنها بدخولها بكميات كبيرة فى الجسم قد تؤدى إلى حدوث بعض المضاعفات بينما قوتها شديدة جدا وتفوق جميع مضادات الحيوية المستعملة فى علاج الأمراض المختلفة . وتكفى كمية قليلة جداً لمنع معيشة أو نمو الجراثيم التيفويد والدوسنتاريا والكوليرا وما يشبهها .

وفى سنة ١٩٤٧ عزل موفتيش مواد مضادة للحيوية من مزرعة الفطريات الموجودة على جسم الذبابة ووجد أنها ذات مفعول قوى فى بعض الجراثيم السالبة لصبغة جرام مثل جراثيم التيفويد والدوسنتاريا وما يشبهها ، وبالبحث عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التى تسبب أمراض الحميات التى يلزمها وقت قصير للحضانة وجد أن واحد جرام من هذه المواد المضادة للحيوية يمكن أن يحفظ أكثر من ١٠٠٠ لتر لبن من التلوث من الجراثيم المرضية المذكورة .

وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد .

أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكوليرا والتيفويد والدوسنتاريا وغيرها التى ينقلها الذباب من المجارى والفضلات أو البراز من المرضى وهى الأماكن التى يرتادها الذباب بكثرة فمكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو فى برازها وهذا ثابت فى جميع المراجع البكتريولوجية وليس من الضرورى ذكر أسماء المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقة المعلومة .

ويستدل من كل هذا على أنه إذا وقعت الذبابة على الأكل فستلمس الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية ، التيفويد أو الكوليرا أو الدوسنتاريا أو غيرها ، وإذا تبرزت على الغذاء سيلوث الغذاء أيضا كما ذكرنا بأرجلها . أما الفطريات التى تفرز المواد المضادة للحيوية والتى تقتل الجراثيم المرضية الموجودة فى براز الذبابة وفى أرجلها فتوجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحيوية إلا بعد أن يلمسها السائل الذى يزيد الضغط الداخلى لسائل الخلية ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل .

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوى الذى يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه لإفساد أثر الجراثيم المرضية التى نقلتها بأرجلها أو ببرازها ، وكذلك يؤكد الحقيقة التى أشار إليها الحديث وهى أن فى أحد جناحيها داء (أى فى أحد أجزاء جسمها الأمراض المنقولة بالجراثيم المرضية التى حملتها) وفى الآخر شفاء وهو المواد المضادة للحيوية التى تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتى تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة للفطريات ؟

تعليقات

عيد العلم

فى نسمات الربيع من عامنا السابق ، ومن عامنا هذا ، تجاوبت الرغبات ، وتآلفت الجهود فى تنظيم المهرجان لعيد العلم .

وهذه يقظة جماعية تشهد بنضوج الوعى ، وانتباه المشاعر نحو أكرم معنى يعتبر خير مقوم للإنسانية ، ومبعث الحياة فى الأرواح التى تحيا بها الأجسام ، ويسير فى ضوئه الركب على مسرح هذا الوجود ، وما بنا من حاجة إلى الحديث عن العلم وبيان فضله على الدنيا ، ورفعه من قيم الأفراد والجماعات . . فتلك توجيهات مركوزة فى عقول الأحياء ، وتنبيهات على محامد شاخصة ، وهى أشبه بتوجيه المبصر إلى ضوء الشمس ، أو توجيه العطاش إلى ضرورة الماء .

وإنما حديثنا عن عيد العلم وما يقتضيه من مباهج تفصح عن تقديرنا للعلم ، وحرصنا عليه ، واعتزازنا به ، وإفادتنا منه لأنفسنا ، ولقوميتنا ، وللناس جميعا .

وإنه لمن تعبيرنا الصادق عن خلجات أنفسنا نحو العلم وعيده تلك الندوات التى تزخر بالعلماء والأدباء والتى يقوم عليها ولاة الأمر ، ويهيئون لها كل وسيلة تتيح لها أن تشع ضوء العلم فى كل ركن ، وأن تبلغ صوته إلى كل سامع ، وأن تثير عبيره فى كل ناحية ، حتى تهتز جنبات الوطن كله بذكريات العلم ، وفضل العلم .

وما كان ليكفينا ابتهاجا بعيد العلم ونحن فى نهضة شاملة أن تخفق الرايات على مشارف الأبنية الحكومية ، ولا أن تصدح الموسيقى فى أكشاك الحدائق ، ولا أن يتغنى أطفالنا ، والمطربون بيننا ، بما يستعذبونه من الألحان والأناشيد . فتلك كلها تعبيرات قاصرة ، لا تترجم عما فى الجوانح من بهجة بعيد العلم .

وكانت تلك الوسائل الشكلية المحدودة تكفينا فى أعيادنا ، يوم كانت حياتنا متئدة ، وكنا مع حكامنا سابقا نعيش فى ظل باهت ، وجو خانق ، وكانت نظرتنا إلى المستقبل محجوبة بحواجز كثيفة .

فأما وقد غدونا فى ظل ظليل من الحرية ، وصرنا فى كفالة حكام أمناء يدفعون بالأمة دفعا قويا إلى أهدافها ، فليس يكفينا فى هذا العيد المبتكر الجديد ما كان يكفى من قبل ، بل لا بد من شيء جديد فى هذا العهد الجديد .

ولا ريب أن فى تلك الندوات ما ينم إلى حد بعيد عن شعورنا جميعا بهذا العيد .

فى هذه الندوات تنبعث توجيهات يذيعها رجال العلم ، وينشرونها ، فتتلقفها الأسماع هنا وهناك ، ويقرؤها القاصى والدانى ، فتزيد الناس تعريفاً بالعلم ، وتجذبهم إلى موارده فى تزاحم ومثابرة .

وفى تلك الندوات فيض من العطف ، يغمر النبغاء من أبطال العلم وأشباله ، يمنحهم الجوائز التى تنفخ فيهم الحيوية الدائبة ، وتبعث النشاط فى نفوس الآخرين .

والعلم فى حقيقته ومظهره وفى جملته وتفصيله قبس من نور الله تعالى ، تفضل به على عباده ، فبعث بالجانب الروحى منه رسله إلى الأمم يبلغونهم دعوة ربهم إلى توحيده ، وإلى الاتحاد والتعاون فيما بينهم ، وترك الجانب المادى منه للمواهب والعقول تبذل فى سبيله نشاطها ، وتدرك من أنواعه ما يتاح لها ، وتستخدمه فى الانتفاع بالطبيعة والكشف عن أسرارها ، وتهتدى به إلى ما أودع الله فى هذا الكون من آثار قدرته ، وعجائب صنعه .

ثم دعاهم إلى الجد فى دنياهم ، كما دعاهم إلى الحرص على دينهم ، وامتدح أهل العلم ورفع من قدرهم وأشاد بهم فى كتبه السماوية ، وخاصة - القرآن الكريم - وعرفنا - سبحانه - أن العلم للدين والدنيا جميعاً ، وأنه وسيلة إلى الخير العام ، دون ضرر أو إضرار به ، ودون انحراف به عن أهدافه الإيجابية للبشر جميعاً ، ومن شأن العلم أن يرتفع بالأنفس عن لوثة الغرور ، وأن يزيدها حباً فى الخير للإنسانية ، وأن يصقلها صقلا أدبياً يميز بينها وبين ذوى الجهالة والقسوة :

والعلم إن لم تكتنفه شمائل غراء كان مظنة الإخفاق

وعلمنا مهما كثر قليل فى ذاته : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

وحينما يجتاز العقل البشرى مراحل البحث ، ويستنفد طاقته فيما قدر له من معرفة تكون الدنيا آذنت برحيل : (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً ، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) .

ولعل فى هذا النبأ الصادق تبصيراً لأولى العلم بالتواضع ، والتراحم ، وعدم الشطط فى الغرور . وبعد - فإذا كانت للناس أعياد تهز مشاعرهم بالتعاطف ، وتدنى قلوبهم إلى استشعار الإخاء والتصافى ، فعيد العلم أجدر بذلك ، لأنه رباط يضمهم جميعاً فى إطار واحد واسع ، وإن تمايزت فيهم الجنسيات ، وتنوعت لديهم اللهجات ، والديانات .

ولو أن فى الامكان أكثر مما يبديه اليوم من شعائر البهجة بعيد العلم لوجب أن نفعل ، ولوجب أن ننهض به من فترة إلى فترة ، بدلا من عام إلى عام .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش

الناحية الدينية فى مدارسنا

من مقال للدكتور على عبد الواحد وافى فى جزء جمادى الآخرة من مجلة (منبر الإسلام) :

« قامت النظم التى وضعها دنلوب للتعليم العام الابتدائى والثانوى ، وتعهد لها خلفاؤه من الإنجليز والمصريين ، على إغفال ناحية الدين من التربية فى المدرسة ، بل على محاربته من وراء ستار ، ومحاربة ما يتصل به من شئون التربية الخلقية والاجتماعية . وجريا على طريقتها الماكرة فى ستر سوءاتها فسحت مجالا يسيرا لبعض دروس فى الديانة ، لكنها أمعنت فى التهوين من شأنها فوضعتها فى هامش المنهج الدراسى ، وأعفت التلاميذ من الامتحان فيها .

ثم أخذت المدرسة المصرية بعد أن تحررت من سيطرة الإنجليز توجه بعض العناية لهذه النواحى ، ولكنها لا تزال إلى الوقت الحاضر مقصرة فى جنبها تقصيراً كبيرا ، ولا تزال بعيدة كل البعد عما ينبغى أن تكون عليه » .



شرح شعلة على الشاطبية

لأبى عبد الله محمد بن أحمد الموصلى - ٦٥٦ ص - نشره الاتحاد العام لجماعة القراء

منظومة الشاطبية فى القراءات المسماة « حرز الأمانى » لأبى القاسم بن فيره الرعينى الشاطبي : (٥٣٨ - ٥٩٠) هى مرجع القراء فى ضبط القراءات السبع المتواترة ، وعليها العمدة فى مصر والعالم الإسلامى فى تلق كتاب الله وتلقينه حفظا وتلاوة من القرن السابع الهجرى إلى الآن ، لما امتازت به من الإحاطة وجودة السبك وعذوبة اللفظ وحسن التوجيه.

وقد خدمت هذه المنظومة بالشروح الكثيرة ، وأحسن الاتحاد العام لجماعة القراء بنشر شرحها « كنز المعانى » لأبى عبد الله محمد بن أحمد الموصلى الشهير بشعلة (٦٢٣ - ٦٥٦) لما امتاز به من حسن النظام وجمال الترتيب ، حيث تكلم على كل بيت من ثلاث نواح : اللغة ، والإعراب ، والمعنى الذى هو المقصود الأول من الشرح . وبعد بيان معنى البيت وشرح المقصود منه والوقوف بالقارئ على قراءات الأئمة يبين وجهها من اللغة وعلتها من كلام العرب بلفظ موجز وعبارة سهلة .

وقد قام بتصحيحه ومراجعته والتعليق عليه الأستاذان الفاضلان الشيخ متولى عبد الله الفقاعى ، والشيخ محمد سليمان صالح المدرسان بمعهد القراءات بالأزهر ، فنرجو الله أن ينفع به .

القرآن - آداب تلاوته وسماعه

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف - ٣١ ص - مطبعة لجنة البيان العربى

هى رسالة وجيزة جامعة فى آداب تلاوة القرآن الحكيم وسماعه ، وحكم قراءته بالتطريب والألحان ، وحرمة تلحينه كالأغانى . قصد بها التنبيه إلى الصواب ، والتحذير مما يعاب

فى حق كلام الله جل جلاله ، والتأدب فى تلاوته وسماعه بالأدب القويم ، المأثور عن الرسول الكريم ، وقد جاءت هذه الرسالة فى وقتها عقب جرأة من لا يخافون الله فى كتابه على ما لم يجرؤ عليه أعداؤه من قبل حتى أحبط الله فتنتهم ، على ما نشرناه فى جزء صفر من هذا العام.

القرآن الكريم

بالرسم العثمانى - ٤٩٦ صفحة - نشره جعفر محمد مصطفى

أهديت إلينا نسخة أنيقة من كتاب الله عز وجل على ما يوافق الرسم العثمانى . مختومة بفصل فى التعريف برسمه وطريقة ضبطه وعدد آياته واصطلاحات الضبط وعلامات الوقف نقلا عن الطبعة الرسمية فى سنة ١٣٣٧ . وهو مجهود مشكور فى نشر كتاب الله وتعميمه .

الرسول القائد

للعقيد الركن محمود شيت خطاب - ٢٧٣ ص - المطبعة الإسلامية ببغداد

هو كتاب فى سيرة الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - من الناحية العسكرية . مبدوء بعد بيان المصطلحات العسكرية بفصل عن الحرب العادلة والقتال فى الإسلام ، تليه فصول عن الموقف العسكرى العام قبل نشوب القتال ، وعن دوريات القتال والاستطلاع الأولى ، ثم الصراع الحاسم بين الإسلام والشرك فى غزوة بدر ، وغزوة الحديبية وثمراتها وفتح مكة ، وغزوة حنين ، وحصار الطائف ، ومولد الامبراطورية الإسلامية فى حملة تبوك . وختم الكتاب بفصل فنى عن أسباب النصر الإسلامى بقيادة عبقرية ، وجنود ممتازين ، وحرب مثالية عادلة ، وأن الأرض للصالحين .

لقد جرب كثيرون من أفاضل رجال الجيش فى البلاد الإسلامية الكتابة عن السيرة المحمدية من الناحية العسكرية ، وهذا الكتاب آخرها وأدقها بحثا وأكثرها تحقيقا . وقد قدم له سيادة الفريق الركن محمد نجيب الربيعى رئيس مجلس السيادة فى العراق ، فلفت إليه الأنظار .

ذكرى أبى الثناء الألوسى

للأستاذ المؤرخ عباس العزاوى المحامى - ١١٤ ص - طبع شركة التجارة والطباعة ببغداد

أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسى (١٢١٧ - ١٢٧٠) صاحب التفسير الكبير

(روح المعانى) علم من أعلام الإسلام فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وقد أفرد حياته بالتأليف الأستاذ المؤرخ الكبير السيد عباس العزاوى الذى سبق لنا التنويه ببعض مؤلفاته القيمة التى ملأت فراغاً فى المكتبة العربية . فألم فى هذا الكتاب بعصر الألوسى وحياته وحالة الآداب والعلوم فى زمانه ، معتمدا فى كل فقرة على مستنداتها من تراث ذلك العصر ، وإن شطرا عظيما من هذه المستندات والوثائق من مدخرات مكتبة المؤلف التى تعد من أثمن المكتبات الخاصة فى العراق ، وتزداد قيمتها بما يصدره المؤلف من بحوث ومؤلفات متتابعة معتمدا عليها . زاده الله توفيقا .

القلائد الجوهرية ، فى تاريخ الصالحية

لمحمد بن طولون الصالحى - ٥٩٥ ص - بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان

محمد بن على بن أحمد بن طولون (٨٨٠ - ٩٥٣) معدود فى علماء الشام بمنزلة الجلال السيوطى فى علماء مصر ، وقد أدرك ابن طولون ثلاثين سنة من حياة السيوطى ثم تأخر عنه ، وهو كالسيوطى فى غزارة إنتاجه وكثرة مؤلفاته ، فقد بلغت ٧٤٦ مؤلفا بين رسائل صغيرة وما يبلغ المجلد أو المجلدات المتعددة ، وكثير منها فى التاريخ والخطط .

وصالحية دمشق هى المدينة الرابضة فى سفح جبل قاسيون المتصل بدمشق ، وهى مدينة علم لها فيه قدم صدق ومقام رفيع ولا سيا بعد نكبة فلسطين بالحروب الصليبية وجلاء آل قدامة وغيرهم من أعلام العلم والفقه إلى دمشق ، فكان استقرارهم بجبل قاسيون ونبغ منهم الإمام الموفق الذى قال عنه ابن تيمية : ما دخل الشام بعد الأوزاعى أفقه منه ، وأخوه الشيخ أبو عمر وهم من سلالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقد أقاموا فى الصالحية مدارس ومعاهد للعلم ودورا للكتب وألفوا فى الفقه وأصول الدين وعلوم السنة الكتب النفيسة التى جددت شباب العلم الإسلامى من القرن السادس الهجرى .

وكتاب القلائد الجوهرية لابن طولون هو تسجيل لتاريخ العلم والدين والعمران فى هذه البقعة المباركة من عاصمة بنى أمية ، وقد قام الأستاذ العلامة الشيخ محمد أحمد دهمان بتحقيق هذا الكتاب عن صورة شمسية للنسخة الوحيدة منه بخط مؤلفه ، وبعث فيه أضواء تزيل غوامضه وتقارن ماضى تلك البقاع بحاضرها . واستدرك عليه من التحقيقات والحقائق مالا ينتظر

أن يصدر عن المؤلف نفسه لو أنه قام بهذا العمل العلمي الجليل . وصديقنا الجليل الأستاذ الشيخ محمد دهمان هو الذى عهد إليه المجمع العلمي الدقيق بدمشق تحقيق المجلد الثالث من تاريخ دمشق لابن عساكر ، فحضر إلى القاهرة لمقابلة الأصول التى تحت يده بالمخطوطة الثمينة منه الموجود كثير من مجلداتها فى المكتبة الأزهرية . فنشكره على عنايته السابقة بتاريخ الصالحية لابن طولون ، ونرجو له التوفيق فى مهمته اللاحقة لإنجاز جزء تاريخ ابن عساكر ، ولا يعرف قدر هذه الجهود العلمية إلا من يكابد أمثالها .

فرائد إسلامية نافعة

للأستاذ حمدى عبيد — مجموعة فى ستة كتب — المكتبة العربية بدمشق

زار القاهرة فى الشهر الماضى الأديب الدمشقى الفاضل السيد حمدى عبيد ، وأتحفنا بمجموعة من منشوراته القيمة ، إحداها رسالة فى ٢٠٨ صفحات بعنوان « إلى الحياة » ، وهى آيات من كتاب الله تدعو إلى الصلاح والإصلاح ، أتبعها كلمات توضحها وتسهل فهمها ، وكل كلمة منها مما ينفع المسلمين فى الدنيا والآخرة .

والثانية فى ١٨٤ صفحة بعنوان « من تراث النبوة ، فى العلم والحكمة والأخوة » ، وهى طائفة من أحاديث الرسول ، اختارها من صحيح البخارى ورتبها وعلق عليها .

والثالثة فى ٩٦ صفحة بعنوان « الأحاديث النبوية فى الأخلاق والاجتماع والمدنية » ، وهى مائة حديث يحتاج إليها الخطيب والواعظ والتاجر والعامل والمحكوم والحاكم ، اختارها من صحيحى البخارى ومسلم ورتبها وعلق عليها .

والرابعة فى ٣٢ صفحة بعنوان « المختار من الأدعية والأذكار » ، اختارها من مختصر صحيح البخارى للزبيدى ومن كتاب الأذكار للنووى ، وألحق بها منسكا مختصرا فى ترتيب أعمال الحج .

والخامسة فى ٢١٦ صفحة بعنوان « من عيون الأخبار » ، وهى كلمات سياسة وعدل ، وعلم وفضل ، وأدب ونبل ، وجد وهزل ، اختارها من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة .

والأخيرة فى ١٢٠ صفحة بعنوان « من صميم الحياة » فى التوجيه الخلقى والاجتماعى والسمو الروحى والمادى ، وهى كلمات فى النصيحة والتذكير تزيد على مائة كلمة مستمدة كلها من مبادىء الإسلام وتوجيهاته . فنرجو الله أن ينفع بها .

الأدب والعلوم

تخطيط جديد شامل

للتعليم الابتدائى

عقد السيد كمال الدين حسين اجتماعا مع خبراء وزارة التربية والتعليم استمر ثمانى ساعات لوضع الخطوط الرئيسية لتخطيط مشروعات التعليم الابتدائى وأهداف الدولة فى إعداد جيل المستقبل . قال لهم الوزير : إن مرحلة التعليم الابتدائى تعتبر من أخطر المراحل التعليمية التى يجب أن يعد فيها الطفل إعداداً سليما ، لأنه قد ثبت أن ٨٠ ٪ من تلاميذ المرحلة الابتدائية يكتفون بها وتكون معارفهم فيها هى سلاحهم الوحيد فى الحياة .

إن المدرسين والنظار والمناهج والمبانى يجب أن تجند كلها لإعداد تلميذ المرحلة الابتدائية إعداداً صالحا ، ومن أهم أهداف المدرسة الابتدائية أن لا ينفصل الطفل عن البيئة التى يعيش فيها ، وأن لا يتعالى عليها فى المستقبل أو يهرب منها . نريد أن نعد جيلا يخدم بيئته التى عاش فيها وتعلم فى مدارسها . ولذلك يجب أن يدرس الطفل كيف يحترم العمل اليدوى الذى هو أساس المجتمع ، والذى سيقضى على كل نوع من أنواع البطالة باشتراكه فى عمل الحقل وفى المصنع ضمن برنامج الدراسة ، وأن يراعى مستوى البيئة التى يعيش فيها . وسيتعلم الطفل الآداب والسلوك والعادات الصحية والاجتماعية لتكوين جيل يحسن التصرف مع الأفراد والجماعات . وسيعنى فى تدريسه بالمبادىء التعاونية الاشتراكية وتدعيم القومية العربية حتى إذا اكتفى متخرج المرحلة الابتدائية بذلك والتحق بالعمل فى بيئته كان مواطنا مستنيراً وعضواً صالحا فى المجتمع .

وتخطيط للإعدادى والثانوى

والتعليم الفنى

وعقد السيد كمال الدين حسين اجتماعا آخر مع خبراء وزارة التربية والتعليم استمر عشر ساعات ، لوضع الخطوط الرئيسية التعليم الإعدادى والثانوى العام والتعليم الفنى . وطلب من الخبراء أن توضع مواصفات معينة للتلميذ الذى يقبل بكل مرحلة ، والمستويات التى يجب أن يصل إليها . وأن توضع مناهج جديدة تتلاءم وحاجة البلاد ، ومواجهة زيادة عدد المقبلين على التعليم ، ودراسة توحيد امتحانات القبول للإعدادى ، وأن يراعى فى مناهج

المراحل الإعدادية والثانوية العامة موضوعات الفنون التطبيقية والأعمال اليدوية .

وقد تقرر أن يبدأ فورا إنشاء المدارس الثانوية الشاملة التى يدرس فيها الطلبة المواد النظرية والعملية . وستكون الدراسة فى العلوم عملية بحتة ، وستلغى مدرجات العلوم ويستعاض عنها بالدراسة فى المعامل .

وأثار الوزير فى التعليم الفنى موضوع تخريج العامل الفنى الذى يعمل بيديه فى الحقل والمصنع والشركة ، ويقوم بصناعة وإعداد الآلات البسيطة التى لا يستطيع العامل البسيط القيام بها ، وأن توضع مناهج جديدة لتخريج الفنيين اللازمين لمشروعات السد العالى والوادى الجديد ، ومشروعات التصنيع على أساس أنه حقيقة واقعة .

وطلب دراسة إنشاء مدارس إعدادية تجارية للبنين لتخريج باعة وموظفين فنيين فى المؤسسات . وإعداد مناهج ثقافية جديدة تمس المهنة من حيث احترام العمل اليدوى . وإعداد كتاب للمعلم به نماذج تيسر له العمل فى التدريس .

الكتب المدرسية

أعدت وزارة التربية والتعليم مشروع قانون بتحريم طبع كتب مدرسية إلا بعد عرضها على الوزارة ، ويوجب هذا القانون على المطابع أن تقدم - خلال ستة أشهر - جميع ما لديها من كتب مدرسية خارجية إلى الوزارة لمراجعتها وسيصدر قرار وزارى يحرم على المدارس استعمال الكتب غير المعتمدة .

صاروخ يبلغ المدار الشمسى

فى يوم الجمعة ٢ يناير أطلقت روسيا صاروخا موجها إلى القمر بلغ وزن الجزء الأخير منه ١٤٧٢ كيلو جراما ، وهو مزود بأجهزة لمعرفة الحقل المغناطيسى للقمر ، وكثافة الأشعة الكونية خارج الحقل المغناطيسى للأرض ، والكشف عن النشاط الإشعاعى للقمر ، ودراسة توزيع النوويات الثقيلة فى الإشعاع الكونى ، والعناصر الغازية بين الكواكب ، وذرات الأشعة الشمسية ، وجزئيات الشهب .

وقد عبر الصاروخ حدود روسيا الشرقية عقب إطلاقه ، ومر فوق المحيط الهادى وجزر هاواى وفوق جنوب سومطرة على ارتفاع ١١٠ آلاف كيلو متر من سطح الأرض . وهو يسير بسرعة ٧ أميال فى الثانية ، وقطع حتى مساء السبت ٣ يناير أكثر من ٢٨٤ ألف كيلو متر ، أى حوالى ٨٠ فى المائة من المسافة بين الأرض والقمر .

وفى يوم الثلاثاء ٦ يناير أعلن نويشيف نائب رئيس أكاديمية العلوم الروسية أن الصاروخ وصل إلى أقرب نقطة من القمر فى الساعة الخامسة والدقيقة ٥٩ من صباح ٤ يناير بتوقيت موسكو ، وبعد مضى ٦٢ ساعة على إطلاقه وصل إلى مداره حول الشمس .

أنباء العالم الإسلامي

اتفاق السد العالى

تم فى يوم ٢٧ ديسمبر توقيع اتفاق المرحلة الأولى من بناء السد العالى بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة ، وصدر بذلك بلاغ مشترك . وينص الاتفاق على أن حكومة الاتحاد السوفيتى تقوم بتوريد ما يلزم لهذا المشروع من آلات ومعدات وماكينات وكذلك المواد التى لا تتوافر بالجمهورية العربية المتحدة . وستوفد العدد اللازم من الإخصائيين الفنيين للقيام بالإدارة الفنية لتنفيذ بناء السد .

ولتغطية النفقات التى تتكبدها الهيئات السوفيتية فيما يتعلق بتنفيذ التعهدات المشار إليها فإن حكومة الاتحاد السوفيتى تقدم إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة قرضاً طويل الأجل فى حدود أربعمائة مليون روبل بتسهيلات كبيرة ، على أن تؤدى قيمة هذا القرض عن طريق توريد السلع المحلية إلى الاتحاد السوفيتى وتقوم حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتكوين هيئة خاصة تتولى الشئون الإدارية والفنية والمالية للمشروع .

وبعد توقيع الاتفاق خطب المشير عبد الحكيم عامر فقال :

إن مساهمة الاتحاد السوفيتى فى بناء السد العالى دليل جديد على المساعدة المخلصة التى يقوم بها الاتحاد السوفيتى بمساعدتنا فى بناء اقتصادنا القومى بلا قيد ولا شرط .

الجيش العراقى

احتفل العراق بالذكرى الثامنة والثلاثين لتأسيس جيشه وخطب اللواء عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية فى هذه الذكرى فأكد تصميم العراق على انتهاج سياسة التعاون والتضامن التام مع البلاد العربية المتحررة فى جميع الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، لتقف هذه الأمة صفاً واحداً فى العمل على تحقيق أهداف القومية العربية وإعلاء كلمة العرب .

الوادى الجديد
الموازى لوادى النيل

أشار الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ ديسمبر فى بور سعيد إلى أن الوادى الجديد الموازى لوادى النيل سيكون هو المشروع الذى يأخذ الأولوية الثانية بعد السد العالى . وكان معلوما أن مياها جوفية تتسرب بكميات هائلة من منطقة بحيرة تشاد وتنحدر متدفقة إلى المناطق الواطئة فى اتجاه البحر ، وطوال العام الماضى كاف سلاح المهندسين فى الجيش بإرسال بعثات إلى المنطقة وحفرت آبار تجريبية بين الواحات .

وتفيد نتائج هذه الأبحاث أن أقل الاحتمالات الممكنة هى الحصول على مليون فدان جديدة تزرع وتصل الواحة الخارجة بوادى النيل الأصلى ، ويمكن أن يصل هذا الرقم إلى ثلاثة ملايين فدان . وقد تقرر البدء بدراسة المشروع على أعلى مستوى على ممكن ، وسوف تبحثه الوزارات المختصة ، ويعرض على خبراء عالميين ليبدوا آراءهم فيه . وإن كتائب الخدمة الوطنية التى تضم الشباب الفائض عن حاجة القوات المسلحة وغيرهم من المتطوعين سوف تكلف بالاشتراك فى تنفيذ هذا المشروع الكبير .

وقد تم وضع مشروع كامل للسكك الحديدية يربط بين وادى النيل والواحات ، إذ يعتمد تعمير الوادى الجديد على سهولة المواصلات لنقل الأفراد والمواد والمعدات اللازمة إلى مناطق التعمير ونقل منتجات الوادى الزراعية .

وإن مشروع الوادى الجديد لايدخل ضمن مشروعات استصلاح الأراضى التى تعتمد على المياه التى يوفرها مشروع السد العالى ، وإن كان المشروعان سيرتبطان فى النهاية بالطاقة الكهربائية التى ستستخدم فى إدارة المضخات والإنارة وتشغيل المولدات فى أراضى المشروعين .

وسوف يستخدم الفنيون جميع الوسائل لاستخراج المياه الجوفية ورفعها لرى الوادى الجديد الذى بدئ فعلا بزراعته ، وسيجلبون القوة الرافعة باستخدام الوقود والكهرباء والمراوح حتى الطاقة الشمسية .

مقاتلاتنا تسقط طائرة إسرائيلية

فى الساعة الواحدة بعد ظهر ٨ يناير اجتازت ٦ طائرات إسرائيلية حدود سيناء فوق منطقة القسيمة ، فتصدت لها أربع من طائراتنا المقاتلة ، ودارت معركة جوية أسفرت عن إصابة طائرتين شوهدت إحداهما وهى تسقط داخل الحدود الإسرائيلية عند « بيرين » بينما اختفت الثانية فى السحب ، ولاذت الطائرات الإسرائيلية الأربع الأخرى بالفرار داخل الحدود الإسرائيلية .

وقد سجلت هذه المعركة بأجهزة التصوير المثبتة فى طائرات الجمهورية العربية المتحدة .

صناعة

السفن بالإسكندرية

تبين لحكومة الثورة سنة ١٩٥٥ أن البلاد فى حاجة إلى إنشاء دار صناعة بحرية تتناسب مع احتياجات الدولة ، لا سيما بعد أن تعرضت البلاد لضغط اقتصادي وسياسى شديدين إبان حرب فلسطين لعدم توافر السفن وناقلات البترول وتعذر إصلاح هذه السفن إصلاحاً فنياً فى المياه المصرية .

[illegible] مشروع لإقامة دار صناعة [illegible]ندرية وطرح فى مناقصة عالمية فتقدمت عدة دول بعروض لإقامته ثم رسا المشروع على الاتحاد السوفيتى ليقوم بتنفيذه فى عام ١٩٥٩ / ١٩٦٠ على أساس أن تكفى دار الصناعة لبناء سفن تجارية وحربية وناقلات بترول ، ويخصص ٧٠ ٪ من كفاءة العمل للبناء و ٣٠ ٪ للإصلاح ، ويسمح التصميم ببناء سفن مختلفة النوع يصل طولها إلى ١٦٠ متراً ويعادل إنتاجها السنوى ما حمولته ٥٠ ألف طن ، ويستخدم فى بنائها ١٥ طن من الصلب الناتج من مصانع الحديد والصلب بحلوان .

وقد تبودلت البرقيات بين الهيئة العامة لمشروعات السنوات الخمس بالإقليم المصرى والسلطات المختصة بالحكومة السوفيتية فى موسكو بالموافقة على أن يقوم الجانب الروسى بهـذا المشروع ، وإلحاقه باتفاقية التصنيع بين البلدين .

الحرب

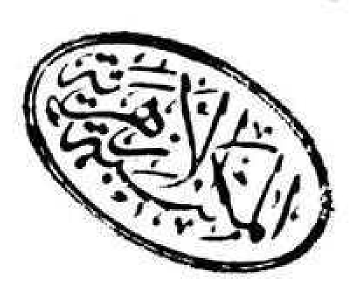
على الإسراف

بعثت رياسة الجمهورية خطابات رسمية إلى جميع الوزراء المركزيين والتنفيذيين تطلب فيها إليهم أن يدرسوا جميع الأوضاع فى وزاراتهم على ضوء ما ذكره الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى المؤتمر التعاونى فيما يختص بموضوع الإسراف ، وطلب فيه إلى جميع الوزراء أن يكتبوا إلى رياسة الجمهورية تقارير مفصلة عن اقتراحاتهم العملية ـ كل فى دائرة اختصاصه ـ لضغط هذا الإسراف وتلافيه ، وينتظر أن تشكل لجنة عليا لدراسة هذه التقارير ، وستدرس هى بنفسها الموقف فى جميع الوزارات على ضوء تقارير الوزراء ، وترسم خطوط السياسة العامة للحد من الإنفاق الذى يزيد عن حدوده فى كثير النواحى .



لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر



فضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

- يوضح حكم الشريعة الإسلامية فى المسائل الدقيقة التى تهم المسلمين وغيرهم .
- ويشرح الخطوط العريضة للسياسة التى وضعها فضيلته ، ليقوم الأزهر بأعباء رسالته العالمية .
- ويبين الحلول الصحيحة للمشكلات الدولية والمحلية

حديث الأستاذ الأكبر مع مندوب جريدة البوبولو الإيطالية :

الدكتور دليوكا انجيلو مندوب جريدة البوبولو صحفى إيطالى، طلب مقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، لا بوصف كونه صحفياً فحسب ، إنما ينضم إلى ذلك أنه صحفى يريد أن يضع كتاباً عن النهضة الإسلامية فى العالم ، وأثر هذه النهضة فى دعم السلام وخاصة النهضة الإسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة ، التى تضم الأزهر قبلة العالم الإسلامى العلمية ، والذى يتطلع إليه المسلمون والعرب على أنه بيده أمانة القومية العربية، والمكان الذى تنبثق منه الأشعة التوجيهية ، البلد الذى أنجب جمال عبد الناصر ، باعث القومية العربية ، ورافع لواء نهضتها ومذكى شعلة التقدم فيها .

قال الصحفى : لقد سمعت عن الشيخ الأكبر شلتوت وأنا فى إيطاليا ، وتاقت نفسى لأن أرى إمام المسلمين ، ورائدهم ، وأن أجلس إليه لأستمع إلى حديث يتدفق معه سيل يحدد المسائل التى تعلق بالأذهان فى هذه الحقبة من الزمن ، وتوضع أمامها علامات الاستفهام ؛ لأرفع علامات الاستفهام التى تتخيلها الأذهان وترسمها أمام بعض المسائل ، تمنيت ذلك كثيراً وعندما حدد لى الموعد الذى سألتقى فيه الشيخ الأكبر وأستمع إلى إمام المسلمين تنبأت لكتابى بأنه سيؤتى أكله ويفيد فائدته ، ويحقق الغاية العلمية من ورائه .

جلس الزائر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر وحياه تحية عبقة فى احترام وعمق تقدير ، فابتدره فضيلة الأستاذ الأكبر بحسن ترحيب قائلا : إننا نحيى فيكم البحث عن الحقائق ، وميلكم إلى الوصول إليها فى دقة مهما كلفكم الأمر ، وهذا هو الأمر عندنا فى الشريعة الإسلامية ، تستحثنا على بذل الجهد وتحرى الحقائق ، وتتبعها أينما كانت ، وحيثما وجدت ، كما يأمرنا الله بالدقة فى الأخبار بحيث لا يهجم الإنسان على العلم والمعرفة ، إلا بعد انتهاله من مناهلها الصحيحة ، ولذا يقول الله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب . ولا تقف ما ليس لك به علم » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع ».

واستطرد فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا : إن الأزهر وشيخه ليقدر الصحافة حق قدرها ، فإننى أراها موجهة ومرشدة ومبصرة للناس والشعوب ، وذا مما يتفق إلى حد كبير ، وطبيعة رسالة الأزهر التى تقوم على المعارف الإلهية . تنير طريق الناس وتأخذ بأيديهم إلى الخير والسداد ، إن رسالة الصحافة تدفع إلى الطريق المستقيم حينما يحسن القصد وتخلص النية وبذا تصبح الأهداف قريبة والغايات يسهل الوصول إليها .

وإننى أعتقد يا أخى أن مقالا واحداً من صحفى يؤمن بفكرته ، ويأمل الوصول إلى غاية سامية، لأجدى على المجتمع من آلاف الدروس والمحاضرات ، حيا الله الصحافة الحرة ، وبارك لها فى أهدافها وقوى أجنحتها فى كل مكان ، لنتعاون جميعاً على البر والتقوى إن شاء الله .

قال الصحفى الإيطالى مسيو دليوكا انجيلو : إننى لفخور بما ظفرت به الصحافة من جميل تقديركم لها ، وسامى شعوركم نحوها ، وأود أن أقول لكم : إننى بالرغم من أننى إنما جئت لأسجل ما أظفر به فى كتاب أعلن فيه عن النهضة الإسلامية ، فسأكتب مقالا فى أوسع الصحف انتشاراً لأننى أعلق على كل ما أظفر به من توضيح لرسالتكم فى الأزهر آمالا كباراً ، بقدر ما يشاركنى فى ذلك الصحفيون والمسلمون فى أنحاء الدنيا .

• ما مدى التطور الذى يستطيع الناس أن يلمسوا فيه تحقيقاً للمبادئ التى تحرص عليها الأمم الحرة الآن لتكون دعائم السلام الذى تنشده ؟

ـ وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر بصوته الجهورى فى ثقة وإيمان واعتزاز ، وقد رفع المصحف بيده : هذا هو القرآن الكريم ، ثالث الكتب ، أنزله الله سبحانه على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليرشد الناس به إلى مايجب أن يأخذوا به أنفسهم ، ويوحدوا به حياتهم ، ويكونوا به مجتمعهم ، على الوجه الذى يسعدهم فى الدنيا بالعزة والسلطان ، والتمكين والهيمنة على الحق « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » القرآن وضعت فيه مبادئ هامة وقوية ، يجب على البشرية أن تتعلمها وأن يتعرفوا إليها ، فإنه مهما تقدمت المدنية وانتصرت فلن تصل إلى ماحمله القرآن للبشرية جمعاء ، إن القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم تستطيع أن تجد فيه كل ما تعتبره المدنية حديثا وجديدا ، فإليك النظام الذى جمع المصالح المشتركة ودافع عنها « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » وفى سبيل ذلك يؤلف قلوبهم بإرجاعهم إلى أصل واحد حيث يناديهم بقوله تعالى : « يا بنى آدم » فى آيات كثيرة تنبه إلى أنهم من أصل واحد فأولى بهم التقارب والتآلف والتعارف والتناصر والتآزر ، وفى هيئات التحكيم وفى البوليس الدولى تستطيع أن تجد ذلك فى قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » ، ثم تراه وقد نادى بالسلام نداء صريحا واضحا : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » .

من دعائم السلام

نشر العدل والإحسان

الظلم هو أساس الحروب وطريق من طرق نشر الفوضى وعدم الاستتباب ، بل هو أساس الاشتباكات التى تحدث بين الأفراد والجماعات ، لكن العدل هو اليد البانية ، والقلم الذى يخط خطوط الاستقرار والهدوء ، والذى يرسم الحق واضحا ، فلا يأخذ من أحد ليعطى غيره إلا عن حق من غير ما طغيان أو ظلم « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

موقف الدين الإسلامى من الأديان الأخرى

إن الشريعة الإسلامية إنما جاء القرآن بها مصدقا لما بين يديه من الكتب ، كما أنه يحث

على عدم التنابز بالأديان «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه».

والإسلام دائماً يدعو إلى الوحدة وينهى عن التنابز، وينبه إلى التكتل، وإذا قاتل فإنما هو قتال الدفاع لا قتال العدوان «ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».

وإنك لترى أن الدين الإسلامى لا يرغم أحداً ولا يكرهه على الدخول فيه «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى»، «ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين».

أوثق الروابط بين الشريعة الإسلامية والأديان الأخرى

ولعلك تستطيع أن تدرك مدى ما يحرص عليه الإسلام من توثيق الصلات وتقوية الارتباطات بينه وبين غيره من الأديان؛ لتصفو الأمة وتتحد كلمتها وتحافظ عناصرها بعضها على بعض، فربط بينها وبينهم برباط المصاهرة التى يترتب عليها أن يكون خال الولد من أهل الكتاب، وإذا وجدت هذه الخئولة توطدت العلاقات وقويت الصلات، وكذلك ترى التبادل فى المأكل والمشرب، إذ أن التبادل دائماً مهمته تقريب القلوب وتحبيب النفوس «اليوم أحل لكم الطيبات، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب»، واعل فى مقابلة هؤلاء بهؤلاء إظهار الود وحسن تقريب القلوب.

• كيف تفرق بين كلمة الإسلام والجهاد الإسلامى، وبين الثورة الحالية فى سبيل التطور نحو مبادئ الاشتراكية والقومية العربية ؟

إن أساس الاشتراكية فى الإسلام الزكاة، والزكاة فى حقيقتها وواقعها نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها وهى المستخلفة على حفظه وتنميته إلى اليد الأخرى وهى اليد العاجزة عن الكسب والانتفاع «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه»، «وآتوهم من مال الله الذى آتاكم»، فأنت ترى من هذا أن الزكاة فى نظر الإسلام أخذ للمال من الأمة فى شخص أغنيائها إلى نفس الأمة فى شخص فقرائها. وهذا الوضع فى الإسلام أقوى ما يحقق للأمة وحدتها وتكافلها الاجتماعى الذى تسعى إليه الأمم ومظهر هذا التكافل أن الله جلت قدرته قد أوجب الزكاة فى النقدية، وأوجبها فى المواشى: فى الإبل والبقر والغنم وفى الزروع والثمار والسلع

التى يتجر فيها التجار من أى نوع ، وهذه هى الاشتراكية المنظمة فى أجلى معانيها وفى أعمق مقاصدها ؛ ذلكم أنها ربط الغنى بالفقير كما هى تعاون للشعب مع الحكومة والحكومة مع الشعب فى الإصلاح والنظام العام ، فالاشتراكية فى الإسلام إذن تعاون مالى قوى وليست نهباً ولا قوة ولا غصباً ، فزكاة الزروع عامة فى الزروع كلها فى كل ماتخرجه الأرض « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والنخل والزرع مختلفاً أكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فيما سقت السماء العشر » ، وهذا التعميم هو الذى يحقق التكافؤ الاجتماعى ، وتلكم هى الاشتراكية التى يوضح معالمها الإسلام ؛ فيما يحقق الألفة والإخاء بين أفراد الأمة وجماعاتها ، وهى النواحى الاشتراكية التى تعمل الثورة على تركيزها ، ونشر التكافؤ الاجتماعى بين أفراد الأمة .

يا أخى إن الثورة الحالية : تلكم الثورة البيضاء ثورة إذا ما تتبعت أهدافها وغاياتها وسبل الوصول إلى تلكم الغايات والأهداف ، لوجدت ألا فارق مطلقاً بين الإسلام والجهاد الإسلامى ، وثورتنا المصرية .

ذلكم أن من مبادئ الثورة : —

١ — سلام لا استسلام .

٢ — الضمان الجماعى .

٣ — التعاون .

٤ — لا إقليمية ولا عصبية ولا مذهبية .

وتلكم كلها مما يدعو إليها الإسلام فهو يرى ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا » .

ومظهر الضمان الجماعى فى الإسلام هو ما ربط بين أفراد الإنسانية برباط قلبى يوحد بينهم فى الاتجاه والهدف ، ويجعل منهم وحدة قوية متماسكة يأخذ بعضها برقاب بعض ، سداها المحبة ولحمتها الصالح العام وهدفها السعادة ، قال تعالى « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين

أخويكم » ، « المسلم أخو المسلم ، لايظلمه ولا يخذله ولا يكذبه، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » إن هذه هي الأخوة التي يعقدها الإسلام عن طريق واحد هو طريق الإيمان والعقيدة الصحيحة ، وعلى كل فإن الشعوب لايعود إليها دائما مجدها وعظمتها إلا إذا طهرت نفوسها من الذاتية والغرور .

ومبدأ التعاون هو الذى يقوم على أساسه بناء الدولة الإسلامية مترابطا متماسكا فى عون وتفاهم ، والذى من أجله ينادى الإسلام « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ويقول صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

والمجتمع الذى تترابط أطرافه وتتماسك أجزاؤه مجتمع يستحق أن يحيا ، والإسلام يمقت الإقليمية والعصبية ، فقد نزل القرآن وفى العالم مجتمعات مختلفة الأسس والغايات ، استمدت حياتها من أوضاع بشرية ، على أن العصبية وليدة نزعات خاصة لاتمت إلى القلب الإنسانى ولا إلى الصالح العام ، وفيما بينها يذوب الضمير العالمى والروح الإنسانى ، ويقضى على الرحم وصلات القربى ، وبذا يصير أفراد الإنسان ومجتمعاته كالحيوانات المفترسة ، وكان من رحمة الله أن أنزل الكتاب إرشادا وهداية ؛ لنسلكه فى تنظيم حياتنا الجنسية العصبية والإقليمية ونحوها .

وإن المتتبع لهذه النواحى ليجد الثورة ثورة لم تتزحزح فى خطواتها وتحقق أهدافها إلا وفق الشريعة من جميع نواحيها ، ومن ثم هيأ الله لها النجاح والتوفيق فى كل خطواتها التى خطتها لإصلاح هذا الوطن، الذى طالما تطلع إلى الإصلاح حتى هيأ الله لمصر الشاب القوى المؤمن جمال .

* ما موقف الإسلام من التقدم الذى أحرزته المرأة المسلمة حتى اشتركت فى الانتخابات ؟

ــ الإسلام هو الذى رفع المرأة ومكن لها من حقوق لم تكن لها ، ورثها ولم تكن ترث ولا كانت تعطى ، « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

ليس لأحد أن ينقص منه شيئا ، وبذا أنقذها من إيلامهم لها ورفعها من وهدتها فأخذت دورها فى الحياة ، ويكفى أن تعرف مدى عناية الإسلام بها تلك التى تظهر فى إبراز شخصيتها ـ

فينزل الوحي برأيها فى قوله تعالى « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها » وهى خوله بنت ثعلبة ، حين ظاهرها زوجها ، وكانت حالها كما وصفت للنبى صلى الله عليه وسلم إذ قالت : إن أوسا تزوجنى وأنا شابة صغيرة مرغوب فيها ، فلما كبرت وكثر عيالى جعلنى عليه كظهر أمه فى سورة غضب ، ثم رجع وندم ، قال لها النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل على فيك شىء ، وكانت فى هذا كله تلتمس طريقا تعود به إلى زوجها ، وفعلا نزل الوحى بما أرادت ، وهو الظهار الذى جعل له كفارة « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا » .

وأشركها سبحانه مع الزوج فى الحقوق ، يقول تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » .

كما سوى القرآن بين الرجل والمرأة فى العمل الصالح « من عمـــل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ويجعل عليها القرآن مسئولية مستقلة فلا ينفعها عمل زوجها الصالح إن كانت فاسدة ، ولا ينفع الرجل الفاسد صلاحها هى إن كانت صالحة ، يقول صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة اعملى لا أغنى عنك من الله شيئا » .

٭ ـ هل فى نية الأزهر تدريس اللغة الإيطالية مع ما أدخل من لغات ؟

ـ فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : نعم وسنعمل على الانتفاع بهذه الدراسة لدعم الصلة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين جمهورية إيطاليا ، وإن اليوم الذى نتبادل تعلم الإيطالية والعربية فتتفهموا معانى القرآن الجمة ، ونتفهم بعض ما عندكم ، فنتجاوب ونتقارب ، لهو يوم سعادة الإنسانية بما يحقق ذلك من خـــير للبلدين ، أسأل الله تعالى أن يكتب الخير للإنسانية جمعاء .

٭ إلى أى حد اكتسب الإسلام بواسطة بعثاته ثقة الدول الإفريقية والآسيوية ؟

ـ اشرأبت الدول الإسلامية : الآسيوية والإفريقية جميعها نحو أزهر الجمهورية العربية المتحد تطلب منه الأساتذة المرشدين ، وتوفد إليه أبناءها ليعودوا إليهم هداة ومرشدين ، وكذلك يتجهون إليه يستفتونه فى كل مشاكلهم الدينية والدنيوية .

٭ ما هى وجهة نظر الإسلام تجاه مشكلة تحديد النسل التى تعتبر ضرورية فى مصر ؟

ـ إن كلمة « تحديد النسل » بهذا القيد وبمعنى إيقاف النسل إلى حد معين لا يتفق مع أمة تريد النهوض والقوة ، واتساع العمران ، وكثرة الأيدى العاملة فى الزراعة والصناعة ،

والمشروعات الهامة العامة ، وهو فوق ذلك لا يتفق وما حثت عليه الشريعة الإسلامية من الزواج ، وما بينته أيضا من امتنان المولى على الناس بنعمة البنين والحفدة ، كأثر من آثار الزواج مع طمأنينة النفوس على الرزق إذ يقول جل شأنه « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات » وجاء في وصايا الرسول (تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة) ، (وسوداء ولود خير من حسناء عقيم) و (من ترك الزواج مخافة العيال فليس منا) ، والقرآن ينعى على أهل الجاهلية قتلهم أبناءهم مخافة الفقر « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » ، وفي آية أخرى « نحن نرزقكم وإياهم » ، وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى قد أعد مائدة لعباده في ظاهر الأرض وباطنها ، ولا يمكن أن تضيق عن حاجتهم وحاجة نسلهم مهما كثروا ومهما عاشوا . وبذلك ترى أن التحديد بهذا المعنى العام تأباه طبيعة الحياة ، وحكمة الحكيم تأباه ، وتنبه الوعي القومي لا يرضاه ، وكذا فإن الشريعة الإسلامية كما تبين من الآيات والأحاديث ، تمنعه ولا ترضاه .

أما تحديد النسل بمعنى تنظيمه بالنسبة :

(أولا) للسيدات اللاتي يسرع إليهن الحمل .

(ثانيا) بالنسبة لذوي الأمراض المتنقلة .

(ثالثا) بالنسبة للذين تضعف أعصابهم عن مواجهة المسئوليات .

أقول : إن تنظيم النسل لشيء من هذا ، وهو تنظيم فردي لا يتعدى مجاله شأن علاجي تدفع به أضرار محققة ، والتنظيم بهذا المعنى لا يجافي الطبيعة ولا يأباه الوعي القومي ولا تمنعه الشريعة ، إن لم تكن تطلبه وتحث عليه .

ذلكم أن القرآن حدد مدة الرضاع بحولين كاملين ، وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يرضع الطفل من لبن الحامل ، وهذا يقتضي إباحة العمل على وقف الحمل مدة الرضاع ، وإذا كانت الشريعة تتطلب كثرة قوية لا هزيلة ، فهي تعمل على صيانة النسل من الضعف والهزال ، وتعمل على دفع الضرر الذي يلحق الإنسان في حياته ، ومن هنا قرر العلماء إباحة منع الحمل ـ مؤقتا ـ بين زوجين ـ أو دائما بهما أو بإحدهما داء من شأنه أن ينتقل في الذرية والأحفاد ، وهكذا نرى أن الشريعة تحافظ على قوة الأمة ، وقوة أفرادها ، وتباعد بينها وبين أسباب الضعف ، فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

والجمهورية العربية المتحدة مع هذه المشروعات الضخمة الصناعية والزراعية أشد حاجة إلى النسل الكثير القوى .

وبهذا يتبين لنا أن الشريعة الإسلامية تبيح « تنظيم النسل » لا تحديده .

• ما رأى فضيلتكم فى كيفية حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومشكلة إسرائيل ؟ وهل توجد قرابة بين اليهود والعرب ؟ وهل يمكن العيش فى ظل الخلافات والمنازعات الدائمة بين العرب واليهود ؟

لا حل لهذه المشكلة إلا بأن يعود اللاجئون إلى أوطانهم التى منها أخرجوا بغيا وعدوانا ، وأن يتخلى الاستعمار عن دسائسه ، فهو الذى أوجد هذه المشكلة وأثار هذا الخلاف ، ليستطيع أن يعيش فى الشرق العربى ، لأنه لا يستطيع أن يعيش إلا مع هذا الخلاف وذلك الانقسام ، ولو ترك الاستعمار العرب واليهود لعاشوا فى تآلف وتعاون إخوة متحابين كما كانوا يعيشون قبلا ، وكما يعيشون اليوم فى الأقطار العربية المختلفة .

وإذا كان الناس جميعاً يرجعون إلى أصل واحد « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ، « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، ويناديهم المولى دائما فى القرآن ، إثارة لمعانى الود ، وتقريبا للنفوس « يا بنى آدم » ، « يأيها الناس » ، فيردهم إلى أصل واحد ، ويربطهم برحم واحد ، ويخلع عليهم وصف الإنسانية منبع العلم والحكمة ؛ فإن واجب رجال الاستعمار إن كانوا يؤمنون بمعنى الإنسانية الفاضلة التى يزعمون أنهم وضعوا حقوقها وأنهم حراس عليها ، إن واجبهم يقضى عليهم بالتخلى عن موقفهم من إيثار نار العداوة والبغضاء بين العرب وغيرهم ، وأن يتركوا للعرب أرضهم التى جعل الله لهم فيها معايش ، وطلب منهم أن يعمروها ، فيعود الوئام والسلام إلى هذه المنطقة بل إلى الإنسانية كلها ، وهذا ما تتطلبه الأديان ، وتدعو إليه الشرائع ، وهذه دعوتنا نعلنها على زعماء الأديان وقادة السياسة ، وهى دعوة السماء إلى أهل الأرض ، « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ؛ حتى يستقر السلام ، ويطهر العالم من البغى والعدوان ، ويعيش فى أمن ورفاهية وطمأنينة .

وفق الله الجميع لخدمة الإنسانية ، وأزال عنها كابوس البغى والعدوان .

الأستاذ الأكبر يشرح رسالة الأزهر فى العصر الحديث

وكتب مندوب « المساء » يقول :

بدأت حديثى مع الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ، بسؤال عن الوسائل العلمية التى يراها كفيلة بأداء الأزهر رسالته فى عصرنا الراهن فأجابنى بقوله :

رسالة الأزهر رسالة ضخمة فهى ليست من الرسالات المحلية ، وإنما هى أعم من ذلك وأشمل . فهى رسالة تتجاوز ظاهر الحياة إلى باطنها ، وتتجاوز توصيل المعرفة للفرد والجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب الإسلامية من ناحية ، ونشر ثقافة الإسلام فى جميع ربوع العالم من ناحية أخرى .

والأزهر فى وضعه الحاضر لا يؤدى هذه الرسالة إلا بالأسلوب التقليدى القديم وإلا فى نطاق ضيق محدود ، ونحن الآن أمام هذا الوضع بين عاملين . . إما أن تعدل الأوضاع وتيسر للأزهر مهمته ، وإما أن نبقى فى ظل هذه الآفاق الضيقة ، ونخضع للأساليب القديمة ، ونظل هكذا حتى يفوتنا القطار ، ثم نندب الحظ بعد ذلك ونعتب على الأيام .

وقد لمست والحمد لله من السيد الرئيس عنايته الشاملة بالأزهر ، ورعايته له ومساعدته على أن ينهض برسالته ويؤديها خير أداء ، وأمام هذه الروح الكريمة لم يبق أمامنا إلا أن نسارع لتحقيق أمل المسلمين فى العالم الإسلامى فى هذا المعهد الكبير .

تخريج علماء أفذاذ :

ومن أجل تحقيق هذه الغاية ، لا أريد أن يخرج الأزهر المتعلمين فيه تخريجا مدرسيا فقط ، وإنما نعمل على أن يخرج أئمة فى اللغة وفروعها ، وأئمة الفقه والأصول ، لا نريده تخريجا تلتزم فيه مخلفات الماضى من آراء ومذاهب ، بل يجب أن نجتهد وأن نؤمن بأن حاجة اليوم فى الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس .

قلت لفضيلته : إن الرأى السائد أن باب الاجتهاد قد أغلق وأن لا مجال للاجتهاد الآن ، فرد على فى غضب وقال :

هذا غير صحيح إنه إفلاس من الذين يذيعون مثل هذا القول . . غير صحيح ما يقال من أن السابقين جاءوا على كل ما يمكن أن يجيء به الزمن ، وما يحدث للناس من أقضية وحاجات، علينا أن نؤمن بأن فضل الله لم يكن وقفا على الأولين .

تعديل المناهج :

قلت هل أفهم من هذا أنكم بصدد تعديل مناهج الدراسة . فأجابني قائلا :

هذا إجراء لابد منه ، وعندنا كنوز مطمورة أو ضائعة فى غمرة نظام التأليف القديم ، فالفقه الإسلامى كما تعلم ثروة من ثرواتنا الغالية ، ولكن محاسنه غير واضحة المعالم فى الكتب الموجودة الآن ، ولا بد من تنظيم هذا الفقه تنظيما ييسر الانتفاع به لكل من يريد الانتفاع .

وعلى سبيل المثال أسوق لك أننى فى مؤتمر لاهاى الذى عقد فى سنة ١٩٣٧ للقانون المقارن ، قدمت بحثاً عن المسئولية المدنية والمسئولية الجنائية فى الشريعة الإسلامية ، وقدمت لهم نوعا جديداً من المسئوليات لا تعرفه القوانين ، موجود عندنا فى الفقه الإسلامى وهو المسئولية السلبية ، وهو تقصير الإنسان فى عمل توجبه الإنسانية ، وذلك كما لو منع إنسان الماء عن آخر حتى مات . أو ترك مبصر أعمى يتردى فى هاوية ولم ينقذه ، فالشريعة الإسلامية تحاسب على هذا العمل ولا تعفى صاحبه من المسئولية .

هذا النوع من المسئولية الإنسانية فى زوايا كتب الفقه غير مبرز وغير واضح لمن يريد الوقوف عليه .

تنظيم الفقه الإسلامى :

وواجبنا أن نعيد تنظيم الفقه الإسلامى ، وأن نوضح مقاصده ، وأن ننظم مسائله . وليس هذا فحسب ولكنه جزء من مهمتنا ، وعلينا بعد ذلك واجب آخر لا يقل أهمية عن هذا الواجب ، وهو ربط الفقه بالحياة العامة ، ومعرفة رأيه فى كل مسألة من المسائل المستحدثة .

وعلى هذا النحو سيكون نظرنا لجميع مناهج التعليم فى الأزهر حتى نسمو بها ، ونفيد منها ونستفيد .

التنظيمات الجديدة :

وقلت لفضيلته : أريد أن أعرف المغزى من وراء التنظيمات الإدارية الجديدة التى صدرت أخيراً فأجاب بقوله :

هذا التنظيم كان ضرورة لا بد منها لتنسيق الأعمال وتوزيع الاختصاصات ، فكليات الأزهر لم يكن لها من قبل إدارة خاصة بها ، وكانت شئونها موزعة هنا وهناك بين الإدارات المختلفة بالأزهر ، فعملت على أن تستقل هذه الكليات بإدارة خاصة تعنى بشئونها وبتنظيمها وبتيسير أمورها ، وسيكون مديرها على صلة وثيقة بعمداء الكليات ، وكذلك الحال بالنسبة لشئون المعاهد الدينية مع مدير إدارتها .

قلت : وهل سيتبع هذا التنظيم إعادة النظر فى تكوين هيئات التدريس بالكليات ؟

فقال فضيلته :

بطبيعة الحال ، سيكون من اختصاص مجلس الجامعة الأزهرية إعادة النظر فى هيئات التدريس وتنظيمها من جديد ، تنظيما يحقق الغاية المنشودة ، ويزيل كل أسباب الشكوى ، ويعمل على حفظ حقوق الأساتذة .

تعديل قانون الأزهر :

وقلت للأستاذ الأكبر : إن التنظيم الجديد سيستدعى بالطبع تعديلات فى قانون الأزهر
فقال :

إن قانون الأزهر يحتاج إلى مراجعة عامة ، لا فيما يتعلق بهذه التنظيمات والاختصاصات فحسب ، ولكن فى كل ما يتعلق بشئون الأزهر .

واستطرد فضيلته قائلا : إن نظام التعليم والمناهج الحديثة التى سيدرسها الطلاب مع إتقانهم اللغات الأجنبية ، ستؤهلهم لأن يكونوا أفذاذاً فى ناحيتهم ، مطلوبين للعمل فى كل مكان ، ومن لم يجد منهم عملا فى الداخل سيجد أمامه فى كافة أنحاء العالم الإسلامى مجالا للعمل والخدمة العامة .

والذى أطلبه من إخوانى الأزهريين جميعاً ، أساتذة وطلاباً أن يؤدى كل واجبه على وجه يرضى الله ويرضى الضمير ، مع شعور بالمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم نحو وطنهم العربى ، ونحو العالم الإسلامى . فالعمل الخالص لوجه الله أساس كل نجاح .

فإنه لما وضع رجال ثورتنا هذه المبادئ الخالصة لوجه الله نصب أعينهم ، مد الله إليهم يد المعونة ووفقهم ، ووصلت البلاد على أيديهم إلى ما نراه اليوم من عز وسؤدد .

حديث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر ، مع مندوب صحيفة الشعب

جلست إلى الشيخ الأكبر . . إلى شيخ الجامع الأزهر . . إلى إمام المسلمين ورائدهم . . إلى الصيحة القوية التي ظلت تدوى أعواما طوالا ، مطالبة بالخروج بالأزهر من روتينه العتيق ، ومسايرته لتطورات العصر الحديث بما يستحق من علوم وآداب .

وكان لا بد من سؤال أبدأ به حديثي ليكون أول رد في حديث الشيخ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بعد توليه منصبه الكبير . قلت لفضيلته :

• ما هي رسالة فضيلتكم في العهد الجديد ؟

ـ إن الحديث عن رسالة الأزهر ليطول بقدر ما سلخ الأزهر في الحياة العامة من قرون ناوأته فيها الأحداث ، فصمد أمامها ، ووقف دونها محافظا على كيانه وقوته ، مؤديا مهمته في الحفاظ على اللغة والدين ، متخطيا العقبات التي اعترضت طريقه ، حتى سلمنا هذه الأمانة في عصرنا الحديث ، إنني إذ أحدثك عن رسالة الأزهر فإنما أجمل لك القول في نواح خاصة أحدد لك بها هذا الموضوع فيما يأتي :

١ ـ رسالة الأزهر في ذاتها ، وما يجب أن يكون عليه الأزهر حتى تؤدى هذه الرسالة .

وإن رسالة الأزهر في ذاتها هي تراث الفكر الإسلامي العميق الأصيل ، بل هي الحياة الإسلامية السليمة ، لأن مصدر هذه الثقافة هو القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، إن الأزهر بقيامه بهذه الرسالة إنما يحقق أمل المسلمين ، ويحمى آمال العروبة التي خدمها ، وقام على نهضتها والحفاظ على تراثها عن طريق دراسة القرآن العربي المبين ، الذي جعل الله له القدرة على أن يجعل من غير المسلم مسلما ، واستطاع أن يجعل من غير العربي عربيا ، وبذلك التقت العروبة والإسلام في صحن الأزهر وفي أروقته ، وفي كل مكان تنبض فيه الحياة العلمية . وإن مهمة الأزهر لم تكن في يوم ما مهمة تخريج مدرسين ومعلمين فقط ، إنما تنتظم أول ما تنتظم أمرين هما أهم ما يجب أن يناط بالأزهر :

أولها : تخريج أئمة مبرزين في اللغة وفروعها ، ورجال بحث واجتهاد سليم ، وابتكار مفيد ، وإذن لا نريده تخريجا نلتزم فيه مخلفات الماضي من آراء ومذاهب ، بل يجب أن

نجتهد ونؤمن بأن حاجة اليوم فى الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس ، وأن فضل الله لم يكن قصرا على أولئك الأولين .

ثانيا — تخريج دعاة ومرشدين أقوياء فى العلم والإدراك والتدين ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الدعوة إلى الله .

ومن هنا يتضح لنا جميعا ما يجب أن يكون عليه الأزهرى — من أنه ليس أستاذ فصل أو فرقة ، إنما هو قبل ذلك أستاذ علم وبحث ، وأستاذ دعوة وإرشاد . وبذلك كانت مدرسته الشعب كله ، والعالم الإسلامى أجمع ، وكان طلابه المسلمين فى جميع بقاع الأرض بكل طبقاتهم وأجناسهم ولغاتهم وأقطارهم ، وهذا هو ما يجب أن يشاد عليه صرح الأزهر فى نهضته فى عهد النهضة المباركة للجمهورية العربية المتحدة .

ومن هنا يتبين أن رسالتى هى تحقيق هذه الآمال ؛ ليؤدى الأزهر مهمته السامية نحو وطننا العربى والإسلامى ، هذه وجهتى وتلكم طريقتى ، وإننى والمسلمين فى أنحاء الأرض لنتجه إلى الله فى تحقيق هذه الرسالة على يد الشاب المؤمن القوى الرئيس جمال ، الذى أحيا موات هذه الأمة ، وجعل فى كل ناحية نهضة ، لنتجه إلى الله أن يديم له التوفيق فى خدمة لغتنا وديننا وقوميتنا ، بما يمد به الأزهر من عون وتوجيه .

برنامج الأزهر

* فى محاضرة عامة عام ١٩٤٢ تحدثتم عن برامج الأزهر وطالبتم ببحثها وتغييرها ، فهل لا زلتم عند هذا الرأى ؟

— أجل يا أخى : فإننى متمسك بنظرى فى وجهة الإصلاح ، ولا أحيد عنه إلا لما هو أكثر صلاحية ، وإننى وإن كنت قد أبديت وجهة نظرى فى إصلاح الأزهر فى الوقت الذى أشرت إليه ، فإن الأزهر اليوم لسعيد بأن تحقق له هذه الآراء ، وأن تجد لها مجالا من الحياة ، إذ قد شع من الشرق على العالم كله نور الإصلاح الذى حمله ثورة مصر الحديثة ، على يد قائدها وبطلها الذى يولى الأزهر عنايته الكبرى ؛ إيمانا منه بدينه وعنايته القوية .

هذه هى وجهتى فى إصلاح الأزهر كما قدمت ، وكما ذكرت فى « رسالة الأزهر » التى بينتها فى المؤتمر الثقافى فى الصيف الماضى — وهى مهمة كبيرة ، وعبء يحتاج إلى التعاون ، وإن

ثقتى فى إخوانى وأبنائى الذين يتعاونون معى ، ويشاركوننى تحمل هذا العبء بعد إيمانى بالله وتوجهى إليه ، ثم معاونة رجال الحكومة وعلى رأسهم الرئيس العظيم ، وهم أمل هذه الأمة ، وروح هذه النهضة . لتجعل الأمل قوياً فى أن يصل إصلاح الأزهر إلى غايته التى يعلق المسلمون عليها آمالا كبارا .

رسالة الجامعة الأزهرية

• الجامعة الأزهرية ـ ولا شك ـ من أقدم الجامعات فى العالم فماذا أعددتم لها لتؤدى رسالتها فى عهدكم نحو المسلمين فى جميع بقاع العالم ؟

ــ الأزهر يا أخى هو الجامعة الوحيدة فى العالم التى تضم أمم الأرض بين أحضانها ، وتحنو عليهم وتوجههم ، ثم يعودون إلى أوطانهم التى نفروا منها مفقهين لقومهم . الأزهر فيه السودانى والمغربى ، والحبشى والسنغالى والزنجبارى ، وفيه اليمنى والأندونيسى والفليبينى ، وفيه التركى واليونانى والألبانى ، واليوغسلافى والروسى ، وفيه الصينى والهندى ، وفيه وفيه . الخ . وأود أن يعلم الناس جميعا أننى معنى كل العناية بمعهد البعوث الذى يضم هؤلاء جميعا ، فإنهم رسل بيننا وبين بلادهم ، بل هم نشرات حية إلى الأمم المحبة للسلام فى الأرض ، ومن أجل ذلك كله عنيت كل العناية بإصلاح مناهج الدراسة فى هذا المعهد ، بحيث يفيد كل وافد إلى الأزهر ، ويهيأ لأن يعيش فى بيئته على الوجه الذى يحقق له حياة سعيدة ، فأمرت بتكوين لجان لبحث المناهج فيه ، ورسم الخطط التى تحقق هذه الغايات جميعها ؛ وذلك ليحقق الغاية التى لأجلها بعث المسلمون بأبنائهم إلى الأزهر. وحتى يكونوا نشرات متطورة إلى أممهم ، رابطين بيننا وبين أممهم بألوان الصلات والود ؛ بما يحقق السلام فى الأرض .

وأما البعوث التى يرسلها الأزهر إلى البلاد العربية وغير العربية ، فإننى حريص على ألا أرسل إلا الصالح الذى يستطيع أن يؤدى رسالة الجمهورية العربية المتحدة فى عصرها الزاهر ، ونهضتها المباركة ، ولعلك عرفت بعض ذلك عند ماتكلمت معك عن مسابقة اللغات ومعهد الإعداد والتوجيه .

الكتب الصفراء

• الكتب الصفراء تشغل الآن كثيراً من الأذهان ، فهل لكم رأى فيها يوضح الرأى والاتجاه حيالها ؟

— إن الكتب الأزهرية القديمة التي تركها لنا الأولون ، والتي خرجت جهابذة العلماء ذات قيمة علمية ، ولا دخل للون الورق فيها بياضا أو صفاراً ، وإنما قيمة الكتاب فيما يحويه من أفكار سليمة أو غير سليمة ، وإننا لا ننكر أن بعض الكتب لاتساير موضوعاتها ، ولا طريقة عرضها روح العصر ، ولذلك فإنني حريص كل الحرص على أن يوجه الطلاب إلى النافع منها ، وأن تقوم اللجان التي ستؤلف لبحث المناهج والكتب بالعمل على أن تصل الطالب ببيئته وبالجو المحيط به ، من ناحية دينه ووطنه وقوميته ، فإن عقلية الأزهري تتسع لما توجه اليه من علوم ومعارف ، فأولى بها أن توجه التوجيه الصالح .

ويذكرني هذا الحديث بما دار حول « غطاء الرأس » واختلاف الرأي فيه . وكان ردي « أن العبرة بما في الرأس وليس بما يغطي الرأس » .

مسائل تربوية

• لقد اجتمعتم بالسيد كمال الدين حسين ودام الاجتماع وقتا غير قصير . فهل دار بينكما حديث حول الثقافة والتعليم ؟ أم كانت الزيارة للتهنئة بالشفاء وخالص التمنيات ؟

— إن السيد كمال الدين حسين من خيرة الشباب الناهض الواعي ، وقد تحدثنا في كثير من المسائل التربوية ، وقد شكرت لسيادته حرص الحكومة على تثقيف أبناء الأمة تثقيفا دينيا ، وما أجمل هذا الحرص عندما يأتي من الحكومة والأزهر في وقت واحد .

ترجمة القرآن

• هناك محاولات فردية يبذلها البعض لترجمة القرآن الكريم . . فما رأيكم في ذلك . ؟ وهل تقومون من جانبكم بهذا العمل الجليل وتحمل مسئولياته ؟

— إنني معني كل العناية بإصلاح نظام جماعة كبار العلماء ، حتى تؤدي مهمتها ، وتحقق الغرض من وجودها ، وسيهيأ لها في القريب العاجل إن شاء الله النظام الذي يمكنها من أداء مهمتها في الثقافة التي يرجوها المسلمون على أيدي علمائهم ، ويوم أن يتكامل هذا النظام سيكون ضمن مهمة الجماعة وضع تفسير سهل ميسر للقرآن الكريم . منبع النور والهداية ، ثم يترجم هذا التفسير إلى اللغات الشرقية والغربية ، ليقضي على ماغرسه الاستعمار في عقول كثير من أبناء المسلمين من أفكار خاطئة جعلتهم شيعا وأحزابا . . وغير ذلك من المشروعات المساعدة في الوصول إلى هذا الهدف العظيم .

العصبية المذهبية

• يتخذ الاستعمار من العصبية المذهبية وسيلة للتفرقة بين المسلم والمسلم، فهل وضعتم أمام أعينكم هذا الاعتبار، وحاربتم وقضيتم على هـذه العصبية كوسيلة من الوسائل الاستعمارية التي يجب التخلص منها ؟

— يا أخي إن الاستعمار كما قدمت لك قد غرس مبدأ « فرق تسد »، واستغل بعض الخلافات المذهبية في تنفيذ هذا المبدأ، وإنني أرجو أن يهيأ للأزهر الوقت الذي يستطيع فيه التقريب بين المذاهب المختلفة، فكلها يتجه إلى غاية طيبة، والكل يتفق في المنبع الذي ينتهل منه. وهذه الخلافات إنما جرت للمسلمين نتيجة لآراء المتأخرين المتعصبين من الفقهاء، وفي المناهج التي أرجو أن تحقق إن شاء الله في الكليات. من الفقه المقارن وغيره، ما آمل أن يقضي به على هذه العصبية التي أثرت في وحدة المسلمين.

النشاط الرياضي والاجتماعي

• يقولون إن العقل السليم في الجسم السليم، فهل في برنامج فضيلتكم ما يقوي الأبدان من نشاط رياضي واجتماعي إلى جانب الثقافة النظرية ؟ . .

— في علوم الأزهر وجهة البحث العميق، والاستنباط من المصادر الأولى الشرعية واللغوية، مع المقارنة بين الآراء والأفكار، فيما قد يكون في المسألة من مذاهب وآراء، وهو كثير في على الأحكام والعقائد.

وإني وأنا المؤمن بأن ما للتربية الرياضية والاجتماعية من أثر محمود في بناء الفرد الصالح للمجتمع، فقد عنيت العناية الكاملة بالنشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي، وقضيت على المركزية فجعلت كل معهد مستقلا في ميزانية النشاط يوجهها في طريق مصلحة الطلاب وخدمتهم، تحت إشراف مراقبة أنشئت في الأزهر لهذا الغرض. وهي تقوم بمهمتها خير قيام. وأحب أن أنبه إلى أن النشاط الرياضي بمختلف أنواعه ونواحيه في كليات الأزهر ومعاهده قائم على أتم وجه، ولا أقول إنه بلغ الكمال فإنني معني بأن يزيد ويتكامل ؛ فإن الدين الإسلامي يحث على هذا، وينبه إليه إذ أن العقل السليم في الجسم السليم، « والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ».

وأما النشاط الاجتماعى فمهمة أساسية من مهمة الأزهر ، وذلك فضلا عن الدراسات الاجتماعية التى أقبل عليها طلاب الأزهر ، واتجهوا إليها فأثبتوا فيها تفوقا وتقدما ، وإن المجلس الأعلى لرعاية الشباب الذى يعنى بهذه النواحى، ليجد فى الأزهر الخامات الطيبة الأصيلة، وإننا نرجو أن يعنى المجلس إن شاء الله بزيادة ميزانيته فى الأزهر فى العام القادم ، فقد انتويت أن أنشئ فى الميزانية الجديدة مراقبة مستقلة للتربية العسكرية والنشاط الرياضى والاجتماعى ، وأظن أن الإقليم الجنوبى قد رأى القوة العسكرية التى أبداها طلاب الأزهر فى العرض العام الذى أقيم فى يوم عيد النصر ، كما شهدها أخيراً فى العرض العام الذى أقيم بمناسبة مؤتمر الشباب الآسيوى الإفريقى ، الذى يضم مختلف الجنسيات الممثلة فى الأزهر ، والتى تسهم فى نشاطه الثقافى والرياضى والاجتماعى . ولعل ذلك كله قد لمسته حينما قرأت كتابى «منهج القرآن فى بناء المجتمع» فإن للقرآن الأثر القوى فى خلق المجتمع الحى القوى السليم .

سن القبول

• يتردد أن فى النية تعديل سن القبول بالأزهر فما الغرض من هذا التعديل ؟ .

— إن ما سمعته صحيح فالتفكير جاد فى أمر تخريج الأزهرى ذى القدرة على مواصلة الدرس والتثقيف ، وخاصة بعد ضم جمعيات المحافظة على القرآن الكريم إلى الأزهر . وسيدرس هذا الموضوع ويبت فيه عند إعادة النظر فى المناهج الدراسية .

معهد الفتيات

• سمعنا عن فكرة إنشاء معهد للفتيات ولم نستبعد هذه الفكرة ، لأن فى التاريخ الإسلامى ما ينبئنا بوجود قاضيات ومشرعات ومحدثات فى الدين . . فما رأى فضيلتكم فى هذا الشأن ؟

— إلى الآن لم نصل إلى الوقت المناسب لإنشاء مثل هذا المعهد . . ثم إن بعض الوعاظ فى بعض المساجد يقومون بإلقاء الدروس على السيدات فى أوقات معينة ، ولعل ذلك يكون النواة والتمهيد لإنشاء مثل هذا المعهد فى الوقت المناسب .

معهد المحلة الكبرى

* يقولون إن معهد المحلة الكبرى لم يفتتح حتى الآن . وكان من الممكن أن يكون ذلك منذ بدء الدراسة أو بعدها بقليل . فما الداعي لهذا التأخير ؟

— إن افتتاح مثل هذا المعهد أى خلقه وتكوينه يحتاج إلى وقت حتى لا يكون عملنا ارتجاليا ، ونواجه المشكلات الواحدة تلو الأخرى بعد التعجيل فى افتتاحه .

إنما نحن سائرون فى استكمال أجهزته وهيئة تدريسه وأدواته ؛ حتى يبدأ ويسير دون عقبات أو مشكلات (كان هذا الحديث قبل افتتاح المعهد) والآن قد تم بفضل الله ، ثم بمعونة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، افتتاح هذا المعهد افتتاحا كاملا ، كما يريده المسلمون عامة ، وشعب الجمهورية العربية المتحدة خاصة ، وذلك تحقيقا لخطوط الإصلاح العريضة التى رسمها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

* تدريس اللغات الأجنبية فى الأزهر خطوة جريئة . فما الداعي للتعجيل بها وإجراء المسابقات فى هذه اللغات ؟

— أنت تعرف والمسلمون جميعاً أن الأزهر هو قبلة الأنظار فى جميع الأقطار ، يفد إليه الطلاب من كل صوب ، ومن مختلف الجنسيات والبيئات ، ولما كان كثير من المسلمين فى مختلف أنحاء الأرض لم تمكنهم ظروفهم الخاصة من تلقى ثقافتهم العربية والإسلامية من منابعها الأولى فى الأزهر ؛ لأن الاستعمار عمل جاهداً على إبعادهم عن لغة القرآن وتعاليمه ، التى تبعث فى نفوسهم معانى العزة والكرامة ؛ لذلك فهم يتوجهون إلى مشيخة الأزهر بطلبات كثيرة يعربون فيها عن مسيس حاجتهم إلى الأزهر ، بمدهم بعلمائه حيث يزودونهم بمصادر الثقافة الإسلامية بلغاتهم الخاصة ، ورسالة الأزهر تقتضيه أن يجيب هذه الرغبات ، مع ملاحظة أن يكون العالم المبعوث إلى هذه الجهات ملما بلغتهم فوق إلمامه بالثقافة الإسلامية .

لذلك قد اتجهت لتحقيق هذا الغرض من طريقين . أولهما : اختيار من يصلح لأداء هذه المهمة من المتخرجين فى الأزهر المجيدين للغات الأجنبية ، لبعثهم إلى هذه الجهات . وذلك عن طريق مسابقة أجراها الأزهر فى شهر ديسمبر الماضى . وكانت نتيجتها طيبة ، تبعث الأمل فى أن الأزهر بإذن الله سيحقق أمل المسلمين فيه ، وستعقد هذه المسابقة فى كل ستة أشهر لاختيار الصالح من المتقدمين ليكون رسول الأزهر إلى إخوانه المسلمين .

وقد نجح فى هذه المسابقة تسعة وثلاثون أزهريا فى اللغات الثلاث ، الانجليزية والفرنسية والألمانية ، وستتخذ الإجراءات السريعة لبعث المتفوقين منهم فورا ، وأما الباقون من الناجحين فسيلحقون بمعهد « الإعداد والتوجيه » الذى يعتبر الأول من نوعه فى تاريخ الأزهر ، والذى سيفتح أبوابه فى الفصل الدراسى الثانى من هذا العام ، حتى يتم إعدادهم فيه إعدادا يلمون فيه بلغات البلاد التى يبعثون إليها ، وبعاداتها وتقاليدها ومذاهبها التى اتخذت سلاحا فى تقطيع ما بين المسلمين من صلات الرحم الثقافى الإيمانى . ويلمون أيضا فيه بالثقافة الإسلامية الواسعة .

وأما الطريق الثانى فقد رأينا تدريس اللغات الأجنبية فى المعاهد الدينية ، ومعهد البعوث الإسلامية والكليات الأزهرية ، وذلك ليتزود الطالب الأزهرى مع ثقافته الدينية باللغات الأجنبية التى تمكنه مستقبلا من أداء مهمته نحو إخوانه الذين لا يتكلمون العربية . وقد أدخلت فعلا بالمعاهد الدينية والكليات .

نداء

وإنى لأتوجه إلى إخوانى وأبنائى الأساتذة والطلاب ، فى أن يكونوا معوانا لى فى تحقيق هذه الغاية ، بأن يؤمن كل منهم بواجبه ، ويخلص الإخلاص كله فى أدائه ، وأن يحرصوا على أداء الأزهر لرسالته نحو وطنهم العربى والإسلامى . وليكن لهم فى رسولنا الأسوة الحسنة ، وفى زعيمهم وبطل نهضتهم ورجال ثورتهم القدوة الصالحة . والله المستعان ، عليه توكلت وإليه أنيب .

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر يقول :

الإسلام دين الوحدة

دعا الإسلام إلى الوحدة ، وجعل المحور الذى يتمسك به المسلمون ويلتفون حوله هو الاعتصام بحبل الله ، وقد جاء ذلك فى كثير من آيات الذكر الحكيم ، وأصرحها فى ذلك قوله تعالى فى سورة آل عمران « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

نهى عن التفرق ، والتفرق بعمومه يشمل التفرق بسبب العصبية ، وقد صح « لا عصبية فى الإسلام » وبسبب المذهبية . وقد انبثقت المذاهب الفقهية الإسلامية على كثرتها واختلاف طرقها من أصول واحدة هى « كتاب الله وسنن نبيه » .

الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية :

وقد كان للاجتهاد فى الأحكام مجال واسع تفرقت به المذاهب وتعددت ، وعلى رغم تعددها واختلافها فى كثير من الأحكام ، وتعدد الآراء فى المسألة الواحدة ، فقد كان الجميع يلتقون عند حد واحد وكلمة سواء ، هى الإيمان بالمصادر الأولى وتقديس كتاب الله وسنة الرسول ، وقد صح عن جميع الأئمة : « إذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط » .

من هنا تعاون الشافعى ، والحنفى ، والمالكى ، والحنبلى ، والسنى والشيعى ، ولم يبذر الخلاف بين أرباب المذاهب الإسلامية إلا حينما نظروا إلى طرق الاجتهاد الخاصة وتأثروا بالرغبات ، وخضعوا للإيحاءات الوافدة فوجدت ثقوب نفذ منها العدو المستعمر ، وأخذ يعمل على توسيع تلك الثقوب ، حتى استطاع أن يلج منها إلى وحدة المسلمين ، يمزقها ويفرق شملها ويبعث العداوة والبغضاء إلى أهلها ، وبذلك دبت فيما بينهم عقارب العصبية المذهبية ، وكان من آثارها السيئة ما كان مما يحفظه التاريخ من تنابز أهل المذاهب بعضهم مع بعض ، وتحين الفرص لإيقاع بعضهم لبعض ، والدين من ورائهم يدعوهم : هلموا إلى كلمة الله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » .

انتهى زمن هذه العصبية :

هذا وقد مضى زمن تلك العصبية الجاهلية ، وانطوت صفحتها المظلمة ، وعرف المسلمون أن اختلاف الأشقاء لا يمكن أن يدوم ولا أن يطرد ، فلا بد أن يأتى عليهم يوم يحققون فيه نسبهم إلى أبيهم ، وينتمون فيه إلى أصلهم الذى انبثقوا منه وتفرعوا عنه ، وأخذت هذه الروح تنمو ، وتضيق شقة الخلاف بين أهل المذاهب حتى اقتدى الحنفى بالشافعى ، والسنى بالشيعى ، وتبودلت المنافع بينهم ، واتصلت الآراء وأخذ كل ينتفع بما فى مذهب الآخر ، حتى وصلنا إلى وقتنا هذا ، وقد رأينا كتبا وخاصة كتب الحديث المعتبرة تعرض لمذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعة المعتدلة من إمامية وزيدية ، وقد ترجح غير مذهب أهل السنة .

ولا أنسى أنى درّست المقارنة بين المذاهب بكلية الشريعة بالأزهر، فكنت أعرض آراء المذاهب فى المسألة الواحدة — وأبرز من بينها مذهب الشيعة ، وكثيرا ما كنت أرجح مذهبهم خضوعا لقوة الدليل .

ولا أنسى أيضا أنى كنت أفتى فى كثير من المسائل بمذهب الشيعة وأخص منها بالذكر ما نجد الناس فى حاجة ملحة إليه ، وهو فيما يختص بالقدر المحرم من الرضاع ، كما أخص بالذكر ما تضمنه قانون الأحوال للشخصية الأخير ، ونذكر على سبيل المثال المسائل الآتية :

أولا — الطلاق الثلاث بلفظ واحد فإنه يقع فى أكثر المذاهب السنية ثلاثا ولكنه فى الشيعة يقع واحدة رجعية ، وقد رأى القانون العمل به ، وأصبحت الفتوى بمذهب أهل السنة لا يقام لها وزن فى نظر القضاء الشرعى السنى .

ثانيا — رأى قانون الأحوال الشخصية فى تنظيمه الأخير أن الطلاق المعلق منه ما يقع ومنه ما لا يقع تبعا لقصد التهديد أو قصد التطليق ، ولكن مذهب الشيعة يرى أن تعليق الطلاق مطلقا قصد به التهديد أو التطليق لا يقع به الطلاق وقد رجحت هذا الرأى ، وكثيرا ما أفتيت به ، وكثيرا ما أذعته ، وكتبته فى أحاديثى المتعلقة بالطلاق وأجوبة السائلين عن إيقاع الطلاق . وكم وكم . . . الخ .

والباحث المستوعب المنصف سيجد كثيراً فى مذهب الشيعة ما يقوى دليله ويلتئم مع أهداف الشريعة من صلاح الأسرة والمجتمع ، ويدفعه إلى الأخذ به والإرشاد إليه .

دراسة الفقه بجميع مذاهبه المعروفة

ومن هنا قررأي إن شاء الله على أن أعمل على دراسة الفقه الإسلامى فى كلية الشريعة بجميع المذاهب الفقهية المعروفة الأصول البينة المعالم ، والتى من بينها دون شك مذهب الشيعة : إمامية وزيدية .

وقد استجابت جماعة التقريب - القائمة فى مصرمن سنتين ، والتى شاركت فى تأسيسها من أول نشأتها ، وشاركت فى رسالتها ودعوت إليها - لفكرة القضاء على العصبية بين أهل السنة والشيعة ، والرجوع بأهل المذهبين إلى الاعتصام بحبل الله ، والالتفاف حول المحور المقدس فى رسالة محمد (كتاب الله وسنة الرسول) فطبعت كتاب (مجمع البيان) .

وقد دعا إلى طبعه من قبل أستاذنا المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، وقد كتبت مقدمته ، والكتاب لإمام من أئمة الشيعة وهو (الإمام السعيد أبو الفضل ابن الحسن الطبرسى) من كبار علماء الإمامية .

وبينى وبين كثير من أئمة الشيعة الإمامية رسائل تلاقت عند حد وجوب التقريب ، ونزع ما بين الطرفين من عصبية أنتهزها الأعداء والمستعمرون بين الشعوب الإسلامية فى مصر وإيران والعراق .

ونذكر هنا من بين هذه الرسائل المكاتبة التى تبادلتها مع السيد المغفور له سماحة الإمام الأكبر ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء الشيعى النجفى صاحب كتاب (أصل الشيعة وأصولها) الذى طبع فى مصر ، وكانت تلك المكاتبة فى جمادى سنة ١٣٦٧ هـ ، على صاحبها أفضل السلام وأزكى التحية ، وقد نشر كتاب سماحته إلينا وردنا عليه فى كتابه المذكور (الطبعة العاشرة) فيما بعد صفحة ٥٦ .

وها نحن أولاء ندعو باسم الله مرة أخرى ، وباسم كتاب الله وباسم الوحدة الإسلامية وباسم الاعتصام بحبل الله : ندعو علماء الفريقين إلى التقارب والمصالحة وأكرمهم عند الله أسبقهم إلى ذلك ، حتى تسد الثقوب التى فتحت فى الماضى للمستعمر ، ويعود إلينا مجدنا وشعارنا وهو الوحدة الإسلامية .

وفق الله الجميع لما يرضى الله ، ويحقق هذه الوحدة ، وينقى من بين أعضائها خبث المستعمرين ، ودس الدساسين ، ويخلص الإسلام للمسلمين ، ويخلص المسلمين للإسلام ؟

الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الثامن - القاهرة : شعبان سنة ١٣٧٨ - فبراير (شباط) سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر شعبان

إذا تحدثنا عن الأشهر والأيام والأمكنة ، وعن قيمتها فى نظر الإسلام لحديثنا عنها فى واقع الأمر هو حديث عما ارتبط بها من ذكريات وأحداث كانت لها دلالتها فى تصوير بعض مبادئ الإسلام نفسه . ومن ذلك حديثنا اليوم عن شهر شعبان : فتروى عائشة رضى الله عنها فى حديث لها تقول فيه : « لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان . فإنه كان يصوم شعبان كله . وفى رواية كان يصوم شعبان إلا قليلا » .

لحرص النبى صلى الله عليه وسلم على صوم شعبان أو صوم أكثره ، يعطى ما للصوم عامة من أهمية فى حياة الإنسان وحياة المجتمع ، ثم ماله من أهمية على وجه الخصوص فى شهر شعبان . وأهميته على وجه العموم ؛ لأنه وسيلة يصفى بها الإنسان نفسه وقلبه

ويهذب بها لسانه وسلوكه . ثم هو وسيلة من جانب آخر يلتقى بها الإنسان أزمات الحياة الخاصة والعامة ، وما أكثرها وما أشدها فى بعض الأحايين ، أما أهمية الصوم فى هذا الشهر بخصوصه فهى : فى أنه تمهيد لأداء واجب الصوم المفروض : وهو صوم رمضان . فإذا صام الإنسان بعض أيام هذا الشهر قلت أو كثرت . فسيشعر بأنه قد أعد نفسه لقبول صوم رمضان ، كما أعدها لأدائه إعداداً فيه رضاء نفسى وعدم مشقة فى الأداء .

* * *

ومما يرتبط بشهر شعبان أيضا وله أثر فى توكيد بعض مبادئ الإسلام ، ما يحدثنا به تاريخ الإسلام عندما اتصل المسلمون بغير المسلمين والتقوا بهم فى بعض المواقع والحروب . فهو يحدثنا أنه فى الأيام الأولى لولاية عمر رضى الله عنه التقى جيش المسلمين بجيش الفرس فى شعبان ، فى موقع يعرف « بالنمارق » فى أرض الفرس ، وكان على رأس جيش المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفى . فلما انتصر المسلمون اتضح لأبى عبيد أن قائداً كبيراً من قواد الفرس وقع فى الأسر ، وأمنه أحد المسلمين ، أى وعده بسلامة حياته من القتل . وهنا أشار بعض المسلمين على أبى عبيد بقتل هذا القائد فكان جواب أبى عبيد « إنى أخاف الله أن أقتله : وقد أمنه رجل مسلم ، والمسلمون كالجسد الواحد ، ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » . وما صنعه أبو عبيد هنا هو تطبيق عملى لما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل « فيروى – فى رواية البخارى – عن أم هانئ بنت أبى طالب أنها قالت : قلت يا رسول الله : زعم ابن أمى على (رضى الله عنه) أنه قاتل رجلا قد أجرته (أمنته) فلان بن هبيرة – تعنى (جعدة بن زوجها هبيرة بن وهب المخزومى) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا (أمنا) من أمنت يا أم هانئ » .

فما وقع من أبى عبيد فى خلافة عمر رضى الله عنه من أنه احترم عهدا لأحد المسلمين ، أعطاه اليوم لمن وقف منهم بالأمس موقف العدو المحارب اللدود – وهو عهد تأمين سلامته والإبقاء عليه حيا لا يؤذى ولا يضار – هذا الذى وقع من أبى عبيد يدل دلالة واضحة على أن الروح الإسلامية ، وهى روح العفو والصفح عند المقدرة ، وعند النصر كانت سنة المسلمين الذين فهموا إسلامهم واتبعوه فى شئون حياتهم ، ثم يدل دلالة أخرى على أن الفرد

المسلم فى المجتمع الإسلامى له كيانه وله احترامه ، لايلغيه المجتمع ولا يضحى بإرادته ورأيه ؛ لأنها إرادة المسلم الذى يشعر فى نفسه بمقومات مجتمعه ويحرص على كيانه كما يحرص على وجود نفسه ، ولذلك ما يلتزمه بعضهم يلتزمه البعض الآخر كما قال أبو عبيد نفسه : « والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » .

هذه الذكريات التى يرويها تاريخ الإسلام والتى ترتبط بشهر شعبان من شأنها أن تعيد إلى عقولنا صورة صحيحة سليمة لمبادئ الإسلام ، ومن شأنها أيضا أن تقوى فى قلوبنا الإيمان به كنظام سليم للحياة الإنسانية التى لا عوج ولا انحراف فيها .

اليوم تحاول أن تغزو المسلمين ـ تغزو أسماعهم وعقولهم وقلوبهم ـ اتجاهات يحاول بعضها أن يلغى اعتبار الفرد كلية فى مجتمعه ، ويحاول البعض الآخر منها أن يجعل الفرد كل شىء ، يهون فى سبيل فرديته وأنانيته المجتمع الذى يعيش فيه .

ولكن الإسلام كما يبدو من هذا المبدأ وهذا التطبيق له الذى رويناه الآن ـ كإحدى ذكريات شعبان ـ يوضح لنا مدى احترام الفرد فى مجتمعه ، ثم مدى حرص الفرد على هذا المجتمع.

الإسلام يريد فردا بناءا متعاونا ، ويريد مجتمعا مكونا من أفراد لهم حريتهم ومشيئتهم ، ولكن يعمر قلوبهم الإيمان بوجود هذا المجتمع وبالمثل التى يسعى إليها .

يقول القرآن الكريم « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . يريد أمة واحدة فى مقوماتها وأهدافها ، أمة واحدة فى عبادتها ربا واحدا ، أمة واحدة فى تعاونها وتماسكها ، ولكن لأفرادها حريتهم ومشيئتهم . حرية بعيدة عن الفوضى ومشيئة بعيدة عن الهوى والأنانية .

الدكتور محمد البهى
مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر

من الدراسات النفسية فى القرآن :

مسايرة القرآن للطبيعة الانسانية

من أهم سور القرآن الكريم فى جانب العناية بلفت الأنظار إلى المعانى النفسية التى تسيطر على الناس ، والتى تؤثر فى تصرفاتهم واتجاهاتهم ومستقبلهم على وجه واضح ،سورة الأنفال .

نزلت هذه السورة بعد غزوة بدر التى كانت مبدأ انتصار المسلمين وبروزهم فى الجزيرة العربية كدولة يحسب حسابها ، ولم يكن المسلمون قبل ذلك إلا جماعة من اللاجئين المضطهدين انحازوا إلى بلد آمن كثير من أهله بما آمنوا به فآووهم ونصروهم، وتقاسموا وإياهم مساكنهم وأسباب معيشتهم ، فعرف هؤلاء وهؤلاء باسم المهاجرين والأنصار : الأولون لهجرتهم ، والآخرون لنصرتهم .

كانت المثالية تسود هذا المجتمع قبل غزوة بدر على نحو رائع يحدثنا به أهل التاريخ ، وأصحاب السيرة والحديث ، وناهيك بمجتمع يصل التعاون فيه إلى أن ينزل الرجل عن إحدى زوجتيه فيطلقها لكى يمكن ضيفه من فرصة التزوج بها مكتفياً بالأخرى ، ثم لا ينزل عن زوجة ما ، ولكن يخير ضيفه بين الزوجتين كى يختار هو من تروقه منهما ، فينزل له عنها بالطلاق ، فيتزوجها .

وقد سجل القرآن الكريم هذا الخلق التعاونى الإيثارى الذى يبدو فى مثل هذا المظهر فقال « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم » .

فهناك حب متبادل بين أفراد المجتمع : الأنصار يحبون المهاجرين ، ولا يشعرون فى أنفسهم بأية غضاضة أو أى حقد عليهم فيما أوتوه ، بل يؤثرونهم على أنفسهم أعظم الإيثار ، والمهاجرون يحبون الأنصار فيرفعون أكف الضراعة إلى الله تعالى أن يغفر لهم ولإخوانهم ، وأن يطهر قلوبهم من عوامل الغل والحسد التى تخالج المحروم حين يلقى صاحب النعيم ، وهكذا يظلل الجميع محبة وسلام نابعان من القلوب ، باديان فى مظاهر التعاون الكامل ، والتراحم التام ...

هكذا كان مجتمعهم قبل بدر ، يوم كانوا مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس .

وما أحسن ما كان يتمثل به أبو بكر الصديق رضى الله عنه من شعر طفيل الغنوى فى بنى جعفر بن كلاب ، فقد روى المرزبانى فى كتاب الشعر بإسناد قال : لما تشاغل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأهل الردة استبطأته الأنصار فقال : إما كلفتمونى أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما ذاك عندى ولا عند أحد من الناس ، ولكنى والله ما أوتى من مودة لكم ولا حسن رأى فيكم ، وكيف لا نحبكم ؟ فوالله ما وجدت لنا ولكم مثلا إلا ما قال طفيل الغنوى لبنى جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت ... بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقى الذى لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجئوا ... إلى حجرات أدفأت وأظلت !

* * *

تعرض هذا المجتمع المثالى المتضامن المتراحم ، لأول مرة ، إلى ما تتعرض له كل المجتمعات من الوقوف أمام عوامل التمحيص والابتلاء ، ومجابهة الحوادث الطارئة التى تستدعى تفكيراً وتقديرا ، وموازنة وترجيحا ، والتى تشتجر فيها دوافع الرغبة البشرية فى إيثار السلامة والغنيمة ، ودوافع الواجبات الدينية والوطنية إلى التضحية وإنكار الذات ، وكان ذلك قبيل غزوة بدر ، وفى أثنائها ، وبعدها .

يصور القرآن الكريم موقف التردد فى الإقدام على أخطار ملاقاة المشركين فى بدر ، وينسب هذا الموقف إلى فريق من المؤمنين فيقول :

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

وإننا لنلمح الجو المكفهر الذى تشير إليه هاتان الآيتان ، فندرك أنه كان هناك كراهية شديدة للانبعاث إلى القتال ، وأن فريقا من المؤمنين كان يحمل لواء المعارضة ، وأن هذه المعارضة كانت من القوة والعنف بمنزلة كبيرة ، وما ظنك بمعارضة للرسول صلى الله عليه وسلم يصفها الله تعالى بأنها جدال له عن الحق بعد ما تبين ، ويصور مظهر أصحابها وهم يلحون فيها ويلجون بأن مثلهم كمثل الذين يساقون إلى الموت وهم يشاهدونه

عيانا ، ثم ما بالك بمعارضة يقال فى الانتصار عليها ، وإبطال ما يدعو إليه « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » تصويراً لما احتاج الأمر إليه من الحسم بأن يكون الإخراج من الله لرسوله ، وبأن يعبر عن الله فى هذا المقام باسم الربوبية إيذانا بما فى هذا الإخراج من لطف الحبيب لحبيبه ، وبأن يؤكد هذا الإخراج الربانى بأنه متلبس « بالحق » ، كل هذا يدل على أن الجو قبيل هذه الغزوة كان جواً مليئا بالمعارضة والخوف والتردد ، وأن هذه الغزوة ماكانت لتتم لولا لطف من الله وتدبير لرسوله ولدينه وللمؤمنين .

ثم يأتى بعد ذلك فى القرآن الكريم تسجيل لموقف الإغراء الذى اقتضى الأمر أن يغرى الله به المؤمنين ، وأن ينشط فيهم عوامل الأمل حتى تغلب عوامل اليأس ، وأن يفسح المجال فى هذا الأمل حتى للرغبات الشخصية البشرية تلطفا بهم فى الحث على تحقيق أمر الله ، كل ذلك ندركه حين نسمع قوله تعالى :

« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » (١) .

تستطيع أن تدرك من هذا ما قاله المفسرون فى أسباب النزول ، من أن القوم لم يكونوا يرغبون فى قتال المشركين ، وإنما كانوا يقصدون طائفة العير التى كانت قادمة بالتجارة إلى مكة وعليها أبو سفيان بن حرب ، وأن أبا سفيان أحس بذلك فأرسل إلى قريش أن أدركوا عيركم وأموالكم قبل أن يغير عليها محمد وأصحابه ، وأن قريشاً نفرت للنجدة ، وأن المسلمين وجدوا أنفسهم بذلك فى موقف جديد : أيحولون وجوههم إلى الطائفة المحاربة وهى ذات الشوكة ، أم يعودون من حيث أتوا فإنهم لم يكونوا قد خرجوا للقتال ولا استعدوا للقتال ، وهذا هو موقف التردد الذى وقفوه ، والذى عرفناه .

ولقد أوحى الله إلى رسوله بوعد وعده المؤمنين وقطعه على نفسه : أن يظفرهم بإحدى الطائفتين ، طائفة العير أو طائفة النفير .

وهنا نقف وقفة يسيرة أمام ما يدل عليه هذا الوعد الإلهى :

إن الله تعالى هو خالق الإنسان ، وهو الذى يعلم ما توسوس به نفسه ، والإنسان

---

[١] الآيتان ٧ ، ٨ من سورة الأنفال .

بطبيعته يكره القتال لأنه ينظر فيه إلى الجانب المؤدى إلى فنائه وبطلان سعيه ، فهو لا يخف إليه ، بل يحتاج إلى حث عليه ، وترغيب فيه ، ودعوة إليه باسم المعانى التى يؤمن بها ، أو باسم الرغبات التى يحب تحقيقها ، لذلك نرى القرآن الكريم يتحدث عن القتال وهو ناظر إلى هذه الطبيعة البشرية ، رام إلى علاجها ، فهو يقول «كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون» [١] .

فقد احتاجت معالجة هذه الطبيعة الإنسانية إلى عدة أشياء جاءت بها هذه الآية الكريمة : احتاجت إلى بيان أن القتال فريضة مكتوبة ، ولا تجد التعبير عن المفروض بلفظ «الكتابة» إلا حيث يكون الأمر محتاجا إلى قوة فى الإيجاب لثقله فى التكليف ، مثل «كتب عليكم الصيام» ، «وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس» [٢] «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين» [٣] إلى غير ذلك [٤] ، واحتاجت إلى الاعتراف بأن القتال مكروه «وهو كره لكم» ، وهذا الاعتراف فيه فائدة تمهيدية لعلاج النفوس من هذه الكراهية ، فإنك إذا اعترفت لمن تريد علاجه بالحقيقة التى يحس بها ولو كانت مرة أو كانت مما لا يلتئم وما تريده عليه ، فإنه يأنس إليك ، ويستمع لتوجيهك ، إذ يعلم أنك منصف ، وأنك لا تنازع فيما لا مجال للنزاع فيه ، فهى طريقة تربوية قائمة على الصراحة وعدم الهروب من مواجهة الواقع ، ثم تدرجت من هذا الاعتراف إلى بيان أمر لا تنكره النفوس ، لأنها جربته مراراً ، ذلك هو أنه ليس ما يكرهه الإنسان شرا دائما ، ولا ما يحبه الإنسان خيرا دائما ، فعسى أن يكون وراء المكروه خير والإنسان يجهله ، وعسى أن يكون وراء المحبوب شر وهو لا يعلمه ، والله وحده هو الذى يعلم عاقبة الأمور ، فإذا أمر بشىء أو نهى عن شىء ، فإن أمره ونهيه هما المصلحة والخير بدون شك .

هذا المعنى ، أو هذه الحقيقة ، وهى أن القرآن الكريم ينظر إلى النفوس وما هو من طبيعتها ، وأن الله تعالى ، وهو العليم الحكيم الرحمن الرحيم ، لا يمكن أن يسوس عباده سياسة قوامها التغاضى عن فطرتهم وما يعلمه من طبائعهم ـ هذا المعنى هو الذى اقتضى عدل الله أن يرعاه حين أوحى إلى رسوله بوعده المؤمنين إحدى الطائفتين : العير أو النفير

---

[١] الآية ٢١٦ من سورة البقرة . [٢] الآية ٤٥ من سورة المائدة . [٣] الآية ١٨٠ من سورة البقرة . [٤] راجع ص ٢١ من كتابنا دعائم الاستقرار فى التشريع القرآنى .

فهذا الوعد بالظفر من شأنه أن يثبت القلوب ، وأن يهزم عوامل التردد ، ثم مجيئه على هذا النحو من الإبهام بين الطائفتين ؛ من شأنه أن يوسع آفاق الأمل أمام المؤمنين ، وأن يراعى اختلاف الناس فيما يستهويهم ويأخذ بألبابهم ، فليس كل الناس مثالياً إلى الحد الذى يصلح معه أن يناشد الجميع باسم المثالية : وقد يقول قائل : كيف وقف القرآن هذا الموقف منهم وهو إنما قام على أساس تقديس المعانى الروحية ، وتقدير القيم الخلقية ، فهل يتفق مع هذا أن يلاحظ ما فى بعض النفوس من الميول الشخصية ، وأن يبهم فى مثل « إحدى الطائفتين » مراعاة لها ؟ قد يقول هذا قائل ، والجواب أن ملاحظة القرآن وجميع أصول الإسلام للميول الشخصية ، وانبناء التشريع على الجمع بينها وبين ما هو من جنس المعانى الروحية ، والقيم المثالية ؛ إنما هو حيث لا تكون الماديات والشخصيات ممنوعة أو حراما أو منافية للمبادئ الفاضلة ، وفى قضيتنا هذه نجد المؤمنين أمام أعداء لهم أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، وأصبحت بينهم وبينهم عداوة تخولهم حق مصادرة ما يستطيعون مصادرته من أموالهم ، فالذين كانوا يرون أن يتجهوا إلى طائفة العير ، لم يخرجوا بهذا عن دائرة معاقبة المشركين وإيلامهم وإن كان فى ذلك نفع مادى لهم ؛ فإنه من حقهم ، وليسوا به خارجين على مثلهم ومبادئهم . لذلك ليس هناك بأس فى مسايرة القرآن لهم نوعا من المسايرة بهذا الإبهام فى الوعد بإحدى الطائفتين ؛ حتى يتسع أمام الجميع كما قلنا أفق الأمل كل على حسب ما يستهويه ، وحتى يبدو المؤمنون جميعاً فى موقف ثابت متوحد أمام أعدائهم دون تردد فى الإقدام على ملاقاته ، وبذلك يتم تدبير الله تعالى ، ويتم لطفه الخفى الذى تأتى به إلى نصر المؤمنين ، ولله الحكمة البالغة .

وينبغى ألا يفوتنا أن القرآن مع ذلك لم يترك المؤمنين لهذا الأمل الشخصى ، وإن كان مباحا ، ولكنه سايرهم عليه نوعا من المسايرة كما قلنا تدرجا بهم ، ثم أعلى شأن المقصد الأكبر الذى من أجله دبر ، ومن أجله لطف ، وهو إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وقطع دابر الكافرين . وذلك حيث يقول « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وناهيك بالتوجيه العظيم الذى يوحى به قوله جل شأنه « وتحبون » « ويريد الله » .

محمد محمد المدنى
أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة



عمـــل المرء لغيره

- ١ -

صلاح العمل عند الله - الأعمال أصناف ثلاثة - عمل الولد من عمل والديه - موت الولد العاق أيسر البلايا به !! - من شكر الوالدين . . . .

عن أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم قال : إذا ماتَ الإنسانُ انقطع عملُه إلا من ثلاثةٍ : إلا من صدقةٍ جاريةٍ ، أو علم يُنْتَفَعُ به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له .

رواه مسلم (*)

كثر الجدل قديماً وحديثاً - ولا يزال قائماً - فى مثوبة الله تعالى وجزائه لعبده على عمل غيره . . . فرجونا من الله أن يهدينا سبيل الرشاد ، حتى نخلص إلى الحق من بين هذه المعركة الثائرة ، وأن يشرح بالحق صدورا لا تزال بالجدل ضائقة حائرة « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

لا جدال فى أن من أصول الإسلام البينة ، ألا يقبل عند الله عمل غير صالح ، سواء

(*) فى كتاب الوصية ، بهذا اللفظ ليس غير ، وهو الذى رواه ابن القيم فى كتابه « الروح » لكن بلفظ « ثلاث » من غير هاء ، ورفعه النووى فى شرحه لمقدمة مسلم بلفظ : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية . . الخ ، ومن الغريب أن ينسبه صاحب كشف الخفاء إلى أبى داود والترمذى والنسائى والبخارى فى الأدب المفرد ويترك « مسلما » ولعله سهو منه أو من الناسخ ، ومن الخطأ نسبته إلى الشيخين أو إلى البخارى وحده فإنه لم يخرجه فى « صحيحه » وهو المراد عند الإطلاق .

أعمله المرء لنفسه ، وهو ما قدمنا الحديث عنه فى الجزء الأسبق ؛ أم عمله المرء لغيره ، وهو ما نعرض له فى هذا الحديث ؛ ولا جدال كذلك فى أن صلاح العمل عند الله سبحانه ، إنما هو ببنائه على العلم المأثور ، وخلوصه من الشرك أكبره وأصغره ، حتى لا يبتغى به عامله إلا وجه ربه الأعلى .

ومن الأوليات التى يعرفها كل مسلم أن الإسلام بنى على الإيمان والعمل ، والتعاون على البر والتقوى .

ومما يجب التنبيه عليه فى هذه المقدمة إحقاقا للحق وإيضاحا له ، أن عمل العبد قد ينتهى بانتهاء أجله ، وقد يمتد إلى أمد قريب أو بعيد بعد أجله ، وربما كان عظيما خالدا لا ينقطع أثره . . وقد يكون المرء سبباً فى عمل غيره له فينسب إليه كأنه عمله ، ويلحقه ثوابه وأجره من غير أن ينقص شىء من أجر العامل نفسه ، ومن هنا كان الدال على الخير كفاعله . . .
وإذاً فالأعمال أصناف ثلاثة :

١ — عمل المرء لنفسه كسبا وسعيا وتحصيلا من طريق متصل مباشر ، لا وساطة فيه ولا سبب ، كصلاته وصيامه وحجه ، وسائر أعماله البارة التى تنتهى بموته ، أو يمتد أثرها بعده إلى ما شاء الله لها أن تمتد ، مسجلة فى صحيفته ، كعلمه النافع ، وتأليفه الراشد ، وحبسه الخير على أهله . .

٢ — وعمل لم يعمله المرء لنفسه ، ولكنه كان سببا فيه أو داعيا له ودالا عليه ، ولولاه ما نبت هذا العمل ولا أثمر ، كمن أنقذ كافرا ، أو أرشد حائرا ، أو هدى ضالا ، أو علم جاهلا ، أو دعا إلى الرشد حاكما ، أو رد إلى العدل ظالما . . . لا جرم أن له أعمالا مباشرة متصلة ، هى الإنقاذ والإرشاد والهداية والتعليم والدعوة والرد ، وله وراءها أجور آثارها الحسنة إذ كان سببا فيها ، ولولاه لهدمها الكفر وما بعده . .

٣ — وعمل لم يعمله المرء ولم يكن له فيه سعى ولا سبب ، اللهم إلا السبب العام ، وهو الإيمان بالله وبما جاء به خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم .

والحديث شاهد عدل على أن المرء ينتفع بعمله الذى امتد أثره بعد موته ، كما ينتفع بعمله الذى انقطع ثوابه بموته ، وعلى بطلان ما ذهب إليه شرذمة من أهل الكلام والبدع

زعموا أن الميت لا ينتفع بعد أن فارق حياته بشيء ألبتة ؛ وشاهد عدل كذلك على أنه ينتفع بما كان سببا فيه وداعيا له ؛ فإن استثناء هذه الأعمال الثلاثة من جملة عمله دليل على أنها منه وأن سبب العمل والسعي فيه يلحقه به ، لا جرم أن الولد من كسب الوالد وسعيه ، وأن ما يعمله من الصالحات فلأبيه وأمه في صحائفهما مثل أجره ؛ إذ كانا السبب في وجوده وتربيته ومن هنا كان من أعظم الأعمال أثراً ، وأجلها قدراً ، تنشئة الأولاد على الهدى والاستقامة وتربيتهم على الصالحات التي يدخرها الوالدان لأنفسهما ، وليس عليهما بعد بلوغ الجهد والوسع في التربية على الهداية ، ألا يهتدي الولد ، فإن التوفيق للهداية بيد الله وحده ، وقد قال لنبيه صلوات الله عليه وسلامه : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » .

ويؤيد هذا الحديث ويفصله ما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما نشره ، وولداً صالحا تركه ، ومصحفا ورثه ، ومسجدا بناه ، وبيتا لابن السبيل بناه ، ونهرا أجراه وصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته » .

والاقتصار على الثلاثة في حديث مسلم ؛ لأنها أصول الصالحات المذخورة التي يرد إليها غيرها ، ويقاس عليها أمثالها ؛ أو لأن الله أعلمه بالثلاثة أولا ثم أعلمه بما زاد عليها ثانياً ، « وقل رب زدني علما » .

وفي الحديث التحريض على وقف الخيرات والمبرات الدائمة التي يبقى ذخرها وأجرها ما بقيت أعيانها . . .

وتقييد العلم بالمنتفع به ؛ لأن العلم الذي لا ينتفع به لا يثمر أجرا ، بل ربما كان وزرا وبلاء وإثما على صاحبه ! ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء *

---

* اقتباس من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه . رواه مسلم ، وشرحناه في جزء رجب من المجلد ١٨ عام ١٣٦٦ .

وإنما وصف الولد بالصلاح ؛ لأن الأجر قلما يكون من غيره ، اللهم إلا أجر الصبر على مصيبته والنكبة به والجهاد فى تقويمه ! ! لاجرم أن فسق الأولاد وعقوقهم من أشد البلايا والمصائب والفتن التى يمتحن الله بها آباءهم ! ! وإن موتهم لأهون هذه البلايا وأيسرها على ذويهم ! !

* * *

ولا يلحق الوالد شىء من أوزار ولده وسيئاته ، إذا كانت نيته فى تربيته تحصيل الخير له والعمل على ما ينفعه فى دينه ودنياه ، ولم يكن معينا له على فساده . . .

وليس دعاء الولد شرطاً فى حصول أجر الوالد ومثوبته ؛ فإن الأجر ثابت للوالدين كلما عمل ولدهما الصالح عملا صالحاً وإن لم يدع لهما ، كمن غرس شجراً ، أو أجرى نهراً ، أو وقف خيراً . . فإن له أجرها سواء دعا له من انتفع بها أم لم يدع له .

وإنما ذكر الدعاء تحريضاً للولد على الدعاء لوالديه ، براً بهما ، وشكراً لهما ، ووفاء لبعض حقهما عليه ، وامتثالا لأمر الله تعالى ، واقتداء برسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد قال جل ثناؤه : « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » وحكى عن شيخ رسله وأنبيائه نوح عليه السلام دعاءه لوالديه خاصة ، وللمؤمنين عامة ، فقال عز من قائل : « رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً » . لا جرم أن الولد يؤجر على الدعاء لوالديه ، وأن الوالدين ينتفعان بدعاء ولدهما ، علاوة على انتفاعهما بكل عمل صالح يعمله .

* * *

أما بعد ، فها هو ذا الحديث شمل صنفين من أعمال العباد ، أجمع المسلمون على مثوبتهما وعظم آثارهما والانتفاع بهما . . . وبقى النظر فى الصنف الثالث ، ندخره للجزء القادم ، فما أجدره بجزء مستقل . والله المستعان على قول الحق واتباع سبيل المؤمنين ، ولا حول ولا قوة إلا به ؟

طه محمد الساكت

تشريع الزكاة

كما عنى الإسلام بتطهير العقيدة من شوائب الشرك وإخلاص العبادة لله موجد هذا الكون ، عنى أيضاً بتربية المجتمع وتنشئته تنشئة تدعو إلى ارتباطه برباط المحبة وتوثيق الصلة بين أفراده وشعوبه بصلة الأخوة ، وقد ظهرت آثار عناية الإسلام بهذا المجتمع فى كثير من تشريعاته الحكيمة وفى مقدمتها تشريع الزكاة الذى فرض للفقراء نصيبا مقدرا فى أموال الأغنياء ، وحاجة الفقراء إلى هذه الزكاة قد تكون ماحة إذ يكون الحرمان شديداً بحيث لا يتذوق الفقير حلاوة اللذيذ من الطعام ، ولا يلبس ما يعتمد عليه فى دفع وطأة البرد القاسى ، وقد تكون حاجته أشد وأشد حينما تتكاثر عليه المطالب لتربية أولاده ، أو علاجهم ومحاربة أمراضه وأمراضهم ، فإذا ما أمده الغنى بما يستطيع من المساعدة بما فرض الله فى ماله ، أو زاده على ذلك ، شعر الفقير بهذا العطف والحنو والعناية بشأنه واهتمام أخيه الغنى بإصلاح حاله ، وبذلك يفيض قلبه حبا للغنى وإخلاصا ، ويتبادل معه المعونة الصادقة فيما يكون بينهما من عمل ، ويسود الوفاق جميع الشئون التى تربط بينهما ، فيرقى المجتمع ويتضاعف الإنتاج ويرتفع مستوى المعيشة لجميع أبناء الشعب ويعمهم السرور والسعادة .

فبالزكاة يمكن أن يدرأ كثير من الشرور عن المجتمع بجميع طبقاته ، وبها تمكن المساهمة فى تسليح جيش قوى أو إقامة قواعد محصنة لدرء الخطر عن الوطن إذا ما جمعت حصيلتها أو كمية كبيرة من حصيلتها .

لمثل هذا شرعت الزكاة التى هى إحدى دعائم الإسلام الخمس والتى هى فرض عينى من فروضه ، وكانت فرضيتها فى السنة الثانية من الهجرة ، وثبتت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وصارت معلومة من الدين بالضرورة ، فمن أنكر وجوب الزكاة وكان ممن يخفى على مثله حكمها ، كأن كان حديث عهد بالإسلام ، أو نشأ بعيداً عن المسلمين عرفناه وجوبها وأخذناها منه إن كان عنده مال .

أما من أنكر وجوب الزكاة وكان ممن لا يخفى عليه حكمها كمسلم عاش بين المسلمين ثم منع الزكاة جحدا لوجوبها ، صار بهذا كافرا تجرى عليه أحكام المرتدين فيستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

أما مانع الزكاة بخلا بها مع اعترافه بوجوبها فإنه لا يكون كافرا ولكنه عاص يعزر وتؤخذ منه قهرا ، هـذا إذا لم يكن له منعة وشوكة ، أما إذا منع الزكاة اعتمادا على منعته وشوكته ، فإنه يجب على الإمام والمسلمين قتاله حتى تزول منعته ويذعن للإمام ويؤدى الزكاة ؛ لما ثبت فى الصحيحين أن الصحابة حينما منع الزكاة من منعها من المسلمين فى أول عهد أبى بكر ، اختلفوا فى حكم قتال مانعى الزكاة ، وكان رأى أبى بكر رضى الله عنه أنه يجب قتالهم ، وأقام للناس الدليل على وجوب قتالهم ، فلما ظهر لهم الدليل واقتنعوا بحجته وافقوه فى الرأى ، وقاتلوا معه مانعى الزكاة حتى زالت شوكتهم وأذعنوا للإمام وأدوا الزكاة ، وصار ذلك إجماعا للمسلمين .

ويعتمد وجوب الزكاة أول ما يعتمد على ملكية المال الذى تجب فيه ، والمال أحد الكليات الخمس التى أجمعت الأديان على حرمتها ووجوب المحافظة عليها ، وهى : النفس والمال والعرض والدين والعقل ، فمن قتل دون شىء من هذه الخمس فهو شهيد كما صرحت بذلك الأحاديث .

فالملكية الفردية محترمة فى دين الإسلام وسائر الأديان ، وكتاب الله تعالى قد أضاف الأموال إلى ذويها فى آيات بلغت من الكثرة حدا كبيرا « خذ من أموالهم صدقة » ، « فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم » ، « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » ، « جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم » ، « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا » ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيض بنسبة المال إلى صاحبه ، وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فقال فى خطبته على رءوس الأشهاد : ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ، ألا هل بلغت اللهم اشهد .

وقد ظهر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف فى أنه هل يجب على المسلم إنفاق كل ما فضل من ماله عن حاجته ، فعن أبى ذر يجب على المسلم ذلك وخالفه فى ذلك سائر أصحاب رسول الله ، ومنشأ ذلك الخلاف قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب

والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، فمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال : إن قوله والذين يكنزون الذهب خاص بالأحبار والرهبان المتقدم ذكرهم ، وكان هذا رأى معاوية حينما شجر بينه وبين أبى ذر الخلاف فى الشام ، وجمهور أصحاب رسول الله يرى أن الآية عامة تشمل المسلمين ، ولهذا أشفقوا منها أول ما نزلت ثم زال خوفهم .

أخرج ابن أبى شيبة فى مسنده وأبو داود وأبو يعلى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة » كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا أن يبقى بعده مالا لولده فقال : عمر أنا أفرج عنكم فانطلق وتبعه ثوبان فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم ، وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم فكبر عمر رضى الله عنه .

وروى مرفوعا عن أبى هريرة (إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك) . وروى موقوفا على ابن عباس وعمر وابن عمر وجابر : أى مال أديت زكاته فليس بكنز ، ومثل هذا لا يكون من قبيل الرأى فهو بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عمر إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال ثم قال : ما أبالى لو كان عندى مثل أحد ذهبا أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله .

قال ابن عبد البر وردت عن أبى ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يذم فاعله ، وأن آية الوعيد نزلت فى ذلك ، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على ما نعى الزكاة وأصح ما تمسكوا به حديث طلحة وغيره ـ ونصه عند البخارى ومسلم عن طلحة (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات فى اليوم والليلة . فقال : هل على غيرهن ؟ قال: لا إلا أن تطوع. وصيام شهر رمضان . فقال : هل على غيره ؟ قال: لا إلا أن تطوع . وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال : هل على غيرها ؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال فأدبر الرجل وهو يقول والله

لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق) قال: ابن عبد البر وإن نصوص الكتاب تأمر بالقصد والاعتدال فى الإنفاق ، لا بإنفاق كل المال من ذلك قوله تعالى: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما» ، وقوله: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا» .

ومن الأدلة أيضا على رأى جمهور أصحاب رسول الله حديث سعد بن أبى وقاص عند مسلم وغيره ونصه عن عامر بن سعد عن أبيه قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت. فقلت: يا رسول الله بلغنى ماترى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة . أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: لا. قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا. الثلث ، والثلث كثير. إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

فما تقدم من نصوص الكتاب والسنة أدلة قوية على أنه لا يجب على المسلم إنفاق مافضل عن حاجته من المال ، ولعل ذلك إنما كان أول الأمر كما صرح بذلك ابن عمر فيما ذكر عنه سابقا، وقد نسخ هذا بتشريع الميراث، فهو كما نص على ذلك فى الحديث إنما يكون فى الأموال التى تبقى بعد موت ذويها ، وقد أشار الحديث إلى أن الزكاة طهرة للمال فكل مال أديت زكاته ليس بكنز كما وردت بذلك النصوص وكما قرره العلماء .

فالكنز هو المال المجموع الذى لم تؤد زكاته وقد توعد الله فاعل ذلك بقوله: «يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره .

وروى البخارى عن أبى هريرة مرفوعا «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يقول: (أنا مالك أنا كنزك وقد ذكر العلماء أن أبا ذر أخذ بالعزيمة التى وردت أولا بوجوب إنفاق مافضل عن الحاجة ولم تبلغه الرخصة فبقى على مذهبه ، فقد أخرج أحمد والطبرانى عن شداد بن أوس قال كان أبو ذر رضى الله عنه يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر فيه الشدة ثم يخرج إلى باديته ثم يرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فيحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الأمر الرخصة فلا يسمعها أبو ذر فيأخذ أبو ذر بالأمر الأول الذى سمع قبل ذلك اه ، والسبب الحقيقى لتشدده استعداده الفطرى لتحمل الشدائد والأخذ بالعزائم

فإنفاق ما فضل عن الحاجة عزيمة الخواص وليس هو المشروع لكل الناس ، فإن نصوص الكتاب والسنة تنافى وجوب إنفاق كل ما يملك المرء كما تقدم ، ولعله من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين كما يذكر ذلك العلماء .

وسواء قلنا إن شريعة الإسلام رأسمالية محضة ، أم قلنا إنها رأسمالية اشتراكية فإنها على كلتا الحالين قد جعلت للفقراء حقا مقدرا فى مال الأغنياء : هو الزكاة .

والشرط الأساسى لوجوب الزكاة أن يكون المال الذى تجب فيه مملوكا لمن تجب عليه ملكا تاما ، فلا تجب الزكاة فيما ملك قبل قبضه ، كمؤخر صداق المرأة ، وكالمبيع قبل القبض ، وكالأجرة قبل مضى مدة الإجارة .

والمال الذى تجب فيه الزكاة أربعة أنواع : الذهب والفضة ، والزروع والثمار ، والنعم : الإبل والبقر والغنم ، وعروض التجارة من أى مال .

وهذه الأموال قسمان : أموال ظاهرة وهى الزروع والثمار والأنعام ، وأموال باطنة وهى الذهب والفضة وعروض التجارة ، وكان الإمام يبعث السعاة لجمع الزكاة فى المحرم من كل عام ، وكانوا يجمعونها من الأموال الظاهرة والباطنة إلى زمن الخليفة عثمان حيث كانت تجمع من الأموال الظاهرة فقط ، أما الأموال الباطنة فقد جعل ملاكها وكلاء عنه فى أخذ زكاتها من أموالهم وصرفها إلى مستحقيها ، وصار الأمر من حينئذ على هذا . ومذاهب الأئمة لا توجب دفع الزكاة إلى الإمام إلا فى الأموال الظاهرة دون الباطنة ، وجعلوا من الباطنة زكاة الفطر .

وهل يشترط لوجوب الزكاة البلوغ والعقل : المالكية والشافعية والحنابلة لا يشترطون ذلك فتجب الزكاة فى مال الصبى والمجنون ، وقال أبو وائل وسعيد بن جبير والحسن البصرى والنخعى لا زكاة فى مال الصبى والمجنون مطلقا . وقال أبو حنيفة لا زكاة فى مالهما إلا المعشرات من الزروع والثمار ، ونرى الأخذ برأى من لا يوجب الزكاة على الصبى والمجنون ؛ لأنهما ليسا من أهل التكليف ، ولأنها عبادة محضة وليسا مخاطبين بها كالصلاة والصيام ، فلا زكاة فى أموال القصر المودعة فى المصارف بمعرفة المجالس الحسبية حتى لا تستهلك أو يستهلك جزء كبير منها ، وفى الجزء القادم إن شاء الله بقية لأحكام الزكاة .

عبد الرحمن عيسى
مدير التفتيش بالأزهر

أمة ورسالة

جل الأمم الآن إن لم يكن كلها يسعى لرفع مستوى معيشته، وتكثير الضرورات والمرفهات لمختلف الطبقات . .

وهذا شىء حسن . فمن ذا الذى يكره العافية والسعة والاسترواح ؟ .

إن كدح الناس للحصول على مزيد من خير الله، والاستمكان فى أرضه عمل مفهوم البواعث . إلا أننا لا نرضى لأبناء آدم، ولا يرضى عاقل لنفسه أن تكون الغاية القصوى من الحياة هى البطن الملآن . والبدن المزدان، فذلك هدف حيوانى لا إنسانى .

ووقوف الحكومات والشعوب عنده هبوط بقيمة العالم ورسالته، ونزول عن المكانة التى أرادها الله له، وذهول عن الحق الذى يقول لنا فى استنكار . .

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق » .

إن للإنسانية غاية أرقى من توفير الخبز لآكليه !

غاية ترادف النبيون لتوضيحها . ثم جاء عميدهم الخاتم، صاحب الرسالة العظمى، ليصنع أمة تمثلها وتقوم عليها، وترفع علمها فى الآفاق ...

وظيفة هذه الأمة بين شتى الأجناس والأوطان أن تدعم الخير وأن تعلى صوت المعروف وأن تحمى شارة الإيمان، وأن تجعل من كيانها موئلا للفضائل . . . !

وأن تكره الآثام وتنكر لفاعلها، وتعقب على أخطائهم وخطاياهم بالتفنيد والرد . .

وظيفة هذه الأمة حراسة وحى السماء وإبقاء مناره عاليا يومض بالإشعاع الهادى كى يهتدى به السارون فى ظلمات البر والبحر . .

والأمة التى تحمل هذا العبء أو تتولى هذا المنصب أو ترشح لهذا الشرف هى الأمة الإسلامية . .

وقد أوضح الله ذلك فى كتابه العزيز « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . وقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وبين أن منزلة الناس أجمعين من هذه الأمة كمنزلة هذه الأمة من رسولها . .

فكما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله معلما ومبشراً ونذيرا ، وكما أخرج هذه الأمة بإذن الله من العمى إلى الهدى . فعلى أتباعه أن يشيعوا الحق الذى شرفوا به ، وأن ينشروا الرسالة التى نزلت بينهم ، وأن يكونوا جسراً تعبر إليه الهداية لتعم أرجاء الأرض « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » والسلف الصالح الذى تلقى آيات القرآن وسعد بصيحة النبى صلى الله عليه وسلم فهم وظيفته على هذا النحو : فهم أن أداء الدعوة واجب ، وأن إبلاغ رسالات الله حق ، وأن حبس أنوار الإسلام فى حيز من الأرض جريمة ...

وعلى ذلك الأساس تكونت الأمة الإسلامية تكونا متميز الطبيعة والحركة ، مستبين المبنى والمعنى ، تزدوج مثلها العليا مع قواها المادية ، كما يزدوج الروح والجسد ، لا يتصور بينهما فكاك .

* * *

وشعور المسلمين بفرائض الإسلام عليهم جعل نشاطهم الأدبى يتخذ عدة طرائق ، تنتهى كلها بخدمة دينهم فى الداخل والخارج :

(ا) فتعلم الإسلام وتعليمه أحيا ألوف المدارس لحفظ القرآن وتعهده ولفقه السنة ، وصيانة كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من توجيهات عامة .

(ب) واستدعى ذلك نهضة شاملة لآداب اللغة العربية وقواعدها حتى ساوت علوم اللغة علوم الدين فى درجتها ، ولا عجب فإن الوسائل والمقاصد متلازمة الوجود ، والإسلام إذا ضمرت العربية وذبلت فهو مهدد بأفتك الأخطار ، وسترى مصداق ذلك فيما نقصه عليك بعد حين .

(ج) استبحرت المعارف التشريعية ، وتكونت مذاهب فى صور العبادات وقوانين المعاملات من أقوى وأزهى ما عرفت الدنيا .

(د) انتشرت دراسات الخلق والسلوك مع ما يسمى « بالتصوف » وشاعت بين العامة والخاصة شيوعا واسع النطاق .

(هـ) تطوع المسلمون من تلقاء أنفسهم للمحافظة على المجتمع ضد السيئات والمناكر ؛ إذ أن طبيعة الإسلام تلزم كل مؤمن بإقرار المعروف ومطاردة المنكر ، والقوى الشعبية لا السلطات الحكومية هي التي تولت حياطة الأمة من شرور كثيرة ، وإن كانت الحكومات ـ من الناحية التنفيذية ـ هي صاحبة الاختصاص ، وقيام الجماهير في الداخل بذلك الواجب أبقى شعائر الإسلام حية في المجتمع ، وجعل أمام العصاة والمنحلين حواجز مرهبة ، وفسح المجال أمام السطوة الأدبية على الضمائر والعواطف .

وكانت السعادة العظمى لأي مسلم أن يشرح صدر إنسان للإسلام ، وأن ينقله من كفره القديم إلى رحاب هذا الدين .

والمسلم الذي يوفق إلى إدخال شخص ما في الإسلام تراه مبتهج النفس ، بادي البشر ، متألق الجبين .

وتتعاون الجماعة المؤمنة غالبا على كفالة القادم الجديد ، وتوثيق الأواصر العاطفية معه .

* * *

وقد امتد الإسلام إلى أغلب البقاع المعروفة في العالم ، ونشبت جذوره بألوف مؤلفة من المدائن والقرى في آسيا وإفريقيا وأوروبا .

وتراخت العصور عليه وهو ينساح في أرض الله بقوة رائعة ، ليس لها مدد إلا حماس المؤمنين ، وقدرتهم على الإقناع بالحق والمقاومة للباطل .

وقد عرضت للأمة الإسلامية فترات انهزمت فيها أمام أعدائها .

أو بتعبير أدق ، انهزمت فيها أمام نداء الواجب الذي يملي عليها ضرورات الوفاء لرسالتها ، فكان تفريطها في جنب الدعوة ـ التي زكت بها سببا في ذهاب ريحها وانهيار مجدها ، لقد انحلت الخلافة التركية الأخيرة عن نيف وثلاثين دولة مبعثرة في قارات الأرض ينتسب أغلبها إلى الإسلام انتسابا اسمياً ، وتضطرب دعوته في أنحائها اضطراباً بعيد المدى ، يحتاج شرحه إلى قليل من الإسهاب .

يا عجبا ، كيف تبددت هذه القوة العظيمة . وأقفرت تلك المعالم النضرة ؟

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

الواقع أن ذلك الانكسار لم يقع بغتة ، ولم تلتق أسبابه فجأة .

إن الأمة الإسلامية ـ كما قلنا ـ صاحبة رسالة ، وحاملة دعوة ، ووريثة وحى يجب أن تبلغه بالعلم ، وأن تظهره بالعمل .

بيد أنها نسيت ذلك أو تناسته . وضعف أخذها به ، ووفاؤها له على اختلاف الليل والنهار . واطرد هذا التفريط أولا فى شكل متواليات حسابية ، وأخيراً فى شكل متضاعفات هندسية . وقد تقفه بين الحين والحين نهضات المصلحين . وصيحات المذكرين ، إلا أن الأمر عز على العلاج فى العصور الأخيرة فلم تستفق هذه الأمة إلا والأجانب قد أحاطوا بها ، وأنشبوا أظافيرهم فى أعناقها ، وشرعوا فى الإجهاز عليها .

ولولا عناية من السماء مسعفة لكانت اليوم تحت أطباق التراب .

وظهرت بوادر الانفصال بين الأمة ورسالتها فى أكثر من ميدان .

ففى حقل التعليم ذبلت الدراسات الإسلامية ، ونبتت خلالها أشواك كثيرة .

وفشت الظنون والخرافات والإسرائيليات والنصرانيات والإغريقيات ، حتى لكأن حصاد هذه الدراسات طين لا قمح ، وحسك لا تمر ! .

والعلم الإسلامى اليوم متوار فى معاهد خاصة ، بعد ما عزل عن الحياة العامة ، وساء تقويمه ، وقل التعويل عليه .

وفى حقل التشريع ساد القحط كل ناحية ، وعجز الفقه سنين عددا أن يحكم المعاملات المتجددة ، وأن يضبطها باسم الله فى مجراها العتيد .

ووقف الاجتهاد عند صور انقضى زمانها وأهلوها .

فلما زحفت الحياة الحديثة كان من الشلل بحيث لم تقم له حركة ، أو يحسب له حساب وهو الآن محبوس فى بعض قضايا الأسرة ، معزول أتم العزل عما وراءها من نشاط اجتماعى ، محلى أو دولى ! .

وتبع هوان المعرفة الدينية انسحاب يكاد يكون شاملا من آفاق الحياة كلها ، وتضعضعت قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أمام مدنية وافدة عارمة تحل الحرام وتحرم الحلال . . .

وتوقف ـ بداهة ـ سير الدعوة الإسلامية فى الأرض ، وجهادها القديم لإدخال الناس أفواجا فى دين الله . . وكيف لا تتوقف وهى تكافح لتحتفظ بحياتها فحسب أمام سياسات

ماكرة وعداوات فاجرة . ويمكننا أن نومئ إلى عدة أمور ، هى فى نظرنا مظهر لتفريط المسلمين التاريخى فى رسالتهم ، وتقصيرهم فى خدمتها :

١ — ضعف أجهزة الدعاية الخارجية للإسلام ، أو انعدامها ، وترك تعليم الأجانب لجهود الأفراد ونشاطهم الخاص .

ومعروف أن انتشار الإسلام فى أواسط إفريقيا ، وأغلب آسيا يرجع إلى ذلك الجهاد الفردى المسالم الدءوب .

وهو جهاد لم ترسمه خطط منظمة ، ولم تستفد من أرباحه عيون يقظة ، بل لم تحرس ثمراته قوى معدة .

والسبب فى هذا التقصير المعيب ، أن الدول الإسلامية كثيراً ما شغلتها منافع خاصة أو سياسات قصيرة النظر ، بل كثيراً ما قامت على أنقاض المثل الدينية الرفيعة .

وهذا الاعتلال فى أداة الحكم أضر بسير الإسلام فى أرجاء الأرض أبلغ الضرر ، والواقع ، أن كثيراً من الحكومات الإسلامية فى التاريخ القديم ، كانت عقبات فى طريق انطلاق الدعاة لأداء واجبهم على نحو واضح ونهج مرسوم .

٢ — مع أن أمما كثيرة عربها الإسلام ومحا عنها خصائصها اللغوية والثقافية القديمة ، فإن العربية لم تلق ما ينبغى لها من رعاية وحفاوة ، خصوصا فنون الأدب المختلفة . فقد غلبت العجمة على عصور طويلة ، واصطبغت بها أداة الحكم حينا من الدهر ، وتولى المناصب الكبرى أناس عاطلون من حلية البيان وسلامة المنطق ، وأوت الكتابة والبلاغة والشعر إلى طبقات من المحترفين والمرتزقة .

ثم انتهى الأمر فى القرون الأخيرة إلى أن علماء الإسلام ـ وفيهم جمهرة من خريجى الأزهر ـ كانوا غرباء على الأدب ، بل كانت حاستهم البيانية ميتة .

وغريب أن تكون معجزة الإسلام الكبرى آية بلاغية ، وأن تكون اللغة العربية أساس هذا الدين وترجمان عباداته ، ومع ذلك تهون إلى هذا الحد .

والواجب أن تعود للأدب مكانته ، وأن تتضافر الجهود على تقوية مادته ، وتجلية رونقه ، وإمداده بأسباب النماء والازدهار .

٣ — هناك خلافات علمية ، ومذهبية ، حفرت فجوات عميقة بين المسلمين ، وقطعتهم في الأرض أمما متدابرة ، وهم في واقع أمرهم وطبيعة دينهم أمة واحدة .

والدارس لهذه الخلافات يتكشف له على عجل أنها افتعلت افتعالا ، وبولغ في استبقاء آثارها وتفتيق جراحاتها ، ونقل حزازات شخصية أو نزعات قبلية إلى ميدان العقيدة والتشريع ، وذاك ما لا يجوز بقاؤه إن جاز ابتداؤه .

وكلما زادت حصيلة العلم الديني ، وتوفرت مواد الدراسة الصحيحة انكمشت هذه الخلافات ، واتحدت الأمة الإسلامية منهجا وهدفا .

ولذلك نحن نرى التقريب بين هذه المذاهب فرضا لا بد من أدائه ، وأخذ الأجيال الجديدة به ، كما نرى ضرورة إحسان النظر في دراسة التاريخ الإسلامي ، وتنقيته من الشوائب التي تعكر صفاءه .

٤ — الأمة صاحبة الرسالة لا تنسى وظيفتها الاجتماعية في تصرفاتها العالمية والمحلية على سواء .

بل هي تستصحب أهدافها الروحية والثقافية في علاقاتها القريبة والبعيدة ، وتؤكد شخصيتها المعنوية في كل اتجاه .

وتسخر أدواتها الخاصة في بلوغ غايتها كما يسخر الجسم أجهزته ومشاعره في تيسير مآربه ، ويقتضي ذلك أن تساق وجوه شتى من النشاط العام لخدمة الإسلام وجمع القلوب عليه .

وإذا كان الله جل شأنه قد جعل لتأليف القلوب سهما من الزكاة المفروضة فما ذلك إلا رمز للتوصل بضروب البر المختلفة كي يقبل الناس على الدين : وكي تدرك العامة أنه دين يعطي ولا يأخذ ، ويبذل الفضول للمحتاجين ، ولا يرزؤهم شيئا .

وبعض الأديان الآن تدس عقائدها المعلولة وسط مساعدات كثيرة .

وكان حريا بالمسلمين أن يسبقوا إلى نشر الحق وإلى تربيته في القلوب بألوان العون المادي والأدبي التي كلفوا بها .

بيد أنهم للأسف تركوا الحق يخدم نفسه بنفسه ، وينصر قضاياه اعتمادا على ما فيها من صواب .

ونسوا أن تلفيق الشبه وتجميع الحيل يمكن أن يصد الجماهير عن الإيمان ، ويعلق أبصارهم بخدع لا قيمة لها .

وقد كان ذلك من أسباب انحسار المد الإسلامى فى بعض الأقطار .

إن قصة تفريطنا فى رسالة الإسلام طويلة الفصول ضافية الذيول ، ولسنا بصدد سردها وإنما نشير إلى نقاط محدودة منها — مهيبين بأولى النهى ألا يجروا أخطاء الماضى وهم يمهدون لمستقبل مرموق .

وللإسلام أعداء لاتهدأ لهم نفس ، ولا ينكسر لهم ضغن ، وهم ينشئون الأذى إنشاء ، فهل نعينهم على أنفسنا باستدامة الأخطاء ؟

إن طاعية خصومنا فى تحطيم ديننا ، وفى صرفنا عنه أكدتها ألوف الدلالات والأعمال !

وقد استغل الاستعمار ما ظفر به من غلب ، فزادت جهوده لكى ينسى المسلمون أن لهم دعوة واجبة الأداء . بل لكى ينسى المسلمون أن لهم دينا واجب الاتباع .

إنه يريد أن يضربوا صفحا عن القرون التى خلت ، والتاريخ الذى مضى ، والحضارة التى أشرقت لها ظلمات الدنيا دهرا طويلا . . . ! !

ومن أخبث المؤامرات لصرف المسلمين عن دينهم ، الدعوة إلى تغيير الكتابة العربية . إما إلى الحروف اللاتينية كما فعلت تركيا بعد ارتداد حكامها ، وإما إلى حروف أخرى تحل مكان هذه الحروف التى عرفناها وعرفها آباؤنا وخطوا بها ألوف الألوف من المجلدات والرسائل . . ولم ذلك ؟ .

قال الخبثاء : للتفاوت القائم بين لغة النطق وطريقة الكتابة .

وهذا أقبح تعليل يمكن أن يذكره إنسان دارس للغات .

فإن التفاوت القائم بين مايكتب وما ينطق هو أقل مايكون فى العربية ، وأسوأ مايكون فى الانجليزية والفرنسية . . .

إن صيغ الأفعال الفرنسية ـ وعددها ثمانية عشر فعلا ـ تحمل كل صيغة منها عدداً من الحروف الميتة يبلغ الستة أحيانا ، تكتب ولا تنطق ، وتنتشر فى اللغة كلها كما تنتشر العثرات فى طريق ردىء .

وإلى جانب هـــذا فإن الحروف الساكنة تتجمع مثنى وثلاث فى أوائل الكلمات وأواخرها بصورة مزرية لا يمكن تعليلها ، ولا يمكن أن يرتبط بها معنى محترم . أوغير محترم وإثقالها للذهن فى علم الإملاء لا شك فيها .

ويطرد كذلك فى هذه اللغة إغفال النطق بعلامات الجمع فى الأدوات والأسماء ، كما يطرد النطق بحروف كثيرة على غير ما تكتب به .

ومع هذه المقابح فاللغة الفرنسية فى نظر البعض أيسر من اللغة العربية ، ويجب أن نحول لغتنا .

لتتوافق لغة الكتابة مع ما ينطق . .

ونحن لا ندرى ما يقال لهذا الجور ، ولا مايوصف به هذا التبجح ! !

والغرض من هذا النشاط ظاهر . وهو فصل مسلمى اليوم عن تاريخهم الروحى والثقافى بعد إلقاء ستار كثيف على ماضيهم العلمى كله . . .

وفى هذا الميدان نفسه يعمل آخرون من ذوى الثقافة الانجليزية . واللغة الانجليزية من ناحية الكتابة والإملاء أحط من زميلتها الفرنسية ، ولولا قوة أهلها ما انتشرت . .

ولكن التبشير الاستعمارى يغطى كل عيوبها ، ويطيل الألسنة فى قدح لغتنا وذم قواعدها وإهانة حروفها . .

والغرض ؟ هو حفر فجوة غائرة بين ماضينا الإسلامى وحاضرنا .

بين ثقافة القرآن وروحه ، وهجوم الغرب الأخير المفعم بالمفاتن والخوادع . . . ! !

وهاك ما نشرته إحدى الصحف اليومية :

قالت الصحيفة : إن الدنيا تتطور ، وهى تجرى تحاول أن تلحق بالمستقبل . .

والمستقبل عبارة عن سرعة وصواريخ ، سرعة على الأرض ، وصواريخ تندفع إلى الشمس ، سرعة حتى فى أسلوب العرض والقراءة والشراء .

اختزال لكل التفاصيل .

فالصيغة التلغرافية هى المفهومة المقررة الآن .

إننا نتسابق مع الزمن نحاول الجرى مع عقرب الثوانى قبل عقرب الدقائق . . .

وتسأل أيها القارئ : ماذا بعد هذه الصيحات المفتعلة كلها ؟ فإذا الاقتراح الذى يرحب به الكاتب ويروج له : أن المجمع اللغوى يفكر فى اختصار حروف لغة سيبويه ! ! !

إن الدنيا تجرى وتلهث من شدة الجرى كما يقول الكاتب ، فيجب أن نغير حروف اللغة العربية وحدها .

أما اللغتان الانجليزية والفرنسية ، وسائر اللغات الأخرى فإن الدنيا بالنسبة لها واقفة ؛ إنها لغات مقدسة القواعد أو لعلها لغات سبقت الدنيا الجارية ! !

إنى لأستغرب الصفاقة التى كست هذه الوجوه . . . !

* * *

ونعود إلى موضوعنا . .

إن أمتنا لم تكن ذنباً لإحدى « الامبراطوريات » التى ظهرت فى التاريخ ، ولن تكون ذنباً لإحدى الجبهات القائمة الآن فى العالم .

إن أمتنا أمة ذات رسالة لا يجوز أن تتخلى عنها ، ولا أن تجهل قيمتها ، ولا أن تتقهقر عن حملها .

وهذه الرسالة تثمر الخير لأصحابها ، وللناس طرا .

إنها رسالة الحق والسلم والعدالة .

إن الإسلام يوطد مكانة الإنسان فى الأرض إذ يحسن صلته بالسماء ، وهو إذ يعد بالآجلة ؛ فلكى يصلح هذه الدار العاجلة ، ويضمن ما بعدها « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » .

وإذا كانت حاجة العالم إلى إرشادات ربه لا تنقضى ، فإن بقاء أمتنا وبقاء رسالتها معها ضرورة إنسانية ملحة .

ومن ثم ، وجب أن تدور جميع أجهزتنا العاملة لتحقق هذه الغاية ، ولنمضى قدما فى تلك السبيل ، سبيل الإسلام الحنيف ، ودعوته الجليلة ؟

محمد الغزالى

مدير التفتيش بوزارة الأوقاف

منهج السلوك فى الاسلام

١ — تهذيب سلوك الأفراد وتوجيههم نحو المثل الأعلى هو الأسلوب الصحيح لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدور خطير فى الحياة وتسهم بنصيب كبير فى تزويدها بما هو أنفع وأرشد .

والدين بما له من سلطان على القلوب والنفوس وتأثير على المشاعر والأحاسيس وبما وضع من خطط عملية وتوجيهات حكيمة يستطيع أن يحقق هذه الغاية ويبلغ هذا القصد دون تعثر أو انحراف .

والدين فى جملته وتفصيله ماهو إلا إرشاد لما يجب أن يكون عليه الإنسان ليأخذ من الكمال بحظ وافر فى هذه الحياة وليعد نفسه لجوار ذى الجلال فى حياة أرقى وأبقى .

وقد جاء الإسلام ليضع المنهج الرشيد فى هذه الكلمات المباركة « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده » .

فالعبادة وفعل الخير والجهاد فى الله هى دستور المسلم ورسالته فى الحياة .

٢ — وعبادة الله الواحد تنتظم إفراده بالحب والتوقير ، وإخلاص العمل له دون التفات إلى غيره ، والتوكل عليه فيما دق وجل من الأمور ، وإسلام الوجه إليه والرضا بقضائه وقدره ، وتعظيم أمره ونهيه ، وبذل النفس والمال ابتغاء وجهه الأعلى .

والعبادة على هذا النحو لاتتم إلا بفقه فى دين الله ومجاهدة للنفس وحملها على الفضائل ؛ حتى تزكو وتسمو وترتفع عن الدنايا والخطايا .

وهذا الضرب من الرياضة الروحية يضفى على الحياة ثوب الجمال ، ويظلها بظلال المحبة والسلام ، فتنقطع الخصومة ، ويرتفع النزاع ، ويحل الوفاق محل الشقاق ، ويتقارب الناس ويتآلفوا ، ويسعى الفرد لخير الجماعة ، وتحرص الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده ، ومن ثم تبدو الحكمة واضحة فى جعل العبادة غاية الحياة ، وفى أن الله لم يخل جيلا من الأجيال ولا أمة من الأمم من نذير يجهر فيهم باسم الله « لا إله إلا أنا فاتقون » . كما تبدو فى أن هذه الدعوة

إنما كانت تأتى بعد فساد الضمير الإنسانى ، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا فى نفس الإنسان ، وأنه فى حاجة إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة ؛ ليصلح لعمارة الأرض وخلافة الله فيها .

٣ — والتعاليم الإسلامية تستهدف تحقيق الخلق العالى ، والأدب الرفيع ، وإشاعة الخير والرحمة والبر والإحسان ، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ومن أجل هذا المعنى نجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الإسلام وتشريعاته ، وبين هذا المعنى ، فكلها وسائل لصقل النفس وتهذيبها وإقامتها على الصراط السوى .

فالعقيدة من إيمان بالله وتقديس له من شأنها أن توقظ حواس الجد ، وتربى ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرافها ، وتنأى بالإنسان عن محقرات الأمور وسفاسف الأعمال .

والله سبحانه هو الكمال المطلق والرحمة الواسعة ، ولا يدخل فى حظيرة قدسه إلا من تخلق بأخلاقه واتصف بصفاته ، وفى الحديث : « تخلقوا بأخلاق الله » .

وجميع العبادات والمعاملات وكل أوامر الله ونواهيه إنما تتجه هذا الاتجاه ، وتدور فى هذا الفلك ، « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » .

فالآية تقرر أن الغاية من إنزال الكتب وإرسال الرسل إقامة الحق والعدل فى الأرض ، ولا يدع الإسلام أى جانب من جوانب الخلق الحسن إلا ويدعو إليه بقوة ، ويحث عليه فى حماس .

ومقياس الإيمان الخلق . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم » . وقد يجهد المرء نفسه فى عبادة يستمد منها دوام الثواب بحيث لا ينقطع لا فى ليل ولا فى نهار ؛ فيديم صيام النهار فلا يفطر ، وقيام الليل فلا يفتر ، ولا ريب فى أن المواظبة على هذا ، والمثابرة عليه من عمل الصديقين . وليس كل إنسان بقادر عليه ولا مستطيع له . ولكن الإسلام يفتح باب هذا الخير من طريق الخلق فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

وإنما يثقل ميزان الفرد أو يخف حسب قيمته الخلقية . يقول الرسول صلوات الله

وسلامه عليه : « ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذى » .

وتفاضل الناس واقتسامهم المنازل والدرجات عند الله بحسب الحالة الخلقية التى وصلوا إليها ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه » .

والخلق إنما يصدر عن نفس سمحة وضمير حى ، فكما يبدو حسنه فى الأمر الكبير ، يتجلى كذلك فى الأمر الذى يبدو وكأنه لاشأن له .

فالإحسان إلى المسىء خلق حسن ، والابتسامة فى وجه الصديق خلق حسن كذلك ، وان النفس الفاضلة التى تنطلق على سجيتها لا تفرق بين هذا وذاك . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طليق » .

ونار الله الموقدة إنما يطفئها نصف تمرة أو كلمة طيبة ؛ يقول رسول الله صلى الله ؛ عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

وغفران الله يغمر المذنب الدنس إذا تفجر فى قلبه نبع البر والرحمة ؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش ، إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به » وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين .

والإحسانهو غاية من الغايات التى يريد الإسلام أن يجعلها جزءا من الطبيعة الإنسانية ؛ بحيث يصدر الإنسان عنهافى كل ما يأتى وما يذر . . يقول الرسول صلوات الله عليه : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

وإدخال السرور على الناس والاهتمام بضروراتهم من أقرب القربات ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال : « إدخال السرور على المؤمن ، قيل وما إدخال السرور على المؤمن ؟ قال سد جوعته وفك كربته وقضاء دينه » .

وهكذا يمضى الإسلام يضع الأسس الأدبية لحياة راقية رفيعة يمكن أن يكون عنوانها تلك الحكمة النبوية المشرقة «الناس عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» .

ولا يكتفى الإسلام بأن يطبع الناس على فضائل الأخلاق ومحاسن الآداب ، بل يفرض إلى جانب ذلك فريضة الجهاد من أجل استقرار هذه المبادئ والتمكين لها ؛ حتى تكون القاعدة العامة والعرف الذى تتقيد الجماعة به وتصدر عنه .

وهذا الجهاد يقتضى التعب والنصب والعرق والدموع والصبر والمصابرة ؛ لأن تثبيت معالم الخير ، ومحاربة الانحراف والشذوذ ، والعادات السيئة والتقاليد الفاسدة ، والأهواء المضلة والعقائد الزائفة ، ليس بالأمر السهل الذى يتم بكلمة تذاع أو مقال ينشر .

ومن أجل ذلك أطلق الشارع على محاربة المنكر أيا كان لونه ، ومحاولة تغييره لفظ الجهاد المأخوذ من الجهد والمشقة ، وجعل ثواب المجاهدين المغفرة والجنة .

وقد ورد فى الحديث أن الجهاد هو رهبانية المسلمين : ، أى أن حقيقة الرهبانية فى هذا الدين ليست فى اعتزال الناس ، ولا فى الانطواء على النفس ، ولا فى هجر ما أحل الله من الطيبات من الرزق ، وإنما هى تضحيه كريمة من أجل الحق ، واقتحام للشدائد فى سبيل الإنسانية ، وتحمل للتبعات الجسام إعلاء لكلمة الله .

فهى عمل إيجابى ، ومخاطرة يتعرض الإنسان فيها لإتلاف نفسه وإزهاق روحه ؛ أداء للواجب وانتصاراً للحق .

هذه هى الخطة التى جاء بها الإسلام ، والتى اتخذها سلفنا الصالح منهجا عمليا لسلوكهم ، فعاشوا فى ظلها سعداء آمنين . قدموا للدنيا أحسن ما عندهم وأخذوا منها أحسن ما فيها . ثم خلف من بعدهم خلف جردوا هذه الألفاظ من معانيها ، فبعثت ألفاظا ميتة لاتحيى نفسا ، ولا تنير قلبا ، ولا تهذب خلقا .

فهل للمسلمين أن يحيوا هذه الألفاظ بإحياء نفوسهم حتى يهبهم الله المجد والحياة ؟

السيد سابق

مدير الثقافة بوزارة الأوقاف

الروحية الحديثة دعوة هدامة

- ٢ -

كانت تربطني بالأستاذ أحمد فهمى أبي الخير صلة قديمة إذ كان أحد أساتذتى الذين أحبهم وأحترمهم ممن تلقيت عليهم العلم فى مرحلة الدراسة الثانوية . وكان الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير قد رزق وقتذاك بمولود سماه (لبيب) بعد طول تشوف وانتظار وحرمان . ثم لم يلبث أن توفى ابنه فى عام ١٩٣٧ وهو بعد فى المهد فحزن عليه حزنا شديداً . ووقع فى يده وقتذاك كتاب انجليزى لأحد المشتغلين بالروحية والاتصال بالموتى وهو كتاب ON the Edge of the Etheric تأليف فندلاى J. Arther Eindlay فارتاحت نفسه الحزينة له ووجد فى دعاواه عزاء عن فقد ابنه وترجمه إلى العربية تحت عنوان : (على حافة العالم الأثيرى) . ودفعه إعجابه بما جاء فى الكتاب ، وتعلقه بأمل الاتصال بابنه ، إلى أن يبدأ فى ترسم طريقة مؤلفه . وقرأت الكتاب وقتذاك وكنت على صلة بمترجمه قبل وفاة ولده ، وشاركته الإعجاب به . فقد مهد لدعاواه بمقدمة بارعة فى الكشوف الطبيعية الحديثة التى حطمت الذرة واقتحمت ظلماتها وانتهت إلى أن العالم ليس إلا حركة ، فهو مجموعة من الموجات التى تختلف كما وكيفا ، والتى يمكن أن تتداخل ، ويمكن أيضا تحويلها وتغييرها من مادة إلى أخرى حسب ما اصطلحنا على تسميتها فى واقعنا الحسى المحدود . وقرن المؤلف ذلك بأن حواسنا لا تدرك من هذه الاهتزازات أو هذه الموجات إلا أقلها ، وأن ما تدركه لا يكاد يتماس فى تفاهته وضآلته إلى ما لا تستطيع إدراكه ، وأن بعض هذا الذى لا تدركه قد أمكن إدراكه بوسائل علمية مختلفة . ثم انتقل المؤلف من ذلك إلى أن للروح وجودا حقيقيا مستقلا ، وأنها تتداخل مع الجسم المادى الملموس وتتخلله وتطابقه مطابقة تامة ، ولكنها فى اهتزازها خارجة عن المدى الذى تستجيب له حواسنا . وانتهى إلى أن عجز الحواس عن إدراكها لا يعنى إذن أنها غير موجودة ، أو أن من غير الممكن إدراكها بوسيلة من الوسائل التى نتغلب بها على المجهول ، ونوسع بها المدى الضيق الذى تنحصر فيه حواسنا بحكم الفطرة التى فطرت عليها . وبهذه المقدمة البارعة التى تلبس ثوب العلم ، والتى تبعد عن المؤلف تهمة الشعوذة والمخادعة ، وتنفى

عن الموضوع الذى يمهد له بهذا الكلام شبهة الخرافة ، استطاع المؤلف أن يستدرج القارئ لقصصه الغريبة فيما رواه عن تجاربه المزعومة وعما خلص إليه من صور فيما بعد الموت .

وكنت وقتذاك أجتاز طوراً من أطوار الشباب التى يشتد فيها الولع باقتحام المجهول وخوض ظلماته والكشف عن جوانبه الغامضة ، وكنت شديد الولع باستكشاف ما وراء هذه الحياة الفارغة التى تكاد لتفاهة شأنها أن تكون وهما من الأوهام أو حلما من الأحلام القصيرة العابرة فى عمر طويل مديد ، لذلك وقع منى هذا الكتاب بعد أن فرغت منه موقع الإعجاب . وزادنى به إعجابا أن مؤلفه - وهو مسيحى - ينفى عن المسيح عليه السلام صفته الإلهية ويؤكد أنه بشر رسول على ما يؤكده الإسلام . وظننت أنى قد اهتديت للحل الذى يريح من كل شك ويقطع دابر كل دعوة إلى المادية والإلحاد والكفر برسالات الله سبحانه وتعالى إلى رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، بل يصحح ما علق ببعض هذه الرسالات من بدع وضلالات .

وأقبلت على مشاركة الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير تجاربه فى الاتصال بالأرواح منذ بدء هذه التجارب ، بدأنا بطريقة الكوب والمنضدة ، فلم أجد فيها ما يبعث على الطمأنينة والإقناع . ثم لم يلبث أن دخل فى هذه التجارب ممرض فى مستشفى القصر العينى كان يدعى يس محمد عبد الله — ولا أدرى كيف عثر به الأستاذ أبو الخير — فتحولت الجلسات منذ ذلك الوقت إلى الاعتماد على وسيط الغيبوبة ، وانضم إلينا فى هذه المرحلة الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله ، وحاولنا أن نصل إلى مشاهدة شىء من حالات التجسد أو الصوت المباشر التى يطنطن بها دعاة الروحية ويرونها الدليل القاطع على صدق دعاواهم فلم تنجح فى شىء من ذلك ، واكتفى الأستاذ أبو الخير بتحويل الجلسات إلى ما يسميه أصحاب هذا الفن بالعلاج الروحى ، ولا يزال واقفا حيث تركته لم يحصل هو ولا أى دائرة أخرى فى مصر - على كثرة الدوائر التى تنتحل الصفة الروحية الآن - على حالة من حالات التجسد أو الصوت المباشر أو نقل المجلوبات البعيدة أو غيرها مما نقرأ عنه فى كتب الروحيين الأوروبية والأمريكيه . والسبب فى ذلك هو أن هذه الحالات لا وجود لها فى حقيقة الأمر . فهى ألاعيب محكمة متقنة تقوم على حيل خفية بارعة ، وسيعلم القارئ من بعد أنها ترمى إلى هدم الأديان كلها - وفى مقدمتها المسيحية - على غير ما تكشف عنه النظرة الأولى الساذجة ، وأغلب ظنى أن إصبع الصهيونية العالمية الهدامة ليست بعيدة عنها .

ولم تسترح نفسى إلى ما كان يجرى من حولى فى هذه الاجتماعات من حركات وإشارات ، ولم يطمئن عقلى إلى ما أرى وما أسمع ، ولم يلبث هذا الشك أن أصبح يقينا بأن هـذا الذى يجرى من حولى ليس إلا ضربا من الدجل والشعوذة ، فاكتفيت وقتذاك بأن أنسحب فى هدوء ، وخلاصة ما حدث وقتذاك مما صرفنى عن هذه التجارب هو أنى لم أطمئن إلى الضوء الأحمر الخافت الذى كان كل شىء يجرى فيه ، ولم أستطع تعليل الحركات المتشنجة وأصوات النفخ المزعج والشخير المنكر التى تخرج من فم الوسيط عند قيامه بالعلاج الروحى المزعوم ، ولم أستطع أن أسيغ ما قيل فى تعليل ذلك من أن العلاج يتم بإشعاعات غير منظورة ، تأتى من عالم الروح عن طريق الوسيط . فالإشعاعات لا تستلزم هـذه الأصوات التى لا تصلح إلا لأن تكون وسيلة من وسائل الاسترهاب ، وزاد فى عجبى وفى شكوكى أن الوسيط ـ وكان وقتذاك هو المدعو يس ـ كان يتفوه فى غيبوبته المزعومة برطانات غامضة ، زاعما أن هـذا الخليط المضطرب من الأصوات هو اللغة التى يتفاهم بها الأرواح فيما بينهم ، وكان من السهل على أى مدقق أن يكتشف أن هـذه الأصوات المتنافرة التى تخلو من أى ضرب من ضروب النظام أو التناسق لا يمكن أن تكون لغة ، وظل الشك يراودنى زمنا حتى فوجئت فى بعض الجلسات برجل غريب يقتحم علينا اجتماعنا زاعما أن قوة خفية قد ساقته إلى ذلك المكان ، ثم لا يلبث أن يقع فى غيبوبة فيرقد إلى جانب الوسيط الأول ويتبادل معه الرطانة .

وعند ذلك وجدت الفرصة سانحة للكشف عن حقيقة الأمر ، فأخرجت إبرة ذات رأس مما تعودت وقتذاك أن احتفظ به فى ثنية الصدر بمعطفى ، ودفعتها خلسة فى ساق الوسيط الجديد وكررت ذلك مرتين فتململ ولم يلبث أن أتبع ذلك بكلمات وحركات أدركت منها أنه يتمتع بكامل وعيه . ولم يلبث هذا الرجل الغامض أن اختفى فجأة كما ظهر فجأة . واستوضحت الأستاذ أبا الخير حقيقته فقال لى : إنه دجال لا خير فيه وأنه لم يجئ إلا طمعا فى مغنم يصيبه من وراء عمله . ثم إنى لقيت الرجل بعد ذلك مصادفة أثناء زيارتى لأحد أصدقائى بمنيل الروضة فى سنة ١٩٣٩ قبيل نشوب الحرب . ولم أجـد صعوبة كبيرة فى استدراجه فقد كان حنقه على الأستاذ أبى الخير لا يقل عن حنق الأستاذ أبى الخير عليه . لذلك لم أكد أسأله جلية أمره حتى اندفع فى الكلام بلا تحفظ يقص على كل ما حدث أثناء غيبوبته المزعومة فى تلك الجلسة التى اختفى على أثرها ، وقدم لى من الدلائل ما تأكدت معه أنه لم يكن غائبا عن الوعى كما كان يتظاهر . وهذا يعنى أن الوسيط الآخر الذى يقوم

بالعلاج الروحى المزعوم لابد أن يكون مخادعا مثله ، لأنه كان يبادله الرطانة فى أثناء تظاهرهما بالغيبوبة . واستنتجت وقتذاك أنه كان طامعا فى أن يشارك فى المغانم والمكاسب التى توهم أن القائمين على هذه التجارب يجنونها من وراء العلاج الروحى ، وأن الأستاذ أبا الخير لم يلبث أن تخلص منه حين تبين منه هذه النية .

والمهم فى الأمر هو أن هذا المحتال كان يراطن الوسيط الأول الذى يبنى عليه أبو الخير كل نتائج بحوثه الروحية . فإذا ثبت أنه دجال فلا بد أن يكون الآخر دجالا مثله . ولا بد أن يكون ما نحن فيه باطلا من أوله إلى آخره . وقد صارحت الأستاذ أبا الخير بكل ماحققته فلم أجد منه إقبالا على كلامى أو إصغاء إليه ، ورأيت فيه إسرافا فى حسن الظن بالوسيط يتجاوز فى تقديرى ما ينبغى أن يتسم به البحث العلمى الدقيق ، فاكتفيت وقتذاك بأن أعتزل اجتماعاته فى هدوء ؛ لما كنت أكنه له من تقدير واحترام منذ تتلمذت عليه ، ولأنى قد رجحت حينذاك أنه ضحية لخداع الوسيط وثقته به وأنه غير مشترك فى هذا الخداع ؛ ولأنى كنت لا أزال وقتذاك مخدوعا بدعاوى الروحيين لا تتجاوز شكوكى شخص الوسيط ، فكنت أقول لنفسى : إن فشل تجربتنا لا يدل على فساد الدعوى ، ولعل مواصلة التجربة تؤدى إلى نتائج سليمة . ولم ألبث أن نقلت إلى فرع كلية الآداب بالإسكندرية فى العام التالى سنة ١٩٤٠ فانقطعت صلتى بالجماعة إلا ما كان من زيارات متباعدة كلما سمحت الفرصة أثناء وجودى فى القاهرة . ولكنى تتبعت أخبارها فى الصحيفة التى أصدرتها من بعد باسم (عالم الروح) والتى ظل الأستاذ أبو الخير يتفضل بإرسالها إلى مشكورا حتى الآن . فعرفت منها أنه قد استبدل بالوسيط الأول وسيطاً آخر يدعى محمد أبو سريع عيد وهو صانع يعمل فى تبييض الجدران وطلاء الأبواب . ثم انتهى إلى جماعة من المثقفين الذين أشرت إلى أسماء بعضهم منذ قليل ، فاستغلوا صفتهم هذه التى تمكنهم من إملاء ما يشاءون باسم الأرواح ، وانحرفوا إلى الدعاية للفرعونية وتمجيدها فى شتى نواحيها الحضارية والثقافية ، بل الدينية أيضا ، حتى أصبحت بعض أعداد مجلة « عالم الروح » الشهرية مسخرة لهذا الغرض وحده فى كل مقالاتها .

وأتاح الله لى بمنه وفضله بعد من أسباب الهداية ما ملأ نفسى يقينا وما أقامنى على الجادة ، وكفانى التعرض لهذه المجازفات الخطرة المهلكة . وأعدت النظر فى هذه المزاعم الروحية

فإذا هي شعبة من الدعوات المريبة التي تأخذ الناس من كل جانب ، والتي تلبس مختلف الأثواب ، وتخفي حقيقتها تحت مختلف الأسماء ، محاولة بذلك أن تغطي كل الميادين ، وتتغلغل إلى كل الاتجاهات . فهي تارة تنتحل اسم العلم ، وهي تارة أخرى تنتحل اسم السلام أو الرحمة أو الإنسانية أو محاربة الإلحاد والمادية . وهي أبعد شيء حقيقة وهدفا عن كل ما تتستر تحته من أسماء وأغراض . وهالني الأمر حين تبينت حقيقة أمرها ، وكثرة المخدوعين بها والواقعين تحت سلطانها ، من الأبرياء الذين لا تزال تستدرجهم حتى تستل من صدورهم الإيمان ، وتسلمهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام ، يتزعزع معه كل ما استقر في نفوسهم من عقائد دينية ومعايير خلقية . عند ذلك أيقنت أن في عنق أمانة لا تبرأ ذمتي إلا بأدائها ، وهي أن أشهد بما علمت وأكشف عما عرفت من أمر هذه الدعوة الهدامة . فلعل في مقالي هذا الذي أكشف فيه عن أباطيل هؤلاء الهدامين إبراء لذمتي من تبعة كتمان الحق ، وقياما بواجب الشكر على بعض نعم الله سبحانه وتعالى علي .

وبعد ، فإني أستميح القارىء عذرا عن إقحام شخصي في هذا الحديث ، فما إلى التحدث عن نفسي قصدت . ولكني أردت أولا أن أدلي بشهادة يأثم قلبي بكتمانها ، ثم إني أردت أن يعلم القارىء وأن يعرف المشتغلون بهذه الأوهام أني لا أجازف بالخوض فيما لا أعرفه ، وأني غير مدفوع في كلامي هذا بالتشبث بالمألوف الموروث والإعراض عن كل جديد ، على ما يزعمه ويكرره أصحاب كل ضلالة تساق تحت اسم « جديد » . ومن الواضح أن كلامي غير موجه للغشاشين والمخادعين والمضللين والمغرضين من طلاب المغانم شهرة كانت أو مالا . فهؤلاء لا حيلة لي معهم ، وأمري وأمرهم إلى الله سبحانه وتعالى . وكل ما أستطيعه إزاءهم هو أن أنبه الناس لشرهم وأكشف الغطاء عن ألاعيبهم . أما المخلصون والباحثون عن الحقيقة من المشتغلين بهذه التجارب ، ممن استهواهم بريقها الخداع ، وظاهرها المزيف ، ودعاواها المزورة ، فإليهم يساق الحديث . والأمل كبير في أن يراجعوا أنفسهم ، ويعيدوا النظر فيما قرءوا وما شاهدوا ، وفيما يقرءون وما يشاهدون ، في ضوء ماسوف أكشف عنه أثناء مناقشة حججهم وأساليبهم وفضح أغراضهم . وإلى الجزء القادم إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

كلمـــة

حول الاحتفال بليلة النصف من شعبان

كتب الأستاذ الشيخ محمد البنا فى العدد الثانى عشر من مجلة لواء الإسلام لسنتها الحادية عشرة كلمة فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وما ورد فيها من الصلاة والدعاء اللذين يفعلهما المسلمون فى مساجدهم وبيوتهم مع أهليهم لم يصب فيها كبد الحقيقة التى ينشدها المسلمون من الدعاة الهادين ؛ لأنه ظن أن الأحاديث الواردة فيها - وقد ذكر بعضها - صحيحة سالمة من التجريح ، مع أنها على ما نقل عن الحافظ ابن حجر لا تساوى سماعها ، وبكل أسف أرخى العنان لقلمه فجمح به وند عن طريق الرشاد الذى يدعو إليه القرآن الكريم ، فرمى صفوة العلماء أئمة الدين بالحماقة وسوء التصرف والبعد عن الحكمة وتفريق كلمة المسلمين ؛ لأنهم اختلفوا فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان هل هو موسم دينى مشروع أو غير مشروع ؟ حيث قال ما ملخصه : إن ما يفعله المسلمون فى هذه الليلة فى مساجدهم وبيوتهم مع أهليهم من الصلاة والدعاء وقراءة القرآن تقليد لا أراه منافيا للدين أو مراغما لسنة من سنن سيد المرسلين ، وفى الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإقلاع عن الرذائل والتحلى بالفضائل ، والأولى أن يدعو الإنسان فى هذه الليلة بما ورد مع قراءة سورة يس .

ثم قال عن اختلافهم فى حكمه : والعلماء قدوة للناس فإذا أوقدوا بينهم نار الخلاف لأمر صغير كانوا قدوة سيئة وشراً مستطيرا ، وإذا غلبت الحكمة واتفقوا على هدف واحد بالتفاهم والتعاون كانوا مثلا صالحا وخيرا للعالمين ، كيف وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يزجر أحداً إلا عن معصية ، وليس فى هؤلاء العلماء من يدعى أن الدعاء فى هذه الليلة منكر والابتهال إلى الله فيها معصية ، وماذا عليهم لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة : إن ما ورد صحيح ، لو قالوا ذلك لساد الوفاق وارتفع الشقاق وكان ذلك هو الحكمة وفصل الخطاب .

وللرد على كلمته أقول للأستاذ محمد البنا : إن الدين رسم إلهى وتشريع سماوى ، شرعه العليم الحكيم على لسان رسله بما يليق لعبادته وشكره ومصالح عباده ، فبين العبادات وكيفيتها

وزمانها ومكانها ومواسم اجتماعها ، فليس للرأى والقياس العقليين فيه دخل ، فمن أحدث زيادة أو نقصا فى عددها أو كيفيتها أو أحدث مواسم أو اجتماعات أو أحكاما من حلال أو حرام فقد جعل نفسه شريكا لله فى التشريع كالأحبار والرهبان ، أو افترى الكذب على الله إن نسب ذلك إليه تعالى ، وهذا ابتداع فى الدين فهو ضلالة ، فقول الأستاذ محمد البنا : إن هذا « تقليد » اعتراف صريح منه بأن هذا الاحتفال غير مشروع ، وأنه تقليد لمبتدعيه كتقليد الكتابيين للكهنة فى طقوسهم الدينية ، وقوله : لا أراه منافيا للدين ، قول بالرأى فى الدين ، وتشريع بما لم يأذن به الله ، فهو ضلالة وفتنة . روى عوف بن مالك الأشجعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، أعظمها فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم ، يحرمون ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله) ، وقال عمر بن الخطاب « إياكم وأصحاب الرأى فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم أن يحفظوها ، فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا » .

ويؤيد ما ذكرته من أن التشريع الدينى لا دخل للرأى العقلى فيه ما وقع بين على كرم الله وجهه وبين رجل آخر ، وهو أن رجلا يوم العيد فى الجبانة أراد أن يصلى قبل صلاة العيد فنهاه على فقال له الرجل : إنى أعلم أن الله لا يعذب على الصلاة ، فقال له على : إنى أعلم أن الله لا يثيب على فعل حتى يفعله رسول الله أو يحث عليه . فما أشبه قول الأستاذ محمد البنا بقول هذا الرجل فيرد عليه بما قاله على رضى الله عنه ، وروى أن رجلا سأل مالك بن أنس من أين أحرم ؟ فقال له مالك من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له الرجل : فإن أحرمت من أبعد منه ؟ فقال له مالك : لا تفعل فإنى أخاف عليك الفتنة . فقال الرجل : وأى فتنة فى ازدياد الخير فقال له مالك : يقول الله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » وأى فتنة أعظم من أنك ترى أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله صلى الله عليه سلم .

ودعوى الأستاذ البنا أنه ورد فى ليلة النصف من شعبان صلاة ودعاء وقراءة قرآن دعوى غير مطابقة للواقع ، بل كل ما ورد فيها ابتداع الضالين المضلين على ما سنبينها .

وقوله وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يزجر أحدا إلا عن معصية ، فيقال له أى معصية أعظم من الابتداع فى الدين وافتراء الكذب على الله وتشريع مالم يأذن به الله ؟

والله يقول : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » والنبي يقول فى خطبته « وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وعن مالك « من أحدث فى هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ؛ لأن الله يقول: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا » وعن حذيفة بن اليمان وابن مسعود « كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله فلا تعبدوها ، فإن الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يامعشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم » . وعن ابن عمر « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة » .

والاحتفال بليلة النصف من شعبان بالطريقة التى يفعلها المسلمون فى مساجدهم وبيوتهم مع أهليهم لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بفعل أو قول ، ولم يجعل الشارع هذه الليلة من مواسم الاجتماع الدينية ، ولم يتعبدها أصحاب رسول الله ، بل هو محدث فى سنة ٤٤٨ هـ . فهو بدعة ضلالة .

وقوله وفى الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإقلاع عن الرذائل والتحلى بالفضائل ، سهو من الأستاذ البنا عن مواقع التذكير يحتاج الى تنبيه بأن تذكير الناس بذلك من قبيل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو مطلوب من القادر على ذلك فى جميع الأوقات لا فى خصوص ليلة النصف من شعبان ، فتخصيصها بذلك بدعة ضلالة .

وقوله وماذا على العلماء لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة إن ماورد صحيح ؟ هـــذه عبارة نابية عن حدود آداب المناظرة ، ولا يليق صدورها من رجل أعد نفسه للإرشاد إلى مكارم الأخلاق مع الأئمة المحدثين الحفاظ الذين بذلوا حياتهم وعقولهم لتأييد الحق من الدين ونبذ الباطل الذى ألصقه المبتدعة به : كالعز بن عبد السلام وتقى الدين بن الصلاح وأبو بكر ابن العربى وأبى شامة شيخ الإمام النووى وابن تيمية ، وغيرهم من أعلام المحدثين الذين بلغوا درجة الاجتهاد، ويصفهم بأنهم غير عقلاء ومفرقون للأمة الإسلامية ؛ لأنهم اختلفوا فى الاحتفال بليلة النصف من شعبان هل هو موسم دينى له صلاة خاصة ودعاء وقراءة قرآن ؟ وكان عليهم أن يتفقوا على مشروعيته وصحة أحاديثه وإن ثبت عندهم أنها موضوعة . فأذكر الأستاذ محمد البنا ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بأن الاختلاف الذى هو تبادل الرأى للوصول إلى الحق للعمل به دينيا أو دنيويا جائز شرعا مقبول عقلا ، وقد خلق الله الإنسان متفاوت العقل

مستعدا لتبادل الرأى ، لتحصيل العلم الذى تتحقق به إنسانيته ويصلح به أن يكون خليفة فى الأرض ليعمرها . فطلب الأستاذ البنا من أعلام الأمة نبذ الاختلاف وتبادل الرأى بينهم كطلب ألا يكون الإنسان إنسانا ، وفى القرآن الكريم كثير من الاختلاف بين بنى الإنسان بل وبين الملائكة ، فقد اختلف موسى مع أخيه هارون ومع الخضر ، واختلف النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى كثير من الشئون الدينية والدنيوية ، واختلف السلف بعضهم مع بعض ، وما الشورى فى الإسلام إلا تبادل الرأى ، وما القضاء فى الخصومات إلا بعد تبادل الرأى بين المتخاصمين أمام القاضى ، وما اختلاف العلماء فى مشروعية الاحتفال بليلة النصف من شعبان وعدم مشروعيته إلا تبادل الرأى لإقرار الحق ونبذ الباطل الذى لا تقره الشريعة الإسلامية . فهم عقلاء الأمة وقدوتها ، وشمس هدايتها وجامعو شتاتها ومنظمو عقدها ، فجزاهم الله خيرا . وأختم كلمتى بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا تزال أمتى بخير ما وقر صغيرها كبيرها ورحم كبيرها صغيرها وحفظوا لعالمهم حقه » ، نسأل الله أن يجعلنا من الذين يحفظون حقوق علمائهم ويجنبنا الانحراف عن صواب آرائهم .

وإليك نبذة مما قاله حفاظ الحديث وأهل التعديل والتجريح فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان وما ورد فيها وتاريخ حدوثها .

(قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة » من سورة الدخان ما نصه : قال القاضى أبو بكر بن العربى وجمهور العلماء : إنها أى الليلة المباركة ليلة القدر ، ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ، لأن الله تعالى قال فى كتابه الصادق القاطع « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » فنص على أن ميقات نزوله رمضان ، ثم عين نزوله الليل هاهنا بقوله « فى ليلة مباركة » ، فمن زعم أنه فى غيره فقد أعظم الفرية على الله ، وليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا فى فضلها ولا فى نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا إليها) ا . هـ .

وقال جمال الدين القاسمى فى كتابه « إصلاح المساجد » نقلا عن كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبى شامة شيخ الإمام النووى فى حكم صلاة رجب : وقد جزم حفاظ الحديث بوضع أحاديثها . ثم قال : وما ذكره الحافظ أبو الخطاب فى أمر صلاتى رجب وشعبان من أنهما بدعتان وحديثهما موضوع هو كان سبب تبطيلهما فى بلاد مصر بأمر سلطانها الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب رحمه الله ، فإنه كان مائلا إلى إظهار السنن وإماتة

البدع . وقال فى بدعة زيادة التنوير فى ليـلة النصف من شعبان ونشر فضائلها وقراءة أدعية فيها : وهو من بقايا ما كان ابتدع فيها سنة ٤٤٨ ه من الصلاة الألفية ، يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة ، فى مائة ركعة تلى بعد الفاتحة عشر مرات سورة الإخلاص، وكانت تنور المساجد لأجلها ويجتمع الألوف لأدائها ، إلى أن أبطلها الملك الكامل ، ثم قال : قال ابن وضاح عن زيد بن أسلم : ما أدركنا أحـدا من مشايخنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان ولا فقهاؤنا يلتفتون إلى حـديث مكحول ولا يرون لها فضـلا على سواها ، وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية تروى النـاس الأغفال فى صلاة ليلة النصف من شعبان أحاديث موضوعة ، وكلفوا عباد الله بالأحاديث الموضوعة فوق طاقتهم من صـلاة مائة ركعة ، وقال أهل التعديل والتجريح : ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يصح ، فتحفظوا عباد الله من مفتر يروى لكم حديثا موضـوعا يسوقه فى معرض الخـير ، فاستعمال الخير ينبغى أن يكون مشروعا من النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا صح أنه كذب خرج عن المشروعية ، وكان مستعمله من خدم الشيطان ، لاستعماله حديثا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل الله به من سلطان . ثم قال ، وما أحدثه المبتدعون وجروا فيه على سنن المجوس واتخذوا دينهم لهوا ولعبا من الوقيد ليلة النصف من شعبان ، لم يصح فيها شىء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نطق بالصلاة فيها والإيقاد وصـدق من الرواة ، وما أحدثه المتلاعب بالشريعة المحمدية راغب فى دين المجوسية لأن النار معبودهم ، وأول ما حدث ذلك فى زمن البرامكة فأدخلوا فى دين الإسلام ما كان أصلهم عليه من عبادة النيران . ثم قال : وأما دعاؤها المشهور فلم يرد من طريق صحيح ولا غـيره ، وإنمـا هو من جمع بعض المشايخ » اه كلام العلامة القاسمى رحمه الله .

وعن النجم الغيطى فى فضائل ليلة النصف من شعبان : (أن ما يروى فى هـذه الليلة من الأحاديث باطل وموضوع) اه .

وقد أنكر الإمام الشيخ محمد عبده الاحتفال بليلة النصف من شعبان وأحاديثها ودعاءها أشد الإنكار فى درس التفسير الذى كان يقرؤه فى الأزهر على ملأ العلماء والعظماء . ومن أهم ما استند إليه المبتدعون لهذا الاحتفال تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحـرام فى يوم النصف من شعبان ، فالاحتفال بليلته تذكير بهذا الحادث العظيم وفى بهجة المحافل عن

المواهب اللدنية (روى الإمام أحمد عن ابن عباس بإسناد صحيح أن تحويل القبلة كان فى رجب ، قال الواقدى وهو أثبت) أى من القول بأنه فى شعبان . وقال الحافظ أبو الخطاب وهو الصحيح وجزم به الجمهور) اهـ . على أنه لو ثبت قطعا أنه فى شعبان لم يكن هذا مسوغا لجعلها موسما يحتفل به دينيا ؛ لأن كل احتفال دينى لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة كالجمعة والعيدين والحج ، ولم يكن له مسوغ شرعى ، كالاتعاظ والاعتبار أو التأسى والاستبصار بذكر حوادثه وأسبابها وما نجم عنها كذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، يكون عبثا وتشريعا بما لم يأذن به الله فيكون بدعة ضلالة ، وعلى علماء المسلمين أن يقاطعوا هذا الاحتفال ، وجميع الاحتفالات المبتدعة ، كاحتفالات المولد التى ابتدعها أرباب طرق التصوف الباطلة ، التى شوهت جمال الدين المحمدى وسترت ضوءه ، وأساءت سمعته لدى أعدائه بما اشتملت عليه من المفاسد وجعلت الأمة الإسلامية شيعاً وأحزابا متفرقة متعادية ؛ لأنهم على غير المنهج النبوى ، فهم لا يرون إلا أكل أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ؛ فإن شهود العلماء لهذه الحفلات وهذه الموالد بدون إنكارها وهم أئمة الدين مما يوهم العامة أنها من الدين وهو منها براء ، بل وعلى العلماء خصوصا الوعاظ منهم أن يبينوا للناس أنها فتنة وإلا كان عليهم إثم السكوت والإقرار على الباطل . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قالوا من هى يارسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابى » . أسأل الله أن يوفقنا إلى اتباع هدى النبى صلى الله عليه وسلم .

عمر عبد الوهاب الجندى

شيخ معهد دسوق سابقا

صحابة الرسول

شم العرانين أبطال لبوسهم   من نسج داود فى الهيجا سرابيل
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم   قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

كعب بن زهير

من تاريخ السنة النبوية

(١)

حجية السنة ووجوب العمل بها

السنة معناها فى اللغة الطريقة والعادة المتبعة ، وأما معناها فى عرف المحدثين والأصوليين، فهى قول النبى صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ، والمراد بتقريره سكوته وعدم إنكاره لقول أو عمل رآه أو علم به ، صدر ممن هو خاضع لحكمه وسلطانه ، فهذا السكوت يكون تقريراً لمشروعية ذلك القول أو العمل ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقر أحداً على باطل ، أما إذا صدر ذلك القول أو العمل ممن ليس خاضعا لحكمه وسلطانه ، فلا يكون عدم إنكاره تقريراً لمشروعيته .

والسنة بهذا المعنى الاصطلاحي ، هى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم ، فقد أجمع أهل الحق من أئمة المسلمين وعلمائهم ، على أن السنة النبوية حجة شرعية يجب العمل بها ، وقد تحدث القرآن عن هذا الأصل فى آيات كثيرة ، وأظهره فى أساليب متنوعة ، فيها إيجاب وإلزام ، وفيها ترغيب وترهيب ، فأوجب علينا امتثال أمره واجتناب نهيه ، والاقتداء به فى قوله وفعله ، والانقياد لحكمه والتسليم لقضائه ، كما فى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » قال العلماء : معناه إلى الكتاب والسنة ، وجعل طاعة الرسول طاعة لله عز وجل كما فى قوله « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا » وجعل اتباعه مستتبعا لحب الله لنا ورضائه عنا كما قال تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ، وحذرنا من مخالفة أمره وأوعد المخالفين بسوء العذاب ، كما قال تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وأكده فى كثير من الأحاديث ، كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى ومسلم « فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »

وفيما رواه البخارى « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » وقوله صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله » .

فحجية السنة النبوية معلومة من الدين بالضرورة ، والإيمان بها أصل من أصول الدين ، والعمل بها واجب كالعمل بالقرآن الكريم ، لايخالف فى ذلك إلا من ضل سواء السبيل ، فكل حديث روى بطريق النقل الصحيح وتضمن حكما تشريعيا ، فإنه يكون حجة شرعية فيما دل عليه من إيجاب أو ندب ، أو تحريم أو كراهة أو إباحة ، بشرط ألا يكون مناقضا لصريح العقل ، أو للنصوص القرآنية الصريحة ، أو الأصول الشرعية المجمع عليها ، أما إذا كان مناقضا لشىء مما ذكر ، فإن قبل التأويل بما يرفع عنه هذه المناقضة ، وجب تأويله مع المحافظة على قوانين اللغة العربية فى أوضاعها ودلالاتها ، وإن لم يقبل التأويل وجب رده وعدم الأخذ به ، لأن هذه المناقضة التى لاتقبل التأويل المعهود فى الأساليب العربية ، تدل على أنه حديث موضوع مختلق كما قال أئمة الحديث .

فما كل راو بعدل ضابط ثقة ، وما كل مروى بحديث صحيح ، بل الرواة منهم العدول الضابطون الثقات ، ومنهم الضعفاء وأهل الغفلة ، ومنهم الوضاع أصحاب الأهواء والغايات ، والأحاديث الجارية على ألسنة الرواة منها الصحيح المعروف ، ومنها الضعيف المنكر ، ومنها الموضوع المختلق ، هذا هو الحق الذى ينطق به واقع الحال فيما روى من أحاديث وسنن ، فإن كل من عرف أحوال الصحابة الذين نقلت عنهم أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وعرف أحوال التابعين الذين نقلوا عنهم هذه الأحاديث ، وعرف أحوال الأئمة الذين رووها عنهم وجمعوها ودونوها فى دواوينهم ، وأحاط خبراً بمدى عناية هذه الصفوة القوية فى عقائدها وأخلاقها وتدينها ، والممتازة فى حفظها وعدالتها وضبطها ، بحفظ هذه الأحاديث والتثبت فى روايتها والتحدث بها ، ووقف مع ذلك على تاريخ المسلمين وما عرض لهم من أحداث وفتن ، وما تكشف عنه هذه الأحداث والفتن ، من أحزاب وشيع ، وأهواء وابتداع ، وعرف كيف هيمن على تفكير هذه الشيع طغيان التعصب والهوى ، ووقف على أحوال الطوائف التى كانت تكيد فى الخفاء للإسلام والمسلمين ، فإن كل من عرف ذلك معرفة رسوخ وتثبت ، فإنه يحكم حكما جازما لا يرق إليه الشك والارتياب ، بثبوت الصحة ووجوب الصدق ، فى مجموعة كبيرة من الأحاديث والسنن ، التى جاءت مبينة لمقاصد القرآن ومتممة لشرائع الإسلام ، كالأحاديث التى رواها الأئمة الراشدون وتلقتها الأمة بالقبول ، وتوارثها

المسلمون جيلا بعد جيل ، وبوقوع الكذب والاختلاق من الوضاع فى كثير من الأحاديث كالأحاديث التى وضعها الزنادقة لإفساد الدين ، والأحاديث التى وضعها أهل الأهواء تعصبا لمذاهبهم وانتصاراً لأهوائهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم » غير أن هـــذه الطوائف على كثرتها وتعدد اتجاهاتها وتباين أغراضها ، لم يخف أمرها على أئمة السنة وحفاظها ، بل عرفوهم معرفة الناقد البصير ، وكشفوا للسلمين عن سوء مقاصدهم وخبث طوياتهم ، وبينوا لهم ما فى هذه الأحاديث التى وضعوها من زيف وبطلان ، فجزاهم الله عن الإسلام وسنة نبى الإسلام أحسن الجزاء .

أثر السنة فى التشريع الإسلامى :

للسنة النبوية أثر كبير فى التشريع الإسلامى . إذ هى المصدر الثانى له بعد القرآن كما قلنا ، ويتجلى هذا الأثر العظيم فى الجوانب الآتية :

« الجانب الأول » : تبيين القرآن وتوضيح أصوله وقواعده . كما قال تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فالذكر هو القرآن المنزل من عند الله بلفظه ومعناه ، وهو الدستور الإلهى الذى أودع الله فيه الأصول العامة ، لإصلاح العقائد والأخلاق والأعمال . ونظمها فى آياته القدسية بأبلغ الأساليب العربية وأدق التراكيب البلاغية ، ثم أفاض على نبيه بيانها بسنته المطهرة ، تارة بالسنة القولية وتارة بالسنة العملية ، كبيان كيفيات الصلاة وأعدادها وأوقاتها ، ومقادير الزكاة وأوقاتها التى تؤدى فيها ، وأنواع الأموال التى تؤخذ منها ، ومناسك الحج وأحكام العقود والمعاملات ، وغيرها من شرائع الإسلام التى جاء القرآن بأصولها ، وجاءت السنة النبوية ببيانها وتفاصيلها ، كما يتجلى ذلك فى كتب الحديث التى عنى جامعوها بفقه الحديث النبوى ، فالموطأ ، وجامع الترمذى وسنن النسائى وسنن أبى داود ، والكتب الجامعة لأحاديث الأحكام ، كالمنتقى لابن تيمية وبلوغ المرام لابن حجر .

فالسنة النبوية هى التى وضحت مبادئ التشريع القرآنى وأصوله ، وبينت كيف كان يعمل الرسول وأصحابه بهذه المبادئ والأصول ، وكيف كان أثرها فى حياتهم المدنية والاجتماعية .

«الجانب الثانى» : استقلالها بتشريع كثير من الأحكام العملية، كما يدل لذلك قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وقوله تعالى « ويعلمهم الكتاب والحكمة » قال العلماء الكتاب هو القرآن الكريم ، والحكمة هى السنة النبوية ؛ وما رواه أبو داود والترمذى من قوله صلى الله عليه وسلم « يوشك رجل منكم متكئا على أريكته ، يحدث بحديث عنى فيقول ، بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل الذى حرم الله — زاد أبو داود فى روايته — ألا إنى قد أوتيت الكتاب ومثله معه » . فقد دل هذا الحديث بمجموع طرقه ورواياته على ثلاثة أمور « أحدها » أن السنة مصدر تشريعى كالقرآن الكريم ، وأنه صلى الله عليه وسلم أوتى من هذا الوحى الباطنى وهو السنة ، مثل ما أوتى من الوحى الظاهرى وهو القرآن الكريم ، فالقرآن منزل من عند الله بألفاظه ومعانيه . والسنة معانيها وهى من الله تعالى ، وألفاظها الدالة على هذه المعانى من عند النبى صلى الله عليه وسلم وإنشائه ، كما يدل على ذلك عموم قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » فلم تكن أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، تصدر عنه على نهج خطباء العرب وشعرائهم ، وإنما كانت روحه العلوية تتلقى من الملأ الأعلى ، ما شاء الله من معانى الحكمة ، ثم يصوغها فى تراكيب تعبر عن هذا الوحى الباطنى الإلهى ، بخلاف خطباء العرب وشعرائهم ، فإن أرواحهم كانت تستمد المعانى التى تجيش فى صدورهم ، من عواطفهم وأحاسيسهم ، وما يحيط بهم من العوامل والمؤثرات ، ثم يعبرون عن هذه المعانى ، بالأساليب التى تتفق مع هذه العواطف والأحاسيس والمؤثرات ، « وثانيها » التحذير من مخالفة السنن التى سنها الرسول مما لم يذكر فى القرآن الكريم ، فالاحتجاج والعمل بالقرآن مع الإعراض عن السنة ، إنما هو ضلال فى الرأى وفساد فى العقيدة وإلحاد فى الدين ، « وثالثها » أنه لا حاجة فى الاحتجاج بالحديث إلى عرضه على كتاب الله كما زعم بعضهم ، بل هو حجة شرعية قائمة بنفسها ، وأما ما يروى من حديث « إذا جاءكم الحديث عنى فأعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه » فقد قال فيه القرطبى نقلا عن الخطابى ، إنه حديث باطل لا أصل له ، ونقل ابن عبد البر فى كتاب جامع العلم أنه من وضع الزنادقة والخوارج .

« الجانب الثالث » : هو ما جاءت به السنة النبوية من الأخلاق الفاضلة ، والآداب

السامية ، والحكم البالغة ، والمواعظ الشافية ، فهى الناصح الأمين فى نصحه ، والمرشد الصادق فى إرشاده ، والقائد الحكيم فى قيادته ، والرائد الذى لايكذب أهله ، والسلسل العذب الذى يحي موات القلوب التى لم تستحكم فيها غباوة الجهل ، ولم تحجبها عن منهله حجب الأهواء والشهوات ، وهى النور الإلهى الذى ينفذ إلى أعماق النفوس المستعدة للخير والهداية فيملأ جوانبها هداية ونورا ، فليس شىء بعد القرآن أهـــدى للنفوس ، وأنجع فى شفاء الصدور وطهارة القلوب ، وأقوى فى تنمية مكارم الأخلاق ومواهب الخير والكمال ، من دراسة السنة دراسة رائدها الإخلاص للدين والعلم ، والوصول إلى مكنون حقائقها وأسرارها . وغايتها ترقية الأرواح وتزكية النفوس ، وتقوية الأخلاق وإصلاح الأعمال ، وقوامها البحث العلمى الذى لا تشوبه شوائب الأغراض والأهواء ، ولا تتحكم فيه عصبية المذاهب وتقديس الآراء ، ولا تلتوى به مسالك الزيغ والانحراف ، ولا تذهب بفائدته معوقات الجدل الذى لا نفع فيه ولا جدوى ، فإذا تكاملت لدراسة السنة هذه العناصر التى لابد منها ، فحدث عن مواقع الغيث ومواهب الخير ولا حرج ، حدث بما شئت وشاء لك الحديث ، عما تثمره هذه الدراسة من طهارة القلوب وصفاء النفوس ، وكمال الأخلاق واستقامة السلوك والإحاطة بأصول التشريع الإسلامى وفروعه ، والوقوف على أغراضه ومقاصده ، واحكم وأنت صادق فى حكمك ، بأن كل قلب لا يمتلئ بتعظيم شأن السنة النبوية ، ولا يستضىء بنورها وهديها ، ولا يعرف حق حفاظها ورواتها من الإجلال والإكبار ، لهو قلب هواء لاخير فيه ، ولا يقين له ولا طمأنينة ، ولا نور فيه ولا هداية .

هذه هى خلاصة الجوانب التى تجلى أثر السنة فى التشريع الإسلامى ، وتبين منزلتها من الكتاب العزيز ، وتقيم الحجة الواضحة على أن الكتاب والسنة صنوان لا يفترقان ، وكيف يفترقان وقد جمع الله بينهما فى العقيدة والعمل ، فمن فرق بينهما أو حاول التشكيك فى هذا الميراث النبوى ، فقد ضل فى عقيدته وعمله ضلالا بعيدا .

عناية المسلمون بالسنة :

عرف المسلمون الأولون أن السنة النبوية المطهرة ، هى معتصم المسلمين وقبلة أنظارهم بعد القرآن الكريم ، ولهذا عنى بها علماء المسلمين وأئمتهم عناية كبرى ، فلم يدعوا جانبا من جوانب حفظها وجمعها ، وتدوينها وشرحها ، إلا جاءوا فيه بأقصى ما تحتمله طاقة البشر ، فقد

قيض الله لها من خيرة الحفاظ المتقنين . والرواة الصادقين ، وأعلام الأئمة الراسخين ، رجالا عرفوا من توجيهات القرآن وتعاليم الإسلام ، أن الوجود الدنيوى بكل ما يتطلبه من عمل وكفاح ، وما يصل إليه من رقى وكمال ، وما ينطوى عليه من حكم وأسرار ، إنما هو إعداد لوجود أخروى هو أرقى من هذا الوجود ، وحياة أبدية هى أكمل من هذه الحياة فارتفعت بهم هذه المعرفة عن الرضا بالحياة الراكدة العاطلة ، وسمت بهم عن التطلع إلى المجد الرخيص المبتذل ، وفتحت أعينهم على أبواب هذا الإعداد ومسالكه ، وملأت قلوبهم بأجل المقاصد وأعظم الغايات ، ورأوا بنور بصائرهم ، واستقامة تفكيرهم ، أن الاشتغال بحفظ السنة وتدوينها ، واستخلاصها من كل دخيل مكذوب ، واستخراج ما انطوت عليه من علوم وفنون ، من أشرف المقاصد وأنبل الغايات ، فوهبوا حياتهم وجهودهم لخدمتها والعناية بها ، واتخذوا من رياضها مسارح لعقولهم وأفهامهم ، وبذلوا فى سبيلها كل ما تحتمله الطاقة البشرية من جهد عقلى واحتمال جثمانى ، فسهرت عيونهم والجهال فى نوم يغطون ، وتعبت أجسامهم وطلاب المال والجاه فى لهو يلعبون ، لأن نفوسهم كانت كبارا :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

فكانت نورا لعقولهم ، وغذاء لأرواحهم ، وسكنا لأفئدتهم ، ورائداً لهم فى تدينهم وسلوكهم ، ومرجعا لهم فى فتاويهم واجتهادهم .

وبهذه الجهود التى تواصلت حلقاتها ، وسارت مع السنة فى جميع عصورها وأطوارها ، والتى لم تعرف لكلام نبوى من قبل ، حفظوا على السنة جلالها وقداستها ، ونفوا عنها تحريف الغالين فى الدين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وصارت ميراثا خالدا فى المسلمين ، وتراثا باقيا فى العالمين ، وبذلك كانوا حماة الدين الصادقين ، والأئمة الهداة الراشدين ، ومصداقا لما رواه البيهقى من قوله صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » . وتتجلى مظاهر هذه الجهود فى ثلاثة أطوار : وهى طور الحفظ والاعتماد على الذاكرة ، وطور الجمع والتدوين ، وطور الشرح والتفسير ، وتفصيل ذلك فيما يأتى إن شاء الله ؟ .

يس سويلم طه
شيخ معهد الزقازيق

من أبطال التاريخ :

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

رضى الله تعالى عنه

يقف التاريخ وقفات طويلة ، عند كثير من الخلفاء والحاكمين المنصفين ، ويسجل لهم من صحائف المجد والفخار ، ما لا يبليه الجديدان ، ولا يمحوه الليل والنهار ، ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - نضر الله تعالى تاريخه - من بين هؤلاء العادلين ، الذين دونوا تاريخهم بمداد من الفخر ، على صفحات من نور .

مولده ونشأته :

ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة المنورة ، على المشهور ، فى السنة الثالثة والستين من الهجرة النبوية ، وأمه أم عاصم ، بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، ونشأ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نشأة عزيزة كريمة ، قبل أن تتهيأ لسواه ، ثم أرسل به إلى أبيه عبد العزيز بن مروان ، والى مصر حينذاك ، فمكث بها عمر مدة ، يزهو مع نسيمها ، ويتمتع بخيراتها ، وينعم بجميل مشاهدها ، وصافى سمائها ، ورائع حسنها وآثارها . فلما بلغ سن التعلم أرسله والده إلى المدينة ، محط الثقافة الإسلامية ، وموطن علماء اللسان العربى إذ ذاك ، ومقر البقية الباقية من أصحاب الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم من كبار التابعين ، وجعل صالح بن كيسان رحمه الله ، مؤدبه الخاص ، فأخذ عمر علومه من المنابع العذبة الفياضة ، واستقاها من المواد الصافية .

زواجه وحكمه :

ولما ذاع فضله أعجب به الخليفة ، عبد الملك بن مروان ، فزوجه بنته فاطمة ، ولما مات عبد العزيز فى السنة الخامسة والثمانين من الهجرة ، بعد أن حكم مصر باسم الأمويين زهاء عشرين عاما ، ولى الخليفة عمر حاكما على خناصرة ، وهى بلدة كبيرة تابعة لحلب ، ففرح أهلها كثيراً بحكمه ، لما سمعوه عنه وودع الخليفة الحياة ،

وولى الأمر بعده ابنه الوليد ، وضج أهل المدينة بالشكوى من واليهم ، فلم يجد الوليد أصلح لهم ، ولا أعلم بشئونهم من عمر ، الذى نشأ بينهم ، وأقام طويلا فيهم ، فولاه عليهم ، ثم ضم إليه بلاد الحجاز كلها ، فحكمها عمر قرابة ست سنوات ، من سنة سبع أو ثمانية للهجرة ، إلى سنة ثلاث وتسعين منها ، وتوخى الحق فى أموره ، واختار حاشيته عشرة من الأئمة المشهورين فى المدينة بالصلاح والتقوى ، وكان يرجع إليهم فى الشئون العامة ، وحفر الآبار الكثيرة ومهد الطرق القديمة ، وشق أخرى جديدة ، وهدم المسجد النبوى ، وبناه ووسعه وجمله ، وسار فى الناس سيرة حميدة ، قربته من نفوسهم ، ومكنت حبه فى قلوبهم ، فأطاعوه وانصرفوا إلى أعمالهم ، وأمسى الأمن فى الحجاز حديث القاصى والدانى ، ونزح الناس إليه من كل صوب وحدب ، فراراً من ظلم الولاة وكان أهل العراق أسرع من سواهم ، فأقبلوا على الحجاز أفراداً وجماعات ، هاربين من الحجاج بن يوسف واليهم ، فأكرمهم عمر وسهل لهم سبل الإقامة والمعيشة ، وكتب للخليفة يصف له قسوة الحجاج ويندد بأعماله ، فكتب الحجاج للوليد يشكو عمر ، ويقول : إن حاكم الحجاز يحمى ثوار العراق ، الأمر الذى يزلزل أركان الحكم بالعراق ويزيد الفتن اشتعالا .

وكان الخليفة مطمئنا إلى بلاد الحجاز وطاعة أهلها ، حريصا أشد الحرص على تهدئة الأحوال فى العراق ، فعزل عمر ، وولى مكانه حاكمين بمكة والمدينة ، فبادرا بطرد العراقيين إلى بلادهم ، وشددا على كل من يؤوى عراقيا ، أو يعاونه .

عمر فى الشام :

رجع عمر ، رحمه الله ، إلى بلاد الشام ، حيث الأهل والعشيرة ، والجاه العريض والثراء الواسع ، ولم يؤلمه العزل ، لأن له من جاهه وحسبه وغناه ما يكفيه عن كل ولاية ـ ولكن الذى كان يحز فى نفسه أن يرى الأمويين يؤيدون الطغاة ويمالئونهم على ظلم الرعية ، حتى ضج الناس بالشكوى ، واستعان الحكام ببعض القبائل على بعض ، ورجعت العصبية التى استأصل الإسلام جذورها إلى ما كانت عليه .

وبرئ عمر من كل ذلك إلى الله ، وانقطع للطاعة والعبادة ، وأعرض عن الدنيا وأقبل على مولاه يرجو رحمته ويخشى عذابه ، وضرب فى مضمار الورع والزهد بسهم وافر ، ورثه عن جده لأمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه ، ونماه فيه أئمة المدينة وزهادها .

تو ليته الخلافة وزهده فى مال المسلمين :

ولقد امتاز عمر بعلمه ووقاره ، وسيرته العطرة فى الحكم ، وتقواه وصلاحه ، ورحمته بالمحكومين . واشتد الوجع بالخليفة سليمان بن عبد الملك ، وتوقع الناس موته ، ولم يكن هناك من يصلح للجلوس على الخلافة إلا عمر ، فدخل وفد من العلماء ، وذوى المكانة والرأى على سليمان ، ورغبوا إليه أن يعهد بالخلافة لعمر ، فنزل على رأيهم وكتب وصيته بذلك ، ودعا وجوه الأمويين لإقرارها ، ولم يوضح لهم اسم من اختاره ، فوافقوا عليها وكل منهم يدور بخلده أن الوصية له ، وصعدت روح الخليفة لبارئها ، فى العام التاسع والتسعين للهجرة ، وفضت الوصية فإذا هى لعمر ، فاستبشر الناس وأقبلوا إليه مهنئين ومبايعين ، وسار فيهم سيرة الخلفاء الراشدين ، حتى عده بعضهم خامس هؤلاء المهديين .

ولقد وجد أمير المؤمنين من سبقه من خلفاء الأمويين يتناولون من بيت المال ما يشاءون ، ويعطون أقاربهم ما يريدون ، ويسكنون القصور الفخمة ويركبون الجياد المطهمة ، ويلبسون الثياب الفاخرة ، ويستعملون العطور الذكية ، ويستكثرون من الحرس ويحوطون أنفسهم بضروب مختلفة من الأبهة ، فرد عمر إلى بيت المال ما أخذوه بغير حق ، وأمر ببيع الخيول وأثاث القصور ، والثياب والعطور ، وجواهر زوجته ، ورد أثمان ذلك لبيت مال المسلمين ، وصرف الحراس ولم يبق منهم إلا من تمس الحاجة إليه ، وخاف أن يكون فى ضيعته شىء مغصوب أو حرام ، فضمها لبيت المال ، مع خاتم نفيس كان قد أهداه إليه بعض الخلفاء الأمويين .

ولقد حرم أمير المؤمنين على نفسه وأهله أن يأخذوا شيئا من مال المسلمين ، إلا عطاءه القليل ، الذى قدره كثير من المؤرخين بما يساوى مائة جنيه فى العام ، وكان ما يصيب عمر منها فى اليوم يقارب خمسة قروش !!!

شفقته بالرعية وخوفه من الله :

ليس هناك أدل على شفقته بالرعية ، ورحمته بالمحكومين ، مما روته زوجه السيدة فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، قالت : دخلت على عمر يوما فى مصلاه فرأيته يبكى ، والدموع تسيل على لحيته ، فسألته ما يبكيك ؟ فقال : يا فاطمة لقد تقلدت أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فتفكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والغازى المجهود ،

والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثيرة والمال القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وخشيت ألا أجد حجة أدلى بها أمام الله ، فبكيت !!!

ولقد رتب رحمه الله للفقراء معونات ثابتة وفرض للمرضى عطاء خاصا ، وجعل للموالى منحا تساعدهم على العتق ، وأمر بقضاء الديون عن الغارمين ، وأقام ببعض النواحى أماكن عامة ، يلجأ إليها من أتعبه السفر وأضناه الرحيل ، يقيم بها يوما وليلة ، أو يومين وليلتين ، فى رعاية الوالى يمده بما يحتاج إليه ويبلغه مأمنه .

ولقد كانت أعمال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، تنطق بعظيم خوفه من الله سبحانه ، وكان يقسم نهاره ومعظم ليله ، بين النظر فى أمور الرعية وعبادة مولاه وتعليم الناس ، حتى اعتراه الضعف وأصابه النحول ، وإذا ذكر فى مجلسه الموت وما بعده اضطربت أوصاله ، وانهمرت دموعه ، وأبكى من حوله . فإذا أوى إلى فراشه تقلب فيه ساعات لا يألف النوم جفنه ، ويحاسب نفسه على ما قدمت وأخرت ، ويقول : ياليت بينى وبين الخلافة بعد المشرقين .

ودخل عليه بعض المقربين إليه ، فى آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، وقالوا يا أمير المؤمنين إن أولادك كثيرون ، فلا تتركهم يقاسون متاعب الحياة وشظف العيش ، فأوص لهم بشىء ، فقرأ قول الله تبارك وتعالى : « إن وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » [١] .

فلن أوصى لهم بشىء ، من كان منهم صالحا فالله يتولاه ، ومن كان خارجا على حدود الله فلا أعينه على خروجه ، ثم استدعاهم وأسمعهم مثل ذلك ، ثم ودعهم قائلا : انصرفوا عصمكم الله تعالى ، وأحسن الخلافة فيكم [٢] .

عدله وإنصافه :

لقد أقام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من نفسه حارسا للعدل لا يغفل ، وحاميا للإنصاف لا يقصر ، وميزانا للحق لا يحابى ولا يجامل ، وجعل الناس أمامه سواء ، لا فرق

---

[١] الآية رقم ١٩٦ من سورة الأعراف .

[٢] جعلكم خلفا حسنا لى .

بين غنيهم وفقيرهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وعظيمهم وحقيرهم ، وقريبهم وبعيدهم ، وحرهم وعبدهم ، فلا غرو أن ضربت الأمثال بعدله ، وسارت الركبان بإنصافه . وتلهف الناس أن يروا ذلك العدل العمرى المأثور أو يظفروا ببعضه ؛ لتستقيم أمورهم ، وتنتظم شئونهم ، ويسعدوا فى حياتهم بالرغد والرفاهية ، والسعادة والطمأنينة .

فقد استهل خلافته بعزل الولاة والحكام الظالمين ، من أمويين وغير أمويين ، ولم يثنه عن ذلك شفاعة ، ولا رحم ماسة ، ولما عزل رئيس الحرس تزاحم عليه الأمويون ليختار أحدهم ، فأعرض عنهم واختار عمرو بن مهاجر الأنصارى ؛ لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن العظيم ، ويبتعد بطاعته عن الرياء والسمعة ، وكان الموالى يحاربون قبله فى صفوف المسلمين ولا ينالون من الغنائم شيئا ، فجعل لهم منها أنصبة معينة ، ولقد عرف فضله العلويون ، وحمايته لهم ، ومنعه سب على فوق أعواد المنابر ، وكان قد درج على ذلك الخلفاء الأمويون قبل عمر ، فكانوا يسبون عليا فى نهاية الخطبة ، فأبطل أمير المؤمنين هذه العادة وأمر أن تختم الخطب بقول الله عز شأنه .

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون [1] » أو بقوله جل جلاله : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم » (٢)

ولقد استطاع أمير المؤمنين بعدله وإنصافه ، أن يملك قلوب رعيته ، ويمحو الأحقاد من النفوس ، ويميت العصبية الجاهلية ، التى أوشكت أن تقضى على دولة المروانيين وتقوض دعائم الحكم فيها ، لولا أن تداركها الله تعالى بأعدل الأمويين .

وفاته :

ومما يملأ النفوس أسى ولوعة أن المنية لم تمهله فاختطفه الموت فى العام الواحد بعد المائة من الهجرة ، وقد قضى فى حكمه الصالح سنتين وخمسة أشهر ، وعمره تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، ودفن بدير سمعان قرب حمص ، فاشتد الجزع لوفاته ، وتبارى الشعراء والأدباء فى رثائه ، رضى الله تعالى عنه ونضر تاريخه .

أحمد على منصور
أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

---

[١] الآية رقم ٩٠ من سورة النحل . [٢] الآية رقم ١٠ من سورة الحشر

رسالة الأزهر

« ٧ »

تابع الرسالة العلمية :

الواقع أن المتحدث عن رسالة الأزهر العلمية ، إنما يتحدث عن رسالة مصر العلمية ؛ ذلك لأن الأزهر قدرت له ظروفه التاريخية أن يحمل هو رسالة العلم ، وأن تسمى باسمه ، وتنسب إليه . فقد ورث هذا المعهد تراث الجامع العتيق (عمرو بن العاص) ورسالة جامع ابن طولون ، ورسالة جامع الحاكم ، ورسالة المدارس التى أنشأها السلطان الأيوبى لتدرس فيها المذاهب الأربعة بعد أن عطل الأزهر من كل حلية علمية حتى من خطبة يوم الجمعة . ويبدو أن تركز رسالة مصر العلمية كلها فى الأزهر هى النسق الذى انساق إليه تفكيرى فى كتابة الرسالة العلمية لهذا المعهد ، حتى أننى فى مقالى السابق استقام لى أن أعد المدارس التى أنشأها السلطان صلاح الدين بعد تعطيل الأزهر ـ استمراراً لرسالة الأزهر (المعنوى) وإن بعدت عنه ظاهرا كبنية مركبة من طوب وأحجار .

وخلاصة القول أن الرسالة العلمية لمصر قدر للأزهر أن يكون اسمه هو مظهرها ، وهو العلم عليها ، وهو المنطوق باسمه دون المساجد العلمية جميعاً . وقع ذلك فى الماضى البعيد ، ووقع فى أقرب الأزمنة الحديثة ، فلقد كان قبل تأسيس الكليات الأزهرية مساجد عدة تلقى فيها الدروس العلمية ، مثل جامع محمد بك أبى الذهب ، وجامع القلعة ، وجامع الحسين . وجامع الفاكهانى ، وجامع المؤيد وكثير غيرها ، ومع هذا التعدد فى الأسماء كانت النسبة إنما هى للأزهر . سواء فى مصر أو فى بلاد العروبة جميعاً .

بدأ الأزهر ـ كمعهد ـ يستعيد سيرته الأولى أيام كان معهد الفواطم . بدأ يستعيد ذلك فى عهد الظاهر بيبرس البندقدارى ، مستمرا فى أداء رسالة العلم إلى يومنا . فما الذى كان يدرس به من أنواع العلوم ؟ من العسير أن تحدد له فى هذه الأزمنة منهاجا معينا ؛ لأنه كان معهداً حرا يدرس كل من أراد الدراسة فى أى علم من علوم ذلك الوقت ، ويتخذ له فيه

(عموداً) كما كانوا يصطلحون يومئذ ، هذا ولأن هذا العهد لم يكن عهد وضع مناهج مكتوبة محددة حتى ندور حول البحث عنها ، نتلمسها فى أى مرجع تاريخى يعينها لنا تعيينا بصفة قاطعة . ولكن الباحث لا يعدم وسيلة لأن يجدما يقربه مما يريد . فقد وجدت منهاجا لما كان يدرس فى هذا المعهد يقترب من أن يكون هو منهج الدراسة فى الأزهر فى هذه العهود المتباعدة .

ذلك المنهج هو ما أخذته من أوثق المصادر . إننى أخذته من الإمام جلال الدين السيوطى لا من ترجمة غيره له ، وإنما من ترجمته هو لنفسه ، فقد عد العلوم التى صنف فيها الثلثمائة كتاب ما بين مطول كالإتقان فى تفسير القرآن . وكالمزهر فى علوم العربية وما بين وجيز مختصر . عد الرجل أنواع العلوم التى ألف فيها ، ومن يؤلف فى علم يكون ـ بالطبع ـ قد درسه حق دراسته ، لا سيما فى هذا العهد الذى هو عهد تحقيق وتدقيق فى كل ما كان يدرس من العلوم ، هذه العلوم هى : التفسير وتعلقاته ، والحديث وتعلقاته ، والفقه وتعلقاته ، والأجزاء المفردة : ويريد بها رسائله القصيرة فيما لا يحتاج إلى تطويل ، وفن العربية وتعلقاته والأصول ، والبيان ، والتصوف ، وفن التاريخ ، وفن الأدب .

هذا هو المنهاج الذى رسمه لنا السيوطى فى أهم العلوم التى ألف فيها ، ومما لا ريب فيه أن هذه العلوم كانت تدرس بالأزهر كأصول للدراسة العامة . ومعروف أن الشيخ السيوطى كان من علماء القرن التاسع الهجرى .

هناك علوم أخرى جاءت فى ترجمة معاصر له وأخ وزميل ، هو شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، فقد عثرت على ترجمـــة له فيها : أنه درس بالأزهر علوم الطب والهندسة ، والحساب ، والجبر والمقابلة . ورأيى أن هـذه العلوم كانت تدرس فى الأزهر لا على أنها علوم أصيلة ، وإنما هى توسع فى المعرفة بطريقة نظرية بحتة لا تطبيق فيها وليست كما كانت تدرس فى عهد ابن سينا والكندى والرازى ، وغيرهم من الفلاسفة الذين قد تخصصوا لها ووعوها حق وعيها وطبقوا فيها العلم على العمل قدر الطاقة . وإلا فكيف استسيغ أن يعد الطب مثلا علما من علوم الأزهر فى عهد السيوطى والأنصارى ـ ليدرس نظريا فى (متن) من متون العلوم التى شاع استعمالها فى ذلك الوقت ـ كأساسات وجيزة لمختلف العلوم ؟

إذا رجعنا برسالة العلم فى مصر إلى عهد سابق على هذا العهد لوجدنا أن كثيراً من مسائل الفقه الإسلامى قد تناول أصول الحكم ، مثلما كان يدرس فى مدرسة الإمام الشافعى بجامع عمرو بن العاص ، فإنه تناول هذا الموضوع بالبحث ، مثل أن يفتى بأن الخلافة يجب أن تكون فى قريش ، وهو يتابع فى ذلك الرأى أهل السنة ، وأن كل قرشى أخذ الخلافة بالسيف واجتمع عليه الناس فهو خليفة . ولا ريب أن هذا فقه فى نظام الحكم والحكومة ، كان يدرس بالأزهر لا على أنه دراسة الأوضاع الحكومية التى كان يجب التوسع فى دراستها إلى أبعد الآفاق ، وأن تؤلف فيها الكتب من الأزهريين الذين يحملون وحدهم مشعل العلم والمعرفة يومئذ اقتداء بالإمام الشافعى ، واقتداء بمن سبقه من العلماء الفلاسفة مثل المعلم الثانى أبى نصر الفارابى فى كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) ، وإنما كان يدرس ما كان يدرس منها بالأزهر على أنه مسألة فقهية (من المذهب) وكفى ، كالوضوء والطهارة ! ! ولو أن علماء الأزهر اقتدوا بالأئمة والفلاسفة ، بل وبالفاطميين أيضاً فى نشر مذهبهم الدينى الذى يحمل فى ثناياه مقومات سياسة الحكم على مذهبهم ، لكونوا من ذلك تكويناً سياسياً يضىء للناس سبيل الرشد فى عهود المماليك الظلمة العتاة ، الذين استغلوا جهل الناس بأحكام سياسة الحكم ، فأشبعوا رغباتهم الوحشية ظلماً للناس وجبروتاً .

لا أنكر أن من بين العلماء الأزهريين فى القرن السابع الهجرى من وصلت به رفعة الخلق إلى وصف مظالم الحكام ، وإلى الأنفة والكبرياء عليهم ، مثل الشيخ الصعيدى القوصى (ابن دقيق العيد) ، فكان يخاطب السلطان بما يخاطب به من دونه ـ بقوله (يا إنسان) . ثم يأبى قبول منصب القضاء إلا بعد إلحاح بالغ غايته ، ثم يعزل نفسه منه ، ثم يعيدونه إليه شبه مرغم ؛ لأنه فى زمن حكم المماليك الفاسد الظالم الذى وصفه كثيراً فى شعره . ومنه قوله :

أهل المناصب فى الدنيا ورفعتها ... أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم ... منازل الوحش فى الإهمال عندهم
فما لهم فى توقى ضيرنا نظر ... وما لهم فى ترقى قدرنا همم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم ... مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى ... وعندنا المتعبان العلم والعدم

ومثل الشيخ جلال الدين المحلى الذى كان لا يأنف من شىء أنفته من مجالسة الظلمة من الحكام ، وكانوا يتقربون إليه فلا يقترب منهم ، وكانوا يذهبون إلى داره لزيارته فيأبى عليهم الإذن بدخول مجلسه . وليس لذلك ترجمة فى العالمين الجليلين اللذين ضربت بهما المثل - إلا أن العلم الدينى ومعرفة أسرار الإسلام رفعاهما إلى أعلى المراتب النفسية ، أمام من خضعت لهم رقاب الناس . وامتلأت قلوب الأقوام منهم رهبة وفزعا . وهكذا يفعل العلم بالخواص من أهله .

وسنزيد ذلك بيانا فى الموضوع الآتى إن شاء الله ؟

حسن الشيخ
عضو نقابة الصحفيين
والمحرر الأدبى بجريدة الشعب

« الشيخ سالم طلبه حجازى »

جاءتنا كلمة جيدة من الأستاذ عبد الحميد المسلوت ، أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية ، فى تأبين المرحوم العالم الجليل : الشيخ سالم طلبه حجازى ، نشرت صفحة زاهرة عن جهاده المشكور من أجل الدين والوطن ، فقد شارك - رحمه الله - كما جاء فيها - بحماس الشباب ، وحرارة الوطنية ، فى الحملة على الاستعمار ، وكان نصيبه الاعتقال ، كما ألهب الشعور بما حرره قلمه فى كثير من المجلات الأدبية والسياسية ، ونصب نفسه لمحاربة عصابات المبشرين التى كانت منتشرة حينذاك ، واعتمد فى إبطال كيدهم على المنطق والحجة والبرهان ، فهدى الله به الكثيرين ، ومكنه من رد دعوى المبطلين ، وظل يشارك - رحمه الله - طوال حياته فى الدعوة للخير ، ومساندة جمعيات المحافظة على القرآن الكريم . جزاه الله عن الإسلام والمسلمين والوطن خيرا ، وأنزله منازل الأبرار .

مدحة على بن الحسين
بين الفرزدق والحزين الكنانى

— ٢ —

تعرض الحصرى فى زهر الآداب لعلى بن الحسين وذكر قصته مع هشام بن عبد الملك أو الوليد أخيه ثم ساق القصيدة وعددها عنده ثلاثون بيتاً ، تتفق مع أبيات ديوان الفرزدق فى أكثرها ، وتزيد عليها أربعة أبيات ، ثم ذكر قصة الحزين الكنانى مع عبد الله بن عبد الملك ، ونسب البيتين (فى كفه خيزران - يغضى حياء) له . ثم ردد ما ذكره ابن رشيق فى العمدة .

ومن الممكن أن يصل الباحث إلى النتائج الآتية :

١ — أن البيتين (فى كفه خيزران - يغضى حياء) للحزين وليسا للفرزدق .

٢ — أن القصيدة المشهورة فى مدح على بن الحسين للفرزدق ، وأنه ارتجلها أمام هشام ابن عبد الملك .

٣ — لم يذكر أحد ممن رجعنا إليهم أن الكنانى مدح على بن الحسين إلا ما ورد فى بعض طبعات الحماسة ، وربما كان هذا صنيع أبى تمام ، وربما كان من زيادة الناشر اعتماداً على شهرة القصيدة فى على بن الحسين .

٤ — أن الحزين ارتجل البيتين اللذين رجحنا نسبتهما إليه أمام عبد الله بن عبد الملك فى المدينة ثم أدخلهما فى قصيدة مدحه بها وهو فى مصر ، يدل على ذلك روايتا الأغانى والتوفيق بينهما ، كما يدل على أنه مدحه وهو فى مصر مطلع القصيدة حيث ذكر أنه جاب البلاد من يمن إلى العراقين إلى الجزيرة أعلاها وأسفلها إلى الحجاز (حيث تحلق عند الجمرة اللمم) إلى دمشق ثم أتى مصر حيث وجد النائل العمم فحياه بالسلام وأنشده مدحته .

٥ — أن القصيدة التى قالها الفرزدق أو على وجه الدقة ارتجلها والتى تزيد فيها الرواة لم تنسب لأحد غيره فى على بن الحسين إلا للعين المنقرى حسب رواية ابن رشيق .

٦ — أن الشعر نسب إلى جماعة من الشعراء غير الفرزدق والحزين ، نسب لداود ابن سلم فى قثم بن العباس حسب رواية الأغانى والعمدة ، ونسب لخالد بن يزيد مولى قثم فيه حسب رواية الأغانى أيضاً .

٧ — أن الممدوحين الذين جاءوا فى هذا الشعر هم على بن الحسين وعبد الله بن عبد الملك وقثم بن العباس وعبد العزيز بن مروان .

٨ — صنيع التبريزى شارح ديوان الحماسة يدل على أن أبا تمام ذكر « فى أصل الحماسة » الممدوح لأنه - أعنى التبريزى - بنى كلامه على أن الممدوح على بن الحسين فلم يذكره فى شرحه اكتفاء بذكره فى أصل الديوان .

٩ — صنيع صاحب الأغانى فى تدوينه قصيدة الفرزدق يدل على أنه ينوى الإحاطة بالقصيدة كلها ، لا أنه يريد أن يكتفى ببعض أبياتها ، وهذا يدل على أنه لم يكن فى حفظه غير ما ذكره ، وأن ما أضيف إليها - أو بعبارة أخرى - ما ورد فيها زائداً على ما ذكره أبو الفرج لم يكن يعرفه هذا المؤلف .

١٠ — ما رواه الأصمعى لا ينهض دليلا ، فهو لم يقل أن الرجل أنشأ ، وإنما قال (ناداه) فلا مانع أن يكون أخذ البيت الأول من قصيدة الفرزدق وضم إليه البيت الثانى .

وأرى - وأظن أن الكثير ممن يقرءون هذا البحث يوافقوننى - على أن البيتين المشهورين إنما أضيفا إلى قصيدة الفرزدق من محبى على بن الحسين وهم عدد الرمل والحصى والتراب ، ولأنهما بيتان من عيون الشعر ، أو لعل الفرزدق أغار عليهما - وكان فى الشعر غوارا - فأضافهما لنفسه ، وحوادث الفرزدق فى الإغارة على شعر غيره كثيرة .

حدث محمد بن سلام قال ، قال جميل من قصيدة :

وكنا إذا مامعشر جحفوا بنا	ومرت جوارى طيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة	وسوف نوفيها إذا الناس طففوا
ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا	وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال : فشد الفرزدق على هذا البيت وقال ، أنا أحق به منك ، وقال : لاتعد فيه ولم يكترث له .

وروى محمد بن سلام أيضاً عن كردين البصرى أن عريفهم عون بن ثعلبة علق بالفرزدق وقال : يا عدو الله ، سرقتنا قول صاحبنا الأعلم العبدى ، وذكر تسعة أبيات ، ثم قال ابن سلام : وهذه الأبيات للأعلم كلها فأدخلها الفرزدق فى قصيدته (عزفت بأعشاش) مع ماسرق من جميل فيها ، فقال له الفرزدق - أى لعون بن ثعلبة - اذهب فخذها من الرواة ! .

قال ، فخلى سبيله .

وعلل يحيى بن المنجم صنيع الفرزدق هذا بأنه إذا مر به شعر جيد رأى نفسه أحق به من قائله لفضله عليه فى الشعر ؛ ولأنه من جنس جيده لا ردىء غيره .

وقد لقيه أبو عمرو بن العلاء فى المربد فقال : يا أبا فراس ، أحدثت شيئا ؟ قال الفرزدق ، خذ ، ثم أنشده :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

فقال أبو عمرو : سبحان الله ، هذا للمتلمس ، فقال الفرزدق : اكتمها ، فلضوال الشعر أحب إلى من ضوال الإبل .

هذه حال الفرزدق ، ونوادره فى هذا الباب كثيرة ، فيترجح عندى أنه حين وقع على البيتين فى شعر الحزين - ولم يكن الحزين من فحول طبقته - اهتبلهما فى قصيدته المرتجلة ، فسارت فى الناس ، ولم يتنبه لها إلا القليل ، كصاحب الأغانى .

والعجب من صاحب الأغانى حيث رد هذا المدح فى البيتين اللذين أشاد بهما ابن قتيبة بدليل فى غاية الضعف ، حيث يرى أن هذا الشعر لا يمدح به مثل على ؛ لأن له من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

فأولا : البيتان من الشعر الجيد ، ولا سيما البيت الثانى (يغضى حياء) حتى أن ابن قتيبة جعلهما مما جاد معناه وحسن لفظه ، وحتى أضيفا إلى الفرزدق ، أو اغتصبهما هو على ما أرجح .

وثانياً : أن الشعر لا يرد لأنه دون مقام الممدوح ، ولو كان ذلك صحيحا لقضينا على كثير من المدائح النبوية بالوضع ؛ لأن أكثرها دون مقامه صلى الله عليه وسلم ، وأين الشعر الذى يليق به والبوصيرى يقول - وهو محق - :

غاية المدح فى علاك ابتداء ليت شعرى ما تصنع الشعراء

وثالثاً : كان على صاحب الأغانى ألا يغفل عن المقام الذى قيلت فيه القصيدة ، فالفرزدق مرتجل ، والمرتجل يقول ما يليق بالممدوح وما لا يليق ، على فرض تسليمنا بأن هذا المديح غير لائق .

وأما ما تنفج به ابن عبد ربه ـ وكان معجبا بنفسه ـ من تفضيله بيته (فتى زاده عن المهابة ذلة) على بيت الكنانى (يغضى حياء) فلعمرى ليس بذاك ، وبيته لا يقع بجوار بيت الكنانى ولا قريبا منه .

بقى أن قصيدة الفرزدق على حسب ما رويت فى ديوانه تشتمل على أبيات ضعيفة لا تليق بمثله ، والقصيدة كلها بعيدة عن طابع الفرزدق من إيثار الخشونة ، والغريب من الألفاظ ، ولكن يعلل هذا بأنها مرتجلة ، وهذه المسحة على هذه القصيدة ملموسة فى كل ما ارتجله الفرزدق من مقطعات ، والارتجال غير الروية ، وفى ذلك يقول ابن الرومى :

نار الروية نار غير منضجة وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لسرعتها لكنها سرعة تمضى مع الريح

لكننا ـ مع ذلك ـ لا يمكننا أن نقر أبياتا وردت فى القصيدة بلغت درجة من الضعف لا نعقل أنها تصدر عن شاعر كالفرزدق ، فالشاعر ـ وإن ارتجل ـ يحتفظ ببعض خصائصه على أن القصيدة على حسب رواية الديوان تبلغ سبعة وعشرين بيتا ، وعلى حسب رواية زهر الآداب تبلغ ثلاثين بيتا ، وما عرفنا الفرزدق حين يرتجل يصل إلى هذا الحد أو إلى قريب منه فمن المرجح عندى أن القصيدة أضيف إليها كثير ، وأنها كانت حين ارتجلها الفرزدق فى الحجم الذى دونه صاحب الأغانى أو تزيد قليلا ، وهذا القدر هو الذى يتفق مع طبع الفرزدق ، وينم على روحه ومشربه ، ويتمشى مع طريقته التى ألفها .

(وبعد) : فهذه نظرة سريعة فى هذه المدحة ، اعتمدت فيها على بعض الكتب التى تيسر لى الاطلاع عليها ، ولعل هناك من الكتب . أو من الباحثين من ينبئنا بغير هذا أو أن يضيف إليه جديدا ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

على العمارى

نقـــد الكتب

القرآن المقدس

Der Heilige Qur-ân

تقرير عنه بقلم

الدكتور محمد عبد الله ماضى

مدير المعاهد الدينية

نشرت هذه الترجمة البعثة الأحمدية فى زيورخ وهامبورج، تحت إشراف حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد، الخليفة الثانى للمسيح الموعود (كذا .) مرزا غلام أحمد، والرئيس الأعلى للحركة الأحمدية الإسلامية .

الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ بمطبعة أتوهرسوفتس (Attoharrassowits)
بفيس بادن من مدن ألمانيا الغربية

هذه الترجمة أو هذا الكتاب يحتوى على مقدمة مفصلة وعلى ترجمة معانى القرآن باللغة الألمانية، والمقدمة كتبها رئيس الطائفة الأحمدية الحالى، حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد، أما الترجمة نفسها فقد اختبرتها فى مواضع مختلفة، وفى كثير من الآيات فى مختلف السور، فوجدتها من خير الترجمات التى ظهرت للقرآن الكريم، فى أسلوب دقيق محتاط، ومحاولة بارعة لأداء المعنى، الذى يدل عليه التعبير العربى المنزل لآيات القرآن الكريم، وقد نبه المترجم إلى أنه ليس فى الاستطاعة نقل ما يؤديه الأسلوب العربى المحكم، من الروعة البلاغية وسمات الإعجاز التى هى من خصائص القرآن إلى لغة أخرى، فهى خصائص انفرد بها كتاب الله المنزل فى أسلوبه العربى، الذى نزل به من عند الله على نبيه المرسل. والذى لا تبديل فيه ولا تحريف، فهو يمثل كلام الله فى معناه وفى مبناه، ولهذا فمن باب الاحتياط جعل النص

العربى بجوار الترجمة الألمانية ؛ حتى يستطيع القارئ أن يقارن ويختار بنفسه المعنى الذى تطمئن نفسه إلى صحته .

وعلى وجه الخصوص اختبرت ترجمة الآيات التى تتعلق بالقتال والجهاد فى سبيل الله ؛ بحثاً عما عساه يكون قد ضمن الترجمة مما يتصل بما يراه الأحمدية فى الجهاد ، ويخالفون به جماعة المسلمين حيث إنهم يقولون : « إن الجهاد يجب ألا يقوم على امتشاق الحسام ، بل يجب أن يقوم على وسائل سلمية ، وعلى هذا أظهر الأحمدية دائماً ولاءهم لحكومة الاستعمار البريطانية » .

اختبرت ترجمة هـــذه الآيات المشار إليها ، فوجدتها سليمة لا تتضمن أدنى الإشارات إلى هذا الذى كنت أخشى أن تتضمنه .

وفى المقدمة أورد كاتبها بحوثاً إسلامية فلسفية قيمة ، وقسمها إلى قسمين تحدث فى القسم الأول منهما عن حاجة البشرية التى اقتضت نزول القرآن ، وبين أن الإسلام كان من تعاليمه وحدة الإله ، وكان من عوامل توحيد البشرية ، فذكر أنه لما ارتقت البشرية وأصبح الناس على اتصال يكونون جماعة واحدة ، أصبحوا فى حاجة إلى تعاليم سماوية شاملة ، تشمل الناس جميعا ، وتصلح لهم فى كل زمان ومكان ، وتدلهم على قدرة الله وعظمة رب الناس كافة ، فكان القرآن هو الذى أدى تلك الرسالة جميعها ، كما تحدث عن كتاب العهد القديم (التوراة) ، وكتاب العهد الجديد (الإنجيل) ، وبين أنه نالها التحريف والتبديل فأصبحا معه لا يمثلان كتب الله المنزلة ، وذكر بعض المتناقضات فيهما وبعض المبادئ التى تخالف العقل ، وبعض الخرافات ، وبعض القواعد الخلقية غير الثابتة ، كما تحدث عما ورد فى التوراة والإنجيل من التبشير بظهور النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى غير ذلك مما أورده صاحب المقدمة فى القسم الأول .

وفى القسم الثانى من المقدمة كان الحديث عن : بناء القرآن ـ فذكر المؤلف ما سبق أن تعرض له ، من بيان أن القرآن هو الكتاب المقدس الذى يمثل كلام الله المنزل ، والذى حفظه الله من كل تحريف وتبديل ، وتحدث فى هـذا الصدد عن المحافظة على القرآن بكل الوسائل المختلفة فى عهد الرسول من كتابة الوحى وتقييده ، ومن وعى الحفاظ له وتحدث كذلك عن ترتيب الآيات والسور ، مبينا أن ذلك كان بوحى من الله نزل على نبيه ، وتابع الحديث عن الأمور الآتية :

بعض النبوءات المصدقة التى وردت فى القرآن .

تشخيص تعاليم القرآن .
العقيدة عن الله الحى .
الأنبياء والملائكة والشيطان وفكرتها فى القرآن .
الخير والشر فى القرآن .
الروح فى القرآن .
المعجزات النبوية فى القرآن .
الصلاة ومساجد الإسلام .
الصيام والحج .
الزكاة والصدقة .
الحقوق والواجبات الاجتماعية .
النظام الاقتصادى .
حقوق المرأة .
مسألة الرق .
النفس الإنسانية أو الروح .
طريق القرآن المرسوم لتكوين الحياة الروحية .
طبيعة الإله .
الله رب الشعوب جميعها .
الله هو علة العلل فى الوجود .
صفات الإله وبيان أنه لا تناقض بينها .
أسماء الله الحسنى .
الإنسان كنقطة ارتكاز للحياة .
الغرض من خلق الإنسان .
قانون الطبيعة وقانون الشريعة .
القانون الخلقى والقانون الاجتماعى .
القرآن هو الكتاب المقدس الكامل .

الحياة بعد الموت ، . . إلى غير ذلك من البحوث الدينية . . . . !

وإذا صرفنا النظر عن بعض التلميحات العامة غير الصريحة المتصلة بمذهب الأحمدية فى الجهاد ، والتى وردت فى صحيفة (١٣٤) من المقدمة تحت عنوان « المنازعات الدينية » . فإننا نجد أن المقدمة بقسميها اشتملت فى الجملة على بحوث إسلامية رائعة . ونقلت صورة من الأفكار والتعاليم الإسلامية المتعلقة بالقرآن ، فى ثوب وإطار إسلامى إلى اللغة الألمانية .

ولكن !

نعم ولكن مع الأسف الشديد ختمت هذه المقدمة بفصل عن المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) وعن ابنه الذى بشره الله به من قبل مولده (مرزا بشير الدين محمود أحمد) .

هذا الفصل الذى قد تضمن المبادئ الأحمدية التى تخالف تعاليم الإسلام ، والتى تدعى أن (مرزا غلام أحمد) هو المهدى المنتظر يتجسد فيه المسيح والنبى فى وقت واحد ، فيدعى الأحمدية « أن (مرزا غلام أحمد) كان نبيا ينزل عليه الوحى ولكن رسالته لم تكن منفصلة عن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنما كانت امتدادا لها ، فلا يظهر بعد النبى محمد عليه الصلاة والسلام رسول آخر يأتينا بمبادئ سماوية جديدة ، لأن القرآن تضمن كل المبادئ السماوية ، ولكن يظهر المسيح المهدى ليعيد للإسلام سلطانه من جديد ، وليعيد لمبادئ الإسلام قوتها وليظهر صدقها ، ويكون ظهوره دليلا على صدق آيات القرآن التى أخبرت بظهور المسيح كما تحدثت بذلك السنة النبوية . [1] »

ولقد ظهر المسيح والمهدى المنتظر المزعوم وهو حضرة (مرزا غلام أحمد) من سنة ١٨٢٥ - سنة ١٩٠٨ ميلادية .

كما ادعى ذلك وأخبر به عن رب العالمين مؤسس الحركة الأحمدية الإسلامية فى الإسلام ، فلقد أوحى إليه من الله من مدة تزيد على السبعين عاما أنه بعث لخدمة الإسلام وخدمة نبى الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، وللعمل على رفعة اسم الله فى الأرض . أخذا بالوحى أن الله أعطاه النبوة على شرط أن يبلغ تعاليم القرآن السماوية ويعمل على تنفيذها وألا يأتى بكتاب جديد ، لأنه يعتبر خليفة لرسول الإسلام محمد عليه السلام (٢)

---

[١] ص ١٠٧ من المقدمة الألمانية .

[٢] ص ١٠٨ من المقدمة الألمانية .

ثم يتابع المؤلف حديثه عن بعض ما يدعى أنه أوحى إلى (مرزا غلام أحمد) ، مقتبسا ذلك من كتاب « حقيقة الوحى » ومن كتاب « براهين أحمدية » الذى ألفه « مرزا غلام أحمد » ، والذى ظهر المجلد الأول منه عام ١٨٨٠ وزعم المؤلف فيه أنه المهدى مع أنه لم يطالب أتباعه للبيعة إلا فى ٤ مارس ١٨٨٩ .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الصعوبات التى لاقاها (مرزا غلام أحمد) ، حينما أعلن اختياره للنبوة وبعثه ، وعن مقدار تأييد الله له ، ووحيه إليه بأنه سيؤيده بواسطة العلامات الكبرى ، وأنه سيعلو اسم الله بدعوته ، ويدوى فى أقصى أنحاء الأرض ، ويذكر أن دعوة هذا النبى المزعوم تأيدت ، وأنها ستمتد جذورها وتتسع ، وأن خلفاءه سوف يصلون إلى درجة القرب من الله ، كما أوحى بذلك إلى (مرزا غلام أحمد) .

ثم يذكر المؤلف أنه أوحى إلى (غلام أحمد) أن الله سيرزقه فى ظرف تسع سنوات ومن تاريخ نبوته بولد ، وسيحقق الله على يد هذا الولد الكثير من التنبؤات التى تنبأ بها ، وأنه سيحمل اسمه إلى أنحاء الدنيا ، جميعها وسيخطو سريعا من نصر إلى نصر ، وسيبارك بروح من الله .

ثم يعيد الحديث عن تفصيل الصعوبات التى لاقاها (غلام أحمد) حينما جهر بدعوته وأعلن عن رسالته ، فيبين كيف قامت ضده عاصفة من المعارضة من كل جانب ، فتحالف ضده المسلمون والهندوس والمسيحيون والسك ، وأجمعوا أمرهم على إسقاطه والقضاء عليه ، ويدعى أن هذه المعارضة الإجماعية القوية كانت دليلا على اختيار الله له وبعثه إياه ، لأن مثل هذه المعارضة القوية الإجماعية لا تكون إلا للأنبياء الصادقين فى دعواهم ، فهم وحدهم الذين عليهم أن يتحملوا مثل هذا الكفاح ، ثم يختم هذا بقوله « ولكن الله قوى هـــذا الوحيد المحارب من كل طائفة ، حتى أخذ أعداؤه الأقوياء يسلمون ، ويتبعونه واحدا بعد الآخر ، فكثر أتباعه رويدا رويدا ، وكان له شأن يذكر فى البنجاب ، ثم فى الهند جميعها ، ثم فيما وراء ذلك من أنحاء العالم .

وبهذه النتيجة يصل المؤلف إلى صدق (مرزا غلام أحمد) فيما ادعاه .

وفى الحديث عن ابن المسيح الموعود الذى بشر به (مرزا غلام أحمد) يتحدث هذا الابن (مرزا بشير الدين محمود أحمد) ، عن موت مؤسس الحركة (مرزا غلام أحمد) ،

سنة ١٩٠٨ ، وعن موقف خصوم الدعوة منه ، وتوقعهم بعد موته لحلول نهاية هذه الحركة واقتراب انحلالها بموته ، ثم عن اختيار (مولوى نور الدين الخليفة الأول لمرزا غلام أحمد) ، وعن وفاته سنة ١٩١٤ ، وبعد ذلك يأخذ الابن الموعود فى الحديث عن نفسه فى تلك الظروف ، ويبين أنه كان حينذاك مجرداً من كل الإمكانيات المادية ، وأنه كان له خصوم أقوياء ، مدعيا أنه فى هذه الظروف العصيبة أوحى الله إليه بمساعدته ونصره ، مذكراً بوعد الله الذى وعده أباه (مرزا غلام أحمد) ، فى أنه سيرزقه بغلام سيدوى اسمه فى كل الأرض ويحمل علم الرسالة ، ثم يعقب على هذا ويقول : « فتحقق وعد الله وأصبحت كلمة الله هى العليا ، ومع كل صباح منحت ما جعل نجاحى كبيراً ، وكل يوم ينقضى يترك ما يعجل بالقضاء على خصومى ، وكأن الله جعلنى أداة لنشر الحركة الأحمدية فى كل بقاع الدنيا ، ومع كل خطوة باركنى الله بتوجيه من عنده ، وفى فرص ومناسبات كثيرة فضلنى الله بوحيه . وأخيراً حل اليوم الذى أوحى الله فيه إلى : أننى الابن الموعود الذى وعد الله به المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) وقد وعده الله بقدومى فى عام ١٨٨٤ ، قبل مولدى بخمسة أعوام ، ومن هذا اليوم أخذت المعونة والمساعدة من الله تتزايد بأسرع مما سبق ، واليوم يمارس المبشرون بالأحمديه نشر الإسلام وكفاح الإسلام فى كل القارات » .

ثم يقول : « ولقد جعل الله القرآن الذى كان قد أصبح للمسلمين كتابا مغلقا ـ جعله الله لنا معشر الأحمدية ببركة النبى المقدس (محمد عليه السلام) وبواسطة المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) كتاب هداية ، وفتح لنا مغاليقه من جديد ، وغدت ينابيع المعرفة تتفتح لنا بواسطة القرآن ، ويستطرد فيقول : وعندما تنشد وتمتحن دائما تعاليم القرآن بالنسبة للتطورات العلمية الحديثة المتجددة يلهمنى الله ، ويوحى إلى بالجواب الصحيح الذى تتضمنه تعاليم القرآن . فلقد اختارنا الله لرفع علم سيادة القرآن » .

وهكذا نجد أن الحديث فى هذا الفصل الأخير من المقدمة كان إنكاراً وخروجا على العقيدة الإسلامية ، التى تقرر أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان خاتم الأنبياء ، وأن رسالته كانت خاتمة الرسالات (فمرزا غلام أحمد) فيما ذكر المؤلف نبى أوحى إليه وأيد بروح الله ، كما أن المؤلف نفسه (مرزا بشير الدين محمود أحمد) صاحب المقدمة ، والرئيس الأعلى لطائفة الأحمدية الحالى ، والخليفة التالى لوالده ، يدعى لنفسه أيضا أنه يوحى اليه .

وبهذا يكون المؤلف قد « وضع السم فى العسل »، فأفسد بذلك هذا العمل القيم الذى نوهنا به فى شأن الترجمة نفسها ، والبحوث الدينية الفلسفية القيمة التى وردت بالمقدمة .

ولذلك فإننا نقول : إن هذه الترجمة أو هذا الكتاب بوصفه الحالى وبما تضمنه من الحديث المشار إليه عن (مرزا غلام أحمد) وعن ابنه ينبغى مصادرته .

وحبذا لو كان من المستطاع فصل هذا الجزء الأخير عن الترجمة ،وعن المقدمة ، والعمل على نشرها دون هذا الجزء ؛ فإنه لو أمكن ذلك لكان فيه خير كثير .

الدكتور محمد عبد الله ماضى
المدير العام للمعاهد الدينية

رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ببيروت
يشكر فضيلة الأستاذ الأكبر
« ويشيد بالتعاون الأخوى بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان الشقيق »

حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد . فبيد السرور والامتنان استلمنا كتابكم الكريم بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ الذى تكرمتم فيه بإعادة ندب الشيخ معوض عوض ابراهيم للوعظ والإرشاد فى لبنان . ويسرنا أن نجد فى فضيلتكم دوما وأبدا ، كما وجدنا لدى حكومة الجمهورية العربية الموقرة ، بشخص وزارة التربية والتعليم ، وفى مختلف السلطات العليا كل عضد ، وسند لمشروع جمعيتنا الثقافى الإسلامى فى بيروت والأوقاف ، هذا المشروع الذى يعتبر الدعامة الوحيدة للإسلام والعروبة فى الساحل اللبنانى ، ونرى لزاما علينا أن نشير إلى أن هذه الصلات ، التى ما برحتم تعملون فضيلتكم على توثيقها يعود تاريخها إلى نيف ومائة عام تقريبا ، عند ما كانت مختلف جامعات القاهرة تتقبل مجانا فى صفوفها بعثات الجمعية المدرسية ؛ لإتمام التحصيل العالى فى مختلف الفروع ، وفى الختام نرى لزاما علينا أن نشيد بالخدمات الجلى التى ما برح الأزهر الشريف يقدمها فى مختلف الحقول والميادين . ليس للعالم العربى فى الشرق فحسب ، بل فى كافة أقطار المعمورة ، أخذ الله بيدكم وأبقاكم ذخرا للإسلام والمسلمين والعرب قاطبة . ووفقنا الله وإياكم لما فيه جمع الكلمة وتوثيق الصلات ، بين كافة الأقطار العربية والإسلامية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته امضاء

(رئيس جمعية المقاصد الخيرية ببيروت)

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

— ٧ —

فى ص (١٢٣) جعل مراجعة موسى لنبينا محمد عليهما الصلاة والسلام فى حديث الإسراء والمعراج من الإسرائيليات ، وجهل الذين يعتقدون صحة ذلك واعتبرهم من حشوية آخر الزمان إلى آخر مانضح به قلبه من نبز وسباب ، وللرد على هذا أقول لهذا المؤلف :

إن الرمى بالقول على عواهنه من غير حجة وبرهان لايليق بالباحث المنصف المتثبت ، وهل يقتضى ذكر موسى عليه السلام ومراجعته للنبى عليه السلام ليلة المعراج كى يخفف الله سبحانه على أمته الصلوات أن يكون من الإسرائيليات ؟ وعلى منطق المؤلف تكون كل الأحاديث التى ذكرت فضيلة لموسى أو لنبى من أنبياء بنى إسرائيل من الإسرائيليات ، وأعتقد أن هذا لايقوله عاقل فضلا عن باحث ، وبحسب القارىء ماذكرته فى المقال السابق من موقف علماء الإسلام من أخبار بنى إسرائيل ، ولو أن حديث الإسراء والمعراج كان مرويا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بنى إسرائيل لجاز فى العقل أن يكون ذكر موسى عليه السلام من دسهم ، أما والحديث مروى عن بضع وعشرين صحابيا ليس فيهم ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مسلمة أهل الكتاب فقد أصبح الاحتمال بعيداً كل البعد إن لم يكن غير ممكن فى منطق البحث الصحيح ، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه « التنوير فى مولد السراج المنير » الصحابة الذين روى عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل بهم إلى خمس وعشرين صحابيا واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير فى تفسيره ووصفه بالإفادة والجودة (١) فهل يجوز عند العقلاء أن يكون للدس مجال فى هذا ؟ وقد خرج حديث المعراج البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة من طرق متعددة وقد استعرض هذه الروايات الإمام ابن كثير فى تفسيره

---

[١] انظر تفسير ابن كثير والبغوى ج ٥ ص ١٤٣ .

فليرجع إليه من يريد زيادة اليقين ، ولم أر - فيما أعلم - عن أحد من أهل العلم الموثوق بهم أنه ذكر أن مراجعة موسى لنبينا عليهما السلام دسيسة إسرائيلية ، فهل خفى على علماء الأمة جميعهم ماتخيله هـذا المؤلف ؟ ! ! ! وكان الأولى به أن يبحث عن السر فى المراجعة وحكمتها بدل التشكيك فيها ومحاولة بيـان استلزامها لنفى علم الله عز شأنه وعلم رسوله مبلغ احتمال الأمة وقدرتها على أدائهـا قبل التخفيف . وأى ضير فى أن يعلم موسى عليه السلام بمـا سبق إليه من تجربة الناس ومعالجة بنى إسرائيل أشد المعالجة ماخفى على نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أشار عليه بالرجوع إلى ربه وطلب التخفيف حتى يرتب عليه المؤلف ما زعم ؟ ثم من قال إن فرض الصلوات خمسين وتخفيفها إلى خمس بسبب المراجعة تستلزم أن يكون الله سبحانه لايعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها حتى رتب عليه مارتب ؟ إن الله سبحانه يعلم كل ما كان وما يكون ، ويعلم أن نبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه سيسأله التخفيف على العباد ، وبسبب هذا السؤال سيخفف الصلوات من خمسين إلى خمس ، ولذلك سر وحكمة وهى إظهار رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة ومنته عليها بالتخفيف عليها بدليل قول الرب تعالى « أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » كما أن فيها إظهار منزلة النبى عند ربه بقبول شفاعته فى التخفيف عن أمته وبيان رأفته ورحمته بأمته باستماعه إلى مشورة أخيه موسى ولا تسل عما فى المراجعة من تكرار المناجاة بين العبد والمعبود والمحب والمحبوب .

* * *

فى ص (١٢٨) قال « الإسرائيليات فى فضل بيت المقدس » وذكر بعضا منها .

وفى ص (١٢٩) ذكر أن الأحاديث الصحيحة كانت فى أول الأمر فى فضل المسجد الحرام ومسجد الرسول ولكن بعد بنـاء قبة الصخرة ظهرت أحاديث فى فضلها وفضل المسجد الأقصى واعتبر ذكر المسجد الأقصى فى حديث « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » من الإسرائيليات الموضوعة واستند فى دعواه إلى ما روى عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فقالت : إن شفانى الله لأخرجن فلأصلين فى بيت المقدس فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج فجاءت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرتها بذلك فقالت : اجلسى فكلى ما صنعت وصلى فى مسجد رسول الله ، فإنى سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة » قال : ولو أن المسجد الأقصى كان قد ورد فيه تلك الأحاديث لما منعت ميمونة هذه المرأة من أن توفى بنذرها ! ! !

وللجواب على هذه المزاعم نقول :

١ — إننا لا ننكر أنه وضع فى فضل بيت المقدس والصخرة أحاديث وآثار كثيرة ولكن الذى ننكره حقا أن يكون ذكر بيت المقدس فى حديث « لا تشد الرحال » من قبيل الوضع والدس ، وأعتقد أنه من الإسراف فى الحكم والشطط فى البحث أن يجرد باحث بيت المقدس من الفضيلة ويعتبر كل ما ورد فيه من صنع بنى إسرائيل وكيف وفضل بيت المقدس لم يثبت بالأحاديث الصحيحة فحسب ؟ ولكنه ثبت ثبوتا قطعيا بالقرآن المتواتر الذى لا يتطرق إليه الشك قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . فلم يعد ثمت مجال للحدس والظن الذى لم يقم على أساس ولا يستند إلى دليل ، وبيت المقدس قبلة الأنبياء السابقين ومهاجرهم ، وثانى المساجد التى وضعت فى الأرض وشرفت ، بناه حفيد الخليل يعقوب عليهما الصلاة والسلام وجدده نبى الله سليمان عليه السلام ، وإليه توجه المسلمون فى صلاتهم بعد الهجرة بضعة عشر شهرا ، فكيف يستبعد المؤلف أن يذكر هو ومسجد مكة والمدينة فى حديث وإن كان دونهما فى الفضل ؟ والمساجد الثلاثة يجمعها أنها آثار وتحمل ذكريات مجيدة لبعض أنبياء الله ورسله الكرام ، ولو أن المؤلف كان باحثا حقا لنقده من جهة سنده ومتنه نقداً علميا صحيحا بدل أن يلقى بالقول جزافا .

٢ — هذا الحديث رواه الإمامان الجليلان : البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وهما من هما فى علو كعبهما فى التصحيح ، ومعرفتهما التامة بالرجال والعلل ، ونظرهما الثاقب فى الكشف عن خفايا الأحاديث وعللها ، ورواه غيرهما كابن حبان فى صحيحه ، وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى سننهم ، ورواه أحمد والبزار فى مسنديهما ، والطبرانى فى المعجم الكبير والأوسط ، وروى عن جمع من الصحابة كعمر وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وأبى بصرة الغفارى وأبيه وأبى الجعد (١) وقد تلقت الأمة هذا الحديث بالقبول ، واحتج به أئمة فطاحل

---

[١] انظر عمدة القارى على البخارى ج ٧ ص ٢٥٢ ط منير .

لايحصيهم العد ولا يشق لهم غبار فى النقد والبصر بالأحاديث من عصر السلف إلى وقتنا هذا ، فهل كل هؤلاء خفى عليهم مالاح وظهر لهذا المؤلف ؟ ! !!

٣ — أما ما ذكره من قصة المرأة التى نذرت أن تصلى فى بيت المقدس إن شفاها الله الخ . فما يضحك الثكلى ! ومن قال يامن زعمت أنك طوفت فى عشرات الكتب والمراجع إن الفتوى على خلاف ما يدل عليه حديث أو العمل على خلافه يكون دليلا على كذبه ؟ لو كان الأمر كذلك لحكمنا على كثير من الأحاديث بالوضع والاختلاق .

قال العلامة ابن الصلاح « وهكذا نقول : إن عمل العالم أو فتياه على وفق حديث ليس حكما منه بصحة ذلك الحديث ، وكذلك مخالفته للحديث ليس قدحا منه فى صحته ولا فى راويه والله أعلم » [١] والسيدة ميمونة استندت فى فتواها إلى هذا الحديث الذى يثبت أن الصلاة فى المسجدين أفضل من الصلاة فى المسجد الأقصى فيكون أداء النذر فى الأفضل أولى ولا سيما أن فيه راحة من مشقة السفر وهى امرأة .

قال الإمام العينى « واستدل قوم بهذا الحديث - حديث لا تشد الرحال - على أن من نذر إتيان أحد هذه المساجد لزمه ذلك وبه قال مالك وأحمد والشافعى فى البويطى ، وقال أبو حنيفة لا يجب مطلقا ، وقال الشافعى فى الأم : يجب فى المسجد الحرام لتعلق النسك به بخلاف المسجدين الآخرين ، وقال ابن المنذر : يجب إلى الحرمين وأما الأقصى فلا واستأنس بحديث جابر أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلى فى بيت المقدس قال صل ههنا [٢] » فمدار الفتوى فى حديث جابر والسيدة ميمونة على أن من نذر الصلاة فى مفضول أجزأه الصلاة فى الأفضل ولا عكس (٣) . وها نحن نرى أن الشافعى رحمه الله فى الأم أوجب أداء النذر فى المسجد الحرام دون المسجدين الآخرين المشرفين مع أن الشافعى ممن يرى صحة حديث « لا تشد الرحال » ، وعلى منطق المؤلف فى البحث كان يلزم أن نقول استنادا إلى رأى الشافعى فى الأم : إن فضيلة المسجدين :

---

١ — مقدمة ابن الصلاح ص ١٢١ ط حلب .

٢ — عمدة القارى ج ٧ ص ٢٥٣ .

٣ — المغنى والشرح الكبير ج ١١ ص ٣٥٢ .

مسجد المدينة ، والأقصى غير ثابتة وإن ذكرها فى الحديث اختلاق ، وهو منهج فى البحث سقيم لم نر له مثيلا فى القديم ولا فى الحديث .

* * *

فى ص (١٣١) ذكر تحت عنوان « اليد اليهودية فى تفضيل الشام » حديث الصحيحين المرفوع ولفظه « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » قال : روى البخارى هم بالشام .

ونحن لا ننكر فى أن بلاد الشام وغيرها من بلاد الإسلام قد وضعت فيها أحاديث كثيرة بداعى العصبية الوطنية ، وقد سبق أئمة الحديث وصيارفته إلى بيان ذلك من منذ مئات السنين ، ولكن الذى ننكره على المؤلف الطعن فى الأحاديث الصحيحة بالظن من غير تثبت ، أو اعتمادا على تأويل مؤول للحديث .

وليس أدل على هذا من ذكره هذا الحديث واعتباره من صنع اليد اليهودية ، وأى فائدة تعود على اليهود من هذا ، وبلاد الشام ليست بلادهم وإنما هى بلاد العرب قبل أن تكون بلادا لهم ؟ وهل يعقل من اليهود فى سبيل التزلف إلى بنى أمية أن يضعوا هذا الحديث الذى يدل على بقاء الإسلام وبقاء سلطانه ، وبقاء هذه الطائفة الثابتة على الحق من الأمة المحمدية إلى يوم القيامة ؟ وكيف وهم يدعون أنهم شعب الله المختار ـ كذبا وزورا ـ وأنهم أحق الشعوب بالبقاء ، لقد وصفهم المؤلف بالدهاء والمكر ، فكيف يضعون أحاديث تعلى بنيان أعدائهم وتقوض بيتهم من أساسه ؟ الحق أن المؤلف يريد منا أن نلغى عقولنا .

وهذا الحديث رواه الشيخان فى صحيحيهما ، رواه البخارى فى « كتاب الاعتصام » عن المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » والرواية التى أشار إليها المؤلف رواها البخارى فى باب بعد علامات النبوة ببابين ، عن عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون » قال عمير : فقال مالك بن يخامر : قال معاذ : وهم بالشام فقال معاوية : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول وهم بالشام .

ورواه مسلم فى صحيحه عن ثوبان وعن المغيرة بن شعبة وعن معاوية وعن جابر بن عبدالله وليس فى رواية مسلم عن معاوية « قال معاذ وهم بالشام » ورواه غير البخارى ومسلم .

ومما ينبغى أن يتنبه إليه أن قول معاذ ليس من الحديث المرفوع كما يوهم صنيع المؤلف وإنما هو تأويل لمعاذ فى الحديث ، أما المرفوع فليس فيه هـــذه الزيادة ، قال البدر العينى فى شرحه على البخارى « وحديث مالك هذا - يعنى مالك بن يخامر عن معاذ - غير مرفوع » وقد فسر البخارى هذه الطائفة فقال بعد إيراد الترجمة للحديث : وهم أهل العلم » وعن على ابن المدينى أنه قال : هم أصحاب الحديث ، وكذا روى عن الإمام أحمد ، وقيل غير ذلك ، وهكذا نرى أن الأئمة من لدن الصحابة اختلفوا فى تعيين المراد من هذه الطائفة ، فتخريج الإمام البخارى لهذه الرواية عن معاذ فى فهم الحديث لاينهض دليلا للطعن فى الحديث الصحيح واعتباره من دسائس اليهود .

وكذلك قول بعض العلماء فى الحـــديث الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن سعد ابن أبى وقاص مرفوعا « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » أن المراد بهم أهل الشام لا ينهض للطعن فى الحـــديث ، وذكره مع أحاديث نبه العلماء على وضعها فى قرن واحد .

ومن عجيب أمر هذا المؤلف أنه يعتمد فى نقل بعض الأحاديث التى توافق هواه على كتب الأدب كنهاية الأرب ، وكتب التاريخ «كالمعجب فى تلخيص أخبار المغرب » على حين يطعن فى أحاديث فى الصحيحين بالوضع ما دامت على غير هواه ، ولاأدرى كيف غاب عنه أن كتب الأدب والتواريخ ونحوها تجمع الغث والسمين والمقبول والمردود فكيف يعتمد عليها فيما ينقل ؟ ألا إن المعول عليه فى السنة هى كتب الحديث المعتمدة التى تبرز الأسانيد أو تعزو الأحاديث وتميز بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

تعليقات

حول مؤتمر الأدباء

حينما أراد ابن عبد ربه الأندلسي أن يبتدئ الحديث عن العلم والأدب في كتابه «العقد»، افتتح ذلك بقوله : «ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في العلم والأدب ، فإنهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا . وفرق ما بين الإنسان وسائر الحيوان ، وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية ؛ وهما مادة العقل ، وسراج البدن ، ونور القلب ، وعماد الروح . . . » . ثم يقول : « والطفل الصغير لو لم تعرفه أدبا ، وتلقنه كتابا ، كان كأبله البهائم وأضل الدواب » ! ، :

ومن مثل هذا البيان نستطيع أن ندرك مكانة الأدب في الحياة ، وتأثير الأدب في المجتمع ولقد شاء الله للأدباء في الأمة العربية أن يجتمعوا منذ سنوات فيكونوا لهم جماعة ، ويعقدوا مؤتمرا يتدارسون فيه شئون الفكر والأدب ؛ ولقد تلقيت دعوة كريمة من حكومة الكويت الشقيقة للاشتراك في الدورة الرابعة لمؤتمر الأدباء التي انعقدت في الكويت ، وبدأت يوم السبت ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٨ وانتهت في يوم الأحد ٢٨ من الشهر المذكور ، وتفضل الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر فأصدر قرارا بقبولي هذه الدعوة وبالاشتراك في المؤتمر ؛ وكان هذا الاشتراك فرصة للالتقاء بمجموعة ضخمة من أدباء الأمة وشعرائها ومفكريها وذوى الرأى فيها ، فوق اشتراكى في مناقشات المؤتمر واقتراحاته وبعض لجانه .

ولقد كان للمؤتمر موضوعان رئيسيان خصهما بالعناية والبحث : الأول منهما هو البطولة كما يصورها الأدب العربي في مختلف عصوره ، والآخر هو مشكلات الكتاب العربي ، وتشمل النشر والتوزيع والترجمة وبعث التراث . . . وقد بحث المؤتمر الموضوع الأول عن طريق بحوث تلقى ، ويعقبها تعقيبات ومناقشات ومقترحات ، وبحث الموضوع الثاني عن طريق لجان تقدمت في نهاية بحثها بتوصيات ، ويبدو من هذا أن الموضوع الأول قد لاقى من كثرة المشتركين في الكلام والسامعين له أكثر من الموضوع الآخر الذي كان أمره محصورا داخل نطاق اللجان . .

وعلى الرغم من النظام الذى كان مستتبا فى المؤتمر بفضل الجهود الكبيرة التى بذلتها حكومة الكويت ودائرة المعارف فيها ، وعلى الرغم من النجاح الذى ناله المؤتمر بصفة عامة ، ليس هناك ما يمنع من إبداء بعض الملاحظات التى لاحظتها ، وقد يكون فى تسجيلها وفاء بحق التاريخ من جهة ، وحق التوجيه الخالص من جهة أخرى .

ألاحظ أن أصحاب البحوث التى دارت حول البطولة لم يعرفوا البطولة تعريفا كافيا شافيا ، أو تعريفا « جامعا مانعا » كما نقول فى الأزهر ، فقد عرف بعضهم البطولة بأنها الشجاعة ، وأنها سمو وتشوف للكمال ، ورياضة للروح والجسم ، وتعبير عن طاقة قوية منفردة . وهذا باحث ثان يقرر أن البطل هو ذلك الفرد الذى تتمثل فيه رغبات مجموع من الناس وآماله ، والذى يدرك بإحساسه المرهف وذكائه الوقاد وعبقريته النادرة مطامح مجتمعه وأمانيه ، فإذا به فى طليعة من يسعى لهذه المطامح ، ويكافح لتحقيق هذه الأمانى !! .

وهذا ثالث يعرف البطولة بأنها مثل أعلى لا يزال البشر يسعون اليه ، وعنوان بارز من عناوين المجد والرفعة المعنوية ما فتىء الإنسان يحرص على شرف الانتساب إليه والاتصاف به ، وروح ما انفكت المجتمعات تنفخه فى أجيالها !! . . وهذا باحث رابع يعرف البطولة بأنها بطولة رأى وكفاح من دون هذا الرأى ، وبطولة تجرد وجهاد فى سبيل هذا التجرد !! .

وهكذا ظل الأعضاء الباحثون فى أغلب جلسات المؤتمر يطلعون علينا بتعاريف للبطولة بعضها يتقارب ، وبعضها يتضارب ولذلك قلت فى إحدى مناقشاتى : إن تنظيم البحوث عن البطولة كان يقتضى أن تبدأ هذه البحوث ببحث عن تعريف البطولة وتبيان المراد بها ، حتى يستقر الأعضاء فى ذلك على منهج وطريق ، وأبديت خشيتى أن نخرج من جلسات المؤتمر دون أن نتفق على تعريف للبطولة ، لأن كل باحث يصورها من زاوية رأيه الخاص أو اتجاهه المعين .

وقد يتصل بهذا الموضوع أن الباحثين فى المؤتمر لم يعنوا بأن يشيروا إلى المصادر والمراجع القديمة والحديثة التى بحثت موضوع البطولة ، أو كانت تحوم حول حماها من قرب أو بعد ، ولذلك اقترحت على المؤتمر أن يعنى بوضع قائمة تتضمن الكتب التى تحدثت عن البطولة والفروسية والفتوة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ، وأنا أذكر من هذه الكتب كتاب « الفروسية » لابن القيم ، وكتاب « غرر الخصائص الواضحة » للوطواط ،

وديوان الحماسة لأبى تمام ، وديوان الحماسه لأبى عبادة البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ . وديوان الحماسة لأبى السعادات الشجرى العلوى المتوفى سنة ٤٥٢ ، وكتاب الحماسة البصرية لأبى الحسن البصرى المتوفى سنة ٦٤٧ ، وديوان الحماسة للعسكرى ، وديوان الحماسة لأبى الحسن شميم الأندلسى المتوفى سنة ٦٥٣ ، وكتاب الفتوة عند العرب لعمر الدسوقى ، وكتاب أيام العرب فى الجاهلية ، وقصص العرب لعلى البجاوى وأبو الفضل إبراهيم ، وكتاب الملامتية والصوفية وأهل الفتوة لأبى العلا عفيفى ، وكتاب المروءة لبشر فارس ، وكتاب الفتوة والفتيان قديماً وحديثاً لمصطفى جواد ، وكتاب بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام ، وكتاب صور من البطولة لمحمد أحمد الحوفى ، وكتاب الأبطال لكارليل . الخ

* * *

ومن غرائب البحوث فى هذا المؤتمر أن باحثاً قد أتى بحثاً صبغه بصبغة التفسير المادى الصرف للتاريخ ، وأسرف فى الخروج على الموضوع المخصص له ، وقد قرر فى هذا البحث أن حركة « القرامطة » من « حركات البطولة القليلة المثال فى المجتمع الإسلامى . وأنها حملت لواء الإصلاح الاجتماعى ، وكانت أروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيما » ! .

يقول الباحث هذا عن حركة « القرامطة » التى ظهرت فى عهد المعتضد فى البحرين والعراق والشام ، والتى أشعل أصحابها نار الفتنة التى أصابت المسلمين بالبلايا ، وأضاعت الأمن من طريق المسلمين إلى بيت المقدس ، وأحرقوا مسجد الرصافة ، وقتلوا الكثيرين ، وسلبوا البلاد والقرى .

والقرامطة هم الذين أعملوا التقتيل والتخريب فى البصرة ، وقطعوا الطريق على الحجاج ، وأخذوا منهم الجمال وما أرادوه من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان ، وحبسوا الكثيرين منهم فى الصحراء ، حتى ماتوا جوعاً وعطشاً من حرارة الشمس ; وفعلوا مثل ذلك التخريب والتقتيل فى الكوفة والأنبار ، وعثوا فى أرض الجزيرة نهباً وقتلا .

والقرامطة هم الذين كانوا يكفرون المسلمين ، ويقولون : إن لهم إماماً هو « المهدى » . ووصل بهم الأمر أن زعيمهم كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله ، وكان إذا كره رجلا يقول عنه : « إنه مريض » ـ يعنى أنه قد شك فى دينه ـ ويأمر بقتله ! .

والقرامطة هم الذين هاجموا مكة يوم التروية سنة ٣١٧ ولم يرعوا للبيت الحرام حرمة

أو كرامة ، بل نهبوا الحجاج وقتلوهم فى المسجد الحرام ، وفى جانب الكعبة نفسها ، وخلعوا الحجر الأسود من مكانه ونقلوه إلى « هجر » . وقلعوا باب الكعبة أيضاً ، ورموا الكثير من القتلى فى بئر زمزم ، والباقون دفنوهم فى المسجد الحرام بلا غسل ولا كفن ، وأخذوا كسوة البيت فقسموها بينهم ، ونهبوا دور مكة ! . ومن العجيب مع هذا أنهم كانوا ينسبون أنفسهم للتشيع لآل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام .

يقول المؤرخ المنصف المرحوم الشيخ محمد الخضرى فى كتابه « تاريخ الأمم الإسلامية » تعليقاً على ذلك ما نصه : « ولم يحصل فى التاريخ أن انتهكت حرمة هذا البيت إلى هذا الحد ، حتى إن المهدى عبيد الله العلوى لما علم ذلك كتب إلى أبى طاهر ينكر عليه ذلك ويلومه ، ويلعنه ويقيم عليه القيامة ، ويقول : « قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت ، وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه ، وترد كسوة الكعبة ، فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة . . . ولما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود ، واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فرده وقال : إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ، ولا أقدر على منعهم » .

ولم يرد القرامطة الحجر الأسود إلا مضطرين خائفين ، بدليل أنهم قد طولبوا برد هذا الحجر قبل ذلك ولكنهم رفضوا ، وهذا هو المؤرخ المعتدل الشيخ الخضرى يقول فى موضع آخر : « لم تزل القرامطة على حالهم فى الإفساد والعيث واعتراض الحجاج ، وفى سنة ٢٣٢ أرسل محمد بن ياقوت رسولا إلى أبى طاهر - زعيم القرامطة حينئذ - يدعوه إلى طاعة الخليفة ليقره على ما بيده من البلاد ، ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان ، ويحسن إليه ، ويلتمس أن يكف عن الحاج جميعهم ، وأن يرد الحجر الأسود إلى موضعه بمكة ، فأجاب أبو طاهر إلى أنه لا يعترض الحاج ، ولا يصيبهم بمكروه ، ولم يجب إلى رد الحجر الأسود إلى مكة ، وسأل أن تطلق له الميرة من البصرة ليخطب للخليفة بهجر ؛ فسار الحاج إلى مكة هذه السنة ولم يعترضهم القرمطى ؛ ولكنه فى سنة ٢٣٣ اعترضهم فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبى طاهر فسألوه أن يكف عن الحاج فكف عنهم ، وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد فرجعوا ، ولم يحج هذه السنة من العراق أحد ، وسار أبو طاهر إلى الكوفة فأقام بها عدة أيام ، ورحل عنها » ! ...

وهكذا نرى أن القرامطة كانوا يبغون ويطغون كلما تهيأت لهم الفرص ، وينكمشون أو يتراجعون إذا لم تواتهم فرصة ، ومهما يكن فقد كان منهم ما كان من الكوارث العظمى التى حلت بالأمة الإسلامية كما يعبر الشيخ الخضرى فى موضع ثالث .

أمثل هذه الحركة يقال عنها إنها حركة بطولة ، وإنها كانت أروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيما ؟ ! ... ولو فرضنا وتصورنا أن كلاما كهذا يقال فى مؤتمر هدام أفيصح أن يقال فى مؤتمر عربى للأدباء العرب فى بلد عربى إسلامى هو الكويت ؟ ! ...

وقد وقفت فى نفس الجلسة التى ألقى فيها البحث السابق ، وناقشت صاحبه فيما ذهب إليه ، كما ناقشه غيرى بعد ذلك . وكان من المضحك أن نسمع متحدثا يصف محاولة « سجاح » المتنبئة الكذابة بأنها بطولة ! . . نعم « سجاح » التغلبية التى كان لها مع « مسيلمة » الكذاب مواقف مخجلة وأنباء مخزية ، وعلى الرغم من تزيد الكاتبين عن « سجاح » نجد أن ما ذكرته المصادر المتزنة عنها شىء يستحى منه الإنسان وهو يطالعه فكيف وهو يقوله أو يحكم بأنه بطولة ؟ ! ... ولماذا إذن لم يعد هذا الباحث « مسيلمة » من بين الأبطال ، وقد كان مسيلمة فى ادعائه وتنبئه وكذبه أرفع ذكراً وأوسع خطراً من « سجاح » ؟ ! ...

ووقف باحث آخر يتحدث عن ابن هانىء الأندلسى وكيف صور البطولة فى شعره ، فيقول : « لذلك نراه يرفع من منزلة المعز مثلا ، ويسمو به عن مستوى البشر العام ، حتى يكاد يخرجه عن دائرتهم ، فجاء شعره طافحا بصفات البطولة النادرة ، ومغاليا فى تشخيص آثارها ، ويكفى أن أذكركم بالقصيدة الشهيرة :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبى محمد   وكأنما أنصارك الأنصار »

وهذان البيتان صريحان فى أن قائلهما لم يتقيد بأصول الدين ، ولم يلتزم الأدب مع الله ، بل شط شطط الزنادقة والملحدين ، فنسب إلى ممدوحه - وهو بشر - صفات الألوهية الصريحة ، بل تبجح فجعله أقوى من الأقدار ، وفوق هذا فأسلوب المديح سمج نافر ؛ لأن المبالغة المجنونة الكذوب التى جاءت فيه قبحته وشوهته ؛ ولا يكفى فى التعليق على هذا أن يقال : « إنه يسمو بممدوحه عن مستوى البشر العام » ، وهل هناك مستوى خاص لم يسم به عنه ؟ ... ولا يكفى أن يقال : « حتى يكاد يخرجه عن دائرتهم » ... لأنه قد أخرجه عن دائرتهم فعلا ، بل بلغ

به حمقه أن جعل مشيئته فوق مشيئة الأقدار ، وجعله « الواحد القهار » !!.. وإذا كان هذا الممدوح قد بلغ هذه المرتبة الخيالية التي توهمها تبجح المادح ، فكيف يقال إنها بطولة وقد أوغلت في التقحم الكاذب على حمى الألوهية ؟ ! .

رفقا بموازين الحكم الأدبي ورفقا بالدقة في التعبير ، أيها الأدباء !! ... أيقال هذا في جمع له مكانته وقيمته ، ثم لا نقف لتفنيده وإظهار كلمة الحق أمامه ؟ ... « تلك إذن قسمة ضيزى » !! .

وبينما يسرف أحد الباحثين في الحكم حين يقول : « وتخليد الأبطال إنما أريد به رفعهم إلى مستوى الآلهة ، وذلك تسليم مطلق بقدرتهم الخارقة » نجد باحثا آخر يناقضه فيبخس الحقيقة والواقع التاريخي بخسا شديدا حينما يقصر أمر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على البطولة والعبقرية فقط ، دون أن يدخل في حساب حكمه على الرسل أنهم أنبياء ورسل يوحى إليهم !! ...

الأول يتوسع توسعاً مؤلما فيقرر أن تمجيد ذكريات الأبطال رفع لهم إلى مستوى الألوهية ، ويستعمل في ذلك لفظ « إنما » الذي يفيد القصر والحصر ، فكأنه لم يخلد الناس بطلا من الأبطال إلا ليجعلوه إلها أو كالإله ، والآخر يهضم الرسل حقهم الأصيل ، وصفتهم المميزة وهي أنهم بشر صنعهم الله على عينه ؟ وعصمهم بالنبوة والرسالة ، وأوحى إليهم ما أوحى ...

وبطبيعة الحال وقفت لأناقش ، لا بروح رجل الدين الغيور فقط ، بل بروح المنصف الذي يهوله أن يرى الحقائق تشوه وتحرف ... واقترحت على المؤتمر أن يخصص بحث لتفصيل الحديث عن « بطولة الأنبياء » ، لأنها بطولة من نوع خاص ، اقترحت أن يكون هناك موضوع مستقل للحديث عن « بطل الأبطال محمد عليه الصلاة والسلام » ، لأنه بطل العرب جميعا وبطل المسلمين بأسرهم فوق أنه نبي رسول ! !

وقد جاءت إشارات عابرة في أحد البحوث عن البطولة في القرآن ، ولم تكن تلك الإشارات غرضا أساسياً للباحث كما ذكرت خلال المؤتمر ، ولذلك اقترحت أن يخصص بحث للحديث عن « ألوان البطولة كما يصورها القرآن الكريم » . وهذا فوق قيمته الأدبية يحقق غرضا له قيمته ومكانته وهو حسن الجمع بين العقيدة والأدب ، حتى يستمد الأدب

فى بعض نواحيه من نبع الأدب الدينى ، وحتى تتوثق الصلة بين رجل الدين ورجل الأدب ، ليلتقيا على شرعة سواء فى خدمة العقيدة السامية والأدب الكريم ؛ ولعل هذا كان من بين الدوافع التى دفعتنى إلى أن اقترح على المؤتمر جعل شخصية معنوية للأزهر الشريف ، فيوجه المؤتمر فى الدورات القادمة الدعوة إلى الأزهر ليكون له وفد فى هذه الدورات يشارك فى بحوثها ويسهم فى حسن الجمع بين رحاب الدين ورحاب الأدب ... وقد أبنت أن الأزهر الشريف بعمره الطويل الذى زاد على ألف عام قد حفظ التراث العربى والتراث الأدبى بجوار حفظه للتراث الدينى ، وكان الأزهر خلال هذا العمر المديد حصنا حصينا لعلوم العربية ومواريثها الأدبية ، وما زال الأزهر ينهض برسالته حتى اليوم ...

ولاحظت أن مستوى الحفاظ على اللغة العربية السليمة وعلى قواعدها الأصيلة يوحى بإهمال عدد كبير من الأدباء ، فهم فى بحوثهم وإلقائهم لا يعنون العناية الواجبة بسلامة العبارة ولا بجودة الأسلوب ، ولا بالضبط اللغوى أو الصرفى للألفاظ ، ولا بمراعاة النحو فى الكلام ، وقد تأذت النفوس والآذان بما سمعته أحيانا كثيرة من لحن وخطأ وتحريف ؛ وكان هذا داعيا إلى أن أتقدم باقتراح ظاهره الدعابة وباطنه الجد ، وهو أن يقف المؤتمر جلسته دقائق حدادا على المرحوم « سيبويه » حتى تهدأ عظامه فى قبره !! . . .

إن اللغة من أقوى الدعائم فى ميدان الأدب وميدان القومية وميدان الوحدة ، فالواجب علينا أن نعطيها حقها من الرعاية والعناية ، وإذا كان هذا واجب الأمة العربية كلها ، فإنه على الأدباء أوجب ولهم ألزم ؛ لأنهم ألسنة هذه الأمة ، وهم الذين يترجمون أفكارها وعواطفها بالكلمة والتبيان . والأدب فكرة وصورة ، وكلما كانت الفكرة جليلة احتاجت إلى عبارة سليمة وكريمة ، فلا تنسوا واجب اللغة والنحو أيها الأدباء !! . . .

ومن الأمور الشكلية التى كانت فى المؤتمر أن كثيراً من المتحدثين كانوا يبدءون حديثهم بقولهم : « تحية أدبية » أو « تحية الأدب » أو « تحية عربية » أو « تحية العروبة » ؛ وكنا نتساءل : وما تحية الأدب ! وما تحية العروبة ؟ . . . ألا يصح أن نتفق عليها حتى نرددها بدل الاقتصار بعبارة مبهمة كهذه ؟ . . . وما المانع من أن تكون تحية الأدب والعروبة هى تحية الإسلام وتحية العرب المؤمنين وتحية الإنسانية الفاضلة كلها ، وهى تحية : « السلام عليكم ورحمة الله » ؟ .

إننا لا نريد أن تظل تلك الفجوة المصطنعة بين القومية العربية والإسلام ، وليس واجبنا أن نبحث عن وجوه التمايز بينهما ، إن كان هناك وجوه اختلاف ، بل واجبنا أن نؤكد أسباب الاتفاق والوفاق والاتساق بين القومية والعقيدة ، لأن القومية تكسب بهذا قوة واعتزازا ، ولأن العقيدة تكسب بهذا تمكنا من نفوس العرب المؤمنين .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

أضـــواء

* * *

طريق السؤدد

بدراسة القرآن الكريم ، وما يتصل به من مصادر الرسالة الإسلامية ، وإعداد الأزهر لذلك على الوجه الأكمل ، نصل إلى الخير ، وإلى السعادة ، وتتعد الجمهورية العربية المتحدة قمة المجد .

الأستاذ الأكبر الشيخ

محمود شلتوت

* * *

أتباع ديوى

إن أتباع ديوى يعيشون على أرض هـذا الوطن غرباء ، وآن لهم أن يدركوا مقومات هذا الوطن العزيز ، وتوجيه هذه الثورة البناءة ، إن هم أرادوا تنظيم التوجيه ، وإيجاد وعى سليم عن طريق التربية .

الدكتور محمد البهى

* * *

اتحاد العرب والمسلمين

كل ما قصد إلى توهين اتحادنا (نحن العرب والمسلمين) ، وبث روح الفرقة والعصبية ، والشعوبية الجاهلية بيننا ، لا يخدم إلا أهداف العدو ، ولا يورثنا إلا الضعف .

الدكتور محمد محمد حسين

الأدب والعلوم

وقف تدريس الكتب
التي تتضمن مساسا بالقومية العربية

قال الأستاذ أحمد حلمي المدير المساعد للتعليم الأجنبي: إن ٦٤ مدرسة أجنبية في الإسكندرية تضم ٢٤ ألف طالب وطالبة، تقدمت بإقرارات تتضمن عدم تدريس أي كتاب فيه مساس بالروح القومية العربية، كما تم جمع الكتب المخالفة لهذا الشعور وأعدمت.

مؤسسة للثقافة العمالية

أعلن السيد وزير الشئون الاجتماعية التنفيذي بالإقليم المصري، في مؤتمر اتحاد العمال، أنه سينظر بعين الاعتبار، إلى المشروع الخاص بإقامة مؤسسة للثقافة العمالية.

مدرسة لتدريس اللغة العربية بفينا

قررت حكومة الجمهورية العربية المتحدة، منح إعانة مالية لإحدى الجمعيات بالنمسا؛ لبناء مدرسة لتدريس اللغة العربية بفينا.

دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا

يقوم مجلس الفنون والآداب بإعداد دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا.

إنتاج المياه الثقيلة

أتم أحد الخبراء الألمان بتكليف من حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وضع مشروع لإنتاج المياه الثقيلة، والمعروف أن هذه المياه تستخدم في صنع القنابل الذرية.

تعمير الصحارى

تكونت لجنة بوزارة حربية الجمهورية العربية المتحدة، لدراسة تعمير الصحارى، وطلبت من سفارتي الجمهورية في موسكو وواشنطن موافاتها بالمطبوعات والنشرات الخاصة بتعمير الصحارى.

زراعة الأشجار الخشبية

قرر المسئولون بالإقليم المصري، تعميم زراعة الأشجار الخشبية على جوانب الطرق الرئيسية، للإكثار من خشب الأثاث والمصنوعات الأخرى.

التخطيط العلمي للجامعات

تقرر تشكيل ٤٥٠ لجنة للتخطيط العلمي لجامعات الجمهورية العربية المتحدة.

٣٠٠٠ مدرسة ابتدائية

تنشئها الدولة فى ٢٠ عاما

تعد الوزارة المركزية للتربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة، مشروعا بما تحتاج إليه المبانى المدرسية فى المرحلة الابتدائية، فى السنوات العشرين القادمة على أساس بناء ١٥٠ مدرسة كل عام، منها ٥٠ مدرسة بدل مدارس قائمة قديمة، و ١٠٠ مدرسة جديدة.

نفقات الطلبة اليمنيين

تعتبر معونة ثقافية

تقرر اعتبار نفقات الطلبة اليمنيين بالكليات والمعاهد والمدارس العسكرية، فى الجمهورية العربية المتحدة بالإقليم الجنوبى معونة ثقافية.

إعفاء طلبة جزائريين

من رسوم الدراسة

أعفت حكومة الجمهورية العربية المتحدة، تسعة طلاب جزائريين ملحقين بكلية البوليس من الرسوم طوال سنى الدراسة.

أول قرية

يعاد تخطيطها بالإقليم المصرى

قامت إدارة تخطيط القرى فى وزارة الشئون البلدية والقروية بالإقليم المصرى، بإعداد مشروع تخطيط القرى، وستكون قرية «بنى هلال» بمديرية الشرقية القرية الأولى التى تطبق عليها دراسات هذا المشروع.

الكون كتاب ...

والقرآن كتاب

جاء فى حديث نشر لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر: أن على الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن، أو تفسيره، أو احتوائه على مظاهر الكون، فالكون كتاب ... والقرآن كتاب. والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون، وتقصى سنن الله فيه، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك، فلا تحملوها أكثر مما حملها الله.

جامعة حرة بالإقليم المصرى

تقرر إنشاء جامعة حرة فى الإقليم المصرى، وستدعى الشركات والمؤسسات الكبرى للمساهمة فى تكاليف هذه الجامعة الجديدة، التى ستحل مشكلات القبول، واغتراب الطلبة فى الخارج، كما توفر النقد الأجنبى، فضلا عن أنها ستضع الطلاب تحت رقابة أسرهم.

التدخين

يسبب ضعف النظر

أعلن الدكتور «جيمس دوجارت» الجراح البريطانى، أن التدخين يسبب ضعف النظر، وأن معظم المصابين بالعمى الجزئى، هم من مدمنى التدخين.

أنباء العالم الإسلامي

عيد الوحدة

احتفل إقليما الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٣ رجب ١٣٧٨ الموافق أول فبراير الحالى بعيد الوحدة الأول ، وشاركهما فى هذه الفرحة وهذا العيد شعوب العرب فى كل مكان .

ويذكرنا هذا العيد بالتصميم الصادق ، الذى بعث هذه الجمهورية الفتية إلى الوجود ، ففاجأ بها أبناؤها خصوم الوحدة من مستعمرين وانفصاليين ورجعيين، هذا التصميم الذى رعى ولا يزال يرعى جمهوريتنا ، ويدعم بنيانها ويؤكد سلامتها ، ويحقق لها النجاح تلو النجاح فى كل خطوة تخطوها وفى كل إصلاح تقدم عليه .

وقد بثت هذه الوحدة الإحساس فى نفس كل عربى بالقوة الذاتية وبالقدرة على إزالة كل أدران الماضى ومخلفاته .

وبعثت الثقة بأن وطن العرب لهم ، وثرواتهم من حقهم ، وبأن تلاعب النفوذ الأجنبى بأقدارهم أصبح أو يكاد يصبح خرافة عفا عليها الزمان . ولهذا لم يقتصر الاحتفال بقيام الوحدة على أبناء الجمهورية العربية وحدهم ، بل شاركتهم هذه الفرحة أجزاء أخرى من الوطن العربى ، وابتهجت معهم بهذه الذكرى ، وتعالى دعاؤها مع دعائهم بأن يصون الله تعالى الجمهورية العربية المتحدة ، لأنها سند القومية العربية وصنو التحرر والعزة فى الوطن العربى الكبير .

بعثة لبنانية

لتهنئة الرئيس بعيد الوحدة

قررت الحكومة اللبنانية إيفاد بعثة رسمية برياسة السيد رشيد كرامى رئيس الوزراء ؛ لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر بعيد الوحدة ، وستضم البعثة السيد بيير الجميل وزير الأشغال ورئيس حزب الكتائب ، وبعض الشخصيات اللبنانية .

مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا

افتتح صباح يوم الاثنين ٢٤ رجب ١٣٧٨ (٢ فبراير ١٩٥٩) مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، المنبثق عن مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية والإفريقية فى العام الماضى .

فمنذ الصباح الباكر أخذت وفود ٣٦ دولة من شباب القارتين ، طريقها إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، حيث مكان الاجتماع ، فاستقبلها شباب الجمهورية العربية المتحدة : « بإقليميها » ، بالهتاف

والتصفيق ، وعزف الموسيقات ، وإطلاق الحمام الذى يرمز إلى السلام . والمؤتمر فى ذاته تعبير مجسم عن وحـــدة الكفاح ، التى جمعت الشعوب الآسيوية والإفريقية ، التى قاست الاستعمار . وعاشت لتقاوم ما خلفه من تأخر وانحلال ، ومن تعصب وتفرقة ، ومن ضعف وجهل . وهذه الشعوب على اختلاف أجناسها ، وتباين نظم حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية ، قد اجتمعت على نصرة الحرية ، واحترام الحق ، وإقرار السلام . ومثلها فى هذا المؤتمر شبابها ، لأن الشباب هم قوة الشعوب ، وهم الذين سيقررون المستقبل لها وللإنسانية كلها ؛ ومن هنا كانت صيحة التضامن الآسيوى الإفريقى ، صيحة إنسانية ضخمة ، أفزعت أعداء الحرية ، وأثلجت صدور محبيها .

وقد لوحظ لأبناء الأزهر ، فى احتفالات المؤتمر مع إخوانهم طلبة جامعات الجمهورية العربية المتحدة نشاط حيوى مبارك ، كان له أثره فى إنجاح المؤتمر ، وإدخال السرور على نفوس ضيوفهم من شباب الشعوب الآسيوية والإفريقية الصديقة .

برقية الرئيس إلى مؤتمر الشباب

بعث الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية ، إلى مؤتمر الشباب حيث تليت ، وهذا نصها : إلى إخوانى من شباب آسيا وإفريقيا : فى اجتماعكم الأول ، الذى يضم زهرة شباب آسيا وإفريقيا وأملها المنشود ، أبعث إليكم بأخلص تحياتى ، متمنياً لكم النجاح فى تحقيق الأهداف السامية التى اجتمعتم من أجلها ، وفى توطيد دعائم التضامن بين شعوبكم ، وتقوية أواصر المحبة والإخاء والتعاون فى سبيل تحقيق الرخاء لشعوبنا ، والحرية للشعوب كلها ، والسلام للعالم أجمع .

الرئيس جمال عبد الناصر

يخطب فى مهرجان الشباب العربى

فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم الأول لمؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، ألقى الرئيس جمال عبد الناصر - فى مهرجهان الشباب العربى ، الذى أقيم بالنادى الأهلى ، بمناسبة افتتاح المؤتمر - خطابا سياسيا جامعا ، استمع له السادة الوزراء والسفراء وغيرهم من كبار الدولة ، وشباب المؤتمر الآسيوى الإفريقى ، وعدد ضخم من أبناء الجمهورية العربية المتحدة باقليميها . وقدر عدد الحاضرين بما يقرب من مائة ألف شخص ، غصت بهم مدرجات النادى الأهلى ، والسرادقات الواسعة ، التى أعدت فى الأماكن الخالية من ملاعب النادى . وحيا الرئيس فى خطابه العظيم ، شباب آسيا وإفريقيا ، وأكد أن مؤتمرهم

تثبيت لمبادئ مؤتمر باندونج عن تقرير المصير والحرية والمساواة والتضامن .

وقال : إن الاتحاد هو سلاح الأمة العربية ضد الاستعمار والسيطرة والتحكم والاستغلال ، كما أعلن سيادته أن الجمهورية العربية المتحدة ، هدفها توحيد الأمة العربية كلها ، ونصرة الشعوب المغلوبة على أمرها . وعلى أثر انتهاء الرئيس من خطابه الرائع ، تعالت الهتافات بحياة الرئيس جمال عبد الناصر : رجل السلام ، وزعيم الحياد الإيجابى ، وبطل الوحدة .

إذاعة خاصة بالجامعة العربية

استعان مؤتمر الأنباء العربى ، بالإدارة الهندسية بإذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، لوضع مشروع جهاز للاستقبال والإرسال اللاسلكى ، خاص بالجامعة العربية .

تركيا والجامعة العربية

اعتذرت الجامعة العربية من عدم تحقيق رغبة إحدى شركات البترول التركية ، فى الاشتراك فى المؤتمر الأول للبترول العربى . وصرح السيد محمد سلمان ، المشرف على إدارة البترول فى الجامعة بأن المجلس الاقتصادى العربى ، حدد الدول التى تشترك فى المؤتمر ، وهى الدول العربية ، وأمارات الخليج ، والشركات التى تتعامل معها .

فلسطين بدلا من « إسرائيل »

أوصت اللجنة السياسية التابعة لمؤتمر الشباب الآسيوى الإفريقى ، بإطلاق عبارة « فلسطين المغتصبة » على الجزء المحتل من فلسطين بدلا من إسرائيل .

جيش الجمهورية العربية المتحدة

فخر لكل عربى

زار السيد / إبراهيم شعبان وزير الدفاع الليبى بعض الوحدات العسكرية فى الإقليم الجنوبى ، وصرح سيادته عقب ذلك : بأن هذه الزيارة تركت فى نفسه أثرا عميقاً ، وأطلعته على مدى التقدم العظيم الذى أحرزته القوات المسلحة العربية ، بما يجعل كل عربى يزهو فخرا .

العرب أمة واحدة

أدلى السيد / عبد الرحمن البزاز عميد كلية الحقوق ببغداد ، بشهادته فى محاكمة البطل العربى عبدالسلام عارف ، ومما جاء فيها قوله :

أنا أومن بأن الأمة العربية أمة واحدة ، وأن ما أصبنا به من نكبات فيما مضى ، وما قد نتعرض له فى المستقبل سببه فرقتنا ، وأن حق الأمة العربية فى التكتل حق طبيعى وأساسى ، وأنا أدعو إلى ذلك .

عبد الناصر

أقوى من الأساطيل والجيوش

فى محاضرة ألقاها النائب اللبنانى ، أميل

البستانى ، فى جامعة اكسفورد ، فى معرض الحديث عن الرئيس جمال عبد الناصر قال :

إن الرئيس عبد الناصر هو بطل العرب الوطنى العظيم ، وعلى بريطانيا ألا تعترض إذا اختاره العرب زعيما لهم ؛ فقد أثبت الرئيس جمال عبد الناصر أنه أقوى من الأسطول السادس ، ومن القوات البريطانية.

جيش التحرير الجزائرى

يخترق خط الدفاع الفرنسى

اعترفت القيادة الفرنسية بأن مئات من الجنود الوطنيين الجزائريين ، اخترقوا خط الدفاع الفرنسى المعروف باسم خط موريس المكهرب ، وكان الفرنسيون قد بالغوا فى تحصينه مما جعلهم يعلنون مراراً استحالة اختراقه .

القواعد الأمريكية بليبيا

طلب الرسميون الليبيون من أمريكا ، فتح باب المفاوضة لتعديل اتفاقية عام ١٩٥٤ الخاصة بالقواعد الأمريكية والمعونة المالية التى تقدمها أمريكا لليبيا .

موافقة روسيا على اتفاقية

السد العالى

وافقت الهيئة النيابية العليا فى روسيا على اتفاقية بناء المرحلة الأولى للسد العالى ، وبمقتضى هذه الاتفاقية ستقدم روسيا للجمهورية العربية المتحدة ، قرضاً يبلغ ٤٠٠ مليون روبل للبدء فى بناء السد .

رفض الشعوب العربية

للأنظمة الاجتماعية

المخالفة لأنظمتها لا يعتبر عملا عدائيا

قال السيد حسين العوينى ، وزير خارجية لبنان فى حديث له : إن لكل أمة خصائصها ، ولا يحق لأى أمة أن تخضع أمة أخرى لمبادئ ابتكرتها، ولا أن تتدخل فى شئونها .

وإذا كان التعاون بين شعبنا العربى والشعوب الأخرى مفروض لخير الجميع ؛ فإن رفضنا مبادئ أو تقاليد دولة ما - مما لا يتفق مع مبادئنا وتقاليدنا - لا يعتبر عملا عدائيا تجاه هذه الدولة .

أندونيسيا

تؤمم المؤسسات الهولندية

قررت الحكومة الأندونيسية تأميم جميع المؤسسات الهولندية ، وعددها ٣٨٧ مؤسسة زراعية تشمل مزارع التبغ والمطاط والسكر .

بعثات باكستانية للأزهر

أبدى السيد سفير باكستان فى القاهرة للمسئولين بالأزهر ، رغبة حكومته فى إفساح المجال لبعثات باكستانية قادمة إلى الأزهر .

الفهرس

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء التاسع ـ القاهرة في شهر رمضان سنة ١٣٧٨ ـ مارس سنة ١٩٥٩ ـ المجلد الثلاثون

فهرس

الأزهر كدين الله ولغة العرب لا يتخلف

بقلم أحمد حسن الزيات

لقيني منذ أيام في طريقي إلى إدارة الأزهر أستاذ جامعي يعرفه الناس بعداوته للثقافة الإسلامية، وكراهته للآداب العربية، فقال لي وهو يقلص شفتيه عن ابتسامة ذات معنى: ماذا عسى أن تصنع لمجلة الأزهر وهي إن كانت لسانا لحاله فلا بد أن تكون مرآة لجموده وصورة لتخلفه؟ وما دامت الثقافة الغربية قد نسخت الثقافة الشرقية، واللغة العامية قد هزمت اللغة الفصحى، فإن الأزهر وهو مدين بوجوده وبقائه للدين واللغة لم يعد إلا طللا من الأطلال وأثراً من الآثار، والطلل يوقف عليه للذكرى، والأثر يحتفظ به للتاريخ؟

فقلت له وأنا أجزيه على ابتسامة غاضبة بابتسامة عاتبة: إن رأيك في ثقافة الإسلام وحضارة العرب ورسالة الأزهر قد يكون رأى الكثرة ممن فتنت قلوبهم واقعية الفكر في أوربا، وسحرت عيونهم مادية العلم في أمريكا فلووا رءوسهم عن رسالة الله الخالدة التي تجدد فيها كل دين، وتكمل بها كل شرع، فلم يدركوا منها إلا ما يدرك الأرمد من ضوء النهار!

ولكنك من دون هؤلاء لم تؤتَ من قبل الجهل لأنك عالم، ولا من قبل الإلحاد لأنك مؤمن، وإنما أتيت من قبل التمرد الطاغي على القديم لقدمه لا لفساده، ومن تعصبك العنيد للجديد لجدته لا لصلاحه!

إنك مصاب بالألرجيا للأزهر، لأنه ما دام، دام التراث الغالي وتمثل الماضي المجيد، والألرجيا مرض لا يزال مجهول السبب فلا طب له ولا حيلة فيه. وإذن يكون جوابي عما سألت رداً لا يقطع اللسان، ومناقشتي إياك فيما قلت جدلا لا يقنع المكابر. وإنك لتعلم عن طريق اعتقادك بالقرآن وعلمك بالتاريخ، أن الدين قوام الجماعة الإسلامية، وأن اللغة نظام القومية العربية، وأن رعاية الدين وحماية اللغة هما رسالة الأزهر. وما دام الإسلام يتجدد بحكم طبيعته على الزمن، واللغة تتسع بفضل مرونتها على الحضارة، فإن الأزهر لا بد أن يتجدد مع الدين ويتسع مع اللغة وإن لم يفعل فما بلغ رسالته.

ولعلك لا تنسى أن الأزهر منذ اضمحلت الخلافة، واستعجمت الثقافة، فخشع السلطان واختلف اللسان وكاد يرفع القرآن، كان وحده هو المنار الذي أضاء الطريق، والحصن الذي حفظ التراث، والمنتجع الذي أوى إليه طلاب

الفقه والعلم من جميع أقطار الأرض ، فوجدوا فى كنفه العيش والأمن والكتاب والقلم ، ثم صدروا عنه صدور الشعاع عن الشمس ، يحملون نور الله إلى كل قلب ، وحرارة الإيمان إلى كل نفس ، وكان منهم الزعماء فى كل نهضة ، والقادة فى كل ثورة .

كان الأزهر منذ زحف الاستعمار إلى الشرق طليعة الجهاد القومى فى ميادينه المختلفة ، فلم يتخلف أبداً عن مكانه من الصف الأول .

كان ينبه الوعى الغافى ، ويجمع الرأى الشتيت ، ويصل ما تقطع من الأسباب بين ديار الإسلام وأقطار العروبه .

وما أحسبك تجهل أن العرب حاولوا الوحدة مرتين فى تاريخهم الطويل : مرة فى القرن السادس بعد أن فرقتهم العصبية الجاهلية فنالوها بالإسلام ، ومرة فى القرن العشرين بعد أن مزقتهم النعرة التركية فأوشكوا أن ينالوها بالأدب . والدين والأدب يملكهما الأزهر جميعا لأنه وريث النبوة وخليفة الدعوة .

تقول : إن الزمن قد استحال وإن العالم قد تغير ، وإن العلم المادى قد انبسط سلطانه على الأرض ، وإن الوسائل التى كانت تغنى بالأمس ، أصبحت لاتغنى اليوم ، وأنا لا أنكر أن سنة الله فى الكون أن يتقدم دائما وأن يترقى أبدا ، ولكنى أنكر ألا يكون للوسائل الروحية من دين وأدب ما كان لها قبلا من الغناء فى جمع القلوب والشعوب على المحبة والتعاون ؛ فإن نور الدين الذى يضىء البصيرة ، كنور الشمس الذى يضىء البصر ، لايغير من طبعه تطور الزمن ولا اختلاف الناس ، وكلما تشعبت الأمور وتفرقت السبل واستبهمت المسالك افتقد الركب النور الإلهى الذى يهدى إلى سبيل السلام ويرشد إلى طريق الحق .

وهذه النهضة العامة التى تهز الوطن العربى هزا أحوج ما تكون إلى الدين ينفحها بروحه حتى لاتضرى ، وإلى الأدب ينضحها بنداه حتى لاتجف . ونحن العرب لانستطيع أن نفصل بين حضارتنا والدين اتعاظا بالفشل المروع الذى أصيبت به الحضارة المادية الغربية ، وإيمانا بأن لنا رسالة روحية اصطفانا الله لأدائها جيلا بعد جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء والأرض ، ويدوم المدد بين الله والإنسان .

أنا معك فى أن انفلاق الذرة فى الغرب دفع العالم إلى الأمام بسرعة الصاروخ ، وأن انفجار الثورة فى مصر رج النيام فى الشرق رجة الزلزال ، وأن الأزهر لايستطيع أن يواكب ركب الإنسانية الثائر الطائر مالم يركب مركبه ويسرع إسراعه ، ولكن من ذا الذى قال إن السرعة التى تنتقل بها الروح أو الفكرة أبطأ من السرعة التى يصل بها الصوت أو الضوء ؟ إن الأزهر لا بأس عليه ألا يرسل الطائرة وألا يطلق القذيفة ، فإن دعوته وكلمته تنفذان من أقطار السموات

والأرض قبل أن تنفذ منها الطائرة النفاثة والقمر المصنوع .

على أن الأزهر يعتريه مايعترى الكائن الحي من نقص الكمال وضعف القدرة ؛ فقد بلغ فى العصر المملوكى ذروة مجده العلمى وسلطانه القومى ، ثم أدركه فى العصر التركى ما أدرك العرب جميعا من الغفوة التى أشبهت الموت فنام على موروث علمه ومأثور طريقته ، حتى صحا على مدافع نابوليون تقصف أبواب القاهرة ، فبعث فى مصر روح المقاومة وتبوأ منها مكان القيادة .

ورأى الذين زاروا الغرب من أهله أن فى أوربا علما أوسع من علمه ، وتعليما أرقى من تعليمه ، ففكروا فى إصلاحه ليظل مرجع الأمر للمسلمين والعرب . وكان من بين أبنائه النابغين النابهين ثلاثة انفردوا بمحاولة هذا الإصلاح ، ولكنهم منوا جميعا بالعجز عنه لاستبداد (القصر) يومئذ بسياسة الأزهر ، يجريه على هواه وينزله على حكمه ، فقضى محمد عبده بحسرة من بغى عباس ، ومضى المراغى بخيبة من هوى فؤاد ، وخرج عبد المجيد سليم بنزوة من نزق فاروق .

وكان هنالك رجل رابع جمع إلى عنفوان الشباب عنفوان الفكر ، فأدرك بحاسة المصلح الموهوب ما أدركوا من سوء الحال فى الأزهر فاتجه بعقله وقلبه إلى المشاركة فى إصلاحه . اتبع الأول وكان يتحرق أسفا على تعويقه عن مقصده ، وأيد الثانى وكان يضيق ذرعا بطول تردده ، وعاون الثالث وكان يرتمض أسى على كف يده .

وكان هو وثلاثة من إخوان الرأى يجتمعون فى دار (الرسالة) فيتشاكون ما حاق بالأزهر من ركود ريحه وانحسار ظله . ويشفقون على ينبوع الثقافة الإسلامية أن يصد تياره ما ارتكم فى مجراه من الحطام البالى والغثاء الدخيل .

وكانوا كسائر طلاب الإصلاح يرصدون الأفق الغائم ليرقبوا القائد المنتظر الذى يبعث الحياة فيه ويدرأ الفساد عنه . وكان هذا الرجل قد تفرد بدعوة الإصلاح الأزهرى بعد فشل دعاته من قبله ، فرسم الخطط، وسن المناهج ، وكتب الرسائل ، وحبر المقالات ، وقدم التقريرات ؛ ثم جعل للإسلام النقى الواضح قولا فى كل مسألة ، ورأيا فى كل معضلة ، وتوجيها فى كل قصد ، تارة بلسانه فى الإذاعة ، وأخرى بقلمه فى الصحف .

ذلك الرجل الرابع هو الشيخ محمود شلتوت الذى اختارته (ثورة الإصلاح العام) شيخاً للأزهر ليدفع به إلى مكانه الخالى من صف القيادة العامة .

وتلك مشيئة الله يا أستاذ ليدوم نور الهدى مشرقا من هذه المنارة ، ويظل دين الله روحاً لهذه الحضارة .

أحمد حسن الزيات

لغة التعبير: اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

يقال عن الشاعر البليغ إنه هو الشاعر الذى نعرفه من كلامه ، وإن لم يقصد إلى تعريفنا بسيرته وترجمة حياته ، لأنه يصف لنا شعوره بما حوله من الأحياء وسائر الأشياء ، ومتى عرفنا من كلامه ما يحب وما يكره وما يرتضيه وما ينكره ، وما يحرك طبعه وفكره أو يمر بهما فى غير اكتراث ، فقد بدت لنا حقيقة جلية سافرة ، وكان لسان الحال فيها ، بحق ، أصدق من لسان المقال .

واللغة على عمومها أولى أن يقال فيها هذا الذى يقال عن الشاعر البليغ ، لأن اللغة هى قوام التعبير الناطق بين جميع المتكلمين بها ، فإن لم تعرف منها حقائق أحوالهم فما هى بأداة وافية بوسائل التعريف .

فليس من الغلو فى وصف اللغة المعبرة أن يقال إنك تضع معجمها بين يديك فكأنما قد وضعت أمامك قواعد تاريخها ومعالم بيئتها ، ولم تدع لمراجع التاريخ والجغرافية غير تفصيلات الأسماء والأيام .

واللغة العربية فى طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقية أو الغربية ، فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربى من مادة ألفاظه ومفرداته فى أسلوب الواقع وأسلوب المجاز .

ونبدأ بالمجتمع نفسه فنعلم أن المجتمع العربى فى قوامه الأصيل إنما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وأن الكلمات التى تدل على معنى الجماعة فى لسان العرب قلما تخلو من الإشارة إلى الرحلة والرعاية .

فالأمة هى الجماعة التى تؤم مكانا واحداً أو تأتم بقيادة واحدة .

والشعب هو الجماعة التى تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ، والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا . والقبيلة هى الجماعة التى تسير إلى قبلة مشتركة ، والفصيلة هى الجماعة التى تنفصل معا ، والفرقة هى الجماعة التى تفارق فى مسلك واحد ، والفئة هى الجماعة التى تفىء إلى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون فى مجال واحد ، والبيئة هى الموطن الذى يبوء إليه أصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم من ينفرون معا للقتال أو لغيره ، والقوم فى جملتهم هم الذين « يقومون » قومة واحدة للقتال خاصة ، ولهذا أطلقت أولا على الرجال ثم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا

قوله تعالى « ولا نساء من نساء » بعد قوله : « لايسخرقوم من قوم » . . . ومنه قول زهير :

وما أدرى ولست أخال أدرى

أقوم آل حصن أم نساء

وإذا لاحظنا هنا المعنى فى دلالة أسماء الأمكنة فهى دلالة مطردة على هذا المثال فى أكثر البقاع التى تسكن أو يرحل منها وإليها . .

فالمنزل حيث ينزل الإنسان ، والبيت حيث يبيت بالليل ، وكذلك الموقع والمرجع والمأوى . وكذلك المسافة بين مكان ومكان إنما هى الموضع الذى يساف ترابه للاهتداء إلى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بمادته على عيشة « المشاع » فى البادية الأولى ، فيطلق اسم « القصر » على المكان الذى يبنى مقصوراً على بانيه ، خلافا للبيوت والخيام التى تقام فى كل مكان .

واسم المكان قبل كل شىء مامعناه ؟ معناه من « التمكن » خلافا للنقلة والمتنقل بغير استقرار .

ويلاحظ هذا أيضاً فى الكلمات التى تدل على العشير أو على الرابطة الاجتماعيـــة بين الآحاد .

فالصاحب هو من يمشى معك فى السفر ، وكذلك الرفيق الذى يؤخذ مع الطريق وقبل الطريق ، وكذلك الزميل من صحبته الزاملة ، والقريب الذى يقترب من منزلك ، وتناسبه كلمة « العدو » للخصم الذى يعدوك أو يعدو على جوارك .

ونتتبع هذا المعنى ، أو نتقراه ، فى المعانى المجازية ، فنقول المذهب للطريقة الفكرية كما نقول المنهج والمشرب والنحو والمصدر والمورد والمقام والمقامة ، ونطلق السيرة على الترجمة وهى من سار يسير ، ونطلق القصة على الحكاية وهى من قص الأثر ، ونطلق الأثر على المخلفات وهى من بقايا المواطىء والأقدام .

وقد قلنا : نتتبع ، ونتقرى ، وقلنا المجاز وكلها مما لوحظت فيه هذه الدلالة فى أصولها .

فالتتبع من السير وراء الراحل ، والتقرى من البحث عنه حيث كان مقره ، والمجاز من العبور . وماالتعبير نفسه فى أصوله؟ هوالعبور .

ولابد من مناسبة قريبة أو بعيدة تنتهى إلى هذه الدلالة فى الألفاظ المعبرة عن الجماعات والأمكنة .

فنحن نقول « الجيش » من جيشان الحركة فى الأمكنة المتعددة أو المكان الواحد .

ونقول الجند ، والراجح أن الأصل فيه يرجع إلى « الجند » وهى الأرض الغليظة التى لايسهل طروقها ، كأنهم استعاروه لمناعة المكان الذى يحميه المقاتلون المسلحون أو المستعدون للقتال .

ونعتقد أن النظر إلى ألفاظ اللغة من هذه الناحية متمم لكل دراسة من دراساتها ، سواء منها مايراد للتاريخ أو لتحقيق أصالة الكلمات أو لتقرير قواعد « البلاغة » ... وهي كذلك من التبليغ أو البلوغ إلى المكان .

فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات ، فلم نعلم في ظاهر الأمر أهي من ألفاظ العرب الأصيلة أم من الدخيل عليها ، فلدينا هذا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة ونردها إلى حياة العرب ، وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة ، فلا يطول بنا العناء في الرجوع بها إلى أصل معقول نطمئن اليه .

قيل - مثلا - إن كلمة « القلم » مأخوذة من « كلموس » اليونانية وعز الاستناد في هذا القول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق غير مجرد الظن القائم على التشابه في مخارج اللفظين ، وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين .

ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم أو التقليم من القلامة في اللغة العربية ، فنرى أنها أصيلة في هذه اللغة بهذا المعنى ، وتتقصى المادة فنعلم أنها لا تنقل بجملتها من لغة إلى لغة .

فمادة القاف والميم وما يتوسطهما مطردة في الدلالة على الشق والقطع ، ومنها قحم وقرم وقسم وقصم وقضم وقطم وقلم وهي آخرها في ترتيب الأبجدية .

ونعود إلى الشيء الذي « يقلم » فنعلم أن القناة والقصبة والريشة مما يقلمه العرب ويتخذون منه القلامات ، فيحق لنا أن نفهم أننا بصدد هذه الكلمة أمام لفظ أصيل في لغة العرب ، لاينقلونه من لفظ آخر في لغة أجنبية .

وأذكر أن طبيباً فاضلا لقيني في الإسكندرية فأخذ على بعض ما كتبت يومئذ عن القانون ، أن كلمة « القانون » دخيلة في العربية وأن « الشريعة » أحق منها بالاستعمال في كتابتنا ما دامت نظائرها ميسورة لدينا .

قلت للطبيب الفاضل : إن الكلمة من بضاعتنا التي ردت إلينا ، وأن القانون اليونانية ليست هي إلا القناة بصيغة التصغير عندهم ؛ لأن الغالب في لغتهم على معنى القانون أنه مستعار من القصبة التي توضع بها الحدود وتقاس بها المواقع ، وهم يطلقون في اللغات الغربية كلمة رولر Ruler على المسطرة التي ترسم الخطوط والحدود وعلى الحاكم الذي يقيم الأحكام ، ونحن في الشرق نستخدم القصبة للقياس والفصل بين المواقع ، وتسمى عاصمة الحكم « قصبة » في بعض اللهجات .

فالقانون Canon تصغير للقناة Cane لأن القناة الصغيرة هي التي تستخدم عندهم استخدام المسطرة لوضع الحدود والفصل بين الرسوم ، وإذا رجعنا إلى القناة أمكن أن نقول إن القانون هو « قناتنا » قد رجعت إلينا بعد أن صيغت عندهم في صيغة التصغير ، ولسنا نجزم بأن كلمة Cane مأخوذة من العربية بغير

خلاف ، ولكننا نجزم بأن « القناة » كلمة لم يأخذها العرب من اليونان ، لأن الأقنية من النخل ومن عيدان الشجر ومن مسايل الماء ومن أسنة الرماح أصول عريقة فى حياة العرب لا تستعار .

* * *

وإن من أنفع ما تنفعنا به هذه المقارنة أن نعول عليها حين تتشابه الكلمات باللفظ ، أو تتقارب بالمخارج بين لغتين أو لغات عدة . فإن لم نستطع أن نعرف أيها السابق إلى وضع الكلمة فلعلنا مستطيعون أن نعرف أنها أصيلة أو مستعارة فى لغتها بالمقابلة بين تعبيراتها وأحوال معيشتها .

وقد كان زميلنا العالم المجتهد الأستاذ عبد القادر المغربى ، يرى أن كلمة المرج فى العربية مأخوذة من كلمة « المرغ » الفارسية ، فكان مما يشككنا فى هذا الظن أن مادة « مرج » و « مرغ » و « مرت » فى اللغة العربية متقاربة فى مدلولها وأنها على صلة بالمرع وبالمرعى على قدم الحاجة إلى المرعى فى بلاد العرب ، فإن لم نستطع أن نجزم باستعارة الفرس كلمتهم « المرغ » من العرب ففى وسعنا أن نجزم بأن العرب أصلاء فى كلماتهم غير مستعيرين .

وهناك كلمات تتشابه فى مخارجها بين أبعد اللغات ، لأنها قد نشأت من الحكاية الصوتية التى تتمثل الأصوات كما تقع فى الآذان ، وقد نفهم من تكرر المادة فى أمثال هذه الألفاظ أنها نشأت فى اللغة ، ولم تنقل إليها بعد تداولها فى لغة أخرى .

ففى الانجليزية يدل لفظ « كت » على القطع كما يدل عليه لفظ « كسيه » باللغة الفرنسية ، والمشابهة بين اللفظين وبين « القط » بهذا المعنى فى اللغة العربية ظاهرة للسماع . ولكن القاف والطاء وما يثلثهما فى لغتنا شائعة فى الدلالة على القطع بأنواعه ، ومنها قطب وقطر وقطف وقطم ، ويلحق بهذه الملاحظة أن القاف والتاء والقاف والدال والقاف والصاد تؤدى معنى قريبا من هذا المعنى ، فلا وجه للقول بالاستعارة فى أمثال هذه الألفاظ .

* * *

ومن الجائز أن يمتد القياس إلى أغراض أخرى فى المقارنة بين الكلمات واللغات تحريا لأصولها ، أو للعلاقة بين معانيها ومعيشة أبنائها ، ولكن البحث على هذا المثال ضرورة لا محيد عنها فى اللغات التعبيرية واللغة العربية فى مقدمتها ؛ فإنه بحث يجمع بين أغراض التاريخ وأغراض البيان وأغراض الدراسات النفسية والاجتماعية ، ولا نحسب أن فى اللغة العربية كلمة يطول الخلاف عليها مع الاحتكام بها على هذا النحو إلى أصولها ودواعيها من حياة الناطقين بالضاد ، وأولها كلمات الفصاحة والبلاغة والنحو والصرف والإعراب ؟

عباس محمود العقاد

منهج فقهي سليم في أصول المعاملات الحديثة

للأستاذ محمد محمد المدني

إن الشريعة الإسلامية لها ميادين ثلاثة فى حياة الناس تصول فيها وتجول ، ولها فى كل ميدان من هذه الميادين أسلوب يختلف عن أسلوبها فى غيره .

أما الميادين الثلاثة فهى :

١ — ميدان العقائد .

٢ — وميدان العبادات .

٣ — وميدان المعاملات .

وأما أسلوبها فى كل ميدان من هذه الميادين فهو على الترتيب :

١ — أسلوب المخبر الواصف .

٢ — وأسلوب المنشىء المجدد .

٣ — وأسلوب الناقد المهذب .

* * *

بيان ذلك :

١ — أن العقائد التى يفرض علينا الدين أن نؤمن بها ما هى إلا حقائق ثابتة فى نفسها لها وجود واقعى، وهى تفترق فى هذا عن المبادىء والأحكام التى هى من قبيل الإنشاء والتى تشرع للناس بعد أن لم تكن، وتتغير أحيانا بتغير الزمان والمكان، وتقبل النسخ فى عهد الرسالة .

وإذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بالعبارة الفنية عند علماء الأصول قلنا : إن العقائد من باب الأخبار ، والأخبار لا تقبل النسخ ؛ لأن النسخ هو الإزالة والتغيير ، والواقع يخبر عنه أو يوصف ، ولكنه لا يغير ولا يرفع .

فالألوهية وصفاتها حقائق ثابتة ، والرسالة والوحى والكتب السماوية حقائق ثابتة ، والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب حقائق ثابتة، والجنة والنار والنعيم والعذاب ، كل ذلك حقائق ثابتة، ليس للدين فيها دور يقوم به إلا دور الكشف عنها ، والاستدلال عليها، والإقناع بها ، فلا هو بالذى أنشأها ، ولا هو بالذى يبدلها أو يزيلها وينسخها .

ومن هنا قالوا :

- إن العقائد لا تقبل النسخ
- ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان .
- ولا يسوغ أن تكون محل اجتهاد .

٢ — أما العبادات فهي تختلف عن العقائد في أنها إنشاءات أنشأها الله تعالى، ورسم حدودها، وهيأها على صور خاصة، وطلب من عباده أن يعبدوه بها.

فالصلاة عبادة منشأة مؤلفة من أفعال خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص.

والصيام إمساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات في زمان مخصوص.

والحج مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأمكنتها وأركانها وشروطها.

وهكذا . . .

ومن الواضح أنها ليست كالعقائد أي ليست حقائق واقعية مهمة المشرع أن يكشف عنها، وإنما هي صور ركبها وهيأها ورسمها وأنشأها بعد أن لم تكن، وهذا محض حقه باعتباره هو الإله المعبود، فمن حقه أن يشرع لعباده ما يعبدونه به، وعليهم أن يرجعوا إليه في معرفة ذلك كما وكيفا ومكانا وزمانا.

ولهذا يقول أهل الشريعة في إحدى قواعدهم المشهورة: «لا يعبد الله إلا بما شرع».

فالأصل في العبادات والقرب أنها ممنوعة حتى يرد من الشارع ما يدل على طلبها، ويبين لنا هيآتها ورسومها الخاصة، ولا يجوز لأحد أن يؤلف عبادة من عنده، أو يتصرف في صورة من صور العبادة المشروعة، ثم يعبد الله بذلك، وفي هذا يقول القرآن الكريم ناعيا على المشركين «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله» (١).

وبهذا الأصل أبطلت البدع في الدين والعبادات وما يتصل بها، فكل من أراد القربة فعليه أن يتقرب إلى الله بما شرعه الله، ومن تقرب إليه بما لم يشرعه، ولو كان مظهره طاعة وقربة، فإنه مبتدع متلاعب بالدين.

ومثل ذلك كما لو قال قائل: سأصلي الظهر خمسا بدل أربع، أو أصلي المغرب أربعا بدل ثلاث، أو أجعل الركعة الواحدة ذات ركوعين بدل ركوع واحد، أو أتجه إلى بيت المقدس، أو إلى المدينة بدل اتجاهي إلى الكعبة، أو أصوم شعبان بدل رمضان، أو نحو ذلك، فكل هذا افتئات على الدين، وعلى حق المعبود في أن يرسم طقوس عبادته، ولا يرتضي سواها.

* * *

٣ — وأما موقف المشرع في ميدان المعاملات، فإنه يختلف اختلافا جوهريا عن موقفه في كل من ميدان العقائد، وميدان العبادات:

إن الشريعة ليست هي التي أنشأت للناس صور التبادل والتعاون والتعامل، ولكنها

(١) الآية ٢١ من سورة الشورى.

جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها ، فكان لها موقف منها ، غير موقف الإنشاء والرسم ، وغير موقف الإخبار والوصف ، وذلك الموقف هو موقف الإقرار ، أو التعديل ، أو الإلغاء ، وهو الذى سميناه فى أول هذا البحث « أسلوب الناقد المهذب » .

وهى لا تتدخل فى هذا الميدان إلا بمقدار ماتحمى مثلها ومبادئها التى جاءت بها ، من العدل والتيسير ، والرحمة ، ودفع أسباب التشاحن والبغضاء ، وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة ، والتعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .

إن هذا هو ما حدثنا به تاريخ التشريع الإسلامى عن موقف النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم إلى المدينة ، وكان فيها مجتمع ، وفيها أسواق ، ولها صور معينة فى البيع والشراء والتعامل والتعاون بالمزارعة ، والمساقاة ، والمضاربة ، والسلم ، والقرض ، والرهن ، والهبة ، والعمرى ، وغير ذلك .

فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنشأ ذلك باسم الشريعة ، ولم ينزل الله تعالى فى شىء من ذلك آية أو آيات تضيف إلى ما كان لونا آخر لم يكن .

وإنما كان موقفه موقف الناقد المهذب فقط : هذه المعاملة تحقق مصالح الناس ولا ضرر فيها ؛ فهى مقبولة ، ولا اعتراض عليها . وهذه المعاملة فيها ضرر بين ، أو تؤدى إلى الشحناء والبغضاء ، أو تنافى الفضيلة وما يجب من التعاون على البر والتقوى ؛ فهى غير مقبولة .

وهذه المعاملة ليست خيراً كلها ، وليست شراً كلها ، فإذا استطعنا أن نخلصها إلى الخير أو نتجاوز عن بعض ما فيها من الضرر أو الغرر ملاحظة للصالح العام ، وأخذا بجانب التيسير على الناس وتقدير حاجاتهم ؛ فلا بأس من الترخيص بها ، والنزول على حكم العرف والمجتمع فى قبول التعامل عليها .

هذا كان موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أى موقف الإسلام ، من مجتمع المدينة ووجوه التعامل فيه :

وقد عقد ابن قيم الجوزية فصلا فى كتابه « أعلام الموقعين » ذكر فيه أمثلة من إقراره صلى الله عليه وآله وسلم لأفعال الناس فى المدينة ، كإقراره إياهم على تجاراتهم التى كانوا يتجرونها ، وهى على ثلاثة أنواع : تجارة الضرب فى الأرض ، وتجارة الإدارة ، وتجارة السلم ، وكإقرارهم على صنائعهم المختلفة من تجارة وخياطة وصياغة وفلاحة ، وكإقرارهم على ما يتعاملون به من الدراهم ، وربما كان عليه صور الملوك الذين ضربوها ، ولم يضرب

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا خلفاؤه مدة حياتهم دينارا ولا درهما ، وإنما كانوا يتعاملون بما ضربه غير المسلمين [١] .

وكما أقر النبي صلى الله عليه وسلم بعض المعاملات نهى عن بعض آخر ، فقد صح أنه نهى عن بيع الملامسة ، وعن بيع المنابذة ، وعن بيع الحصاة ، وعن بيع حبل الحبلة ، وعن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها .

وكانت صورة بيع الملامسة أن يلبس الرجل الثوب ولا ينشره ، أو يبتاعه ليلا دون أن يعلم ما فيه .

وسبب تحريمه الجهل بالصفة .

وصورة بيع المنابذة أن ينبذ كل واحد من المتبايعين إلى صاحبه ثوبه على غير تأمل منهما ويقول كل واحد منهما : هذا بهذا .

وصورة بيع الحصاة أن يقول المشترى أى ثوب وقعت عليه الحصاة التى أرمى بها فهو لى ، وقيل أيضا إنهم كانوا يقولون إذا وقعت الحصاة من يدى فقد وجب البيع ، وهذا قمار شبيه بما يحدث الآن فى بعض الأسواق والموالد .

وأما بيع حبل الحبلة ففيه تأويلان : أحدهما أنها كانت بيوعا يؤجلونها إلى أن تنتج الناقة ما فى بطنها ، ثم ينتج ما فى بطنها ، والغرر من جهة الأجل فى هذا بين ، وقيل إنما هو بيع جنين الناقة ، وهذا من باب النهى عن بيع المضامين والملاقيح ، والمضامين هى ما فى بطون الحوامل ، والملاقيح ما فى ظهور الفحول .

فهذه كلها بيوع جاهلية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها [٢] .

وقد يكون النهى فى بعض الأحيان واقعا على سبيل المشورة فلا يعد من باب التحريم ولكن من باب الكراهة .

ومن ذلك ما روى عن زيد بن ثابت قال : كان الناس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبايعون الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، فإذا جذ الناس وحضر تقاضيهم قال المبتاع أصاب الثمر الزمان، أصابه منّ ، أصابه قشام ، ومراض ، لعاهات يذكرونها ، فلما كثرت خصومتهم عند النبى قال كالمشورة يشير بها عليهم . لا تبيعوا الثمار حتى يبدو صلاحها

وبهذا الحديث أيد الكوفيون قولهم بجواز بيع الثمار قبل أن تزهى ، فقالوا إن النهى فيه على طريق المشورة فقط لا على سبيل التحريم والمنع .

وقد ترد السنة بالتعديل والتهذيب

ومن ذلك ما رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن من حديث ابن عباس قال : قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى

[١] أعلام الموقعين ج ٢ ص ٤٣٧ وما بعدها .

[٢] بداية المجتهد لابن رشد ص ١٢١، ١٢٢ ج ٢.

الثمار السنة والسنتين ، فقال « من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ، ووزن معلوم إلى أجل معلوم » .

فالكيل المعلوم ، والوزن المعلوم ، والأجل المعلوم ، هى التعديل الذى عدل به الإسلام هذه المعاملة ، لأنهم كانوا يسلفون فى ثمار نخيل بأعيانها ، فلا يدرى هل تأتى هذه النخيل بالقدر الذى يوفى أو لا تأتى إلا ببعضه ، أو لا تأتى فى العام الأول بشىء أصلا فيؤخر الوفاء لعام قابل ، وفى هذا ما فيه من الغرر المؤدى إلى الاختلاف والمشاحنة .

ومن ذلك حديث ابن عمر فى الصحيحين وغيرهما : « أنهم كانوا يتبايعون الطعام جزافا بأعلى السوق فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعوه حتى يحولوه — وفى رواية « حتى ينقلوه » — وقال : من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه »

* * *

ومن هنا نرى أهل العلم بالشريعة كما وضعوا فى جانب العبادات القاعدة التى ذكرناها ، وهى « لا يعبد الله إلا بما شرع » ، وضعوا فى جانب المعاملات قاعدة أخرى مقابلة لها تقول : « المعاملات طلق حتى يرد المنع » .

وفى هذا وذاك يقول العلامة ابن قيم الجوزية : « الأصل فى العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر ، والأصل فى العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم ، والفرق بينهما أن الله سبحانه لا يعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله ، فإن العبادة حقه على عباده ، وحقه الذى أحقه هو ورضى به وشرعه ، وأما العقود والشروط والمعاملات ، فهى عفو حتى يحرمها ، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هذين الأصلين ، وهو تحريم ما لم يحرمه ، والتقرب إليه بما لم يشرعه ، وهو سبحانه لو سكت عن إباحة ذلك وتحريمه لكان ذلك عفوا لا يجوز الحكم بتحريمه وإبطاله ، فإن الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه ، وما سكت عنه فهو عفو ، فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فإنه لا يجوز القول بتحريمها ، فإنه سكت عنها رحمة منه من غير نسيان وإهمال »[1] .

* * *

وهناك أمر ينبغى ألا يغيب عنا ونحن بصدد موقف الإسلام من المعاملات التى رأى الناس يتعاملون بها ، ذلك هو ما اصطلح الفقهاء والأصوليون على تسميته بالترخيص :

فإنه مع الاعتراف بأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، قد نظر إلى بعض المعاملات نظرة أساسها الرفق بالناس ، وتقدير ما تدعو إليه الحاجة من تسامح وتيسير ، فأباح هذه المعاملات

[1] أعلام الموقعين ص ٣٤ ج ٢ .

مغضيا عما يلابسها من بعض الغبن أو الغرر أو الجهالة ، فإننا نجد الجمهرة الكبرى من علماء المذاهب الإسلامية يقفون أمام هذه المعاملات موقف من يعتبرها استثناء وترخيصا على خلاف القواعد العامة ، ويرتبون على ذلك أن أحكامها خاصة لا تنسحب على غير الصور التى وردت فيها ، ولذلك يكثر فى كلامهم أن يقولوا : هذه رخصة والرخصة يقتصر فيها على ما ورد ، ولا تتعدى موضعها ، ويضعون الشروط والأوصاف للحالة التى ورد فيها الترخيص بعينها حتى لا ينتقل الحكم إلى غيرها.

وهـــذا مسلك فيه من الحرج والتضييق ما لا يتفق وروح التشريع فى المعاملات ، ومظاهر التطـــور الزمنى فى الحـــاجات والضرورات .

وهو بعد عكس للقضية التى شرحناها آنفا من أن المعاملات على الإباحة حتى يرد النهى ، فالشارع لم يستعمل أسلوب النهى العام المطرد فى المعاملات حتى يسوغ لنا إذا رأينا صورة تخرج على هذا العموم أن نعتبرها استثناء وترخيصا ، إنما العموم الأصلى للإباحة ، وما جاء على خلافها إنما هو التعديل والاستثناء ، وإذن فالمنع من بعض الصور هو منع جزئى شخصى لا يسرى إلى غير الصورة أو الصور الممنوعة مهما تعددت ، فكيف يعتبر ما وراء هذه الصورة أو الصور استثناء وهو لم يدخل فى عموم ، وكيف يعتبر ترخيصا أى تخفيفا وإحلالا بعد التحريم والفرض أنه هو القاعدة ، وأن حكم الحل مصاحب له من قبل بمقتضى الإباحة الأصلية ، وبمقتضى القاعدة الآنفة الذكر فى المعاملات ؟ .

إن منطق هذه القاعدة ، وهى كون الأصل فى المعاملات الحل يجعلنا نقول إن الذى حرم هو الذى استثنى من الحل ، ويبقى كل ما وراءه حلالا .

على أننا لو سلمنا أن هناك ترخيصا بالمعنى الذى ذكروه ، أى استثناء لبعض الصور من أصل محرم كما يقولون ، فإن للمشكلة حلا فقهيا آخر هو أن نأخذ برأى من يجيز القياس على الرخص إذا فهم هنالك أسباب أعم من الأشياء التى علقت الرخص بالنص بها .

ويوضح هذا أن المساقاة مثلا جائزة عند الجمهور خلافا لأبى حنيفة ، والذين يجيزونها يعتمدون على حديث أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها ، على أن يعملوها من أموالهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم شطر ثمرها ، وأبو حنيفة يقول إن المساقاة مخالفـــة لأصول ممنوعة ، منها المزابنة ، وبيع ما لم يخلق ، وكراء الأرض ببعض ما يخرج منها وهو المعروف عند الفقهاء بالمخابرة .

قال الجمهور نعم إنها مخالفة للأصول ، ولكنها رخصة ثابتة بهذا الحديث .

ثم اختلفوا فى محل المساقاة ، فالذين يرون أن الرخصة يقتصر فيها على ما ورد قالوا لا تكون المساقاة إلا فى النخل فقط ، لأن المحل الذى ورد فيه الترخيص هو النخل ، والذين يجيزون القياس فى الرخص قالوا : تجوز المساقاة فى كل أصل ثابت من نخل أو كرم أو رمان أو تين أو زيتون أو ما أشبه ذلك ، بل زاد المالكية أنه فى حالة الضرورة تجوز المساقاة حتى فى الأصول غير الثابتة كالمقاثى والبطيخ مع عجز صاحبها عنها ، وفى بيان سبب الخلاف يقول ابن رشد : « فعمدة من قصرها على النخل أنها رخصة فوجب ألا يتعدى بها محلها الذى جاءت به السنة ، وأما مالك فرأى أنها رخصة ينقدح فيها سبب عام فوجب تعدية ذلك إلى الغير » (١) .

وبهذا يتبين أنه قد يقاس على الرخص .

وقد بين الشاطبى فى كتابه الموافقات ذلك حيث ذكر أن الشريعة عامة « وإن فرض فى نصوصها أو معقولها خصوص ما ، فهو راجع إلى عموم ، كالعرايا ، وضرب الدية على العاقلة ، والقراض ، والمساقاة ، والصاع فى المصراة ، وأشباه ذلك ، فإنها راجعة إلى أصول حاجية أو تحسينية أو ما يكملها ، وهى أمور عامة ، فلا خاص فى الظاهر إلا وهو عام فى الحقيقة » .

وقد علق على ذلك شارحه المرحوم الشيخ عبدالله دراز بقوله : « فعموم النهى عن الغرر ، وعدم مسئولية الشخص عن فعل غيره ، وفساد المعاملات المشتملة على الجهالة فى الثمن أو الأجرة مثلا ، يشمل بظاهره هذه المسائل ، ولكن لما كان لها فى الواقع علل معقولة تجعل حكمها مغايرا لحكم العموميات المذكورة ، وقد أخذت حكمها المعقول على خلاف حكم ما يشملها فى الظاهر ، أطلقوا عليها أنها مستثناة ، وقالوا إنها خاصة ، وهى فى الحقيقة قواعد كلية أيضا أثبتت على أصول من مقاصد الشريعة الثلاث » (١) .

وبهذا يتبين أن تسمية الفقهاء لبعض ما أبيح مع اشتماله على ما يقتضى تحريمه « رخصة » إنما هى تسمية ملاحظ فيها مجرد مغايرة حكم الصورة المباحة لمقتضى النهى الشامل لها ، وإلا فهى فى الحقيقة أصل كلى متفق مع روح التشريع فى التيسير ودفع الحرج .

* * *

---

[١] بداية المجتهد لابن رشد ص ٢٠٣ ج ٢ طبعة صبيح .

(١) انظر ص ٧٨ ج ١ من الموافقات وتعليق المرحوم الشيخ عبدالله دراز عليها فى نفس الموضوع .

وثمرة هذا البحث أننا نستطيع أن نرسم على ضوئه منهجا فقهيا فى دراسة المعاملات الحديثة ، يقوم على دعامات ثلاث :

الدعامة الأولى : أن من حق المجتمع الإسلامى أن يبتكر ماشاء من ألوان المعاملات، وأن يجارى النشاط الاقتصادى العالمى بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثة دون تحرج ، وأن الله لم يوجب على الناس أن يلتزموا صوراً خاصة من المعاملات لا يتجاوزونها ، وليست الصور التى يبحثها أهل الفقه والحديث إلا ألوانا من المعاملات يمكن أن يضاف اليها ويحذف منها ويعدل فيها ، فى ظل أصول الشريعة من رعاية المصالح ، وحفظ النفوس والأموال والأخلاق وعدم الحرج والتعسير .

والمسلمون إذا عرفوا ذلك وعملوا بمقتضاه ، يدفعون عن أنفسهم ودينهم تهمة طالما أخلد إليها الأجانب والمغرورون بهم ، فإنهم يقولون : إن الشريعة الإسلامية تمنع المؤمنين بها من مجاراة عالم الاقتصاد الحديث ، وتوجب عليهم أن يظلوا على أساليبهم القديمة فى التجارة وشروط الشركات المعقدة التى ضيق بها الفقهاء على الناس ، وما دام المسلمون يرون هذا دينا واجب الاتباع فسيبقون عاجزين عن مجاراة الأساليب الحديثة ، قابعين وراء أساليب القرون الخالية .

الدعامة الثانية : أن الأصل فى المعاملات الإباحة ، فلا يجوز المسارعة إلى تحريم صورة من صور المعاملات المحدثة حتى يتبين أن الله حرمها .

الدعامة الثالثة : أن اشتمال المعاملة على ناحية من نواحى المنع والتحريم لا يكفى فى القول بتحريمها ، بل لابد من دراسة هذه الناحية ، ودراسة حال الناس فى شأنها ومدى ماتشتمل عليه من منفعة أو مضرة ، فقد يظهر أن منفعتها غالبة على مضرتها ، أو أن مضرتها من النوع الذى يمكن التغاضى عنه تيسيراً على الناس ، فيسلك بها مسلك الترخيص ، أو أنها من المعاملات التى يمكن تهذيبها وتقويم العوج فيها .

* * *

بهذا المنهج نستطيع أن نعيد الشريعة إلى مجال التعامل والاقتصاد بعد أن نحيت عن هذا المجال منذ جمد المتأخرون من أتباع الفقهاء على ما ورثوا دون أن يتابعوا النظر ، أو يحاولوا درس الجديد من ألوان المعاملات .

والله الموفق للصواب ؟

محمد محمد المدنى
أستاذ الشريعة الإسلامية
فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

نفحات القرآن

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة

« يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد إيمانكم كافرين ١٠٠ » وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ١٠١ » يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ١٠٢ » واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٣ » ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ١٠٤ » ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم ١٠٥ » » .

هذه الآيات الكريمة من سورة آل عمران عظيمة الجدا ، كثيرة الفائدة ؛ فهى تحذر المسلمين من معاول لا تزال تنقض مجتمعهم وتحاول هدمه ، وهى سعاية الأعداء فيهم ، ونشر النمائم بينهم . ولا سلامة لمجتمعهم إلا بعصيانهم والحذر منهم ورد نصحهم عليهم ، وكيف يرجى النصح ممن ينطوى على غل وضغن وحسد وحقد ؟ ثم أمرهم الله بأوامر فيها قوة المجتمع وعون على دفع كيد الكائدين :

أولها : تقوى الله حق تقاته باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وأن يلزم المؤمنون الإسلام ، حتى لا يموتوا إلا وهم مسلمون .

ثانيها : أن يعتصموا بحبل الله جميعا وهو كتابه وعهده الذى عهد إليهم فيه من الألفة والجماعة .

ثالثها : أن يذكروا نعمة الله عليهم إذ جعلهم إخوانا متحابين بعد أن كانوا أعداء متباغضين ؛ وذلك أنه جعلهم وحدة اجتماعية . جمعهم على دين واحد ورب واحد ، فصاروا إخوانا متعاونين على دفع الأعداء ، يردون

من أرادهم بسوء . أراد منهم أن يذكروا ذلك دائما ليعلموا فرق ما كانوا عليه وما آلوا إليه. فيعلموا أن الخير الذى نالوه والشر الذى نجاهم الله منه إنما كان بنعمة الإسلام ؛ فيحافظوا عليه ويعضوا عليه بالنواجذ ولا يفرطوا فيه .

رابعها : أن تكون منهم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فتحافظ على هذه القواعد أن تنهار فينهار البناء.

وبذلك يكون المجتمع الإسلامى قوى البنيان متين الأركان ، كالجبل الأشم ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير .

يبين الله لنبيه والمسلمين فى هذه الآيات : أن من أهل الكتاب من اليهود والنصارى من هم منطوون لهم على غش وغل وحسد وبغض، وأن الحيطة تقضى ألا يقبلوا منهم رأياً ولا نصحاً ، فإنهم يبثون النميمة بين المسلمين متنصحين، وهم السم الناقع والبلاء النازل، فإن أطاعوهم أضلوهم وردوهم بعد إيمانهم كافرين يتعادون ويتقاتلون .

ثم قال : « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

المراد بالاستفهام هنا الإنكار والتعجب : أى من أين يتطرق إليكم الكفر والضلال وأنتم تتلى عليكم آيات الله على لسان نبيكم غضة طرية ، وفيها العظة والإرشاد لما فيه نفعكم ، والنهى والتحذير عما يضركم ، وفيها الأمر بالاجتماع والألفة ، والتحذير من الانقسام والفرقة .

ومن يتعلق بأسباب الله فيتمسك بدينه وطاعته ، فقد وفق لطريق واضح ومحجة مستقيمة لا أمت فيها ولا اعوجاج .

والاعتصام من العصم وهو المنع ، فكل مانع شيئا فهو عاصمه ، والممتنع به معتصم به . قال الفرزدق :

أنا ابن العاصمين بنى تميم
إذا ما أعظم الحدثان نابا

ولذلك قيل للحبل عصام ، وللسبب الذى يتسبب به الرجل إلى حاجته عصام. قال الأعشى:

إلى المرء قيس أطيل السرى
وآخذ من كل حى عصم

يعنى بالعصم الأسباب وهى الذمة والأمان .

روى الواحدى بسنده فى سبب نزول هذه الآيات عن عكرمة قال : كان بين هذين الحيين من الأوس والخزرج قتال فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم ، وجلس يهودى فى مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج فأنشد شعراً قاله أحد الحيين فى حربهم، فكأنما دخلهم من ذلك شىء. فقال الحى الآخرون وقد قال شاعرنا فى يوم كذا : كذا وكذا ، فقال الآخرون وقد قال شاعرنا فى يوم

كذا وكذا، فقالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يآل أوس، ونادى هؤلاء يآل خزرج، واجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال، فنزلت هذه الآية فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته، فلما سمعوا صوته أنصتوا وجعلوا يستمعون. فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا، وجعلوا يبكون.

وقال زيد بن أسلم: مر شاس بن قيس اليهودى، وكان شيخا قد غبر فى الجاهلية، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، فمر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج فى مجلس جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الإسلام، بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة، فقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد. لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار. فأمر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم بعاث وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج. وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. ففعل فتكلم القوم عند ذلك. فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين: أوس بن قبطى أحد بنى حارثة من الأوس، وجابر بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج، فتقاولا وقال أحدهما لصاحبه إن شئت رددتها جذعا. وغضب الفريقان جميعا وقالا ارجعا. السلاح السلاح! موعدكم الظاهرة. وهى حرة فخرجوا إليها. فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم. فقال يا معشر المسلمين أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟ الله الله..! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين. فأنزل الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا» يعنى الأوس والخزرج «إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب» يعنى شاسا وأصحابه «يردوكم بعد إيمانكم كافرين».

فهذا شاس بن قيس اليهودى الذى انطوى صدره على غل وحقد على المسلمين، قد غاظته ألفتهم واجتماعهم، ففكر فيما يفرق جمعهم ويصدع ألفتهم. وأى شىء أبلغ من أن يذكرهم بحروبهم فى الجاهلية، وما قالوا فيها من أشعار يفخر فيها بعضهم على بعض، ويعير فيها بعضهم بعضا بمن قتل منهم؛ وذلك يبعث الأضغان

القديمة من مراقدها ، والإحن الكامنة من مكامنها وكذلك كان .

لاتظنوا أيها المسلمون أن شاس بن قيس قد هلك وانقضى ، بل هو حي يرزق تجدونه فى كل بيت وفى كل بلد وفى كل مملكة يمشى بينكم بالنميمة ، ويخوف الأخ من أخيه ، والولد من أبيه ، حتى يفرق جمعكم ، ويشعب ألفتكم .

ومن عجب أن هـــذا الداء ساير الأمة الإسلامية من يوم وجدت إلى يومنا هذا ، ولا يزال داؤها العضال هو شاس بن قيس ! ينفث سمومه كالأفعى ؛ فيحل العقد الوثيقة والروابط المحكمة بين المسلمين و يفصم عرى التعاون والتراحم بينهم .

ومن عجب أن الله تقدم إلى هذه الأمة من يوم وجدت، فعرفها هذا الداء وعرفها الدواء، فى تلك الآيات الذهبية . فلم تفطن له ولم ترد كيده فى نحره وخدعت بدسائسه فيها ، فنال منها ما أراد من تمزيق ألفتها وتصديع وحدتها . ثم لا يمنعها ما لاقت منه بالأمس أن تعود فتصدقه اليوم ، فهل آن للمسلمين أن يحذروا كيد الأعداء ، وتنصح البعداء . . . !

ألا صيحة توقظ النائمين، وتنبه الخامدين !

ألا قارعة من تلك القوارع تقرع أسماعهم !

ألا زجرة من تلك الزواجر توقظ قلوبهم !

ألا نفحة من تلك النفحات تفتح عيونهم على الأعداء والأصدقاء . . !فيروا هؤلاء الأعداء المتنصحين على حقيقتهم يصدعون الجمع ، ويفرقون الشمل،ويروا الضعف الناشئ عن الفرقة ، والمصير السيئ المحتوم بالتشتت والانقسام؛فيعصوا الأعداء المتنصحين ويلموا الشمل ويرأبوا الصدع،قبل أن يلتهمهم العدو الفاغر فاه . . . ! وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ؟

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

مثل المصلح فى الأمة كالمصباح فى الصحراء لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمنا .

* * *

مثل المتكبر كمثل الرجل فوق قمة الجبل يرى الناس صغاراً وهم يرونه صغيراً .

* * *

المتصل بمال السلطان كالسفينة فى البحر ، إذا أخذت منه فى جوفها أخذها فى جوفه .

* * *

الأرض لولا الرياض واحدة والناس لولا الفعال أمثال

الإسلام وحاجة الإنسانية إليه

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

كانت الإنسانية تتطلع زمنا طويلا إلى دين جديد ؛ دين يدعو إلى العقيدة الحقة ، ويبين للناس الشريعة العادلة السمحة ، والأخلاق الفاضلة ، والنظم التى تقوم بها الأمة . وكان هذا الدين هو الإسلام آخر الرسالات الإلهية ، فليس لنا أن ننتظر دينا آخر توحى به السماء ؛ كما كان رسوله صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والمصطفين الأخيار ، فليس لنا أن نرجو ظهور رسول آخر من لدن الله العلى الحكيم .

ما الذى نرجوه إذن لإصلاح هذا العالم الذى نعيش فيه ، بعد أن أفلست كل نظمه السياسية والأخلاقية ، والاقتصادية والاجتماعية ، وبعد أن نجحت فيه فلسفات تدعو إلى إنكار وجود الله ، والتحلل من شريعته ومن الأخلاق الفاضلة ؟

إنه لا شىء إلا هذا الدين الإسلامى نؤمن به حقاً ونفهمه حقاً ، ونعمل بما أتى به من عقيدة وشريعة وخلق ونظم ، ويكون له منا دعاة وزعماء مخلصون لله ورسوله : دعاة وزعماء يجعلون حياتهم وقفا على الدعوة إليه ، ويرون سعادتهم فى القيام بهذا الواجب النبيل المقدس ويكونون فى سرهم وعلانيتهم مثلا طيبة وقدى صالحة تدعو بنفسها إلى الإسلام .

هذا الدين لا يزال العالم فى حاجة شديدة إليه ، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه إلا بالإيمان به واتباعه ؛ فهو الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ، والداعى إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

وما أشبه اليوم بالأمس ! فقد ظهر الإسلام والعرب والعالم كله فى أشد الحاجة إليه ، فآتاهم العقيدة الحقة بعد أن ضل القوم فيها ضلالا بعيداً ، والشريعة الصحيحة بعد طول ما عصفت بهم النزعات والأهواء ، والنظم الصالحة لبناء أمة قادرة على أن تسهم فى بعث العالم ونهضته ووحدته ، وكان من هذه الشريعة والنظم ما نسميه « الفقه الإسلامى » .

* * *

هذا ، وقد كنت على عزم أن أتناول بالبحث فى مجلة الأزهر ، فى هذا العهد المبارك بإذن الله وفضله ، الفقه الإسلامى ووجوب تجديده وتطوره على أسس كتاب الله وسنة رسوله ، واجتهاد فقهاء الصحابة والتابعين .

ولكنى رأيت من الخير أن أبدأ بالحديث عن خصائص الإسلام : الدين العام الخالد على مدى الأزمان .

هذا الدين الذى ندعو إليه جاهدين ، والذى لا خلاص للعالم إلا بما جاء به من أخوة وإنسانية ، بعد أن انقسم العالم إلى معسكرات يتربص بعضها ببعض الدوائر ، وبعد ما انتابه من محن وويلات لا يدرى طريق الخلاص منها !

على أنه ليس من اليسير أن يستقصى الباحث كل خصائص الإسلام ، هذه الخصائص التى صار بها خاتم الرسالات الإلهية ، كما صار الدين الحق الذى ارتضاه الله للعالم والناس جميعا حتى تقوم الساعة ويكون الملك لله تعالى وحده .

ولذلك نكتفى هنا أن نتحدث بإيجاز عن بعض هذه الخصائص التى تفرد الإسلام بها ، وهى أنه دين الوحـــدة الدينية ، والوحدة السياسية ، والوحدة الاجتماعية ، ودين العقل والوضوح ، ودين الحرية ، ودين الإنسانية وهو لذلك كله دين ودولة ونظام ، والدين الذى صدع بحقوق الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ونصف من الزمان .

الإسلام دين الوحدة الدينية :

نعم الإسلام هو دين الوحدة لا التوحيد فقط ، فإن كلمة « التوحيد » قد أخذت معنى أو مدلولا خاصا لا تعدوه ، وهو القول بإله واحد خلق السموات والأرض وما بينهما ، وإليه وحده يرد الأمر كله ، وهذا فى مقابلة القول بإلهين اثنين أو آلهة متعددة .

على حين أن الإسلام لا يدعو إلى توحيد الخالق فحسب ، بل إنه قام على مد الوحـدة فى كل أمر وشىء ؛ فى الناحية الإلهية ، والناحية السياسية ، والناحية الاجتماعية ، إلى غير هذا وذاك كله من نواحى العالم والحياة .

فقد جاء والناس فى العالم كله يعبدون آلهة شتى ، فكان أول ما عنى به رفض هذه الآلهة جميعا ، وتقرير أنه ليس إلا إله واحد هو مالك الأمر كله ، فليس هناك آلهة كثر كما يرى المشركون بعامة ، ولا إله للخير وآخر للشر كما كانت عليه الديانة الثنوية بفارس ، ولا آلهة ثلاثة على ما يعتقد النصارى بعد أن حرفوا التوراة والإنجيل .

وقد قرر القرآن العظيم هذه العقيدة التى قام عليها فى آيات كثيرة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « قل هو الله أحد » ، « وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا » ، « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » ، « قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون » .

ومن هذه الآيات أيضا قوله تعالى مخاطبا النصارى الذين كفروا بالمسيحية الصحيحة

« ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيراً لكم » ، وقوله فى آية أخرى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد » .

ومن العجيب حقا ، الدال على فساد العقل وضلاله وعدم التمييز بين الحق والباطل ، أن أولئك المشركين ـ وقد جاءهم القرآن بعقيدة التوحيد وأقام عليها الأدلة العقلية والحسية التى لا ريب فيها ـ كانوا يقولون كما حكى القرآن عنهم : « أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشىء عجاب » !

يقولون هذا وهم يرون أن مازعموهم آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئاً ، وأنها لن تستطيع أن تخلق ذبابا ولو اجتمعوا له وكان بعضهم لبعض ظهيرا . ولكنه ضلال العقل ، وفساد الحس ، وسلطان التقاليد .

ولم يكتف الإسلام بتقرير هذه «الوحدة» فى الإله الذى يستحق العبادة ، بل بين لنا أنه وسائر الأديان السماوية التى سبقته «وحدة» واحدة ، وأنها جميعا رسالة واحدة من الله تعالى للبشرية عامة يكمل بعضها بعضا طبقا لسنة التدرج فى التعاليم والتربية ، وكلها يصرف إلى غاية واحدة وإن اختلفت وسائل الوصول إليها باختلاف الأزمان والناس .

ولنسمع فى هذا إلى قوله تعالى فى سورة البقرة : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ؛ لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

ومثل هذا قوله تعالى فى أواخر هذه السورة نفسها : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » .

ولنسمع كذلك فى هذه الناحية إلى ما جاء فى سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، ثم إلى أمره تعالى فى السورة نفسها لرسوله أن يقول : « آمنت بما أنزل الله من كتاب » ، أى بالقرآن وسائر الكتب السماوية السابقة زمانا عليه .

ففى هذه الآيات ـ ولو شئنا لأتينا بالكثير أمثالها فى هذه الناحية ـ دليل أى دليل ! ، على أن الإسلام يعتبر أن رسالات الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام « وحدة » لا تحتمل التفرقة ، وأن من لم يؤمن بإحداها لا يكون مسلما قط . وأنه ـ نتيجة لهذا ـ يكون الناس جميعا أمام هذه الديانات والشرائع وأمام الله سواء ، بلا تفرقة بين أتباع هذا أو ذاك من الرسل ؛ ما داموا جميعا يؤمنون برسالة خاتم الرسل والأنبياء .

والإسلام بعد هذا ، لم يقل كما قال أتباع موسى وعيسى عليهما السلام : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » بل رد على هذه المقالة بما يفصل بين الأديان وأصحابها ومتبعيها ، فقال : « بلى » من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

كما قال قبل هذه الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ومن البدهى أن الايمان بالله يقتضى الإيمان بكل رسله وبما جاءوا به ، ومنهم طبعا خاتم الأنبياء والمرسلين .

وهذا الأصل الذى تضمنته هاتان الآيتان الأخيرتان ، يقرر صراحة ماجاء به الإسلام من « الوحدة » فى الدين ورسالات الله لأنبيائه ورسله ، وما يتبع ذلك من « الوحدة » فى الحقوق والواجبات ، وفى المسئولية والجزاء فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا نرى الإمام « الشاطبى » يلاحظ فى كتابه « الموافقات » أن السور المكية من القرآن قررت من الأصول والتشريعات الأمور الكلية العامة ؛ يعنى الأمور التى لا تخص فردا دون فرد أو فريقا من الناس دون فريق ، والتى تبقى دائما أبداً لأنها كلية عامة إذ لا يخالف فيها دين دينا ، ولذا يكون من صالح العالم كله أن يظل متبعا لها فى كل زمان ومكان .

وهو دين الوحدة السياسية

ذلك من الناحية الدينية الإلهية ، ومن الناحية السياسية نرى أن الله تعالى قد من على العرب بالإسلام وهم قبائل متفككة الروابط ، متقطعة الوشائج والأوصال ؛ فبعضهم لبعض عدو ، وبعضهم لبعض حرب ، وكان من هذا ما عرفه التاريخ باسم « أيام العرب » أى حروبها فى العصر الجاهلى .

وكان لبعض البلاد العربية « إمارات » عليها أمراء يحكمونها ويلون أمورها ، ولبعضها ضرب من الاستقلال ، وإن كانت تتبع سياسيا دولة الفرس أو دولة الرومان ، فماذا صنع الإسلام بتلك القبائل وهؤلاء الأقوام المتفرقين ؟

كان أن صنع منهم أمة واحدة حقا ، لها رئيس واحد ، وتتبع سياسة واحدة ، وتستهدف غاية واحدة ؛ وهذه الغاية فى نشر الدين الحق للإنسانية جميعاً ؛ وذلك ليكون هاديها إلى الخير فى الدنيا والآخرة .

وكان من أوائل ما صنع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الناحية ، وهو يدرك تمام الإدراك رسالته وأهدافها وغايتها ، أن عمل

على إزالة ما كان بين الأوس والخزرج بمدينة « يثرب » من عداوة ظلت دهرا طويلا مشبوبة الأوار ؛ وذلك بأن وحد بينهم وجعلهم « الأنصار » له على أعدائهم من المشركين ، وهذا على ما هو معروف من تاريخ فجر الإسلام .

ثم كان ، بعد أن هاجر إلى « المدينة » ، أن آخى بين المهاجرين والأنصار ، فصاروا إخوانا فى الدين وفى كل شىء ، ويداً واحدة فى الجهاد فى سبيل الله ودينه الذى ارتضاه لهم وللناس جميعاً ، يؤلف الدين بين قلوبهم ، ويتعاونون فى السراء والضراء .

وكان من أثر هذه « الوحدة » السياسية ، التى جاء بها الإسلام وعمل لها الرسول والمؤمنون ، أنه لما لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، واجتمع المسلمون فى «سقيفة بنى ساعدة » لاختيار خليفة له ، رأى الأنصار أن لهم حقاً أن يكون الخليفة منهم لسابق نصرتهم للإسلام ورسوله .

ولكن أبا بكر الصديق رضى الله عنه والمهاجرين جميعاً مع عرفانهم فضل الأنصار ومآثرهم ، ذهبوا إلى أن يكون الخليفة من قريش بما أثر عن الرسول ، وهنا قال « الحباب بن المنذر » من الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فقال عمر بن الخطاب : هيهات لا يجتمع اثنان فى قرن ! وكان أن انتهى الأمر بتولية أبى بكر الخلافة .

وهكذا مضى الأمر أيام مجد الإسلام والعرب والمسلمين ؛ فلم يكن إلا خليفة ورئيس واحد للأمة كلها ، على اتساع الدولة الإسلامية وترامى أطرافها ، وكان هذا محافظة على « الوحدة » السياسية للأمة كلها .

وفى هذا السبيل ، سبيل الاستمساك بوحدة الأمة السياسية ، يرى فقهاء القانون الدستورى والإدارى فى الإسلام أنه لا يجوز أن يكون خليفتان فى الأمة الواحدة ، حتى إنه ليجب قتال من يخرج على « إمام » عصره طالباً الخلافة لنفسه بغير وجه حق .

فأين هذا مما نحن عليه اليوم من تجزئة الأمة الإسلامية العربية إلى دول ، حتى صار فى كل بلد رئيس وعلم ، مع الحاجة القصوى إلى الاتحاد وجمع الكلمة وتوحيد القوى !

وهو أيضا دين الوحدة الاجتماعية

وإذا تركنا الجانب السياسى إلى الجانب الاجتماعى ، نرى « الوحدة » التى قررها الإسلام فى هذه الناحية بلغت من الروعة والجلال حد الإعجاب ، وصارت مثلا فريدا يتحدى التاريخ والأمم جميعا .

فليس فى الإسلام تقسيم أبنائه إلى طبقات ، على خلاف الديانة البرهمية فى الهند التى تجعل متبعيها طبقات على رأسها البراهمة أو الكهنة ، وفى الحضيض السفلة أو الأنجاس . وليس بين المسلمين من يقول : نحن أبناء الله

وأحباؤه، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، كما يزعم اليهود والنصارى.

بل إن الإسلام يقرر فى صراحة لا لبس فيها، وفى قوة لا هوادة معها، «وحدة» الناس جميعا من الناحية الاجتماعية. ومن ثم، يتساوى أبناؤه جميعاً فى الحقوق والواجبات؛ لا فرق بين جنس وجنس، ومهما اختلفت الأحساب والأنساب.

فقد محا الإسلام من أول الأمر النعرة الجاهلية، والتفاخر بالأصول والأنساب، وإذ أبان أن أصل الناس جميعا واحد؛ وهذا إذ ينادى كتابه الأول: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، وإذ لا يزال صوت رسوله المصطفى يجلجل بقوله: «كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى».

ومن أجل هذا، ليس هناك طبقات فى الإسلام سببها الجنس أو النسب أو الجاه مثلا، وليس فيه تشريعات للعربى وأخرى لغير العربى كما كان الأمر عند اليونان والرومان، بل المسلمون جميعاً «وحدة» واحدة من هذه الناحية أيضاً، تحكمهم شريعة واحدة؛ لا فرق بين الشريف وغير الشريف، أو الغنى والفقير، ولا بين الحاكم والمحكوم، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حادثة معروفة: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»!

بل إنه لا فرق فى هذا كله بين المسلمين وبين غيرهم من المقيمين بدار الإسلام وتحت لوائه، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أن لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات. وإن كان لهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم فى مسائل «الأحوال الشخصية»، فقد أمرنا الرسول بتركهم وما يدينون به.

وكذلك نجد الإسلام ساوى بين هؤلاء وبين المسلمين فى وجوب أن تعين الدولة مالياً من يحتاج منهم إلى العون والمساعدة؛ لعجزه عن العمل أو لأنه لا يجد إليه سبيلا، وقد كان من عمر بن الخطاب أنه أمر فى كتاب عام له أن يعطى العاجز عن العمل منهم ما يكفيه هو وعياله ما أقام بدار الإسلام.

وهكذا كما رأينا، جعل الإسلام كل أبنائه «وحدة» واحدة فى كل حال، من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية، وهذا ما لا نجده فى دين آخر؛ وذلك لأنه دين «الوحدة» الجامعة الشاملة، ودين الإنسانية عامة؟

محمد يوسف موسى
أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية
بحقوق عين شمس

في التحليل النفسي للأدب

الشاعر الذليل ابن سهل الأندلسي

للأستاذ كامل الدسوقي

دعامة الإسلام العزة والقوة .

ودعامة المسيحية الرحمة والشفقة .

ودعامة اليهودية الذل والإشفاق .

هذا مجمل ما انتهت إليه دراسات الأديان المقارنة .

فبينما الإسلام يبعث في النفس الاعتزاز بالذات ، ويعلي من شأن الكيان الفردي بما يدعو إليه من الاعتداد بالرأي ، والحرية في الفكر ، وسلوك أي السبيلين إلى الخير أو الشر بمحض الرغبة والاختيار .

إذا المسيحية دين التسامح والخضوع - التسامح مع النفس ومع الغير خصوصا فيما هو حق لك - ابتغاء المحبة ، واجتناب العداوة والبغضاء وإيثاراً للسلام النفسي والإنساني . والخضوع إلى حد التكفير والاستغفار حتى عن سيئات الغير ، ممن قد لا تعرف من بني البشر اقتداء بحياة السيد المسيح التي كانت كلها نبلا وسمواً وتضحية . .

أما اليهودية فقد طبعت أتباعها — بما نشأت عليه من تقاليد صارمة قاسية ، وما جاءت به من تعاليم مهلكة — بطابع الحرص والخوف ، والاستعباد ، وذلك لما باعدت بين العبد والرب ، وما جعلت من الصعوبات والعراقيل دون التقرب إليه أو الطمع في نيل ثوابه ورضوانه .

فأنت ترى أنه بينما الإسلام يجعل المرء بعقله وعمله وإيمانه على صلة مباشرة بالله أساسها العزة والكرامة ؛ فالمسيحية تصل العبد (بالرب) عن طريق الاقتداء والتشبه (بالابن) في التضحية والفداء ونكران الذات ، وعموما بتمثل (الروح القدس) ؛ أما اليهودية فتوحي بقطع الصلة المباشرة أو بالواسطة بين العبد والرب ، وتوسع البون بينهما إلى حد ييأس معه الناس من أي أمل أو تفاهم أو غفران .

ومن هنا كان سلوك أصحاب هذه الأديان صدى واضحاً لما وقر في نفوسهم ، وتوارثوه عن أجدادهم ، من مقتضيات العمل للدنيا والآخرة . فاليهودي يائس من الآخرة مقبل

على الدنيا بحرص ونهم ، والمسيحى معرض عن الدنيا ؛ يميل إلى الرهبنة والانطواء والسكينة مهما يكن حظه من الجاه والمجد ؛ أما المسلم فيجمع بين العمل للدين والدنيا فى اعتدال وجرأة وشجاعة .

خطرت لى هذه التحليلات وأنا أتسلى بقراءة ديوان ابن سهل الإسرائيلى الأندلسى هذا الشاعر العاطفى الرقيق - الفريد فى نوعه - الذى مات غريقا عن أربعين سنة (٦٠٩ - ٦٤٩) هـ .

وعجيب من اليهودى أن يكون شاعرا ! فما أبعد عباد المادة والواقع الحى الملموس عن رياضة الخيال واصطناع الأدب والفن - لذات الأدب والفن - أنا أفهم أن يكون من اليهود علماء فى الذرة، وأن يشغلوا فى جامعات أوربا وأمريكا كراسى كثير من العلوم والرياضيات، بل أن يحتكروا فى فرنسا علما كالاجتماع طيلة القرن التاسع عشر - وحتى الآن - يتولاه فوكونيه عن ديركايم عن أوجست كونت ، فيفسدونه بماديتهم أبشع إفساد ... أفهم هذا ولا أنكره بقدر ما لا أسيغ أن أجد بين اليهود شاعراً ... وشاعراً فى العربية !

ولكن إبراهيم بن سهل لا شك شاعر ، وشاعر وجدانى يمكن أن يعترف به تاريخ الأدب العربى ، وآية كونه شاعراً حقيقياً أنه لم يرض من فنون الشعر العربى - على كثرتها - إلا الغزل ؛ الفن الذى يحتاج - مهما بلغ من إمكان تكلفه - إلى القلب والشعور :

كم ليلة بتها - والنجم يشهد لى
صريع شوق إذا غالبته غلبا
مردداً فى الدجى لهفى ! ولو نطقت
نجومه ، رددت من حالتى عجبا

. . . .

ماذا ترى من محب ما ذكرت له
إلا شكا أو بكى أو حن أو طربا
يرى خيالك فى الماء الزلال إذا
رام الورود ، فيروى وهو ما شربا !

وابن سهل على قلة ما شعر ؛ لموته حدثاً ؛ ثم على قلة ما بقى لنا من شعره ؛ لضياع أغلبه ؛ شاعر مقل غرير - يدور فى فلك بعينه من الأفكار والألفاظ والأهداف الشعرية ، ولكن الطرافة والتجديد اللذين يصادفهما المرء أحيانا فى ثنايا شعره مما يوحى بالخسارة من فقده فى هذه السن التى هى بداية النضج . استمع إليه يصف معشوقه :

لحظ يرى القتل منى نفسه
والعاد أن يترك قلب الخلى
صور من نور ومن فتنة
والناس من ماء ومن صلصل
منسلب الحيلة والصبر لا
يأوى إلى عقل ولا معقل
ذو ضنة يمنع بذل المنى
قولا ، ومهما قال لم يفعل

يا شرك الألباب كن مجملا
واستح من منظرك الأجمل
أخشى عليك العار من قولهم
معتدل القامة لم يعدل
أبيت فرداً منك ؛ لكنني
من المنى والذكر في محفل
وقد رثى من سهري في الدجى
شقيقك البدر ولم ترث لي

فشاعر اشبيلية ووشاحها - كما سمي إبراهيم ابن سهل ؛ تقديراً لأثره في الشعر ومكانه بين الشعراء - خصوصاً الأندلسيين - رجل ذو حس صاف ووجدان مشرق ؛ صفاء المدينة التي توجته وإشراقها ؛ الحب فيه طبيعة ، والطبيعة عنده حب :

انظر إلى لون الأصيل كأنه
لا شك لون مودع لفراق
والشمس تنظر نحوه مصفرة
قد خمشت خداً من الإشفاق
لاقت بحمرتها الخليج فألفا
خجل الصبا ومدامع العشاق
سقطت أوان غروبها محمرة
كالكأس خرت من أنامل ساق

وله في الوصف هذه القطعة التي لم تخل منها محفوظات أحدنا أو أبنائنا ، لبساطتها وسهولة انسيابها وجمالها .

الأرض قد لبست رداء أخضراً
والطل ينثر في رباها جوهراً
هاجت فخلت الزهر كافوراً بها
وحسبت فيها الترب مسكا أذفراً
والنهر ما بين الرياض تخاله
سيفاً تعلق في نجاد أخضراً

وأبرز ما يستوقفك في شعره عدا ما ذكرنا استغلاله الألفاظ وتلاعبه بها وتفننه في رصفها - حتى الألفاظ الفنية المستعملة في النحو والعروض وعلوم اللغة - مما يؤذن في النهاية بأن الشاعر دخيل على العربية حديث العهد بدراستها واستذكار علومها ؛ فهو يظهر براعة متكلفة :

لك الثناء ، فإن يذكر سواك به
يوماً ؛ فكالرابع المعهود في البدل

* * *

خفضت مكاني إذ جزمت وسائلي
فكيف جمعت الجزم عندي والخفضا؟

* * *

تنأى وتدنو والتفاتك واحد
كالفعل يعمل ظاهراً ومقدراً

* * *

إذا اليأس ناجى النفس منك «بلن» «ولا»
أجابت ظنوني «ربما» و «عساني»

* * *

وأبادر فأقول إنه لم يرعنى فى شعر ابن سهل كل هـذه المزايا بقدر ما راعتنى هـذه الذلة والمهانة فى الحب التى أوحت إلى بالفكرة التى قدمت بها بين يدى هذا المقال : حقاً إن التذلل فى الحب والاستسلام للهوى شيء لا يعاب ، ولكن لابن سهل هذا الذل الناشئ عن طبع فيه أصيل :

يقـولون لو قبلته لاشتفى الهوى
أيطمع فى التقبيل من يعشق البدرا

ولو غفل الواشون قبلت نعله
أنزهه أن أذكر الجيد والثغرا

ومن لى بوعد منه أشكو بخلفه
ومن لى بعهد منه أشكو به الغدرا

فأنت ترى أن حب الشاعر حب سلبى ذليل ، حب بينه وبين التقبيل ما بين السماء والأرض ، حب حظ صاحبه منه مجرد لثم النعل ، مجرد التماس الشكوى من الخلف والغدر ، حب كله عليه غرم وليس له فيه أى غنم ، وهو فى عرف الشعر مما يستملح لو لم يصدر عن روح اليأس والهوان التى تناولت تحليلها . فالاستسلام إذا صدر عن القوى المنتصر كان حلماً ، أما إذا صدر عن الرعديد الجبان لم يعد إلا ضعفاً وجبناً .

والشاعر نفسه يعبر عن ذله وهوانه على المحبوب ـ وهو يعنى من باب أولى ذله ذل اليهود على سائر الناس ـ معتذرا لقاتله عن أنه قد جشمه صعوبة قتله (وأين هـذا من الثأر العربى !) مما يتكرر فى كثير من شعره :

إنى له عن دمى المسفوك معتذر
أقـول حملته فى سفكه تعبا

نفسى تلذ الأسى فيـه وتألفه
هل تعلمون لنفسى بالأسى نسبا

ونبحث فى شعره عن تبرير لهـذا اليأس القاتل فى الحب ماسببه ؟ وهل ضاقت بالمحب الوسائل وأعوزته الحيل ؟ وهل الذى خلق هذا الحبيب الذى لا يعترف بوجوده لم يخلق غيره ؟ فتفهم إيمان الشاعر بأن كل شيء مقدر بقضاء يسبق كل حيلة أو وسيلة ، وأن لا يدله فى رفع هذا الذل والمهانة فى الحب ، فضلا عن غيره من الشئون :

حديث عنقاء : صب أدرك الأملا
حظى من الحب أنى بعض من قتلا

أما لقد نصح العذال ، لو قبلوا
السيف من لحظ (موسى) يسبق العذلا

طلبت حيلة برء من محبته
فنص لى لحظه الأمراض والعللا

* * *

أشكو إلى الحدق المراض ، وضلة
أن يشتكى هدف إلى سهم مضى

بلوى على القلب المعذب جرها
لحظى الظلوم ولحظ موسى والقضا

عجائب لم تدرك : فعنقاء مغرب
منه العنقاء والعجائب ورجوع الصبا ...
وإقبال موسى ، أو زمان الصبا ردا

وإن الشاعر لتزداد مشكلته النفسية تعقيداً بأن يسلم . وسواء أكان إسلامه حقيقة أم رثاء الناس فإنه ارتداد عن دين آبائه وأجداده أملته ضرورة - ومهما يكن ارتد عن دين ذليل إلى آخر أقوى وأعز ؛ فإن عقله الباطن لا يزال يتهمه بالخيانة بقدر ما يصدمه الواقع الحي بأنه دخيل على الإسلام .

لقد أعلن إبراهيم إسلامه وأسلم فعلا ، فقرأ القرآن ودرس العربية وخالط المسلمين ومدح النبي محمدا - وقال الشعر العربي ، ولكن ذلته اليهودية قد تضاعفت بإسلامه وازدادت تعقيدا : استمع إليه يعترف :

تسليت عن موسى بحب محمد
هديت ولولا الله ما كنت أهتدي
وما عن قلى قد كان ذاك وإنما
شريعة موسى عطلت بمحمد

واختلف المؤرخون في حقيقة (موسى) الذي لم يرد في ديوان ابن سهل غير اسمه ، ولم يتغزل إلا فيه ولم يتغن إلا به . فقالوا هو نبي اليهودية وقالوا هو صبي أحبه ، وأغلب ظني أن الصبابة بموسى والتعذب في حبه والتألم لفراقه وتمني وصاله الميئوس منه الذي أيسر منه العنقاء والعجائب ورجوع الصبا ... كل هذا تنفيس عن هجر دين (موسى) وتكفير عن الخروج عليه والارتداد عنه .

وإلا فكيف نعلل عكوف الشاعر على الغزل المصطنع المتكلف لا يعدل عنه ؟ لو أن موسى هذا كان له حسن يوسف وكان هو على صلة آثمة به أفما كان لهذه الصلة نهاية بأن يكبر الصبي مثلا وتنقطع علاقته به فيحل غيره محله ؟ أو ليكن الشاعر منحرفاً يعشق الغلمان ؛ ألم يتح له مرة واحدة أن يحب أو يخالط امرأة فيعدل عن التعلق بموسى هذا ؟

إن اسم موسى في شعر ابن سهل ليس من الشعر ، إنما يهتف في ذهني وتحليلي لنفسيته بأنه دخيل على العربية والإسلام . ولك أن تعترض بأن كثيراً من أدباء العربية وشعرائها في المشرق كانوا أعاجم دخلاء ؛ فأجيبك بأن فصاحة ابن سهل ورقته وتمكنه من اللغة والدين الجديد - إن صح - لم تخنه . إنما الذي فضحه ما لازمه وتضاعف عليه من ذل اليهودية .

فليس كالعربية لغة تريك المطبوع والمصنوع . واقرأ عينيته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لتتثبت مما أقول !

كمال دسوقي

نظرية ارتقاء الأنواع وانشعاب بعضها من بعض عند مفكري الإسلام

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

يقترن اسم دارون (١) بنظرية ارتقاء الأنواع ، وانشعاب أعلاها من أدناها (٢) وتفرع الإنسان عن القردة العليا (٣) أو تفرعها هي والإنسان عن أصل واحد مجهول.

وقد جرت عادة الباحثين في « علم الحياة » (٤) حينما يعرضون لنظريات دارون أن يذكروا لها أشباها ونظائر عند بعض القدامى من باحثي الفرس والهنود واليونان ، ولبعض المحدثين السابقين لدارون من علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وخاصة لامارك الفرنسي (١) .

ولكن لم يفطن أحد منهم إلى أن مجمل النظرية وكثيراً من تفاصيلها ، حتى ما تعلق منها بأصل الإنسان وصلته بفصائل القردة ، قد قال بهما مفكر عربي ظهر قبل دارون بنحو خمسة قرون : ذلكم هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون (٢) .

---

١ ــ هو شارل روبرت دارون Charles Robert Darwin من أشهر علماء الإنجليز في علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء ، ولد سنة ١٨٠٤ وتوفي سنة ١٨٧٢ ومن أشهر مؤلفاته التي بسط فيها نظريته كتاب «أصل الأنواع» وقد تابعه في مذهبه هذا عدد كبير من الباحثين من أشهرهم من الإنجليز هكسلي Huxley « ١٨٢٥ — ١٨٩٥ » وهربرت سبنسر Herbert Spencer « ١٨٢٠ ــ ١٩٠٣ »

٢ ــ اشتهرت هذه النظرية باسم النظرية الارتقائية Evolutionnisme واشتهر أنصارها باسم الارتقائيين أو أصحاب مذهب النشوء والارتقاء Evolutionnistes.

٣ ــ يطلق اسم القردة العليا Anthropoides على أنواع من القردة مجردة من الذيول وتشبه الإنسان شبها كبيرا في تكوينها الجسمي ، ومن أشهرها : الغوريلا ؛ والشمبنزيه ؛ والجيبون ؛ والأورانغ ــ أو طانغ .

٤ ــ هو ما يسمى بعلم البيولوجيا Biologie

---

١ ــ هو جان باتيست لامارك Jean Baptiste Chevalier de Lamarck من أشهر علماء فرنسا في علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء . ومن أشهر مؤلفاته التي بسط فيها نظرية ارتقاء الأنواع كتاب «فلسفة علم الحيوان» Philosophie Zoologique وتاريخ الحيوانات عديمة الفقرات Histoire des Animaux sans vertébres ولد سنة ١٧٤٤ وتوفي سنة ١٨٢٩

٢ ــ ولد ابن خلدون بتونس سنة ١٣٣٢ وتوفي بمصر سنة ١٤٠٦ (انظر تاريخ حياته ومكانته العلمية وإنشاءه لعلم الاجتماع في كتابنا : « ابن خلدون منشئ علم الاجتماع » . ــ مكتبة نهضة مصر بالفجالة) .

وبحسبنا دليلا على ذلك أن نورد فيما يلى بعض ما جاء على قلم ابن خلدون خاصا بهذا الموضوع ، وسنضع خطاً تحت ما يشير منه إشارة صريحة إلى ارتقاء الأنواع واستحالة بعضها إلى بعض وإلى انطباق هذا القانون على الإنسان وصلته ببعض فصائل القردة . فقد جاء فى المقدمة السادسة من الفصل الأول من الكتاب الأول من مؤلفه الشهير فى التاريخ الذى سماه «كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» (١) ما يلى :

«اعلم ، أرشدنا الله وإياك ، أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام ، وربط الأسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض ، لا تنقضى عجائبه فى ذلك ولا تنتهى غاياته . وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثمانى . وأولا عالم العناصر المشاهدة ، كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلا بعضها ببعض . وكل واحد منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطا ويستحيل بعض الأوقات . . ثم انظر

[١] يشتمل هذا المؤلف على ستة أقسام . «أحدها» الخطبة أو الديباجة أو الافتتاحية وتشغل نحو سبع صفحات . «وثانيها» تمهيد يشغل نحو ثلاثين صفحة ، وقد سماه المؤلف «المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام . .» «وثالثها» هو ما سماه المؤلف «الكتاب الأول فى طبيعة العمران فى الخليقة . .» ، ويشغل هذا القسم نحو ستمائة وخمسين صفحة ؛ ويشتمل على تمهيد فى نحو سبع صفحات ، وعلى ستة فصول رئيسية ينتظم الفصل الأول منها ست مقدمات ، وينتظم كل فصل من الفصول الخمسة الأخرى عدة فصول فرعية . والنص الذى سنذكره قد ورد فى المقدمة السادسة من الفصل الأول من هذا القسم . «ورابعها» هو ما سماه ابن خلدون «الكتاب الثانى فى أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد . .» . «وخامسها» هو ما سماه المؤلف : = «الكتاب الثالث فى تاريخ البربر ومن إليهم .» «وسادسها» هو ما سماه المؤلف «التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا» وهو القسم الذى ترجم فيه المؤلف لنفسه .

وقد جمعت الأقسام الثلاثة الأولى فى مجلد واحد اشتهر باسم «مقدمة ابن خلدون» .

هذا ، ولأهمية هذه المقدمة ، وعظيم مكانتها فى عالم الاجتماع ، ولما أصابها فى مختلف طبعاتها من حذف وتحريف ، ولحاجتها فى كثير من المواطن إلى الشرح والتعليق ، قمنا بنشرها ، مع التمهيد لها ، ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها ، وتحقيقها ، وضبط كلماتها ، وشرحها ، والتعليق عليها ، وعمل فهارسها «طبعة لجنة البيان العربى» . وقد ظهر من هذه الطبعة جزءان يشتملان على نحو ألف وخمسمائة تعليق ، ويفتتح أولهما بتمهيد للمقدمة يقع فى نحو مائتى صفحة من القطع الكبير ، وسيظهر فى المقدمة فى جزءين آخرين إن شاء الله .

إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج : آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال فى هذه المكونات أن آخر كل أفق منها مستعد بالاستعداد الفطرى (١) لأن يصير أول أفق الذى بعده . واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع إليه من عالم القردة (٢) الذى اجتمع فيه الكيس (٣) والإدراك ، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل ، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده » (١) .

وأشار ابن خلدون كذلك إلى هذا المعنى نفسه بعبارة أكثر وضوحا فى فصل من الفصول التى تزيد بها طبعة باريس للمقدمة (طبعة كاترمير) عن الطبعات المتداولة فى العالم العربى (٢) ، وهو الفصل الذى جعل عنوانه : « علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » (وهو الفصل الخامس من الباب السادس ، حسب طبعة باريس) ، وذلك إذ يقول :

« وقد تقدم لنا الكلام فى الوحى أول الكتاب فى فصل المدركين للغيب ، وبينا هنالك أن الوجود كله فى عوالمه البسيطة والمركبة على ترتيب طبيعى من أعلاها وأسفلها متصلة كلها اتصالا لا ينخرم ، وأن الذوات التى فى آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن

---

[١] فى بعض النسخ « بالاستعداد القريب » ، وفى بعضها « بالاستعداد الغريب » ، وكلتا الكلمتين تحريف لكلمة « الفطرى » .

[٢] فى جميع النسخ السابقة لطبعتنا « عالم القدرة » بالدال قبل الراء . وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة تغييراً تاما ، بل جردها من الدلالة ، وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها داروين وغيره من جماعة الارتقائيين بنحو خمسة قرون ، وإن اختلف رأيه عن رأيهم من بعض الوجوه .

٣ فى جميع النسخ السابقة لطبعتنا : « الحس والإدراك » وصوابه « الكيس والإدراك » ، كما ورد فى نسخة خطية محفوظة فى دار الكتب المصرية وذلك لأن مجرد الحس تشترك فيه الحيوانات جميعا ، وإنما يمتاز أرقاها بالكيس وهو الحذق .

---

[١] صفحات ٣٥٢ ـ ٣٥٤ من طبعة لجنة البيان العربى .

[٢] وذلك أن طبعة باريس للمقدمة ، وهى الطبعة التى أشرف عليها المستشرق كاترمير Quatremère وظهرت سنة ١٨٥٨ ، تزيد عن الطبعات المتداولة فى العالم العربى « وكلها منقولة عن طبعة الهورينى التى ظهرت سنة ١٨٥٨ كذلك » بأحد عشر فصلا فرعيا ، كما تزيد عنها فى ثنايا بعض الفصول المشتركة بينهما وفى خواتيمها بفقرات كثيرة . وجميع الزيادات التى تختص بها طبعة باريس منقولة عن نسخ خطية موثوق بها .

تنقلب إلى الذات التي تجاورها من الأسفل والأعلى استعداداً طبيعياً كما في العناصر الجسمانية البسيطة، وكما في النخل والكرم من آخر أفق النبات مع الحلزون والصدف من الحيوان، وكما في القردة التي استجمع فيها الكيس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية. وهذا الاستعداد الذي في جانبي كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها »(١).

* * *

ولعل الذي جعل الباحثين لا يفطنون لرأي ابن خلدون في استحالة الأنواع بعضها إلى بعض، وفي انطباق هذا القانون على الإنسان وصلته بفصائل القردة، أن كلمة «عالم القردة» في النص السابق قد حرفت في جميع طبعات المقدمة المتداولة في العالم العربي في العصر الحاضر إلى كلمة «عالم القدرة»، فجاءت العبارة على هذا الوضع: «واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية، ترتفع إليه من عالم «القدرة» الذي اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل» وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة، بل جردها من الدلالة، وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها دارون وغيره من جماعة الارتقائيين، وإن اختلف رأيه عن رأيهم من بعض الوجوه.

* * *

هذا، وفكرة تقسيم الكائنات إلى مراتب يتصل آخر كل مرتبة منها بأول المرتبة التالية لها ليست من مبتكرات ابن خلدون، بل قد سبقه إليها كثير من الباحثين من قبله، واستخدموا في تقريرها بعض الألفاظ، والعبارات التي استخدمها وقسموا الكائنات إلى الأقسام نفسها التي قال بها.

فقد قرر هذه الفكرة القزويني (وهو سابق لابن خلدون) في كتابه «عجائب المخلوقات» إذ يقول: «إن المعادن متصل أولها بالجماد وآخرها بالنبات. والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان. والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان. والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية».

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل القزويني، ابن الطفيل في كتابه «حي بن يقظان»، وأشار إليها من قبل ابن الطفيل، ابن مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) في كتابه «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق». فقد ذكر مراتب الجماد والنبات والحيوان واستخدم لفظي «الأفق»، «والاتصال» اللذين استخدمهما ابن خلدون. فمن ذلك قوله:

(١) طبعة كاترمير ص ٣٧٢ من المجلد الثاني.

« فلذلك هى فى أفق الجمادات » ، وقوله « ويصير فى أفق الحيوان » ، وقوله : « وأول هذه المراتب من الأفق الإنسانى المتصل بآخر ذلك الأفق الحيوانى مراتب الناس .... » .

وأشار إلى الفكرة نفسها من قبل ابن مسكويه « إخوان الصفاء » فى رسائلهم التى ظهرت بين سنتى ٣٣٤ و ٣٧٣ على الأرجح ، وذلك إذ يقررون أن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات ؛ وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان؛ كما أن أول المرتبة النباتية متصل بآخر المرتبة المعدنية ؛ وأول المرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء . فأدون الحيوان وأنقصه فى نظرهم هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة ، وهو الحلزون وأكثر الديدان التى تكون فى الطين وفى البحار وأعماق الأنهار ، إذ ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم ، فهذا النوع حيوان نباتى؛ لأن جسمه ينبت كما ينبت بعض النبات ، ويقوم على ساقه دائماً وهو من أجل أن يتحرك جسمه حركة اختيارية حيوان. ومن أجل أنه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوان رتبة فى الحيوانية . وقد يشاركه النبات فى تلك الحاسة ؛ فللنبات حاسة اللمس فقط ؛ ويتمثل هذا فى إرساله جذوره نحو المواضع الندية وامتناعه من إرسالها نحو الصخور واليبس . أما مرتبة الحيوان مما يلى رتبة الإنسانية فليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه : فمنها ما قارب رتبة الإنسان بصورة جسمه مثل القرد . ومنها ما قاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس فى كثير من أخلاقه، وكالفيل فى ذكائه، والببغاء الهزاز ونحوها من الأطيار الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات ، وكالنحل لطيف الصنائع، إلى ما شاكل هذه الأجناس. والقرد لقرب شكل جسمه من جسم الإنسان صارت نفسه تحاكى أفعال النفس الإنسانية، أما الفرس بأخلاقه ، والفيل بذكائه ، وهذه الطيور بنغماتها وموسيقاها ، فقد صارت فى آخر مرتبة الحيوان مما يلى رتبة الإنسان ؛ لما يظهر فيها من الفضائل . (١)

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل هؤلاء جميعا أرسطو فى نظريته فى ترتيب الكائنات وتدرجها فى سلم العالم ، فأدنى درجات السلم فى نظره هى الأجسام اللاعضوية ، وفيها تضعف الصورة حتى لتكاد تكون هيولى بلا صورة ، وأول مايسعى إليه الجسم العضوى (وهو التالى فى المرتبة للأجسام اللاعضوية) تحقيق شخصه ونوعه ، وأحط درجات السلم فى الأجسام العضوية هو مااقتصر على الغذاء والتناسل وهو النبات ، ثم يليه

[١] رسائل إخوان الصفاء جزء ٢ صفحتى ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، وجزء ٣ صفحتى ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، حـ ٤ صفحتى ٢٧٨ ، ٣١٧ .

الحيوان إذ يزيد عنه بالإحساس ، ويتبع الإحساس الشعور باللذة والألم .

وانتقل هذا الرأى إلى فلاسفة الإسلام وعلى رأسهم الفارابى فى كتابه «آراء أهل المدينة الفاضلة» إذ يقول : «إن ترتيب هذه الموجودات هو أن يتقدم أولا أخسها ، ثم الأفضل فالأفضل ، إلى أن تنتهى إلى أفضلها الذى لا أفضل منه ، فأخسها المادة الأولى المشتركة ، والأفضل منها الإسطقسات ، ثم المعدنية ، ثم النبات ، ثم الحيوان غير الناطق ، ثم الحيوان الناطق ، وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه (١) .

* * *

ولكن ابن خلدون تختلف نظريته عن هؤلاء جميعا من وجهين :

(أحدهما) أن الرقى عند هؤلاء هو رقى فى المرتبة فحسب ، فهم يحاولون ترتيب الكائنات من الأسفل إلى الأعلى ترتيباً عقليا ومنطقيا ، حتى إن بعضهم ليضع الفيل والفرس والنحل والببغاء وبعض الطيور الذكية فى مرتبة قريبة من الإنسان وفى أعلى مراتب الحيوانية، كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى مذهب إخوان الصفاء . أما ابن خلدون فيقصد الارتقاء من الناحية العضوية البيولوجية .

(وثانيهما) أنه لم يقل أحد من هؤلاء باستحالة هذه الكائنات بعضها إلى بعض ، أما ابن خلدون فقد قرر فى عبارات صريحة أن الكائنات الأخيرة من كل مرتبة قابلة بطبعها لأن تستحيل إلى الكائنات الأولى من المرتبة التى تليها ، وأنها قد تستحيل إليها بالفعل ، كما ورد فى النصوص السابق ذكرها .

وبهذين الوجهين نفسيهما تقرب نظرية ابن خلدون من نظرية دارون ومن تابعه من جماعة الارتقائيين المحدثين بقدر ما تبعد عن آراء من عرض لهذا الموضوع من قبله ؟

دكتور

علی عبد الواحد وافى

[١] انظر كتابنا « فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة » صفحتى ٢٩ — ٣١ .

من الحكم المأثورة

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .

الموت لايكون إلا مرة والموت أحلى من حياة مرة

الحركة الموسوعية في الإسلام

للأستاذ حسين علي الدقوقي

إن أغلب مصنفات علماء المسلمين وفلاسفتهم تقع على شكل موسوعات. ولما لم يكن في العصور الوسطى الاختصاص بمعناه المعروف في الوقت الحاضر أخذ المفكرون وبوجه خاص الفلاسفة يتبعون خطى أرسطو، ويرون وضع مؤلفات تحوى شتى أنواع العلوم كالفارابى وابن سينا وأضرابهما. وقد عبر الشاعر العربي عن هذا الاتجاه بقوله:

احرص على كل علم تبلغ الأملا
ولا تموتن بعلم واحد كسلا
النحل لما رعت من كل فاكهة
أبدت لنا الجوهرين: الشمع والعسلا

انبعت الحركة الانسكلوبيدية تطور الحياة فى العالم الإسلامى، وتنوعت كلما تغيرت عناصر الحياة فى هذا العالم، فبدأت بشكل بسيط إلى أن اتخذت شكلها الحقيق الوافى فى كتاب (العالم) لأحمد بن أبان، وفى رسائل إخوان الصفا.

ويقتضى تنظيم البحث أن نبدأ أولا باستعراض الموسوعات العامة ثم تطرق إلى الأنواع الخاصة منها.

وضع الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائى (المتوفى ١٨٩هـ)، أحد مؤسسى علم النحو واللغة مجلداً كبيراً باسم (خلق الدنيا وما فيها) بدأ فيه باللوح والقلم ثم ذكر السموات والأرض والعوالم الأخرى بسرد الآثار والأخبار، واستند فى ذلك إلى الحديث والمؤلفات العلمية الأخرى الموجودة يومئذ. (١)

وكتب أبو حاتم ابن حيان البستى (٣٥٤هـ) كتاباً فى (وصف العلوم وأنواعها) فى ثلاثين جزءاً.

ومن أقرب المؤلفات إلى الشكل الموسوعى ما ألفه احمد بن أبان بن سيد الأندلسى (٣٨٢هـ) وهو عالم فاضل، ولغوى كبير يكنى أبا القاسم كان صاحب الشرطة بقرطبة (٢) وكان فى أيام المستنصر (٣). روى عن أبى على البغدادى وأخذ عنه كتاب (النوادر)، وروى عن سعيد

---

[١] حاجى خليفة: كشف الظنون و
H. Z Ulken: Islam 365.

[٢] ابن بشكوال: كتاب الصلة ص ٧ المجلد الأول. مجريط ١٨٨٢

[٣] الضبى: بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ص ٥٢٢ مجريط ١٨٨٤.

ابن جابر الإشبيلي وغيرهما وأخذ عنه أبو القاسم ابن الإقليلي .

كان ابن سيد مولعاً بالآداب واللغات وروايتهما وتصنيفهما متقدماً فى معرفتهما وإتقانهما وكان مطلق القلم بالتصنيف ، فمن آثاره كتاب (العالم) (١) ، وهو يقع فى مائة مجلدة ، ومرتب على الأجناس ، ابتدأ فيه بالكلام عن الفلك لكونه أعظم الأجسام وختمه بالذرة (٢) . وله كتاب (العالم والمتعلم فى النحو) (٣) وكتاب شرح فيه مؤلف الأخفش وغير ذلك (٤) .

وعلى نفس الشاكلة فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) نجد رسائل إخوان الصفا فإن هذه الرسائل وكتاب (العالم) يعتبران أقدم الانسكلوبيديات المكتوبة فى العالم . أما المؤلفات السابقة لها فإنها ليست بمستواهما من حيث الاستيفاء والشمول .

كانت هذه الرسائل دائرة معارف فلسفية علمية للقرن الرابع الهجرى (١) حازت عند جماعة من الحكماء والجهابذة قبولا كثيراً وعرفوا مقامها فأحلوها محلها الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها .

تقسم الرسائل إلى أربعة أقسام : منها رياضية تعليمية وهى أربع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل الجسمانية الطبيعية وهى سبع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل النفسانية العقلية وتشتمل على عشر رسائل ، ومنها الرسائل الناموسية الإلهية والشرعية والدينية وهى إحدى عشرة رسالة (٢) .

تعددت النظريات التخمينية فيها لعدد من الباحثين فمن قائل إنها تنسب إلى عالم فى ما وراء الطبيعية من علماء المعتزلة (٣) . ومنهم من عزاها إلى الإمام جعفر الصادق (٤) وبعضهم اعتبرها من إنتاج أبى القاسم مسلمة المجريطى القرطبى المتوفى ٢٩٨ هـ (٥) . ومما لاشك فيه أن هذه الرسائل تعبر عن آراء

[١] القفطى : أنباء الرواة ص ٣٠ ـ ٣١ .
[٢] حاجى خليفة : نفس المرجع .
[٣] القفطى : نفس المرجع ص ٣١ .
[٤] السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة .

راجع : روضات الجنات ص ٦٥ ـ وسلم الوصول ص ٦٢ ومعجم الأدباء ٢ : ٣٠٣ . الوافى بالوفيات ج ٢ مجلد الأول ص ٨٠ .

[١] O'Leay ; Arabic thought and Its Place History. P. 165. 1922.
[٢] مقدمة الرسائل ص ١ ـ ١٥ .
[٣] Flügel ; Z,D M G 20.
[٤] ابن حجر : الفتاوى ص ٩٣ طبعة القاهرة .
[٥] In Casiri 1, No. 364.

وراجع كشف الظنون .

واتجاه زمرة من الفلاسفة والمفكرين من رجال القرن الرابع كانوا أعظم المختصين في العلوم والفنون في عهدهم بما فيهم متدينون مخلصون متكلمون ومتصوفة، وبجانبهم زنادقة ملحدون (١).

حاولت هذه الزمرة جمع الأفكار الفلسفية والاجتماعية التي كانت قد تطورت في العالم الإسلامي حتى العهد الذي عاشوا فيه وهدفت إلى تنظيم هذه الأفكار والمزج بينها فأوجدت مصنفاً موسوعيا ضخما مبسطا استهدفت فيه قبل كل شيء مقاومة تيار الانحطاط الذي أصاب المجتمع العباسي؛ وذلك بنشر مقومات ومشارب أخلاقية وعناصر ثقافية راقية، سلكوا في تحقيقها طريقة علمية وحاولوا فيها التوفيق بين أفكار سقراط وأفلاطون وأرسطو وفيثاغورث والفارابي من جهة، وبين بعض المبادئ الشيعية من جهة أخرى لذلك يطلق على مذهبهم في الفلسفة الإسلامية مذهب التوفيق والاختيار Eclectisme (٢)

ومن الكتب المهمة أيضاً مفاتيح العلوم للخوارزمي (٣٧٨ هـ) ألفه لأبي الحسن عبد الله بن أحمد العتبي (٣)، وكتاب طبقات العلوم) لأبي المظفر الأبيوردي (٥٠٧ هـ)

وكذلك كتاب (الفنون) لأبي الوفاء بن عقيل البغدادي (٥١٣ هـ).

ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب (الفنون) وهو كتاب كبير قال ابن الجوزي: هذا الكتاب مائتا مجلد وقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدة، وقال الحافظ الذهبي في تاريخه لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب. حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمائة، هذا وفي رواية أخرى أنه ثمانمائة مجلد (١).

وألف أبو الفرج بن الجوزي (٥٩٧ هـ) في فنون شتى وخلف مؤلفات يزيد عددها على مائة كتاب (٢) وكتابه (المجتبى) أقرب كتبه إلى الشكل الانسكلوبيدي العام، وهو في أنواع من العلوم كالقراءة والسير ونحوه (٣)

ومن التصانيف القيمة في هذا الباب كتاب (حدائق الأنوار في حقائق الأسرار) للإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) الواعظ البليغ والفقيه الشافعي الكبير أورد فيه موضوعات ستين علماً ألفه للسلطان علاء الدين تكشي الخوارزمي (٤).

وكتاب (درة التاج لغرة الدباج) فارسي للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي

(١) (apud; Der Islam 1932.) H.Z. Ulken: Op. cet. 365.

(٢) 2 Sosyoloji Dergisi No. 6-7.

(٣) جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٣٢.

(١) ابن رجب: كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ص: ٧١، ١٨٣، ١٨٨.

(٢) جورجي زيدان: نفس المرجع.

(٣) حاجي خليفة: نفس المرجع ج ٢

(٤) كشف الظنون، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣.

(المتوفى ٧١٠ هـ) وهو المشهور بـ را نموذج العلوم) جامع لجميع أقسام الحكمة النظرية والعملية (١) ألفه لدياج بن فيلشاه (٢) .

ولا ينبغى أن ننسى بهذه المناسبة كتاب (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) لشمس الدين محمد الأنصارى الذى أصبح مصدراً لطا شكو برى زاده فى (موضوعات العلوم) . وكذلك يتطلب التطرق إلى كتاب (إتمام الدراية لقراء النقاية) لجلال الدين السيوطى الكاتب الذى بلغ عدد مؤلفاته أكثر من (٣٠٠) كتاب ورسالة (٣) .

ومن أجل ما يذكر من الجهود فى هذا المضمار ، ومن أقربها إلى الإلمام بحذافير ثقافة العصر مقدمة ابن خلدون . تشكل المقدمة كتاباً مستقلا بذاته بحيث إنها فى مضمونها لا تتصل بالتاريخ برابطة ، تحوى معلومات واسعة الأطراف غزيرة الفائدة ، يقول عنها المسيو مونييه R. Maunier أستاذ علم الاجتماع فى كلية الحقوق بباريس ، بأنها مركب عظيم من القوانين الكونية ودائرة معارف لعلوم العصر (٤) .

(١) كشف الظنون ، وتاريخ آداب العرب جـ ٣

(٢) 2 H.Z. Ulken. Ibid.

(٣) حسن فهمى بك : الكتب العربية المطبوعة فى مكتبة الجامعة باستانبول .

(٤) مباحث علمية : من منشورات الجامعة العثمانية فى حيدر آباد ص ٧٣ .

كذلك فى العالم الإسلامى طراز من التأليف الانسكلوبيدى يدعى غالباً بـ (الأمالى) . والأمالى جمع الإملاء وهو أن يحضر العالم ويحضر حوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم متنقلا من بحث إلى بحث ومن شعر إلى شعر بطريقة التداعى الحر ويكتب التلاميذ فيصير كتاباً يسمونه الإملاء والأمالى والمؤلفات من هذا الطراز كان يطلق على البعض منها اسم (التعليق) (١) .

وثمة ما يسمى (مجالس) وهى أجمع من الأمالى لأن الموضوع لم يكن خاصاً بالرئيس فحسب ، بل فيما يدور بين من يضمهم المجلس كمجالس ثعلب فهى أوفى من الأمالى إلى حد بعيد .

وكتب كثير من الفلاسفة نماذجهم الفلسفية على الطريقة الانسكلوبيدية ، ويذكر من هذا النوع كتاب (تعليم الصنائع) للفارابى ، وإحياء علوم الدين للغزالى وكتابا الشفاء والنجاة لابن سينا ، أو كتاب الكليات والجوامع لابن رشد .

ووضع العلماء المتخصصون التراجم والأنساب والتذكرة على هيئة انسكلوبيدية ، وكتباً حول جامعى الحديث وتدقيق سيرهم باسم علم أسماء الرجال . ووضعت مجلدات ضخمة حول النحاة والأدباء والحكماء والفلاسفة

[١] كشف الظنون .

والمفسرين والقراء والمتكلمين والمتصوفة الكبار، والطبيعيين والرياضيين، والفقهاء والمحدثين. وكثير غيرهم ممن نبغوا فى مختلف الاختصاصات، وحققوا أنسابهم ومؤلفاتهم وسيرهم.

ومن الذين كتبوا فى البلدانيات المفكر الكبير والمتكلم الشهير الجاحظ (٢٥٥ ﻫ) فوضع كتابه (الأمصار) والزمخشرى(٥٣٨ﻫ) فكتب (الأمكنة والجبال والمياه) وياقوت الحموى (٦٣٠ ﻫ) فكتب معجم البلدان (١) وهو خزانة علم وأدب وتاريخ وجغرافية. وقد لخص هذا المعجم صفى الدين بن عبدالحق (٧٣٩ﻫ) فاقتصر فيه على الجغرافية وسماه (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) وابن فضل الله العمرى (٧٤٨ ﻫ) فكتب (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) وهو موسوعة فى بضعة وعشرين مجلداً من الكتب الهامة فى الأدب والتاريخ والجغرافية والتاريخ الطبيعى وغيرها (٢).

وكتب فى التراجم مؤلفات قيمة جداً فكتب ابن سعد (٢٣٠ ﻫ) (الطبقات فى سير أصحاب الرسول) وكتب ابن عبد البر النمرى القرطبى (٤٦٣ ﻫ) (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) وعز الدين بن الأثير الجزرى (٦٣٠ ﻫ) (أسد الغابة).

وكتب حول سير المفسرين كتب أشهرها كتاب (طبقات المفسرين) للسيوطى (٩١١ﻫ) وكتب كثيرة حول سير الفقهاء منها كتب خاصة باسم طبقات الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية وأهم ما كتب فى طبقات الحنفية كتاب لعبد القادر القرشى (٧٥٥ﻫ) باسم الجواهر، وكتاب للقاضى نجم الدين ابراهيم بن على الطرسوسى (٧٥٨ ﻫ) باسم (وفيات الأعيان من مذهب أبى حنيفة النعمان)، وكتاب لقاسم بن قوتلوبوغا الحنفى (٨٧٩ ﻫ) باسم (تاج التراجم فى طبقات الحنفية)، ويجدر بالذكر من العهد العثمانى كتاب (الشقائق النعمانية) وأذيالها.

وأهم ما كتب فى طبقات الصوفية كتاب (حلية الأولياء) لأبى نعيم (٤٣٠ ﻫ) وكتاب (تذكرة الأولياء) لفريد الدين العطار، وكتاب (نفحات الأنس) للاجامى وما يتعلق بالأدب يجدر ذكر كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة و (معجم الأدباء) لياقوت الحموى، وفى تراجم المفكرين الآخرين كتاب (طبقات القراء) للجزرى، وكتاب (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) لابن أبى أصيبعة وكتاب (طبقات الحكماء) لابن القفطى، ولابن صاعد والشهرستانى آثار

(١) H. Z. Ulken :Op. Cit. 366.

(٢) جورجى زيدان، الوافى بالوفيات للصفدى.

جليلة فى هذا الشأن ، وثمة كتب حول مذاهب الـكلام لابن حزم والباقلانى ، وكتب فى الأنساب للكلبى والبـــلاذرى والسمعانى وابن الغوطى ، وتعتبر كتب ابن خلكان (وفيات الأعيان) والصفدى (الوافى بالوفيات) ، وابن حجر (الدرر الـكامنة) والسخاوى (الضوء اللامع) والمحبى والمرادى من ضمن هذه الـكتب الجليلة فى التراجم .

وقد تألفت فى العهد الأخير (دائرة المعارف) للبستانى وأخرى لفريد وجدى . وبوشر بترجمة (دائرة المعارف الإسلامية) ونشرت منها أجزاء .

وينبغى ألا يعزب عن الذهن من العهد العثمانى كتاب (موضـــوعات العـلوم) لطاشكوبرى زاده و (سفينة الراغب) لمؤلفه راغب باشا و (كشف الظنون) لحاجى خليفه وقد تضاءل عدد المؤلفات من هـذا النوع بعد التنظيمات حتى ألف شمس الدين سامى (قاموس الأعلام) ، والمترجم عاصم افندى (أوقيانوس) أو ترجمة القاموس ، وألف خواجه اسحق قاموس العلوم الرياضية ، وبدأ أمر الله افندى بترتيب موسوعة باسم (محيط المعارف) ، إلا أن المنية وافته بعد نشر الجزء الأول ولم تكمل الأجزاء الأخرى . واستطاع رضا توفيق نشر بضعة أجزاء من (قاموس فلسفة) . وفى الأيام الأخيرة حدثت حركة تأليف انسكلوبيدى بجد ونشاط أبرز ما فيها لجنة ترجمة (دائرة المعارف الإسلامية) ولجنة أخرى لوضع موسوعة أخرى باسم (اينونو انسكلوبيديس) وتبدل اسمها الآن فسميت بـ (تورك انسكلوبيديس) . (١)

حسين على الداقوقى
مفتش معارف كركوك بالعراق

---

(١) H.Z. Ulken: Op. cit. 368

رأى بعض العرب سيفا فقال : ما أجوده لولا قصر فيه . . .
فقال صاحبه : نصله بخطوة . . . فقال الرجل : تلك الخطوة أشق من مشية إلى الصين .

أسرار القسم في القرآن الكريم

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

يستعمل القسم بين الإنسان والإنسان لدفع الشك بما يحدثه من التأكيد والتوثيق؛ لأن الفكرة الأولى فيه هي أن الإنسان المقسم يحلف إما بشيء عظيم فى نفسه ، أو بشيء عظيم فى نفس السامع أو بهما معا ، ويكون القسم عندئذ رباطا متينا ؛ لأنه يوحى بصدق المقسم وجده ؛ وذلك لاعتقاد السامع أن القسم الكاذب ينتهى إلى هلاك صاحبه ، وهذا ناشىء فى البدء من ارتباط القسم بفكرة القداسة وهى فكرة دينية محضة ؛ ولذلك كان المعبود هو موضوع القسم الأول .

على هذا جاء الحلف عند العرب فى الجاهلية، فقد كانوا يقسمون بأكثر شيء قداسة لديهم، فحلفوا بالله ، ولقد سجل عليهم القرآن ذلك فى مواضع متعددة فقال تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » وأقسموا بأصنامهم التى كانت تقربهم إلى الله زلفى كاللات، والعزى ومناة .

ثم اتسعت الفكرة لديهم فلم تعد قاصرة على المعبود بل شملت بيوت العبادة ومناسك الحج ، والإبل التى تحمل الحجيج والقرابين التى تقدم للآلهة . شملت كل أولئك ؛ لأن فيها قبسا من قداسة المعبود وعليها مسحة من عظمته فى نظرهم .

فعرب الجاهلية عرفوا القسم واستخدموه فى كلامهم وأحكامهم . فلما نزل القرآن بلغة العرب وعلى ما ألفوه من أساليبهم ؛ ليكون مفهوما لديهم حبيبا إلى نفوسهم حتى إذا ما ظهر عجزهم عن الإتيان بسورة من مثله كان ذلك عن أمر عرفوه ، وأسلوب ألفوه ، وإنما عجزوا ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد . فهو ليس من صنع البشر ، وإنما هو كلام خالق القوى والقدر . يقول نولدكه فى دائرة المعارف البريطانية . وفى كتابه « تاريخ القرآن » : « كان غرض محمد الوحيد فى السور المكية تحويل الناس بطريق الإقناع عن عبادة الأصنام الباطلة إلى عبادة إله واحد . هذا هو الهدف الأساسى فى دعوته مهما تشعب الموضوع . إلا أن محمدا بدلا من أن يتوجه إلى عقول سامعيه يقنعها بالبراهين المنطقية ، لجأ إلى الفن الخطابى ليؤثر على عقولهم من طريق الخيال والوجدان » .

نحن نعرف أنه من الأسلوب الخطابى الاستدلال بالحلف والأيمان . وهذا خطأ من نولدكه فى زعمه هذا من أن القرآن المكى خلو من الحجاج بالبراهين العقلية والمناقشة بالأدلة المنطقية . وقد روج هذا الزعم بعض

الباحثين المعاصرين على غير أساس فى بحثهم وتثبت من قولهم ، فقد جاء فى القرآن المكى الإقناع بالحجة والجدل والبرهان ولا سيما فى السور الأخيرة من العهد المكى ، ورسم القرآن للنبى صلى الله عليه وسلم أساليب الدعوة تختلف باختلاف من يدعوهم ، فقال تعالى فى سورة النحل وهى مكية : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن) .

يقول الغزالى فى كتابه «القسطاس المستقيم» :

« إن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم ؛ فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمى .

وقد جاء القسم فى القرآن الكريم فاتحة للسور المكية خاصة فى خمس عشرة سورة نحو (والصافات ، والذاريات ، والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق) ووقوع القسم فى ابتداء السور له أثره النفسى ؛ فإن البدء به هو جذب لانتباه السامع ؛ لوقوع القسم على سمعه فى شىء من الرهبة . فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسى لتلقى ما يقال . خصوصا وأن ما يقال مبنى على قسم والقسم شىء يهول . وفى هذه الحال يكون الإنسان أشد تأثيرا بما يسمع مما لو فاتحته بما تريد من طريق الجدل والنقاش ؛ لأن الإقناع العقلى فيه انتصار حاد لعقل على آخر ، ومن الصعب على النفوس الجامحة العقيدة ، كنفوس العرب فى جاهليتهم ، أن تقر لأحد المجادلين ، بالغلبة أو تسلم له بالانتصار من طريق الإفحام . بل كثيرا ما يكون السامع غير عارف بأصول الإقناع العقلى ؛ فلا فائدة إذن من فتح هذا الباب أمامه والدخول عليه من هذا الطريق الذى يجهله .

فالقسم فى أوائل السور يعطيها نضرة فى بهجتها ، ورونقا فى ديباجتها فتلمع الأقسام فى قسمات السور ، كالغرة البارقة . بل هى أشبه شىء بالمطالع الحسنة فى القصيدة الجيدة ، وفى هذا رعاية لجانب المستمع ؛ لكيلا ينفر فيسد أذنيه . ومن كمال الحجة تليين القول وتأليف القلب ، فقد أمر الله الأنبياء بهذا كما قال تعالى لموسى وهرون حين أرسلهما إلى فرعون (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) .

وقد أشكل أمر القسم فى القرآن الكريم على كثيرين : فذهب فريق من الناس إلى القول بأن القسم لا يصدر إلا ممن شك الناس فى صدقه ، فهو يلجأ إلى اكتساب الثقة باليمين ، وهنا لا يليق بجلال الله ، وهو قول مردود إذا تذكرنا شيئين .

أولا — أن القرآن نزل بلغة العرب وخاطبهم بالأساليب التى عرفوها ومنها القسم .

ثانيا ـ لم يكن الغرض من القسم فى القرآن دائما التأكيد ، بل يكون أحيانا بيان شرف المقسم به وعلو قدره ، حتى يعرف الناس مكانته ورفعة منزلته : كالقسم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) ، وكالقسم بالنفس اللوامة فى قوله تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) ، وكالقسم بالأماكن التى أنبتت الأنبياء ، وكانت موطن إنزال الوحى إليهم : كما فى قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سينين ، وهذا البلد الأمين) .

فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة ، التى هى مظاهر أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام .

فالتين والزيتون المراد منبتهما وهو أرض بيت المقدس ، فإنها أكثر البقاع زيتونا وتينا . قال ابن القيم فى كتابه « التبيان » :

« إن منبت هاتين الشجرتين حقيق أن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة ، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته عيسى بن مريم ، كما أن طور سينين هو الجبل الذى أوحى إلى موسى فيه . وهذا البلد الأمين هو مكة .

ثالثا ـ أحيانا يكون الغرض من القسم توجيه النظر إلى الآيات المكنونة ، والمشاهد الطبيعية ، للتوصل منها إلى خالقها ، والتأمل فيها تأملا يبين مبلغ نعمتها ، وأنها غير جديرة بالعبادة ، وإنما الجدير بالعبادة هو خالقها : كالقسم بالسماء ذات البروج ، والسماء والطارق ، والشمس وضحاها ، وكالقسم بالفجر وليال عشر ، وبالنجم إذا هوى ، وما أشبه ذلك .

رابعا ـ من أسرار القسم أنه لو كان الاستدلال على أمور لا تتعلق بها الرغبة أو الرهبة ، مثل ما نرى فى العلوم الطبيعية والرياضية ، كان ذكر الأدلة فيها أولى بالتصريح . فأما والاستدلال على أمور نفسية ، من حث واستنكار وزجر وردع ، فالاحتياج أكثر إلى إيراد الأدلة على وجوه مختلفة : من أساليب القول متفاوتة فى الوضاحة واللطافة والقوة والحدة ، سريعة التأثير قريبة الإقناع ، لأن أكثر الآراء الاعتقادية إنما هى نتيجة التلقين . والتلقين هو فى الحقيقة يتوقف على قوة الإقناع وأساليب التأثير .

هذا إلى أن فى القسم إيجازا فى الاستدلال ، والعرب لذكائهم كانوا يحبون الإيجاز ، وطبيعة لغتهم تساعدهم على ذلك ، ولذلك لا ترى شيئا من القرآن إلا ومعناه أوفر من اللفظ ، فإن أطنب قولا من وجه ، أو جزء من وجه آخر ، فهو لا تنقضى عجائبه ولا تفنى أسراره ؟

(للبحث بقية)

عبد الوهاب حمودة

التعليم الديني في السودان

للأستاذ علي العماري

— ١ —

لعل أصدق تعبير وأوجزه في وصف الشعب السوداني أنه شعب عربي متدين. يعرف ذلك حق المعرفة أولئك الذين قدر لهم أن يعيشوا فترة من الزمن في ربوع تلك البلاد، وأن يعرفوا العادات والتقاليد والأخلاق التي تميز شعب السودان عن غيره من الشعوب.

فإذا ذهبنا نستنطق التاريخ وجدنا تأييداً قوياً لهذه القضية، وأسعفنا بالدليل تلو الدليل على عراقة هذا الشعب في العروبة، واستجابته الصادقة لتعاليم الدين.

فالمؤرخون يكادون يجمعون على أن اتصال العرب بالسودانيين كان قبل الإسلام بزمن غير قصير «فما هو ثابت أن تجار العرب دخلوا السودان عن طريق البحر الأحمر، وعن طريق مصر في العصور القديمة، وفي عهد البطالسة والرومان، غير أن دخولهم السودان بعد الإسلام سواء عن طريق مصر أو البحر الأحمر أو من الغرب كان في هيئة جماعات كبيرة كبطون أو بدنات من القبائل (١).

وليس معنى هذا أن جميع السكان عرب، وإنما معناه أنهم الكثرة الكاثرة، والعدد الأوفر. وفي أيديهم الآن ومنذ زمن بعيد مقاليد الأمور في السودان.

جاء في تاريخ السودان لنعوم شقير ما يأتي «وأما العرب فهم معظم سكان السودان وأكرمهم أصلا، وأوفرهم عقلا، وأرقاهم حضارة، وقد هاجروا إليها بعد الإسلام عن طريق مصر أو البحر الأحمر فاستولوا عليها تدريجا وسكنوا أطيب بلادها وأسسوا فيها عدة ممالك، سيأتي ذكرها، وهم إما حضر أو بادية، أما الحضر فأكثرهم على النيل الكبير والنيلين الأزرق والأبيض وفي الجزيرة بينهما . . . وأما البادية فأكثرهم في البطانة وصحارى البيوضة وكردوفان، ودارفور . . . واسم العرب في السودان إنما يطلق على بادية العرب فقط، وأما حضرهم فيعرفون بأسماء قبائلهم أو بأسماء البلاد التي يسكنونها، وهم يرجعون في أنسابهم إلى الصحابة وآل البيت وغيرهم من الأصول الشريفة (٢)».

---

[١] التربية في السودان ج ١ ص ٢٠ لعبد العزيز عبد المجيد.

[٢] نفس المرجع ص ٥٣.

على أن اللهجات العربية السائدة فى السودان لاتدع مجالا للشك فى عروبة هذا القطر الشقيق فإننا لو أنعمنا النظر فى كلامهم لظهرت لنا السمات العربية الأصيلة فيه ، وهذا طبعى ما دام القوم - لاسيما البادون منهم - لم يختلطوا بغيرهم من الأمم ، وقد ألف أحد علمائهم كتابا سماه (العربية فى السودان) عنى فيه برد كثير من الكلمات المستعملة عندهم إلى أصلها العربى ، وربما كان هذا ممكنا فى كل البلاد العربية غير أنا نلاحظ أن الكلمات السودانية لم تبعد كثيراً عن أصلها العربى ، كما نلاحظ أن الكلمات الدخيلة قليلة بالنسبة إلى مثيلاتها فى الأقطار العربية الأخرى ، ولعل ذلك يكون أكثر وضوحا فى الأمثال الشائعة هناك فإن الأمثال هى القدر الوحيد المشترك بين الفن ولغة التخاطب ، أعنى أننا إذا أردنا أن نعرف مدى تغلغل اللغة العربية فى عامية أى قطر من الأقطار ، وأردنا أن ندرس بجوار ذلك فنا أدبيا ، فليس أمامنا إلا الأمثال التى تجرى على ألسنة العامة ، فهى فوق إيفائها بما نريد من الدلالة على قوة الصلة أو ضعفها بالعربية الفصحى ، توقفنا على معان سامية نطرب لها ونعجب .

وقد أطلت النظر فى الأمثال السودانية ، بعد أن جمعت منها قدراً صالحاً فتبين لى أنها لا تبعد عن الفصحى إلا بمقدار يسير ، ومن هذه الأمثال ما لا تحريف فيه من مثل قولهم (يا حافر حفرة السوء وسع مراقدها) وله نظائر كثيرة .

وقد دخل الإسلام بلاد السودان فى أول عهده بمصر ، قال المقريزى فى خططه « وفى سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعيد بن أبى السرح فى عشرين ألفا إلى النوبة فمكث بها عبد الله بن سعد زمانا وصالحهم ، وقرر عليهم شيئا معلوما من المال » .

وقد جاء فى كتاب الصلح الذى عقده عبد الله مع النوبة ، ما يصرح بأن المسلمين بنوا هنالك مسجداً ، وأن المسلمين سينزلون بهذه البلاد ، ويحسن أن نقتطف من هذا الكتاب بعض الفقرات ؛ لأنه أول وثيقة تاريخية تتضمن دخول المسلمين بلاد السودان « عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى السرح لعظيم النوبة ، ولجميع أهل مملكته ، عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة . إن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وصدقة جارية بينهم وبين المسلمين من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة ، إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم ألا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا

بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو بطرفه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ، ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره إلى أن ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكريمه ، فإن أنتم أويتم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلما أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ... فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان » .

هذا أول مسجد بنى فى أرض السودان ، وقد كان فى مدينة (دنقلة) وقد سألت عن هذا المسجد بعض سكان هذا الإقليم فلم ينبئنى أحد بخبره ، ويبدو أنه لم يستمر طويلا ، ذلك أن النوبيين كانوا حين حاربهم المسلمون على المسيحية التى وفدت إليهم من مصر فى منتصف القرن السادس الميلادى . وكانوا قبل ذلك على الوثنية يعبدون الكواكب ، وينصبون لها التماثيل، وقد ظلوا على النصرانية حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى ، فاعتنقوا الإسلام ، ولكنهم بقوا محافظين على لغتهم . فيبدو أنهم ـ وقد ظلوا على المسيحية بعد اتصالهم بالمسلمين نحو سبعة قرون ـ حين أحسوا فى أنفسهم القوة على نقض هذا العهد نقضوه ، وهدموا المسجد .

ولكن المسلمين لم يثنهم وقوف النوبيين فى وجه الإسلام عن دخول السودان من جهات أخرى ، فقد هاجروا فى القرن الأول الهجرى إلى قبائل (البجـــة) . وهم بادية الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر ـ وعلموهم الإسلام، وكان (البجة) على الوثنية. كذلك اتصل العرب بعد الإسلام بسكان دارفور ، وقد كانوا على الديانة (الفتشية) فعلموهم الإسلام ، فتقبلوه بقبول حسن ، وبالغوا فى التمسك بآدابه وفضائله .

وكان من عادة المسلمين أنهم إذا دخلوا بلداً بنوا فيه مسجداً ، (تؤدى فيه الصلوات ، ويعلم فيه القرآن . ويكون منتدى لهم يعقدون فيه مجالس شوراهم ويجهزون منه سراياهم ، فاستنار السودان بنور القرآن فى كل مكان ، وكان لمديرية دنقلة فى ذلك القدح المعلى إذ ذاك لأنها فى بداية الطريق ، ففازت بالسبق فى هذا المضمار ، وأسست فيها مساجد كثيرة) (١) .

ولعل من الإنصاف ألا نجعل الفضل كله أو أكثره لدنقلا ، فإن جهات أخرى من السودان كانت فيها مساجد كثيرة لهذه

[١] من مقال للعـالم الفاضل الشيخ مجذوب جلال الدين بمجلة معهد أم درمان ص ١١ العدد الأول .

الأغراض ، بل ربما مر عهد من العهود كان الفضل كله لغير دنقلة من بعض أقاليم السودان وكان لملوك دارفور ، فى عهدهم الزاهر فضل أى فضل على التعليم الدينى فى السودان ، وكذلك كان لملوك الفونج ، « وكان فى دارفور مساجد جمة فى كل بلدة مسجد أو أكثر يعلم بها الكتابة والقرآن ، وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصلى به الصلوات الخمس ، وفى لصقه خلوات للمجاورين يعلم بها العلوم الشرعية ، وله (حاكورة) هبة من السلطان ، يعيش هو وتلامذته من ريعها ، وكان بعضهم يجيء إلى مصر لتلقى العـــلوم فى الأزهر ولهم رواق معروف برواق دارفور » (١) .

وقبل أن نتحدث عن أساليب التعليم الدينى فى السودان ومنهجه ، والعلوم التى شاعت دراستها نعود إلى تدين أهل السودان ، ليكون ذلك عونا لنا على فهم عنايتهم بالتعليم الدينى منذ دخل الإسلام فى بلادهم .

السودانيون - إذا استثنينا فئة قليلة ممن أضلهم الاستعمار - محافظون أشد المحافظة على تعاليم الإسلام ، فهم يؤدون الصلاة فى أوقاتها لا يشغلهم عنها شاغل ، ومن المألوف حتى فى العواصم الكبرى أن ترى جماعات المصلين أمام المحلات التجارية وفى الميادين العامة إذا كان المسجد بعيداً ، وهم يقيمون الصلاة فى أول وقتها ، ولا تكاد ترى شابا يتهاون فى هذا الفرض الإسلامى ، وكما يحافظون على الصلاة يحافظون على غيرها من شعائر الدين .

ومن أبرز صفاتهم الأمانة ، وقد أقمت فى مدينة أم درمان زهاء ست سنوات ما سمعت بحادث سرقة ، ولا اختلاس ، ولا (نشل) .

كما أنى لم أسمع فى هذه المدة بحادث قتل إلا مرة واحدة وكان القاتل غير سودانى ، وهم يسمرون فى مجالسهم بالاستماع إلى المدائح النبوية ، ولهذه المدائح شأن كبير فى حياتهم ، ينظمونها ، ويتغنون بها ، ويجتمعون عليها ، ولأحد مداحيهم ديوان عنوانه (أبو شريعة فى مدح صاحب الشريعة) وهو قصائد منظومة باللغة العامية ، وكثير منهم يحفظون هذا الديوان ، وينشدون منه فى مجالسهم الخاصة والعامة .

ومن مظاهر تدينهم إكرامهم للعلم والعلماء فهم يعظمون العلماء ويجلونهم ، ومن عاداتهم الغريبة أن العالم إذا زارهم وأراد الرحيل قدموا له الهدايا ، وكثيراً ما تكون نقودا يجمعونها له ، وأشد غرابة من ذلك أن الرجل منهم إذا زار عالما قدم له شيئا من المال حين ينصرف عنه ، وقد شهدت من ذلك حادثة ، فقد كنت جالسا فى حجرة شيخ علماء السودان بمعهد أم درمان ، فأقبل رجل

[١] تاريخ السودان لنعوم حـ ٢ ص ١٤٦ .

سوداني يزوره فلما هم الرجل بالانصراف أخرج من جيبه قطعة من ذوات الخمسة القروش ووضعها على مكتب شيخ العلماء وسلم وانصرف ، وأدرك الشيخ - وكان لبقا فطنا - ما يدور بنفسي ، فقال : هذه عادة أهل السودان ، يرون ذلك من إكرام العلماء ، ثم نادى على حاجبه وأمره بأخذ تحية الضيف التي قدمها للضيف !

ومما يكاد يكون فيصلا في إكرامهم للعلم والعلماء ، أن أحد رجال التعليم كان يريد بناء مدرسة فطاف في بلاد السودان يجمع المال لهذا الغرض، وقابلته بعد أن حضر من رحلته فوجدته غاضبا ، فقلت له في ذلك فقال : أتصدق أني لم أستطع أن أجمع من الناس في هذه الرحلة الطويلة غير عشرين ألفا من الجنيهات ... لقد قل الخير في الناس !

وقد أدركنا كبار الأساتذة في معهد أم درمان لا يتحركون من مقاعدهم في فصول الدراسة إذا كانوا يدرسون تفسيراً أو حديثا إذا زارهم غريب مهما كان مركز الزائر ، وذلك إجلالا لكلام الله ، وحديث رسوله.

والسودانيون يشتهرون بصفات يرجعها بعضهم إلى ما فيهم من دماء العروبة ، وأرى أن للإسلام دخلا كبيرا في هذه الصفات، وأيا ما كان فهي شواهد على عروبتهم وحسن إسلامهم .

من هذه الصفات حبهم للضيف ، وشدة احتفائهم به ، وإعداد منازلهم - في بعض الجهات - إعدادا كاملا لاستقبال الضيف مهما كان عددهم ، ومن تلك الصفات محافظتهم على الجار ، وصيانتهم للأعراض ، والعفة عما في أيدي الناس ، ذكر نعوم شقير في كتابه قال : ومن غريب أخلاقهم أنه إذا أتى الجدب واشتد الجوع أغلق الواحد منهم بابه على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعا ولم يسأل أحدا خوفا من التعيير بذل السؤال .

وفيهم صبر عجيب على الشدة ، فالمريض مهما اشتد ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تألمه ، وقد شهدت هنا عملية أجريت لعالم كبير من علمائهم من غير مخدر ، ولم نسمع له أنة ، ولا توجعا فلما سألته في ذلك ، قال : أتريد أن ينقل عني ابني هذا أني رفعت صوتي من الألم ؟ !

والمسوق إلى القتل لا يبدي أقل جزع أو خوف ، ومن هذا القبيل أن الرجل منهم إذا كان سائرا وحدثت خلفه ضوضاء لا يلتفت كمن به جزع ، بل يتحول بجميع جسمه في غاية الهدوء .

والسودانيون في المذهب سنيون وفي العقائد على مذهب الإمام الأشعري ، وللصوفية في أخلاقهم آثار وآثار ، ولذلك انتشرت الطرق الصوفية عندهم وعظم احترامهم لها ؟

(للحديث بقية)

علي العماري
المدرس بالأزهر

موسيقى القرآن
بين الترتيل والتلحين
للأستاذ أحمد الشرباصي

الموسيقى هي لغة البشر الطبيعية العميقة الجذور في النفوس والقلوب ، وحب الناس للصوت الجميل أمر معروف مشهور ، ولا ينكر تأثير هذا الصوت إلا عليل أو مكابر ، وقد كثر حديث الكتب الفنية والأدبية عن هذا التأثير وذلك الحب ، ثم سرى الحديث من كتب الفن والأدب إلى كتب الدين ، والعقائد ، فنرى كتباً كثيرة قد ألفها فقهاء أو علماء عن السماع وعن أحكام السماع ، ونرى رجلا كالغزالي يفرد للسماع وللغناء والموسيقى باباً طويلا في كتابه « إحياء علوم الدين » ، وهو ينتصر للسماع ويشيد بروعة الأصوات الجميلة ، ويرد على الذين يحرمون السماع ويحاربون الصوت الجميل ، كما نرى ابن القيم يصنع نحو هذا الصنيع في كتابه « زاد المعاد » وكل من الغزالي وابن القيم معروف بفقهه وتدينه وغيرته على الإسلام وكذلك نجد في كتب الصوفية وفي الكتب التي وضعها عنهم الواضعون فيضا من الحديث عن الموسيقى والأصوات والغناء والسماع .

واقتحام الموسيقى لبيئة الدين أمر قديم عريق القدم ، فقد رووا أن نبي الله داود عليه السلام كانت له معزفة يتغنى عليها ، فيبكي ويستبكي ، وكان يقرأ الكتاب المنزل عليه وهو « الزبور » بسبعين لحنا ، وكان يقرأ قراءة تطرب منها المحموم ورووا عن رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام أنه أحب الصوت الحسن ، ولما اتفق المسلمون على كلمات الأذان للصلاة كلف النبي بلالا بأن يرددها ويرتلها واصفا له بأنه « أندى صوتا من غيره » ، كما وصف النبي أبا موسى الأشعري وكان حسن الصوت - بقوله « لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود » .

ويروي صاحب « التاج الجامع للأصول » أنه جاء في رواية : دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوته ؛ والصنج آلة من نحاس كالطبقين يضرب بأحدهما على الآخر والبربط بوزن جعفر - آلة موسيقية كالعود والناي هو المزمار . فلما سمع أبو موسى ذلك قال : لو علمت يا رسول الله أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً (أي لحسنته تحسينا وزينته تزيينا)

وهذا عمر بن الخطاب القوى المتشدد فى دينه كان يسمع قراءة أبى موسى الأشعرى وهو يتلاحق فيقول عمر معجبا به : « من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل » :

وقد اشتهر طائفة من صحابة النبي رضوان الله عليهم بحسن الصوت وحلاوة النبرة ، فمنهم أبو موسى الأشعرى الذى أوتى مزمارا من مزامير داود ، وعقبة بن عامر الذى وصفوه بأنه كان من أحسن الصحابة صوتا ، وبلال بن أبى رباح مؤذن السماء وصاحب الصوت الندى الرخيم ، وأبو بكر الصديق صاحب الصوت الرقيق الحزين ! ...

وهذا هو القرآن الكريم الذى أمر الله المسلمين بأن يرددوه ويرتلوه ترتيلا ، إننا ننظر إليه فنجد فيه كثيرا من الخصائص الموسيقية ، كانتظام الفاصلة فى كثير من المواطن، ووجود الانسجام الصوتى والإيقاع الموسيقى ، ولنقرأ مثلا قول الله تعالى : «والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ... » . أليس من الانتظام والانسجام هذا الحرف المنطلق بالمدة المفتوحة ، وهو الواو فى أغلب هذه الآيات ؟ .

وفى سورة الرحمن نسمع القرآن يقول : « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ، والسماء رفعها ووضع الميزان » . أليس من اتساق الصوت هذه النون المسبوقة بألف المدة التى تأتى فى نهاية كل آية ؟ . وأليس اختيار حرف النون هنا لونا من ألوان هذا الاتساق ؟ .

وقل نحو هذا فى قول الله عز وجل : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » أرأيت هذه الهاء المفتوحة المنطلقة التى ختمت بها كل آية من آيات هذه السورة ؟ ألا تراها فاصلة لازمة مكررة ، فيها موسيقية وفيها اتساق ؟ .

وفى سورة القمر نرى هذا الإيقاع الموسيقى حين نسمع الحديث عن نوح عليه السلام : « فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر » . فهذه الراء الساكنة التى تحدث فى اللسان ذبذبة حين النطق بها تعطى الكلام رنينا وموسيقية خاصة ؛ ولأن حرف الراء حرف له موسيقيته وذبذبته نجده كثير

الورود فى فواصل الآيات القرآنية ، فنجده - مثلا - يأتى فى نهاية أغلب الآيات الموجودة فى سورة الإسراء . وفى نهاية أكثر الآيات الواردة فى سورة الفرقان ، وفى نهاية كل آية من آيات سورة القمر ، وعدد آياتها خمس وخمسون ، فكأن حرف الراء جاء خمسا وخمسين مرة متتابعة ؟ .

وجاء حرف الراء فى نهاية أغلب الآيات الواردة فى سورة الدهر ، وفى نهاية جميع الآيات الواردة بسورة القدر ... الخ .

وأحيانا نرى حرفا محذوفا من آية لكى يتوافر هذا الاتساق الصوتى ، كما فى قوله تعالى : « والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر » . فالأصل : « يسرى » فحذفت منها الياء لتتفق الفواصل ؛ وأحيانا نرى حرفا يزاد لنفس الغرض ، كما فى قوله تعالى : « إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » ، فالأصل هو « الظنون » ، ولكن زيدت فى آخر الكلمة ألف المد لتتفق مع نهاية الآية المرافقة المختومة بكلمة « شديدا » ! .

وبعض الناس يقرر أن التلحين الموسيقى والاتساق الغنائى مما لا يمكن أن يلتقى مع مايسمونه بالترتيل القرآنى ، وهذا غير صحيح ؛ لأننا نستطيع فى سهولة أن نسمى علم « التجويد » ، وهو علم الترتيل القرآنى باسم « علم الموسيقى القرآنية » ! .

وهذا العلم يتضمن أحكام تلاوة القرآن ، وتبيان مخارج الحروف ، وشرح صفاتها المختلفة ، ويتعرض لبحث المد بأنواعه ، وبحث الإخفاء والإظهار ، والفك والادغام ، والجهر والهمس ، والغن والإمالة ، والقلقلة والإشمام ، والوقف والوصل ، والتفخيم والترقيق ، وتعلية الصوت وخفضه ، وغير ذلك من موضوعات هى من صميم المسائل الصوتية ، لأنها تتعلق بكيفية النطق وهيئة الأداء ، والمسائل الصوتية هى من صميم الموضوعات الموسيقية .

ومهمة « علم التجويد » أو « علم الموسيقى القرآنية » هى الهداية إلى الطريقة المثلى لترتيل القرآن الكريم ، إذ أن الله تبارك وتعالى يقول : « ورتل القرآن ترتيلا » ، والترتيل هو ضبط النطق ، وإتقان التلاوة ، وتجويد القراءة ، وتحسين الصوت ، ومناسبته لفحوى الكلام ؛ ويقال إن الإمام عليا سئل عن الترتيل فأجاب : « الترتيل تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف » .

وقد وضع العلماء منذ العصور السابقة كثيراً من الكتب التى تبحث فى علم التجويد ومسائله ، وعندى أنه يجب على الموسيقيين

أن يدرسوا هذا العلم دراسة واسعة ، لأنه من صميم صناعتهم ، ولأنهم عن طريق هذه الدراسة يستطيعون أن يدركوا الصلة القوية الوثيقة بين علم التجويد وبين الموسيقى ؛ وإذا كنا قد طالبنا من قبل - ونطالب الآن - رجل التلاوة القرآنية بأن يكون على شيء من الدراية للقواعد الموسيقية لينتفع بها في ضبط تلاوته ، فمن الواجب أن نطالب رجل الموسيقى بأن يفقه قواعد التجويد ومسائله ؛ لأنها من صميم الموسيقى والنغم الصوتى .

وهناك طائفة من الأحاديث النبوية تشير في وضوح وجلاء إلى أن تلاوة القرآن تحسن إذا كان فيها حلاوة صوت وجمال تغن ، فمن هذه الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم » ، وقوله : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ، وقوله : « أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن بتحزن فيه » ، وقوله : « ما أذن الله (أى ما استمع) لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » ، وقوله : « تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه ؛ والذى نفسى بيده لهو أشد تفصيا من المخاض من العقل » ، واستمع النبي ليلة لقراءة أبى موسى الأشعرى - كما سبقت الإشارة - فأعجب بقراءته ، وأخبره فى الصباح قائلا : لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة ؟ (أى لسررت) ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود (أى لقد أعطيت لحنا من حسن صوت داود عليه السلام ، وكان صوت داود فى نهاية الحسن) .

أظن أن هذه الأحاديث تضيق كثيراً مسافة الخلف بين أنصار التلحين وأنصار الترتيل ، وتخفف حدة العداوة بين الفريقين ، فإن الترتيل المستحب يتضمن بمقتضى هذه الأحاديث شيئا من التلحين والتغنى والتطريب والترجيع .

وقد ذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتغنى بالقرآن ، ويرجع صوته به أحيانا ، كما رجع يوم الفتح فى قراءته : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » ، وكان يمد قراءته ويقطع فيها أى يجزئها .

وذكر الطبرى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى ويتلاحق ؛ ويقول عمر : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل .

وكان عقبة بن عامر كما ذكرنا - من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، فقال له عمر : أعرض على سورة كذا . أى اقرأها على ، فعرض عليه بصوته وتلحينه ، فبكى عمر وقال : ما كنت أظنها نزلت ! .

وقد رووا أن الإمام أبا حنيفة وأصحابه

كانوا يسمعون القرآن بالألحان ، وكذلك روى عن الإمام الشافعى أنه كان يستمع القرآن بالألحان ، وذكر ابن القيم فى (زاد المعاد) تعليل المجيزين لقراءة القرآن بالتلحين فقال : « لأن تزيينه وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع فى النفوس ، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه ، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب ، وذلك عون على المقصود ، وهو بمنزلة الحلاوة التى تجعل فى الدواء لتنفذه إلى موضع الداء ، وبمنزلة الأفاويه والطيب الذى يجعل فى الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولا ، وبمنزلة الطيب والتحلى وتجمل المرأة لبعلها ؛ ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح ؛ قالوا : ولا بد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء ، فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن ، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه ، كما عوضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة التى هى محض التوحيد والتوكل ، وعن السفاح بالنكاح ، وعن القمار بالمراهنة بالنصال وسباق الخيل ، وعن السماع الشيطانى بالسماع الرحمانى القرآنى ، ونظائره كثيرة جداً » .

نعم هناك فريق من الفقهاء مثل الإمامين أحمد ومالك يرى أن قراءة القرآن بالألحان بدعة ، ولم تعجبهم هذه القراءة وكرهوها ، ولعل هذا الفريق يقصد بالألحان هنا تلك الألحان المحددة التى كانت معروفة للأغانى ، والتى لا تناسب جلال القرآن ولا روح وعظه وتذكيره ، إذ أن هذه الألحان بقواعدها المعروفة وهيئاتها المتكلفة المحددة لا تتلاءم مع عظمة القرآن ورسالته ، وإذا كنا نقول : إن للقرآن موسيقى ، فنحن نقصد موسيقى القرآن الملائمة لجلاله وجماله من ناحية تحسين الصوت به والتطريب فى إلقائه وإثارة العواطف والمشاعر بترتيله وتلاوته :

وأظن أنه لا يخالف أحد يفقه روح الإسلام ويعرف جلال القرآن فى وجوب امتناع التالى للقرآن عن استخدام لحون أهل الفسق فى تلاوة القرآن وترتيله ، وعن اتخاذ القرآن المجيد كالأغانى التى يراد منها مجرد اللهو والطرب فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيجىء أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح » .

ومن المشاهد أن بعض القراء المرتلين للقرآن الكريم هنا وهناك يسيئون التصرف فى الترتيل ، إذ يسرفون فى التطريب ؛ ويعتسفون فى التلحين ، ويخرجون عن حد الأدب والذوق ، وأحيانا يخطئون من ناحية اللغة ومن ناحية النطق ومن ناحية التجويد ، ومن ناحية إعطاء المعنى المقصود ، فقد

يهمزون - فى سبيل التطريب المسرف - ما ليس بمهموز ، وقد يزيدون فى المد حتى يختل أو يعتل ، وقد يقفون حيث يجب الوصل ، وقد يصلون حيث يجب الوقف . . وهكذا .

وهنا أذكر أنه كانت تعجبنى تلاوة المرحوم الشيخ محمد رفعت ، كما تعجبنى تلاوة الشيخين الشعشاعى والحصرى أطال الله حياتهما ، وهناك من غير شك كثير من المحسنين للتلاوة ولست أحصى ولكنى أضرب المثل . .

والواجب على كل مرتل للقرآن الكريم أن يتذكر قبل أن يتلو ، وأن يتذكر وهو يتلو أنه يرتل كلام الله ، وكتاب الله ، وقرآن الله وأنه يبلغ عن الله قيوم السموات والأرض ورب العالمين جميعا ، وأنه يرتل لا للإضحاك أو التسلية ، بل ليذكر ويهدى ويرشد ، وليذكر كل مرتل حين يرتل قول الله عز وجل « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » .

ليتذكر أن هناك تطريبا يراد به التأثير ، وتطريبا يراد به الإلهاء ، وأن الأول منهما هو الأليق بجلال القرآن ورسالته ، وها هو ذا ابن القيم بعد أن ذكر أدلة المبيحين للتغنى والترجيع والتطريب والتلاوة ، وأدلة المانعين لذلك ، أراد أن يفصل فى النزاع بين الطائفتين فقال :

وفصل النزاع أن يقال : التطريب والتغنى على وجهين : أحدهما ما اقتضته الطبيعة ، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل إذا خلى وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين ، فذلك جائز ، وإن أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى للنبى صلى الله عليه وسلم : لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيراً . ،

والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب فى القراءة ، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع وعدم التكلف والتصنع ، فهو مطبوع لا متطبع : وكلف لا متكلف ، فهذا هو الذى كان السلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو التغنى الممدوح المحمود ، وهو الذى يتأثر به السامع والتالى ، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها .

والوجه الثانى ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ، وليس فى الطبع السماحة به ، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن ، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة ، لا تحصل إلا بالتعليم والتكلف ؛ فهذه هى التى كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها ، وأنكروا على من قرأ بها ، وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه .

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره ، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعا أنهم برآء من القراءة بالألحان الموسيقية المتكلفة التي هي إيقاع وحركات موزونة معدودة محدودة ، وأنهم أتقى لله من أن يقرءوا بها ويسوغوها ، ويعلم قطعا أنهم كانوا يقرءون بالتحزين والتطريب ، ويحسنون أصواتهم بالقرآن ، ويقرأونه بشجى تارة ، وبطرب تارة ، وبشوق تارة وهذا أمر في الطباع تقاضيه ، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضى الطباع له ، بل أرشد إليه وندب إليه ، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به ، وقال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن وفيه وجهان : أحدهما أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله ، والثاني أنه نفي لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته صلى الله عليه وسلم » .

وإذن فليقرأ القراء كتاب الله عز وجل ، وليرتلوا ترتيلا ، وليحسنوا به صوتهم ما استطاعوا ، وليتغنوا به ما قدروا ، وليلتمسوا بتطريبهم وتلحينهم مواطن التأثير والزجر والعظة ، ولكن ليحفظوا مع هذا جلال القرآن المجيد ، وليتذكروا دائما أنه كلام العزيز الحميد ؟

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

من روائع تمثيله صلوات الله عليه قوله في تقييد الحرية إذا أضرت بالغير : إن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فأراد أحدهم أن ينقر موضعه بفأس . فقالوا له : ما تصنع ؟ قال هو مكاني أصنع به ما أشاء ، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

عصر نبذ الإله الواحد فوقع فى شرك آلهة شتى

للأستاذ فتحى عثمان

وقع المجتمع الأوربى فى أزمة ...

وجاء عصر النهضة فانفجرت الأزمة ، وتمرد الناس على كل رابطة تربطهم بطاغية : سواء أكان دوقا إقطاعيا أم كاهنا دينيا ... ثم جاء عصر الثورة الفرنسية والنهضة الصناعية فاشتعل البركان ضد الملوك ...

وكانت النتيجة الحتمية لرد الفعل أن يلتهب الحماس ضد كل علاقة تبعية بعد أن أضاء نور الحرية ، فرأى الهائجون فى انطلاقهم أن يشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ، وأن يتمردوا على الله أيضا : أفليس هو ملك الملوك الذى استمد منه الملوك والكهان سلطانهم الذى طالما أذلوا به الرقاب وسفكوا الدماء ونهبوا الحقوق ؟ ؟ .

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من الله ، أو السلاطين الكائنة هى مرتبة من الله ، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة ، فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة ، أفتريد أن لا تخاف السلطان ؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه ، لأنه خادم الله للصلاح ، ولكن إن فعلت الشر فخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثا إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر ، لذلك يلزم أن يخضع له ـ ليس بسبب الغضب فقط ، بل أيضا بسبب الضمير ، فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضا ، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه . فاعطوا الجميع حقوقهم : الجزية لمن له الجزية ، الجباية لمن له الجباية ، والخوف لمن له الخوف ، والإكرام لمن له الإكرام » (١) .

إن شرارة الحرية تريد أن تحرق طغيان الفرد ولو كان إلها ، وتريد أن تنزل كل الملوك عن تيجانهم وعروشهم ...

« سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » .

* * *

وقالت أوربا ، نريد أن نعيش أحرارا ...

فهل نجحت أوربا فى أن تحتفظ بحريتها ، وهل استطاعت أن تعيش بغير دين أو إله ؟ ؟

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ١٣ : ١ ـ ٧

ماهو الدين ؟؟ وما أبرز خصائصه ؟؟

إن روجيه باستيد Bastide يقول « للدين تعاريف لاتدخل تحت حصر ، وكل فيلسوف يعرض علينا تعريفه ...

فهربرت سبنسر Spencer, يعرف الدين بأنه الشعور بأننا نسبح فى خضم من الأسرار ، وماكس مولر Mul er يعرفه بأنه الشعور باللانهائى ، وشليرمارشر Scheleirmarcher يعرفه بالخضوع لوجود لايناله إدراكنا ، وفيورباخ Feuerbach يعرفه بالغريزة التى تدفعنا نحو السعادة ... ويقول دوركايم Durkheim : إن العنصر المشترك حقيقة بين جميع الديانات معنى أكثر اتساعا من ذلك وهو معنى الأمور المقدسة » (١)

ولنكتف الآن من عناصر الدين وخصائصه بعنصرين أساسيين متميزين :

١ ــ الاعتقاد (بإله) معبود يكون مركز الاهتمام الكلى وقبلة الاتجاه الرئيسى فى الفكر والعمل .

٢ ــ الاعتقاد (بعالم الغيب) الذى يجاوز نطاق الحس ، لكن يكون موضع (الإيمان) الذى يعتبر هذه الغيبيات مسلمات حقيقية ثابتة .

فلننظر الآن فى جوانب الفكر الأوربى والمجتمع الأوربى ـ ومثل ذلك فى أمريكا ، هل استطاع العالم الغربى أن يعيش بغير إله وبغير دين ؟

إن فكرة الإله ليست إلا تركيزا للاهتمامات والدوافع والعواطف حول محور أساسى ، تتبلور عنده كل المطالب الجزئية والمشاعر العرضية . وتكون هى المقياس والميزان لكل خاطر أو سلوك .

والفرد الذى يعيش لنفسه ، إنما يؤله ذاته . . . ففى كل فكرة وعمل ، يزن الأمور وفقا لمصلحته الشخصية ، وقد يتسع أفقه فيكون مركز اهتمامه أسرته وأطفاله .

والفرد الأنانى على هذا النحو لم يتحرر من الانقياد لإله ، بل إن هواه يطالبه بما لا يطالبه به رب السموات والأرض ، وهو فى سبيل عبادة إلهه يقيد نفسه بالكثير ، ويتنازل عن الكثير ، ويتحمل من المخاطر الكثير .

• إن الفرد الأنانى يقيد نفسه (بوجوب) إرضاء مطالب ذاته فورا . . . . ولا يعترف بعقبة تحجزه ، أو اعتبار يستحق أن يدخله فى تقديره . إنه أمام إلحاح من ضغوط مزاجه وهو لا يستطيع أن يؤجل أو يلغى مطالبه... كيف وليس فى تقديره إلا حساب ذاته ؟ ؟

نحن إذن أمام إنسان مسعور ، تؤرقه رغباته وشهواته ، ولا يزال يلح عليه الطلب

(١) مبادئ علم الاجتماع الدينى ــ ترجمة الدكتور قاسم ص ٢٣ ــ ٢٧ .

ويندفع إلى الإجابة فلا الطلب ينتهى ولا الإجابة تسعفه فى كل الظروف فبينما نجد إله السموات والأرض رحيما لا يكلف نفسا إلا وسعها ، إذا بإله الهوى لا يقبل معــــذرة ولا يرضى بتسويف .

إن الفرائض التى تفرضها أهواء الملحد لأضخم فى كثير من أوامر الله الكبير المتعال ، والفرد الأنانى يتنازل عن الكثير فى سبيل عبادة هواه ... يتنازل عن نزعاته الاجتماعية ، ولا يأبه لمكانه من قلوب الناس أو منزلته من المجتمع ، ويتنازل عن أشواقه الخفية ومنطقه العقلى ، ويتنازل عن تقدير ما يسمى بالصالح الآجل أو الحساب النهائى ، ويغض النظر عن منفعة الجماعة التى تعود على جميع الأفراد ومنهم هو ذاته ... إنه يعيش فى الساعة التى هو فيها !

إن النواهى التى تفرضها أهواء الملحد ، وتحتم عليه أن يسقطها من اعتباره ، هى تضحيات وخسائر أكبر مما يريده الله الرحيم من العباد .

والفرد الأنانى يتحمل الكثير من المخاطر فى سبيل عبادة هواه ... يتحمل مخاطر بدنية وعقلية ونفسية ، ويعيش فى جحيم من الاضطراب والتخليط ، وقد يتعرض فى سبيل تكليف عاجل من (وحى) إله الهوى إلى سفك دمه أو تعكير صفوه أو إلغاء عقله ، وهو يدفع ضريبة البشرية بآلامها وتضحياتها ونقائصها ولكن فى حدود الحلقة المفرغة والأفق المحدود والمجال الهزيل الذى ربط نفسه به .

إنه جحيم الدنيا يتحدر فى دركاته الملحد ، وتكلفه أهواله من الهزات والقلاقل والنقائض أضعاف ما يتطلبه الإيمان بيوم الحساب !

« إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

* * *

وماذا وفر الناس على أنفسهم إذن حين كفروا بربهم ؟ .

آمنوا بأنفسهم ، فكلفتهم فوق ما يكلفهم دين الله . . . ولربما اتسع نطاق عقائدهم ومذاهبهم فآمنوا (بالجماعة) أو (الأمة) أو (الدولة) وحدها دون سواها ، فإذا بالحرب الضروس تقوم بين جماعة وجماعة ، أو بين أمة وأمة ، أو بين دولة ودولة . . . صراع بين الآلهة التى آمن بها من يريدون أن يؤمنوا بغير (إله) ، فكأننا فوق (جبل الأولمب) حيث لا تكف آلهة الإغريق الأسطورية عن القتال ! وتناثرت المذاهب فوق الرءوس المتطايرة فى الصراع ، فإذا بنا أمام

أديان جديدة بأسماء أخرى تملك على أتباعها مشاعرهم وتأخذ عليهم عقولهم وتفكيرهم ، وإذا بنا أمام عصبيات جديدة مجنونة تسوق البشر إلى مجازر صليبية جديدة باسم (سيادة الجنس) أو ضرورة (المجال الحيوى) أو انتصارا (لفلسفة من الفلسفات) . . فاشية أو استعمارية ، فردية أو جماعية . . . أو ، أو . . . حتى قال القائلون نحن فى هذا القرن العشرين نخوض (أزمـــة التمذهب ism) وتطالعنا الرايات تخفق فوق رءوسنا كل منها تريد أن تنتزع لنفسها الولاء والانقياد . . . أو (العبادة) - مع الاعتذار لأعداء الدين!

والولاء الجماعى كلف الناس ما كلفهم الهوى الفردى من شطط . . . وليقل لنا ذلك دوركايم حتى نصدقه :

« تمتاز الظاهرة الاجتماعيـة بأنها خارج شعور الفرد ، وتمتاز أيضا بقوة آمرة قاهرة هى السبب فى أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد . حقـا إنى لا أشعر بهذا القهر أو لا أكاد أشعر به حين أستسلم له بمحض اختيارى ؛ وذلك لأن الشعور بالقهر فى مثل هذه الحال ليس مجدياً ، ولـكن ذلك لا يحول دون أن يـكون القهر خاصة تتميز بها الظواهر الاجتماعية ، ويدل على ذلك أن هذا القهر يؤكد وجوده بقوة متى حاولت مقابلته بالمقاومة . . . وذلك إما بأن تحول دون نفاذ فعلى إذا كان ثمة متسع من الوقت قبل وقوعه ، وإما بأن تمحو ما يترتب عليه من الآثار ، أو تضعه فى قالب طبيعى إذا كان قد نفذ بالفعل وكان جبره ممكنا ، وإما بأن تلزمنى بالتكفير عنه إذا لم يمكن جبره بحال . . وإذا كنت من أرباب الصناعة فليس ثمـة ما يمنعنى من استخدام الأساليب وطرق الصناعة التى كان يستخدمها الناس فى القرن المـاضى ، ولـكننى لو فعلت ذلك للحق بى الدمار ما فى ذلك شك . ولو فرضنا أننى تمكنت فى الواقع من الخروج على هـذه القواعد ومن خرقها بنجاح فلن أتمكن من ذلك إلا بشرط أن أضطر إلى صراعها ، ولو فرضنا أننى استطعت التغلب عليها فى نهاية هذا الصراع فإنها سوف تشعرنى بقوة قهرها إلى حـد كاف ، وذلك بسبب ما سألقاه من مقاومتها . وليس ثمة مجدد إلا واصطدمت محاولاته بمقاومة من هذا القبيل ، حتى لو كان مجددا سعيد الطالع [١] » .

فأين يذهب الإنسان ؟ ؟

هـل فى وسعه أن يعيش بغير دين وإله ، إلا إن استطاع أن ينخلع من كيانه ودوافعه ، وإن استطاع أن ينتزع نفسه من الـكون والحياة ؟ ؟

---

[١] قواعـد المنهج فى علم الاجتماع — ترجمـة الدكتور قاسم ص ٣٢ — ٣٣ .

« يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا .... لا تنفذون إلا بسلطان » .

« قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا . . . ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله . . . كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران . . . »

« ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض وما يتبع الذين يدعون من الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » .

« مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد » .

* * *

وإذا كانت الحضارة المادية قد نصبت للأفراد آلهتهم التى لا يخطئونها فى قصد ، ولا ينفكون من ربقتها فى سلوك ، فإن لهذه الفلسفة المادية (غيبها) الذى يحاول أن يرضى فى الإنسان أشواقه الخفية . . . . أو يحاول الإنسان باستسلامه لهذا الغيب أن يرضى أشواقه الخفية .

كتب جوستاف لوبون عن (الأصبغة الدينية التى تصبغ بها عقائد الجماعات) يقول :

« ولهذا الشعور مميزات بسيطة جداً ، وهى عبادة موجود افترض سموه وخشية ما يعزى إليه من القدرة ، والانقياد الأعمى لأوامره وتعذر الجدال فى تعاليمه ، والرغبة فى نشر هذه التعاليم وعد كل من يرفض ، اعتناقها عدوا ، ويظل ذلك الشعور الدينى من جوهر واحد على الدوام ، سواء أطبق على إله خفى أو على صنم حجرى أو على مطلب أو فكر سياسى ، وتجد فى ذلك الشعور ما فوق الطبيعة وما هو معجز على السواء ، والجماعات تلبس مثل هذه القدرة الدينية ما يغريها على التعصب من صبغة سياسية ، أو زعيم منصور حينا من الزمن . ولا يكون الإنسان متديناً إذا عبد إلها فقط ، بل يصبح متديناً أيضا عند ما يضع جميع منابع نفسه وجميع انقيادات إرادته فى خدمة قضية أو موجود غدا غاية المشاعر ورائدها ويمكن أن يقال إذن : إن جميع المعتقدات ذات صبغة دينية . . .

لا بد للجماعات من دين ، ولا تستقر المعتقدات السياسية والإلهية والاجتماعية بالجماعات إلا باكتسابها شكلا دينيا على الدوام فيكون به فى حمى من الجدل ، ولو أمكن حمل الجماعات على الإلحاد لاكتسب هذا الإلحاد ما فى الشعور الدينى من شدة تعصب ولأضحى

فى وجوهه الظاهرة ضربا من العبادة بسرعة . ولنا فى تطور المذهب الوضعى مثال طريف على ذلك : ويشابه هذا المذهب ذلك العهد من Nihiiisre الذى روى دستويفسكى لنا قصته فقد سطعت أنوار العقل على هذا العرض ذات يوم فحطم صور الآلهة والقديسين التى كانت تزين هيكل معبده الصغير ، وأطفأ الشموع ولم يبدد من الوقت ثانية ! ! . . . فأحل محل الصور المحطمة كتب بعض الفلاسفة الملحدين كبوخز ومولشوت ثم أشعل الشموع ثانية بوزع ! ! .

أجل : لقد تحول موضوع معتقداته ، الدينية ، ولكن أيمكن أن يقال . إن مشاعره الدينية تغيرت ؟ ؟ ! » . (١)

هذه الحقيقة التى أبرزها الفيلسوف لوبون يقررها علم النفس بالنسبة للفرد ، وعلم الاجتماع بالنسبة للمجتمع على السواء .

يقول الدكتور عبد المنعم المليجى عن نفسية المراهق .

« ونحن نعلم أن المراهق - برغم إطلاقه العنان لتفكيره واستطلاعه ، يرى العالم من خلال مشاعره وتصوراته . . . واكتساب بعض العلم بالعلوم والفنون المختلفة دون أن يتمثلها تمثلا كافيا يضع تحت تصرفه مادة يستغلها فى الجدال والمحاجة ، فيتلاعب بالألفاظ الضخمة ويكلف بالصيغ والتراكيب ويتشدق بالمصطلحات العلمية والفلسفية ويتوهم المراهق أن فكره معين لا ينضب فى حين أن كآبته تكشف عن الضحالة والافتقار إلى وضوح الفكر . . ولذلك ما يكاد يقع على مبدأ على أو مذهب فلسفى يرضى تطلعه ونزعته ، إلى التحرر ، حتى يتحمس له تحمسا هو أقرب ، إلى التعصب ، منه إلى الفكر العلمى الرزين . فإن كان يفيد من الثقافة العلمية الموضوعية أو الأفكار الفلسفية المتحررة ، فهو لا يفيد اتجاها موضوعيا أو منطقيا فى التفكير ، بل يفيد منها ما يؤيد طموحه إلى عقيدة مطلقة ورأى نهائى . وليس يخاف علينا انتشار كتب وآراء بعينها بين جمهور المراهقين فى الشطر الأخير من المراهقة من أمثال داروين ونيتشة وماركس ، وليس يخاف كذلك كيف أن كتابات هؤلاء كانت لدى بعض المراهقين بمثابة كتب مقدسة تحتل فى نفوسهم ما تحتله الكتب السماوية لدى المؤمنين من مكانة رفيعة .

ونحن نجد الدليل على ذلك من مذكرات رجل مثل (سلامة موسى) فهو يقول : (... ولكنى أذكر أنى وأنا دون العشرين أحسست أن نظرية التطور تأخذ مكانا دينيا فى نفسى ، وأنها قد حملتنى واجبا روحيا ،

---

(١) روح الجماعات ترجمة زعيتر ص ٦٨ - ٧٠ .

وقد نما هذا الواجب فى نفسى إلى واجبات [١] وهكذا يشغل الفرد (الفراغ النفسى) ويسد (الجوعة الروحية) بأى بديل يستغرقه نفس الاستغراق .

وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع أيضا ، جاء فى كتاب ماكيفر وبيج عن (قواعد الدين وقواعد السلوك) :

« ... إن بعض العبادات الخلقية مثل عقيدة أوجست كونت بشأن (المذهب الوضعى) أو جمعية الثقافة الخلقية المعاصرة تدعى أنها دينية أيضا ، وإلى جانب ذلك يوجد ما يمكن أن نسميه (الديانات البديلة) حيث ترتبط الخصائص العاطفية التى تصاحب أداء الواجبات الدينية بعناصر لادينية - بل مضادة للدين، كما هى الحال فى بعض تعبيرات الشيوعية أو فى أى دستور اجتماعى غير ذلك [٢] » .

فأين يهرب الناس من نوازع أنفسهم ؟ ؟ ألا يتواضعون للحقائق ويتأملون رصيد التجارب الإنسانية الذى خرج منه الأستاذ العقاد بتقريره الدقيق « الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ... »

ولم يكن الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ، لأنه مصلحة وطنية أو حاجة نوعية، لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ولأن الحاجة النوعية بيولوجية تتحقق أغراضها فى كل زمن وتتوافر أسبابها فى كل حالة ولا زال الإنسان بعد تحقق أغراضها ، وتوفر وسائلها فى حاجة إلى الدين . وغرائز الإنسان النوعية واحدة فى كل فرد من أفراد النوع وكل سلالة من سلالاته ، ولكنه فى الدين يختلف أكبر اختلاف ، لأنه يتجه من الدين إلى غاية لا تنحصر فى النوع ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها ، وليس الغرض منها حفظ النوع وكفى ، بل تقرير مكانه فى هذا الكون أو فى هذه الحياة . فالإنسان يتعلق من النوع بالحياة،ويتعلق من الدين بمعنى الحياة ...

فالإيمان ضرورة كونية لا تخلقها مشيئة أحد من الآحاد ، ولو كان فى قدرة الرسل والأنبياء . فإذا أجمع الناس على الاعتقاد كيفما كان اختلافهم فى الجنس والزمن والموطن والمصلحة - فليس هذا عمل فرد ، ولا هو مما يقع بين الحين والحين عرضا واتفاقا من فعل الحيلة والتدبير ، ولكنه باعث من صميم قوى الكون ، لايفلح الرسل والأنبياء فى نشر دعوته ما لم يكن فى تلك الدعوة مطابقة لحكمة الخلق وسر التكوين ...

وقد رأيت أناسا يبطلون الأديان فى العصر الحديث باسم الفلسفة المادية ، فإذا بهم يستمدون من الدين كل خاصة من خواصه

« ١ » تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

« ٢ » المجتمع - ترجمة الدكتور على عيسى ص ٣٣٣ - ٣٣٤

وكل لازمة من لوازمه ، ولا يستغنون عما فيه من عنصر الإيمان والاعتقاد التى لا سند لها غير مجرد التصديق والشعور ، ثم يجردونه من قوته التى يبثها فى أعماق النفس لأنهم اصطنعوه اصطناعا ولم يرجعوا به إلى مصدره الأصيل. فالمؤمنون بهذه الفلسفة المادية يطلبون من شيعتهم أن يكفروا بكل شىء غير المادة وأن يعتقدوا أن الأكوان تنشأ من هذه المادة فى دورات متسلسلة ، تنحل كل دورة منها فى نهايتها لتعود إلى التركيب فى دورة جديدة وهكذا دواليك ثم دواليك إلى غير انتهاء .

ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم المقيم على هذه الأرض متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعيـــة ، فإن زالت الطبقات الاجتماعية فى هـــذه السنة أو بعدها ببضع سنوات فتلك بداية الفردوس الأبدى الذى يدوم ما دامت الأرض والسموات وتنتهى إليه أطوار التاريخ كما تنتهى بيوم القيامة فى عقيدة المؤمنين بالأديان . ولا يكاف دين من الأديان أتباعه تصديقا أغرب من هذا التصديق ولا تسليما أتم من هذا التسليم ، ولا يخلو دين الفلسفة المادية من شيطانه وهو الرأسمالية الخبيثة ، فكل ما فى الدنيا من عمل سوء أو فكرة سوء فهو كيد من هـــذا الشيطان الماكر المريد . . . ولما طبقت هذه العقيدة على أيدى أصحاب الفلسفة المادية خيل إليهم أنهم ظفروا بحقيقة الحقائق واستغنوا بها عن كل ما اعتقده الإنسان فى جميع الأزمان ، ولا سيما عقائد الأديان والأوطان. وادخروها للزمن كله بل للأبد كله ، ولكنهم لم يصطدموا صدمتهم الأولى فى الحرب العالمية الأخيرة حتى لجأوا إلى الوطن وإلى الديانة . . .

وفحوى هذه العبرة البالغة أن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور بأوهام منكريها ، وأنها ذخيرة من القوة وحوافز الحياة تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمدها من غيرها ، وأن هذه الذخيرة (الضرورية) خلقت لتعمل عملها ولم تخلق ليعبث بها العابثون كلما طاف بأحدهم طائف من الوهم أو طارت برأسه نزعة عارضة لا تثبت على امتحان «١»

هذه الصورة الدقيقة للأديان البديلة الكلية الشاملة totalisme يبرزها « نهرو » كذلك حيث يقول .

« ما هى الماركسية ؟ إنها طريقة لتفسير التاريخ والسياسة والاقتصاد والحياة والنزعات البشرية، وهى نظرية ودعوة لعمل ما، وفلسفة تتناول جميع نواحى النشاط الإنسانى، ومحاولة لجعل التاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله نظاما منطقيا يحمل فى طياته مصائر محتومة كالقدر ، ولكن الناس يشكون فى كون حياتهم منطقية بهذا الشكل ومعتمدة على قواعد مقطوعة مبتوت فيها » «٢» وكم من نبوءات ماركس لم تصب التحقيق ؟ ؟

«١» من مقدمة الفلسفة القرآنية .

«٢» لمحات من تاريخ العالم ـ طبع بيروت ص ١٦٨ .

لا ملجأ من الله إلا إليه . . .

تلك عبرة الواقع ، وما أفدح الثمن الذى دفعته البشرية للتخلص من الدين والإله . . .

لقد وقعت فيما أرادت ان تتوقاه . . . وآمنت بأضعاف ما أرادت أن تتحرر منه حين تكفر بالله .

أما المؤمن بالله ، فهو كافر بكل ما عداه :

يؤمن بالله فيتحرر من كل الضغوط والنزوات ، وتنطلق قواه التى لا ترضخ لغير فاطرها ، والتى يكسبها الإيمان قوه دافعة إذ يرضى الأشواق الخفية ويحطم أغلال الآلهة الباطلة الظاهرة ويوازن بين شتى الدوافع والاحتياجات :

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وكم تتبدد طاقات الناس بين الضعف الكسير والكبر المغرور . . . وكم تضيع فى التخبط والتمزق قوى كانت تأتى بربح أوفر لو أنفقت فى الاعتقاد المستنير المتجه إلى قبلة واحدة ومعبود ليس له شريك .

« قل إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

يريد الإنسان أن يتحرر من الخوف حتى من الله . فإذا به يخاف من القطة السوداء ، ورقم ١٣ ، وتشكيلة عجيبة من أوهام التشاؤم ويتفاءل بتشكيلة أخرى أعجب من ألوان المبشرات !!

« والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات ، من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » .

« سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ، حبطت أعمالهم ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ؟ » .

« فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ؟ فأنى تصرفون » .

« أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ؟

فتحى عثمان

من رجالات الإسلام

السيد أحمد خان

مؤسس جامعة عليكره

بلغ تدهور الشعوب الإسلامية أدنى درجاته فى القرن التاسع عشر ، وما أن ابتدأت موجة المد ترتفع قليلا حتى هبت بعض الشخصيات اللامعة تقود حركة التقدم فى شتى الأقطار الإسلامية . وكان منهم من قاد حركات على نطاق دولى وآخرون قصروا جهودهم على الميدان القومى . وكان بعض هذه الحركات يقوم على أساس دينى ، والبعض الآخر على أساس دستورى ، وحركات تقوم على أساس ثورى أو سلبى لا تعداه . فمحمد بن عبد الوهاب ، زعيم الحركة الوهابية فى نجد ، كان زعيما دينيا لم يعبأ بالشئون السياسية والاقتصادية أما محمد أحمد ، الذى ادعى بأنه المهدى ، فقد شن حربا فى السودان قامت على أسس دينية سياسية ، كان القصد منها تحرير السودان من السيطرة الأجنبية . أما ثورتا عرابى فى مصر والشيخ عبد القادر فى الجزائر فلم تأتيا بالنتيجة المطلوبة . وحارب الشيخ شامل حكومة القيصر فى جبال داغستان (القوقاز) سنوات عديدة دون أن يحقق أهدافه . وحاول اسماعيل جاسبرنسكى أن يقنع حكومة روسيا باتباع موقف ودى مع المسلمين الروس بينما قام مدحت (باشا) بتكوين حكومة دستورية فى تركيا افتتح السلطان عبد الحميد نفسه أول برلمان فيها .

أحمد خان يهب للعمل . . .

فى مثل هذه الظروف هب السيد أحمد خان لقيادة حركة النهضة فى شبه القارة الهندية الباكستانية . والسيد أحمد هو سليل عائلة عريقة فى دلهى ، وقد ارتقى مناصب الدولة حتى عين وزيراً لآخر ملك من ملوك « الحصن الأحمر » . وقد ألجأته الظروف إلى العمل فى شركة الهند الشرقية وأن يظل فى خدمة « التاج » بعد عام ١٨٥٧ . وقد أنقذ حياة عدد كبير من البريطانيين والبريطانيات وعرض نفسه فى سبيل ذلك للأخطار . وشاءت الحكومة الجديدة أن تكافئه على هذه الخدمات

ولكنه رفض عطاياها الضخمة مكتفيا بما كان يناله من معاش ضئيل . وظل يعمل فى خدمة الحكومة حتى عام ١٨٧٦ . وبعد أن شاهد حالة الرعب التى سادت عام ١٨٥٧ وأعمال الانتقام التى كان يقودها الحكام الجدد للقضاء على المسلمين فى الهند ابتدأ عقله الكبير ذو الحساسية الشديدة يبحث عن وسائل لقيادة حركة النهضة . ولما كان موظفا حكوميا فقد حيل بينه وبين الاشتراك فى نواحى الحياة العامة ، إلا ما تعلق منها بالشئون الثقافية . واختط السيد أحمد لنفسه طريقا مناسبا للظروف ، وكانت جميع القرائن توحى بأن هذا الطريق سيؤتى أكله . وذلك لما عرف عن السيد أحمد من عبقرية نادرة . وقد شعر السيد أحمد منذ البدء بأنه إذا رغب مسلمو شبه القارة الهندية فى إنقاذ أنفسهم من الفناء فإن عليهم أن يتعلموا اللغة الانجليزية وأن يشتركوا فى إدارة دفة البلاد بالقدر الذى يسمح به البريطانيون لرعاياهم من الهنود . كما أنه طلب من المسلمين أن يقدروا مدنية أسيادهم الجدد وثقافتهم حق قدرها ، وأن يدرسوا مختلف العلوم التى جعلت الغرب يسبقهم بمراحل طويلة ويتركهم فى المؤخرة . واستهل السيد أحمد أعماله بافتتاح مدارس ثانويه وعليا فى بنارس وجازيبور ومراد أباد . وكانت هذه البداية محدودة ولكنها كانت تشير إلى الاتجاه الذى يسلكه عقله المفكر . فقد أراد من المسلمين أن يطرحوا رداء اليأس والقنوط ويحاولوا إنقاذ ما يمكن إنقاذه . وكان من الطبيعى ألا يصادف نداءه هذا أذانا صاغية لدى أمته فى بادئ الأمر وخاصة وأنها كانت سادرة فى خمولها وجهلها ، ناظرة بعين الازدراء إلى ذلك التطور الذى كان يصيب شتى مرافق البلاد ولا يستفيد منه إلا الهندوس فإذا ما هاجم القادة الاجتماعيون ، والزعماء الدينيون دراسة اللغة الانجليزية والعلوم الغربية فإنهم إنما كانوا يفعلون ذلك تعبيراً عن خواطر الأمة وتنفيسا عن حقد دفين لم يكن له ما يبرره .

وابتدأ عمله الحقيقى بعد استقالته من وظيفته الحكومية لدى بلوغه التاسعة والخمسين ، وقد بدأ هذا العمل فيما أطلق عليه « حركة عليكرة » وكان فى ذلك الوقت قد تمكن من التفرغ لمتابعة تحقيق الحلم الذى طالما راوده . واستهل هذا العمل بإنشاء جمعية عليكرة العلمية وذلك لكى يفتح أذهان بنى قومه ويبصرهم بشئون التقدم العلمى الذى وضع زعامة العالم فى أيدى الدول الغربية . وابتدأت ترجمة هذه الكتب العلمية من الإنجليزية إلى الأوردية كما ألفت كتب عديدة حول الموضوعات الهامة كالتاريخ والدين ، ألفها بعض العلماء المشهورين .

وإذا كانت عظمة الزعيم تقاس بالرجال

الذين يحيطون به فإن شخصيات شيراغ على ، وحالى ومحسن الملك ، وذكاء الله ونذير أحمد وغيرهم من الخلصاء والمساعدين لجديرة بأن تمنح الرجل صفات العظمة . ولم يقتصر عمل السيد أحمد على حث الآخرين على النهوض بالأدب الأوردى بل إنه ألف بنفسه كتبا كثيرة باللغة الأوردية ، وقدم للبلاد أسلوبا حديثا لهذه اللغة . ولم يشأ السيد أحمد خان أن يقصر ميدان نشاطه على الطبقة المثقفة المتعلمة بل أراد أن يشمل هذا النشاط جميع طبقات الشعب ، فأنشأ لهذا الغرض مجلة أسبوعية سماها « تهذيب الأخلاق » وراح يحاول فيها تهذيب فكرة الإسلام التى كانت قد علقت بها الشوائب فى ذلك الحين . وقد أحدثت هذه الصحيفة نشوة خاصة بين طبقات المتدينين .

وكانت الخدمات الدينية التى قدمها السيد أحمد متعددة متشعبة أنارت بصيرة بنى قومه الذين كانوا يغطون فى سبات عميق . ومن بين هذه الخدمات صحيفة « تهذيب الأخلاق » التى غزت جميع الأوساط ومنها تعليقاته العلمية على القرآن التى ضمنها ستة مجلدات قبل وفاته ؛ ومنها كتابه الجرىء ومقالاته عن حياة محمد الذى ألفه ونشره فى لندن . وقد ألف السيد أحمد خان هذا الكتاب رداً على كتاب « حياة محمد » للسير وليم موير . وتتلخص المبادىء التى تنطوى عليها كتاباته الدينية فى إمكانية تفسير الدين تفسيراً منطقيا بحتا . وتشمل هذه المبادىء كذلك أن الدين إذا كان دينا حقا فيجب ألا يتعارض مع مكتشفات العلم الحديث لأنه يؤمن باستحالة تعارض ما يصدر عن الله جل جلاله من عمل وما يوحى به من الكلام . وقد أكسبت هذه الآراء السيد أحمد صفة « الرجل الطبيعى » وهى صفة غامضة ترادف فى معناها كلمة « الملحد » ، وهذا خلاف الواقع . ولكن السيد أحمد لم يسمح لهذه المعارضة الشديدة بأن تنال من عزيمته ، واحتفظ بروحه العالية حتى النهاية . بل إن هذه المعارضة الشديدة قد زادت عزيمته مضاء وضاعفت من جهوده حتى قضى عليها . ولم يمض جيل واحد على وفاته حتى وضع زعماء مدرستى « ديوباند » و « فرنجى محل » أيديهم فى أيدى أتباع مدرسة عليكرة فى حركتهم الجديدة .

حكمة سياسية

ويحتل كتابه « أسباب العصيان الهندى » الذى أسرف فى إطرائه مستر هيوم ، مكانة مرموقة على الرغم من صغر حجمه . وقد ألفه السيد أحمد رداً على كتاب « مسلمى الهند » الشهير الذى ألفه و . هنتر وانتقد فيه المسلمين وطلب فيه من الحكومة أن تأخذ حذرها منهم . وقد وضح هذا الكتاب

للبريطانيين ، بما فيه من تحليل رائع أخاذ ، فداحة الأخطاء التي يرتكبونها في الهند ، وأبان لهم مسئوليتهم عن الحوادث التي وقعت عام ١٨٥٧ . فهو يقول أن أسباب وقوع هذه الحوادث ترجع إلى عدم إشراك الهنود في إدارة شئون بلادهم وانعدام الاختلاط الاجتماعي بين الحكام والمحكومين وتدخل الحكومة في الشئون الدينية تدخلا غير مرغوب فيه . وجدير بالذكر أن السيد أحمد خان كان يطبع هذه الآراء الجريئة وينشرها في وقت كانت كل الهند تئن فيه تحت وطأة الأحكام العرفية . وعلى الرغم من جميع الخلافات التي كانت قائمة بين الهندوس والمسلمين حول المسائل الدينية والنظرة الاجتماعية فإن السيد أحمد خان كان يشعر دائماً بأن العمل المشترك لابد وأن يؤدى في النهاية إلى وحدة وتفاهم في الميدان السياسي . وقد قام زعيم حركة عليكرة بقيادة حركة المطالبة بحقوق الهنود وحريتهم في المجلس التشريعي للحاكم العام ، على الرغم من ضآلة ما يعرفه من اللغة الإنجليزية وكان ذلك قبل أن يسمع أحد « بالمؤتمر الهندى الوطنى » بسنوات عديدة ، ولا يزال خطابه الشهير عن الحكم الذاتي في الهند يجد صدى لدى جميع الذين يطالبون بالحرية . ويروى أن مؤسس « المؤتمر الهندى الوطنى » ، مستر ا . هيوم ، قال لصاحب زاده افتاب أحمد خان : « إننى لم أشعر بحاجتنا إلى معرض للآراء في الهند إلا بعد قراءة كتاب السيد أحمد خان (أسباب العصيان الهندى) » وتلا ذلك تأسيس حزب المؤتمر الهندى الوطنى . أما النصيحة التي قدمها السيد أحمد خان للمسلمين بعدم الانضمام إلى حزب المؤتمر فقد جاءت بعد تأسيسه بفترة طويلة ، وكانت وليدة تجارب مريرة ، فقد بدأ حركته بتشبيه الهندوس والمسلمين بعيني الدولة ، ولكنه ما أن اكتشف أن الهندوس يعملون على إزالة كل أثر للثقافة الإسلامية وعلى إزالة معالم اللغة الأوردية حتى غير موقفه وطلب من المسلمين الابتعاد عن هذا الحزب .

وقد جاء دفاعه المجيد عن تمثيل الهنود في الهيئات التشريعية بعد أن راقب عن كثب كيفية إدارة الحكم الديموقراطي في البلاد والسياسة التي يتبعها زملاؤه الهندوس في المجلس التشريعي . وقد ألقى السيد أحمد خان في يناير عام ١٨٨٣ خطابا أثناء مناقشة مشروع قرار اللورد ريبون عن الحكم الذاتي فقال :

« إن نظام التمثيل النيابي عن طريق الانتخاب يعني تمثيل رأى أغلبية الشعب ومصالحها . وهذا النظام هو أصلح النظم للبلاد التي تضم

عنصراً واحداً يمثل عقيدة واحدة . أما فى بلد كالهند حيث لا يزال التميز العنصرى سائدا ، وحيث ينعدم تمازج العناصر المتفرقة ، وحيث التميز الدينى لا يزال على أشده ، وحيث عجز التعليم عن تقديم الفرص المتكافئة لجميع العناصر ، فإننى أعتقد أن أتباع مبادئ الانتخابات المعروفة لتمثيل مختلف المصالح فى المجالس المحلية والمجالس الإقليمية لن يؤدى إلا إلى نتائج وخيمة لا تقتصر على الناحية الاقتصادية وحدها . إننا لا نستطيع أن نأمن عثرات هذا النظام الانتخابى المألوف ما دامت الخلافات قائمة بين العناصر والأديان ، وما دام التميز العنصرى يشكل عاملا هاما من عوامل التكوين الاجتماعى السياسى فى الهند ، ويؤثر على سكان الهند فى المسائل التى تتعلق بإدارة شئون البلاد ورعاية مصالحها . فى مثل هذه الحالة ستتحكم طائفة الأغلبية فى مصالح الأقلية الضئيلة » .

ونقتطف فيما يلى نبذة من ترجمة حياة السيد أحمد التى ألفها « حالى » وهى تعطينا صورة واضحة عن رجل سياسى تنبأ بوقوع حوادث فى المستقبل انتهت بتأسيس دولة الباكستان :

« اتخذ بعض زعماء الهندوس فى بنارس عام ١٨٦٧ قرارا بوقف استخدام اللغة الأوردية التى تكتب بأحرف فارسية فى دواوين الحكومة بقدر الإمكان والاستعاضة عنها باللغة الهندوسية . وكان السيد أحمد يقول دائما : إنه ابتدأ يشعر بعد هذا القرار بأنه قد أصبح من المتعذر على المسلمين والهندوس أن يكونوا أمة واحدة ، كما أصبح من المتعذر على طرف من الطرفين العمل من أجل الطرفين معا . وهذه هى كلماته فى هذا الموضوع : « فى هذه الأيام التى اشتد فيها الصراع بين اللغتين الأوردية والهندوسية فى بنارس قابلت مستر شكسبير ، المندوب البريطانى هناك ، وكنت أحدثه عن شئون تعليم المسلمين وهو يستمع إلىّ والدهشة تعلو وجهه ثم قال : هذه هى المرة الأولى التى أستمع فيها إليك وأنت تتحدث عن تقدم المسلمين وحدهم . لقد كنت دائما حريصا على أن تتكلم عن مصالح بنى قومك جميعا . فقلت : لقد اقتنعت الآن بأن هاتين الأمتين لن يقدر لهما الاتحاد حول أى موضوع أبدا .

نضال من أجل التعليم :

وكان السيد أحمد يعتقد أن حاجة المسلمين إلى تعليم صحيح يقوم على أسس سليمة تزيد على حاجتهم إلى كفاح سياسى . ولهذا فقد أسس أعظم مركز للتعليم الإسلامى الحديث والثقافة الإسلامية فى شبه القارة الأوروبية ـ جامعة عليكرة الإسلامية ـ وقد ابتدأت هذه الجامعة كمدرسة صغيرة تضم اثنى عشر

تلميذا ، واتخذت أول مقر لها فى أحد مساكن الضباط المهجورة فى معسكر عليكرة . ثم نمت حتى أصبحت الكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية عام ١٨٧٦ ، وكان مؤسس هذه المدرسة يهدف من وراء هذا المشروع إلى تكوين « قرطبة » جديدة فى الشرق تحث على البحث الحر والتسامح وتدرس خير ما فى الشرق والغرب معا ، وتحاول خلق فرع من الثقافة الإسلامية والعلوم الغربية ، لقد شاهد السيد أحمد أكسفورد وكمبردج ودرس فيهما فائدة نظام الحياة الجامعية : وقد وقفت سياسة الحكومة العاملة والقوانين التى تقيد تقديم المساعدات المالية للمدارس دون تحقيق هذا المشروع . ولذا فقد قنع السيد أحمد بتأسيس أكبر كلية داخلية فى البلاد ، وترك للمستقبل مسألة تحويل هذه الكلية إلى جامعة أحلامه .

وابتدأت بإنشاء هذه الكليات حركة عليكرة ، وهى أكبر حركة من نوعها صادفت نجاحا كبيراً فى العالم الإسلامى . وقد وضع السيد أحمد نصب عينيه منذ البدء ألا يقتصر نشاط هذه الكلية على الإقليم الذى أنشئت فيه وتحقيقا لهذا الغرض قام بزيارة لجميع المراكز الإسلامية فى الهند وحث مسلمى جميع الأقاليم فى المؤتمر التعليمى الإسلامى على فتح المعاهد التعليمية فى مناطقهم . وازداد نجاح الحركة وابتدأ شبان المسلمين يدخلون وظائف الحكومة وميدان الأعمال الحرة . وارتقى البعض أرقى مناصب الدولة وتزعم البعض الآخر ميادين القانون والطب والهندسة والصحافة وغيرها من المهن . ولم يكن هذا ليحدث بدون هذه الحركة التى رفعت شأن المسلمين بعد أن طال عليهم الأمد وهم فى الحضيض من الناحيتين الاجتماعية والسياسية . وضمت حركة عليكرة فضلا عن الطلاب الذين قدموا إليها من شتى أنحاء الهند طلابا من بورما والملايو وسيلان وجنوب إفريقيا وشرقها وأفغانستان . وانبعثت عن هذه الحركة حركتا «خدام الكعبة» و «حركة الخلفاء» ، وقد نظم حفلة تنصيب نائب الملك فى عام ١٩٠٦ النواب محسن الملك خليفة السيد أحمد فى عليكرة وكان ظهور حزب الرابطة الإسلامية نتيجة منطقية لهذه الحركة وكان زعماء هــذا الحزب يستنيرون بآراء نواب وقار الملك فى عليكرة .

وليس هناك أدنى شك فى أن جميع مظاهر نهضة المسلمين فى شبه القارة تعود فى أصلها إلى حركة عليكرة . لقد أحيا السيد أحمد بحركته هذه نظاما من الفوضى ، وكون كتلة إسلامية فى العالم من بين أنياب البؤس وأعدها لتكون مصيرها على صورة «الباكستان» .

الإسلام والفلسفة

للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

يبدو أن كتاب الغزالى المعنون « تهافت الفلاسفة » قد جر على الغزالى الاتهام بأنه عدو الفلسفة، وجر على الإسلام بالتالى تهمة العداء للفلسفة.

فهل صحيح أن صاحب « تهافت الفلاسفة » عدو للفلسفة ؟ وأن الإسلام عدو للفلسفة كذلك ؟

أريد أن أعرض رأيى فى هذه المسألة آملا أن يصل صوتى إلى آذان كان لأصحابها كلام عاجل حول هذه المسألة، فى مجلس ضمنى بهم، ولكنه مع عجلته صريح فيما يريدون.

والظروف التى اضطرتهم إلى العجلة فيما يقولون هى نفسها التى حالت دون تعقيبى على ما يقولون. ولكن إذا كانت فرصة التعقيب الشفوى قد فاتت، فلا أحب أن تفوت الفرصة كلية ؛ ذلك لأنى لا أعرف المجاملة فى العلم، فللعلم عندى قدسية تسمو على المجاملة ؛ ولأن نفسى لا تطاوعنى أن أقف من آراء تبينت لى صحتها موقفا سلبيا وهى تهاجم، ولا أن يعرف الناس عنى هذا الموقف.

ولن يحملنى كل ذلك على أن أتعصب أو أتحامل ؛ لأن قدسية العلم التى أراها تسمو على المجاملة، أرى أن التعصب لها بغير حق امتهان لها وافتيات عليها.

والآن، هل فى تأليف الغزالى لكتاب « تهافت الفلاسفة » ما يصحح القول بأنه هو والإسلام معا عدوان للفلسفة ؟ لنأخذ الأمر مسألة مسألة، ولننظر أولا فى موقف الغزالى من الفلسفة. ولأضع بين يدى القارئ النص التالى من كتاب « تهافت الفلاسفة » يقول الغزالى ص ٧٧ ط ٣ دار المعارف :

« ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام :

قسم يرجع النزاع فيه إلى لفظ مجرد كتسميتهم صانع العالم، تعالى عن قولهم، جوهرا، مع تفسيرهم الجوهر بأنه الموجود لا فى موضوع، أى القائم بنفسه الذى لا يحتاج إلى مقوم يقومه، ولم يريدوا بالجوهر المتحيز، على ما أراده خصومهم.

ولسنا نخوض فى إبطال هذا ؛ لأن معنى القيام بالنفس إذا صار متفقاً عليه، رجع الكلام فى التعبير باسم الجوهر عن هذا المعنى

إلى البحث عن اللغة . وإن سوغت اللغة إطلاقه رجع جواز إطلاقه فى الشرع إلى المباحث الفقهية ؛ فإن تحريم إطلاق الأسامى وإباحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع .

ولعلك تقول : هذا إنما ذكره المتكلمون فى الصفات ، ولم يورده الفقهاء فى فن الفقه . فلا ينبغى أن تلتبس عليك حقائق الأمور بالعادات والمراسم ، فقد عرفت أنه بحث عن جواز التلفظ بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحث عن جواز فعل من الأفعال .

القسم الثانى : ما لا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل — صلوات الله عليهم — منازعتهم فيه كقولهم : إن الكسوف القمرى عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة ، والسماء محيط بها من الجوانب ؛ فإذا وقع القمر فى ظل الأرض انقطع عنه نور الشمس .

وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما فى العقدتين على دقيقة واحدة .

وهذا الفن أيضا لسنا نخوض فى إبطاله ؛ إذ لا يتعلق به غرض ، ومن ظن أن المناظرة فى إبطال هذا من الدين ، فقد جنى على الدين وضعف أمره ؛ فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية ، لا يبقى معها ريبة ، فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستريب فى الشرع . وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه ، وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل .

فإن قيل : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة » . فكيف يلائم هذا ما قالوه ؟ قلنا : وليس فى هذا ما يناقض ما قالوه ؛ إذ ليس فيه إلا نفى وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته والأمر بالصلاة عنده ، والشرع الذى يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحبابا ؟

فإن قيل : فقد روى أنه قال فى آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجلى لشىء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلى . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ، وإنما المروى ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحا لكان

تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ، فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التى لا تنتهى فى الوضوح إلى هذا الحد ؟ وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق إبطال الشرع إن كان شرطه أمثال ذلك .

وهذا لأن البحث فى العالم عن كونه حادثا أو قديماً . ثم إذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا ، أومسدساً أو مثمنا ، وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوه ، أو أقل أو أكثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهى كنسبة النظر فى طبقات البصلة وعددها ، وعدد حب الرمان ، فالمقصود كونه من فعل الله فقط ، كيفما كان .

القسم الثالث : ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول فى حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الأجساد والأبدان ، وقد أنكروا جميع ذلك .

فهذا الفن ونظائره هو الذى ينبغى أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه » .

وليعذرنى القارىء إذا أثقلت عليه بذكر نص طويل كهذا ؛ فإن المقصود أن نشركه فى الأمر ، وأن نضع حيثيات حكمنا كاملة بين يديه ، والتلخيص وحكاية الرأى فى غير عبارة صاحبه يفوتان هذا القصد .

ومن النص يتبين أن الغزالى فى حديثه عن القسم الأول من أوجه الخلاف بين من ينصب نفسه مدافعاً عن الدين ، وبين غيره ممن لا يتخذ الدفاع عن الدين غرضا من أغراض تفكيره ، يهتم بالمعانى أكثر مما يهتم بالألفاظ وإذا كان قد انتهى آخر الأمر إلى ضرورة الرجوع إلى الفقه لأخذ إذن منه باستعمال ألفاظ مستحدثة فى مجالات الدين ، فهو يعلم أبلغ العلم - لأن له أبحاثا فى الفقه تنبئ عن تضلعه فيه - أن الفقه لا يمنع من هذا الاستعمال ؛ لأن من أقواله الراجحة ، أن هذا الاستعمال مباح ، متى سلم المعنى .

ولنترك القسم الأول ؛ فإن خطره فيما نحن بصدده من أمر ، ضئيل ، ولننتقل إلى القسم الثانى ، وهو - عند الغزالى - كل أمر من الأمور التى لا تعالج أصلا من أصول الدين . وما أوسع مجال هذا القسم وأبعد مداه ، فهو يشمل المسائل الطبيعية كلها ، يشمل بحث الأرض وما تحتويه من معادن وعناصر ونبات وحيوان ، وإنسان ، ويشمل السماء وما تحتويه من كواكب وأفلاك وهواء ، ويشمل المنطق والرياضيات .

وإذا كان الاستثناء معيار العموم ، كما يقول رجال النحو القديم ، فإن الاقتصار على إخراج المسائل التى تعالج أصول الدين ، من مجال هذا القسم إيذان بشموله وعمومه ؛ فإن المسائل التى تعالج أصول الدين معدودة محدودة .

وفى هذا المجال الفسيح يعطى الغزالى للعقل البشرى حرية مطلقة يبحث ويفتش ويستنتج ويقرر كل ما يعن له من أمر . ويحرم الغزالى تحريما باتا قاطعا أن يتدخل إنسان فى هذا المجال باسم الدين . ويسلك الغزالى فى بيان ذلك التحريم مسلكا يشعر بأن مصلحة الدين نفسه تقضى بعدم التعرض للباحثين فى هذه المجالات ؛ ليكون ذلك أدخل فى إقناع من تحملهم الغيرة المفرطة على الدين أن يزجوا باسمه فى كل شأن من الشئون ، بعدم التعرض باسم الدين للباحثين فى هذه المجالات ،

وإذا كانت هذه المجالات واسعة كل السعة تتناول العلوم كلها وفروع الفلسفة كلها ما عدا فرعا واحدا منها يسمى ماوراء الطبيعة وبعض مسائل تلابسه ، وإذا كان الغزالى يعطى للعقل حقا مطلقا فى أن يتصرف فى هذه المجالات كما يشاء وكما تهديه المناهج الصحيحة ، فلا يرضى الإنصاف أن يقال عن الغزالى : إنه عدو للفلسفة لأنه ألف كتابا اسمه «تهافت الفلاسفة» اللهم إلا أن يكون الكتاب يقرأ من عنوانه .

فأية جرأة يمكن أن تساند العقل وتقف بجانبه أكبر من قول الغزالى : «كيف ولو كان صحيحاً ما قيل من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : «إن الكسوف خضوع بسبب التجلى» لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية . فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التى لا تنتهى فى الوضوح إلى هذا الحد»

يا عجباً كل العجب ؟!! كيف يقال عمن يوجب تأويل النصوص الدينية إذا عارضت أموراً يقطع العقل بصحتها إنه عدو للفلسفة وإنى لأتساءل فى دهشة : هل مسائل الفلسفة قطعية ؟ أم ليست بقطعية ؟ فإن كانت قطعية فالغزالى الذى يقال عنه : إنه عدو للفلسفة يرى ضرورة التمسك بها وصرف النصوص الدينية التى تتعارض معها عن ظواهرها ؛ فماذا ينتظر منه أن يقول — لكى يرضوا عنه ولكى لا يكون فى نظرهم عدوا للفلسفة — أكثر من هذا ؟ .

وإن لم تكن مسائلها قطعية ، فهل يريد دعاة التجديد — وقت ما يكونون هم أنفسهم فى حيرة من أمر بحوثهم — أن يسبقهم الغزالى إلى الإيمان بها لكى يرضوا عنه ولا يتهموه بعداوة الفلسفة ؟ .

أستميح القارئ عذرا إذ أخرج به قليلا عن الحدود التى رسمتها للبحث وهى الوقوف مع كتاب التهافت لمعرفة هل يستحق الغزالى من أجله أن يصير عدوا للفلسفة ، لأضع بين يده فقرات من كتاب مقاصد الفلاسفة الذى ألفه الغزالى ليكون تمهيداً لكتاب تهافت الفلاسفة ، حيث تبين هذه الفقرات رأى الغزالى صراحة فى تمكين العقل من البحث فى فروع الفلسفة المختلفة ، يقول الغزالى ص٢ ج١ صبيح :

« إن علومهم أربعة أقسام : الرياضيات . والمنطقيات . والطبيعيات . والإلهيات .

أما الرياضيات : فهي نظر في الحساب والهندسة ، وليس في ، مقتضيات الهندسة والحساب ما يخالف العقل ولا هي مما يمكن أن يقابل بإنكار وجحد ، وإذا كان كذلك فلا غرض لنا في الاشتغال بإيراده .

وأما الإلهيات ، فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب نادر فيها .

وأما المنطقيات : فأكثرها على منهج الصواب ، والخطأ نادر فيها ، وإنما يخالفون أهل الحق فيها بالاصطلاحات والإيرادات دون المعاني والمقاصد ، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظار .

وأما الطبيعيات : فالحق فيها مشوب بالباطل والصواب فيها مشتبه بالخطأ فلا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب ، وسيتضح في كتاب التهافت بطلان ما ينبغي أن يعتقد بطلانه » .

وفي قول الغزالي عن الرياضيات « وليس في مقتضياتها ما يخالف العقل ، ولا هي مما يمكن أن يقابل بجحد » ، ما يشير إلى أنه يتخذ العقل وسيلته في قبول ما يقبل ورفض ما يرفض ، وكيف يقال عمن يحكم العقل فيما يقبل ويرفض : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تأبى حكم العقل ؟

وفي قول الغزالي عن الإلهيات « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب فيها نادر » دون قوله « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الدين » ، ما يشير أيضا إلى أنه يلتزم الحق والصواب ويبحث عنهما ، فهل يقال عمن يبحث عن الحق والصواب : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تبحث عن شيء غير الحق والصواب ؟

وفي قول الغزالي عن المنطقيات « إنها على منهج الصواب » ، ما يشير إلى أن الغزالي يحترم المنطق الذي كان معروفا في عهده ، وهو المعروف بالمنطق الأرسطي ، ولشد ما أنا مندهش ممن أتحدث إليهم في مقالي هذا ، أن أجدهم يقولون : إن الغزالي عدو لمنطق أرسطو وله تآليف في نقده وتزييفه ، ولم يك ذلك القول منهم يعني أن الغزالي بلغ شأوا يجعله قادرا على أن يستدرك على أرسطو ويصحح بعض أخطائه ، وإنما كان يعني أن الغزالي بلغ من السخف مبلغا جعله يتطاول على أرسطو . نعم لشد ما أنا مندهش أن أسمع عن الغزالي ذلك ، وهو الذي يقول عن منطق أرسطو في كتاب « مقاصد الفلاسفة » : إنه منهج الصواب . وهو الذي يقول أيضا عن هذا المنطق نفسه في كتابه « تهافت الفلاسفة » ص ٨٣ :

« نعم قولهم : إن المنطقيات لابد من إحكامها

هو صحيح ، ولكن المنطق ليس مخصوصا بهم وإنما هو الأصل الذى نسميه فى فن الكلام «كتاب النظر» فغيروا عبارته إلى المنطق تهويلا ، وقد نسميه «كتاب الجدل» وقد نسميه «مدارك العقول» فإذا سمع المتكايس المستضعف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه المتكلمون ، ولا يطلع عليه إلا الفلاسفة ونحن لدفع هذا الخبال ، واستئصال هذه الحيلة فى الإضلال نرى أن نفرد القول فى مدارك العقول فى هذا الكتاب ونهجر فيه ألفاظ المتكلمين والأصوليين ، بل نوردها بعبارات المنطقيين ونصبها فى قوالبهم ونقتفى آثارهم لفظا لفظا ، ونناظرهم فى هذا الكتاب بلغتهم — أى بعباراتهم فى المنطق — ونبين أن ما شرطوه فى صحة مادة القياس فى قسم البرهان من المنطق ، وما شرطوه فى صورته فى كتاب القياس ، وما وضعوه من الأوضاع فى إيساغوجى وقاطيغورياس التى هى من أجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشىء منه فى علومهم الإلهية .

ولكنا نرى أن نورد «مدارك العقول» فى آخر الكتاب ، فإنه كالآلة لدرك مقصود الكتاب ، ولكن رب ناظر يستغنى عنه فى الفهم فنؤخره حتى يعرض عنه من لا يحتاج إليه ، ومن لا يفهم ألفاظنا فى آحاد المسائل فى الرد عليهم ، فينبغى أن يبتدئ أولا بحفظ كتاب «معيار العلم» الذى هو الملقب بالمنطق عندهم» .

وكتاب «معيار العلم» الذى هو منطق صرف على نهج أرسطو مطبوع موجود ، وهو شاهد مادى على أن الغزالى ألف فى تأييد منطق أرسطو واحتكم إليه فى أعنف خصوماته .

نعود إلى القسم الثالث والأخير من الأقسام التى أوردنا الأول والثانى منها . ويحد الغزالى هـذا القسم بأنه الذى تصطدم فيه أفكار الفلاسفة بأصل من أصول الدين ، وحتى فى هذا القسم لا يقول الغزالى للفلاسفة : أنتم تقولون كذا ، والله يقول بخلافه ، فأنتم كاذبون والله صادق ، نعم لم يقل الغزالى للفلاسفة ذلك ، ولو أنه فعل لما جاز لنا أن ننسى ما فتح أمام العقل من ميادين متعددة فسيحة جعله فيها حراً طليقا من كل قيد ، ونذكر له فقط مسائل معدودة قيد فيها العقل بقيود ، وننعته من أجل ذلك بأنه عدو للعقل والفلسفة ، فما بالنا وهو لم يفعل ، بل حتى فى مسائل هـذا القسم التى يرى أن الفلاسفة فيها يخالفون أصول الدين ، لم يلجأ إلى قدسية الدين يصوغ منها ردوده على الفلاسفة ، وكيف والدين خصم ، والخصم لا يكون حكما ، نعم لم يلجأ الغزالى إلى الدين يفرض قدسيته على خصومه ، بل لجأ إلى العقل نفسه ورضيه حكما بين الفلاسفة والدين .

فماذا يغضب الناس من الغزالى إذا كان قد استطاع أن يكشف عن أن العقل قد تخلى عن الفلاسفة فى المسائل التى صادموا فيها شيئا من أصول الدين ؟ هل يغضبهم منه أنه كشف عن أن أفكار الفلاسفة التى صادمت أصول الدين ليست جديرة بأن تسمى فلسفة ؛ لأن العقل قد تخلى عن نصرتها وتأييدها ؟ هل يغضبهم أن يكون الغزالى قد توصل إلى معرفة أن للعقل حدودا إذا جاوزها ضل ؟ وهل البحث فى قيمة العقل إلا بحث فى صميم الفلسفة ؟ حتى ولو تأدى البحث فيه إلى عدم الاغترار به ، والوقوف به عند حدوده ؛ إذ العبرة فى الفلسفة ليست بالنتائج ولكنها بالمناهج والطرائق . وقديما قال أرسطو :

(إن من ينكر الميتافيزيكا يتفلسف ميتافيزيكيا)

وقال : (فلنتفلسف إذا اقتضى الأمر أن نتفلسف ، فإذا لم يقتض الأمر التفلسف ، وجب أن نتفلسف لنثبت أن التفلسف لا ضرورة له) .

وحديثا قال بعض الفلاسفة الميتافيزيكيين عن خصومهم الوضعيين :

(إنهم الفلاسفة الذين يفاخرون بأنهم ليسوا بفلاسفة ، إن موقفهم من إنكار الفلسفة موقف فلسفى لا محالة) ؛

ذلك لأن الفلسفة ليست أفكارا معينة ، ولكنها طرائق ومناهج إذا صحت قبل ما تأدت إليه ، كان ما تأدت إليه ما كان .

* * *

هذا هو الغزالى كما يطل علينا من كتاب التهافت ، فهل أنا صادق فى تصويرى له ؟ أريد أن أعرف . وإن أك صادقا ، فهل هو فى هذه الصورة ، كما نعته الناعتون ، عدو للفلسفة ولمنطق أرسطو ؟ أريد أن أعرف أيضا .

وأنتقل بعد هذا إلى الكلام عن الإسلام نفسه ، فهل الإسلام عدو للفلسفة ؟ إن فيما قلناه عن الغزالى ما يتيح لنا القول فى وضوح بأن الإسلام ليس عدو الفلسفة ؛ لأن المجالات التى أباحها الغزالى للعقل لم يكن الغزالى هو مصدر إباحتها ، ولكن الذى أباحها هو الدين ، فالدين هو الذى أباح للعقل حرية التصرف فى هذه الآفاق الفسيحة بين الأرض والسماء .

وتعويل الغزالى على العقل فى نقاشه مع الفلاسفة بخصوص المسائل التى خالفوا فيها أصول الدين ، دليل على طواعية أصول الدين للعقل ، إذ لو كانت هذه الأصول على غير مقتضى العقل لما تأتى للغزالى أن يناصرها بالعقل .

ولنترك الغزالى جانبا ، ونتجه إلى القرآن رأسا ، وحسبنا أن نجد القرآن لا يكتفى بأن يخول الناس حق تحكيم عقولهم فى مشاكلهم بل يجعل عقولهم حكما بينه عز شأنه وبينهم .

رسالة وجوابها

بين إمام الشّيعة وإمام أهل السّنة

صدر عن جامعة (مدينة العلم) بالكاظمية فى العراق رسالة لسماحة الإمام الخالصى الكبير ، شيخ شيوخ الشيعة يهنىء فيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بتوليه مشيخة الجامع الأزهر ، فأجابه الأستاذ عنها برسالة مشرقة الرأى سامية الدلالة .

والرسالتان تعبران عن فكرتى الإمامين فى الإصلاح الدينى والاجتماعى ، واتجاههما فيه إلى توحيد الكلمة وتأليف الأمة ، وتنقية الدين مما علق به من شوائب البدع والأباطيل . وإليك نص الرسالة والجواب :

الرسالة

سماحة العلامة المفسر المحدث الفقيه المتبحر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

أدام الله أيام حياته ، ونفع المسترشدين بهداه وعميم بركاته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد : فقد بلغنى خبر جلوسكم على أريكة إدارة الأزهر الشريف والإشراف على سير علمائه ومدرسيه وطلابه ، وتربيتهم وإروائهم من منهل علمكم الزاخر ، وما تقدم الناس به إليكم فى بقاع العالم من التبريك والإطراء والثناء .

وذلك حيث يقول : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فى هذه الآية تقرير لمبدأ محاجة العباد لله ، فماذا بعد هذا من تقدير ممكن ، للعقل ؟

وكلمة أخيرة أسوقها بين يدى أولئك الذين لا يريدون أن يعادى الدين من يعاديه أقول لهم : إن الدين ، ككل قانون آخر ، مثله مثل الكائن الحى ، والكائن الحى إذا استسلم لعدوان الغير عليه ولم يدافع عن نفسه كان غير جدير بالبقاء ، فالذين يريدون من الدين أن يتلقى الهجات والطعنات مستسلما لا يحاول أن يدافع عن نفسه ، كى لا يرمى بالجمود والرجعية ، يريدون له الفناء ؟

الدكتور سليمان دنيا
الأستاذ بكلية أصول الدين

وانتظار ما سوف تقومون به من الإصلاح الشامل العميم فى الأزهر وفى جميع الديار، ولم أكن بين أولئك الناس؛ لأنى أرى فى شخصكم منزلة تسمو على تلك الأريكة وتعلو. ويجدر أن أبارك للأزهر بكم لا لكم به، وكنت أشاركهم فى انتظار الإصلاحات الشاملة لأتقدم إليكم بالشكر، وتقدير مساعيكم الجميلة، ومازلت فى الانتظار حتى قرعت سمعى إذاعة صوت العرب بدرر منثورة من كلماتكم فى توحيد كلمة المسلمين، وإظهاركم الحق باتباع الكتاب والسنة بنفسيهما، لا بما يقوله الرجال عنهما، ومن وراء ذلك تمام الكلمة، وائتلاف الفرقة، وجمع الشمل، وتوحيد الصفوف تحت راية التوحيد الخالص، والإسلام الصحيح المنزه عن شائبة البدع والأوهام؛ حتى يظهره الله على الدين كله، ويزيل عن العالم ما حدث من اضطراب فى الآراء والأفكار المؤدى إلى البوار والدمار. وهيهات أن تقوم للعالم إدارة أو يحصل له استقرار إلا بالإسلام، ويغنينى عن الاستدلال وبسط المقال علمكم بالحال، ومن الضرورى لنا ولجامعتنا أن نقف على آرائكم فى الوصول إلى توحيد كلمة المسلمين، وإظهار الإسلام بحقيقته مجرداً عن كل بدعة وخرافة، لنسترشد بآرائكم ونسير معكم فى طريق واحدة عسى أن يكون ذلك معينا على سرعة الوصول إلى الغاية المقصودة وهى معرفة الإسلام كما هو، وإظهاره لأهل العالم على اختلاف شعوبهم ومللهم ونحلهم كى يكون لهم ملجأ ومنجى من المهلكات والبوائق التى تهدد أهـــل العالم بالفناء. وأسأل الله تعالى أن يرينا الإسلام كما أرسل، والقرآن كما أنزل، ويوفقنا لإزالة الأستار الكثيفة عنه، لتظهر أنواره المشعة ويخرج الناس به من الظلمات إلى النور، ولو كره الملحدون والمشركون والغافلون المبعدون.

وإنى منذ رأيتكم فى دار المرحوم الشيخ عبدالمجيد سليم (رضى الله عنه)، عند زيارتى للقاهرة، كنت أجد فى نفسى شعورا بأنكم من الذين وفقهم الله لهداية عباده، وقد ظهرت آثار ذلك. وأسأل الله التمام، وأشكره على الإحسان والإنعام. وأن يديم حياتكم لإنقاذ الأمة وإزالة النعرات الطائفية وجمع الكلمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟

٥ شعبان المبارك ١٣٧٨ هـ.

محمد الخالصى

الجواب

حضرة الأخ الجليل صاحب السماحة الأستاذ العلامة المجاهد فى سبيل الله الشيخ محمد الخالصى أدام الله توفيقه والنفع به .

سلام الله عليكم ورحمته وعلى جميع إخواننا المؤمنين من تلاميذكم وحوارييكم وسائر من تحبون .

أما بعد : فقد تلقيت بالغ الغبطة كتاب سماحتكم الذى حييتمونى فيه بمناسبة تعيينى شيخاً للجامع الأزهر الشريف ، وتفضلتم بإبداء كريم ارتياحكم وعظيم أملكم وخالص دعائكم بأن يحقق الله للأمة الإسلامية ما نحن مشتركون فى الحرص عليه ، والدعوة إليه من توحيد الكلمة وتأليف القلوب تحت راية القرآن العظيم والسنة المطهرة .

لقد أعاد إلى كتابكم الكريم ذكرى لقائنا الأول فى منزل أستاذنا المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم ، وما كان لكم من حديث عذب يفيض إيماناً وغيرة على الإسلام والمسلمين ، وإنكم يومئذ كنتم فى جولة إسلامية ودعوة إصلاحية تريدون بها أن تجمعوا المسلمين فى طائفتيهم العظيمتين : السنة والشيعة على ميثاق واحد ، يعرفون أصوله التى هى أصول الإسلام فيتعاهدون عليها ، ويعذر بعضهم بعضاً فيما وراءها على أن يكون الروح بينهم جميعاً هو روح الأخوة التى قررها الله تعالى فى كتابه الكريم حقيقة ثابتة حيث يقول : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

إن هذه الآية الكريمة يا سيدى الأخ ترسم للمؤمنين خطة الفلاح لو عملوا بها ، فهى كما لا يخفى عليكم تثبت الأخوة بين المؤمنين إثبات الحقائق ، ولا توردها مورد الأمر يؤمر به ، وينهى عن التفريط فيه ، كما هو الشأن فى مختلف الأوامر والنواهى التشريعية . فينبغى أن يدرك المؤمنون ذلك ، ويعلموا أنهم إخوة وإن باعدت بينهم الأيام ، أو قطعت بينهم السياسة الماكرة ، فتلك حقيقة ثابتة والحقائق لا تمحى ولو طال على نسيانها الأمد ، وهى تدعو بثباتها إلى نفسها وتنتظر ممن تجافوها أو أغضوا عنها لعارض من عوارض الدهر أن يعودوا إليها .

ثم تعقب الآية الكريمة على هذه الحقيقة بما هو ألزم مقتضياتها من وجوب الإصلاح بين الأخوين إصلاحاً عاماً شاملاً مبنياً على دعائم هذه الأخوة ، منبثقاً من عاطفتها القوية ، وتدعو إلى تقوى الله تعالى فى ذلك ولا شك أن التقوى تلزم أصحابها بأن يكونوا مخلصين فى تحقيق واجب الإصلاح ، عاملين عليه بكل ما يستطيعون من قوة ، فإذا وجدت

الرغبة فى الإصلاح ، واقترنت بتقوى الله وارتسام أوامره ونواهيه وصراطه المستقيم إخلاصا فى تحقيقها ، وسبيلا إلى تدعيمها كانت رحمة الله تعالى مرجوة أن تنال المؤمنين فإن رحمة الله قريب من المحسنين .

تلك يا أخى فى الله هى غايتنا ، أما وسيلتنا إليها فبث الدعوة إليها ، عن طريق العلم الخالص المنصف الذى لا يعرف التعصب ولا يرمى إلى الفلج بالمجادلة والمخاصمة ، وتلوين الحقائق بغير ألوانها ، إن من أعز أمانينا أن يتعارف المسلمون ؛ لأنهم إذا تعارفوا تكاشفوا، وإذا تكاشفوا تواصفوا الداء، وبحثوا عن الدواء. وما الدواء لو علموا إلا الالتفاف حول كتاب ربهم، والاهتداء بسنة رسولهم، والاطلاع على أقوى صورة بالأمانة التى حملوها : أن يكونوا فى العالم أمة داعية إلى الخير ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، لا أن يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم .

وأسأل الله لى ولك ولجميع إخواننا المؤمنين أن يجعلنا من عباده المتقين ، حتى نستحق أن نكون أولياءه « إن أولياؤه إلا المتقون » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحريراً فى

٢٠ من شعبان سنة ١٣٧٨ هـ

٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٩ م

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

قال ابن المقفع :

على العاقل ألا يصاحب من الناس إلا ذا فضل فى العلم والأخلاق فيأخذ عنه ، أو موافقاً له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل ، فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين : وليس لذى العقل قريب ولا حميم هو أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته . ولذلك زعم بعض الأولين أن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

ما يقال عن المسلمين والعرب

دور من أدوار التاريخ
فى الكتابة عن الأندلس الإسلامية

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرض تحليلى لكتاب [الأندلس ، أو أسبانيا فى ظل المسلمين] الذى صدر سنة ١٩٥٨ لمؤلفه الأستاذ [أدوين هول]

أعجب من زوال دولة الإسلام فى الأندلس بقاء آثارها سارية حتى اليوم فى كل ناحية من نواحى الحضارة الأوربية ، ويكفى أن نذكر من آثارها قيام دعوة الإنسانيين منذ القرن الثانى عشر للميلاد ، ثم قيام دعوة النهضة ودعوة الإصلاح الدينى وما يليها من الثورات الاجتماعية والسياسية ، لنعلم بعد هذا الإجمال السريع أن آثار الإسلام فى الأندلس قد أحاطت بأصول كل حركة من حركات الثقافة الغربية الحديثة .

وقد كان للمؤرخين الأوربيين مواقف مختلفة ، متناقضة ، فى تقدير تلك الآثار بين الإنكار والاعتراف ، وبين التهوين والإكبار .

كان موقف العداء والمحاربة أسبق تلك المواقف فى عصر « التعصب الدينى » من بقايا القرون الوسطى . فكان القائمون على ثافقة الغرب يتبعون خطة « الإخفاء والطمس » لمصادرة العلوم الإسلامية ، ويتعمدون مطاردتها وإبعادها ، وإن شهدوا بفضلها واعترفوا بمحاسنها ، لأنها مصدر قوة للإسلام وآية من آيات « سحره » الذى يجتذب إليه قلوب المتعلمين من غير المسلمين .

ومضت القرون الوسطى ببقاياها فجاء بعدها عصر الكشف والتنقيب عن المجهولات فى كل باب من أبواب المعرفة الإنسانية ، فانكشفت فى هذا العصر مفاخر الحضارة الإسلامية فى الشرق والغرب ، وكان للحضارة الأندلسية نصيبها الأوفر من عناية القوم لاتصالها بمواطنهم فى صميم القارة الأوربية ، وهنا تفرقت مواقف المؤرخين والنقاد من الغربيين مع تفرق المقاصد والمصالح أو تفرق النظرات والآراء :

فمنهم من كان ينظر إلى موضوعه من خلال النزاع بين الكنيسة والمنشقين عليها فينتصر لمن حرمتهم الكنيسة واضطهدتهم ، وفى مقدمتهم أحرار الفكر المتأثرون بالثقافة الإسلامية ، ولابد - مع الدفاع عن هؤلاء - من الدفاع عن فلاسفة الإسلام وعلمائه وقادة الفكر والمعرفة فى بلاده .

ومنهم من كان ينظر إلى هذا الموضوع التاريخى من خلال النزاع على حقوق السلطة القائمة فيتخذ من المواقف ما يناسب هواه : إن كان من أعوان السلطة فهو من المحافظين الجامدين ، وإن كان من أعوان الحرية فهو فى الجانب المقابل للمحافظة والجمود .

ومنهم من كان يعمل لحساب الاستعمار السياسى فهو ينكر فضائل الإسلام أو يشهد لها الشهادة التى تقف عند حدود الماضى ولا تتعداها إلى الحاضر الذى غلبت فيه سيادة المستعمرين . فلا حرج عنده من الشهادة للإسلام بالعظمة التى صلحت فى زمانها لتعظيم قومها ، ولكنها ذهبت مع زمانها فهى الآن فى خبر كان .

منذ الحرب العالمية الثانية تغيرت هذه المواقف جميعا وخلفتها مواقف أخرى أقرب إلى الإنصاف والاستقلال النظرى ؛ لأنها تصدر عن بواعث « عامة » يقل فيها التوجيه والإملاء ويستلهم أصحابها مطالب النشر ورغبات القراء ويجرون مع العصر فى مجراه الغالب عليه ؛ وهو « النزعة العالمية » التى تؤثر الاطلاع على شئون العالم قديمها وحديثها وتتوسع فى طلب الأخبار والمعلومات من جميع المصادر والجهات .

فالذين يكتبون اليوم عن الأندلس الإسلامية يجمعون بين النزعة العالمية ونزعة « الهواية الشخصية » ، ولا ينسون مطالب النشر التى تتحرى ميول القراء ولا تقوم على التوجيه والإملاء من جانب الدول ، أو جانب الهيئات التى تشبهها فى اصطناع الدعاية .

* * *

من أحدث المؤلفات التى ظهرت فى هذا - الدور - سنة ١٩٥٨ م - كتاب « الأندلس أو أسبانيا فى ظل المسلمين » لمؤلفه الأستاذ أدوين هول Edwin Hole المستشرق المعروف .

عمل هذا المؤلف بمصر وسوريا وتركيا والبلقان ، ثم اغتنم فرصة العمل فى وكالة « ملقة » القنصلية فعكف على دراسة الحضارة الأندلسية من قريب وقضى فى هذه الدراسة زهاء خمس سنوات ، خرج منها بهذا الكتاب الموجز الذى يقع فى نحو مائتى صفحة ويشتمل على أحدث الأقوال والآراء فى تاريخ هذه الحضارة ، وجملة ما يقال

عن أقواله وآرائه ان الرجل أنصف حضارة الأندلس الإسلامية فيما فهمه وتأتى له أن يحكم عليه ، ولكنه جهل منها بعض جوانبها ــ ولا سيما جانب الشعر والأدب ــ فأحال فيه التبعة على غيره وبلغ بذلك غاية ما يستطيعه جاهل الشيء من إنصافه وتقديره .

يكاد المؤلف أن يقول عن جانب الثقافة من حضارة الإسلام فى الأندلس ان الدولة الإسلامية قد صنعت الخوارق فى ترقية العقول والأذواق ، وإن ولاة الأمر فيها كانوا يعدون عدو الجياد حيث سار اللاحقون بهم فى خطوهم الهزيل ، فيتعثرون وهم يدرجون .

ففى كلمة « الكتاب » تتلخص المعجزة التى صنعتها الدولة الإسلامية فى القارة الأوربية . قال المؤلف عن مكتبة الخليفة « الحكم » إن عدد كتبها ومجاميعها قدر بنحو أربعمائة ألف كتاب ومجموعة . وقد حاول الملك الفرنسى شارل الملقب بالحكيم بعد الحكم بأربعة قرون أن ينشئ مكتبته فلم يستطع أن يجمع فيها أكثر من تسعمائة كتاب ، ستمائة منها تبحث فى اللاهوت .

وقد تجاوبت آفاق القارة الأوربية من مشرقها إلى مغربها بسمعة الخلفاء المسلمين فى طلب العلم والتحصيل والحرص على اقتناء الكتب النفيسة والمدونات النادرة ، فكان « الكتاب » أعز الهدايا التى يخطب بها ود الخليفة بين ملوك القارة وأمرائها ، وكانت السفارة الناجحة فى بلاط قرطبة سفارة الملك الذى يزود رسوله بتحفة من تحف العلم والحكمة ويقول المؤلف فى سياق كلامه عن الكتب :

« إن الرغبة فى المعرفة كانت مستفيضة لاحدود لها . وقد حدث أن الامبراطور البيزنطى أرسل إلى عبد الرحمن الثالث كتاب : « ديو سقوريدس » فى العقاقير » . . فعهد إلى جامعة الطب بترجمته وحل رموزه ، وكان الحكم ابن عبد الرحمن نفسه من كبار العلماء يشترك فى البحث ويبعث بالوفود إلى أطراف البلاد لشراء المخطوطات ودعوة العلماء إلى بلاطه حيث يعاملون معاملة السخاء والحفاوة . فأصبحت أسبانيا قطبا قويا يجذب أساطين العلم من كل مكان » .

وظل الكتاب فى المغرب الإسلامى ذخيرة مضنونا بها على الضياع حتى فى أيام الإدبار والأفول بعد زوال الدولة فى شبه الجزيرة الأندلسية . فلما استولى الإفرنج على سفينة محملة بالكتب والأمتعة لمولاى زيدان المراكشى فى القرن السابع عشر ، أرسل الأمير يطلب الكتب ولم يحفل بما عداها من حمولة السفينة ، ويقول المؤلف إن المسألة أحيلت على محكمة التفتيش وأرادت هذه المحكمة أن تبدى بعض السماحة فى جوابها على الأمير

المغربى ، فقررت أن ترد إليه كتب العلم والجغرافية وما إليها ، وأن تحجز الكتب الدينية التى قد تعزز سطوة الإسلام ، ورفع الأمر إلى مجلس الوزراء فرفض أكثر أعضائه اقتراح محكمة التفتيش ، وأشاروا بإحراق الكتب العلمية والدينية على السواء ، وتوسط النبيل المستنير المركيز دى فيلادا De Velada عند الملك لإنقاذ هذه الذخيرة ، فأمر الملك بحبسها وإغلاق الأبواب عليها فى مكان حصين » .

ويفيض المؤلف فى استقصاء أخبار المكتبة الأندلسية من مصادرها ، ولكنه يعنى فى شرحه لآثارها وتعاليمها بجانب يقل المعنيون به من المؤرخين الغربيين ، فلا يدع القارئ يفهم من الإفاضة فى ذكر الكتب والمطلعين عليها أن المدرسة الأندلسية مدرسة معقولات ومحفوظات ، قصاراها أن تخرج الفقهاء والحكماء وتحشو أذهانهم بمسائل العلم والأدب أو بمسائل الطب والهندسة وصناعات المرافق النافعة ، ولا يدع القارئ يفهم أن المقبلين على المطالعة فى إبان الدولة كانوا من تلك الزمرة التى يطلق عليها الأوربيون اسم « ديدان الأوراق » ، بل المفهوم من نوادر الكتاب وطرائفه أن الاطلاع على تلك الأوراق قد كان زادا من أزواد المعيشة الصالحة ، والحياة الإنسانية : حياة الحس والعاطفة وحياة السلوك المهذب ، والكياسة العملية وما توحيه من آداب المعاشرة الطيبة فى البيئة الإسلامية وغيرها من البيئات الأوربية ، ولعل السياسة التى اشتغل بها المؤلف فى مهام القناصل والرسل المحنكين الذين يتولون أعمالهم بين الأعداء والأصدقاء فى أيام الحروب والقلاقل هى التى اتجهت به إلى البحث عن نصيب « الأندلسى المثقف » من مهام « الدبلوماسية » فى تلك العصور المحفوفة بالظلمات والأخطار .

نقل المؤلف عن مخطوطة وجدت بمدينة فاس مما اطلع عليه المستشرق ليفى بروفنسال أخبار أول سفارة تبودلت بين الإمبراطور البيزنطى تيوفيلوس والخليفة عبد الرحمن الثانى فقال فى فصل العلاقات الخارجية :

« أراد تيوفيلوس أن يثير حفيظة عبد الرحمن الثانى فذكره بذبح العباسيين لآبائه وأحب أن يرضيه بالزراية من خلفاء بغداد فلم يسمهم بالأسماء التى اشتهروا بها كالمأمون والمعتصم بل نسبهم إلى أمهاتهم من جوارى القصور ... ولكن الزناد لم ينقدح لأن آباء عبد الرحمن نفسه لم يكونوا ممن ينكرون التسرى بالإماء ، فأجابه جوابا مفرغا فى قالب المجاملة مع التحفظ والاحتجاز ، ووكل أمر السفارة إلى الشاعر النابه يحيى ابن الحكم البكرى الذى كان لرشاقته وجماله يلقب بالغزال .. » .

قال المؤلف : « وقوبل الوفد فى القسطنطينية

بالحفاوة الملكية ، ولكن الإمبراطور أضمر فى نيته أن يضطر الغزال إلى الانحناء بين يديه على الرغم مما هو معلوم من تعذر ذلك . فأمر بفتح باب صغير فى غرفة العرش لا يدخله القادم قائماً . فلما أقبل الغزال جلس عند الباب وتقدم زاحفاً حتى بلغ ساحة العرش فنهض على قدميه، وكان الإمبراطور قد أحاط نفسه بعرض حافل بالأسلحة والنفائس يريد أن يروع السفير ويهوله ، ولكنه لم يرع ولم يستهول ما رآه بل مضى على أثر وقوفه فى إلقاء رسالته وسلم الإمبراطور خطاب مولاه وودائع التحف والهدايا من المصوغات والآنية الفاخرة ، فكان لها أجمل الوقع فى نفس الإمبراطور وكفلت للوفد الأندلسى طيب المقام وحسن الخدمة ، واهتم السفير اهتمامه الخاص بأهل البلد فخير علماءهم بالمشكلات الفكرية والمناقشات الذكية ، وكال الضربات الموفقة لقادتهم وفرسانهم ، وشاع خبره حتى انتهى إلى مسامع الملكة فأرسلت تستدعيه إلى حضرتها ومثل أمامها فسلم منحنيا وأمعن النظر إليها كالمشدوه ، فأمرت الترجمان أن يسأله : أتراه يمعن النظر إليها لجمالها أو لغرابة مرآها ؟ فكان جوابه الحاضر : أنه قد رأى الحسان حافات بمليكه فلم ير منهن من تضارعها فى جمالها ، ودار الحديث بعد ذلك على هذه النغمة المحبوبة ، واستجابت الملكة لرجاء الغزال أن تسمح له برؤية الحسان من خواتين المملكة ، فجعل ينظر إليهن من الفروع إلى الأقدام ، ثم قال ليليق بحكمه المنتظر : إنهن فى الحق لجميلات ، ولكن لا وجه للمقارنة بينهن وبين الملكة التى تنزه محاسنها وشمائلها عن النظيرات ولا يحسن وصفها غير المجيدين من الشعراء ، وعرض عليها أن ينظم هذا الوصف فى قصيد من شعره يتغنى به الأندلسيون، فوثبت الملكة فرحا ومنحته هدية نفيسة من حلاها ، فأبى أن يأخذها وقال : إنها على نفاستها وعلى اعتزازه بما تمنحه الملكة من هدية كائنة ما كانت ، بحسب أنها قد وفته فوق حقه من النعمة ، ومنحته غاية ما فى الوسع أن تمنحه بسماحها له أن يتملى النظر إلى طلعتها ، وأنها إن شاءت أن تضاعف له العطاء فحسبها أن تزيده حظا من النظر إليها . ولم تكن الملكة تنتظر ما هو أحب إليها من ذلك، فلم تزل تدعوه إلى مجلسها كل يوم لتسأله عن مشاهداته ورحلاته وما وعاه من التواريخ والقصص ، ثم تبعث إليه بعد انصرافه بالتحف الثمينة من الأنسجة والعطور . . . »

* * *

وليس فى كتابه « الأندلس فى ظل الإسلام » غير القليل مما لم يرد فى المطولات من أخبار الترف والبذخ وظواهر الرغد والرخاء التى اشتهر بها ذلك الفردوس المفقود ، ولكن

هـــذا الكتاب الحديث يورد أنباء البذخ والترف ، ويتخللها هنا وهناك بنادرة أو عبرة تنم على إدراك لمعنى الحياة ، موكل بالصفو الرفيع من لذات الروح وأشواق العاطفة الإنسانية ، يتفقـــده الأندلسى المثقف ولو خلصت له متعة الجاه والثراء ، ومسرة الملك والسطوة . . . . فكان عبد الرحمن الناصر « يقيم نفسه مقام الحكم المطاع بين ملوك المسيحية ، ويستقبل فى عزته وعليائه وفودهم المتنازعة ، كما يستقبل الملوك أنفسهم أحيانا وقد حنوا أعناقهم العصية لمراسم الاستقبال فى بلاط الخـــلافة . ولكنهم وجدوا بين أوراقه بعد وفاته أنه لا يذكر من أيام حكمه الطويل - نحو خمسين سنة - غير أربعة عشر يوما يعدهما من أيام الصفو التى لا تشوبها سحابة » .

* * *

كانت حضارة متاع ونعمة ، وكانت حضارة عقل وفهم وعاطفة .

كانت حضارة « إنسانية » كاملة ، تلك الحضارة التى وصفها صاحب كتاب « الأندلس فى ظل الإسلام » متوخيا لها الإنصاف غاية ما يستطيعه الكاتب الأوربى المعتز بحضارته العصرية فى القرن العشرين .

أما الذى فاته أن ينصفه من تلك الحضارة فهو الذى فاته أن يفهمه من خيرة المأثورات عنها ، وهو بلاغتها الشعرية الشائقة : بلاغة الموشحات والألحان .

يقول صاحب الكتاب فى الفصل الذى خصصه للكلام على الشعـــر الأندلسى :

« إن أكثر هذه المنظومات مما لا يطيقه العقل الغربى ، وهـو رأى يصرح به الخبراء بتلك المنظومات . ولا نعرف من هو أحق بالحكم عليها من جارسيا جوميز garcia gomez الذى يجمع بين الأستاذية فى العلم والذوق المرهف لفهم القريض ، وهو يقول فى فصل عقده للكلام على ابن قزمان أحد الشعراء المتأخرين : إن الصناعة اللفظية هى موضع العناية الكبرى فى الأدب العربى ، بين نثر مقيد بالأسجاع وبين ألوان من المجازات والأشباه والطلاوات واللوازم ، تعوزها الحرارة والشعور ، وكأنما هى كلها عرض من العروض المقنعة بالبراقع ، حيث البسمات لآلىء والعيون أزهار بنفسجيات والرياحين جواهر والجداول سيوف . وأن القارىء ليجتهد اجتهاده بين ترجمات بيرس Peres أو شاك Schack فينوء ذهنه بما يطبق عليه من النسق المتفق المتواتر ! خصور كالأغصان تنبثق من آكام الرمال ، أو شاعر يشبه نفسه بالطير الذى أثقل ندى الممدوح جناحيه فأعياه أن يطير ، أو برق يومض بين الغمام كأنه ضرام العشق فى قلب الشاعر يتوهج من خلل دموعه ،

ونصفها - أو أكثر من نصفها - قوالب منقولة يحكيها النظامون من وحى الذاكرة . »

وهذا الخطأ الذريع فى الحكم على الشعر العربى شائع غالب على أقوال المستشرقين ، نفهمه ولا نرى صعوبة فى فهمه إذا ذكرنا أن الغالب على هؤلاء المستشرقين أنهم من زمرة الحفاظ يشتغلون بجانب « الحفظ » من الأدب ولا يشتغلون بلباب الأدب فى لغاتهم ولا فى لغات غيرهم من المشارقة أو المغاربة . فهم لا يحسنون الحكم على شاعر من أبناء جلدتهم وأحرى بهم ألا يحسنوا الحكم على الشعراء من أبناء اللغات التى تخالف لغاتهم فى تراكيبها ومصطلحاتها ، ومن أبناء الأمم التى تخالف أممهم فى أمزجتها وعاداتها ، وقد ينظر الكثيرون منهم إلى القصيدة الرائعـــة فيقفون عند مجازاتها ويشعرون « بالربكة » التى يشعر بها عندنا من يقول مثلا : هات الاسطوانة ! فيحضر له السامع قرصا من أقراص الغناء المسجل ، فيختلط عليه الأمر بين ما توقعه من لفظ الكلمة وما رآه بعد ذلك من حقيقة المسمى .

وكذلك يشعر المستشرق بالربكة حين يتوقف بذهنه عند مجازات التشبيه فيحسبها مقصودة لذاتها ويتقيد بقشورها اللفظية دون ثمراتها وبذورها ، فلا يدرى كيف يطرب العربى لهذا الشعر ولا يحاول أن يرجع بالعجب إلى نفسه قبل أن يتهم أمة كاملة بضلال الحس وسوء التعبير ، وهى - فيما يعلم - من الأمم التى تفخر بلسانها وتنكر العجمة من ألفاظها ومعانيها .

ولقد كان من أقرب التفسيرات إلينا أن نرجع بأخطاء المستشرقين فى فهم الشعر العربى إلى الفارق الأبدى « المزعوم » بين أذواق الشعراء فى لغاتنا وأذواق الشعراء فى لغاتهم على تباينها ، وكنا نستقرب ذلك التفسير لولا أننا نعلم أن قراءنا يتذوقون شعرهم كما يتذوقون شعرنا ، وأن الفوارق الكلامية لا تحول دون ظهور المعانى الإنسانية لمن يلتمسها فى مواطنها ويتحرى أن يزنها بموازينها وأن ينفذ إلى بواطنها . فليس بين الأذواق الإنسانية من فاصل فى تمييز فنون البلاغة الخالدة ، وإنما هو الفاصل بين « الحفظ » والذوق يحول دون الفهم الصحيح فى اللغة الواحدة فضلا عن اللغات المتعددة ، وهذا هو الفاصل بين المستشرقين « الحفاظ » وبين محاسن الشعر العربى فى ظواهره وخفاياه .

على أن العذر ممهد لمن لا يستحسن ؛ لأنه يجهل ولا يدعى أنه يعلم ، وإنما اللوم على من يسىء النية قبل أن يسىء الفهم ، فلا يرجى منه إنصاف .

عباس محمود العقاد

يا رسول الله

أنت أنت

للأستاذ محمد على الحومانى

أيهذا البانى وعيت فأحكمت ... بناء الأذان فى الآذان

إذ تحسست من وجودك حتى ... جلت فى كنهه بغير كيان

وتغلغلت فى النواميس حتى ... دان منها لوعيك الخافقان

أنت أسست دولة الفكر فاعتز ... بك العلم شامخ البنيان

ومشت حولك الملائك يملو ... ن على الدهر سورة الإنسان

وتعالى هتافهم بالتسابيح ... عذارى النشيد والألحان

* * *

أنت غذيت كرمة الفن فاهتز ... ت دواليه غضة الأفنان

وتراءت منها عناقيد زهراء ... المجانى بديعة الألوان

كلما عب طائر الفكر منها ... جنحته قوادم العقبان

وتعالى مهيمنا يتلقى ... حكمة الكون من أبى الأكوان

ثم أهوى يزق هذى الأناسى ... حديث الملائك الربانى

فإذا فوق كل نهد من الأرض ... جلال من روعة القرآن

أنت أنطقت هذه المقل الخر ... س بما شئت من فنون البيان

فعيون من البصائر يجتز ... ن إلى الحق ضلة الأوثان

وعيون من الضمائر تجتاز ... إلى الروح عصمة الأبدان

وعيون من السماء يهمن ... فيكلأن دفة الربان

وعيون من الثرى يتفجر ... ن ، ففى كل جنة عينان

تستمدان من معين أبى القا ... سم رى المدله الظمآن

أنت آمنت يوم كانت محاريب ... « يهوذا » صفرا من الإيمان

فبعثت الإسلام مخضوضر الوا
دى نقى الجيوب والأردان
وترامى إليك من كل فج
كل ظمأى قريحة الأجفان
فأغثت النفوس حتى روت وا
ردها جنة بلا رضوان
ومسحت الجفون حتى رأت خا
لقها مقــلة بلا إنسان
فإذا أنت قائل بالغ الحجة
فى قوله بغير لسان

* * *

أنت يا واضع الموازين بالقسـ
ـط لنا أنت سر كل اتزان
علمتنا صراحة فيك أن نصـ
ـلح بين الضمير والإعلان
علمتنا أن السياسة قلب
ولسان صنوان متحدان
إن من جرد السياسة فى النا
س عن الدين لج فى البهتان
إن زعم الغبى : لادين للسـا
ـس فينا ضرب من الهذيان
أى نقص فى ساسة المثل العليا
بما يشرعون من أديان ؟؟

* * *

أنت جاهرت بالحقيقة ، والبا
غى على الحق ثائر البركان
فتنادت عوالم الأرض لبيـ
ـك وثابوا إليك بالإذعان
وتداعى لديك إيوان كسرى
وهوى عنه صاحب الإيوان
بم كنت المؤمل الفرد فى الخلـ
ـق وكنت المهيمن الروحانى ؟؟
أسوى أن بين جنبيك عيـ
ـين يرى الكون بعض ما تريان
تبصران الحياة أبهاء كسرى
تتداعى على يدى سلمان ؟؟

* * *

أنت آثرت أن تقيم على الفقر
دعام الرقى والعمران
فلبست الأيام لم تزه بالمعـ
ـطف من خزها ولا الطيلسان
ولمست الحصى فتاه على الدر
وأزرى بروعة المرجان
وآثرت الهيجاء تعصف بالفر
س وتجتاح هيكل الرومان
فترامى إليك بالنصر من بيدا
ئه كل جائع عريان
فإذا أنت بالجياع تدك الأ
رض من قيصر إلى ساسان
وإذا بالتراث تحت « أبى ذر »
مدلا على « أبى سفيان »

محمد على الحومانى

ما يقال عن الإسلام

الاسلام و نفسية المسلم

islam And The psychology of The musulman

تأليف

أندريه سرفييه andre Servier

٢٧١٠ صفحة من الحجم المتوسط

عرض له و تعليق عليه

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

صدر الكتاب فى عام ١٩٢٢ ، وظهرت الترجمة الإنجليزية عام ١٩٢٤ ، وهذه الترجمة الإنجليزية هى التى نرجع إليها فى عرض الكتاب . وصدرت الترجمة الإنجليزية بمقدمة قصيرة من قلم لويس برنارد lowis Bernard . ويقع الكتاب فى ستة عشر فصلا .

* * *

الغرض الذى يهدف إليه المؤلف قد صرح به فى الفصل الأول ، حيث يقول إن فرنسا دولة إسلامية كبيرة Muhammddan power حيث إنها تحكم أكثر من عشرين مليونا من المسلمين ، غير أن هذه الملايين العشرين متحدون بتضامنهم الدينى مع كتلة متينة مكونة من ٣٥٠ مليون مسلم من أتباع الرسول ويوافقه لويس برنارد ، كاتب المقدمة ، على هذا الرأى ، إذ يقول : إن الغرض من الكتاب « خدمة قضية فرنسا فى شمال إفريقيا » . ويضيف بعد ذلك لويس برنارد : « أن الشىء الوحيد الذى أبدعه العرب هو دينهم وهذا الدين هو العقبة الرئيسية بينهم وبيننا . وفى سبيل حسن التفاهم مع رعايانا المسلمين ، ينبغى علينا أن نتجنب بكياسة أى شىء قد يؤدى إلى تقوية عصبيتهم الدينية . . . .

بمعنى آخر ، وبلغة أكثر صراحة ، إن الطريق لخدمة الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقية هو هدم الإسلام الذى يقف عقبة فى سبيل

تحقيق أغراض المستعمرين . وليس هذا فحسب بل إنه يقف عقبة في سبيل الاستعمار الأوربي على جميع الشعوب الإسلامية .

ومن أجل ذلك شرع المؤلف يبحث في الأساليب التي تجعل المسلمين متماسكين فيما بينهم وتدفع بهم إلى مكافحة الاستعمار . ورأى أن البحث الجدي ينبغي أن ينصرف إلى تحليل نفسية المسلم .

فالإسلام دين وأمة Country وإذا كانت الأمة الإسلامية لم تفلح في تهديد الإنسانية حتى الآن ، فذلك يرجع إلى سقوطه في هاوية من التأخر والانحلال يجعلها من المستحيل أن تناضل قوى العلم وتقدمه في العالم الغربي (ص ٢) .

وعلى الرغم من جمود الإسلام ، فإن قبضته القوية على عقول المسلمين أدت إلى الشلل العقلي الذي يصاب به المسلمون ، وإلى انحطاط عقليتهم . ومع ذلك فلا يزال الإسلام مؤثرا في العالم والدليل على ذلك إسلام ملايين كثيرة أخيرا في الصين والتركستان والملايو وإفريقية . ولكن القساوسة يقاومون هذا التيار في إفريقية بنجاح .

من أجل ذلك يجب دراسة الإسلام دراسة بصيرة ، لا لوضع سياسة تواجه المسلمين في المستعمرات الإفريقية فقط ، بل في جميع أنحاء العالم الإسلامي . وذلك بمعرفة عقلية المسلم ونفسيته . فالمسلم ليس شخصا منعزلا يقف عند حدود الأرض التي يعيش فوقها ، إذ أن المسلمين هم أولا مواطنون مسلمون ، وينتمون أخلاقيا ودينيا وفكريا إلى العالم الإسلامي ، وعاصمته مكة وحاكمه - نظريا - أمير المؤمنين . (ص ٣) .

لقد نسجت هذه العقلية على مر الزمن ، وصيغت ، في المذهب الديني للرسول . ولما كان هذا المذهب ليس شيئا آخر سوى إفراز للعقل العربي Secretion of the Arab Brain فينبغي دراسة التاريخ العربي لفهم العالم الإسلامي .

والعرب أعداء الحضارة . وما اكتسبوه في ظل الأمويين والعباسيين إنما يرجع إلى نقل علوم اليونان والرومان ، وبفضل المواطنين غير العرب الذين كانوا يعيشون في ظل الإسلام ، أو دخلوا الإسلام حديثا ، ولقد فقد السوريون والمصريون والبربر بعد إسلامهم ما كان لهم من نشاط وذكاء تحت حكم الإغريق والرومان (ص ٥) .

فكيف فقد العرب أنفسهم - وهم الذين علموا الغرب في العصر الوسيط العلم والفلسفة - كل ما كان لهم من بريق ، وانزووا في غيابات الجهل ؟

الجواب عن ذلك هو نفسية المسلم ، والدين الذي يعتنقه ، مما أصابه بالشلل والجمود ،

حيث كان هـــذا الدين يسيطر على كل شيء في الحياة .

ومع ذلك فكل ما نقل عن العرب في العصر الوسيط ، لم يكن إلا ترجمة كتبت بحروف عربية لفلسفة اليونان الإسكندرانية . وبعد فليس هناك حضارة عربية ، وإنما هنـــاك حضارة يونانية ، أو رومانية . أما فتوحات العرب وانتصاراتهم الباهرة ، فلا تدل على شيء ، كما لا يدل انتصار المغول تحت راية جنكيز خان .

ثم إن العربي لا خيال له ، بل هو محدود بما يراه بحواسه ويحفظه بذاكرته ، فهو عاجز عن تصور ماوراء الحس . (ص ١١)

والدين الإسلامي نفسه ليس مذهبا أصيلا فهو جمع وتلفيق من التقاليد اليونانية والرومانية والتعاليم المسيحية . وعند ما تمثل العربي هذه المادة المختلفة المتباينة ، نزع عقله عنها كل ما فيها من حلية شعرية ، ولم يستطع فهم ما فيها من رمزية وفلسفة ، ثم أخرج منها مذهبا دينيا باردا ، جامدا كأنه نظرية هندسية ، وهي : الله والرسول ، والإنسانية (ص١٢) .

« والخلاصة (ص ١٣) لقد نقل العرب عن الأمم الأخرى كل شيء : الأدب والفن ، والعلم ، بل الأفكار الدينية . ولقد مرت هذه الثقافات كلها من خلال عقله الضيق ، ولما كان عاجزا عن السمو إلى منزلة التصورات الفلسفية العالية ، فقد مزق وقطع كل شيء . وهذا الأثر المخرب هو الذي يفسر انحطاط الأمم الإسلامية ، وعجزهم عن الانفصال من البربرية . وهو يفسر كذلك الصعوبات التي يواجهها الفرنسيون في شمال إفريقية » .

* * *

في هذا الفصل الأول بيان واضح لخطة الكتاب ، وليست فصوله التالية إلا تدليلا على هذه القواعد العامة التي بسطها المؤلف ، والتي نجملها فيما يأتي :

١ — حاجة الاستعمار إلى فهم نفسية المسلمين للتغلب عليهم .

٢ — تماسك المسلمين جميعا برابطـــة الإسلام .

٣ — الإسلام إفراز لعقلية العرب .

٤ — عقلية العرب قصيرة ، لا خيال لها ولا ابتكار ، ولا حضارة .

٥ — لا فضل للعــــرب وللمسلمين على الحضارة مطلقا .

٦ — ينبغي محاربة الإسلام وهـــدمه ليتسنى التغلب على الشعوب الإسلامية وحكمها بعد ذلك بسهولة .

* * *

الفصل الثاني عرض لعقلية العرب ونفسيتهم ، وأنهم صورة للصحراء التي نشئوا فيها . ونزع عن العرب كل فضيلة ، ونسب اليهم كل رذيلة .

فهم محبون للسلب والنهب ، وسفك الدماء. ونسب إلى الرسـول صلى الله عليه وسلم قوله لأحد أسرى بدر ، حين أمر بقتله وطلب الأسير منه الرحمة « أحمد الله أنه متع عيني برؤية قتلك » . فلما سأله الأسير ومن يرعى أولادي من بعدي ، أجابه الرسول «فليذهبوا إلى النار(ص٢١) .

والحديث واضح الضعف ، وهـو من تشنيعات المستشرقين للطعن في الرسول ، والطعن في الإسلام (١) .

ولا نود أن نشير إلى طعن المؤلف على الرسول الكريم من جهـة تعدد الزوجات ، واللهفة على النساء ، فهو كلام معروف من المستشرقين. يقول المؤلف إن النبي وهو في الثالثة والخمسين وقـع في غرام عائشة ، وهي فتاة صغيرة في الثامنة من عمرها «ص٢٥ . وتعرض المؤلف كذلك لزواجه من زينب ، ليثبت أن العرب جميعا يحبون الانهماك في اللذات الجنسية ، وأن هذه الصفة من صفاتهم الأصيلة المنافية للحضارة .

ومن صفات العرب انعدام الخيال والبساطة

(١) هو عقبة بن أبي معيط ، وكان من جيران النبي في مكة ، وكان من النفر الذين يؤذون النبي وهو في بيته يصلي ، ولم يسلم قـط ، حتى بعـد أسره . في السيرة لابن هشام ، عن ابن اسحاق « فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله . فمن للصبية يا محمد ؟ قال النار ــ السيرة حـ ٢ ص٢٩٨ .

وما بساطة الإســلام إلا انعكاس لعقلية العرب ، على حين أن عقائده مستمدة من الأديان الأخرى: فالوحدانية من الصابئة ، وكذلك الصلاة والصوم في رمضان .

ولسنا ندري كيف يجهل المؤلف أن الصابئة كانوا يعبدون الكواكب الى جانب قولهم بإله واحد . ولكنه التعصب الأعمى ضد الإسلام مما جعله يزيف التاريخ .

وهنا نصل إلى نهاية ما يمكن أن يبلغه الحقد على صاحب الرسالة ، حين يقول إن محمدا كان بدويا من مكة ، ولكنه بدوي منحل .

Mobamet was a Bedowin of mecca' But a debenerate Bedowin.

ص ٤٣ . كان يبكي كالنساء ، وكان عصبيا وكان فقيرا معدما « اضطر إلى الاشتغال برعي الغنم ، فلما شعر بحطة هذه المهنة قبل أن يكون مساعدا لتاجر اقمشة يسمى « سائب » « (١) » Sap! وساقت الصدف سائب ومساعده الجديد الى « حياشا (٢) Hayacha وهي سوق هامة في جنوب مكة حيث تعرف محمد بخديجة التي كانت تتاجر في القوافل . فدخل خدمتها ، أولا كسائق جمل ، ثم كمدير ، ثم « كشريك » ص ٤٦ .

وقد سقنا هذه العبارة بتمامها لنبين جهل المؤلف بالتاريخ ، او تزييفه له إن كان على

(١) لعله يريد عمار بن ياسر .

(٢) لعله يريد الحزورة .

علم به ، ثم محاولته الطعن فى شخصية الرسول واتهامه إياه بالوصولية ، ونفى صفة النبوة عنه ، وصفة « الرجولة » ، وكل ذلك لتحويل أنظار المسلمين عنه . ونحن نعلم صبر الرسول على أذى المشركين ، ومشاركته فى الغزوات ، وشجاعته غير أن المؤلف يقول عنه إنه كان « يتهاوى فى ساحة القتال ، وإن بعض العرب رآه يبكى كالنساء . وجملة القول إن قريشا كانت تنظر إليه على أنه شخص أدنى منهم » ص ٤٧ »

They looked upon him asan inferior being

أما نزول الوحى ، فالمؤلف يرجعه إلى أحلام محمد وأوهامه وخيالاته وإلى مزاجه العصبى وإلى النوبات التى تصيب فى الغالب أهل المناطق الحارة ، وإلى حالة من التهويم ، حين يكون الإنسان بين النوم واليقظة half-sleep تفضى به إلى الأحـــلام وإلى رؤية الرؤى . ص ٤٩ .

* * *

ومن البديهى وقد طعن المؤلف فى محمد ، أن يمتد طعنه إلى القرآن . وإلى الإسلام . وقد سبق أن ذكر ذلك إجمالا ، وفى الفصل الخامس يذكره تفصيلا . «فالإسلام هو المسيحية وقد اصطنعتها العقلية العربية ، أو بوجه أكثر دقة ، هو كل ما استطاع عقل «البدوى» (يريد الرسول عليه الصـــلاة والسلام) الخالى من الخيــــال أن يتمثله من العقائد المسيحية . ص ٦١ .

ولم يهتم محمد بالأخلاق ، بل كان اهتمامه الأول بالسياسة ، فقد كان رئيس حزب يكافح لغرض سلطانه ، واعتمد فى الوصول إلى أغراضه على القوة Force ص ٦٤ .

ولما كان المؤلف يكرر الفكرة ويعيدها خلال الكتاب ، فقد نسى أو تناسى أن الإسلام لم يكن الذى انتشر أولا بقوة السلاح ، بل بالدعوة والإقناع . جاء فى القرآن الكريم . «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وقال تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . ونسى أن انتشار الإسلام فى أمم كثيرة ، حتى فى الوقت الحاضر ، لم يعتمد أبدا على السيف ، مثل إسلام أندونيسيا والصين ، وكثيرين من أهل إفريقية ؛ وذلك لأن الإسلام هو دين الحق ، وهو أكثر الأديان موافقة للعقل ، وأكثرها دعوة إلى الفضيلة والعدل والأخلاق الكريمة . وهل يمكن أن يدوم الإسلام هذه القرون الطويلة لو لا أنه يدعو إلى تهذيب الأخلاق ، والسمو بالفرد .

وهـذا خلاف ما يقوله المؤلف : « ليس الإسلام فى ذاته مذهبا يدعو إلى تكميل الفرد ، وإنما هـو مذهب يدعو إلى الانضمام مع أولئك الذين يعترفون بمحمد على أنه رسول الله » ص ٦٥ » وبذلك نزع عن الإسـلام كل فضل .

ويبدو أن السر فى حقـد المؤلف على الإسلام هو فشل المبشرين من المسيحيين الذين يبذلون غاية جهدهم فى نشر المسيحية بين زنوج إفريقية، بإزاء القوة الساحقة للإسلام بغير تبشير. وهو يزعم أن المسلمين فى أوغندا، وفكتوريا نيانزا اتبعوا أسلوبا فى الدعاية (البروباجندا) يفصح عن الروح الحقيقية للإسلام، أى ملاطفة شهوات الشر عند الزنوج ص ٦٥.

يقول المؤلف (ص ٧٠) إن محمدا باعتباره سياسيا محنكا، أراد أن يرضى كل إنسان، فلم يفرض لإسلامه سوى شرطين، الاعتراف بالإسلام والإقرار برسالته. وغاب عن بال المؤلف أن أبا بكر حارب المرتدين الذين قبلوا الإسلام وأقروا بنبوة محمد، ولكنهم رفضوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. حاربهم لأن «الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى».

وفى هذه الآية ما يرد به على المؤلف فيما زعمه من أن الإسلام ليس دين أخلاق، بل دين سياسة فقط.

ثم يقول بعد ذلك إن هم الرسول أن يضم الأتباع تحت لوائه وذلك بأمرين: الأول نشر روح التضامن بين المسلمين، والثانى تحريمه الاستشهاد. ص ٧١ — ٧٢.

أما الأمر الأول فصحيح، وهو راجع لا إلى الأسباب التى توهمها المؤلف بل إلى صدق العقيدة الإسلامية وتهذيبها للنفوس وتصفيتها لها. أما الأمر الثانى، فيخالف كل ما عرفه التاريخ عن المسلمين، فإن روح الاستشهاد Martyrdom فى سبيل الإسلام، هى العلة الحقيقية فى انتشاره وبخاصة فى الصدر الأول. يريد المؤلف أن يرمى المسلمين بالجبن.

وإذ قد نزع المؤلف عن الإسلام كل فضل، فهو يقول: «إنه من الخطأ البين الزعم بأن الإسلام قد اتخذ طريقه إلى عقول الناس منجذبين اليه بسحر عقائده» (ص ٨١) يريد أن يقول إنه فرض بالحرب والقتال، وذلك بصدد الحديث عن هزيمة الفرس والروم أيام أبى بكر وعمر. وهنا يظهر جليا التناقض فى كلامه، إذ كيف يصف الجيوش العربية بسوء النظام، والتنظيم، والتماسك، ثم تنتصر على الجيوش المجيشة التى تبلغ من العدد عشرة أضعاف؟ ولقد نسى أنه وصف المسلمين من قبل بالتضامن، وهو هنا يصفهم بعدم التضامن. ونسى أنه وصفهم بعدم الاستشهاد، فكيف يحاربون دون أن يموتوا شهداء؟

أما عرضه للأحداث التاريخية فى زمن الخلفاء الراشدين، والأمويين والعباسيين، فإنه يلتمس لها أسبابا تحط من شأن المسلمين، وترميهم بكل نقيصة، ويصور الحكم الإسلامى أنه صادر عن الذهن.

ولا يعنينا كثيراً رأى المؤلف فى العرض التاريخى للأمم الإسلامية ، إذ ليس هذا هو المقصود من الكتاب ، ونقفز إلى ص ١٨٥ حيث يصور عقلية العرب بعد ذلك العرض لتاريخهم السياسى ، ويذكر أسباب انحطاطهم وسقوطهم .

فهناك أسباب عامة : منها أن العرب لم يكونوا أبداً أهل سياسة يستطيعون وضع الأهداف الكبيرة مع الصبر على تحقيقها .

ومنها عجز العربى عن الاختراع ، والتقدم ، فهو ليس مهندساً . بل مقلداً .

ومنها أن العربى ليس إداريا ، ولا منظما ، فهو يحكم بمساعدة الأجانب .

ومنها أنه بربرى لا ينشئ حضارة .

ومنها أن الدين عقبة فى سبيل التقدم .

* * *

وفى ص ١٩٧ ، يؤيد المؤلف نظريته القائلة بأن الإسلام عقبة فى سبيل التقدم فيقول : « أن القرآن مكتوب بلغة ميتة لا يستطيع المسلم أن يفهمها إلا بدراسة خاصة » . وهنا بداية الخطة التى يريد المؤلف أن يعلنها ، أى الطعن فى العرب الذين يتكلمون اللغة العربية ، وفى إسلامهم ، والالتجاء إلى مسلمين لا يتكلمون اللغة العربية ، ومن ثم لا يفهمون القرآن ، وهم الأتراك .

وقد دعا إلى ذلك بصراحة ، بعد تحليل الحركات الوطنية ، وبخاصة فى مصر ، بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، وأحمد لطفى السيد ، وأن هذه الحركات الوطنية إنما يرجع السر فى نجاحها إلى التمسك بالإسلام ، وأن هذه الحركات الوطنية تنعكس على المسلمين فى تونس والجزائر ومراكش وتسبب للمستعمرين قلقاً شديداً .

فما السبيل إلى إيقاف هذه الحركات فى الدول العربية ؟

السبيل فى نظر المؤلف هو مساعدة تركيا ، اعتبارها قلب الإسلام (فى الوقت الذى كان يكتب فيه هذا الكتاب) . لأن الأتراك « أقل المسلمين إسلاما » . (ص ٢٦٢)

The least Islamized of all Musulmun people.

وفى هذا الفصل الأخير تعليل للحركات التى نشاهدها اليوم على مسرح الاستعمار الأوربى ، من احتضان الغرب لتركيا ودخولها فى حلف بغداد ، واتفاقها مع إسرائيل ضد العرب .

ولهذا السبب نظن أن الكتاب له أهمية كبيرة تفضح أساليب المستعمرين وخططهم بإزاء العالم الإسلامى كله .

أحمد فؤاد الأهوانى

آراء وأحاديث

الأستاذ الأكبر يستقبل شهر رمضان ويهنئ المسلمين به

في أول ليلة من شهر رمضان المعظم أذاع صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر من [صوت العرب] على العالم الإسلامي هذا الحديث الجامع بصوته المعبر المؤثر وأسلوبه القوي النابض بدأه بقوله .

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وبعد : ففي مطلع هذا الشهر المبارك ، وباسم الإسلام الذي هو دين الوحدة والتوحيد ، ودين العلم والعمل ، ودين العزة والكرامة .

وعلى موجات هذا الصوت الأثيري الجهير « صوت العرب » صوت الدعوة إلى الحرية والثقة بالنفس ، والإيمان بالعروبة والإسلام .

وبلسان الأزهر الشريف الذي ظل أكثر من ألف عام موردا عذبا للثقافة الإسلامية ، وموئلا حصينا للحرية الفكرية ، والذي يلتقي فيه المسلمون من كل شعب ، ومن كل مذهب ، طلابا للعلم ، روادا للبحث ، إخوانا متعاونين ، لا فرق بين شرقي وغربي ، ولا بين عربي وعجمي ، ولا بين أبيض وأسود ، بجامعة الإسلام يجتمعون ، وبظلال أخوة الإيمان يستظلون ، وإلى حنان أمهم مصر العربية الإسلامية يسكنون ويطمئنون .

في فيض من هذا كله ، أفتتح « صوت الأزهر » الذي سيوجه إليكم إن شاء الله بين برامج « صوت العرب » كلماته المنبعثة من تعاليم الإسلام الراشدة التي لا هدف لها إلا إسعاد البشر ، والأخذ بأيديهم إلى كل ما يهديهم ويصلح بالهم .

أيها السادة :

إن الصوم ولا شك يوحد بين المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها ، في أوقات النوم واليقظة ، وفي أوقات الأكل والشرب ، وفي أوقات الذكر والتسبيح والعبادة ، وهو يوحد بينهم في إحياء المراقبة القلبية

لله رب العالمين ، فترى المؤمن فيه خاشعا ، قانتا ، مخبتا ، داعيا مستغفرا ، مرتلا لوحيه وقرآنه منيبا إلى ربه ، ثم هو بعد ذلك يصلهم بماضى ذكرياتهم المجيدة - يذكرهم بأن النصر حليف الصبر ، وأن الوحدة رائد الغلب ، حينما يمر بهم السابع عشر من شهر رمضان ، ويذكرون به غزو الحق للباطل فى موقعة بدر التى تركز بها سلطانهم فى جزيرة العرب ، والتى امتد بها سلطان التوحيد حتى أشرقت الجزيرة بنور ربها ، « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

وحينما يذكرون أن القرآن الذى جمع كلمتهم ، وربط قلوبهم ووجههم إلى سبيل العزة والسيادة ، وقضى أن العـــزة لله ولرسوله وللمؤمنين نزل فى رمضان ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وفيه يذكرون ذلكم الحادث العظيم الذى عاد به أولياء الله وأنصاره والمؤمنون به إلى بلدهم الذى منه أخرجوا بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ذلكم الحادث هو فتح مكة ، الذى سجله القرآن أبلغ تسجيل ، وجعله سبيلا للمغفرة والسكينة تملأ قلوب المؤمنين « إنا فتحنا لك فتحا مبينا : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصراً عزيزاً ، هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ، ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما » ، « ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزاً عظيما » . فما أجمل أن يسمع المؤمنون وهم على عتبة هذه الفريضة أن أنيبوا إلى ربكم واعبدوه ، ووحدوا مناهجكم فى الحياة ، لتصلوا إلى هدفكم الموحد ، وغايتكم المشتركة النبيلة « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول ، إذا دعاكم لما يحييكم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وإذا كان رمضان وما وقع فيه من أحداث ، وما نزل فيه من هداية ركزت سلطان الحق ، وزعزعت عروش الباطل ، وزلزلت كيان الضلال والبهتان ، وربطت قلوب الموحدين بالله من أكبر نعم الله على عباده المؤمنين ، التى أخرجتهم من الظلمات إلى النور ، وهدتهم إلى صراطه المستقيم ، فإن أبلغ الشكر على تلك النعم ما كان من جنسها : هداية وإرشاد وتقى وإيمان ، واعتصام بحبل الله ، وجمع للشمل

تحقيق صحفى

قامت به محررة فى جريدة أخبار اليوم لدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، اشتمل على رأى الإسلام فى طائفة من الأمور الاجتماعية والنسائية .

قالت المحررة :

لما عجزت ثلاثة أشهر عن مقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أرسلت إليه أقول : أريد أن أعرف إن كان سبب امتناعكم عن مقابلتى هو أننى فتاة ؟ فجاءنى الرد فى اليوم التالى « إن فضيلة الأستاذ الأكبر قرر أن يقابلك ، لكى يثبت لك أنه لا فرق عنده فى المعاملة بين فتى وفتاة » .

قلت لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت : أريد أن أعرف رأى فضيلتكم فى شباب هذا الجيل . . أهو أفضل أم أسوأ من شباب الجيل الماضى . . وما رأيكم فيه من الناحية الأخلاقية .

وأشرق وجه الشيخ شلتوت بابتسامة كلها تسامح . . كلها حب . . كلها رضى ، وقال بصوت لا يرتفع عن الهمس إلا قليلا :

يا ابنتى : إن البشرية فى كل عصر .. وفى كل طبقاتها . . فيها الخبيث الممقوت ، والطيب المحبوب .. وما خلت البشرية من الخبث قط ، وما خلت البشرية من الطيب . قط وعلى العاقل أن يتفقد الخير والشر ، وأن يمحص حياته ويسلك سبيل الهدى والرشاد ، بما يحفظ قيمته ويعلى كرامته . هذا مبدؤنا ولا فرق بين هذا الجيل وغيره فى خضوعه لهذا المبدأ .

قلت لشيخ الأزهر : الدين الإسلامى دين

وتوحيد للكلمة ، وتحمل بالصبر والمصابرة والمرابطة .

فإلى جميع إخوانى المسلمين أقدم أطيب التحيات ، وأعمق التهانى القلبية ، وأضرع إلى الله أن يتم عليهم نوره ، وأن يكمل لهم وحدتهم حتى يعم خيرها الإنسانية كلها ، وأن ينتفع بهم آخر الإنسانية - كما انتفع بأوائلهم أوائلها - والله يهدينا جميعا إلى سواء السبيل ، ويوفق قادتنا إلى خير الإسلام والعروبة .

أيها الأخوة :

أحييكم أحييكم ، وأهنيكم أهنيكم ، وأدعوكم إلى كلمة الله ودعوة رسوله النبى الأمين ، وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

يسر ومن مقتضاه التطور مع الزمن فهل يمكننا أن نطوع النصوص الدينية لمقتضيات العصر فيما يتعلق بكثير من الأوضاع الاجتماعية التى أصبح من الصعب تنفيذ نصوص الشريعة بخصوصها تنفيذاً حرفيا ؟

قال : اضرب لى مثلا . .

قلت : مثلا الطريقة التى تلبس بها السيدات فى هذا العصر تختلف كثيراً عن الطريقة التى قررتها الشريعة . والسيدة التى ترتدى ثيابها على الطريقة الإسلامية فى هذه الأيام لابد أن تصادف حرجا ومضايقات فى كل مكان تذهب إليه . . بل إن ذلك قد يمنعها من تلقى العلم أو العمل . . فما هو الحل فى رأيكم للتوفيق بين النصوص الدينية وبين مقتضيات العصر ؟

وهناك مشاكل أخرى مثل العلاقات الاجتماعية التى أصبحت تربط الشبان بالشابات مثل الاختلاط فى الجامعة ، وفى العمل وفى الأندية وهناك أيضا مسألة مشاهدة الأفلام السينمائية الغرامية والاستماع إلى الأغانى العاطفية ؟

فرد شيخ الأزهر وفى صوته انفعال :

لا أحب أن أسمع أن الجيل الجديد من الشباب يتطلب كذا ولا بد أن نطوع أحكام الإسلام لمقتضيات هذا الجيل . لأن تطويع أحكام الإسلام لغير الجهة التى حددها خروج بالإسلام عن وضعه وإفساد لتعاليمه . إنما علينا أن نفهمه حق الفهم ولا نحكم فيه رغباتنا وشهواتنا ، والإسلام على وجه عام يدعو إلى التقدم وإلى النهوض وإلى العزة والكرامة والقوة والمجد . وحسب الشباب من فتيان وفتيات أن يفهموا هذا وأن يعملوا على التحلى به .

قلت : أريد أن أعرف . هل يمنع الإسلام اشتغال المرأة . وإذا لم يكن يمنع فهل هناك أعمال معينــــة بالذات يحرمها عليها ؟ مثلا . . هناك ضجة فى هذه الأيام بسبب عدم تعيين الفتيات فى السلك الديبلوماسى . فهل يسمح الإسلام بأن تمثل المرأة بلادها فى الخارج . وأن تعيش هناك وحدها بلا رقيب ؟

قال : اسمعى . سأضع لك قاعدة عامة تطبقينها على كل ما يتعلق بأمر المرأة فى هـذا الخصوص . فالإسلام يعمل أساساً على حفظ الأخلاق وصيانة الأعراض وعلى ألا تبرز الأنثى بمظاهر الإغراء التى من شأنها إثارة الغرائز . فكل اجتماع لا يتحقق فيه هذا المعنى عمل ممقوت . وكل عمل يفتح على الفتاة أبواب الريب والغرائز البشرية عمل ممقوت . وللفتاة داخل هذا الإطار أن تقوم بما يثقفها ، وبما تحتاج إليه فى معاشها وتنظيم أسرتها وتربية أطفالها حين الزواج ومشاركة مجتمعها . أما الجزئيات فأمرها بعد هذا الأصل هين . ومن السهل أن تعرف كل فتاة ما يحفظ كرامتها ويصون عرضها .

قلت : يعنى يجوز للفتاة أن تعمل فى أى مهنة ما دامت تحفظ كرامتها وتصون عرضها ؟

قال : نعم . .

قلت : هل يجوز للفتاة أن تعمل بالوعظ والإرشاد ؟

قال : نعم . .

قلت : وما هو رأيكم فى الوسيلة التى يمكن بها محاربة موجة الإلحاد التى تجتاح العالم : وما هو السبيل إلى إعادة الإيمان للقلوب التى أصبح يهزها الشك .

قال : هذا سؤال جدير أن تشرئب إلى الإجابة إليه الأعناق ، وجدير أن يجتمع فى سبيل الإجابة العملية عنه رجال التربية ورجال التعليم ورجال الحكم . ولا أريد أن يغرس رجال الحكم الإيمان فى القلوب بالقوانين وإنما أريد أن يكونوا قدوة عملية يقتدى الناس بهم وبأمرهم فى الإيمان وآثاره ومظاهره ، وأن يسدوا النوافذ التى تفد منها إلى الشباب دواعى الإلحاد . فالعقيدة أسمى ما يملكه الإنسان فى حياته ، والشاب المثمر فى وطنه المكافح هو من قوى إيمانه ، ومن هنا نرى أن بيئات التعليم ملزمة بغرس شجرة الإيمان فى قلوب التلاميذ من مبدأ نشأتهم حتى تنمو بنموهم وتزدهر وتثمر ، ولا أريد الإيمان التلقينى ، وإنما أريد الإيمان النابع من القلب بلفت الأنظار إلى سنن الله فى الكون ومظاهر قدرته وأفاعيله فى خلقه . وكم لله من آيات فى الأرض والسماء يستطيع المسلمون النابهون المؤمنون أن يغرسوا شجرتها فى قلوب التلاميذ . وهناك جهة أخرى ، وهى أن تعمل الحكومة وجميع معاهد التربية والتعليم على تهيئة الفرص للتلاميذ فى القيام بواجبات الإيمان العملية وأداء الشعائر الإسلامية من الصلاة والصوم وكل ما من شأنه أن ينمى الإيمان فى القلوب . فالمطلوب أمران علم ومعرفة ، وعمل وتدريب ، وبذلك ينهض الشاب مؤمنا قويا فى قوله وعمله وحياته . .

وما دامت دراسة الدين فى مدارسنا ومعاهدنا دراسة شكلية صورية لا تصل إلى القلب ،وما دمنا نسخر من الصلاة ومن المصلين ومن الصوم والصائمين كذلك فمحال أن نصل إلى الهدف ، وهو تقوية الإيمان فى قلوب الشباب . وإذن ستظل أمتنا وشعوبنا تعانى من وجود شباب ورجال يعمل الإيمان فى قلوبهم كما يحب الله ويحب الرسول : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » فالمطلوب إيمان يبعد عنه الشك والريب . ولا يفوتنا كبح جماح الصحافة ، ولا مؤاخذة ، والمجلات التى تعرض صور الإغراء فى إفساد الأخلاق والآراء الشاذة الوافدة إلينا من بؤر أو من آفاق تضمر لشعوبنا العربية

الإسلامية كل الشرور وما هى ببعيدة عنا . . باسم الحرية وما هى بالحرية ، وإنما هى الفوضى الممقوتة والحياة المكذوبة والفجور المنكر . وهذه يدى أمدها لعقلاء الصحفيين وفى مقدمتهم الأستاذ على أمين راجيا أن تتعاهد على إخلاء الطريق للإيمان الحق ليصل إلى قلوب أبنائنا وبناتنا وأسرنا ، فتبنى بذلك أمة قوية لا يفكر الأعداء فى اقتحام أسوارها. ونرجو الله بعد هذا أن يوفقنا جميعا لما يحفظ كياننا ويغرس معانى الاستقرار فى نفوسنا والله المعين والمستعان .

* * *

قلت : يريد الناس أن يعرفوا رأى الإسلام فى محاولة الوصول إلى القمر . . هل هى حلال أم حرام . . وهل هناك فى القرآن الكريم آيات فيها ذكر لهذه المحاولات التى يبذلها الإنسان للوصول إلى الكواكب الأخرى ؟

قال : هذا جانب بشرى تركه الإسلام فى ذاته وفى وسائله للعقل البشرى ولم يحدد له طريقا ولم يبين له فيه حقيقة . نعم حث الإسلام بوجه عام على النظر فى الكائنات وعلى البحث فى ملكوت السموات والأرض فى الشمس وآثارها ومحورها ودورانها والقمر وآثاره ومحوره ودورانه . وترك ما وراء ذلك للعقل البشرى . وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية . وأقرب مثال لنا أن القوم فى زمن التنزيل حينما رأوا القمر يصغر ثم يكبر ويكبر ثم يصغر ويتخذ أشكالا مختلفة ، وراعتهم هذه الظاهرة ولم يعرفوا عن أسبابها شيئا اتجه بعضهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الهلال ما باله يبدو صغيرا ثم يكبر يطلبون كشف هذه الحقيقة الكونية . . فكان جواب الحكمة الإلهية أن أخذت بهم عن البحث فى هذا الجانب إلى بيان الثمرة والحكمة المترتبة على صغر القمر وكبره ، ونرى ذلك فيما يتعلق بشرح الآية الآتية وهى قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والآية تشير إلى أن التوجه إلى بحث الكائنات أو تفسير الشرائع السماوية بالسنن الكونية إتيان للبيوت من ظهورها . . . فعلى الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن أو تفسيره أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب والقرآن كتاب ، والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك فلا تحملوها أكثر مما حملها الله .

* * *

قلت للأستاذ الأكبر : ترى ما هو رأى الدين ورأى فضيلتكم فى الحب ؟

قال فى تجاهل : الحب ألوان متعددة .

قلت فى إصرار : أنا أعنى بالحب تلك العاطفة التى تنشأ بين فتى وفتاة .

قال : لو كنت أثق أن الفتيان والفتيات لا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا أن الصحافة لا تتخذ من تصريحات أمثالنا طريقا لدعوتها الخاصة التى تريدها ، لتحدثت معك فى جواب هذا السؤال . ولكنى تعودت من الصحافة أنها تجعل من « الحبة قبة » وأن تنسب الرأى الذى تريده إلى الكلمة التى أدلى بها مهما كانت دلالة الكلمة ، فتخرج عن الفائدة المرجوة لنا وللصحيفة ولما نريده للشباب.. فلذلك أرجو إعفائى من الحديث فى هذه المسألة .

قلت : ولكننى أعدك ألا أحرف كلمة واحدة من كلماتك .

قال : لا . . لن أتكلم فى هذا الموضوع . . إسألينى فى موضوع آخر أكثر جدية .

قلت : إذن . . سيكون سؤالى الأخير جاداً للغاية وهو . . ما رأى فضيلتكم فى الفكرة التى نادى بها على أمين والتى طالب فيها بحماية المرأة المطلقة من الانتظار طويلا والتسكع على أرصفة المحاكم حتى يحكم لها القضاء بمؤخر الصداق والنفقة، وذلك عن طريق إصدار قانون يقضى بمنع المأذون من تسليم الزوج ورقة الطلاق إلا إذا تسلم منه إذن بريد بقيمة مؤخر الصداق ، وطالب فيها أيضاً بأن يحدد القانون نسبة معينة من دخل الزوج كنفقة للزوجة والأولاد ، وأنه يطلب من المصلحة أو المؤسسة التى يعمل فيها الزوج المطلق أن تتعهد بأن تدفع هذه النسبة آليا للزوجة المطلقة عند الطلاق ، وبذلك يقل عدد قضايا النفقة المنظورة أمام المحاكم وتحمى الزوجات من استهتار الأزواج ، وعلى الزوج المطلق أو الزوجة المطلقة أن ترفع الأمر إلى القضاء بعد ذلك إذا كان لديه اعتراض على قيمة هذه النسبة المعينة كنفقة .

وسكت شيخ الأزهر قليلا ثم قال : واضح أن هذه الفكرة ترمى إلى هدف معين محدد هو صيانة المطلقة من التردد على أبواب المحاكم التماسا لحقها فى مؤخر الصداق وقد فاتتها الإقامة بالطلاق فى حظيرة الزواج ، وليس من شك فى أن الإسلام يعمل بكل تشريعاته على حفظ كرامة المرأة : متزوجة أو مطلقة ، وهى فكرة بعد هذا لا تمس شرعية الطلاق ولا تمنع الزوج من حقه فى أن يطلق ، وإنما هى مجرد تنظيم يقصد به حفظ حق المستحق كما يقصد به صون كرامة المرأة بعد طلاقها وفوات الإنفاق عليها . والإسلام فى تنظيماته كلها يدور حول محور حفظ الحقوق وحفظ الكرامات للرجال والنساء . وكم من تنظيمات مثل هذا التنظيم تضمنها قانون الأحوال الشخصية ولائحة المحاكم الشرعية ، وما كان القصد منها سوى حفظ الحق وتمكين صاحبه منه . فقانون تحديد سن الزواج وعدم سماع الدعوى بالزواج العرفى

الذى لم يدون فى وثيقة . . هذان وأمثالها من باب هذا التنظيم الذى يرمى إلى حفظ الحق وحفظ الكرامة . وفى خصوص ضمان راحة المطلقة من جهة المعاش جاءت آيات فى سورة البقرة تحتم مراعاة هذا الجانب بعد الطلاق فمنها قوله تعالى: «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف» وليس من شك فى أن هذا التنظيم مما يدخل تحت التشريع بالمعروف ومنها طلب تقديم المتعة للزوجة المطلقة بعد الطلاق وفى ذلك يقول الله تعالى «وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين» والمراد ما تعارف فى أسرة المطلقة «وانظرى كيف عبر عنه بالحق» وكلمة على واعتبره من علامة التقوى والإيمان القوى بعد التعبير عنه باللام (وللمطلقات) فهذه آيات ، وهناك نصوص أخرى كلها صريحة أو توحى بتركيز هذه الفكرة على أصول شرعية قوية ، وما علينا إلا أن نفهم كتاب الله وإرشاد رسوله فى تكوين الأسرة وحفظ حقوقها وبذلك تنعم الأسرة وتقوى وتصبح لبنة قوية فى بناء الأمة وكم رأينا من زوجات طلقن وفارقن أزواجهن وهن فقيرات فتشردن، وأخشى أن أقول « بعن واشترين بأغلى الأثمان وأحقر الماديات » .

وقت واقفة بعد أن أخذت من وقت فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أكثر من ساعة . . وعند الباب أتانى صوته الهامس قائلا : عدينى يا ابنتى ألا تحرفى شيئا من حديثى .

والتفت إليه : « وحنيت رأسى فى صمت » « وخرجت » .

ولعل الأستاذ الأكبر قد علم الآن أنى قد وفيت بوعدى له . . وهل كنت أستطيع أن أخلف وعدا قطعته على نفسى أمام شيخ الإسلام .

حسن شاه

المحررة بصحيفة أخبار اليوم

من حكم الصوم

يروى أنه قيل ليوسف الصديق عليه السلام : لم تجوع وفى يديك خزائن الأرض ؟ فقال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

وقيل للأحنف بن قيس : إنك شيخ كبير ، وإن الصيام يضعفك . فأجاب الأحنف : إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه .

موجز الحديث

الذى دار بين الأستاذ الأكبر وسفير كندا بالقاهرة

سأل السيد السفير عن طبيعة العلاقات بين الإسلام وبين غيره من الأديان الإلهية الأخرى .

فعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله: إن الإسلام لايرى أن هناك أديانا أخرى تختلف عنه فى الجوهر ، لأن دين الله واحد ، جاء من مصدر واحد ، هو المعبود الواحد . وليس هناك - فى نظر الإسلام - أديان سماوية مختلفة ، وإنما فقط هناك رسالات متعددة، كان لكل منها ظروف اجتماعية وثقافية وإنسانية خاصة . وهناك رسل عديدون جاء كل منهم استجابة من السماء لعوامل أرضية خاصة، تقلبت على تاريخ البشرية . أما دين الله فواحد وسيبقى كذلك إلى ماشاء الله .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه .

« قولوا آمنا بالله وما أنزلنا إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون » .

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده . . . » ومن ذلك فى القرآن كثير .

ثم سأل السيد السفير عن العلاقة بين المؤمنين بالله وكيف ينبغى أن تكون لمقاومة المادية فى كل صورها الاعتقادية والفكرية والسياسية.

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر: بأن الموقف بالنسبة للمسلمين فى غاية الوضوح والبساطة . فالإسلام يؤكد فى غير موضع من القرآن وحدة الدين الإلهى ، ويقرر فى أكثر من مناسبة وحدة الإنسانية ، و يدعو إلى الأخوة الصادقة والتراحم ، وينعى على المتفرقين من اليهود والنصارى تنابذهم ، ويحثهم على أن يجتمعوا مع المسلمين على كلمة سواء . « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

والقرآن الكريم فى آياته الواضحة ينادى جميع الشعوب والأجناس بقوله « يا أيها الناس » « يا بنى آدم » ويكرر ذلك دائما ، فهو لا يفرق بين جنس جنس ، ولا بين لون ولون ، وإنما يدعوهم لأب واحد وينسبهم إلى إنسانية واحدة، تعبد ربا واحدا وتسعى إلى هدف مشترك لسعادة الجميع . وأكثر من هذا يبيح الإسلام

زواج المسلم بالكتابية وجعل أخوال ابنه من غير المسلمين ، وهذا كله دليل واضح على مدى فهم الإسلام لمشكلة الإنسانية واتخاذه الخطوات الإيجابية لحلها والتقريب بين المتنافرين ، وبناء مجتمع عالمي قائم على حسن التفاهم والأخوة والمساواة .

وعندئذ قال السيد السفير : إذا كان الأمر كذلك فما هي الوسائل الفعالة لتنفيذ هذه التعاليم الحكيمة للتقريب بين المؤمنين بالله ولصالح الإنسانية ؟ .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر : بأن الوسائل الإيجابية ليست في عقد مؤتمر ولا في لقاء عابر ، وإنما هي أهم من ذلك وأعمق . ثم ذكر فضيلته أنه أخبر بعض الصحفيين الإيطاليين أنه لا يوافق على فكرة البابا ، في عقد مؤتمر عالمي لممثلي الأديان ، لبحث وسائل حسن التفاهم والتعاون بينهم ؛ لأن المؤتمرات - أيا كانت طبيعتها - تبدأ بكلام وتنتهي بكلام لا تتبعه نتائج عملية.

وبعد أن ذكر فضيلته الأمثلة على ذلك قال : إن الطريق الإيجابي هو طريق الفكر المستنير والثقافة الرشيدة، طريق التفاهم المباشر ، وذلك بأن يسعى كل فريق لمعرفة ما عند الفريق الآخر من مبادئ وقيم وتعاليم، معرفة بصيرة بعيدة عن الهوى . ثم ذكر فضيلته أن المسلمين قد بدأوا فعلا السير في هذا الاتجاه الموضوعي بما قرره الإسلام أولا من حيث المبدأ أو بما اتخذه الأزهر أخيراً من خطوات عملية نحو تعليم اللغات الأجنبية ، حتى يستطيع طالب الأزهر وخريجه وابن الإسلام أن يتغلغل في ميادين الثقافة الأجنبية ويفهم ما عند غيره من أفكار وقيم وتجارب تساعده على القرب منهم والتعاون معهم .

وبعد أن أشار فضيلة الأستاذ الأكبر إلى بعض الأمثلة في هذا الصدد قال : إن على غيرنا أن يسيروا في اتجاه مماثل فيتعلموا لغتنا ويدرسوا ثقافتنا ويعرفوا ما عندنا من عقائد ومبادئ وقيم حتى يقفوا على حقيقة أمرنا ، وحتى يمكن أن نلتقي معهم في منتصف الطريق ، ونتعاون على إسعاد البشرية ، والتخفيف من آلام الإنسانية ، ونكون بحق أصحاب رسالات إلهية ومن المؤمنين بالله رب الإنسانية جمعاء .

وما كاد فضيلة الأستاذ الأكبر يفرغ من حديثه حتى قال السيد السفير إنه سعيد بأن كندا قد بدأت فعلا تسير في هذا الطريق وضرب لذلك مثلا « بمعهد الدراسات الإسلامية » في جامعة ماكجل بمونتريال ، الذي أنشأه ويشرف عليه شقيق السيد السفير ، والذي يتكون أساتذته وطلابه من مجموعة مختارة من المسلمين والمسيحيين .

ثم استأذن السيد السفير في السؤال (عن خطر الشيوعية في البلاد الإسلامية) .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر إن الشيوعية

نبات فاسد لا ينمو إلا فى أرض فاسدة وتربة ميتة . وهى مهما تطفلت لا تستطيع أن تعيش فى بلد إسلامى ، لأن الإسلام فيه الغذاء وفيه العلاج ، وطريقنا لمقاومة الشيوعية هو طريق الإسلام . ندعو الناس – وقد دعوناهم فعلا إلى التمسك بتعاليم الإسلام وتطبيق تعاليمه فى شتى جونب الحياة وهى كفيلة لا بإسعاد المسلمين وحدهم ولكن بإسعاد البشرية كلها .

وبعد ذلك سأل السيد السفير عما إذا كان الجيل الحاضر بين المسلمين أكثر تدينا أو أقل من الجيل الماضى مثلا .

وعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله : إن التدين لا يقاس بالأجيال ولا بالسن ولا بالزمان أو المكان ، وإنما هو تنشئة صالحة فى بيئة طيبة تحت قيادة رشيدة مؤمنة . وهذا كله يوجد دائما حيث يكون هناك إسلام صحيح ومسلمون صادقون .

وأخيرا سأل السيد السفير عن الكلمة التى يمكن أن يتوجه بها فضيلة الأستاذ الأكبر إلى الأفراد والشعوب لتخفيف أزمة التوتر العالمى .

فقال فضيلته : إننى أدعو أبناء الشعوب الصغيرة المستضعفة ألا يفقدوا ثقتهم بالله ، ولا يضيعوا إيمانهم فيه فهو عادل لا يهمل الظالم وإن أمهله . وعلى هؤلاء أن يلتفوا حول رسالة السماء إذ هى المنقذ الوحيد للبشرية . أما كلمتى إلى قادة الشعوب الكبرى فهى أنى أدعوهم أن يتذكروا دائما أن صواعق العدالة الإلهية أشد تدميراً وفتكا من صواعق الإنسان ، وانهم ان لم يكفوا عن ظلم الشعوب الصغيره واستعمارها فسيكون مصيرهم مصير قوم نوح وعاد وثمود وما ذلك ببعيد والتاريخ يعيد نفسه والله لا يغفل عن دعوة المظلوم أبد . ستنهض الشعوب الصغيرة وترتقى وتنتقم لنفسها وكرامتها إن لم يسرع قادة الدول الكبرى بتغيير سياستهم ومساعدة الضعفاء على التحرر والإستقلال . إن حل الموقف اليوم فى أيدى الدول الكبرى فهى تستطيع أن تواصل سياسة البطش والظلم والعدوان ولكن ذلك سيكون على حساب الإنسانية كلها لأن الشعوب المظلومة ستنتقم لنفسها يوما ما وتستمر الأزمة ويدوم التوتر . أما إن غيرت الدول الكبرى موقفها واستغلت التقدم العلمى والحضارى فى أغراض سلمية إنسانية فإن الإنسانية ستكون سعيدة هانئة . وآنئذ يسود مبدأ الأسرة الإنسانية الواحدة وهو المبدأ الذى قرره الإسلام كواحد من تعاليمه الخالدة .

وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف تقريبا فشكر السيد السفير فضيلة الأستاذ الأكبر من أعماقه وعبر لفضيلته عن بالغ سروره بهذا الحديث الممتع وتمنى له عاجل الشفاء ودوام الصحة لخدمة الإسلام والسلام والإنسانية .

الكلمة التي ألقاها الأستاذ الأكبر
على شباب إفريقيا وآسيا

أبنائي وإخواني :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه هي تحية الإسلام تحمل أسمى المعاني التي ننشدها ونسعى إليها ، تحمل السلام وهو هدفنا جميعا وتحمل الرحمة التي ينبغي أن تكون في قلب كل مؤمن بحقوق الإنسان .

إن الشباب حياة تتفجر منها كل القوى . وأنتم اليوم بتضامنكم واتحادكم وتراصكم واجتماعكم ، لأشد قوة وأعز جانبا وأمضى عزماً وأشد بأساً .

لقد فرق بينكم الاستعمار يا أبناء آسيا وإفريقيا ، وأبى إلا أن يمزق بلادنا وبلادكم ، ويجعلها أجزاء متناثرة . فأبيتم إلا أن تنضووا تحت قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ، وتكونوا وحدة ترد سيوفهم إلى نحورهم ويعود بغيهم عليهم .

لقد وحد بين إفريقيا وآسيا كفاح ونضال ، وديانات روحية ، ورسالات سماوية وشباب وقوة ، وجهاد في ميادين الحرية .

والآن وقد تقاربت صفوفكم ، وتضامنت آراؤكم ، ويجمعكم التطلع لمستقبل باسم ، وأيام زاهرة تملى فيها مبادئ السلام ليعيها الذين شربوا من دماء الإنسانية وهم يدعون حمايتها والزود عنها .

أنتم اليوم في الأزهر الذي تلاقت في حلقات دروسه الدينية العلمية ، أبناء آسيا وإفريقيا يجمعهم ويكون منهم كتلة متراصة تفهم معاني الحرية ، وتأبى الضيم وتنتصر للمظلوم وترد كيد الظالمين .

الأزهر الذي يسره استقبالكم ، يسره أن يلقى كل منكم أخا من إخوانه في الجنس والوطن في الأزهر المعمور .

إننا جميعاً نرجع إلى أصل واحد يجمعنا ويدفعنا إلى التضامن ، التضامن منبع القوى الدافقة ، والقرآن الكريم نادى الناس بما يشعرهم بهذا المعنى فقال « يا بني آدم » ويأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

أيها الشباب .

لقد لبس الاستعمار كل لون يعرض به نفسه ليغزو وحدتكم ويفرق شملكم ، ويضرب بعضكم ببعض ، ولترسخ أقدامه وتدوم حياته في أوطانكم ، تدخل مرة باسم التضامن ، وباسم التحالف ، ولكنها لغة رديئة لم تعد

صالحة ، ولا مجدية ، لأننا فى يقظة تتزايد وفى وعى يثب إلى ذرى مجده .

ومرة أخرى لبس ثوب الاقتصاد ودخل به . ولكنه ارتد على عقبيه وانهزم أمام صلابتكم وقوتكم .

احذروا هؤلاء وهؤلاء ، واضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان إذا كنتم قد أظهرتم والحمد لله قوتكم فى الإيمان بحقكم وبرهنتم للعالم على مدى هذه القوة فى الذود عن أوطانكم وعن أرضكم التى جعلها الله لكم ، فلتعمل أيديكم القوية فى البناء والتعمير ، وفى كل ما يعود على البشرية والإنسانية من خير .

وإن الإسلام لملىء بتعاليمه التى تكفل للبشرية جماع الخير والسعادة وتضمن لشعوب الأرض والسلام والرخاء .

إن الإسلام لا يضيق صدره بما فيه صلاح الشعوب جميعا وقد صلحت به فى الماضى ووسع كل شئونهم وكل ما يحتاجون فلنصلح به حاضرنا ومستقبلنا .

أحييكم من الأزهر مهد الثقافة وجامعة الأمم الإسلامية والعربية الإفريقية والآسيوية ، وأدعو الله أن يثمر مؤتمركم ثمرته التى يعلق عليها كل محب للسلام أملا كبيرا .

وإن الأزهر ليعاهدكم جميعا على أن يكون فى خدمة شعوب آسيا وإفريقيا يستقبل أبناءهم ويبعث إليهم بالأساتذة وكل متطلع للثقافة يزودهم بكل ما يحتاجون إليه فى التبصير بشئون الإسلام الذى يجمع الجميع إلى هدف واحد هو خير الدنيا وسعادة الآخرة .

والأزهر يعلن على الملأ أن الإسلام غنى بتعاليمه وآرائه الإصلاحية عن تلك الآراء والمذاهب التى تفد تارة من هنا وتارة من هناك وليس لها من هدف سوى تفريق شملنا وتوهين عزمنا وصرفنا عن قوميتنا التى بها حياتنا ، والتى قيض الله لإحيائها ، وتوجيه قلوبنا إليها ، ذلكم الشاب القوى فى إيمانه وعزيمته ، الصادق فى نيته ، راشد العروبة والإسلام جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

حياكم الله وأدام التوفيق لزعيم النهضة التضامنية والقوة الإخائية وراشد القومية العربية السيد الرئيس جمال عبد الناصر المؤمن بحقوق الإنسانية جمعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله

الأدب والعلوم

دائرة معارف عربية

من العجيب أن يكون لكل دولة من دول الحضارة دوائر معارف شتى منها الكبير والمتوسط ، ومنها العام والخاص ، ولا يكون للتراث العربى على ضخامته وتنوعه دائرة معارف تجمعه وتضمه وتسهل للناس الاطلاع عليه : نعم إن هناك دائرة المعارف الإسلامية التى وضعها المستشرقون من علماء هولندا وفرنسا وألمانيا وانجلترا ولكنها لم تترجم كاملة إلى اللغة العربية ولقد اهتمت فى العهد الأخير وزارة الثقافة والإرشاد بوضع موسوعة عامة تستعين فيها بجميع دوائر المعارف فى العالم وعددها ١٧ دائرة فى انجلترا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وأسبانيا وستحشد لها ٤٥٠ رجلا من مديرى الجامعات والعلماء والأساتذة من العرب والأجانب ، يضعون الخطط ويعدون البحوث ويختارون المختصين وينفذون المشروع وقد قيل إن الوزارة أرصدت لها من المال مليون جنيه على عشر سنوات وستبدأ العمل فيها قريبا .

أكثر جامعات العالم

تدرس اللغة العربية

احتلت اللغة العربية مكانة ممتازة فى جامعات الأمم بعد أن أصبح للعرب صوت مسموع فى سياسة العالم . ففى الولايات المتحدة ست جامعات تعلم اللغة العربية . وقد جعلت الحكومة الأمريكية معرفة العربية شرطا فى شغل المناصب الدبلوماسية فى الشرق.

وفى يوغوسلافيا تعلمها جامعات بلغراد وزغرب وسيراجيفو وسكوبلا .

وفى روسيا ثلاث جامعات تدرسها وهى : جامعة موسكو وجامعة لينينغراد وجامعة قازان بطشقند .

وفى الهند تدرس العربية إجباراً فى المرحلة الابتدائية واختياراً فى المرحلة الإعدادية ،

بريد المجلة

سيفتح هذا الباب ابتداء من العدد القادم ليتصل منه القراء بالمجلة يسألونها وتجيبهم ، ويستفتونها وتفتيهم وتتيح لهم الفرص ليتعرف بعضهم إلى بعض .

وفى المرحلة العالية ٣٧ كليه تشتمل على أقسام لدراسة العربية منها كلية عليكرة .

وفى إيطاليا تدرس اللغة العربية فى جامعة روما وفى (معهد الدراسات الشرقية) بها ، وهناك معهد آخر للدراسات العليا الشرقية فى نابلى . ومنذ شهرين أخذت جامعة بالرمو تدرس اللغة العربية وذلك غير المعاهد الشرقية التى تدرسها وتدرس غيرها فى لندن وباريس من قبل .

المنظمة العالمية لحرية الثقافة

فى النصف الأول من هذا العام ستقيم المنظمة العالمية لحرية الثقافة سلسلة من الحلقات الدراسية جعلت لها موضوعا رئيسيا واحدا وهو « التقاليد والتطور » ، وخصصت ثلاث حلقات لدرس هذا الموضوع فى أوربا ! فى رودس وفينا والبندقية .

أما حلقات الشرق الأوسط فهى فى كراتشى عن الإسلام والعالم المعاصر . وفى القاهرة : « الإدارة العامة والكفايات المهنية » وفى بيروت : الأوضاع التشريعية وتجاوبها مع التطورات الحديثة . وفى بغـــداد : التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الدول العربية . وفى الخرطوم : التقدم القومى والنظم التقليدية . وفى شيراز : مسئوليات رجال الفكر وأوضاعهم فى المجتمع المعاصر .

أما المنظمة العالمية لحرية الثقافة فهى هيئة مستقلة تضم طائفة من أهل الفكر والعلم من الأمم المختلفة وغرضها كما تقول تعزيز التبادل الثقافى وتحرير الفكر على نطاق عالمى .

فى مسابقة الشعر والأغانى

فى عيد الوحدة

أعلن المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية عن مسابقة فى الشعر والأغانى ، فتلقى من الشعر مائتى قصيدة ومن الأغانى مائتى أغنية فحصتها لجنة خاصة ثم قدمت تقريرها إلى المجلس ، فأقام حفلة لتوزيع الجوائز على الفائزين افتتحها السيد وزير التربية والتعليم المركزى بكلمة وجهها إلى الشباب .

ثم قدم السيد يوسف السباعى الشعراء العشرة الأول فألقى كل منهم قصيدته ، وكان الفائز الأول أحمد عبد المجيد الغزالى ، والثانى أحمد مخيمر ، والثالث محمد التهامى . أما الأغانى فقد سقطت كلها من عيون الغربال .

ومن قول الغزالى فى أول قصيدته :

صحا الشرق وانطلق المارد
وهز الورى صوته الراعد
وضجت مآذنه بالنداء
وشع بها فجره العائد
بنى الشرق من يعرب لا تنوا
فقد زحف الجند والقائد

لقد شادها وحدة للشعوب
فبورك صانعها الشائد

إن علماء العالم أصبحوا يجدون فى نشاط القاهرة العلمى حافزاً يدعوهم إلى زيارتها، ويجدون فى إقليم مصر علماء يستحقون أن يقابلوهم ويتناقشوا معهم.

إن ٧٥ عالما زاروا المركز القومى للبحوث بالدقى.. من كل بلاد العالم وفى كل فروع العلم، وأدهشتهم المعركة التى تدور الآن على أرض الجمهورية بين علمائها وبين مشاكل الزراعة والصحة والهندسة والطب، وأدهشهم التقدم البارع الذى يحرزه العلماء العرب، فى تخطيط البلاد على أسس علمية، ولم تعد بلاد العرب، كما كانوا يعتقدون، مراكز للجهل والخرافات، وتماسيح النيل وجمال الأهرام، وأساطير الصحراء.

ومن أمثلة الذين جاءوا القاهرة.. علماء من روسيا وألمانيا وفرنسا والمجر وبورما والولايات المتحدة والنمسا واليابان والسويد واستراليا والهند وبولندا ومن الأمم المتحدة واليونسكو.

ومن العلماء العمالقة الذين جذبهم مغناطيس القاهرة، جون مايبيك مدير مركز بحوث ماهوس، وريتشاردفيويج رئيس جمعية الطبيعة الفنية بألمانيا، وسير جونيك أستاذ البترول بالجمعية العلمية السوفيتية بالاتحاد السوفييتى، والدكتورفلاكا بجامعة جراتز بالنمسا، والدكتور هوايت من منظمة الكمنولث للبحوث العلمية باستراليا، وبيلا لونجيال نائب رئيس جامعة بودابست بالمجر، والبروفسور ناوتو كامياما رئيس معهد البحوث العلمية بطوكيو باليابان والدكتور إينجا أرفيدسون بمعهد الأرصاد بالسويد، والبروفسور كريشنان مدير معمل الطبيعة القومى فى نيودلهى بالهند، والبروفسور ايفبريت هاو أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة وغيرهم كثيرون من علماء العالم!!

ترجمة القرآن
للغات الإفريقية

تتم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الإفريقية قريبا. أمضى الإمام محمد أمين بكر فى هذا العمل أربع سنوات. ستساعد الترجمة الأطفال المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية على تعلم شعائر الدين. والإمام محمد عميد مدرسة سيمو نزتاون الإسلامية.

منبر وكرسى مصحف
لمسجد فى أمريكا

أعدت وزارة الأوقاف منبراً «وكرسى مصحف» لإهدائهما لمعهد «توليد» فى الولايات المتحدة الأمريكية وتبحث الوزارة

موضوع إيفاد واعظ ومؤذنين لهذا المسجد بناء على مشاورات دارت بين الوزارة والملحق الثقافى الأمريكى .

برامج دينية جديدة

تقدمها الإذاعة فى رمضان

تقدم المراقبة الثقافية فى إذاعة القاهرة مجموعة من البرامج الدينية الجديدة منها «أحسن القصص» ، «ومن بيوت الله» ، «ومجالس وأسمار» .

أما أحسن القصص فمادته مستوحاة من قصص القرآن الكريم . وبرنامج «من بيوت الله» سيتناول موضوعه ما يدور فى بيوت الله من نشاط دينى فى ليالى رمضان المباركة .

أما برنامج «مجالس وأسمار» فسيكون صوراً حية للأسمار العربية ، وكذلك الندوات التى كانت تحفل بها مجالس العرب فى أزهى عصور الإسلام وما كان يجرى فى قصور الخلفاء من محاورات أدبية وطرائف وحكم .

بعثات الوعاظ والقراء

للبلاد العربية خلال رمضان

اتفق الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مع الأستاذ كمال رفعت وزير الأوقاف بالنيابة على إيفاد بعثات من العلماء والقراء للوعظ والارشاد إلى البلاد العربية والإسلامية لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم .

٨٠ مؤتمراً علمياً

يبدأ انعقادها يوم ٢ مارس

حدد يوم ٢ مارس لبدء عقد ثمانين مؤتمراً لمناقشة التقارير التى أعدتها لجان السياسة العلمية بالمجلس الأعلى للعلوم .

وذلك فى مختلف فروع العلم . وستحدد بعد ذلك السياسة العلمية للبلاد .

هدية من الهند

أهدت حكومة الهند للجمهوريه العربية ١٥٠ كتابا فى الأدب والفن قام السفير الهندى بتسليمها إلى ثروت عكاشة وزير الإرشاد التنفيذى . قال السفير : إن هذه الكتب تزيد الروابط بين البلدين ، وقال الوزير إن تنمية الفكر ترفع مستوى الإنسانية. أقيم حفل شاى بهذه المناسبة حضره يوسف السباعى وكبار رجال وزارة الإرشاد .

إجراءات جراحات القلب

بعد تثليج المريض

توصل بعض الأطباء فى جامعة ديوك إلى طريقة جديدة لإجراء الجراحة فى القلب ،

يخفض درجة حرارة المريض إلى ما يقرب من الصفر قبل إجراء العملية التى تكون فى هذه الحالة سهلة . إذ تكون الدورة الدموية قد توقفت وكذلك نبض القلب .

لجنة دولية

لدراسة المخطوطات القبطية القديمة

عثر فى أحد الأديرة القديمة بنجع حمادى عام ١٩٤٦ على ١٢ مجلداً من أوراق البردى مكتوبة باللغة القبطية القديمة منذ ١٩٠٠ سنة وقد دل البحث الأولى فيها على أنها تشتمل على مذهب دينى فلسنى كان شائعاً فى الإسكندرية القديمة وفى مصر يومئذ وكان معروفاً باسم (الغنوسطية) ومعناها المعرفة ، ثم انتشر مذهبهم فى اللغة العربية باسم (مذهب العارفين بالله) وخلاصة هذا المذهب الاعتقاد بإله واحد تأتى معرفته عن طريق العقل لا عن طريق الإيمان ، وهذه المعرفة كفيلة بتخليص الروح من الآلام وتطهيرها من الآثام .

وهذه هى الفكرة العامة المعروفة عن هذا المذهب حتى الآن ، ولعل هذه المخطوطات تلقى ضوءاً على جميع جوانبه فيتضح ويكشف عن حياة الإسكندرية قبل خمسة عشر قرناً .

لذلك اهتم وزير الثقافة بهذه المخطوطات وألف لدراستها لجنة دولية من علماء أوربا وأمريكا وإفريقيا وفدوا إلى القاهرة فى الأسبوع الماضى وسيبحثونها من جهاتها الثلاث : الفلسفية واللغوية والأثرية . ويحاولون الحصول على ما تسرب منها إلى بعض المتاحف والمعاهد الأجنبية .

موسم ثقافى

للجامعة الأزهرية

قرر فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر تنظيم موسم ثقافى يقام كل عام تلقى فيه المحاضرات الثقافية بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الأزهرية . يلقيها صفوة من رجال الدين والأدب والعلم من الأزهر والجامعة ومجمع اللغة العربية ، وسيحدد موعد الموسم الثقافى الأول متى تم الإعداد له والدعوة إليه .

المرشحون

لجائزة الدولة التقديرية

بلغ عدد المرشحين لجوائز الدولة التقديرية فى الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ثمانية : طه حسين وأمين الخولى فى الأدب . ولطفى السيد ، وعبد الواحد وافى ، وعبد الحكيم الرفاعى ، ومحمود كامل فى العلوم الاجتماعية ، وحسن فتحى ومنصور فرج فى الفنون ، ويجب أن يفوز ثلاثة منهم . ومقدار الجائزة لكل فائز ٢٥٠٠ جنيه وميدالية ذهبية .

الكتب

كتاب تاريخ الجامع الأزهر

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

٣١٦ ص . مؤسسة الخانجى بالقاهرة

صدر أخيراً كتاب فى « تاريخ الجامع الأزهر » بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان وكان المؤلف قد أصدر قبل ذلك فى ١٩٤٢ (١٣٦١ هـ) كتابا عن تاريخ الأزهر فى العصر الفاطمى مع تكملة له حتى العصر الحاضر، وذلك لمناسبة حلول عيد الأزهر الألفى يومئذ .

ولكن المؤلف يخرج فى كتابه الجديد من هذا التخصيص الذى قصده فى مؤلفه السابق إلى التعميم ويقدم إلينا تاريخاً شاملا للجامع الأزهر منذ إنشائه فى فاتحة العصر الفاطمى حتى يومنا.

ويشمل الكتاب أربعة عشر فصلا كبيرة تتضمن تاريخ الجامع الشهير فى مختلف العصور والدور العلمى الخطير الذى اضطلع به خلال القرون ، ومختلف الأنظمة الدراسية التى توالت عليه ، ومختلف المواد والعلوم التى كانت تدرس به ، والكتب الدراسية التى كانت متداولة به فى كل عصر . كما يتضمن سير طائفة كبيرة من العلماء الذين تولوا التدريس به فى مختلف العصور ، وطائفة من أعلام العلماء الوافدين عليه من المشرق والمغرب .

ويعنى المؤلف عناية خاصة . فضلا عن تبيان مكانة الأزهر ، ومآثره العلمية على كر العصور ، والدور العظيم الذى لعبه فى تكوين الحركة الفكرية بمصر الإسلامية ، وفى حماية اللغة العربية والعلوم الإسلامية ولاسيما خلال العصر التركى ؛ يعنى بإبراز المكانة المرموقة التى كان يشغلها الأزهر فى الحياة العامة ، والدور القومى العظيم الذى اضطلع به فى قيادة الأمة فى مختلف المواقف ، ولا سيما أثناء الاحتلال الفرنسى . فى هذا الفصل الذى يشغل وحده من الكتاب خمسين صفحة ؛ تبدو شخصية الأزهر فى القيادة الوطنية والشعبية فى أروع صورها، ويبدو علماؤه وطلابه على رأس حركة الكفاح القومى ضد المحتلين، وهى حركة لبث الأزهر يرعاها ويضرم وقودها حتى انتهت بجلاء المحتلين عن البلاد .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن حركة التطور والإصلاح التى مر بها الأزهر فى العصر الأخير وعن نظمه المحدثة حتى يومنا .

كل ذلك بأسلوب جزل تطبعه نزعة علمية واضحة يغلب عليها التحقيق والاستيعاب.

ويختتم الكتاب بطائفة من الوثائق والبيانات والإحصاءات الهامة، عن أساتذة الجامع وطلابه وميزانيته ومكتبته وأروقته وحاراته، وعن مدينة البعوث الإسلامية وصلات الأزهر بالعالم الخارجي.

وليس من شك فى أن هذا السفر الجديد الذى يقدمه الأستاذ عنان إلى المكتبة العربية يعتبر أوفى مرجع علمى عن تاريخ الجامع الشهير وعن نظمه ومآثره العلمية.

سلسلة الثقافة الإسلامية

هذه السلسلة الشهرية يصدرها المكتب الفنى للنشر بالقاهرة، ويشرف عليها الأستاذ محمد عبد الله السمان. وهى تهدف إلى تقديم زاد من الثقافة الإسلامية الخالصة، لإبراز القيم الإسلامية العظيمة، وقد اختير للإسهام فيها الأعلام من الكتاب الإسلاميين، الذين لهم مكانة فى الميدان الفكرى الإسلامى.

وقد صدر منها إلى الآن: سبعة أعداد للأساتذة: الشيخ «أبو زهرة»، والدكتور عثمان خليل، والأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت، والدكتور محمد يوسف موسى، والدكتور محمد البهى، والدكتور سليمان دنيا، والدكتور عبد الحليم محمود.

وموضوع الأستاذ «محمد أبو زهرة» عن الوحدة الإسلامية، فالإسلام كما يرى المؤلف دين الوحدة، كما هو دين الوحدانية؛ (وهو كما يقرر الوحدة الدينية يقرر أيضا الوحدة السياسية بين الشعوب التى آمنت به) فقد ربط بين الشعوب التى آمنت به برباط وثيق من الأخوة الإسلامية، (تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد واحدة على من سواهم. وإذا كانت الأهواء قد فرقت شمل الأمة الإسلامية حتى صارت دويلات، إلا أن مبدأ الوحدة الإسلامية لم تزل له قدسيته) والمسلمون جميعاً مسئولون أمام الله والتاريخ عن تحقيق مبدأ الوحدة الإسلامية.

وكان موضوع الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بجامعة القاهرة، عن: «الديمقراطية الإسلامية» ويرى الدكتور أن التراث الإسلامى فى شأن الحكم هو حلقة أصيلة فى صميم سلسلة التطور التى مرت بها الفكرة الديمقراطية المجردة خلال القرون المتعاقبة (والمدلول اللفظى للديمقراطية: هو أنها «حكومة الشعب» إلا أن الأفكار قد تشعبت فى فهم معنى (حكومة الشعب). وإذا كانت الديمقراطية تعتمد على أساسين هما، الديمقراطية السياسية، والديمقراطية الاجتماعية، فإن من الواضح أن للديمقراطية

الإسلامية تراثا جليلا فى هذين المجالين ، وقد كانت ولا ريب - أحب ما يتصور الإنسان ، إذ امتدت منذ أمد بعيد ، إلى شتى صور الديمقراطية التى عرفها الإنسان إلى اليوم.

وكان موضوع الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت عن : الإسلام ، والوجود الدولى للمسلمين . . والأستاذ الأكبر يرى أنه قد كان للمسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث كبرى فى المرحلة الإسلامية الأولى ، هى بمثابة عناصر قوية فى بناء الوجود الدولى لهم ، وكان شأنهم فى تذكرها شأن كل مجتمع بشرى يتحسس مواضع الضعف فى سيره فيتقيها ، وعوامل القوة فينميها ، والإسلام عقيدة وشريعة ، أقامتا معا بناء عالميا إنسانيا ، للإسهام فى مد البشرية بإشاعات تضىء لها الطريق إلى الخير والحق والجمال .

وإذا كان هذا البناء قد تعرض - ولا زال - لكثير من العواصف ، فيجب أن يعلم المسلمون أنهم مسئولون عن صيانته ، ويجب أن تكون المبادئ التى اعتنقوها أقوى أسلحتهم ، والمبادئ السليمة القوية ، متى تركزت وآمنت بها القلوب ، وامتلأت بها النفوس ، كانت طاقات كبرى من التضحية والفدائية ، وأصبحت أعز لدى أصحابها من نفوسهم وأموالهم ، ومن كل ما يملكون . .

وكان موضوع الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة بكلية الحقوق : « الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة » .

وقد تناول البحث جانبا مهماً من المشكلة الاقتصادية ، ناقش على ضوء الإسلام أعمال « البورصة » ، وعمليات القطن ، والأسهم والسندات والتأمين على الحياة .

أما منهج الدكتور فى هذا البحث ، فيتركز فى إيمانه ، بأن الاسلام جاء ليكون دينا عالميا إنسانيا ، ولذا كان لا بد أن يكون فى طبيعة رسالته ما يجعلها حقا صالحة للإنسانية كلها فى كل جيل وعصر ، وبأن رسالة الفقيه تقتضيه فهما عميقا للكتاب والسنة ، وإحاطة بأدلة الأحكام ، ومعرفة بعلل هذه الأحكام ومسالكها . .

وكان موضوع الدكتور محمد البهى مدير عام الثقافة بالأزهر ، عن الإسلام والفلسفات المعاصرة .

تحدث الدكتور فى هذا البحث عن ماهية الفلسفة المعاصرة ، وحللها تحليلا دقيقا ، واعتبر أن قيمتها فى جانب العلم والتطور الصناعى ، وليس لها قيمة ما ، جانب الضمير والدفع الذاتى للإنسان ، إذ لم تصل بالمجتمع الاشتراكى إلى أن يكون ذا ترابط فعلى واقعى كما لم تصل بالمجتمع الرأسمالى إلى تقليل الهوة بين طغيان الرأسمالية واستغلال من ليسوا أصحاب رءوس الأموال ، أما الفلسفة

المعاصرة فى الشرق الآن ، فليست فلسفة أصيلة فيه ولا منبثقة من حاجات وضرورات الحياة ، بل هى فلسفة أوجدها الغرب ودعت إليها ظروفه الخاصة .

أما فلسفة الإسلام ، فهى فلسفة تحررية تقــدمية ؛ لأن مبادئه هى مبادئ البشرية الفاضلة المهذبة . ولو كان للإسلام فى حياتنا ما يجب أن يكون ، لكننا فى غنى عن استيراد الفلسفات المعاصرة وتنازعها وصراعها .

وكان موضوع الدكتور سليمان دنيا أستاذ الفلسفة المساعد بكلية أصول الدين : « عن الدين والعقل » ويرى الدكتور أن الدين نظام وثقافة ، وقانون وعمل ، والإسلام قام فى تشريعه على أساس رعاية مصالح الإنسان فى حياته باعتبارها طوره الراهن ، إلى جانب رعاية مصالحـــه فى حياته الآخرة باعتبارها طوره اللاحق ، والدين والعقل يلتقيان دائما فى رحاب الإسلام ، إذا ما فهم العقل على أنه قوة فى الإنسان تكشف له عن الواقع ، لا على أنه الانطلاق المتحرر من كل قيد .

والذين يدرسون الإسلام دراسة واعية ، يؤمنون إيمانا كاملا ، بأنه لا يقف فى سبيل نهضة ، ولا يعوق وثبة ، ولا يعرقل حضارة ، والذين تحملهم الغيرة المفرطة على الدين حتى إنهم لا يريدون للناس أن يتحركوا إلا إذا صادفوا فى الدين نصا يأذن لهم بالتحرك ، هؤلاء يتجاوزون بالدين حدوده التى رسمها الله له . .

أما موضوع الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين فهو عن : أوربا والإسلام . . وهذا البحث جاء نتيجة لما لمسه الدكتور خلال سنواته التى قضاها فى جامعة السوربون من تباين العقليات الغربية نحو الإسلام ، لا سيما العقليات الناضجة التى تضطلع بتدريس مادة تاريخ الأديان بالسربون ، وإذا كان الكتاب قد كتبوا كثيراً فى علاقة الشرق بالغرب سياسيا ، واقتصاديا ، ولكن التفكير فى صلتهما دينيا لم يسترع عنايتهم إلى الحد المناسب لجلال الموضوع وخطره . ويرى الدكتور أنه من الممكن للإسلام أن يغزو الغرب ؛ فلمنطقه إمكانيات كبرى تؤهله لذلك ، ولكن حين يتوافر الدعاة الذين يتمتعون بآفاق واسعة وثقافات عالية ، وحين تتوافر التسهيلات لترجمة البحوث الإسلامية إلى لغات الغرب لا سيما بحوث الكتاب المنصفين منهم الذين أنصفوا الإسلام ، ليكون ذلك أدعى لقبوله لديهم .

أنباء الأزهر

برقية شكر من السيد رئيس الجمهورية إلى فضيلة الأستاذ الأكبر

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر برقية شكر هذا نصها :

تلقيت بخالص التقدير برقيتكم المعربين فيها باسمكم وباسم رجال الأزهر عن أصدق التهانى وأكرم المشاعر بمناسبة العيد القومى ، وإنا لنتوجه إلى الله بقلب مفعم بالرجاء أن يشد أزر العرب والمسلمين حتى ترتفع منارة القومية العـــربية ويتحقق ما نرجـوه لها جميعا من شرف المنزلة ورفع المكانة . ويسرنى أن أكتب إليكم وإلى السادة رجال الأزهر بأجمل الشكر مقرونا بأطيب التمنيات .

جمال عبد الناصر

جامعة شيلى

تمنح الأستاذ الأكبر درجة زميل فخرية

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامـــع الأزهر الدكتور ماركوس دى باريبار ممثل أكاديمية العلوم السياسية والإدارية بجامعة شيلى وقـد جاء الدكتور ليقدم لفضيلة الأستاذ الأكبر درجة الزمالة الفخرية من الأكاديمية تقديرا لجهود فضيلته العلمية التى يبذلها خدمة للعلم وقصدا لتوجيه الناس إلى المبادئ الإنسانية القويمة التى اشتمل عليها الإسلام الحنيف ، ولقد حيا الدكتور ماركس فضيلة الأستاذ الأكبر تحية عميقة ملؤها الاحترام والتقدير قائلا : إن تحيتى إليكم إنما هى تحية الأكاديمية الكبرى فى شيلى ؛ تحية العلم والمعرفة والخبرة وقوة البحث ، إن من ورائى من جامعة شيلى يحييكم أعمق من تحيتى إليكم وأقوى من تقديرى

لكم وإنه لشرف عظيم أعطته لى الأكاديمية لأقدم للأستاذ الأكبر عضوية الشرف لأكاديمية العلوم السياسية والإدارية ، كما كان لى عظيم الشرف فى أن أكلف بأن أكتب بحثا عن الجامعة الأزهرية ينشر فى شيلى ويكون محل دراسة وبحث .

كما سأعد مقالا أنشره فى جريدة ميركيريو التى هى أوسع الصحف الشيلية انتشارا .

وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر : يأخى حياك الله وحيا لك ما بذلت من جهد ومشقة إيمانا منك وممن وراءك بحق العلم والعلماء .

والجماعات البشرية والأمم والدول تترابط بروابط السياسة والاقتصاد والجنس وروابط أخرى كثيرة ولكن أقوى هذه الروابط كلها وأسماها وأبقاها على الزمن وأوثقها صلة وأكثرها إنتاجا إنما هى روابط العلم .

وإنى لأشكركم وأشكر أعضاء الأكاديمية جميعا على هذا التقدير الشخصى الذى قد يكون من الدوافع التى تدفعنى لمضاعفة الجهد فى البحث والإنتاج بحثا يؤكد أواصر الود بين العلماء على أنى أرفع درجة هذا التقدير إلى درجة أعلى وأسمى من ذلك فأسميه تعاونا واتحادا يبنى جيلا ترفرف عليه رايات السلام ويحفه الإنتاج والرخاء .

إن العلم رحم بين أهله لأنه يوحد الناس جميعا ويربط بين العقل والعلم وكم كنت أتمنى أن نكون أسبق منكم فى البدأ بهذا التواصل وذلك الود الذى يدعم الصلات العلمية ولكنه حظكم جعلكم أسبق فى هذا المضمار الذى يعتبر السبق فيه شرفا لا يعد له شرف .

ثم قال الدكتور : وأنا فخور بأن أكون قنطرة لتوصيل الصلات العلمية .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : كل الذين يدعون إلى سلام دائم وأمن مقيم يمدون القناطر بينهم وبين غيرهم والإسلام يدعو إلى السلام والأمن ويقيم وشائج المحبة بين الناس وأنت اليوم قنطرة بين أشخاص ولكنها مع هذا تعتبر صلة وثيقة بين دول وقارات برباط من أقوى الرباط لا تنفصم عراه ولا تفك روابطه .

وتلك ذخيرة تحفظها لجامعة شيلى وهيئاتها العلمية باعتبارها تقديراً للهيئات العلمية ونسجل أن الاختلاف فى الدين لم يمنعها من أن تمد يدها للأزهر حصن الدين المكين واللغة العربية لغة القرآن والسنة .

فقال الدكتور : إننى أشعر بالفخر لأننى سأنقل الكلمات العظيمة والمبادىء السامية التى أدلى بها الأستاذ الأكبر لشيلى والمسلمين جميعاً .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر بلغهم تحياتى وليعلموا أن الإسلام ينظر إلى العلم باعتباره فكرة بقطع النظر عن الدين ، ولقد رفع الله شأن العلماء وأعلى من قدرهم فجعل لهم

روحانية خاصة حتى أن القرآن ليذكر العلماء بعد ذكر الله والملائكة، قال تعالى: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط». لأنه من الألوهية خلق العالم والعلماء ينظمون الخلق وبهذا يكون الالتقاء عند ناحية خاصة هي الروحية المنظمة.

ويسرني جداً أن تتبادل جمهورية شيلي مع جمهوريتنا العربية المتحدة في عهد البطل الشاب المؤمن القوي رجل السلام جمال عبد الناصر - أن تتبادل الجمهوريتان نواحي العلم والتثقيف كما آمل أن نقدم لهم قريبا ما تؤكد به ودنا العلمي رداً على ما بدءونا به إن شاء الله.

فقال الدكتور ماركوس: إن جالية عربية كبرى في شيلي اختلطت بهم ومنهم العلماء والأطباء والمهندسون ويذكرون الأزهر بأنه الموجه الأول في العالم الإسلامي أفلا ترون فضيلتكم أن تمدوا إليهم يد العون الثقافي؟

فقال الأستاذ الأكبر: أنت سترى قريبا هذا التبادل وهذا العون، سترى علماء الأزهر مختلطين بالشيليين، وقد أدخلت اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وستدخل الأسبانية وخاصة لأنه بيننا وبين الأسبانيين وشائج وصلات علمية وثيقة ولو كان في وقتكم سعة لأطلعناكم على بعض الكتب التي تدرس في الأزهر كأثر من آثار أسبانيا، فالفقهاء الذين ألفوا لهم عندنا إنتاج عظيم والأدباء كذلك، فالرباط بيننا قوي ومن ثم لا تعجب لقوة الصلة بيننا وبينكم.

فقال الزائر: لكم كنا نود أن نجلس معكم كثيرا ولكن حرصنا على وقتكم يجعلنا نحافظ عليه شاكرين لكم مقدرين لجهودكم والأمل كبير في أن نرى علماء الأزهر في شيلي يوجهون إخوانهم المسلمين وعددهم كثير جداً يتطلعون إليكم وإلى علمكم وتوجيه الأزهر.

وكان يقوم بالترجمة الأستاذ عبد القادر حافظ مدير شئون أمريكا اللاتينية في مصلحة الاستعلامات.

وقد انصرف الزائر شاكراً حسن اللقاء.

تعاون الأزهر ووزارة الأوقاف

على إحياء شهر رمضان بالبلاد العربية والإسلامية

رغبة في تنسيق العمل بين الجامع الأزهر ووزارة الأوقاف بشأن الوعاظ والقارئين الذين سيذهبون إلى البلاد العربية الإسلامية لإحياء شهر رمضان المبارك تم الاتفاق بين السيد وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر على

تكوين لجنة برياسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر ويمثل الأزهر فى هذه اللجنة .

١ — السيد الدكتور محمد البهى
مدير الثقافة الإسلامية

٢ — السيد الأستاذ الشيخ عبد الله المشد
مدير الوعظ

ويمثل وزارة الأوقاف :

١ — السيد الأستاذ البهى الخولى
مراقب الشئون الدينية

٢ — السيد الشيخ سيد سابق
مدير الإدارة الثقافية

على أن تختار هذه اللجنة المبعوثين إلى البلادالعربية والإسلامية وأن تضع لهم المنهاج الذى سيسيرون عليه ويعتمد قراراتها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

قرارات

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر القرار الآتى تدعيما للوعظ وتمكينا له من أداء مهمته وتنفيذ سياسة فضيلته فى الإصلاح :

أولا : إنشاء مكتب فنى لإدارة الوعظ والإرشاد من بين السادة المفتشين والوعاظ يختص بما يأتى .

(ا) الإشراف على مجلة نور الإسلام ورفع مستواها .

(ب) دراسة التخطيط العام والمفاسد المنتشرة والعادات الممقوتة .

(ج) تلقى بحوث السادة المفتشين والوعاظ .

(د) صبغ موضوعات الدعاية للإدارات الثقافية الشعبية والخدمات فى وزارات الثقافة والإرشاد والشئون الاجتماعية والصحة ، والداخلية ، والزراعة ، بصبغة دينية والانتفاع بما لديها من وسائل النشر والدعاية .

(ه) تتبع ما ينشر فى الكتب والصحف والمجلات والنشرات للرد على ما ينشر من طعون فى الإسلام ، وتوضيح ما اشتمل عليه من مبادئ سمحة فى العقائد والتشريع .

(د) إخراج دراسات إسلامية سهلة ميسرة لبعض المشكلات والشخصيات .

ثانيا : تكوين لجنة عليا للوعظ العام من بين الوعاظ الممتازين

ثالثا : تكوين لجنة عليا للصالحات .

رابعا : إنشاء دراسة سنوية تلقى فيها سلسلة من المحاضرات على السادة الوعاظ . والوعاظ .

خامسا: إجراء مسابقة تشجيعية للمفتشين والوعاظ .

سادسا: إعداد دفتر تحضير لكل واعظ ، حتى يكون تحت يد المفتشين .

سابعا : يسمح للوعاظ « بعد » إذن وزارة الشئون الاجتماعية بجمع التبرعات لإقامة « مكتب للوعظ والإرشاد

والثقافة الإسلاميه ، فى كل عاصمة من عواصم المحافظات والمراكز - على أن يكون لهذه التبرعات صندوق خاص تشرف على حساباته إدارة الحسابات بالأزهر ويكون خاضعا لتفتيش وزارة الشئون الاجتماعية وديوان المحاسبة ، وعلى أن تودع التبرعات فى أحد المصارف .

هذا وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر بنقل الوعاظ المقيدين على درجات تذكارية إلى درجات أصلية حتى يستفيدوا بذلك من الترقية والعلاوات الدورية فى مواعيدها المحددة وضم مدة خدمتهم السابقة كما أمر فضيلته بالكتابة إلى من لم يكن قد استوفى الاجراءات القانونية لتقديمهم إلى إدارة المستخدمين فى مدى أسبوع وذلك لتمكينهم من أداء أعمالهم على وجه يحقق المصلحة العامة .

كما أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر قرارا بندب الأستاذ أحمد عبد المعطى نصار المدرس بمعهد القاهرة مديراً لمكتبه .

كما وافق فضيلته على حركة الترقيات الآتية :

إلى الدرجة الأولى الأستاذ الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .

وإلى الدرجة الثالثة الأساتذة المدرسين

١ — أحمد أبو العلا حسين
٢ — إبراهيم حسن قنديل
٣ — عبد اللطيف محمود امبابى

والأساتذة المراقبين .

١ — أحمد محمد النحراوى
٢ — بيومى الشوشى
٣ — محمود عطية

وإلى الدرجة الرابعة الأساتذة المدرسين .

١ — حسن شلبى
٢ — أبو زيد سليمان
٣ — عبد العليم محمد شعيب رزق

والأساتذة المراقبين .

١ — محمد محمد بركات سلامة
٢ — أبو العلا طه
٣ — اسماعيل جمال الدين

وإلى الدرجة الخامسة الأساتذة المدرسين .

١ — عبد الحميد محمد على ندا
٢ — عبد المولى عبد العزيز هلول
٣ — محمد أحمد شحاته نوفل

والأساتذة المراقبين .

١ — على اسماعيل محمد اسماعيل
٢ — أحمد محمود أبو حسين
٣ — ابراهيم محمد ابراهيم بدير

وإلى الدرجة الخامسة الكتابية الأساتذة .

١ — السيد حسين سرحان الديب

وإلى الدرجة السادسة الكتابية

الأساتذة .

١ — محمد على مغيث

٢ — محمد على عمارة .

٣ — نصر أمين نصر .

٤ — محمد عبد الغفار حنفى .

٥ — طاهر الخولى .

وإلى الدرجة السابعة الكتابية الأساتذة :

١ — عبد العزيز سنجق .

٢ — محمد إبراهيم القمرى .

٣ — عبد المطلب على محمود عطيه .

٤ — حسين مراد .

٥ — صلاح الدين البكرى .

٦ — كامل عبد الواحد قطب .

٧ — محمد عبد القوى حسن .

٨ — بيومى الفار .

وإلى الدرجة الثامنة الكتابية السادة :

١ — محمد العبدى أمين الدفتار .

٢ — صلاح الدين على سليمان .

٣ — عبد الله إبراهيم الشربينى .

٤ — على بكر رزق .

٥ — محمود على سليمان .

٦ — سيف مهدى يوسف .

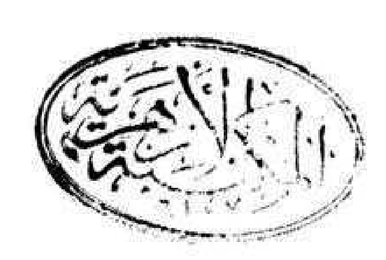
كما وافق فضيلة الأستاذ الأكبر على إيفاد جماعة من الوعاظ الممتازين للسفر إلى الوجه القبلى للوعظ العام واللجنة مكونة من :

١ — فضيلة الشيخ على جعفر
مفتش وعظ القاهرة

٢ — فضيلة الشيخ خلف السيد
مفتش وعظ الزقازيق

٣ — فضيلة الشيخ محمد ابرهيم السعدنى
مفتش وعظ دمنهور

٤ — فضيلة الشيخ محمد الأباصيرى
واعظ المنصورة



مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر ـ القاهرة في شهر شوال سنة ١٣٧٨ ـ أبريل سنة ١٩٥٩ ـ المجلد الثلاثون

الفهرس

مَثَلٌ من الإلحاد الأحمر

بقلم: أحمد حسن الزيات

منذ أسبوعين اثنين أذاع راديو موسكو حديثاً للمحرر الأول فى مجلة العلوم السوفيتية قال فيه : إن القمر الروسى الذى انطلق أخيراً بين أجرام السماء مزوداً بالأجهزة العلمية الدقيقة التى تبصر وتسمع وترصد لم يرسل بين أنبائه ما يثبت من قريب أو بعيد تلك الدعوى التى ادّعتها الأديان المختلفة من وجود ملكوت أعلى فى السماء يستوى على عرشه إله، وتحف من حوله ملائكة ، ويطوف بأبوابه رسل ، وتقوم على أرجائه الجنة والنار ، وتصدر عن محكمته الأقضية والأقدار . فلم يكن هناك إذن إلا وهم جسمه الجهل فى عقول الناس ، أو خداع تذرع به الطامحون إلى ملك الأرض ! !

وليت شعرى ماذا كان ينتظر هذا الأحمق الأحمر من قمره أن ينبئه به ؟ أكان ينتظر منه أن يقول له إنه رأى الله جالساً فوق كرسيه فى السماء ، وسمع الملائكة وهم يسبحون الله فى غيابات الفضاء ، وشم روائح الأجساد وهى تحترق فى سعير جهنم ، وذاق ثمار الجنة وهى تتدلى من شجر الخلد ، ولمس خدود الحور وهن يتخطرن فى خمائل عدن ؟

قطعة من الجماد يبلغ وزنها طنا وبعض طن ، أفلحوا فى قذفها إلى ما وراء الجاذبية الأرضية فاتخذت لها مداراً اضطراريا حول القمر أو حول الشمس . فمجالها محدود وبقاؤها موقوت ، وما كان محصور المكان أو موقوت الزمان استحال عليه أن يحيط با للانهاية أو يشعر بالأبدية .

وماذا تعرف الهباءة عن الأفق الذى لاينتهى ، أو القطرة عن المحيط الذى لايحد ؟ !

إن الإله الذى (وسع كرسيه السموات والأرض) لايجوز فى العقل أن يحتويه منها موضع ، وإن الجنة التى (عرضها

السموات والأرض) لايدخل فى الإمكان أن يستوعب طولها موقع ، وإن (اللعبة) التى تطفل بها العلماء على مسابح الأجرام إنما تمسكها قدرة الله لا قدرة الإنسان ، وتديرها قوة (النظام) لا قوة العلم . فهى شاهد إثبات لا شاهد نفى ، ودليل إيمان لا دليل كفر ، ولكن المسألة ليست مسألة عقل ولا علم ، إنما هى الشيوعية التى كفرت بالله وآمنت بماركس ، وفرطت فى الروح وأفرطت فى المادة، وأرادت أن تسلب بنى آدم فى جميع أقطار الأرض نعمة الحرية وعزة الإرادة ولذة الاقتناء ، لتجعلهم قطيعا واحداً من العُبدان على جباههم سمة (المطرقة والمنجل)، يعملون كما تعمل الآلات، ويأكلون كما تأكل الأنعام ، ثم يهلكون كما تهلك الدواب ، وتلك هى حياة كل شيوعى وحاله : أرض ولا سماء ، ويوم ولا غد ، وطريق ولا غاية ، وعمل ولا تبعة ، ودنيا ولا أخرى ! !

* * *

لقد رأت الشيوعية أن الأديان هى العقبة الكأداء فى سبيل إرادتها وقيادتها فجعلت همها الأول إطفاء النور الإلهى فى القلوب بإشاعة الإلحاد ونشر الإباحية وتسليط الغرائز وتحكيم الشهوات وإثارة الفتن ، لتكون النفوس مهيأة بعد ذلك لقبول كل مبدأ وسلوك أى مسلك .

وكان الإسلام هو عدوها الألد ، لأنه الدين العملى الذى ينظم الدنيا بالدين فى السياسة والاجتماع والاقتصاد ، فألف بين القلوب ، وآخى بين الناس ، وساوى بين الأجناس ، وعالج الفقر وهو علة العلل بما لو أخذ به المصلحون لوقاهم شرور هذه الحروب ، وكفاهم أخطاء هذه المذاهب : عالجه بالسفارة بين الغنى والفقير على أساس الاعتراف بحق الملكية والاحتفاظ بحرية التصرف ، فلا يُدفع مالك عن ملكه ، ولا يعارض حر فى إرادته ، وإنما جعل للفقير فى مال الغنى حقا معلوما لايكمل دينه إلا بأدائه. فالأرض التى تشرق بهذه المبادئ لاتستطيع خفافيش الشيوعية أن تعيش فيها. لذلك عبأت لهدم الإسلام قوى الباطل وأسلحة الضلال فافترت عليه الأكاذيب ، وطيرت حواليه الشكوك ، وقالت فى كتبها وصحفها وإذاعتها : إن الإسلام لايعرف العدل لأن القرآن يقول : « والله فضَّل

بعضكم على بعض فى الرزق» ، ولا يعرف المساواة لأن القرآن يقول: «ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات» ، ولا يعرف الحرية لأنه قيد كل شىء بقيد: قيد الرزق بالملكية ، وقيد المرأة بالزوجية ، وقيد تصرف النفوس بالعقيدة ، وقيد تداول الأموال بالإرث ، وزعمت أنها براء من كل هذه (النقائص) لأنها تقول: كل شىء مشاع ، وكل أمر مباح ، وكل شهوة طليقة ، فالمزارع والمصانع والنساء وسائل عامة للإنتاج العام ، يُعطَى كل على حسب كفايته ، ويأخذ كل على حسب حاجته!

وهكذا يزعم الشيوعيون أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه ، وأعدل منه على تقسيم رزقه ، فهم لذلك ينكرون دينه ، ويغيرون شرعه ، ويحاولون أن ينسخوا ماخلفه الأنبياء والحكماء من الشرائع والعقائد والقيم ، ليأتوا بنظام آخر لا يقصدون به العدل المطلق ولا الخير العام ، وإنما يقصدون به طغيان بشر على إله ، وسلطان شعب على عالَم.

وما أدرى لم كتب الله على العراق الحبيب أن يكون فى ماضيه وحاضره مباءة للنِّحَل الشاذة والمذاهب الهدامة ، تنبت فيه كالنبات السام ، أو تفد إليه كالوباء الفاشى ، ثم تنتقل منه فتهدد روح الإسلام ، وتبدد شمل العروبة؟

قال القرامطة فيه بالأمس ما يقول الشيوعيون فيه اليوم: (لا حقيقة فى هذا الوجود وكل أمر مباح) وكان أول من بذر هذه البذرة الخبيثة فى الشرق الاسلامى بابك الخرمى فى القرن الثالث من الهجرة ، ومن بعده عبد الله بن ميمون ، ومن بعده الحسن الصباح شيخ الجبل ، وأغروا بثمارها المحرمة عبّاد اللذة وروّاد المنكر من صغار العقول وصغار الأنفس وأمعنوا فى الغى والضلال ، واشتركوا فى النساء والأموال ، وفى سبيل ذلك نشروا الإرهاب وبددوا النظام وزعزعوا الأمن.

* * *

وفى هذه الأيام تجددت فى العراق البابكية باسم الشيوعية ، فدعت إلى الإلحاد والإباحية جهرا بعد الخفوت ، وقهرا بعد الحيلة ، وأخذت تهاجم الله وكتابه ، والإسلام وأهله بسفاهات من القول البذىء والفعل الفاحش ، وهى فتنة حمراء لن يحترق فى لظاها إلا الطاعون

[البقية فى الصفحة التالية]

الخلق والصنع

للأستاذ عباس محمود العقاد

من دعاوى الماديين أنهم يستأثرون بالعقل ويتهمون المتدينين بالسذاجة والاستعداد لقبول الخرافة وتصديق العقائد بغير دليل .

فإذا كانت السذاجة هى الخلو من العقل فالمادية فى الواقع مذهب يحمل طابع السذاجة على وجهه ؛ لأن المادى يستطيع أن يفهم أن العقل نافلة طارئة على هذا الكون وأنه عنصر يأتى بعد عناصر المادة فى تاريخ الوجود ، وفى أثره بين الموجودات .

وحقيقة الأمر أن خرافات المنكرين أشد وأكثر من خرافات المصدقين ، ومن خرافات «المادية» المنكرة فى هذا العصر أن الاختراعات العصرية تلغى القدرة الإلهية وتفسر الخليقة تفسيراً يبطل وجود الإله الخالق ، بعد أن وصل الاختراع الصناعى إلى غاية «الخصائص» الإلهية ، ولا غاية لهذه الخصائص أعلى وأبعد من خلق السماء ، وخلق الحياة .

قالوا بعد اختراع القذيفة المسماة بالقمر الصناعى إن هذا الاختراع قد انتزع حصة السماء من جانب القدرة الإلهية ، وأثبت أن الكواكب الدوارة عمل من أعمال الصناعة فى قوامه وتكوينه ، ولا عبرة بالكثرة أو بالكبر والفخامة بعد ذاك !

ومن العجيب أن يخطر هذا الخاطر على فكر يحتكم إلى العقل والواقع كما يقولون ، إذ لو جاز أن يكون اختراع «القمر الصناعى» دليلا مبطلا للخلق الإلهى لاستغنى الماديون عن انتظار هذا الاختراع ، ولوجدوا من قبله ألوفا من الأدلة تساويه فى هذه الدلالة وتزيد عليه .

الخداعون الذين أضرموها بثقاب الشعوبيين ووقود الروس ، ولكن الإسلام الذى تغلب على كل نحلة وفتنة نجمتا فى العراق من قبل ، سيتغلب على هذه الفتنة اليوم ، فإن له منبعين من كتاب الله وسنة رسوله لا يزالان يتدفقان بالصفاء والطهر ، فكلما تلوثت مجاريه البعيدة بمثل هذا الدنس أقبل الفيض الإلهى فطهر ماؤه النقى كل رجس ، وجرف تياره القوى كل حاجز . « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

أحمد حسن الزيات

إن الفكرة التى يقوم عليها اختراع الشراع أو اختراع اللولب المعروف بلولب أرخميدس أدق وأسبق من الفكرة التى قام عليها اختراع القمر الصناعى فى العصر الحديث ، وليس فى اختراع هذا القمر الصناعى نظرية واحدة لم تتمثل فى تسخير الريح والجاذبية بصنع السفن الشراعية ، وليس هناك نظرية واحدة من نظرياته لم تتمثل فى لولب أرخميدس الذى يستعين بمعظم قوانين الحركة على جلب الماء من الأسفل إلى الأعلى بالحركة اللولبية .

والقمر الصناعى إنما يقوم على الموازنة بين الجاذبية وبين قوة الدفع من المركز فى الأجسام المتحركة ، وليس فى هذه الموازنة شىء جديد لا يعرفه العالم الذى ينظر إلى « نحلة » الطفل اللاعب أو مقلاع الحجر والحبل أو الفنجال الذى يمتلىء بالماء ولا تسقط منه قطرة وهو يدور فى أيدى الحواة .

كل أولئك علم قديم ، بل تطبيق للعلم قبل أن يعرفه علماؤه المختصون . وقد كان من المستطاع إبداع القمر الصناعى قبل القرن العشرين ، لولا أمران لا علاقة لهما بالمعرفة العلمية ولا بالقدرة الفكرية ، وهما :

(أولا) تطور الآلات التى تستخدم فى أوقاتها حسب الحاجة إليها .

(ثانيا) وجوب الاتفاق على الاختراع بغير فائدة تجارية أو اقتصادية مما تتولاه الشركات ويكتتب له المساهمون . فإذا لم تكن هناك دولة غنية تنفق على القذائف والصواريخ والأقمار الصناعية ، لاعتبارها إياها من الأسلحة التى ترصد لها تكاليف الدفاع والقتال ، فليس من المنظور أن تتصدى لهذا العمل شركة مساهمة ، تجمع المال للتجارة وتوزيع الأرباح على أصحاب السهوم ، وعليها قبل أن تتقن صناعة الأقمار والصواريخ وما إليها أن تنفق مئات الملايين بين الشك واليقين ، وقد يكون الشك أغلب من اليقين !

فالقمر الصناعى إذن ليس بالفتح العقلى الذى ألهم عقل الإنسان شيئا جديداً فى مسألة الخلق والوجود ، ومسألة القدرة الإلهية والقدرة الإنسانية ولكنه تكرار واستطراد لكل عمل من أعمال الصناعة عالجه الإنسان ، عملا وتفكيرا منذ مئات القرون ، وقد تكون « فكرته » أيسر وأقرب من فكرة المقلاع واللولب والدراجة يوم ظهرت لأول مرة على أيدى المخترعين .

إن اختراع « القمر الصناعى » إذن لم يزعزع دعائم « العرش الإلهى » كما وهم الماديون المفكرون ، ولكنه خليق - إذا صح التفكير - أن يجدد فى الأذهان تساؤلها القديم عن تلك الحكمة التى خلقت من يصنع الأقمار الصغار ، وخلقت « الجاذبية » التى

لا تزال سراً من الأسرار ، لا مدار بغيره للنجوم الصغار ، ولا للنجوم الكبار .

* * *

يعتقد الغربيون فى أساطيرهم أن القمر يثير الجنون ، وأن له سلطانا على عقول المتهوسين وأصحاب الأهواء .

والظاهر أن « الأقمار الصغار » ورثت عندهم هذه الخاصة على الأقل من القمر الكبير ، فما ذاع خبرها حتى انطلق معها وهم الواهمين وغرور المغرورين ، فأعلنوا أنهم سيخلقون « الحياة » فى المعمل كما صنعوا فيه القمر ، وأن إثبات هذا « الخلق » الحى وشيك أن يتم فى مدى سنوات ، ولن ينتهى القرن العشرون حتى يكون فى العالم « كائنات » حية من صنع الكيميين والبيولوجيين ، أو علماء الحياة .

منذ ثلثمائة سنة نشأت هذه المسألة فى بيئة البحوث العلمية ، بعد أن كانت فى عداد الأقاويل والتخمينات .

هل يمكن توليد الحى من الأجسام التى لا حياة فيها ؟

أول من نفى إمكان ذلك بالدليل المستمد من البحث العلمى طبيب إيطالى ، يسمى ريدى (Redi) خامره الشك فى تجارب بعض المجتهدين الذين حسبوا أن الهوام تتولد من اللحوم بغير جرثومة حية ، فعزل اللحم وغطاه بالحرير الشفاف ، وثبت له أن الهوام لا تتولد من اللحم إلا إذا وصل إليها بيض الذباب والحشرات التى تقع على غشاء الحرير ، فأعلن فى سنة (١٦٦٨) أن الحشرة - مهما تبلغ من الدقة - لا تتولد بغير مولد حى ينقل جرثومة الحياة فى بويضات تفرخ على اللحم كما تفرغ على غيره ، وتأيدت هذه التجربة بمباحث المخترع الهولندى لوينهويك Leeuwenhoek الذى اخترع المجهر ورأى به جراثيم الحياة التى لم يكن ريدى الإيطالى يراها بعينيه ، ثم تقررت هذه الحقيقة وراء كل شك بعد اكتشافات باستور فى القرن التاسع عشر وظهور الخلايا الحية التى يتولد منها جميع الأحياء ، أو جميع الكائنات العضوية . كما اصطلحوا على تسميتها تمييزاً لها من المادة التى لا حياة فيها .

وبعد هذه الكشوف انقسم العلماء إلى فريقين فى القول بأصل الحياة : فريق الحيويين الذين يجزمون باستحالة تركيب الحى من الأجسام المادية بغير جرثومة مولدة ، وفريق الآليين الذين يقولون إن تركيب الأجسام الحية بالوسائل الكيمية والآلية مستطاع يتيسر متى تيسرت وسائله التى وجدت فى الزمن القديم قبل مئات الملايين من السنين .

ولم لا تتيسر الآن ؟ لم لا توجد الآن أوائل الخلايا الحية التى تطورت منها سائر الخلايا قبل وجود الأحياء العليا ؟

قالوا : إن هذه الخلايا لا تدوم طويلا لو وجدت اليوم ، لأن البحار مملوءة بالأحياء التى تلتهمها عند ظهورها ولا تبق عليها حتى يتم لها التطور كما تم قبل ملايين السنين .

ولا بد أن يسأل السائل : ألا يوجد مكان على الأرض تمكن فيه طائفة من الخلايا سلمت من افتراس الأحياء البحرية الكبيرة كما سلمت مئات الأحياء الصغار التى لا تستطيع الاختباء من مفترسيها كما تستطيعه الخلايا الدقاق ؟

ألا يوجد لتلك الخلايا أثر فى التربة السافية أو الحفريات المتحجرة ، أو المعادن المهملة ، على صورة من الصور التى تدل عليها وإن ذهبت منها الحياة ؟

وليس عند العلماء الآليين جواب مقنع لهذه الأسئلة ، ولكنهم شعروا بشىء من النجدة حين تمكن بعض العلماء الآليين فى ألمانيا من توليد تركيبة عضوية (سنة ١٨٢٨) وهى مادة البولية Vrea وكل ما فى هذه التركيبة المصنوعة أنها توجد فى الأجسام الحية أو الأجسام العضوية ، ولكن هل هى مادة حية تولد الحياة ؟ وهل هى ذات جرثومة تعيش وتقدر على التولد والتوليد ؟

كلا . إنما مثلها فى جميع تركيباتها مثل العناصر التى توجد فى الأجسام الحية وفى غير الأجسام الحية ، ولكن هذه المادة البولية خاصة بأجسام الأحياء .

وشعر الآليون بنجدة أخرى حين ظهرت الخلايا التى تسمى « بالفيروس » ؛ لأنها فى درجة متوسطة بين الجماد والنبات ، فقال قائلهم : إن هذا « الفيروس » هو أول درجة من درجات الأحياء ظهرت على الكرة الأرضية ومنها تطورت جراثيم الأحياء .

إلا أن « الفيروس » لا يمكن أن يكون أول درجة من درجات الحياة ، إذ قد ثبت للآليين أنفسهم أنه مخلوق طفيلى لا يعيش على حدة ، ولا ينمو فى غير الكائنات العضوية ، التى يتعلق بها ويغذى حياته من حياتها ، فلا بد أن تسبقه فى الوجود تلك الكائنات العضوية التى يستكثرون ظهورها من مادة خالية من الحياة .

وقد ينجلى لنا مبلغ البعد الشاسع بين دعوى الآليين وبين طاقة علم الكيمياء حين نعرف الفرق بين خلايا « الناسلات » من الوجهتين الكيمية والحيوية :

فالناسلات : هى خلايا دقيقة لا ترى الألوف منها بالعين المجردة ، تتشابه فى تركيبها الكيمى ولا توجد فى إحداها مادة معدومة فى غيرها .

ولكن الفرق بين الناسلة Gene والناسلة الأخرى ، أكثر وأعمق من أن تحصره الكلمات ؛

لأن كل ناسلة تحمل فى طياتها عناصر الوراثة التى يختلف بها إنسان عن إنسان : وقد يكون منها الأصل الذى ينشأ منه خال على الخد أو إصبع زائدة فى اليد أو القدم ، أو علامة جلدية على الذراع ، أو ملكة ذهنية لا يدرى أحد أين تكون .

وربما كان الفرق بين خلية وخلية كالفرق بين الفيلسوف ابن سينا والقدم الغبى الذى لا يتعلم ولا يجدى فيه التعليم ، فكيف يمثل الكيمى هذه الفوارق الحيوية فى مزيجه الكيمى. وكيف تظهر فى لفائف المخ مثلا كلمات اللغة التى يعرفها هذا ولا يعرفها ذاك ، أو التى يجهلها الإنسان الواحد فى زمن ويتعلمها فى زمن آخر ؟

ولا بد ـ على كل حال ـ لمن يدعى أن التركيب الكيمى يجمع كل صفة من الصفات فى البنية الحية أن يعترف بأن خلق المخ بمحتوياته الكيمية يحفظ كل ما فيه من المعانى والأفكار والكلمات . فهل فى وسع من يدعى ذلك أن يجعل صاحب المخ الذى يحكيه المعمل بتراكيبه الكيمية يتكلم اللغات التى يتكلمها العارفون بها ؟ هل تؤدى محاكاة مخ الإنسان الصينى إلى وجود إنسان يتكلم الصينية ؟ فإن لم تكن هذه المحاكاة مؤدية إلى ذلك فأين كانت كلمات اللغة قائمة فى غير الأمزجة الكيمية التى شملت كل ما كان فى الدماغ ؟ .

هذه المسافة البعيدة بين الخلايا الناسلة من الوجهتين الكيمية والحيوية تدلنا على مبلغ التطوح فى دعوى الآليين المنكرين .

ولكنهم ـ على هذا ـ يتطوحون غاية التطوح ثم لا يصلون إلى نتيجة تستحق هذا العناء الطويل .

إن الناس كانوا يؤمنون بالله يوم كانوا يعتقدون أن الجرذان تتولد من طينة الغيطان ، وسيؤمنون بالله يوم يحصل ما لا يخطر على البال لو صدق ظن الآليين المنكرين وثبت لهم أن خلايا الأحياء تتولد فى معامل الكيمياء .

فلم يلزم أن يكون الكون بغير خالق لأن ذرة منه تصنع ؟ ولم تكون قدرة الإنسان منافية لقدرة الله ، ولا تكون دليلا على قدرة الله ؟ وكيف يكون التقليد مبطلا للفضل الأصيل أو يكون صنع الشىء على مثال ومن مادة قائمة مساويا لصنعه على غير مثال ومن غير مادة لها قوام ؟ .

إن مسألة الخلق والصنع باقية حيث كانت عند آخر شوط ينتهى إليه الآليون المنكرون لو بلغوه ، ولكنهم لن يبلغوه ؟

عباس محمود العقاد

التوجيه القرآني والمجتمع الحديث

للأستاذ الدكتور محمد البهى

المجتمع الحديث :

يتميز المجتمع الحديث بأمرين أساسيين : يتميز بالحضارة المادية الصناعية ، وبالتوجيه الفكرى الممثل فى نزعاته الفلسفية المختلفة . والمجتمع الحديث هنا هو المجتمع الغربى ، سواء ذلك المجتمع الذى ينتمى إلى الكتلة الغربية ، أو ذلك الآخر الذى يكون الكتلة الشرقية .

١ ـ أما الحضارة الصناعية فهى حضارة الآلة والبحث العلمى التجربى . وقد خطا تطور الآلة خطوات فسيحة فى حياة المجتمع الحديث، كما تقدم البحث العلمى التجربى تقدما عبر عنه انفجار الذرة ، وإطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية فى الفضاء العلوى فى محيط كوكب القمر ، لرصد طبقات الجو وكثافته رصدا قريبا من واقعه . أو رصدا يعبر عن واقعه كما هو .

وإذا كانت الحضارة الصناعية فى المجتمع الحديث هى حضارة الآلة والبحث العلمى التجربى ، فالآلة فى تطور قديمها وفى اختراع جديدها نتيجة مباشرة لتقدم البحث العلمى التجربى . وإذن العلم التجربى فى مجال الطبيعة هو القوام الذاتى للحضارة الصناعية التى يتميز بها المجتمع الحديث . هو القوام الذاتى لآلة الحرب ووسيلة السلم على السواء . إنه القوام لصنع الطائرة وإحداث نوع النفاثة منها ، ولصنع السفينة وإيجاد ما يسير بالذرة منها فوق الماء أو تحته ، ولصنع السيارة سواء ما يصلح منها للسير على الأرض فقط ، أو ما تتجاوز صلاحيته الأرض إلى السير فوق الماء والأرض معا . إن العلم التجربى فى مجال الطبيعة هو الذى جعل من الطائرة ما يحمل الإنسان فى سرعة البرق الخاطف من مكان إلى مكان رغبة فى تيسير أمر التنقل البعيد المدى عليه ، وهو نفسه الذى جعل من الطائرة ذاتها وسيلة لإهلاك الإنسان وإبادته ودك مسكنه الذى يأوى إليه ، وحرق ممتلكاته التى يقتنيها .

هو الذى جعل من السفينة ما يسير فوق الماء أو فى قاعه خدمة للإنسان . فاخترع سفن الركاب والبضائع وصيد الأسماك والأصداف

تحمله فوق الماء وتحصل له من قاعه ما يقتات أو يتزين به . وهو نفسه الذى جعل من السفينة نفسها قوة ضاربة تبيد الإنسان أينما وجدته، تصيبه من فوق الماء أو من تحته ، فاخترع البارجة والمدمرة والغواصة .

هو الذى جعل من السيارة وسيلة لراحة الإنسان وترفه ، فاخترع سيارة الركوب ، ونقل الأثقال ، وسيارة الرحلات فى الجبال وعلى رمال الصحراء . وهو نفسه الذى اخترع الدبابة الخفيفة والثقيلة ، وقاذفة اللهب .

العلم التجربى الحديث سخر الأرض والماء والهواء للإنسان ، وهو نفسه الذى يستخدم الأرض والماء والهواء ضد الإنسان . يقيم العمران ويبيد العمران . يوجد أسباب الرفاهية للإنسان . ويغدر بالإنسان ويشقيه . يجعل الإنسان سيدا ، ويذل الإنسان ويستعبده . يمكن الإنسان من الإنسان ، ويدفع الإنسان إلى ظلم الإنسان . ولذا كان العلم التجربى معبود الإنسان فى المجتمع الحديث : محرابه المعمل وكهنته رجاله ، وطقوسه استسلام العقل البشرى لقيادته . ومن شدة استسلام العقل البشرى فى المجتمع الحديث للعلم التجربى كاد يعيش الإنسان للعلم ، ولم يعد هذا العلم فى خدمة الإنسان ، وكادت الآلة تفضل الإنسان ، ولم يعد الإنسان ذا فضل على الآلة .

حضارة صناعية قوامها العلم التجربى ـ وهى طابع المجتمع الحديث ـ لم تبق فى عزلة عن تقدير الإنسان ، كما كان يقدر بالأمس على أنه أسمى الكائنات . بل هزت قيمته من هذه الزاوية ، ووضعت تقييمه فى الميزان .

٢ ـ أما الأمر الثانى الذى يتميز به المجتمع الحديث فهو التوجيه الفكرى الذى يتمثل فى النزعات الفلسفية المختلفة التى تتجاذبه والتى يخاصم بعضها بعضا ، والتى اصطنع المجتمع الحديث الحرب الباردة بسبب ما بينها من اختلاف ومفارقات :

(ا) هناك النزعة التى تؤمن بالمجتمع دون الأفراد ، وهى النزعة التى يضحى الفرد عن طريقها بماله من حرية فى الرأى ، وحرية التعبير عنه ، وحرية الاعتقاد ، وبماله من حرمة أو حق فى التملك فى سبيل المجتمع أو الدولة .

هى النزعة التى تجعل من عقل الإنسان وروحه أمراً تابعا لجسمه . وللبيئة التى يولد وينمو فيها هذا الجسم .

هى النزعة التى تنكر الله ، لأنه قوة روحية تجردت عن الجسمية وملابسات الجسم . هى النزعة الشيوعية .

فالشيوعية فلسفة ونزعة فكرية ليس مجالها الاقتصاد فحسب . وإنما هى نزعة موجهة ، لها

مكان العقيدة فى التوجيه ، بعد ما رسم الفكر الفلسفى خطوطها فى جوانب الحياة الإنسانية .

هى فى جانب الفرد تحد من حريته وتفرض عليه قبول الجبر . ولذلك تصغر من قيمته . وإن قيمته فلا تقيم فيه إلا مادته الجسمية دون عقله وروحه. فليس الذى له من عقل وروح سوى ظاهرة تنفعل فى تطورها بنشأة الإنسان المادية التى يساعـــد عليها وضع المجتمع الاقتصادى الذى يعيش فيه .

وهى فى جانب المجتمع أو الدولة تمنح المجتمع أو الدولة سلطة مطلقة فى قهر الأفراد على الطاعة ، وتبيح لها اتخاذ التدابير التعسفية ضدهم فى سبيل الإبقاء على النظام الشيوعى للدولة . وكرامة الأفراد ، وحرماتهم ، وكيانهم الشخصى ، أمور لا وجود لها فى ظل المجتمع ، لأنها من القيم والمثل التى ينخدع بها العقل دون الواقع ! .

وفى جانب الاقتصاد نقل مطلق للإقطاع الزراعى ، ولرأس المال فى الصناعة من الأفراد إلى الدولة ، وتشغيل من الدولة للأفراد ثانية فى المصانع والمزارع . يؤجر الأفراد حسب إمكانياتهم فى الإنتاج كما وكيفا . وحصيلة الفرق بين الأجر وما تغله المزارع وتنتجه المصانع يبقى فى حوزة الدولة ، التى هى قيمة قوامة مطلقة على أفرادها .

وفى جانب الاعتقاد لا تؤمن إلا بالحس والمشاهد ، وتكفر بما وراء الحس والشاهد وتراه خداعا أو خرافة . فالاعتقاد بالله خدعة أو خرافة ، ولأنها لا تؤمن إلا بالحس والمشاهد ترى أن الواقع المحسوس هو مصدر المعرفة الصحيحة ، وأن وحى الحس هو الوحى الصادق . ولذا العلم التجربى ، وهو ما ينشأ عن التجربة فى المحسوس ، هو اليقين الذى لا ينكر ، ويجب الإيمان به فى مقابل الإيمان بالله وبوحى رسالته .

وفى جانب القيم الخلقية لا ترى ثباتا لها وإنما تراها متطورة . وما يأتى به الغد هو أفضل مما كان بالأمس . والحديث الخلقى مثلا عن حرمة الشخص فى ماله وعرضه ، وعن وجوب صيانة هذه الحرمة له ، هو حديث فى هذا الوقت معاد ؛ لأنه يتصل برجعية الدين التى فرضت مقاييس خلقية أصبحت عديمة الجدوى الآن . إذ مبدأ التطور ـ وهو مبدأ الحياة ـ يعطى الأفضلية للحاضر فى مواجهة الماضى ، وللمستقبل فى مواجهة الحاضر . والحديث عن علاقة الرجل بالمرأة فى جانب من جوانب هذه العلاقة ، سواء عما يقال من شرعية هذه العلاقة بالزواج أو عدم شرعيتها بغير زواج ، أو ما يقال عن اختلاف فى وضع أحدهما بالنسبة للآخر ، أو فى وضعهما معا بالنسبة للأولاد ، هو من رواسب الماضى التى لا يستسيغها مبدأ التطور .

التطور خضع له المجتمع فى الانتقـــال من الملكية الاستبدادية الممثلة فى الحكام والعبيد ، إلى الإقطاع الممثل فى المزارع الكبيرة والمستأجرين ، إلى الرأسمالية الممثلة فى المصانع والعمال ، إلى المجتمع ذى الطبقة الواحدة وهو المجتمع العمالى .

كذلك هو المبدأ الذى يجب عن طريقه أن يتحول الفرد ويذهب فى المجتمع ، وتلغى بذلك شخصيته لتبقى شخصية المجتمع .

وهو المبدأ نفسه الذى خضعت له المعرفة فتحولت من رسالة السماء إلى موازين العقل ، إلى تجربة الواقع والحس . كذلك هو المبدأ الذى يجب أن يتحول عن طريقه الإيمان من الله إلى العلم التجربى . وتتحول العبادة والقداسة إلى هذا دون ذاك . كما تتحول المقاييس الخلقية من اعتبارات الدين ومثالية العقل الإنسانى إلى الوجودية فى السلوك والتقييم الخلقى .

وهنا تخلص النزعة الشيوعية إلى تبرير إلغاء حرية الفرد وإلغاء ملكيته ، وإلى نقل الإيمان بالله وحده إلى الإيمان بالعلم وحده وإلى تغيير القيم الأخلاقية فى السلوك .

كما تخلص إلى تبرير سيادة الدولة سيادة مطلقة إزاء الأفراد فيما يملكون ، ويعتقدون ، ويفكرون ، وفيما يتنقلون ويقيمون .

العلم هو الإله !

والدولة هى كل الوجود الذى يفنى فيسه الأفراد .

والشيوعى هو الكافر بالله والمؤمن بالعلم ، وهو المجبر على التنازل عما يملك ، وعما له كإنسان: من حق التفكير والتعبير .هو المؤمن بالفناء فى غيره ولكن ليس عن اختيـار ، وهو المضحى بحقه لغيره ولكن دون طواعية. وفرق إذن بينه وبين الصوفى . إذ هذا يتنازل عن دنياه برضى منه ، ويفنى فى الله بمحبته إياه وهو فى تنازله عن الدنيا وفنائه فى الله . ذلك الإنسان : الحر المختار . لم يخرج عن إنسانيته ، ولم يتبدل إلى نقيض آخر يشاركه الحيـــاة ولكن ليست له ميزة الإدراك والإرادة .

تعتمد النزعة الشيوعية على قانون التطور . ولكن لماذا تؤمن بوقوف التطور عند حد المجتمع العمالى ذى الطبقة الواحدة ، وهو مجتمعها القائم ؟ لم لا يتحول هـذا المجتمع العمالى يوما إلى ملكية ، فإقطاعية ، فرأسمالية مرة أخرى؟ وتلغى الإيمان بالله وتؤمن بالعلم ، بالعلم الذى رأيناه يكون مرة فى خدمة الإنسان ورفاهيته وسلامته ، ومرة فى سبيل شقوته وإهلاكه وفنائه ، ولكن ماهو صمام الأمان عنـدها ضد أن يكون العلم فى سبيل شقوة الإنسان وفقره ومذلته وقلقه واضطرابه ؟

سلبت مافى يد الإنسان مما يملك وجعلته ذا حاجة إلى غيره ، وإن كان الدولة . وأفرغت

قلبه من الإيمان بالقيم الخلقية ، وملأت نفسه بأن السيدعليه هو الحس والشاهد ، وأن القيادة لهذا دون أن تكون لعقله ، وأخرست لسانه الناطق وأوقفت مشيئته من الانطلاق فى اتجاه آخر غير الاتجاه الذى تمليه الدولة . وركزت الحرية والمشيئة والتوجيه والمال فى الدولة . تلك الدولة التى تأخذ ولا تعطى ، وتقبل التضحية ولا تجازى عليها ، تلك الدولة التى ليست راعية ولا مسئولة فيما ترعى ، لأنها دولة بغير أفراد !

(ب) وهناك فى مقابل النزعة الشيوعية فى المجتمع الحديث نزعة الرأسمالية أو الديمقراطية الغربية، وهى نزعة تضاد النزعة السابقة فى تقييم الفرد وتقديره . وبقدر ماتهدر الأولى حياة الفرد ، وحرمته ، وحريته فى سبيل المجتمع ، بقدر ماتترك الثانية من مصالح المجتمع فى سبيل حرية الفرد . تتركه ينمو حيث يشاء ، ويتصرف حسبما يبدو له ، وإن كان فى إطار من الحدود والقيود. لا تمنعه الحركة، ولا تعوقه دون تخطيط الاتجاه الذى يتحرك فيه. تتركه يؤمن فى دائرة الاعتقاد بما يريد ، ويمارس من ألوان حرية التفكير والتعبير عما يفكر مايرغب فى ممارسته منها . والدولة من وراء هذه الحرية ترعاها ، لأنها فى خدمة الأفراد . وليس الأفراد فى خدمة الدولة إلا بقدر ماترعى مصالحهم وتصون حريتهم .

هذه الحرية الفردية فى المجتمع الديمقراطى الحديث ساعدت على نمو الفردية والأنانية ، وكادت تحول المجتمع إلى مجتمع بدائى فى السلوك والترابط ، لولا ماهنالك من سلطات قضائية ونيابية وتنفيذية، وهى السلطات التى تعد مظهر المجتمع صاحب المدنية .

الفردية أو الأنانية فى المجتمع الديمقراطى الحديث أوصلت الرأسمالية إلى الاحتكار والتحكم فى الطبقتين العاملة والمستهلكة على السواء ، وجعلت لها سيادة غير مباشرة وتوجيها من خلف الستار على السلطات الثلاث القضائية والنيابية والتنفيذية ، تلك السلطات التى يفترض فيها أن تكون سلطات عليا مستقلة . كما مكنت لها من التحكم فى توجيه الرأى العام عن طريق الكتاب والصحافة ، والإذاعة ، والتلفزيون .

وبذلك آل المجتمع الديمقراطى الحديث ، عن طريق الحرية الفردية فالأنانية ، إلى عصابة تتحكم فيما عداها من أفراد المجتمع ، على نحو ما آل إليه الأمر فى المجتمع الشيوعى - عن طريق نقل الحرية الفردية والملكية الفردية إلى الدولة - إلى عصابة باسم الدولة تتحكم فيما عداها من أفراد المجتمع ، وأصبحت هنا عصابة وهناك عصابة ، والفرق بين العصابتين أن إحداها سافرة والأخرى مقنعة .

وإذا كان المجتمع الشيوعى ألغى القيم

الأخلاقية فى حياة الأفراد ، ألغاها بناء عن منطق خاص لفكرة فلسفية اعتنقها ، فإن المجتمع الديمقراطى الرأسمالى تغاضى عن اعتبار هذه القيم فى حياة الأفراد وأهمل النظرة إليها بناء أيضا عن منطق خاص لفكرة فلسفية يتشبث بها الرأسماليون ، وهى أن الشعب كلما انصرف إلى إشباع رغباته ومارس مقدارا أوسع من حريته الشخصية كلما انصرف عن التفتيش والبحث عن تلك العصابة المستترة ، التى تحكم بغير حكومة وتحتكر بدون قانون وعرف ، إلا قانون السيطرة عن طريق المال واكتنازه فى يد حفنة خاصة متشابهة فى المنزع والاتجاه ، ومتعاونة على تحقيق هدف معين .

والعصابة هنا وهناك فى المجتمعين هى حفنة من اليهود تؤثر أن تعمل فى صمت ووراء حجب ، من غير إيمان بهذا النظام أو بذاك ، وهذا هو السر فى محافظة النظامين على قيام إسرائيل وبقائها بأنواع المساعدات الحيوية المختلفة ، إذ فى الوقت الذى عقدت فيه تشيكوسلوفاكيا من بلاد الكتلة الشيوعية صفقة الأسلحة مع مصر ، عقدت روسيا نفسها مع إسرائيل صفقة من البترول لا تقل فى القيمة والحجم عن صفقة الأسلحة ، وفى الوقت الذى تقدم فيه الدول الديمقراطية الغربية — تحت ضغط الرأى العام — بعضا من المساعدات الفنية والاقتصادية للبلاد العربية ، تضاعف هذه الدول نفسها المساعدة فى الكم والنوع لإسرائيل .

والفلاسفة الذين قيموا هذا النظام أو ذاك من الوجهة الفلسفية هم من مفكرى اليهود . والشيوعية الدولية التى ينادى بها النظام الاشتراكى الشيوعى لا تفترق عن الحكومة العالمية التى تنادى بها الدول الديمقراطية الغربية . فالهدف واحد ، والوسيلة مختلفة . الهدف هو إضعاف القوميات فى المناطق المختلفة كى تذوب الشعوب الصغيرة ، وتضع إمكانياتها البشرية والاقتصادية فى خدمة إحدى الكتلتين: إما الشيوعية الشرقية أو الديمقراطية الغربية . وهنا لا نعجب إذ رأينا كلتا الكتلتين تحارب القومية العربية ، بينما كلتاهما تعلن المحافظة على استقلال الشعوب الصغيرة ، وتمكين الشعوب الأخرى التى تحت الوصاية أو الاحتلال من حق تقرير المصير . فاستقلال الشعوب فى عرف الكتلتين هو فصل بعضها عن بعض ، كى يسهل امتصاصها واحدة إثر الأخرى .

الرأسمالية إذن عادت بالمجتمع الديمقراطى الحديث إلى مجتمع تسيطر عليه الفردية والأنانية والتخلف فى القيم والمثل العليا ؛ لأنه كلما سيطرت الأنانية كلما خف وزن القيم والمثل العليا . إذ هذه القيم والمثل هى حوافظ

للعلاقات الإنسانية فى أحسن صورها بين الأفراد ، وهى علاقات المشاركة فى السراء والضراء ، والتعاون فى سبيل بقاء هذه المشاركة والدفاع عنها .

والنزعة الشيوعية ألغت مباشرة اعتبار هذه القيم ، ووضعت مكان الدفع الذاتى لها ـ وهو دفع الضمير والخشية من الله ـ دفع القانون والسلطة الخارجة عن ذات الإنسان ، لمشاركة الأفراد بعضهم لبعض فى الإنتاج للدولة ، وتقديم ما تطلبه من خدمات فى صور جماعية .

والإيمان بالله فى المجتمع الديمقراطى لا يؤتى ثمره طالما تكون هناك أنانية وفردية . وهو بعد قد ألغى صراحة ، وإلغاء مباشراً ، فى المجتمع صاحب النزعة الشيوعية .

وهنا إذن قدر مشترك بين المجتمعين :

١ : عدم وجود أثر للقيم والمثل العليا ، سواء فى ظل سيطرة الديمقراطية ، أو سيطرة الاجتماعية الاشتراكية .

٢ : وعدم وجود أثر للإيمان بالله ، سواء فى ظل حرية الإيمان به أو فى ظل الحجر على الإيمان به . أما الاختلاف بينهما فهو فى الشعار فقط . شعار الشيوعية : الفرد للمجتمع . وشعار الديمقراطية : المجتمع للفرد .

المجتمع القرآنى :

هذا هو المجتمع الحديث . أما المجتمع الذى يضع القرآن أسسه العامة وخطوط نظامه فهو المجتمع الذى يقوم على « العدل والتوازن » ، ويهدف إلى الخير ومنع الأذى والضرر . هو المجتمع الذى يقوم على المشاركة فى السراء والضراء ، ويدعو إلى الحرص على هذه المشاركة والدفاع عنها . وبالوقوف على وضع هـذا المجتمع يتحدد موقف التوجيه القرآنى من المجتمع الحديث فى الشرق والغرب .

التوجيه القرآنى والحضارة الصناعية :

التوجيه القرآنى ينشد الحضارة الصناعية القائمة على العلم التجريبى . يقول الله فى كتابه الكريم : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله . . . » « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، وإليه النشور . . » فهو إذ يعبر هنا فى مواجهة الإنسان بأنه سخر للإنسان ما عداه فى الكون ، يطلب منه أن يتمكن وأن تكون له السيادة عليه . ولا تكون سيادة على شىء لجاهل به ، إنما تتم السيادة حيث يكون له علم يكشف عن جوانبه . والعلم التجريبى هو ذاك العلم الذى يسعى للكشف عن جوانب الكون .

والتوجيه القرآنى إذ ينشد الحضارة

الصناعية القائمة على العلم التجربى ، بغية تمكين الإنسان من سيادته على الكون ، ينشد العلم الدقيق بالكون أيضا للاعتراف بالله وبوحدانيته فى العبادة والربوبية ؛ لأن فى الاعتراف بالله وفى قوة الإيمان به يكمن صمام الأمان من أن يتجه علم الإنسان بالكون إلى تدمير الكون ، ومن أن تتحول سيادته به على الكون والانتفاع به إلى أن يكون عبدا له ، شقيا تعسا به . فقوله هنا : « لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله » ، وقوله : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » - يدل على أن غاية العلم الذى يمكن لسيادة الإنسان على الكون هى خدمة الإنسان وإسعاده ، وليست إذلاله وشقوته .

الإيمان بالله وحده هو الذى يقيم العلم ، ويجعله نعمة وذا فضل على الإنسان . هو نفسه الذى يحول دون أن يقيم الإنسان من العلم معبوداً لا شريك له . وبالتالى يحفظ للإنسان قيادته له وسيادته عليه . وبذلك يبقى الإنسان هو ذلك الكائن المكرم : « ولقد كرمنا بنى آدم » ، « وعلمناه من لدنا علما » ، وليس الإنسان الذى يخضع للآلة التى ينتجها العلم التجربى .

التوجيه القرآنى يضيف إلى حث الإنسان على العلم التجربى ، هداية الله للإنسان . « الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » . « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » . وبذلك يجمع المؤمن به بين سيادة العلم وهداية الله . وهداية الله تخطيط لسلوك الأفراد ولعلاقاتهم بعضهم ببعض .

التوجيه القرآنى والنزعات الفلسفية :

وهنا ننتقل إلى التوجيه القرآنى وموقفه من المجتمع الحديث فيما له من نزعات فلسفية مختلفة ، رأيناها متبلورة فى اتجاهين متقابلين : اتجاه : الفرد فى سبيل المجتمع ، واتجاه : المجتمع فى سبيل الفرد .

القرآن الكريم يقول : « إنما وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ، ورسوله ، والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » فأفادت هذه الآية أن هنا ثلاث حقائق : الله ، ورسوله ، والذين آمنوا بالله وبرسوله . أما الله فهو غاية المؤمنين ، وأما رسوله فهو صاحب رسالة الله بينهم ، وأما المؤمنون فهم أفراد اجتمعوا على الإيمان بالله وبرسوله . وهنا فى النقطة الأخيرة تتحدد فى نظر القرآن قيمة الفرد المؤمن فى مجتمع

المؤمنين ، كما تتضح علاقة الفرد بالمجتمع ، وعلاقة المجتمع بالفرد .

القرآن فى توجيه خطابه ، أو فى إخباره لم يتجه به إلى « مجتمع المؤمنين » كما لم يخبر عن هذا « المجتمع » بلفظ « المجتمع » . بل كان تعبيره دائما بلفظ « المؤمنين » فى صيغة الجمع . وهذا يدل على أن الفرد فى جماعة المؤمنين له شخصيته وله كيانه الخاص ولكن بما أنه ضمن الجماعة المؤمنة فله حقوقه من الآخرين وعليه التزاماته وواجباته نحو الآخرين وهنا يمكن أن نقول : إن القرآن ضد إفناء الفرد فى المجتمع ، وبالتالى ضد إهدار حريته وإلغاء اعتبار كيانه الخاص . وذلك يستتبع حتما أنه ضد انتقال ملكية الأفراد إلى ما يسمى بالمجتمع . فهو ضد النزعة الاشتراكية الشيوعية . وفضلا عن أنه ضدها فهو يدعو إلى تركيز إيمان الإنسان فى الله وحده ، لا فى شىء آخر سواه .

ولكنه لا يدع اعتبار كيان الفرد الخاص يتدرج به إلى أن يكون ذا فردية وأنانية ، كما تركت الديمقراطية الرأسماليه الفرد يتطور إلى أنانى ، وتركت النظام الديمقراطى نفسه يتطور إلى عصابة تمارس الاحتكار والتحكم فيما عداها . لأنه إلى جانب الإيمان بالله الذى يدعو إليه دعا إلى العمل الصالح ، وزاوج تقريبا فى كل الآيات التى تحدثت عن أوصاف المؤمنين بين الإيمان بالله والعمل الصالح « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة » . « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذ خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله آلها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما » .

والعمل الصالح هو العمل من أجل توازن العلاقات والعدل فى الترابط . وإذا تحقق التوازن فى العلاقات ، والعدل فى الترابط لا يصير استقلال الفرد إلى أنانية ، ولا يتحول اعتبار كيانه الخاص إلى فردية هدامة . وبالتالى لا يصير الوضع فى المجتمع القرآنى إلى ذلك الوضع الذى صار إليه المجتمع الديمقراطى الرأسمالى .

ولكى يحفظ التوجيه القرآنى وضع المؤمن فى مجتمع المؤمنين به ـ وهو وضع المستقل صاحب العلاقات المتبادلة على أساس من الإيمان بالله وبهدايته ـ جعل القرآن نفسه هو الفيصل والحكم عند الاختلاف بينهم فى الأفهام أو فى الاتجاه . فيقول الله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى

الأمر منكم (أصحاب الاجتهاد) فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

فلم يرض أن تتحكم نزعة إنسانية فى توجيه المؤمنين ، حتى يتغير الوضع الذى ارتضاه الله لهم . وهو وضع الحر الكريم ، صاحب المعاونة والمشاركة فيما يعود على المؤمنين جميعا من خير وعزة وكرامة . بل أحال النزاع إلى ماأوحى به الله إلى رسوله .

* * *

وبهذا تفادى التوجيه القرآنى لمجتمع المؤمنين ماتدعو إليه النزعة الاجتماعية الاشتراكية (الشيوعية) ، وما تصير إليه الديمقراطية الرأسمالية معا من عدم وجود أثر للقيم والمثل العليا فى حياة المجتمع ، وعدم وجود أثر للإيمان بالله فيها وأثر الإيمان . بالله ليس فحسب التمسك بهداية الله كما جاء فى كتابه . ولكنه قبل ذلك فى عدم الحاجة وراء ذات الإنسان وضميره - من سطوة القانون أو رقابة السلطة التنفيذية - إلى دافع يدفعه نحو السلوك المستقيم، ونحو الغاية العامة للمجتمع ، وهى السيادة والخير معا .

وبجانب أنه تفادى ذلك - وما تفاداه شر خطير - فإنه يدعو فى تشجيع إلى العلم وما يأتى به العلم من ثمرات لرفع مستوى الإنسان ، على أن يظل الإنسان ذا سيادة وقيادة .

إن التوجيه القرآنى لمجتمع المؤمنين به توجيه مستقل ، لاهو شرقى ولاغربى ، يكاد زيته يضىء ولولم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء .

دكتور محمد البهى
مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر

كان الناس فى مكة ، بعد هجرة الرسول قد مكثوا أياما لايدرون أين توجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى سمعوا صوتا يتغنى بهذه الأبيات :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

فلما سمعوا ذلك أدركوا أن وجهته المدينة .

تحقيق في أسفار العهد الجديد

بين اللغات التي ألفت بها والتي ترجمت إليها وما وقع فيه مؤرخو العرب وغيرهم في هذا الصدد من أخطاء

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

يطلق اسم « العهد الجديد » على مجموعة أسفار مقدسة عند المسيحيين . وقد كتب سفر واحد من هذه الأسفار ، وهو إنجيل متى ، باللغة الآرامية ثم ترجم إلى اليونانية ؛ وأما باقيها فقد كتب باليونانية ، ثم ترجم إلى الآرامية .

ولذلك سنمهد لبحثنا بكلمتين موجزتين عن هاتين اللغتين .

— ١ —

نظرة مجملة في اللغة الآرامية

أصبحت اللغة الآرامية ، بعد تغلبها على اللغتين الأكادية والعبرية ، أى منذ أواخر القرن الرابع ق م ، اللغة السائدة فى جميع بلاد العراق من جهة ، وفى سورية وفلسطين وما إليهما من جهة أخرى . فقد كانت إذن اللغة التى يتكلم بها المسيح ويتكلم بها أهل فلسطين فى عهده . وقد نجم عن اتساع مناطقها وتعدد طوائف الناطقين بها أن انشعبت إلى عدة لهجات . وترجع لهجاتها هذه إلى مجموعتين رئيسيتين يفصلهما الفرات وصحراء الشام : إحداهما مجموعة اللهجات الآرامية الشرقية وتشمل اللهجات الآرامية ببلاد العراق ؛ والأخرى مجموعة اللهجات الآرامية الغربية وتشمل اللهجات الآرامية بسورية وفلسطين وشبه جزيرة سينا ... وما إلى ذلك .

وتنقسم المجموعة الشرقية إلى لهجات كثيرة يهمنا منها فى موضوعنا اللهجة السريانية ، فقد ترجمت إليها أسفار العهد الجديد من اللغة اليونانية كما سيأتى بيان ذلك .

وتنقسم المجموعة الغربية كذلك إلى لهجات كثيرة يهمنا منها فى موضوعنا اللهجة التى يطلق عليها علماء اللغة اسم « الآرامية الفلسطينية الحديثة » ، وهى التى كتب بها أقدم إنجيل فى العهد الجديد وهو إنجيل متى ، والتى استخدمها المسيحيون بسورية وفلسطين فى

ترجمة أسفار العهد الجديد من اللغة اليونانية كما سيأتى بيان ذلك (١).

— ٢ —

نظرة مجملة فى اللغة اليونانية

كانت اللغة اليونانية القديمة لغة الحديث والكتابة فى جميع البلاد اليونانية الأصل وفى جميع مستعمرات اليونان بأوربا، وآسيا وإفريقيا، كما كانت لغة الكتابة والثقافة فى كثير من البلدان غير اليونانية اللسان وخاصة فى بلاد العراق والشام وفلسطين وشمال إفريقيا وفى مصر نفسها؛ فقد كان المصريون منذ عهد البطالسة إلى الفتح العربى، يتكلمون القبطية، بينما كانوا يستخدمون اليونانية فى شئون الكتابة والثقافة والآداب والعلوم.

وباللغة اليونانية ألفت جميع أسفار العهد الجديد ما عدا إنجيل متى، فالراجح أنه ألف بالآرامية كما سيأتى بيان ذلك، وإلى اللغة اليونانية تمت أقدم ترجمة لإنجيل متى فى العهد الجديد (حوالى سنة ٦٠ ميلادية) من أصله الآرامى، ومن اللغة اليونانية ترجمت أسفار العهد الجديد إلى اللغة اللاتينية، وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها.

[١] انظر تفصيل الكلام عن اللغة الآرامية فى الباب الثالث من كتابنا «فقه اللغة» [الطبعة الرابعة صفحات ٥٢ — ٦٧].

— ٣ —

العهد الجديد

اعتمد المسيحيون من أسفارهم سبعة وعشرين سفراً قرروا أنها هى وحدها الأسفار المقدسة، أى الموحى بها، وأطلقوا عليها اسم «العهد الجديد» للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التى أطلقوا عليها اسم «العهد القديم».

وبجانب هذه الأسفار التى يتألف منها العهد الجديد توجد أسفار مسيحية أخرى قررت كنائس المسيحيين ومجامعهم عدم إدخالها فى أسفار هذا العهد، ويطلقون عليها اسم «الأسفار الخفية» "Apocryphe" du grec "Apokruphos" de "Apokruptien" cacher وبعض هذه الأسفار الخفية يعتقد المسيحيون أنه موضوع كإنجيل برنابا (١) St Barnabé الذى جاءت فيه بشارة المسيح بالرسول محمد عليه السلام (٢)، وكتاب

[١] القديس برنابا من التلاميذ الاثنين والسبعين وهو قريب الرسول مرقس مؤلف أحد الأناجيل الأربعة المعتمدة التى سيأتى ذكرها.

[٢] هى البشارة التى أشار إليها القرآن الكريم إذ يقول «وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين» آية ٦ من سورة الصف.

« أعمال الرسل » ، (أى تاريخ الحواريين) المنسوب لبرنابا كذلك ، فإن المسيحيين لا يعترفون بصحة ما جاء فيهما من حقائق ولا بصحة نسبتهما إلى برنابا ، وبعضها الآخر يعترف المسيحيون بصحة ماجاء فيه من حقائق وبصحة نسبته إلى صاحبه ، ولكنهم يعتقدون أنه غير مقدس ـ فكلمة الخفى عند المسيحيين تطلق على غير المقدس من الأسفار سواء أكان صحيحا أم موضوعا .

وبهذا يختلف الاصطلاح المسيحى فى مدلول كلمة « الخفى » عن الاصطلاح اليهودى . وذلك أن اليهود ، مع إطلاقهم كلمة الخفى على جميع الأسفار التى لم يدخلوها فى العهد القديم ، يعتقدون أن بعض هذه الأسفار مقدس أى موحى به ، ولكن رأى أحبارهم وجوب « إخفائه » فى الهيكل وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور . وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول فى صدد اليهود : « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً [١] » ، وإذ يقول : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب [٢] » ، وإذ يقول : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون [١] » ، وإذ يقول : « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم [٢] » ، ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون « خفيا » و « مقدسا » فى آن واحد عند اليهود ، ولكن لا يمكن أن يجمع بين هاتين الصفتين عند المسيحيين .

وتنقسم أسفار العهد الجديد خمسة أقسام :

(القسم الأول) الأناجيل الأربعة ، وهى : إنجيل متى ؛ وإنجيل مرقص ؛ وإنجيل لوقا ؛ وإنجيل يوحنا .

١ ــ أما إنجيل متى فمؤلفه هو الرسول متى St matthieu وهو أحد الحواريين الاثنى عشر [٣] Les dowze apôtres ،

(١) آية ٩١ من سورة الأنعام .
(٢) آية ١٥ من سورة المائدة .

(١) آية ١٥٩ من سورة البقرة .
(٢) آية ١٧٤ من سورة البقرة .
(٣) تطلق كلمة « الحواريين » على الذين صاحبوا المسيح ورووا عنه بطريق مباشر ، وعددهم اثناعشر حواريا . ولم يكن منهم فى المبدأ الرسول متى صاحب هذا الإنجيل . ولكن بعد أن استبعد منهم يهوذا الإسخريوطى Juda iscariote (الذى تقول الكتب المسيحية إنه خان المسيح ، وأرشد الرومان إلى مقره وسهل لهم صلبه ، =

وإنجيله هو أقدم الأناجيل الأربعة جميعا، إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى سنة ٦٠ بعد الميلاد. وقد ألفه متى باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى الفقرة الأولى من هذا البحث. ولكن هذا الأصل الآرامى لم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية التى تمت عقب تأليفه مباشرة أى حوالى سنة ٦٠ بعد الميلاد. ولا يظهر فى هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التى كتب بها. وتتمثل هذه الآثار فى نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية - ولا يعرف بطريق يقينى مترجم هذا الإنجيل إلى اليونانية.

وقد أخطأ مؤرخو العرب فى صدد هذا الإنجيل خطأين إذ قرروا أنه قد ألف باللغة العبرية وأنه قد ترجم بعد ذلك مباشرة إلى اللاتينية، ولا ندرى علام اعتمد هؤلاء المؤرخون فيما ذكروه من أن أول مترجم لهذا الإنجيل كان الرسول يوحنا صاحب الإنجيل الرابع الذى سنذكره [1].

٢ — وأما إنجيل مرقص فمؤلفه هو القديس مرقص St-marc وهو أحد التلاميذ أو الأنصار (٢)، وقد ألفه حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية كما

= وتقاضى منهم أجرا على ذلك، وجازاه الله على فعلته، بأن أماته شر ميتة، ونشر دمه وأمعاءه فى مساحة واسعة من الأرض تسمى «حقل الدماء» اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار المسيحيين تحت رياسة الرسول بطرس. ووقع اختيارهم على اثنين يكمل أحدهما عدة الحواريين الاثنى عشر، وهما برساباس الملقب جوستوس Barsabbas, justus ومتى Matthieu، ثم ضربوا القرعة بينهما فخرج سهم متى، فاختير حواريا — وقد استشهد حوالى سنة ٧٠ ميلادية.

[١] انظر فى ذلك مثلا ابن خلدون صفحتى ٥٩٠، ٥٩١ من الجزء الثانى من طبعة لجنة البيان العربى إذ يقول: «كتب متى إنجيله فى بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدى منها إلى اللسان اللطينى» وانظر تعليقنا رقم ٧٣٨ على هذه العبارة.

[٢] يقول التاريخ المسيحى إنه قد تألف من السابقين الأولين إلى المسيحية بجانب الحواريين الاثنى عشر اثنان وسبعون أطلق عليهم اسم التلاميذ أو الأنصار لأنهم كانوا ملازمين لصحبة المسيح والأخذ عنه أو عن الحواريين ولأنهم قد قاموا بنشر المسيحية والدعوة إليها ومن هؤلاء القديس مرقص الذى صاحب الرسول بولس «من كبار الحواريين الاثنى عشر، وينسب إليه فى العهد الجديد أربعة عشر سفرا سيأتى ذكرها» والقديس برنابا «الذى ترجمنا له فى تعليق سابق»، ثم صاحب الرسول بطرس كبير الحواريين الاثنى عشر وينسب إليه فى العهد الجديد سفران سيأتى ذكرهما» وتبعه إلى روما. وبعد استشهاد الرسول بطرس شخص مرقص إلى مصر ونشر فيها المسيحية وأنشأ بها بطاريركة الإسكندرية «الكرازة المرقسية» التى يتولاها الآن بطاركة الأقباط بمصر. وقد اختاره أهل البندقية «فينسيا» حاميا لمدينتهم. وله فى البندقية كنيسة تعد من أجمل كنائس العالم وأفخمها وأدقها عمارة وأغناها بالآثار الفنية. ولد فى بيت المقدس واستشهد فى مصر حوالى سنة ٦٧ م.

يذكر مؤرخو العرب، وكان تأليفه إياه تحت إشراف أستاذه الرسول بطرس وبإرشاده، وقد رجع إليه في بعض حقائقه واستمد منه بعض الذكريات وبعض حقائق التاريخ.

ولا ندري علام اعتمد بعض مؤرخي العرب إذ ذكروا أن هذا الإنجيل قد كتبه بطرس نفسه ونسبه إلى تلميذه مرقص (١).

٣ — وأما إنجيل لوقا فمؤلفه هو القديس لوقا St-luc وهو أحد التلاميذ أو الأنصار (٢) وكان تأليفه إياه في العصر نفسه الذي ألف فيه مرقص إنجيله السابق ذكره أي حوالي سنة ٦٣ أو ٦٥ م. وقد ألفه باليونانية مباشرة لا باللاتينية كما يزعم بعض مؤرخي العرب (٣).

٤ — وأما إنجيل يوحنا فقد ألفه الرسول يوحنا (١) St-jean أحد الحواريين الاثني عشر باللغة اليونانية مباشرة حوالى سنة ٩٠ بعد الميلاد.

ويشتمل كل إنجيل من هذه الأناجيل على تاريخ المسيح ونشأته ورسالته وتبشيره بدينه ومعجزاته وما حدث له وقصة صلبه وبعثه (أو قيامته كما يعبر المسيحيون)، عقب دفنه وتاريخ المسيحية في أول عهودها. وما إلى ذلك، كما تشتمل على بعض ما أثر عن المسيح من أقوال يتمثل معظمها في نصائح وعظات خلقية ويشتمل قليل منها على بعض أحكام تشريعية ينسخ بها بعض أحكام التوراة، وهي تقر ألوهية المسيح وأنه ابن الله، كما تقر عقيدة التثليث وقصة صلب المسيح، وأنه صلب ليفدي العالم ويطهره من الخطيئة التي

---

[١] انظر في ذلك مثلا ابن خلدون إذ يقول في مقدمته (آخر ص ٥٩١ وأول ص ٥٩٢ من الجزء الثاني من طبعة لجنة البيان العربي): « وكتب بطرس إنجيله باللطيني ونسبه إلى تلميذه مرقاص » وانظر تعليقنا رقم ٧٤١ على هذه العبارة

[٢] انظر في شرح كلمة «التلاميذ» أو «الأنصار» Disciples التعليق الأسبق. — وقد صاحب لوقا الرسول بولس وأخذ عنه، واستشهد سنة ٧٠ م.

[٣] انظر مثلا ابن خلدون إذ يقول في مقدمته (ص ٥٩١ من الجزء الثاني من طبعة لجنة البيان العربي): « وكتب لوقا منهم إنجيله باللطيني إلى بعض أكابر الروم » وانظر تعليقنا رقم ٧٣٩ على هذه العبارة.

[١] هو الرسول يوحنا من كبار الحواريين الاثني عشر. وكان أبوه زبدي Zébédée من الدعاة الأولين للمسيحية، وكانت أمه سالومي Salomé قديسة شهيرة ورد ذكرها في الأناجيل، وهي قريبة مريم العذراء أم المسيح. وقد جاءت من زبدي بالرسول يوحنا الذي نتحدث عنه وبالرسول يعقوب الكبير أو جاك الكبير. ويعقوب الكبير هو كذلك من كبار الحواريين الاثني عشر وقد استشهد سنة ٤٤ م، وليس له أي سفر في العهد الجديد». ويقول التاريخ المسيحي إن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين منذ طفولتهما لما قدمتهما إليه أمهما الولى فوضع أحدهما على فخذه الأيمن والآخر على فخذه الأيسر وباركهما، وتقول كذلك إن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح وأقربهم إلى قلبه — وتوفي يوحنا بين سنتي ٩٨ و ١٠٠ م.

ارتكبها آدم إذ أكل من الشجرة، والتى ظلت عالقة بالإنسانية حتى طهرها منها المسيح بدمه. فهى بذلك تختلف كل الاختلاف عن الإنجيل الذى يذكر القرآن أنه كتاب مقدس أنزله الله على عيسى . وقد أشار القرآن فى أكثر من موضع إلى أن هذا الإنجيل قد حرف وبدل وزيد عليه ونسى كثير منه فى الأسفار التى يتداولها أهل الكتاب باسم الأناجيل .

والأناجيل الثلاثة الأولى متقاربة فى تاريخ تأليفها (أولها حوالى سنة ٦٠ والآخران حوالى ٦٣ أو ٦٥ م) . ولا يكاد يختلف أحدها عن الآخرين فيما يشتمل عليه . ويمتاز عنها الإنجيل الأخير ، وهو إنجيل يوحنا الذى تأخر تأليفه عنها بأكثر من ربع قرن ، بمزيد من التفصيل فى كثير من العقائد والتاريخ الدينى وبعنايته بالرد على الأخطاء والبدع الدينية التى استحدثت فى عصره .

(القسم الثانى) كتاب « أعمال الرسل » Actes des Apôtres (ويقصد بالرسل الحواريون والأنصار) ، وقد ألفه باللغة اليونانية القديس لوقا (مؤلف الإنجيل الثالث المتقدم ذكره) حوالى سنة ٦٣ بعد الميلاد (أى فى العصر نفسه الذى ألف فيه إنجيله) . وهو سفر فى تاريخ الحواريين والأنصار ، ومابذلوه من جهود فى نشر المسيحية، وما قاموا به من معجزات، وما لاقوه من اضطهاد وتعذيب واستشهاد فى سبيل عقيدتهم ونشر دينهم . . . وهلم جرا . ويسميه بعض مؤرخى العرب « الإبريكسيس فى قصص الرسل » وهو تعريب للكلمة اليونانية بركسيس Praxis بمعنى الأعمال .

(القسم الثالث) رسائل الرسل بولس (من كبار الحواريين الاثنى عشر ، استشهد سنة ٦٧ م) ، وعددها أربع عشرة رسالة كتبها باليونانية وبعث بها إلى عدة بلدان وشعوب وأفراد لبيان أصول العقيدة والآداب والأحكام المسيحية وللأمر بالمعروف والعدل والإحسان والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . وهى رسالة إلى الرومان ، ورسالتان إلى أهل كورنثوس ، ورسالة إلى أهل غلاطيا ، ورسالتان إلى تلميذه تيموثاوس ، ورسالة إلى تلميذه تيطس ، وأخرى إلى تلميذه فيليمون ، ورسالة إلى أهل إفسوس ، ورسالة إلى أهل فيليبى ، ورسالة إلى أهل كولوس ، ورسالتان إلى أهل تسالونيكى ، ورسالة إلى العبرانيين . ـ وقد ظهر للمحدثين من الباحثين والنقاد أن من هذه الرسائل ثلاث رسائل موثوقا بصحتها . وبصحة نسبتها إلى بولس وهى رسالته إلى الرومان ورسالتاه إلى أهل كورنثوس ، وأربع رسائل مقطوعا بعدم صحة نسبتها إليه : وهى رسالته إلى أهل إفسوس ورسالتاه إلى

تيموثاوس ورسالته إلى تيطس ، وأن ما بقى من هذه الرسائل مشكوك فى صحة نسبته إليه .

(القسم الرابع) الرسائل الكاثوليكية ، وهى من نوع رسائل القسم الثالث ، وألفت مثلها باللغة اليونانية ، وعددها سبع رسائل ، وهى : رسالة الرسول يعقوب الصغير St-jacques lemineur (من الحواريين الاثنى عشر استشهد سنة ٦٢) ؛ ورسالة أخيه يهوذا St jude (وهو كذلك من الحواريين الاثنى عشر) ؛ ورسالتان لبطرس الرسول (كبير الحواريين الاثنى عشر ، وإليه يرجع أكبر قسط من الفضل فى نشر المسيحية فى الدولة الرومانية الغربية ، وهو الذى أسس كنيسة روما التى يتولى شئونها بابوات الكاثوليكية . ولد سنة ١٠ قبل المسيح وقتله نيرون امبراطور روما سنة ٦٧ على الأرجح) ؛ وثلاث رسائل ليوحنا صاحب الإنجيل الرابع السابق ذكره .

(القسم الخامس) رؤيا يوحنا أو أبوكاليبس يوحنا (apokalupsis كلمة يونانية معناها الوحى أو الرؤيا ومنها الكلمة الفرنسية apocalypse) وهى رؤيا رآها الرسول يوحنا صاحب الإنجيل الرابع السابق ذكره ، وأوحى إليه فيها بأهم ما سيحدث للمسيحية وللعالم إلى قيام الساعة ، ومن ذلك خبر الدابتين الغريبتين اللتين ستخرج إحداهما من الأرض والأخرى من الماء وتكلمان الناس . وقد ألف هذا الكتاب باليونانية فى عهد الامبراطور دوميسيان Domitien (امبراطور الدولة الرومانية الغربية من ٨١ إلى ٩٦ م) .

هذا . وقد ترجم العهد الجديد ترجمة حرفية من اليونانية إلى السريانية (وهى إحدى شعب اللهجات الآرامية الشرقية كما سبق بيان ذلك فى الفقرة الأولى من هذا البحث) على يد آباء الكنيسة المسيحية السريانية، وتم ذلك فى الفترة الواقعة من القرن الثانى إلى الرابع بعد الميلاد .

وترجم المسيحيون بفلسطين العهد الجديد من اليونانية إلى اللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة التى أشرنا إليها فى الفقرة الأولى من هذا البحث ، وهى اللهجة التى كانت مستخدمة فى منطقتهم ، وذلك بعد أن استقلوا فى ثقافتهم وشئونهم الدينية عن الكنيسة السريانية . وقد تم لهم هذا الاستقلال فى أواخر القرن الخامس الميلادى . واستغرقت ترجمتهم هذه فترة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى الحادى عشر بعد الميلاد .

وجاءت ترجمتهم حرفية كالترجمة السريانية ، بل تزيد فى حرفيتها عن هذه الترجمة وتقل عنها فى مبلغ تمثيلها لروح اللغة الآرامية وأساليبها ، وذلك على الرغم من أنها تمت فى الموطن الأول الذى ظهر فيه المسيح ونبعت منه الأناجيل .

وفى القرون المسيحية الأولى ترجمت أسفار العهد الجديد من اليونانية إلى اللاتينية . وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها ؟

دكتور على عبد الواحد وافى

ابن خلدون في مصر

تدريسه بالأزهر والمدرسة القمحية

وأثره فى التفكير المصرى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وفد العلامة الفيلسوف ولى الدين عبد الرحمن ابن خلدون على مصر فى أواخر سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، وأقام بها ثلاثة وعشرين عاما حتى وفاته فى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) .

وكان ابن خلدون قبل مقدمه إلى مصر ، قد خاض فى ظل الدول المغربية المختلفة ، فى قصور تونس ، وتلمسان ، وفاس ، حياة سياسية عاصفة ، يتبوأ خلالها أحيانا ذروة النفوذ والسلطان فى منصب الوزارة أو الحجابة وأحيانا تعبس له الحوادث ، فيعزل من منصبه أو ينفى ، أو يلقى إلى ظلمات الاعتقال .

وكان قدومه إلى مصر ، بعد أن عاف أحداث السياسة وتقلباتها ، شبه فرار ، مما كابده خلال هذه الفترات العاصفة من حياته ، ومما كان يخشاه من تجددها ، إذا بقى فى وطنه وسعيا إلى ذلك الاستقرار الهادئ الذى لم يظفر به فى تونس أو غيرها من حواضر المغرب . وقد ظفر ابن خلدون بما كان ينشد من هدوء ودعة ، فما كاد يستقر فى القاهرة ، حتى بدأ حياته الجديدة ، فى ذلك الميدان ، الذى حرمته السياسة منه حقبة طويلة ، ميدان القراءة والدرس .

وكانت مصر يومئذ موئل التفكير الإسلامى فى المشرق والمغرب ، ولبلاطها شهرة واسعة فى حماية العلوم والآداب . وكانت الحركة الفكرية المصرية يومئذ فى أوج قوتها وازدهارها ، وقد اجتمعت فى ظلها جمهرة من أكابر العلماء والكتاب . وكان الجامع الأزهر ، كعهده دائما ، قبلة الوافدين من كل قطر : وكان لعلماء المغرب بنوع خاص صلة وثيقة بالجامع الشهير ، وقد لبث رواقهم القديم ـ رواق المغاربة ـ الذى ما يزال قائما حتى يومنا ، عصوراً ، ندوة من أهم ندوات الأزهر العلمية . وإذاً فقد كان طبيعيا أن يحتل ابن خلدون ، وقد سبقه صيته إلى مصر ، مكانته فى أروقة الأزهر وبين علمائه .

ويشير ابن خلدون إلى ذلك فى « التعريف » أو ترجمة حياته بقوله : « واتكال على طلبة

العلم بها « أى بالقاهرة » يلتمسون الإفادة مع قلة البضاعة ، ولم يوسعونى عذرا ، فجلست للتدريس بالجامع الأزهر بها » . وكان جلوس المؤرخ الفيلسوف بالجامع الأزهر ، حادثا علمياً خطيراً ، نوهت به جميع الروايات المصرية المعاصرة واللاحقة . ودرس عليه يومئذ جماعة من أكابر العلماء المصريين ، مثل ابن حجر ، والقلقشندى ، والمقريزى ، وكان ابن خلدون محاضراً بارعا يأخذ سامعيه بذلاقة وطلاوة أسلوب ؛ وقد نوهت بهذه الصفة سائر الروايات المصرية المعاصرة . فوصفه ابن حجر ، بأنه « كان لسنا فصيحا » ؛ ووصفه الجمال البشبيشى ، بأنه « كان فصيحا مفوها جميل الصورة » . وقال الدكراكى « إن محاضرته إليها المنتهى » .

وبالرغم من أن المؤرخ عين بعد ذلك بقليل للتدريس بالمدرسة القمحية حسبما نذكر بعد ، وأجريت عليه الرواتب المجزية ، فإنه لم يترك دروسه بالأزهر ، وقد كان يدرس الحديث ، والفقه المالكى ، ويشرح للخاصة من تلاميذه نظرياته فى العمران والعصبية ، وأسس الملك ، ونشأة الدول ، وغيرها مما عرض إليه فى مقدمته الشهيرة ، وكانت كلها من الموضوعات الطريفة التى لم يكن للعلماء عهد بها من قبل .

ولم يمض قليل على ذلك حتى خلا منصب التدريس بالمدرسة القمحية . وكانت هـــذه المدرسة القديمة من المدارس التى أنشأها السلطان صلاح الدين ، وتقع على مقربة من جامع عمرو ، وكانت من مدارس المالكية ، ولها أوقاف جليلة ، منها ضياع بالفيوم تغل القمح ، ومن ثم فقد سميت بالقمحية . وكان ابن خلدون قد سعى منذ مقدمه إلى الاتصال بالسلطان وهو يومئذ الملك الظاهر برقوق ، وساعده على تحقيق أمنيته أمير من البلاط يدعى الطنبغا الجوبانى ؛ فأكرم السلطان وفادة المؤرخ وشمله برعايته ، وأغدق عليه أو على قول المؤرخ « ووفر الجراية من صدقاته ، شأنه مع أهل العلم » . ولما توفى علم الدين البساطى ، مدرس المدرسة القمحية ، عين السلطان ابن خلدون مكانه لتدريس الفقه المالكى ، وكان ذلك فى أوائل شهر المحرم سنة ٧٨٦ هـ .

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر المحرم المذكور ، افتتحت الدراسة بالمدرسة القمحية ، وألقى ابن خلدون درسه الأول بها ، ولم يكن افتتاحا عاديا ، بل كان احتفالا فخما شائقاً ، شهده الأمير الطنبغا الجوبانى ، والأمير يونس الدوادار نيابة عن السلطان ، كما شهده القضاة الأربعة . وجمهرة كبيرة من رجال الدولة ، ومن الأعيان والعلماء . وافتتح ابن خلدون ذلك الحفل الحاشد بخطاب بليغ يورده لنا بنصه فى « التعريف » . وقد

اتبع فيه أسلوب الترسل المسجع الذى كان ذائعاً يومئذ بالمشرق، والذى يحمل عليه ابن خلدون نفسه فى مواضع كثيرة من مقدمته. ويتحدث ابن خلدون فى خطابه بعد الديباجة عن فضل العلماء فى شد أزر الدولة الإسلامية وعن تغلب الدول. ثم يشيد بما لدول السلاطين المصرية من فضل فى نصرة الإسلام وإعزازه، ومن همم عالية فى إنشاء المساجد والمدارس، ورعاية العلم والعلماء والقضاة؛ ويدعو بعد ذلك للملك الظاهر ويشيد بعزمه وعدله وعقله؛ ثم يعطف بعد ذلك على نفسه وما أوليه من شرف المنصب فى تلك العبارة الشعرية: «ولما سبحت فى اللج الأزرق، وخطوت من أفق المغرب إلى المشرق، حيث نهر النهار ينصب فى صفحة المشرق، وشجرة الملك التى اعتز بها الإسلام، تهتز فى دوحه المعرق، وأزهار الفنون تسقط علينا من غصنه المورق، وينابيع العلوم والفضائل تمدنا من فراته المغدق، أولونى عناية وتشريفا، وغمرونى إحسانا ومعروفا، وأوسعوا همتى إيضاحا، ونكرتى تعريفا»، ويختم ابن خلدون خطابه بالإشادة بذكرى السلطان صلاح الدين مؤسس هذه المدرسة، وما كان له فى سبيل الذود عن الإسلام من عظيم الجهاد، ثم يدعو كرة أخرى للسلطان وللأمة الإسلامية وللحاضرين.

وإنه لمنظر شائق ذلك الذى يقدمه إلينا ابن خلدون، عن مجلسه الأول فى ذلك اليوم المشهود، ومن حوله الأمراء، والقضاة، والعلماء، يستمعون إلى الدرس الأول، لذلك المفكر والمحدث المبدع. وهو يحرص على تدوينه، كما يحرص على تدوين الأثر الذى يعتقد أنه أحدثه فى نفوس الحاضرين إذ يقول: «وانفض ذلك المجلس، وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار، وتناجت النفوس بالأهلية للمناصب، وأخلص الاحترام فى ذلك الخاصة، والجمهور»، وفى ذلك ما يدل على ما كان يشعر به ابن خلدون فى كبرياء وثقة من أنه كان شخصية ممتازة، تجب إحاطتها بمظاهر خاصة من الرعاية والتكريم.

ثم عين المؤرخ بعد ذلك فى وظيفة جليلة أخرى، هى مشيخة خانقاه بيبرس، وهى يومئذ أعظم الخوانق، أو ملاجىء الصوفية ولها أوقاف ومرتبات واسعة، فزادت جرايته واتسعت موارده. والظاهر أنه انتقل على أثر ذلك من مسكنه القديم بحى بين القصرين إلى منزله الفخم الواقع على النيل، على مقربة من جزيرة الروضة.

واستمر ابن خلدون يضطلع أعواما طويلة بالتدريس بالجامع الأزهر والمدرسة القمحية، ويضطلع فى نفس الوقت، بالقيام بمنصب قاضى قضاة المالكية، الذى وليه وعزل منه

مراراً وتكرارا ، ونحن نعرف ما لقيه ابن خلدون خلال ذلك من خصومات أدبية وشخصية كثيرة ، سببها المناصب والنفوذ ، وما كان يبديه ابن خلدون من كبرياء وصلابة وإعراض عن الشفاعات فى أعمال القضاء .

وقد كان من الطبيعى ، أن يلق ابن خلدون وقد ظفر بأرفع مناصب التدريس والقضاء وما تدره من الأرزاق الواسعة مالقى من بوادر الخصومة والحسد ، ويحدثنا المؤرخ عن ذلك بإفاضة وصراحة فى « التعريف » ، ويشرح لنا عوامل تلك الخصومة التى كدرت صفو الأفق من حوله ويشرح لنا بالأخص موقفه فى مزوالة القضاء وكيف أنه كان يلتزم العدالة المطلقة ويسوى بين الخصمين دون النظر إلى أى اعتبار ، وكيف أنه لم يوفق فى اتباع هذه الطريقة الصارمة ، نظرا لما كان يسود القضاء بمصر يومئذ من عوامل الفساد والتأثير ، ونفوذ الكبراء ، وأثر الشفاعات ، وتشهد الروايات المعاصرة كلها بحزم ابن خلدون ونزاهته فى مزاولة القضاء .

وقد تردد صدى هذه الخصومة فى كتابات كثير من العلماء المصريين المعاصرين ، أمثال القاضى جمال البشبيشى ، والحافظ ابن حجر ، وبدر الدين العينى وغيرهم . ثم بعد ذلك فى كتابات شمس الدين السخاوى ، وقد كان أشد الكتاب المصريين وطأة على ابن خلدون وأقساهم فى تجريحه ، ومع ذلك فقد كان ابن خلدون يحظى فى نفس الوقت بتقدير فريق كبير من العلماء المصريين ، بل لم يتردد خصومه أنفسهم فى التنويه بعبقريته وغزير علمه .

ومن الغريب أن نجد الحافظ ابن حجر ، وقد كان كثير الطعن على ابن خلدون والتعريض به ، يتقدم مع جماعة من أصحابه إلى ابن خلدون فى طلب إجازته ، وما زال هذا الاستدعاء الذى كتبه ابن حجر بخطه محفوظا إلى اليوم فى بعض كتب ابن حجر الخفية المخطوطة بمكتبة أيا صوفيا باستانبول وقد أصدر المؤرخ لابن حجر وأصحابه الإجازة المطلوبة مكتوبة بخطه ، وممهورة بتوقيعه وإليك نصها :

« الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أجزت لهؤلاء السادة ، والعلماء القادة أهل التحصيل والإفادة ، والفضل والإجادة ، والإبداء فى الكمال والإعادة ، جميع ما سألوه ورجوه من الإجازة وأملوه ، على شروطه المعتبرة عند العلماء البررة ، وأخبرهم أن مولدى فى غرة رمضان عام اثنين وثلاثين وسبعمائة ، والله تعالى ينفعنا وإياهم بالعلم وأهله ، ويجعلنا من سالكى سبيله ، وكتب بذلك عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون الحضرمى المالكى فى منتصف شعبان عام سبعة وتسعين وسبعمائة .

وقد ترك ابن خلدون أثره العميق فى التفكير المصرى المعاصر ، وكان مؤرخ مصر الكبير تقى الدين المقريزى أشد الكتاب المصريين تأثراً بمنهجه وأسلوبه ، ويتحدث المقريزى عن شيخه ابن خلدون بمنتهى الخشوع والإجلال وينعته « بشيخنا العالم العلامة قاضى القضاة » ويترجم فى كتابه « درر العقود الفريدة » بإفاضة ، ويعرب عن عميق إعجابه وتقديره للمقدمة ويقول لنا : « إنه لم يعمل مثلها ، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد مناها ؛ إذ هى زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقول السليمة والفهوم ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء ، وتعبر عن حال الوجود ، وتنبئ عن أصل كل موجود » .
وترجمة المقريزى لابن خلدون هى أصدق دفاع مصرى عن المؤرخ إزاء الحملات العنيفة التى وجهت إليه من خصومه ، وفى مقدمتهم الحافظ ابن حجر ، التى تردد صداها فيما بعد ، فيما كتبه السخاوى فى « الضوء اللامع » .

ويبدو تأثر المقريزى بمنهج ابن خلدون وتفكيره ، قويا واضحا فى كتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » وهو الذى يتحدث فيه عن محن مصر وأسباب خرابها منذ أقدم العصور حتى عصره ، وفيه ينحو فى الشرح والتعليل منحى شيخه وأستاذه ، ويحاول على طريقة ابن خلدون أن يستخرج القوانين والظواهر من الحوادث المتشابهة ، بل هو يستعمل ألفاظ ابن خلدون وتعبيراته مثل « أحوال الوجود » و « طبيعة العمران » وما إليها ، ويقتبس كثيرا من آرائه فى طبيعة الملك ، وعوامل فساده ، وأثر الظلم فى خراب العمران ، وغير ذلك من نظرياته العمرانية والاقتصادية ، بل نجد هذا التأثير الذى بثه ابن خلدون فى المدرسة المصرية ، يمتد إلى خصومه أنفسهم ؛ فنرى السخاوى وهو أشد خصوم المؤرخ ، وأكثرهم تحاملا عليه ، متأثرا بنظريات ابن خلدون وأسلوبه . ويبدو ذلك جليا فى كتابه « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » ، حيث يتحدث بطريقة فلسفية عن التاريخ وأثره فى دراسة أحوال الأمم ، وذلك بنفس الأسلوب الذى يتحدث به ابن خلدون فى مقدمته .

محمد عبد الله عنان

كتاب الله

قال الحسن رضى الله عنه : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله ، فعرض عليه نفسه ، فإن وافقه حمد ربه ، وسأله الزيادة . وإن خالفه أعتب وأناب ورجع من قريب .

المادّة بين العلم التجريبي والفكر المجرّد

للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

يقرر العلم : « أن المادة لا تفنى » ويقرر رجال الدين : « أن العالم حادث ، وجد من عدم ، ويمكن أن يصير إلى عدم » ويرى جمهرة المتعلمين من المتدينين أن لا سبيل إلى إنكار ما أثبته العلم ، كما لا سبيل إلى تكذيب ما ينسب إلى الدين . ولكنهم لا يدرون إلى أي حد يلتقي العلم مع الدين بخصوص هذا الأمر ، وإلى أي حد يختلفان ؛ ولذلك فهم تارة يتحمسون للعلم فيشرحون قضيته شرحاً يخرج بها عن الحدود التي رسمها لها العلم نفسه ، وهم بذلك الشرح - من حيث يدرون أو لا يدرون - يتحيفون من حقوق يعترفون بها للدين ، وتارة أخرى يستشعرون قدرة الله شاملة قاهرة ، لا يعجزها شيء ولا تعجز هي عن شيء ، ويندفعون في حماس ديني لا يبالون معه أن يتنكروا للعلم ولما يعترفون هم أنفسهم أنه حق ثابت لا سبيل إلى إنكاره . ولو أنهم فهموا الأمر على حقيقته لأمكن لهم أن يتحدثوا عن العلم بما لا يشعرون معه بافتيات على الدين ، وأن يتحدثوا عن الدين بما لا يشعرون معه أنهم يعارضون العلم .

فالعلم في هذه المسألة لا يعادي الدين ولا يعاديه الدين . ولعل العلم في جميع مسائله ، حين يكون باتاً قاطعاً ، لا ظاناً مفترضاً ، لا يعادي الدين ولا يعاديه الدين .

والأمر في مسألة المادة أن العلم حين يتحدث عن عدم فناء المادة ، إنما يتحدث عن مدى سلطته وسلطة الإنسان الذي يستعمله فقط ؛ ذلك أن العلم حين يسلط النار على قطعة من الشمع مثلا ، حتى يبدو للعين أن جزءاً كبيراً منها قد ذهب وتلاشى ، يكشف بأجهزته التي تدرك ما لا تدركه العين المجردة ، أن هذا الجزء الذي ظن أنه فني وتلاشى كلية ، قد تحلل إلى عناصر بسيطة خفي إدراكها ، لا أنه فني وتلاشى .

والعلم إذ يقرر ما وصل إليه في تجربته تلك ، إنما يقرر حادثة جزئية : يقرر أن النار التي أشعلها بوساطة غاز الأكسوجين مثلا لم تستطع أن تفني الشمعة . وهذه النتيجة التي ينتهي إليها العلم في مثل هذه التجربة لا يمكن أن توصل إلى نتيجة كلية قائلة : « المادة بجميع أنواعها لا يمكن أن تفنى بأية وسيلة من الوسائل » ذلك لأن إجراء تجربة على الشمع لا تسوغ القول بأن جميع أنواع المادة كالشمع في ذلك ، والقول بمساواة جميع أنواع المادة - مما اكتشفناه وما لم نكتشفه من أنواعها - للشمع في ذلك ، مجازفة لا توصل إلى يقين ، هذا إلى أن العلم ليس من شأنه أن يتحدث إلا في حدود تجربته . كما أن القول بأن جميع الوسائل - مما اكتشفناه وما لم نكتشفه - في مثل

قوة النار التى ولدناها من الأكسوجين ، مجازفة لاسبيل معها إلى يقين ، وهو أيضا قول خارج عن مهمة العلم التى يتحدث فقط فى حدود تجربته .

والأمر الذى ينبغى أن يتأكد فى نفس القارئ ، هو أن العلم ليس من وظيفته التعميم والإطلاق ، فهو إنما يعطى حكمه على خصوص المادة التى أجرى عليها تجربته ، وعلى خصوص الوسيلة التى استعملها ، بالشروط التى توافرت له والتى أجرى تجربته فى نطاقها . أما الإطلاق والتعميم فإنما هو من وظيفة الفلسفة التى يقال عنها - بين ما يقال - : إنها تبدأ حيث ينتهى العلم ، فهى تجمع النتائج المتشابهة وتصوغ منها حكما كليا . ويقوم العقل فى هذه العملية بدور قد يسلم له ، وقد لايسلم له ، وندع المجال الفلسفى الآن ، لنعود إليه فيما بعد .

ونتابع حديثنا عن العلم الذى يعطى بحكم وظيفته أحكاما جزئية ؛ فنى الحكم السابق : « مادة الشمع لا تفنى بنار الأكسوجين ، وإنما تتحلل فقط » يعطى العلم حكما جزئيا بعجز نار الأكسوجين عن إفناء الشمع ، أو بعجز الإنسان عن الظفر بوسائل يتوصل بها إلى إفناء الشمع ، أو بعجز الإنسان ووسائله المعروفة له عن إفناء الشمع . وليس من شأن العلم أن يقول أكثر من ذلك . فليس يدخل فى حدود سلطته أن يقول بإمكان أو عدم إمكان وجود وسيلة أخرى سوى النار ، تكون سلطتها أقوى من سلطة النار .

وليس فى هذا القدر ما يمكن أن يتعارض مع ما يقول به رجال الدين - من أن العالم وجد من عدم ، وأنه يمكن أن يصير إلى عدم - فى قليل أو كثير ؛ لأن رجال الدين حين يقولون ذلك ، لا يريدون أن الإنسان هو الذى أوجده من عدم ، وأنه هو الذى يمكنه أن يصيره إلى عدم ؛ حتى يكون حكمهم بالوقوع والإمكان مناقضا لحكم العلم بعدم الوقوع وعدم الإمكان . وإنما يريدون أن الله هو الذى يفعل ذلك ، وليس يلزم من عجز البشر وعجز وسائله عن تحقيق أمر من الأمور ، أن يعجز الله - عند من يعتقد أن هناك إلها قادرا . والحديث معه - عن تحقيق ذلك الأمر ، فالمقارنة بين قدرة الله وبين قدرة البشر مقارنة فاسدة ، والوقوف بقدرة الله عند الحد الذى تقف عنده قدرة البشر ، ذهاب إلى أن الله بشر ، أو إلى أن البشر آلهة .

والذى ينبغى التنبه له هو أن العلم لم يدع التعميم ولا سبيل له إلى التعميم ، وأنه فى حكمه يقف عند المواد التى أجرى عليها تجاربه ، وعند الوسائل الخاصة التى استعملها فى هذه التجارب . ولم يدخل ضمن وسائل العلم طبعا قدرة الله ، فمجال حكمه هو نطاق تجربته فقط ، فهو باختصار يقرر أن الإنسان ووسائله

عاجزان عن إفناء المادة ، ورجل الدين يقرر أن إعدام المادة ووجودها من عدم يدخلان فى نطاق قدرة الله . ولا تعارض بين هذين القولين ؛ لأن رجل الدين لم يحكم على قدرة الإنسان ، ورجل العلم لم يحكم على قدرة الله ، ولا سبيل لرجل العلم أن يحكم على قدرة الله ؛ لأن مجال العلم هو المادة التى تخضع للتجارب ؛ وقدرة الله لا تخضع للتجارب .

* * *

لكن إذا كان الحال بين رجال الدين ورجال العلم هو ما رأيت ، فالحال بخلاف ذلك بين رجال الدين ورجال الفلسفة ، فالفلسفة ومن طبيعتها التعميم والإطلاق تتخلص من القيود والشروط التى يلق رجال العلم أحكامهم فى نطاقها ، فهى تلق قضية المادة ، عامة غير مخصصة ولا مشروطة ، تقول : « المادة لا تفنى » ، وهى لا تعنى - كما كان العلم يعنى - أن الإنسان ووسائله يعجزان عن إفناء المادة ، وإنما تعنى أن الفناء والمادة متقابلان تقابل العدم والوجود ، فكما لا يجامع عدم شىء وجوده ، ولا وجود شىء عدمه ، لا تجامع المادة الفناء ، ولا يجامع الفناء المادة ؛ فالجمع بينهما كالجمع بين الضدين أو بين النقيضين . والأحكام العقلية لا تقبل الاستثناء ، فمن وجهة نظر الذاهبين إلى هذا الرأى ، يستوى فى هذا الحكم جميع القدر .

ولا ينبغى أن يغيب عنا أن من يقول ذلك ، يذهب - أو يجب أن يذهب - إلى أن المادة واجبة الوجود بذاتها ؛ لأن ما تأبى طبيعته الفناء ليس إلا الواجب ؛ وأما الممكن فلا تستعصى طبيعته على العدم ، وأما المستحيل فلا يوجد أبدا ، وثلاثتها هى كل ماهنالك .

والذى يرى أن المادة واجبة الوجود ينكر وجود الإله ؛ إذ لا حاجة بالمادة إذا كانت واجبة الوجود إلى موجد يوجدها . والذى يجعل المادة واجبة الوجود يوصد الباب فى وجه من يحاول إثبات وجود إله ، ولذلك كان القول بإمكان المادة هو السبيل إلى إثبات وجود الإله عند الفلاسفة الإلهيين ؛ إذ مادام العالم ممكنا فى نظرهم فلا يصح أن يكون هو مصدر وجود نفسه ؛ إذ الممكن هو ما كان وجوده من غيره ، لا من ذاته .

أما علماء الكلام فقد جاوزوا القول بإمكان المادة إلى القول بحدوثها ، وعن طريق إثبات حدوثها أثبتوا وجود الإله ، لأن كل موجود من عدم لا يمكن أن يكون هو موجد نفسه .

* * *

فالخلاف إذن فى أن المادة تفنى أولا تفنى ، إنما هو بين فلاسفة ماديين ينكرون وجود الله ، ويرون أن المادة واجبة الوجود بذاتها

فى طرف ، وبين علماء الكلام الذين يرون أن العالم حادث ، والفلاسفة الإلهيين الذين يرون أن العالم ممكن ، فى طرف آخر ، وهذا الطرف بقسميه يعترف بوجود الإله . أما العلم فليس طرفا فى هذه الخصومة رغم أنه يقول . إن المادة لا تفنى ؛ لأنه إذ يقول ذلك إنما يقوله حكما جزئيا فى نطاق خاص هو قدرة الإنسان ، لا حكما كليا عاما شاملا لقدرة الإله .

ومما هو جدير بالذكر أن الفلاسفة الإلهيين إذ يقولون : إن المادة قديمة لم تكن فى وقت من الأوقات معدومة . وإنها أبدية لن تكون فى وقت من الأوقات معدومة ، لا يقولون : إنها واجبة ، بل يصرحون بأنها ممكنة ؛ وإنهم إذ يصرحون بأنها ممكنة لا يستطيعون أن يردوا الأمر فى قدمها وأبديتها إلى طبيعتها ؛ لأن الممكن ما لا تقتضى ذاته وجوده ولا عدمه ، فقدمها وأبديتها عندهم يرجعان إلى علة خارجة عن ذاتها ، هى الإله .

فالصراع إذن بين كون المادة يمكن أن تفنى أو لا يمكن أن تفنى ، هو صراع بين الفكر لا دخل للعلم التجريبي فيه ، فلعلماء الكلام دليلهم العقلى على أن المادة مع إمكانها حادثة أى وجدت من عدم ، وللفلاسفة الإلهيين دليلهم العقلى على أن المادة ممكنة ، أى ليست مقتضية للوجود بذاتها ولكنها عندهم غير حادثة ، وللماديين شبههم الساذجة على أن المادة واجبة الوجود بذاتها فلا هى حادثه ولا هى ممكنة وربما عدت فى مقال آخر إلى بيان وجهة نظر كل فريق ؟

دكتور سليمان دنيا
أستاذ الفلسفة المساعد
بكلية أصول الدين

الحق والباطل

إن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وإن الباطل لن ينقلب حقا مهما كثر مشايعوه !

الإسلام والقومية العربية

للأستاذ محمود اللبابيدي

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم »
[القرآن]

الإسلام ، كمذهب للحياة ، ظل وسيظل فى عراك وخصام مع المذاهب الأخرى ، مادام الأساس الذى قام عليه، يختلف كل الاختلاف عن الأساس الذى قامت عليه هذه المذاهب .

لذلك ، فإنه كلما قام مذهب جديد أو نظرية حديثة ، ينشط التساؤل العالمى ليقول : ما هو موقف الإسلام من هذا الحدث ؟

يقول مؤرخو الحركات القومية : إن القومية ولدت فى القرن التاسع عشر ، فهى حديثة عهد فى الذهنية السياسية ، ولهذا وجدنا من الكتاب (١) العرب من يزعم بأن الأمة العربية ليست قديمة العهد ، فإنها لم تولد إلا فى أواخر القرن الماضى كغيرها من الأمم الحديثة ، على اعتبار أن مفهوم الأمة هو مفهوم القومية ، حتى أنه ليعتبر أن الذين يعتقدون بأن الأمة العربية قديمة العهد تكونت مع ظهور الإسلام مخطئون ، لأنه ليس لرأيهم مستند علمى ؛ ولأن الرسالة الإسلامية — فى نظره — وإن وحدت العرب وقضت على أسباب بغضائهم وانقساماتهم ، لكنها لم تجعل منهم أمة بالمعنى العلمى لهذه الكلمة ؛ لأن الأمة فيما زعموا تمثل مفهوماً تاريخيا لم يظهر ، إلا فى عهد الرأسمالية ! وهذا زعم باطل .

والواقع أن التيارات الفكرية التى هبت ومازال تهب من أوروبا على الوطن الإسلامى منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم ، هى التى حملت إلى بلادنا فكرة القومية فيما حملت .

والظاهر أن هذه الفكرة ، قد عملت عمل الخميرة فى أذهان الفئة المثقفة من سكان هذا الوطن . وعندما استطاعت هذه الفكرة ، كغيرها من الأفكار التى لها مثل قوتها أن تهز الشعوب العربية هزاً عنيفاً مثلما هزت شعوب الإسلام الأخرى ، بدا هذا السؤال

---

[١] طاهر خياط المحامى بحلب . نحو عروبة متحررة ص ١٢٢ فى المتن والهامش ، مطبعة الشرق بحلب سنة ١٩٥٦ .

أكثر إلحاحا وأشد دوراناً على شفتى كل عربى وكل مسلم ، هذا السؤال هو : ترى ما هو موقف الإسلام من القومية ؟

أعتقد أن هذا السؤال ما زال بلا جواب إلى اليوم ! ولو أن بعضهم قد أبدى رأيه فيه مجرد إبداء رأى .

ولكى نجيب نحن على هذا السؤال ، لابد من التمهيد إلى ذلك . هذا التمهيد يتألف من عدة أسئلة وأجوبتها فى مثل ما هى القومية ؟ ما تعريفها ؟ ما أركانها ما عناصرها ؟ ما تاريخها ؟ ما نتائجها ؟ .

ما هية القومية وتعريفها

لم يتفق العلماء فى الغرب بعد على ما هية القومية . وبالتالى لم يتفقوا على تعريف جامع مانع لها . وهذا الخلاف ليس سطحياً كما يمكن أن يتوهمه بعضهم . بل هو خلاف عميق . ذلك أن بعضهم يقرر أن القومية قائمة على أساس مادى ، بينما بعضهم يؤكد أنها ليست أكثر من شعور نفسى .

كذلك يختلفون على تصورها ، فيذهب بعضهم إلى أنها هى (الدولة) وبعض يذهب إلى أنها (الأمة) وبعض آخر يتصورها على أنها (الوطنية) !

منهم من يقول إنها تكون تكوناً طبيعياً . ومنهم من يقول إنها تكون بفعل إرادى !

وهكذا لا تجد أى اتفاق بين العلماء على تحديد مفهوم للقومية ، يدفع عنها الغموض والإبهام وأحسب أنهم لن يتفقوا .

ولا بأس أن نعطى القارئ مثلا من هذه التعاريف التى تقرب مفهومها من ذهنه . فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١١) فى مقال (القومية) ما يلى :

«القومية ، مفهوم يعتوره بعض الغموض. ولكنه يستعمل فى معناه الدقيق فى الحقوق الدولية للدلالة على حالة ثابتة تعين التبعية فى داخل الأمة أو الدولة . وبمعنى أكثر شمولا ، يستعمل فى المناقشات السياسية والبحوث للدلالة على مجموعة مندمجة ، موحدة ، من الأشخاص الذين يحسون فيما بينهم ، وحدة فى الجنس ، والأرض ، واللغة ، وسواها ... ولو لم يعترف أحياناً بهذه المجموعة بصفتها دولة ، أو وحدة سياسية . وبهذا المعنى الأخير ، أطلقت كلمة قومية فى كثير من الأحيان على شعوب كالإيرلنديين والأرمن والتشيكيين والعرب والسوريين...

إن القومية بهذا المعنى تمثل شعوراً مشتركا ووجداناً عميقاً موحداً ، ورغبة منظمة ، أكثر مما تمثل صفات مميزة ، يمكن حصرها فى تعريف دقيق .

أما التعريف الذى يظن أنه أكثر شهرة من غيره ، وأكثر دوراناً فى المؤلفات .

القانونية ، فذلك هو التعريف الإيطالى للأستاذ باسكال ما نسيني عندما أطلقه فى محاضراته فى جامعة تورينو عام ١٨٥١ وقال فيه .

« الأمة ، مجتمع إنسانى طبيعى ، مؤسس على وحدة الأرض ، والمنابع ، والتقاليد ، واللغة ، المندفعة كلها اندفاعاً حيوياً ، باتحاد كامل ، متفاعل بين الحياة وبين الوعى الاجتماعى » .

وقد شاع هذا التعريف حتى اكتسب وضوحاً أكثر فى المؤلفات القانونية التى صدرت بعده ، فقد جاء فى أحد هذه المؤلفات تعريف القومية كما يلى :

« الأمة ، هى اجتماع سكان مقاطعة واحدة لهم لغة واحدة ، وقوانين واحدة ، وأصول واحدة ، يجمعهم انسجام جسدى ومؤهلات أخلاقية واحدة ، ووحدة فى المصالح ، تفاعلت منذ زمن طويل ، وانصهار الوجود الناتج عن حقب زمانية موغلة فى القدم ، تعود إلى ما قبل التاريخ الجلى ، وبكلمة (قومية) نفهم وجود (الأمة) [١] .

وتكاد تكون هذه التعاريف قريبة من الدستور العلمى فى تعريف القومية أو الأمة .

غير أننا نجد أن النظرية الفرنسية قد اتجهت اتجاها آخر ، وكان الباعث عليه المصالح السياسية والاقتصادية واستقرت على ما يسمونه بنظرية الإرادة أو المشيئة .

فقد قال (أوليفيه) [١] ، إن نظرية القوميات لا ترجع بمبادئها الأولية إلى الإحساس والوجدان . بل إنها تنحصر فى مبدأ اشتراعى فكرى صرف . وهذا المبدأ يقول بأن كل مجتمع من الناس يعرف باسم « شعب » هو شخصية مستقلة ، سيدة ، حرة ؛ تتمتع بحقها الكامل فى التصرف بذاتها ، وتقرير مصيرها ، سواء فى الداخل أم فى الخارج .

أما فى الداخل ، فلها ملء الحرية فى التحالف مع من تشاء ، وبالشروط التى تراها أكثر ملاءمة لها ، بل لها الحق فى الانضمام إلى أى دولة أو الاندماج - إن كانت صغيرة - مع أى جزء آخر ، لدعم كيانها وحماية أراضيها . إن إرادة السكان تنتج عنها ، ولا شك ، تجمعات كبرى ، ولكن ليس ثمة ما يمنع من أن تؤدى هذه الإرادة إلى إنشاء أوطان صغرى ، أو المحافظة على كيانات صغيرة ، على أن تكون قد نمت نمواً طبيعياً ، إن نظرية القوميات تنطبق على هذا المزيج انطباقها على ذاك ، وهى ليست مستحيلة التطبيق على

---

(١) براديه فوديره ، الحقوق السياسية والاقتصاد الاجتماعى .

(١) إميل أوليفيه . الامبراطورية الحرة .

أية حالة قوميةطبيعية ، وفى سياسة القوميات ليس ثمة من حدود طبيعية جغرافية .

فالحدود الحقيقية ، هى إرادة السكان .

أما الحدود الأخرى لجدران سجون وللقوميين الحق فى تحطيمها ساعة شاءوا » !

ولا بأس بأن نضع تحت بصر القارئ عينة من تعريف القومية فى النظرية الألمانية فنجد أن فلاسفة الألمان وعلماءهم يحاولون الدقة العلمية على عادتهم ، ولكنهم يغرقون فى هذه الدقة قال (فخته) عن القومية : « إنها القوة المقدرة المحتومة التى تقود الفرد » ثم أوضح فكرته بتفصيل أكبر فقال :

« إن من ينطق بلغة واحدة ، هو كل ، وحدته الطبيعة الصادقة المحض ، وأوجدت من قبل بين أجزائه روابط عدة غير منظورة ومثل هذا الكل ، لا يمكن أن يتقبل فى وسطه شعباً آخر ، من أصل آخر ، يختلف عنه باللغة فلا يختلط به . ولا يمكن أن يريد الاختلاط به أو الاندماج ، واللغة فى أفضل صفاتها وأسمى درجاتها ، إنما هى اللغة الأم التى تتحد فى جوهرها مع الجنس ، إنها اللغة الألمانية ، اللغة الأصلية غير المستعارة ، إنها ليست كالفرنسية المشتقة من اللاتينية » .

وقد أفرغ القانونيون الألمان هذه النظرية فى كتبهم التى تتناول الدولة فقال (نيوبوهر) :

« إن القومية الموحدة لهى أسمى كثيراً من الوحدة السياسية التى تجمع بين الناس أو تفصل بينهم ، فالقومية تولد فيهم بوساطة اللغة ، والتقاليد ، والتاريخ المشترك ، والعادات والآداب ، أخوة تفصلهم عن الأجناس الغريبة ، وتصور لهم قبح الرابطة التى تجمعهم بشعب ليس شعبهم » (١) .

ولكى تكون الصورة : التى نضعها أمام بصيرة القارئ واضحة أكثر فأكثر عندما يعبر عنها أناس مختلفون ، لابد لنا من تقديم تعريفها فى نظر العالم الشيوعى الاشتراكى قال جوزيف ستالين :

« إن الأمة الحديثة ، جماعة من الناس ثابتة ، ليست عرضية ، تألفت تاريخيا : وهى ذات لغة مشتركة ، وذات أرض مشتركة ، وذات حياة اقتصادية ، وذات تكوين نفسى مشترك يجد له تعبيراً فى الثقافة المشتركة : » .

وإذا عرفت أن هذه التعاريف على شهرتها سواء منها التى ذكرنا والتى ضربنا عنها صفحا لم يطبق واحد منها تماما ، اتضح لك أن الأمم لا تسير بمقتضى هذه التعاريف .

وأوضح مثال لذلك تعريف القومية الذى صاغه قلم ستالين عام ١٩١١ - ١٩١٢ المشار إليه آنفا ، وهو كما ترى يخالف تمام المخالفة ما سارت عليه الأمور فى الاتحاد السوفياتى

[١] هذه هى القومية . أرنولد فان جبايب ورينيه جوهانيه . ترجمة محمد عيتانى . بيروت ١٩٥٣ .

فى عهده إلى اليوم . إذ قامت الدولة السوفيانية على القوميات المختلفة وعلى تعدد اللغات ، واختلاف التاريخ وتقاليد الحياة . ونجد مصداق ذلك فى خطب أقطاب السوفيات .

ففى مناسبة الذكرى الثانية والعشرين للثورة الاشتراكية فى السادس من تشرين الثانى ١٩٤٥ ألقى (مولوتوف) نائب رئيس مجلس مفوضى الشعب للاتحاد السوفياتى خطابا قال فيه :

« إن دولتنا التى تتألف من قوميات عديدة مع اختلاف فى اللغة وتقاليد الحياة والثقافة والتاريخ ، قد أصبحت أمتن اتحادا كما أصبحت الشعوب السوفيانية ، أكثر قربا بعضها من بعض ولم يكن باستطاعة أية دولة ، أخرى متعددة القوميات ، أن تثبت أمام المحن التى واجهتها خلال الحرب » .

مثل هذا التقرير للحقائق الواقعية ، تجده فى إحدى فقرات تقرير ، لقطب آخر من أقطاب السوفيات (ج . م . مالينكوف) نائب رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفياتى ، الذى تلاه فى المؤتمر التاسع عشر للحزب ، المنعقد فى تشرين الأول من عام ١٩٥٢ حيث جاء فيه .

« إن نظام الدولة السوفياتى ، هو نموذج للدولة المتعـــددة القوميات . ولقد كان الكثيرون من أعدائنا والمشنعين علينا فى المعسكر البورجوازى ، لا يكفون عن الترديد بأن الدولة السوفياتية المتعددة القوميات ، هى دولة هزيلة ، وكانوا يبنون أملهم على حدوث انشقاق بين شعوب الاتحاد السوفياتى ويتنبئون للاتحاد السوفياتى بالانهيار الحتمى » .

« إن نظام الدولة السوفياتى الذى انتصر على محن الحرب الفاشستية ، وأصبح للعالم بأسره قدوة ومثالا للتساوى الحقيقى فى الحقوق والوحدة الحقيقية بين الأمم ، يقيم الدليل على انتصار الأفكار اللينينية والستالينية فى المسألة القومية » .

أركان القومية أو عناصرها

يختلف مؤرخو القومية أشد الاختلاف ، حول الأركان التى تقوم عليها فكرة القومية فبعضهم يقول : إن أركانها على التوالى وحسب الأهمية (الجنس أو العرق) ثم (الأرض) ثم (اللغة) ثم (الدين) ثم (الأسر المالكة) ثم (الأبطال وعظماء الرجال) .

وبعضهم يحصر الأمر فى (الجنس والأرض واللغة والدين) مع اختلاف فى الترتيب من حيث الدور والأهمية .

وبعضهم يسقط من حسابه الجنس والدين ويجمع الأمر فى اللغة والأرض والتاريخ والاقتصاد .

وبعضهم يسقط الجنس والدين والأرض ويحتفظ باللغة والتاريخ وشيئا اسمه المصير

والمصلحة ، لتبرير اتجاه معين ، وليس انسياقا مع العلم .

ومع هـذا التباين والاختلاف ، نجد أن الأمر المتفق عليه والذى لا شذوذ معه هو ركن (اللغة) فقد أجمع مؤرخو القومية على أن اللغة هى الركن العلى فى موضوع القومية .

ونحن من جانبنا نرى أن القومية تتبلور حول العناصر الثابتة الأربعة وهى : (اللغة) و (الأرض) و (الدين أو الثقافة) و (التاريخ) وكل ما عدا هذه العناصر ، فهى فروع وتبع وليست أصلا من الأصول الثابتة .

تاريخ القومية فى الغرب

نستطيع أن نقرر استنادا إلى ما نعرفه عن سير التاريخ والحضارات فى العالم إلى حدود عصر النهضة الأوروبية ، أن القوميـة وإن قدر لها أن تولد عرفيا فى أحضان القرن التاسع عشر ، إلا أن أصولها عميقة الجذور فى القدم ، فهى لا ترجع إلى هذا العصر ولا إلى غـيره من العصور ، بل ترجع إلى أول انقسام تخلف عن أول مجموعة بشرية اجتماعية، فاكتسب هـذا الفرع الاجتماعى بعض المميزات . وإن ولادتها عرفيا فى أحضان القرن التاسع عشر ، لا يعنى إلا بروز الذات المشبعة بالأنانية والأثرة بشكل أقوى فى الذهنية السياسية . وهو ما يعبرون عنه بالوعى الاجتماعى الذى يدور حول تلمس الذات السياسية المستقلة للأمة .

فنى أوروبا حيث كان مفهوم الدولة يختلط بمفهوم الأمة ، وكان مفهوم الأمة خليط من القوميات المختلفة ، كان الملك بمعنى المالك لرقاب شعبه ولأرض الدولة ، يتصرف بها تصرف صاحب العقار بعقاره ، فيبيع ويهب ويهدى مقاطعات برمتها لمن شاء من ملوك عصره بما شاء من عوض أو من غير عوض، تبعاً لأهوائه ونزواته، أو تبعاً لتقاليد الإرث وأنظمة الزواج فى بلاطه . فى هذا الوسط ، حيث كان الملوك مصدر السلطة والقانون ، كانت تنتقل المدن والبلاد والسكان من مملكة إلى أخرى ومن حكم ملك إلى حكم ملك آخر، تبعاً لمشيئة الملوك وظروف زواجهم وشروط وراثتهم ، دون مبالاة بمشيئة شعوبهم ؛ لأن الكنيسة كانت تظاهرهم دوماً وتضفى على تصرفاتهم هذه رداء من القدسية الدينية وتخوض الدماء من أجل ذلك .

فى هذا الوسط الذى يجعل حقوق الملوك مقدمة على حقوق الأمم والشعوب ، ظهر صوت أحرار العلماء ينادى العكس تماما ، متأثراً بفكرة حقوق الأمة عند المسلمين . تلك الحقوق التى كانت قد اختمرت فى أذهان الصفوة من علماء أوروبا بفعل ذلك الجوار

الطويل الأمد للحضارة العربية التى كانت تشع بقوة من مراكزها فى جنوب أوروبا ، من أسبانيا العربية المسلمة ومن صقليا ثمانية قرون .

حدثنا التاريخ ، كم من الدماء سفكت فى سبيل القضاء على حقوق الملوك وامتيازات رجال الدين وحواشيهم من الأشراف ، للظفر بحقوق الأمة . وبعد هذا الظفر والتسليم للأمة بأنها مصدر السلطات كافة ، انفسح المجال أمام العلماء للتساؤل ، ولكن ما الأمة ؟

وإذ كانت النزعة العلمية التحليلية قد قويت ، برز للوجود عدد من النظريات وفيها الإجماع والتأكيد على (الوحدة) أى أن الأمة وحدة فى الجنس والعرق والدم . وحدة فى اللغة ، وحدة فى الشعور ، وحدة فى الدين ، وحدة فى العادات والتقاليد ، وحدة فى الأرض الخ .

ومن هذه النظريات التى تفرض فى الأمة الواحدة ، أول ما تفرضه ، التجانس والانسجام ، اعتبرت الفئات غير المنسجمة ، فئات غريبة عن جسم الأمة ، حتى قوى منع أفرادها أن يكون لهم من الحقوق ما للأفراد الآخرين ، بل قبح وجودهم أو الاعتراف بهذا الوجود !

ولما كانت الدول القديمة ، تضم أمماً متعددة ، صارت كل واحدة من هذه الأمم ، تنادى بالانفصال ، ثم تفتش هى بدورها عن أجزائها الضائعة لتؤلف منها أمة منسجمة ، تحكم نفسها بنفسها . فإذا لم تستجب الدولة لهذه الرغبة بالانفصال ، جرى تنفيذه بالقوة ، كما هو الواقع . وهكذا ولدت (القومية) وسمى القرن التاسع عشر ، على هذا الاعتبار (عصر القوميات) .

تاريخ القومية فى الشرق

أما فى الشرق ، وأقصد الشرق الإسلامى ، فقد سارت الأمور فيه على خلاف ما سارت عليه فى الغرب، لاختلاف الأسباب والأوضاع التى انبعثت منها القومية .

ففى هذا الوطن ، لم يكن للملوك حقوق تختلف عن حقوق الأفراد ، كما لم يكن لهم حق التصرف فيما تحت أيديهم من المدن والبلاد والعباد ، مثلما لم تكن لبلاطاتهم تقاليد إرثية أو زواجية خارجة عن القانون العام ، ولا كانوا كذلك مصدر القانون والسلطات - بل كانت الشريعة الإسلامية هى القانون النافذ ، وحقوق الأمة ، هى المحور الذى تدور عليه هذه الشريعة ، ونجد مصداق ذلك فى المبدأ الشهير (التصرف على الرعية منوط بالمصلحة) وهى مصلحة الأمة لا مصلحة الملوك أو مصلحة البلاط . ومعنى الرعية هنا ، ليس كما صوره بعضهم ، بل معناه الأمة الواجب مراعاة مصلحتها ليس إلا .

وعليه فإن الانفصالات التى وقعت لبعض البلاد عن الخلافة وفيها بعض القوميات (إيران مصر. الأندلس. الخ ...) كانت انفصالات سياسية وليست قومية.

وأما انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية، فقد كان هو الانفصال الوحيد الذى قام على أساس القومية، ومع ذلك فقد دفعت إليه دفعاً واضطراراً، أى لم يقع إنشاءاً.

وتوضيح ذلك أن الدولة العثمانية، كانت من الدول القديمة التى تضم أمما متعددة، ذات قوميات مختلفة، تتباين لغاتها، وتقاليدها وعاداتها، ناهيك عن عقائدها، كالعرب والترك، واليونان، والبلغار، والرومان، واليوغوسلاف، والألبان، والأرمن، والشركس، والأكراد و. إلخ ...

وقد استيقظ أول ما استيقظ من هذه القوميات، تلك التى لها عقائد تخالف عقيدة الإسلام، بتأثير الحركات القومية فى الغرب تارة وبتشجيع الدول الأجنبية ودسائسها تارة أخرى، حتى سرت العدوى إلى الأتراك أنفسهم، مع أنهم العنصر الحاكم فى الدولة العثمانية. وكان آخر من استيقظ على دق طبول القومية فى الدولة العثمانية بطبيعة الحال هم العرب؛ لأنهم كانوا أكثر شعوب الدولة تسامحا وفهماً للروابط الدينية مع الأتراك.

من الثابت أن العرب لم يحاولوا الانفصال عن الدولة العثمانية إلا بعد اليأس المرير. فقد استيقظت القومية التركية أولا، ولم يعد من الممكن التفاهم معها؛ لأن الروابط الدينية التى كانت تجمع بين العرب والترك، أخذت تنحل فى نفوس الفئة الموجهة من الترك لتحل محلها الرابطة القومية. وقد تبع ذلك حوادث مؤسفة أكدت أن الرابطة الدينية بين العرب والحكام من الترك لم تعد تجمعهما بل على العكس أصبح فى نظر بعض القوميين الأتراك، أن العرب هم علة تأخر الأتراك بما أعطوهم من مثل وبما منحوهم من عقائد وتقاليد.

ومع ذلك، فإن العرب لما عقدوا مؤتمرهم الأول فى باريس بين ١٧-٢٣ حزيران ١٩١٣ اتجهوا إلى طلب الإصلاح فى الولايات العربية ولم يبحثوا فى الانفصال. وقد ركزوا طلبهم للإصلاح فى منح اللامركزية الإدارية لهذه الولايات واعتبار اللغة العربية لغة رسمية فيها وفى مجلس النواب ولكن دون جدوى.

يقول الأستاذ ساطع الحصرى: لقد اتفق الترك مع العرب على تنفيذ هذه الإصلاحات أولا ولكنهم نكلوا بعدئذ. ثم جاءت الحرب العامة الأولى فنحى العرب فكرة هذه الإصلاحات جانباً، ليتفرغوا لشئون الدفاع عن البلاد، فتجند أبناء العرب

إلى جانب إخوانهم الترك لمقاتلة العدو المشترك. ولكن ظهر فيما بعد أن هؤلاء الترك قد استغلوا ظروف الحرب وبيتوا النية «على الانتقام من زعماء العرب الذين وضعوا ذلك الاتفاق، بغية نسف فكرة تلك الإصلاحات من أساسها (١) ».

ولتحقيق هذه الفكرة وتمهيداً للنوايا الخفية (*) التى كان يضمرها السفاح جمال باشا تذرع بمحاكمة أعضاء المؤتمر محاكمة عرفية، بحجة اتصالهم بالعدو، ثم علقهم على أعواد المشانق.

وهكذا، كانت هذه القافلة أمثال شكرى العسلى وعبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوى والشيخ أحمد طبارة وعبد الغنى العريسى وندره مطران وغيرهم، أول ضحايا القومية العربية.

لا يهمنا تفصيل هذه الوقائع بقدر ما يهمنا مفهوم القومية العربية عند المؤتمرين.

فإذا رجعنا إلى خطبهم فى قاعة المؤتمر وإلى تصريحاتهم للصحف، أدركنا أن الدين ليس من أركان القومية عندهم.

كان مما قاله رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوى إلى مراسل جريدة الطان الفرنسية:

«إن المؤتمر ليس له صفة دينية، وكل أعماله تنحصر فى الدائرة المحدودة له من البحث فى شئوننا الاجتماعية والسياسية. ولذلك ترى عدد أعضائه المسلمين والمسيحيين متساوياً، وعلى كل حال فإن فكرة الاتحاد بين المسلمين والمسيحيين قد ولدت وأيدتها حوادث بيروت الأخيرة».

وكان مما قاله فى الخطاب الذى ألقاه فى المؤتمر:

«إن الرابطة الدينيه عجزت دائماً عن إيجاد الوحدة السياسية. وأنا لا أرجع إلى التاريخ لأبرهن على هذا. بل حسبى ما لدينا الآن من الشواهد الحاضرة. انظر إلى الحكومتين العثمانية والفارسية، كيف لم تقو رابطتهما الدينية على إزالة خلاف بسيط من بينهما، وهو الخلاف المتعلق بالحدود.

«العاطفة الإسلامية لم تقدر مرة من المرات أن تحمل أميراً مسلماً على التنازل عن حقوقه لأمير آخر من المتدينين بدينه، حتى لو كان هذا خليفة».

وقد أراد ندره مطران أن يؤكد أن العصبية الجنسية أقوى من العصبية الدينية، فكان مما قاله فى خطابه فى المؤتمر:

« إذا كانت النعرة الجنسية فضيلة فى النفس،

---

[١] ساطع الحصرى. محاضرات فى نشوء الفكرة القومية، الطبعة الثالثة ص ٢٢٨.

[*] كشفت وثائق وزارة الخارجية السوفياتية بعد الثورة أن جمال باشا خاطب الروس فى استعداده للقضاء على السلطة العثمانية لقاء معاونته بإعلان سوريا مملكة مستقلة ووراثية له ولأولاده من بعده.

فلست أدرى أمة أشد تأثراً بعواملها فى الأمة العربية . لما قدم أبو عبيدة بن الجراح وخالد ابن الوليد بجيوش العرب المسلمين إلى الشام، وجندوا حراساً على أبوابها من الغسانيين ، وهم عرب نصارى، يتقدمهم ملكهم المسيحى جبلة بن الأيهم . إلا أن هؤلاء بدلا من قتال المسلمين والوقوف فى وجوههم ، عطفوا عليهم عطفة الأخ ، فتركوا الجامعة الدينية والرابطة السياسية اللتين كانتا تقضيان عليهم بمساندة الروم . وخطبوا ود وولاء الناطقين بلسانهم من بنى أمتهم العرب، فمهدوا لهم السبل وفتحوا الطرق،ومكنوهم كل التمكين من فتح البلاد . إن لعمرى فيما أبداه نصارى غسان فى العصبية العربية فى هذا الشأن الخطير ، لأعظم شاهد على أن العرب متحمسون بالجنس قبل الدين،وهى فضيلة الشعوب الحية. فضيلة الشعوب التى لا تريد أن تموت » .

ولكى نستقصى مفهوم القومية وأسباب انبعاثها عند أعضاء المؤتمر يجب أن نرجع إلى خطاب عبد الغنى العريسى . فما قاله فى هذا الخطاب المعنون « حقوق العرب فى المملكة العثمانية » :

« الحق فى كل تكوين سياسى قائم على نوعين: حق فرد وحق جماعة . والجماعات كثيرة . وأجلها مكانة جماعات الشعوب . فللشعوب حق غير حق الأفراد » .

هل للعرب حق جماعة ؟ إن الجماعات فى نظر علماء السياسة ، لا تستحق هذا الحق ، إلا إذا جمعت على رأى علماء الألمان : وحدة اللغة ووحدة العنصر ، وعلى رأى علماء الطليان : وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب ساسة الفرنسيس : ، وحدة المطمح السياسى . فإذا نظرنا إلى العرب من هذه الوجوه الثلاثة علمنا أن العرب تجمعهم وحدة لغة ووحدة تاريخ ووحدة عادات ، ووحدة : مطمح سياسى : فحق العرب بعد هذا البيان ، أن يكون لهم على رأى كل علماء السياسة دون استثناء ، حق جماعة ، حق شعب ، حق أمة .

« تتساءلون عن ماهية هذا الحق لجماعة الأمة العربية . فبيانا لهذا الحق أقول : أول حق لجماعة الشعوب ، حق الجنسية » .

« فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية. حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة ، رغما مما كان ينتابنا من حكومة الآستانة من أنواع الاضطهاد ، كالامتصاص السياسى أو التسخير الاستعمارى ، أو الذوبان العنصرى . فكل ما تذرعت به الآستانة من الوسائل ، لم يؤد إلى غير نتيجة واحدة . وهو الحرص على مكانة حق الجماعة وإحياء هذا الحس الشريف النبيل : (حس الجنسية) . فاقتفاء للماضى نقرر مناهضة كل ما يئول إلى إضعاف هذه القومية ، والتذرع بكل ما فيه

حياة لخصائص العرب ومميزات العرب . فنحن كتلة حية ، قائمـــة بذاتها وخاصتها ، لا تدع أية قوة تمس هـذا الركن الركين ... فنصرح فى هذا اليوم بملء الأفواه : أننا خلقنا لأنفسنا ... والبلاد العربية لا تكون بعد اليوم سداً للمطامع الأجنبية وبلاد أخرى .

بعد أن اتضحت اتجاهات الترك للانتقام من زعماء العرب وخاصة أعضاء المؤتمر ، وتأيدت مؤامرتهم على القومية العربية بإعدام أولئك الزعماء فى دمشق وبيروت فى شهر أيار ١٩١٦ . عندئذ أعلن الحسين بن على شريف مكة استقلال البلاد العربية بمنشور أذاعه بعـد أيام (١٠ حزيران ١٩١٦) . وخاض غمار الحرب ضدهم ، مغتراً بوعود بريطانيا المكتوبة ! .

ولما وضعت الحرب العامة الأولى أوزارها اتضحت معالم القومية العربية تمام الوضوح فقامت فى سوريا أول دولة عربيـة حديثة وتوج المؤتمر السورى فيصل الأول ملـكا عليها .

ولـكن الدول التى كسبت الحرب ضد ألمانيا وتركيا وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا استطاعتا بدسائسهما ونفوذهما تنفيذ الاتفاق السرى بينهما المعروف باتفاق (سايكس ـ بيكو) فمنحهما مؤتمر الصلح المنعقد فى باريس نوعا من الحـكم على الأراضى المنسلخة عن الدولة العثمانية أسموه (الانتداب) على البلاد المتخلفة فتم لهما اقتسام هذه البلاد ، فلسطين والعراق لبريطانيا ، وسوريا ولبنان لفرنسا ، وبذلك قضيا على الدولة العربية الفتية ، متخلين عن شرف وعودهم بدعم استقلال البلاد العربية .

وهكذا اضطرت هـذه البلاد أن تـكافح من جديد عدواً جــديدا للفوز بالقومية العربية .

ولما قدر لبعض هـذه البلاد أن تتخلص نهائياً من العدو وتتحرر من سلطة الأجنبى تألقت القومية العربية أيما تألق .

ولما كتب أبناء هذه البلاد بأيديهم قانونهم الأساسى (الدستور) اتضح أن مفهوم القومية العربية فى بعض (١) هذه الدساتير ، يخرج الدين عن أن يكون أحد أركان هذه القومية ، بينما يؤكد دستور (٢) آخر أنه ركن عتيد من أركانها .

نتائج القومية فى الغرب

أوضحنا فى البحث السابق العوامل التى أدت إلى ظهور القومية فى أوروبا . وكان من أبرزها تمتع الملوك بسلطة مطلقة فى التصرف فى أرض الوطن وسكانه بيعاً وشراء وهبة ومقايضة . وكان العامل الثانى فى البروز تأييد

[١] الدستور السورى الصادر فى ٥ أيلول ١٩٥٠ .
[٢] الدستور المصرى .

الكنيسة لهذا التصرف تأييداً كاملا مقرونا بإضفاء الصبغة الإلهية المقدسة عليه، مهما بلغ من فداحة وظلم، دون أن يحسب للشعب أى حساب.

ولهذا كان من أولى نتائج هذا الكفاح الدموى المرير الذى خاضته الشعوب الأوربية فى سبيل الحصول على حقوقها، هو فصل الدين عن الدولة، تخلصاً من طغيان الملوك ووقفاً للمذابح التى كانت تخوضها الكنائس المختلفة بعضها ضد بعض باسم الدين وضد المؤمنين من أتباعها على السواء.

ونترك القلم لتفصيل هذا الأمر إلى الأستاذ هارولد ب. سمث نائب رئيس قسم الديانات فى كلية دوستر بولاية إهايو فى أمريكا حيث يقول:

«عندما سار الغرب فى طريق فصل الدين عن الدولة مستبدلا به القومية، خرج منها بنتائج مختلفة. ففى بعض الأحوال كانت النتيجة تقليل سلطان الدين ووطأته على الحياة الدنيوية المشتركة للأمة. وكانت النتيجة فى حالات أخرى، حماية الأقليات الدينية من ضغط الأغلبية الدينية القوية سياسياً. كذلك كان من آثارها تقدم إطلاق الحرية للمنظمات الدينية، لتصبح وعياً يقظاً فى ضمير المجتمع، دون أن تغرى ذلك الإغراء الخاتل المستتر على إعطاء قدسية إلهية للنظام القائم، وللطبقات المتسلطة التى تكون فى وضع ممتاز. وكانت النتيجة من وجه آخر، أن أبطلت القومية إغراء آخر شبيهاً بالسابق، هو إغراء استعمال السلطة السياسية لفرض دين واحد على جميع أفراد الدولة. وربما كان قول القرآن الكريم: «لا إكراه فى الدين» ذا صلة بهذا الموضوع.

«إنه لو أمكن الإبقاء على الصلة بين الدين والدولة، دون أن يؤدى هذا المعنى إلى محافظة متعصبة تجرح وتبطل أى فكرة أو نظرية جديدة، على أساس أنها معارضة للمبادئ الدينية المصطلح عليها أو للعرف الدينى المألوف؛ ولو أمكن كذلك أن تخلص الصلة بين الدين والدولة من العصبية ومن السياسة الاجتماعية الرجعية؛ لو أمكن هذا كله، لكانت هذه الصلة قوة حقيقية فى المجتمع.

«ومهما يكن من شىء، فالظاهر أن التاريخ يدل على أن كل هذه الأخطار كانت قائمة، حيث كانت الهيئات الدينية تتدخل فى الإدارة السياسية».

نخلص من ذلك لنقول: إن مثل هذه النتائج التى يشير إليها الكاتب المذكور ويعتبرها سارة، كانت خاصة بأوضاع الحياة الداخلية للمجتمع الغربى. أما الوطن الإسلامى فلم يعرف فى داخله تلك الأوضاع المشار إليها، ليكون للقومية نظير تلك النتائج. والآية

الحاجة إلى التدين بالإسلام

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

الإسلام هو دين الوحدة الدينية والسياسية والاجتماعية، كما قلنا في الكلمة السابقة، وهو على هذا دين الفطرة السليمة، ودين العقل والوضوح، ودين الحرية والإخاء والمساواة، إلى آخر الخصائص التي يتميز بها هذا الدين الحنيف من غيره من الأديان الأخرى.

ولكن مع هذا كله، فإن الأمر الجدير بالنظر والتقدير، والذي له أهمية لا يقدر قدرها في النجاح الحق في هذه الحياة، وفي السعادة في الدار الأخرى، هو التدين بالدين والعمل به، لا مجرد الانتساب إليه.

نعم! إن كل دين سماوي فيه هدى ونور؛ فيه هدى للناس فيما يختلفون فيه من أمر العالم وخالقه، والصلة بين الإنسان والله جل شأنه، ومسائل البعث والحساب والجزاء؛ وفيه نور يضيء طريق الحق للسالكين في كل نواحي الحياة، وسواء في ذلك الأفراد والجماعات: صغيرها وكبيرها.

وإذا كان تاريخ الإنسانية بما فيها من أمم وشعوب يثبت هذا الذي نقول، وإذا كانت الأديان السابقة نفسها تثبته بكتبها، فإن القرآن يؤكده في آيات كثيرة. فهو يقول، مثلا، في سورة الأنبياء: «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين».

ويقول في سورة المائدة: «وقفينا على آثارهم (أي آثار الرسل والأنبياء السابقين)

القرآنية التي أثبت الكاتب نصها، تعبر بوضوح عن القانون الذي كان يسود هذا الوطن.

ولهذا فلا ينتظر في البلاد العربية التي يسودها مفهوم هذا القانون، أن تكون للقومية نتائج كالتي حصل عليها المجتمع الغربي.

وأما النتيجة المنتظر حصولها من المناداة بالقومية العربية، فهي تقوية الدفاع عن كيان الأمة العربية ولم شتاتها.

ويستهدف هذا الدفاع بالدرجة الأولى سلامة اللغة العربية والوطن العربي، اللذين أصبحا هدفاً للتدمير والتخريب.

ولا شك أن في سلامة العربية والوطن العربي سلامة الإسلام لا محالة.

محمود الببابيدي

(تتمة البحث في العدد القادم)

بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين » .

إلا أن هذه الكتب المقدسة قد نالها من التحريف والتبديل مالا نرى ضرورة للكلام عنه هنا ، وما أذهب غير قليل من ذلك الهدى والنور والفرقان بين الحق والباطل . ومن ناحية ثانية ، قد نزل كل من التوراة والإنجيل لأناس محدودين فى زمن محدود ، وقد انتهى هذا الزمن ببعثة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم للعالمين كافة .

ولذلك ، لم يكن كل من هذين الدينين ، اليهودية والمسيحية ، من أول الأمر دينا عالميا للناس جميعا فى كل زمان ومكان . ومن ثم ، لم يكن فيهما من التشريعات وأصول الفضائل ومقاييس الأخلاق ما يفى بحاجات الناس جميعا على اختلاف الأمم والعصور .

ومن أجل ذلك كله ، وفضلا عن ضياع وجه الحق فيما جاء به هذان الدينان بفعل الأهواء وتطاول الزمن ، كان لابد من دين جديد يكون خاتم الأديان السماوية ، ويكون لهذا السبب دينا عالميا ، وفيه من التشريعات والنظم ما يناسب البشرية فى كل عصر ، وكان الإسلام هو هذا الدين الذى وفى بذلك كله .

ويكفى هنا أن نشير إلى ماجاء به الإسلام من عقائد واضحة سهلة الفهم والإدراك ، ومن عبادات تنظم صلة العبد بربه على نحو لا عسر فيه ولا حرج ، وأصول محكمة عادلة تقوم عليها المعاملات بين الناس ؛ فلا يبغى بعضهم على بعض ، وأخلاق ينبغى أن يأخذ بها الأفراد والجماعات أنفسهم ، ونظم ينبغى أن تحكم شئون السلم والحرب وسائر العلاقات الدولية ، إلى آخر ما نعرف مما جاء به الإسلام فى هذه النواحى وغيرها مما لابد منه لصلاح الفرد والمجتمع فى كل زمان ومكان .

* * *

هذا ، وقد كان لهذه العقائد والأصول والمبادئ الإنسانية التى قام الإسلام عليها ، وكان لما قام عليه هذا الدين من المساواة والعدالة والإحسان ، كان لذلك أثر بالغ فى سرعة انتشاره ، وحسن تقبل الناس له فى أقطار العالم المختلفة ، كما كان ذلك من العوامل الحاسمة ، والأسباب القوية ، فيما أدركه الإسلام والعرب من عز ومجد وسلطان سعد به العالم الذى عاش تحت لوائه .

وإذا كان لا بد من شهادة غير المسلمين لهذا الذى نقرره ونؤكده ، فإننا نكتفى هنا بشهادة واحدة أداها « تايلور » المؤرخ الإنجليزى إذ يقول(١) :

(١) راجع كتاب الدعوة إلى الإسلام ، للسير توماس أرنولد ، الترجمة العربية ص ٦٧ .

كان الناس فى الواقع مشركين ، يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة ؛ كما كانت الطبقات العليا متخمة يشيع فيها الفساد ، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب ، ولم يكن للعبيد ومن فى مستواهم أمل فى حاضرهم ولا مستقبلهم ، فأزال الإسلام ، بعون من الله هذا كله ، كما أزال هذه المجموعات من الفساد والخرافات .

لقد كان الإسلام حقا ثورة على المجادلة الجوفاء فى العقيدة ، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبنة باعتبارها رأس التقوى ، وقد بين أصول الدين التى تقول بوحدانية الله وجلاله وعظمته ، وأن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الإيمان به والامتثال لأمره وتفويض الأمور إليه .

وأعلن أن المرء مسئول عما يعمل ، وأن هناك حياة أخرى ويوما للحساب ، وأعد للأشرار عذابا أليما ، وفرض الصلاة والزكاة وفعل الخير ، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الدينى ، والنزعات الأخلاقيه الضارة ، وسفسطة المتنازعين فى الدين .

وأحل الشجاعة محل الرهبنة ، ومنح العبد رجاء ، والإنسانية إخاء ، ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية التى تقوم عليها الطبيعة البشرية .

* * *

وما أشبه اليوم بالأمس ، والليلة بالبارحة إن الانسانية ، مثلها مثل الفرد ، قد تصاب فى سيرها بالأمراض التى تبرأ من بعضها أحيانا وتنتكس أحيانا أخرى ، وقد يعمى عليها الواقع فتحسب أن بعض أعراض المرض هى مظاهر العافية وأمارات تبشر بعودة الصحة والقوة .

ومن ثم ، فهى لا تكاد تعرف المرض الذى استحكم فيها وهى ـ لذلك طبعا ـ لا تبحث عن العلاج الناجع له ، ولهذا تمكن له من نفسها وهى لا تدرى حتى يوشك أن يقضى عليها ، ونعتقد أن ذلك هو ما نحن فيه فى هذا العصر .

وفى الحق ، ماذا ترى فى العالم الغربى ، على اختلاف شعوبه وأممه ودوله ، وقد خرج من حضانة الأديان السماوية وتنكر لها وتحرر من قواعد العدل والإنصاف والأخلاق ، هذه القواعد التى يجب أن تقوم عليها الأفراد والأمم والشعوب والدول .

نرى القوم فى ذلك العالم الغربى ، فى أوربا وأمريكا ، قد استبدلوا بعبادة الله الواحد الأحد ، عبادة آلهة شتى ترجع فى مجموعها إلى المادة والقوة فى مختلف ضروبها ، ونرى تحللا مما عرفته الإنسانية من مقدسات فى ناحية العقيدة والأخلاق .

وترى حياة مادية خالية من المعانى الروحية النبيلة السامية ، وطغاة يسوقون الأمم والشعوب إلى حروب فاتكة تقوم على تسخير العلم فى سبيل الطغيان والاستبداد . كما تقوم على أشد ما عرفته البشرية من آلات التدمير ؛ وشعوباً حائرة لا تدرى غايتها من هذه الحروب ، ولا مصائرها التى تنتهى إليها .

لقد تقدمت العلوم بلا ريب بفضل الغرب وحضارته ، ولكن هذه الحضارة التى علمتنا كيف نسبح فى الماء بالغواصات الجبارة ، وكيف نطير فى الهواء وفوق السحاب بفضل الطائرات القوية العملاقة ، عجزت حتى اليوم عن تعليم ناسها وشعوبها كيف يسيرون على الأرض فى طريق الخير بغير عوج أو التواء أو تعثر ! .

إنهم اليوم فى حيرة بالغة ، وقلق واضطراب شاملين ، وكل ذلك يأخذ عليهم عقولهم وقلوبهم . وأصبح الضمير هناك لا يطمئن إلى عقيدة أو مبدأ أو نظام ، فلم يعد يجد اليقين الذى يفىء إلى ظله فى جو من الهدوء والراحة والاستقرار .

وإن الغرب بما فيه الولايات المتحدة الأمريكية ، يملك من القوى المادية والعلمية ما قد يستطيع به أن يسيطر على الشرق ، وهذا ما لا ريب فيه ؛ وإن شعوبه وأممه ودوله لتنتج كثيراً وتربح كثيراً ، وهذا أيضا لا ريب فيه ، ولكن هذه الأمم والشعوب والدول لا تجد إلى الأمن والاستقرار سبيلا ، فهم يلهثون ويلهثون وفى شقاء دائم مقيم .

فهم منقسمون على أنفسهم إلى معسكرات مختلفة متعارضة ، وبعضهم لبعض عدو يتربص به الدوائر . وإنهم مع هذا وذاك ، صاروا عبيدا للآلات التى صنعوها بأيديهم ، ومسخرين للعلوم التى كشفوها وظنوا أنها وسيلة الهناء والسعادة ، فإذا بها وسيلة التدمير والهلاك !

ذلك ، بأنهم تركوا الدين وتعاليمه وراءهم ظهرياً ، وجعلوا أخلاقهم وعلاقاتهم وليدة المجتمع الشره الظالم الذى خلقوه وأصبحوا يعيشون فيه ولا يستطيعون عنه حولا ، وهذا بدل أن تكون هذه الأخلاق والعلاقات نابعة من الدين الذى أنزله الحكيم العليم بالنفوس وما يصلحها ، وما يجلب الهناءة والسعادة لها .

* * *

وليست الحال فى الشرق والبلاد العربية بأحسن منها كثيراً فى الغرب وأمريكا ، فقد انحرف الكثير منا عن الدين فى غير قليل من شئون الحياة ، والأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى حديث طويل أو تدليل ، فهو

ملموس مشاهد وأمر واقع ، ومرجع هذا إلى أننا قد فتنتنا المدنية الغربية زمنا طويلا .

ونحمد الله هذه الأيام أن برئنا من هذا الداء الذى كان عضالا ، وأن تيقظ العرب وفطنوا إلى أنفسهم ، وعرفوا ما يملكون من تراث روحى عظيم ، وقوى معنوية ومادية حرية بأن تجعلنا حقا خير أمة أخرجت إلى الناس ، وبأن تعيدنا إلى مقام الصدارة والتوجيه كما كنا فى ذلك الزمن المجيد .

ولكن مهما طوينا الحديث فى هذه الناحية فإننا نشير إلى أمر جدير بالملاحظة والتدبر ، ولعل فى ذلك عظة وتذكرة لقوم يعقلون .

والأمر أنه لا يزال فى البــلاد العربية الإسلامية من يعتبر المحافظة على ما جاء به الإسلام من شريعة وآداب رجعية ليس من العقل أن نعود إليها ، بل لا يزال فى بعض هذه البلاد أحكام من الجاهلية الأولى ، ولها قداستها وسيطرتها على الآخذين بها ؛ كأن الإسلام لم يقرع آذانهم ، ولم يمس قلوبهم وعقولهم .

فقد ظهر منذ سنوات بحث قيم موجز للدكتور عبد الجليل الطاهر ، وقد ألقاه على طلاب قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بمعهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية ، واسم هذا البحث هو : « البدو والعشائر فى البلاد العربية » .

ومن هذا البحث تطالعنا حقائق واقعة تحزن قلب المسلم العامر قلبه بهذا الدين وشريعته ، ويكفينا أن نشير إلى بعض هذه الحقائق الواقعة المؤلمة وكلها تتعلق بالأعراض والدماء التى لها خطرها فى التشريع الإسلامى .

١ — من المعروف أن عقوبة القتل العمد ، الإعدام قصاصا ، وأن عقوبة القتل الخطأ ، دفع الدية ، وأن هذه الدية لا تختلف فى مقدارها باختلاف الأشخاص فى المنزلة ، فإن الإسلام قد سوى بين الناس جميعا فى الحقوق والواجبات والتبعات .

ولكن الأمر فى بعض القبائل والعشائر فى العراق مثلا جد مختلف ، بل مناقض لحكم الله ورسوله فى هذا الأمر الخطير. فإن عقوبة القاتل عمدا ومع سبق الإصرار نفيه عن حدود العشيرة سبع سنوات ، وإعطاء أرضه لأهل القتيل يستغلونها هذه المدة . وإذا كان القاتل من عشيرة غير عشيرة القتيل ، كانت العقوبة ـ ولا تنس أن القتل هنا كان عمدا أيضا ـ دفع الدية دون إمهال .

وهذه الدية يختلف قدرها من قبيلة إلى أخرى ، كما لا تدفع كلها لأهل القتيل ؛ بل يدفع لهم الثلثان فقط ، والباقى يوزع بين الأقارب إلى الدرجة الخامسة فى القرابة ، أو إلى الظهر الخامس حسب تعبير الكاتب نفسه، كما أن الدية تتضاعف فيما يخص الرؤساء.

٢ ـ وهناك عقوبات خاصة بحالات إهانة العرض أو انتهاكه ، وهي عقوبات تعارفوها مع معارضتها تماما للإسلام . مثلا ، إن وقع اعتداء على امرأة متزوجة كانت العقوبة أن يدفع المعتدى امرأة لأهلها ، أو عشر ليرات حسب العرف الجارى .

ولو اغتصب رجل نهارا امرأة ، كان من حق قبيلتها أن تقتل الغاصب أو أحد أقاربه حتى الجد الخامس ، وأن تستحل أموالهم مدة ثلاثة أيام .

٣ ـ إذا خطف شاب فتاة ليتزوجها وظفر به أهلها وقتلوه ذهب دمه هدرا . وإن كانت متزوجة ، حق لأهلها قتلها وقتل الخاطف أيضا إن ظفروا به ، فإن لم يظفروا بهما ، أو احتميا بقبيلة ذات جاه ومنعة ، كان على أهل الخاطف بمقتضى العرف العشائرى أن يؤدوا إلى أهل المرأة ثمانى نساء قد يستعاض عن بعضهن بالدية .

٤ ـ ولابن العم حقوق على ابنة عمه من آثار الجاهلية الأولى حقا ، ومنها أنها عند ما تولد تكون زوجة له (لعله يريد تعتبر أنها ستكون زوجة له) ، إلا إذا تنازل عنها فتستطيع فى هذه الحالة أن تتزوج بمن تشاء ، وفى هذه الحالة لابد من موافقته قبل الإقدام على زواجها .

ومن هذه الحقوق أيضا ، أن له الحق فى قتلها إذا أرادت الزواج من غيره دون إذنه وموافقته ، ثم لا يكون مطالبا بدفع الدية أو بديل منها .

هذه بعض الأحكام والقواعد التى تسير عليها قبائل فى بلاد عربية إسلامية ، ولعلنا لا نعدو الواقع إذا قلنا : إن لهذه الأحكام والقواعد الجاهلية ما يشبهها فى أقاليم وبلاد أخرى من الوطن العربى الإسلامى .

وبعد : إن لنا من هذا ، ومن نواح عديدة أخرى ، أن نقرر حقا بأن العالم اليوم فى حاجة ماسة إلى الإسلام لا بكل مقوماته ؛ نعنى عقيدته ، وشريعته ، وأخلاقه وآدابه ، وتقاليده الصالحة .

ولا حل لما نحن فيه إلا بالعودة حقا إلى هذا الدين الذى به خرج العالم فيما مضى من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ، والله يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

رئيس وأستاذ قسم الشريعة الإسلامية

بحقوق عين شمس

من هدى الكتاب العزيز

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

للأستاذ الشيخ محمد عرفه

— ٢ —

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

يقول يأيها الذين آمنوا خافوا الله حق خوفه وراقبوه بفعل ما أمر واجتناب ما نهى وتقوى الله حق تقواه أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى . « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » مذعنون مخلصون لربكم أي داوموا على الإسلام حتى إذا جاءكم الموت جاءكم وأنتم مسلمون فإن قيل كيف أمر بتقوى الله حق تقواه وهذا أمر لا يقدرون عليه وهو من قبيل التكليف بما لا يطاق؟ قيل إن ذلك نسخ بقوله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » وروى ذلك عن سعيد بن جبير قال إنها لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تخفيفا عنهم « فاتقوا الله ما استطعتم » .

والظاهر أنه لا نسخ وأن التكاليف كلها مأخوذ فيها شرط القدرة والاستطاعة، فالمعنى اتقوا الله حق تقاته فيما تستطيعون .

وروى عن ابن عباس ما يفهم منه عدم النسخ فقد فسرها بأن يجاهدوا في الله حق جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . فهي بمعنى الآيات التي جاءت بهذه الأمور الثلاثة ولم يقل أحد بنسخها .

« واعتصموا بحبل الله جميعا » وتعلقوا بأسباب الله جميعها ، يريد بذلك وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق.

والحبل هو السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة ، ولذلك سمى الأمان حبلا لأنه سبب يوصل إلى زوال الخوف والنجاة من الفزع والذعر .

ومنه قول أعشى بني ثعلبة :ـ

وإذا تجاوزها حبال قبيلة
أخذت من الأخرى إليك حبالها

ومنه قول الله « إلا بحبل من الله وحبل من الناس» .

واختلف العلماء فى المراد من الحبل فقال بعضهم القرآن والعهد الذى عهد فيه ، قال قتادة : حبل الله المتين الذى أمر أن يعتصم به هو القرآن ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (عليكم بكتاب الله فإن فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من يدعه من جبار قصمه الله ، ومن يبتغ الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وأمره الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لما سمعه الجن لم يتناهوا أن قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد » هو الذى لا تختلف به الألسنة ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه) .

وقيل هو الإسلام وقيل هو الجماعة . والظاهر أن المراد به القرآن أو الإسلام ، وهما عاصمان للمسلم من الشرور والآثام والفرقة والانقسام .

يروى أن أبا بكر مات وخالد بن الوليد قائد جيش المسلمين فى حرب الروم ، فلما تولى عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد وولى أبا عبيدة وأرسل إلى خالد بذلك فقال : الحمد لله الذى أمات أبا بكر وكان أحب إلينا من عمر ، واستخلف عمر وكان أبغض إلينا من أبى بكر وألزمنا طاعته ، ثم تنحى عن قيادة الجيش ، وحارب جنديا مع المقاتلين ، فهذا هو الإسلام عصم خالدا من الفرقة وانقسام الكلمة ، فإذا أخذ المسلمون به عصمهم كذلك ، وكما هو عاصم من الفرقة والانقسام عاصم من الفحشاء والمنكر ، وعاصم من غضب الله ومن ناره وعقوبته ، ومن البلاء والفتن التى تصيب الناس بذنوبهم .

والقرآن هو قانون الله الذى ضمن أوامره ونواهيه ، فإذا مس المسلم طائف من الشيطان تذكر أمر الله ونهيه فعصمه ، فكلا الإسلام والقرآن عاصم ، فصح أن يقال اعتصموا بحبل الله الذى هو الإسلام ، واعتصموا بحبل الله الذى هو القرآن .

ولا تفرقوا كما كنتم متفرقين فى الجاهلية ، يعادى بعضكم بعضا ويحاربه ، وإدراك ذلك يكون بالامتناع عما يكون عنه التفرق وترك ما يصدع الوحدة ويزيل الاجتماع والألفة . نهى الله عن التفرق ، لما فى التفرق من زوال الوحدة ، والوحدة هى القوة . والقوة هى الغلب والامتناع . والحق بحاجة إلى قوة تذب عنه وعن أهله ، ليسلم لهم حقهم وليستطيعوا نشره فى العالمين .

وقد قال الشاعر ينصح بنيه عند الموت .

كونوا جميعاً يابنى إذا اعترى
خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً
وإذا انفردن تكسرت أفراداً

وخير ما يديم الوحدة بين المسلمين هو المحبة ، وخير ما يحقق المحبة هو العدل ، وشر ما يفرق الناس هو البغض ، وشر ما يجلب البغض هو الظلم والجور، وقد أوصى الإسلام بالتحاب والعدل والرحمة، ونهى عن التباغض والتظالم بعد أن وحد المسلمين وجمعهم على عبادة إله واحد ، ووحد مشاعرهم وعقائدهم ومثلهم العليا ، ونهى عن العصبيات المفرقة وجعل لهم عصبية واحدة ، هى الإسلام وأن يستظل المسلمون جميعاً بظله ويقفون تحت رايته الخفاقة . فإن قيل :

إذا كان الإسلام كما ذكرت فما الذى جعل المسلمين أحزابا متعادية أو شيعا متفرقة ، فهذا سنى وهذا شيعى ، وهـذا معتزلى وهذا خارجى . الخ ؟ .

وما الذى جعلهم يتعادون حتى على الأمور السياسية ؟ ومالهم وهم محبوسون فى المصيدة ، يتعادون ويتنازعون ، وقد تركوا عدوهم المشترك الذى لا يريد منهم إلا أخذ أرضهم وطردهم منها يتشردون تحت كل سماء ، وفوق كل أرض كما فعل بإخوانهم فى فلسطين ؟.

إن من طاردتهم الذئاب والسباع والحيات والأفاعى لا يحسن بهم أن يلهو عن ذلك كله ، ويشغلوا بنزاعهم الداخلى عن الخطر المحدق بهم ؟ .

قلنا إن علماء الإسلام من القديم إلى الآن قد قصروا فى حق الوحدة الإسلامية وأخوة الإسلام والتعاون الإسلامى فلم يبحثوها بحثا مستقصى ويبينوا أسبابها وموجباتها ، وما الموانع التى تحول دونها ، وما الدور العظيم الذى قامت به فى التاريخ ، وما حيل الأعداء فى تشتيت الوحدة وقطع المحبة وبث الإحن والأضغان ، قصروا فى ذلك وقصروا فى أن يقيموا بجمعا مهمته أن يبث المحبة ويحافظ على الوحدة ، إنهم شغلوا بالطهارة ونواقض الوضوء وموجبات الغسل فأعطوها من العناية ما لم يعطوه لجمع كلمة المسلمين وبث المحبة بينهم ، كأن الأخوة الإسلامية أقل شأنا من نواقض الوضوء وموجبات الغسل ، مع أن الأخوة الإسـلامية فيها عزهم ونصرهم وبقاؤهم .

كنا نريد أن تفرد بالتأليف وتسلط عليها الأضواء ويدعى لها حتى يعلم المسلمون شأنهم ، ويكونوا على بينة من أمرهم وتدرس فى جميع معاهد التعليم .

ولعلنا نقوم ببعض هـذا الواجب ويكمل العلماء ما بدأناه وبحسبنا أن نبدأ وبحسبنا أن ننبه .

« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبـكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

ذكرنا الرواية التى تقول إن هذه الآيات نزلت فى الأوس والخزرج ، لما كاد اليهود يوقدون بينهم نار الحرب بعد أن أطفأها الله بالإسلام ، فيكون معنى الآية : واذكروا أيها المؤمنون من الأوس والخزرج نعمة الله عليكم ؛ إذ كنتم أعداء فى جاهليتكم ، لكم أيام مشهورة ينال فيها بعضكم من بعض ، فتكون بينكم تراتا ودماء . تورثكم أحقادا وأضغانا . فجاء الإسلام فغسل صدوركم من الغل ، وطهر قلوبكم من الحقد ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا ، بينكم من المحبة والألفة ما بين الأخوة من النسب .

والرواية التى ستأتى عن قتادة تفيد أنها ليست فى الأوس والخزرج خاصة بل هى عامة ، وعلى ذلك يكون المعنى : واذكروا يأيها الذين آمنوا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فى جاهليتكم ، تقوم الحرب بين القبيلة والقبيلة ، فتمكث ماشاء الله من السنين . فألف بين قلوبكم بالإسلام فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وتكون الآيات نزلت فى تحذير المسلمين ؛ أن يختلهم الذين أوتوا الكتاب عن دينهم ، بمجادلتهم فيه وإلقاء الشبه إليهم فإن أطاعوهم كفروا . وقد طلبت الآيات تقوى الله حق تقاته ؛ ليستعينوا على الثبات على دينهم ، ثم قالت : لهم إن هذا الدين أنفس ما حزتموه ، وأجل ما منحتموه ، فقد حولكم من أعداء إلى إخوان تغلبون ولا تغلبون ، وتنالون ولا ينال منكم . وشىء هذا شأنه يجب أن يكون أعز شىء لديكم ؛ بمنزلة ما كونكم أمة وحافظ على وجودكم وبقائكم .

« وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » شفا الحفرة حرفها ، ويقال أيضا شفة والمعنى أنهم لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا فى النار هكذا قال المفسرون وهذا تقصير بالآية .

والظاهر أن المراد بالحفرة التى كانوا على وشك أن يتردوا فيها : المصير الذى كان ينتظرهم فى الدنيا والآخرة ؛ لما كانوا عليه من البغضاء والتفرق ، وذلك يؤدى إلى حربهم وتفانيهم وذلهم لأعدائهم . وما كانوا عليه من ظلم وفساد وجهل بالله وذلك يؤدى إلى عذاب الله .

فشبهت حالهم لذلك بحال من هم على حرف حفرة يوشكون أن يتردوا فيها ، فجاء منقذ فأخذ بحجزهم وحال بينهم وبين التردى فى الهاوية ، فهو تمثيل ولا يخفى ما فيه من جمال إذ عرض هذه الصور المحسة من الحفرة والنار وقوم على حرفها يشفق المشفق أن يتردوا فيها ؛ والنفس تأنس بالمحسات ؛ لأنها ألفتها فى أول وجودها وإذ عرض ذلك بطريق التشبيه المطابق والنفس تلتذ بالتشبيه والمحاكاة ، وبمطابقة التشبيه وجودته ، ولاسيما إذا كان تشبيه قصة بقصة فى مغزاها ، والمغزى هنا إنجاء محقق بعد توقع هلاك كان محققاً ،

وهو فى المثل أظهر ؛ لأنه فى أمر حسى ، ومن يشك فى توقع هلاك قوم كانوا على شفا حفرة من النار ، وأن من أخذ بحجزهم ومنعهم من التردى قد نجاهم ؟ وفى المشبه أخفى وهو حال العرب من جهل وبغضاء كادت ترديهم ، وحالهم بعد الإسلام من محبة واجتماع قد نجتهم، وتشبيه الأخفى بالأظهر يكسبه ظهوراً ، ويعد النفس للاقتناع به . وهذه اللذة العقلية تعدها أيضا للاقتناع، «كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون» ، كهذا البيان المقنع البليغ يبين الله لكم آياته إرادة أن تزدادوا هدى .

يذكر الله المسلمين بنعمه عليهم إذ ألف بين قلوبهم ، وآخى بينهم بعد العداوة والبغضاء ، وكأن الله يذكرهم بنعمته هذه ، نعمة المحبة بعد العداوة ، ونعمة تأليف القلوب بعد تنافرها واختلافها ، يذكرهم بعزهم بعد ذلهم ، وبغناهم بعد فقرهم ، وبسيادتهم على الأمم بعد أن كانوا مسودين ، وبقيادتهم بعد أن كانوا مقودين . يذكرهم بالبعث الروحى: بعثهم بعد أن طالت عليهم الغفلة وطال عليهم الندم ، نعم هذا كله جاءهم بعد أن تألفت قلوبهم ، وتصافت نفوسهم ؛ بفضل الإسلام : هذا الدين الجديد . وكان من أنزل فيهم القرآن أعرف الناس بقيمة نعمة تأليف القلوب بعد تفرقها ، وجعلهم إخوانا متحابين بعد أن كانوا أعداء متباغضين . وما تبع ذلك من عزهم وقوتهم ؛ لأنهم أدركوا العصرين : عصر الجاهلية وعصر الإسلام ، وعلموا ما فى التفرق من الذلة وما فى البغضاء من القلة ، ثم ما فى الأخوة الإسلامية من الاتحاد والتعاون ، وما فى الاتحاد والتعاون من القوة والمنعة ، والدفاع عن البيضة ورد الأعداء الطامعين . كذلك من كانوا على مقربة من عهد الجاهلية كالتابعين .

روى ابن جرير الطبرى بسنده عن قتادة فى تفسير قوله «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته» .

(كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا ، وأبينه ضلالة وأعراه جلودا وأجوعه بطونا ، على رأس حجر بين الأسدين : فارس والروم ، لا والله ما فى بلادهم يومئذ من شىء يحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات ردى فى النار ، يؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبيلا يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظا وأدق شأنا منهم ، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ؛ فورثكم به الكتاب وأحل لكم به دار الجهاد ، ووضع لكم به من الرزق ، وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا نعمه فإن ربكم منعم يحب الشاكرين وإن أهل الشكر فى مزيد الله ، فتعالى ربنا وتبارك . اهـ) .

رب إن هذه الأمة التي ذكرتها بنعمتك عليها إذ ألفت بين قلوبهم بعد العداوة والبغضاء، وجمعتهم بعد الفرقة والشقاق، فأصبحوا إخوانا متحابين بعد أن كانوا قوما متباغضين، وأصبحوا جميعاً بعد أن كانوا متفرقين، قد عادوا إلى سابق أمرهم وما كانوا عليه في جاهليتهم: فرقة وتباعد، وحزبية وانقسام، وعداوة وشحناء، وشنآن وبغضاء، وإن الأمم الأخرى تذكي بينهم نار العداوة كلما أطفأها المصلحون وأولو الرأي عادوا فأوقدوها! رب إنا نلتمس عونك ونرجو أن تعصمها من الفرقة والتباعد، والحقد والتباغض!.

رب إنه وهي بنيانها، وضعف سلطانها، وانهارت أركانها. وإن هذا الانقسام والتفرق، والعداوة والشنآن يزيدها ضعفا على ضعف، ووهنا على وهن. وإن الأمم تداعى عليها، تداعي الأكلة إلى قصعتها فاقتسموها أشلاء وتوزعوها فرقا، وما لها إلا أن تتوحد وتلم شعثها، وترأب صدعها وتتحاب فيما بينها، فتعود إليها قوتها ويرجع إليها مجدها، وترد عنها أيدي الطامعين وغارة المغيرين، ولكن من لها بأن تعلم ذلك ثم بأن تفعله؟؟

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

«الرجل وعشيرته»

في نهج البلاغة: إنه لا يستغني الرجل - وإن كان ذا مال - عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه، وألمهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلة. ولسان الصدق يجعله الله للمرء خير من المال يورثه.

ألا، لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه.

ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة. وتقبض منهم عنه أيد كثيرة. ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة.

موقف الأديب من اللغة

للدكتور تمّام حسّان

المعروف أن النفس الإنسانية أبعد شيء عن الاطراد والخضوع للقواعد ، وأن هذه النفس تتكيف بكيفيات لا تلتقي أولاها بأخراها ، وأن هذه الكيفيات أو الاتجاهات النفسية نتيجة لعوامل متشابكة من التربية والبيئة . فالإنسان عرضة للمؤثرات التي تؤثر في تكوينه النفسي وهو جنين في بطن أمه ، ثم بعد أن يولد ، وفي عهد الطفولة ، والمراهقة والشباب ، والرجولة ؛ فلا يزال ما يصادفه في حياته ينعكس على تركيبه النفسي حتى آخر لحظة من حياته .

وما دام الإنسان يحيا في مجتمع فلن يستطيع الهرب من التعرض للتجارب المختلفة : ما يسر منها وما يسوء . وإذا كان لنا أن نستخدم اصطلاحات السلوكيين من علماء النفس فإن هذه التجارب التي يمر بها الإنسان تعتبر مثيرات يتطلب كل منها استجابة معينة ، ولكن عدم اطراد النفس الإنسانية ، وعدم خضوعها للقواعد يجعل المثير الواحد بعينه يثير استجابة ما عند امرئ ، واستجابة أخرى تخالفها عند شخص آخر ، واستجابة ثالثة عند ثالث . فالإهانة يسمعها المرء موجهة إليه قد تدفعه إلى مهاجمة من أهانه إن كان هو شابا قوى العضلات عدوانى الطبع ، وقد تدفعه إلى البكاء إن كان ضعيفاً مستخذيا ، وقد تدفعه إلى إهانة مثلها يردها بها يجعلها سوقية مسفة إن كان سليط اللسان ساقط الهمة ، وقد تدفعه إلى اصطناع الحلم وافتعال الإغضاء إن كان رجلا واسع الحيلة حسن التأتى ؛ ولكنه إذا كان ذا نفس فنانة متمرسة بالأدب فزع إلى قلمه وورقه ، فكتب قصيدة فى الهجاء ، أو فى الفخر ، أو فى التباهى بالحلم .

يمكن بهذه النظرة أن نفهم طبيعة العمل الأدبى من الناحية النفسية ؛ فالعمل الأدبى الأصيل نتيجة انفعال نفسى معين ، أو استجابة لهذا الانفعال الذى سميناه من قبل مثيراً ؛ غير أننا نلاحظ أن هذا العمل الأدبى يختلف فى طبيعته عن الاستجابات الأخرى التى قد يثيرها نفس المثير . فالانفعالات المختلفة تمتاز بطابع رد الفعل من السرعة والاقتضاب ، وهذا ما نلحظه فيما أشرنا إليه من ردود مختلفة على الإهانة : كالمهاجمة ، أو البكاء ، أو الإهانة المماثلة . أما العمل الأدبى فطابعه التريث ، والتعمد ، واستدامة الحالة الانفعالية

المعينة التي في النفس طول المدة اللازمة لإنتاج النص . وإنما يتفاضل الأدباء بمقدار ما يستطيعون استدامة هذه الحالة الانفعالية ، أو بعبارة أخرى من لغة السلوكيين ، بمقدار إطالة مدة الإثارة . وإن القدرة على إطالة مدة الإثارة في نفس الأديب لتعتبر ناحية من ناحيتي تكوينه الفني اللتين لا يمكن أن ينجح بدونهما ، أما الناحية الأخرى فهي قدرته على استعمال اللغة استعمالا يجتمع له فيه الصواب والجمال .

ويظن البعض أن الإبداع الأدبي حين يتصل بشكل الأدب وموضوعه إنما يتصل بهما دون قيد ولا شرط ، وأن الأديب بحكم كونه مبدعا يتمتع بحرية الخلق والابتكار ، وأن العلاقة بين الأديب وبين مجتمعه هي علاقة الفاعلية المطلقة بالقابلية المطلقة ؛ فالأديب يستوحي ويبدع ، والمجتمع يتلقى ويستمتع ؛ وما دامت اللغة وسيلة التعبير عن هذا الوحي الأدبي فقد خيل لقوم أن الإبداع يمس لغة الأديب كذلك . ولست أرى شيئا أبعد عن الحق من هذا الزعم ؛ لأن للتعبير الأدبي مطلبين إذا لم يتحققا له في النص فقد صفة الأدب ، وانحط إلى المستوى السوقي وأصبح من الذوق الفني بمكان الشمال من الجنوب . ذانك المطلبان هما الصواب ، والجمال . وسنحاول هنا أن نبين موقف الأديب من صواب النص ، وموقفه كذلك من جمال النص.

وحين نذكر الصواب تتذكر العرف ، والمعايير ؛ لأن فكرة الصواب والخطأ نفسها توحي بمعيار تكون مطابقته هي الصواب ، ومخالفته هي الخطأ . فإذا علمنا أن اللغة مجموعة من الأجهزة التي صنعها المجتمع وتعارف عليها ، وأن أصوات اللغة تنتظم في جهاز صوتي ، وأن صيغها تنتظم في جهاز صرفي ، وأن أبوابها تنتظم في جهاز نحوي ، وهلم جرا .. ، وإذا علمنا أن كل جهاز من هذه الأجهزة قد حدده العرف تحديداً دقيقاً ، ورصد له من وسائل المحافظة عليه مالا يمكن الاستهانة به ، وإذا علمنا أن المجتمع نفسه غيور أشد الغيرة على هذه المعايير العرفية ، أدركنا أن الأديب ليس له من الحرية ، في الإبداع اللغوي ما يحلو لبعض الناس أن ينسبه إليه ، وأن التعبير الأدبي محكوم بعرفية الصيغة ، وعرفية الكلمة ، وعرفية التركيب ، وعرفية الإيقاع ، والعرفية البيانية ، ثم هو محكوم فوق كل أولئك بعرفية المسالك الأدبية . وسنتناول ذلك على الترتيب .

إن اللغة العربية قد حددت لنفسها صيغا صرفية معينة سنها العرف ، فكانت هذه الصيغ قوالب تضغط الكلمات فيها ، وتتخذ لنفسها مظهراً عربياً يناسب إيقاع النطق العربي ، ولا يبدو غريبا على الأذن العربية حين تسمعه .

والأديب ملزم بمراعاة عرفية هذه الصيغ فى الكلمات ذات الاشتقاق العربى ، وهو ملزم كذلك بمراعاة ذلك قدر الطاقة فى الكلمات الأجنبية التى يستعملها فى النص . انظر إلى قول داود بن رزين الواسطى :

قوموا لمنزل لهو
وظل بيت كنين
فيه من الورد والنر
جس والياسمين
وريح مسك زكى
وفائح المرزجون

وستجد أن « المرزجون » قد تحول عن نطقه الفارسى إلى وزن « الحيزبون » ، وهو وزن عربى أصيل . ولست أطيل النظر إلى النرجس والياسمين ؛ لأن لفظيهما قد اشتهرا فى العربية ، حتى لم يعودا أجنبيين عنها . ثم انظر شوقى كيف حرف لفظ « كوك صو » ، ليتناسب مع طريقة البناء العربى فى قوله :

تحية شاعر ياماء جكسو
فليس سواك للأرواح أنس

وليس فى وزن الشعر هنا ما يلزمه بأن يغير صيغة الكلمة الأصلية ، ولكن المعيار الصرفى هو السبب فى هذا التغيير . وهو يقول لكرومر :

أو كنت عضوا فى الكلوب ملأته
أسفا لفرقتكم بكا وعويلا

فجعل الكلمة على وزن « فعول » ، وخرج بها عن نطقها الإنجليزى إلى وزن يناسب المعايير الصرفية العربية ويقول حافظ :

فياويل القناة إذا احتواها
بنو التاميز وانحسر اللثام

فيحول الكلمة الإنجليزية إلى وزن « فاعيل » ؛ لأن نطقها الإنجليزى لا يناسب الصرف العربى . ويقول :

طاحت بها تلك المدافع تارة
لما أمرت وتارة زبلين

فيحول الاسم الألمانى إلى وزن « فعليل » ويقول :

وأقيموا للعسف فى كل شبر
(كنستبلا) بالسوط يفرى الأديما

فيسلك بالكلمة مسلكا يناسب الإيقاع الصرفى العربى .

وليس الأمر مقصوراً على الشعر وحده ، ولكن النثر كذلك قد شهد الكثير من التعريب والمقصود بكلمة التعريب هنا ما ذكرناه من ضغط الكلمات الأجنبية فى القالب الصرفى العربى ، حتى تبدو كأنها عربية الأصل والاشتقاق . ومن ذلك الفلسفة ، والهرطقة ، والهيولى ، والنيروز ، والسراط والقسطاس والسندس ، والإستبرق ، والموسيقى ، والبوطيقا ، وحشد آخر من الكلمات الرومية والفارسية والهندية ، دخلت إلى اللغة العربية والأدب العربى من خلال مخالطة العرب لهذه الأمم . وإذا كان لنا أن نستخلص من هذه

الكلمات نتيجة ما ، فإن هذه النتيجة هى أن الصيغ الصرفية يحددها العرف ، ولا يرضى عن كلمة إلا إذا صيغت صياغة صرفية سليمة . وليس للأديب قدر كبير من الحرية فى هذا المجال ، لأن المجتمع الذى خلق العرف يقف لحمايته فى وجه كل من يعبث به ، ولو كان من أشهر الأدباء .

على أن العرف بدوره يتطور بتطور الحياة الاجتماعية . ولقد دفعنا الجرى وراء الحضارة الغربية إلى استخدام مصطلحات ، وأسماء أعلام فى صحافتنا وكتبنا العلمية ، والقصص المترجمة عن الأدب الغربى ، فنقلنا هذه الكلمات بألفاظها الأصلية فى معظم الحالات ، ووجد القارئ العربى نفسه أمام تجربة من نوع جديد ، هى قراءة كلمات أجنبية بحروف عربية ، فذهب القارئ فى قراءة هذه الكلمات مذاهب تختلف بين القرب من نطقها الأجنبى حينا ، وبين مسخها فى صورة تقربها فى نظره من العادات النطقية العربية . وفى شعر شوقى وحافظ حشد من الأسماء الأجنبية التى وردت فى صورتها الأصلية حينا ، ومحرفة فى كتابتها حيناً آخر ، ويختلف نطقها قربا وبعدا من العادات النطقية العربية ، بحسب موقعها من النص ، وبحسب صورتها الكتابية .

ولقد حدد العرف العربى كلمات اللغة ومفرداتها ، وضمنها بطوق المعاجم ، فصار الأديب بها خاضعا لمعايير معينة ، واقفا عند حد معين فى الارتجال اللغوى ، وفى تحوير الكلمات من الناحية الصرفية ؛ وإنما يلجئه العرف إلى ما يسمى بالصوغ القياسى لمفرداته التى يستعملها فى النص . وأقصد بالارتجال هنا اشتقاق لفظ من مادة ما على مثال صيغة صرفية حددها العرف ؛ أما خلق كلمات جديدة لا مادة لها فى اللغة ، واختراعها اختراعا ، فهذا من الندرة بحيث لا أرى ضرورة لأن أخوض فيه هنا . ولا شك فى أن ارتجال ألفاظ على مثال الصيغ اللغوية مأخوذة من مادة مستعملة فى اللغة يعتبر ظاهرة من ظواهر النشاط الأدبى والعلمى ، ومنبعاً من منابع ثروة اللغة . ولكن العلماء أشد جرأة فى هذا الميدان من الأدباء ؛ لأن الأسلوب العلمى خاضع لعرف ضيق الدائرة ، يتكون مجتمعه من عدد من العلماء ، قل أو كثر . وإن محدودية الدائره العرفية هنا لتعين على سرعة تطور التعارف ، وسرعة قبول الألفاظ المرتجلة ، ويساعد على ذلك أيضا أن العلم فى تحول وتطور دائمين ؛ فلا تكاد نظرية علمية تقبل قبولا مطلقاً إلا ريثما تنقضها نظرية علمية أخرى .

أما الأدباء فيحول بينهم وبين مثل هذه الجرأة فى ارتجال الألفاظ سعة الدائرة العرفية ، وبطء التطور فى المجتمع الأكبر الذى يكتبون له ، إذا قيس بما لاحظناه فى مجتمع العلماء ،

ثم التزام هذا المجتمع الأكبر بموقف محافظ حيال اللغة إذا وازنا بينه وبين مجتمع العلماء كذلك . والذى يبدو لى أن جمهرة الأفعال الرباعية فى اللغة قد بدأت تأتى عن طريق الارتجال اللغوى فى عصر سابق على بداية ما تناوله تاريخ الأدب من العصر الجاهلى ؛ لأن هذه الأفعال الرباعية فى معظمها تستعمل جنبا إلى جنب مع ثلاثيات من نفس مادتها قريبة منها فى المعنى ، وقد بينت ذلك بشىء من التفصيل فى كتابى «مناهج البحث فى اللغة» ومن أمثلة ذلك : دحرج ـ درج ، وسقلب ـ قلب ، وزغرد ـ غرد ، والمنحوتات كطلبق ، وحوقل ، ودمعز ، وبسمل . وقد روى أن رؤبة كان يرتجل ، وأن مما ارتجله لفظ «اقعنسس» ، وأخذه من «قعس» ، فى قوله:

تقاعس العز بنا فاقعنسسا

وقد ارتجل الإسلام بعض الاصطلاحات ، وارتجل العباسيون فى ترجمتهم عن اللغات الأجنبية ألفاظا كثيرة ، ولا زلنا نرتجل إلى الآن ، كلما جد علينا جديد من مسميات الحضارة ، ومظاهر الحياة الاجتماعية ؛ وأكثر الجهات ارتجالا فى عصرنا هـذا مجمع اللغة العربية .

وثمة ظاهرة أخرى من ظواهر مخالفة عرفية الكلمة هى تحوير شكل الكلمة ، والبعد بها عن صيغتها الأصلية . وتلك ظاهرة لا أراها إلا عرضا من أعراض عدم اكتمال الملكة الأدبية فى الأديب من ناحية ، وعدم نضج الذوق الأدبى فى جمهوره من ناحية أخرى . ومن ذلك مثلا قول الراجز :

الحمـد لله العلى الأجلل
المانح الفضل الوهوب الجزل

وهو يلجأ هنا تحت ضغط الضرورة الشعرية إلى فك المدغم فى غير موضع الفك . ومنه قول العجاج :

ورب هـذا البلد المحرم
والقاطنات البيت غير الريم
أوالفا مكة من ورق الحمى

ولفظ «الحمى» هنا بفتح الحاء وكسر الميم ومدها ، والمقصود به الحمام ؛ أى أن لفظ «الحمام» قد لحقه التحوير والمسخ حتى صار فى صورة «الحمى» .

ويذكرنى هذا بما تصادفه الألفاظ من مسخ وتشويه فى مواويل الريف والصعيد ، حيث يتحول الاستمتاع بالنص إلى كد للذهن فى سبيل الكشف عن المقصود بالمفردات المشوهة .

ليس الأديب إذاً حراً فى خلق ألفاظه أو الخروج بها عن دائرة العرف ، بل إنه لينبغى له أن يلزم جانب العرف ، ما دام يخاطب بأدبه المجتمع الذى صنع هذا العرف ، والذى يفرض أقسى العقوبات على من

يخالفونه ويخرجون عليه ؛ ومن هـــذه العقوبات المقاطعة ، والإهمال ، والسخرية ، وغيرها .

وتأتى بعد هذا عرفية التركيب . وإن لكل لغة طريقتها المحددة فى الصياغة ؛ وفى اللغة العربية مثلا ما يسمى « حفظ الرتبة » ، فلا يأتى الوصف قبل الموصوف ، ولا التوكيد قبل المؤكد، ولا المعطوف قبل المعطوف عليه، ولا البدل قبل المبدل منه ، ولا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، ولا يأتى المفعول به قبل الفاعل عند خوف اللبس ، ولا الخبر قبل المبتدأ فى هذه الحالة كذلك ، ولا تتقدم الصلة على الموصول ، ولا الفاعل على الفعل ، وهلم جرا .. والأديب ملزم بأن يراعى ذلك ويحرص عليه كل الحرص، وإلا عرض نفسه للعقوبات الاجتماعية التى أشرنا إليها . وليس تأثر الأديب بالمعايير هنا قاصراً على الارتباط بشكلية التركيب ارتباطا متعمداً ، وإنما يتناول كذلك ارتباطا شبه آلى غير متعمد بطريقة معينة من طرق هذا التركيب تعتبر أسلوبا خاصا بالأديب ، ولكننا سنترك الكلام عن الأسلوب إلى موضعه من هذا المقال .

وثمة ما يمكن أن يسمى «عرفية الإيقاع». وليس الإيقاع هنا خاصا بالشعر فحسب ، وإنما يتناول النثر كذلك . وللشعر العربى بحور إيقاعية محددة التركيب والترتيب والزحافات والعلل ، لا يستطيع الشاعر العربى أن يخرج عليها ، إلا إذا كان مخاطراً بمستقبله الأدبى . ولقد كانت المحافظة على الأوزان التقليـــدية فى الشعر العربى عنصرا هاما جـــدا ؛ مما كان النقاد يعرفونه باسم « عمود الشعر » . وكلنا يعرف المصير الذى صارت إليه المحاولات المختلفة للإبداع فى هذه الناحية ، وأشهر هذه المحاولات ابتداع أوزان الموشحات الأندلسية . ويشهد هذا الجيل من طلاب الأدب محاولة أخرى للخروج على الأوزان التقليدية أن تكون فى النهاية أسعد حظا من سابقاتها .

قلنا إن المقصود بعرفية الإيقاع أوسع فى مدلوله من مجرد الأوزان الشعرية ، وإنما يتناول كذلك الإيقاع فى الكلام العادى ، والنثر الأدبى . والإيقاع فى النص المنثور يرتبط بظاهرة لغوية هامة جداً هى ظاهرة « النبر » . والمقصود بالنبر أن يجعل المتكلم صوتا من أصوات الكلمة أوضح فى السمع من بقية أجزائها ، كالهمزة فى « أحمد » ، والميم الثانية فى « محمود » ، واللام الأولى من « استقلال » ، والقاف من « مقاتل » . وينتظم موقع النبر من الكلمة فى قواعد لا تقل صرامة ولا تحديداً عن قواعد الصرف ، ولا عن قواعد النحو . ومن شاء أن يطلع على هذه القواعد فليقرأها فى كتابى « مناهج البحث فى اللغة » .

وإذا أراد القارئ وسيلة يفهم بها ارتباط النبر فى النص المنثور، بفكرة الإيقاع، فليستمع إلى أجنبي يونانى أو طليانى مثلا يتكلم اللغة العربية، فيمد قصار الحركات ويطيلها، ويقصر من أصوات المد ويبترها، وسيرى القارئ حينئذ أن الذى ينكره من كلام هذا الأجنبي ليس إلا فقدانه الإيقاع التقليدى العرفى فى الكلام العربى.

ولقد نشأ الأدب العربى فى مبدأ وجوده على الرواية والمشافهة، وارتبطت الفكرة السمعية التى فى الرواية بهذا الأدب، حتى إن النقاد العرب يطلقون على جمال الإيقاع فى النص المنثور اصطلاح «السلاسة». فالكلام السلس هو الذى يبدو فيه جمال الإيقاع إلى جانب اعتبارات سمعية أخرى، كعدم التنافر، والبعد عن الحوشية والغرابة، وفى المزهر للسيوطى ترتيب للمخارج بحسب القرب والبعد والتوسط، وتحديد للتنافر وعدمه فى الكلمة عن طريق تجاور هذه المخارج فى الكلمة الواحدة. والذى يهمنا من كل هذا أن الأديب لا يستطيع الخروج على العرف فى هذه الناحية كذلك، لأن الخروج على العرف يعنى بالنسبة إليه عدم احتفال المجتمع بأدبه على أقل تقدير.

وهناك عرفية بيانية أيضا، تتضح فى تحديد شكلية خاصة للمجاز، والاستعارة، والكناية، والتشبيه، حددتها كتب البيان فى صورة تشبه القواعد. وإن الأديب ليراعى هذه المعايير العرفية البيانية فى إنتاجه، ولا يستطيع الخروج عليها. هذا على الرغم من أن أسس النقد الأدبى يجب ألا ترتبط بالقواعد من هذه الناحية بالذات؛ لأن الذوق الأدبى شخصى نفسى، والنفس الإنسانية - كما قلنا - أبعد شىء عن الاطراد والخضوع للقواعد. ولقد كنت ولا أزال أرى أن علوم البلاغة العربية قد منيت بالفشل باعتبارها أساساً من أسس النقد؛ لأنها حاولت أن تخضع النقد للقواعد. وسيكون الفشل نصيب كل محاولة نقدية أخرى تحاول إخضاع الذوق للقاعدة.

أما عرفية المسالك الأدبية التى يسلكها الأديب فمنها التزام الشعراء العرب بمقدمة غزلية يقفون فيها على الأطلال، ويبكون الأحباب الراحلين، ثم التخلص بعد ذلك من هذه المقدمة إلى الغرض المنشود. ومنها بدء الخطبة بحمد الله والثناء عليه، ثم الدخول فى الغرض. ومنها الوقوف أو الركوب أثناء الخطبة. وإن كل مخالفة لهذه القواعد العرفية كانت تستحق التسجيل فى نظر التاريخ باعتبارها ظاهرة غريبة، كخطبة زياد البتراء، وخروج أبى نواس على المقدمة الغزلية إلى مقدمة أخرى خمرية.

لقد بينا عند هذا الحد موقف الأديب من صواب النص ، ونود الآن أن نبين موقفه من جمال هذا النص ، والجمال فى كل صوره مما يخضع فى دعوى وجوده للهوى لا للدليل، فتقديره ذاتى أولا وقبل كل شىء . أما المقاييس والمعايير ، والنظرة الموضوعية إلى الجمال ، فكأنها فلسفة الجمال ، لا الإحساس الشخصى بالجمال . ونود هنا أن ننظر فى صلة الجمال بالعرف العام ، وما إذا كان ثمة شىء يتفق الناس جميعا على وصفه بالجمال ، وشىء آخر يتفق الناس جميعا على وصفه بالقبح . وهل الجمال قائم بالجميل ، أو هو معنى ينبعث عن النظرة الخاصة إلى هذا الموصوف بالجمال ، نظرة تحددها البيئة والتربية ؟ الذى يبدو لى أنه كما لا تكمن السماعية فى المسموع وإنما يحددها تأثر الأذن به ، وكما لا تكمن الإبصارية فى المنظور وإنما يحددها تأثر العين به ، كذلك لا يكمن الجمال فى الجميل وإنما يحدده تأثر النفس به ، فإذا كان الجمال تحديدا لموقف النفس ، وكانت النفس الإنسانية غير مطردة فى أهوائها كما ذكرنا ، فما الذى يجعل جمهورا من الناس يجمع على الإعجاب بمنظر طبيعى بعينه ، أو قطعة موسيقية ، أو قصيدة شعرية ؟ الجواب كما يخيل إلى أن التربية تتدخل فى هذا المجال ، إن الفلاح فى حقله قد تعود بحكم تربيته وبيئته أن يرى الأزهار كل يوم فلا تلفت نظره بجمالها ، لأنه تعلم فى نشأته أن الزهرة بشير بالثمرة ، ولم يتعلم أنها منبع من منابع المتعة الجمالية ، أما المدنى الذى تعود منذ صغره أن يستمع إلى تقدير من حوله لجمال الأزهار ، فإنه يشب وقد انعكست أهواء من حوله على نفسه ، فيرى الجمال مثلهم فى الأزهار ، ويراه فى كل شىء اعتبروه جميلا ، ومثل ذلك يقال عن النص الأدبى ، فالذى تعود على أن يسمع الناس يعجبون بنص معين ، لابد أن يرى الجمال فى هذا النص ، والذى شب وهو يرى المحيطين به يستحسنون طريقة خاصة فى صياغة الجملة ، لابد أن يستحسن معهم هذه الطريقة ، والذى نشأ ولم يحتك بالأدباء ولا بمعلمى الأدب ، يظل موقفه من الأدب موقف الذى لا يبالى به ولا ينغمس فيه ، وهذا هو السبب الرئيسى فى وجود شركة فى الإحساس بجمال شىء ما ، وبقبح شىء آخر بعينه ، أى أن العرف الجمالى إنما ينشأ عن طريق التربية والبيئة .

وهنا نتساءل عما إذا كان العرف الجمالى محددا بدقة كالعرف اللغوى ، الذى تضبطه القواعد أو أنه عرف يتسم بالشركة فى الاتجاهات العامة ، دون دقائق التفصيلات . الذى يبدو لى كذلك أن العرف الجمالى عرف اتجاهات عامة ، وأن الشخصين قد يتفقان على رؤية الجمال فى الرشاقة ، والقبح فى الهزال بوجه

عام ؛ ولكنك إذا عرضت عليهما صورة فتاة ذات قوام ممشوق فقد يرى أحدهما فيها جمال الرشاقة ، ويرى الثانى قبح الهزال . وإذا عرضت بيتا من شعر المتنبي على رجلين فقد يجد فيه أحدهما جمال براعة الفكرة ، ويرى الثانى قبح التوائها . فالصلة بين الأديب وبين العرف الجمالى صلة بينه وبين الأصول العامة لهذا العرف فقط ؛ ويظل الهوى الشخصى فى تقدير جمال الأدب بعد ذلك سيد الموقف فى النقد الأدبى . ومن هنا اتهمنا كل محاولات تقعيد النقد بأنها مخالفة لطبيعة الأشياء ، وجزمنا لها جميعا بالفشل .

وإذا نظرنا إلى جمال النص فى إطار عنوان هذا المقال « موقف الأديب من اللغة » وجدنا أن أهم ما ينصرف إليه كلامنا هنا هو جمال الأسلوب . فكيف يتكون هذا الأسلوب ؟ وما معنى فرديته وبعده عن العرف ؟ أو بعبارة أخرى ، كيف يصح لنا أن ندعى أسلوبا خاصا لكل أديب ؟ نحن نقول : إن لفلان أسلوبا معينا فى مخالطة الناس ، وله أسلوب خاص فى مشيته ، وهو ذو أسلوب فى علاج المصاعب ، ويعجبنى أسلوبه فى تربية أولاده ، وإن أسلوبه الأدبى غاية فى الجمال ؛ ونقصد بالأسلوب فى كل أولئك طريقته الخاصة التى تميزه عن غيره . وإن اكتساب المرء طريقة معينة أو أسلوبا خاصا فى إنتاج الأدب لا تأتى طفرة واحدة ، وإنما يثابر المرء على تكوين أسلوبه بحفظ النصوص ، وكثرة القراءة ، والتمرس بالكتابة . فلا يزال يحفظ ثم ينسى ، ويقرأ ثم يترك ما قرأ . وهو لا يفطن إلى أن الذى نسيه عقله الذاكر لا يزال مختزنا فى عقله الحافظ ، وأن كل محفوظاته وقراءاته تتجه مباشرة إلى جهازه العصبى ، فتنتظم فيه مسلكية أدبية خاصة تتضح عند مباشرة الإنتاج ، وتتصل بمجموع ما حفظ وما قرأ ، صلة المحلول الكيميائى الناتج عن التفاعل بين مواد مختلفة بمجموع هذه المواد ، فهو ليس مادة منها ، وليس مجموعها ، وليس له خصائص أى منها ، وإنما كانت جميعا من وسائل تكوينه ، وقد جاء مختلفا عنها جميعا . فهذا هو الأسلوب الأدبى الناشىء عن القراءة والحفظ والمران على الإنتاج .

ولكل امرىء محفوظاته وقراءاته ، والموضوع الذى يستحوذ على اهتمامه ، والكاتب الذى يعجبه ، والشاعر الذى يحفظ له ، وله بعد ذلك مزاج خاص ، وتربية تختلف عن تربية غيره ، وتجارب نفسية وحسية لا تتفق لسواه ؛ ومن ثم كان لكل إنسان أسلوبه الأدبى الخاص . فما النواحى التى تتضح فيها فردية الأسلوب ؟ الذى لا شك فيه أنها ليست النواحى العرفية التى شرحناها

من قبل ؛ وذلك لأن العرف اجتماعي والأسلوب شخصي . فلا يتفاضل الأدباء في اختراع الصيغ، ولا في ارتجال الكلمات ، ولا في اختراع قواعد للتركيب اللغوي ، ولا في ابتداع إيقاع، ولا في إبداع أسلوب بياني ، ولا في افتعال مسلك جديد في الشكليات الأدبية ؛ لأن كل أولئك محدد من الناحية العرفية ولا حيلة للأديب فيه . إن النواحي التي تظهر فيها فردية الأسلوب هي التي لم يتناولها العرف بالتحديد، وإنما ترك الخيار فيها للأديب . فالعرف مثلا حدد لنا نوعين من أنواع الجملة ، أحدهما الجملة الاسمية ، والثاني الجملة الفعلية . والأدباء يترددون بين هذين النوعين ؛ فمنهم من يكثر في كتابته من إيراد الجملة الاسمية ومنهم من يعشق الجمل الفعلية ، ومن الأدباء من يفضل أن يأتي باسم الإشارة بين الموصوف وصفته فيقول : تلميذي هذا النجيب ، ومنهم من يفضل تأجيل اسم الإشارة إلى ما بعد الوصف فيقول : تلميذي النجيب هذا ، ومن الأدباء من يلجأ إلى المبالغة ومنهم من يمجها ، ومنهم من يجزم بأحكامه على الأشياء ، ومنهم من يترفق أو يشكك ومنهم من يعمد إلى موضوعه مباشرة ، ومنهم من يدور حوله ولا يكاد يلجه ، ومنهم الصريح المكشوف ، ومنهم الغامض المبهم ، ومنهم الجاد الصارم ، ومنهم المازح الخفيف الظل ، ومنهم من يولع بالحقيقة ، ومنهم من يولع بالمجاز ، ومنهم البسيط ، ومنهم عاشق المحسنات اللفظية . كل أولئك أمور فردية في الأسلوب بعيدة عن حدود العرف ، ويجد الأدباء فيها فسحة لإظهار شخصياتهم الأدبية المتميزة في أساليبهم التي يمتاز بعضها عن بعض .

ونخلص من بعد إلى أن موقف الأديب من اللغة يمكن أن ينظر إليه من زاويتين : أما الأولى منهما فهي القواعد اللغوية التي حددها العرف ، والأديب هنا مقيد لا حرية له ، وكل خروج منه على المعايير في هذه الناحية لابد أن يصادف أشد السخط من المجتمع الذي صنع هذه المعايير ، ويقوم على حفظها مع أتم الحفاظ والغيرة . وأما الناحية الأخرى فهي الناحية الأسلوبية ، التي يجد الأديب فيها نفسه مختاراً بين ما يأخذ وما يدع من التراكيب وطرق التعبير ، والأديب هنا حر يختار لنفسه أو يختار له ذوقه الذي حددته التربية والبيئة ، ما تمتاز به شخصيته الأدبية من الأسلوب . وهذه هي الناحية الفردية في مقابل العرفية فيما يتصل بالشكل وإن شئت فقل هي الذاتية في مقابل الموضوعية .

دكتور تمام حسان
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

أسرار القسم في القرآن الكريم

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

— ٢ —

من أسرار القسم فى القرآن الكريم أنه لابد أن تكون هناك مطابقة بين القسم والمقسم عليه وانسجام فنى بين صورة القسم وجوابه. وهذا ملحظ من ملاحظ البلاغة الإعجازية فى القرآن ، لأن الكلمة لا تفسر بالعقل وحده بل تفسر كذلك بالقلب والخيال ، فينبغى لمن يريد أن يتذوق بلاغتها أن يستخرج من أجوافها كل الصور التى ترتبط بمعانيها ، وكلما ازداد القارئ معرفة بالحياة والعالم ، ازداد قدرة على التعمق فى الألفاظ ، واستخراج ما فى أحشائها من معنى مدخر ، ومن مرام فنية كمينة .

فلأمر ما أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سجى فى هذا المقام . وللوقوف على سر ذلك ينبغى أن نبحث أولا عن الأحداث التى كانت سبباً فى نزول هذه السورة ، ثم عن الظروف التى اكتنفتها ، ثم عن نفسية الرسول صلوات عليه حينذاك .

ورد فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم للتهجد ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة - هى أخت أبى سفيان - فقالت متهكمة : يا محمد إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قرّبك منذ ليلتين أو ثلاثا ، فأنزل الله عز وجل :

« والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

فأحزنه صلى الله عليه وسلم تعبيرها وعدم رؤيته جبريل مع مزيد حبه إياه ، فنزلت السورة لإيناسه وإزالة وحشته ونفى مازعموه على أبلغ وجه .

فأقسم تعالى لنبيه على أن تلك الفترة لم تكن عن ترك ، ولا عن قلى . وأشار سبحانه فى القسم إلى أن ما كان من إشراق الوحى على قلبه أول مرة هو بمنزلة الضحى - وهو ضوء الشمس فى شباب النهار - تقوى به الحياة وتنمو به الناميات ، وما عرض بعد ذلك من فترة ، فهو بمنزلة الليل إذا سكن لتستريح فيه القوى ، وتستعد فيه النفوس لما يستقبلها من العمل .

وتخصيصه تعالى الوقتين بالإقسام ليشير سبحانه بحالها إلى حال ما وقع له عليه السلام ويؤيد عز وجل نفى ما توهم فيه.

فكأنه تعالى يقول: الزمان ساعة فساعة، ساعة ليل وساعة نهار، ثم تارة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار وأخرى العكس، فلا الزيادة لهوى، ولا النقصان لقلى، بل كل لحكمة وكذا أمر الوحى: مرة إنزال وأخرى حبس، فلا كان الإنزال عن هوى ولا الحبس عن قلى بل كل لحكمة.

وفى ذلك تسلية منه تعالى لرسوله صلوات الله عليه فكأنه سبحانه يقول: انظر يا محمد إلى هذين المتجاورين لا يسلم أحدهما من الآخر بل الليل يغلب تارة، والنهار أخرى، فكيف تطمع أنت أن تسلم من الخلق ومن تنغيصهم.

ثم فى استعمال الفعل (ودع) وهو مأخوذ من التوديع. والتوديع أصل مأخذه من الدعة وهو أن تدعو للمسافر بأن يدفع الله تعالى عنه كآبة السفر، وأن يبلغه الدعة وخفض العيش كما أن التسليم دعاء له بالسلامة.

ففى استعمال (ودع) هنا من اللطف والتسلية والتعظيم والتبجيل ما لا يخفى؛ فإن التوديع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقتهم.

ومن أعجب الأقسام فى ذلك، القسم بالخيل وهى أعز شىء لديهم؛ لأنهم أمة قتال وإغارة، فحياتهم قائمة عليها، وأكثروا فى شعرهم من أوصافها فقال تعالى:

« والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا، فالمغيرات صبحا، فأثرن به نقعا، فوسطن به جمعا، إن الإنسان لربه لكنود، وإنه على ذلك لشهيد، وإنه لحب الخير لشديد ».

فأقسم الله بالخيل وهى مغيرة، ووصف النقع الذى تثيره بحوافرها؛ ليذكرهم بنعمته عليهم ويطالبهم بالشكر عليها، والاعتراف بوحدانيته وعظيم آلائه.

ليس هذا فقط هو سر القسم بالعاديات - وهى الخيل تضبح فى عدوها « والضبح صوت أنفاس الخيل عند جريها » فيسمع صوت أنفاسها فى أجوافها والشرر يتطاير من حوافرها عند جريها - وبالمغيرات على العدو وقت الصباح فتفاجئه بهجومها فتثير غبارا وتتوسط جمعا.

بل أقسم بالخيل متصفة بهذه الصفات لينوه من شأنها ويعلى من قدرها فى نفوس المؤمنين.

ثم ليطابق بين القسم والمقسم عليه، فإن المقسم عليه هو كنود الإنسان لنعمة ربه، وجحوده لآلائه وكفرانه بنعمائه، وفى ذلك جموح من القلب وعنف فى الطبع، وشراسة

فى الخلق ، وغرور من النفس وافتتان بالقوة . وهذه كلها من أوصاف الخيل حين عدوها وإغارتها .

ثم ختم السورة بما يلائم إثارة النقع . وقدح النار من الصخر وإخراج النفس بشدة وسرعة فقال تعالى :

« أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور ، وحصل ما فى الصدور » .

فألفاظ السورة كلها ألفاظ حية متحركة ، وفى صورها نشاط وثورة وأخذ ورد وكر وفر وهجوم ودفع وإثارة لما كان مستوراً وبعثرة لما كان مجموعا وجمع لما كان مبعثراً .

والذى يدعونا إلى كل هذه التلميحات والإشارات هو اعتقادنا أنه لابد أن تكون هناك مطابقة بين القسم والمقسم عليه كما صرح بذلك مراراً ابن القيم .

وهنا إشكال فى أسلوب القرآن قد يبلبل أفكاراً كثيرة ويدخل عليها حيرة واضطرابا وذلك هو دخول (لا) على فعل القسم فى مثل قوله تعالى (لا أقسم بيوم القيامة) وقوله (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) .

فالجواب عن هذا أن دخول (لا) على فعل القسم مستفيض فى كلامهم وفى أسلوبهم وأشعارهم ، وهو صورة من صور التأكيد ، فإنهم يزيدون حروفا فى الكلام يقصد بها التأكيد وزيادة التثبيت .

يقول شاعرهم وهو امرؤ القيس :

فلا وأبيك ابنة العامرى
لا يدعى القوم أنى أفر

(فلا) زيدت لمجرد التوكيد وتقوية الكلام .

وقد قرئ (لأقسم بيوم القيامة) على أن اللام للابتداء والتوكيد ، وأقسم خبر لمبتدأ محذوف معناه لأنا أقسم .

وعند الزمخشرى أن يكون الكلام إخبارا لا إنشاء . والمعنى فى ذلك أنه لا يقسم بالشىء إلا إعظاما له فيكون المعنى فى الآية . لا أعظم يوم القيامة بالقسم بل بأكثر من ذلك كما قال تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) فعلى هذا تكون (لا) للنفى ويكون منفيها الفعل (أقسم) .

وقال أبو حيان فى تفسيره :

والأولى عندى أنها (لام) أشبعت فتحتها فتولدت منها ألف كقوله : أعوذ بالله من العقراب . وهذا وإن كان قليلا فقد جاء نظيره فى قوله تعالى (فاجعل أفئيدة من الناس) بياء بعد الهمزة وذلك فى قراءة هشام . فالمعنى فلأقسم كقراءة الحسن وعيسى .

ولنختم هذا البحث بمثال جلى يبين مبلغ صلة القسم بالمقسم عليه وهو إقسامه سبحانه وتعالى بالعصر فى قوله (والعصر إن الإنسان

لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

فى سورة التكاثر بين الله تعالى انشغال الناس بأمور دنياهم ومعاشهم وانهما كهم فى أموالهم وأولادهم . وقرر أنهم مسئولون عن النعيم ورغد العيش الذى هم فيه مقيمون .

وأقسم على أثر ذلك بالعصر وهو الدهر فى رأى الجمهور . أقسم به على أن هذا الإنسان خاسر ، واستثنى من ذلك الخسران فريقا ، والمستثنى هنا هو الأصل والهدف ، ولكن أسلوب الكلام دعا إلى تأخير الأهم والأصل ليشوق الأسماع إليه فاستثنى سبحانه من الخسران (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهم الذين أحسنوا علاقاتهم مع الله تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) والحق هو الخير المطلق ، والصبر هو المثابرة على طلبه ، والتواصى هو تفسير لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان هذه العلاقة التى بناها سبحانه على التعاون ، وهو آخر نظام تصلح عليه حال الإنسانية وتستقر ، وفى سبيله تقوم المبادئ وتتوطد .

فتحقيق التعاون بين طبقات الإنسانية وأفرادها هو ما عبر عنه القرآن بالتواصى بالحق وبالصبر .

وإنما أقسم الله فى هذا المقام بالعصر لأنه مسرح هذا التعاون فى أدواره المختلفة ، وعد الإنسان الفردى الأنانى خاسراً ، لأنه عضو أشل فى المجموع الإنسانى .

وفى القسم بالعصر إشارة إلى أنه أعم من القسم بالعمر ، وأنه إن كان الإنسان يحلف بالعمر وهو جزء بسيط من العصر ، فما أحرى أن يكون العصر قطعيا دافعا .

هذا إلى أن العصر من الأوقات التى كانت لها أهمية فى حياة العرب التجارية وله فى قلوبهم مكانة حيث يستريحون فيه بعد تعب النهار فى الكد والسعى ، فهو سبحانه قد أقسم إذن بوقت له فى نفوسهم أثر واضح وفى أذهانهم التجارية مركز يانع .

وبعد فعجائب القرآن الكريم لا تنتهى ، وأسرار بلاغته لا تنقضى .

عبد الوهاب حمودة

« المجلة فى المملكة العربية السعودية »

نوجه أنظار السادة قراء المجلة بالمملكة العربية السعودية الشقيقة ـ الذين بعثوا إلينا فى طلبها ـ إلى أن المجلة توزع بمعرفة مؤسسة التعاون العربى الثقافى بالرياض ، أول شارع محمد عبد الوهاب .

الرّبيعُ عِندَ الشّعَراء

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بَدوى

لفصل الربيع أثر كبير فى نفوس الناس، ففيه يعتدل الجو بعد أشهر طال بردها، ويخرج الناس إلى الرياض يستمتعون بأريجها ونضارة أزهارها، ويشعرون بحياة دافقة وآمال متفتحة.

وقد عبر الشعراء عن إعجابهم بهذا الفصل، وتركوا لنا شعراً رائعاً يصور هذا الإعجاب، ومن هؤلاء الشعراء خمسة لهم فى فصل الربيع شعر خالد لا نزال نستمتع به إلى اليوم؛ وهم: أبو تمام، والبحترى، وابن الرومى، وابن هانئ، وشوقى.

والربيع عندهم هو الفصل الذى يعقب الشتاء، وأبو تمام يحدد مقدم هذا الفصل فى قوله:

نزلت مقدمة المصيف حميدة
ويد الشتاء جديدة لا تكفر (١)

فالربيع هو الجزء الأول المحمود من الصيف، لم يخلص للحر، كما أنه لم يخلص للشتاء، بل يتراوح زمنه بين مطر وصحو، ويسجل أبو تمام هذه الظاهرة إذ يقول:

مطر يذوب الصحو منه، وبعده
صحو يكاد من الغضارة يمطر (١)
غيثان: فالأنواء غيث ظاهر
لك وجهه، والصحو غيث مضمر

والشاعر يعبر عن إحساسه عند ما يجد الصحو يتلاشى فى رفق كأنه يذوب فى المطر، ويجد الصحو ليس جدبا كأيام الصيف، ولكنه ملىء بذرات المياه تكاد تتجمع فتمطر، ويريد أبو تمام أن يعمق فى نفوسنا هذا الشعور، ويزيدنا إحساساً به، فجاء ببيته الثانى يصف الغيثين: الظاهر، والمضمر. وإن كان البيت الأول فى وصف هذه الظاهرة أكثر شاعرية من بيته الثانى بهذا الصحو الذائب، وتلك الغضارة التى تكاد تمطر.

ويتجه الشاعر إلى وصف ظاهرة أخرى، هى تغير وجه الأرض بازدهار الرياض، فيرى أن الدنيا كانت تظل دائمة البهجة لو دام حسن هذه الرياض:

ما كانت الأيام تسلب بهجة
لو أن حسن الروض كان يعمر

---

[١] تكفر: تستر.

[١] الغضارة: الخصب.

أو لا ترى الأشياء إن هى غيرت
سمجت ، وحسن الأرض حين تغير

ويحس أبو تمام بما حدث للأرض فى هذا الفصل من تغير ، ويشعر بهذا الضوء الحانى ترسله الشمس ، وتخفف من شدته أزهار الربى ، فيبدو الكون كأنما هو مضاء بنور القمر .

لقد أعجب أبو تمام بهذا الكون الباهر الجمال : بغيثه وصحوه ، وروضه وحنو ضوئه ، فهتف من أعماق قلبه بأن الدنيا فى غير أيام الربيع قد خلقت ؛ ليمشى الناس فى مناكبها ، [1] ويأكلوا من رزق الله ، فإذا جاء الربيع لم تعد أرضا يسعى فيها إلى الرزق ، ولكن صحيفة قد صورت وأجيد رسمها ، لتبتهج برؤيتها العيون والقلوب ؛ وذلك إذ يقول :

يا صاحبى تقصيا نظريكما
تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهاراً مشمسا قد شابه
زهر الربى ؛ فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى ، حتى إذا
حل الربيع فإنما هى منظر

لمح الشاعر ظواهر الوجود بعامة فى هذا الفصل من العام ، وسجل ما لمحه ، ثم وقف ينظر إلى ما على وجه الأرض من مظاهر جمال الأزهار تصوغها الأرض فتتفتح لرؤيتها القلوب ، وتهفو إليها الأبصار ، ويصور أبو تمام ذلك الجمال فى قوله :

أضحت تصوغ بطونها لظهورها
نوراً تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى
فكأنها عين إليك تحدر
تبدو ، ويحجبها الجميم كأنها
عذراء تبدو تارة وتخفر [1]
حتى غدت وهداتها ونجادها
فئتين فى خلع الربيع تبختر
مصفرة ، محمرة ، فكأنها
عصب تيمن فى الوغى ، وتمضر [2]
من فاقع غصن النبات كأنه
در يشقق قبل ، ثم يزعفر
أو ساطع فى حمرة ، فكأنما
يدنو إليه من الهواء معصفر
صبغ الذى لولا بدائع لطفه
ما عاد أصفر بعد إذ هو أخضر

وقد استرعى نظر الشاعر من بين ألوان الأزهار اللونان : الأصفر ، والأحمر ؛ ولعلهما من أكثر الألوان شيوعا ، وأشدهما أسرا للأبصار .

---

[١] مناكب : جمع منكب ، وهو ناحية كل شىء وجوانبه .

[١] الجميم : النبت الكثير .
[٢] العصب : ضرب من البرود .

والشاعر جيد الخيال فى شعوره بالزهرة، تبدو وتختفى كأنها عذراء يملؤها الحياء، وفى إحساسه بالوهدات والنجاد كأنها تتبختر فى رياض رائعة الجمال، وفى تصويره الزهر الغض كأنه در شقق وزعفر.

ولكننى آخذ على الشاعر أن هذا المنظر الساحر فى فصل الربيع، لا يثير فى النفوس ذكر الحرب التى ثارت فى نفس أبى تمام عندما جعل الوهاد والنجاد كأنما خلع عليها برود مما يلبسه اليمنيون والمضريون فى حروبهم. وجدير بمثل هذا المنظر ذى الضوء الهادئ، والأزهار تشبه العذارى أن يبعث فى النفس الطمأنينة والهدوء.

لقد صور أبو تمام الأرض فى الربيع لوحا مصوراً، يموج بالأزهار الحمراء والصفراء، يسطع عليه ضوء رفيق، ويظله صحو يكاد يمطر، أو مطر يذيب صحو السماء.

أما البحترى فقد راعه من جمال الربيع أزهاره وأشجاره ونسيمه؛ فيرى الربيع جديراً بأن يختال بحسنه، وبصوره كأنه قادم ينبه الورد من نومه، فيتفتح مذيعا حديث الجمال. ولم يتجه البحترى اتجاه أبى تمام فى وصف أزهار الربيع يأخذ عينه ألوانها المتنوعة أو غزارتها، أو حركتها الرشيقة، ولكن ملك عليه قلبه هذه اليقظة المتفتحة بعد طول الرقاد.

كما أعجبه الشجر قد اكتسى بورقه وزهره، فأصبح كأنما اكتسى بثياب موشاة منمنمه، وذلك إذ يقول:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن، حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه
يبث حديثا كان قبل مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه
عليه. كما نشرت وشيا منمنما
أحل، فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورق نسيم الريح، حتى حسبته
يجىء بأنفاس الأحبة نعما

والشاعر فى البيت الأخير يصف نسيم الربيع الهادئ وما يبعثه فى النفس من بهجة، كتلك التى يحس بها المرء إذا اقترب من أنفاس الحبيب.

وقد أجاد الشاعر فى عرض صوره، عندما رسم لنا الربيع ضاحكا يكاد يتكلم؛ وكأنما الربيع ينبه الورد فى غاس الدجى؛ كى يستيقظ فى الصباح الباكر، ليرى جمال الحياة من أول النهار، ولا يفوته منها وقت وإن قصر؛ وعندما نشر الوشى المنمنم على الأشجار، وعندما أثار فينا الشعور بلذة

أنفاس الحبيب ، لندرك جمال أنسام الربيع .

ولكننى أشعر بقلق فى استخدام الشاعر للاصطلاحين الفقهيين : من الإحلال والإحرام ولا سيما أن الإحرام ليس تجرداً من لثياب .

صورة الربيع عند أبى تمام أتم وأوفى من صورة البحترى ، وإحداهما تتم صاحبتها ، أما ربيع ابن الرومى ففيه :

أصبحت الدنيا تروق من نظر
بمنظر فيه جلاء للبصر
ثنت على الله بآلاء المطر
فالأرض فى روض كأفواف الحبر (١)
نيرة النوار ، زهراء الزهر (٢)
تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الأنثى تصدت للذكر

والشاعر هنا كأبى تمام يرى الدنيا فى الربيع باعثة للسرور فى عين من يراها . ولكن أبو تمام يرى الدنيا فى الربيع كأنما خلقت لإمتاع العين فحسب .

ويرى ابن الرومى أن هذا المنظر الساحر الذى أصبحت فيه الأرض إنما هو مظهر لشكر الأرض لله على ما أنعم به عليها من مطر الشتاء .

[١] ثوب أفواف : فيه خطوط بيض على الطول والحبر : جمع حبرة ، وهى ضرب من برود اليمن .

[٢] الزهراء : المشرقة اللون .

ويعود الشاعر مصوراً هذا المنظر الذى يروق ، راسما الأرض بأنها روض من النوار والزهر ، وهو يشبه أبا تمام أيضا ، ولكنه لا ينهج نهجه فى الوقوف عند الألوان والأصباغ بل يجمل ولا يفصل ، ولا يعرض للأزهار من ناحية أخرى ، كتلك التى عرض لها البحترى .

وإذا كانت الدنيا تتبختر تيها عند أبى تمام ، وتختال ضاحكة تكاد تتكلم عند البحترى ، فإنها ، عند ابن الرومى تتبرج ، ولا تخفى من زينتها شيئاً كالأنثى لا تدع شيئاً من زينتها عند ما تريد أن تغرى رجلا .

والشعراء الثلاثة متفقون إذاً فى شعورهم بما يكمن فى هذا الكون من حيوية متدفقة .

أما ابن هانئ فيصف الربيع بقوله :

ألؤلؤ دمع هذا الغيث أم نقط ؟
ما كان أحسنه لو كان يلتقط
أهدى الربيع إلينا روضة أنفا
كما تنفس عن كافوره السفط (١)
غمائم فى نواحى الجو عاكفة
حفل تحدر منها وابل سبط (٢)

(١) الأنف من الرياض : ما لم يرعه أحد . والسفط : ما يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء .

(٢) حفل : مليئة بالماء ، والوابل : المطر الشديد والسبط من المطر : الغزير .

بين السحاب وبين الريح ملحمة
معامع وظبى فى الجو تخترط (١)
كأن تهتانها فى كل ناحيـة
مد من البحر يعلو ، ثم ينهبط (٢)
وللجديدين من طول ومن قصر
حبلان : منقبض عنا ، ومنبسط (٣)
والأرض تبسط فى خد الثرى ورقا
كما تنشر فى حافاتهـا البسط
والريح تبعث أنفاسا معطرة
مثل العبير بماء الورد مختلط (٤)

لا إخال ابن هانئ قد وفق فى تصوير الربيع كما وفق زملاؤه السابقون ؛ فإن ذلك الوصف أقرب مايكون إلى وصف الشتاء : فهذه الغمائم العاكفة فى نواحى الجو ، والحافلة بالماء ، والتى يتحدر منها المطر قويا دافقا ، وهذه الريح التى يدور بينها وبين السحاب معارك عنيفة تسل فيها السيوف ؛ إذ يرى البرق فى السماء ، وهذا المطر الغزير يهبط فى كل ناحيـة كأنه مد البحر ، كل ذلك خليق أن يبعث فى النفس صورة الشتاء بسحبه المتراكمة ، ورعده وبرقه وأمطاره .

ولكن الشاعر خلط ذلك بمظهر للربيع عندما تحدث عن الروضة الأنف ، يفوح عبيرها ، وعن الريح تحمل إلى الآناف عطر ألوان من الطيب ، قد اختلطت بماء الورد .

وأغلب الظن أن الشاعر يصف بذلك آخر الشتاء عنـدما بدأت الأزهار تتفتح ، فظن الربيع قد أقبل ، مع أنه لايزال على بعد خطوات .

وأبو تمـام أدق منه عنـدما وصف غيث الربيع وصحوه وكأنهما يتداولان النهار فيما بينهما ، والبحترى أدق منه عندما جعل أنسام الريح رقيقة ، كأنها أنفاس الأحبة ، ولم يصور بينها وبين السحاب ملحمة عنيفة .

وإن كان ابن هانئ قد تنبه إلى طيب رائحة الجو ، وأنها تحمل إلى الجو أنفاسا معطرة ، ووجد فى ذلك هدية الربيع إلى الكون .

وينشئ شوقى قصيدة طويلة فى الربيع ، يرى فيها مقدمه مدعاة لالتماس المتعة ، وانتهاب لذائذ الحياة ، إذ يقول :

صفو أتيح ، فخذ لنفسك قسطها
فالصفو ليس على المدى بمتاح

ويرى الكون جديراً بأن تتجاوب فيه أغانى البهجة ، وأن يشترك الإنسان والطير فى ترديد الألحان والتغريد :

ما بين شاد ، فى المجـالس أيكه
ومحجبات الأيك فى الأدواح (١)

[١] اخترط السيف : سله .
[٢] التهتان : تتابع المطر وانصبابه .
[٣] الجديدان : الليل والنهار .
[٤] العبير : أخلاط من الطيب .

[١] الأيك : الشجر الكثير الملتف والأدواح جمع دوحة ، وهى : الشجرة العظيمة .

غـــرد على أوتاره يوحى إلى
غرد على أغصانه صـــداح

ويمضى « شوقى » إلى أهم مظهر من مظاهر الربيع ، وهو اخضرار النبت ، وازدهار الروض . وقد تخيل الشاعر الربيع ملك النبات تتلقاه الأرض بالأعراس والأفراح ، ولما كان ملكا فله أعلام منشورة ، هى هذه الأزهار بسيقانها العالية ، وألوانها الحمراء والبيضاء ؛ ومن الواجب لهذا الملك أن تلبس الخمائل لمقدمه أجمل ما تتزين به :

ملك النبات ، فكل أرض دائرة
تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورة أعلامه من أحمر
قان ، وأبيض فى الربى لماح
لبست لمقدمه الخمائل وشيها
ومرض فى كنف له وجناح

وربما كان لقرب « شوقى » من دور الملكية ومظاهرها أثر فى هذا الخيال ، فقد قربه إليه ما يراه من مشاهد الجمال ، ومظاهر الفرح والبهجة ، والأعلام المنشورة وارتداء مستقبلى الملك أجمل ما يملكونه من الحلل .

ثم يأخذ الشاعر فى تعداد تلك الأزهار التى تزدحم بها الخمائل من نرجس وأقحوان ، ومنثور وورد ، ونسرين وجلنار ، وبنفسج وياسمين ، وربما كان شوقى أول من جمع هذه الباقة من الأزهار فى فصل الربيع ، والفضل فى ذلك يعود بلا ريب إلى حديقته المتأنقة ، حول داره ، تزدحم بهذه الأزهار فى تلك الأيام الحافلة بالجمال . وإن كنت أرى أن إدخال الياسمين فى تلك الباقة مد لأيام الربيع إلى فصل الصيف ، لأن الياسمين يكثر ويغزر فى فصل الصيف .

وفى وسط هذا المهرجان من الجمال والبهجة يمر بالشاعر خاطر حزين عندما يتأمل أشجار الورد ، فيرى الورد متفتحا فوق غصونه كأنه يشكر خالقه ، ويبصر أشجاره عالية بين أزهار الروض يميزها بين الأزهار شوكها كأنه سلاح لها يحميها ، ويحس بالنسيم كأنه يقبل صفحته كما تمر الشفاه بخدود الملاح ؛ ولكن هذا الجمال الضاحى لا يلبث إلا ريثما ينزل به الليل فيبدد حسنه وبهاءه ، فيتأمل الشاعر ذلك ، ويرى أن الحياة قصيرة المدى واستمع إليه يقول :

الورد فى سرر الغصون مفتح
متقابل يثنى على الفتاح
ضاحى المواكب فى الرياض مميز
دون الزهور بشوكة وسلاح (١)
مر النسيم بصفحتيه مقبلا
مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه
بالليل ما نسجت يد الإصباح

[١] الضاحى : البارز ، الظاهر .

ينبيك مصرعه ، وكل زائل
أن الحياة كغدوة ورواح

ولكن هذا الخاطر الحزين لا يلبث أن يزول ، عند ما انتقل الشاعر من وقوفه أمام الورد المتفتح فوق الغصون ، وقد تناثرت على الأرض أوراق بعض أزهاره ، إلى ما بجوار الورد من يقائق النسرين ، والجلنار والبنفسج :

ويقائق النسرين فى أغصانها
كالدر ركب فى صدور رماح (١)
و « الياسمين » لطيفه ونقيه
كسريرة المتنزه المسماح
متألق خلل الغصون كأنه
فى بلجة الأفنان ضوء صباح (٢)
و « الجلنار » دم على أوراقه
قانى الحروف ، كخاتم السفاح (٣)
وكأن محزون « البنفسج » ثاكل
يلقى القضاء بخشية وصلاح

ومما هو واضح فى هذه الأبيات رغبة الشاعر فى التشبيه ، وهو بذلك يسجل الأثر النفسى لما يراه من هذه الأزهار ؛ « فالنسرين » فى صفائه وتألقه كالدر ، و « الياسمين » نقى لطيف كسريرة الرجل الصالح الكريم ، وهكذا استطاع شوقى بهذه التشبيهات أن يبين عن إحساساته إزاء هذه النباتات .

ولا يقف شاعرنا فى وصف مهرجان الطبيعة فى الربيع عند حدود الأزهار ، بل يشرك فى هذا المهرجان أيضاً هذه النباتات الدائمة الاخضرار كالسرو والنخل ، وهو من النباتات التى كان شوقى معجبا بها أيما إعجاب .

ولم يلق شوقى بنظره إلى الأرض يتأمل جمال نباتها فحسب ، ولكنه كأبى تمام رفع بصره إلى السماء يتأمل الفضاء ؛ فرآه كلوح رسام أبدع فى تصوير مناظره ، ففى أحد ألواحه نجد سحبا منها الضخم لا يكاد يتحرك ، ومنها ما يسبح فى الفضاء خفيفا كأنه الطائر ، وفى أحد ألواحه نرى الشمس مجلوة كأنها العروس :

وترى الفضاء كحائط من مرمر
نضدت عليه بدائع الألواح
الغيم فيه كالنعام : بدينة
بركت ، وأخرى حلقت بجناح
والشمس أبهى من عروس برقعت
يوم الزفاف بعسجد وضاح
والماء بالوادى يخال مساربا
من زئبق ، أو ملقيات صفاح (١)

[١] يقائق : جمع يقق ، ويقال . أبيض يقق أى شديد البياض ، والنسرين : ورد أبيض عطرى الرائحة .
[٢] البلجة : آخر الليل .
[٣] الجلنار : زهر الرمان .

[١] الصفاح : جمع صفح ، وهو عرض السيف .

بعثت له شمس النهار أشعة
كانت حلى « النيلوفر » السباح
يزهو على ورق الغصون نثيرها
زهو الجواهر فى بطون الراح

وهكذا كان مهرجان الطبيعة فى هذا الفصل عامراً بألوان الجمال ، تزدحم فنونه بين الأرض والسماء ، لا يكاد الشاعر يرفع بصره إلى السماء ، ليرى جمال الفضاء ، حتى يهبط مع أشعة الشمس الساقطة على المياه ، ترقص تحت أشعة الشمس ، كأنها زئبق أو صفاح ملتماة ، وعلى « النيلوفر » فيستقبلها ورقه ، وتشرق كما تشرق الجواهر .

ولكننى لست أدرى ما الذى جعل « شوقى » يضم إلى صور هذا المهرجان الباسم صورة السواقى فى القرى باكية نادبة شاكية . والسواقى ليست من خصائص فصل الربيع ، وإذا كان فصل الربيع لا يخلو من هذه السواقى فى القرى أفلا تتأثر هى أيضا بجمال هذا الفصل ، ولا يوحى صوتها إلى سامعه أنها كالنوادب تئن وتنوح . ولذلك أرى أن هذه الصورة الحزينة شاذة فى وسط هذا المهرجان الضاحك الزاخر بألوان الجمال ، وذلك إذ يقول :

وجرت سواق كالنوادب بالقرى
رعن الشجى بأنة ونواح
الشاكيات وما عرفن صبابة
الباكيات بمدمع سحاح

إن جمال الربيع الساحر يذكر شوقى بجمال الشباب ، وما يملأ أيامه من البهجة والمرح ، ولكن الشباب لا يلبث أن ينقضى كأنه زهرة من أزهار الربيع ، يعجل إليها الفناء ولا يرى أنه قد أتى بذلك إثما .

إنى لأذكر بالربيع وحسنه
عهد الشباب وطرفه الممراح
هل كان إلا زهرة كزهوره
عجل الفناء لها بغير جناح

ولشوقى وصف آخر للربيع بدأ به القصيدة التى ألقاها فى حفلة افتتاح المؤتمر الذى انعقد لتكريمه ومطلعها :

مرحباً بالربيع فى ريعانه
وبأنواره وطيب زمانه

ولعلنا نوفق فى القريب إلى الموازنة بين قصيدتيه فى أخيلتهما ومعانيهما وطريقة عرضهما . وشوقى من أكثر شعراء العربية إعجابا بفصل الربيع ، وإشادة بجماله ، ولبعض شعرائنا الأحياء آثار فى ذلك نرجو أن ندرسها ، وأن نعقد بينها الموازنات ، ونعرف ما بين بعضها وبعض من الصلات بمعونة الله ؟

أحمد أحمد بدوى
وكيل كلية دار العلوم

حول حقوق المرأة
بقايا من رواسب الجاهلية

للأستاذ أحمد الشرباصي

« اتقوا الله فى المرأة »

من حديث شريف

لعل أخطر الأمور التى يأتيها الإنسان فى حق الدين أن يعطى نفسه حق التحليل لما حرم الله، أو التحريم لما حلل؛ لأن هذا يعد تدخلا فى اختصاص الخالق جل جلاله: « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ». وإذا استباح الإنسان - كائنا من كان - أن يشرع للناس ما ليس من الدين، فقد بلغ الأمر مبلغه من الفوضى والاضطراب.

ولقد نشرت الصحف أن أحد الملوك قد طلق زوجته وفارقها منذ زمن، ولكنه يحرص على منعها من التزوج بأحد، ويشترط عليها ألا تتزوج حتى يتزوج هو... ومتى يكون زواجه هذا؟ الغيب يعلمه الله!...

وهذا يذكرنا بما فعله ملك طاغية من قبل، إذ طلق زوجته أيضاً فى ظروف مؤسفة، ثم طلب من شيخ علم من شيوخ الإسلام أن يصدر له فتوى خاصة تقضى بتحريم زواج الملكة المطلقة من غيره، حتى لا يقال إن فرداً من أفراد الشعب - مهما كان - قد تزوج الملكة، ولو كانت ملكة سابقة!!...

إن هذا يذكرنا بأن هناك مواريث ثقيلة من ظلم الرجال للنساء، وتحكم الأزواج فى الزوجات، حتى بعد انفصام عروة الزواج، بلا مسوغ من دين أو عقل. ولقد كانت هذه المواريث طاغية باغية فى ظلمات الجاهلية، فأقبل الإسلام العظيم الحنيف المنصف ليزيلها عن كاهل المرأة الرقيق الضعيف؛ وبرغم هذا بقى هناك من الرجال من يحاول اتخاذ المرأة سلعة تباع وتشترى...

* * *

لقد كان الطلاق فى الجاهلية لا نظام له ولا ضابط، فالرجل يطلق المرأة ثم يراجعها وهى فى عدتها، بلا عدد أو توقف؛ وحدث أن قال رجل لامرأته فى بدء الإسلام: والله

لا أطلقك فتبيني ، ولا آويك أبداً. قالت له : وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك . . . فذهبت المرأة المسكينة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فنزل قوله تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

وقال الإسلام لأتباعه : إذا أوقعتم الطلاق على المرأة لداع دعا إلى ذلك ، وقاربت انتهاء العدة ، فإما أن تعيدوها إلى عصمتكم برفق وطريق أليف معروف ، وإما أن تخلوا سبيلها بمعروف ، وإحسان ، حتى تستطيع المرأة المطلقة التي انتهت عدتها زواج رجل آخر إذا أرادت . . . يقول القرآن : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله،واعلموا أن الله بكل شيء عليم » . وفي موضع آخر يقول مخاطبا الرجال في حسن معاملتهم لمطلقاتهم : « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » .

ولقد كان من عادة الجاهلية الجهلاء أيضا أن الرجل يعضل زوجته المطلقة ، أي يمنعها أن تتزوج غيره أنفة منه ، وكبراً أن يرى امرأته السابقة عند رجل غيره ، فكان يمنعها من الزواج ، ويصد عنها الأزواج بضروب من الصد والمنع ، فجاء الإسلام فأبطل هذا الظلم وهذا الإجحاف ، فقال القرآن : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . فمن ذا الذي يريد أن يشارك الله في حكمه ليحل حراما أو يحرم حلالا ؟ « أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ؟ ! .

ومن المؤسف المؤلم أنه لا يزال في أجزاء من بلادنا من يعضل الفتاة قبل زواجها بصورة لا يرتضيها دين ولا عقل ، وذلك أن يكون للشاب بنت عم فيعلن أنه يريد زواجها وقد لا يكون بينهما وفاق أو انسجام ، وقد ترفض الفتاة زواجه لهذا العذر أو ذاك ، فإذا حدث هذا فإن التقاليد العنيفة المعتسفة تقف في وجه هذه الفتاة ، فتصدها عن الزواج بأي شخص كان ، فإما أن تتزوج ابن عمها « الحاكم بأمره » ! وإما أن تظل « عانسا » بلا زواج حتى يتزوج ابن عمها ... ومتى يتزوج ؟ ... لا يدري ذلك أحد ، وربما أصر على عدم الزواج نكاية فيمن رفضت التزوج منه !! .

* * *

إن المرأة ميلها الجنسى ، ورغبتها الطبيعية فى الرجال كرغبة الرجال فى النساء ، وليس بعيب من المرأة أن تطلب إرضاء هذه الرغبة بطريق مشروع سليم ، بل إنه ليجب عليها إرضاء هذه الرغبة بالطريق المشروع إذا أيقنت أنها سترضيها بطريق غير مشروع ... وماذا تفعل فتاة جميلة شابة مترفة إذا طلقت وعاشت بلا رجل مثلا ؟ . . ألا يكون هذا مدعاة لسوء الظن والريب فيها ؟ . . ألا يفتح هذا أبواب الانحراف والزلل أمامها ؟ . . .

لو كان المطلق رجلا عاقلا ومنصفا لرحب بتزوج مطلقته طلاقا نهائيا من زوج آخر ، بدل أن تبقى بلا زواج ، فتثور حولها الشكوك والتهم ، ثم يقول الناس عنها بالحق أو بالباطل: هذه مطلقة فلان تفعل كذا وكذا ؛ فيناله شىء من عارها وشنارها ، ولو أنها تزوجت من بعده لنسبها الناس إلى زوجها الثانى وتركوا زوجها الأول : « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

والإسلام يذكر فى هذا الباب أنه متى انتهت عدة المرأة المطلقة ، وانتهت علاقتها بزوجها الأول ، فلا مانع يمنعها شرعا ولا عقلا من أن تتزوج بغيره ، بل يكون ذلك فى الغالب أستر لها وأصلح ، والعامة تقول : «ظل الرجل ولا ظل الجبل » ! ... ولو كانت المرأة حاملا من مطلقها ووضعت حملها بعد ذلك انتهت عدتها ، ولو كان الوضع بعد طلاقها أو موت زوجها بأيام ، والقرآن المجيد يقول : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ... » ولقد أفتى النبى صلى الله عليه وسلم امرأة (وهى سبيعة الأسلمية) بأنها حلت للزواج حين وضعت حملها ، وكانت قد ولدت بعد موت زوجها بنصف شهر ! . .

* * *

إن الإسلام يقرر أن الزوج إذا طلق زوجته ثلاث تطليقات ، وبانت منه بينونة كبرى ، فإنها لا تعود إلى عصمته إلا إذا تزوجت غيره زواجا صحيحا ، وطلقها أو مات عنها ، وانقضت عدتها ، وفى هذه الحالة يجوز له أن يراجعها ؛ وجعل الإسلام ذلك تأديبا للرجل وتهذيبا ، حتى يرعى حرمة الزواج ، ولا يقدم على فصم عقدته فصما نهائيا إلا عند الدافع الضرورى الذى لا مفر منه .

وكأن الإسلام يريد أن يقول للزوج المطلاق : إن الزوجة لم تكن زوجة كى تصير ألعوبة فى يد زوجها ، يطلقها كل حين ، فيحرمها متعة اطمئنان الحياة الزوجية ، واستقرار المعيشة المشتركة ، بل كانت هذه الزوجة زوجة لتسعد بحياة زوجية ، فيها إرضاء لحسها ونفسها ، وقلبها وعقلها ، فإذا تكرر من الزوج التطليق لها حتى بلغ ثلاثا ، كان من حكم الله أنه يحرم عليه إعادتها

إلى عصمته حتى تتزوج زوجا غيره ، وتحيا معه حياة زوجية صحيحة . وإذا فرضنا وطلقها الزوج الثانى - وهذا نادر - أو مات عنها فإن الزوج الأول يجوز له بعد هذا أن يعيدها إلى عصمته ! ...

ولا شك أن الزوج يغار ويأنف أن تكون زوجته حليلة لزوج آخر ، ومن أجل ذلك يجب عليه أن لا يعرضها لهذا الوضع ، فإذا حدث هذا بحماقته أو بظروفه السيئة ، فلا يجوز له أن يقف فى وجه زوجته المطلقة ، بل لها أن تتزوج غيره ، ولا يجوز له هو - أى الزوج الأول - أن يستردها ويعيدها إلى عصمته إلا إذا تزوجت بسواه !! . .

هذا ، ولقد أباح الإسلام للرجل الراغب فى زواج المرأة المتوفى عنها زوجها أو المطلقة نهائيا بلا رجعة ، أن يعرض لها بحديث زواجه منها وهى ما زالت فى العدة ، حتى إذا انتهت عدتها شرع فى زواجها ، يقول الله تعالى : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم ، علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ، ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » ! .

يقول القرطبى عند حديثه على هذه الآية : « أى لا وزر عليكم فى التعريض بالخطبة فى عدة الوفاة ، والتعريض ضد التصريح ، وهو إفهام المعنى بالشىء المحتمل له ولغيره » .

ويضرب المفسرون مثلا للتعريض قول النبى صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس : « كونى عند أم شريك ، ولا تسبقينى بنفسك » ! . . وكذلك يروى أن الرسول قال لأم سلمة - وهى متأيمة من أبى سلمة - : « لقد علمت أنى رسول الله ، وخيرته ، وموضعى فى قومى » . وقال أهل السنن كانت تلك خطبة ! . . .

وروت سكينة بنت حنظلة أن محمد بن على ابن حسين استأذن عليها ولم تنقض عدتها من مهلك زوجها فقال : « قد عرفت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقرابتى من على ، وموضعى فى العرب » . فأجابته : « غفر الله لك يا أبا جعفر ! إنك رجل يؤخذ عنك ، تخطبنى فى عدتى » ؟ . فقال : « إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على » ! . . . أى أنه لم يصرح وإنما اقتصر على التلميح .

وإنما أمر الإسلام بعدم الزواج أثناء العدة لكى يتحقق المطلوب منها وهو استبراء الرحم وما تعلق به ، وبعد تمام العدة يجوز للزوج الجديد أن يتم زواجه منها . . .

ذاك حكم الإسلام ، وفيه إنصاف المرأة وصيانة لحقها فى الحياة ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ! « والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب » ! . . .

أحمد الشرباصى

التعليم الديني في السودان

للأستاذ على العماري

— ٢ —

ولما تمكن الاستعمار الإنجليزي في السودان عمل — كدأبه في كل بقعة يحل فيها — على إفساد الأخلاق ، ومحاربة العقيدة الإسلامية .

والاستعمار أينما حل يحمل معه رذائل ، ووسائل لإشاعة الرذائل بين الشعب المستعمر حتى يسهل عليه إخضاعه ، فهو يفشى الدعارة والخمر والميسر بغية إفساد السكان جسما وعقلا ، وهو يجعل الوظائف الحكومية التي يتخلى عنها وقفا على المتملقين الجهلاء المطاويع الأذلاء من أبناء المستعمرة ، وبهذا يفسد أخلاق الشباب ويجعلهم كارهين للعلم والثقافة ، وهو يقتل الاعتماد على النفس حيث يقبض المستعمر على شئون المستعمرة ويجعل أبناء البلاد مجرد منفذين ، وهو يفسد ضمائر السكان فيجعل بعضهم عيونا على بعض ، ويحرض بعضا على بعض ، ويقرب الخائنين ويعرض عن المتمسكين بوطنيتهم وبضمائرهم وبأخلاقهم ، ثم إنه ينشر الرشوة بين أبناء المستعمرة ويمكن للقوى من أن يستغل الضعيف مادام القوى يدين له بالولاء ، وينفذ كل رغباته (١) .

وقد ترسم الاستعمار الإنجليزي هذه الخطا واحدة واحدة ، فزحزح فريقا من السودانيين عن موقفهم الصحيح من التدين وحسن الخلق مما جعل أحد كتابهم يصرح فيقول : « إننا نجهل أنفسنا فلا أستبعد ألا يرضى بعضنا عن بعض أوصاف صادقة لبعض الأفراد والجماعات وفي هذا كل الخطر .

نحن مرضى ، ولا خطر علينا من تشخيص الداء ، ووصفه للحصول على الشفاء ، إنما الخطر كل الخطر في المكابرة والادعاء ، والزعم بأننا أصحاء أشداء ، وإنه لمن أجدى الأمور لنا أن نعرف أنفسنا كما هي فنصلح ما فيها من عيوب ، وهي وإن كانت عيوبا تمت إلى أسباب بعضها طبيعي وبعضها طارئ استوجبه اضطراب أحوال البلد في السنين الماضية فإنها كالأمراض التي لا يستعصى علاجها .

---

[١] انظر في ذلك كتاب الاستعمار الجزء الأول للأمير مصطفى الشهابي .

ومع ذلك فإنني لا أنسى أن أذكر لهذه المناسبة أننا من أكثر الشعوب تهيؤا للإصلاح بعد الهنود (١) .

كما دفع بعض الشعراء السودانيين أن ينكروا على قومهم بعدهم عن الدين ويحثوهم على الأخذ بيد الفضيلة ، وفي ذلك يقول أحد شعرائهم :

بعدنا عن الدين الحنيف وهديه
فياويلنا إن دام هذا التباعد
إذا رمتم إصلاحكم فتدينوا
وإن رمتم بنيانكم فتساندوا
وإن لم تكونوا قادرين فحاولوا
وإن لم تكونوا واجدين تواجدوا

ويقول :

خذوا بيد الفضيلة وانشروها
فإن من المعرة أن تهونا (٢)

ومن الحق أن نقول إن هذه العيوب والأمراض كما يراها صاحب ديوان الطبيعة ، والبعد عن الدين وهوان الفضيلة كما يراهما صاحب ديوان الفجر الصادق ، أقول إن كل هذه كانت في المدن أظهر منها في الريف فإذا كانت أكثرية الشعب السوداني تسكن القرى وهذه الأكثرية لم تتمكن منها هذه الأمراض صح حكمنا على الشعب السوداني في جملته أنه شعب متدين ، لكن الخطر يأتي من أن سكان المدن هم المتصرفون في مقادير هذا الشعب وهم الذين يوجهون حركة التعليم فيه .

ولا ننس أن نذكر هنا أن الإنجليز كانوا يعملون جاهدين على نشر النصرانية في بلاد السودان ، وهم كغيرهم من الاستعماريين يرون الإسلام أعدى أعدائهم ، حتى كان (غوردن) أحد قوادهم المشهورين ، يرى أن رسالته في الحياة هي تنصير جميع المسلمين وقد ابتلى السودان بهذا الاستعماري الحقود .

وكما بلى الإسلام بالاستعمار ، بليت كذلك اللغة العربية به ولم يعد هنا من يحسن النية بأي شعب مستعمر ، ومحاربة اللغة لا تقل عنفا عن محاربة الدين ، وقد كان أول هدف للإنجليز في السودان أن يقضوا على اللغة العربية فجعلوا التعليم في المدارس بلغتهم وكانت أوراق الامتحانات العامة ترسل إلى انجلترا لتصحح فيها وفتنوا جمهرة من المتعلمين فأخذوا يعيبون العربية وينفرون منها ؛ ويتآمرون على قتلها وفي ذلك يقول شاعرهم :

أرى الضاد في السودان أمست غريبة
وأبناؤها أمست لها تتجهم
تولت وما دمع عليها بفائض
وما أحد منهم لها يتألم

---

[١] مقدمة ديوان الطبيعة لحمزة الملك .
[٢] ديوان الفجر الصادق للشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن .

وسامت متاما فهى ثكلى حزينة
وعيت جوابا فهى لا تتكلم
ونبشت بالسودان قوما تآمروا
على اللغة الفصحى أساءوا وأجرموا

هذه مقدمات أوضحت بعضها فى هذا المقال وأوضحت بعضا آخر فى المقال السابق وهى تعطينا فكرة مجملة صحيحة عن التعليم الدينى فى السودان ، فهو يسير مع هذه المقدمات طردا وعكسا - كما يقول المناطقة - وحيث هانت اللغة العربية نرى تخلفا فى التعليم الدينى وحيث أجلها قومها ، وأحلوها من أنفسهم المحل اللائق بها ، نرى ازدهاراً وتقدما فى التعليم الدينى .

ومنذ نزل الإسلام بلاد السودان وهو ينشر لغته وتعاليمه، وإذا كان قد وجد النصرانية فى بعض الجهات السودانية فقد وجد الوثنية فى أكثر الجهات ، فمجاهل إفريقية لم يدخل فيها دين يحمل كتابا منزلا قبل الإسلام ، وقد كان إقبال الزنوج عليه عظيما ، فالزنجى لا يستطيع (أن يعيش طويلا بلا ديانة ، فحياته الروحية دائمة التعطش إلى التعبد ... لذلك فإننا نجده يسعى حثيثا للانضمام إلى الدين الأكثر شيوعا بين الأهالى ، والملائم لفطرته ، وهو الإسلام (١) » .

وبهذا أمكن للإسلام أن ينشر تعاليمه بسهولة وساعده على ذلك أن الفاتحين من المسلمين نظموا الحياة السياسية والاجتماعية فى السودان وأوجدوا فيه إدارة منظمة استقر بها الحكم ونشروا مبادئهم العادلة ، فاستتب الأمن ، وزاد الرخاء ، وأمن الضعيف غائلة القوى .

وأقدم مظهر للتعليم الدينى فى السودان هو مكاتب تحفيظ القرآن ، وتسمى فى السودان (الخلاوى) جمع خلوة . وقد كانت منتشرة انتشاراً واسع المدى حتى لا تخلو قرية أو حلة منها ، ولها نظام يختلف بعض الشىء عن المكاتب عندنا فهى - أولا - تلحق بمسجد فكل من بنى مسجداً ألحق به خلوة ، يقوم عليها فقيه - ويسمى عندهم الفكى - وقد يكون هو صاحب المسجد ، وهو يحفظ القرآن للتلاميذ ، ولا تقتصر الخلوة على أبناء القرية أو الحلة ، بل تضم تلاميذ من البلاد المجاورة وربما وفد بعضهم من بلد بعيد ، ويقوم أهل القرية بإيوائهم وكسوتهم والإنفاق عليهم إلى أن يحفظوا القرآن ، ومن عادتهم أن يقرأوا القرآن على ضوء النار ، فهم يحفرون حفرة فى وسط الخلوة ويضعون فيها الحطب ويوقدونه ويقرءون على ضوئه وقد تستمر هذه النار موقدة لسنين طويلة ، وقد حدثنى من أثق فيه من علمائهم أن خلوة أم ضبان — وهى بلدة تقع شرقى

---

[١] من مقال مترجم عن الألمانية فى مجلة « العالم الإسلامى » .

الخرطوم وبينهما مسيرة ساعة فى السيارة هذه الخلوة لا تزال نارها موقدة منذ مائتى سنة .

والسودانيون يقرءون القرآن بقراءة أبى عمرو فى بلاد الشايقية ، وبقراءة ورش فى مديرية دنقلا ، ومما يؤسف له أنى لاحظت أثناء إقامتى فى أم درمان خطأ فى تلقين التلاميذ، فهم يحفظون بعض الآيات ملحونة . وبعضهم لا يفرق بين القراءات فيقرأ الآية الواحدة بقراءتين أو أكثر ، كما لاحظت قلة الحفاظ بين طلبة المعهد .

وبجانب تحفيظ القرآن كان الفقيه يدرس بعض علوم الشريعة كالفقه والتوحيد وربما اتخذ من المسجد أو من بيته مدرسة يعلم فيها، وكان التلاميذ يلتفون حوله ، ويمتثلون أوامره ويطيعونه أشد الطاعة .

وكان تلاميذ الشيخ يبلغون الألف فى بعض الأحيان ، ومن أولئك الشيخ أرباب بن عون الذى شدت إليه الرحال فى علم التوحيد والتصوف .

والمذهب السائد فى الفقه ـ فى السودان ـ هو مذهب الإمام مالك ، وأهم الكتب التى تدرس فى هذا المذهب هى رسالة ابن أبى زيد القيروانى ، وهى مشهورة عندهم (بالرسالة)

أما المذهب الشافعى ، فأول من أدخله فى السودان الشيخ محمد بن على بن قرم تلميذ الخطيب الشربينى ، قدم من مصر فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى واستقر فى دار (بربر) وجاء معه بمذهب الشافعية وقام بتدريسه وأخذ عنه كثير من الطلبة (١) » .

وأما المذهب الحنفى فدخل السودان حين أنشئت كلية الحقوق التابعة لجامعة الخرطوم وجعل فيها قسم للشريعة ، وقد كان رؤساء هذا القسم دائما من العلماء المصريين الأحناف.

ظلت الدراسة مقتصرة على الخلاوى والمساجد ، ويحكى الفقيه محمد ضيف الله فى مقدمة كتابه (الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين ، والعلماء والشعراء فى السودان) يقول : (ولم تشتهر فى تلك البلاد ـ قبل تأسيس مملكة الفونج ـ مدرسة علم ولا قرآن ، ويقال إن الرجل كان يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهاره من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر وعلم الناس العدة ، وسكن البحر الأبيض . . . وفى أوائل النصف الثانى من القرن العاشر ولى الملك عمارة أبو سكيكين . . . وفى أول حكمه قدم الشيخ ابراهيم البولاد من مصر إلى ديار الشايقية ودرس فيها خليلا والرسالة وانتشر علم الفقه فى الجزيرة ... ثم قدم الشيخ محمد المصرى دار بربر ودرس فيها علم التوحيد والنحو والرسالة) .

«١» التربية فى السودان جـ ١ ص ٦٥ .

ونستفيد من هذا النص ومن نصوص أخرى كثيرة أن أصحاب الفضل فى نشر العلوم الإسلامية فى السودان على طريقة منهجية سليمة هم العلماء القادمون من مصر سواء كانوا مصريين رحلوا إلى السودان أم كانوا سودانيين وفدوا على مصر ثم عادوا إلى قومهم ليعلموهم وإنا لنجد فى أسماء علمائهم لقب (الأزهرى) ومن أشهر علمائهم الذين جاءوا إلى مصر وتعلموا فى الأزهر الشيخ حسين الزهرا قاضى الإسلام فى عهد المهدية ، وكان من أهم دعاة المهدية بجزيرة سنار والشيخ عمر الأزهرى وقد تقلد منصب القضاء فى حكومة المهدى وكثيرون غير هذين .

على أنه ليس معنى ذلك أنه لم يكن فى السودان علماء غير هؤلاء ، بل الحقيقة كما يقول بعض المؤرخين أنه لم يخل بيت من بيوت الأشراف فى السودان من فقيه يرجع الناس إليه فى أحكام دينهم ، وإنما معناه أن الذين نشروا العلم بطرق صحيحة هم الأزهريون الذين أخذوا العلم عن كبار المشايخ فى الأزهر ، وقد كان عدد قليل من السودانيين يفد إلى الحرمين الشريفين حيث يتلقى علومه هناك ثم يرجع إلى السودان ناشراً فيه أصول الدين وتعاليم الإسلام .

أما أول مدرسة رسمية فى السودان فكانت فى عهد عباس باشا الأول ، وجاء فى كتاب إنشائها : « قد رأى المجلس المخصوص أن تؤسس بالأقاليم السودانية مدرسة إنقاذاً لأولاد أهلها والمستوطنين بها من جحيم الجهل فيمتازوا باكتساب العلوم والمعارف على أن يقبل ويقيد فيها مائتان وخمسون غلاما ، واستحسن أن يولى رفاعة بك ناظراً على هذه المدرسة ، وأن يصطفى مدرسوها من هنا » (١) .

وكان هذا القرار فى ١٥ رجب عام ١٢٦٦ .

ولما جاءت المهدية ، أوجبت على الناس الجهاد ، وحرمت عليهم فى سبيل ذلك الاشتغال بأى شىء غير الجهاد ومن ذلك العلم ، ولم يسمح للناس إلا بحفظ القرآن ، وتلاوة رواتب المهدى ، وقد حدثنى غير واحد من السودانيين أن العالم من علمائهم كان يخفى الكتاب بين طيات ثوبه كما يخفى الآخرون أى شىء محظور ، بل كان يلجأ إلى الأماكن غير المطروقة وربما إلى بيوت الخلاء ليقرأ فى كتاب ، فلما انتهت المهدية عاد العلماء يدرسون فى بيوتهم وفى مساجدهم دراسات إسلامية ، حتى كانت سنة ١٩١٢ م فقام كبير من علماء السودان هو الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم بجمع الطلاب فى المسجد الكبير بأم درمان ، وأخذ يدرس لهم بمساعدة بعض إخوانه ، وأخذ يزداد عدد الطلاب ، وعدد المدرسين حتى أصبح معهداً له شأنه ، ولكنه لقى أشد العنت من

[١] من مقال بمجلة الثقافة العدد ٢٢٤

المستعمرين ، فضيقوا عليه فى النفقات ، ولم يجعلوا للمتخرجين فيه شأنا يذكر فى الوظائف ويكفى أن نقارن ميزانية المعهد بميزانية الإرساليات التبشيرية سنة ١٩٤٩م فقد قدرت ميزانية مدارس الإرساليات فى ذلك العام بمبلغ عشرة ومائتى ألف من الجنيهات ، فى حين لم تزد ميزانية المعهد العلمى الدينى عن واحد وعشرين ألفاً .

وقد أنشئ هذا المعهد على نظام الأزهر القديم ، إبتدائى وثانوى وعالى ، والكتب التى كانت تدرس فيه هى نفس الكتب التى كانت تدرس فى الأزهر . غير أنه حدث فى سنة ١٩٤٨ م أن قام طلاب المعهد بإضرابات رغبة فى إصلاح أحوالهم وأحوال المدرسين ، وأحوال المتخرجين فى المعهد فأمرت الحكومة الإنجليزية بإغلاق المعهد ثم أجرت فيه إصلاحا ـ كما زعمت ـ فقللت من العلوم الدينية والعربية وأدخلت اللغة الإنجليزية ووسعت منهج العلوم الرياضية ، وتقبل قدامى المعهد هذا التغيير بشىء كثير من الضيق والريبة ، والآن حول القسم العالى فيه إلى كليات ، والدراسة الآن قائمة فى كليتين إحداهما للغة العربية والأخرى للشريعة . ومنذ عهد غير بعيد فتح قسم الشريعة بكلية الحقوق أبوابه للحائزين على الشهادة الثانوية من المعهد ليكونوا طلابا فيه

وكما أن تلاميذ الخلوة كانوا ينزلون ضيوفا على أهل الحلة كذلك كان طلبة المعهد العلمى بأم درمان أو على وجه الدقة كان أكثرهم . فإن الطلاب إلى هذه السنة سنة ١٩٤٨ م لم يكن لهم أى عون من الحكومة فكانوا يفدون من كل أنحاء السودان لينزلوا فى أم درمان عند أقربائهم أو ذوى معارف أهليهم وربما نزل الطالب عند رجل لا تربطه به أية صلة ، بل كان يتسابق أهل المروءة إلى إيواء طلبة العلم ، ينفقون عليهم ويكسونهم ويشترون لهم الكتب ويعاملونهم كأبنائهم ، وكانوا يفردون لهم حجرات خاصة فى منازلهم ، وربما أعدوا لهم منازل خاصة فيها كل أسباب الراحة ، وكان أحد التجار فى أم درمان يؤوى خمسة وثلاثين طالبا ، ويجرى عليهم النفقة ويسكنهم منزلا خاصا بهم . وهذا شىء لا أعرفه فى بلد آخر غير السودان ، وقد سمعت عن قصص كثيرة فى هذا الصدد تدل على كمال المروءة ، ومنتهى الكرم ، وغاية الحفاوة بطلاب العلم .

وقد تضاءل هذا التقليد الجميل منذ أجرت الحكومة نفقات على طلاب المعهد وأعدت لهم مسكنا مع سوء الحال الاقتصادية فى السنوات الأخيرة ، ولكن لا تزال بقايا منه قائمة فى أقاليم السودان .

حقيقة السيد أحمد خان

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

كتب الأستاذ م . ح . تحت عنوان من رجالات الإسلام . مقالا ضافيا ينظم فيه عقود الثناء للسيد أحمد خان ، ويلصق به صفة المصلح الإسلامي في شبه القارة الهندية ويرجع إلى جهوده اساس النهضة الإسلامية في الهند . وبالتالي في دولة الباكستان الإسلامية .

هذه هي الخطوط العامة التي أخذ ينسج لحمتها وسداها الأستاذ . م . ح . في تمجيد رجل جر كثيراً من الوبال على

وفي السودان معاهد أخرى أنشأها الأهلون على نفقاتهم الخاصة ، وتمدها الحكومة ببعض العون وهي تنيف على الخمسين معهدا .

والذي لا يزال يحز في النفس أن الحكومة الإنجليزية كانت قد ضاءلت من شأن الخلاوي التي يحفظ فيها الأولاد القرآن الكريم ، فحولت كثيراً منها إلى مدارس أوليه ، ومنحت نظارها رواتب فقل بذلك حفظة القرآن ، ولا أدري إذا كانت الحكومات التي جاءت في عهد الاستقلال قد تنبهت لهذه الخدعة الاستعمارية أم لا يزال الأمر كما رسمه الإنجليز ؟ .

ولا أجهل أنه كان من كبار رجال وزارة المعارف السودانية قبل الاستقلال وبعده تلاميذ للإنجليز ، بل هم أشد تحمساً من أساتذتهم لكراهية التعليم الديني ، وعسى أن يتخلص السودان من بقاياهم .

ولا يمكن للباحث في التعليم الديني في السودان أن يغفل الإشارة إلى ما كان للطرق الصوفية من آثار محمودة ، وإرشاد الناس وتعليمهم ، وما تم على أيديهم من إقامة الزوايا والمساجد والخلاوي . وإن كان لهذه الطرق أثر سيئ في عقائد الناس ، وقد بدأت طبقة المتعلمين تتحلل من سلطة هؤلاء . ولكن سلطانهم على العامة لا يزال قويا ، ولا يزال الاعتقاد فيهم وفيما يمكن أن يفعلوه كبيراً ، والزمن والتعليم كفيلان بأن يبصرا الناس بالطريق القويم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

علي العماري

المدرس بمعهد القاهرة

الإسلام والمسلمين ، وكان خنجراً مسموما فى أيدى المستعمرين وأعداء الإسلام يحاولون به الإجهاز على ما تبقى لهذا الدين من رمق يدافع به الفناء فى هذه البلاد التى نكبت بالاستعمار الغربى فأزال الحكم الإسلامى عن ربوعها ، وأجرى دماء المسلمين أنهارا ، تنكيلا بهم وتحطيما لشوكتهم ، وتنفيسا لأحقاده التى لا تنطفئ على الإسلام ورجاله .

ويجدر بنا أن نعرض لبعض مواقف السيد أحمد خان ، ونقف على طرف من آرائه علها تكشف لنا عن حقيقة الرجل وكنهه ، ويبدو لنا من خلال أعماله وأقواله بدون بهرج أو زخرف ، ومن ثم ينكشف للناس أمره ، وتبطل تلك الدعاوى العريضة ، التى تحاول جاهدة ـ بأى دافع لست أدرى ـ أن تضفى عليه ثوب المصلح ، وتلبسه لبوسا ليس من أهله .

إننا لا نستسيغ بحال من الأحوال أن نرى رجلا خان أمته ، وكان حربا عليها ، وعونا للمستعمرين الغاصبين على إذلالها وتحطيم عزتها يسلك فى نظام المصلحين ، ويعد فى أصحاب الدعوات ، وإن نسينا فإن التاريخ لن ينسى للسيد أحمد خان موقفه العدائى من ثورة الهنود على الاستعمار البريطانى ، وبذله أقصى الجهد فى سبيل حمايتهم والذود عنهم ، ومجاهرته بالعداء لبنى وطنه ودينه لقاء مركز أو جاه يقدمه له أعداء بلاده ودينه .

وقد كافأه الإنجليز على هذه اليد التى لا تنسى واعتبروه ركنا ركينا لهم فى شبه القارة الهندية فمدوا إليه أيديهم بالتأييد المادى والأدبى حتى يقوم بالدور الذى أعدوه له ، وينهض للرسالة التى نصب نفسه للقيام بها ، من توهين عقيدة الإسلام فى نفوس المسلمين ، وبذر بذور الريبة والشكوك فى قلوب أبنائه ومحاولة جذب طائفة من أبناء المسلمين فى شبه القارة الهندية إليه ، وإغرائهم بالمناصب والجاه ليكونوا له أعوانا فى هذه السبيل التى ينكرها الإسلام أشد الإنكار ، وينفر منها كل النفور .

وفى ظنى أن السيد أحمد خان رأى من خلال نظرته الانتهازية أن الثورة على الإنجليز لن تبلغ غايتها ، فأحب أن يقدم لهم يدا تشفع له عندهم ، وترفعه إلى مصاف خدمتهم وليست هذه الانتهازية من أخلاق المصلحين وأصحاب الدعوات .

وليت السيد أحمد خان وقف عند هذا الحد إذن لقلنا إنها نزوة غلبت على الرجل فى ساعة من ساعات الضعف التى تنتاب طلاب الشهرة ومحبى الرياسة ، فتدفعهم إلى ارتكاب الأخطاء فى حق بلادهم وذويهم .

ولكن الرجل تطوع لخدمة سادته الإنجليز وقدم لهم ما عجزوا هم عن تحقيقه ، فبذلوا له ما شاء من العون والتأييد ليبلغ ما يريد من كيد الإسلام وتفريق المسلمين ، فحمل معوله وأخذ يعمل الهدم فى صرح الإسلام المنيع ، سالكا طريقا تخفى على كثيرين ، وتغرى بعض ضعاف الأحلام ، وهو فى مأمن من حماية الإنجليز له ، وتشجيعهم له على المضى فى طريقه عساه أن يحقق ما أعجزهم من بث الفرقة والوهن فى صفوف المسلمين الهنود وعقائدهم .

وعمد الرجل إلى نشر أفكاره الضارة بطريقة منظمة فى ظل الاستعمار وعلى عينه ، فأنشأ مدرسة « عليكرة » وأصدر صحيفة تروج لدعوته فى صفوف المسلمين الهنود ، وقد تنبه السيد جمال الدين الأفغانى لخطره وفساد طويته ، فنشر مقالا يحذر منه ويكشف عن مداخله وتأييد المستعمرين له قال فيه : وما دام الاعتقاد المحمدى والعصبية الملية فيهم « المسلمين » ، فلا تؤمن بعثتهم إلى طلب حقوقهم فاستهدوا « الإنجليز » طائفة ممن يتسمون بسمة الإسلام ، ويلبسون لباس المسلمين ، وفى صدورهم غل ونفاق ، وفى قلوبهم زيغ وزندقة ، وهم المعروفون فى البلاد الهندية « بالدهريين الطبيعيين » فاتخذهم الإنجليز أعوانا لهم على إفساد عقائد المسلمين . وتوهين علائق التعصب الدينى ، ليطفئوا بذلك نار حميتهم ، ويبددوا جمعهم ، ويمزقوا شملهم ، وساعدوا تلك الطائفة على إنشاء مدرسة « عليكرة » ونشر جريدة لبث هذه الأباطيل بين الهنديين حتى يعم الضعف فى العقائد ، وتهن الصلات بين المسلمين فيستريح الإنجليز فى التسلط عليهم » (١)

هذا ما كتبه أكبر المدافعين عن الإسلام وأعلاهم صوتا فى عهد السيد أحمد خان وهو صريح فى خروجه على الإسلام ، وسعيه فى الكيد له ، فكيف يتسنى لنا بعد هذا أن نرى من يقول عن السيد أحمد خان إنه من رجال الإصلاح الإسلامى الذين حملوا لواءه ورفعوا رايته ؟ !

ويبدو أن السيد الكاتب قد اغتر بما كتبه المستشرقون عن حركة السيد أحمد خان ، ووقع فى الخطأ الذى وقع فيه من قبل الأستاذ أحمد أمين فى كتابه « زعماء الإصلاح » وليس بخاف علينا جميعا محاولات المستشرقين الدائبة فى بث سمومهم ، ونشر ظلال الشك فى قلوب المسلمين ، وإضفائهم ثوب الإصلاح على كل خارج على الإسلام .

وتنكشف طوايا السيد أحمد خان الدفينة ضد الإسلام من كتاباته التى حاول جاهداً

---

[١] الفكر الإسلامى الحديث للدكتور محمد البهى ص ٥٠ .

أن ينفث من خلالها سمومه تحت ستار البحث العلمي والإصلاح الديني .

فتراه في تفسيره للقرآن الكريم يقرر أمورا خطيرة لو أمعنت النظر فيها لوجدتها تهدف في جوهرها إلى صرف النظر عن مناوأة المستعمرين ، كما يبدو ذلك جليا عند تفسيره لآيات الجهاد في القرآن الكريم وتهوينه من فرض القتال على المسلمين والتقليل من شأنه ، تحت ستار التعاون العالمي والتسامح الإنساني مما ترى نظائره في دعوى الجمعيات السرية أمثال الماسونية التي تهدف إلى القضاء على الإسلام ، وتفكيك العرى بين أبنائه متخفين وراء الأستار الكاذبة والشعارات المضللة .

ثم يذهب السيد أحمد خان بعد ذلك كله - نتيجة لما سار عليه من المنهج الطبيعي في تفسير القرآن الكريم يذهب إلى القول بنفي المعجزات لأنها خوارق غير طبيعية ثم يخطو خطوة أخرى أشد وأنكى حين يقرر أن النبوة غاية إنسانية يصل إليها المرء بالرياضة النفسية والمجاهدة (١) ، ومعنى هذا نفي الوحي والتلقي عن السماء ، وقد كان السيد أحمد خان بآرائه هذه ممهداً لظهور المذهب القادياني في الهند ، وقيام غلام أحمد بدعوته المارقة عن الإسلام .

أيعقل بعد هذا كله أن نسمح لقائل أن يقول عن السيد أحمد خان إنه من زعماء الإصلاح الديني في الإسلام . بعد ما رأينا جهده في الكيد للإسلام ، وتوهين عقائده وهذا هو السيد جمال الدين الأفغاني يصرح بأنه ما ألف رسالته : « الرد على الدهريين » إلا ليبطل مزاعم هذا الرجل ، وينبه المسلمين إلى ضلال دعواه ، فيقول : « ولما كنا بحيال الدين في الهند سنة ١٨٧٩ أحسسنا من بعض ضعاف العقول اغترارا بترهات الرجل وتلامذته فكتبنا رسالة في بيان مذهبهم الفاسد ، وما ينشأ عنه من المفاسد وأثبتنا أن الدين أساس المدنية وقوام العمران ؟ (١) »

وبعد : فهذه خاطرة أثارها مقال الأستاذ م . ح . أردنا من ورائها أن يقف المسلمون على الحقائق التي تتعلق بتاريخهم ، ونبذ الدخلاء عن تاريخ الإسلام حتى يتبين من يعمل للإسلام ويذود عن حماه ممن ضل السبيل وتنكب الطريق ؟

محمد ابراهيم الجيوشي
المشرف على الشئون الدينية بالإذاعة

[١] الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد البهي ص ١٦ .

[١] الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد البهي ص ١٤ .

رسالة وجوابها

بين الأستاذ الأكبر وصاحب العرفان

الرسالة

أخي في الله تعالى ووليي فيه عز وجل: فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر أيدك الله في مساعيك وسددك في مراميك.

والسلام عليك وعلى المتخلقين بأخلاقك، المقتفين أثرك، وعلى من حملتهم على جادتك المثلى، ونهجت لهم سبيلك المستقيم، وعلى من قاموا معك أو قمت معهم في مهمة التقريب بين المذاهب الإسلامية، تتسورون شرفات الشرف، وتتوقلون في معارج العز، فتبنون في الإسلام خطط الدعة والسلام على أسس سيد الأنام وخاتم الرسل الكرام عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام. فما أكرم مقامكم عند الله تعالى وما أشرف منقلبكم إليه.

أشهد أنكم نصحتم بهذا لله تعالى ولكتابه عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولأئمة المسلمين ولعامتهم. وإن الدين بكنهه وحقيقته يتمثل في هذا النصح.

لقد عشقت الأذن ثم تبعها العقل والقلب لما سمعناه وقرأناه لكم وعنكم: علم غزير وفضل عميم؛ ولذلك كان سرورنا عظيما حينا أسندت لكم مشيخة الأزهر، فنال القوس باريها وأعطيت المسئولية إلى ابن بجدتها، والذى يعرف بإخلاص كيف يتحمل عبئها وها هي المقدمات الحسنة تدل على النتائج الباهرة، فحين قرأنا تصريحكم لجريدة الشعب المصرية قلنا: شنشنة أعرفها من أخزم، هذا من فضل ربي، فأنا باسم علماء الشيعة جميعا في لبنان وسورية والعراق وإيران ... الخ أمد يدى مصافحا وأفتح قلبي وصدرى داعيا ومؤيدا، وأعدكم أن أعمل في مجلتي وبنفوذى الديني والدنيوى للوصول بكافة الطرق إلى ما تصبو إليه نفسك ونفسنا من العودة بالمسلمين جميعا إلى جوهر الدين وتعاليمه السامية، إلى كتاب الله وسنة رسوله لا فرق بين سني وشيعي. وأن نعمل معا على النصح والإرشاد لنعود بالغلاة والمتخلفين إلى الحظيرة الإسلامية الصحيحة.

ما أجل كلمتكم في قضية السنة والشيعة: عرفتم - متع الله بعرفكم وعوارفكم - مذهب الإمامية بكنهه، وأدركتموه بكل حواسكم، فلم تأخذكم لومة لائم في الاعتراف به، لا في

تحريره وتقريره ولا فى إقامة الدليل على العمل به كغيره من مذاهب الجمهور . ولعل الله يهدى بك هؤلاء المرجفين الذين يحملوننا من أوزار الغلاة الكفرة ما يعلم الله عز وجل أنا براء مما يأفكون . وعسى أن يكون ما قد رأيتموه من عملكم الإيجابى بتدريس فقه الإمامية بالأزهر الشريف سدا لهذه الفجوة التى اصطنعتها الأوهام وإنهاء لهذه الجفوة التى خلفتها الأهواء .

وفى الختام نرجو أن ترسلوا رسمكم الكريم لنزين به صدر العرفان مع تاريخ حياتكم وكلمة موجهة إلى المسلمين جميعا من سنة وشيعة فى أقطار الأرض بواسطة مجلة العرفان المنتشرة فى جميع أنحاء العالم . تدعوهم فيها إلى الوحدة والتآلف وإلى كلمة سواء .

والسلام عليكم طليعة الأمة وحملة مشعلها وعلى جمالها وقائد ثورتها ، وعلى المجاهدين بين يديه وعلى من تهوى قلوبهم إليه ورحمة الله وبركاته .

المحب المخلص

أحمد عارف الزين

صاحب العرفان

الجواب

إلى السيد الأخ المجاهد فى سبيل الله بعلمه وقلمه وحميد سعيه : الشيخ أحمد عارف الزين صاحب العرفان :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ـ أما بعد :

فقد تلقيت بمزيد الغبطة والارتياح كتابكم الذى ضمنتموه اغتباطكم بإسناد مشيخة الأزهر إلى ، وشهادتكم لى بأنى من الناصحين لله عز وجل ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وذكركم ما كان من تأييدى لوحدة المسلمين على كتاب ربهم وسنة نبيهم ، لا فرق بين سنى وإمامى وزيدى .

وإنى أيها الأخ الجليل لأحمد الله تعالى على ما أولانى من نعمته ، وأسأله التوفيق لما يرضيه ، وأن يجعلنى أهلا لما ظننتم بى من الظن الحسن ، فإن المرء مسئول عما استرعاه الله ، رهين بالنصح لله وأداء أماناته ، كما أشكر لكم هذا الروح الكريم الذى استقبلتم به أمرى ، وهذه الثقة الغالية التى قويتم بها قلبى وأدعو الله تعالى أن يجزيكم عن الأخوة والوفاء والمؤازرة على الحق موفور الجزاء .

إن المسلمين يا أخى قد استناموا فى كثير من حقب تاريخهم إلى سوء حالهم الناجم عن فرقتهم وتقطع الروابط بينهم ، والاستجابة إلى نداء عدوهم الماكر المتربص بهم ، وقد طال عليهم الأمد فى ذلك حتى ضعفوا واستكانوا وظنوا أنهم قد أحيط بهم ، لولا أن قيض الله لأمة الإسلام فى كل شعب قادة

مصلحين ودعاة راشدين - شهد الله أنك ياصاحب العرفان منهم - فكانوا يبصرونهم بعاقبة أمرهم ، ويدعونهم إلى إصلاح ذات بينهم ، وإلى الوقوف صفا واحدا أمام أعدائهم المهاجمين بلادهم ولثقافتهم ولدينهم ، وشاء الله تعالى أن تنبعث فيهم « جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية » تلك الجماعة التي عرفت كيف تشخص داء المسلمين ، وكيف تصف لهم الدواء ، فكنت والحمد لله من مؤسسيها الأوائين ، ووجهت معها نداءها الأعظم المستمد من كتاب رب العالمين « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » فاستمع إليه الشيعي والسني واستجاب له العربي والعجمي ، تبادل العلماء في كل شعب رسائل العلم ، ورسائل الدين يبحثونها في ظل من الأخوة الإسلامية التي أثبتها الله في كتابه للمؤمنين ، لايهدفون إلا إلى الحق ولا يريدون إلا الوصول إلى حكم الله الذي هم به جميعا مؤمنون ، لم يعد يقام للعصبية وزن ، ولا يحسب للشقاق المذهبي حساب .

إن الله تعالى قد أذن لهذه الدعوة المباركة أن تسري في المسلمين ، وجعل مسراها في عهد مبارك هو عهد الرجل الذي ضرب مثلا عمليا مصدقا لما يستبشر به المسلمون دائما ، من أن أمة محمد ما تزال بخير ، ذلكم هو الرئيس الموفق الذي أقرأتمونا السلام عليه في كتابكم : جمال عبد الناصر .

إن قيام جمال عبد الناصر في الأمة إنما هو فرصة سانحة يجب أن تنتهز لمصلحة الإسلام ، ولمصلحة الأوطان الإسلامية ، ولمصلحة الشعوب التي تؤمن بالقرآن وبخاتم النبيين ، إن هذه المصالح كلها تتلخص الآن في مبدأ واحد يجب أن يرسخ في القلوب هو الائتلاف ونبذ الخلاف .

فناد به يا أخي في صحيفتك ، واجهر بدعوتك ، وقل لإخواننا وإخوانك من المسلمين في أي شعب كانوا ، ومن أي مذهب كانوا : إننا جميعا مسلمون ، كلنا سنة ، لأننا جميعا نأخذ بالسنة ، وكلنا شيعة لأننا ندين بحب آل البيت حبا منبثقا من حبنا لرأس هذا البيت ، وإن الله ينادينا جميعا فيقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

ما يقال عن الإسلام

دعـــوة المنـــارة

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرض تحليلي لكتاب (دعوة المنارة) لمؤلفه «كنيث كراج»

كتاب جديد من الكتب الكثيرة التي تصدرها مطابع الغرب في هذه السنوات عن الإسلام والأمم الإسلامية، وعما يتصل بها من المسائل العالمية، ولا سيما مسائل العقائد ومذاهب الاجتماع.

وقد كثرت هذه الكتب في الربع الثاني من القرن العشرين كثرة لم يسبق لها مثيل في غير أيام الاستشراق الأولى، وهي الأيام التي اتفقت فيها جهود الباحثين في اللغة والدين، وجهود المبشرين، وجهود الدعاية الاستعمارية على غاية واحدة، وهي الغلبة على بلاد الإسلام.

ولكن حركة التأليف الحديثة عن الأمم الإسلامية تخالف الحركة الأولى، في عدة أمور تقتضيها أحوال الزمن، وتغير العلاقة بين الأمم الإسلامية ودول العالم الغربي بشطريه، كما يقتضيها تقدم الزمن في مناهج الكتابة ودواعي المعرفة والاطلاع.

فالمؤلفون الأسبقون كانوا يؤلفون كتبهم وهم ينظرون إلى الفتح والغلبة، ويطمعون في إقناع الشرق والغرب معا بضرورات الفتح والغلبة من وجهة السياسة ووجهة الثقافة على سواء، وليس هذا المطمع من مطامع كتاب الغرب اليوم، فإنهم يعلمون أن إخضاع الأمم الإسلامية في هذا العصر لسلطان الحكم الأجنبي مطلب عسير كثير التكاليف قليل الأمل في البقاء، وغاية ما ينظرون إليه أن يلتمسوا الأسباب إلى كسب المودة وتقريب مقاصد السياسة ومقاصد الثقافة إلى هذا الجانب أو ذاك من جوانب الدعوات العالمية.

كذلك كان المؤلفون الأسبقون يهجمون

على تشويه الحقائق وهم فى أمان من التكذيب؛ لأنهم كانوا يكتبون عن بلاد يعلمون أن العارفين بها قليلون ، وأن أصوات أبنائها لا تعبر حدودها إلى ما وراءها ، وكانوا يفهمون أن قراءهم يسيغون الأعاجيب والنقائض التى يغرقون فى خلقها أو المبالغة فيها ، بل كانوا يفهمون أن قراءهم ينتظرون من كل كاتب عن الشرق أن يزودهم بأكبر زاد من غرائب ألف ليلة وليلة وأسرار الكشوف المجهولة على غرار تلك الأسرار التى تعودوها من كتاب الرحلات فى القرون الوسطى .

أما قراء القرن العشرين فهم يتطلعون إلى زاد من أخبار الشرق غير ذلك الزاد العتيق ، ولا يأمن الكاتبون لهم إذا هم بالغوا فى الإغراب والتلفيق أن يأتى بعدهم - أو معهم - كاتبون آخرون ينقضون ما أبرموا ، وينكشون ما لفقوا ويكشفون القناع عما وراء تلك المبالغات من الوقائع والأخبار .

فالمؤلف الغربى اليوم حريص على سمعة الدقة العلمية والملاحظة الصادقة ، ويملى له فى هذا الحرص أن مناهج البحث قد تقدمت مع الزمن ، فتعلم الكاتب باختياره وبغير اختياره أن يتجنب الشطط ، ويلتمس التشويق من باب غير باب الافتراء والتزويق .

والكتاب الذى بين أيدينا الآن ، من أقل الكتب غلطا فى النقل والرواية ، كاتبه لا يعتقد عقيدة الإسلام بطبيعة الحال ، ولكنه يحاول أن يفهمها أحسن ما يستطيع هذه المحاولة رجل يدين بدين آخر ، وينشأ فى غير البيئة الإسلامية ولا يشعر بشعور أهلها ، وكثيراً ما يجتهد فى تصوير هذا الشعور من الناحية « الموضوعية » كما يقولون فى مصطلحاتهم ، ثم يشفع ذلك بشرح الخلاف بين الآراء والميول حسب الخلاف بين الأديان والأوطان .

واسم الكتاب يدل عليه فى جملته ، فهو يسميه دعوة المنارة The Call of the minaret ويعنى بها مئذنة المسجد ، ويتوخى فى فصوله أن يجعل دعوة الأذان أساساً لدعوة الإسلام ؛ لأنها هى الدعوة التامة إلى هذا الدين ، من وعاها إجمالا لم يخرج بالتفصيل عن غاياتها وآمادها .

فالأذان - أو نداء المنارة - يقوم على الشهادة بالتوحيد والشهادة بنبوة محمد عليه السلام ، والدعوة إلى الصلاة ، والدعوة إلى الفلاح ، ويحيط بما اشتملت عليه هذه الكلمة من الفرائض والسنن والآداب ، فلا يستوفيها المسلم الصادق إلا كان مستوفيا لكل ما يندبه الإسلام إليه .

وقد جعل كل فقرة من فقرات الأذان عنوانا لفصل من فصول الكتاب ، وأثبت

الكلمة العربية إلى جوار الكلمة الإنجليزية ، وألم بالمعانى المتعددة لها عند تعدد هذه المعانى أو تعدد أقوال المفسرين فى شرحها ، ومن الأمثلة على طريقته فى هذا الشرح كلامه على شهادة أن « لا إله إلا الله » وهو فاتحة الفصول .

قال بعد الإشارة إلى ما يقابل كلمة « إله » فى اللغات السامية : إن « الله » و « الإله » فى اللغة العربية تفيد أن معنى الإله الواحد الذى لا إله غيره ، وله ـ سبحانه وتعالى ـ صفات يسميها بالصفات الجميلة ترجمة للصفات الحسنى ، يؤمن بها المسلم ليستوفى معانى الكمال الإلهى فى اعتقاده .

ومن أمثلة اجتهاد المؤلف فى دراسة هذه المعانى أنه يشير إلى رأى بعض الغربيين فى تكرار وصف الرحمة فى البسملة فيقول إن التكرار هنا لا غنى عنه ؛ لأن « الرحمن » أقرب إلى أن تكون اسما من الرحمة وأن الرحيم أقرب إلى أن تكون صفة مشتقة من مادة الكلمة نفسها ، ثم يقابل ذلك فى اللغة الإنجليزية بما يفيد معنى « خالق الرحمة الرحيم » أو معطى الرحمة الرحيم » وليس بعد شهادة التوحيد كلمة أجرى على ألسنة المسلمين من البسملة التى يستصحب بها كل افتتاح .

ومن معانى « القيوم » التى نقلها المؤلف معنى الاكتفاء بالذات ، ومعنى القيام ، ومعنى القوامة ، فالمسلم يعنى حين يصف الإله بالقيوم أنه مستغنى بذاته عن كل ما عداه ، وأنه قائم أبدا بتدبير الخلق ، وأنه قوام جميع الكائنات .

وإذا أجاز المسلم لنفسه أن يصف الخالق بأسماء يوصف بها المخلوق ، فالمعنى مختلف ـ لغة وفهما ـ فى الحالتين ، فالإنسان الشكور هو العارف بنعمة الله عليه ، والله شكور لأنه يحمد للإنسان هذه المعرفة ويعلمها ، ويكون العبد مؤمنا لأنه يوقن بالله ، ويكون الإله المعبود مؤمنا لأنه حقيق بالإيمان ، وكل ما وصف به الإله فى الدين الإسلامى من أسماء المطلق ينفى المشاركة ولكنه لا ينفى تبعة المخلوق وعمله الذى يناط به الثواب والعقاب .

وأما الصفات التى تذم فى الإنسان وتحمد فى الإله كالجبروت والكبرياء فإنما تذم فى المخلوق لأنها مجاوزة لحده وتحمد فى الإله لأنها فى حدودها ترد من يجاوزها ، وقد تتقابل الصفات الإلهية فيسمى الإله بالأول والآخر والظاهر والباطن للإحاطة بالكمال الذى لا تحيط به الحدود . قال : « وربما أجملت صفات التوحيد الأولى كلمة الرب التى كان النبى ـ عليه السلام ـ يرددها فى عظاته الكبرى »

* * *

ويبلغ المؤلف بالتحفظ أشده حين يعرض للكلام على « محمد » صلوات الله عليه فى شهادة

« أن محمدا رسول الله » فيشير غير مرة إلى توكيد الإسلام « لبشرية » النبوة واشتمال وصف « الإنسان » للنبي ولسائر الأنبياء ، ولكن المسلم يرتفع بفضائل نبيه إلى الذروة العليا من الكمال الإنساني والغاية التي لا تعلوها غاية من مراتب التنزيه التي تدركها المخلوقات، ويتحرى المؤلف في هذا الفصل أن يسند الصفات النبوية إلى كتاب السيرة من المسلمين الأقدمين والمحدثين ، ومنهم من كتب عنها في هذا العصر من الهنود والمصريين .

ويبدو تحفظ المؤلف في نقل أخبار النبي من تعليقه على آية النجوى من سورة المجادلة حيث أمر المسلمون الذين يناجونه عليه السلام، أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة تيسر لهم ؛ فإن المؤلف لا يجعل هذه الصدقة - كما جعلها بعض المترجمين للقرآن الكريم - رسما مفروضا على لقاء الرسول بل يقول في التعقيب عليها : « إن لقاء النبي كان ميسورا في كل آونة ، ولكن في الأيام الأخيرة قد كثر ضغط شواغله واتسع مجال توقيره فكان من المستحب أن يمهد للقائه بعمل من أعمال الإحسان » .

ويورد المؤلف مختلف الأقوال في أمية الرسول فيذكر منها أنه لم يكن يكتب ، كما يذكر منها أنه بعث إلى أمة غير ذات كتاب، وينفي ما زعمه أناس من المبشرين عن اطلاعه على كتب اليهود والنصارى ، واقتباسه منها ما كان يعلمه من عقائد الديانتين ، ويستضعف كل قول يرد العقائد الإسلامية إلى هذا الاطلاع إلا أن المؤلف قد التبس عليه الأمر فيما نحسب فوهم أن حكم القرآن الكريم في مسألة صلب السيد المسيح مطابق لعقيدة « المعرفيين » المشهورين بين أصحاب المذاهب المسيحية الأولى باسم الظاهريين Docetists ؛ لأن إنكار هؤلاء لصلب السيد المسيح قائم على اعتقادهم أن الروح الإلهي لا يحل في جسد من أجساد المادة ، وأن الجسد الذي تراءى به السيد المسيح للناس منذ ولادته كان « طيفاً نورانيا » يشبه الأجساد الآدمية في الصورة ويخالفها كل المخالفة في التركيب ، وكل ما عاينه الناس من صورة السيد المسيح منذ ولادته لم يكن هو كيان المسيح حقا وإنما كان مثالا منظوراً بالعين لحقيقة روحانية لا تراها العيون ، وذلك هو معنى التشبيه عند المعرفيين Gnostics المشهورين باسم الظاهريين ، وليس هو - كما يعلم المسلمون - بمعنى التشبيه الذي ورد في الآية : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ، لأن الظاهريين لا ينفون حصول الصلب للسيد المسيح نفسه ، وإنما ينفون أن الصلب أصاب جسداً صحيحا كالأجساد المادية الإنسانية التي يحيا بها الناس وعامة الأحياء .

ونظن أن اللبس إنما سبق إلى ذهن المؤلف من توارد كلمة الشبه فى الآية وفى فلسفة المعرفيين الظاهريين .

* * *

ويفرق المؤلف بين معنى الفلاح المقصود فى دعوة الأذان وبين معنى « الخلاص » الذى يدين به المسيحيون ، فإنه يعلم أن المسلم لا يعتقد الخلاص المرهون بعمل غيره ، وأن الخلاص فى اعتقاده ، إنما يكون بعمله وتكفيره عن ذنوبه ، ولكن « الفلاح » كلمة قد تجمع النجاة وحسن الحال والخير واليسر والعقيدة الصالحة ، ولا يراد بها التكفير عن الخطيئة بل تراد بها السعادة الروحية والاجتماعية ، أو سعادة الإنسان فيما بينه وبين ضميره ، وسعادته فيما بينه وبين أهله وقومه .

ويفيض المؤلف فى بيان « الفلاح الاجتماعى » كما تطلبه العقيدة الإسلامية وكما تؤديه فرائضها وأحكامها ، فيقول : « إن حيازة الملك لا تعتبر حيازة زكية ، مطهرة إذا كان قوامها مجرد التحصيل دون التزام بواجب من الواجبات ، ويستخدم القرآن كلمة أخرى للزكاة ، هى كلمة الصدقة التى تكاد ترادف الزكاة فى المعنى مع ما تفيده من الصدق والصداقة ، أو من الاستقامة والمودة ، ولكن الصدقة اختيارية والزكاة قاعدة من قواعد البناء الاجتماعى فى الإسلام ، وقد ظهرت فى المجتمع الإسلامى بمكة قبل الهجرة فذكرتها السور المكية ووصفتها » .

قال : « وندع المصطلحات جانبا فنقول : إن الزكاة مفهومة بين دعاة الإسلام فى العصر الحاضر على أنها أساس فلسفة عامة تقوم على التبعة الاجتماعية ، وأنها هى الشاهد الروحانى على الواجب الذى تنطوى عليه الملكية ، وكلما شرعت الحكومات العصرية فى التقريب بين الناس ، أو تقريب المساواة الاقتصادية بينهم بفرض الضرائب التصاعدية ، وتقرير إعانات الفقراء وما إليها ، كانت هذه المشروعات بمثابة تطبيق للفكرة التى تدل عليها فريضة الزكاة ، ويعلم المؤمن أنه بعد أداء هذه الإعانات مطالب بأداء الزكاة ولكنه يغتبط بسريان النظام وإحاطته بمبادئ الضريبة ، ودلالته على شعور الدولة بآفة الفاقة . وإن هذه الدعامة الثالثة من دعائم الدين الإسلامى لتعتبر من الناحية الإسلامية علاجا لشرور الرأسمالية وشرور الشيوعية فى وقت واحد . إذ هى تكفكف أذى رأس المال وتجعل الشيوعية خطة لا ضرورة لها » .

ويلح المؤلف فى فصوله على فكرة واحدة يعود إليها بعد كل استطراد من مبحث إلى مبحث ، وبعد كل مقارنة بين عقيدة وعقيدة

فى الديانتين الإسلامية والمسيحية ، وتلك هى فكرة التفرقة بين الإسلام والمسيحية فى عقيدة الخلاص وعقيدة الفلاح ، ووجهته فى هذه التفرقة بين مضامين كلامه وبين أقواله الصريحة أن عقيدة الخلاص تشتمل على ناحية روحانية لم تشتمل عليها عقيدة الفلاح وأبعد ما يكون الفارق بينهما فى أمر الخطيئة والفداء وارتباطهما بضمير بنى آدم وحواء .

وقد عرض فى صدد هذه المقابلات لكتابنا « عبقرية المسيح » فقال إن مؤلف عبقرية المسيح يقرر « أنه لا يوجد سند تاريخى يعول عليه بعد حادث اعتقال السيد المسيح ، ويتخطى مسألة الصلب ومسألة الصعود من الأموات ، ثم يعزو انتشار المسيحية إلى غيرة التلاميذ وموافقة رسالتهم لأحوال العالم فى تلك الحقبة . ومع أن الكتاب مفرغ فى قالب النهاية يلوح منه أنه يدل على رغبة خالصة مشبعة بالتوقير فى إدراك حقيقة المسيح فى نطاق الإسلام ، فهو تفسير للإنجيل بغير استرسال إلى القمة التى تتناهى عندها التعاليم إلى غايتها وتتولد منها البشارة التى قامت عليها الكنيسة ، فهو شهادة لا تزال مع ذلك تهتف بالنزول من الصليب ، وهى على ما تدل عليه من استعداد حسن مقياس لمسافة البعد بين كثيرين من المسلمين ـ حتى أصحاب النية الطيبة منهم ـ وبين المسيح الذى يدين به المسيحيون » .

ومن جانب الإلحاح على هذه الفكرة يتطرق إلى كتاب « دعوة المنارة » كل خطأ يصرفه عن فهم الروحانية الإسلامية على أصفاها وأكملها ، وليس المطلوب منه ـ وهو على دينه ـ أن يلغى عقيدته ليؤثر عليها عقيدة دين سواها ، ولكنه مطالب كيفما كان اعتقاده بأن ينظر إلى الكلمات ـ على الأقل ـ بحروفها ومدلولها الواضح ولا عليه من أسرارها وخفاياها ، وهذا ما صنعه فى معظم مباحث الكتاب حيث يطلع على المصادر الإسلامية ويجتهد فى فهمها وتجريدها من شبهات المتقولين عليها ، فإذا هو استطرد ناحية إلى شىء يحوم حول فكرة الخلاص والفلاح ، فهناك تلمحه وكأنه يضع كفيه على بصره ؛ لكى لا يرى الحقيقة من جانبيها ، ولهذا تخلل كلامه عن « الخدمة العامة » بالإشارة تلو الإشارة إلى « فراغ » فى العالم الإسلامى ينتظر أن يملأه التعليم والإرشاد ولو من غير موارده ، وكأنه يظن أن العالم الإسلامى لا يملأ ذلك الفراغ بمزيد من الجهد والعناية أو بمزيد من القدرة والوسيلة ، وإنما يمتلىء ذلك الفراغ بمدد من العارفين المقتدرين الذين يحسنون القيام عليه فى غير مساءة أو عدوان ، بل مع العطف والمودة والإنصاف .

وليس فى العالم الإسلامى من يأبى علما

من العلوم ينتفع به أحد من أبناء الأمم الإنسانية ، وليس فى الدين الإسلامى ما يصد عن معرفة يتفتح لها العقل والضمير .

فإذا قصرت جهود المسلمين عن نشر المعرفة كما ينبغى أن تنشر فإنما هو قصور الوسيلة وليس هو بقصور العقل الإسلامى عن الإيمان بأسرار خلاص الروح وهداية الضمير ، فليس لضمير الإنسان مرتقى للهداية والخلاص أرفع من المرتقى الذى يفتحه له دين ينوط خلاص الإنسان بعمله ، وينهضه بأمانته وتبعته ، ولا يسوى فى بلوغ الخلاص بين من يعمل ومن لا يعمل ، أو بين من يسعى إليه بفداء الجسد والروح ومن يتلقاه منحة تساق إليه .

ولقد خطر لصاحب « دعوة المنارة » أن الأوان قد آن لتقريب العالم الإسلامى من وجهة نظره ، وخطر له ذلك ؛ لأن المسلمين فى هذا العصر يبحثون وينظرون ولا يعرضون عن دراسة الكتب الغربية التى كانوا فيما مضى يتعوذون من فتح صفحاتها إلى زمن قريب . ويحق لنا نحن ـ من الوجهة الإسلامية ـ أن نقول : نعم قد آن الأوان لتقريب العالم الغربى من وجهة النظر التى طالما أعرض عنها منذ قرون ، ويخطر لنا ذلك كلما اطلعنا على دراسة للإسلام يتحرج كاتبها من حملات الافتراء والتلفيق التى كانت إلى سنوات قليلة مقبولة ، بل مطلوبة عند الأكثرين من قراء الغرب المثقفين وغير المثقفين ، فإن الأذن التى تأنف من قبول الطعن وتنفر من الطاعن وشيكة أن تتفتح للقول الحسن ، وأن تتفتح من بعده للقول المقنع والدليل المبين .

* * *

وبعد : فقد آن فى ختام هذا التلخيص السريع لدعوة المنارة أن نلخص القول عن مؤلفه فى بضعة سطور .

مؤلف هذا الكتاب الدكتور كنيث كراج Kenneth Cragg الذى كان أستاذا للفلسفة بجامعة بيروت ، ثم عمل أستاذا للغة العربية والإسلاميات بمؤسسة هارتفورد منذ سنة ١٩٥١ ، وقد ألف كتابه هذا بعد سياحات متتابعة فى الشرق الأدنى ، وتولى تحرير المجلة التى تصدر فى بيت المقدس باسم العالم الإسلامى ، ونحا فى تحريرها مثل هذا المنحى الذى نراه فى كتاب « دعوة المنارة » جامعا للتحفظ والمحافظة ؟

عباس محمود العقاد

ملخص عن الاسلام والمسيحية بين الشرق والغرب

نشرت صحيفة سالزبرجر ناخريختن وهي من أوسع الصحف النمساوية انتشاراً وأكثرها اتزانا في الرأي، مقالا عن «الإسلام وهل ينتمي إلى الشرق أم الغرب» والمقال في أصله كان بحثا قانونيا لأحد كبار رجال القضاء النمساوي نشر في المجلة القضائية ثم حوره صحفي مشهور ووضع له بعض العناوين الفرعية وصاغ منه مادة صحفية جذابة.

وقد مهد الصحفي للبحث بقوله إن آسيا الصغرى وإفريقيا الشمالية لا تنتميان إلى الشرق، وإنما هما مهد الحضارة الأوربية وأن عالم هذه المنطقة أخذ يصحو وإن كان أحد لا يعرف إلى أين سيتجه هذا العالم. ثم تساءل الكاتب:

١ — هل يتجه العالم نحو تكتل أوربا وإفريقيا، أم نحو تكتل إفريقيا وآسيا.

٢ — هل المسيحية والإسلام متجهان إلى التعاون كقوة روحية هائلة، أم إلى الصراع الذي سينجم عنه الضعف بعد ذلك ؟

٣ — أيهما أكثر ربحاً المسيحية أم الإسلام ؟

وعلى الرغم من هذه الأسئلة الواضحة فالكاتب لا يجيب عنها إجابات واضحة، وإن كان يقرر أن الدافع وراء التطورات الأخيرة المتعددة الجوانب في آسيا الصغرى وإفريقيا الشمالية هو الإسلام، الذي يمتد بثبات من جاكرتا إلى الدار البيضاء ويكثر أنصاره كل يوم. ثم ذكر «أهمية التعايش بين الإسلام والمسيحية»، وأشار إلى المهمة الضخمة التي يجب أن تضطلع بها «المسيحية الأوروبية»، وإلى أن جانبا من العالم الإسلامي - كأندونيسيا - يشعر بفضل الغرب عليه. وقرر الكاتب أن الإسلام هو دين التوحيد الوحيد الذي يستطيع في القرن العشرين أن يجعل شعوبا بأسرها تدين به، وقال إن هذه ظاهرة تدعو الأوروبيين إلى التفكير.

وقد حذر الكاتب من تهوين شأن الإسلام وحضارته، وإيجابيته مع الحياة وقرر أن الإسلام أكثر الأديان استقلالا وإبداعاً في قانون الشعوب، وأنه لا يسمح لغير المسلم بالسيادة على أرض إسلامية وأن ذلك هو سر النزاع الإسرائيلي. ثم دعا الغرب إلى إعادة

(البقية في صفحة ٩٢٠)

مختار من الشعر القديم والحديث

وقالت أجرني!

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

وقالتْ : أجِرْنى ! فقلتُ : اخسئى
فَمَنْ غــيرُ ربِّ السَّماءِ المُجيرْ !
تعاميتِ حَتَّى ركبْتِ الظلامَ
علَى هَوْدجٍ من ضبابِ الغُرورْ
جَناحاهُ مِنْ شَهواتِ الحياة
وَمِنْ يأسِها فى لِقاءِ المَصيرْ

هَــوَى بكِ فى قاعِ ليــلٍ بهيمٍ
تدورين فيــه بِخَطْوِ الضَّريرْ !
دَعينى . . فما لى يَدٌ فى أساكِ ! !
ولاَ عبرَتْ فى طريقِ خُطاكِ
ولاَ ضَمَّنى فى طَريقٍ ثَراكِ
تنَكَّرْتِ . . حتَّى وَهِى ساعِداكِ
فأقْبَلْتِ نادبَةً تَستَجــيرْ ! !

* * *

تنكَّرتِ فِىَّ ، وصَــوَّرْتِنى
لوجــهِ الحياة كما تَشْتَهينْ . .
فَفى الرَّوْضِ . . كنتُ نديمَ الرُّبَى
وأنتِ التى بالشذى تَسْكَرينْ !
تَقُولينَ : هذا ربيعُ الجَمالِ !
فاظْمَا . . وأَنتِ الَّتى تشرَبينْ !
وأَسرى بِدَرْبِ الحياةِ العَميق
فأَرْنُو . . وأَنْتِ التى تَعْبرِين

أُنادى .. وللسِّرِّ يمضى صداكِ
وأشدو .. وبالسحرِ يحظى غناكِ
وأشقى وما كان إلاَّ شقاكِ
وأدعو .. وما كان إلاَّ دُعاكِ
يَداىَ إلَى الله مَبْسوطةٌ
وأَنت التى طَيَّها تَضْرَعينْ ! !
لبستِ بىَ الشَّبَحَ المستعارَ
وزوَّرْتنى بين زُورِ الحياة
أُصَلِّى فأسمع فحَّ الذُّنوب
على شفتيكِ يُسَلِّى الْعُصاه
وأبْكِى بِدَمْعكِ لكنَّنى
أرى لك سُخْرِيَةً من أساه
تَلَثَّمْتِ بى فى هُدوءِ الظَّلامَ
وفى الهَوْلِ أَلقيْتنِى فى دُجَاهْ
وجِئْتِ تُنادينَ غوثَ الهلاَكِ
وِمَنْ ؟ مَنَ المشتكِى من لَظاكِ ؟
ومَنْ غَدَا رُزْؤُهُ مِنْ نداكِ
ومَن غدا دعوةً فى سماكِ ..
مُضَيَّعَةً أَرْجَعَتْهَا الغيوبُ
إلى صدْرها من طريقِ الإلٰهْ !

* * *

دخلت بىَ الْحانَ فى مَرَّة ..
وكانَ اتِّجاهى إلى المَعْبَدِ
وكانَتْ صَلاتى قبلَ الْصَلاة
مزاميرَ علويَّة المَوْرِدِ
تَخَطَّفْتِها من دمى للرَّحيقِ
وقلت لىَ : اليومَ قبل الْغَد !
إذا كنتَ للنُّور صَبَّ الْحِسَان
فقرِّب شفاهَكَ من مَوْقدى ..
وقَرَّبْتُ .. حتّىَ طَوَانى هَواكِ
وذَوَّبْتِنى قطرةً فى صَفاكِ
ولمَّا انْتهى السِّرُّ .. طَارتْ خُطاكِ
وأَوْمَتْ بنُورِ بَعيدِ عَصاكِ
فولَّيْتُ وَجْهى إلى سِحْرِه
كأنى مصلٍّ بلا مسجدٍ ! !

* * *

فلاحتْ لقَلْبِى سُفُوحٌ وضاهْ
وروضٌ عرَفناهُ مُنْذُ الأزَلْ
أزاهيرُهُ مُؤْمِنَاتٌ ...
وأطيارُهُ قانتاتُ الزجَلْ
وأنهارُهُ من ضفافِ المتآبْ
تحدرنَ بالنَّدمِ المُشْتعلِ
فألقيْتُ عُمْرِى بأعْتابِه
وناديتُ حتَّى تلاشَى الأمَلْ ..

وأومأتُ شوْقاً لعلىِّ أراكِ
لعَلِّى أرى شافعاً من لقاكِ
لعلِّى .. بقَبْضَة نُورِ يَداكِ
تضىءُ السبيلَ ! قصدْتُ سَماكِ ..
وخَلَّفتنى فى الفَلا أستجيرُ ..
وأزمعت بينَ رَبيعٍ وَظلّ ! !

محمود حسن إسماعيل

أنا شعبٌ عربىٌّ

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

ليس فى الإمكان أن أفعلَ إلاّ ما أُريدْ
ليس فى الإمكان أن أحيا كما يحيا العبيدْ
فأنا لا أقبلُ الضيمَ ، ولا أرضى القيودْ
ويدى يعنو لها الصخرُ ، ويخشاها الحديدْ
وورائى مجدُ آبائى ، ولى مجدى الجديدْ
هكذا دانتْ لىَ الدُّنيا ... من الماضى البعيد

* * *

أنا عِملاقٌ قد استيقظَ من نومٍ عميقْ
ورمى الأوهامَ والإظلامَ ، فى الكهفِ السحيقْ
وتجلىَّ رائعَ الخطوة .. فى رَحْبِ الطريق
ملؤه عزمُ فتى ، وبعينيه بريقْ
فاخشعى يا أرضُ للسائر فى خطوٍ وثيق
واخضعى ياظلمةَ الأيامِ للفجر الطليقْ

* * *

أنا قد ثُرْتُ على الظُلْمِ ، وحطمت حصُونَه
ثورة قامت لكى تبنى للشرق عرينَه
ثورة لم تعرف الشر . ولم تعرف جنونه
وطردت الغاصب المحتل .. من أرضى المصُونَه
وأقمت العدلَ يقوى بالدعاماتِ المتينَه
ثم أقسمت بربى وبلادى أن أصُونَه

* * *

أبدا لن يملك المحتل أرضى ... أبدَا
أبدا لن تذهب آمالى وأعمالى سُدى
إننى أبنى لنفسى ولمن يأتى غَدا
عالما لايعرف البغضاء أو يلقى العِدَى
والذى يبذر جهدا ، سوف يجنى رَغَدا

* * *

إننى أزرع أيامىَ فى أرضى القَويّه
ثم أرويها بما ينبع من نفسى الفَتيّه
ذائدا عنها أعاصيرَ البلاد الأجنبيه

نازعا من بينهـا ماتغرس الأيدى الخفيّه
ثم تغدو هــذه الأيام أغراسا جنيّه
يلتقى الحب لديهـا بسلام البشريه

* * *

باركى ياجنتى الخضراء سعيي وكفاحى
باركى خطوى على الشوك رهيبا كالرماح
أنا لو أجرح من أجلك ، أشدو بجراحى
إننى أسمو إلى دنياك فى عصف الرياح
ومعى شوق وإيمانى وعزمى وسلاحى
إن ينم غيرى ، فإنى فى ظلام الليل صاح

* * *

لست فردا حينما تهتف أعماق : أنا
أنا شعب عربى يتحدى الزمنـا
قام يبنى فوق هامات المعالى موطنـا
ودعا المجـد ، فلباه ، وحيّـا ، ودنا
فسلاما يا رفاقى ، وإخاء معلنـا
وصراعا يا عِداتى ... إن أتيتم أرضنا
قد عرفتم مالدينـا ، وشهدتم بأسنا
إن تكونوا وحدكم أنتم ، فلسنا وحدنا
معنا الحق . وأسباب المعالى عِندنا
وستبقى الوحدة الكبرى ، وتعلى مجدنا
فإذا خضنا لهيبَ الحربِ ، فالنصرُ لنـا

ابراهيم محمد نجا

بريد المجلة

العالم الأديب الذي فقدناه :

منذ عامين طوى الموت علماً من أعلام الأزهر هو الشاعر المرحوم محمد الأسمر ، وفى هذا الشهر (شهر رمضان المبارك) مضى إلى جوار ربه عالم من علماء الأزهر ، وأديب من صفوة أدبائه ، وشاعر رائع الديباجة ، بحترى الأسلوب ، هو أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان .

الشاعر المبدع والكاتب الممتـ
ـع والأروع الأزهـــر

وقد قال صفوة النقاد بعد مـوت حافظ وشوقى :

قالوا قضى الشعر بعد الشاعرين ولم
يعمر بمثلهما ميـــدانه الخالى

ونحن نقول - والأسف يملأ قلوبنا - لقد حرم الأزهر من شاعريه ، وخلا ميدانه من الشعراء الكبار ، وأصبح من أعز أمانينا أن نجد لهما خلفاً .

كان الشيخ عبدالجواد عالماً واسع الاطلاع ، ألمعى الذهن ، يستقصى ويبالغ ، فاذا ورد

(بقية المنشور فى صفحة ٩١٤)

النظر فى علاقة الأوروبيين بالمسلمين ، وخاصة فى النواحى السياسية والقضائية التى لم تدرس بعناية حتى الآن . والتعرف على الآثار العظيمة التى خلفها العرب للحضارة ؛ لأن ذلك هـو السبيل لإدراك قوة الكتلة العربية إدراكا صحيحا .

وبعد أن ذكر الكاتب أن الخليفة عمر بن الخطاب بذل جهده لإنقاذ مكتبة الإسكندرية بينما عمد الصليبيون إلى حرق ما تبقى منها - قال إن الأوروبيين يحاولون دائما إخفاء تسامح الإسلام بالنسبة لأديان التوحيد الأخرى ، وأن محمداً عليه الصلاة والسلام نهى عن إرغام موحد على اعتناق الإسلام ، وحمى الأديرة المسيحية ، وكان ذلك غاية فى النبل اتبعها بعض الحكام المسلمين مثل السلطان سليمان وصلاح الدين .

وختم الكاتب مقاله بقوله : إن هذا كله يبين إلى أى مدى يستطيع المسيحيون الأوروبيون أن يؤثروا فى الإسلام لكى يتحول بنفوذه لصالح الغرب فى معركة الشرق والغرب ؟

عليه مالم يعرف وقف عند علمه ، ولم أره على كثرة ما قرأت له ، وطول ماسمعت منه ادعى رأيا ليس له ، أو تعرض لفكرة دون أن ينوه بصاحبها .

وكان كاتبا حسن الترسل ، متخير الألفاظ ، معنيا أشد العناية بجزالة اللفظ ، وفحولة الكلمة ، وكان واضح الحجة ، قوى البيان ، عف اللسان .

وكان شاعرا ، أنيق الشعر، نبيل العواطف مع خلق جميل ، وتواضع جم ، تجالسه ، أو تسايره، أو تراسله فلا يشعرك أنه أستاذ كبير وربما كنت كأصغر أبنائه ، ولكنه يشعرك أنك كأكبر أصدقائه .

ولم يكن يحرص على الشهرة ، لذلك لم يجمع منشآته فى كتاب ، ولا شعره فى ديوان . وقد لزم بيته فى السنين الأخيرة يقرأ القرآن ، أو يطالع فى كتب التفاسير ، فإذا ذهبت إليه تزوره تلقاك بالبشر ، وغمرك بالأنس ، وجرى معك فى شئون السياسة والأدب والعلم ، يطالعك بالرأى السديد ، والفهم الثاقب ، والنظر البعيد .

رحمه الله رحمة واسعة كفاء ما قدم للإسلام وللعلم وللأدب وللأزهر من جليل الخدمات .

على العمارى

الكتب السماوية

أرسل إلينا الأستاذ السيد كامل أحمد حسين كتابا يقول فيه :

تعددت الآيات بالقرآن المجيد فى عدد من السور بالقول عن الكتب التى أنزلت على الرسل ويدعونا الإسلام بالإيمان بها ونحن لانعلم إلا الكتب التى أنزلت على موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم . فما هى الكتب التى أنزلت على إدريس وعلى نوح وعلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وداود وسليمان عليهم وعلى رسولنا أزكى الصلاة والسلام وأين نجد هذه الكتب ؟

والقــرآن ينص على كتب أنزلت على هؤلاء ممن ذكر الله وربما على غيرهم ممن لم يذكرهم الله ، غير أننا لانعلم لا بالتاريخ ولا بالنقل عن السلف كنه هذه الكتب وبما أن الدين الإسلامى يدعونا أن نؤمن بها فوجب علينا معرفتها ، وقد جئت بهذا إليكم رجاء توضيح هذا الأمر لنا أو السماح لأحد العلماء أن يكتب عنها وليبينها لنا وخاصة أن كتب التفسير المتداولة بيننا لم تخط شيئاً عنها . وبهذه المناسبة فهل كتب الديانات بالهند والصين واليابان وغيرها هى من بين هذه الكتب أو هى من بين الكتب التى لم يذكر الله أصحابها

من الرسل الذين لم يذكرهم الله ؟ نرجو بيانا شافيا تأييداً لما هو مطلوب منا بالإيمان بها والسلام عليكم ورحمة الله ؟

كامل احمد صبيح

الجيزة — شارع الربيع الجيزى

وقد أجاب صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء عن سؤاله بقوله :

١ — للقرآن الكريم عناية مشهودة بذكر الكتب السماوية ، وبالدعوة إلى الإيمان بها عامة وبتسجيل الكفر على من تشكك أو شكك غيره فيها أو فى بعضها ، وقد وصف الله الإيمان الحق فيما ذكره من مناقب الرسول والمؤمنين الصادقين بقوله تعالى .

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون : كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله - الآية » ، ووصفه بمثل ذلك فى حديث جبريل فى صورة إنسان ثم وجه إلى النبى أسئلة ، منها : وما الإيمان ؟ فقال النبى: أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره الخ .

٢ — ومع أن القرآن حافل بالآيات فى ذكر هاتيك الكتب فإنه لم يذكر منها بالتفصيل غير ثلاثة : التوراة ، « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » ، وأوضح لنا أن التوراة أول كتاب أنزل ، وأنه كتاب موسى عليه السلام « ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى : بصائر للناس ، وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون » ، وصرحت الآيات بأن التوراة ظلت كتابا يتوارثه الأنبياء المرسلون من بنى إسرائيل « يحكم بها النبيون ، الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله - التوراة - الآية » ، ولم يذكر فى جانب التوراة أنها جاءت مصدقة لما بين يديها كما ذكر فى جانب غيرها بعد .

٣ — ثم بين القرآن أن الإنجيل كان الكتاب التالى للتوراة وقد أنزل على عيسى عليه السلام بعد أحقاب من إنزال التوراة على موسى « ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى بن مريم ، وآتيناه الإنجيل » ، « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل ، فيه هدى ، ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين » فنى جملتين من هذه الآية يتكرر وصف الإنجيل بأنه مصدق لما بين يديه - يعنى لما سبقه من الكتب ويصرح فيها بأن ما سبقه هو التوراة .

٤ — ثم ذكر القرآن كتابا ثالثا أنزل على رسول الله داود عليه السلام « وآتينا داود

زبورا ، وكان كتاب داود - كما قال العلماء - كتاب تهذيب ووعظ ، لا كتاب تشريع الأحكام ، ولم يكن لرسل آخرين كما كانت التوراة ، ولا كان ناسخا لكتب سواه كما كان الإنجيل ، ثم القرآن .

٥ - أما القرآن فهو كتاب محمد خاتم الأنبياء والرسل، وهو رابع الكتب السماوية وليس بعده أولا غير هذه الأربعة كتب سماوية ، ولو كانت لذكرها القرآن غالبا ، كما ذكر هذه الثلاثة .

وفى صدد القرآن نفسه ذكر غير مرة بأنه مصدق لما بين يديه - يعنى لما سبقه ، وقد عرفنا أن ما سبقه هو الكتب الثلاثة - وأنزلنا إليك - يريد محمدا - الكتاب بالحق ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب - يريد الكتب - ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم الآن .

والمراد من الإيمان بالكتب الاعتزاز بها ، وبأنها حق من عند الله دون تبديل فيها ، أو تحريف منها ، إذ المفروض فيها أنها كانت فى أمم خلت قبل القرآن، وأنها لم تكن تعرضت لما يشوبها من مساس المحرفين ... فنحن نؤمن بها على هذا الوصف كما تحدث عنها القرآن ، وكما ذكرت لنا على لسان محمد - صلوات الله عليه وليس بين هذه الكتب فيما جاءت به من أصول الإيمان بالله وملائكته الخ وبين القرآن مخالفة، بل هى هى ، أو الدين كله قائم على تلك الأصول ، وكله إسلام فقط - إن الدين عند الله الإسلام - وتسمية الدين بأسماء غير هذا إنما هو من الناس بعد أن غيروا أو بدلوا ، وتعصبوا ، وتنازعوا ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم » « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » فكلمة يهودية ، أو نصرانية من قبيل التحزب ، والانقسام .

وفى ذكر الكتب السماوية والدعوة إلى الإيمان بها تصديق للأنبياء والمرسلين من قبل « لا نفرق بين أحد من رسله » .

وكذلك فى ذكرها ، وفى التصديق بها نبذ لجحود منكريها ، وترفع عن مجاراتهم فيما كانوا يهرفون به من قولهم « ما أنزل الله على بشر من شىء » .

هذا : وليس بلازم أن يكون لكل رسول كتاب كما توهم البعض ، بل كانت دعوة الرسل الأولين مبنية على الوحى . ومستمدة منه ، ومؤيدة بالمعجزات ، فمن الناس من آمن واهتدى ، ومنهم من ضل وغوى ، وكانت لله سنة فيهم بمهلهم حينا ، ثم يأخذ كلا بذنبه ، حتى تقدمت الإنسانية نوعا ، وتطورت الحياة شيئا فشيئا أذن الله سبحانه أن ينزل التوراة على عبده موسى كما سبق ، الخ .

أما الكتب الأخرى التى يزعمونها كتب دين فى بلاد الهند ، أو الصين ، أو سواهما ،

فإنها كتب موضوعة من عمل الناس، ومهما صادف الناس فيها من عبارات معجبة، أو أفكار ناضجة فإنما هذه نفحات عقلية لا ترقى بها إلى احتسابها كتبا سماوية من عند الله وما كان من عند الله فهو الحق، والحق أحق أن يتبع، وليس بعد الحق إلا الضلال، هكذا أنزل الله على خاتم رسله، وأنزل عليه «وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون».

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

إلى الشيخ أحمد الإمام العنزانى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد!

فقد وصل إلى كتابكم ومعه نسختان من كتابكم المسمى «سؤدد الإسلام باتباع سيد الأنام» وذكرتم بخطابكم أنه طبع على شرف صاحب السمو الشيخ على آلثانى حاكم قطر. وحيث أنكم نسبتم طبعه إلى قبل موافقتى وعرضه على. فهذا عمل غير صواب وخلاف الأمانة الدينية. فإننى رجل سلفى العقيدة صحيح المذهب، فلا أعتقد ضلالات الجهمية وطرائق الصوفية المبتدعة، ولا أسلك مسالك القبورية دعاة الأموات. وكتابكم اشتمل على جميع هذه الضلالات والجهالات. وعجبت من جرأتكم على نسبة ذلك إلى، فذكرتم أقوالا فى التفسير لآيات الله غير ثابتة، وذهبتم مذهب الجهمية فى الإيمان، وأنه تصديق القلب ولم تذكروا بقية الأركان. وذكرتم مسألة العلو ولم تسلكوا فيها مسلك أهل الحق. وذكرتم التوسل بالذوات وهذا غير صحيح، فإن التوسل الصحيح لا يكون إلا بالأعمال الصالحات. وذهب بكم الغلو إلى أن ذكرتم خروج اليد الشريفة لأحمد الرفاعى وخروج الصوت من القبر الشريف فى حجة ثانية. ثم ختمتم الكتاب بطريقة النقشبندية وذكرتم كيفية الذكر عندهم والرابطة الشركية إلى غير ذلك مما أعرضنا عن ذكره؛ لأن المقصود إعلان إنكارنا نسبة طبع هذا الكتاب إلينا، بل نحن نبرأ إلى الله من هذا الذى ذكرنا وأمثاله، فلا يحل لك أن تبعث إلينا منه شيئاً ولا توزعه باسمنا. والسلام؟

على بن عبد الله آلثانى
حاكم قطر

الجمعة الأخيرة من شهر رمضان

أدى السيد الرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة فريضة الجمعة الأخيرة من شهر رمضان فى الجامع الأزهر الشريف وبصحبته: السادة الوزراء المركزيون والتنفيذيون، وكبار العلماء، وقد ضاق

الأزهر على سعته بالألوف التى سعت للصلاة وسماع الخطبة ، كما امتلأت الشوارع فى طريق موكب الرئيس بألوف من أبناء الشعب يهتفون للرئيس ويحيونه .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى خطبة الجمعة ، وكان موضوعها «فى سبيل الحق» وقد تحدث فيها عن المكانة السامية للعقيدة التى يؤمن بها الإنسان ، وأن المبادئ تكون عديمة القيمة إذا لم يصاحبها كفاح موصول لتطبيقها وتحقيقها ، وأن تاريخ الأمة المسلمة حافل بشواهد النضال من أجل عقيدة الإيمان وضرب عدة أمثلة على ذلك ، ثم تحدث عن جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكيف قضى حياته مناضلا فى سبيل الملة الغراء والدعوة السمحة التى كلفه الله بها ليخرج الناس عن طريقها من الظلمات إلى النور .

ثم قال إننا الآن فى مرحلة فاصلة من مراحل جهادنا ونضالنا ، ولذلك نحتاج إلى تكتل العزائم وتضافر القوى وتلاقى الأيدى كلها على إعزاز العقيدة ونصرة الوطن ومقاومة الذين يريدون لنا أن نكفر بربنا وقرآننا ومواريثنا الدينية ، لأنهم لا يريدون لنا بذلك إلا الضلال والخسران .

ثم قال نحن الآن فى اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان الجليل العظيم ، شهر الصيام والقيام ، وشهر القرآن والفرقان

ونحن الآن فى يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك ، وهى الجمعة التى درج عامة المسلمين على تسميتها بالجمعة اليتيمة لأن مثلها لا يعود فى رمضان ، ونحن الآن فى نفحات الذكرى العاطرة والالتماس لليلة القدر التى وصفها القرآن المجيد بأنها خير من ألف شهر وفى هذا اليوم المشهود المجموع له الناس ، ومن جوف هذا المسجد الكبير العتيق « الجامع الأزهر » الذى طاول القرون وصحب الأحداث ، والذى طالما انبعثت من داخله خلال العصور المتوالية والقرون المتعاقبة صيحات التحرير والانطلاق ، ودعوات الحق والخير والبر ... نتوجه إلى الله العلى الأعلى بقلوب تلتمس دواءها وغذاءها فى هدى القرآن ، ونفوس تجد تزكيتها وتعليتها فى شرعة الإسلام ؛ وعزائم تستضعف نفسها إذا انفردت وحدها ، وتعتز كل الاعتزاز إذا وثقت صلتها ورابطتها بالله سبحانه وتعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ...

نتوجه إلى الله مولانا وخالقنا أن يبارك لهذه الأمة فى وحدتها وأن يؤيدها فى كفاحها ونضالها من أجل جمع الكلمة وتأليف القلوب ، وأن يؤيد بعونه ونصره حريتها وكرامتها وغلبتها على كل من يريد بها كيداً ، أو يضمر لها حقداً أو يتربص بها الدوائر وأن يقهر بسلطانه الذين يلحدون فى آيات الله

أو يتجرأون على حرمات الله ، أو يسعون فى الأرض بالفساد ليهلكوا الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . ثم دعا الأستاذ الشرباصى أن يوفق الله ولاة المسلمين للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وأن يوفق ولاة الأمور لما فيه رضا الله ولما فيه خير البلاد والعباد .

ثم أم المصلين بعد ذلك ، وانصرف السيد رئيس الجمهورية من الجامع الأزهر عقب الصلاة بمثل ما استقبل به من تحية وحفاوة .

أ ـــ ش

المصحف المرتل

قدم السيد الأستاذ لبيب السعيد رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم اقتراحا إلى فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر يتخلص فى أن يسجل القرآن الكريم تسجيلا صوتيا مجردا ، وذلك ليتمكن المسلم العادى من تلاوة آى الذكر الحكيم تلاوة مجردة فى سهولة ويسر ، ومعنى الترتيل المرسل القراءة على نحو ما يكون فى الصلاة .

وقد أبدى فضيلة الأستاذ الأكبر ارتياحه ورضاه عن هذه الفكرة لأنها طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده .

بويضة أو بييضة

السيد الأستاذ رئيس التحرير :

يصغر بعض الكتاب والعلماء بيضة على بويضة وعينا على عوينة والقياس بييضة وعيينة . فهل ورد مثل هذا الاستعمال عن العرب وهل تجيزه القواعد ؟ أرجو الجواب على صفحات مجلة الأزهر .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

على محمد عثمان

مدرس

(المجلة) تصغير بيضة على بويضة مسموع عن العرب وعلى هذا السماع أجاز الكوفيون فى كل مصغر فيه ياءان متعاقبتان أن تقلب الياء الأولى منهما واوا فيقولون فى تصغير شيخ : شويخ وفى بيت : بويت ، وفى عين : عوينة كما قال العرب فى بيضة : بويضة . نص على ذلك الأشمونى على الألفية عند شرحه قول ابن مالك (واردد لأصل ثانيا لينا قلب) .

تصويب فى الجزء السابق

فى السطر ١٥ من العمود الثانى ص ٧٨٩ ، ومن بعض النسخ التى تم طبعها فى البداية ، سقطت أداه الاستثناء « إلا » من الآية الكريمة « قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » فلزم التنويه لأهمية هذا التصويب والله الهادى إلى الصواب .

ا ـــ ص

الكتب

نقد وتعريف

محمد : الرسالة والرسول

للدكتور نظمى لوقا

للأستاذ محمد عبد الله السمان

هذا كتاب جديد للدكتور نظمى لوقا ، جديد من حيث الزمن والموضوع ، ونحن نعرضه ونناقشه على صفحات مجلة الأزهر ، لا من قبيل المجاملة لأن المؤلف مسيحى . . والموضوع إسلامى بحت . . بل من قبيل الإنصاف الأدبى لمادة الكتاب ، فالإسلام قبل كل شىء عقيدة وفكرة ، والعقيدة والفكرة إنما يلازمهما - ما عاشتا - الدراسة والبحث لكل من تؤهله ثقافته واستعداده لتكييف القيم التى تنبثق منهما . ولا نظن أن عقيدة الإسلام وفكرته بضاعة محتكرة لصنف من الناس ، فأعظم الناس ثقافة من علماء الغرب قد عنوا فى دراساتهم بالإسلام ، وصنفوا المؤلفات فيه ، والإسلام مع ذلك رحب الأفق ، لا يحقد على من ينالون منه ، ولا يتملكه الغرور لآراء من يرفعونه إلى القمة ،

ولا نظن أيضاً أن الدكتور نظمى قد كتب هذا الكتاب من قبيل المجاملة ، إذ ليس هناك ما يدعو إليها ، فهو مجموعة من الآراء الناضجة والأفكار الواعية التى تفاعلت فى ذهنه وأعماق نفسه سنين عددا .

تحدث الدكتور إجمالا أولا - عن الأديان الكتابية الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية والإسلام ، وقال عن اليهودية : وإن كانت دين توحيد وتنزيه ، بيد أنه اختص به شعب معين دون سائر الشعوب ، فهو إذن ليس الدين الذى يهتدى به الناس كافة ، ويجدون فيه شبع حاجاتهم الفطرية إلى العقيدة . .

ثم تحدث عن المسيحية : وأنها دين القلب الإنسانى - والحياة الدنيا برمتها لم تدخل له

فى حساب .. لهذا بقيت فى حقيقتها بين قلة من الأفراد ميسرين لها ، وكانت نتيجتها المنطقية تلك الرهبانية المنعزلة عن الدنيا . . أما السواد من الناس فراحوا يلبسون أوثانهم الحسية وعقائدهم المادية ، ولم يستطيعوا الارتفاع إلى المستوى الروحى العالى الذى هو مضمون دعوة السيد المسيح .

وتحدث عن الإسلام الذى جاء والناس لم يزالوا بحاجة إلى عقيدة جديدة ، يجتمع إليها العقل والقلب جميعا ، وتصحح ما ترددوا فيه من الأخطاء فى تفهم ما سبق من عقائد ورسالات ، ولا بد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للكافة : العامة منهم والخاصة ، يشعر كل منهم أن له عقيدة يطمئن إليها ، وهى رباطه بالدنيا .. وبالآخرة ، بالله .. والإنسان، فالناس أمة واحدة فى هذا الدين الجديد . . هذا الدين المرموق هو دين البشر ، وكان الإسلام هو الذى انبرى للنهوض برسالة هذا الدين .

ولكن كيف نهض الإسلام بهذه الرسالة ؟

يرى المؤلف : « أن القرآن لم يدع شائبة من ريب فى مسألة وحدانية الله ، وفى ذلك نقض لعقائد الشرك ، وتصحيح لعقائد أهل الكتاب ، وإذا كان أتباع المسيح قد صاروا إلى القول بألوهيته وأنه ابن الله ، وأنه الإله الواحد . . جوهر واحد له ثلاثة أقانيم ، إلا أنه لم يرد على لسان المسيح فى أقواله الواردة فى بشارات حوارييه ، كما لم يرد ذكر البنوة لله إلا على سبيل المجاز المطلق . . . » .

والإنسان وقف بعد اليهودية والمسيحية موقفا لم يحسد عليه كثيراً ، بسبب ماالتصق به من وزر أبيه الأول آدم ، الذى اعتبر خطيئة باقية موروثة ، لا بد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها أبناء الجنس البشرى كافة ، فكان لا بد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة ، وتطمئنهم إلى العدالة التى لا تأخذ البرئ بالمجرم ، وقد حسم القرآن هذا الأمر حين أكد قبول توبة آدم ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى .

وليس فى معنى النبوة الإسلامية تأليه ، وهى مسألة كانت تحتاج إلى توضيح وحسم ، وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال . فكان الرسل أيضا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية ، ولقد أكد القرآن بشرية الرسل ، حتى تسقط دعوى الناس فى التقصير عن الاهتداء به ، فلو كان يجرى عليه غير الذى يجرى على البشر ، لكانت لبعضهم الحجة بأن استطاعتهم دون استطاعة هذا الرسول .

وفى يقين المؤلف : « أن تأييد دعوة حق يجب أن يقوم على العقل ، أما الخوارق غير

الطبيعية فمسألة لا تستاغ إلا فى حالات انحطاط العقل البشرى ، وهذه قرينة على أن دعوة الإسلام جاءت موافقة للطور الطبيعى للبشرية تاريخا ونضوجا ورشدا ، لأنها أتت إلى الهداية بأسلوب عقلى صرف يحترم نظرته وبداهيته . وقد استشهد المؤلف بكلام للإمام محمد عبده فى كتابه : الإسلام والنصرانية ، جاء فيه : إن الإسلام فى هذه الدعوة لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلى والفكر الإنسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى . فلا يدهشك بخارق العادة ، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة . . »

والإسلام لا يلغى العقل ولا يجمد المادة ، ولكنه يضعهما فى حدودهما ، فهما بغير القيمة الروحية لا يجديان الإنسان فتيلا ، وإن التقدم المادى بغير السمو الروحى عمى مطبق ، وليس التنظيم الإسلامى لأمور الدنيا بنظام مقفل جامد ، بل هو التنظيم الجوهرى الذى لبابه قول صاحب الرسالة الكريم : « لا ضرر . . ولا ضرار . . »

وقد أثار الكاتب قضية الكهانة التى ألغاها الإسلام تماما ، ويعتقد أن المسيح أعلن الحرب على مظهريات اليهودية ، وهدم شكليات الطقوس ، ونادى بعبادة الضمير النقى ـ ولقد نقض الكهانة لأنها تناقض عبادة الضمير والصلة الخالصة المباشرة بين الإنسان والله ، وأن كل ما التصق بالمسيحية بعد ذلك كان من عمل تابعيه . إذ لم يرد فى نصوص أقواله ما يبرر قيام الكهنوت ، ومن أسف أن الفكرة الدينية السابقة على المسيح استطاعت أن تتسلل إلى تعاليم المسيح وتسبغ عليها طقوسها واحترافها الدين وقوامتها على العقيدة ، وكانت نكبة وخيمة ، وكان لابد من مقيل لها يرد البشر إلى سواء السبيل .

وفى أوائل صفحات هذا الكتاب رد المؤلف ودحض محاولة الشك فى نبوة محمد : « فمن اعترف بوحى من السماء إلى رسول من البشر لزمته الحجة ألا ينكر نزول الوحى على محمد من حيث المبدأ . ولا يتبقى بعد سقوط الاعتراض على الوحى من حيث المبدأ إلا النظر فى مضمون ذلك الوحى ، فإن كان هذا المضمون حاويا آية صدقه فى ذاته ، وليس فيه ما ينقض طمأنينة العقل أو يريبها فلا مفر من الإقرار بصدقه . . »

وتساءل بعد ذلك : هل تتكرر تلك النبوة على ذلك الأسلوب ؟ وأجاب : لا حاجة للبشرية بذلك التكرير ، فإن طور الأسلوب العقلى المجرد هو آخر أطوار البشرية ، لقد تمت فكرة التوحيد ، وتم خطاب العقل ، وتم البلاغ إلى الناس كافة ، وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه ، وبدنياه ، وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونها على هذا الأساس حسبما

يستجد لهم من الأمور ، فكل رسالة بعد ذلك قول معاد . . »

وفى معرض الحديث عن الوحى المحمدى ذكر المؤلف : أنه لم يطلب من رسول قبل محمد برهانا عيانيا على وحيه ، كى يطالب به محمد. « ولست أدرى كيف فات المؤلف هذا ، فالواقع أن كل رسالة سماوية كان لها معارضون طالبوا بالبراهين العيانية كدليل على صدق نبوتهم ، لا سيما عهدى موسى وعيسى ، ومحمد نفسه طلب المعارضون لدعوته الآيات المادية مرارا : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا . »

ولئن كان الله قد استجاب فى غير رسالة محمد للعارضين ، إلا أنه لم يستجب فى رسالة محمد لهم ، لأن البشر كان قـــد وصل إلى طور الأسلوب العقلى المجرد ، وإذا وجب أن يكون العقل أساسا فى الإيمان لا سيما وأن الخوارق لم تكن من قبل سبيلا للإيمان : وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون .

وبعد - فهذا عرض سريع ، وقد يخيل للقارئ أن المعلومات التى أثارها المؤلف سطحية ، ولكنه قد يدرك - لو تمعن - أن المؤلف قد ألقى عليها ضوءا من التحليل المنطقى ألبسها ثوبا من الجدة ، والمؤلف أيضا فى بحثه كان ذا شجاعة أدبية حين تعرض لأصول من عقيدته التى ينتمى إليها ، لأن الأداة التى استعملها فى صياغة هذا البحث كانت العقل والمنطق دون سواهما ، والعقائد السليمة لا يضيرها أن ترد إلى الحقائق التى قامت عليها ، وإنما يضرها الأثواب الزائفة التى يفرضها عليها جمود العقل وضيق الأفق ، وللكتاب بعد ذلك تقديره من الناحية الفنية والمجهود الأدبى الذى بذل من أجله . . !

محمد عبد الله السمان

الشاعر البائس

عبد الحميد الديب

تأليف الدكتور عبد الرحمن عثمان

دراسة تحليلية للشاعر الشعبى عبد الحميد الديب كتبها أستاذ من أساتذة الأدب خالطه طويلا وبلاه كثيرا فوقف على خفى أسراره ، ودرس دقائق حياته ، وروى جملة شعره ، وصوره للقارئ فى مباذله ومصاونه ومغامراته ونزواته وعلاقاته مستعينا على جلاء الصورة بذكر القصيدة وما لابسها من الظروف التى قيلت فيها والأحوال التى دعت إليها وكل ذلك بقلم سلس ومنطق سليم وتشويق جذاب .

وقد كسر المؤلف كتابه على تسعة فصول، تحدث فى الفصل الأول منها عن نشأة الشاعر وأثرها فى شخصيته وفنه، وفى الثانى عن بدء المحنة التى أصابت الشاعر وتأثيرها فيه، وفى الثالث عن مشكلات الشاعر ومغامراته، وفى الرابع عن ثورته وحقده، وفى الخامس عن فكاهاته وأهاجيه، وفى السادس عن زواجه وما عاناه من كراء البيت، وفى الثامن عن حياته فى الوظيفة، وفى التاسع عن جملة الرأى فى أمر الديب.

والكتاب مصدر بمقدمة وجيزة للأستاذ أحمد حسن الزيات أجمل فيها رأيه فى عبدالحميد الديب وفى الكتاب ننشرها فيما يلى:

* * *

كان الشاعر عبد الحميد الديب ـ غفر الله له ـ نمطا وحده فى شعراء العصر، كان ظهوره رجعة إلى نوع انقرض من الشعراء الهجائين المستهترين المكدين الذين لم تهيئهم طبائعهم للعمل الكاسب فأخلدوا إلى التبطل، وحملوا عجزهم وعوزهم على لؤم الناس وظلم القدر، من أمثال أبى الشمقمق الذى يقول:

إن العيال تركتهم
بالمصر خبزهم الغضارة
وشرابهم بول الحمار
مزاجه بول الحمارة

ويقول:

ولقد أهزلت حتى
محت الشمس خيالى

ولقد أفلست حتى
حل أكلى لعيالى
من رأى شيئا محالا
فأنا عين المحال

وأبى فرعون الذى يقول:

وصبية مثل فراخ الذر
سود الوجوه كسواد القدر
عاد الشتاء وهم بشر
بغير قمص وبغير أزر
حتى إذا لاح عمود الفجر
وجاءنى الصبح غدوت أسرى
وبعضهم ملتصق بصدرى
وبعضهم منحجر بحجرى
أسبقهم إلى أصول الجدر
هذا جميع قصتى وأمرى
أنا أبو الفقر وأم الفقر

وهؤلاء المفاليك المجان الذين جعلوا الشعر وسيلة إلى العيش بالهجاء الفاحص، والمدح المكذوب، والشكوى المستمرة، كانوا طبعيين فى المجتمع العربى القديم الذى كان يفهم الشعر على هذا النحو. فلما ذهبت بقايا هذا النوع بذهاب خليل نظير، وإمام العبد، وأحمد فؤاد وأضرابهم، وأصبح للشعر فى الأدب الحديث مفهوم آخر وأغراض أخر، كان شعر الديب شذوذا فى نسق مطرد،

ونشوزا فى نغم مؤتلف ، ولكنه كان ككل شاذ وكل غريب متجه الأنظار ومضطرب الألسن .

ذلك إلى أنه كان يجرى على أسلوب الحطيئة وابن الرومى فى قوة الهجاء ، وعلى أسلوب ابن حجاج وابن سكرة فى فحش المجون ، وكان يختلف عن هؤلاء جميعا بألوان من الصور والتشابيه انتزعها من بيئته ، ونقلها عن واقعه .

نشأ الديب فى أسرته الصغيرة الفقيرة كالنبتة البرية فى الرملة الجافة ، لا يمسكها أصل راسخ ، ولا يسندها جذع قوى ، ثم عاشت على علالة الجدب وبلالة الندى فاخضرت من غير نضارة ، وأشوكت من غير زهر ، وظلت فى العراء تقاسى السموم والقيظ ، وتكابد السغوب والظمأ ، حتى اقتلعتها الريح وألقت بها هشيما فى أخدود من أخاديد الأرض .

قست الطبيعة على الديب فلم تزوده بما تزود به الحى الكامل العامل بالكفاية الكافية لابتغاء العيش السائغ الهنئ ، فكان رغبة جامحة لا تحققها قدرة ، وشهوة عارمة لا تضبطها إرادة ، ورأى نعم الله تفيض من حوله على من يراهم مثله أو دونه ، وليس له منها مورد ولا فضل ، فأطال لسانه الحقد ، ورفع عبقريته الجوع ، وألهب شعوره الألم ، وأمض نفسه الحرمان ، فصدر عنه شعره كما يصدر الأنين عن المجروح ، والصراخ عن المظلوم ، والزمجرة عن الساخط ، ولم يفهم الشعر على أنه فن يلذ أو رسالة تؤدى ، وإنما فهمه على أنه سلاح يحمى ، أو شص يصيد . وكان منشأ ذلك الفهم القديم للشعر الحديث أنه كان كأكثر الشعراء القدماء لم يعرف الحياة على أنها جد وكد ، وإنما عرفها على أنها لهو وصعلكة ؛ ولذلك قضى حياته البوهيمية البهيمية شهوان لا ينام إلا على المسكر والمخدر ، ولا يتيقظ إلا على الجوع والظمأ .

ولعل حظ العاثر المتخلف لم ينهض به فى حياته وبعد مماته إلا مرة واحدة ، تلك المرة هى التى أتاح له فيها قلم صديقه الدكتور عبد الرحمن عثمان ، فخلد ذكره بهذا الكتاب القيم ، ذلك الكتاب الذى لم يظفر بمثله شوقى ولا حافظ .

رسم الكاتب فيه صورة الديب فأقام هيكلها من شعره ، ثم جعل فيها اللون والظل والبروز بما عرف من سيرته ، واكتنه من سريرته ، وكشف من أموره ، فجاءت الصورة واضحة الملامح ، بينة الحدود ، واقعية الدلالة ، يترجم عنها بيان مشرق ، ويدلل عليها منطق صائب . فإذا تأملت هذه الصورة أو قرأت هذا الكتاب بدا لك الديب عريان على الفطرة بعجره وبجره ، بنابه ، وقرمه ، بعواثه وجولانه ، بسره وعلنــــه ، وذلك غاية ما ترجوه من كاتب يكتب للتاريخ ، ومن كتاب يترجم لشاعر .

الإسلام والمسلمون في صحف العالم

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

الشيوعية والإسلام

كان موقف الشيوعية من الإسلام هو الموضوع الرئيسي في جميع صحف العالم طوال الأسابيع الماضية وكانت أحاديث المعلقين السياسيين كلها تدور حول موقف الإسلام بعد تلك الشنائع التي اقترفها عملاء موسكو في العراق الشقيق من انتهاك للحرمات المقدسة ، وإهدار لجميع القيم التي شرعها الإسلام لصيانة الكرامة الإنسانية .

ولقد كان الجواب واضحاً عن هذا التساؤل في ذلك النداء التاريخي الذي وجهه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى العالم الإسلامي بإعلان الكفاح المقدس ضد الشيوعية المخربة وضد الإرهاب الذي تفرضه لامتهان الجنس البشري وقد وجد هذا البيان الجريء صداه في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، فأعلنت جميع الطبقات الإسلامية في سائر الأقطار والأمصار استجابتها لدعوة شيخ الإسلام والمسلمين ومن الملايو أعلن حاجي أرشد زعيم المسلمين في لامبور تأييده لهذه الدعوة المباركة ، وقال إن خطر الشيوعية لا يمكن السكوت عليه ، وفي سنغافورة قال الزعيم الإسلامي حاجي علي معقباً على دعوة الشيخ الأكبر : إذا تعرض الإسلام للخطر من جانب الشيوعية ، فإن شعوب العالم أجمع - لا شعب سنغافورة وحده - ستهب لتلحق بها الهزيمة .

وفي الحق أن الشيوعية ليست بخطر على الإسلام وحده ، بل إنها خطر على كل دين ومعتقد في العالم فالشيوعيون يصرحون جهاراً نهاراً بأن الأديان كلها ليست إلا خرافات وأساطير ورجعية ، ويقول : كارل ماركس في كتابه « رأس المال » إن وجود الله ماهو إلا انعكاس خيالي لضعف الإنسان أمام الطبيعة ، وقد وصف زعيمهم « لينين » الدين بأنه أفيون الشعوب ، وفي عام ١٩٤٩ نشرت مجلة « العلم والحياة » مقالا للمسئول عن الدعاية الروسية قال فيه : « إن الشيوعية والدين يتعارضان ولا يمكن أن يتفقا » .

والشيوعيون بعد هذا يتعمدون الإسلام بحملة أشد وأقسى ؛ لأنهم يعرفون أن الإسلام بما فيه من تعاليم اشتراكية ، ومن مبادئ تزيل الفوارق المادية بين الطبقات ، وتربط حياة المجتمع الإنسانى برباط متين من الإخاء والعدالة والمساواة والمودة والمحبة ، إنما تقف سداً منيعاً أمام الشيوعية وأغراضها ، وأمام تلك الشعارات التى يتاجر بها الشيوعيون ، ويحاولون أن يخدعوا بها بعض البسطاء والحاقدين عن جهل من نفايات المجتمعات البشرية ، ولهذا نراهم يركزون دعاية قوية ضد الإسلام والمسلمين لعلهم أن يحطموا ذلك الطود الذى يقف فى سبيل أطماعهم وأغراضهم ومبادئهم .

ونحن لا يمكن أبداً أن ننسى ما صنعته وما تصنعه الشيوعية مع حوالى ثلاثين مليونا من المسلمين شاءت الأقدار أن يعيشوا فى جحيم الاتحاد السوفيتى ، فأنزل بهم الشيوعيون الويلات ، وأذاقوهم من الهوان والعذاب ما لا يتحمله ضمير إنسانى أو وجدان مهذب ، ولكنها شناعات البربرية ووسائلها الهمجية ، فقد حرموا عليهم صلاة الجمعة ؛ لأنها تربطهم برباط الوحـــدة فى الشعور ومنعوهم من الاحتفال بعيد الأضحى ؛ لأنه يجىء فى موسم جنى القطن فيعطل العمال عن أعمالهم ، وصيروا المساجد إلى آثار تاريخية ، وهم لا يسمحون للجيل الجديد بأن يعرف شيئاً عن الإسلام ، حتى لا يبقى للإسلام ذكر فى تلك البلاد .

إن الشر قد يأتى بالخير ، فلعل ما صنعه الشيوعيون فى العراق قد جاء إنذاراً للمسلمين حتى يتدبروا موقفهم إزاء هذا الخطر ، ولعل فى هذا عظة ترفع الغشاوة عن عيون بعض المخدوعين الذين كانوا يحسنون الظن بعدالة ماركس ومساواة لينين .

المسلمون فى مالديف :

تحدثت الصحف فى الأيام الأخيرة حديثاً مقتضبا عن ثورة قائمة بين الاستعمار البريطانى والمسلمين فى جزر مالديف .

وجزر مالديف جزر صغيرة متناثرة فى جنوب الهند وسيلان ، وتبعد عنها بما يقرب من خمسمائة ميل ، ويبلغ عددها مائتى جزيرة ، ويسكنها حوالى ٨٥ ألف نسمة كلهم يدينون بالإسلام ، ويعيشون من الصيد ، ورئيسهم الدستورى هو السلطان ، ويحكمهم مجلس من ٦٥ عضواً ينتخبون كل خمس سنوات .

وكان سكان مالديف يعيشون عيشة هادئة آمنة ، قانعين بحياتهم البسيطة ، وبرزقهم من البحر ، فلما قررت سيلان تصفية القاعدة البريطانية فيها . قرر الاستعماريون البريطانيون بناء قاعدة حربية فى جزر مالديف لصيانة مصالحهم فى تلك المنطقة .

وعاد الاستعماريون يفتشون فى دفاترهم

القديمة كما يقال : فزعموا أن هناك معاهدة عقدت عام ١٨٨١ م بين السلطان الذى كان يحكم جزر مالديف فى ذلك الزمن وبين البريطانيين ، وعلى أساس هذه المعاهدة . زعم حاكم سيلان البريطانى أن له الحق فى توجيه السياسة فى جزر مالديف والإشراف عليها ، وطلب من رئيس وزراء مالديف أن يسمح ببناء قاعدة بريطانية فى جزيرة جان ، وقبل أن يرد رئيس وزراء المالديف على هذا الطلب الاستعمارى كانت هيئة من سلاح الطيران البريطانى قد حضرت وبدأت فى العمل . وكان من الطبيعى أن يقف شعب مالديف ضد هذا العمل الاستعمارى لبلادهم ، فانقض البريطانيون على الشعب الآمن فى غير شفقة ولا رحمة ، وأخذوا يتعمدونه بكل وسائل الإرهاب والاضطهاد ، حتى إنهم اضطروا جميع سكان جزيرة جان ويبلغ عددهم ثمانية آلاف مسلم إلى الانتقال إلى جزيرة أخرى لإنشاء القاعدة البريطانية فيها دون أن يقدموا لهم أية مساعدة ، ودون أن يتخذوا أية ترتيبات أو احتياطات لإسكانهم فى الجزيرة الجديدة .

واستمر شعب مالديف الحر فى غضبته ، ولم يستسلم لأعمال الإرهاب والعسف ، ولما رأى من رئيس وزرائه الاستكانة أمام أعمال البريطانيين قرر عزله ، وعين مكانه ابراهيم ناصر رئيس الوزراء الحالى ، وطالب رئيس الوزراء الجديد مرتين بوقف العمل فى إقامة القاعدة البريطانية فى جزيرة جان ، ولكن المستعمرين البريطانيين مضوا فى تحديهم وما زالوا يواصلون العمل فى بناء القاعدة .

إن القاعدة البريطانية الجديدة ليست خطراً على جزر مالديف وحدها ، ولكنها كذلك تهدد بطريقة مباشرة الهند وأندونيسيا ، وجميع البلاد التى تطل على المحيط الهندى ، ثم هى خطر على آسيا كلها إذا صح ما تردد من أن البريطانيين سيزودون القاعدة بالأسلحة والمعدات الذرية ، وهذا ليس بعجيب من الاستعمار البريطانى العجيب .

والمعركة الآن قائمة : الاستعمار البريطانى سادر فى تحديه وإرهابه ، وشعب مالديف صابر فى كفاحه ونضاله بكل الوسائل التى فى طاقته ، وإن من حق هذا الشعب المكافح فى معركة الحرية والاستقلال على جميع المسلمين فى أقطار الأرض أن ينهضوا لنصرته ، وأن يبادروا لنجدته قبل أن يقع فريسة فى براثن الاستعمار البريطانى الذى لا يتورع أبداً عن التضحية بحرية الشعوب فى سبيل أغراضه ومطالعه .

فهل أنتم أيها المسلمون فاعلون ؟ .

لو كان هناك شعور بالإسلام

لو كان هناك شعور صادق بالإسلام يعمر القلوب لم يحدث هذا أبداً ، فقد نقلت وكالات الأنباء أن تركيا وإيران وباكستان قد عقدت مع أمريكا اتفاقيات حربية ثنائية وقالت جريدة « الديلي تلغراف » البريطانية إن هذه الاتفاقيات الحربية التي وقعت في أنقرة قد حلت محل حلف بغداد ، وأعربت جريدة « دافار » الإسرائيلية عن سرورها بعقد هذه الاتفاقيات ، وقالت إنها خطوة حاسمة في تحقيق مشروع أيزنهاور ، وذكرت جريدة « هيرالد تربيون » الأمريكية أن أعضاء حلف بغداد قد أعطيت لهم ضمانات أوسع بمقتضى هذه الاتفاقيات ، وأن القوات الأردنية المسلحة ستنضم إلى القوات المسلحة التابعة لحلف بغداد إذا اقتضى الأمر ذلك .

وإذا كان العرب قد رفضوا حلف بغداد وقاوموه ، وإذا كانوا كذلك قد رفضوا مبدأ أيزنهاور وحطموه ، فأنهم لا شك يرفضون هذه الاتفاقيات الثنائية الحربية ، ويرون فيها ما كان يتمثل في حلف بغداد وفي مبدأ أيزنهاور من خطر مباشر على كيانهم وعلى مصالحهم ، والعرب لا شك هم قلب العالم الإسلامي ، وخط الدفاع الأول في الجبهة الإسلامية ، والدول التي وقعت هذه الاتفاقيات الحربية مع أمريكا ، هي تركيا وإيران وباكستان ، وهي لا تزال تذكر في فاتحة الدول الإسلامية ، ولا تزال تحسب في كتلة العالم الإسلامي ، فلو كان هناك شعور صادق بالإسلام عند حكام هذه الدول لما ارتضوا أبداً أن يقترفوا هذا الجرم ، وأن يمثلوا هذا الخطر المباشر الذي يهدد إخوانهم المسلمين في العالم العربي .

نقول هذا ، وإننا نعني بالحديث حكام تلك الدول ، لأننا نعتقد أن المسلمين في إيران وباكستان وتركيا بخير ، وأنهم ما زالوا يعتنقون الإسلام عقيدة على أساس التداعي لأي أذى يصيب أي عضو من أعضاء الجسم الإسلامي المجيد في أرجاء آسيا وإفريقيا . وإن الروح الإسلامية في هذه الشعوب ستجعل من هذه الاتفاقيات مجرد حبر على ورق ، ويوم يجد الجد ستظهر هذه الحقيقة واضحة للذين يدبرون ويقدرون بعيداً عن شعوبهم ؟

محمد فهمي عبد اللطيف

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزءان الحادي عشر والثاني عشر — ذو القعدة سنة ١٣٧٨ هـ — مايو سنة ١٩٥٩ م — المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ديننا في محنة ، ووطننا في خطر

بقلم : أحمد حسن الزيات

فتح الحمر من حكام العراق للشيوعية مصراعي الباب الشرقي للوطن العربي وقالوا لها : ادخلي جهرة ، ولا تتسللي خفية . لقد مهدنا طريقك بالأجساد المسحوبة ، ورفعنا لواءك على المشانق المنصوبة ؛ وأظهرنا دينك على دين الله بتمزيق المصاحف في الشوارع ، وتقتيل العلماء في المساجد ، وتسليط الذهب والرهب على الضمائر ، وافتراء الشبه والأكاذيب على العقائد ؛ وجعلنا كلمتك هي العليا بالحاكم الذي لا يرعوى ، والقاضي الذي لا يستحي ، والجلاد الذي لا يكتفي ، والمدفع الذي يرش الموت ، والخنجر الذي يمج السم ، والهول الذي يخلع القلب ؛ فأعداؤك (القوميون) ، وهم تسعة أعشار الشعب ممن يؤمنون بالله ، ويخلصون للعروبة ، ويعملون للوحدة ، ، قد أتت عليهم ريحك العاتية فجعلتهم أباديد بين صريع في الطريق ، وطريح في السجن ، وحبيس في الدار ، ومشرد في القفر ، ولعلنا بهذه القرابين قد أخلصنا الدين لنبيك (لينين) الذي قال في بعض رسائله إلى مكسيم جوركي : « إن قتل ثلاثة أرباع العالم يهون في سبيل أن يصبح الربع الباقي شيوعيا » .

نعم ياحمر العراق ، أخلصتم الدين لآلهة النار والدمار والشر ، وأسرفتم في هذا الإخلاص حتى فعلتم بدار السلام والإسلام ما لم يفعله من قبل مزدك وبابك والمقنع وصاحب الزنج وشيخ الجبل وهولاكو حتى أوشكتم أن تجعلوا من البلاد كلها سجناً ومجزرة !.

أحقاً بني عمومتنا في العراق اشتريتم الشيوعية بالإسلام ، واستبدلتم الفرقة بالجماعة ، واستجرتم لرجل من عامة الناس نفخه الشيطان وأسكره السلطان فجمح هواه بعقله جموح الفرس الحرون ، لا يسمع الصوت المهيب ، ولا يطيع اللجام الكابح ! معاذ الله أن يصدق فيكم ما قاله الحمر عنكم من الفسوق بعد الإيمان ، فإن المؤمن لا يرتد عن دينه وهو سليم العقل . وإذا جاز الخبال على فرد فلن يجوز على أمة . وإذا كانت الخديعة قد جازت عليكم بالموازنة بين نظام ونظام ، فتعالوا نذكركم إن نسيتم أن الإسلام نظام إلهي شرعه فاطر الأرض وبارئ الخلق ومنزل الوحي دستوراً كاملا تصلح عليه شؤون الفرد وأحوال الجماعة من كل جنس وفي كل عصر وعلى كل أرض ، يوحد الله ولا يشرك به أحدا من خلقه ؛ ويقدس الشرائع التي أنزلها الله ولا يفرق بين أحد من رسله ؛ ويؤاخي بين الناس جميعاً في الروح والعقيدة لا في الجنس والوطن ؛ ويسوي بين الإخوة في الحقوق والواجبات ، فلا يميز طبقة على طبقة ، ولا جنساً على جنس ، ولا لوناً على لون ؛ ويجعل للفقير حقاً معلوماً في مال الغني يؤديه طوعاً أو كرهاً ليستقيم ميزان العدالة في المجتمع ؛ ويجعل الحكم شورى بين ذوي الرأي ، فلا يحكم بأمره طاغ ، ولا يصر على غيه مستبد ؛ ويحرر العقل والنفس والروح ، فلا يقيد النظر ولا يحصر الفكر ولا يقبل التقليد ولا يرضى العبودية ؛ ويأمر معتقديه بالإقساط والبر لمن خالفوهم في الدين وعارضوهم في الرأي ، ويوحد الدين والدنيا ، ليجعل للضمير السلطان القاهر في المعاملة ، وللإيمان الأثر الفعال في السلوك .

وجملة القول فيه أنه النظام الذي يحقق الوحدة الإنسانية ، فلا يعترف بالعصبية ولا بالجنسية ولا بالوطنية ، وإنما يجعل الأخوة في الإيمان ، والتفاضل بالإحسان ، والتعاون على البر والتقوى .

أما الشيوعية فليست عقيدة تقوم على الخير ، ولا طريقة تعتمد على الحق ، ولا رسالة تؤدي بالمعروف ، وإنما هي أطماع من عمل الشيطان وسوس بها في صدور جماعة من مغامري الروس كابدوا استبداد القيصرية ، وقاسوا استعباد الارستقراطية ، فلم يكادوا

يثلون عرش المستبد ، ويقوضون صرح المستعبد ، حتى أدركهم مركب النقص وأخذتهم سورة الانتقام ، فتقاسموا بينهم جبروت القياصرة وصلف الأشراف ، وسخروا كل ما تنتج العقول وتخرج المصانع وتنبت الأرض للجيوش والأسلحة ليتخذوا عباد الله كلهم عبيدا ، ويجعلوا أرض الله كلها لهم ضيعة !

حزب من ستة ملايين قيصر قد أعد الحديد والنار والقلق والفزع والاضطراب والفوضى لتنفيذ هذه الخطة وبلوغ هذه الغاية ! فهل يقدر الله أن تنهزم القوى الخيرة أمام هذا الشر ، وتتخزل المبادئ الصالحة أمام هذا الفساد ؟ لا يابنى العمومة فى العراق ، ويا إخوة للعقيدة فى كل قطر ، ان العقلية العربية معمرة فلا تقبل الهدم ، وإن العقيدة الإسلامية نيرة فلا ترضى الضلال ، وإن النِّحَل الهدامة التى انتشر ظلامها حينا فى سماء العراق كانت خارجة عن الإسلام طارئة على العرب ، وإن الوطن العربى سيظل بفضل عقليته وعقيدته آمنا من كل سوء نابيا على كل فتنة .

ليس الخطر إذن من الشيوعية فى أنها نظام يطاول شرع الله ، فشتان بين النور والظلام والبصر والعمى ، وإنما خطرها فى أن وسيلتها الأولى فى الدعوة بعد الإلحاد والإفساد إماتة القومية وإحياء العصبية ، والعصبية هى داء العرب الموروث كانت فى تاريخهم الحافل بالأحداث والغير علة العلل فى انحلال العقدة وانقسام الرأى وتعدد الدول . كانت هى النعَرة التى قالت يوم (السقيفة) منا أمير ومنكم أمير ، وكانت هى الهامة التى خرجت من قبر عثمان وظلت تصيح على دار الخلافة : نحن هاشميون وأمويون ، نحن قيسيون ويمنيون ، نحن علويون وعباسيون ، نحن عرب وشعوبيون ، نحن اثنتان وسبعون فرقة تتقاطع فى الدين وتتعادى فى الدنيا ، وتزعم كل فرقة منها أنها هى الناجية ، نحن ثلاثة خلفاء فى وقت واحد : عباسى على عرش بغداد ، وأموى على عرش قرطبة ، وفاطمى على عرش القاهرة ، ولكل خليفة منهم شأن يغنيه ، وعدوان مع الباغين على أخيه .

والعصبية هى التى تنعق اليوم فى مدن العراق تقول على ألسنة الفئة الباغية : (قاسم هو الزعيم الأوحد) و (جمهورية عبد الكريم ، ما نصيرْ أبدا إقليم) يريدون بما ينعقون أن الزعيم هو قاسم لا جمال ، وأن العراق أعظم من أن يصير إقليما ثالثا فى الجمهورية العربية المتحدة كإقليمى مصر وسوريا ، وحب الرياسة وشهوة الحكم هما شر أدواء العصبية وبالا

وأشدهما استفحالا فى الشرق القديم والحديث ، ولو ذهبت تستقرى عوامل الشقاق والانشقاق بين العرب فى جميع الأطوار والأقطار لما عدوت ما ركب فى طباع السادة والقادة من حب الظهور ورغبة التفرد ورذيلة الحسد ، فاذا أردنا مخلصين أن ندفع الشيوعية عن ديننا ووطننا فلنعالج العصبية بما عالجها به الإسلام : نخفت فى نفوسنا صوت الأثرة ، ونسكن فى رءوسنا عصف الهوى ، ونجدد فى أذهاننا ما انطمس من معانى الإيثار والأخاء والفداء والمروءة ، ونحدد فى أفهامنا ما انبهم من هذه المبادىء الإسلامية الصريحة : « إنما المؤمنون اخوة » «وأمرهم شورى بينهم » « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . الناس سواسية كأسنان المشط » وتلك هى المثل العليا للسلام والنظام والحكم تطلبها الشعوب المكروبة المسخرة بالثورة بعد الثورة ، وبالحرب، عقب الحرب ، فتحول بينها وبينها تصادم القوى وتعارض المنافع .

وإذا ذهبت العصبية جاءت الوحدة كما كانت الحال فى عهد الرسول وصاحبيه ، ولو أن معاوية لم يعدها لتوثيق أمره وتثبيت ملكه لظلت كلمة العرب واحدة وخلافة المسلمين جامعة ، على أن تحقيق الوحدة العربية كان عملا لم يقو عليه من قبل غير محمد ، ولن يقوى عليه من بعد غير رجل يسير على هدى محمد : يكون لغيره لا لنفسه ، ولأمته قبل أسرته ، ولإنسانيته بعد وطنيته . تموت (أنا) فى لسانه وتحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ، فهو يحس ألمه لأنه مجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجلى عقله ، ويملك قياده لأنه مظهر إرادته ، وهو فى سمو نفسه ونزاهة هواه ، يرتفع عن أوزار الناس وأقذار الأرض ، فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابى لأن فضله أوسع من العصبية ، وهو فى ألمعية ذهنه وصلابة عوده وبعد همته يعظم على الأحداث ويعلو على الحوائل ، فلا ينضج رأيا إلا أمضاه ، ولا يرمى غرضاً إلا أصابه ، ولا يروم أمدا إلا أدركه ـ هذا هو الرجل الذى طالما انتظره العرب ليجمع لهم فى شخصه الراعى الذى يطرد الذئب ، والخيط الذى يمسك العقد ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العلم ، والأستاذ الذى يعلمهم كيف يصنعون الإبرة والمدفع ، ويشقون المنجم والحقل ، ويلائمون بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة ، هذا الرجل الذى آتاه الله هذه السجايا والمزايا هو الزعيم ، ففيمن تجدها بربك ؟ فى عبد الناصر أو فى عبد الكريم ؟

أحمد حسن الزيات

إفلاس مذهب
لا طاقة « للمادية الشيوعية » بالبقاء
للأستاذ عباس محمود العقاد

قام المذهب الشيوعى فى روسيا قبل نهاية الحرب العالمية الأولى منذ اثنتين وأربعين سنة .

فكل من فى روسيا اليوم من رجال ونساء ولدوا فى ظل هذا المذهب ، وتربوا على عقائده وآدابه ، وانعزلوا منذ طفولتهم إلى أن جاوزوا سن الرشد عن كل مذهب يعارضه أو يصده عن طريقه ، لا يستثنى منهم أحد غير الشيوخ الذين ناهزوا الستين وما بعدها .

فالذين بلغوا الأربعين من الرجال والنساء ولدوا بعد إعلان المذهب بسنتين ، فلم يعرفوا مذهبا غيره منذ تعلموا النطق بالحروف .

والذين بلغوا الخمسين كانوا عند قيام المذهب فى الثامنة من العمر ، فتعلموا القراءة فى مدارسه ولم يتعلموا شيئاً قبل أن يتعلموه ويعيشوا عليه .

والذين ناهزوا الستين كانوا فى نحوا الثامنة عشرة يوم قام المذهب الشيوعى فى بلادهم ، مضى عليهم ثلاث سنوات منها فى الحرب العالمية ، وبلغوا الأربعين فالخمسين فما فوقها وهم شيوعيون ظاهراً وباطنا ، أو شيوعيون بالتعليم والتربية والمعيشة ، لا يعرفون مذهباً يخالف الشيوعية ويدعو إلى عمل ينقضها .

أمة كل من فيها من رجال ونساء وشيوخ وشبان وأطفال تخضع للدعوة الشيوعية والتربية الشيوعية ، ولا تسمع شيئاً يعارض الشيوعية .

فإذا قلنا : إن الثورة الشيوعية أبقت على أحد من غير أنصارها فالذين أبقت عليهم هم الآحاد المتفرقون أبناء الستين وما فوقها ، لا يقدرون على مناهضة المذهب بدعوة ولا نفوذ ولا وسيلة عملية أو أدبية يحسب لها حساب .

والغرض مع هذا بعيد الاحتمال . فإن الثورة الشيوعية أعلنت منذ قيامها « أن من

ليس معها فهو عليها ، وأبادت كل من توقف عن تأييدها وإن لم يكن له عمل فى مقاومتها ولكنه سواء. كان فرضاً بعيد الاحتمال أو مقبولا فى الحسبان لا ينتهى إلى نتيجة ذات بال ؛ وكل ما ينتهى إليه أن يكون عدد المخالفين للشيوعية فى قلوبهم بضعة ألوف معزولين عن وسائل النفوذ بين الملايين من الرجال والنساء الأشداء يقودون أزمة الأعمال والآراء .

مائة وخمسون مليونا ، أو يزيدون ، كلهم مولودون فى ظل المذهب منقطعون عن مذاهب العالم ، عائشون فى جوه نيفا وأربعين سنة .

تلك وحدة مذهبية ، لم يعرف لها نظير فى تواريخ الأمم منذ كانت ، وتلك فرصة أتيحت للثورة الشيوعية لم تتهيأ قط لحركة من حركات المبادئ والدعوات الاجتماعية ؛ فلو كان فى هذا المذهب الشيوعى صلاح للاستقرار على دعائم الحرية وضمان الحقوق لوجب الآن أن يكون على غاية من الاستقرار والطمأنينة ، وأن يكون ولاته جميعا من الكفاة القادرين على تدبيره المخلصين فى تنفيذه ، الصادقين فى الإيمان به والقيام على شؤونه ، وإلا فكم من الزمن يكفى لتخريج الكفاة المخلصين الصادقين ، ومن أى المذاهب تستعيرهم الشيوعية ، إن كانت لا تستطيع أن تنشئهم فى مهادها بين أبناء العشرين إلى أبناء الستين ؟

نعم - يجب أن تكون للمذهب اليوم حكومته الحرة المطمئنة وحكامه الكفاة المخلصون ! !

فهل هذا هو الواقع المشاهد فى البلاد الروسية ؟ هل هذا هو الواقع المشاهد فى أقوال الروس أنفسهم . بل فى أقوال حكام الروس أنفسهم ، فضلا عن أقوال الأعداء والمعارضين ؟.

كلا ، ليس هذا هو الواقع المشاهد كما يصفه حكام الروس ، ولا يفرغون من وصفه وإعادة وصفه منذ عهد ستالين إلى عهد خروشيشيف الأول والأخير .

ستالين قضى على المئات والألوف بتهمة الخيانة والغدر بالشعب والعدوان على مصالحه وشريعة حكمه ، وخليفته خروشيشيف يقول إنه كان ظالما عاتيا سفاحا يخوض فى دماء الأبرياء ويفترى الكذب على خدام الأمة الأمناء ، ولكن خليفته هذا لم يلبث أن صنع بشركائه فى الحكم مثل صنيع ستالين ، ولم يزل يقتل وينفى ويعزل ويلقى تهم الخيانة على زملائه وأعوانه قبل أن يفرغ من حملته على السياسة التى سماها سياسة البغى والإجرام والتلفيق والافتراء .

أعادل زعيمه ستالين أم ظالم ؟ وصادق خليفته أم كاذب ؟

كلا الأمرين سواء .

إن كان ستالين عادلا فهناك ألوف من رؤساء الشيوعية خونة أنذال مفسدون .

وإن كان ستالين ظالما فهناك حكومة تتولى أمور البلاد على سنة الإرهاب والغش والتضليل .

أما خروشيشيف فصدقه طامة وكذبه طامتان ، ومحا كانه لستالين بعد الحملة عليه دليل عجيب ، على تأصل الشر فى أركان الدولة إلى أعمق الجذور .

إن صدق هذا الرجل يدمغ المذهب الشيوعى فى أساس تكوينه ، لأنه يرينا أن الحكم الشيوعى يخول الحاكم المستبد طغيانا لم يخوله أعتى القياصرة فى أظلم عصور الظلم والاستغلال .

وأشد من ذلك أن يكون كاذبا على زعيم وعلى أمة وعلى حكومة كاملة ولا يفتضح له كذب ولا يمتنع عليه بعد ذلك أن يتمادى فى السياسة التى أنكرها كاذبا على جميع هؤلاء .

وعلى أى وجه من الوجوه لا مفر من الجزم بأن الشيوعية أفلست فى سياسة مجتمعها غاية الإفلاس الذى يصاب به مذهب مجهول لسياسة المجتمعات ، وأن الشيوعيين فى بلاد كلها شيوعيون لا يقدرون بعد أربعين سنة أن يجدوا للحكم إلا باغيا كاذبا سفاحا ، بين قائم منهم بالأمر أو معزول ، وأن نظام الشيوعية من أساسه شر من كل نظام عرف فى ظل الاستبداد ورأس المال ، لأنه لا يأبى أن تتولاه أداة حكومية قائمة على الإرهاب والتضليل ، يتأتى فيها للحاكم الفرد ما ليس يتأتى ولا تأتى من قبل ، لأمثال ، نيرون وجنكيزخان .

هذا هو الواقع الذى تبديه لنا أعمال الحاكمين فى روسيا وأقوالهم ، ولا حاجة به إلى رأى يقول به عدو أو ناقد من بعيد .

مذهب قامت على قواعده أمة كاملة من الرضيع إلى الشيخ الذى جاوز الخمسين ، ولم يزل حكامه بين خونة وظلمة ، ولم يزل فى وسع الإرهاب والتضليل أن يتيح لحاكمه المطلق أن يجنى على الأرواح والأعراض والأرزاق كما يشاء .

ومن الواضح أن التضليل هنا يستند إلى الإرهاب ولا يقوم على براعة الحيلة التى تجوز على غير المضطر للخضوع . فإن دعواهم ـ ظالمين ومظلومين ـ على السواء أظهر من أن يقبلها سامع برىء من الخوف أو التغفيل .

* * *

وليس هذا هو الواقع الذى تنكشف عنه نتائج الحكم فى صميم البلاد الروسية وحدها ، بل هو الواقع فى كل مكان بسطت عليه الروسيا شيئا من نفوذها وحسبته بين ملحقاتها ونظرة

(البقية فى صفحة ٩٤٦)

رأى السيد رئيس الجمهورية فى الشيوعية

إن الشيوعية حين أصبحت نظاما للحكم انقلبت إلى شىء آخر غير ما كان يأمله دعاتها، .. وما أكثر النظريات التى تفتن وتخدع، حتى إذا دخلت فى دور التطبيق العملى انحسر عنها لثامها، وأسفرت عن حقائقها الأليمة.

كل ما كسبه الشيوعيون من شيوعيتهم أنهم صاروا آلات فى جهاز الإنتاج العام. وكانوا بشرا ذوى إرادة!

قد كفروا بالدين؛ لأن الدين فى عرف الشيوعية خرافة!

وكفروا بالفرد، لأن الفرد فى دين الشيوعية لا كيان له ولا حقيقة لوجوده، وإنما الكيان للدولة!

وكفروا بالحرية، لأن الحرية نوع من إيمان الفرد بذاته، وليس للفرد فى النظام الشيوعى ذات ولا إرادة.

كفروا بالمساواة فى نظام الدولة، لأن الدوولة فى دستور الشيوعية طبقات تنتظم فى هرم يتربع على قمته فرد ويحتشد ملايين الشعب فى القاعدة!

ألا ما أبعد واقع الشيوعية من دعوة دعاتها!

ونحن المصريين. نحن العرب.. نحن المسلمين والمسيحيين فى هذه المنطقة من العالم...

نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر...

ونؤمن بأن لكل عامل جزاء عمله، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

ونؤمن بأن لكل فرد فى كل جماعة كيانا فى ذاته، وكيانا فى أهله، وكيانا فى قوميته العامة وفى بلده...

ونؤمن بحرية العمل وحرية الكسب وحرية النفقة فيما لا يعود على المجموع بمضرة!

ونؤمن إلى كل ذلك بالأخوة الإنسانية، وبالتكافل الاجتماعى وبالإيثار القائم على الاختيار لتوثيق الروابط الإنسانية.

ونؤمن بأن لكل فرد فى الدولة حقا وعليه واجبا يكافئ هذا الحق، وأن على الدولة لكل فرد فيها واجبا ولها عليه حقا يكافئ هذا الواجب، فهى تبعات متبادلة بين الحكام والمحكومين، ليس فيها قهر ولا إذلال ولا تسلط ولا طبقات قليلة العدد من السادة وطبقة ضخمة من العبيد!

هذا ديننا وذاك دين الشيوعية...

فلتؤمن الشيوعية بما تشاء وتكفر بما تشاء، فليس يعنينا ما تؤمن به وما تكفر، إنما يعنينا أن نؤكد إيماننا بديننا الذى ندين الله عليه ونترسم دستوره فيما نعمل لأنفسنا ولقومنا.

كل ما بيننا وبين الشيوعية فى مذهب الحكم أو فى مذاهب الحياة، أن الشيوعية دين ولنا دين، ولسنا تاركين ديننا من أجل دين الشيوعية.

جمال عبد الناصر

نداء من شيخ الأزهر إلى علماء المسلمين

فى هذه الأيام العصيبة التى يقاسى محنتها الإسلام . يتجه الأزهر إليكم جميعا وقد سلخ - كما تعلمون - من حياته عشرة قرون كاملة فى خدمة الإسلام والمسلمين، وفى العمل جاهدا على حفظ كتاب الله ودين الإسلام ، وتمكين عقائده من قلوب المسلمين . يتجه إليكم جميعا باسم الدين وباسم الله أن تنعموا النظر القوى فيما يهدد الإسلام من خطر يقوض دعائمه ويزلزل أركانه ، ويعرض كتابه وأحكامه وأخلاقه للضياع ، ويرجع المسلمين إلى الإلحادية والوثنية الجاهلية الأولى ، ذلكم الخطر الذى بدت تباشيره فيما يقض مضاجع المؤمنين ، ويزلزل قلوبهم ويسلبهم حياة الأمن والاستقرار ، وحياة الحرية الإنسانية فى هذا الشعب الإسلامى العريق ، شعب العراق الذى احتضن الإسلام فى عهد الأوائل من أصحاب رسول الله.

هذا الشعب الذى استشهد من أبنائه المئات والألوف فى سبيل نشر الدين والدعوة إليه وصيانته من أيدى العابثين ، والملحدين ، يتجه إليكم مستصرخا دينكم وإيمانكم فى أن تهبوا قومة واحدة ، وأن تعلنوا كلمة الله فى جميع الشعوب الإسلامية ليتخذوا عدتهم فى حفظ كيان هذا الدين . كل يعمل بما يطمئن إليه قلبه ويختاره ، من وسائل التوجيه والدعوة إلى صيانة الإسلام وإلى تمسك المسلمين به قبل أن يستفحل الخطب ويعظم الخطر ، وحينئذ يتجرد المسلمون من شخصيتهم ، ويصبحون أثراً بعد عين ، يذكرهم التاريخ ويسجل علينا جميعاً - نحن معشر علماء هذا العصر - الخزى والعار . وإنكم لتقرءون فى كتاب الله عهد الله الذى أخذه الله عليكم بالبيان والدعوة ، فقال تعالى « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » . « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، و « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم .. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

اللهم قد بلغت . اللهم فاشهد .

وفقنا الله جميعاً لما يحفظ دينه ، ويثبت عقائده ، ويصون كتابه ، ويجمع شمل الموحدين . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت

(بقية المنشور على صفحة ٩٤٣)

عاجلة على المستعمرات الروسية ، وأشباه المستعمرات الروسية ترينا أنهم لا يبسطون نفوذهم على بلد يفصلهم منه حاجز من الحواجز الجغرافية . فكل مستعمراتهم واشباه مستعمراتهم فى آسيا وأوربة تقع من بلادهم على مد الذراع من قوة الإرهاب المسلح ، ولم يستطيعوا بالتضليل وحده أن يستغنوا عن الإرهاب المسلح أو الجاسوسية المسلحة ، ولهذا تمكن « تيتو » فى يوغسلافيا من الخروج عليهم والاستخفاف بأنظمتهم وتعليماتهم ، فتحداهم وأفلح فى تحديهم ، وهو يدين مع هذا بمذهب من المذاهب الاشتراكية . !

وكلما استطاع هؤلاء الشيوعيون أعداء الاستعمار والاستغلال كما يقولون - أن يخضعوا بلدا غريبا بقوة السلاح ، حكموا فيه القمع والإرهاب تحكما لا يستبيحه شر المستعمرين فى القرون الغابرة ولا فى هذا القرن العشرين ، فالبلاد التى دخلها المستعمرون تعانى من عسفهم ما يثيرها عليهم للمقاومة والانتقاض ولكنها على أية حال تقاوم ويسمع لها صوت وتذاع لها فى العالم قضية . أما حيث نزل الروس فلا بقية بعد السيف للمقاومة والانتقاض ، وخطتهم هنالك للمحق والإبادة لن تكون أرحم من خطتهم فى صميم بلادهم . اين بلجانين ؟ أين بريا ؟ أين ملنكوف ؟ أين مولوتوف ؟ أين قبل هؤلاء مئات ومئات من الأنداد والنظراء ، وممن تخشى محاسبتهم أو مقاومتهم فى وقت من الأوقات ؟ إن الحاكم الذى يزيل هؤلاء عن طريقه فى وضح النهار لن يترك فى بلاد المغلوبين رأسا يرتفع للحساب والمقاومة ، ولن يدع فيها أحدا يهم بالحركة أو يقدر عليها إن هم بها .

غول من الوحشية والشيطانية تبتلى به الأمم فى هذا الزمن ولا سلامة لها منه إلا بالقضاء عليه ، وتلك هى « تصفية الختام » للمذهب الذى ملك أمة فلم يقدر على حكمها بغير الإرهاب والتضليل ، ويريد أن يحكم الأمم جميعاً والعياذ بالله - على هذا المقال ؟

عباس محمود العقاد

فكاهة

سئل عالم تركى عن معنى قوله تعالى : (إنا لله وإنا إليه راجعون) فقال والله إنى لا أعلم معناها ، ولكنى أعلم أنها لا تقال فى الأفراح !

وسئل مرة أخرى عن (قسورة) فى قوله تعالى : كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة فقال : القسورة : الزربية !

مركز الأم في الإسلام

للأستاذ الدكتور محمد البهى

مقدمة :

الأم هى التى ولدت ذكراً أو أنثى على السواء . « إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم » . والأم التى يقف منها الإسلام الموقف الذى سنحدده هنا ، هى التى أنجبت الولد عن طريق زواج شرعى . هى التى قام بينها وبين زوجها عقد صحيح تترتب عليه التزاماته . « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » ويستحسن فى نظر الإسلام من أجل ذلك أن يكون هناك إعلام بالزوجية ، سواء عن طريق ما يولم من وليمة . أو عن طريق إشاعته بين الأهل والجيران .

الإسلام لا يعترف بالأمومة غير الشرعية ، بمعنى أنه لا يقرها ولا يرتب عليها آثارها . لأنه لا يريد أن تشيع هذه الأمومة غير الشرعية فى المجتمع ، إذ بذلك تختلط الأنساب من جانب ، وتضيع الالتزامات التى على الرجل قبل الولد وأمه من جانب آخر ، والمجتمع حينئذ لا يستطيع بحال أن يتكفل بهذه الالتزامات نيابة عن الآباء ، المجهولين ؛ لأن هناك عنصراً أساسياً فى الكفالة يفقده المجتمع ، وهو عطف الأبوة وحنان الأم نفسها . فهما تكفل المجتمع بالمساعدات المادية للأبناء غير الشرعيين ، فليس له عطف الأب فى الرعاية .

أما الأم فهى وإن كانت ولدت ابنها غير الشرعى ، تشعر فى قرارة نفسها أن هذا الإبن سيسبب لها متاعب كثيرة ، أيسرها أنه يرتبط به فى تصورها عدم الوفاء من أبيه فى الظلام ، وهو الأب المجهول أو المنكر أو المتخفى والهارب من المسئولية الأدبية والاجتماعية .

وعندئذ يقل حنانها على الولد أو يكاد ينعدم ، فتلقى به فى الطريق ، أو تتركه فى المستشفى ، أو تحول بينه وبين الاستمرار فى الحياة فى صورة ما .

والمجتمع الذى يقوم على الأمومة غير الشرعية إذن ، مجتمع مادى ، تنعدم فيه روح الأسرة والرعاية الإنسانية الخالصة التى تتمثل فى عطف الوالدين الصريحين .

ونظرة الإسلام إلى المجتمع نظرة إنسانية . ينظر إلى المجتمع على أنه وحدة متفاعلة ، متجاوبة متعاونة على أساس من التعاطف والمودة والأخوة . « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله آياته لعلكم تهتدون » . وليس المجتمع فى نظره أنه مركب تركيبياً مادياً ، ليس أفراداً بعضهم بجوار بعض ، دون أن تكون هناك لحمة من معانى الإنسانية الخالصة . الإسلام لا يريد مجموعة من القطعان تفقد فيما بينها أواصر القربى ، على أنها المجتمع .

الأم فى الإسلام :

والأم التى يتحدث عنها الإسلام إذن ويقف منها موقف الرعاية ، ويحملها مسئولية كبرى فى تكوين المجتمع . هى الأم الصريحة التى جاء ولدها عن زواج صريح ، لم تفقد فيه كرامتها ، ولم تنزل بها أنوثتها إلى وضع الطريد أو الشريد ، أو على الأقل إلى وضع الساخط على الحياة المتشائم فيها .

وعناصر الأمومة فى الإسلام إذن هى زوجة لها ولد . والزيجة التى يباركها الإسلام هى الزيجة التى تثمر الولد . يروى عن معقل ابن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ! أصبت امرأة ذات جمال وحسب ، وإنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ قال : لا ! ثم أتاه الثانية فنهاه . ثم أتاه الثالثة فقال : تزوجوا الودود الولود (وهى التى تعرف بالوراثة فى أهلها) فإنى مكاثر بكم الأمم » .

كشف هذا الحديث هنا عن الغاية التى من أجلها يبارك الإسلام الزيجة ذات الإنتاج البشرى ، وهى غاية تعود على المجتمع الإسلامى نفسه ، تلك الغاية هى نمو هذا المجتمع بحيث يكون ذا قوة يدفع بها العدوان ، ويحتفظ عن طريقها بما له من سيادة . والقوة التى يبغيها الإسلام قوة الكم والنوع معا . « . . . أخشى أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها . قلنا يا رسول الله أو من قلة نحن يومئذ . قال : لا ، بل أنتم كثيرون ، ولكن كثرة كغثاء السيل . . . » فإذا كان الحديث السابق مجد الكثرة ، فهذا الحديث مجد النوع ، ويجمعهما معا تحمل الأم عبء مسئولية القوة العددية والنوعية التى ينشدها الإسلام لمجتمعه . وهى مسئولية ليست هينة . فهل أعانها الإسلام على أداء هذه المهمة ؟ أم تغاضى عنها وأهملها وبذلك يكون متناقضا مع نفسه ؟ إذ هو فى الوقت الذى

يبغى القوة للمجتمع ويجد مصدر هذه القوة فى الأم ، يتخلى عنها فى الوقت نفسه .

الأم كزوجة :

أى شىء صنعه الإسلام للأم وهى زوجة ، ثم وهى حامل ، ثم وهى مرضع ، ثم وهى راعية وموجهة لمن أرضعته ؟ . مراحل أربع فى حياة الأم ، تبتدىء بالعلاقة الزوجية وتتطور حتى فطام الطفل وتوجيهه.

ينصح الإسلام الرجل فى مرحلة الزواج بأن يتخير ذات الدين لتكون الأم المقبلة لولده . ويروى فى ذلك أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تنكح المرأة (أى يتزوجها الرجل) لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك ، أى التصقت بالتراب إن لم تظفر بها . وهذا تعبير يكنى به عما ينتظر من بؤس وشقاء للرجل الذى يتغاضى عن حال التدين لمن يتزوجها ، ويؤثر مالها ، أو جاهها ، أو جمالها الجسمى. وفى حديث آخر : « إياكم وخضراء الدمن ! قالوا : ومن هى يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » .

ومن هذين الحديثين يضع الإسلام القاعدة السليمة التى تبنى عليها الأمومة الناجحة وهى التى تقوم بعبء مسئوليتها إزاء المجتمع الإسلامى ، وهى مسئولية خطيرة كما رأينا .

وهذه القاعدة : أن يكون البناء بالزوجية قائما على اعتبار يتصل بأمر ذاتى فى الزوجة كأم مقبلة ، وليس بأمر يخدع فيها . فليس المال ، والجاه ، وجمال الوجه ، إلا عناصر إغراء تنقلب إلى أسباب للكراهية ، إذا لم يكن لصاحبة المال أو الجاه أو الجمال خلق قويم تصون به قيمة ما لديها من مال أو جاه أو جمال ، وتجعله نعمة أخرى بالإضافة إلى خلقها ، بدلا من يصير الأمر إلى نقمة تسبب الشقاء للرجل والمرأة على السواء . وهو شقاء الرجل بسبب حقده إذا لم يستأثر وحده بالمال ، أو الجاه ، أو الجمال وشقاء المرء بسبب شعورها بأن الرجل لا يقدر فيها إلا المال أو الجاه أو الجمال . فيوم يفرغ مالها أو ينطفىء جاهها ، أو يذبل جمالها — يوم ينعدم وفاؤه لها ، ويقل تقديره إياها . وهذا الشعور بدوره يجعلها قلقة فى حياتها ، مترددة بين أن تعطى وتمنع من مالها وجاهها وجمالها ، وبين أن تخلص لزوجها أولا تخلص له . فإذا أثمرت زيجتها الولد كانت نفسها مع ولدها هى النفس الحائرة التى لا تعرف استقرارا فى علاقاتها بزوجها وبولدها معا .

والمرأة ذات الدين هى التى تستطيع إذن أن تكون متجاوبة مع المجتمع الإسلامى.

باعتبار أنه مجتمع قائم على نظام معين وله وضع خاص حددته تعاليم الإسلام . وتجاوبها مع المجتمع هو الذى سيكفل لها القيام بمسئوليتها إزاءه كأم .

فتفضيل الإسلام المرأة ذات الدين لتكون زوجة ، وأما فيما بعد — تدخل منه فى بناء الزوجية ، على أساس من الرعاية العامة للأم عندما تؤدى دور الأمومة . ولو أنه أغفل هذا التدخل وأجمل التوجيه فى اختيار الزوجة لكثر عدد الأمهات فى المجتمع ممن لا يستطعن أن يؤدين دور الأمومة على النحو الذى يطلبه مجتمع قوى فى كمه ونوعه .

الأم كحامل :

فإذا ما تخطت المرأة نقطة البداية فى حياتها كأم ، فقامت علاقة زوجية بينها وبين الرجل عندئذ يطلب الإسلام من الرجل أن يرعاها ويعاملها بالحسنى « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

ويروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يفرك مؤمن مؤمنة (أى يغضب منها) إن كره منها خلقا رضى منها آخر » . وذلك حتى يكون لها نفس المطمئن الراضى . فإذا حملت عندئذ توفرت لها ولحملها الظروف المواتية لنمو جنين نموا صالحاً بعيداً عن الأسباب التى تؤذيه مستقبلا فى أعصابه ، وتتحكم فى غرائزه وميوله ، تحكما يبعده عن الاتجاه السليم غير البنائى .

فإذا قدر للحامل أن تنفصل أو ينفصل عنها زوجها بعد استنفاد وسائل المراجعة لكل منهما ، أوجب لها الإسلام النفقة على الرجل طول مدة الحمل . « . . . . وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن » . وهذا بالانضمام إلى ما طلبه منه أن يكون تسريحها بإحسان . « أو تسريح بإحسان» أى يكون الانفصال عنها فى تهذيب بحيث لا تؤذى ولا تضار فى شعورها كإنسان كريم .

وبما أوجبه على الرجل من إنفاق طول مدة الحمل ، وبما طلبه منه من المعاملة بالحسنى إذا انفصل عنها على الإطلاق - رغب أن يحيط الأم بجو من الرعاية المادية والنفسية ، بحيث تتمكن من أداء رسالتها الكريمة .

الأم فى فترة الرضاعة :

فإذا ولدت الحامل فالرعاية التى يطلبها الإسلام لها كأم ، قائمة ومستمرة بعد أن تضع وتتعهد ابنها بالرضاعة . وهى تلك الرعاية التى يفرضها على الرجل قبل زوجته . فإذا قدروا انفصل عنها أو انفصلت عنه وقت الرضاعة - راعى ظروف الرضيع وظروف والدته التى ترضعه ، بحيث لا يضار أحدهما أوهما معا . قالت الآية الكريمة : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن

يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف . » . وقالت الآية الأخرى : « . . . فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، وائتمروا بينكم بمعروف » .

ثم يأتى بعد ذلك دور الحضانة واختصاص الأم بها فترة تختلف فى الطول حسب نوع المولود لو فارقت زوجها وانفصل كل منهما عن الآخر .

حرص الإسلام على أن ترضع الأم ابنها ، وأن تختص هى وحدها بحضانته فى صغره ، لا لتساعده على نموه المادى . وإلا فهذا النمو المادى سيتحقق مالو أرضعته أخرى ، أو قامت بحضانته غير والدته . وإنما قصد الإسلام من ذلك إلى تكوين العواطف الإنسانية الكريمة فى الطفل عن طريق الرضاعة من الأم وقيامها بأمر حضانته . هذه العواطف الإنسانية الكريمة هى عواطف الترابط بين إنسان وإنسان ؛ بين الأم هنا وبين الولد . ولكن إذا تكونت فى الإنسان الصغير عواطف الترابط بينه وبين إنسان آخر قريب منه وله – فإنه عند ما ينمو معه عواطف الترابط هذه ويتجاوز والدته إلى قريبه فى الأسرة وإلى جاره القريب والبعيد . وبذلك تقوم لحمة الإنسانية فى المجتمع العام . والأم حينئذ هى مصدر النمو الجسمى والنفسى على السواء ، إذا ما أرضعت ولدها فترة كافية وقامت بحضانته فترة أخرى بعد الرضاعة . وتمكينها من ذلك جانب من رعاية الإسلام إياها . وذلك عند ما فرض الإنفاق عليها وعلى الولد مدة الرضاعة وألزم به الرجل ، كما ألزمه بالإنفاق على الولد مدة الحضانة ، وبأجر والدته نظير قيامها بحضانته ، وإن كان ذلك العمل مما يلذ لها وتتوق إليه من طبيعتها .

الأم فى توجيهها :

هنا بعد الزواج ، والحمل ، والولادة ، والإرضاع – تأتى الأم الموجهة التى شملها الإسلام برعايته حتى الآن . تأتى الأم التى ستصوغ ولدها وستعنى بتوجيهه حسبما يطلب المجتمع . والمجتمع آنئذ هو المجتمع الإسلامى صاحب النظام الخاص والأهداف المحددة المميزة له عن مجتمع آخر . تأتى الأم التى اختارها الإسلام زوجة . أو حدد على الأقل للرجل عنصر اختيارها . تأتى الأم ذات الدين ، التى تفى لدينها ولمثله أكثر مما تفى لمالها أو جاهها أو جمالها أو لأى عامل آخر من عوامل الإغراء الظاهرى وإذا كانت ذات دين فلا شك أنها ستسير بتوجيه الولد المسلك الذى رسمه الإسلام للمؤمن به ستسير به فى جانب العبادة المسلك الذى

يؤكد صلته بالله وينمى عنده الخشية من الله . وبذلك يتكون له ضمير يدفعه إلى السلوك المستقيم دفعاً ذاتياً ، دون حاجة إلى أن يدفع من الخارج بسطوة القانون أو سلطة الحاكم :

وستسير به فى جانب المعاملة للغير مسلك المعترف بوجود هذا الغير، وبوجوب التعاون معه ، بباعث المشاركة فى الإيمان والأهداف المشتركة . وبذلك تخف حدة أنانيته ، فلا يطغى على نفسه ولا على غيره ، أبا كان ذلك الغير أو أما أو ذا قرابة أو ذا جوار له .

وباستقامة الولد فى السلوك ، وبتكوين شعور المشاركة للغير ، عنده يتنقل فى أطوار حياته المختلفه من مرحلة إلى مرحلة ، دون تعثر أو جمود أو تخلف . إذ أن عوائق التطور عند الإنسان من مرحلة طفولته إلى مرحلة رشده و نضوجه سيادة الأنانية عنده والذى يحد من هذه الأنانية لديه خشيته من الله ، وتعوده العادات الحسنة ، وهى تلك العادات التى تقوم على عدم إغفال شأن الغير فى السلوك .

والأم بهذا التوجيه أرضت الله والمجتمع الذى تعيش فيه ، كما أرضت نفسها . فليس لها من رضاء نفس وراء أن ترى ولدها ناجحاً ذا عزيمة وإيمان بالحياه وذا مستوى مهذب رفيع ، وهو مستوى الإنسان الذى تخطى دائرة سـلوك الحيوان ويمثل الرشد فى الإنسانية .

والأم فى توجيهها الولد أكثر إيجابية فيه من الأب ؛ لا لأن ملازمتها له أطول ، ولا لأن اختلاطها به أكثر من اختلاط الأب به بل قبل ذلك لأنها مرت بحادثتين معه سوف لا تنساهما طول حياتها وسوف لا ينساها الولد ، إذا وجه توجيها سليما . والحادثتان هما : حادثة الحمل وحادثة الوضع ولذا تشير الآية الكريمة فى سورة الأحقاف « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا . حملته أمه كرها ووضعته كرها » إلى هاتين الحادثتين تأكيداً لقوة الرابطة بين الأم وولدها ، سواء فى أثر توجيه الأم على الولد ، أو فى أثر وفاء الولد لأمه على وجه الخصوص .

وبهذا نرى أن خط اتصال الأم بالولد خط مستقيم غير منقطع ، ترى فيه الأم من بدء علاقتها الزوجية بالرجل وكأنى بها تحنو عليه وتصوب نظراتها فى استمرار إليه وهو بين أحشائها أو بين يديها أو ملتصق بصدرها أو وهو يحبو فى رحابها ، أو وهو يستمع إلى نصحها وتوجيهها . إنها الأم التى أنتجت وإنه الولد الذى انبثق منها بعد أن كان نطفة فعلقة فمضغة .

لهذا تقديرا لهذه الأم المنتجة المثمرة يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء

رجل إليه فقال « يا رسول الله ! من أحق الناس بحسن صحبتى ؟ قال : أمك . قال ثم من ؟ قال : أمك قال ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال أبوك » .

والمجتمع ليس إلا فردا تنتجه الأم . وتوجيها لهذا الفرد تسهم فيه الأم بالنصيب الأوفر . هى بانية المجتمع إن كانت ذات توجيه سليم لولدها ، وهى عامل إفنائه الأول إن أساءت التوجيه . ولا تسيء التوجيه إلا إذا لم تدرك خصيصة المجتمع الذى تعيش فيه ، إلا إذا كانت متنافرة معه . ومن هنا كانت ذات الدين فى المجتمع الإسلامى هى التى تدرك خصيصته ولذا كانت أولى بالتنويه والرعاية .

والأم فى المجتمع الإسلامى ـ وهو مجتمع الإيمان بالله والعمل الصالح الخير ـ هى والرجل سواء . « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » ، « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

والإيمان والعمل الصالح هما قوام المجتمع الإسلامى وخصيصته . وإن تميز أحدهما فى الإسهام فى بناء هذا المجتمع وفى استمراره فهى الأم . وإن تميز أحدهما عن الآخر فى السعى وفى الحركة فيه من أجل الأم ، وكى تنهض بأعباء الأمومة الإيجابية فهو الرجل .

وإن كان هناك واحد منهما يمتن به على الآخر فى هذه الدائرة ـ وهى دائرة العلاقة بينهما ـ فهى الزوجة المثلى والأم المثالية : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » . فالزوجة فى حياة الرجل هى مصدر استقراره واطمئنانه وهدوئه ووقايته من القلق والاضطراب ، كالبيت الذى يأوى إليه الإنسان ليقيه أعاصير الجو وتقلباته .

وأخيراً : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . هذا هو شعار الإسلام . فليس هناك نقص فى أحد منهما ، وإنما هناك انحراف فى فهم الإسلام ، أو فى تطبيقه ، أو فى كليهما معا إن بدا خلاف حول قيمة كل منهما .

دكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر

من الدراسات النفسية . . .

تحت ضوء القرآن والسنة

للأستاذ محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

فى بعض ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « أصدق الأسماء حارث وهمام » .

قالوا : والحارث : الكاسب العامل ، والهمام : المريد القاصد .

يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الإنسان بمقتضى فطرته لا ينفك عن أن يكون مريداً ، لأنه حى له استمساك بحياته وتجاوب معها ، ولابد له تبعا لذلك من أن يكون ذا مراد يسعى إليه ، ويعمل على تحقيقه فإذا سمى إنسان باسم « الحارث » أو باسم « الهمام » فقد طابقت هذه التسمية وصفا حقيقيا فطريا فى الإنسان فيكون قد سمى بما فيه حقا وصدقا .

ومن هذا القول النبوى الكريم ، ينبع أصل نفسى تربوى عظيم التفت إليه علماء النفس والتربية أخيراً ، ذلك هو أن الإنسان ما دام حيا فلا بد له من إرادة وعمل - إرادة ما ، وعمل ما - فإذا لم تتجه نفسه إلى الحق اتجه إلى الباطل ، وإذا لم تشتغل نفسه بعمل الخير انحدر إلى عمل الشر ، فلا واسطة ؛ لأن الواسطة هى فراغ النفس ، وتعطل صفات الفطرة . والغرض أن الحى « حارث » بفطرته ، أى عامل كاسب ، و « همام » بفطرته . أى مريد قاصد .

ولما كان فراغ النفوس محالا ، حرص علماء النفس وحذاق المربين على أن يشغلوا الشباب بالأعمال الهادفة ، وألا يتركوهم ينحدرون بحكم هذه الفطرة إلى الأعمال الهازلة أو التافهة أو الفاسدة ، كما حرصوا على أن يملئوا القلوب بالعقائد الصحيحة ، والمبادئ السليمة ، والمثل القويمة ، لئلا يندفعوا إلى ما يناقض ذلك ؛ فإن الذى لا يؤمن لا بد أن يجحد ، والذى لا يمتلئ قلبه بالفضيلة

لا يلبث أن يقع فى مهاوى الرذيلة ، والذى لا يسير فى الطريق المستقيم ، لا بد أن يسير فى طريق الضلال أو الفساد .

ومن هنا نشأت فكرة اتخاذ الأندية لتنظيم لهو برىء للشباب ، ونشأت فكرة تعليم الرياضة وشغل ذوى الأجسام الصحيحة بها ؛ لكيلا يستغلوا فراهة أجسامهم ، وصحة أبدانهم فيما يعود عليهم أو على المجتمع بالشر والفساد ، ونشأت تبعا لذلك فى المدارس والجامعات وجوه النشاط الجماعى ، ونشأت فى المجتمعات فكرة التعاون والترغيب فى عمل الخير ، لئلا يتجه فائض الأغنياء إلى مصارف أخرى ترضى الشيطان .

ومن هنا أيضا يرى الحذاق من أرباب القيادة والتوجيه أن يغرسوا فى النفوس بذور الإيمان بدعواتهم ، والثقة بنزاهة أغراضهم وأعمالهم ، وبأنهم على صراط مستقيم ؛ لكيلا يدرك النفوس فراغ منهم ، فتقصد إلى ملء هذا الفراغ بغيرهم ، وإلى التماس الزاد القلبى الإنسانى من دعوة غير دعوتهم ، وفكرة غير فكرتهم .

كل هذا توحى به إشارة الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى أن الإنسان « حارث همام » .

وفى القرآن الكريم آيات يفهم منها هذا النظر الذى نظرناه : فالله سبحانه وتعالى يقول : « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون » (١) .

وذلك واضح فى أنه لا واسطة ، وأن من انصرف عن الحق عامداً أو غير عامد ، فقد وقع فى الضلال معذوراً أو غير معذور .

ويوضحه قوله تعالى فى سورة الحمد : « إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٢)

فالصراط المستقيم واحد خصص أولا « بأل » التى للتعريف والعهد ، ثم خصص بالنعت الكاشف الموضح عن طريق إثبات أنه هو صراط المنعم عليهم ، ونفى أن يكون هو صراط المعاندين الذين حادوا عن الحق عمداً . أو الضالين الذين انحرفوا عنه جهلا .

وإذن فمن ترك الصراط المستقيم ، فقد حاد عنه إلى صراط الجاهلين ، أو صراط المعاندين.

ويقول الله جل شأنه : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا ، فهو له قرين (٣) .

وقد جاءت هذه الآية بأسلوب الشرط والجزاء ، وهما كالمقدمة والنتيجة .

والمعنى الذى نريد أن نلفت إليه هو أن

---

[١] الآية ٣٢ من سورة يونس .
[٢] الآيتان ٦ ، ٧ من سورة الفاتحة .
[٣] الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

الله تعالى يقابل بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والصلاح والفساد ، على هذا النحو من الإيجاز مقابلة يفهم منها كل ذى عقل سليم أنه لا واسطة ولا فراغ ، فالإنسان إما فى هذا الجانب أو ذاك .

هذا هو المعنى النفسى التربوى الذى يقرره القرآن الكريم ويبنى عليه وتنبئ عنه السنة وتومئ إليه ، وإن كان يعد جديدا عن الذين يغفلون عما عندنا ، وتتخطف أبصارهم لما يرد علينا من غيرنا .

* * *

وللقرآن الكريم فى الانتفاع بهذه الفطرة التى تهدى إليها دراسة النفس الإنسانية ، نهج مرسوم ، والسنة مقفية على أثره :

إنظر إلى قوله تعالى : « فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١) .

فإن الله تعالى يأمر رسوله بأن يصبر ويسبح بحمده فى أول النهار وفى آخره ، ومن آناء الليل ، وفى أطراف النهار ، أى أنه يدعوه إلى أن يكون ذاكرا ربه ، مسبحا بحمده فى غالب أوقاته لا يغفل عن ذلك ؛ لكيلا يترك الفرصة لشواغل النهار المادية ، أو لوساوس الليل الشيطانية ، فى أن تنشد فراغا من قلبه فتملأه وتسيطر عليه .

فالآية تجعل الصبر والتسبيح بحمد الله ، أى استشعار عظمته وجلاله ، واعتقاد إيثاره على جميع ما سواه ، هما الحصانة من التأثر بقالة السوء يلقى بها الأعداء تثبيطا للمصلحين ، وإرجافا عليهم ، وترشد إلى أن هذا هو السبيل المرجو إلى رضا النفس ، واطمئنان القلب .

فإذا قال قائل : كيف يتصور أن يظل الإنسان طول نهاره ومن آناء ليله ذاكراً مسبحاً ، قلنا : إن الذكر والتسبيح لا يراد بهما عمل اللسان فحسب ، ولكن يراد بهما ذكر القلب وتسبيح القلب . والمرء قادر على أن يجعل عمله حين يعمل ، ونشاطه حين ينشط ، وسكونه حين يسكن ؛ ذكراً لله ، وتسبيحاً لله ، إذا قصد بكل ذلك السير على الصراط المستقيم ، واتباع سبيل المؤمنين ، وبذلك يمتلئ قلبه بالله ، فلا يجد الشيطان منه فراغا ينفذ إليه .

وقريب من هذا قوله تعالى : « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (١) .

---

[١] الآية ١٣٠ من سورة طه .

[١] الآية ١١٤ من سورة هود .

فليست الصلاة هى تلك المعروفة فقط ، ولكن كل تفكير فى الله صلاة ، وكل اتجاه إلى الله صلاة ، وقوله تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات » تعبير شامل للمعنى الذى ذكرناه ، وهو أن الحسنة تطرد السيئة ؛ لأنها تحتل مكانها ، وتدفعها عنه ، وقوله جل شأنه : « ذلك ذكرى للذاكرين » تنبيه على أن المراد بذلك هو إصلاح النفس البشرية عن طريق تذكيرها بالله والعمل الصالح لتستحضره أبداً ، ولا تنفلت عنه فينزغها من الشيطان نزغ .

ويوضح ذلك قوله تعالى ، معلما رسوله كيف يتق نزغ الشيطان : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم » (١) .

يقول له : سر فى طريقك والزم مثلك ، ولا تعبأ بالجاهلين : جهل سفاهة أو جهل عماية وإذا راودتك الوساوس الشيطانية التى من شأنها أن تعترى البشر ، فاذكر ربك واجعله حصنك ومعاذك ، إنه تعالى سميع لمن يستعيذ به ، عليم بذات نفسه .

وبعد هذا يذكر الله عز وجل هذا المبدأ مقارنا فى شأنه بين المتقين وإخوان الشياطين

(١) الآيتان ١٩٩ و ٢٠٠ من سورة الأعراف .

فيقول : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون ، وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » (١) فنعلم أن الذكرى تنفع المؤمنين ، وأن الاسترسال فى العصيان بعد العصيان إنما هو مد من الشيطان .

وهذا هو السر فى أن القرآن يذكر ، ويضرب الأمثال ، ويصرف الآيات ، وينتهز كل فرصة تواتيه ليجتذب القلوب ، ويسترعى الأنظار ؛ لأنه دعوة واعية مبصرة ، تعرف أن القلوب إذا لم تشتغل بها شغلت بغيرها ، فإن الفراغ محال .

* * *

والسنة المطهرة تقفو على أثر هذا النهج : فما أثر من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تفكروا فى ذات الله ، ولكن فكروا فى صفاته » .

إن رسول الله يعلم أنه لا بد للإنسان من التفكير فى الإله ، ويعلم أن ذاته لا تدرك ، كما قال فى كتابه الكريم : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » [٢] . وإذن فلن ينال من يفكر فى الذات إلا الحيرة والاضطراب ، فلذلك صرف عن التفكير فيها إلى التفكير فى صفاتها

(١) الآيتان ٢٠١ و ٢٠٢ من سورة الأعراف .
(٢) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

والمراد آثار الصفات لاحقائقها أيضا خلافا لما يتخبط فيه كثير من المتفلسفين وأهل الكلام ، وذلك ما يرشد إليه القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى : « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا ، فترى الودق يخرج من خلاله ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون ، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها ، إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير » (١) .

ومما أثر فى السنة أيضا فى ذلك ما رواه خالد بن الوليد رضى الله عنه من أنه أصابه أرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن نمت ؟ قل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جاراً من شر خلقك أجمعين ، أن يفرط على أحد منهم أو يطغى : عز جارك وتبارك اسمك) .

لماذا أرق خالد ؟ لا بد أن يكون قد أدركه تفكير ما أقض مضجعه ، ولا بد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عرف لون هذا التفكير أو لمحه فراسة مما يعرفه من أحوال خالد ، لذلك أرشده إلى دعاء خاص فيه توجيه لفكره عن الله وقدرته وعظمته ، وخضوع كل شيء لجلاله وربوبيته ، ثم عن جوار الله وحصانته ، فإذا استبدل خالد بالتفكير الذى كان يؤرقه هذا التفكير ، فلا شك أنه يطمئن قلبا ، ويسرى إليه سكون الإيمان فينام آمناً مطمئنا .

فانظر كيف أدرك الرسول بثاقب بصره أن التفكير المقلق لا يطرده إلا التفكير المطمئن ، فلم يقل لخالد : إترك التفكير الذى فكرت ، وإلا لكان أمراً سلبيا لا يؤدى إلى الغاية ، ولكنه وجهه توجيها إيجابيا : إلى دعاء فيه إيحاء ، ومن ثم أمن فنام ؟

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة
بالجامعة الأزهرية

---

(١) الآيات من ٤٨ إلى ٥٠ من سورة الروم.

يا قاسمَ العراق ويلك آمِن!

أحمد أحمد جلباية

مبعوث الأزهر بلبنان

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى حدت عن الطريق الذى اختاره لك الله وذهبت تضرب فى الأرض على غير هدى، وقد التوت أمامك المسالك ، والتفت حولك المهالك ؛ حتى وجدت نفسك فى مسبعة رهيبة لا أول لها ولا آخر ، حيث القانون للغاب ، والحكم للناب ، وأنت الفريسة يا قاسم . فماذا دهاك يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟ .

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى انقطعت عن القافلة ، والقافلة تسير . وبعدت عن الراعى ، والراعى بصير . وسرت خلف دليلك ، ودليلك شيطان ، يغرك ويمنيك ، ويضلك ويرديك ، ويتربص بك الدوائر ، حتى إذا انقطعت من حولك الأصوات راح يمزق بأظافره لحمك ، ويروى الأرض من دمك ، والقتل فى شريعته طاعة ، والظلم فى أخلاقه قربى ، والقوة فى رأيه حق ، فماذا دهاك يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟ .

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى تخرب بيتك بيدك ، وتصوب سهمك إلى صدرك ، وتحصد بالمدافع أبناء عمك ، وتحول وطنك الغالى إلى خرائب وتلال . الخناجر التى كانت تهتف بحياتك جئت تجازيها بالشنق ، والأيدى التى كانت تلتهب من التصفيق لك أصبحت تكافئها بالبتر ، والمبادئ التى من أجلها قامت ثورتك أصبح ترديدها والعمل لها جريمة لا تغتفر ، وعارا لا يغسله إلا الدم . والذين بادروا إلى تأييدك وتسابقوا إلى غوثك ، وحملوا أرواحهم على أكفهم من أجلك أصبح جزاؤهم الحق عندك وعند زبانيتك أن تربطهم بالسيارات ، وتجرهم فى شوارع بغداد ، فماذا دهاك يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟ .

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى تحاول ان تفصم العروة ، والعروة وثقى . وأن تبيد الأمة ، وهى خير أمة . وأن تمحو الدين ، وهو الدين القيم . وأن تمزق القرآن ، والقرآن محفوظ . وأن تطفئ النور ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره أمثالك . وأن تريد للحنيفة السمحة الهوان ، ولقد تمزقت دونها عروش ، وتساقطت على حواشيها الخضر تيجان ،

وسارت تتحدى القرون واحدا بعد الآخر ، وكم بليت فى كل قرن بظالم، فماذا دهاك يا قاسم؟ ماذا دهاك ؟ ؟ .

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى تنكرت للقرابة ، وأسأت إلى الجوار ، ونسيت العهود والمواثيق ، ووليت صدرك إلى غير قبلتك، وذهبت تتلقى الوحى ممن ينكر وجوده، ويكفر بمصادره فيحل لك ويحرم ، يحل لك الدماء ، ويحرم عليك الإخاء ، ويزين لك الكفر ، ويبغض إليك الإيمان ، ويفرق بك ما تجمع ، ويوزع بك ما اتحد ، ويهدم بك ما تم بناؤه أو كاد ، ولكنك آثرت أن تكون فى يد العدو السلاح الذى أعطيناك إياه بأيدينا ، وأن تكون فى ظهورنا الخنجر الذى وضعنا فيه السم بأنفسنا ، وأن تكون فى طريق الخيانة النور الأحمر الذى ينذر بالخطر ، وكنا نعدك لتكون فى سماء الحرية نجما ساطعا يتألق فماذا دهاك يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟ .

حدثنى بربك : هل كنت فى ثورة العراق أصيلا أم كنت عليها دخيلا ؟ ؟ فإن كنت الأول ، فما الذى غيرك ؛ فحولك من بر إلى فاجر ، ومن مسلم إلى كافر ، ومن زعيم إلى خائن ، ومن قائد إلى عميل ، ومن ملاك إلى شيطان ؟ وإن كنت الثانى فكيف سريت كالسم ، وانتقلت كالألم واختفيت كاللص وكنت كالميكروب ؟ حتى إذا سنحت لك الفرصة انطلقت كالمسعور بعينين زائغتين ، وفم يتقاطر منه الدم ، يريد أن يلتهم كل ما حوله ، واستدرت كالحية الرقطاء على من صنع لها الجميل وأشعل لها المدفئة .

لقد كانت أهداف هذه الثورة - وأغلب ظنى أنك لا تعرفها - أن تزيح الكابوس الجاثم على صدر العراق الذى ظل يئن من تحته السنين الطوال .

أن تفتح الأبواب والنوافذ ؛ ليستنشق الشعب نسيم الحرية العليل .

أن تحطم الأسوار التى وضعها الاستعمار ليعزل العراق عن الوطن الكبير .

أن تتخلص من أخطبوط العملاء والأذناب والخونة الذين يتناوبون الحكم فيه لحساب الأجنبى الغريب .

أن تكسر الأغلال التى تربطه بالأحلاف والمعاهدات لتسير السفينة باسم الله مجريها ومرساها .

أن تريح النفوس من الكبت والعسف والطغيان، لتندفع نحو التاريخ تضيف إلى المجد التليد طريفا ، وإلى مفاخرنا الخالدات عزما أكيداً وفتحا جديدا ونصرا مؤزرا .

أن تخرج من وراء القضبان العملاقة ، الكبار الذين عذبوا وأهينوا وسجنوا وسيموا وضاقت بهم المعتقلات ، أن تخرجهم حتى

يزول عصر الطغام ، وينتهى عهد الأقزام ، ويذهب إلى غير رجعة حكم العبيد .

هذه هى أهداف ثورتك ، ولكن العصابة الحمراء التى وضعوها على عينيك حجبت عنك نور الشمس ، فبت تنكر وجودها عن عمى . والشمس ساطعة (يا رفيق) . ولكن وحدانية زعامتك التى خلعوها عليك أنستك حقائق الأحداث فبت تنساها عن عمد ، والحقائق ناطقة (يا سيادة الزعيم الأوحد) .

نسيت أن الشعب العربى كله صفق لهذه الثورة لأنها ثورته ، لأنها حصاد غرسه ونتاج فكره وثمرة كفاحه ، فيها ملامح وجهه وصدى قوميته واندفاع دمه ومضاء روحه . صفق الشعب لهذه الثورة بحرارة حتى دميت يداه ، وهتف لها من الأعماق حتى التهبت حنجرته ، وأقام لها الأفراح والزينات ، وعاش الشعب العربى فى عرس بهيج ، وبات فى حلم لذيذ ، وراح يهنئ بعضه بعضا ولكنك نسيت فلماذا نسيت ؟ .

نسيت أن الذين يحرقون لك البخور اليوم هم الذين لو عرفوك أيام عبد الإله لجعلوك هشيما .

وأن الذين يقدمونك اليوم على مسرح الخيانة ، لتقوم بدور البطولة فى الدراما الحزينة هم الذين قدموا غيرك على نفس المسرح وبنفس الدور ، ثم كانت نهايتهم على يد الشعب يوم حكم عليهم بالإعدام .

تذكر أن الذين يبايعونك اليوم هم الذين سيبيعونك غدا فى سوق النخاسة عندما يتراءى لهم من هو أذل منك نفسا وأشد فتكا وأكثر خيانة وأتعس عبودية . وأن الذين يحركونك كما يحركون قطع الشطرنج ، هم الذين من قبل حركوا لك الأساطيل وحشدوا لك الجنود وجمعوا ما لا قبل لك من الطائرات والدبابات ولكنك نسيت . . . فلماذا نسيت ؟ .

أتذكر يوم وقفت بثورتك فى مهب الريح وفى مفترق الطرق تصفر من حولك الدروب وتضيق عليك الأرض بما رحبت ، حتى جمدت فى منتصف الطريق من الهم . وفر الجرذان الحمر إلى بيوتهم من الفزع . فإذا بدولة تشق الظلام إليك كالفجر ، وتبدد الشكوك من رأسك كاليقين ، وتطرد الأشباح من حولك كالثقة ، وتجدد فى نفسك الهمة كالأمل ، وتطل عليك وعلى ثورتك من بعيد كأنها ملاك الرحمة . لا شك أنك تعرف هذه الدولة فلماذا نسيت ؟ ؟ ؟ .

أتذكر غداة ثورتك حين هب أصدقاؤك لا لينجدوك وإنما ليقتلوك ؟ ونفر حلفاؤك لا ليؤيدوك وإنما ليخذلوك ، وأسرع زملاؤك فى حلف بغداد ليدمروا بغداد . فإذا بدولة

تركب الأخطار وتمر بين الحديد والنار وتتحدى الأسطول السادس ، والحصار المضروب وترسل إليك بباخرتين محملتين بالسلاح وأنت أحوج ما تكون إلى السلاح .

دولة تدفعها الرحمة وتهزها القرابة ويفرض عليها الجوار . فتؤيدك بدون حلف ، وتقف إلى جانبك بدون غرض ، وترفع أول صوت فى العالم بأن الاعتداء على العراق اعتداء عليها فهل تعرف الفرق بين الحلف والحياد ؟ بين الطمع والتجرد ؟ بين الغريب والقريب ؟ هل تعرف هذه الدولة ؟ لا شك أنك تعرفها فلماذا نسيت ؟؟؟ .

أتذكر يوم كنت تتطلع فى لهفة وحيرة حينا إلى إقليمنا الجنوبى ، وحينا إلى البحر الأبيض ، لتسمع كلمة واحدة من رئيسنا جمال يهدئ بها روعك ، ويثبت بها قلبك ؟ . فإذا به يقطع رحلته من أجلك ويترك أفلاذ كبده فى عرض البحر فى سبيلك ، ويطير إلى دمشق والطائرات الأمريكية تحجب السماء . . وقطع أسطولها تغطى سطح الماء ، والجنود الإنجليز ينبشون من وراء حدودك الجنوبية فى الأردن ومع ذلك يطير الرئيس إلى دمشق ؛ ليكون إلى جوارك يعلن للملأ أننا سنكون مع العراق ضد أى عدوان ، ويأمر بأن يضع تحت تصرفك ثلاثين ألف رشاش وعدداً كبيراً من طائرات الميج ،وطلبتها أنت بنفسك يا قاسم العراق ، فزحفت إليك فى تحد ، وعلينا فى هيئة الأمم قضية مشهودة ولو ضبطت رصاصة واحدة لدفع باطلهم حقنا ، لضل سعيناعن هداية ، لألصقت بنا التهم ونحن براء ، لصرنا مضغة فى أفواه الأمم بلا جريرة ، فهل تذكر كل ذلك أم نسيت ؟؟؟ .

كلا لم تنس - يا سيادة الزعيم الأوحد - ولكنك وجدت العراق مريضا فأردت أن تعالجه بالموت ، ورأيت فيه كسراً فأحببت أن تجبره بالبتر . وشاهدت فيه رمقا فكتمت أنفاسه ليستريح . ولاحظت أن جماعة من الشعب لا يزالون خارج الأسوار فأنعمت عليهم بالاعتقال ، ليكون العراق كله داخل سجن كبير وتكون أنت - يا سيادة الزعيم - سجانه الأوحد ، وجلاده الفرد ؛ وعرفت أن سلفك الشهيد نورى السعيد قد قتل دون أن يتم ما بدأ ، دون أن يؤدى الرسالة على وجهها الصحيح ، وإن فى طريقته أخطاء ما كان لمثله أن يقع فيها . . .

كان يهدم بالمعول فرأيت أن تهدم بالصواريخ . . . وكان يعتقل بالأفراد فجئت تحصدهم بالآلاف ، وكان ينخر كالسوس فكنت أنت كالسرطان . . . وكان يقتل الشعب فرادى فأحببت أن تنتهى منه بين يوم وليلة ، وكان يريد أن يسلم العراق للاستعمار ، فجعلته أنت نهبا مشاعا بين الشيوعية والرأسمالية

والصهاينة ، وكان عبداً لشيطان واحد فصرت عبداً لآلهـة متعددين ، وشركاء متشاكسين وشياطين لا أول لها ولا آخر . وكان يحكم الشعب بنفسه ويدير أموره بهواه ، فأحببت أن يحكمه من ليس منه ، ويتحكم فيه الدخيل عليه، ويصير أمر الموت والحياة فيه إلى الرعاع والسفلة والمجانين . . وكان يحارب الشيوعية بالدين واللغة ، فصرت تحارب القومية العربية بالكفر والإلحاد والجحود . . . وأردت أن لا يعيش العراق بدون نورى السعيد فكنت صورته البشعة . كنت للعقرب المقتول ذنبه المنتفخ من السم ، وكنت للألم الهين البسيط جرثومة السل . وكنت امتدادا للرمد الذى صار عمى، وللشر الذى صار فتنة، وللشرارة التى صارت حريقاً مروعا يأكل الأخضر واليابس . حتى بتنا نردد :

رب يوم بكيت منـه فلما
صرت فى غيره بكيت عليه

وخرجت علينا بأهداف ثورتك فإذا بك بدلا من أن تزيح الكابوس جئت تزيده هولا وشدة . بدلا من أن تفتح الأبواب جئت تغلقها بالشمع الأحمر . بدلا من أن تتخلص من الأخطبوط صرت تقدم إليه الضحايا والقرابين . بدلا من أن تنقذ السفينة أصبحت تغرقها فى الوحل . وفتحت أبواب السجون ـ كما يقول سفيرك فى القاهرة ـ ليخرج فاضل الجمالى ونديم الباجهجى وعبد الوهاب مرجان ، وليدخل إليها الذين عرضوا صدورهم لرصاص نورى السعيد وبطشه . . .

ثم انثنيت فى لؤم إلى العرس البهيج فحولته إلى مأتم، وإلى الحلم اللذيذ فقطعته بالكارثة ، وإلى التهانى الطيبة فجعلتها عزاء حاراً . وإلى اليد التى أنقذتك من غرق تعضها بحرارة ، وإلى الملاك الذى هبط عليك بالرحمة ترجمه بالحجارة ، وإلى الدولة التى وقفت وحدها إلى جانبك تتآمر عليها ، وإلى السلاح الذى حملناه إليك بلا مقابل ترفعه فى وجوهنا ، وإلى الأبطال الميامين الذين قاموا بالثورة وقدموا لك الرئاسة على طبق من ذهب ـ وكنت يومها تختفى كالنعامة ـ قمت تكافئهم بالإعدام، وإلى الشعب الذى هتف لك وصفق وحملك على كتفه ، جئت تمزق أضلاعه بالرصاص ، وتجره فى شوارع بغداد . وإلى المولى سبحانه وتعالى تضعه فى قفص الاتهام ، وإلى الحنيفة السمحة تسلط عليها المارقين من أتباعك ، يهتفون ضدها بأن لا عروبة ولا إسلام . . وإلى عاصمة الرشيد تغرقها بالدماء ، وتفرشها بالأشلاء ، لتلقى على يدك ما لم تلقه على يد هولاكو .

إيه يا رب (أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا

هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض ، فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) - أين (الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد) أين يا قاسم العراق ؟؟؟ أين ؟؟؟ .

لقد كان قبلك ناس أوتوا نصيباً من الأرض فادعوا الألوهية فى السماء ، وورثوا مجموعة من الألقاب فظنوا أنهم يملكون الرقاب ، وأشرقت عليهم الدنيا بومضات من الحياة فحكموا على غيرهم بالموت . . . حكموا فجاروا ، وأسروا فقهروا ، وملكوا فاسترقوا ، وخافوا على ملكهم من الزوال فثبتوا عرشه على الجماجم . واستوحوا دستوره من الغابة ، وقذفوا بفلكه فى خضم هائج من الدماء ! أين هم الآن ؟ ؟ ؟ لقد خرت عليهم عروشهم فهلكوا ، وانكفأت بهم سفينتهم فغرقوا ، وأسدل عليهم الزمن ستاراً حالكا من النسيان . (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) .

وكان قبلك ناس فرضهم علينا الأجنبى ، ليكونوا عينه التى تبصر ، ويده التى تبطش ، وقدمه التى يركلنا بها ، يستمدون قوتهم من ضعفنا ، وعزهم من ذلنا ، وبقاءهم من إبادتنا . هم من بنى جلدتنا ويتبرءون منا ويعيشون معنا ولكن علينا . صبرنا على ظلمهم قادرين فأولوا صبرنا بالعجز ، وسكتنا على غيهم ثائرين ففسروا سكوتنا بالموت . فإذا بيد أقوى من أيديهم تطوح بهم فى عالم الزوال ، أين هم الآن ؟؟ منهم من قتل ومنهم من اعتقل ، ومنهم من فر ذهبوا . فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم . . . .

وكان قبلك ناس أوتوا أثارة من علم فجمحت بهم على غير هدى ؛ حتى ارتدت عليهم جهلا . . .

. . . رأوا النار من بعيد فظنوها نوراً ، وأرادوا أن يسلطوها على الوطن الآمن . وجلبوا القتاد من كل صعيد فظنوه زهوراً ؛ ليغرسوه فى البلد الطيب . وجمعوا البوم من التلال والخرائب وظنوها طواويس ليعلقوها فى القصور الشم . وأرادوا أن يحبسوا الدين فى المتاحف ، وأن يمحوا القرآن من المصاحف وأن يطفئوا نور السماء على الأرض . فماذا كان ؟؟ لم تحرق النار إلا أصابعهم ، ولم ينبت الشوك إلا فى جلودهم ، ولم تنعق البوم إلا على مسعاهم . . وارتد القرآن عليهم عمى يسرى فى الآذان التى ليس فيها وقر فى براءة وصدق وطهر : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) .

وبعد : فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟؟ لو كانت القوة لغة البقاء لما بقى على ظهر الأرض إنسان ، ولأكلت السباع لحوم البشر ، لو كانت القوة لغة البقاء لبقى فاروق حتى الآن يقول فى كبر وصلف (أليس لى ملك مصر

إلى من قال في بغداد:
لا عروبة ولا إسلام!

للأستاذ علي الطنطاوي

المستشار بمحكمة النقض

إن في عنقي ديناً ثقيلا للعراق الذي عشت فيه من عمري سنين نلت فيها من خيره، وأكلت فيها من خبزه، لا أستطيع أن أسكت فلا أوفي قليلا منه بالكلام عن العراق، ودينا للأصدقاء الذين نالهم الأذى من يحكم اليوم العراق، ودينا أكبر وأثقل للإسلام الذي تطاولوا على اسمه، وامتدت ألسنتهم الدنسة إلى الطعن به، وأيديهم الآثمة إلى تمزيق مصحفه ...

ولقد لبثت ساكتا لا أتكلم مع المتكلمين، أكره أن أنظر إلى القوم نظر الخصم، وأخاطبهم خطاب العدو، وكنت أرجو أن يفيئوا ويرجعوا فنرجع كما كنا يداً واحدة على إسرائيل، على عدونا، بدلا من أن نشتغل عن عدونا بأنفسنا، ونكون عونا له علينا، حتى سمعت خبر العدوان على تلميذي الحبيب الذي جزوه على ما قام به جزاء سنمار، التلميذ الذي نسيته فذكرني

وهذه الأنهار تجري من تحتي) لبقي الشيشكلي حتى الآن يرغي ويزبد، يبرق ويرعد، ويحكم ويستبد .. لبقي نوري السعيد حتى الآن ينشر الذعر والرعب والفساد ولا أظنك تجهل.

فعد إلى عقلك واتعظ .. أنت في غفلة فتدبر .. أنت في غفوة فتبصر .. أنت في غمرة فتذكر .. تذكر أنك تدفن كل يوم بعضك .. وأن الديان لا يموت .. وأن القافلة تسير .. وأن البقاء للحق: (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) ثم ماذا وإن دم الشهداء لا يضيع؛ لأنه نور وحق ..

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون).

أحمد أحمد جلباية

مبعوث الأزهر بلبنان

بنفسه وهو فى أوج سلطانه ، وذروة عزه ، وجعل يقول لكل من يلقاه فى دمشق لما جاءها إثر ثورة تموز (يوليو) ومن يلقاه فى العراق من المحامين والأدباء لما ذهبوا إلى بغداد فى المؤتمرين : أين فلان ؟ (أين على الطنطاوى) الذى كان لنا من توجيهاته ودروسه حافزا لما صنعنا ؟ يقول هذا كرما منه و نبلا ، و ليس هذا واقعاً ولا حقيقة ، و بلغنى ذلك وحاولت أن أتذكره فما ذكرته . لم أذكر الإسم لما سمعته من الناس ، ولا الصورة لما رأيتها فى الصحف ، حتى جاءنى رفيق من رفاقنا فى العراق لما كنا مدرسين فيه (من بضع وعشرين سنة) فنظر إلى صورة طائفة من الطلاب كانت عندى ، فقال : هذا عبدالسلام عارف ، فردت على هذه الكلمة ذكرياتى عنه كلها ، وعرفت التلميذ الحبيب النجيب ، وكان طالبا فى الفصل الذى تسلمته من الأستاذ الأثرى .

فيا أخى عبد السلام عارف ، عليك السلام من وراء القيود والسدود سلام القلب ، سلام الحب ، سلام الوفاء .

وقرأت فى جرائد مصر خبر الفجيعة بالصديق العزيز العالم الذى قتله قاسم ، فأحسست لما رأيت الخبر كأن صدعا انصدع فى كبدى ، الصديق الكريم الوفى المخلص المؤثر على نفسه الذى عرفته فى السفر والحضر ، والذى كان فى القدس (من خمس سنين) لولب المؤتمر ، وكان له فيه أظهر الأثر ، والذى بعث الإيمان فى نفوس شباب العراق بعد ما حسبناه قد مات فى نفوسهم .

رأى هذا الصديق ما يجرى فى العراق من عدوان هذه الشيوعية الباغية القاهرة ، على الدين والحرية والحق وكل ما يعتز به البشر من الفضائل ، وعلم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، فلم يرد أن يكون شيطانا فذهب إلى عرين الأسد ، وكان يعلم أن القتل فى هذا المسعى أقرب إليه من الحياة ، ولكنه كان يروى قوله صلى الله عليه وسلم (أفضل الشهداء رجل قال كلمة حق عند ملك جائر فقتله بها) فطمع فى منزلة الشهداء .

وكان العشية فى داره ، وكان حوله أهله وأولاده ، وكانوا يرقبون الأذان ليفطروا (وكان ذلك فى رمضان) فسمعوا الضجة ، وزلزلت الأرض ، لقد جاء المجرمون ودعوه ليخرج أو يدخلوا عليه ، فحمى عياله بنفسه وخرج ، فتناولوه بالسب والشتم من ألسنتهم وبالخناجر والسكاكين من أيديهم ، وتطلع ولده الصغير ليرى ما الخبر ، فبلغت القسوة من نفوسهم أن حملوه ورفعوه ليرى مصرع أبيه ، وعاد الولد يسأل أمه :

ـ ماما ، ليش ضربوا بابا ؟ متى يرجع بابا ليأكل معنا ، فقد أذن المغرب ؟ .

وصاح المؤذن : الله أكبر . الله أكبر .

« الله أكبر » على كل من طغى وبغى واستكبر . وقضى صديق محمد محمود الصواف الذى كان فى شباب العراق « ابن الأزهر البكر » .

وأسدل الستار على فصل من المأساة التى تمثلها الشيوعية على مسرح العراق ، والتى لا تحصى من كثرتها فصولا .

* * *

وقرأت جريدة « الأيام » فى الشام ، من أيام ، أنه قد صار هتاف هؤلاء الخونة الأوغاد فى شوارع بغداد : « لا عروبة ولا إسلام » .

لا عروبة ولا إسلام ؟ يا أولاد الحرام ؟

ماذا يبقى من العراق إن خلا من العروبة والإسلام ؟ وأى أرجاء العراق يقركم على هذا النداء ؟ ألوية السليمانية وأربيل وكركوك التى تمتلئ كلها بزوايا النقشبندية حيث القوم جميعاً شافعيو المذهب ، نقشبنديو الطريقة ، لا يعرفون إلا الإسلام ؟

أم الفرات الأوسط ومن فيه شيعة « على » المسلم العربى .

أم البصرة ، والبصرة دارة العربية ، ومثابة علمائها ؟ .

أم بغداد ، وبغداد غرسة من غرسات العروبة والإسلام ، بهما قامت من العدم ، وبهما بلغت المجد الذى نطح النجم ، وزاحم فى الخلود الدهر ؟

فماذا يبقى من العراق إن خلا من العروبة والإسلام ؟

لا عروبة ولا إسلام يا أولاد الحرام ؟ كلا . بل عروبة وإسلام لا ينفصلان ، ولا يختلفان : إسلام نبيه من العرب ولغة كتابه العربية . والحج فيه إلى البلد العربى القفر الذى لا تعدل منزلته فى قلوب أتباعه جنات الأرض كلها ، وعروبة ما أعزها ولا سما بها إلا الإسلام ، عروبة دستورها القرآن ما أحله أحللناه ، وما حرمه حرمناه ، وما أمر به فعلناه . عروبة قائدها ورائدها محمد عبد الله ورسوله ، لا نخالف عن أمره ، ولا نتبع غير سبيله . وتاريخها ، التاريخ الذى به فخرها وعزها تاريخ أمة محمد .

* * *

إن هذا الإسلام عجب من العجب ! إنه يأخذ من كل أزمة قوة جديدة ، لقد استفدنا قوة للإسلام مما يجرى اليوم فى العراق . كان دعاة الشيوعية حين يدعون إليها المغفلين من الناس يزينونها لهم ، ويرونهم الحكم الشيوعى جنة فقد رأوا آيات هذه الجنة ، إنها كجنة الدجال فيها ما تشتهى به الأنفس وتقذى به الأعين ، فيها الدماء الجارية ،

فيها البيوت الخالية ، فيها السجون الخالية ، فيها للإرهاب الغرف المبثوثة ، فيها العهود المنكوثة ، فيها الجوع والخوف ونقص الأموال والأنفس والثمرات !

فأى أحمق ، بل أى حمار ينخدع بدعوى الشيوعية بعد اليوم .

وستذهب الشيوعية من الأرض حتى لا يذكرها ذاكر ، ويبقى الإسلام ، لقد حاقت بالإسلام نكبات أشد وأقسى ، وحسب ضعاف الإيمان كما يحسبون اليوم أنها نهاية الإسلام ، فما هى إلا أن ينتفض الإسلام انتفاضة يقطع بها حبالها ، ويلقى عنه أثقالها ، ويمشى فى طريقه . إن فتنة القرامطة التى امتدت واشتدت حتى تصيد أهلها الحجاج من حول الكعبة ، وذبحوهم فيها فسالت دماؤهم من ميزاب الرحمة ، وقلعوا الحجر الأسود ، وكسروا عسكر الخليفة ، وفعلوا الأفاعيل. وحسب ضعاف الإيمان كما يحسبون اليوم أنها نهاية الإسلام ؛ فأين القرامطة اليوم وأين من يعرف خبرهم ؟ .

أين مصيبة المغول والتتر لما استباحوا حمى الإسلام، على يد هولاكو أولا ، وتيمورلنك ثانياً . وذبحوا رجاله ، وسبوا نساءه ، وهدموا مدنه ، وأسروا ملوكه ، وحسب ضعاف الإيمان أنها نهاية الإسلام فأين المغول اليوم وأين التتر ؟ .

وأين الصليبيون المستعمرون ، لما انثالت جحافلهم من أوساط أوربا إلى القدس ، وملكوا ديارنا نحواً من مائة سنة ، وأقاموا فيها دولا ، وحسب ضعاف الإيمان أنها نهاية الإسلام فأين الصليبيون اليوم وأين دولهم فى بلاد الشام ؟ .

لقد قال هؤلاء كلهم كما يقول الشيوعيون فى بغداد : لا عروبة ولا إسلام ، فذهبوا هم حتى صاروا أحاديث ، ثم نسيت عنهم الأحاديث فلم يعد يذكر أكثرهم ذاكر وبقيت العروبة فى ظلال الإسلام .

مآثر العرب العرباء خالدة
والدهر يهدم والإسلام إسلام

إن الله قد تعهد بحفظ هذا الدين (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وما يتولى الله حفظه فلن يضيعه أحد ، وإن الله يدافع عن الذين آمنوا ، ومن يدافع عنه الله فلن يقدر عليه أحد .

لقد صنعت تركيا الكمالية ما صنعت فى محاربة الإسلام ، ودأبت على ذلك ثلاثين سنة ، وسخرت لذلك المدرسة والمحكمة والسوق

والبيت ، وحسبت أنها قد نجحت وأنها قد نشأت نشأ معاديا للإسلام ، قد محى الدين من قلوب شبابه ، كما محيت ألفاظ العربية من ألسنتهم ، فما هى إلا أن أرخت الحبل قليلا ، ووضعت السوط قليلا ، حتى امتلأت المساجد بشباب المصلين ، وإذا الدين لا يزال قويا كما كان ، ما صنعت هذه البرامج وهذه القوانين وهذه السنون فى محاربته شيئا

فيا من تحكمون العراق ، إذا كنتم تظنون أنكم تستطيعون أن تبدلوا العراق غير العراق ، وأن تغيروا نفوس أهله ، وتمحوا تاريخه ، وتمسخوه شيوعيا ، بعشرة آلاف أزعر تطلقونهم فى الشوارع ، وبمسرح هزلى سميتموه محكمة - فأنتم فى ضلال بعيد .

إنكم لا تستطيعون ذلك إلا إن قتلتم كل نصير للإسلام عدو للشيوعية فى العراق ، هم أربعة ملايين وتسعمائة وتسعون ألفا من الملايين الخمسة التى تسكن العراق ، هؤلاء (فقط) هم الذين يكرهون حكمكم ويعلنون أنهم عليكم وما عداهم المؤيد لحكمكم النصير لكم ، وتزعمون بعد أن الشعب معكم .

لقد أراق أجدادنا العرب - الذين شرفهم الله بحمل رسالة السماء - أراقوا أنهاراً من دمائهم حتى جعلوا هذه الأرض عربية مسلمة ، ووضعوها أمانة فى أعناقنا ولن نفرط إن شاء الله فى هذه الأمانة ، لا ندعها للشيوعية الأعجمية الملحدة ولا لغير الشيوعية ، بل سنحفظها حتى نسلمها لمن بعدنا محمدية مسلمة ترفرف عليها راية القرآن .

إنها لا تزال طائفة من أمة محمد على الحق لا يضرها من خالفها حتى تقوم الساعة ، وإنا لنرجو أن نكون من هذه الطائفة .

وبعد يا سيدى رشيد عالى ! ويا أخى عبد السلام عارف ! أسأل الله أن يفرج عنكما ، ويرفع عنكما أيدى الظلمة البغاة أعداء الله ، ويا أخى الشهيد السعيد الشواف عليك رحمة الله وسلامه .

اللهم عليك بالقتلة الظالمين أعداء الدين ، اللهم إنهم لا يعجزونك ، اللهم إنهم لا يعجزونك ، اللهم من أراد الإسلام وأهله بخير فوفقه لكل خير ، ومن أراده وأهله بشر فخذه أخذ عزيز مقتدر . . ! .

اللهم إنه دينك ، اللهم انصر دينك .

على الطنطاوى

المستشار بمحكمة النقض

نفحات القرآن

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

— ٦٧ —

دين، وكرامة، وتفاهم
لا شيوعية، ولا تبعية، ولا مداهنة

(ا) أفغير الله أبتغى حكما، وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ؟؟.
(ب) أفغير دين الله يبغون، وله أسلم من فى السموات والأرض ؟؟.

١ — من المفروغ منه أن الدعوة الإسلامية كانت قديما بين أنصارها وخصومها سبب أخذ ورد، وسبب دخول فى أزمات جائحة طالما انتهت بنصرة الحق على الباطل، كما هى سنة الله فى تدبير هذا الكون، وكما وعد الله عباده « إن الباطل كان زهوقا ».

وكثيرا ما كان يحتال خصوم الدعوة فى استدراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانبهم، وإخضاعه لتقاليدهم وأهوائهم، أو زحزحته عن الأخذ بما أنزل الله عليه من دين وأحكام.

وكانت سياسة الرسول – صلى الله عليه وسلم – التى تعلمها من توجيهات ربه، وكان يلقنها لأصحابه وأمته أن يبسط من حلمه، ويفسح من صدره، ويناقش مجادليه فى رفق حتى يقيم عليهم الحجة فى هوادة، وفى قوة، فيستجيب للحق أناس، وينأى عن الحق آخرون « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ».

٢ — وكان من حجاج الرسول أن يقول للقوم فى ذياده عن الحق ما علمه ربه « أفغير الله أبتغى حكما » ؟ يعنى : أتريدون أن أتابعكم وأحتكم إلى غير ما أنزل الله ؟ وكيف – وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا – يعنى فى دين الله كفاية لنا جميعا، فلا وجه للعدول عنه إلى ما تواضعتم عليه.

وكان من مؤازرة الله لرسوله فى جهاده للمبطلين، ودحضه لمفترياتهم أن يزيده تمسكا بحقه واطمئنانا إلى نصرته، فينزل عليه قوله سبحانه – أفغير دين الله يبغون – يعنى هل

يبتغون دينا وضعيا غير دين الله الذى شرعه ودعا إليه ؟ وكيف يعدلون عن مطاوعته تعالى وهو الذى أسلم إليه ، وخضع لسلطانه كل مخلوق فى السموات والأرض .

وهذا جانب من المنهج الدينى الذى نترسمه فى شأننا مع الغير كلما جدت مناسبة لمثل هذا الجـــدل .

٣ ـــ وقد تعاقبت الأزمان ، وتماوجت الأحداث،والناس يرون من أعراض المجتمع البشرى فى يومه شبها قويا بما كان فى أمسه ، فيقوم للحق أنصار ، ويزور عنه آخرون .

٤ ـــ ونحن اليوم لسنا بصدد دعوة جديدة ، وإنما نحن فى أعقاب ثورة متزنة : ثورة على الفساد كله، وعلى الاستعمار والتحلل، وفى إبان نهضة يقظة شاملة ، نسعى إلى أهداف مرموقة ونسلك إليها سبلا عدة ، ولكنها السبل المشروعة .

ونحن فى وجهتنا إلى الغايات الـــكريمة لا ننحاز إلى الشبهات ، ولا نحيد عن الجادة، وسنظل جميعا بما لنا من دين سماوى ، ونسير فى ضوئه نحو إخاء إنسانى ، وتضامن عمرانى ، وتعاون حميد : فى الثقافة المجدية ، وفى الاقتصاد المادى مع كل هيئة أو حكومة ذات نجدة ومروءة . . لا تخالجنا مع الغير ألاعيب ، ولا نعرف المداهنة ، ولا نرضى من الغير بشىء من ذلك . . ولا نسمح لأحد باستدراجنا إلى الانحراف عن سبيلنا ، أو ديننا ، والتمذهب بمذاهب تأباها تقاليدنا ، ولا نستريح إليها مهما تكن مألوفة عند سوانا .

هذا منهجنا الذى هتفت به ثورتنا وشعبنا، وهو شعارنا الذى يتوشح به زعيمنا ورجالنا فى كل ما يتحدثون به عن الأمة ، ويعربون به عن أمانيها ومصالحها .. وقد قطعنا شوطا غير قصير ، واتضح مسلكنا فى غير شبهة ، ولقينا ما لقينا من مقاومة أو تأييد . . . وشكرنا للمحسن إحسانه ، وعرفنا للمسىء إساءته .

فإزاء هذا كله يكون من المؤسف أن تفجأنا سياسة جديدة تتحول بها حكومة صديقة إلى غير ما ظننا .

٥ ـــ ظفرنا بصداقة الروس ، وانتفعنا بهم ، وشكرنا لهم أن وقفوا بجانبنا ، وهتفوا بحقنا وما برح كل منا ـ فيما وراء الاقتصاد والمعونة ـــ على نظامه الاجتماعى ، وما زلنا على عقيدتنا وديننا ، ولم يدر بخلدنا أن يتهافت الروس على استدراجنا إلى مذهبهم الشيوعى ، وأن يشعرونا بأن معونتهم كانت شباكا يتصيدون بها ، وأنها نصرة ندفع ثمنها من ديننا ، وأمجادنا ، وحريتنا . . . وفاتهم

أننا حينما نطارد استعماراً ونرضى عنه باستعمار آخر إنما نكون كمن يتداوى من مرضه بالسم الزعاف .

وشاعرنا يقول :

إذا استشفيت من داء بداء

فأقتل ما أعلك ما شفاكا

٦ – ديننا يعلمنا دائماً أن نحسن الصلة بالله . وبالناس ، وأن نتعامل بالوفاء والصراحة مع من ينضوى معنا فى عقيدة واحدة ، ومع من لا ينضوى .

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين — العادلين .

وحينما اتجهت ثورتنا إلى الاستعانة بالسوفييت . أو بغير السوفييت كان زعيمها ـ جمال مستجيباً لمصلحة وطنه، ومسترشداً بدينه: لا متجاهلا ، ولا منحرفا ، فهو يتعامل فى جد ، ونزاهة مثالية ، وكان فى خطواته مع السوفييت غير متنكر ، بل كان مسلماً صريحاً ، وسياسياً صدوقاً .

وكان على السوفييت أن يؤمنوا به كمبدأ ، ويطمئنون إليه فى يقين . . حتى لا ينكصوا معه فى الموقف ، ولا تتأرجح بهم الميول ، وتميد تحت أقدامهم المبادئ التى تظاهروا بها أمام العالم كله فإذا لم يكن للمثالية التى وضحت فى زعيمنا قدر عند السوفييت ، أو غيرهم ، أو إذا كانت الصداقة البريئة من جانبنا شركا للصيد فى اعتبار أولئك الأصدقاء: فما حيلة الزعيم العربى إلا أن يترفع ، وأن ينبذ الصداقة المدخولة ، ويصارحهم بقول الرسول ـ صلوات الله عليه ـ لكم دينكم ولى دين ـ وهذا ملتقى الوطنية مع الدين ، وملتقى الإخلاص مع الصداقة ، وملتقى الوفاء مع الصراحه ، ولنا من جانب الله عون مكفول بعد ذلك وقبله ، « إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور » .

٧ ـ ثم ما هى الشيوعية التى يدعوننا إليها؟ قرأنا عنها شيئا، وسمعنا من دارسيها كثيرا، وفيما قرأناه وسمعناه كفاية لفهمها ، والحكم عليها فالشيوعية ـ طبعا ليست دينا ، ولا سياسة ، ولا اجتماعا صحيحا ، وإنما هى فى حقيقتها أنانية وجشع ، وميول شهوانية تجسمت فى صدور أناس من المتطرفين فى عصور مختلفة ، وظهرت فى ألوان عدة .

فهى كما يقول الفيلسوف الإسلامى جمال الدين الأفغانى مع الإيجاز : مذهب الطبيعيين الذين زعموا أن الدنيا وما فيها من كائنات خاضعة لنظام الطبيعة فلا إله ، ولا خالق ، ولا مؤثر فى تلك الكائنات بوجود، أو تطور ، أو فناء سوى الطبيعة وعلى ذلك

لا يكون هناك آخرة ، ولا حساب ، ولا جزاء ، وإنما هى حياة دنيوية تنتهى فى كل شىء بالتدريج حسب طبيعتها . . وما دام الأمر كذلك فالحياة كلها متاع مباح ، ولا يختص أحد دون أحد بشىء بل الكل شركاء فى متع الحياة الخ .

وهذا بعينه هو مذهب الدهريين الذين يقولون بكل ذلك ، غير أن المؤثر عندهم هو الزمن وإذا انقضى زمن شىء ، أو زمن الدنيا فلن يعود لها وجود ، فلتكن الحياة إباحية مطلقة إذ لا خوف من حساب ولا جزاء الخ ثم قال : مع الإيجاز أيضا .

وهذان مذهبان عريقان فى الفساد ، والإفساد ، لبثا زمنا طويلا يتعثر فيهما بعض المبطلين ، والجهلة ، ثم ظهرت بعدهما فلسفة ـ أبيقور ـ فى اليونان ، وقد كان اليونان أهل دين ، يتحرجون من المآثم ، ويحترمون الحقوق الفردية ، ويرضون من الدنيا بما قسم لهم من حظ فيها ، ويدأبون فى أعمالهم غير ساخطين ولا متمردين . . فخرج فيهم أبيقور بفلسفة سماها حكمة ، وتبعه أناس سموا أنفسهم حكماء ، وسموا زعيمهم الفيلسوف الحكيم ـ أبيقور ـ .

كانت فلسفة أبيقور أو حكمته دعوة إلى التحلل من الدين واستباحة المنافع بكل ما يخص الغير من مال وغير مال الخ . .

وطبعا : كانت هذه الفلسفة مناقضة للدين ، عند اليونان ، وفاتنة للكثير منهم عن تدينه ، فانطلقوا حينا من الزمن وراء فلسفة أبيقور ، حتى لعبت دورها فى حياة الشعب اليونانى وزحزحتهم عن كثير جداً من تقاليدهم الأولى ، إلى ميوعة ، وتحلل ، وفساد ذريع .

ثم تسربت هذه الموجة الطاغية إلى الفرس ، وأخذت مجالها فى الإفساد ، وتزعمها فيلسوفهم ـ مزدك ـ حتى أطاح بالفضائل كلها ، وضعضعت كيان الفرس بعد قوة ، وحضارة ، وكان لهذا التهدم والضعف دخل كبير فى زحف العرب عليهم واحتلالهم بلادهم ، وانتشار الإسلام فى ربوع تلك الدولة العتيدة التى أصبح لها شأن رائع فى المحيط الإسلامى بما لها من ثقافة وحضارة .

ثم ظلت جراثيم الفساد تنحدر من رأس إلى رأس ، وتتسمى بأسمائها المختلفة ، حتى ظهرت فى ألمانيا وفى محيط العمال ، وراجت بينهم باسم ـ تحسين حالة العمال الخ ا ه ملخصا .

٨ ـ ونحن نعلم أن الوسط العمالى ، وخاصة فى البلاد الصناعية كألمانيا أكثر الأوساط عددا وأشد حساسية بالمجهود العملى ، وبالضنك المالى ، وأبعد عن الثقافة والهدوء .

ظهر فيهم ـ كارل ماركس ـ وكان مولده سنة ١٨١٨ وامتدت حياته إلى سنة ١٨٨٣ واستغل سخط العمال وحنقهم على أصحاب رءوس الأموال ، وألهب فيهم روح التذمر ،

ووضع لهم نظاما يطالبون بتنفيذه وسماه ـ الشيوعية ـ ومعناه : إلغاء الملكية الفردية، والمساواة بين الناس فى الأموال وراجت هذه الدعوة بين العمال فى ألمانيا ، وحسبوها فرصة تفسح لهم مجال الرزق ، وتتيح لهم أن يملكوا نصيبا من أموال الأغنياء .

غير أن هذه الشيوعية تعثرت فى معارضة المعارضين لها ، وتنكر فى وجهها رجال الحكم فى الغرب كله ، فاكتفوا عنها بتعديل نظام العمل وحالة العمال .

وبقيت فكرة الشيوعية مكبوتة عند أنصارها حتى كانت الثورة الأهلية فى روسيا أواخر القرن التاسع عشر ـ وكان ماركس قد مات سنة ١٨٨٢ .

٩ ـ فنى أواخر هذا القرن كانت روسيا مع اليابان فى خصومة وحروب ، فانتهز العمال الروس هذا القلق ، وسخط الجماهير على الحكم القيصرى ، وتألفت جموعهم، وهتفوا بالشيوعية الماركسية ، وقام على رأس هذه الحركة ـ لينين ، ووضع لهم نظاما شيوعيا مؤلفا من مبادئ ماركس ، ومن رغبات جديدة ، فاستهوى العمال ، وهون عليهم أن ينبذوا التدين ، لأنه يحول بينهم وبين مطامعهم ولا يسمح لهم بالطغيان على أموال الغير أو الإسراف فيما يشتهون .

وظلت الشيوعية فى مد وجزر بين دعاتها ومعارضيها ، وبقيت تحمل أسماء متنوعة ، وتتلون فى أوضاع مختلفة ، حتى تركزت ظاهرا فيما يسمى بالبلشفيك ، ومعناه : حزب الأكثرية ، وهو يعيش اليوم فى غير دين ، ويتحدث عنها من خالطوا الروس فى بيئتهم أحاديث غير مشوقة ، ويضربون الأمثال من الواقع على جفوة الشيوعية ، والامتعاض منها لدى المغلوبين على أمرهم هناك .

١٠ ـ وأياما كان: فنحن ندين بدين الله الحق ، ولا نجد فى طبائعنا وميولنا جنوحا إلى شىء من هذا التطرف والمعاداة للأديان السماوية التى تربينا فى ظلالها ، فالمسلم على إسلامه ، وغير المسلم كذلك على دينه : حقوق مصونة ، وحرية مكفولة ، وعدالة وإخاء ورجوع إلى الله قدرا لمستطاع .

واجتهاد وتنافس وعمل للدنيا فى تعاون ومجانبة للطغيان ، بل رفق ، ورحمة ، وقناعة بما يتاح من كسب .

إذ ليس فى استعدادنا أن نتجاهل قول الله تعالى « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » ـ لينتفع بعضهم بخدمات البعض وهذه توجيهات تلائم الفطرة وتنتظم بها الحياة ، وبدونها يتذبذب المجتمع وتهتز قواعد الاقتصاد ، وإذا نجحت يوما تلك النظم التعسفية وهانت بجانبها اللادينية ، فان العواقب غير مأمونة ، وكل ذلك لا يعجز الله أن يأخذ الدنيا بومضة من برق، أو إعصار من الريح ، فتصبح دنيانا أثرا بعد عين، كما فعل الله بأمم خالية كانت أشد منا بأسا وقوة ، ولله عاقبة الأمور .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الدّين والإنسان

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

الإيمان بدين ما حاجة من حاجات النفس البشرية متى كانت على فطرتها السليمة ، لا بد من تلبيتها ، بل لعله يكون فى طبيعته غريزة لا بد من أن تجد لها مظهراً ومتنفساً ؛ وذلك لأن الإنسان طلعة بطبعه . فليس فى تاريخ البشرية جماعة إنسانية إلا كان لها رأى فى تعليل ظواهر الكون وأحداثه ، وفى مبدأ الإنسان ومصيره . ومن ثم يكون لها تصور للقوة التى تهيمن على الكون ، وحينئذ تؤمن بها وتدين لها ، وتخافها وترجوها ، وتقدم لها مختلف القربات والعبادات .

والإسلام هو الدين الحق ، وخاتم الرسالات السماوية والشرائع الإلهية . وبه تمت نعمة الله على الإنسانية جميعها ، وفى هذا يقول كتابه العظيم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » ؛ كما يقول : « إن الدين عند الله الإسلام » ، ويقول : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

ولا عجب فى شىء من هذا : فالقرآن هو المصدق لما سبقه من كتب سماوية ، ورسوله هو الذى جاء مصدقاً لما جاء قبله من رسل بعثهم الله لهداية الإنسانية ، وقد ضلت سواء السبيل ، وهو الذى جاء بالعقيدة الحقة بعد أن كان الناس منها فى أمر مريج ، كما جاء بالأمن والسلام وبحرية الإنسان وحماية سائر حقوقه الطبيعية .

هذه العقيدة فى الله الواحد الأحد ، الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، والذى ضمن للإنسان حريته وكرامته ، وللضعيف حقوقه إزاء المغتر بقوته وسلطانه ، فهو لهذا ينتصر للمظلوم متى آمن به ولجأ إليه ، وهو الذى وهب للعبد رجاه ، وللإنسانية إخاء ، وللناس إدراكاً للحقائق الأساسية التى تقوم عليها الطبيعة البشرية .

ولنسمع فى هذا إلى بعض ما يقوله القرآن : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ، « وإذا سألك

عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ».

والإسلام، وكذلك كل دين سماوي بصفة عامة، يمنع الإنسان من اتخاذ إلهه هواه، ومن الانسياق لنزعات الشر والسوء والشهوات الجامحة، ويمنحه القوة على اقتحام المصاعب والشدائد، ويمده بالعزيمة على المضي بنجاح فيما يريد من الخير، ويحول بينه وبين اليأس إذا استحكمت حلقاته حتى يأتي الله بالفرج من عنده. والإسلام هو الذي يجعل الناس جميعاً إخوة متعاونين متحابين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم، إلى آخر مانعرف من المزايا التي لاتسعد الإنسانية بدونها. فأين هذا كله من الفلسفات الخاطئة الضالة، والنزعات الشريرة الآثمة، التي تجعل العالم جحيما يصلاها الأحياء، والتي فرقت بين الناس بعضهم وبعض، وبين الزوج وزوجه، والأب وأبنائه؛ أين ماجاء به الإسلام والأديان السماوية من تلك الفلسفات التي جحدت كل مقدس، وأنكرت القيم الإنسانية الرفيعة، والتي امتهنت الإنسان وحريته، وأضاعت قيمته وكرامته. وأصدق مثال لذلك كله هو الشيوعية التي يحاول أصحابها نشرها بالخداع، والتغرير بالسذج من الشباب، والكادحين من العمال والصناع، وسبيلهم إلى ذلك الوعود الكاذبة يلوحون لهم بها، كما يلوح السراب في الصحراء المهلكة للمسافر الظمآن، ثم لايكون من وراء الطمع فيه ومحاولة الوصول إليه إلا الهلاك المحقق.

إن الشيوعية نظام أو فلسفة تقوم على إنكار الدين، أي دين، وبخاصة الإسلام الذي فصل الحقوق والواجبات بين طبقات الناس المختلفة؛ ومن ثم فهي تعادي الدين وتحاربه بكل سبيل، حربا لاسلام معها، ولا هوادة فيها ولامهادنة؛ لأنها لاتؤمن إلا بالمادة وبالقوة.

إنها لاتعترف بخالق الأرض والسماء، ولا بقوة غيبية عليا تهيمن على العالم، وتوجه الناس إلى مايصيرون إليه حسب إرادة أزلية وعلم بما كان وما سيكون. فالدين في رأيها ليس إلا خرافة من الخرافات وأسطورة من أساطير الأولين. وما رجال الدين أو دعاته في رأي الشيوعية إلا خدعة يمكرون بالناس ليستنيموا إلى مايحل به من ظلم. أو ينوبهم من استغلال الأقوياء لهم.

ومما جرى مجرى الأمثال التي تلوكها ألسنة الشيوعيين، وتؤمن بها عقولهم وقلوبهم قولة «كارل ماركس» المأثورة: «الدين هو أفيون الفقراء»، وقولة «لينين»: «الماركسية هي المادة، وهي - لهذا - معادية للدين»، وقولة أحد أعلام الشيوعية الآخرين وهو يقدم

لكتاب « لينين » عن الدين « الإلحاد جزء طبيعي من الماركسية لا ينفصل عنها » .

والشيوعية وقد أنكرت كل دين من أساسه ، ولا ترى معبوداً إلا المادة والقوة على اختلاف مظاهرها تنكر طبعا ماجاء به الإسلام بخاصة ، من أصول ومبــادئ معنوية روحية . وهي مبادئ لا يكون للإنسان وجود وكيان إلا بالاعتراف بها .

إنها تنكر ماجاء به الإسلام ، من عدل يتساوى فيه الضعيف بالقوى ، ومن رحمة تجعل الحياة محتملة والإنسانية متساندة . كما تنكر الحياة العائلية التي تقوم على الأسرة وما يربط بين أفرادها من الألفة والمحبة والتعاون والإيثار . وتنكر كذلك الحياة الأخرى التي يلقى الإنسان فيها جزاء مايعمل في دنياه من خير أو شر ، إلى سائر مايتصل بهذا كله من المبادئ والمثل الإنسانية العايا .

وإذا كان دعاة الشيوعية الأولون يحلمون بما كتبوه ودعوا إليه من قيام مجتمع لا طبقات فيه ، ولا سادة فيه ولا مسودين، بل كل يعمل ويحيا حياة طيبة لا استعباد فيها ولا استغلال ؛ فإنها قد انقلبت شيئاً آخر حين دخلت دور التطبيق العملي ، وصارت نظاما للحكم في بعض البلاد ، وبخاصة روسيا وما والاها من البلاد والدول الأخرى، ولم تحقق ما وعد به أولئك الدعاة الأولون من خير للشعب وللأيدي العاملة ، بل صارت شراً ووبالا يجب بذل كل جهد للحد منه والوقوف دون استشرائه .

إنه لا يمكن أن يحيا العامل حياة إنسانية تحت هذا النظام الذي يسلب حريته ويجعله مسخراً كأنه آلة من آلات الإنتاج ، بل إنه صار حقا في روسيا وما والاها جزءاً من الآلة البشرية الهائلة ، وأصبح تحت رقابة طاغية مستبدة ، لا هم لها إلا سوقه بعصا من حديد لكي يعمل وينتج ، ثم لا يناله من ذلك الإنتاج الضخم إلا مايسد رمقه ويكسو عورته ويجعله قائما بالإنتاج مابقي قادراً عليه .

وإلغاء الطبقات الاجتماعية في نظام الشيوعية ليس إلا أسطورة أو وهما من الأوهام . وهو أمر يخالف كل المخالفة طبائع الأشياء ؛ فإن الله لم يجعل الناس سواسية في العقل والتفكير والقدرة على العمل والنجاح فيه ، وهذا هو الواقع فعلا في كل زمان ومكان منذ وجد العالم والناس ؛ فمحاولة تغيير هذا الواقع منذ عهد البشر بالوجود ليس إلا عبثا وأمراً مقضيا عليه بالإخفاق ، لمناقضته للطبيعة وواقع الحياة .

وكل مافعله النظام الشيوعي في هذه الناحية حتى اليوم ، هو أن العمال ، وسائر الطبقات الضعيفة من الشعب قد استبدلوا بالذين كانوا سادة عليهم بحكم المولد وبحكم العراقة في الحكم والسلطان ، سادة آخرين

بحكم القوة والإرهاب ، سـادة لا يقلون عن الأولين ظلما وبطشا .

أما الدين الحق ، أما الإسلام فهو يعترف بالواقع حين اعترف بنظام الطبقات الاجتماعية ، ولكنه سوى فى الحقوق والواجبات على اختلاف ضروبها وأنواعها بين الفقير والغنى ، وبين الضعيف والقوى . ثم بعد هذه التسوية فرض فى أموال الأغنياء القادرين حقوقا للفقراء والمحتاجين ، وذلك بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، كما هو معروف .

ولم يجعل الدين الإسلامى للغنى فضلا بسبب غناه ، ولا للشريف ميزة لنبالة مولده ، بل وسع الجميع عدله ورحمته ، وانتصف من القوى للضعيف ، وأخذ من الغنى للفقير ، وحث الجميع على أن يعيشوا إخوانا تؤلف المحبة بين قلوبهم ويؤكد التعاون فى السراء والضراء ما بينهم من وشائج وصلات ، وذلك بأنهم جميعاً لآدم ، وآدم من تراب .

ها هو ذا القرآن الكريم يقول : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » كما يقول : « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بالضعفاء خيراً ، ويقول فى هذا : « فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » ، كما يوصى بالعامل والأجير ولو كان عبداً مملوكا ، ويؤكد أنه خصم من يظلم الأجير والعامل ويبخسه حقه ويقول فى هذا « وإذا كلفتموهم ما لا يطيقون فأعينوهم » .

وافتتح سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه عهده بكلمة قال فيها : « الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله » . وكذلك كان يفعل رضى الله عنه هو وسائر الخلفاء الراشدين .

وإذا كان النظام الشيوعى لا يقيم وزنا للشعب بجانب السادة أصحاب القوة والجبروت ولا يعترف بحقوق للأولين إلا كما يعترف بحقوق للآلة المسخرة تجعلها قادرة دائما على العمل والإنتاج : ولا يبالى « لينين » أن يكتب إلى « مكسيم جوركى » أحد مشاهير الكتاب الروس رسالة يقول فيها : « هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشىء ، وإنما المهم أن يصبح الربع الباقى منهم شيوعيين . . . »

نقول إذا كان الأمر فى الشيوعية هكذا ، فإن الدين الحق غير ذلك كله ، إنه يعرف للفرد حقه ، كما يعرف للمجتمع حقه ويعرف للوالى حقه ، كما يعرف للشعب حقه . ها هو ذا

أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: «والله لو هلك جمل بشط الفرات ضياعا لخشيت أن يسألنى الله عنه».

كما خطب مرة فقال: «اللهم إنى أشهدك على أمراء الأمصار؛ فإنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويعدلوا عليهم، ويقسموا فيئهم بينهم.. ثم أمر بعد هذا أن يرفع من يظلمه أميره أمره إليه ليقتص له منه.

وحينئذ قال له عمرو بن العاص وهو والى مصر: يا أمير المؤمنين! أرأيت إن أدب أمير رجلا من رعيته أتقصه منه؟ فقال عمر ومالى لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه!»، ومن نافلة القول أن نذكر هنا كيف كانت رأفته بالرعية، وكيف كان يخدم بنفسه الضعفاء والمحتاجين فى كل حال، فهذا شىء عرفه التاريخ، ويذكره الناس حتى اليوم، وقد كان يستوحى فى ذلك كله الإسلام وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

والشيوعية بعد ذلك كله لا تعترف بالأسرة التى تعتمد على الزواج المشروع. بل لا تعترف بالحياة الأسرية بصفة عامة وعلى أى أساس تكون، وبهذا تصادم الطبيعة، كما تصادم الدين، وتقطع ما يجب أن يكون من صلة القربى وذوى الرحم.

إن الدين وإن الطبيعة والفطرة السليمة قد جعلا كلا من الزوجين سكنا للآخر وموضع طمأنينة له، وجعل بينهما مودة ورحمة تعين على الحياة وتذلل ما يقوم فيها مصاعب، وإنهما جعلا الأبناء قرة أعين لآبائهم وأوصى الدين جميع الناس بالرحمة والمحبة ليدوم ما بينهم من صلات.

ولكن الأمر فى الشيوعية على غير هذا كله، فقد تناقلت الأخبار الوافدة من روسيا أن ليس لمسلم أو مسيحى هناك أن يكون أسرة، تقوم على ما يوجبه الدين من أصول وشعائر؛ بحيث يكون لها كيان وقومية ووجود مشروع، وبحيث تضم الزوجين وما يكون لهما من أبناء يكون لكل منهم حقوقه وعليه واجباته، بل الأمر هنالك اتصال ذكر بأنثى زمنا طويلا أو قصيرا، ثم ما أيسر ما يكون الانفصال إن رغب أحدهما فيه، وكفى بهذا هدما للخلية الأولى فى المجتمع الصالح للحياة.

وبعد! لعل من أفضل ما نختم به هذا البحث هو هذه الكلمات التى هى ختام كتاب «حقيقة الشيوعية» وهى: إن الشيوعية هى انطلاق من كل قيود الروح، واندفاع فى طريق المادة يقطع كل سبب بالأخلاق الفاضلة، ويجرى على كل فاحشة. وينسى الله وثوابه وعذابه، ويرد الإنسانية المتحضرة إلى بهيمية الغابة».

محمد يوسف موسى
رئيس وأستاذ قسم الشريعة الإسلامية
بحقوق عين شمس

المذاهب المادية عاجزة عن تفسير نفسها

للدكتور سليمان دنيا

المذاهب المادية - سمها شيوعية ، أو وجودية أو ما شئت من أسماء - تقوم على أساس مشترك بينها هو إنكار وجود الإله ككائن مجرد عن المادة حى عالم قادر مريد ، إليه يرجع الأمر كله فى تصريف شئون الكون ؛ ويتبع ذلك بطبيعة الحال إنكار الرسل والرسالات وما وعدوا به من حياة بعد الموت ومن مسئولية أخروية ؛ لإثابة المطيع وعقاب العاصى .

تنكر المذاهب المادية كل ذلك ، وتنكر تبعا له شرائع الله للناس ، ودساتيره إليهم ، وتحل محل الإيمان بالله ورسله وكتبه جحودا مطلقا بكل هذه الحقائق . وتحل محل دستور السماء الذى يكفل للناس حرية التملك والاكتساب والتصرف ، فى حدود لا تتأدى إلى طغيان فئة على فئة ، أو استذلال فريق لفريق ، بل على أساس يجعل للعاجزين عن الكسب والمحتاجين حق العيش الكريم ، ويشعرهم بأن لهم حقا مكفولا وكرامة مصونة ، إلى أن يتخلصوا من أسباب عجزهم وحاجتهم وينزلوا إلى معترك الحياة يستذوقون لذة المنافسة الشريفة ويكتسبون ويتملكون ثم يؤدون بدورهم إلى غيرهم ، ممن يكونون قد أصيبوا بمثل ما أصابهم من قبل ، حقوقا تفرضها الأخوة ، وتؤكدها المروءة ، ويباركها الدين .

تلك الحرية التى لست أدرى كيف يكون طعم الحياة بدونها ؟ إنى لا أتصورها حياة كحياة البهائم والعجماوات ؛ ذلكم لأن البهائم والعجماوات لا تعرف ذلك الضرب من الحرية الذى تركز فى فطرة الإنسان وصار مصدرا أصيلا لتصرفاته ، ومعيارا يصرف على وفقه شئونه ، حتى صارت حرية الفعل عنده أهم لديه من نتائجه ، فما أيسر أن يتنكر الحر للفعل لأنه جرى على غير إرادته ، دون انتظار لما يترتب عليه من آثار ؛ وما ألذ أن يتقبل الحر آثار فعله وإن كانت مريرة ؛ لأنه جرى على وفق تدبيره .

تلكم هى طبيعة الإنسان لا سبيل إلى إنكارها ، ولا إلى تغييرها . ولكن الشيوعية أبى عليها تمردها على الإنسانية ، وعلى الوقائع التى لا سبيل إلى رفعها ، إلا أن تحل محل ذلك

كله نظاما يفترض أن الناس - والحرية من مقومات وجودهم - آلات صماء يسخرون كما تسخر الآلات . ويعطون من وسائل العيش ما يلزمهم فقط كآلات لا كأناسي ؛ فكما يلزم أن تطلى الآلات ببعض المواد الدهنية ، حتى لا تتآكل أو تحترق ، يعطى الفرد فى النظام الشيوعى ما يحتاجه ليحيا لا ليسعد .

ولست أدرى أى الأمرين - فى الشيوعية - كان أصلا للآخر ؟ هل تفلسفت فانتهى تفلسفها إلى إنكار الإله والنبوات والبعث وما يتبعه من مسئولية وجزاء ، ثم أقامت نظامها المالى على أساس من تفلسفها هذا ؟ أم تلجلج بخاطرها هذا النظام المالى أولا ، ثم رأت أنه يقوم على النقيض من النظم التى أقامتها عدالة السماء ، فكان لابد لها أن تتنكر للسماء وعدالته ؟ .

ولست أظن أن هناك ارتباطا وثيق الصلة بين إنكار وجود الإله،وبين محاولة تقويض أهم أصل من مقومات الطبيعة البشرية ، ألا وهو الحرية : حرية التصرف،وحرية التملك، وحرية الكسب ، وحرية الرأى فى الحدود التى لا تحيف من حقوق الآخرين . فهب أن أخطأهم التوفيق ، وسدت عليهم منافذ التفكير السليم ، فلم يدركوا أن صنعة على أكبر جانب من العظمة والجلال ، لابد أن يكون لها صانع له من العظمة والجلال بمقدار ما تدل عليه صنعته . هب أن هذه البداهة التى قيل : إنها مركوزة فى طباع العجماوات قد خفيت عليهم ، فما لهذا واعتبار الإنسان الذى يسرت الكشوف العلمية الحديثة الوقوف على تركيبه النفسى المعقد ، آلة صماء تسير بنفس الطريقة التى تسير بها الآلات الصماء ؟ .

وليعلم القارئ أنى إذ أقول : إن العجماوات قد ركز فى طباعها معرفة أن للأثر مؤثراً وأن للأثر العظيم مؤثراً عظيما ، وأن للأثر الضئيل مؤثراً مثله ، لا أقصد التشنيع أو التهويل ، بل أكرر قولا فرغ منه العلماء ؛ إذ قد تبين لهم أن الصوت الذى ينبعث من خلف حيوان أعجم يثير فى نفسه الفضول إلى التلفت خلفه ، لا ليرى الصوت الذى أدركه بأذنيه ، بل ليرى مصدره ؛ والحيوان يتلفت فى غير اكتراث حين يكون الصوت غير مزعج ، أما إذا كان الصوت مزعجا فإنه يتلفت فى خوف وذعر ؛ لأن الصوت الذى وصل إلى أذنيه قويا عنيفا أشعره أن مصدره عنيف مثله ، وأنه لذلك قد يكون خطراً عليه ؛ لأنه لابد أن يكون فيه من العنف مثل ما فى الصوت الذى انبعث عنه ؛ وهكذا يدرك الحيوان أن الأثر العظيم لابد له من مؤثر عظيم ؛ لهذا صح أن نقول : إن هذه البداهة التى هى مركوزة فى طباع العجماوات قد خفيت على

أولئك الذين أدركوا فى عهد الذرة ما أدركوا من خفايا الكون وأسرار الوجود، ثم جللوا هذا الإدراك بعار لطخوا به وجوههم حين أنكروا أن يكون لهذه الخفايا، وتلك الأسرار، صانع له من أوصاف الكمال والجلال ما يتناسب وما لهذه الآثار؛ وإنه ليزيدهم خزيا وعاراً أن يردوا هذا النظام المحكم إلى المادة التى هى فى نظرهم عمياء صماء غير مدركة ولا شاعرة.

أقول: هب أنه قد أخطأهم التوفيق فى إدراك هذا الأمر، فأية علاقة بين ضلالهم فى مسائل الألوهية والنبوات، وبين تنكرهم للطبيعة البشرية يحاولون أن يسلبوها أخص مقوماتها، وأن يحولوها عن طبيعتها تحويلا؟ إن الأمر - فيما أظن - ليس خطأ تفكير وضلال رأى، ولكنه أمر متعمد مقصود، فحيث أرادوا للناس أن يكونوا آلات صماء، كان لابد لهم أن يتخلصوا من كل ما يقرر حقوق الإنسان فى الحرية والتملك والكسب، والعيش الكريم. وأصبحت هذه الخطوة فى نظرهم، خطوة الجحود والإنكار والتمرد على الأديان ضرورية لتأمين نظامهم المالى؛ لأن الذى يحمى الإنسان من ظلم هذا النظام وعسفه إنما هو شريعة السماء التى كفلت لكل حى نوع الحياة التى تناسبه.

وإذا كانت الفطرة السليمة تأبى نظامهم المالى الذى يتجاهل ما للنفس البشرية من حقوق فى الحياة والحرية؛ فإن نظامهم العقيدى الذى ينكر الألوهية والنبوات وما جاءت به أشد من ذلك تخاذلا وتهاويا.

وقبل أن أقول كلمة موجزة عن تخاذل آرائهم العقيدية أحب أن أشير إلى أن الصورة التى قد يتخيلها بعض من لم يشاهدوا الآثار السيئة للنظام الشيوعى الاقتصادى والمتاعب الجمة التى يعانيها أولئك الذين يرزحون تحت أثقاله، ويتصورون بها الناس هنالك مقضى الحاجات، متساويين فى الأقوات والأرزاق خالين من الهموم والمنغصات، هى صورة شعرية لا تمت إلى الواقع بصلة، فالناس هنالك يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم.

وليعلم أولئك الذين قد يساعدهم ما هم فيه من فقر أو ضيق على أن يتوقعوا أن يكون فى النظام الشيوعى ضمان لهم من الضيق والفقر أنهم واهمون فى تصورهم؛ لأنه لو كان الأمر كما يتصورون لما برم بالنظام الشيوعى الآن من يرزحون تحت أثقاله ممن كانوا من قبل فى فقر وضيق.

وليعلموا فوق ذلك أن فى نظام الإسلام ضمانا لحياة أكرم من الحياة فى أى نظام آخر وحسبهم أن يعرفوا أن عمر بن الخطاب كان يقول:

« والله لو جاعت شاة بالعراق لوجدتنى مسئولا عنها أمام الله يوم القيامة » فالإسلام يعتبر الحاكم مسئولا عن حاجات رعيته ويبلغ من شمول مسئولية الحاكم فى الإسلام أنه يعتبر مسئولا عن حاجات شاة تكون فى إقليم غير الإقليم الذى يقيم هو به . وحسبهم أن يعلموا أيضا أن عمر كان يسير فى ظلام الليل يتسمع للتأوهات والشكايات التى يناجى بها الناس ربهم أو يناجى بها بعضهم بعضا وهم فى خلوة بأنفسهم ، لأن فى الليل والظلام والخلوة مشجعا على انطلاق الرغبات المكبوتة والآهات الحبيسة ، فيسارع عمر إلى تحقيقها بنفسه .

ذلكم هو الإسلام ، وتلكم هى السعادة فى ظلاله الوارفة ، إلى جانب ما فيه من إيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وإنى لست أدرى كيف يمكن أن تستقر بإنسان حياة ، وقلبه هواء : خال من إيمان بالله ، خال من عقيدة حقه ، خال من ثقة ، فى مستقبل هنىء خال من يقين مطمئن ؟ ولكن لعل الإيمان بأن لا إيمان ، ولا عقيدة ، ولا ثقة ولا يقين ، هو نفسه إيمان يغنى عن الإيمان ، والعقيدة ، والثقة واليقين ، فتعالوا ننظر هل قدمت الشيوعية وسائر المذاهب المادية بين يديها ما يصحح الإيمان بأن لا إيمان؟

فماذا تقول المادية ؟ لا مناص إلا أن تقول ما يقتضيها إنكارها لقوة وراء المادة تصرفها وتدبرها . لا مناص إلا أن تقول : إن المادة واجبة الوجود بذاتها ، وهى أصل كل ما فى الكون من حوادث وأحداث . فليت شعرى هل المادة عندهم ميتة لا حياة فيها ولا شعور ؟ أم هى حية مدركة ؟

فإن تكن ميتة غير شاعرة ولا مدركة فكيف تولد منها مدركون شاعرون ؟ .

وإن تكن حية مدركة ، فهل هى كذلك ككل ؟ أم كل جزء من أجزائها حى مدرك ؟ فإن يك كل جزء من أجزائها مدركا ـ والإدراك عند الماديين مادى ـ فكيف يتسع كل جزء من أجزاء المادة ، بل كل جزئى ، لأن ينطبع فيه صورة الوجود كله ، وصورة كل ما جد ويجد من أحداث ، وهى عند الماديين أحداث غير متناهية ؟ وكيف يتسع جزئى فى غاية الصغر لأن تطبع فيه صورة الكون كله ، وصورة كل ما جد ويجد من أحداث ؟ وإن تك المادة مدركة ككل ، فالمادة ككل متفرقة بين أرض وشمس وقمر ونجوم ، والإدراك مادى ، فكيف يمكن أن يقوم إدراك واحد مشترك بين هذه المتفرقات ؟ .

ثم ما شأن هذه القوانين التى تحكم المادة وتسيطر عليها ، ولا سبيل لها إلى الإفلات من سلطانها ، كقانونى الجاذبية والحركة ؟ هل المادة مصدرها ؟ وكيف يكون الشىء

مصدر قانون يقهره ويرغمه ؟ أم مصدرها شيء غيره ، وماذا عساه يكون ؟ .

وأخيراً أضع بين يدي القارئ تصويرا لشيء صغير جداً في الكون هو عين الإنسان، كتبه واحد لا من رجال الدين ، بل من رجال العلم الآلي التجريبي ، قال :

« لنستعرض أولا – في إيجاز – تركيب الجهاز البصري – أي العين – وما يتبعها من الطرق العصبية داخل المخ في الإنسان .

يدخل الضوء العين فيخترق طبقات شفافة متتابعة ، هي القرنية ، ثم الغرفة الأمامية ، ثم البلورية ، وهي جسم عدسي قابل لأن يزداد في تحدبه ، أو يقل ، حسب قرب الأشياء المضادة ، أو بعدها ، ثم الجسم الزجاجي حتى يصل على الطبقة الحساسة في قاع العين ، أو الشبكية .

وتنقسم الشبكية إلى قسمين : غشاء خارجي رقيق أسود غير عصبي ، وغشاء داخلي عصبي حساس .

والغشاء الخارجي الأسود محاط من الخارج بطبقة تسمى المشيمية سوداء اللون ، كثيرة الأوعية ، ولوجود هذين الغشائين الأسودين كان تجويف العين مظلما .

أما الطبقة الحساسة من الشبكية فهي مركبة من ثلاثة صفوف من الخلايا العصبية المتشعبة أو النيورونات ، أول صف أطرافه منتفخة مكونة لما يسمى بالعصي والمخاريط التي هي الطبقة الخارجية من الشبكية الحساسة. والصف المتوسط جسم خلاياه أكبر نوعا منها في الصف الأول. ثم الصف الثالث أو الداخلي، وخلاياه كبيرة جدا ، وهذا الصف الأخير ينتهي في الداخل ، أي من جهة الجسم الزجاجي بألياف عصبية رقيقة متزاحمة .

فمن وجهة التشريح والمنطق يجب على الضوء أن يؤثر أولا على العصي والمخاريط بما أنها هي أول الجهاز الشبكي ، ولكنه حتى يصل إلى هذه العصي والمخاريط يتحتم عليه أن يخترق الشبكية الحساسة كلها ، وهو شيء حقيقة مغاير لنظام الحواس الأخرى ، كاللمس والذوق والشم مثلا ، حيث يشاهد أن أول الجهاز العصبي معرض مباشرة للتنبه الخارجي .

والألياف العصبية الرقيقة المتزاحمة المكونة للطبقة الداخلية في الشبكية الحساسة تتجمع وتكون العصب البصري الذي يخرج من العين من الجهة الخلفية ، وبعد قليل توزع ألياف العصب البصري إلى قسمين . قسم يبقى في جهته وقسم يهاجر في الجهة الأخرى ، ويحصل هذا في العضو المسمى بالتصالب البصري، ويعقب التصالب البصري حبل عصبي في كل جهة يسمى بالطريق البصري ، أو الشريط البصري .

ونظرة فى الشكل [١] تدل على أن الجهة اليمنى من كل شبكية عين ـ أى القسمين اللذين يصل عليهما الضوء الآتى من الجهة اليسرى من مجالى البصر ـ تكون أليافهما بعد التصالب الطريق البصرى الأيمن ، وأن الجهة اليسرى من كل شبكية عين ـ أى القسمين اللذين يصل عليهما الضوء الآتى من الجهة اليمنى ـ تكون أليافهما بعد التصالب الطريق البصرى الأيسر

وتنتهى ألياف الطريق البصرى بالتفرغ أو بالتشجر ، نسبة إلى الشجرة ـ حول خلايا عصبية فى الأجزاء المسماة :

(١) وسادة السرير البصرى (٢) الجسم الركبى الوحشى (٣) الجسمين الرباعيين الأماميين ثم تخرج المحاور العصبية فى خلايا هذه الأجزاء وتكون أليافا عصبية متشععة تسمى تشعع جراسيولية ، وهذه الألياف الأخيرة تنتهى بأن تتشجر حول الخلايا العصبية فى البقعة المخططة وهى موجودة فى الجهة الأنسية فى الفحص المؤخر للمخ ، وتسمى بمركز الإبصار عند كثير من العلماء [١] » .

هذا هو وصف موجز ـ كما يقول النص نفسه ـ لجزء من تركيب الإنسان ، فهل تصدق أيها العاقل أن يكون هذا الخلق الدقيق هو من عمل المادة ؟ وأية مادة هذه التى صورت عين الإنسان هكذا ؟ أهى النطفة ؟ أم الرحم التى أودعت فيها النطفة ؟ أم الأرض التى تمشى عليها صاحبة الرحم ؟ أم الغذاء الذى تتناوله ؟ أم المريخ ؟ هل يستطيع المذهب المادى المنكر لوجود الإله أن يقول لنا : أى هذه المواد هو الذى صنع عين الإنسان؟ سبحانك ربى صانع الكون . ما أظهر وجودك! وما أعظم قدرتك !! وما أصدق قولك :

« ولقد خلقنا الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين » .

دكتور سليمان دنيا
أستاذ الفلسفة المساعد فى كلية أصول الدين

(١) يعنى الشكل المرسوم فى الأصل الذى نقلت عنه .

(١) رسالة العلم . صحيفة خريجى كلية العلوم بالجامعة المصرية ـ العدد الثالث السنة الثانية ـ يناير سنة ١٩٣٥ .

اشتراكية الإسلام خير وقاية للعالم من الشيوعية

للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

عمدت الشريعة الإسلامية إلى حقوق المالك فى ملكيته فقيدتها بقيود كثيرة، وفرضت عليه فى مقابلها عدة واجبات، لكى تصون بهذا وذاك حقوق المجتمع، وتقلم أظفار رأس المال، وتحول بينه وبين السيطرة والنفوذ، وتحقق تكافؤ الفرص بين الناس، وتقلل الفروق بين الطبقات وتقربها بعضها من بعض، وتحول دون تضخم الثروات وتجمعها فى أيد قليلة، وتقرر الاشتراكية المعتدلة فى أمثل صورها.

وترجع أهم الوسائل التى اتخذها الإسلام لتحقيق هذه الغايات النبيلة إلى تسع وسائل.

(الوسيلة الأولى): تتمثل فيما قرره الإسلام من نظم حكيمة بصدد الميراث وما يتصل به. فقد وضع الإسلام للميراث نظاما اشتراكياً جليلا يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعاً عادلا، ويحول دون تضخمها وتجمعها فى أيد قليلة، ويفتت رءوس الأموال إلى ملكيات صغيرة. وذلك أنه يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفى، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة، ويحول من جهة أخرى دون تجمع ثروات كبيرة فى يد فئة محدودة من الناس. فبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروات الكبيرة التى يتفق تجمعها فى يد بعض الأفراد أن تتوزع ملكيتها بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس، وتستحيل إلى ملكيات صغيرة، وهذه هى أمثل طريقة لتقليل الفروق بين الطبقات، وتقريبها بعضها من بعض، وتحقيق الاشتراكية المعتدلة فى أمثل صورها.

ولحرص الإسلام على الوصول إلى هذه الأغراض حظر كل تصرف يؤدى إلى الإخلال بقواعد الميراث. وفى هذا يقول الله تعالى بعد أن قرر هذه القواعد: «تلك حدود الله، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين»[1].

---

[1] آيتى ١٣، ١٤ من سورة النساء.

ومن ثم ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى تحريم الوقف الأهلى ، وهو أن يحبس المالك غلة ملكه بعد وفاته على فئة محدودة من أقربائه أو غيرهم بمقادير وشروط يعينها هو وفق ما يشاؤه وتشاؤه له أهواؤه ؛ لما فى ذلك من حبس للثروة عن التداول الطبيعى ومن إخلال بقواعد الميراث . ومن هؤلاء ابن عباس رضى الله عنهما فقد قال « إنه لما نزلت سورة النساء وفيها الفرائض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حبس عن فرائض الله » أى لا مال يحبس بعد موت صاحبه عن القسمة بين ورثته وتمليكهم إياه . ومنهم كذلك القاضى شريح (وهو من كبار التابعين ومن أشهر فقهاء المسلمين ، وقد ولاه عمر رضى الله عنه قضاء الكوفة وظل بمنصبه هذا أمداً طويلا) فقد قال بعدم جواز الوقف وقرر أن شريعة محمد عليه السلام قد قضت على هذا النظام . ونص عبارته « أن محمداً قد جاء ببيع الحبيس » وهذا منه رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه يجوز بيع الوقف . ومن هؤلاء كذلك إسماعيل ابن الكندى الذى ولاه الخليفة المهدى قضاء مصر ، فقد ذهب إلى المذهب نفسه الذى ذهب إليه شريح . ومنهم كذلك الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان فقد ذهب إلى عدم جواز الوقف الأهلى فى صوره المعهودة لنا وقرر أن الواقف إذا علق الوقف بموته ، بأن قال إذا مت فقد وقفت دارى على كذا ؛ فإنه يصبح وصية لا وقفا وتلزم من الثلث ، وإذا لم يعلقه الواقف بموته وجبت قسمته على الورثة بعد وفاة المالك كل على حسب فريضته[١] . وقد اعتمد على هذه المذاهب القانون المصرى رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ إذ ألغى جميع أنواع الوقف الأهلى وحظر إجراءه وقرر أن كل وقف من هذا القبيل يعد باطلا فى المستقبل ٢) .

ومن أجل ذلك حظر الإسلام على المالك أن يوصى لأحد ورثته بما يعطيه أكثر من حقه الشرعى بعد وفاته ، وفى هذا يقول عليه السلام « لا وصية لوارث » ، كما حظر عليه أن يوصى لغير ورثته إلا فى حدود الثلث من تركته [٣] . وقد توخت الشريعة الإسلامية من هذا وذاك حماية القواعد

---

[١] انظر البدائع للكاسانى والميدانى على القدورى فى باب الوقف .

[٢] انظر مقالا لى نشر بالأهرام قبل صدور هذا القانون ببضعة أيام عنوانه : « الوقف الأهلى نظام فاسد يجب إلغاؤه » (أهرام ٢٨/٨/٥٢) ، وانظر كذلك فى هذا الموضوع مقالا نشر لى فى مجلة « الإصلاح الاجتماعى » عدد مارس سنة ١٩٤٤ بعنوان « الوقف الأهلى » .

[٣] انظر تفاصيل هذا الموضوع واختلاف الفقهاء بشأنه فى كتب الفقه .

الاشتراكية السامية التى وضعتها للميراث ووقايتها من عبث المورثين وأهوائهم .

فأين من هذا النظام الاشتراكى الحكيم الذى وضعه الإسلام للميراث وأحاطه بسياج قوى من الحماية ، أين منه نظم الغرب الحديث التى ينتقل بعضها جميع ثروة المتوفى إلى البكر من أبنائه ، ويدع بعضها المالك حراً فى أن يوصى بجميع ما يملك لمن يشاء ، فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه ، فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة والاتجاهات الشيوعية الفاسدة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا إلى معظم الانقلابات والثورات العنيفة التى تعرضت لها أوروبا فى العصور الحديثة .

وقد فرق الإسلام بين الذكر والأنثى فى الميراث . فجعل للذكر فى الغالب مثل حظ الأنثيين المساويتين له فى القرابة [١] . وقد بنيت هذه التفرقة على أساس التفرقة بين أعباء الرجل الاقتصادية فى الحياة وأعباء المرأة . فمسئولية الرجل فى الحياة من الناحية المادية أوسع كثيراً فى الأوضاع الإسلامية من مسئولية المرأة . فالرجل هو رب الأسرة ، وهو القوام عليها ، والمكلف الإنفاق على جميع أفرادها بالفعل إن كان متزوجا ، أو سيصبح مكلفا ذلك بعد زواجه ، وعلى الرجل وحده كذلك تجب نفقة الأقرباء . على حين أن المرأة لا يكلفها الإسلام حتى الإنفاق على نفسها . فكان من العدالة إذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون فى ذلك ما يعينه على القيام بهذه الأعباء الثقيلة التى وضعها الإسلام على كاهله وأعفى منها المرأة رحمة بها وحدبا عليها وضمانا لسعادة الأسرة . بل إن الإسلام قد بالغ فى رعايته للمرأة وعطفه عليها إذ أعطاها نصف نصيب نظيرها من الرجال فى الميراث مع إعفائه لها من أعباء المعيشة وإلقائها جميعا على كاهل الرجل .

(والوسيله الثانية) تتمثل فى تحريم الإسلام لجميع طرق الكسب غير المشروع . فقد حرم الإسلام تحريما قاطعا جميع الطرائق التى تؤدى عادة إلى تضخم رءوس الأموال بابتزاز الناس ، أو غشهم ، أو التحكم فى ضروريات حياتهم ، أو استغلال عوزهم وحاجتهم ، أو عن طريق استغلال النفوذ

---

[١] توجد بعض أحوال يسوى فيها الإسلام بين نصيب الذكر والأنثى فى الميراث كما فى حالة وجود أبوين مع ابن أو مع بنتين فصاعدا فإن كلا الأبوين يأخذ فى هذه الحالة السدس ، وكما فى حالة وجود إخوة وأخوات لأم فإنهم يستحقون ثلث التركة يقسم عليهم بالتساوى لا فرق بين ذكورهم وإناثهم.

والجاه والسلطان . وهذه هى أهم الطرائق التى تؤدى عادة إلى إيجاد الفوارق الكبيرة بين ثروات الأفراد ، فنى تحريمها تحقيق للتوازن الاقتصادى من أمثل طريق .

فقد حرم الإسلام عمليات الربا تحريما قاطعا ، وجعلها من أكبر الكبائر ، وتوعد مرتكبيها بحرب من الله ورسوله ، وحرم جميع المعاملات التى تنطوى على غش أو رشوة ، أو أكل أموال الناس بالباطل ، أو تطفيف فى الكيل والميزان . وحرم احتكار ضروريات الناس للتحكم فى أسعارها ، وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه » . وحرم الإسلام كذلك ، استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال ، وأجاز مصادرة الأموال التى تأتى عن هذا الطريق واستيلاء بيت المال عليها لإنفاقها فى المصالح العامة للمسلمين وعلى ذوى الحاجات منهم . وقد سن هذا المبدأ الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه . فقد أقبل يوما على النبى عليه السلام رجل من الأزد يدعى ابن اللتبية كان النبى قد استعمله على الصدقة ، فقسم الرجل ما معه قسمين ، وقال للنبى هذا لكم وهذا أهدى إلى ، فظهر الغضب فى وجه النبى وقام وخطب الناس فقال : « أما بعد فإنى أستعمل رجالا منكم على أمور مما ولانى الله ، فيأتى أحدكم فيقول هذا لكم وهذه هدية أهديت لى ، فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا ؟ ! » .

فترك ابن اللتبية ما أهدى إليه ولم يمسه وأضافه الرسول عليه السلام إلى بيت مال المسلمين . وطبق هذا المبدأ فى نطاق واسع من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن الخطاب فى أيام خلافته . فقد كان يصادر ماكان يكسبه الولاة من أعمال لا يجوز لهم الاشتغال بها كالتجارة وما إليها ، وما كان يأتيهم من هدايا وأموال نتيجة لاستغلال نفوذهم وجاههم . فعل ذلك رضى الله عنه مع ولاته على البصرة ، وفعله مع أبى هريرة نفسه عامله على البحرين ، وفعله مع عمرو بن العاص عامله على مصر .

(والوسيلة الثالثة) تتمثل فيما فرضه الإسلام من أنواع الضرائب والزكاة . فقد فرض الإسلام على مختلف أنواع الثروة وشتى مظاهر النشاط الاقتصادى من أنواع الضرائب والزكاة ما يكفل تحقيق العدالة الاجتماعية ، ويسد حاجات المعوزين ، ويحول دون تضخم الثروات .

هذا ، وتمتاز الزكاة فى أنها لا تفرض على ما تنتجه رءوس الأموال فحسب ، بل تفرض كذلك على رءوس الأموال المنقولة نفسها

فإذا تعطل رأس المال المنقول عن الكسب فإنه لا يلبث أن يذهب كله زكاة بعد نحو أربعين عاما ، وذلك فى الأموال التى تقدر زكاتها سنويا بربع عشرها ، وهى تشمل الذهب والفضة وعروض التجارة ، وحتى إذا لم يتعطل رأس المال عن الكسب فإن متابعة أخذ الزكاة منه سنويا بالمقدار المقرر تنتقصه دائما من أطرافه ، وتحول دون تجمع ثروة كبيرة فى يد صاحبه .

(والوسيلة الرابعة): تتمثل فيما سنه الإسلام من صدقات موسمية ، فقد شرع الإسلام للأغنياء فى بعض مواسم تتكرر كل عام أن يخرجوا من أموالهم صدقات للمعوزين ، ومن ذلك زكاة الفطر ، والضحايا التى يجب نحرها فى عيد الأضحى ، والهدى الذى يجب أو يسن للحاج نحره ، وكلاهما يطعم الناحر وأهله منه ويتصدق بمعظمه على الفقراء والمساكين .

(والوسيلة الخامسة): تتمثل فى الكفارات التى أوجبها الإسلام على مرتكبى بعض الخطايا والمخالفات ، فقد عمد الإسلام إلى طائفة من الخطايا والمخالفات التى يكثر حدوثها وجعل كفارتها التصدق على الفقراء والمساكين، فجعل ذلك تكفيرا للحنث فى اليمين ولمعظم أنواع الفطر فى رمضان ، ولطلاق الظهار ولبعض المخالفات فى مناسك الحج على ما هو مفصل فى كتب الفقه .

(والوسيلة السادسة) : تتمثل فيما قرره الإسلام من مظاهر التكافل والضمان الاجتماعيين فقد أوجب الإسلام على الأغنياء من الأقرباء ، الإنفاق على الفقراء والعاجزين عن الكسب من أقربائهم على ما هو مفصل فى كتب الفقه وأوجب على أهل كل حى أن يعيش بعضهم مع بعض فى حالة تكافل وتعاضد ، يرق غنيهم لفقيرهم ، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم حتى لقد ذهب ابن حزم ومن تابعه من فقهاء المسلمين إلى مسئولية البلد الذى يموت أحد أفراده جوعا ، فيؤدى أهله جميعا الدية متضامنين كأنهم شركاء فى موته ، وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » .

وأوصى الكتاب فى أكثر من آية وأوصت السنة فى أكثر من حديث بالجار القريب والجار البعيد ، وأوجب الإسلام على بيت المال الإنفاق على الزمن ، وهو العاجز عن الكسب ، والشيخ الفانى والمرأة إذا لم يكن ثمة من أقربائهم من تجب عليه نفقتهم ، ولا يفرق الإسلام فى ذلك بين المسلمين وغير المسلمين ، فقد حدث أن عمر رضى الله عنه مر يوما بباب قوم وعليه سائل يسأل وكان شيخا ضرير البصر ، ويبدو عليه

أنه غير مسلم . فضرب عمر بعضده ، وقال من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال يهودي . فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله وأعطاه مما وجده . ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، وقال له : انظر هذا وضرباءه ، فوالله . ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية وهو شاب وتركناه يتسول وهو شيخ . إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب . وأجرى له رزقا من بيت المال .

(والوسيلة السابعة) : تتمثل فيما أباحه الإسلام للإمام أن يتصرف في توزيع الأموال العامة على وجه يحقق التوازن الاقتصادي بين الطبقات ، ولو أدى ذلك إلى أن يخص ببعض الأموال طبقة دون أخرى . وقد سن هذه السنة الحكيمة وأنفذها عملياً رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بوحي من الله تعالى في آي الذكر الحكيم . فقد منح عليه السلام جميع أموال الفيء من بني النضير للمهاجرين خاصة ولرجلين فقيرين من الأنصار ، ليقرب بذلك بين ثروات المهاجرين وثروات الأنصار ويحقق شيئاً من التوازن في ملكية الأموال بين هذين الفريقين اللذين كان يتألف منهما أول مجتمع إسلامي . وفي هذا يقول الله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، أي حتى لا تكون الأموال وقفاً على الأغنياء منكم يتداولونها فيما بينهم . ويقصد بالأغنياء الأنصار . ويقول بعد ذلك : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون[١] » .

(والوسيلة الثامنه) : تتمثل في ترغيب الإسلام في التصدق على المعوزين فقد حبب الإسلام إلى الأغنياء التصدق على الفقراء ، وجعل هذا من أكبر القرب وأعظمها أجرا ، وجعل اكتناز الأموال وعدم إنفاقها في سبيل الله من كبائر المعاصي ، وتوعد المكتنزين بأشد عقوبة يوم القيامة . والآيات القرآنية التي وردت في ذلك تجل عن الحصر ، ولا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن .

بل لقد جعل الإسلام هذا النوع من الإنفاق حقاً واجباً للفقراء . فقال تعالى يصف المؤمنين : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقال : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين

---

[١] آيتي ٧ ، ٨ من سورة الحشر .

يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٢).

وكثير من آيات القرآن تدل على أن الإسلام ينظر إلى التملك على أنه مجرد وظيفة اجتماعية يقوم صاحبها بإنفاق ، المال على مستحقيه ، وينظر إلى المالك على أنه مجرد مستخلف على ثروته من قبل الله لإنفاقها فى سبيله ، وفى هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير (٣)

(والوسيلة التاسعة) : تتمثل فى ترغيب الإسلام فى إنفاق جميع ما زاد عن الحاجة فى سبيل الله . فقد حبب الإسلام إلى الناس أن ينسلخوا عما زاد من أموالهم عن حاجتهم وينفقوه كله فى سبيل الله فقد روى عن أبى ذر الغفارى أنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد (وهو جبل مشهور بالحجاز) وأنا معه ، فقال يا أبا ذر فقلت نعم : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! قال ما يسرنى أن لى مثل أحد أنفقه فى سبيل الله أموت وأترك منه قيراطين . قلت : أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطين [٣] » ؛ أى إنه ليؤلمه أن يكون له مثل أحد ذهبا يموت وفى يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد فى سبيل الله .

ومن أجل ذلك قام أبو ذر الغفارى فى عهد عثمان بن عفان يدعو الأغنياء إلى أن ينفقوا فى سبيل الله والبر بالفقراء والمساكين وذوى الحاجة جميع ما فضل من أموالهم عن ضروريات حياتهم ، وينهاهم عن الترف والسرف واكتناز الأموال والترفع عن المستضعفين والفقراء من الناس .

ولم تشتمل دعوة أبى ذر هذه على إفراط ولا مبالغة إلا من ناحية واحدة : وذلك أنه كاد يوجب على الأغنياء أن ينفقوا جميع ما فضل من أموالهم عن ضروريات حياتهم فى سبيل الله وسد حاجات المعوزين ؛ على حين أن الإسلام قد حبب إلى الناس هذا المسلك ، كما تقدم بيان ذلك ، ولكنه لم يوجبه عليهم إيجابا ، بل يعتبر المسلم مؤديا لواجبه المالى ما دام لم يقصر فيما فرضته الشريعة أو أوجبته عليه من زكاة وضرائب ونفقة على الأهل .

بيد أن هذا كما لا يخفى هو أضعف الإيمان ؛ ومن بعده منازل رفيعة فى الإسلام تتدرج فى سموها وقربها إلى الله حتى تصل إلى المثل الأعلى الذى حث عليه أبو ذر الغفارى وأوحت إليه به مثالية الإسلام .

وقد أخطأ كثير من الباحثين إذ يعدون

---

[١] آية ٣٨ من سورة الروم
[٢] آية ٧ من سورة الحديد
[٣] رواه مسلم والبخارى والنسائى .

تعاليم أبى ذر والتعاليم المشبهة لها فى الإسلام من قبيل الاتجاهات الشيوعية . والحق أنها هى والشيوعية على طرفى نقيض . فهذه التعاليم إذ تحث الملاك على أداء زكاة أموالهم وعلى البر بالفقراء وذوى الحاجة ، تعمل بذلك على تثبيت الملكية الفردية وحمايتها من كل ما يتهددها من ثورة أو انتقاض من جانب الفقراء والمحرومين ، كما تعمل بذلك أيضاً على اتقاء الصراع بين طبقات الأغنياء والفقراء . على حين أن الشيوعية تعمل على إلغاء مبدأ الملكية الفردية نفسه ، وتنادى بجعل الملكيات ملكيات جماعية ، وتمهد لذلك بإثارة الصراع بين الطبقات . ومن أجل ذلك تعتبر دعوة أبى ذر الغفارى وجميع التعاليم السمحة التى من طرازها من ألد خصوم الشيوعية ومن أشد ما يوضع فى سبيل انتشارها من معوقات .

* * *

ومن هذا كله يظهر أن الإسلام يهدف بما سنه من أحكام فى هذا الصدد إلى جعل الملكية وظيفة اجتماعية لا متعة للمالك، وإلى تغليب ناحية واجباتها على ناحية حقوقها ، وإلى جعل المالك مجرد مستخلف فى ماله ينفقه فيما يحقق النفع للمجتمع ويكفل الصالح العام ، وأن النظم التى قررتها الشريعة الإسلامية فى شئون المال ، نظم اشتراكية حكيمة تشجع على العمل وتعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، وتفسح المجال أمام المنافسة والتفوق والطموح ، وتذلل السبل لذلك ؛ ولكنها من جهة أخرى تحقق تكافؤ الفرص بين الناس ، وتعمل على استقرار التوازن الاقتصادى ، وتحرص على تقليل الفروق بين الطبقات وتقريبها بعضها من بعض ، وتحول دون تضخم الثروات وتجمعها فى أيد قليلة ، وتقيم العلاقات الاقتصادية بين الناس على أسس متينة من التكافل والتعاضد والتواصى بالبر والخير والعدل والإحسان ، وتضع أمثل نظام للضمان الاجتماعى ، وتكفل لكل فرد حياة إنسانية كريمة ،وتقى العالم شرور الاتجاهات الشيوعية ومذاهبها الهدامة : « ذلك الدين القيم ولكن أكثر لا يعلمون » .

على عبد الواحد وافى

لله نفحات

ذكر الجاحظ فى « البيان والتبيين » أن داود عليه السلام قال : إن لله سطوات ونقمات فإذا رأيتموها فداووا قروحكم بالدعاء فإن الله تبارك وتعالى يقول : « فى الحديث القدسى » لولا رجال خشع ، وصبيان رضع ، وبهائم رتع ، لصبيت عليكم العذاب صبا .

الشعوبية الجديدة

للأستاذ على العمارى

المتأمل فى تاريخ الإسلام يرى أنه دين كفاح ومناضلة ولد بين خصوم له وأعداء زرق العيون، غلاظ الأكباد، قد تمكنت الوثنية من نفوسهم، ورسخت العصبية فى قلوبهم، وسيطرت الضلالات على عواطفهم فدعاهم بالتى هى أحسن، وصابرهم وأطال المصابرة، وناشدهم الله والرحم، فلما أعيته الحيلة فيهم، وأخفق اللين فى إقناعهم، وصرح منهم الشر عريان متوثبا، قمعهم بالسيف وواجههم بالقوة ودانهم كما دانوا.

ولكن الدين لم ينعم بالاستقرار بعد فتح مكة، ودخول الناس فيه أفواجا، إلا زمنا يسيرا، فواجه ردة العرب، ودعى إلى قوم ذوى بأس شديد، قاتلهم حتى أسلموا، وناضلهم حتى ردهم إلى محجته البيضاء.

وشب، واكتهل على ما نشأ عليه تشب نيران الفتن فيطفئها، وتغرس بذور الشر فى أرضه فيقتلعها، وتحيط به المكاره والمكائد فيقضى عليها الواحدة تلو الأخرى، نازله (القرامطة) بفوضاهم، وسوء نحلتهم فتغلب عليهم، وإن جهد فى ذلك، ولقى منهم عنتا، وهجم عليه (التتر) بوحشيتهم وهمجيتهم فردهم على أعقابهم، وجاءت «الصليبية» بأحقادها وأجنادها فانتصر عليها، وسلط عليه الاستعمار الغربى جيوشه ومبشريه - ولا يزال يسلط - فما لانت قناته، ولا وهن عوده، وإذا كان يبدو فى بعض المستعمرات مهيض الجناح، فما هو إلا الجمرة تحت الرماد لا تلبث أن تشع بنارها فتحرق كل يد امتدت إليها بسوء، واليوم تطل الشيوعية بوجهها الكالح ومبادئها البغيضة، على دياره فيعبئ لها قواه، وينازلها منازلة الواثق من النصر، وسينتصر عليها كما انتصر على أخوات لها من قبل.

وقد اقترنت فى هذه الأيام - كما اقترنت فى الماضى - الشيوعية السافرة، بالشعوبية الماكرة، فهما مبدآن خطران، إن اختلفا مدلولا، فقد اتحدا هدفا، وأنه ليحزننا أن تكون دولة إسلامية عربية مرتعا لهذين الوباءين الفتاكين، وإن يقع شعب عريق فى المجد ضحية لأخطارهما، وإن كنا على ثقة

أن الله ناصر دينه وخاذل أعدائه ، وأن مبادئ الإسلام بما فيها من قوة الروح ، وسلامة المنهج ، وشرف الغاية ، وقدسية التعاليم ، ستعلو كلمتها ، ويسطع نورها ، ويتغلب حقها على باطل المبطلين وحماقات المضللين وبلاهة المخدوعين (إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) .

ومن عجب أن هذه الشعوبية التى نبتت فى أرض العراق هى صورة مكررة من الشعوبية القديمة التى عاشت على شواطئ الرافدين منذ أكثر من اثنى عشر قرنا ، فهذه تشبه تلك فى مظهرها وأهدافها وسمات القائمين بها والأمل قوى أن يكون مصير شعوبية القرن العشرين الميلادى كمصير شعوبية القرن الثانى الهجرى والتاريخ يعيد نفسه (والله من ورائهم محيط) .

ولعلنا نرسم الصورة الكاملة لهذه الشعوبية الناشئة إذا نحن رسمناها لتلك الشعوبية التى طويت فى أعماق التاريخ .

جاء فى لسان العرب : « والشعوبى هو الذى يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم » وجاء فى القاموس المحيط ، « والشعوبى بالضم محتقر أمر العرب ، وهم الشعوبية » .

وعبارة القاموس أدق ، وعبارة اللسان أوسع ، فتعريف القاموس ينطبق على صنف واحد من الشعوبية ، وهم الذين يحتقرون العرب ، أما صاحب اللسان فيخلط بين صنفين ذلك أن من الشعوبية من لا يفضل العرب على غيرهم ولا يفضل غيرهم عليهم ، وهؤلاء يستندون فى دعواهم إلى مبادئ الإسلام ، ومنهم من يحتقر العرب ويفضل الأجناس الأخرى عليهم ، وهؤلاء يستندون إلى عصبية جنسية ثم شاع إطلاق اللفظ على الصنف الثانى وأصبحنا نفهم - كما صنع صاحب القاموس - من كلمة شعوبى أنه الذى يتعصب على العرب ويحاول أن يسلبهم كل فضيلة .

وقد قويت هذه النزعة فى نفوس الأجناس غير العربية فى العصر العباسى ، ولا شك أن أكبر وزرها يقع على كاهل الخلفاء العباسيين وإن كفروا هم عن هذه الزلة فقضوا على دعاتها

استعان الدعاة الأولون لنقل الخلافة إلى أبناء العباس بغير العرب ، وقد يكون لهم بعض العذر فى هذه الاستعانة إذ كانوا يرون أن الأمصار العربية ، من مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق ليست مكانا صالحا لبث دعوتهم .

وقد كان محمد بن على بن عبد الله بن عباس قال لدعاته حين وجههم إلى الأمصار للدعوة أما الكوفة وسوادها فشيعة على وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف تقول كن عبد الله القاتل ولا تكن عبد الله

المقتول ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ، ومسلمون فى أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان ، عداوة راسخة ، وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بخراسان ، فإن هناك صدورا سليمة ، وقلوبا فارغة لم تتقسمها الأهواء ، ولم يتوزعها الدغل .

غير أن من جاء بعده بالغوا فى التنكر للعرب ، وإبعادهم عن شئون الدولة . فنرى ابراهيم الأمام يوصى أبا مسلم الخراسانى حين وجهه لنشر الدعوة بأن يأخذ حذره من مضر ، ويقتل من شك فى أمره منهم ، فإنهم العدو القريب الدار ، بل يبالغ فيقول له : وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله .

ولم يكن أمر العرب فى عهد الخلفاء فيما بعد خيرا منه فى مبدأ الدعوة ، فهذا يزيد المهلبى يعيب على بنى العباس تقريب الموالى وإبعاد العرب فى رثائه للخليفة المتوكل على الله ، الذى قتل بيد الأتراك ، فيقول :

لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم
ضعتم ، وضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم
حمتكم السادة المنسوبة الحشد
قوم هم الجذم والأنساب تجمعهم
والمجد والدين والأرحام والبلد
اذا قريش ارادوا شد ملكهم
بغير قحطان لم يبرح به أود

لهذا كله أحس جماعة من الفرس بمكانتهم فى الدولة فأرادوا إستعادة مجدهم القديم ، ودارت هذه الفكرة فى رؤس السادة والقادة ولكن الخلفاء تنبهوا لهم ، فقتل أبو سلمة الخلال ، وأبو مسلم الخراسانى ، وأوقع الرشيد بالبرامكة .

ولما لم تفلح الخطة عسكريا مهدوا لها سلميا ، فبدأوا يقولون بالمساواة بين العرب وغيرهم من الشعوب ، ثم تطرف جماعة منهم فأخذوا يسخرون من العرب ، ويؤلفون الكتب فى مثالبهم ، وحمل الراية بشار بن برد والحسن بن هانئ أبو نواس ، واسماعيل بن يسار الشاعر وكان أرسخ الناس عداوة وأشدهم للعرب نصبا - كما يقول ابن قتيبة - السفلة والحشوة وأوباش النبط ، وأبناء أكرة القرى .

ولعل هؤلاء وأولئك من الشعراء والكتاب لم يدخل الايمان فى قلوبهم ، بل ظلوا على دينهم القديم يظهرونه حينا ويخفونه أحيانا ، فاتخذوا من تنقص العرب ، والغض من

تقاليدهم وعاداتهم وسيلة إلى الطعن فى الإسلام، والتمرد عليه ، قال الجاحظ « وربما كانت العداوة من جهة العصبية ، فان عامة من ارتاب فى الإسلام إنما كان أول ذلك من الشعوبية ، فإذا أبغض شيئا أبغض أهله ، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة ، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذ كانت العرب هى التى جاءت به فكانوا السلف والقدوة (١) » .

هذا فيمن أسلم أولا ، أما الذين لم يتبطن الإسلام قلوبهم ، فهم على ما رأينا يتنفسون فى ذم العرب ، فإذا استطاعوا أن يعلنوا عن أنفسهم تزندقوا ، فالنظرة العابرة فى أخبار الزنادقة فى ذاك العصر تدلنا بما لا يدع مجالا للشك على أن الزندقة كان من أسبابها الرئيسية النزعة الشعوبية ، وقد ظهر مزدك الشيوعى فى فارس على عهد قباذ وكسرى أنوشروان ، وكاد يقلب نظام المجتمع الفارسى رأسا على عقب لولا عزم أنوشروان وحزمه ، فلما تمكن الفرس من سياسة الدولة العباسية ، واستقروا سياسيا رأوا أن يبعثوا دياناتهم القديمة من مزدكية ومانوية ، ففشت الزندقة .

والحق أن الذين عملوا عن محاربة الإسلام من الفارسيين ، من ذوى الرأى عدد قليل ، والحق كذلك أن الخلفاء العباسيين قابلوا الأمر بحزم وصرامة ، فقضوا على الزندقة فى مهدها ، وانتقموا شر انتقام من دعاة الشعوبية وعمدها .

واليوم تدأب صحف العراق ، وجماعة من الغوغاء وقادة الرأى على ترديد هذه النزعة الشعوبية ، فيذيعون أن العرب فى العراق إنما هم طائفة من طوائف كثيرة ، ولا فضل لهم على غيرهم فليس لهم أن يفرضوا قوميتهم على سائر القوميات ، وبالتالى ليس لهم الحق فى طلب الوحدة العربية لأن العراق ليس لهم وحدهم ، بل هو أيضاً للأكراد والأرمن والآشوريين واليزيديين وغيرهم ممن يطلقون عليهم الشعوب العراقية أو القوميات العراقية وقد ضل هؤلاء ضلالا بعيدا فان أشد الناس تعصبا للقوميات لا ينكر أن أية أمة من الأمم ليست إلا خليطا من جنسيات مختلفة ، وعلماء الأجناس يجعلون الأمة الفرنسية مثلا للأمة الموحدة ومع ذلك يقولون أنها تتكون من أكثر من ستين عرقا .

والإنجليز لا يدعون أنهم من سلالة واحدة ، ومع ذلك لم نر أحدا منهم قام ينادى بالقومية (السلبية) أو القومية (النرمندية) أو القومية (الجرمانية) ولم نسمع ألمانيا

---

(١) الحيوان ج٧ ص ٢٢٠ ط. هرون. ببعض تصرف.

نادى بالفصل بين الجرمانيين الصقالبة المتجنسين بالجنسية الألمانية والفرنسيين اللاجئين ، بل نرى الألمان - مع اختلاف السلالات التى تتكون منها ألمانيا - أشد الشعوب تعصباً للعنصرية ، فحين نقول أن العراق عربى لا نعنى أن العرب وحدهم هم المكونون للشعب العراقى وإنما معناه أن الصبغة العامة للدولة هى العروبة ، ولا يخرج عن المنطق الطبيعى إلا من يريد أن يمزق وحدة الأمة ، وأن يمكن أعداءها منها ، وحين تتفرق بالأمة السبل ، وتختلف بها الشعاب تضل طريقها القويم ، وتصبح لقمة سائغة لمن يريد أكلها وهم - ولا كرامة - كثيرون وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالسواد الأعظم ، عليكم بالجماعة ، يد الله على الجماعة ، إياكم والشذوذ ، الشيطان مع الواحد ، وهو عن الإثنين أبعد ، والثلاثة ركب » .

وقد سمعت حديثاً عن رجل كان يعمل بالإذاعة العراقية فى بدء الثورة ، قال : إن سيطرة الشعوبية ودالتها على حكومة قاسم ظهرت فى الأيام الأولى ، وهذا ما كان بالضبط من بعض الفارسيين عند قيام الدولة العباسية ، ولكن الخلفاء العباسيين كانوا مسلمين وكانوا عربا فتنبهوا بسرعة وفى الوقت المناسب للخطر المحدق بدولتهم ، وظل الخلفاء متنبهين يحطمون كل رأس يرفعه الشيطان ، أما قاسم فلا أدرى بماذا أصفه ، أهو التجرد من الإسلام والعروبة ، أم هو الضعف والاستخذاء ، ورد الجميل ؟ أن الشعوبية القديمة لم تستطع فى أزهى أوقاتها أن تمزق المصحف بل لم تستطع أن تقول فيه قولا لا يليق بجلاله وقدسيته ، أما شعوبية قاسم فقد مزقت هذا الكتاب الكريم على مرأى ومسمع من رجال الحكم ، وبين ظهرانى مسلمى العراق ، واستعلنت أحقادها على الله وعلى كتابه ، ولا أدرى ما الذى هيجها على هذا الكتاب المقدس ، وكيف عجزت أن تجد شفاء لما فى نفوس أصحابها من الدخل ، والاضطغان على كل فضيلة إلا أن تتوقح فتمزق كتاب الدهر .

لعل الذى غاظها من القرآن أنه كتاب : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » . وأن فيه خبر من قبلنا ، ونبأ من بعدنا ، وحكم ما بيننا ، وأنه حبل الله الممدود ، وصراطه المستقيم ، وأن فيه توضيحاً للمشكلات ، وفصلا للمتشابهات .

ولعل الذى غاظها منه أن الله تكفل بحفظه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، وليس أحمق من رجل قزم حقير

يطاول عملاقا جباراً فلا يجد متنفساً لروحه إلا أن يكيل له السباب، ثم يظن أنه بذلك قضى عليه: «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون».

ولعل الذى غاظها منه أنه يدعو إلى الحق، ويهدى إلى الرشد، ويجمع المسلمين على كلمة سواء، وليس آلم لصاحب المبدأ المعتل المختل من أن يجد المبدأ الذى يحاربه واضحا لاعوج فيه ولا أمت، متينا لاضعف فيه ولا خور، مقبولا عند العقول الراجحة والفطر السليمة، فهذا ما يقض مضجعه، وينغص عليه حياته، وما نقول لهم إلا ماقال الله تعالى (قل موتوا بغيظكم).

إن الشعوبية الجديدة تضيق ذرعا بكتاب الله، وبكل تعاليم الإسلام، لأن الفوضى الأخلاقية التى تريدها لن تتيسر لها حتى تقضى على هذه التعاليم، الشعوبية الجديدة صورة من المزدكية القديمة، تريد أن تحل الأموال والنساء، فتنادى بالتساوى بين الناس فى الأرزاق، ونسيت أن الشيوعية لا تغنى الفقير، وإنما تفقر الغنى، وتنادى بإباحة النساء فتقرأ نشيدها العجيب (بعد شهر، ما كومهر، والقاضى نذبه فى النهر) وتجاهلت أن الحيوانات لا تزال - كما فطرها الله - تغار ويدافع كل منها عن أنثاه؛ فإذا أرادوا للشعب العربى المسلم أن يكون دون الحيوان فى هذه الفطرة فما ينبغى أن نجادلهم بالحجة، وإنما علينا أن ندافع عن ديننا وحرماتنا بكل ما نملك من قوى، ولايحق لمسلم أن تنام عينه وبجوارنا شعب مسلم يراد له أن يتخلى عن دينه، وعن تقاليده الفاضلة، ومبادئه السمحة (يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين).

على العمارى

نفثة مصدور

قال شاعر قديم:

تولت بهجة الدنيا	فكل جديدها خلق
وخان الناس كلهم	فما أدرى بمن أثق
رأيت معالم الخيرا	ت سدت دونها الطرق
فلا حسب ولا أدب	ولا دين ولا خلق

النظم الفردية الحرة بين الإسلام والشيوعية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لكى نعرف موقف الإسلام من الشيوعية يجب علينا أولا أن نعرف ما هى الشيوعية، وما الذى ترمى إليه بالنسبة للدولة والمجتمع .

إن الشيوعية مذهب اجتماعى اقتصادى يرمى إلى تنظيم المجتمع على أساس الشيوع والإنتاج الجماعى ، أو بعبارة أخرى ترمى الشيوعية إلى إلغاء الملكية الخاصة وحرمان الفرد من أن يكون مالكا، أو متمتعاً بثمار مجهوده الخاص ، وترى أن تكون الدولة ، دون سائر الأفراد ، هى المسيطرة على الثروات القومية والخاصة .

وفى ظل المجتمع الشيوعى ، يعمل الفرد ـ ويكد ـ لا لحسابه الخاص ، ولكن لحساب الدولة أو المجتمع ، ولا يجنى من عمله وجهاده إلا ما تسمح الدولة أن يعطى له ، وذلك وفقا لما يقدر نظير عمله وإنتاجه ، والدولة وحدها هى صاحبة الرأى الأعلى فى تقدير هذا الجزاء .

هذا ما ترمى إليه الشيوعية فى جوهرها .

ويقول المركسيون ، أو أنصار المذهب الشيوعى ، إن حالة المجتمع الحاضر ، وما يتميز به من الفروق بين طبقات المجتمع ، وما تستأثر به الأقلية من التمتع بالثروات ، وتعانيه الأكثرية من شظف العيش ، يرجع إلى نظام الملكية الخاصة ، وأن هذا النظام فى ذاته ، ليس نظاما طبيعياً ، وإنما هو نتيجة لثورات عديدة قامت بها الطبقات القوية حتى استطاعت أن تخضع الطبقات الضعيفة لصولتها ، وأن تضع يدها على الثروات العامة ، وأن تخلق لها فى المجتمع طبقة خاصة هى طبقة « البورجوازى » أو طبقة أصحاب الأموال .

ولهذا يرى الشيوعيون ، أنه ما دامت أوضاع المجتمع الحاضر ، قد قامت نتيجة للثورة ، فيجب أيضاً أن تحطم وأن تلغى بنفس الوسيلة ، أى بطريق العنف والثورة ، وأن يحل المجتمع الشيوعى على أنقاضها .

فلنر الآن ما هو موقف الإسلام من هذه المبادىء والتعاليم الشيوعية .

إن الإسلام يخاصم الشيوعية فى جوهرها

الأساسى ، وهو مبدأ إلغاء الملكية الخاصة . وذلك أن الإسلام يقر الملكية الخاصة ويحيطهـــا بمختلف الضمانات والحمايات الشرعية .

وإقرار الملكية الشخصية هو إقرار لمبدأ الفردية الذى يرى أن يترك الفردحرا ليعمل وينتج وفقا لمجهوده وكفاياته ، وأن يتمتع دون غيره بثمار هذا المجهود ، وبذلك يعترف بشخصية الفرد المستقلة وبحقوقه ، وكرامته .

وقد قامت المجتمعات المتمدنة كلها منذ فجر التاريخ على مبدأ الفردية ، ومبدأ الملكية الخاصة ، وما زالت الأغلبية الكبرى من أمم العالم ، تعيش حتى اليوم فى ظل هـذا النظام الفردى .

هذا من جهة الغاية . وأما من جهة الوسيلة فإن الإسلام لا يقر أعمال الثورة والعنف وهى التى تراها الشيوعية وسيلة وحيدة لتحقيق مثلها . ولا يقر اغتصاب الأملاك والأموال الخاصة ، باعتباره عملا منافيا للحق والعدل ، وامتهانا صارخا على شخصية الفرد ، وهى التى يحترمها الإسلام ، ويحلها مكانة خاصة من الكرامة الإنسانية .

إن الفرد فى ظل المجتمع الشيوعى ، يفقد شخصيته ، وكل مظاهر استقلاله ، ويغدو آلة صماء للإنتاج الذى تفرضه الدولة . ومن المسلم به أن هذا الإنتاج الآلى فى ظل الشيوع يجنى على المواهب والمزايا الشخصية ويحول دون تفتح العبقريات الخاصة التى لا يمكن أن تتفتح إلا فى الآفاق الحرة الطليقة وفى معترك الفاقة والطمـــوح أى التفوق والكمال ، والإسلام بتأييد الحرية الفردية والإنتاج الفردى واستئثار الفرد بثمرة عمله ، عن طريق تأييده للملكية الفردية وحمايتها ، يتجه إلى تدعيم هذه الآفاق الحرة الطليقة ، التى كانت وما زالت على كر العصور ، أثمن وأسمى ، ما تطمح إليـــه النفوس البشرية الكريمة .

ثم أن البشر ليسوا كلهم سواء ، كما يفترض مبدأ الإنتاج الشيوعى ، والأفراد يتفاوتون فى تكوينهم العقلى والجسمى ، كما يتفاوتون فى المواهب والمزايا الخاصة ، وفى كفاية الإنتاج . ومن المستحيل أن تحقق الحرية الشاملة أو العدالة الاجتماعية التى يزعم الشيوعيون أنها من مزايا المجتمع الشيوعى ، وهذا ما وعاه الإسلام وأكده . فالإسلام يفرق بين العاملين وبين غير العاملين ، ولا يقر أن يحرم عامل من ثمرة عمله وكده ، وهو كذلك يرى أن يترك البشر أحرارا ليعملوا وينتجوا ، كل وفق مقدرته وكفاياته ، ولا يقر بحال أن تؤخذ ثمار عمل العاملين لتمنح للكسالى والمشعوذين ، وهو من خصائص النظام الشيوعى .

ولم يغفل الإسلام شيئاً مما تزعم الشيوعية أنها انفردت بالتفطن اليه من قيام الفروق الحادة بين طبقات المجتمع ، ومن محاولة الحد من استغلال الطبقات القوية للطبقات الضعيفة ، ومعالجة البؤس الذى تعانيه الطبقات الفقيرة .

ونلاحظ أولا أن أحكام المواريث الشرعية هى وسيلة طيبة لتوزيع الثروات - ومنع تكدسها فى أيد قليلة - خصوصاً إذا ذكرنا أن الأسرة فى المجتمع الإسلامى ، تمتاز بكثرتها العددية . وقد لبثت هذه الأحكام فى كل عصر ، وكل قطر ، وسيلة من وسائل التوازن الاجتماعى والاقتصادى .

والإسلام لايقر الاستغلال غير المشروع بأى حال ، ولكنه لاينزع فى محاربته إلى العنف والغصب كما تفعل الشيوعية ، بل يلجأ فى ذلك إلى وسائل وأحكام سلمية عادلة ، فهو يحرم الربا ، ويحرم الاحتكار ، ويحث على محاربة المحتكرين المتواطئين على رفع أسعار الحاجيات والسلع ، ويجيز للوالى (أى الحكومة) فى مثل هذه الأحوال ، إرغام المحتكر ، أو الجماعة المحتكرة على بيع السلع بثمن المثل - أو بعبارة أخرى فقد أجاز لولاة الأمر تسعير الحاجات فى مثل هذه الظروف - وحماية المستهلك من الإرهاق والتعسف والاستغلال غير المشروع . وقرر الإسلام فوق ذلك حق المحتاج فى الحصول على الطعام أو الكساء أو المسكن أو الآلات الزراعية أو غيرها مما يحتاج اليه سواء بأجر المثل أو بدون أجر إذا كان فى وسع صاحبها أن يستغنى عنها .

وفى هذه الأحكام الشرعية ، مايدل دلالة واضحة على أن الإسلام يعنى بمحاربة الاستغلال الاقتصادى بجميع صوره ، سواء أكانت فردية أو جماعية ، وأنه لايرى تناقضا بين ضمان الحرية الفردية فى تحين الفرص المشروعة للاستثمار والكسب ، وبين حماية الطبقات الفقيرة أو المحتاجة من استبداد صاحب المال - إن هو جنح إلى الاستغلال غير المشروع .

وكذلك لم ينس الإسلام حق الفقراء والمعدمين على المجتمع ، فقد شرع الزكاة ركنا من أركانه الأساسية ، يجب على القادرين أداؤها وفقا لأحكام وشروط دقيقة . ولو تم أداء الزكاة فى الأمم الإسلامية بطريقة صحيحة عادلة ، لكانت حصيلتها من أعظم الموارد لمحاربة الفقر والعوز ، وتخفيف آلام المعوزين والبؤساء فى المجتمع الإسلامى .

بل لقد ذهب بعض الفقهاء المسلمين ، وفى مقدمتهم الفيلسوف ابن حزم القرطبى ، إلى أن للفقراء حقاً مقرراً فى أموال الأغنياء ، وأنه يفرض على الأغنياء من أهل كل بلد ،

أن يقوموا بعول فقرائهم ، ولولى الأمر أن يجبرهم على ذلك إن لم تتم حصيلة الزكوات أو فيء المسلمين بهم ، فيقام لهم من القوت الذى لابد منه ، ومن الكساء المناسب صيفا وشتاء ، وفى هذا الرأى ماينم على اتجاه النظام الاقتصادى الإسلامى إلى نوع من الاشتراكية الإنسانية ، ترتفع بوسائلها الرقيقة المشروعة ، على ذلك الطابع العنيف الذى تتميز به الوسائل الشيوعية .

هذا كله من جهة النواحى الاقتصادية ، وتنظيم المجتمع ، ولكن الشيوعية تمتاز فوق ما تقدم من مثلها الثورية الهدامة بطابع ذميم آخر ، هو طابع الإلحاد الدينى .

وقد ظهر هذا الاتجاه الإلحادى بأشنع صورة ، منذ قيام الثورة فى روسيا ، حيث شهرت الحرب العنيفة على الدين ، وأغلقت معظم الكنائس ، والمساجد فى المناطق الإسلامية ، وألغى منصب البطريق وسمح للأفراد بنشر الدعوة الإلحادية وتنظيم الحملات على الدين فى الكتب والصحف وغيرها وبالرغم من أن الدستور السوفيتى الجديد يعود فينص من الناحية الشكلية على ضمان حرية الاعتقاد ، وحق مزاولة الشعائر الدينية ، فإنه فى نفس الوقت يبيح للأفراد أن يقوموا بالدعاية اللادينية ومهاجمة العقائد الدينية ، وبث الدعوة الإلحادية على هذا النحو هى - من أبرز خصائص النظام الشيوعى فى سائر البلاد التى يسيطر عليها .

والخلاصة أن الشيوعية سواء بمبادئها وغاياتها الاقتصادية ، المنافية لكل الأوضاع الحرة العادلة أو بوسائلها العنيفة القائمة على الغصب والقسر ، والقضاء على شخصية الفرد وحرياته وكرامته تصطدم ليس فقط مع الإسلام وتعاليمه السمحة المستنيرة ، ووسائله السلمية فى تنظيم المجتمع ، ومعالجة مشاكله ؛ ولكنها تصطدم فى نفس الوقت مع سائر النظم الديمقراطية والفردية الحرة ، وهى التى تعتنقها وتدافع عنها معظم أمم العالم ؟

محمد عبد الله عنان

من حسنات الحجاج

قال الحجاج : لئن أظفرنى الله سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد للتيمى لتقربت إلى الله به مهما : مرت بالأول امرأة فقالت له : يا عبد الله كيف الطريق إلى مكان كذا ؟ فقال لها يا هناه ! أمثلى يكون من عبيد الله ؟ وخطب الآخر الناس يوما فأحسن فقال السامعون : أكثر الله فينا مثلك . فقال : لقد كلفتم الله شططا .

الإسلام والقومية العربية

للأستاذ محمود اللبابيدى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

القومية فى نظرنا

لقد ألمعنا فى كلامنا السابق إلى أن القومية ليست حدثاً جديداً فى تاريخ البشرية . وليست كذلك من مواليد القرن التاسع عشر وإنما كما قلنا ، يعود وجودها إلى أول تجمع بشرى ظهرت له مميزات ثابتة .

والقومية فى نظرنا ، شعور عاطفى أكثر منه حقيقة مادية . أى أنها ليست شعوراً نفسياً فقط ، ولا هى حقيقة مادية فحسب . بل إنها خليط من الحقيقة المادية والشعور العاطفى معاً . وهذا الشعور العاطفى نفسه يتولد من الحقيقة المادية الثابتة .

والعنصر المادى الثابت فى القومية هو (اللغة المشتركة) التى يتفاهم بها أفراد الأمة ، وكذلك (الأرض المشتركة) التى عاش عليها هؤلاء الأفراد جنباً إلى جنب متفاعلين ، قروناً طويلة .

وأما العنصر النفسى أو العاطفى فى القومية فهو (الدين المشترك) (١) و (التاريخ المشترك) اللذان تطبعهما الحياة المشتركة المتفاعلة وتؤثر فى مجراهما تأثيراً بيناً .

فالقومية فى نظرنا تتألف من عناصر أربعة أساسية : اللغة ، والأرض ، والدين ، والتاريخ .

أما لماذا أسقطنا من تعريفنا الجنس أو العرق والعادات والاقتصاد وغير ذلك من العناصر التى جاءت فى بعض التعاريف فلذلك أسباب .

ففيما يتعلق بنظرية الجنس أو العرق ، فلأنه ثبت علمياً أن ليس للعرق ولا للدم أى خصائص مميزة ثابتة . فضلا عن عدم وجود أعراق صافية اليوم يمكن دراستها . والحقيقة أن العلماء الذين انفردوا بتقرير خصائص مميزة لبعض الأعراق كانوا أسيرى أوهام أوحاها إليهم التعصب الكريه مع ما وراء ذلك من المطامع السياسية .

---

[١] باعتبار أن الأديان السماوية كلها مصدرها واحد هو الله .

وفيما يتعلق بنظرية العادات والتقاليد المشتركة، فإنها ليست أصولا وإنما هى فروع تولدت من أصل آخر هو الدين المشترك أو التاريخ المشترك. مثل ذلك مثل التكوين النفسى الذى يجد له تعبيراً فى الثقافة المشتركة، فهو يتبع الأصل الذى يتمثل فى الدين أو التاريخ.

وفيما يتعلق بنظرية الاقتصاد المشترك، فالأمر كذلك، إذ لا يعتبر الاقتصاد أصلا من الأصول وإنما هو فرع يتبع أصلا هو الأرض. والشعوب كافة ابتدأت حياتها الاقتصادية بفلاحة الأرض وزراعتها وعاشت من غلاتها. ولما انتقلت بعض الشعوب إلى الحياة الصناعية، كانت الأرض هى الأصل أيضاً، فمنها خرجت كافة المعادن التى أسست الحياة الصناعية. وأما مسألة الجمارك والنقد وحرية التنقل ووحدة التشريع الضرائبى التى يجعلها بعضهم من عناصر القومية أيضاً فهى لا تعدو هذا السبيل، إنها فرع لا أصل.

وقد يتساءل بعضهم، أنه إذا سلمنا بأن وحدة اللغة ووحدة الأرض أصلان من أصول القومية، فلماذا جعلنا الدين والتاريخ من هذه الأصول فى الوقت الذى أسقطهما بعض التعاريف ؟.

والجواب على ذلك هو أن أغلب تعاريف القومية تتفق فى المفهوم وإن لم تتفق فى الألفاظ. فالذين أسقطوا الدين من عناصر القومية ووضعوا الثقافة المشتركة محله، لم يفعلوا شيئا أكثر من أنهم عبروا عن الدين فى صيغة أخرى. كذلك فعل ستالين فى تعريفه، فإنه يقول: إن الأمة الحديثة أى (القومية) جماعة ثابتة ليست عرضية، تألفت تاريخياً . . . . ذات تكوين نفسى مشترك، يجد له تعبيراً فى الثقافة المشتركة!. فإنه لم يفعل أكثر من التعبير عن الدين بالثقافة.

ونحن نعلم أن ليس من عامل يستطيع أن يجعل شعباً من الشعوب ذا تكوين نفسى مشترك كالدين أو الثقافة؛ لأن الدين فى حد ذاته أحد طريق المعرفة. وليس ضروريا أن يكون الدين والعلم متعارضان، ليكونا شيئين مختلفين.

أما التاريخ فإنه لا غنى عن عده أصلا من أصول القومية، لأنه الجزء العملى من الحياة الاجتماعية والسياسية للأمة. والذين أغفلوا ذكره، استعاضوا عنه باسم آخر، إذا بحثته وجدته لا يخرج عن كنهه أو فرع من فروعه، فنحن رجحنا الاعتماد على الأصول ومن خالفنا ركن إلى الفروع.

التفاوت فى مفهوم القومية :

بين الغرب والعرب

وإذ أوضحنا رأينا فى العناصر الأساسية

التى تكون القومية ، نجد أن هذة القومية من حيث أن نصفها عاطفة ، تغلو فى التعصب وتفرط فى الأنانية ، أو تتسامح ، بمقاييس مختلفة تبعاً لرقى نظرة أصحابها ومعتنقيها بالنسبة للإنسانية . فالقومية فى نظر الشعوب الغربية عاطفة نبيلة ، ولكنها فى الواقع ضيقة ، شرسة ، متعصبة ، بل مفرطة فى التعصب وبالتالى مغلقة نحو الإنسانية . ولا أدل على ذلك من شيوع روح الاحتقار الشديد بين مختلف القوميات الغربية بعضها تجاه البعض الآخر . على ما بينها من الروابط العديدة . الأمر الذى يسمح لنا بأن نقرر أن روح النظرية الألمانية المتهمة بأنها وحدها ذات طابع ذاتى عميق ، اتهام مغالى فيه ؛ إذ يجب أن ينسحب هذا الوصف على هذه القوميات جميعاً وإن كان بنسب متفاوتة فى العمق والشراسة . والتاريخ السياسى الغربى أكبر شاهد على ذلك ؛ لأنه غارق فى الدم .

أما القومية العربية ، فعلى الرغم من الخلاف على إدخال الدين بين عناصرها ، فإن روحها إنسانيه . أى أنها فى مجال دفاعها عن كيانها ، لا تحتقر القوميات الأخرى ، ولا تهاجمها ولا تسعى لتدميرها كما تفعل القوميات الغربيه ، كلما آنست فى نفسها القوة . والآية الكريمه التى صدرنا بها هذا المقال تعبر أحسن تعبير عن روح القوميه العربيه .

وأعتقد جازما ، أنه لقوة تغلغل روح العنصرية فى القوميات الغربية ، لم تستطع روح الدين المسيحى الصحيحة على سماحتها ، أن تؤثر فى هذه القوميات لتجعلها أقرب إلى الإنسانية . بل إننا نلاحظ بتأكيد أن روح المسيحية السمح لم يقو على تلطيف روح العصبية الجنسية فى هذه القوميات . خذ مثلا المسيحيين الملونين فإنهم اضطروا لبناء كنائس خاصة بهم لمنعهم من دخول الكنائس الخاصة بالبيض ! بقطع النظر عن منعهم من غشيان الأماكن العامة كالمدارس والمطاعم والفنادق حتى بقوة القانون فى بعض الولايات المتحدة . وبعبارة أخرى أن الروح اللا إنسانى الذى يقود القوميات الغربية هو المسئول عن إفساد روح الدين المسيحى .

أما القومية العربية فعلى خلاف ذلك . تكمن فيها الروح الإنسانية حتى لتظهر بوضوح فى أعمال العرب وتصرفاتهم عبر التاريخ . وهى تدل فيما تدل على أن الإنسانية طبيعة من طبائعهم . فلما أكرمهم الله برسالة الإسلام ، كانت هذه الرسالة ملائمة لطبائعهم ، فزادت إنسانيتهم رسوخاً وعمقا . ولما فتحوا الأمصار ظهر ذلك وكأنه نفحة جديدة من نفحات الدين الجديد . لقد حفظوا لكل إنسان من حيث هو إنسان ، كرامته ، فلم ينهبوا رزقه ولا حاربوا لغته ، ولا حاولوا

أن يدمروا قوميته ، بل تركوه وشأنه ليعيش حراً ، له مالهم وعليه ما عليهم . بل استعانوا به إن كان من أصحاب الصناعة وأهل العلم ، موفور الأجر ، موسع المكافأة ، شريف المنزلة ، لأن دستورهم (لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى) .

يقول (متز Mitz) (١) : « من الأمور التى نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين فى الدولة الإسلامية . حتى لكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين فى بلاد الإسلام . والشكوى من تحكيم أهل الذمة فى أشياء المسلمين وأموالهم ، شكوى قديمة » .

ولهذا نقول للذين يتخوفون من استيقاظ القومية العربية وتفتحها فى هذا العصر : لاتقرنوا روح القومية العربية بروح القوميات الغربية ، ولو قامت هذه القوميات على عناصر وأركان واحدة أو متقاربة ، لأن العبرة فى الروح التى تسير هذه القوميات ، لا فى تشابه الركائز التى ترتكز عليها .

لقد اتهم الدين فى الغرب بأنه سبب التعصب الذميم الذى يفرق بين أبناء الوطن الواحد ، بل بين أبناء الطوائف المسيحية نفسها ، بين الكاثوليك وبين الأرثوذكس وسائر الطوائف ، فعمدوا إلى إسقاطه من العناصر التى تكون القومية . ولكن بقى هذا التعصب طابع القومية الغربية . فما معنى هذا ؟

الحقيقة أن المسيحية ديانه سمحة ، كالديانة الإسلامية ، والتعصب ليس فى المسيحية ، ولكنه فى الرسوبات الوثنية التى عمقها التراث اليونانى القديم خلال عصر النهضة الأوروبية ، ولهذا فإن إغفال الغربيين لعنصر الدين من أغلب تعاريف القومية ، لم يأت بما كان يقدر له من زوال التعصب أو تخفيف حدته ؛ لأن حقيقة الروح التى تسير القوميات فى الغرب ناشئة عن العنصرية المتغلغلة فى أعماق النفوس وليست منعكسة عن المسيحية الصحيحة .

يقول بعض أحرار الفكر من الغربيين : إن المسيحية ديانة لم تلائم الشعوب الغربية . وهذا صحيح ؛ لأنها ديانه شرقية سامية . والتفسير العلمى لهذا التقرير ، هو أن المسيحية كالإسلام ديانة إنسانية وروحها ثقافى العنصرية ، ولما كان طابع الروح الغربية مغلقاً ، أى عاكفا على نفسه غير متفتح نحو الغير وغير متسامح ، لم يستطع روح المسيحية أن يؤثر فيه إلا تأثيراً ضئيلا جداً لا يعتد به .

وحكاية ذلك ، أن اليونانيين القدماء ، والذين يعتبرهم الغرب آباء لتراثهم الروحى ، كانوا يحسبون أنفسهم الشعب المختار ، وماعداهم من الشعوب برابرة ؛ حتى كان فيلسوفهم الكبير

---

(١) متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى . ص ٦٧

أرسطو يقول باطمئنان ظاهر : الحمد لله الذى خلقنى يونانياً لا بربريا ، ورجلا لا امرأة !

هؤلاء اليونان كانوا يقدسون المدنية وهى كل وطنهم (١) ، فنشأت عندهم حقوق المواطن وكذلك كان شأن الرومان ، أخذوا بهذه النظرية. وعنهم اقتبس الغربيون تعبير (الوطن الأم وحقوقه) فعمقت أحاسيس الوطنية الإقليمية الضيقة والعصبية المفرطة ، حتى طبعت القوميات الغربية بطابعها ، فلا تقع على أى تسامح منها نحو القوميات الأخرى. بل نجد على الدوام أن طابع هذه القوميات يفيض بالمظاهر اللا إنسانية .

ومثل هذه الأحاسيس الشديدة الضيق ، لا تجد لها مقابلا فى النفسية العربيه : لأن الصحراء ، وحياة الصحراء ، والتجوال فى ذلك المحيط الفسيح الذى ليست له حدود ولا أبواب ولا حرس ولا موانع ولاسدود كل ذلك جعل العربى لا يفهم أى حد لحريته ولا أى أفق لعقله يقف دونه . فهو لا يستطيع أن يسهم بأية حدود فى الأرض لقومه أو لقوم آخرين . كما لا يستطيع أن يسلم بأية موانع تقف دون تعامله مع أى صنف من أصناف البشر . فقد ضرب فى البر والبحر طويلا ، واتصل بكافة الأمم القريبة منه والبعيدة ، وأخذ وأعطى مع كل هذه الأمم ولكنه لم يجد ما يوجب أن يقوم أى حد أو مانع بينه وبين هذه الأقوام . بشر واحد من نسل واحد تباينت لغاتهم وجلودهم وسحنهم من هذه العوارض بسبب مساكنهم قياسا على قبائلهم ـ مختلف مساكنهم فى أطراف جزيرتهم .

وبهذه العقلية البسيطة التى انعكست عن بيئة العرب وحياتهم سواء فى الجزيرة أو فيما وراء الجزيرة ، نبتت شجرة الإنسانية فى نفوسهم ، فلم يستسيغوا الحدود المصطنعة ولا الفضاء المغلق ، وتعلقوا بفضائل النفس الكريمة ، ومجدوا القيم الأخلاقية الرفيعة ، حتى جاء رسول من أنفسهم يلخص رسالته بتواضع إنسانى بليغ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

ولو لم يكن العرب عند ظهور الإسلام أمة مطبوعة على كثير من فضائل النفس ومنها سعة الصدر وسماحة الخلق وكرم الطبع ، لما استطاع المؤرخ البصير أن يفهم كيف تسنى لهؤلاء الجياع العراة الضاربين فى جزيرتهم بين فلوات الرمال المحرقة ، أن يستقبلوا الشريعة الإسلامية بمثل ما استقبلوها به من حرارة الإيمان والنهوض بما أمرت به ، خصوصا من اعتبار شعوب الأرض كافة (خلق الله وعياله) وأن العمل الصالح هو الذى يميز بعضهم عن بعض . لا اللغة ولا الأرض ولا الجلود والسحن .

[١] وكذلك كان العالم القديم قائما على المدنية .

لهذه الأسباب لا يمكن أن تكتسب القومية العربية صفة الضيق ولا صفة التعصب على ما تعرف فى القوميات الغربية .

لو أن الروح العربية كانت روحا متعصبة لفرضت باسم الإسلام على الشعوب التى دخلت الإسلام من غير المتكلمين بالعربية أن تهجر لغاتها ، وتتخذ العربية لغة رسمية . ولكن الواقع يدل على أن الروح العربية كانت إنسانية متسامحه ، حيث اكتفت من المسلمين غير العرب أن يفهموا رسالة الإسلام سواء بتعلم العربية بأنفسهم أو عن طريق الذين يتعلمونها من إخوانهم . وبعبارة فقهية : إن تعلم العربية قد اعتبر فرض كفاية لا فرض عين ، وهذا على ما نعلم سبب قول أبى حنيفة أكبر أئمة المسلمين بجواز الصلاة بغير العربية .

ونستطيع أن نقرر هنا أن القومية العربية ما دامت متسامحه ، فقد زاد الإسلام كدين فى تسامحها ومكن لهذا التسامح فى قرارة النفس العربية ، فبدا تاريخ العرب فى ظل الإسلام سواء فى السلم أو فى الحرب مثالا بارزاً من التسامح القومى والدينى على السواء ، وذلك للتعاون الوثيق والتلاقى الصحيح الذى وقع بين روح القومية العربية وتعاليم الإسلام .

أما المسيحية المعروفة بتسامحها ، فكانت أقل حظاً من الإسلام ، فلم تستطع التلاقى مع روح القومية الغربيه المتعصب ، فغلبت على أمرها تجاه صلابة القوميات الغربيه وشراستها واضطرت أن تسير فى ركائبها أينما سارت ؛ بل زادت على ذلك أحيانا فأضفى رجالها على مذابح هذه القوميات المتطاحنه القداسه المسيحيه ، ولم تكتف بذلك ، بل قامت هى نفسها بزعامة أكليروس الكنيسة بمذابح دينية محضه اتسمت بكثير من القسوة والضراوة .

وإنى لأقرر وأنا مرتاح الضمير ، أن مبعث هذه المذابح التى أغرقت أرض أوربا بسيول من الدماء وعصفت بأرواح آلاف الآلاف من الضحايا البريئه هو التعصب الكامن فى روح القوميات الغربيه لافى روح المسيحيه .

إن رجل الدين المسيحى الذى ينساق إلى التحريض على هذه المذابح ينسى تماماً تعاليم المسيحية الصحيحة ، ولا يفسر عمله هذا إلا بأن رواسب القومية الغربية أقوى فى نفسه من أن تلاشيها هذه التعاليم . إن مقارنة بسيطه بين مسلك أكليروس الشرق وأكليروس الغرب يكشف السر الذى نحن بصدده !

ما موقف الإسلام من القومية العربية ؟

إن اللغة — كما أوضحنا — أعظم مقومات القومية ، ومع ذلك فإن العرب لم يحاولوا أن

يدمروا لغات الشعوب التى دخلت تحت سلطانهم أودخلت فى الإسلام ، ولو أرادوا لما أعجزهم خلق المبررات والوسائل عن طريق فرض اللغة العربية بأمر سماوى أو باسم الدين كما تضل القوميات الغربية متذرعة بشتى الذرائع .

ولا أدل على تسامح القومية العربية من محافظة الفرس الإيرانيين على لغتهم إلى اليوم ، على الرغم من دخولهم الإسلام فى وقت مبكر جدا واشتراكهم فى الحكم طول أيام العباسيين .

ناهيك عن الشعوب الأخرى التى دخلت الإسلام وحافظت على لغاتها دون أن تلقى أيما حرج فى الاستمساك بلغاتها إلى اليوم .

ولو كانت القومية العربية حقيقة متعصبة ، أو لا انسانية ، كالقوميات الغربية ، لذابت تلك اللغات أمام حرارة الدين .

ولكن القومية العربية - كما قلنا وكما نؤكد متسامحة إلى أبعد الحدود مع اللغات الأخرى حتى كان بعض الخلفاء يتعلمون بعضها ويتداولون بعض صيغها فى كلامهم ؛ وحتى أن الأمويين المتهمين بالعصبية لقوميتهم أكثر من غيرهم ، لم يعربوا دواوين ما ليتهم سواء فى الشام أو فى العراق أيام الخليفة عبد الملك بن مروان إلا بعد إنذارهم وتوقعهم الأذى من جيرانهم البيزنطيين كما هو معلوم .

ولكى لا نذهب بعيداً فى التدليل على تسامح القومية العربية ، نلفت النظر إلى أن دراسة بعض المستشرقين قد أدت إلى تأكيد هذا التسامح فنجد أن المؤرخ الألمانى كريمه Kremer يقول : أن فضيلة التسامح لم تكن خاصة بالخلفاء والرؤساء وحدهم ، بل كانت سارية فى الشعب عامة . وقد عرض لتحليل طبيعة هذا التسامح وتعرف أسبابه فنفى نفياً قاطعاً أن تكون له بواعث سياسيه ، وأن يكون هدفه فى نظر أولى الأمر المسلمين هو تسكين قلوب الرعايا غير المسلمين حتى لا يثور على الحكم ... وحتى ليقول أن هذا التسامح لم يقتصر على عصر المسلمين القدامى فحسب ، بل شمل سائر العصور . . . وينتهى فى تحليله إلى هذه النتيجة : وهى أن المسلم يفصل فصلا تاماً بين العقيدة ، التى يحترم حريتها عند الآخرين ، وبين المصالح الدنيوية التى تعتمد الكفاية والأمانه ، والتى لا تميز بين دين ودين فى سبيل التعاون . (١)

وقد أيد هذه النتيجة المؤرخ الفرنسى غوتيه (Gautier) (٢) حين قارن بين التسامح

---

(١) الدكتور عبد الله دراز فى مقال « حضارة الإسلام وأثرها فى الحضارة الحديثة » فى العدد الرابع ابريل ١٩٥٧ من « المجلة » نقلا عن كريمر فى كتابه : « حضارة الشرق فى عهد الخلفاء » .

Kulturg eschi chti des Orients unter den Chelifeu.

(٢) أخلاق المسلمين وعاداتهم

Onocuss A cantume des musl.

الديني عند العرب وبين ماعرف عن التسامح الديني عند مسيحي الغرب فقال ... لم يفكر العرب ولا المسلمون يوماً ما ، حتى في أشد أوقات حميتهم الدينية أن يطفئوا بالدم ديناً منافساً لدينهم ... أنه مهما تكن الأسباب والبواعث على هذا التسامح الديني عند المسلمين، فإنها فضيلة تستحق كل إعجاب وتقدير . . . وإنه لمن الخطأ في القياس أن نقارن بين هذه الفضيلة عندهم وبين مانسميه نحن أحياناً بالتسامح الديني عندنا ، فإن هذا التسامح المزعوم ليس له أدنى قيمة خلقية ، بل ليس له وجود حقيقي ، لأنه يقوم على أساس التحلل الديني وعدم المبالاة بشؤون العقيدة ، فلكي نقبل وجود ديانة أخرى في بلادنا يجب أن تكون ديانتنا قد ماتت من قبل في نفوسنا . أما المسلم فإنه يتسامح مع اعتزازه بدينه واستمساكه بعقيدته . أما ما يشاهد عادة في المستعمرات من مقت المسلمين للمسيحيين فرنسيين كانوا أم انكليزاً أم هولانديين فإنما مرده إلى أنهم لايمقتون فينا مسيحيتنا وإنما يمقتون أوربيتنا . فإن أوروبا منذ قرن أو يزيد أصبحت خطراً يهدد سلام الكرة الأرضية ، فالأوروبي عندهم رمز للتدخل الذي يجرح كبرياءهم ويحطم استقلالهم ويفسد أسلوب معيشتهم ـ أما عقائدنا الدينية وآراؤنا الفلسفية ، المخـــالفة لعقائدهم وآرائهم .

فإن أمرها كان يهون عليهم لو بقيت محصورة في دائرة الاختلاف النظري » .

لهذا فإن الجواب الطبيعي للسؤال الذي وضعناه آنفاً وطال انتظاره ، هو أن الإسلام لا ينافي مبدأ القومية العربية ، فضلا عن القوميات الأخرى إذا برئت من التعصب الجنسي .

إن ظهور القومية العربية في هذا العصر ، عصر القوميات ليس له إلا تفسير واحد ، هو المحافظة على كيان الأمة العربية (الماثل جملة في لغتها) بعد أن فرقتها الأحداث ، وأصبحت هدفا للتخريب والتدمير الكاملين . وفي سبيل هذه المحافظة إنقاذ لتراث الإسلام الذي تحتضنه هذه القومية وتسأل عنه وحدها أمام العالم الإسلامي بلغاته المختلفة .

لو أن الشعوب المسلمة غير العربية تستطيع أن تحفظ على اللغة العربية كيانها من دون العرب ، لما كان للعرب حاجة في الدفاع عن هذه القومية اليوم . ولكن ما العمل ؟ إن التخريب والتدمير الذي تستهدف له القومية العربية بات حقيقة واضحة . وقد كشفت عنه أحداث العالم اليوم ، إذ وضحت بشكل بارز النـــوايا الخبيثة المستترة وراء مشاريع الديبلوماسية الغربية التي كانت تصاغ منذ الحروب الصليبية بقصد تطويق العالم الإسلامي وتدميره . فلما بدأ مفهوم القومية العربية

فى الظهور جلياً ، وجدنا بيننا سواء من المخدوعين أو من المأجورين من يقول : السوريون ليسوا عربا بل فينيقيون ودعوا للفينيقية . ثم وجدنا من هؤلاء سواء كان مخدوعا أو مأجوراً من يقول : إن المصريين ليسوا عربا بل فراعنة ودعوا للفرعونية مع أن الفينيقية والفرعونية لا أثر لهما اليوم فى عالم الحياة ! كل ذلك بقصد هدم اللغة العربيه ؛ حتى لا تكون ذلك الحبل المتين الذى يشد هذه الشعوب إلى بعضها بعضا .

ولم يكتفوا بذلك ، فقام من هؤلاء من يقول : إن اللغة العربية ، لغة صعبة ، وقاصرة عن أن تفى بحاجة العصر ، لأنها لغة الخواص والملوك وليست لغة الشعب ! ودعوا لاتخاذ اللغة العامية لغة رسمية ، بقصد تدمير العربية الفصحى ، لتحل محلها اللهجات العامية المحلية . فلا يعود السورى يفهم العراقى ولا المصرى ولا الحجازى ولا اليمنى ولا التونسى ولا الجزائرى ولا المراكشى وبالعكس بل لا يمكن لسكان القطر الواحد من هذه الأقطار أن يتفاهموا لوجود خلافات فى هذه اللهجات العامية بين شمال وجنوب ! كما حدث فى أوروبا يوم خلت هذه اللهجات العامية المحليه محل اللغتين اللاتينية والجرمانية فنشأت عنهما الفرنسية والإيطالية والألمانية والإنكليزية والإسبانية والهولاندية و... الخ حتى غدت هذه اللهجات قوميات مختلفة تتخاصم وتتعادى ويدمر بعضها بعضا .

هكذا يريدون من وراء إقناعنا باتخاذ اللهجات العامية لغات شعبية محلية ، لتصبح أقطار بلاد العرب قوميات مستقلة ، قومية سورية وقومية عراقيـة وقومية مصرية وقومية حجازية وقومية يمنية وقومية تونسية وقومية جزائرية وقومية مراكشية و . . . . الخ وهذه تنقسم إلى قوميات أخرى ، شمالية وجنوبية أو غربية وشرقية ويدسون أنوفهم على عادتهم فتتعادى هذه القوميات وتتخاصم ويستغل الأجنبى المستعمر هذا الوضع وتتمزق القومية العربية التى تشدها العربية العظمى .

لقد هالتهم يقظة القومية العربية ، فقاموا ينشرون الشبهات اللغوية للقضاء على العربية الفصحى ، عن طريق الترويج للهجات العامية المحلية الكثيرة العدد حتى ألف أحدهم كتاباً عنوانه (فى مثلوها لكتاب ؟) .

وإذ رأوا أن نشر اللهجات العامية على فرض الأخذ به ، لا يمكن أن يفى بتدمير القومية العربية ، فكمدوا إلى هذا الحرف العربى الجميل فأرادوا تدميره أيضاً .

فى عام ١٩٢٨ على ما أذكر ، زار المستشرقان الفرنسيان المعروفان بنيار وماسينيون الجامعة السورية ، وكان مما بشرا به واقترحاه فى هذه

الزيارة أن يحذوا العرب حذو جارتهم تركيا بإلغاء الحروف العربية واقتباس الأحرف اللاتينية ، وأذكر أن الأستاذ فارس الخورى رد عليهما بمقال طويل نشرته إحدى الجرائد السيارة ضمنه تفنيداً علمياً ، لهذه النصيحة الجريئة وغمز نواياهما الخبيثة بإيراد البيت الآتى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وإلى اليوم مازال هذا المشروع حياً كغيره من مشاريع الاستعمار ، يلحون به ليجدوا منفذاً فى النفوس العربية ، حتى انتقل التبشير بهذه المشاريع الهدامة تحت ستار العلم من المستشرقين إلى أبناء العرب الذين لديهم استعداد لترويج مثل هذه المشاريع المخزية . فقال أحد هؤلاء (١) : « لن نستطيع أن نكون أمة علمية ، لنا مصانع ولنا كتب ولنا لغة علمية ، إلا إذا ألفنا هذه الكتب بالحروف اللاتينية ، وليس بالحروف العربية ! ذلك لأن العلوم الآن لاتينية ، تصنع كلماتها أى أفكارها لأن الكلمات أفكار ـ من مقاطع لاتينية تفهم عند النظرة الأولى . وهى حين تخرجها بالحروف العربية لا تفهم . » !

[١] سلامه موسى . مجلة العلوم . بيروت عدد كانون الثانى ١٩٥٧ .

ليس هنا مجال الرد على مثل هذا التقرير الفاضح ، لأن صاحبه فقد منطقه ، كما فقد كرامته بتقرير مثل هذا الهذيان !

وتحت ستار تيسير العلم وتيسير العربية قام آخر (١) فقال فى كتاب خصصه للدعاوة لاتخاذ لهجة عربية عامية مكتوبة بأحرف لاتينية متسائلا : ولكن ماذا سيحل بالتراث العربى القديم ؟ فأجاب : إن هذا أخطر ما تجابهه أمة تحاول أن تحل لغتها العامية محل لغتها الفصحى . وقد جابه غيرنا هذا السؤال . ولكن الحياة أجابت عنه : ماله قيمة بقائية يبق ، وما هو حرى بالخلود يخلد ، وما فيه فكر وعاطفة يعيش مادام هناك فكر وعاطفة ولك أن تعكس فتقول ما ليس له قيمة يموت هذه سنة الحياة » .

ثم قال « ولكن للناس أن يسألوا : وماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ وأجاب ان القرآن الكريم (٢) ، سيبقى على

[١] الدكتور أنيس فريحة أستاذ اللغات السامية فى جامعة بيروت الأمريكية . نحو عربية ميسرة مطابع الوطن فى بيروت ١٩٥٥ ص ١٩٧ ـ ٢٠٠

(٢) كلمة حق أريد بها باطل . لأن الخلود الذى يقصده الكاتب هو أن تبقى نسخة القرآن العربية للمتحف ليس إلا . كما حدث لنسخة التوراة الإنجليزية التى يشير إليها . إذ ما الفائدة منها إذا تغيرت لغة الناس وأحرفهم ! .

ما هو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هـذه الكتب المقدسة . فقد حافظت على روعتها وجلالها ومقامها الديني ! هاك لغة التوارة الإنكليزية المعروفة بترجمة الملك جايمس ، فإنها على قدمها تعتبر في الإنكليزية إلى جانب مقامها الديني ، قطعة أدبية رائعة ، لها أثر بعيد الغور في الأدب الإنكليزي على مدى الأجيال . ولكنها (لغة التوراة الإنكليزية) لغة تخالف لغة الناس !

ثم قال : « وقل مثل هذا في لغة شكسبير ، فإنها حافظت على كيانها ومقامها ، وفي لندن اليوم مرت شهور يعرف oed vie لا يمثل فيه إلا روايات شكسبير بلغتها القديمة ، وبشعرها القديم وتعابيرها القديمة ، وإنك إذا قست هذه اللغة بلغة جرائد لندن أو إذا قستها بلغة الشارع في أكسفورد أو كمبريدج وجدت فروقاً شاسعة ، وها هي الكنيسة الكاثوليكية فإنها تعتبر الترجمه اللاتينية للتوراة لغة الكنيسة الرسمية ولا يكون القداس إلا باللغة اللاتينية ! وقل مثل هـذا في الكنيسة الأرثوذكية التي حافظت على اللغة اليونانية التقليدية ، والكنيسة المارونية التي احتفظت باللغة السريانية ، والكنيسة المسيحية الحبشية التي احتفظت باللغة السامية القديمة المعروفة بلغة الجفر .

ثم يوضح « إن الفارق بين هذه الكنائس التي احتفظت بلغاتها القديمة وبين الإسلام عظيم جداً وذلك لأن العامية المحكية لا تختلف عن لغة القرآن الكريم اختلاف السريانية عن العربية أو الإغريقية أو عن العربيه اللاتينية عن الفرنسية فلن تكون لغة القرآن الكريم غريبة [١] على إفهام الناس ، وسيظل الناس (٢) يتعلونه ويحفظونه غيباً ويدرسون حرفه ونحوه وسحر بيانه كما يفعلون اليوم . وسيظلون يقرأونه ويستظهرونه تبركا ويشعرون وهم يرتلونه أنهم يرفعون قلوبهم إلى الله بالصلاة !

ثم أضاف « هذا فيما يتعلق بالمستقبل القريب ، ولكن ماذا سيحدث في المستقبل البعيد ، بعد مئات من السنين ؟ هنا ندخل في نطاق الحدس والتخمين، ولكن يتراءى لي أن في ذلك الزمن البعيد لن تكون الحياة الروحية وقفاً على الكلمة ولفظ وشكل الكتابة ، بل تكون الروح الإنسانية قد انعتقت من الحرفية وخرجت إلى آفاق روحية مستمدة من روح الدين والفلسفة والفن الموسيقى . سيكون التوكيد على الحياة الفضلى ،

[١] كيف لا تكون غريبة ولغة القارئ وقتئذ عامية وبأحرف لاتينية ، ولغة القرآن عربية فصيحة وأحرفها عربية ! ولكنه التضليل والافتراء

[٢] يقصد المتخصصين ، كما يجرى الأمر في الكنائس ، يقرأ القسيس الكتاب المقدس بلغة لا يفهمها المؤمنون الحضور !

على الحياة القائمة على حسن المعاملة ، على المحبة ، على الإخاء . عندها يكون للناس الحرية أن ينظروا إلى الدين من خلال نظاراتهم ، لا من خلال نظاراتنا نحن ! .

وفى الختام يقول « إن أغرب ما فى طبع الإنسان من الأنانية والحرص هو شعوره أنه خالد لن يموت ، وشعوره بأن أفكاره وعقائده ومثله وأسلوبه فى العيش يجب أن تفرض على ذريته بالشكل الذى يريده ويألفه إلى ما شاء الله ، ولكنه الوهم بعينه ، نحن زائلون والحياة للأجيال القادمة ، وليس لنا أن نفرض عليهم ، وإن فرضنا فإنهم لن يعيروا أفكارنا أقل انتباه . وهذا ما نلحظه بين جيل وجيل . ألا تحرص أن تفرض على ابنك عقائدك وعاداتك ومقاييسك وذوقك ونظرك إلى الحياة ؟ ولكن كيف ينظر ابنك إلى هذه العقائد والمقاييس ؟ قد يسايرك بعض الطريق ، ولكنه فى قرارة نفسه يضحك من حرصك هذا ويسير فى طريقه الخاص وهذا هو سبب كل خصومة بين القديم والحديث ، » . !

لقد أطلت النقل حتى أشفى نفوس القراء عما يخبئه لهم القدر ، لو طبقت مقاصد وأحلام هذا المدرس فى إحـــدى جامعات الشرق الغربى وأمثاله ، ممن يروجون المشاريع الاستعمارية لهدم القومية العربية تحت ستار العلم .

ولا أريد أن أرد الآن على هـذا الـكلام الطويل الخبيث ، فلعل إليه رجعة . ولكن لابد بأن أقول : إنه مشروع كامل ، يكفى وحده ـ لو قنع به العرب ـ لأن يدمر قوميتهم ، وبالتالى ، لأن يدمر كل ما بناه الإسلام .

لذلك ، فإنى إذ أحذر أبناء العرب مرة ، أحذر المسلمين ألف مرة ، أن يدخل فى روعهم لحظة واحدة ، أن القومية العربية ، منافية للعقيدة الدينية فى الإسلام ؛ بل هى السياج العملى الوحيد الذى سيقى هذه العقيدة ، ويحفظها من كل ما يراد بها من شر وتخريب وتدمير .

لأن القومية العربية ، لا تدعوا إلى عصبية جنسية ، بل تدعو للمحافظة على كيان العرب الذى يتمثل أول ما يتمثل فى أرضهم ، وفى لغتهم وفى كتابهم (القرآن) كى يبقى صالحاً لقراءة عامتهم وخاصتهم على السواء ، لا للمتخصصين منهم ، كما يريد المتآمرون عليهم ؟

دمشق محمود المبايبرى

مكانة العلم ومنهاجه ومجالاته فى القرآن

للدكتور السيد على السيد
رئيس مجلس الدولة

فى هذا الزمان ، الذى أخذت تدب فيه أفاعى الإلحاد ، لتنفث سمومها فى الكيان العربى ، يكون لزاما على كل مؤمن يدين بالإسلام ، أن يجلى مزايا هذا النظام الكامل الذى ارتضاه الله للبشر كافة فى دينهم ودنياهم ، وأن يكشف عن إعجاز القرآن وهو معجزة الإسلام الخالدة ، فى مختلف تلك الشئون . وفى هذا السبيل ، سبيل الله ، أتقدم بهذا البحث للمؤمنين والملحدين على السواء ؛ ليزداد المؤمنون إيمانا ، وعسى أن يرجع الملحدون إلى الله .

١ — مكانة العلم والعلماء فى القرآن

كان فى تقدير الحكيم العليم أن تكون الأرض مستقرا للإنسان ، يستخلفه عليها فى أولاه ، ومستودعا يغادرها بعد حين إلى أخراه .

قال تعالى : « ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين » ٣٦ البقرة « وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع » ٩٨ الأنعام . « وإن الآخـــرة هى دار القرار » ٣٩ غافر .

فالإنسان مستصلح للدارين : أوجده الله فى الأولى ليؤدى مهمة ، فاستخلفه على الأرض ليعمرها ، وابتلاه فى هذا الاستخلاف ليستصلحه للدار الآخرة .

قال تعالى : « وإذا قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » البقرة . وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » الأنعام /. ١٦٥

هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا » (٣٩) فاطر . « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » (٧) الكهف . « تبارك الذى بيده الملك وهو

على كل شيء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » الملك .

والإبتلاء فى هذا الاستخلاف هو خير وسيلة لأشرف غاية ، ذلك أن كفاح الإنسان فى الحياة هو بوتقة التجربة والمتاساة ، تتصارع فى نفسه خلالها نوازع الخير والشر ، وفى هذا الصراع تكتمل للشخصية الإنسانية ذاتيتها المستقلة ، فالنفس التى تتعرض لشتى مشكلات الحياة فتعالجها بما ينبغى لها من حلول على هدى المثل العليا وأحكام الدين ، والتى تقاسى الألم والمرض والأسى ، فتصبر وتثبت وتطمئن وتسكن إنما تتعلم وتتطهر وتتدرج فى طريق السمو الروحى ، فتخرج من التجربة إن اجتازتها بنجاح ، أكثر علما وأوسع آفاقا وأزكى عنصرا ، وأطهر معدنا ، على عكس النفس الغافلة المترفة الجزوع المتردية فى الجهالة والضلالة .

وهذا الناموس الإلهى ، ناموس الاستخلاف فى الدنيا ، ثم الجزاء على قدر العمل فى الآخرة إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، هو الميزان الحق الذى به يستقيم الأمر فى الدنيا دار الاستخلاف والفناء ، والذى به تستكمل الشخصية الإنسانية ذاتيتها وتتأهل للرتبة التى تستحقها فى الآخرة دار الجزاء والبقاء . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ٨٦ ، الزلزلة) .

وتأمل فى قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون . من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم . ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين . والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون » ٢ - ٧ العنكبوت . وفى قوله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون » ٨٣ - ٨٤ القصص .

* * *

وكان من رحمة الله بالناس أن هداهم بالفطرة السليمة التى ركزها فيهم وبالرسل من حين إلى حين كلما انطمست فيهم البصيرة ، ليرجعوا إلى عبادة الله . قال تعالى : « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » الشمس .

وقال تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا » الإنسان . وقال تعالى : « وهديناه النجدين » البلد . وقال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » الحديد .

وتتابعت الرسالات وسايرت التطور فى البشرية ، فكان الرسول يبعث إلى قومه يختصهم بدعوته « لقد أرسلنا نوحا إلى قومه » . « وإلى عاد أخاهم هودا » . « وإلى ثمود أخاهم صالحا » « وإلى مدين أخاهم شعيبا » . وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه » العنكبوت . « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه » الأعراف . « وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم » الصف .

* * *

ولما تطورت البشرية فى بوتقة الصقل والإعداد فبلغت الدرجة التى تؤهلها لاستقبال النظام الكامل الذى ينتظم شئون الدين والدنيا معا ، بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام هدى ورحمة للعالمين . « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ١٠٧ الأنبياء . « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » ١٥٨ الأعراف . « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » ٢٨ الفتح ، ٩ الصف ، ٣٣ التوبة دين يرد الناس إلى حظيرة التوحيد بعد أن اختلت العقيدة ، وحرف الناس الرسالة أو عبدوا الرسول . « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » الإخلاص .

دين يؤكد الإخوة البشرية، ويحقق الكرامة الآدمية ، ويحطم التميز العنصرى فلا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، الحجرات دين يجمع بين القوة والسلام ، والعلم والعمل ، والدنيا والدين .

دين يصلح للبشر كافة فى معاشهم ومعادهم دين يقول عنه الدكتور نظمى لوقا المسيحى فى كتابه (محمد الرسالة والرسول) .

لقد تمت فكرة التوحيد ، وتم خطاب العقل ، وتم البلاغ إلى الناس كافة أحمرهم وأسودهم وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه وبدنياه ، وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونها على ذلك حسبما يستجد لهم من الأمور ، فكل رسالة بعد ذلك قول معاد ، ليس فيه جديد يستفاد ،

وبسبب من طبيعة الرسالة ، ومن الحاجة الطبيعية للناس إليها ، كان من الطبيعى أن يكون هذا الرسول خاتم الرسل ، لأن رسالته كانت خاتم الرسالات ،، .

قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا » ٣ — (المائدة)

وكان من الطبيعى ألا يحتكم هذا الدين الخالد إلا إلى العقل والمنطق والعلم ، لإثبات صدق الرسالة ، وتحقيق أهدافها ؛ ولا يعتمد على خوارق الطبيعة من المعجزات ، كما كان الحال بالنسبة إلى ما سبق من رسالات وذلك من وجهين : أن العلم نور يهدى للإيمان ، ثم يثبته ويقويه ، وهو قوة فى الحياة التى هى للعمران كالأساس من البنيان ، والإسلام كما سلف البيان ، نظام يجمع بين القوة والسلام ، والدنيا والدين .

والعلم يخدم تلك الأغراض جميعاً بقوة ، ومن هنا كانت مكانة العلم والعلماء فى نظر القرآن ، فحفل بالآيات التى تعلى من شأنهم .

قال تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٩ - الزمر) . « وما يعقلها إلا العالمون » (٤٣ - العنكبوت) . « قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » (٤٣ - الرعد) . « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك » (١٦٢ - النساء) . « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٢٨ فاطر) . « إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا » (١٠٧ - الإسراء) . وليعلم الذين أوتوا العلم « أنه الحق من ربك فيؤمنوا به » (٦٤ - الحج) . « ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد » (٦ - سبأ) . « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » (٤٩ - العنكبوت) . « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (١١ - المجادلة) . « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » (١١٨ - آل عمران) . « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » (الفلق) . « وقل ربى زدنى علماً » (١١٤ - طه) .

* * *

وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : [١] فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى . [٢] طلب العلم فريضة على كل مسلم . [٣] اطلبوا العلم ولو بالصين . [٤] من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطى . [٥] لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها . [٦] لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة . [٧] لا ينبغى لجاهل أن يسكت على جهله ، ولا لعالم أن يسكت على علمه . [٨] من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة . [٩] أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه . [١٠] أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل . [١١] العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم . [١٢] إن الحكمة تزيد الشريف شرفا ، وترفع العبد المملوك حتى يجلس مجالس الملوك . [١٣] لكل شىء فترة فمن كانت فترة إلى العلم فقد نجا . [١٤] كونوا علماء صالحين ، فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء ، واسمعوا علما يدلكم على الهدى ويردكم عن الردى . [١٥] إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب . [١٦] استرذل عبداً حظر عله العلم . [١٧] يبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد : ادخل الجنة ، ويقال للعالم : اتئد حتى تشفع للناس .

* * *

بنور العقل والعلم وقف ستراط على عتبة التوحيد ، إذ يقول : « إن كل جزء من أجزاء هذا الكون يتجه نحو غاية ، وتلك الغاية تتجه إلى غاية أعلى منها ، حتى يتم الوصول إلى نهاية مفردة وحيدة ، وليس من الممكن أن يحمل ذلك على المصادفة » .

---

[١] إحياء علوم الدين للغزالى . وانظر بهامشه المغنى للعراقى . [٢] الإحياء وأدب الدنيا والدين للماوردى [٣] الإحياء [٤] البخارى ومسلم عن معاوية [٥] الشيخان عن عبد الله بن مسعود . [٦] الإحياء [٧] الإحياء [٨] الإحياء [٩] الإحياء . [١٠] الإحياء . [١١] الإحياء وأدب الدنيا والدين . [١٢] المصدر السابق . (١٣) أدب الدنيا والدين (١٤) أدب الدنيا والدين . [١٥] المصدر السابق . [١٦] المصدر نفسه . ولا يخفى أن المراد العلم النافع (١٧) المصدر نفسه .

وكان سقراط رجلا عالما يستعمل عقله فى أوسع نطاق ، حتى فى الشك ليصل إلى الحق ، ومع ذلك كان يصغى لصوت غير صوت العقل أسماه الإشارة الإلهية ، ففسر الحياة تفسيراً دينياً ، وقال إنها ليست النهاية ، وفسر الموت وقال إنه دفن للجسد وحده ، أما الروح فلها الخلود ، وآمن بربوبية قادرة تدعو الناس إلى معرفة الحق وفعل الخير .

وانظر إلى الدكتور كرونين ، الذى بدأ ملحدا ثم اهتدى بالعلم ، إذ يقول « إذا تأملنا هذا الكون وأسراره وعجائبه ، ونظامه ودقته ، وضخامته وروعته ، لابد أن نفكر فى الله خالقه . من ذا الذى يتطلع إلى السماء فى ليلة صيف صافية ، ويرى النجوم اللانهائية ، تتألق بعيداً ، ثم لا يؤمن بأن هذا الكون كله ، لا يمكن أن يكون وليد المصادفة العمياء . » ؟

وعالمنا هذا ، وهو يدور فى الفضاء ، فى حركة دقيقة منتظمة ، وفى فصول متتابعة ، لا يمكن أن يكون مجرد كرة من المادة خالية من الدلالة ، ألقيت فى الفضاء بلا معنى وبدون سبب .

أنظر وابحث فى العالم وتتبع سير الحياة ، فإنك ستواجه لغزا غامضاً وسراً عميقاً . إذ لا يمكن أن يكون هذا قد نشأ من العدم ، فلا شىء يخرج من لاشىء .

وانظر إلى لابلاس العالم الفلكى إذ يقول : « إن القدرة التى شكلت الأجرام السماوية وحددت كثافتها ، وأقطارها ومداراتها ، بنظام مستمر إلى الأبد ، لا يمكن أن تنسب إلى المصادفة » .

وانظر إلى أرثر كومبتون ، أحد حائزى جائزة نوبل فى الفيزيقيا للكشوف الذرية إذ يقول : « إنى فى معملى ، لا أعنى بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكنى أصادف كل يوم قوى عاقلة ، تجعلنى أحس إزاءها بأنه يجب على أن أركع احتراما لها » .

وانظر إلى العالم أدنجتون إذ يقول : « إن من وراء هذا الكون عقلا مدبراً حكيما ، هو العقل الأعظم ، وروح سام ، هو الروح الأعظم ، هو الله سبحانه وتعالى » .

وانظر إلى أنيشتين ، أعلم علماء الأرض ، فى الكون وظواهره إذ يقول : « إن أعظم جائشة من جائشات النفس وأجلها ، تلك التى تستشعرها النفس ، عند الوقوف فى روعة أمام هذا الخفاء الكونى ، إن الذى لا تجيش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته هو حى كميت ، إنه خفاء لا تستطيع أن تشق حجبه ، وظلام لا تستطيع أن تطلع فجره ، ومع هذا فتدرك

أن وراءه شيئاً هو الحكمة أحكم ماتكون ، وتحس أن وراءه شيئاً هو الجمال أجمل مايكون ، وهى حكمة ، وهو جمال ، لانستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة ، إلا فى صور لها بدائية وأولية ، وهذا الإدراك للحكمة ، وهذا الإحساس بالجمال فى روعته ، هو جوهر التعبد عند الخلائق » . وإذ يقول : « إن الشعور الدينى ، الذى يستشعره الباحث فى الكون ، هو أقوى حافز على البحث العلمى وأنبل حافز » وإذ يقول : « إن دينى هو إعجابى فى تواضع بتلك الروح السامية، التى لاحد لها . تلك التى تتراءى فى التفاصيل الصغيرة القليلة التى تستطيع إدراكها عقولنا الضعيفة العاجزة ، وهو إيمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا فى هذا الكون المعجز للأفهام . إن هذا الإيمان يؤلف عندى معنى الله » (كتاب مع الله فى السماء للدكتور أحمد زكى) .

وانظر إلى السير جيمس جينز ، العالم الإنجليزى الشهير وهو يبين كيف انحسرت موجة الإلحاد المادى التى طغت فى القرن الماضى فيقول : « أما الآن فالآراء متفقة إلى حد كبير ، فى الجانب الطبيعى من العلم ، يكاد يقرب من الإجماع ، على أن نهر المعرفة بدأ يتجه نحو حقيقة غير مادية وغير آلية ، وقد بدأ الكون يلوح أكثر شبها بفكرة عظيمة ، منه بآلة عظيمة : ولم يعد العقل بعد دخيلا ألقت به المصادفة فى عالم المادة بل بدأ يجول بخاطرنا أن من واجبنا أن نحييه ونعده خالق العالم ، المسيطر عليه ، ولسنا نقصد بهذا العقل ، بطبيعة الحال ، عقولنا الفردية ، بل نعنى ذلك العقل الكلى الذى توجد فيه على شكل فكر ، تلك الذرات التى نشأت منها عقولنا ، وتلك المعرفة الجديدة تضطرنا إلى أن نعدل عن رأينا السابق الفطير ، ونحن واجدون فى الكون دلائل على وجود قوة مدبرة مسيطرة ، يوجد بينها وبين عقولنا الفردية شىء مشترك (الكون الغامض ـ ترجمة وزارة التربية) .

وانظر إلى العالم الأمريكى كريسى موريسون فى كتابه الذى سماه (الإنسان لا يقوم وحده) الذى ترجمه الأستاذ محمود صالح الفلكى بعنوان ـ العلم يدعو للإيمان ، أنظر إليه إذ يدلل من واقع مختلف الحقائق العلمية ، أن الله بارىء الكون وخالق كل شىء ، وإذ يرد بمنطق العلم على جوليان هكسلى المادى الملحد الذى كان قد كتب كتاباً سماه (الإنسان يقوم وحده) فيقول هذا العالم المؤمن فى مقدمة كتابه ـ إن وجود الخالق تدل عليه التنظيمات اللانهائية التى تكون الحياة بدونها مستحيلة . وإن وجود الإنسان على ظهر الأرض والمظاهر الفاخرة لذكائه . إنما هى جزء من برنامج ينفذه بارىء هذا الكون بمشيئته وقدرته

وإن تحطيم الذرة ، التى تعتبر أصغر قالب فى بناء الكون ، إلى مجموعة من الجسيمات هى فى نظامها كنظام المجموعة الشمسية سواء بسواء ، فتتألف من جرم مذنب هو النواه ، والكترونات طائرة تدور فى فلكها ، قد فتح المجال لتبديل النظرية القديمة عن الكون تبديلا جوهريا ، ولم يعد التناسق الميت للذرات الجامدة يربط تصورنا بما هو مادى بل أن المعارف الجديدة ، التى كشف عنها العلم ، لتدل على وجود جبار مدبر وراء ظواهر الطبيعة ، وهذا الضوء يقودنا إلى الاعتراف بوجود عقل أسمى ، ، أى إلى وجود الخالق .

وانظر إليه ، بعد أن عدد فى إيجاز جميل ، كما يقول الدكتور أحمد زكى فى مقدمة الترجمة المشار إليها (هذه الأنساق التى تجمع بين الخلائق جميعا ، بين الحى والحى ، والحى والجامد وعبر الأرض وفى السماء يربط ما بينها وبين الحياة على هذه الأرض ، فالصانع لابد واحد فهما كالمفتاح وقفله اتساقا ، لا يمكن أن يكون قد ابتدعهما إلا عقل مبتدع واحد) .

أنظر إلى هـذا العالم المؤمن بالله إذ يختتم كتابه فيما اختتمه به بقوله : إن كون الإنسان فى كل مكان ، منذ بدأ الخليقة حتى الآن ، قد شعر بحافز يحفزه إلى أن يستنجد بمن هو أسمى منه وأقوى وأعظم ، يدل على أن الدين فطرى فيه ، ويجب أن يقر العلم بذلك ، ويجب أن تأخذنا الروعة والدهشة والإجلال لإجماع البشر فى شتى أنحاء العـــالم على البحث عن الخالق والإيمان بوجوده أو ليست روح الانسان هى التى تشعر باتصالها بالله ؟ . إن وجود هذا الحافز هو برهان على قصد العناية الإلهية . إنها الفطرة السليمة المركوزة فيه، والتى لا تقل شأنا عن عقله العجيب ، هذا العقل الذى يملك قدرات واستعدادات قابلة للنمو والتقدم الذى لا حد له ، إن أى اتحاد مادى للعناصر ما كان يمكن أن يتولد عنه أى رأى أو فكرة البته ، ولكنه القبس الإلهى ، هذا الشىء غير المادى وغير الملموس هـو الذى أنتج ما أنتجه الإنسان من عجائب ، وهو يختلف فى جوهره عن كل ما هو مادى مما صنع منه العالم ، فهو لا يرى ولا يوزن ولا يقاس ، ولكن نشعر به ، وبصلته بالمصدر الأعلى لوجوده إن تقدم الإنسان من الوجهة الخلقية ، وشعوره بالواجب إنما هو أثر من آثار الإيمان بالله ، والاعتقاد بالخلود ، وإن غريزة الدين تكتشف عن روح الإنسان وعن ترقيته ، خطوة خطوة حتى تشعر بالاتصال بالله ، وإن دعاء الإنسان الغريزى لله ، بأن يكون فى عونه هو أمر طبيعى ، وإن أبسط صلاة لتسمو بالإنسان وتقربه من خالقه . إن الوقار والكرم والنبل والفضيلة والإلهام وكل مايسمى بالصفات الإلهية ، لا يمكن أن ينبعث من الإلحاد .

إنها المثل العليا التى بدونها تفلس المدنية ، وينقلب النظام فوضى ويضيع كل ضابط ، ويسود العالم الشر ، فعلينا أن نثبت على إيماننا بالله ، وعلى محبته ، وعلى الأخوة الإنسانية ، فإن ذلك يسمو بنا نحو الله تعالى ، إذ ننفذ بذلك مشيئته ، ونثبت أننا جديرون حقا بعنايته . إن خيرة التقدم تسير بالإنسان سيرا بطيئا ، ولكنه سير مؤكد نحو زيادة الإدراك لما يجب أن تكون عليه علاقاته ببنى جنسه .

ثم انظر إلى المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفه ، فى كتابه « العلم والحياة » إذ يقول عن ارتباط العلم بالدين : « وعندى ان ما وصل إليه الإنسان من العلم ، وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع ، إنما جاء على قدر الإنسان من العلم ، وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع ، إنما جاء على قدر طلبه الحقيقة ، وشغفه بالحق ، كما أن حب الحق ، وحب الخير ، إنما يتفرعان عن حب الجمال ، فالحق والخير جميلان ، ولذلك من أجل الجمال أحببهما جميعا ، ووددت لو استطعت أن أصور للقارئ فيض ذلك الجمال ، الذى يدركه طالب الحقيقة العلمية ، فى ذلك التناسق البديع بين أجزاء الكون ، حتى إن السير جيمس جينز ليصفه بأنه فكرة عظيمة ، أو إن شئت فقل فكرة جميلة ، ومن الخطأ الفاحش ، أن يصور العلم على أنه شىء مادى يعنى بالأجسام والمسافات والأبعاد وما إلى ذلك فقط ، وأن يقال إن العلماء يقفون عند المظاهر المادية العامة . فالعلماء إذ يبحثون عن الحقيقة يسمون بعقولهم إلى المنتهى ، وهم إذ يكشفون عن أسرار الكون ، تمتزج نفوسهم بالحق والجمال » .

ويقول فى موضع آخر من كتابه « إننا إذا نظرنا إلى حقائق الحياة وجدناها تدفعنا دفعاً إلى الإيمان بالقيم الروحية ، بل إن العلم نفسه ليقوم على إحدى القيم الروحية الأساسية . ألا وهى حب الحق والشغف بالحقيقة ، فالعلم إذ ينظر إلى الحياة ، شغوف بأن يصورها تصويراً حقيقيا ، وهو إذ يعمل ذلك ، يقدم للإنسان أجل خدمة . فقد قدمت أن اختلاف الناس فى تصورهم للحياة إلا أن يعروا جميعا باستخلاص صورة حقيقية لها ، وهى الصورة التى يرسمها العلم .

ومن سوء الحظ أن بعض علماء القرن الماضى وفلاسفته ، صوروا الحياة على أنها صراع بين القوى والضعيف ، وتكلموا عن مبدأ بقاء الأصلح ، وقد فهم ذلك على أنه بقاء الأقوى . . . . وهو تصوير مخطىء لا يرتكز على أى أساس علمى ، بل الحياة تتدرج نحو

السمو ونحو النور . وقد حدث فى تاريخ البشرية ، أن تغلبت القوة المادية على المدنية الروحية ، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث عند انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية فى الغرب ، والدولة العباسيه فى الشرق . إلا أن مثل هذه الانتصارات ، إنما كانت انتصارات مؤقته ، ساعد عليها انحطاط رجال الامم المغلوبة ، وابتعادهم عن المثل العليا الروحية . واليوم وقد امتزج العلم بحياة الأمم والأفراد ، قد صار لزاما على رجال العلم أن يرفعوا لواء المثل العليا ، وأن يبتعدوا عن الفلسفة المادية فى جميع صورها وأشكالها ، كما صار لزاما على الشعوب أن يتقبلوا رسالة العلم ، وأن يستعينوا بها على محاربة الشر ، وقد بينت أن الأرض لا تزال رحبة ، تتسع للناس جميعا ، وأن القوى الموجودة على سطحها قوى عظيمه ، فإذا استعان بها الناس على قضاء حوائجهم ، وسخروها لخيرهم ورفاهيتهم ، مستعينين بالعلم وبالروح العلمية كان لنا أن نتظر للبشر مستقبلا يكفل طمأنينتهم وسعادتهم وسموهم » .

وانظر إلى الدكتور أحمد زكى فى كتابه « مع الله فى السماء » إذ يقول « العالم هو أكبر عابد ، لأن العلم هو السبيل لمعرفه الله ، وهو السبيل الأول والأقوم ، وهو آخر سبيل يجوز ان ترتفع إليه ريبة ، وإن المعرفه فى ذاتها عبادة لأن الباحث فى العلم إذا استهدف فى علمه الكشف ، ولو بعض كشف ، فى بعض جوانب الألوهية فهو أكبر عابد ، وأكرم قائم وراكع وساجد . وإن القارىء للعلم يريد به استكناه حقيقته هذا القائم الأعظم على الكون والقائم فيه ، فهو يعبد الله على أسلوب هو فى صفوف العبادات فوق الأساليب ، لأن العقل فيه يتحرك نحو الله عن علم ، ويمتلىء به قلبه عن معرفة ، ويمتزج به قلبا وعقلا ، وجامعهما النور . . . »

ويقول « إن العلم الحديث ولد منذ ثلاثة قرون ، والأضواء التى صبها على نواحى هذا الوجود كانت أضواء شديدة ، كشف بها لأعيننا ، وبالأخص لأفهامنا ، فيما لا تراه العيون الشىء الكثير ، واستعان الانسان بكثير مما كشفه العلم فى مطعمه ، وفى ملبسه ، وفى زرعه ، وصناعته وتجارته ، وفى ريفه وفى حضره ، وفى صحته وفى مرضه ، وفى عمله وفى فراغه من عمله ووضع العلم مدنية عارمة تتضائل إلى جانبها ما مضى بما عرفناه من مدنيات ، ولكنها مدنية مادية ، وما أحرانا بإيمان العالم ، أن نجعلها مدنية روحية . ذلك الأيمان الذى يدرك ما فى الكون من تنظيم وتنسيق ، ومن وراء ذلك عقل منظم ، منسق ، مدبر ، وندرك ان هذا

النظام ، وإن هذا النسق فيه ، يجرى على أسلوب واحد مهما اختلف المواضع من هذا الكون ، فسلم أن العمل المنظم المنسق المدبر فى هذا الكون واحد ، هو الله الأحد الفرد الصمد .

أنظر إلى أقوال هؤلاء العلماء ، من آمن منهم بعد إلحاد ، ومن زاده العلم إيمانا فوق إيمان ، ثم تدبر قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » ٥٣ فصلت . « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون » ٩٣ النمل . « خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون » ٣٧ الأنبياء .

ثم سبح اسم الله وأنت تتلو قوله تعالى : « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون . بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون . ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » ٨٤ — ٩٢ (المؤمنون) . وقوله تعالى : « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هو قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون . بل إدراك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ٦٠ — ٦٦ النمل .

وقوله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق

ولكم الويل مما تصفون . وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون . أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون . وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » ١٦ - ٢٧ الأنبياء .

الإسلام دين القوة والحياة ، يدعو المؤمنين إلى الأخذ بأسبابها ، ومن هنا كانت حكمة الحديث الشريف : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان .[1]

فالإسلام لا يرضى للإنسان أن يسلك مسلك الرهبانية والتبتل ، لما فى ذلك من تعطل يتنافى مع عمران الأرض التى استخلفه عليها ، كما يأبى الإسلام تكالب الإنسان على الجمع لنفسه ، لما فيه من أثرة وطغيان مادى ، وإنما يقيم نظامه على الاعتدال فى القصد بين الدين والدنيا إلى الحد الذى يوفق بين حظوظ الجسد المعتدلة وحظوظ الروح المعتدلة بلا إفراط ولا تفريط .

وليس كالعلم قوة تحقق هذه الأغراض . فالعلم يكشف عن أسرار الكون ويسخرها لمنفعة الإنسان ويستخرج كنوز الأرض ويستغلها لخير البشرية . وبحكمة العلم تستقيم السياسة فتتجه وجهة الخير ، والعلم يحفظ على الصناعة قوتها ويجدد شبابها ويعمل على إنهاضها وتقدمها ، والعلم أساس التقدم ، فى كل أوجه النشاط الزراعى والمالى والتجارى والاقتصادى ، وهو حجر الزاوية فى حسن القيام عليها ، والعلم أمضى سلاح فى محاربة اللعنات الثلاث : المرض والجهل والفقر .

من أجل ذلك كله حث القرآن على العلم ، ووجه النظر إلى بحث الكائنات وتعرف خصائصها وأسرارها والانتفاع بها فى بناء الحياة .

وقد ربط القرآن فى الوقت ذاته ، بين العلم والعبادة التى من أجلها خلق الله الجن والإنس .

وغنى عن القول أن من عبادة الله تحقيق إرادته فى عمارة أرضه ، وإظهار أسراره الدالة على عظمته ووحدانيته ، واستحقاقه وحده للعبادة ، والإحسان فى هذا كله إنما هو شكر لله على نعمائه ، وهو خير عبادة يتقرب بها العبد الشاكر إلى الله . أما إذا تنكب الجادة وسخر علمه فيما يحقق لنفسه الطغيان على بنى جنسه ، كان كافرا بنعمة الله .

ومثل الأول كمثل سليمان عليه السلام . وهب الله له حكما وعلما ، وسخر له الجن والريح ، وعلمه منطق الطير والحيوان . قال تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علما » ١٥ (النمل) « ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره » ٨١ (الأنبياء) . « وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير » ١٦ (النمل) وقال « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى » ١٩ (النمل)« قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر» ٤٠(النمل).

ومثله كذلك كمثل ذى القرنين ، مكنه الله فى الأرض وآتاه من كل شىء سببا فأتبع سببا . أقام العدل فى أرض الله ، وحارب الفساد والمفسدين واستعمل علمه فى إقامة السد ، ليمنع القوم المستضعفين من شر يأجوج ومأجوج المفسدين فيها ، ولم يقبل خرجا على عمله شكرا لله على ما مكنه فيه .

ومثل الثانى أى العالم الباغى الكافر بنعمة الله كمثل قارون ، قال تعالى « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا » . وقال تعالى : « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . » ثم قال سبحانه : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . » القصص .

٢ — منهاج العلم فى القرآن :

منهاج العلم فى القرآن ، هو منطق النظر والاستقراء ، أى هو المنهاج الصحيح فى لغة العلم الحديث ، وهو يقوم على المشاهدة والبرهان الحسى والتفكير المنظم المبنى على الواقع أى على الحقيقة الخارجية .

ويقول المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفه « إن الغرب يزعم أن الفضل فى صياغة هذا المنهج المستحدث يرجع إلى العالم الإنجليزى السير فرنسيس بيكون الذى ألف كتابا باللاتينية عام ١٦٢٠ م سماه « Novum Organnm » أى الأداة الجديدة . وقوام هذا المنهج المشاهدة والتجريب ، وامتحان المقدمات وتمحيصها ، وسلوك سبيل الحس والمشاهدة والعناية بالحقيقة الخارجية ، واطراح التقليد والإذعان .

والقرآن الكريم حافل بالآيات التى تأمرنا بالنظر فى الظواهر المحيطة بنا ، وتحضنا على استخدام العقل والحواس معا ، والتأمل فى ملكوت الله وقد سفه القرآن التقليد والإذعان ، وجرى الخلف وراء السلف دون نظر أو برهان .

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون » ١٧٠ - (البقرة) . ولذا لم يحتكم الإسلام فى إثبات رسالته، إلا إلى التأمل والمنطق والعقل ، وحظر اتباع الظن ، وجعل البرهان والحجة أساس الإيمان « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون . » ١٤٨ — الأنعام « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لايغنى من الحق شيئاً » يونس « وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » (النجم) « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ٣٦ الإسراء . وآيات النظر فى القرآن كثيرة منها قوله تعالى « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » ١٨٥ الأعراف . « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » « فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا » عبس « فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر » الطارق . أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » الغاشية « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها » ٥٠ الروم « انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه » ٩٩ الأنعام « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ١٠١ يونس « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » ٢٠ العنكبوت . فالقرآن يأمر باستخدام العقل وسائر الحواس استخداما أساسه المشاهدة : فالعين يجب أن ترى ، والأذن يجب أن تسمع ، والعقل يجب أن ينظر ويفكر وهذا هو منطق الاستقراء ومنهاج ، العلم الصحيح . وقد نبه القرآن إلى هذه الحواس ودل على نعمة الله على

الإنسان إذ منحه إياها : « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (٧٨ - النحل) . « ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين » (البلد)

كما نبه القرآن على مايسمى فى العلم الحديث بالمنطق الرياضى ، وهو غير المنطق العادى ، بل هو أعمق منه غوراً وأبعد أثراً ، وقواعده مبنية على البداهات الأولية التى أصبحت نظريات رياضية ، يعرفها كل رياضى ويستخدمها فى استنتاجاته ، فيستخرج المجهول من المعلوم عن طريق الرموز ، مستعينا بالبداهات فى علوم الجبر والهندسة والرياضة .

ولعل هذا هو أعجب ملكات الإنسان . فهو يدرس رموزاً لايهمه معناها ، ويستنتج بواسطة منطقه الرياضى وبالقلم والقرطاس نظريات للعمل بهذه الرموز ويصنفها أسفاراً فى الرياضة البحتة حتى إذا جاء بعده مهندس كهربائى مثلا استعمل هذه النظريات فى تصميم شبكات التوصيل ومحطات التوليد ، وهو ضامن للنتيجة التى يصل اليها قبله ، كما يضمن مثل هذه النتيجة الصحيحة عالم الفلك مثلا إذا استعمل هذه النظريات فى حساب أوقات الكسوف والخسوف قبل أن تحدث وبهذا المنطق الرياضى وبالقرطاس والقلم ، صنف ماكسويل قوانين الكهربائية المغناطيسية ، ومنها استنتج أن الذبذبات فى المجال الكهربائى المغناطيسى تنتقل بسرعة الضوء وهى ١٨٠ ألف ميل فى الثانية فى كل أجزاء الكون . واعتمد العالم هارتز ، ومن بعده ماركونى ، على ذلك فى الاختراعات اللاسلكية وفى إرسال هذه التموجات إلى كافة أنحاء العالم . وهذا العلم الحديث علم اللاسلكى ، إنما نبه عليه قلم ماكسويل فى القرن التاسع عشر .

وبالقلم والقرطاس ، وبالاعتماد على المنطق الرياضى ، صنف أينشتين قوانين النسبية ، ومنها استنتج أن المادة يمكن تحويلها إلى طاقة ، وبالعكس ، وأن وحدة المادة تعطى مربع سرعة الضوء من الطاقة ، واعتمد الرياضيون على معادلاته فى فتق الذرة وتحويل المادة إلى طاقة رفعت الجبال ودكت الحصون وسيرت السفن وحفرت الأنفاق وأزالت المدن من الوجود (راجع كتاب العلم والإيمان لصلاح خشبة) .

إذا علمت هذا فتدبر قوله تعالى « الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم » فى أول سورة أنزلت على النبى الأمى صلى الله عليه وسلم ، وتدبر كذلك قوله تعالى : « ن . والقلم وما يسطرون » . فأقسم سبحانه بالقلم والقرطاس ، وما كان هذا القسم العظيم إلا لعلم الله

بما أودعه إياهما من أسرار ستكون بالغة الأثر فى مستقبل الإنسان . ألا نحنى الرأس بعد ذلك إجلالا لإعجاز القرآن ، فى هذا الشأن . ؟ ؟

٣ ـ مجالات العلم فى القرآن :

كان إعجاز القرآن عاما شاملا ، لايختص بعصر دون عصر ، ولا بقوم دون قوم ، ولئن أنزل فى قوم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم أرباب الفصاحة والبيان بعربية معجزة بهرتهم وبهتتهم ، إنه كان أساساً ، كتاب نور وهداية وعلم وإرشاد ، احتوى من المبادىء السامية والمثل العليا ماتصح به النفس البشرية وتتطهر وتتزكى وتبلغ القمة فى السمو الروحى ، كما احتوى من الأصول الكلية مايصلح الناس ويصلح لهم فى كل زمان ومكان ، واحتوى من الآيات الكونية ماينبه الأذهان ويوجه النظر إلى البحث والتنقيب واستكناه حقائق الأشياء واستكشاف أسرار الكون وتطبيقها فيما ينفع الناس ، واستغلال ثروات الأرض وما أودعها الله من كنوز وقوى كونية .

قال تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ٣٨ (الأنعام) « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » ٨٩ (النحل) « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل » ٥٩ (الروم) ٣٧ (الزمر) « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » ٨٢ (الإسراء) « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » ٥٢ (الأعراف) « بل هـــو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » ٤٩ (العنكبوت) .

فالعلم فى القرآن ، يشمل كل أنواع المعرفة ، ومجالاته تتصل بكل ما ينفع الناس : فى دينهم ودنياهم ، فى معاشهم وفى معادهم فى أجسادهم وفى أرواحهم . وهذا أمر طبيعى باعتباره نظاما كاملا خالدا للبشر كافة ، ينتظم شئون الدين والدنيا معا . وليس أبلغ فى بيان هذه المجالات من قول صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل على القرآن آمرا وزاجرا ، وسنة خالية ، ومثلا مضروبا ، فيه نبؤكم وخبر ماكان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلقه طول الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم

بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب . ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد » (١) .

وفي الحديث : قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وفيها ينابيع العلم ، وفهم الحكمة ، وربيع القلوب، (٢)

ألا ما أحلى ذلك وأبلغه وأروعه . . .

وتأمل قوله تعالى في سورة البينة : « رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة » وما الكتب القيمة إلا ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم . فليس إعجاز القرآن مقصورا على حسن تأليفه والتئام كلمه ، وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ، مع ما خصوا به من البلاغة والحكم ، ولا على صورة نظمه العجيب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها وسجعها ورجزها وهزجها وقريضها ، ومبسوطها ومقبوضها ، كما قال الوليد بن المغيرة لقريش عند اجتماعهم ، ولا على ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات فوقع ، ولا على ما أنبأ به من القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع المندرسة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب واطلع على الكتب المنزلة القديمة ، ولا على الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته .

قال الله عز وجل : « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » ٢٣ (الزمر) .

وقال تعالى : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله» (الحشر) ولا على كونه آية باقية لا تقدم ما بقيت الدنيا ، وقد تكفل الله بحفظه فقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ٩ الحجر . « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ١٣ فصلت : وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها ، فلم يبق إلا خبرها ، ولا على

---

[١] نهاية الأرب للنويري ج ١٨ ص ٣٠٨ . [٢] المصدر نفسه .

أن قارئه لا يمل قراءته ، وسامعه لا تمجه مسامعه ، بل الإكباب على تلاوته وترديده يزيده حلاوة ومحبة ، ولا على أن الله تعالى يسر حفظه لمتعلميه وقربه إلى متحفظيه .

قال الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » (القمر) ولا على مشاكلة بعض أجزائه بعضا ، وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه ، بل إعجازه يشمل كذلك جمعه لعلوم ومعارف لم يعهدها العرب ولا علماء أهل الكتاب ، ولم يشتمل عليها كتاب من كتبهم فاحتوى حقائق الأشياء ، وكان أصلا لسائر العلوم (١) .

وليس المقصود من ذلك كما يقول المرحوم الشيخ المراغى : « أنه اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمى المعروف ، وإنما المقصود أنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته لصلاح دينه ودنياه ، ولبلوغه درجة الكمال جسداً وروحا ، وترك لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها » .

وكما يقول المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل فى كتابه (الإسلام والطب الحديث) إن القرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك ، ولكنه يشير أحيانا إلى سنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم ، وبما أنه صادر من واضع السنن كلها ، كان جميع ما جاء فيه حقا لاشية فيه ، وإن لم يكن مدركا وقت نزوله إلا على طريق الإجمال والتأويل لعدم استبحار العلوم وقتذاك ، ولكن مع الترقى فى العلوم قلما كان يعمد إلى تأويله ، وكثر ما وجب أخذه على ظاهره فى ذلك العهد .

وقد حمد المرحوم الشيخ المراغى للمرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل هذه النزعة العلمية التى لو تحلى بها كل مبرز فى فرع من فروع العلم لاجتمع لدينا ذخر عظيم من هذه التطبيقات الثمينة تستفيد منه النابتة الحديثة زيادة معرفة بإعجاز القرآن ، وإيقان بأن ما فرط فى كتابه من شىء ؛ حمد له هذا المجهود كذلك المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى بقوله : « وهذا الكتاب يفتح للتدبرين آيات القرآن مجالا فسيحا لفهم آياته المشيرة إلى الكائنات الأرضية بما يسيغه العلم الحديث ويستهوى عقول الذين يقدسونه ، فما أجدره أن ينتشر

---

(١) راجع نهاية الأرب فى أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم ج ١٨ ص ٣٠٣ وما بعدها .

بين طلبة الجامعات ليكون باعثاً لهم على تلاوة القرآن والاستهداء بنوره ، وما أخلقه أيضا أن يذاع بين طلاب العلم الديني ليحبب إليهم العلم الحديث ، ويثبت لهم أنه أصبح أداة لإظهار مكنونات الكتاب الكريم وإذاعة آياته وإثبات إعجازه .

وقد ظهرت بعد ذلك جهود محمودة فى هذا الميدان ، كجهود الأستاذ صلاح الدين خشبة فى رسالته (العلم والإيمان) . وجهود الأستاذ محمد محمود إبراهيم فى رسالاته التى ينشرها من حين لآخر بعنوان (إعجاز القرآن فى علم طبقات الأرض) وجهود الأستاذ عبد الرازق نوفل فى كتبه (الله والعلم الحديث) ، (والإسلام والعلم الحديث) ، (والقرآن والعلم الحديث) . وكذلك ما نبه إليه الدكتوران محمد جمال الفندى ومحمد يوسف حسن فى كتابهما (قصة السموات والأرض) من معانى الآيات المتصلة بموضوع كتابهما . نحمد لهم ولغيرهم ممن لم تصل إلى علمنا جهودهم فى هذا السبيل . وجزاهم الله خير الجزاء .

وقد اشتمل القرآن على ٦٢٣٦ آية منها حوالى ٧٥٠ آية كونية وعلمية ، احتوت أصولا وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة وما وراء الطبيعة والأحياء والنبات والحيوان ، وطبقات الأرض ، والأجنة ، والوراثة ، والصحة ، والصحة الوقائية ، والتعدين ، والصناعة والتجارة ، والمال والاقتصاد الخ . . واحتوت باقى الآيات على الأصول والأحكام فى المعاملات ، وعلاقات الأمم والشعوب فى السلم والحرب ، وفى سياسة الحكم ، وإقامة العدل ، والعدالة الاجتماعية ، والتضامن الاجتماعى ، وكل ما يتصل ببناء المجتمع ، وفى رسم شخصية المسلم الكامل خلقا وأدبا وعلما ، وفيما يجب أن يحتذيه من المثل العليا ، وما يتحلى به من مكارم الأخلاق .

وهذا كله بخلاف العبادات والعقائد والتكاليف . وبخلاف القصص وما احتواه من مواعظ وأمثال ، وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا ، مما كان محلا للدراسة والاستنتاج ، والتخريج ، والتأصيل ، والبحث والتنقيب ، وكان أساسا لعلوم الفقه والتفسير والحديث والأصول والأخلاق والاجتماع ، والبلاغة والأدب وغيرها ، سواء أكانت عقلية أم نقلية ، وكانت معانيه دائما كالماء الصافى الزلال فى بللور الإناء ، ومهما تشكل الماء بلون الإناء بحسب الزمان والمكان ، فهو هو نفس الماء ، الذى لا يتغير لونه ، ولا ينضب معينه ، ولا يتسنه طعمه ، ويظل هو نفس القرآن الذى لا تبلى على الزمان جدته ، ولا تنقضى

عجائبه ، ولا يخلقه طول الرد كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، ذلك أنه من العمق والاتساع ، ومن العموم والشمول ، بما يقبل تفهم البشر له أيا كان مبلغهم من العلم ، وبما يفى بحاجاتهم فى كل عصر ، يتجاوب فى يسر مع فهم أهل البداوة ، لأنه لا يلتوى على الأفهام ، ويبهر فى عمقه أهل المدنية الذين صعدوا فى سلم الرقى ، وبرعوا فى فنون العلم والمعرفة ، لأنه يزخر كما يزخر البحر ، وفى قاعه الدرر واللآلىء لمن استطاع الغوص إليها فى الأعماق ، أليس هو من عند الله ؟ : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

ويضيق المقام عن الإفاضة فى هذه المجالات ، فلا مندوحة من الاجتزاء والاكتفاء بإيراد بعض الأصول والحقائق فى بعض المجالات على سبيل المثال لا الحصر .

قال تعالى : فى سورة الإسراء « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا . ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ، وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيرا ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيراً ، ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ، وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ، ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » . ٢٣ — ٣٨

وقال تعالى فى سورة الفتح : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود

ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

هل تجدون أبلغ وأروع من هذا فى رسم الصورة المثالية للشخصية الإنسانية ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (١) .

وثانيا : الأخوة البشرية وعدم التمييز العنصرى والعلاقات الدولية فى السلم والحرب .

قال تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » الحجرات . وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ٢ المائدة . وقال تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » الحجرات . وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ٢٠٨ البقرة . وقال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » ٦١ الأنفال . وقال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ١٩٠ البقرة . وقال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » الحج ٤٠ - ٤١ . وقال تعالى : « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » ٩٠ النساء .

وقال تعالى : « فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث

---

(١) مالك فى موطئه . انظر كشف الخفاء .

ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » ٩١ (النساء) وقال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير » الأنفال وقال تعالى : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » التوبة .

وهذه الآيات تؤكد : الأخوة البشرية ، وعدم التمييز العنصرى ، والتعاون والتعايش السلميين ، ومحاولة الإصلاح بين المتقاتلين ، ومساندة الفئة المظلومة على الفئة الباغية ، والدعوة إلى السلام فى غير استسلام ، والحرب الدفاعية لا الهجومية ، والجهاد فى سبيل الله .

الديمقراطية الاشتراكية التعاونية فى الإسلام

قال تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » ٣٨ الشورى وقال تعالى : « وشاورهم فى الأمر » ١٥٩ آل عمران وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا » ٥٩ النساء وقال تعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » ٨ المائدة . وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » ٢٧ - ٢٨ - النور . وقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » الملك وقال تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ٢٥٦ البقرة وقال تعالى : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ٩٩ يونس وقال تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ١٠٤ آل عمران . وقال تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » الذاريات . وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ٢٦٧ البقرة . وقال تعالى : « إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » الغاشية . وقال تعالى : « وما أنت عليهم بجبار » ق .

هذه الآيات تضع أصول الديمقراطية الاشتراكية التعاونية : التى تكفل أن يكون الحكم

من الشعب وإلى الشعب ولصالح الشعب ، وتثبت أركان التعاون والتضامن والعدالة الاجتماعية فى المجتمع الإسلامى . وتكفل الحقوق والحريات العامة ، وهى : المساواة أمام القانون بغير تمييز .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : يأيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ، فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد (١) .

وقال : من آذى ذميا فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة (٢) .

وقال عمر لعمرو وهو يقتص للقبطى من ابن الأكرمين : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟!

كما تكفل المساواة والعدل أمام القضاء ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : إنما أهلك من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (٣) .

وتفرض الزكاة فى مال الغنى لصالح الفقير فالكل فى حق الحياة سواء ، وتكفل حرية العقيدة ، وحرية الرأى ، وحرية المسكن ، وحقوق الأسرة ، وحق التملك وتكفل حرية العمل ، وسائر الحريات ، ولكنها حريات وحقوق نجد حدها الطبيعى فى صيانة حقوق الآخرين وفى أنه لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله .

وقال : إن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له ماتصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع فيه ماشئت . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا .

---

(١) الحديث مشهور فى كتب السيرة والتفسير وغيرها .

(٢) رواه أبو داود أنظر كشف الخفاء .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن عائشة ، من رياض الصالحين

ورسم نبي الإسلام ، عليه الصلاة والسلام ، الحد الفاصل لطاعة ولى الأمر ، فقال : السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، مالم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (١) .

الحقائق الكونية والعلمية فى القرآن :

سبق أن قدمنا أن القرآن حفل بالآيات التى تنبه الأذهان على ظواهر الكون تدليلا على بارئه ومصوره ، وإظهاراً لعظمته وقدرته ، وتبياناً لرحمته بخلائقه ، وتفصيلا لآلائه ونعمائه ، وحثاً على اكتشاف الأسرار والقوى الكونية وتطبيقها وتسخيرها واستغلال كنوز الأرض وثرواتها فيما يعود بالخير على البشر ، وقد احتوت تلك الآيات على حقائق كونية وعلمية فى شتى مجالات العلوم : من فلك وطبيعة وما وراء الطبيعة ، وطبقات الأرض والأحياء والنبات والحيوان ، والأجنة والوراثة والصحة والزراعة والتجارة والصناعة والمال والاقتصاد الخ .

نذكر منها على سبيل المثال فى بعض تلك المجالات مايلى :

(١) « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون . وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون . وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » ٣٥ الأنبياء .

« أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعاً ولأنعامكم» (النازعات) .

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجا وقمراً منيرا ، وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » ٦١ (الفرقان) .

« ألم نجعل الأرض كفاتا ، أحياء وأمواتا ، وجعلنا فيها رواسىَ شامخات وأسقيناكم ماء فراتا » (المرسلات) .

---

(١) الأحاديث الثلاثة صحيحة ، من روايات الشيخين وغيرهما .

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ، وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم» (٢١ - الحجر) .

« قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » (٩ - ١٢ فصلت) .

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ١٦٤ البقرة .

« ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه » (٦٥ الحج) .

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذاهم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » (٣٧ - ٤٠ يس) .

« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » (٤٥ - النور) .

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مَرَّ السحاب ، صنع الله الذى أتقن كل شيء » (٨٨ - النمل) . « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ١٢ لقمان .
« خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار » ٥ - الزمر .

وهذه الآيات البينات تتصل بمولد الكون وتمدده واتساعه المستمر ، وبكيفية خلق السموات والأرض ، وأنها كانت جميعا فى يوم من أيامه سبحانه وتعالى أصلا واحداً

كالدخان (السديم) فى حالة الرتق والاتصال، ثم أوحى إليها سبحانه وتعالى، فى يوم من أيامه بالفتق والانفصال، فكان الفتق ثم الرتق يومين من أيامه، مر بهما كونه، سماؤه وأرضه، على ما شاء وقدر ـ وكيف دحا الله الأرض فصارت كالدحية أى البيضة، وفى ذلك الإشارة إلى كرويتها المنبعجة، وكيف مرت الأرض بعد ذلك بأربعة أيام لله، أى أربعة أطوار، قدر فيها أقواتها وأرزاقها، مع الإشارة إلى النسبية فى حساب أيام الله، فهو كألف سنة مما يعده البشر أو كخمسين ألف سنة كما فى سورة المعارج، أو هو أكثر من ذلك على ما يقدره الله، وكيف أن الحياة بدأت من الماء ثم تطورت وتنوعت وتفرعت فى شتى الصور ومختلف الأشكال والألوان سواء فى النبات أو الحيوان أو الإنسان، وكان التزاوج وكان التطور من سنن الله فى خلقه. وأشارت الآيات إلى نواميس الجاذبية والحركة التى يمسك الله بها السموات والأرض، ويسير بها الأجرام السماوية فى أفلاكها، ووصف الجاذبية بالعمد غير المرئية، مع الأشارة الخاصة إليها، لا من الناحية الوصفية ولكن من الناحية الحسابية، « فلا أقسم بمواقع النجوم » ففى ذلك تنبيه إلى أثر الأبعاد فى قوى التجاذب والدفع بين الأجرام السماوية، وفى حركة دورانها فى أفلاكها، كما أشار إلى حركة دوران الأرض حول الشمس مما نتج عنه تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل، وأن لو شاء الله لجعل الليل سرمدا والنهار سرمدا، كما هو الحال مثلا بالنسبة لكوكب عطارد، فلقرب موقعه من الشمس صار فى قبضتها، لاينفك عنها حولا بحيث يصبح نصفه المواجه لها فى نهار سرمدى ونصفه الآخر فى ليل سرمدى، كما أشارت الآيات إلى الموازين والضوابط التى تنتظم كل ما خلقه الله، تخلقه بميزان وبقدر معلوم. وأشارت إلى أهمية الجبال فى إرساء الأرض وثباتها فكانت لها بمنزلة الأوتاد وذلك حتى لا تميد بما عليها، وكيف أودع الله الأرض أقواتها خلال تلك الأيام الأربعة، أى الأطوار الأربعة، كى تستقبل حياة الإنسان، وهو الذى سخر الله له ما فيها. ولعل هذه الأيام الأربعة هى دهور الحياة فى علم طبقات الأرض.

كل أولئك حقائق لا شبهة فيها لأنها من عند الله. وإنه ليطمئن قلبك إلى إعجاز القرآن إذا فهمت هذه الحقائق، فى ضوء العلم الحديث الذى لا يتعارض مع أية حقيقة منها. « أخرج منها ماءها ومرعاها » (النازعات) « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجراً محجورا. وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله

نسباً وصهراً وكان ربك قديرا » (٥٣ — ٥٤ الفرقان) . « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » (٩٩ الأنعام) . « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير » (٦٣ الحج) . « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون . فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون » (١٨ — ١٩ المؤمنون) . « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » (٤٣ — ٤٤ النور) . « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » (٢٣ — ٣٥ يس) . « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شىء قدير » (٣٩ فصلت) . « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون » (٧٨ — ٨٠ يس) « أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون » (الواقعة) . « أفرأيتم النار التى تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم » (الواقعة) .

وهذه الآيات البينات تتعلق بكيفية خلق الغلاف المائى للأرض وكيف أخرجه الله منها بتكاثف أبخرتها ، بعد برودة قشرتها . وبكيفية تسلسل دوران المياه بعد ذلك على سطحها وفى باطنها ، وفى حياة النبات والحيوان والإنسان ، وكيف يتكون الماء بالرياح التى تثير السحاب من مياه البحر الملح ثم يؤلف الله بينه ، ثم يجعله ركاما يخرج الودق من خلاله ، ثم ينزله من السماء من كسف السحاب ، التى هى كالجبال فى أحجامها وأشكالها ـ ينزله بقوة الجاذبية ثم يسلكه أنهارا على سطحها وينابيع فى باطنها ، ويجعل بين البحرين :

حاجزا وحجرا محجورا لا يبغيان ، وكيف يتحدد نطاق الأراضى الميتة أى الصحارى ، وهى التى لا يصيبها الماء ونطاق الأراضى التى تحيا بالماء ، كل ذلك حسبما يشاء الله ، وكيف تتأثر جزئيات الأرض بالماء فتهتز وتربو وتنبت النبات الذى يحيا عليه الحيوان والإنسان ، وكيف يخرج الله النبات مختلف الألوان والأشكال فمنه الحب المتراكب ومنه الأعناب والنخيل والزرع صنوان وغير صنوان ، وهو يسقى بماء واحد . ثم كيف يهيج النبات ، ثم يصبح مصفرا ثم حطاما — وتتضمن الآيات الإشارة الخفية إلى التأثير الكيميائى للضوء فى حياة النبات المعروف بالتمثيل الخضرى (الكلوروفيلى) وكيف تقوم الحياة على نواتج التعفن والتحلل من بقايا الحياة السابقة من نبات أو حيوان ، وكيف يرد الله بذلك على من ينكر البعث ، إنه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ذلك أن الأرض بعد نزول الماء عليها تصبح مخضرة ويجعل الله من الشجر الأخضر نارا ، ومفتاح المعنى وصف الشجر بالأخضر وترتيب النار على خضرة الشجر ، فالخضرة (اليخضور أو الكلوروفيل) تساعد على النمو وعلى بناء الكيان الخشبى واختزان ما فى هذا الكيان من طاقة تبدو نارا عند الاستيقاد . وبعد تفهم التمثيل الخضرى وأثره ، وكيف تقوم الحياة على نواتج التحلل والتعفن ، من بقايا النبات والحيون السابق الذى مات وتحلل تدحض حجة منكرى البعث الذين يقولون كيف يحيى الله العظام وهى رميم ؟ ! فهذا بعث للنبات .

ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقـــة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ١٤ - (المؤمنون) .

يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ٦ - الزمر .

وهذه الآيات : تتصل بعلم الأجنة وتقرر حقائق كشف عنها العلم الحديث وفسرها المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل وغيره من العلماء المجتهدين :

د — الطريقة الصحيحة لتفسير القرآن فى ضوء العلم الحديث

وأرى لزاما قبل أن أختتم هذا الحديث أن أنبه هنا على الطريقة الصحيحة فى تفسير آى الذكر الحكيم فى ضوء العلم الحديث .

وقد قال المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل فى هذا الشأن : إن العلوم مهما تقدمت عرضة للزلل . فينبغى ألا يطبق على القرآن إلا ما يكون قد ثبت ثبوتاً قطعيا ولم يعد يقبل الشك . فكثير من النظريات العلمية عرضة للتغيير والتبديل ، وهذه لا يجوز تطبيقها على الآيات ولو اتفقت مع ظاهرها إنما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة علمية ثابتة لا شك فيها ويشير إلى قول المرحوم الشيخ المراغى : يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كى نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية ، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علميه ثابتة فسرناها بها . .

ثم يستطرد إلى القول بأن العالم كثير الاغترار بعلمه فإذا لم يتفق ظاهر الآية وما يعرفه من النظريات ركن إلى علمه وشك فى الآية أو أولها ، مع أن كل علوم العصر الحاضر لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة لحقائق الأشياء ، فقد انتفع الإنسان بالكهرباء وبالحرارة والضوء ولكنه لا يعرف شيئا عن حقائقها ، فهو يعرف كثيراً عن سننها وسيزداد معرفة بها بتقدم العلوم ولكنه لا يعرف من كنهها أكثر مما يعرفه عن الروح والحياة ونظام الكون . فكل آية لا تتفق ونظريات العلوم يجب أن تترك حتى تتقدم هذه العلوم . ولم أعثر للآن على آية واحدة لا تتفق وآية حقيقة علمية » .

والواقع من الأمر أن الإنسان وإن كان طلعة ، يبحث دائما عن الحقيقة ، إلا أن مداركه محدودة وعرضة للزلل ولذا كانت نظرته إلى أساس طبيعة الأشياء تختلف من وقت لآخر . فمثلا كان يفسر الكون وظواهره فى القرن الماضى تفسيرا ماديا وآليا ، ولكن العلم اتجه اتجاها مغايرا منذ أوائل القرن العشرين . فاتجه نحو رد مادة الكون كلها إلى موجات وأن هذه الموجات نوعان :

موجات معبأة أو حبيسة نسميها المادة ، وموجات طليقة نسميها إشعاعا ، وليست عملية إفناء المادة إلا مجرد الإفراج عن الطاقة الموجبة الحبيسة وإطلاقها حرة تسبح فى الفضاء ، ولكن العلم الطبيعى حتى الآن لا يتعدى دراسة السلوك الظاهرى للأشياء ، دون معرفة كنهها . وقد قال أفلاطون فى جمهوريته « إن الحقيقة ليست إلا ظلالا لصور ، ولست أقول ذلك على سبيل الحقيقة ».

والحق — أن الله سبحانه وتعالى هو الحقيقة المطلقة ، وكل ما فى الوجود إنما هو من آثار صفاته وأن ما عداه باطل زائل ، وأنه وهو مبدع الكون ، سن النواميس وأطلقها فيه ، لا تشذ ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . فكان منها الذى كان فى كل زمان ومكان ، وهذا هو الأصل الذى سارت عليه الخليقة منذ الأزل ، وهذا فى ذاته آية الوحدانية والأحدية المنفرد بها الخالق جل شأنه .

وإن هذا الفهم — وهو فهم الدين — هو الذى يعطى الكون معناه الحقيقى ، وبهذا المعنى لا يعدو الكون أن يكون مظهرا من مظاهر الألوهية وإن شئت قلت إن الله سبحانه وتعالى هو الأصل ، وهو الغاية ، فكل شيء فى الكون إنما هو إشعاع ، منه خرج وإليه يعود . وإن الدار الآخرة هى التى تفسر الدار الأولى ، وإن الإنسان مرتبط فى أولاه بأخراه ، وفى أخراه بأولاه .

ومن هنا نعود على بدء ؛ لنفهم حكمة العزيز الحكيم فى جعل الإنسان مستصلحا للدارين ، ليحصد فى أخراه ما زرعه فى أولاه .

وتدبر بعد ذلك قوله تعالى : « وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » ٦ — ٨ الروم .

السيد على السيد
رئيس مجلس الدولة

من شعر إقبال ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام :

يا أيها المسلم إن الأرض والسماء لك
ضياؤك القدسى أعلى من شرارات الفلك
ما جئت فى الدنيا لتقضى وهى بالخلد تدوم
هل تصبح الشمس أقل قيمة من النجوم ؟

أصول الإسلام
والتقريب بين الأمم وشرائعها المختلفة
للأستاذ عباس طه

شرع الله الإسلام خاتما للأديان، وعهداً خالداً للإنسان، فلم يدع أصلا من الأصول المقربة بين العقائد الموحدة بين النزعات، الجامعة بين مختلف المقاصد والغايات إلا أتى به الإسلام على قدر ما تسمح به الفطرة السليمة، والطريقة القويمة، والخطة المثلى، فدعا إلى تحكيم العقل فى كل خلاف، والرجوع إلى النظر فى كل موضوع تعترك فيه الموروثات القديمة، والميول الجديدة.

وهو لأجل أن يرفع من طريق العقل الخالص كل ما يعترضه من العوائد الوهمية أنحى على مبدأ التقليد فنقضه، وعلى أصل تقديس القديم الرث فهدمه، ونعى على الواقفين مع هاتين العقبتين جمودهم، فقال تعالى: زاريا بالمقلدين «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون»، وقد بالغ فى الزراية بالتقليد إلى حد أن سماه عبادة، وهذا نهاية ما يمكن أن توصم به نزعة من النزعات الخاطئة فقال تعالى: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله»، وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى اتخاذهم أربابا أنهم أخذوا كل ما سمعوه عنهم بدون جدال أو تعمل.

كل هذا ليتوسل الإسلام به إلى تخليص العقل من العوائد القائمة فيه، وإذا تم للأمة أن تحترم حكم العقل الكامل المستضىء بنور العلم، سهل إقامتها على الطريق السوى، وتوجيهها إلى باحات الكمال الصورى والمعنوى من أقرب الطرق، وأبعدها عن القواطع، فأصبحت أرواحها خالصة من كل شائبة عبودية، فإن لاح لها أصل جديد فيه خير أسرعت اليه بأوسع الخطى ولم تتأخر عن القيام عليه. ولم تجد فى نفسها حرجا من الاندفاع فى تياره، بل رأت أن من الدين أن تتجه إلى وجهته، ابتغاء الاهتداء اليه وحيا إلهيا، وإلهاما ربانيا.

هذا على خلاف الأمم الجامدة على القديم البالى، المقدسة لكل ما نقل عن أسلافها بدون نظر فيه، فهى كلما لاح لها أصل فيه

حياتها لم تزنه بميزان عقلها ، ولم تنظره بعين مصلحتها . ولكن تنظر اليه من خلال تقاليدها ، فإن رأته ينطبق على ما ورثته من أقوال أسلافها اتبعته مرتابة ، ولم تحسن الاندفاع فيه ، شأن المستعبد المثقل بالقيود والأغلال ، وإن لم تجده ينطبق على ماعندها من هذه الأقوال ثارت عليه متأثرة بعوامل الجمود ، وربما كان الأخذ مما يبطل شيئاً من أصولها الأولية ، ولكنها لشدة كلفها بالقديم والقدماء ترتاح إلى معارضة كل جديد ، لا لعلة غير كونه جديداً ، لم يعرفه آباؤها من قبل .

هذا من أكبر عوامل انحلال الأديان ، وصيرورة أهلها فى مؤخرة الأمم فى كل ضرب من مظاهر الحياة ، حتى الأخلاق التى يفخرون بأنهم أخص القائمين بحقوقها ، والمهيمنين عليها فيكثر فيهم الختل والخطر ، والكذب والنفاق ، وسوء الملكة واللؤم ، وينتهى بهم الأمر لأن يعدهم مواطنوهم خطراً على الأخلاق والاجتماع فانظر كيف يدهورهم جمودهم على التقليد إلى عكس ما كانوا يرمون إليه بتشددهم فيه ؟ من الأمور التى رمى الإسلام بها إلى تقريب الأمم المختلفة ، تحطيم صنم هذا التقليد الأعمى ، لأن العقول متى انتفضت من آثاره اندفعت إلى قبول كل ماتراه موافقاً للعقل ، ملائماً للحياة ، فيسيل بعضها إلى بعض كنتيجة طبيعية لاختيار الأحق والأحسن ، والعقل المطبوع فى جميع الأفراد واحد ، فيكون ذلك مقدمة لاقتراب بعض الأمم من بعض ، واجتماعهم جميعا على بساط واحد ، من البحث الحر ، وتكون النهاية توحدهم فى المعقولات والعقائد ، لأن الحقائق لا تتعدد كما هو الصحيح .

ومن الوسائل التى تذرع بها الإسلام للتقريب بين الأمم المختلفة ما نص عليه كتابه فى مسألة الإيمان برسالة محمد خاصة ورسالات المرسلين عامة فقد صرح سبحانه وتعالى أنه لم يرسل خاتم رسله بدين جديد ، ولكنه أرسله بالدين الذى أنزل على جميع من تقدمه من المرسلين فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب فلذلك فادع (أى لتوحيد الدين فادع) ، واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا

أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » . نصت هذه الآية على أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إعادة ما سبق به الوحى على ألسنة جميع المرسلين من الدين الحق والصراط السوى ، لحرفه أتباعهم وخرجو به عن حقائقه .

ولا مشاحة فى أن هذا التصريح يقلل من تشدد أصحاب الملل فى مناقضة الإسلام ، ويلفتهم إلى ما يقول رسوله ، ويحملهم على النظر فيما بين أيديهم من الكتب ، وكل هذا مما يقرب بين الأمم ويجمع بين متفرقها ، لذلك جمع الإسلام فى حظيرته فى أقل من قرن بين أمم كانت على أشد ما تكون من الاختلاف والتباين ، فبعد أن كان من المحال أن ترى الفارسى إلا زرادشتياً ، والهندى إلا بوذيا ، والصينى إلا كونفشيوسيا أو لاوتسيا والسودانى إلا فتشيا ، أصبحت ترى حظيرة الإسلام جامعة بين جميع هذه الأمم ولو كان المسلمون الأولون دعاة باللغات الأوربية لكان له بين ربوعها اليوم شأن أى شأن .

ومما قصد به الإسلام إلى التقريب بين الأمم إيجابه على الآخذين به الإيمان بجميع رسل الله وعدم التفرقة بينهم والإيمان بما جاءوا به من الكتب إجمالا فقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » .

فى هذه الآية نص صريح على وجوب الإيمان بجميع رسل الله وجميع كتبه التى أنزلها عليهم بلغات مختلفة ، وهذا أبلغ ما يعرف من الأصول المقربة بين البشر ، فإذا أجلت نظرك فى جميع الأمم لا تجد دينا لواحدة منها يعنى بدين واحدة أخرى ، فما ظنك بأديان الأمم كافة ، على حين أن المسلم لا يستطيع أن يكفر برسول أرسل لواحدة منها قال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله،ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » فالدين فى نظر الإسلام كل لا يتجزأ أساسه الإيمان بالله وبجميع رسله ، من بلغتنا أسماؤهم ومن لم تبلغنا (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)فلا أتخيل أن فى العالم أصلا عليا يجعل الوحدة الإنسانية ماثلة فى عقلية أمة ونفسيتها مثل هذا الأصل ، فهو وضع إلهى محض ، يكشف

عن إلهيته وسمو مقصده، وبعد غايته، فهو من هذه الناحية ليس فى حاجة إلى دليل يؤيده، فهل بعد هذا غاية فى قطع ذرائع الخلاف بين الأمم، وحسم مادة التلاحى بينهم؟ أليس هذا بجملته وتفصيله يجعل الإسلام دينا عاما، ويهيئه لأن يكون نقطة اتصال بين الجماعات البشرية، فتسكن الأرواح منه إلى عقيدة عادلة لا تذهب بأصحابها مذاهب الجور فى هضم حقوق الأمم، ولا تنزع بهم إلى تجريدها من خصوصياتها؟ إنك بينما ترى اتباع الأديان الأخرى يتنازعون فى أديانهم فيكفر بعضهم بأنبياء بعض، ويهزأ الأولون بكتب الآخرين، والآخرون بكتب الأولين، تجد المسلمين فى مستقر من العدل مكين، يؤمنون بجميع رسل الله وكتبه لا يبخسون أمة حقا، ولا ينكرون لطائفة واجبا لم يؤمروا إلا بأمر واحد وهو أن يعدلوا فيؤمنوا بجميع كتب الله ورسله، فمن لم يقبل ذلك من الناس كانوا من أهل الشقاق المؤثرين للخصام على الوفاق، وليس هذا من الإسلام فى شيء.

فلا مشاحة بعد هذا البيان فى أن الإسلام هو الدين العام، المؤاخى بين جميع الأنام، وكل ما حدث بعده بأكثر من ألف سنة من المذاهب التى غرضها التوفيق بين الأديان تحت أسماء مختلفة فلن يبلغ مبلغه فى هذا الباب.

أما الفرق بين الإسلام وهذه المذاهب، فهو أن الإسلام عرض الكتب السماوية الموجودة بين أيدى أصحابها ودل على وجوه التحريف فيها. أو على سوء تأويلهم لها، ودعا إلى الكتاب الذى جمعها جميعا، الذى «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» وهو القرآن الكريم؛ وأما تلك المذاهب فترمى إلى توحيد الأديان بتأويل النصوص التى تختلف عليها، تذرعا إلى التوفيق بينها، وهذا التأويل يشعر بتكلف شديد، وعنت ظاهر بالألفاظ لا يبتنى عليه الإيمان، فتكون النتيجة تشكيك الناس فى جميع الأديان.

ومن هذه المذاهب محاولة توحيد الناس فى عبادة الله بحجة أن جميع الأديان تدعو للعبادة، وهى فى نظرهم تؤتى ثمراتها على أية ضروب كانت، أما الكتب الموجودة بين أيدى الأمم فتترك لأهلها مع كل ما بنوه عليها من أهواء وأوهام.

فالناقد البصير يرى أن مذهب الإسلام فى توحيد الأمم هو خير المذاهب وهو دعوتها إلى كتاب جديد شامل لجميع ما تقدمه مما لم تمسه أيدى التحريف، ذلك لأن التقدم العلمى كشف من أحوال تلك الكتب من ناحية ضعف رواياتها، وضياع أصولها، ومناقضة ما فيها لأبسط قواعد العلم، ما لا يستطاع معه الإيمان بها فتكون النتيجة الطبيعية من تقرير

تركها وشأنها ، خروج أهلها عن حظيرة الأديان جملة كافية ، ثم إن المذهب الإسلامى فى هذا الشأن أرسخ قواعد ، وأشبه بسنة الوجود ، وأقوى على حملات الشبه والشكوك لأنه بعد أن قرر أن الأديان كلها وحى من الله وأن الذين أتوا بها كلهم رسل الله ، وأن كتبها كلام الله عاد فقرر أن طول الزمان أوجب أن ينحرف الناس عن تلك الكتب ، وأن يتسامحوا فيها بالتحريف والتبديل ، والإسلام فى هذه القضية موافق للنقد العلمى كما رأيت ، بعد هذا أخذ الإسلام يدعو الناس إلى كتاب يجمع ما فى تلك الكتب ويزيد عليها ما اقتضاه وما يقتضيه تطور الأمم ووعد بحفظه من التحريف والتبديل على مدى الأجيال .

كان شأن الإسلام فى هذا كشأن عالم نبغ فى أمة كانت من علومها على مذاهب شتى كل طائفة منها تنابز الأخرى باسم مذهبها العلمى وعالمها الرسمى ، فجاء هذا العالم النابغ ، فجمع ما فى الكتب الموجودة من الحقائق المقررة فى كتاب واحد ، وزاد عليها ما فتح الله به عليه ، ثم دعا إلى تداول كتابه المنقح ، وترك ما لديهم من الكتب الأولية المطبوعة بطوابع أزمانها المختلفة .

فهل كان يستطيع هذا العالم أن يقر كل طائفة على كتابها العلمى على ما فيه مما يجافى روح العصر الحاضر ، ومما وضعه الوضاعون بين حقائقه من الأكاذيب والوساوس ؟ .

« أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » . فإما طوعاً فباستخدام العقل وأعمال الفكر ، وإما كرهاً فتحت ضغط الحوادث والمثلات .

عباس طه
المحامى

كرم العرب

قال عروة بن الورد :

أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى	بوجهى شحوب الحق والحق جاهد
فإنى امرؤ عافى إنائى شركة	وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة	وأحسو قراح الماء والماء بارد

ما يقال عن الإسلام

الإسلام بين أديان الأمم

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرض تحليلي لكتاب [ديانات الإنسان]
لمؤلفه الدكتور [هستون سميث]
أستاذ الفلسفة بالجامعات الأمريكية .

يقول مؤلف هذا الكتاب فى مقدمته إنه يود لو استطاع الناس أحيانا أن ينظروا إلى جلائل الأمور ودقائقها بأعين غيرهم . فإنهم يصححون بذلك آراءهم وآراء غيرهم ويرون تلك الأمور من جوانبها المتعددة فلا يقفون منها عند جانب واحد .

ويقول فى تلك المقدمة إن بعض القراء المحدثين قد تعودوا أن يصطنعوا قلة الاكتراث للديانة فى أفكارهم وفى أعمال حياتهم ، فهؤلاء خليقون أن يعطوا الديانة حقها من الاكتراث إذا عرفوا مبلغها من الجد ومبلغ العناية بها والغيرة عليها عند أصحاب الديانات الأخرى .

وعلى هذه الخطة التى تمناها لقرائه جرى فى تأليف كتابه هذا عن ديانات العالم الكبرى ، وهى البرهمية والبوذية ومذهب كنفشيوس ومذهب الطاوية فى الصين ، والإسلام واليهودية والمسيحية .

وقد حاول جهده فى الحق أن ينظر إلى الإسلام ، وهو الذى يعنينا فى هذا المقال ، نظرة كاتب لا ينحصر فى عقيدته ولا يتعصب عليه لمخالفته إياه بتفكيره أو بإيمانه ، فسار على منهج المؤلفين العلميين الذين يخجلون أمام قرائهم من تشويه الحقائق وتبديل الوقائع مجاراة لذوى الجهل فى تعصبهم الأعمى أو لذوى الطمع فى سياستهم التى لا تعمى عن مصالحها ولكنها تفتح عيونها جميعاً لشىء واحد لا ترى سواه ، وهو اقتناص الفريسة واغتنام الأسلاب .

وهذا هو الكتاب الثالث من كتب المؤلفين التى نذكرها فى هذا الباب على هذه الخطة من «الحيدة العلمية» فى مسائل الأديان، ويعنينا من هذه الخطة أنها تدل على استعداد فى المعقول بين قراء اللغات الغربية حقيق بالتفات المسلمين اليه ، لأنهم ـ دون غيرهم ـ أقدر على البلاغ والإبلاغ فى أمر الإسلام . وعندهم من الدراية به وبمحاسنه ما ليس عند أحد من كتاب الغرب، فصاراه أن يتجنب فى شرحه وتبليغه أن يفترى عليهم التهم والعيوب .

* * *

اسم الكتاب باللغة الإنجليزية «ديانات الإنسان» The Religions of man ومؤلفه الدكتور هستون سميث Huston Smith أستاذ للفلسفة بالجامعات الأمريكية ومحرر لأبوابها فى المجلات الأدبية ، ولد فى الصين وعاش فى الشرق ، وعاش فى بلاد الأمم التى درس أديانها وكتب عنها فى هذا الكتاب .

* * *

بدأ كلامه عن الإسلام بتصحيح الآراء عن معنى اسمه كما يفهم المعنيون بالإسلاميات من الدارسين وعامة القراء ، فقال إن اسم «المحمدية» الذى يطلقه الغربيون على الإسلام يغضب المسلمين إذا أريد به نسبة الدين إلى محمد عليه السلام . فإن تسمية «المسيحية» بهذا الإسم معقولة عند أتباعها الذين يدينون بإلاهية المسيح وصدور العقائد من قبله ، ولكن «المحمدية» بمثل هذا المعنى اسم لا يقبله المسلم وهو يؤمن بأن «محمدا» بشر يوحى إليه ، وأنه لا يملك مع الله شيئا فى دينه ولا دنياه .

وليس فهم الإسلام بمعنى الاستسلام أو خضوع المقاتل لمن ينتصر عليه صحيحا فى مدلوله ، وإنما أصل الكلمة من السلام والإنابة إليه ، ومدلول الإسلام على هذا هو «سلام الروح الشامل بتسليم حياة الإنسان جميعا إلى الله» .

قال : إن محمدا قد ظهر فى زمان تحسب فيه المعجزات بضاعة لازمة لا يعجز عنها أصحاب الولاية فضلا عن أصحاب النبوة والرسالة . ولكنه أبى لدعوته أن يجعلها تجارة بهذه البضاعة ، ونادى غير مرة أنه يبشر وينذر ولا يتوسل إلى الهداية بأية معجزة غير آيات الكتاب المبين : «قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون» .

قال : وإن أثر دعوته آية من آيات التاريخ

لا يعرف لها مثيل فيها وعاه من أطوار الأمم قبل الدعوات الدينية وبعدها ، إذ لم يسبق فيما عرف من هذه الأطوار أن دعوة نقلت الأمم من حال إلى حال كما نقل الإسلام قبائل الجزيرة العربية إلى تلك الحضارة التي ارتقى إليها أتباع الإسلام خلال سنوات معدودات. وقد حكم النبي قومه في جزيرتهم وقام بالأمر زمنا في المدينة . . «فهو هنا ملك - لا على قلوب فئة من المحبين المخلصين وحسب ، بل على حياة مدنية مجتمعة ، هو قاضيها وقائدها ، وهو كذلك معلمها وهاديها ، وإن أعداءه أنفسهم ليعترفون باضطلاعه بهذا العمل الجديد في براعة وكفاية ، وقد واجهته خطوب معقدة نادرة فإذا هو يواجهها بمقدرة نادرة على التدبير والإدارة . وقد أصبح قاضيها الأعلى ولكنه ما برح كما كان أيام خفاء أمره بنجوة من الزهو والبذخ ، وكان في وسعه أن يملك الدور والقصور ولكنه ارتضى له ولأهله بيتا من الطين يحلب فيه معزاته بيديه ويستقبل من شاء من صغار أتباعه ليل نهار ، وكثيرا ما كان يرى وهو يصلح ثيابه . . .

وقد حفظت عنه مأثورات أخباره أنه كان في حكمه يجمع بين العدل والرحمة ، يعاقب من جنى ويغفر لمن أساء إليه . . ويرى فيه أهل المدينة وليا لا يملك من يتولاه إلا أن يدين له بالحب والطاعة » .

يقول الدكتور سميث إن الخاصة المميزة للإسلام لا تقوم على الأمثلة العليا التي يرفعها أمام أتباعه بمقدار قيامها على الوسائل العملية التي يرشد بها المسلم إلى إدراك تلك الأمثلة العليا ، «ولو كان بنو الإنسان قد بلغوا في عهد المسيح درجة من الارتقاء تمكنهم من الفطنة لمزيد من التهذيب لجعل أفكاره كما قال (أمير علي) قائمة على نظم مفصلة ، ولكنه في الحالة التي وجد العالم عليها قد أبقى ذلك - على قول (أمير علي) ليتولى تنظيم القوانين الأخلاقية » .

وقد أورد المؤلف هذه العبارات في أقوال الكاتب الهندي في سياق شرحه كأنه يصدر بها فكرة لا يعترض عليها ولا يناقشها ، ولكن يعبر عن رأيه حين يصف الوسائل العملية التي توسل بها الإسلام لإصلاح الأحوال الاجتماعية ورياضية الأمم على قوانين الأخلاق والمروءة ، وينوه المؤلف بالزكاة منها إلى مقدارها بالنسبة المئوية للثروة المملوكة ، فليست هذه النسبة محسوبة بمقدار الربح والمورد المتجدد ، ولكنها في جملتها تصل إلى جزء من أربعين جزءا من الثروة المملوكة على اختلاف المتاع والحطام ، وهو مقدار كاف لسداد خلة المجتمع في هذا الباب ،

ولا يقل عن الزكاة شأنا سياسة المجتمع ورياضته على الأخلاق الصالحة إن الإسلام يقرن الملكية بالعمل ويحرم الربا الذى كان يؤخذ أيام الجاهلية أضعافا مضاعفة بغير عمل يعمله صاحب الدين ، وشبيه بهذا الحكم فى سياسة المجتمع توصية الإسلام بتداول الثروة وكراهته لحصرها واحتكارها وإيجابه على المسلم أن يعمل للأمة عملا يستحق به لقمته من الطعام ، فلا يعز عليه أن يجيب إذا سئل وهو يتناول غذاءه : « هل صنع للناس شيئا يستحق عليه أن يأكل ما بين يديه ؟ » .

ويمضى المؤلف على أسلوب كهذا الأسلوب فى شرح معلوماته عن الديانة الإسلامية ، ولكن يكاد ينتقل من الشرح ـ على مثل هذه الحيدة ـ إلى الدفاع الحسن عن قضية المرأة فى الإسلام ، فإن فى هذه القضية امتحانا عسيراً لإنصاف الكتاب من الغربيين كلما عرضوا للشبهات الشائعة عن الآداب الإسلامية فمن كان منهم سيء النية لم يعسر عليه أن يجارى نيته السيئة فى كلامه عن هذه القضية دون أن يتورط فى الادعاء المختلق والافتراء المكشوف وقد يصطنع الإنصاف الظاهر إذا اكتفى بسرد الأحكام ولم يجاوز سردها إلى بيان أسبابها ومسوغاتها . إذ كانت هذه المسوغات تخفى على كثير من قراء الغرب الذين يجهلون حالة العالم قبل الإسلام فى بلاد العرب وفى غيرها من البلاد الشرقية والغربية ، وكل ما يعلمونه أن هذا الدين قد أباح تعدد الزوجات وأمر بالحجر على النساء ، وأن شرائع العهد الحديث عندهم تحرم هذا وذاك ، فمن شاء أن يسيء النية ذكر الأحكام ولم يكلف نفسه أن يقابل بينها ما كان من قبل وما يكون الآن حيث لا نرى تلك الأحكام ، وهذا هو الصمت الذى يشبه الاختلاف الصريح مع النية السيئة ، وإن لم تظهر فيه دلائل الاختلاف المقصود .

لقد كان للدكتور سميث فضله فى اختيار موقف غير هذا الموقف المريب أو الموقف الصامت من قضية المرأة فى الإسلام . فإنه بدأ بتقرير الواقع عن زواج الجاهلية فقال : إن المسألة هنا لا تدور على الكثرة والقلة فى عدد الزوجات ، لأن الزواج لم تكن له قداسة ولم يكن فى الحقيقة زواجا مرعى الحقوق ، بل كان ملكا كملك الرقيق وكان للرجل بعد الزوجة الأولى والثانية أن يتصل بمن شاء من النساء ، وإنما تدور المسألة هنا على مكان المرأة فى الاعتبار والكرامة وعلى حقوقها فى بيتها وبين أهلها وقومها ، وهذه هى المسألة التى يظهر فيها فضل للإسلام لا يستهان به ولا يقبل الإنكار .

قال الدكتور سميث : « إن الإسلام ـ لمجرد كونه أباح تعدد الزوجات ـ قد اتهم بتحقير

المرأة فإذا نحن نظرنا إلى المسألة بحكمة الزمن الواجبة مقابلين بين منزلة المرأة قبل النبي وبعده فالتهمة باطلة ، إذ كان عقد الزواج أيام الجاهلية من الوهى والوهن بحيث يكاد لا يعترف به ، وكانت الاتفاقات الموثوقة تبرم وتنقض كل يوم ، والنساء محسوبات فى حكم الماشية التى يجوز للآباء والأزواج أن يتصرفوا بأمورهن كما يحبون ، ولم يكن للبنات وراثة ولا حق من الحقوق ، وكثيرا ما كانت البنت الوليدة تدفن فى طفولتها ، وعلى هذه الحالة التى كانت ولادة الأنثى فيها نكبة من النكبات البغيضة جاء الإصلاح الاجتماعى على يد محمد « صلوات الله عليه » فرفع من شأن المرأة كثيرا وامتنع وأد البنات وأعطين حقا من الميراث لا يساوى حق الأبناء — نعم — ولكنهن إزاء ذلك معفيات من تكاليف البيت ، وذلك من قضاء العدل عنده (عليه السلام) .

« أما حقوق المرأة المدنية فى التعليم والانتخاب والعمل فالقرآن يفتح لها أبواب المساواة التى تنالها كلما تقدمت الأمم الإسلامية فى عاداتها ومعاملاتها . فإن كانت المرأة المسلمة لم تنل تلك الحقوق بعد قرن أو بضعة قرون كما نالتها المرأة الأوربية فهذه أيضا لم تنل حقا منها قبل عصر الصناعة الحديثة ، وإنما نالت هذه الحقوق من الديمقراطية لا من الدين . فلم يجز — كما يقول المسلم — أن يكون الإسلام مسئولا عن هذه الحال .

« ويأتى الإسلام فى نظام الزواج بأكبر مساهمة له فى قضية المرأة . فإنه أحاط عقد الزواج بقداسته إذ جعله دون غيره رباطا للعلاقة المشروعة بين الجنسين فى ديانة تعاقب الزانى بالرجم ، ولا يزال الفتى حتى اليوم يراقص فتاته مواجهة ولا يمس جسدها لأنه ممنوع بغير زواج ، وليس لاتهام الإسلام بين بعض الغربيين بأنه دين سهولة فى علاقات الجنس موقع صواب فى السمع ولا مراء . والمساهمة الأخرى فى الإسلام فى قضية المرأة أنه يعطيها حق الموافقة على زواجها ، فلا يستطيع حتى السلطان ، أن يبنى بها كرها على غير قبول منها . ثم يأتى الإسلام بميثاق مكين للرابطة الزوجية وإن لم يمنع الطلاق منعا باتا إذ هو حلال بغيض فى أدب النبى صلوات الله عليه وإنما يلجأ إليه كما يلجأ إلى آخر الحلول فما من شىء يبغضه الله كما يبغض التفرقة بين الزوجين . وقد أوجب من التدبير الشرعى ما يصون عقد الزوجية ، إذ أوجب على الأزواج قبل الزواج أن يدخروا حصة كافية باسم المرأة تؤول إليها عند الطلاق ، ويحصل الطلاق بعد الاحتكام إلى الأهل والمصالحة على الوفاق وفترات من المهلة والإنظار ، مما يراد به الإقلال من دواعى الفصل بين

المرأة وزوجها جهد المستطاع . ويحق للمرأة كما يحق للرجل أن تعمد إلى هذه الوسائل للتوفيق .

« وتبقى بعد ذلك مسألة التعدد ، فيسمح للمسلم بعدد من الزوجات، تختلف الأقوال فى حالات جوازه ، وإن كان لا خلاف على الحالة الفضلى وهى الاكتفاء بالزوجة الواحدة استناداً إلى نص القرآن على وجوب العدل بين الزوجات وصعوبته مع الحرص عليه . ولما كان العدل فى القرآن لا يقتصر المساواة على الأمور المادية بل يشمل المودة والعطف والرعاية فمن الواضح أن القرآن يفضل الاكتفاء بالزوجة الواحدة فى عموم الأحوال كما كان مفهوما منذ القرن الثالث للهجرة ويزداد الأخذ به مع الزمن . وقد ينص على ذلك فى العقد اجتنابا للخلاف وتعهداً من الزوج ببقائه على شرطه . أما الآيات الأخرى التى تجيز للمسلم أن يجمع بين اثنتين إلى أربع ولا يزيد - والنبى قد عدد زوجاته - فإنها إذا أباح بها بعضهم أن يجمع بين عدد من الزوجات فى جميع الأحوال لغير ضرورة فالجمهرة المتزايدة من المسلمين ترى فيها مثالا لمرونة الإسلام واحتياطه لمختلف العوارض والضرورات . إذ لا تخلو هذه الدنيا على ماهى عليه من نقص وخلل من حالات شتى يكون فيها تعدد الزوجات خيراً وأسلم من الحالات الأخرى .

وقد يحدث أن تصاب الزوجة بمرض يقعدها ويعطلها عن واجباتها البيتية ، كما يحدث فى أعقاب الحروب أن يربى عدد الأناث على عدد الذكور ، وربما أشار المثاليون فى أمثال هذه الظروف بحل من حلول البطولة العالية يعتصم بها الرجال . إلا أن البطولة العالية ليست من الشرائع التى تعمم بين الألوف من العامة والخاصة ، وإنما الخيار فى المسألة بين زواج متعدد ينهض بتبعاته ويصون حياءه وبين تعدد فى العلاقات على غير شرع وبغير تبعة . . . » .

* * *

وأعم من شبهات الغربيين على قضية المرأة فى الإسلام شبهاتهم على القدرية أو الاستسلام « للقسمة » و « المكتوب » و « المقدر » الذى يجعل المسلم فى رأيهم كالحجر الملقى أو الآلة المسخرة لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يختار لها مصيراً إلى الصلاح أو الفساد . وقد راق بعض المتعصبين منهم أن يتهموا الإسلام بهذه « الآلية » العقيمة وأن يعيبوا عليه مع ذلك أنه الدين الذى يدعو أتباعه إلى حمل السيف وبذل الحياة وهما غاية ما يقدم عليه الإنسان فى حياته من سعى وهمة ، وطاب لهم أن يجعلوا الإسلام مسئولا عن هذين النقيضين لأنهم يريدونه مسئولا عنهما على أية حال .

هذه الشبهة على القدرية الإسلامية مما عرض له صاحب هذا الكتاب وجاوز فيه حد « الصمت » والحيدة المريبة ، فقال إن المسلم يؤمن أشد الإيمان بعظمة الله وقدرته وسلطانه فى خليقته ، ولكنه يحمل تبعته ويحاسب نفسه على هدايته وضلاله ويعلم من آيات كتابه الكثيرة أنه صاحب إرادة يتجه إليها الخطاب من الله ، « فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها » .

* * *

إلا أن العثرة الكبرى أمام هذا المؤلف وأمام غيره من كتاب الغرب ، من يعرف منهم العربية بعض المعرفة ومن يجهلها كل الجهل ، إنما هى عثرة الحكم على بلاغة القرآن وبلاغة العربية على عمومها فى شعرها ونثرها وفى كلامها المطول وكلمها الوجيز ، ومنه ما يرتفع فى البلاغة إلى الذروة التى لا يعلى عليها فى كلام معروف بين أبناء الحضارة .

وقد أشرنا إلى هذه « العثرة الكبرى » عند تلخيصنا لكتاب الأندلس الإسلامية ، ونعود إلى الإشارة اليها بصدد التعليق الصريح الذى أورده مؤلف هذا الكتاب بعد رواية بعض الآراء الغربية المتواترة فى هذا الموضوع ، ومنها آراء أناس يحسنون القول فى رسالة النبى عليه السلام ويودون لو استطاعوا أن ينفذوا إلى أسرار الإعجاز القرآنى كما يحسها المسلمون من المطلعين على روائع البلاغة عند الغربيين . ونحن نعتقد أن القوم معذورون فى حيرتهم لسبب غير سبب المخالفة فى الدين أو المخالفة فى النظر إلى مصدر الكتاب الكريم . فإن القوم - فيما نرى - أشبه بمن يقرأ الكتابة بالصور ولا يخلص منها إلى مدلول تلك الصور من الحروف الأبجدية ، وكأنهم لا يزالون فى عصر الصور « الهيروغليفية » بعد أن أصبحت هذه الصور حروفاً تتألف منها المعانى والكلمات ولا تلتفت العين إلى أشكالها وأشباهها إلا وهى عابرة مسرعة إلى الكلمة المركبة من رسوم تلك الأشكال والأشباه .

إن الجيم - مثلا - لاتزال حافظة لشكل الرقبة التى تدل على الجمل ، ولكن القارئ العربى لايفكر فى الجمل وهو يقرأ الجيم ويضم اليها الميم واللام . وكذلك نفعل نحن قراء العربية حين نعبر التشبيهات بالشموس والأقمار والبحار والأغصان وسائر المجازات التى تحكى انما معانيها بالإيماء والإيحاء . فنحن نفهمها بمدلولاتها - مباشرة - ولا نتوقف عند أشكالها ورسومها المحسوسة للعيون والأسماع ، أو نحن كما تقدم نعبر دور الصور الهيروغليفية إلى دور الحروف والمقاطع والكلمات ، ولا نشعر من أجل هذا

بالحيرة أو الربكة العقلية والحسية كلما عرضنا تلك التشبيهات المجازية وهى تتابع أمامنا واحدة تلو الأخرى بصورها الذهنية مجردة من صورها المحسوسة للأبصار والآذان.

وعلى هذا النحو يسمع الموظف الذى يتلقى الإشارات البرقية شرطات ونقاطا يتبع بعضها بعضا على عجل وهو يكتب على الورق حروفا وكلمات يفهمها على الأثر كأنه يستمع إلى متكلم فى المذياع، ولعل المرانة صانعة فى «تبليغ» البلاغة العربية إلى أذهان الغربيين مايعينهم على تقدير الآيات المعجزة التى يحارون فى تعليل إعجابنا بها واستيلائها على شعورنا، وإن كانت المرانة وحدها لاتغنى غناء السليقة المطبوعة والنشأة الطويلة والتلقين المسموع والموروث.

* * *

ويختم المؤلف كتابه بنظرة شاملة إلى مستقبل الإسلام بين الأديان، فيقول: إنه فى هذا العصر - كما كان فى العصور الغابرة - أسرع الأديان إلى كسب الأتباع المصدقين، وأنه على الرغم من قلة دعاته وكثرة الدعاة إلى المذاهب المسيحية تكاد نسبة الداخلين فيه بين الإفريقيين تساوى نسبة عشرة إلى واحد ممن يتحولون عن عقائدهم البدائية إلى الأديان الأخرى.

ويهمنا من تقدير المؤلف لانتشار الإسلام فى الصين أنه ولد هناك واشتغل بشؤون العقائد على أوسع نطاق. فهو أحرى أن نستمع إليه وأن نتبين من تقديره أن مصادر الإحصاء الرسمية تتعمد المبالغة فى الإقلال من عدد المسلمين من أهل الصين، وقد وضح ذلك كل الوضوح من تقديرهم كلهم بنحو عشرة ملايين وهم كما جاء فى بعض الإحصاءات المرتجلة يقاربون مائة مليون أو يزيدون، فإن حسبنا للمبالغة حسابها فى الإحصاءين فالتوسط بينهما أقرب إلى التقدير الصحيح وأولى أن ترجحه هذه الملاحظة - ملاحظة الزيادة المطرده فى عدد المسلمين - يبديها خبير مختص بالأمر شديد العناية بأحوال الديانات والمتدينين.

إن المسئولين عن مستقبل الإسلام فى عصرنا هذا عملا يلحق فى جلالته وعظمه بعمل أمثالهم فى عصر الدعوة الأولى، ونحسب أننا نفيد من أقوال شراحه لأمم الغرب فائدة تساوى عناء الاطلاع على تلك الأقوال إذا تيقظنا فى أوان اليقظة لتلبية الدعوة المقبلة:

إن الأسماع مفتحة من حولنا، والسامعون يقبلون علينا. فهل من مسمعين؟

عباس محمود العقاد

آراء وأحاديث

للأستاذ الأكبر

حديثه الى الأهرام

قال فضيلة الأستاذ الأكبر، الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر « للأهرام » ستخرج الشيوعية حتما من العراق، وسيقضى على الصهيونية فى إسرائيل بإذن الله، وسترتفع راية القومية العربية فوق بغداد، وفوق أرض الميعاد، وسيصدق الله وعده، وينصر أمانى عبده جمال عبد الناصر، لأن تربة الشرق العربى غسلتها الأديان بماء الخلق والإيمان، ولن تنمو فيها أية بذرة فاسدة.

ثم قال الأستاذ الأكبر: إن لهب الشيوعية فى العراق من أساليب الجهر بالسوء، ولن يلبث أن ينطفىء لأن نور الله أقوى منه.

وهناك شيئان متلازمان متعاونان للقضاء على البشرية والأديان والمثل الإنسانية وهما الصهيونية والشيوعية.. والصهيونية معول يهدم الصلة بين أبناء البشرية ويمكن للطغيان والعدوان، والشيوعية أشد المعاول هدما للصلة بين الناس وبين الله.

وهذان الخطران لا يحلان بأرض إلا ضاع فيها الأمن وذهبت الطمأنينة والاستقرار.

ومن هنا وجب على كل عربى مسلم فى كل قطر، وكل بيت، وكل شارع، أن يحارب هذا الخطر بكل ما أوتى من قوة، وأن يبذل كل مايستطيع من جهد ومال ونفس، لتطهير « الأرض الطيبة » أرض النبوات ومهبط الرسالات، من هذا الدنس الشيوعى والصهيونى على السواء، وقد أذن الله فى رد هذا العدوان بما يدفع العدوان.

واستطرد فضيلة الشيخ يقول: إن التناقض بين مبادىء الإسلام، والشيوعية واضح كل الوضوح، فأول ركن من أركان الإسلام الاعتراف بوحدانية الله، والشيوعية تهدم هذا الاعتراف من أساسه، والذى لا يؤمن بالله يستبيح انتهاك الأعراض وقتل النفس وأكل أموال الناس بالباطل إذ لا وازع له من دين أو ضمير.

وقد حرصت الأديان كلها على احترام الحرمات الخمس لكل فرد، وهى الدين، والعقل، والعرض، والمال، والنفس، واعتبرت الاعتداء على أية واحدة منها فى الفرد الواحد اعتداء على الإنسانية كلها.

قال الله تعالى: « من أجل ذلك كتبنا على

بنى إسرائيل . أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » ، فالمسئولية جماعية ، وكل فرد منا مسئول عن أى عدوان يقع على نفس أخيه أو عرضه ، فى أى مكان من الوطن الأكبر .. فإن وطن العروبة لا يتجزأ ، والإسلام لا يعرف حدوداً من أجزاء الوطن العربى ، والقومية العربية .

ومضى شيخ الأزهر يقول : إن أحداث العراق الأخيرة تهز كل مسلم فى الوطن الإسلامى الكبير ، وإن حوادث الإرهاب التى يرتكبها بعض معتنق الشيوعية فى العراق لا يرضى عنها الله ، ولا يرضى عنها رسوله ولا المؤمنون ، فإن استباحة المسلم قتل أخيه المسلم أو تعذيبه بغير حق ولمجرد أنه يقول (ربى الله والعروبة وطنى) إجرام لا يرتكبه الشيوعيون أنفسهم فى بلادهم على هذه الصورة المثيرة .

قال تعالى :

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) وما هى إلا سحابة حمراء مظلمة فى سماء العراق العربى الحبيب لا تلبث أن تنقشع وتصفو السماء ، وتشرق أرض العراق بنور ربها وتغسل كل ما علق بها من أدران .

وقد قلت للسفير الكندى ، حين سألنى عن مدى انتشار الشيوعية فى البلاد العربية والإسلامية ، إن أرضنا هى مهبط الأديان ومستقر الوحى والرسالات ، وقد غسلت الأديان تربتها بماء الطهر والخلق والإيمان . . وهى أرض « مالحة » تقتل كل بذرة فاسدة ولا تقبل بذرة الشيوعية .. ولن تنمو فيها ، فكل بلد دخله الإسلام لن تقيم فيه الشيوعية ولن تعمر طويلا ، ولن تستمر الشيوعية فى العراق ، وسيتم إجلاؤها والقضاء عليها حتما .

واستطرد شيخ الأزهر يقول : إن عهد المسلمين ببغداد منذ زمن بعيد أنها أرض الإسلام ومدينة الأخلاق ، وعرف العراقيون منذ دخل الاسلام بلادهم أنهم أشد تمسكا بدينهم ومحافظة عليه ، وأشد الناس تعصبا لعروبتهم وإيمانا بها ، وإنى على يقين من أنهم سيقذفون بالشيوعية خارج ديارهم ، وسيجدون من عروبتهم وإسلامهم قوة ومنعة وأمنا وسلاما ،

واتجه فضيلة الأستاذ الأكبر فى ختام حديثه إلى قاسم العراق ، فقال : إننى أريد أن أوجه كلمة خاصة أخاطب فيها إسلام قاسم وعروبة قاسم ، وأدعوه إلى أن يعود إلى الله ويسترد عروبته التى سلبتها الشيوعية ؛ ويؤمن إيمانا راسخا بأن يد العروبة البيضاء أطهر من أى يد استعمارية حمراء ، وأن شعب العراق

المسلم برفض هذه الفوضى ، وبمقت العدوان وروح البغضاء ، وأن الإسلام عصمة من الخطأ والزلل .

وأن يحذر كل الحذر قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وأن يضع نفسه موضع من يصدر الأحكام عليهم ، وأن يدرس الأمور دراسة موضوعية من الوجهة الواقعية والوجهة التشريعية الإسلامية وأن يبتعد عن الهوى وأن يقدر ما أدى زعماء العراق الأحرار من تضحيات للإسلام وللوطن العربى والعراق الحبيب وأن يؤمن أن علماء العراق أشد علماء المسلمين حرصا على دينهم ، وأنهم أولى الناس بالاتباع ، وأحقهم بالاستماع والانصياع . « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » هدانى الله وإياه ونجى العراق العربى من محنته ، وطهر أرضه من هذه الفتنة الهوجاء .

نداؤه الى العالم الاسلامى فى يوم فلسطين

إخوانى وأبنائى :

إننا نستقبل هذا اليوم (الخامس عشر من مايو) بقلوب قوية ونفوس مطمئنة . فقد كان درسا لا ينسى . كان درسا كشفنا به نيات أولئك الذين ذكروا مصالحهم ونسوا مصالح أوطانهم . أجل لقد كشفنا به عن نيات كان حجابها كثيفا وغطاؤها معتما مظلما . دميت منه نفوس ونفوس حزنا على ما رأت وألما على ما أحاط بها . ومع ذلك لم يخرجوا من الميدان الذى دخلوه إلا رجالا يخطون بأيديهم للتاريخ ويرسمون لأمتهم أهدافها وغايتها ، وتاهت أشباح فى خضم من الأضاليل والأباطيل والوعود الخادعة التى جروا وراءها حتى إذا جاءها كل واحد منهم لم يجدها شيئا فارتد بصره خاسئا وهو حسير .

إخوانى وأبنائى :

لقد استقبلنا هذا اليوم منذ أحد عشر عاما بآراء غير متفقة ، وقلوب مختلفة ، وخطط مبعثرة ذات اليمين وذات الشمال . لا يحدوها إلا صالح الفرد لا صالح المجموع ، مما أدى بنا إلى نتيجة هذا شأنها وتلكم حالها من قيام دولة اليهود فى أرض العرب تنفث سموم الصهيونية التى توهن الصلات بين الأفراد ، وتنشر الفساد والخراب فى البلاد . وهاهم أولاء الذين تحملوا فداحة العبء ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فشردوا عن أوطانهم وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا هذا وطننا الذى نشأنا فيه وتلك ديارنا التى أقمنا بها .

ولا مخرج لنا من هذا إلا أن نتعرف موطن الداء ، ونجتثه من جذوره بأن نعود نحن العرب - أجمعين إلى وحدتنا التى تشد أزرنا وندفع بها أعداءنا - أعداء القومية العربية ، ولا مناص لنا من هذه الوحدة ؛ فإننا أمم تجمعنا والحمد لله جمعة من تفاعل الأحداث واتحاد اللغة ووحدة القبلة ووحدة المشاعر . لا بل نحن أمة متكاملة متجانسة متجاوبة اختصنا الله بهداية الناس بأن جعل أرضنا مهبطا للرسالات التى تحمل وحى الله فيأخذ بأيدينا يوم أن يحقق لها الوحدة الشاملة لنقوى بها ونقضى بهذا التنافر على أحلاف الشر وأبناء الشيطان وأنصاره . ولكن الأمم الاستعمارية التى طالما نادت بأنها ترعى الإنسانيه وتحافظ على حقوق الإنسان - هذه الأمم لا تريدنا إلا متفرقين ؛ فهم يحرصون دائما على غرس أسباب الفتنة والفرقة بيننا ، وبث أسباب الخلاف بين صفوفنا . ونحن نقول لهم إننا صف واحد وأمة واحدة ذات اتجاه واحد وهدف واحد ، لم يعد للاستضعاف مكان بيننا ولا للفرقه ثغرة فى صفوفنا .

ومن ثم فإننا نحس جميعا أن الوحدة أصبحت من لوازم الحياة عندنا فى هذه الحقبة من الزمن « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » ، « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

إن هؤلاء اللاجئين المشردين الذين أعوزهم العائل والنصير ، ومل أطفالهم العرى والجوع ، يطلبون منا أن تكون حلولنا لقضية الإنسانية حلولا عاجلة وناجزة ؛ فإن فلسطين التى ضاعت أمام الفرقة وجب أن تعود لأصحابها بيد الجماعة. لقد أخرجوا من أرضهم بغيا وعدوانا بغير حق بدسائس الاستعمار الذى لو ترك العرب واليهود من غير إثارة ولا تفريق لعاشوا جميعا فى تآلف وتعاون أخوة متحابين ، كما كانوا يعيشون قبلا ، وكما يعيشون فى كل بلد من البلاد العربية .

إن واجب رجال الاستعمار - إن كانوا يؤمنون بمعنى الإنسانية الفاضلة التى طالما زعموا أنهم وضعوا حقوقها وأقاموا من أنفسهم حراسا عليها - إن واجبهم يقضى عليهم بالتخلى عن هذه المواقف التى توقد نار العداوة والبغضاء بين العرب وغيرهم ، وأن يتركوا للعرب أرضهم التى جعل الله لهم فيها معايش وطلب منهم أن يعمروها ؛ فيعود السلام والوئام إلى هذا الجزء من العالم بل يعود إلى الإنسانية كلها .

حديثه إلى مجلة « تايم » الأمريكية

سأله مستر وليام ماكييل عن رسالة الصحافة فقال فضيلته : أنا أعتقد أن الصحافة لسان من ألسنة الدعوة الحتمة للترابط الإنسانى وتوثيق عرى المحبة بين الناس أجمعين ، وتنقية العلاقات الإنسانية وتصفيتها وتوجيهها لمثلها العليا وقيمها الفاضلة وأدعو الصحافة فى كل مكان إلى أن توجه العالم إلى الخير وأن يكون دستورها قوله تعالى : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) .

وسأل فضيلته عن رأيه فى الموقف الدولى فقال : إن من خير المبادىء التى أخرجت للناس مبدأ الحياد الإيجابى بين جميع المعسكرات وهو المبدأ الذى دعا اليه الرئيس جمال عبد الناصر ليصون منطقة الرسالات السماوية ومهبط النبوات من التيارات الدولية المتباينة . أما هذه المؤتمرات الدولية التى تعقد لحل المشكلات بين المعسكرين فالخير يرجى منها إذا كانت لخير البشرية ولم تكن لتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ والله سبحانه وتعالى يقول : (لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) .

ولما سأل فضيلته عن دور الأزهر قال : إن للأزهر جانبين : جانباً يخدم اللغة العربية لنفهم القرآن وندرك مافيه من أسرار ، والجانب الآخر فهم المبادىء التى اشتمل عليها القرآن والعمل على نشرها ، إذ نحن مكلفون بإبلاغها إلى الناس كافة حرصا على الإنسانية ورخائها ودعما لكيانها ، فقد حمل الإسلام ما تسعد به الإنسانية من آداب وسياسة واقتصاد واجتماع وعلوم دنيا ودين ، وللأزهر مركزان ثقافيان فى واشنطن ولندن ، غير ما هنالك من بعثات أخرى .

وتحدث فضيلته عن مدى تعاون الإسلام مع الأديان الأخرى فقال : إن الإسلام يحترم كل رسالة منزلة من السماء ، ويوثق الصلات بين المسلمين وغـــير المسلمين ، وقد أباح للمسلمين التزوج بالكتابيات وأباح طعام أهل الكتاب وأحل ذبائحهم وزيارتهم والتعاون معهم للخير العام . قال تعالى : (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) وقال : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) .

ثم قال فضيلته : إن منهاجى فى الأزهر . هو إعداد الأزهرى إعداداً يمكنه من التفاهم

مع الناس جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها بلغاتهم ، ولذلك جعلت اللغات الأجنبية إجبارية فى الأزهر وسأعمل على تقوية العلاقات مع المسلمين الذين لا يتكلمون العربية . وأحب أن أقرر هنا أن الإسلام لا يعرف إكراه الناس على اعتناقه ، بل ينفر من ذلك ويرفض إرغام أحد على التخلى عن دينه ، والإسلام يحتقر التعصب ويمقته فلا تعصب للون ولا للجنس ولا لغير ذلك (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والشريعة الإسلامية نفسها تنكر التعصب . ونبى الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول : (ليس منا من دعا إلى عصبية ، ولا عصبية فى الإسلام) ومما روى أن الرسول بلغه أن أبا ذر الغفارى عير خادما له بسواد أمه فغضب عليه السلام لذلك وقال لأبى ذر : (إنك امرؤ فيك جاهلية . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح) .

ومضى فضيلته يقول : لذلك أتوجه إلى أمريكا وشعبها مطالباً بمسح عار التفرقة العنصرية ، وليعرف الشعب الأمريكى والشعوب كلها أنه لا عبرة بسواد أو بياض ، وأن الناس عند الله كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أحمر ولا لأحمر على أبيض إلا بالتقوى ، ألا إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته والناس شريفهم ووضيعهم أمام الله سواء .

وقال : إننى أدعو إلى التعاون العلمى العام بين جميع الدول والجامعات . وأنا شخصيا بينى وبين جامعات أمريكا صلات علمية وثيقة فمثلا فى جامعة كولجان فى نيويورك كان الدكتور كينيث مورجان قابلنى فى القاهرة وطلب إلى أن أكتب عن الإسلام (الصراط المستقيم) الذى قام بدوره بنشره ، وهكذا ترانى قد تعاونت معه حين طلب منى ذلك وكذلك مبدؤنا تعاون وتجاوب ما دام فى طريق الخير .

وإننى أعمل على وضع تفسير سهل ميسور لمعانى القرآن الكريم وترجمته إلى اللغات الأجنبية وأعتمد فى تحقيق ذلك بعد توفيق الله على معونة رجال حكومة الجمهورية العربية المتحدة وعلى رأسهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

وسئل فضيلته متى يفتح الأزهر أبوابه للمرأة تتعلم فيه وتنهل من دراساته الدينية ؟ فأجاب فضيلته :

إن هذا واجب دينى ، فعلينا أن نعلم المرأة تعليما دينيا واجتماعيا لتقود الأسرة وتوجهها التوجيه السليم وتجنب المزالق والزلل وحتى تسهم فى بناء مجتمع سليم صحيح أساسه الفضيلة والخلق القويم والدين الصحيح والعقيدة السليمة فيشب لنا جيل صالح يرعى حقوق ربه ويخافه فيؤدى حقوق الوطن عليه أداء صحيحاً .

ولكم عنى الإسلام بالمرأة فأنشأ لها حقوقا لم تكن لها . فورثها، وكانت لا ترث (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) .

وعلى وجه الإجمال أعطاها كل حقوقها فى حدود العلم والشرف والفضيلة .

وسئل فضيلته فى ختام حديثه عن رأيه فى الصراع القائم بين الشيوعية والقومية العربية فقال : إننى مؤمن بأن الإسلام والقومية العربية قد حكما على الشيوعية بالإعدام فى أرض العرب . وأن أساس الإسلام الإيمان بالله وبالشرائع السماوية فكل مذهب ينافى ذلك فالإسلام يرفضه ، والمسلم حريص على دينه وعلى عقيدته فنحن مطمئنون إلى أن الشيوعية أو غيرها لا يمكن لها أن تعيش بيننا ولا أن تحيا فى أراضينا ، وأنا أتوجه إلى أقطاب العالم جميعا من سياسيين ودينيين بأن يتحدوا ويتجردوا من المسائل الفردية والأعمال الشخصية إنقاذاً للبشرية ونهوضاً بها .

وعلى أمريكا القسط الأعظم من هذا ، بما لها من إمكانيات ، لقد عرفنا أمريكا بمبادىء ولسون وعرفناها داعية إلى الحريات حامية لها ، فأين هى والعالم يضطرم ويغلى كالمرجل؟ لا .. ولا أقول أمريكا وحدها ، وإنما أوجه القول إلى سائر الدول القوية أن تعمل على نشر السلام وتوجيه قواها للتعمير لا للتدمير .

وأنا مسرور بهذه الزيارة وأرجو أن تكون همزة وصل صالحة لتوصل ما قصدته إلى إخواننا فى البشرية وإخوتنا فى الإنسانية .

حديثه إلى الندوة . . .

قال مندوب الندوة بالقاهرة : ذهبت إلى الرجل الورع صاحب الصوت القوى، والرأى السديد ، والذى كان لتعيينه شيخاً للجامع الأزهر صدى طيب فى العالم الإسلامى .

لم أستطع أن أقابله فى مكتبه بإدارة الازهر، فذهبت إلى منزله فى مصر الجديدة ، فيلا صغيرة متواضعة ليس عليها حراس على الرغم من منصبه الخطير ، الهدوء يسود المكان ، ويضفى عليه جلالا ، وعندما دخلت عليه فى غرفة الاستقبال أحسست أنى فى حضرة عالم زاهد فعلا ، فالغرفة أثاثها قليل ، وقد جلس الشيخ على إحدى الكنبات متدثراً بشال كشميرى وبالرغم من مرضه فإن عينيه لم تفقدا قوتهما ولا لمعانهما ولا إشعاعهما .

وبعد التحيات والتعارف ، توجهت إليه بأسئلتى . . .

س : بدأ الأزهر الشريف فى عهده الجديد يرسل مبعوثين دينيين فى السفارات ، فهل يمكن اعتبار هذه الخطوة بداية بعوث تبشيرية مستقلة ؟

ج : إن مهمة الأزهر إنما هى الدعوة إلى الله فى جميع أنحاء الأرض برفق ولين « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ولقد طلبت دول كثيرة من الأزهر هداة ومرشدين وعلماء ومثقفين ؛ والأزهر يستجيب لها تحقيقا لرسالته وأداء لواجبه ، وأن ولاة الأمر فى الجمهورية العربية المتحدة ليؤيدون الأزهر ، ويمدونه بكل الأسباب التى تمكنه من أداء هذه المهمة ، وبهؤلاء الدعاة تترابط البلاد الإسلامية بعضها وتعز مع بعض جانبا .

س : ما هى الطرق التى تراها فضيلتكم كفيلة بنشر الوعى الدينى ؟

ج : لاشك أن تربية النشء تربية دينية هى خير ما نوجد به جيلا قويا يعتمد عليه الوطن فى نواحيه كلها لأن جيش المؤمنين أصلب عودا وأقوى على تحمل الأحداث ، والعقيدة الصالحة أثمن ماتقتنيه الأمم وأقوى سلاح يواجه به الشباب الحياة ؛ ولا أحب أن يكون إيمان الشباب إيمانا تلقينيا ، وإنما أريده إيمانا ثابتا ، عن طريق القدوة الحسنة من الذين يتطلع إليهم الشباب جميعا ، فى بيوتهم وفى مدارسهم ، وفى مجتمعاتهم التى يعيشون فيها ، وبهذا الوضع نجد أمامنا أمة مترابطة متماسكة الأطراف ، تحيا على قلب رجل واحد ، لا تهزها الأحداث ولا الأعاصير .

وأحب أن يعنى المسئولون وأولو الأمر بدفع الأمة إلى دينها الصحيح ، وأن ينشأ الناشئة على التربية الدينية السليمة ، وأن ينبهوا إلى مافيها من معان سامية ومثل عليا يسيرون عليها فى حياتهم وأن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن .

س : تشعبت مذاهب الأمة الإسلامية فهل يمكن توحيد هذه المذاهب ؟

ج : هذه دعوة سبق أن دعوت إليها كثيرا لأنى أومن أن الخلاف بين المسلمين ، وتفرق مذاهبهم ؛ وهذه العصبية الجاهلية التى تبدو فى بعض الأحيان ـ مفرقة للشمل ، مبددة للقوى ؛ وقد استغلها المستعمرون وأذكوا نارها ليفرقوا كلمة الأمة الإسلامية ويبددوا شملها ولكن عقلاء المسلمين وكبار العلماء ، وقفوا بالمرصاد لهذه الدعاية الخبيثة ، فكونت جماعة التقريب بالقاهرة ولقد عملت فيها جاهدا من يوم أن أنشئت إلى يومنا هذا وللمستقبل إن شاء الله راجين تحقيق أهدافها فى التقريب بين وجهات نظر المسلمين ؛ وجمع آرائهم ورأب الصدع بينهم ؛ حتى تعود إليهم كلمتهم الموحدة ، وجمعهم القوى . وها نحن أولاء قد خطونا خطوات مباركة فى هذا السبيل مؤمنين أن المصادر الأولى للدين الإسلامى إنما هى كتاب الله وسنة رسوله .

والأزهر يرى من جانبه أن من واجبه

السهر على فكرة التقريب ، ولذلك سأعنى إن شاء الله بدراسة المذاهب البينة الأصول الواضحة المعالم ؛ حتى يقف علماؤه على السبل المقربة ، وخاصة فى عهد هذه النهضة المباركة والدعوات الطيبة التى تدعو إلى توحيد كلمة المسلمين والعرب .

س : قامت دعوة لتقنين الشريعة الإسلامية وفق الأصول القانونية المتبعة ، واستنباط الأحكام للمسائل المستحدثة فى حياتنا الحاضرة فما رأى فضيلتكم فى هذا الرأى ؟ وكيف يمكن تحقيقه ؟

ج : إن الشريعة الإسلامية شريعة الزمن كله إلى أن تقوم الساعة صالحة لكل عصر وأوان ، وأن الفقه الإسلامى ملىء بالكنوز والذخائر ولكنه يحتاج إلى الفاهمين لأصول الشريعة وقواعدها الدارسين لحياة المجتمع ، المحيطين بأحوال التشريع وملابساته مع فهم صحيح دقيق لكتاب الله وسنة رسوله ، والأمة الإسلامية - والحمد لله - مليئة بالكثير من هؤلاء . فإذا ما صحت النيات ، وخلصت الاتجاهات ، وجدنا الفقه الإسلامى مقننا تقنينا عصريا ، يجد فيه القاضى حاجته ، والمتقاضى طلبته . والشريعة الإسلامية لا تمنع شيئا من ذلك ، وفعلا توجد الآن بعض المؤلفات جرى أصحابها على هذا النحو مما يسر الاطلاع لكثير من محبى المعرفة .

س : ما رأى فضيلتكم فى تعليم المرأة . هل يكون نصيبها منه نصيب الرجل ؟ ؟

ج : إن الشريعة الإسلامية شريعة تثقيف وتعليم وتوجيه ، لا تفرق بين ذكر وأنثى ، ولا بين فتى وفتاة . « ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ولا عمل إلا عن علم ومعرفة ، والرسول يقول (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ، وراويات الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرات ، فالعلم مورد مباح للجميع - لكن أريد للفتاة التى تنهل من مناهل العلم أن تعمل كل ما يحفظ كرامتها ، ويصون لها عفتها ومن غير ما إبراز لمفاتنها التى تثير بها الشباب ، وتدفعهم إلى الفتنة ، وتقوض دعائم الأمة وفى هذا الاطار للفتاة أن تتعلم وأن تتفقه وأن تنفع أمتها .

س : هل يمكن اعتبار الوحدة العربية خطوة أولى للوحدة الإسلامية ؟ وهل تقتصر دعوتنا الآن للوحدة العربية فقط أو نربط بين الدعوتين ؟ وما دور الأزهر الشريف فى هذا المضمار ؟

ج : وسكت الشيخ قليلا ثم التفت إلى وقال ... هذا سؤال سياسى ، وأنا لا أجيب عن الأسئلة السياسية .

وانتهت المقابلة ، ومازال صدى صوته بنبراته القوية يملأ قلبى ثقة وأملا برجال الدين ورسالتهم السامية ؟

مختار من الشعر القديم والحديث

ربّاه ... بعضَ النّور!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

إلى الظامئين للنور ، وأشواقهم تتشبث بالظلام

حَملت أمسى وغَدى   وسرْتُ نحو المَوْعدِ
حتّى وصلْت شاطئاً   يَهْمس بالتَّشهُّدِ
وترتوى آفاقُه   بالنور والتعبُّدِ
فقلتُ : طيرى واصعَدى   يانفس .. حان مَوْرِدى
فأجهشَتْ ، وانتفضَتْ   بلَحنها المستشْهَدِ
كلُّ الخطَايا فى يدى   يارَبِّ أجِّلْ مَوْعدى
فتَوْبتى موْءودةٌ   فى مهدها لم تولدِ
مازلتُ أدعو اللَّه عُمْراً   ثانيا لجَسدى
أعيدُ فيه سِيرةً   للرُّوح منذ مَوْلدى
نقيّةً من كلِّ ما   يُقضُّنى فى مَرْقدى
بريئةً من كل ما   يشوِى الرؤى فى خلَدى
ويجْعلُ الإيمان فى   نَفْسى غريبَ البلَدِ
يعيش كالضوْء السَّجينِ   فى سكون المعبَدِ
يديرهُ أغلالُه   لغايةٍ لم تُوجَدِ !
معذباً كأنه   سريرة المضْطهَدِ

أوْ ظامئٌ إلى سرابٍ ظامئٍ مُصَفّدِ
أوْ طائرٌ على خريفٍ هالعٍ مبدَّدِ
صَبَّ الأسَى فى نايِهِ أنينَ حُلْمٍ أسْوَدِ
يطْفِرُ من قُضبانه كمستغيثٍ مُقْعَدِ ..
أوْ طارقٌ أسرارَ بابٍ فى الظلام مُوصَدِ
يصْرُخُ ثم يمّحى فى اليأس والتردُّدِ ..
أو سابحٌ فى لجّةٍ مطمورةٍ بالزَّبَدِ
فى جيْبِ إعصارٍ على الأفْقِ يتيم الرشَدِ
يزِنُّ كالغيْظ بصدر الظالمِ المقيَّدِ ..
أوْ باحثٌ عن أملٍ فى نفسِه مفتقَدِ
أضاعه الأمس .. وضاعَ الأمسُ فى تيهِ الغدِ ..
أوْ حائرٌ على ظلامٍ قَلِقٍ مسهَّدِ
بغير نار اليأسِ لم يهْجَعْ ولم يُوسَّدِ ..
أوْ تائبٌ للهِ لم يُمْهِلْ ، ولم يتّئد
تنْقَاتُ أشواقهُ من مُوقَدٍ لمُوقَدِ
وللمعاصى حوْلها أجِنّةٌ لم تُولَدِ
تنِزُّ فى أحشائها بجذْوةٍ لم تخْمَدِ .
أوْ راحلٌ بغير تيهِ الدَّرْبِ لم يُزَوَّدِ
وغير ليلٍ كافرِ الرَّاحاتِ مصلوبِ اليدِ
نجومُهُ مبهوتةٌ فى أفْقِها المجرَّدِ
يُطِلُّ من شعاعِها المسحور ألفُ رَصَدِ

وألفُ شيطانٍ بغِىِّ الوجه باغى الجسد
مُحزَّم من الخطايا بشهاب أسْوَدِ
يَخطِف كلَّ تائبٍ بسهمه المسـدَّدِ
ويجعلُ العصيان للنَّدْمان أشهَى مَوْرد
ويُغرق الناسكَ فى بحرٍ أثيم المدَدَ
يظلُّ والإيمان فى جنبيْه نوَّاحَ اليـد
ملوِّحاً النُّسك والصـلاة والتهجُّد
وكل زهْد وتقىً للروح أو تعبُّد
فتعصِفُ الريحُ على دعائه المبـدَّدِ !!

* * *

ربَّاه .. بعضَ النور ! قد طمَّ الدجىَ فى خلَدى
سبحتُ بالإيمانِ فى تيـه عميقٍ أبدى
قلْبى إلى نوركَ نشوانُ بحبٍّ سرْمَدى
منطلقٌ إلى سماء بابُها لم يُوصَد ..
وجَسَدى محمَّـلٌ بكل ذنبٍ مُبْعِد
واصلت دقَّ البابِ ، حتى كاد يمضى مَوْعدى
وكاد يُقْلِينى الشجىَ والنَّوْح حول مَوْقدى
ربَّاه بعض التَّوْب والغفران للمستشهد
نزَعتُ ذاتى ! وانْتهتْ حقيقتى للأبد
وجئتُ أدعو الله عمراً ثانياً لجَسَدى !!

محمود حسن اسماعيل

بريد المجلة

الأزهر يكرم السيد إدهام خالد

فى صباح الثلاثاء ٢٠ من شهر شوال سنة ١٣٧٨ احتفل فى قاعة الاحتفالات الكبرى بالأزهر بتكريم السيد أدهم خالد نائب رئيس وزراء أندونسيا ورئيس جمعية العلماء بها ، وقد حضر الحفل فريق من علية القوم وكبار علماء الأزهر وعدد ضخم من طلابه وافتتح بتلاوة آى الذكر الحكيم، ثم نهض الدكتور محمد البهى مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر فقدم الضيف الكريم بكلمة موجزة ذكر فيها خدمته للإسلام وجهاده فى تحرير بلاده وأشار إلى الشبه بينه وبين عالم الإسلام محمد ابن تيمية فى جمعه بين حرية الفكر فى بحوثه الدينية وقيادته للطوائف الإسلامية ووقوفه فى وجه الغزوات التتارية والصليبية .

ثم قام صاحب الفضيلة الأستاذ وكيل الجامع الأزهر فألقى كلمة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى الترحيب بالزائر الكريم وهذا نصها :

أخى فى الله :

إنى - إذ أخاطبكم بهذا الوصف المحبب إلى نفسى ، وهو وصف الأخوة فى الله - لأشعر بارتياح عظيم ، ولذة كبرى ، لأن هذا الوصف الصادق يطابق واقعاً عملياً قرره القرآن الكريم فى صورة قوية واضحة ، حيث يقول الله عز وجل : « إنما المؤمنون إخوة » .

ولذلك لا أجد وصفا أعز على نفسى وأحب إلى قلبى من هذا الوصف الذى آثرت أن أخاطبكم به فى هذا الحفل المبتهج بقدومكم المنعقد لتكريمكم :

لقد وصف الله المؤمنين فى كتابه العزيز بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وأن بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، ولم يكن تفضيلهم إلا بأنهم أمة مبادىء ، ولم تكن عظمتهم إلا بأنهم مؤمنون بالله والإيمان بالله هو مبدأ الشعور بالكرامة لأنه هو الذى يشعر المؤمن بأنه مساو لكل من سواه ، فى العبودية لله ، وهو مبدأ المراقبة والتقوى ، لأن الذى يعلم أن له إلها يراه ، هو الذى من شأنه أن يراقبه ويخشاه .

بهذا كله كان المؤمنون أمة واعية قوية متكافلة على الحق والخير لا تأذن للشر

ولا للباطل أن يجد مكانا فيها ، كما كانوا أمة ائتلاف وأخوة واعتصام بحبل الله تربط بين قلوبهم روابط المحبة الصادقة الصافية فى ظل الإيمان وهداية القرآن.

وإننا وإياكم لمرتبطون بهذه الرابطة القوية المشتركة ، لا فرق بين من يعيشون فى ربوع أندونيسيا المجيدة ، ومن يعيشون فى ظلال الجمهوريه العربية المتحدة العتيدة ، كما أن هذه الرابطة نفسها هى العلاقة المقدسة بين المؤمنين ، فى مشارق الأرض ومغاربها حيث تقام الصلاة وتؤتى الزكاة وينادى لله وحده على مآذن المساجد ، الله أكبر الله أكبر حى على الصلاة حى على الفلاح.

فإذا وجدتم - أيها الأخ الكريم - علائم البشر فى هذا الحفل بادية ، وروح المحبة فى جنباته رائحة غادية ، فما هذه إلا مظاهر ابتهاج الأخ بأخيه ، والولى لوليه.

ونحن نعتقد أن لنا إخوانا كثيرين فى أندونيسيا ، يشاركوننا بالأرواح ، وإن بعدت الديار وتفرقت الأشباح.

فمرحبا بكم من إخوانكم ، وبين أصفيائكم وأوليائكم.

وسلاما وتحية لرئيس أندونيسيا العظيم المجاهد المناضل ، من الجامعة الأزهرية المجيدة التى حافظت على تراث الإسلام الخالد عشرة قرون بل تزيد ، والتى ما زالت تؤدى رسالتها السامية المقدسة فى رعاية الله بتأييد الشاب القوى المؤمن بالله المجاهد فى سبيل الله . الرئيس جمال عبد الناصر.

إن الله جمع بيننا فى أخوة الإيمان ، وجمع بيننا فى النضال من أجل الحرية والكرامة والاستقلال ، وجمع بيننا فى الأهداف التى ترمى إليها من أجل خير البشر وحثهم فى الإصلاح والطمأنينة والسلام ، وجمع بيننا فى التحذير من الذين يتربصون بنا دوائر السوء : أن نطيعهم أو نركن إليهم ، أو ننخدع بهم.

والآن يسرنى أن أرى فى أنفسنا معنى جامعا جديداً ، ذلكم هو التعاون العلمى فى ظل الإسلام وهدى القرآن ، وأن الأزهر الشريف الذى أتشرف بقيادته ليبارك هذا التعاون ويرجو له النمو والكمال إن شاء الله.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، والسلام عليكم ورحمة الله

وبعد ذلك قام السيد المحتفل به فشكر السيد سكرتير عام المؤتمر الإسلامى أن أتاح له بدعوته لزيارة الجمهورية العربية المتحدة أن يرى الأزهر حصن الإسلام والعروبة ومبعث النور والهداية ، ثم شكر الأستاذ الأكبر والسادة العلماء على جميل ترحيبهم به وتكريمهم إياه ، ثم أخذ يلقى محاضرته عن (التضامن الإسلامى).

فقال : إن التضامن الإسلامى ليس كالتضامن الذى يفهمه الغرب أو الشرق معتمدا على المادة والتسلح وإنما يقوم على أسس سماوية سليمة تهدف إلى سعادة الشعوب . وقال إن ثورة الأمة العربية وضعت حدا فاصلا للاستعمار فلم يعد يستطيع العبث بمقدرات الشرق ، وإن العالم كله اعترف بعدالة القضية المصرية ، وقد أسهمت أندونسيا فى الدفاع عنها دوليا وأعلن أن ٧٥ مليون مسلم فى أندونوسيا يتبعون تيار الوطنية الذى يكتسح بقايا الاستعمار من الوطن العربى .

وبعد الفراغ منها قام صاحب الفضيلة وكيل الأزهر فتلا قرار مجلس الأزهر الأعلى بمنح السيد إدهام شهادة العالمية الفخرية من درجة أستاذ بناء على اقتراح الأستاذ الأكبر، فتقبلها شاكرا . ثم مضى هو وكبار المحتفلين إلى دار الأستاذ الأكبر فأجزل له الشكر على ما طوق به جيده من جميل ترحيبه وعظيم فضله .

والضيف الكبير له ماض مجيد فى قيادة الحركة الاستقلالية فى أندونيسيا وهو عضو فى البرلمان الأندونيسى منذ عام ١٩٥٠ حتى اليوم ، وزعيم حزب نهضة العلماء أحد الأحزاب السياسية الأربعة الكبرى فى أندونيسيا .

ويشرف على حركة التوجيه الدينى والثقافى فى بلاده ، ويكافح ليجعل الفكرة الإسلامية مصدر التوجيه فى المجال السياسى والوطنى ، ويجاهد ليعقد للجمهورية العربية المتحدة لواء الزعامة على البلاد العربية والإسلامية .

والضيف العظيم يجيد اللغة العربية إجادة تامة إذ ينحدر من أسرة دينية عريقة ، ويعتبر من أنشط الزعماء فى الوطن الأندونيسى يعمل بكل إخلاص على تشجيع الثقافة العربية والإسلامية فى بلده .

الأزهر يعقد مؤتمرا لبحث شؤون فلسطين

دعا فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى مؤتمر عام حضره رجال السياسة وأعلام الأدب وكثير من الهيئات والطوائف وفى مقدمتهم علماء الأزهر ورجال الاتحاد القومى .

وفى تمام الساعة الثامنة مساء انعقد المؤتمر فى قاعة المحاضرات الكبرى برياسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر نائبا عن الأستاذ الأكبر

بمناسبة يوم فلسطين . . . يوم ارتكاب الجريمة النكراء والمأساة المروعة والاعتداء الغاشم على الحقوق الإنسانية . فقد اغتصبت أرض فلسطين العربية وسلبت أموالها واغتيل شعبها وشرد من بقى حيا من أهلها .

وقد استعرض المجتمعون أسباب تلك

الهزيمة من الفرقة والانقسام والخيانات الداخلية، والخارجية والمؤامرات الاستعمارية والصهيونية . ومن ضعف القوى الروحية والعسكرية ومن الحرص على مظاهر الملك والسلطان واتهوا إلى اتخاذ القرارات الآتية:

١ - تأييد السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى سياسته الحيادية ودعوته إلى القومية العربية

٢ - الاستمرار فى بث الوعى واليقظة فى نفوس المسلمين والعرب حتى يعود الفلسطينيون إلى أرضهم العزيزة ، وأنه لا استقرار فى الشرق ولا سلام مع بقاء هؤلاء مشردين .

٣ - الدعوة إلى الاستمساك بأسباب القوة المادية والروحية .

هو السائب لا عمار بن ياسر

ذكر الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى فى مقاله القيم الذى نشره عن كتاب أندريه سرفييه فى مجلة الأزهر وقد علق الدكتور على قول مؤلف الكتاب أنه - أى الرسول صلى الله عليه وسلم - كان مساعدا لتاجر أقمشة يسمى سائب علق على هذا القول بالهامش بقوله : (لعله يريد عمار ابن ياسر) والصحيح أن الذى يقصده المؤلف هو السائب الذى قال عنه صاحب الاستيعاب (ابن عبد البر) أن عبد الله بن السائب قال: كان جدى أبو السائب ابن عائذ شريك رسول الله فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعم الشريك كان السائب ! كان لا يشارى ولا يمارى .

وقال صاحب الاصابة إن السائب بن الحارث قال الزبير بن بكار عنه عن عمه زعموا أنه كان شريكا للنبى صلى الله عليه وسلم بمكة .

وقال المعلق على قول المؤلف (وساقت الصدف سائب ومساعده الجديد إلى حياشا Hayacha وهى سوق هامة فى جنوب مكة ..)

قال المعلق : لعله يريد الحزورة . بيد أن السوق التى ذكرها المؤلف هى حباشة بالباء التحتية الموحدة لا بالياء المثناة التحتية ؛ فحباشة سوق من أسواق العرب كانت جنوب مكة وظلت تقام إلى عهد داود بن عيسى أمير مكة سنة ١٩٧ ﻫ كما يقول المؤرخ الأزرقى - ثم ألغاها بأمر من فقهاء مكة على أثر اعتداء وقع على أمير لهذه السوق من قبل القبائل المجتمعة بها فخربت .

وليس غريبا على المؤلف الفرنسى أن يغلط ويخلط ولا سيما وقد كتب كتابه وهو يكاد يتميز من الغيظ حقداً على الإسلام والمسلمين غير أنه فى هذين الإسمين كان أقرب إلى الصواب

أحمد على

مدير كلية الشريعة بمكة

زعماء من الأزهر . .

إن مؤتمر التضامن الأسيوى الأفريقى قد لعب دورا مثيرا فى تدعيم العلاقات بين القاهرة والحركات التحريرية فى قلب القارة الإفريقية . .

وهى علاقات قديمة . . علاقات ساهم مبعوثو هذه البلاد ممن درسوا فى الأزهر الشريف، فى وضع بذرتها الطيبة منذ سنوات طويلة . .

والشىء الذى لا يعرفه كثيرون أن عدداً كثيرا من متزعمى الحركات الوطنية فى القارة الأفريقية تلقى علومه فى الأزهر الشريف منهم .

أحمد الشيخ موسى . . وهو أحد زعماء الحركة الوطنية فى الصومال الإنجليزى حصل على شهادة العالمية فى سنة ١٩٥٦ .

وكان الوحيد من أعضاء وفد بلاده الذى استطاع أن يصل إلى القاهرة للاشتراك فى مؤتمر التضامن الأسيوى الإفريقى .

أما بقية زملائه فقد منعهم الانجليز من السفر . .

ولما عرف الأنجليز باشتراكه فى المؤتمر أصدر الحاكم البريطانى قراراً يمنع عودته إلى بلاده . .

● وزعيم آخر درس فى الأزهر الشريف اسمه على جلو . . لقد مثل السودان الفرنسى فى مؤتمر التضامن الأسيوى الإفريقى ...

وهو يشرف فى مدينة باماكو عاصمة السودان الفرنسى على مدرسة افتتحها على أثر عودته إلى بلاده بعد دراسته فى الأزهر لتعليم اللغة العربية . .

وكان الكولونيل موريست مدير الأمن العام الفرنسى فى مدينة باماكو قد حاول منعه من السفر للاشتراك فى المؤتمر الأسيوى الإفريقى ولكنه خدعه وسافر

المؤتمر المصرى والشيوعية :

عقد المحمديون مؤتمرهم غير العادى من أعضاء مجالس العشيرة وفروعها بالقاهرة وبحضور ممثلى فروع الأقاليم وممثلى الفروع فى بعض البلاد العربية والإسلامية ؛ وبعد بحث الموقف الجديد بين الشيوعية والإسلام وبين العروبة والانمياع أصدر المؤتمر بالإجماع القرارات الآتية :

أولا : تجديد بيعة السيد الرئيس جمال عبد الناصر على التأييد المطلق لسيادته فى موقفه الحازم من الشيوعية والإلحاد ومن دعوات المروق من العروبة والإسلام وتفدية موقفه هذا بكل ما يملك المحمديون من الدماء والأرواح والأموال والتوسل إلى الله أن يحفظه درعا وافياً للإسلام والعروبة .

ثانياً : التوجه إلى المسلمين برجاء الابتهال إلى الله والقنوت فى الصلوات الخمس والجمع

بمختلف المساجد أن يقصم الله ظهور الجبارين المتمردين على العروبة والدين وحماة الشيوعية الفاجرة بالعراق وأن يجعل بأسهم بينهم وأن يتغمد برحمته الشهداء من علماء الإسلام وزعماء العرب وأن يتولى أسرهم وذرياتهم بحفظه ورعايته حتى تنجلى هذه المحنة المريرة .

ثالثاً : مناشدة فروع العشيرة بالجمهورية العربية المتحدة ثم بالبلاد العربية والإسلامية مضاعفة الجهد فى تبصير الناس أثناء الخطب والدروس وعقب الصلوات بالدمار الهائل الذى تضمره الشيوعية لدين الله ولكرامة البشرية فهى دعوة هدامة لا تعترف بألوهية ولا بنبوة ولا كتاب سماوى ، ولا تحفظ للإنسانية حرمة ولا تعرف للقيم الأخلاقية وزنا ولا تؤمن إلا بالإرهاب والوحشية والفتك والدم والإباحية المجنونة ، فمقاومة هذه الدعوة فرض عين على كل مسلم ومسلمة لا يقبل الله عنها عذر معتذر .

رابعا : استصدار نشرات عامة توزع فى كافة أماكن التجمعات باستنكار أعمال الشيوعية بالعراق والتعريف بحقائقها ومبادئها وأهـــدافها وما أصاب المسلمين ومقدساتهم منها وبخاصة فى الجمهوريات التى ضرب عليها الستار الحديدى مع عقد ندوات بمختلف الأندية لمناقشة هذه الدعوة وبيان خطرها على كل المعانى الرفيعة فى البشرية والحياة الفاضلة وعلى الروابط والتاريخ والمواريث المقدسة .

خامسا : انتهاز هذه الفرصة لمضاعفة الجهد فى الدعوة إلى فضائل الإسلام وروحانيته الكبرى وبيان كنوز أسراره وحكمة تشريعه ومدى ارتفاعه بمستوى الإنسان وتكريمه والعدالة المطلقة فى قوانينه والأمن الشامل فى الاعتصام به .

سادسا : دعوة الهيئات الدينية والاجتماعية والثقافية والأزهر والطرق الصوفية إلى التعجيل بعقد مؤتمراتهم لمواجهة الخطر الشيوعى والصهيونية التى تؤازره واتخاذ القرارات اللازمة لحماية الدين والوطن فى هذه الفترة التاريخية الخطيرة .

سابعاً : الإلحاح فى دعوة الهيئات الإسلامية بمصر لإعادة تكوين اتحادها العام على أصول جديدة بحفظ لكل هيئة ميزتها وتأخذ بيدها إلى غايتها وتهيء للاتحاد فرصة المقاومة الجماعية للدعوة الشيوعية وما يليها من المذاهب الهدامة والاتجاهات القاضية على مواريث الإسلام والعروبة مع دعوة الهيئات الإسلامية بالشام إلى الإسهام فى هذا الاتحاد .

ثامناً : عقد مؤتمرات فرعية للعشيرة بمناطق تجمع العمال فى الأقاليم والمدن لتحصينهم

ضد الشيوعية والانحلال الاجتماعي والديني واخذ بيمتهم على كفاحها واجتثاث أصولها .

تاسعاً : التوجه إلى الحكومات والشعوب العربية والإسلامية برجاء التعاون الجماعي على مكافحة الوباء الشيوعي والقضاء عليه في مهده قبل أن يجد سبيلا إلى الحياة في أية منطقة من مناطق العروبة والإسلام .

محمد زكى إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية

نداء من شيخ المعهد الديني بدمنهور

(إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ، لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) .

أيها العربي ! في هذه الآونة العصيبة ، تمر عاصفة إلحادية رهيبة ، حول إقليم عزيز من الوطن الكريم . . .

إن بغداد التي شهدت الخلافة في أبهى خللها وأعظم عصورها ، ورأت أمجاد الدين تعانق أمجاد الدنيا ، وشعت منها أضواء الثقافة الإسلامية ، وأنوار المعرفة العربية . أصبحت اليوم تموج بأخلاط من الملحدين ، وأمشاج من المارقين . يحاربون العرب ويحصدون الإسلام « بمنجل » البغي ، ويحطمون العروبة « بمطرقة » الظلم .

أيها العربي ! إن دين الله ومذهب الشيوعية ضدان لا يجتمعان . إن دين الله يحمى الأعــراض ويصون النفوس ويحفظ الأنسان ، ويحتفظ لكل امرئ بما جنى من سعي حميد وكسب مشروع (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ويؤيد المساواة الصحيحة ، ويقوى إرادة الفرد ، ويؤكد العلاقات الاجتماعية ، ويحترم نظام الأسرة .

ومذهب الشيوعية يهتك الأعراض ويزهق الأرواح ، ويضيع الأنساب ، ويقضى على مواهب النابهين . ويدع حرية الفرد كريشة في مهب الريح ، تتقاذفها الأهواء ، وتنوشها الأطماع ، ويحطم العلاقات الاجتماعية . ويقطع الصلة بين الآباء والأبناء . فقل لهؤلاء :

(إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم) .

أيها العربي : تقرر الشيوعية أن الدين أفيون لتخدير الشعوب ، وتزعم أن الله من خلق الإنسان ، وتجعل للمادة في حياة الناس المكان الأعلى ، والمنزلة السامية ، وترى أن الديانات هي العقبة الأولى في طريق التقدم المدني فقل لهؤلاء :

(« أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى . أم من يمشى سوياً على صراط مستقيم ، « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ») .

أيها العربى : لقد مرت بنا من قبل أحداث جسام . وخطوب عظام . أبتلى الله بها الأمة الإسلامية ليبلو صدق الإيمان من زيف الآراء ، ويختبر قوة اليقين من ضعف الأهواء (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) .

وسينتصر شعب العراق على طغمة البغى . وشرذمة الفساد فالنصر دائما للحق .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض »

شيخ المعهد
عبد العزيز محمد سمك

إلى الأستاذ الأكبر :

من رئيس معارف الكويت

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد فقد تلقيت كتابكم الكريم الخاص بترحيبكم بالتعاون الوثيق بين مشيخة الأزهر الموقرة ومعارف الكويت فى مجال نشر الثقافة الإسلامية — وإننى أشكر لفضيلتكم ما أبديتموه من معاونة صادقة لمعارف الكويت ، سواء فى وضع الأسئلة لامتحان المعهد الدينى الكويتى أو فى اختيار الأساتذة للتعليم لدينا ، أو فى استقبال طلبتنا الذين يدرسون فى الكليات الأزهرية . ويسرنى أن أشيد بالتفاتكم الكريمة فى دفع تكاليف وضع أسئلة الامتحانات لمعهد الكويت من ميزانية الأزهر .

هذا ويطيب لى فى الختام أن أدعو الله أن يسدد خطاكم ويديم توفيقكم لخدمة الإسلام والعروبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ؟

عبد الله الجابر الصباح
رئيس معارف الكويت

ومن علماء سوس بالمغرب

صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر الشريف .

تحية من عند الله مباركة طيبة : وبعد لقد تأثرت جمعية علماء سوس بندائكم التاريخى الموجه إلى المسلمين فى سبيل الدفاع عن الإسلام

وإذ تهنئكم الجمعية على هذا الموقف الشريف ترجو الله تعالى أن يوحد صفوف المسلمين ويهديهم إلى ما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية.

تارودنت الحسين وجاج

ومن رئيس جمعية المقاصد الخيرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فإن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية فى بيروت ، التى وقفت نفسها لتعليم أبناء المسلمين فى لبنان أمور دينهم ، قد سرها غاية السرور ، ما علمته بلسانكم ، حين تشرف وفد مديرى مدارسها بمقابلتكم ، عن استعداد الأزهر الشريف لتزويد مدارسها بالأساتذة لتلقين كتاب الله وتدريس الدين الحنيف .

إننا نشكركم ، سائلين المولى عز وجل ، أن يحقق على يديكم الآمال ، وأن يبقيكم ذخراً للإسلام والعروبة .

صائب سلام
رئيس جمعية المقاصد الخيرية
الإسلامية فى بيروت

من طرائف الحكمة

الدنيا كالنار ، قليلها متاع وكثيرها بوار .

الدنيا كالماء الملح ، كلما ازددت منه شربا ازددت عطشا .

المتصل بمال السلطان كالسفينة فى البحر ، إذا أخذت منه فى جوفها أخذها فى جوفه .

المصلح فى الأمة كالمصباح فى الصحراء ، لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمنا .

الكتب

نقد وتعريف

مرآة الإسلام للدكتور طه حسين
بقلم الأستاذ محمود الشرقاوى

٣١١ صفحة . قطع متوسط طبع دار المعارف

١ - كتاب عن حياة العرب فى الجاهلية، قراها ومدنها وصحاراها وقبائلها الكبيرة وعلاقات العرب هؤلاء بمن حولهم من الناس والحضارات. وعن صدر الإسلام وإرهاصات النبوة وحياة الرسول وشبابه ونبوته، والقرآن والوحى والصحابة وحديث الرسول وأثره فى المعاصرين له الذين عرفوه وأخذوا عنه وتأدبوا بأدبه وتابعوا - بكل ما يستطيعون من الجهد - سيرته، وتخلقوا بخلقه، والذين عرفوه وأخذوا عنه وعاشروه ولكنهم لم يتأدبوا بأدبه ولم يتابعوه . بل خالفوا عن أمره ونافقوه وآذوه وآذوا صحابته والمسلمين أذى شديداً ، لأن الله شاء ألا يهديهم وألا ينفعهم بما بين أيديهم من أعظم الهدى وأكرم المثل فاختاروا لأنفسهم شر ما يختار المرء لنفسه . ثم يذكر بعد ذلك وفاة النبى وأثرها فى الصحابة وكيف تلقوها بين جازع ومنكر وجلد يذكر قول الله تعالى : إنك ميت وإنهم ميتون وأمثال ذلك من القرآن .

فإذا انتهينا بالقراءة إلى الصفحة المائة والثلاثين ، انتهى بنا المؤلف فى إيجاز شديد وفى وضوح شديد أيضا إلى وفاة النبى هذه . ثم نبدأ بعد ذلك نرى فى مرآته الصافية المعبرة ما كان من أمر صحابة النبى وأمر الإسلام بعد وفاته عليه السلام ، ثم ينتهى الكتاب الأول من « مرآة الإسلام » بعد ذلك بست عشرة صفحة حين ينصر الله أبا بكر فى حروب الردة. وحرب الكاذبين من المتنبئين. وحين نجد جزيرة العرب قد عادت كلها خالصة للإسلام لا نسمع فيها غير كلمة التوحيد .

ثم يبدأ بعد ذلك الكتاب الثانى عن أصلى الإسلام : الكتاب والسنة « التى ثبتت عن النبى ثبوتا قاطعا أو راجحا » كما قال .

وفى ذلك الفصل نجد حديثا قيما دقيقا واضح البيان عما سماه المؤلف « خصائص « الإيمان والإسلام والإحسان وما يجب على من يتصف بها أن يعمله لنفسه وللناس من الفضيلة والخير ، وأن يجتنبه من الأذى والشر . وفى هذا الفصل نجد الكلام عن الحديث وقبوله وحجيته قصيرا ممعناً فى القصر ولكنه واضح حاسم فى الأخذ بالحيطة والحذر فى ذلك ، فعلى رغم ما بذل أهل الحديث من الجهد فى تصفيته وتنقيته والتحرى عن رواته فى صدقهم وكذبهم وعدالة سيرتهم وضعف ذاكرتهم أو قوتها وقلة التثبت أو الأخذ عمن لا يصح الأخذ عنه ، على رغم هذا كله « ظل من الواجب على كل مسلم حين يروى له الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أن يحتاط قبل الأخذ به ، وأن يعرضه على القرآن ، فإن كان لا يناقض القرآن فى قليل ولا كثير ، ولا يناقض « المألوف » من سيرة النبى وعمله ، أخذ به ، وإلا وقف فيه » .

وبعد أن نقرأ حديث المؤلف عن دعوة الإسلام هذه التى بشر بها النبى عليه السلام وعاش لها وفصلها بالقول والعمل . ينتقل بنا الكتاب إلى حديث آخر عن تلك الفتنة المحزنة التى أصابت حياة المسلمين بعد مقتل عثمان .

صراحة فى الحديث نجدها قوية واضحة فى حديثه عن الفتنة التى فرقت أمر المسلمين بقتل عثمان وحروب على وعائشة ومعاوية . وهى صراحة لا نجدها بمثل هذا الوضوح والإفصاح فى غير هذه المواضع من الكتاب . وأبرز مثل وأقواه عن هذه الصراحة والإبانة ما تحدث به عن عائشة فى موقعة الجمل ، وعن معاوية وصحبه وابنه يزيد من بعده .

ثم يبلغ الكتاب ذروته وينتهى إلى غايته من الصدق والعمق وقوة التأثر والتأثير عندما نقترب من نهايته فى ذلك الحديث الرائع الصادق عن اختلاف المسلمين إلى فرق فى السياسة ، وفرق فى المذاهب والآراء . تبلغ بهم هذه وتلك مبلغ الخصومة والحرب وسفك الدم ، وكلهم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وكان حرياً بهذه الشهادة أن تعصم دماء بعضهم من بعض ، وحسابهم بعد ذلك على الله كما قال النبى عليه السلام فى بعض الحديث . ولكن الله إذا أراد بقوم سوءاً فلا مرد له .

وهو فى ذلك يلخص فى إيجاز شديد ولكنه واضح بين أمر هذه الفرق المختلفة من المعتزلة والمجسمة والمشبهة والمؤولة والمتصوفة والمرجئة والشيعة وأصحاب المنزلة بين المنزلتين ، وتأثر المسلمين فى ذلك بما عرفوا من ثقافة اليونان وفلسفتها خاصة . ومن مجادلة اليهود والنصارى فى دينهم .

وهو فى هذا الفصل الموجز الواضح البين قد لخص بمقدرة فائقة هذه المذاهب المختلفة التى شق الناس وما زال بعضهم يشق فى فهمها وإدراك معانيها عن تلك الكتب الكثيرة المعقدة التى تفصلها وتتحدث عنها فى توسع أو إيجاز، أو توسط بين التوسع والإيجاز. وأشهد أنى فهمت من حديثه هذا الواضح الدقيق عن قول المعتزلة فى خلق القرآن أكثر وأدق وأوضح مما فهمت عن هذا القول فيما قرأت من الكتب فى ذلك - وما هى بقليلة. وفهمت هذا الذى فهمته كثيرا دقيقا واضحاً فى صفحة وبعض صفحة من «مرآة الإسلام».

ثم ينتهى الكتاب بصفحات موجزة أيضا عن حاضر الأمة الإسلامية وعن السبيل إلى يقظتها ونهوضها، وهو حديث يوشك أن يكون ثورة، ستعود للحديث عنه فى ختام هذا المقال.

ويكفى أن أقول إن هذه الأحاديث كلها نطالعها فى «مرآة الإسلام» بقلم طه حسين، وما أنا بحاجة بعد ذلك لأن أصف ما فيها من الرقة والدقة والصفاء والخلابة الأخاذة الآسرة والوضوح.

٢ - والمرآة من شأنها أن تظهر وتوضح وتبرز، وليس من شأنها أن تعلل وتحلل وتظهر على الأصول والأسباب. وفى المرآة التى تطالعها عن الإسلام نجد بعض الملامح مبسوطة معروضة تتأثر بها النفس ويتأملها العقل. ونجد بعضها الآخر قويا مسيطراً يأسر النفس أسراً ويستولى على العاطفة استيلاء تاما. نجد صوراً تفيض بالروعة والصدق والبراعة يكاد القارىء لا يستطيع حبس دمعه أن ينساح على خده مسحوراً بها مأخوذاً بقوتها وروعتها وصدق تصويرها ودقة اللمسات فيها، كتلك التى صور فيها المؤلف عودة النبى من وفادته على ثقيف محزوناً مكروباً وقد آوى من التعب والجهد إلى ظل بستان من العنب، وما كان بينه وبين عداس يوم ذاك. وتلك التى قص فيها قصة كعب ابن مالك الأنصارى وزميليه اللذين تخلفا معه عن غزوة تبوك، وكيف صدق كعب «رسول الله فلم يعتذر كذباً، وكيف فوض النبى عليه السلام أمر كعب وأمر صاحبيه إلى الله. ثم أمر صحابته بجفوتهم وهجرهم خمسين يوماً حتى نزل فيهم قرآن غفر الله لهم فيه. وهى قصة رائعة حقا لكعب. صورها قلم المؤلف تصويراً لا يجارى ولا يبارى فى الصدق والعمق وبراعة الأداء لم أستطع معه حبس دمعى كما لم أستطع حين قرأت حديثه عن عودة النبى من وفادة ثقيف. وكذلك تلك التى تحدث فيها عن حديث النبى

قبل موته عن ذلك العبد الذى خيره الله بين هذه الدنيا وما عنده فاختار ماعنده : ذلك الحديث الذى أدرك منه أبو بكر وحده أن رسول الله راحل عنهم إلى ربه فقال : بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا . وتلك الصفحات الرائعة من أول الكتاب الثانى ، التى بين فيها أن معجزة النبى الكبرى هى القرآن .

وإلى جانب هذه الصفحات الواضحة البينة ، نجده يطوى بعض الأمور طياً ويتحاشى بذلك المسالك الشائكة والأمور التى يتجادل فيها أهل التفسير وأهل السيرة وأهل العقيدة فهو يروى قصة الإسراء وتكذيب قريش لها واستهوالها قول النبى فيها ، يروى ذلك كله فى سطور قليلة ولكنها تسير على القول بأن الإسراء كان بالجسد . وبذلك يتحاشى كل هذا الذى قيل من أنها كانت بإسراء الروح أو أنها كانت رؤيا منام . إلى آخر هذا الجدل الذى نجده عند أهل التفسير وأهل السيرة وأهل العقيدة . والدكتور المؤلف متلائم بذلك مع دعوته التى يدعو اليها فى الكتاب . وهى أن نأخذ القرآن بظاهر لفظه ونفهمه كما فهمه صحابة الرسول يوم نزل على النبى فتلاه عليهم . وأن نقف عند ذلك . ونجد كذلك من الأمور التى طواها وتحاشاها حديثه عن الإيمان .

ويمر كذلك مروراً عابراً على قضايا كان خيراً لنا وللقارىء أن نسمع فيها منه شيئاً من الإبانة والتفصيل والتعليل : كتلك القضية التى سجل فيها أن « أمراً ما » جعل المسلمين « يأخذون كثيراً من العلم عن زوجات النبى بعد وفاته » وكم كنا نفيد ونفهم لو أن الدكتور المؤلف شرح لنا هذا الأمر .

وهناك أشياء تحتاج كذلك إلى شىء من الإفصاح والبيان ، فإنى لم أفهم مثلا قوله فى إعجاز القرآن : « إن الذين يقرءونه أو يسمعونه دون أن يؤمنوا به يكذبون على أنفسهم ... الخ (ص ١٥١ - ١٥٢) وبعد هذه الصفحة نفسها أمور يمكن أن تناقش وتمتحن وتمحص .

٣ — على أن هناك أشياء أخرى قرأتها ووقفت عندها ولعل لأهل العلم والخبرة فيها رأياً . فهو يرى أن السورة التى تتناول موضوعاً واحداً من سور القرآن « يرجح » أنها نزلت جملة (ص ٤٨٩ وكذلك تلك التى « تتداعى موضوعاتها تداعياً شديداً ويلتزم فيها نسق بعينه » . وكذلك العكس . وما أدرى فى سور القرآن ونزولها هل يمكن الفهم والاستنتاج والترجيح ..؟ م الأمر كما نعرف أمر توقيف لا مدخل فيه للفهم والاستنتاج والترجيح ثم نجد فوق ذلك آراء لايذكرها الدكتور المؤلف على أنها « ترجيح » بل يذكرها بوضع يكاد أن يكون ملزماً فاصلا .

فهو يرى مثلا أن سورة يوسف «أنزلت جملة» وكذلك يقول القول نفسه فى سورتى «هود» و «الأنفال» ، ويذكر لذلك أسباباً شرحها . ولكننا حين نفتح المصحف بين أيدينا على مطلع سورة يوسف نجده يسجل أنها «مكية إلا الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ فمدنية» ، وحين نبدأ فى القراءة من الآية الرابعة - حيث تبدأ قصة يوسف نفسها - نجد الآية السابعة فى موضوع القصة أيضاً . وهى ، كما نجد فى المصحف مدنية . بين آيات مكية «تتحدث عن موضوع واحد» ، وكذلك الأمر فى سورتى «هود» و «الأنفال» فالأولى منهما نجد المصاحف تسجل أنها : مكية ، إلا الآيات ١٢، ١٧، ١١٤ فمدنية» والثانية يسجل المصحف أنها : «مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكية» .

وإنى أسجل هذا الذى قرأته فى «المرآة» ووقفت عنده لأقول إن أهل العلم والخبرة قد يكون لهم فيه رأى آخر .

ويقرر الدكتور المؤلف فى صدر الجزء الأول من الكتاب أن العرب كانوا يعرفون كثيرا من شؤون الفرس والروم والحبشة أيضاً ، ويذكر من تنصر من قريش كورقة وزيد بن عمرو . كما يذكر شعر النابغة وزهير والأعشى وأمية بن أبى الصلت الذى كاد أن يسلم كما تحدث عنه النبى عليه الصلاة والسلام . يقول «إن القول بعزلة الأمة العربية سخف من السخف لا ينبغى أن يقبل أو يطمأن اليه» ، ثم نجده يقول بعد ذلك بقليل إن العرب «لما يكادوا يتأثرون تأثرا ذا بال بمن جاورهم من اليهود والنصارى» ، ويجعل حكمه هذا شاملا لأهل الوبر وأهل المدر على السواء» .

ويقول إن قريشاً «لم يثبتوا ، وفروا» عند ما قدم أبرهة لهدم الكعبة . ثم يقول قبل ذلك بصفحة واحدة إن عبد المطلب «اشار على قريش أن تخلى مكة وتلوذ بشعاف الجبال وتخلى بين هذا الجيش وبين ما يريد» ، فقريش على ذلك لم تحارب ولم تواجه أبرهة بقتال حتى يقال إنها «فرت ولم تثبت» ، ولا أريد أن أقول - وحاشاى - إن فى هذا الذى ذكرته شيئا من التناقض . وقصارى أن أقول إنه كلام يحتاج ، كما يقول العلماء ، إلى «تحرير» .

وكذلك يقول الدكتور إن علياً رضى الله عنه امتنع عن بيعة أبى بكر أول الأمر لأن هذا منع فاطمة ميراث أبيها عليه السلام . فغضبت لذلك وغضب معها على . وحديث مطالبة فاطمة أبا بكر بميراث أبيها حديث واقع صحيح نعرف جواب أبى بكر عنه وأنه قال إنه سمع رسول الله يقول : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ماتركناه صدقة» ، وواقع صحيح أيضاً أن فاطمة غضبت من أبى بكر وغضب معها على وظلا مغاضبين له حتى ماتت فاطمة بعد ستة أشهر . ولكن المؤرخين الثقات - ونحن معهم - ينكرون أن يكون منع

أبى بكر فاطمة من ميراث الله أبيها هو السبب فى أن يحجب على البيعة عنه حتى تموت فاطمة .

٤ — والدكتور المؤلف يستخدم القرآن استخداما جيلا موفقاً فى رسم الصورة عن حياة النبى وعن سير الدعوة أول أمرها خاصة ، وعن علاقة النبى عليه السلام باليهود وما لقى منهم من شر وأذى ونكر . وما صنعوا معه من المكر والختل ، ومجادلته لهم وللنصارى عن إبراهيم وعيسى وغير ذلك وتصويره لنفوس المنافقين وحياتهم وموقفهم من النبى والمسلمين تصوير رائع سهل عميق . وقد استخدم المؤلف آيات القرآن الكريم أصدق استخدام وأجله فى مواضعها من ذلك كله . كذلك استخدم شيئاً غير قليل من العلم ، وعلم النفس خاصة فى تعليل الصور التى عرضها أو تحليلها . كذلك الذى فعل عند حديثه عن رأس الشرك : عبد الله بن أبى بن سلول وكيده للمسلمين وشفاء حقده عليهم وعلى النبى عليه الصلاة والسلام .

ويرى أن القرآن هو معجزة النبى الكبرى والتحدى به ثم عجز قريش عن تقليده والإتيان بمثله هما دليل صدقه والآية على أنه من كلام الله ، وكذلك الملاءمة بين موضوعات الآيات وبين صياغة القول ونسقه ويرى ـ كما أشرنا من قبل ـ أن القرآن يجب أن يفهم كما فهمه صحابة الرسول أول ـ ما تلى ـ عليها ، ويلتزم ، ويدعو لأن نلتزم، هذه القاعدة فى فهمه وتفسيره .

وهذه دعوة نعتقد أنها صواب وحق . وأنها جاءت فى وقت الحاجة إليها . فقد نجد الآن اتجاها أو رغبة أو لهفة على تفسير القرآن بالعلم أو فى فهم الآيات التى تعرضت للكون والحياة والخلق فهماً علميا . وهى نزعة نزعها فى العصر الحديث المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى . فلقيت رواجاً وتقديراً فى بعض البيئات الإسلامية النائية . ولكنى أعتقد أنها تنطوى على مخاطر نحن فى غنية عنها وعن تعريض القرآن والعقيدة لها .

وقد رأينا قبل مائة سنة مفسراً عظيما يفسر آية من كتاب الله مستخدماً ما عرف من العلم، فتحدث عن تجربة وصل إليه خبرها عن الطيران وأن من حاولها سقط بطائرته . ففرح صاحبنا المفسر الشيخ وقال إن هذا الذى حاول الطيران قد ذهب « إلى حيث ألقت » و « وتلقفته جهنم » لأنه أراد أن يستخدم الريح التى سخرها الله لسليمان وحده وجعلها له معجزة وكرامة .

ولذلك ينكر الأستاذ الدكتور طه حسين تفسير الإمام محمد عبده للطير الأبابيل التى ذكرت فى سورة الفيل ، وأنها كانت من المكروبات التى تحمل المرض . وكذلك نجد

الدكتور طه متمشيا مع قاعدته تلك فى تفسيره للآية الكريمة : « وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » فيجعل علم تأويله لله وحده . والراسخون فى العلم يؤمنون به من غير علم بتأويله .

وكما يضع هـذه القاعدة فى فهم القرآن - أو يختارها - كذلك يضع أو يختار قاعدة فى علم الحديث وهى أن صحة السند ليست دليلا على صحة الحديث نفسه . ويقول إن « القرآن جامع لما يحتاج له المسلمون » وهو كما يتشدد هذا التشدد فى فهم القرآن وفى تقبل الحديث يتشدد كذلك فى فهم - أو فى قبول - الإيمان وفى حقيقة العقيدة وأداء التكاليف. فهو يرى أن « حسن النية وصدق الإيمان » حين أداء العبادة شرط لصحة هذه العبادة . ويقول فى ذلك كلاماً جميلا وددت لو أقتبسه كله لولا أنى أطلت إطالة لم تكن لى على بال. وخلاصة هذا الكلام الجميل أن إخلاص النية لله فيما يؤدى الإنسان من الفرائض وما يأتى من أعمال الخير والبر شرط لصحة ما يأتى وما يدع ، وقبول ذلك من الله تعالى ، والنية لا تكون بالألسنة وحدها وإنما يجب أن تكون فى أعماق القلوب ، فإخلاص النية وصدق الإيمان عند العبادة ليسا عنده شرط كمال فقط ولا قبول فقط ، بل هما « شرط صحة » لهذه العبادة . وهى بدونهما فاسدة غير صحيحة . ونحن نعرف أن ذلك قول الإمام ابن حنبل رضى الله عنه .

٥ - وفى « مرآة الإسلام » أشياء أحسست وأنا أقرأها أنها قد تشير إلى شىء . وأنها تثير بعض التأمل والتساؤل . من ذلك قول المؤلف إن العرب قبل الجاهلية لم يكونوا بدائيين ، بل كان لهم شىء من حضارة نالوها بحكم صلاتهم بمجاوريهم من الفرس والروم ، وأنهم كانوا يتصلون بأهل اليهودية والمسيحية كما كان أهل مكة يتصلون « بأمم متحضرة فى الشام ومصر وفى العراق وبلاد فارس أيضاً . وكانوا « يرون » مذاهب هذه الامم فى الحياة ومذاهبهم فى الدين أيضا . فلم يكن من الممكن - كما يقول الدكتور - أن يؤمنوا بهذه السخافات التى كان يؤمن بها العرب الوثنيون » . وكذلك قوله إنه كان فى مكة أجانب أكثرهم من المسيحيين وفيهم اليهودى والمجوسى . وأن قريشا كانت تحس ، قبل البعثة بقصور حياتها الاجتماعية عن إقامة العدل بين الناس ، ولذلك كان تحالف طائفة من خيارهم وسادتهم فى حلف الفضول الذى شارك فيه النبى وأثنى عليه . فهل لهذه الحقائق والإشارات صلة بقضية الدين وتأثره بالبيئة . . . ؟

وفى المرآة أشياء كان فيها المؤلف حذراً حذراً يلائم المقام ولا يتعارض مع آراء

قررها من قبل فى كتب سابقة له معروفة قابلها الناس يوم قرأها بقليل من الرضى وكثير من الغضب، ولكنها كانت مثار اهتمام من هؤلاء وهؤلاء جميعا، نجد لذلك مثلا من قوله: «إن صح ما نسب إليهم من الشعر» يقصد بذلك الشعر الجاهلى. وهو يذكر فى مكان آخر كلمة «الشعر» مجردة من نسبتها ووصفها. وهذه قضية قديمة يمسها الدكتور مساً هيناً رقيقاً. ونجد لذلك مثلا آخر حين يتحدث المؤلف عن الخصومة بين قريش وعبد المطلب وعن احتكامهم إلى الكهان فى هذه الخصومة وعن تلك الآيات التى ظهرت لقريش - فيما يقول أصحاب الأخبار - فأقنعت هذه الآيات قريشاً بأن عبد المطلب ليس متكذباً ولا متكلفاً. وهو فى هذه المواضع وامثالها يكثر من ذكر كلمات: «فيما يقول الرواة» و: «قال أصحاب السيرة»، و: «ويقال» و: «يحدث رواة السيرة»، وأمثال هذه الجمل والكلمات. ويذكر بعض ذلك فى حديث الغار يوم الهجرة ثم ينتقل بعد هذه الجمل الاعتراضية انتقالا بارعا فيقول: «والشىء الذى لا شك فيه أن أبا بكر قد كان قلقاً فى الغار يخشى أن يدركهما الطلب»، ثم يذكر قول الله تعالى: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار» الآية.

فإذا بدأنا نطالع الصفحة التاسعة والثلاثين بعد المائة فنحن نبدأ الكتاب الثانى من «مرآة الإسلام» فنجد فصلا جميلا مفصلا موجزاً معاً عن الأصل الثانى من أصلى الإسلام: الحديث. وفى هذا الفصل الجميل المفصل الموجز نجد شرحاً بيناً واضحا لمسائل من شئون الدين والعقيدة أغنانا بها المؤلف عن مراجعة عسيرة شاقة لعشرات من الكتب والشروح والحواشى والتقارير إلى آخر هذه الأسماء التى عرفها وعرفناها ويعرفها من يريد أن يقرأ هذه المسائل من شئون الدين والعقيدة فى المؤلفات القديمة التى ابيض ورق بعضها وبقى ما فى هذا الورق من العلم والجدل والخلاف كما هو.

نجد شرحاً بيناً واضحا للسنة الفعلية والقولية وأن «ما ثبت منها» قد أمر المسلمون بأن يعتقدوه ويعملوا به، وأن النبى بحديثه هذا كان أول مفسر القرآن بالقول والعمل. ونجد شرحا موجزاً ولكنه واضح عن الإيمان وأنه يزيد وينقص ولا داعى لتكلف الدليل على ذلك فقد نص الله على ذلك فى القرآن. كما نجد شرحا بينا موجزا عن فرق ما بين الإيمان والإسلام. وهو فى هذه الأحاديث كلها لا يعتمد إلا على القرآن ولا يستدل بشىء غيره. ثم تسير فى أحاديث بارعة صادقة خلابة مفيدة أشرنا إلى شىء

النشاط الثقافي للأزهر

محاضرات عامة وخاصة :

بدأت قاعة المحاضرات الكبرى بالجامع الأزهر تؤدى رسالتها المنشودة ودب النشاط مضاعفا فى هذا المكان العتيد ، فإذا هو بعد ركود طال أمـــده يستقبل ألوف الوافدين ليستمعوا إلى برامج المحاضرات التى نسقتها الإدارة العامة للثقافة الإسلامية . .

والحيـاة التى سرت فى أرجاء هـذه القاعة الفسيحة تسد فراغا كان أولو الغيرة يشعرون معه بالضيق ، فإن الجامعات الكبرى بالشرق الإسلامى - وفى طليعتها مثـلا الجامعات

منها من قبل ، حتى ينتهى بنـا الكتاب إلى « حاضر الأمة الإسلامية » فإذا نحن أمام حديث مخلص يوشك أن يكون ثورة جارفة . وتنبيه وإنذار شـديد الوقع قوى صادق العاطفة يتلوه ما يراه صاحب المرآة - ونراه معه — سبيلا لليقظة والنهوض وإصلاح حاضر الأمة الإسـلامية . وبذلك يوفى الكتاب على غايته .

ولعل هذا الكتاب أول كتاب يقرأه الناس للدكتور طه حسـين وعن تلك الدار التى أخرجته وطبعته خاصة نجـد فيه خطأ ولحناً وقصورا فى الفواصل ، وقد كان ذلك محتملا لولا أنه أفحش فى الكثرة ، ولولا أنه تعدى حـديث المؤلف إلى الخطأ فى آيات القرآن الكريم ، كما نجد فى صفحات ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠٦ .

٧ — هذه نظرات فى مرآة الإسلام ، نقول بعدها إن هـذا الكتاب هو أصلح ما يمكن أن يوضع بين أيدى تلاميذ المدارس وطلبة السنوات الأولى من الجامعات ومن فى مستواهم ليعرفوا منه ما لابد أن يعرفوا عن الإسلام ونزوله ودعوته . وعن القرآن وحديث الرسول وأصول العقيدة . ثم هو بعد ذلك خير ما يمكن أن يترجم إلى اللغات الأوربية وغيرها ليعرف منه غير المسلمين ما يجب أن نعرفهم به من ذلك . هذه المرآة أعتقد أنها خير ما يمكن أن يترجم إلى اللغات الأخرى للتعريف بالإسلام ، لولا أنى أخشى سوء الأثر وسوء الفهم من ترجمة فصوله الأخيرة التى صور فيها انحراف المسلمين عن قرآنهم ودينهم وسنة نبيهم .

محمود الشرقاوى

الأمريكية بالقاهرة وبيروت - تولى قاعات المحاضرات اهتماما خاصا ، وتقدم لروادها زادا معينا من الأفكار والمشاعر ، فكان لابد أن يضطلع الأزهر وهو الأمين على تراث العروبة والإسلام بعبء التوجيه الصحيح وأن يصل الأجيال المعاصرة بمصادر انبعاثها الروحى والعقلى مصفاة من كل شائبة ، وأن يدفع التيارات الدخيلة على يتبقى ناحلاد نهضتها المرجوة بمأمن من الزيغ والعثار . . وقد عنى المشرفون على القاعة بإقامة نشاطها الثقافى على تلك الأسس الواضحة . فقدموا لونين متميزين من المحاضرات .

(١) البرامج التى يحتشد لسماعها جمهور الوعاظ وأئمة المساجد وتعتمد على التعبئة العلمية المنظمة وتشبه أن تكون استكمالا للدراسات العليا التى يحتاج إليها الدعاة والخطباء فى صلاتهم بجمهور الشعب .

(ب) المحاضرات العامة ، وهى علاج لشتى القضايا الاجتماعية والتاريخية على ضوء الحقائق الإسلامية ، ويدعى لسماعها جمهور غفير من المعنيين بهذه الشئون ، وغيرهم .

وانتظمت الدراسات العليا بالقاعة ابتداء من صباح ٥ شوال سنة ١٣٧٨ ، فى حصص رتيبة ، قام بالجهد الأكبر فيها الأستاذ الدكتور محمد البهى ، والأستاذ محمد المدنى ، والدكتور على عبد الواحد وافى ، وكان الموضوع الذى تسلك فيه محاضرات الدكتور محمد البهى هو « الشيوعية - الاستعمار - الصهيونية » ، أما الأستاذ المدنى فتحدث تحت عنوان « من القرآن » ، وتولى الدكتور وافى الكلام عن نظام الملكية فى الاسلام .

ولا تزال دورات هذه الدراسة الأسبوعية تحفل بها قاعة المحاضرات . بين وفود متجددة من أنحاء القطر يذهب فريق ليحل مكانه آخر أما المحاضرات العامة فقد ألقى خلال هذا الشهر عدد منها مساء كل ثلاثاء ، فتحدث الأستاذ السيد على السيد رئيس مجلس الدولة عن الاسلام والعلم ، ومحاضرته منشورة فى هذا العدد ، والاستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى عن فكرة الدولة فى الاسلام ، والدكتور محمد البهى عن الاسلام دين المستوى الكامل فى الانسانيه ، والدكتور على عبد الواحد وافى عن الاسلام فى المجتمع العربى ، كما ألقى الأستاذ الحاج أدهم خالد نائب رئيس وزراء أندونيسيا ، ورئيس حزب نهضة العلماء محاضرة حول التضامن الاسلامى . كما القى الدكتور / محمد عبد الله العربى محاضرة موضوعها - الإلحاد الشيوعى وآثاره فى النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وألقى الاستاذ / محمد فريد ابو حديد محاضرة جيدة عن المواريث الثقافية فى حياتنا .

التعبئة الروحية في الأزهر

اجتمعت اللجنة المشتركة للتعبئة الروحية برياسة فضيلة الأستاذ وكيل الجامع الأزهر الشيخ محمد نور الحسن وعضوية السادة : الدكتور محمد البهى مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر والسيد مراقب عام الشئون الدينية بوزارة الأوقاف والسيد مدير عام الوعظ والارشاد بالأزهر والسيد وكيل قسم المساجد وذلك بعد ظهر يوم الاثنين الموافق ٢٨ من رمضان المعظم الموافق ٦ من أبريل سنة ١٩٥٩ وقررت ما يأتى :

١ — أن يعد الوعاظ والأئمة إعدادا قصير الأجل لمدة أسبوع على أن يوضع لهذا الاعداد برنامج مفصل ويقوم بهذا الاعداد أساتذة متخصصون ممن عرفوا بالبحث فى مثل هذه الموضوعات على أن تلقى المحاضرات بالأزهر وأن يقوم ثلاثة من الأساتذة المحاضرين بالقاء ثلاث محاضرات يومية .

٢ — أن تقام ندوات علمية يشترك فيها عدد من الأساتذة لمناقشة بعض الفكر والمبادىء التى تتسم بطابع الاعتداء على التوجيه الإسلامى والتى من شأنها أن تغرى الشباب وتنحرف به عن الصراط المستقيم . والأمكنة لإقامة هذه الندوات على سبيل المثال (قاعة المحاضرات) ، (الليسيه فرنسيه) (مدرجات الجامعة) (قاعة الجمعية الجغرافية) (الشبان المسلمين) بعض أندية الضباط .

٣ — تقوم بعض المجلات الدينية كمجلة الأزهر . والمساجد . ونور الإسلام .. بنشر الفكر الموجهة ضد الانحراف والمبادىء الخادعة التى من شأنها أن تفسد عقول الشباب والمجتمع ومن أجل ذلك رأت اللجنة استمرار إصدار مجلة الأزهر فى شهرى ذى القعدة وذى الحجة بالإضافة إلى مجلتى المساجد ونور الإسلام.

على ألا يقف هذا النشاط الكتابى عند حد هذه المجلات وإنما تزود المجلات الأسبوعية والصحف ببعض المقالات التى لها طابع على لمعالجة هذا الجانب ومواجهة آثاره الضارة .

٤ — وبجانب هذا كله ترى اللجنة الاتصال بمراقبة شئون الثقافة بالإذاعة للإسهام عن طريق المذيعين المجدين فى هذه الموضوعات فى برامجها وعلى أن يخصص بعض الوقت لاذاعة بعض الندوات السابقة .

بيان لعلماء الوعظ والارشاد

عقد علماء الوعظ والإرشاد مؤتمراً عاما بالجامع الأزهر برياسة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ واستعرضوا ما وصلت اليه الحالة فى العراق من طغيان الشيوعية الهدامة وسفكها لدماء الأحرار فاصدروا هذا البيان واتخذوا هذه القرارات:

فى هذه الساعات الحاسمة من تاريخ الأمة العربية يمتحن المسلمون بحوادث العراق امتحانا يظهر ما فى قلوبهم من غيرة على دينهم ومقدساتهم وما لديهم من قوة كامنة يدفعون بها الأخطار والشدائد ... لقد اختار أعداء الاسلام وأعداء العرب ، العراق الإسلامى ميدانا لجرائمهم ووحشيتهم ظنا منهم أن ذلك يمكن لمبادئهم الهدامة وشيوعيتهم المخربة .. وغاب عنهم أن وجه العراق وجه إسلامى عربى ، منذ أشرق على العالم نور هذا الدين العظيم ، والمسلمون اليوم فى وعى كامل ونهضة شاملة لا تنطلى عليهم ألاعيب الاستعمار وهم مطمئنون إلى قوة مبادىء الإسلام كما يعرفون عن الشيوعية خطرها الهدام فى إفنائها شخصية الفرد واتخاذه آلة صماء تحركها دكتاتورية طاغيـــة لاتؤمن بالله ولا تعترف بشىء من القيم الروحية

والمسلمون لن يرضوا أن يكونوا عبيداً لأحد ولا أتبـــاعا لقوة تستمد سلطانها من المادية والفوضى .

إننا سنقف إلى جوار مبادىء الدين الخالدة مؤيدين بالفطرة السليمة والحجة الواضحة مقدرين مسئوليتنا فى الدعوة . مجاهدين فى سبيل دفع الخطر الدخيل عن بلادنا . وإن لنا من مبادىء الإسلام التى تحملنا أمانتها أقوى حافز للكفاح ولنا فى قيادة الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر مثل رائع فى وقفته الموفقة وصيحته المدوية التى أطلقها من قلب العروبة (دمشق) فزلزلت قلوب الهدامين والعملاء المأجورين .

أما هذه الدماء التى بذلها الأحرار فى العراق فى سبيل دفع عدوان الشيوعية وفوضى الإلحادية فهى دماء طاهرة زكية كتب الله لأصحابها الخلود فى جنات النعيم .

وليس جديداً على المسلمين أن يمتحنوا فى عقائدهم ومقدساتهم فلطالما نازلتهم الشدائد وتجمعت عليهم الأحداث فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .

وإننا لنهيب بجميع العرب والمسلمين فى شتى أقطارهم أن ينهضوا للدفاع عن دينهم وأوطانهم وأن يبذلوا فى هذه السبيل نفوسهم وأموالهم حتى يؤدوا واجب الجهاد المقدس الذى فرضه الله على المسلمين فى مثل هذه المواقف الحاسمة فى تاريخ الإسلام

وهاهى ذى القرارات التى أصدرها المؤتمر :

١ - استنكار ماتقوم به حكومة العراق ضد شعب العراق من إرهاب وتقتيل وتخريب .

٢ - تأييد الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر فى وقفته الخالدة ضد الشيوعية الباغية ونصرته لدين الله ومقدسات العروبة .

٣ - تلبية نداء الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بالعمل على أداء الرسالة وتبليغ الأمانة فى هذه الساعات الفاصلة حتى يتم النصر لله ولرسوله وللمؤمنين .

الإسلام والمسلمون في صحف العالم

استمرت الصحف العالمية طوال الشهر الماضى فى اهتمامها بالحديث عن الموقف بين الإسلام والشيوعية ، وكان مدار الحديث عن النداء الذى أذاعه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتعبئة العالم الإسلامى ضد الشيوعية والعمل لإنقاذ البشرية من هوة الفوضى والإلحاد ، وقد أثار المعلقون السياسيون أكثر من سؤال عن المدى الذى يمكن أن يبلغه الإسلام فى هذا المجال ، والنتائج التى يمكن أن يحققها إزاء دعاوى الشيوعية وأساليبها ، وقدرته على التمشى مع مطالب الحياة العصرية ، والاستجابة لما يؤثره الناس فى مصالحهم العامة والخاصة ، ولوحظ أن الصحف الإيطالية كانت أكثر الصحف اهتماما بهذا الموضوع ، وتناوله من نواحيه المتعددة .

تعبئة الإسلام روحيا :

فقد قالت جريدة « السيكولو » الإيطالية : إن نداء الشيخ شلتوت سوف يجد آذانا مصغية فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، لأن جميع الأوساط العلمية الإسلامية تعتبر الأزهر أكبر مركز دينى ؛ لما يتمتع به من سلطة وكثرة الطلاب الذين يتلقون علومهم الدينية فيه من أنحاء البلاد ؛ ولأن استرعاء النظر إلى الشيوعية الملحدة التى وصفت بأنها أكبر خطر على شعب متدين كالشعب العربى يأخذ فى حياته المدنية بتعاليم القرآن ، سيكون حافزاً لاتخاذ موقف سريع إزاء الشيوعية .

ثم أوردت الجريدة بعض الشواهد التى تؤيد دعوة شيخ الأزهر فقالت : إن موقف زعيم الحزب التقدمى فى أوغندا الذى أعلن أن الشيوعية إنكار لكرامة الفرد ، وأن مضاعفة الجهود فى تثقيف الشبان الإفريقيين فى « براغ » تثقيفا مناهضا للدين على أيدى معلمين شيوعيين يؤكد أقوال الشيخ شلتوت .

الإسلام والشيوعية :

وتحت عنوان « الإسلام والشيوعية » قالت جريدة « البوبولو » الإيطالية : لقد أعلن شيخ الجامع الأزهر فى القاهرة هذه الحرب المقدسة على الشيوعية ، والأمر — كما ترى — يتعلق بحدث قد يؤدى إلى نتائج لم تكن متوقعة ، صحيح إن الحرب المقدسة

ليس من الضرورى أن تعنى الحرب المسلحة ، ولكن الجدير بالملاحظة هو أن مبادأة الجامع الأزهر ترمى إلى تعبئة العالم الإسلامى بأسره تأييداً لأمانى الوحدة فى العالم العربى . هذا هو المعنى الحقيقى للحرب المقدسة التى ينوون شهرها على الشيوعية ، وهناك دافعان يبرران هذه الحرب . أولا : الخطر الذى يهدد بإلقاء العالم الإسلامى فى هوة الإلحاد ، والثانى : حماية الإسلام من الخطر المقبل من العراق حيث يهدف الشيوعيون إلى القضاء على الدين الإسلامى ودفع سكان العراق إلى ظلمات الإلحاد والكراهية ، ومن هنا ندرك أن الحرب المقدسة أعلنت كوسيلة لتنشيط وحدة الإسلام ضد أخطار الانحلال السياسى والدينى وهو الرأى الذى ينادى به حكام الجمهورية العربيه المتحدة . وختمت الجريدة مقالها قائلة : ونحن إذا لاحظنا أن آيات الجهاد فى القرآن ، وهو الكتاب المقدس عند المسلمين تتحدث عن الحرب المقدسة فى لهجة قوية نارية ، وأنه لا يمكن فى هذه الحال مهادنة العدو أدركنا أن الشرق أصبح ميدانا لمعركة بين عقيدتين .

الإسلام والتحدى الشيوعى :

أما صحيفة « جويش أوبزرفر » البريطانية فقد أثارت فى الموضوع أكثر من سؤال ، فتساءلت قائلة : هل يقدر الإسلام على مواجهة التحدى الشيوعى ؟ وهل سيخرج الإسلام من المعركة سليما ؟ وهل لديه المرونة ورحابة الأفق حتى يتسع لشعب يسير نحو عصر صناعى عظيم على غرار ما فعلت الولايات المتحدة وبلدان غربى أوربا .

ثم تصدت الجريدة للإجابة عن هذه الأسئلة فأعربت عن شكها فى قدرة الإسلام على مواجهة التحدى الشيوعى ، وزعمت أن أعظم نقطة ضعف فى الجبهة التى يجب على الإسلام أن يقودها فى مواجهة التحدى للشيوعية هى فشله ، أو فشل العلماء المسلمين ، فى إيجاد فلسفة دينية متطورة تناسب العصر الحديث أو خلق أدب قادر على نقل الأفكار الحديثة وترجمتها لأهله .

ومضت الجريدة فوجهت إلى الإسلام بعض الانتقادات هى فى الحقيقة انتقادات للمسلمين فى حياتهم لا إلى الإسلام فى جوهره ، وقد اعتمدت الجريدة البريطانية فى إيراد هذه الانتقادات على كتاب « حياة محمد » الذى ألفه المستشرق الفرنسى « درمنجم » ، وهو كتاب مملوء بالأخطاء فى الحكم على تعاليم الإسلام وتقدير أثرها فى حياة المسلمين ، وإن كان مؤلفه قد كتبه بروح الإنصاف لنبى الإسلام الكريم ، وقد نقل الأستاذ عادل زعيتر هذا الكتاب إلى اللغة العربية ، وكان المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل قد اعتمد عليه عندما بدأ يؤلف كتابه « حياة محمد » .

ومما أخذته الجريدة البريطانية على الإسلام فى هذا الصدد مسألة إباحة الطلاق، ومسألة تعدد الزوجات، ووقوع الطلاق من جانب واحد، وهى مسائل طال فيها الأخذ والرد، فطالما شنع بها المتحاملون على الإسلام، وطالما تصدى لتفنيدها المكافحون عنه، حتى أصبح الحديث فيها من تافه القول، وكأن الصحيفة البريطانية ترى أن تعدد الزوجات فى الإسلام أشنع مما هو سائد فى الاتحاد السوفيتى من الإباحية الجنسية، والشيوع فى الصلة بين الرجل والمرأة، أو مما هو سائد فى الولايات المتحدة التى يتحدث عنها وفى غرب أوربا من تعدد الأزواج أو على الأصح تعدد المعاشرة الجنسية سواء بين الزوجة وأصدقائها، أو بين الزوج وصديقاته.

ثم تحدثت الجريدة البريطانية عن قضية التجديد فى العالم الإسلامى فقالت إن المجددين يجدون أنفسهم أمام جمهور غير مستعد أو غير قادر على تفهم إنتاجهم. وفى مطلع هذا القرن دعا المصلح العظيم محمد عبده إلى السير بأمور الدين فى طريق التطور الإنسانى إلا أن هذه الإمكانيات كما يوضح «درمنجم» لم تستغل استغلالا كاملا، مع أنها لو استغلت فسوف تقود إلى نهضة اجتماعية ودينية، وتتغلب على الجمود الذى يعتبر فى الحقيقة أكثر خطراً على تقاليد الإسلام الحقيقية من الإفراط فى المدنية.

ويبدو أن كاتب المقال فى الصحيفة البريطانية يجهل كل الجهل حياة المسلمين، وتعاليم الإسلام. الحقيقة التى يشير إليها، وأنه اعتمد فيما أورده من كلام على ما كتبه «درمنجم»، وتلقفه مما كان يقال عن حياة المسلمين منذ نصف قرن، ولو كان الكاتب على علم بحقيقة حال المسلمين اليوم، وبما يتمثل فى تعاليم الإسلام، من سماحة تتسع آفاقها لكل ما تنشده المدنية الحديثة من جد، لأدرك أنه تحدث فى قضية غير ذات موضوع وأنه أورد كلاما لا يمت إلى الحقيقة بسبب، ونحن نقول لهذا الكاتب ولأمثاله من المرتابين: اطمئنوا، فإن الإسلام أقدر ما يكون على مواجهة التحدى الشيوعى وكل تحد يتنكب طريق الخير. فإن الإسلام دين الإنسانية الكريمة، وكل غايته إكرام هذه الإنسانية وإعزازها ودعمها، ولن تهون الإنسانية أمام أية دعوى باطلة، إلا إذا هان العالم كله.

مطامع روسيا فى الدول الإسلامية:

وتناولت جريدة «نيويورك تايمز» الأمريكية موضوع الإسلام والشيوعية من ناحية ثانية، هى الناحية السياسية، فكتبت تحت عنوان «مطامع روسيا فى الدول الإسلامية»، تقول: من الأشياء الغريبة

فى وقتنـــا الحاضر أن الدول الإستعمارية الكبرى فى العالم الإسلامى ، وهى روسيا والصين « ما زالت تقوم بدعاية ضخمة بين العرب الذين يعتزون بدينهم ، فقد استطاع عملاء موسكو وبكين أن يتوغلوا سياسيا فى الدول العربية من العراق إلى مراكش ، وقد بدأت حكومة بغداد تعتمد اعتماداً وثيقاً على الاتحاد السوفيتى ، ويستطيع أى إنسان أن يدرك لأول وهلة زيادة النفوذ السوفيتى الصينى على طول شمال إفريقية باستثناء تونس.

ثم قالت الجريدة : ومن العجيب أنه على حين أن روسيا والصين الشيوعية تحاولان الظهور أمام الدول الإسلامية والحرة بأنهما أبطال الحركات الوطنية فى كل مكان من مصر وسورية والعراق وعمان وعدن وإيران وأندونسيا فأنهما فى الوقت نفسه يقمعان جميع الحركات الوطنية الإسلامية داخل أراضيهما. ثم أوردت الجريدة ما قامت به روسيا من قمع شديد ضد الحركات الوطنية فى أذربيجان وشمال القوقاس وأزبكستان وتركستان ، فضلا عما صنعوه من القضاء على دول إسلامية بأكلها . وقالت الجريدة إن فى الاتحاد السوفيتى والصين الشيوعية أكثر من ٧٥ مليون مسلم يعدون فى الدرجة الثانية بالنسبة لسكان هذه البلاد .

وختمت الجريدة مقالها بالتنديد بزعماء المسلمين الذين تخدعهم الدعاية الشيوعية عن حقيقة الشيوعية ومطامعها فى البلاد الإسلامية وأهابت بالمسلمين أن يعتبروا بما صنعته وما تصنعه روسيا مع إخوانهم الذين شاء لهم سوء الطالع أن يكونوا تحت حكمها .

والحقيقة أن الجريدة وإن كانت عالجت الموضوع من وجهة النظر الأمريكية ، وحسبت حساب الغرب ونفوذه فى هذا المجال إلا أنها كتبت على أساس صحيح حين أبرزت المقارنة الواضحة بين دعاوى الشيوعيين مع المسلمين خارج بلادهم وشنائعهم مع المسلمين داخل بلادهم ، ونحن نقول للجريدة الأمريكية إن هذه الحقيقة لا تخفى على زعماء المسلمين ولا على عامتهم ، غير أن المسلمين لا يقفون تجاه الشيوعية لحساب الغرب ، كما أنهم لا يقفون تجاه الغرب لحساب الشيوعية ، ولكنهم ينشدون شخصيتهم المستقلة ، ويطلبون حريتهم الخالصة ، وهذه الدعوة التى تنبعث من القاهرة اليوم بالوقوف أمام أطماع الشيوعية وأمام أطماع الغرب على السواء أكبر دليل على ذلك، لقد انطلقت « الإسلامية » فى طريقها ، ولن تكون « الإسلامية » فى الغد إلا كما كانت فى الأمس. قوة خالقة متميزة فى خدمة الإنسانية والحضارة ، وتثبيت دعوة الحق والخير ؟

محمد فهمى عبد اللطيف

الفهرس

These articls were translated and prepared by Hammudah Abd al-Ati & Abd El-Muhsin El-Biyali, both of the Islamic Culture Department, AL-Azhar University.

He is the sole aim of the believers, while His messenger is the conveyer of His message, as for the believers they are individuals who agreed with the belief in God and His messenger, and in this last point the value of the believing individuals in believing societies is defined from the Quranic point of view as well as the relationship between the individual and the society.

The Qur'an is against annihilating the individual in society and consequently against the abolition of his freedom and personality. This by necessity meams that it is, unlike Communism, opposed to the transformation of individual property to the State. In addition to that, it urges man to concentrate his faith in God alone, and not in anyother thing or being. Yet it does not allow man to develop his personality until it becomes egoistic and individualist. It is not like capitalist democracy which has amounted to egoism. Nor is it like the democratic system itself which has developed into a gang of monopoly and exploitation.

This unique attitude of the Quran is the natural result of the fact that its call for faith in God is almost invariably accompanied by a fervent appeal for good deeds. These good deeds are meant to maintain justice and balance in relationship. And when these are maintained individual liberty cannot develop to the extent of egoism or destructive individualism nor can the Quranic society decline like that of capitalist democracy.

The Quranic guidance in order to assure the believing individuals in a believing society of his right position, a position of an independent man with mutual relations based on faith in God makes the Qur'an itself the deciding authority among its followers when ever they have to refer to some authority, it says: "Oyou who believe obey God and obey the messenger and those of you who are of (intellectual) authority ; and if you have a dispute concerning any matter, refer it to God and the messenger if you are (in truth) believers in God and the last day. That is better and more seemly in the end ." (Surah, 4. Verce, 56.)

Thus the Quranic guidance for those who believe in it is free from the defects and weaknesses of both Communism and Capitalist democracy. And above that, it encourages science and welcomes its result as a means to improve the ot of mankind and ascertain man's mastership over the universe. The Quranic guidance is neither Oriental, i-e., communist nor Occdintal, i-e. , capitalist. It is unique and independant.

Qur'anic Guidance and Industrial Civilization.

Qur'anic guidance encourages experimental science and protects man from the abuse of that science; the Qur'an says " And He it is who has Constrained the see to be of service that you eat fresh meat from thence and bring forth thence ornaments which you wear and you see the ships ploughing it that you (mankind) may seek of His bounty and that haply you may give thanks" (Surah, 16 V. 14).

" He it is who has made the earth subservient unto you, so walk in the pathes thereoff and eat of His providance " (Surah, 76. V. 15).

The Qur'anic instruction, thus, cannot be realized by man without complete knowledge of what is to be subservient and useful to him, and while the Qur'anic •gindance encourages experimental sciencë it enjoins acurate understanding of Being, So that man can find the right way to God, His lordship, His uniquity. The acknowledgment of God is the " *Balladium Sociale* " to avoid the destruction of the Universe over which he is supposed to exercise complete power.

Faith in God alone is the creator of science and it makes it a blessing to man, accordingly man can retain his leadership, his authority and his dignity. The Qur'an dignifies man as it says " Verily we have honoured the children of Adem" (Surah, 17. V, 70), and the dignified man in the Quran is not the man who yields to the machine. The Quran goins eucoragement of science with God's guidance " Lo ! this Quran guids unto that which is straightest and gives tidings unto the believers who do good works that their's will be a great reward " (Surah, 17. V. 97), it also says " This is a Scripture which we have revealed unto you [Mohammed] that thereby you may bring forth mankind from darkness unto light, the owner of praise " (Surah, 51. V, 1,)

The Qur'anic Guidance and Philosophical Trends

Here we move to the Qur'anic guidance and its attitude towards philosophical trends of modern society crystallised in two opposite directions: the individual for society and the society for individual; the Qur'an says : " Your frind can be only Allah; and His messenger and those who believe for frinds (will know that) Lo ! the party of God, they are the victorious " (Surah 5. V. 55—59) This verse refers to three facts: God, His messenger and the believers in God and His messenger. As for God

aids to Arab nations, they double the very aids, whether in quantity or quality to Israel. The philosaphers who evaluated the two systems, from the philosaphical point of view, are Jews and internatienal Communsm. This international Communism supported by the communist social system is in paralell with unvirsal government supported by western democratic countries. Thus we see that the target is one but the mean is different : the target is to subdue nationalities in the different spheres of the world; so little countries may be annihilated and their man-power and economic potentiality may be put in the service of one of the two blocks. There is no wonder, therefore, if we noticed that both blocks are fighting Arab Nationalism, wheras they declare tha the independence of little countries should be maintained, and the right of disteny of the countries under Trusteeship or Occupation should be reserved. So independence in the two blocks view point is the separation of each other to be easily swollowed and dominated.

Capitalism, then has changed the modern Democratic society into another type being dominated by individualism, egoism and retrogression of values and ideals. The more egoism mastered, the sooner values and ideals became useless; because they are the defenders of the human relations in its best form. Communism trend abolished the exercise of these values, inactivated the concience and wiped up the fear from God. It suppressed all these by misusing law and authority. Faith in God in Democratic society cannont be fruitful so long as there are individualism and egoism. Yet these values have been concealed in the Communist society.

Apparently both Communist and Democratic societies are differnt in that they both go to the extreme,but in fact there exists a surprising harmony between them in regard to: (a) the absence of all results of moral values, (b) and the non - entity of any actual application of belief in God.

Qur'anic Society.

From examining these two ideologies we noticed that ther was a gap to be filled and it is Qur'an that effectively fills this gap by laying down the solid bases. The Qur'anic society which is founded on justice and balance and seeks goodness with avoidance of harm It is the Society which stands for complete cooperation, and in knowing the structure of this society, the attitude of the Qur'anic guidance, twards modern society, in Orient and Occident, is defined.

behave, and to move within certain scope of restraints and limits which do not hinder him from realizing his wishes and desires. It gives him liberty to belive and to exercise freely his own rights, taking, in the same time, care of the freedon because it is at the service of individuals.

This individual liberty, in the modern democratic society has greatly contributed in the growth of individualism and egoism, and was about to divert this society to a primitive one in behaviour and association, unless there are judicial, parliamentary and executive outhorities which are considered simptoms of the civilised society. Individualism and egoism in modern democratic society mounted, by Capitalism, to monopoly and subjugation against the workers, and authorized it with an indirect souveregnity and hidden direction, over the three anthorities, which are supposed to be ullimate and independent. It also gave it the privilege to steer up public opinion through writers, press, broadcasting and television.

Thus the modern democratic society as well as the communist society has established gang holding complete influence over the rest of society. And the difference between these tow gangs is that one of each is unvield and the other is apperent·

While the communist society has abolished the moral values in man's life according to particular lojic of philosophical thought. The more the people fulfil their desire and exercise much of their own freedom, the more the Capitalist society diverts them from searching about that secret gang.

This gang has the authority of the government and it misuses the power of monopoly. It has the power of government without law or usage, save the law of dominatien through money and the keeping of money within the hands of similar group alike in trend and way, and cooperating for the realization of certain aim.

The gang in both societies is a squadron of Jews prefering to work in scilence and behind curtain without having faith in both regimes. And that is why the two systems are so desirous to protect Israel and safegaurd its rise through different and vital aids.

Therefore, when a weapons agreement was signed between an Arab state and any nation of the communist block, simultaniously an oil agreement was signed in the welfare of Israel. It is as valuable as weapons agreement. And while the western democratic countries offer, under the pressure of the public opinion, some technical and economic

Idealism of human reason to the Existentialism in behviour and moral values.

Here the Communist trend justifies the abolition of liberty, the ownership right of the individual, the transformation of faith in God and concentrate it on science only, the change of moral values in the conduct, and the absolute soveregnity of the state over the individuals as well as their human right; and the result is: Science is God.

The State is the supreme authority including all individuals.

The Communist is that who does not believe in God and believes in science, who has been compelled to abdicate his human rights, who has been forced to dissolute in the State, who sacrfies unwillngly his rights. Then we must differentiate between " the Communist" and the "Mystic" whereas we see the latter gives up world lusts satisfactorily and melts in God complacently, we find that he is still free, choosing, having complete humanity and not transfiguring to some body else participating life with him and not having the power of reasoning and will.

The Communism doctrine believes in the principle of evoluion but: why does it believe in it to the stage of labour uniqne - class society ? what would prevent this society to divert once again to monarchy; feudulism or capitalism ? It eliminates faith in God and believes in science which we saw that it is once in man's service, luxury and security and once more in his unhappiness his destruction, and his annihilation. But what is its, "*Balladium Sociale*" to prevent sciece from being a factor for the unhappinenss, poverty, humiliation, anxiety and desturbance of man.

It plundered human benig of his possessions and made him in need to some thing else, it emptied his heart of belif in moral values and filled it with the idea of being mastered and directed by the sensation and not by reason, it restricted his tongue suspended his will. Communism has concentrated man's liberty, will, guidance and wealth in the State's hand that tekes and does not give and accepts sacrifice without enumeration, which is not looking aftar or responsible for any thing because it is a state without individuls.

B — In equivalence to Communism is Capitalism or the Western. Democracy which is on the contrary of Communism. It treats the human being with great consideration; and so long as the first violates & encroaches, man's life, concecration and freedom for the sake of Society, the latter gives him more than he deserves: he is allowed to live, to

are non - entities in the domain of the Communist sociey, because they are values and ideals that affect mind but not reality.

With regard to economy it transforms completely the agrarian fuedalism, as well as the industrial capitalism from the individuals to the State on the one hand, and imposes work upon them in farms and factories on the other hand. They are hired and paid according to their own capacity of production in quantity and quality, and the outcome of the residue after the wage as well as the harvests of farms and production of factories, is to be kept in possession of the State which has absolute influence upon the citizens.

As to belief Communism beliefs only in sensation and pays no attention to what is left behind sensation, because it is a mere illusion or superstition. Sensation is the only source of correct knowledge and its inspiration is thoroughly true. Therefore the experimental science, which is the "Son in law" of sensational experiments, is the only truth that cannot be denied and should replace faith in God and His revelation.

The moral values in Communism are not static, but they are subject to developments. Its future has a great effect on the past, i. e. what will happen to - morrow is better than what had happened yesterday, and the ethical discourse concerning the consecrations of man in his property as well as honour, and the necessity of mantainance these rights are a tedious talk becaues it concerns the reactionary religions which have decided vain moral criteria, because the evolution principle gives superiority to the present in regard to the past, and to the future in face of the present. The discourse about the relation between man and woman, in any particular side, whether legal by marraige or not, is a remainder of the past which cannot be accepted by the evolution principle. Society has surrendered to evolution in the transition period from the dictatorial Royalty, represented in rulers and slaves, to Feudalism represented in big estates and tenants to Capitalism represented in factories and workers, to the One Class Society, that is laborours society. According to the evolution principle, the individual ought to be melted in the society, so his personality is abolished for the sake of society.

It is the same principle to which knowledge has yielded and secured its aspirations from the judgement of reason and the experiment of reality as well as sensation instead of securing it from the Heaven's message. It is also the principle through which faith, in God, His worship and holiness, have to divert into experimantel science as the moral criteria divert from the consideration of religion and the

It makes of him master and slave in the meantime.

Therefore experimental science has become the idol of man in modern society : its niche is the laboratory, its vicars are the scientists and its rituals are the capitulation of human mind. Man has been living almost for science which is no longer confined to the service of mankind, and the machine is about to excell them. Thus, we see that industrial civilization is based on experimental science; such civilization is the distinguishing phenomemon of modern society, and has not left the status of man, who was considered previously the most supreme creature, without effect. On the contrary it has shaken the values of mankind.

Philosophical and Intellectual Trends

The second characteristic feature of modern society is intellectual instruction represented in the different philosophical doctrines which have caused disputes and cold war because of the divergence of views among them.

a. There is the trend that believes in State rather than individuals, it is the trend through which man is to sacrifice his freedom of thought, his expression of belief and his consecration of ownership for the sake of the State. It is the doctrine that binds mind and soul to the body, and to the environment in which that body exists and grows. It is the doctrine which refuses the existence of God. It defies God as a spiritual force free of embodiment and of the circumstances encompassing the body. This doctrine is called "Communism".

Communism is not a philosophy and ideological doctrine dealing only with economy, but it is a conductive doctrine with the power of faith as regards guidance, after having been laid down by the philosophical thought, in the different aspects of human life. As for the individual, it restricts his liberty and imposes upon him the acceptance of determinism ; so it reduces his values, if it happens to evaluate him, and such evaluation is bound to his corporeal matter and not his mind and soul which are but a phenomenon inter-acting, in its evolution, with the material origin of human being, helped by the economic situation of the society in which he lives.

As for the State or society it grants it an absolute authority to impose submission and obedience upon individuals. It allows the State or the Society to take drastic measures against them in order to maintain the Communist " System " in power. But the individual'sdignity, their sacred beliefs and their personality

THE QURANIC GUIDANCE

and

MODERN SOCIETY

by

Dr. Mohammed El-Bahay

Director General, Cultural Department

Modern Society: Modern society is distinguished by two principal features: The industrial materialistic civilization, and the intellectual guidance represented in the different philosophical trends. We mean by modern society that of the west, whether it belongs to the democratic block or the Communist one.

Industrial Civilization:

The principle of industrial civilization is based on mechanism and experimental scientific research· The development of mechanism, as well as the experimental scientific research, have occupied a great space in the life of modern society, through the splitting of atom and the launching of satellites and artificial moons into the sphere of planet moon, for astrological purposes. Experimental science in the physical field is the main pillar upon which industrial civilization is built as it is the only way leading to the construction of peaceful instruments. It is in parallel with the construction of destructive weapons, as well as the manufacture of different types of planes and Jets, the bulding of steamers with atomic energy as well as submarines, the production of automobiles to be used on the earth and others to be used in the air & water. Through the experimental science we can travel by aeroplane to every far point of the globe in a speedy and comfortable manner. Through the same invention, i. e. the areoplane, our properties are burnt and our lives are lost.

Experimental science has guided us easily to float on waters and beneath the bottom of the sea to serve mankind. Also it has helped us to invent destroyers & submarines. Therefore cruser, destroyer and submarine were invented. Modern science has provided man with luxurious and comfortable life; it made cars, trucks, touring cars as well as tanks and spitfires. It has harnessed earth and air for the use of man, and it is the same modern science which utilised land, water and air against man. It constructs civilization. and causes its destruction. It supplies man with happiness and unhappiness,

worthy of them, and that when you judge between people you judge with justice,(Surah, 4-V-58).

As for consultation the Quran says : " O you who believe be upright for Allah bearers of witness with justice; and let not hatred of people incite you not to act equality. Be just". (Surah, 5, V, 8).

" And consult them (in important matters) . (Surah, 3 V 258).

"And whose affairs are (decided) by council among them" (Surah 42. V. 37).

As for the sources of legeslation the Quran says : " Oyou who believe , obey Allah and obey the Messenger and those in intellectual authority from among you, then if you quarell about anything, refer it to Allah and the Messenger". (Surah, 4-V,59)

" And that you should judge between them by what Allah has revealed, and follow not their low desires, and be cautious of them lest they seduce you from part of what Allah has revealed to you ". (Surah, 5-V. 49)

Islam has not stopped within the margin of these principles, but has urged individuals to regard their God and not break the Alms and to try their best to keep these principles into force by oppsoing the ruler's wish if it is not matching with Islamic principles. the Quran refers to that by saying"And obey Allah and His messenger end dispute not one with another, lest you get weak - hearted and your power depart and be steadfast. Surely Allah is with the steadfast" (Surah. 8-V.46).

At last, this is Islam, the religion of God which He appeases it to His creatures; to organise their lives, and to bring them forth from darkness to light in order to keep them out of the present world crises.

These beliefs inspired from the Islamic religion make us decide that those individuals who are not adopting such principles and beliefs are not true Muslims and they should be deprived of their Islamic rights. This is our call to-day for which we draw the attention of all hearts to follow:-

We have to conclude our call by quoting the following Quranic quotation."Clear proofs have indeed come to you from your Lord; so whoever sees, it is for his own good; and whoever is blind, it is to his own harm. And you not be keeper over you" (Surah. 6. V.105).

Has not the time yet come for the believers that their hearts should be humble for the remembrance of Allah and the Truth that is revealed, and (that) they should not be like those who were given the Book before, but time was prolonged for them, so their hearts hardened, and most of them are transgressors " (Surah. 57. V. 61).

in some cases is sin ; and spy not nor let some of you backbite ohers. Does on of you like to eat the flesh of his dead brother " ? (Surah, 49, V. 12).

(B) As for the moral principles of visiting, Qur'an says "O you who believe, enter not houses other than your own houses, until you have asked permission and saluted their inmates. This is better for you that you may be mindful - But if you find no one therein, enter them not, until permission is given to you ; and if it is said to you, Go back, then go back ; this is purer for you. And Allah is Knower of what you do " (Surah, 24 — V. 27 — 28).

(C) As for the sexual dissinsion, Qur'an says : " Say to the believing men that they lower their gaze and restrain their sexual passions. That is purer for them. Surely Allah is Aware of what they do. And say to the believing women that they lower their gaze and restrain their sexual passions and do not display their adornment except what thereof. And let them wear their head-coverings over their bosoms " (Surah, 24. V. 31).

(D) As for the moral principle of social parties and assemblies, Qur'an says " O you who believe when it is said to you, Make room in assemblies make room. Allah will give you ample. And when it is said, Rise up, rise up (Surah,58-V,11).

(E) As for the moral principle concerning the hearing of news, Quran says : " O you who believe, if an unrighteous bring you news, look carefully into it, lest you harm a people in ignorance, then be sorry for what you did" (Surah, 49. V. 6).

(F) Quran implies to a serious social value by saying "O you who believe, let not people laugh at people, perchance they may be better than they. Neither find fault with your own people, nor call one another by nick - nams - Evil is a bad name after faith, and whoso turns not, these it is that are the inquitious" (Surah, 49 V. 11).

(G) As for the treatment of the peaceful unbelievers, Qur'an says : "Allah forbids you- not respecting those who fight you not for religion, nor drive you forth from your homes, that you show them kindness and deal with them justly. Surely Allah loves the doers of justice" (Surah. 60. V. 8).

XIV Jurisdiction :- Ruling System and the sources of legislation, are the basic principles which have been stipulated and established by Islam for decent life. Justice and consultation were the foundations on which Islam relied and when directing the muslim thinkers to approach the sourses for legislative resolutions.

The Quranic guidance as regards justice says : "Surely Allah Commands you to make over trusts to those

as a means for humiliating people, for destroying thier homes and for blundering their properties or forcing people to adopt certain religion, the Qur'an says "There is no compulsion in religion, the right way is indeed clearly distinct from error. So whoever disbelieves in the devil and believes in Allah, he indeed lays hold on the firmest handle which shall never break and Allah is Hearing, Knowing" (Surah, 2. V. 256).

X. Equality.

Islam stipulated that there is no difference among mankind in obligations & duties, and equality should prevail "O people, keep your duty to your Lord, who created you from a single being and created its mate of the same (kind), and spread from these two many men and women. And keep your duty to Allah by whom you demand one of another (your rights) and (to) the ties of relationship. Surely Allah is ever a Watcher over you (Surah, 4 V. 1)

XI. Legislation.

Islam outlined legislations that organize the human life through stipulating personal opinion and through freedom of thought. It gives the human mentality the right to discuss, to laydown laws according to the interest of the society. In this matter Islam aims at reserving human dignity and security.

XII. The Formation of Society:

Obligations and rights are exchanged in the Islam. The individual is considered an element for the welfare of the socicty. Islam gives its follower the right to defend his properties and life. On the other hand Islam has obligated the rulers (i. e, the governments) to safeguard his life, wealth and honour. Therefore we can gather that Islam has exchanged obligations and rights.

XIII. Ethics.

Islam has urged man to follow moral values and has prohibitted him strictly from doing any vice, so that manqind might get out of the present deterioration.

(A) As for the common behaviour Qur'an says "And turn not your face away from people in contempt, nor go about in the exulting. Surely Allah loves not any self-conceited boaster. And Pursue the right course in the going about and lower the voice. Surely the most hateful of voices is braying of asses (Surah, 13, V. 18-19).

(a) And follow not that of which you have not knowledge. Surely the hearing and the sight and the heart of all of these it will be asked. And go not about in the land exultingly, for you can not rend the earth, not the mountains in height. All this, the evil there of, is hateful in the sight of your Lord. (Surah 17. V. 36, 37, 38).

"O you who believe, avoid most of suspicion, for surely supicion

pure earth, and breaking the fast is permissaple in cases of travel, illness pregnancy sucking and oldag edness.

Islam being a practical religion and based on facts, as previously outlined, depends on good health to teach its followers to learn, to struggle for their faith and to work for the interest of the community.

VII. MIND

Mind should be kept revived because it is the measure of good and evil in this life. Islam has prohibited all things that spoil it. We quote hereunder a Quranic quotatlon in this respect :—

"O you who believe, intoxicants and games of chance (and sacrificing to) stones set up and (dividing by) arrows are only uncleanness, the devil's work ; shun it that you may succeed". (Surah 5 Verse 90).

And the Prophet said: "Anything that leads to intoxication is forbidden"

VIII. The Maintainance of Body and Soul

Islam allows man to eat and drink, to enjoy life according to his own potentiality without extravagance. In this connection the Quran said :—

" O children of Adam attend to your adornment at every time of prayer and eat and drink and be not prodigal ; surely He loves not the prodigals. Say : Who has forbidden the adornment of Allah, which He has brought forth for His servants, and good provisons ? Say : These are for believers in the life of this world, purely (theirs) on the Resurrection day. Thus do We make the messages clear for a peaple who know. My Lord forbids only indecencies, such of them as are apparent and such as are concealed, and sin and unjust rebellion and that you associate with Allah that for which He has sent down no authority, and that you say of Allah what you know not" (Surah 1. V.- 31-32-33) .

IX Power : Islam ordains its followers to strengthen themselves and to be cautious and ready for any hostile eventualities. The Quran outlines that by saying " And make ready for them whatever force you can and horses tied at the frontier, to frighten thereby the enemy of Allah and your enemy and others beside them, whom you know not — Allah knows them. And whatever you spend in Allah's way it will be paid back to you fully and you will not be wronged" (Surah. 8. V. 60). This verse indicates that power from the Islamic viewpoint is not but a means for imposing peace and reforming societies. It is not considered in Islam

are believers. And if you do not, then be apprised of war from God and His messenger; and if you repent, then you shall have your capital. Wrong not and you shall not be wronged. And if (the debtor) is in straitness, let there be postponement till (he is in) ease". (Surah. 2, Vs. 278-280)

In addition to all that, Islam makes it clear that lavishness is the cause of èvil and universal destruction. In the qur'an we find verses such as these: "And how many a town which was iniquitous did we demolish and raised up after it another people ! So when they felt Our might, Lo ! they began to flee from it. Flee not (it was said unto them) and return to the easy lives which you led and to your dwellelings that you may be questioned. They said : O woe to us ! Surely we were unjust. And this cry of theirs ceased not till We made them as reaped corn, extinct." (Surah 21, Vs-11-15) " Till when We grasp their luxurious ones with the punishment, behold ! they supplicate. Supplicate not this day! Assuredly you will not be helped by Us. My revelations were recited uuto you but you used to turn back on your heels. (Surah23, Vs. 64 - 66) "And We never sent a warner to a town but those who led easy lives in it said:We are disbelievers in that with which you are sent. And they said: We have more wealth and children, and we cannot be punished". (Surah. 34, Vs. 34 - 35).

Thus Islam combats lavish and wasteful expenses of those who are in a position to spend be they possessors or just custodians, and authorizes the rulers to arrest all actions of such nature. This is a precautionary measure to preserve the property in which God has made man a mere regent and to purify the hearts of the deprived and poor people of envy and hatred bound to proceed from seeing the course of life led by squanderers.

V. HONOUR :

Islam has commanded that honour should be maintained as a symbol of dignity ànd for extirpating the seeds of sexual disorder which abolishes family system and breaks the unity among individuals. It decided that the authority in the sexual life is similar to ths individual ownership. Both are the elements fo the peaceful and honest life. By ignoring any of them the human bounds will be dissipated, and man will envisage absolute libertinism or prutal cruelty.

VI. HEALTH

Islam has commanded that health must be looked after very carefully, its reservation is commanded, contagion is warned of, and remedy is recommended. And those who suffer from illness are permitted to perform their ritual purity with

of worship in a thoroughly detailed and equal manner, so that people may be united in feeling as well as in purpose.

III. Knowledge : Islam urges for science and knowledge. It frees human mind from the fetters of blind imitation and intellectual stagnation. It instigates the mind to discover the secrets of God in His universe in all its aspects, earth and sky, marine and air. All this is designed to strengthen faith in God through the knowledge of His creatures and make people happy by means of using the secrets of the universe which God has rendered subservient to man.

Thus Islam exalts the ranks of scientists and scholars who explored the unknown aspects of the unviverse and put in the service of man what they discovered. The Qur'àn says: "Say: Are those who know and those who know not alike ? " (Surah 39, V. 9)

"The erudite among His bondmen fear God alone" (Surah 35, V. 28) "God will exalt those of you who believe, and those who are given knowledge, to high ranks" (Surah. 28, V. II).

IV. Wealth : Islam demanda the making of wealth and considers it to be the substance of life and makes it, when obtained through lawful means, - agriculture, commerce and industry, - equal to the worship of God; " But when the prayer is ended then disperse in the land and seek of God's bounty, and remember God much, that you may be successful" (Surah. 63, V. 10) " He it is Who made the earth subservient unto you, so walk in the paths thereof and eat of His providance. And unto Him will be the resurrection (of the dead)".

(Surah, 67, V. 15).

Conversely, Islam ordains maintenance of property and combats lavish and extravagant expanses. It strictly forbids exploiting the condition of people in need to property and gives the disable poor as well as the common interest a right to it. Regarding this point the Qur'an says: " And give the kinsman his due, and the needy, and the wayfarer, and squander not (your wealth) in wantonness. Surlley the squanderers are ever brothers of the devils, and the devil is ever ingrate to his Lord. (Surah, 17, Vs. 26-27). "And be neither penurious nor prodigal, lest you be rebuked, denuded,, (Surah 17, V. 39) "And spend in the way of God and cast not yourselves to perdition with your own hands and do good (to others). Surely God loves The doers of good." (Surah 2, V.195) " And swallow not up your property among yourselves by false means, nor seek to gain access to the judges, so that you may swallow up a part of the property of men wrongfully while you know". (Surah 2, V. 188) " O you who believe! observe your duty to God and relinquish what remains of usury, if you

he is a useful member of his national society. Each of these two personalities entitles man to certain rights and tasks him with certain duties. The happiness of man is never realized unless body and soul both enjoy their rights completely and until man makes a balance between his duties and rights in regard to him self and his society without excessive ness or carelessness. All beliefs, injunc tions, morals and laws of Islam are meant to provide man and his society with happiness. And in the light of his general and practical principle and for achieving such a superme aim Islam has advanced the folloving teachings.

I. Belief: Islam demands faith in God, the source of goodness and origin of being, to whom everything is to be referred and to whom worship, glorification and supplication should be confined. This is meant to avoid subjection of man to another and to make him enjoy the sense of dignity without going astray by placing mediators between him and God. Islam further demands belief in the Day of Judgement, the angels, the Scri ptures and the prophets through whom He conveyed His message to mankind and showed the straight path leading to their happiness in this life and the Here After. The Qur'an says: "It is not righteousness that you turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believes in God and the last day and the angels and the Scripture and the prophets" (Surah 2, V. 177).

II. Worship: Islam draws the lines of worship of which it enjoins different forms, physical and fiscal, to strengthen faith and be a means of thoughtfulness of God and thanks to Him for His graces. It enjoins (i) five daily prayers during which man stands in the presence of God to seek His aid and experience His greatness and liberate himself in repeated periods from the yoke of his material life; (ii) fasting of one month every year, the month of Ramadan, in recognition of the grace of God's revelation of the Qur'an and to accustom man to patience without which life would be unbearable; (iii) alms-giving, which is the distribution of a certain percentage of the property in the way of God and for the common interests, in recognition of the grace of property and in execution of the social duty; and (iv) pilgrimage to decree the general slogan of faith which slogan is taking refuge along with other believers in God free from the attraction of property, relatives, children and luxurious life, seeking God's content, remembering the Day of Judgement, uniting all monotheists and commemorating the early reformers whom God had chosen to save His bondmen from the ditch of sins and wrongness. Islam enjoins these forms

THIS IS ISLAM

BY

His Eminence Shaykh

MAHMOUD SHALTOUT

Rector of Al-Azhar University

In a previous article we argued that the world is entangled in a universal catastrophe on account of which the world is suffering different kinds of evils and defects. This notion is unquestionable. Peoples everywhere supplicate with complanits over the disasters emerging from moral loosness and the rejection by man of God. These disasters have inactivated the conscience, suppressed human virtue and authorized evil and despotism to destroy the soul, desecrate the honour and dignity of man, usurp his proprety, enslave his conscience and fetter his freedom, which is God's natural gift to man and with which he is born as superior to all other creatures and beings.

We suggested then that the only way out of this catastrophe is to get rid of the systems invented by man and dictated by his lust and capricious inclinations. Such systems were made without taking into consideration the interests of man or the sequences of his human nature. Thus they came inconsistent, disruptive and people-dividing systems.

There is no doubt that as long as man cherishes such systems they will lead the universe to a wide-spread danger and cause war throughout the world so much so that man will not be able to breathe comfortably or peacefully.

In our opinion and in view of the long, costly and bitter experience the world has had, there is only one solution to this problem, and that is to adopt the Divine system, i. e., the system of religion which God Himself perfected and invited people to adopt, so that they can save their lives, enjoy happiness and gain the content of God.

The Qur'an, to prove this, says : " If they (the Jews and the Christians) had obsevved the Torah and the Gospel and that which was revealed into them from their Lord, they would surely have been nourished from above them and from beneath their feet" (Surah V, Verse 66).

The Divine order of life is based on the principle that man is composed of soul and body, each of which has certain rights to enjoyment, and that the individual is in possession of a personality of his own independent of his fellow-men and also has a social personality by which

" every thing is publicly exposed and permissable, and every passion is free ". Farms, factories, and women are public utilitities for mass production and every one will be paid according to his own capacity and will be given according to his need.

Thus Communists pretend that they are completely aware of the conditions of human beings than God Himself, and more just than He in distributing sustenance; so they denied His religions, distorted His law and tried to abrogate laws, tenets and values which prophets and philosophers bequeathed to mankind, to introduce another "system" by which they do not seek absolute justice and common good, but rather aim at placing man over God and the domination of one people over all ather peoples.

I do not know why our sistetr state IRAQ has been destined in the past and the present to be a swamp in which the abnormal sects and distructive principles grow like a poisonous plant or come in as an epedemic disease, hence they pass through it to threaten the spirit of Islam, and to dissipate the unity of Arabism. The "Karamita" in the past had said what the Communists reiterated to-day "No reality is beyond this existence and every thing is permissable". It was " Babik El-Karmy " who had sowed that bad seed for the first time in the Islamic Orient in the third century A. H., followed by " Abdullah Ibn Maymoun" and afterwards by Alhasan Ibn El-Sabbah,

These three persons attracted the adorers of world lust and the stooges of the " forbidden " of the simple-minded and low-spirited people, to eat from the forbidden fruits; they indulged in passions and participated in women and properties and for this purpose they disturbed peace. " Nowadays the Babikies " revived in Iraq under the name of Communism, it propagated atheim in public after secrecy, and libertinism by force after tactfulness to attack God, His Scripture, Islam and its followors by base words and bad deeds. It is a Communist dissension in the flame of which the greedy and deceivers only will be burnt who have set it by the match of cosmopolitanists using a Russian fuel. But Islam which triumphed over every sect and dissension before in Iraq, will triumph over this dissesion to-day because it has two sources: the Scripture of God and the tradition of His prophet which are still pouring in purity and sanity. The more its deep strains are defiled the sooner the Divine inundation flows to purify with its pure water all stains and spots, and to remove by its strong tide all barriers. " Then, as for the foam, it passes away as scum upon the banks. while, as for that which is of use to mankind, it remains in the earth". (Surah 13,V.17)

it is Communism which has no faith in God but maintains complete faith in Marx ; it gives its back to Spiritulism and tendered exceedingly towords Materialism. Communism wanted to rob mankind off the grace of liberty, the power of will and the happiness of possession to make them a herd of slaves and serafs branded with "Hammer and Scythe" working as machine, eating and perishing as animals. In such a way of life and condition every communist lives: earth without sky, day without morrow, way without destination, work without responsibility and life without revival.

Communism has realised that religions are an impassable obstacle on the way of its will and leadership ; therefore, it concentrates on extinguishing the "Divine Elumination" by propagating hearesy and spreading libertinism, by exploiting the influence of passions and instincts, by fomenting dissinsions and disorder so as minds will be ready to accept every principle or behaviour. It considers Islam its bitterest enemy; becaus it is the practical religion which completes and perfects life with religion in faith, sociology, politics and economy, that it befriends all hearts of the people and equalizes, in brotherly manner, all human races, and treats the acutist problem of poverty in such a way that if it is adopted by reformers they would avoid all evils of wars and defauts of all these doctrines. It solved this problem by giving the poor the right to a religious tax "alms-giving" payable by the rich on basis of recognition of ownership right and the right of enterprise; so that owner would never be expelled out of his belongings, and no free man would never be questioned. It has authorised that the poor is to recieve a certain percentage in the wealth of the rich without which the rich's faith will be incomplete. Such a land that shines with these principles will be an inconvenient place on which the communist bats can exist; and that is why Commuism has mobilized all malicious powers and misleading weapons in the attempt to destroy Islam, so it lied against it, spread doubt around it, and said in its publications, press and broadcast that Islam does not know justice because the Quran says : "We have exalted some of you in rank above others" nor does it know equality because the Quran says : "God has exalted some of you in sustenance above others", nor does it know freedom because it restricted every thing by a restraint : it chained woman to husband, sustenance to what man possesses only, behaviour to belief and transformaton of properties to inheritance.

Communism claims to be exempted from all these " defects " as it says

An Example of Communist Athiesm

by

AHMED HASSAN EL ZAYAT

Editor - in - Chief

A few weeks ago Moscow radio broadcast an article by the Editor-in-Chief of the Soviet Sciences Review in which he said that the Russion Satellite recently launched amidst cellestial planets, equipped with the minute odio-optical and astrological scientific instruments, did not send any information whatsoever to prove the allegation of the different religions concerning the existence of a Supreme Kingdom having God on His throne, surrounded by angels, with prophets wondering through His door, in which Paradise and Hell exist, and from which Doom and Fate are decided. Accordingly the editor concluded that there was nothing but the fancy formed by ignorance in the minds of people or an illusion exploited by the ambitious people to jusify their own desire to dominate the Globe.

I wonder what information did this Communist idiot expect his Satelliet to tell him? Did he expect his Satellite to say that it had seen God on His throne, and heared angles extolling Him in the darkness of the skies, and felt the smells of burning bodies in Hell fire, and tasted the fruits of Paradise hanging from their immortal trees, and touched the cheeks of seraphim strolling boastfully in the hedges of Eden ??

This Satellite, which they have successfully launched beyond the gravity of the earth, is a block of stuff, weighing about one ton and a half, which compulsurily made its orbit round the moon or sun, its sphere is limited and its existence is temporary : and how can it be that the limited in space and time comprehends infinity or appreciate eternity ? What a molecule knows about the infinite horizon ? Or what a drop of water knows about the unlimited ocean ? God Whose throne extends over heavens and earth cannot reasonably be confined to one particular position, and the Paradise which is as wide as to include heavens and earth together can not possibly be measured by any means.

The "Toy" which has been launched by scientists to intrude amidst celestial planets is only held by God's power not by human power, it is regulated by the force of the "Godly System" and not that of science; it is evidence of affirmation not a negation wittness, and a proof of faith not a demonstration of blasphemy. It is not the question of reason or science but